

الشؤون الفلسطينية

رشدان

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢

١٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٣

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مقعد التوزيع :** جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ،
الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبيل ، د. نبيل شعث ،
د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب تهوجي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس
بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحات ، بيروت .

من المصدد (بريد جوي) : ٢١/٤ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسيا وافريقية
واوروية ، ٦ ل.ل. في الامريكتين واوسترالية .

تراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا امريكيا)
في آسيا وافريقية واوروية، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا امريكيا) في الامريكتين
واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٢ دولارا امريكيا) في سائر
الدول الاجنبية .

سم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات
او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : يافا في القرن التاسع عشر

المحتويات

- صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، الدكتور أنيس صايغ [مدير عام مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .
- ٥ هكذا خطفت طائرة البوينغ ، ليلي خالد [مناضلة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين] .
- ١٦ عدوان حزيران وخرافة الإبادة ، د. أسعد زروق [باحث في الشؤون الاسرائيلية - مركز الأبحاث] .
- ٢٦ أبعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا ، د. غسان العطية [مدير مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد بالانابة] .
- ٤٧ يوميات الحزن العادي ، محمود درويش [الشاعر والكاتب الفلسطيني ، مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .
- ٦٠ مناقشة مع الحزب الشيوعي الاردني ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] .
- ٧٠ العبرانيون السود ، عبد الحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .
- ٨٣ الوحدة الوطنية الفلسطينية : واقعها وكيفية اجتراحها ، د. سعيد حمود [نائب مدير مركز التخطيط في م. ت. ف.] .
- ٩٠ الفلسطينيون في العراق ، عصام سخيني [رئيس تحرير اليوميات الفلسطينية في م. أ.] .
- ١١٧ صحف اليسار المصري وقضية فلسطين ، عبد القادر ياسين [باحث في الشؤون الفلسطينية] .
- ١٣٧ غسان كنفاني حاضر أبدا .
- ١٣٨ غسان كنفاني .. رجل تحت الشمس ، لطفي الخولي [رئيس تحرير مجلّة الطليعة القاهرية] .

- ١٤١ **الجسور والعلاقات في قصص غسان : دراسة في فكره القصصي ، د. احسان عباس [استاذ اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت] .**
- ١٥٠ **غسان والموت ، بلال الحسن [رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. أ.] .**
- ١٥٦ **عالم القضية الفلسطينية في أدب غسان كنفاني ، أحمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .**
- ١٦٧ **البطل الفلسطيني في قصص غسان ، الياس خوري [باحث في الشؤون الفلسطينية] .**
- ١٨١ **برقوق نيسان ، غسان كنفاني [كان الشهيد غسان كنفاني عضوا في المكتب السياسي للجهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورئيسا لتحرير مجلة الهدف] .**
- ١٩٢ **عالم غسان كنفاني ، فضل النقيب [باحث في الشؤون الفلسطينية] .**
- ٢٠٥ **غسان كنفاني في كتبه الاحد عشر ، ف. المنصور [باحث في الاعلام الاسرائيلي في م. أ.] .**
- ٢٢٢ **رسائل : رسالة من واشنطن : حديث مع الشاعر الفلسطيني فوزي الاسمر ، ح. ح. رسالة من بيروت : الجامعة الفلسطينية المقترحة ... انى أين وصلت ؟ ابراهيم ابوناب [مدير المركز العربي للاعلام والنشر] . رسالة من الارض المحتلة : تقرير عن معاهد التعليم العالي في الضفة الغربية ، ح. ن. رسالة من أمستردام : عملية مطار اللد والاعلام العربي ، عقيل هاشم [مدير القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . رسالة من لندن : فلم « اضبارة القدس » الصهيوني ، خالد القشطيني [باحث عربي ومراسل شؤون فلسطينية في لندن] . رسالة من دمشق : المؤتمر الاول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، شحادة موسى [باحث في م. أ.] .**
- ٢٤١ **شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، د. كلوفيس مقصود [الكاتب التقدمي العربي ، مستشار صحيفة « الأهرام »] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] (٤) المناطق المحتلة ، ع. م. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٢ - ١٩٧٢/٨/١٢ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.] .**
- ٢٦٦ **اسرائيليات : م. د.**

شؤون فلسطينية

الدكتور أنيس صايغ

يعز علي أن يصدر هذا العدد الثالث عشر من شؤون فلسطينية دون أن ألتقي بالقراء ولو على صفحة واحدة لاحدثهم عن شؤون المجلة وشجونها كما كنت أفعل منذ أن صدر العدد الأول قبل سنة ونصف السنة . وليعذرني الذين أرادوا أن أبتعد عن المجلة وعن مركز الأبحاث (وربما أرادوا أيضا ان يوقفوا المجلة وأن يغلقوا مركز الأبحاث) عندما أرسلوا الي رسالتهم المتفجرة، وليعذرني أيضا الاطباء الذين يعالجوني بكفاءاتهم وبقلوبهم اذا عصيت أو امرهم، بخصوص عدم تعاطي الكتابة ولا حتى الاملاء قبل مضي عدة أشهر، لأول مرة منذ الحادثة قبل شهر وأملت هذه الأسطر القليلة للتعلي بالقراء الاعزاء لقاء سريعا ولاحدثهم هذه المرة عن شؤوني وشجونني أنا شخصا .
والواقع انها مجرد كلمة شكر .

كلمة شكر للآلاف من المستفسرين والمستنكرين والمحبين والاصدقاء (دون معرفة سابقة بعدد كبير منهم) الذين أبدوا ، بزياراتهم ورسائلهم وبرقياتهم ، عطفًا كبيرًا واهتمامًا زائداً ، سواء أكانوا أفرادا أو مؤسسات . ولم يكن يخطر لي ان لشؤون فلسطينية ولمركز الأبحاث ولي هذا العدد الضخم من الاخوان الذين غمروا المجلة والمركز وغمروني شخصيا بعواطف سأعتر بها وأعيش على ذكرها ما حييت .

وكلمة شكر للاطباء والجراحين في مستشفى الجامعة الامريكية الذين عهد اليهم بأمرني منذ ان نقلت اليهم بين الحياة والموت ، الذين تمكنوا من الاحتفاظ لي بجزء من بصري وجزء من سمعي والذين عالجوا الجروح والحروق بمهارة شديدة . وأقدم الشكر أيضا الى ادارة مستشفى الجامعة والى المرضين والمرضات الذين يوفرون لي أفضل أنواع الخدمة الطبية والراحة النفسية .

وكلمة شكر لزملائي وزميلاتي في مركز الأبحاث ، من باحثين واداريين ، الذين اثبتوا من جديد ان العاملين في المركز انما هم أسرة واحدة يتفانى أفرادها في خدمة بعضهم بعضا ، وأخص بالذكر الاخوان والاخوات الذين سهروا الليالي الطويلة على حمايتي وحماية المركز من غدر جديد من العدو وبالوقت نفسه استمر العمل والانتاج في مركز الأبحاث على ما عهدته المواطنين في هذه المؤسسة الفكرية الفلسطينية .

كلمة الشكر الكبرى انما أوجهها الى الذين أرسلوا الي تلك الرسالة المتفجرة — سواء أكانوا جهازا اسرائيليا أصيلا أو جهازا اسرائيليا بالعمالة والتعنية . فقد أتاحوا لي ان أخوض شرف النضال الحقيقي في سبيل فلسطين الذي لا ينحصر بكتابة المقالات واصدار البحوث والمساهمة ببناء الفكر الفلسطيني الجديد بل يتعداه كثيرا ليصل الى درجة بذل الدماء . وليعلم هؤلاء الاسرائيليون الاصليون والاسرائيليون بالعمالة اننا في سبيل فلسطين نعيش وفي سبيل فلسطين نموت ، وان فلسطين ستنقى ولو زال بعض ثوارها . وعلى العكس ، ان فلسطين تتغذى بأجساد ثوارها وتنتعش بدمائهم . وكلما ازداد ضحايا الغدر الصهيوني ، الصهيوني بالاصالة او بالعمالة ، ازدادت قدرة الشعب الفلسطيني وآماله بتحرير الوطن واستعادة الارض واعادة بناء فلسطين الخالدة من النهر الى البحر .

هكذا خطف طائرة البوينغ

ليلى خالد

خصت ليلى خالد « شؤون فلسطينية » بهذا الجزء من الفصل الخامس من الكتاب الذي سيصدر لها قريبا ، بالانكليزية ، عن Bantam Books بعنوان My People Shall Live وتروي ليلى ، في هذا الفصل ، قصة خطف طائرة البوينغ الاميركية في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ .

يتهم خصوم العرب وأحيانا اصدقائهم العرب بالعاطفية وحب التظاهر واستعمال الكلام المنمق . ومن حقي كامرأة عربية فلسطينية ان اكون عاطفية نحو قضية فقدان وطني ، وانكار حاضري ومستقبلي علي وحرماتي من العيش وشعبي . ولكني لن أخضع للعاطفية ولن اسمح لمشاعري ان تعمي بصيرتي وتنسف ثقتي في قدرة شعبي على تحرير ارضه . وبالرغم من قوة العدو المهيمنة فانني اميل الى الاعتماد على الايديولوجية والستراتيجية الثورية والتعبئة الجماهيرية الثورية أيضا في تحقيق اهدافنا . ولذلك اخترت ان اكون في عملي حليفة للعقل ، لا العاطفة . ان الحزب الذي انتمى اليه وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يفكر ويحلل اولا ثم يقدم بعد ذلك على العمل . اننا في الجبهة الشعبية لا نرغب مجرد رغبة ثم نترجمها الى عمل . اننا نوجز اولا بوضوح العمل المقترح والخيارات القائمة امامنا وندرس مضامينها وتأثير كل منها على الصورة الشاملة ثم نختار أكثر السبل فعالية في تنفيذه . اننا نحدد العدو ونفكر ونحسب ثم نعمل . اننا ، وفقا لنمط تفكيرنا ، نحدد العدو ونتعرف على مكامن قوته وضعفه ، وقدرتنا على العيش وامكانية ضربه واختراقه ، ومناطق دعمه ، وارتباطاته ومعارضته على الصعيد الدولي . ونجد في معالجتنا المسألة الصهيونية ان هناك علاقة عضوية بين اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية والامبريالية الغربية . وحيثما نرى فروقات صغيرة بين هذه القوى . الا ان تلك القوى هي بصورة اساسية شيء واحد لا يتجزأ طالما يتعلق الامر بالعالم العربي عموما والشعب الفلسطيني خصوصا . وعلى سبيل الايجاز نقول : اننا نرى ان التناقض الرئيسي هو بيننا وبين قوى التقدم والاستنارة من جهة وبين الامبريالية وقوى الرجعية من جهة اخرى . ومعنى ذلك ان اسرائيل تجسد المثال الامبريالي - الصهيوني والقوة المحتلة في فلسطين وأنها تلعب دورا مركزيا في العالم هو دور الحارس الامبريالي أو « القوة المحلية » على حد تعبير روبرت مكمارنا عندما صور دور الدول الطيبة التابعة لأميركة في خطابه الذي ألقاه في مونتريال بكندا في العام ١٩٦٤ . وبما ان الامبريالية ظاهرة عالمية تمتد مصالحها على اتساع العالم ولها فيه مصالح استراتيجية حيوية فانه يغدو طبيعيا في عصر مبدأ « الرد المرن » العسكري ان يكون رد المستغلين متناسبا مع مقتضيات الحرب ومتطلبات الساعة . ولذلك نرى ضرورة مقاتلة قوة العدو المهيمنة في نقاط الضعف في جهازه القومي العالمي . بمعنى آخر ، اننا نعمل ما تمليه طبيعة العدو

وبدافع الفجوات القابلة للاختراق التي نحددها في جهازه . وبإيجاز أكثر ، اننا لا نشوم بأعمال فردية مغامرة ورومنطيقية لتحقيق « حاجات فردية » أو « نعمل بدافع مرارات وعداوات » كما يحلو لعلماء النفس الغربيين « العلميين » ان يفترضوا . اننا نعمل بشكل جماعي ووفق خطة مدروسة لتحديد صديق متوقع للعدو او لكشف عصب حيوي من اعصاب العدو لتمزيقه وارهابه وقبل كل شيء لعرض حالتنا نحن وللتعبير عن عزمنا الاكيد على تغيير « الوقائع الجديدة » التي خلقها جيش موشه دايان . وبناء على ذلك فاننا نعمل عموما ليس لشل وتعطيل العدو لاننا عاجزون عن القيام بذلك ، بل نعمل من اجل نشر الدعاية الثورية ، ومن اجل بذر الازهاب في قلب العدو ، وتعبئة الجماهير ، وتعميم قضيتنا على الصعيد العالمي ، وحشد قوى التقدم الى جانبنا ، والتأكيد على مظالمنا امام الرأي العام الغربي الذي لا يستجيب وذلك بوحي من الصهيونية وبناء على المعلومات التي يحصل عليها عن طريق الصهيونيين . وعلى حد قول احد الرفاق : اننا نعمل ببطولة في عالم جبان لنثبت بطلان القول بأن العدو لا يقهر . اننا نعمل بعنف من اجل ازالة الصمغ من آذان الليبراليين الغربيين الصم ومن اجل ازالة القذى من عيونهم . اننا نعمل كنماذج ثورية لنوحي للجماهير ونفجر الجيشان الثوري في عهد الثورة المضادة .

ان الامر بصورة اكثر وضوحا هو أنني لا ارى كيف يستطيع مضطهدني ان يحكم على ردي على أعماله القمعية . انه لا يستطيع ان يصدر حكما غير متحيز ولا ان يتهمني بالقرصنة الجوية والاختطاف بعد ان سرق هو نفسه وطني والقي بي وبشعبي خارج ارضنا . واذا كان العدو يحدد اخلاقيته وقانونيته وفقا لمظهره الخاص ويقرر تنفيذ مبادئه الاخلاقية والقانونية ضدي لانه يملك القوة ووسيلة الاتصال لتبرير وحشيته فانني لست ملزمة بأن أصفي اليه . دع عنك طاعة ما يمليه . والواقع أنني ملزمة أدبيا بمقاومة ومقاتلة غطرسة العدو وفساده الاخلاقي حتى الموت . أضف الى ذلك أنني أجرؤ على القول بأن أولئك الذين يصغون الى العدو ويرددون بقوة حديثه المزيف والمتحليل عن « المسافرين الابرياء » وكلامه التافه عن حياتهم وما يملكون هم مذنبون بسبب عجزهم اذا لم أقل فسادهم الاخلاقي . وهكذا فاته يجب ان يكون واضحا ان عملي لا يمكن تقييمه بمعزل عن الواقع وبدون تفحص الاسباب الكامنة وراءه ، او على اساس المبادئ الاخلاقية الغربية المطلقة والمجردة التي تحل العدو من جرائمه والغرب من اخطائه والتي تعتبرني خارجة على القانون . انني اقول اننا موجودون وسنبقى في الوقت الذي يقول الغرب واسرائيل اننا غير موجودين ولن نوجد . ذلك بصورة جوهريه هو معنى العمل الثوري الذي نفذته في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ ، والذي كان انكارا لانكاري وتأكيدا على انسانيته المهانة واعلانا لانسانية الفلسطينيين . انني في المسرحية التي تتكشف فصولها في المشرق العربي عبارة عن ردة الفعل لخططات المنطقه ولست صاحبة تلك الخططات . اننا نواجه عدوا عنيدا حقودا تصل اطرافه الى كل محكمة غربية واحيانا الى محاكم بلدان كنت اظن ان مصيرها مرتبط بمصيرنا . لذلك أبدا بالمسألة الحقيقية وهي ان الامبريالية الغربية هي العدو . ليس ذلك تليفقا من نسج خيالي او اختراعا تم في بكين او موسكو . ان لعالمنا تاريخا مستمرا من التفاعل مع الغرب منذ غزا نابليون مصر في العام ١٧٩٨ . لقد اتصل الفلسطينيون مباشرة بالصهيونية السياسية منذ بدايتها في العام ١٨٩٧ ، وعاشوا تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين من ١٩١٨ الى ١٩٤٨ . ومنذ العام ١٩٤٨ شرد شعبي وصرت لاجئة في لبنان والكويت . وبإيجاز انني أعرف الغرب من خلال التاريخ ومن خلال الخبرة الشخصية ولست بحاجة الى ان ابالغ في عرض قضيتي كي تبدو مثل رواية علمية خيالية للذين يجهلونها ولا علم لهم بها . انها قصة لا تصدق لدرجة انها تبدو خيالية . دعني اوجز أعمال الغرب وأبين لا اخلاقيته

ونفاقه وتشابكه المادي والعضوي مع اسرائيل ، تلك الاعمال التي تجعل من الغرب عدوي وصديق الصهيونية التي هي عبارة عن نفي انساني .

اولا : لقد كفرت المانيه بالنسبة للصهيونية عن احراقها ستة ملايين يهودي بدفعها مبلغ تسعة ملايين بليون مارك على شكل تعويضات الى دولة اسرائيل ، لمجلس اليهود الصهيونيين . ومنذ العام ١٩٦٥ ايدت المانيه كليا تقريبا اسرائيل وخاصة قبل حرب حزيران واثناها عندما قدم مستشار المانيه النازي السابق « افنتعة واقية من الغازات » الى الاسرائيليين لحمايتهم من « الحرب الجرثومية العربية » . وقامت اسرائيل من جهتها باستقبال جوزف شتراوس وباعت المانيه رشاشات اسرائيلية من نوع عوزي .

ثانيا : لم تكف فرنسا بتزويد اسرائيل بطائرات المستر والسوبر مستر والميراج فقط بل ذهبت أبعد من ذلك فمسحت للاسرائيليين « بسرقة » الزوارق الحربية من شيربورغ ، الامر الذي يتعارض ورغبات الجنرال شارل ديغول الذي قام بدوره بمجرد « اعفاء » الجنرال الذي سلم الزوارق الى اسرائيل . وكان غاي موليه ، رئيس وزراء فرنسا الاشتراكي السابق ، قد تواطأ مع بن غوريون وانطوني ايدن في غزو مصر عسكريا في العام ١٩٥٦ . وقامت فرنسا بتزويد اسرائيل بالمعرفة والمواد العلمية لتقوم بصناعة القنبلة الذرية في ديمونة وأطلقت على مصنع أنتاج البلاينيوم اسم «مصنع نسيح» .

ثالثا : اما سويسرة البلد المحايد منذ مؤتمر فيننه في العام ١٨١٥ فلم تقم فقط باعتقال الثوريين العرب واطلاق سراح المجرمين قتلة الفلسطينيين بل أغضت عينها أيضا عن الخاطفين الصهيونيين الذين قتلوا العلماء الذين كانوا يعملون مع شعبي . ولم تعاقب سويسره عمليا الصهيونيين الذين سرقوا اسرارها هي واخذوا تصاميم المستر .

رابعا : ان بريطانيه مدانة بكل جريمة يمكن تصورها ارتكبت بحق شعبي . ان جريمتها التاريخية البارزة هي قضاؤها على شخصيتي وسلبها ارضي ومحوها تاريخي .

خامسا : والولايات المتحدة الاميركية تابعت الجريمة التي ارتكبتها بريطانيه ضدنا وأكسبتها ديمومتها . فقد زودت الولايات المتحدة الاميركية اسرائيل بصواريخ هوك وبالطائرات الفاذفة — المقاتلة من طراز سكاي هوك وفانتوم . ان اميركة هي المدافعة عن اسرائيل وحاملة قضيتها وداعيتها وممولتها على كل منابر العالم ، وفي كل مؤتمرات اصحاب البنوك . ان اميركة هي اسرائيل ، واسرائيل هي اميركة واوروبه مجتمعين في فلسطين .

انني لا اريد ان اثقل القارئ بادانة الغرب بسبب جرائمه التي ارتكبتها ضدي وضد شعبي لان ذلك وحده يحتاج مجلدا بحد ذاته . انني اريد فقط أن أقدم بعض الاشارات الى سياسات زعيمة الامبريالية الولايات المتحدة الاميركية كي اوضح توقيت عملي الثوري وابين الى جانب ذلك المرارة والعداوة اللتين نكهنهما للامبريالية الاميركية .

كان من المقرر ان يلقي الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون خطابا امام المؤتمر الصهيوني السنوي الثاني والسبعين لمنظمة الصهيونية الاميركية في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ . وكانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعلم ما سيقوله ريتشارد نيكسون لانه كان قد قاله قبل ذلك بصورة قوية جدا اثناء قيامه بزيارة اسرائيل « الظاهرة » في آب ١٩٦٧ بعد حرب حزيران . لقد قال للاسرائيليين آنئذ أنهم يكونون « اغبياء اذا تخلوا عن اي من المناطق التي احتلوها اثناء الحرب دون تلقي ضمانات من أجل سلام عادل » ، ذلك السلام الذي كان الزعماء الاسرائيليون يطالبون به . أضف الى ذلك ان ريتشارد نيكسون ظهر مع هيوبرت همفري مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية أمام جمعية بناي بريت اليهودية في الثامن من شهر ايلول في العام ١٩٦٨ ، عندما انتهز همفري الفرصة لاقاء أول خطاب رسمي في حملته الانتخابية أوضح فيه ولاءه وصداقته نحو

« صهيون المحاصر » . وبما أن همفري فشل في انتخابات الرئاسة في تشرين الثاني فان ما قاله أقل قيمة مما صرح به الفائز في تلك الانتخابات ريتشارد نيكسون . وفيما يلي ما قاله نيكسون المدافع « غير المتحيز » عن إسرائيل في العام ١٩٦٨ ومزود إسرائيل بطائرات الفانتوم المقاتلة - القاذفة في كانون الثاني ١٩٦٩ أمام جمعية بناي بريت ، المنظمة الصهيونية ذات « النزعة الانسانية » التي لها فروع في ثلاثة وخمسين بلدا : « يجب ان تمتلك إسرائيل قوة عسكرية كافية تمكنها من ردع أي هجوم . وطالما يبقى خطر الهجوم العربي مباشرا ومرتبقا تعني القوة الكافية ان يكون الميزان في صالح إسرائيل . من أجل ذلك - أي تزويد إسرائيل بالقدرة الدفاعية الذاتية - أؤيد السياسة التي تعطي إسرائيل درجة من القدرة العسكرية التكنولوجية ينقلب معها التفوق العددي لدى جيرانها . واذا تطلب الحفاظ على تلك الدرجة تزويد الولايات المتحدة إسرائيل بالطائرات النفاثة من طراز ف - ٤ فإنه يتوجب علينا القيام بذلك » .

وبما أن ريتشارد نيكسون كان جادا في كلماته التي عبرت عن التزامه نحو إسرائيل ، وبما ان أعماله اللاحقة كانت تجسيدا ماديا لتلك الكلمات ، فإنه يغدو حريا بنا أن نقدم مقتطفين آخرين من الخطاب الشهير ذاته الذي ألقاه امام جمعية بناي بريت . قال نيكسون « ان خطر الحرب يزداد باطراد مباشر مع ازدياد ثقة بعض الزعماء العرب بقدرتهم على كسب الحرب » . ان ما يولد تلك الثقة ويحمل العرب على التفكير بالحرب هو طبعاً الاتحاد السوفياتي الذي « سعد دعايته المعادية للسامية وقام بتفليق « مؤامرة صهيونية » في براغ من أجل كسب التأييد في الشرق الاوسط » . ولقد أكد نيكسون لإسرائيل على كيفية التفاوض مع العرب والتحدث عن مكانة إسرائيل القريبة جدا من الكمال بحماسة مفرطة : « انني أرى أنه من الخطأ الخطير ان تقوم إسرائيل بتبلسك المناطق المحتلة بصورة رسمية ونهائية . الا انه ليس واقعي ان نتوقع من إسرائيل ان تتنازل عن وسائل حيوية للمساومة دون سلام حقيقي وضمانات فعالة بالمقابل . ان اعداء إسرائيل يستطيعون القتال وخسارة القتال ثم العودة اليه ثانية ، أما إسرائيل فلا تستطيع ان تخسر مرة واحدة . ان أميركه تعرف ذلك وهي مصممة على ان إسرائيل قائمة بين الامم لتبقى . واميركه تؤيد إسرائيل لاننا نؤمن بحق الامم في تقرير مصيرها . واميركه تؤيد إسرائيل لاننا نعارض العدوان بكل أشكاله . انها تؤيد إسرائيل لان مثال هذه يعطي أملا بعيد المدى للشرق الاوسط » .

لقد وعد همفري وروبرت كنيدي ويوجين مكارثي باستمرار العون العسكري الى إسرائيل بما في ذلك الطائرات النفاثة الى ان يتحقق السلام في الشرق الاوسط . الا ان نيكسون كان أشد توكيدا بكثير عندما صرح في هوستون بتكساس في السادس من ايلول ١٩٦٨ : « انني آخذ بالبدأ العام وهو أن الحفاظ على السلام المضطرب في الشرق الاوسط يجعل الحفاظ على تفوق إسرائيل على جيرانها أمرا حيويا . واذا تطلب ذلك طائرات نفاثة من نوع فانتوم فإنهم سيحصلون عليها » .

وعلى الرغم من أننا كنا نتوقع ان يحضر نيكسون المؤتمر الصهيوني في لسوس انجيليس بنفسه في الوقت الذي تقلع فيه طائرة الخطوط الجوية العالمية في رحلتها رقم ٨٤ من المدينة نفسها ، الا انه لم يفعل ذلك وأرسل رسالة الى رئيس المؤتمر جاك تورشنر الذي قرأ الرسالة على الصهيونيين بالنيابة عن ريتشارد نيكسون . وذكرت الرسالة ان أميركه ملزمة « بعلاقات الصداقة مع إسرائيل » وأوردت اسم المنظمة كوسيلة « لتعزيز اسس إسرائيل الاجتماعية والاقتصادية ، والروابط الحضارية بين شعبها واصدقائه في أميركه » . واعتبر نيكسون في رسالته « هذه الجهود » بأنها « في التقليد الأمريكي الاسمي » وأكد للصهيونيين بأن حكومته تسعى لتحقيق « توازن تسلح في الشرق الاوسط » وتؤيد « تفوق [إسرائيل] العسكري المستمر » .

وعندما كان الصهيونيون يتجمعون في لوس انجليس ويلتفون حول رونالد ريفان حاكم ولاية كاليفورنيه والممثل المعجب بغولدا مئير ، كنت اتحدث حديثا مع وكيل شركة سنجر في الشرق الاوسط وانا في طريقي الى رومه لتغيير وجهة طائرة الخطوط الجوية العالمية في رحلتها رقم ٨٤٠ من طراز بوينغ ٧٠٧ الى دمشق .

واثناء التخطيط للاختطاف تدرت على كل احتمال طارئ يمكن تصوره ، وتعلمت جيدا التفصيلات العملية المتعلقة بطائرة البوينغ . الا ان هناك شيئا بقي لم اتدرب عليه في رحلتي الاولى الى الغرب وهو الوضع الانساني مثل فضول المحدثين ، وكيف لا اثير شكوك الشخص الذي يجلس بقربي ولا اكون غفظة معه . وفي وضع كهذا ترتب علي ان ارتجل وأشعر بشيء من القلق . لقد انتابني شعور غريب نوعا ما بحيث تصورت ان جميع الغربيين الذين التقيتهم كانوا يعرفون بالامر . وعلى أي حال فقد كان الشخص الذي جلس بقربي في الطائرة من بيروت الى رومه امريكا انيسا حسن الهندام متوجهها الى نيويورك . وكنت أعلم من قبل بأن السياح الاميركيين ، مثل غيرهم من السياح ، يتحدثون على أي شيء وبصورة سطحية جدا . ولم أكن أعرف أنهم يطرحون أسئلة شخصية بصورة مباشرة ودون مبالاة . الا انه لا بد ان السيد هولدن كان ضجرا وأحب ان يتحدث الي . وجاء سؤاله الاول بالطبع : « الى أين أنت ذاهبة ؟ » فأجبت : « الى رومه » . ثم سألني : « ولماذا انت ذاهبة الى رومه ؟ » توقفت قليلا لاحيك جوابا وقلت بخجل : « انني ذاهبة للاقبي خطيبي القادم من لندن الى رومه خلال أيام قلائل » . وهنا شعرت ان لساني زل لانني لم اعرف بعد بالضبط الى أين كان الاميركي متجها وخفت ان يدعوني الى الطعام او اي شيء آخر اثناء انتظاري « خطيبي » . واستدركت بسرعة قائلة له : « من الممكن جدا ان يفاجئني ويكون بانتظاري في المطار » . وسألته بعد ذلك : « الى أين أنت ذاهب ؟ » قال : « الى نيويورك » . وخلصني من طيشي . وقال ايضا : « انني لا أفهم كيف تذهب فتاة عربية للقاء خطيبي بمفردها كي يتزوجا » . وهنا قلت وكلي شعور بالثقة في النفس : « لقد تعارفنا منذ طفولتنا وجرى عقد القران بيننا قبل بضع سنوات . اصف الى ذلك اتنا عرب عصريون ولسنا من التقليديين المحافظين » . فأجاب : « جيد ! » واخذ يخبرني كيف فر وزوجته لان والديها لم يقبلوا به زوجا لابنتهما . وما ان قلت له انني لم اكن فارة حتى اعلنت المصيبة والبهجة تملأ وجهها ان على متن الطائرة زوجين جديدين يرغبان ان يشاركهما المسافرون في تناول طبق من الكاتو . « من يريد ان يشاركهما ؟ » وأعلن كل من في الطائرة بما غيما ذلك انا والسيد هولدن رغبته في ذلك . وفي هذا الجو البهيج سألني السيد هولدن : كيف تتزوجين في وقت لا يزال فيه خطيبك طالبا ولا عمل لديه ؟ « وهنا ابتسمت وقلت : « اننا لسنا ملوك نفظ اغنياء ، ولكننا قادران على الزواج في سن مبكرة » . وقال هولدن : « هل لي اذن ان اقترح ان تقضيا شهر العسل على يخت بمفردكما في البحر المتوسط ؟ » فأجبت : « انني افضل ان اكون بين الناس » . ورد هولدن معلقا : « وهل ستتزوجين الناس ؟ » قلت : « لا ، ولكنني احب ان اكون بينهم » . واستمر الحديث عن الزواج والحب والبيت والاطفال الى ان حطت الطائرة في مطار رومه حيث افترقنا وودع أحدنا الآخر ، واخذت امتعتي بعد ان انتهيت من المعاملات الجمركية وركبت الباص الى مدينة رومه . وعلى الطريق التقيت رجلا آخر في الباص كان يجلس الى جانبي ويقترب مني ويحاول ان يمسكني بذراعيه ولم اكن قد تحدثت اليه قط ، فأوشكت ان أفقد صبري وطلبت منه ان يبتعد عني : « انك تكاد تلقي بي خارج الباص وانت تدفع بي وتقترب مني » . وهكذا لم احرو ان يقوم بحركة اخرى حتى نهاية الطريق . وصلت الفندق أخيرا ، حيث قضيت يومين محاولة تجنب الذهاب في رحلات جماعية في رومه . وخلال هذين اليومين مشيت وحيدة في شوارع رومه وكنت أعرف مكاني في كل لحظة . ومن الغريب انني لم اكن أرغب

في شراء أي شيء أو حتى في الذهاب الى السينما أو في التفرج على أمجاد رومه القديمة .
لقد مشيت ومشيت وحدي وكنت افكر تفكيرا عميقا بمهمتي واستعيد الى الذاكرة
تفاصيلها .

غادرت الفندق في الصباح الباكر من التاسع والعشرين من شهر آب الى مطار فيوميسينو
في ضواحي رومه . ومما يبعث على السرور أنه لم تحصل أي عقبات عدا تأجيل الرحلة
نصف ساعة . أما رفيقي الذي لم أكن أعرفه الا بالاسم والصورة فقد ظهر حسب الخطة
وقام بالاشارات المناسبة ليؤكد هويته ، انه سليم عيساوي ، فلسطيني من حيفا نشأ في
سوريه . وجلس سليم بالقرب مني بهدوء وتصرف وكأن أحدنا لم يكن يعي وجود الآخر .
وهنا برز الوضع الانساني مرة ثانية : هذه المرة ظهرت طفلة صغيرة وعلى صدرها
اشارة تقول « اكسب الاصدقاء » ، الامر الذي ذكرني وأنا أرقب تلك الطفلة بفرح
وسرور وهي تداعب أختها الصغرى ، ان هذه الطفلة لم ترتكب أي جريمة بحق أو بحق
شعبي وان من الحماسة أن أعرض حياتها للخطر باختطافي الطائرة وهي لا تفهم المعنى
والقيمة الرمزية لعملتي . وكان من الممكن أن تنفجر الطائرة أثناء محاولتنا السيطرة عليها
أو تتحطم وتهوي بنيران اسرائيل المضادة للطائرات عندما ندخل « أجواها » . وبينما
كان وخز الضمير يعذبني ارتسم أمام ناظري تاريخ فلسطين وأطفالها بأسره : رأيت كل
شيء منذ اليوم الاول لطردها من أرضنا ومرورا بسنوات الحرمان والجوع وسوء التغذية
والخفاء التي عانى منها شعبي وشهدت كل شيء آخر حتى اللحظة التي وقعت عينا
فيها على شارة الصداقة على صدر تلك الطفلة البريئة . وفجأة ارتسمت أمامي صورة
شاملة لمئات مخيمات « اللاجئيين » الفلسطينيين من أبناء شعبي وتذكرت كل صفحة من
صفحات كتاب الرفيقة مني السعودي « شهادة الاطفال في زمن الحرب » . وبدا لي
وكان أطفال مخيم البقعة قرب عمان الذين شردوا مرتين يقفون أمامي مثل حشود ذليلة
صارخين : « ونحن أيضا أطفال ونحن جزء من البشرية » . وعزز هذا المشهد عزمي
بصورة هائلة ، قلت بعدها لنفسي : « أي جريمة ارتكبت أنا وشعبي ضد أي انسان كي
نستحق المصير الذي نعاني ؟ » وأجبت نفسي بنفسي : « لم ترتكب أية جريمة بحق أي
انسان » . يجب ان تنفذ العملية ولن يكون هناك شك أو تراجع . لقد تكلم أطفالنا .

وفي الطريق الى الطائرة وقعت حادثة أخرى . لقد كنت في الباص الثاني عندما اقترب
مني شاب وسيم في أوائل الثلاثينات من العمر وحياتي بطريقة مضطربة جدا . فرددت
التحية بهدوء وأنا أقرأ كتاب « صديقي تشي » الذي كتبه ريكاردو روجو . وبدا وكأن
الشاب كان راغبا جدا في التحدث الي . سألني من أنا وإلى أين ذاهبة . لكنني لم
أستطع هذه المرة أن أكرر رواية الزواج كما لم أستطع أن أرتجل شيئا بسرعة . ثم قلت
له « احزر » . فقال : « يونانية ، اسبانية ، ايطالية ؟ » وأجبتته بالنفي وتابعت الكلام
بالسؤال : « من أين أنت » . اجاب : « من شيكاغو » . واستأنف الشاب أسئلته :
« لا اعتقد أنك من أميركه الجنوبية ؟ » وبعد أن عرفت من أين هو ارتأيت ان أقول له
أنني من أميركه الجنوبية لان ذلك قد يجنبي أي أسئلة اضافية محرجة . فقلت انني من
أميركه الجنوبية . وهنا سألني وهو يغمزني بنظرات الاعجاب والتطلعات الغرامية :
« أنت من البرازيل ؟ » قلت : « أنك تقترب من المكان الحقيقي » . « بوليفيه ؟ » قلت :
« نعم ، ولكن كيف عرفت ؟ » اجاب : « كتابك هو الذي دل عليك » . وسألته رايه في
تشي فأجاب : « انه رجل طيب » . ثم انتقلت الى موضوع آخر : « الى أين أنت ذاهب؟ »
قال : « الى أثينا كي أرى أمي . لم أرها منذ خمس عشرة سنة . انني أراهن أنها هناك
الان تنتظرتني في المطار . انني سعيد جدا بالعودة الى أثينا » . لقد أدهشني ذلك وكدت
أقول له : من الأفضل لك أيها الغبي أن تغادر هذه الطائرة لانها ليست ذاهبة الى أثينا .
وحاولت أن أتجاهله وأقلل أذني لأحول دون وصول صوته الى ضميري . وألقيت ببصري

بين دفتي الكتاب ورحت اقرأ بصورة عصبية دون أن أظهر أي ردة فعل عاطفية للمأزق الشخصي الذي وقع فيه وصدمني . وجعلتني هذه المواجهة اتوقف متألمة لانني أدرك معنى الحرمان والتوق الى الوطن . الا انني حاولت أن انظر الى حالته بصورة عقلانية محاولة التمييز بين « منفاه » الإرادي ومنفاي القسري . ولكن تلك الحوادث أجبرتني أن اكون حذرة فوق العادة كي لا أوقع ضرا بحياة الركاب بصورة غير ضرورية : لقد ذكرتني تلك الحوادث بالإنسانية . الا أن رفاهية المسافرين لم تحل دون بل لم تقدر ان تحول دون تنفيذ العملية التي كان من الواجب تنفيذها . وارتأيت ان الرد المقصود على ريتشارد نيكسون وضيوفه في لوس انجليس لا يمكن أن يخرج عن خطه المرسوم بل يجب أن يأتي « ملائما ومطابقا » . وارتأيت أن يأتي ردي على « بيعه » طائرات الفانتوم الى اسرائيل « مدروسا ومحسوبا جيدا » حسب تعابير محلي الاستراتيجية الاميركية .

اقلعت الطائرة في رحلتها رقم ٨٤٠ بعد ساعة ونصف من الوقت المقرر أصلا لاقلاعها . وكان سليم عيساوي وأنا من مسافري الدرجة الاولى . وأعلنا انسانيتنا الفلسطينية الى أميركه والعالم . وما ان انقضت العشرون دقيقة الاولى حتى حان وقت الغداء وانشغلت المضيفات محاولات بكل لطف وتهذيب خدمة المسافرين الخمسة في الدرجة الاولى . ولم تكن عند سليم وعندي رغبة في الطعام . الا أن المضيفات كن يرحن ويجنن من أجل خدمتنا متوسلات الينا كي نطلب شيئا . قدمن لنا المشروبات والفسق بل كل شيء نريد . وأخيرا طلبت فنجانا من القهوة وطلب سليم كأسا من الجعة . ولكنهن استمرين في المجيء والذهاب يسألننا ان كنا نريد أي شيء آخر . وأخيرا زعمت انني شعرت بألم في المعدة وطلبت بطانية كي استطيع اخراج القنبلة اليدوية من جيبي واستلال مسدسي دون ملاحظة الآخرين . ولكن سليم طلب حبة أسبرو . وهنا خفت أن تشك المضيفات بأمرنا : مسافران يجلسان الواحد مقابل الآخر في الصف الاول ويشعران بالمرض . وعلى أية حال خفت أن يكون زميلي يعاني من الصداع في اللحظة الحرجة ولكنني ما لبثت ان شعرت بالارتياح عندما رأيته يضع حبة الاسبرو في جيبه بعد أن ذهبت المضيفة . وفي هذه اللحظة أحت لسليم أن يتقدم الى غرفة القيادة بعد مضي ثوان على عودة الرجل الآخر والوحيد في قسم الدرجة الاولى من الطائرة من الاستراحة المقابلة . واثناء ذلك انفتح باب غرفة القيادة لتدخل احدى المضيفات ومعها طعام الغداء للملاحين ، فانتهاز سليم الفرصة وقفز داخل غرفة القيادة قبل المضيفة التي تطايرت الصحون من يديها وهي تصرخ : « لا » ، مما أحدث ضجة كبيرة دون أن يصاب أحد بأذى . وكنت أقف خلف سليم . وأمرت المضيفة أن تهدأ وتخلي الطريق ، ففعلت وهي ترتجف وتنظر الينا خلفها . وكان سليم ضخم الجثة بحيث لم أتمكن من رؤية ردة فعل الملاحين . الا انني سمعته يقول ان الطائرة أصبحت تحت سيطرة وحدة تشي غيفارا الفدائية التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وأعلن ان قائدة الطائرة الجديدة هي شادية ابو غزالة . وفي خضم ذلك سقط المسدس وانزلق داخل رجل البنطلون الذي كنت أرديه فالتقطته والملاحون ينظرون الي مرتبكين منذهلين . واعتقد انهم لم يروا الا جزءا من تبعتي الكبيرة الانيقة . ولكنني شعرت بالسخف في تلك اللحظة وضحكت من عدم كفاءة القائد الجديد للطائرة ودخلت مكان القيادة بجديّة وأنا الوح مهددة بالقنبلة اليدوية في قبضتي وأعلن اني القائد الجديد . وأصيب الملاحون بصدمة تامة لرؤيتي هناك . وعم جو من التوتر والاستهجان والاستغراب ولكن دون خوف . وغورا قدمت للقائد السابق كارتر صمام القنبلة اليدوية لاثبت صدقي وجديتي وكتنكار اعتذر عن قبوله باحترام . والقيت بالصمام بين قدميه لاطهر عزمي وتصميمي له وقلت : « اذا أطعت أوامري فسيكون كل شيء على ما يرام ، والا فانك سوف تكون مسؤولا عن سلامة الركاب والطائرة » . ثم قلت له : « اذهب الى اللد » . فرد مستفسرا : « الى اللد ؟ » مستخدما الاسم الاسرائيلي لتلك المدينة

الفلسطينية . واجبته : « أنت تفهم الانكليزية . اليس كذلك ؟ استمع فقط ولا تسأل أسئلة سخيفة » .

وبما انني كنت أعلم ان الطائرة فيها من الوقود ما يكفي لمدة ثلاث ساعات وخمس واربعين دقيقة قررت أن أثبت صلاحيتي وطرحت على مهندس الرحلة سؤالاً حول الوقود : « كم من الوقود لديك ؟ » أجاب فوراً : « ما يكفي لمدة ساعتين » ، دون أن ينظر الى الجهاز الذي يدل على ذلك . وصرخت به : « كذاب ! » وقلت له انني اعرف عن البوينغ قدر ما يعرف هو وانه ان كذب مرة أخرى فساأضرب عنقه . وحاول الطيار تهدئتي اعتقاداً منه ان ثائرتي ثارت في الوقت الذي كنت فيه سعيدة جداً ، وحذر الملايين من التصلب والعناد في معاملة القائدة الجديدة . وهنا بدا لي ان الكابتن كارتر كان على استعداد للتعاون معنا ، فطلبت منه أن يتصل برومه كي أشرح مهمتي للشعب الايطالي . قال ان رومه بعيدة جداً . ولكنني أكدت على ذلك ، فحاول دون جدوى . وطلبت بعد ذلك من أحد المضيفين ان يحضر حقائقنا وأمرته ومسافري الدرجة الاولى بالانتقال الى الدرجة السياحية وطلبت فتح جهاز الاتصال . وجرى تنفيذ كل ذلك . وعلى الفور قرأت الرسالة التالية على المسافرين :

« أيها السيدات والسادة ، أرجو الانتباه . لطفاً شدوا أحزمتكم . ان قائد الطائرة الجديد يتحدث اليكم . ان وحدة تشي غيفارا الغدائية التابعة للجهة الشعبية لتحرير فلسطين التي سيطرت على قيادة هذه الرحلة تطلب من كافة المسافرين على متن هذه الطائرة بالالتزام بالتعليمات التالية : ابقوا جالسين وحافظوا على هدوئكم ، ضعوا ايديكم وراء رؤوسكم من أجل سلامتكم ، لا تاتوا بأية حركة قد تعرض حياة المسافرين الاخرين للخطر ، سننظر في كافة طلباتكم ضمن حدود الامان في خطتنا . ان بينكم مسافراً مسؤولاً عن موت وبؤس عدد من الفلسطينيين رجالاً ونساءً وأطفالاً والذين من أجلهم نقوم بتنفيذ هذه العملية لحاكمية هذا القاتل أمام محكمة فلسطينية ثورية . أما الباقون منكم فسيكونون ضيوفاً مكرمين لدى الشعب الفلسطيني في بلد كريم وصادق . ان حرية كل واحد منكم ، بغض النظر عن دينه أو جنسيته ، مضمونة من اجل الذهاب الى حيث يجب سرعان ما تحط الطائرة بسلام . ان وجهتنا بلد صديق وسيقوم باستقبالكم شعب صديق . »

وما أن انتهيت من قراءة الرسالة حتى لاحظت ان الطائرة انحرفت عن خطها المرسوم . وأمرت الكابتن بعدم الاحتيال اذا كان يريد الوصول بسلام ، فعاد الى الخط الصحيح . وهنا ذكرني سليم بأن خمس عشرة دقيقة انقضت وايدي المسافرين فوق رؤوسهم ، فطلبت اليهم بسرعة ان يسترخوا ويشربوا المشروبات اذا رغبوا في ذلك ، واعتذرت على اعاجهم . وبعد ذلك بقليل دخلت مضيئة وقالت ان معظم المسافرين لا يفهمون الانكليزية ولم يفهموا ما قلنا ويودون سماع الرسالة مرة أخرى . وقالت انها على استعداد لترجمتها الى الفرنسية . ولكنني أعدت قراءة الرسالة وأكدت لهم ان كل شيء طبيعي وان شخصاً واحداً فقط على متن الطائرة هو هدفنا . وفسرت الصحافة ذلك بأننا كنا نقصد سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة الجنرال اسحق رابين الذي اشتهر في حرب حزيران ١٩٦٧ . لكن ذلك غير صحيح ، ولو كان كذلك لما صعدنا الى الطائرة في رومه لانني رأيت كافة المسافرين ولم أر رابين بينهم . ولا بد ، على أية حال ، من ان يكون صالح المعلم ، وهو عربي من اسرائيل كان على متن الطائرة ، قد ظن انه الشخص المقصود وانتابه الخوف وأصبح في حالة عصبية . وهكذا نجح تكتيك الازعاج الانتقائي وقتل فزع المسافرين وتعاونوا معنا جميعاً طوال الطريق . واثناء تفسيري الرسالة للمسافرين أخبرتهم اننا نكره ونمج أعمال الحكومة الأميركية بالنسبة للشرق الاوسط وأننا لا نكره ولا نحقد على اي فرد شخصياً . الا ان الخوف والفزع انتابهم عندما اعلنت اننا ننوي نسف الطائرة لدى وصولها الى بلد صديق . ولكنني لم أعلن ذلك الا قبل ساعة من وصولنا الى دمشق . وفي هذه الاثناء واصلت الاتصال مع الارض برسائل رسائل تضامن الى الثوريين اليونانيين والى شعوب جنوبي اوروبه . وطلبت حكام اليونان

العسكريين باطلاق سراح ثوارنا المسجونين في اليونان وقلت ان الشعب اليوناني سيسقط متآمري وكالة الاستخبارات المركزية . وسكت كل شيء وخيم جو من الوجود الى ان اتصلنا ببرج المراقبة المصري وعرفت نفسي وطلبت منه نقل تحيات الثورة الفلسطينية الى الشعب المصري وقلت انني ذاهبة الى اللد . وجاء صوت متهدج : « الله ! عالده ، عملي ايه هناك ؟ » اجبت : « أزور ارض الاباء » . ثم قال : « أنت متأكدة من ذلك ؟ » قلت : « بكل تأكيد » . وحاول ان يقول لي ان ذلك عمل تحف به المخاطر ، فقطعت الاتصال به . ثم عدت فسمعته يصرخ : « يا جبهة ! يا شعبية ! يا فلسطين العربية » ، أما بقية كلامه فلم أفهمها او بالاحرى لم تكن مسموعة . وبعد دقائق رأيت الساحل الفلسطيني من فوق السديم . وعندما اقتربنا من ارض ميلادي بدا لي اني وحيي نتسابق الى عناق ابدي . لقد رأيت فلسطين للمرة الاولى منذ ان نفيت منها بالقوة في العام ١٩٤٨ . انظر الى الارض ، انها ارضي ، ورحت غارقة في لحظة من العاطفة والتأمل في آن معا . وتذكرت المهمة وطلبت من الطيار ان يخفض ارتفاعه . . . ١٢٤٠٠ قدم ، ثم وجهت رسالة باللغة العربية الى اخواني في فلسطين المحتلة قائلة لهم اننا سنعود وسنسترد فلسطين ، ونصحتهم ان يبقوا صامدين ويحافظوا على قدرتهم ووعدهم بتحطيم معقل الفرور الصهيوني . وقلت لبرج المراقبة في مطار اللد بالعربية اننا آتون الى ارض الوطن لنحط عليها ولكنه لم يفهم ما قلت له وقال ان علينا ان نطلب ادنا للنزول ومنتظر . فقلت له : « هذه بلادي ولست بحاجة الى اذن من الوحوش الصهيونيين كي احط » . وقلت بالانكليزية : « اننا هنا مرة اخرى . لقد عادت شادية ابو غزالة الى الحياة . هناك ملايين الشاديات اللواتي سيأتين مرارا وتكرارا لاسترداد الارض . » وسيطرت الرهبة لحظة من الزمن على برج مطار اللد عندما أعلنت أننا ننوي تفجير الطائرة في قلب المطار . وما هي الاثوان حتى ظهرت في الافق ثلاث طائرات ميراج اسرائيلية وحاولت منعنا من الهبوط . وهنا فتحت جهاز الاتصال الداخلي كي يسمع المسافرون ما يدور من حديث ويروا ما يريده الاسرائيليون . وعلنت من جديد ان الطيار والاسرائيليين مسؤولون عن سلامة المسافرين والطائرة واننا لا ننوي ايذاء اي شخص اذا اطيعت أوامرنا . وطلب الطيار المساعد التحدث مع الاسرائيليين فسمحت له . قال : « الجبهة الشعبية ، فلسطين العربية الحرة ، أناس مسلحون هددوا بتفجير الطائرة بواسطة القنابل اليدوية اذا لم تغادر طائرات المراج الاجواء » . وحتى هذه اللحظة بقي برج المراقبة الاسرائيلي يخاطبنا باسم الخطوط الجوية العالمية . ٨٤ . ولكنني فقدت صبري وقلت للمتحدث من البرج « اخرس ! » وقطعت الاتصال قائلة انه لن تكون هناك اتصالات اخرى الا بعد مخاطبتنا باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وما هي الاثوان حتى فعل ذلك اثناء طيراننا فوق حيفا الحبيبة . وسأل الطيار : « ماذا أفعل الآن ؟ » قلت : « دعنا نظير فترة سبع دقائق فوق ارض الوطن » . وفي هذه اللحظة برزت صورة والدي امام عيني وكدت اسمعه يقول : « متى نعود الى الوطن ؟ » لم ادر ما أقول . سكت وهدأت ونظرت الى بساتين فلسطين وجبالها . ورأيت تل ابيب تحتي . وانفجرت بالبكاء عاطفة وشوقا وقلت : « يا والدي ، سنعود . سنسترد شركم ونستعيد كرامتك . سنصبح أسياد الارض يوما ما ! » وتذكرت المهمة مرة اخرى . وقلت للطيار : « اذهب الى لبنان حيث يعيش شعبي لاجئا » . ولاحقنا الطائرات الاسرائيلية حتى الحدود اللبنانية ثم ارتدت عائدة الى الوراء . واتصلت بقبرص وبعثت بالتحيات الى ابطالها الذين يقاثلون ضد الامبريالية كما بعثت بالتحيات الى شعبي في جنوبي لبنان . وهنا قاطعني الطيار وقال انه يجب طلب السماح من لبنان فقلت له أننا لسنا بحاجة الى ذلك ، لبنان بلد عربي . حلقتنا فوق بيروت بعض الوقت وأمرت الطيار بالتوجه الى دمشق . قال : « ان مطار دمشق لا يستطيع استقبال طائرات البوينغ ٧٠٧ » . وبعد مواجهة بالنظرات بيني وبينه قلت : « اتظن اننا متأخرون الى حد عدم

القدرة على ادارة وتشغيل طائرتك اللعينة ؟ » لم ينبس ببنت شفة . وتناولت مكبر الصوت وخاطبت المسافرين للمرة الاخيرة من على متن الطائرة : « اخلوا الطائرة بسرعة ، وتمتعوا بعطلة سعيدة في دمشق . انني واثقة من أننا سنهبط بسهولة » .

أوشك الوقود ان ينتهي . وطلب الطيار اذنا بالهبوط . وأمرته بالهبوط فوراً والوقوف في أبعد نقطة عن مبنى المطار . وقلت : « ليكن هبوطنا سهلاً وهادئاً لانني اذا سقطت انفجرت القنبلة وانتهت الرحلة السعيدة بصورة رهيبية . » وحطت الطائرة بهدوء واخليت في اقل من ثلاث دقائق . حاولت وسليم ان نقول للركاب ان يأخذوا امعتهم الشخصية معهم ويسيروا بهدوء . ولكن معظمهم لم يفعل ذلك وفر حافي القدمين . وحتى الملاحون تركوا جاكيتاتهم في الطائرة . وما ان خرج الكابتن كارتر من الطائرة حتى حييته وشكرته لتعاونه . فنظر الي مندهشاً ومذهولاً . الا ان الطيار المساعد قال : « أهلاً وسهلاً بك » . ثم فنشتت الطائرة ورأيت ان جميع ركبها قد خرجوا . فمد سليم الاشرطة وثبتها في غرفة القيادة ثم اشعل الفتليل . وقفزت بعد ذلك مباشرة من مخرج الطوارئ وسقطت ارضاً على مؤخرتي ، وتبعني سليم وحط على كتفي . وقلت في نفسي انه انقلاب غريب في الادوار . واعتقدت ان بنيتي تكسرت الا انها كانت أقوى وأشد مما توقعت . ولم تنفجر الطائرة حسب المقرر . فعاد سليم ، يساعده في ذلك طولته وشجاعته الشخصية ، وصعد الى الطائرة من جديد ورتب كل شيء حسب الخطة . ووصل الجنود السوريون فحاولت تضليلهم قائلة ان الجنود الاسرائيليين ذهبوا في ذاك الاتجاه فاتبعوهم . وكان سليم لا يزال في الطائرة . وانتابني شعور بالخوف على سلامته ووقفت اعجاباً ببطولته وتفانيه واخلاصه البعيدين عن الذات . وحاولت الصعود الى الطائرة دون جدوى . وبرز سليم فجأة ملوحاً بيديه ثقة وقفز خارج الطائرة ، الا ان البوينغ لم تنفجر بعد ، فأطلق بعض الطلقات على جناح الطائرة . لم نستطع احراق الطائرة بسرعة لانه لم يبق فيها وقود . وانبعثت الشرارات منتشرة فابتعدنا مسافة عشرين متراً تقريبا عن الطائرة . اما المسافرون فكانوا في هذا الوقت في مبنى المطار الذي يبعد حوالي نصف ميل عن الطائرة . وظهرت النار وانفجرت الطائرة . ورجع الجنود السوريون ولم يدروا ما حدث على الارض . ولكنهم دهشوا عندما استسلمنا لهم وسلمناهم أسلحتنا . وكان مصور مجلة « الهدف » يصور فيلماً عن عملية الهبوط والتفجير الا ان فرحته وابتهاجه جعلاه ينسى انتزاع غطاء عدسة الكاميرا السينمائية فجاء الفيلم فارغاً . واخذنا مضيفونا السوريون الى مبنى المطار حيث أقيت كلمة موجزة في المسافرين :

« ايها السيدات والسادة ، شكراً لحسن انتباهكم واصفائكم وتعاونكم اثناء الرحلة . انا الكابتن شادية ابو غزالة ، وهذا ليس اسمي . ان اسمي هو خالدة . أما شادية فهي الفتاة الخالدة التي قانت : الابطال ينسون عادة ولكن اساطيرهم وذكرياتهم تبقى ملك الشعب وميراثه ، وهذا شيء لا يفهمه المؤرخون والمطلون . ان الجبهة الشعبية لن تنسى شادية ابو غزالة كما لن ينساها جيل الثوريين الذي لقي مساعدتها في رسم طريق الثورة . انني أحب أن أحيطكم علماً ان شادية امرأة عربية فلسطينية من نابلس وانها كانت مدرسة وعضواً في الجهاز السري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانها ماتت اثر انفجار حصل في بيتها وهي في الحادية والعشرين في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٨ عندما كانت تصنع قنابل يدوية للجبهة . كانت اول شهيدة في ثورتنا . وأنا اتخذت اسمها اثناء الرحلة . ٨٤٠ لابين للعالم جرائم الاسرائيليين التي نزلت بشعبنا ولاظهر لكم انهم لا يميزون بين الرجال والنساء والاطفال وأنهم من اجل تحقيق اهداف دعائيتهم يكررون القول في صحافتكم اننا وحوش ونهاجم النساء والاطفال « الابرياء » . انني أريدكم ان تعلموا اننا نحب الاطفال ايضاً واننا بكل تأكيد لا نوجه بنادقتنا اليهم . لقد غرنا وجهة الرحلة ٨٤٠ لان الخطوط الجوية العالمية هي احد اكبر الخطوط الجوية الاميركية التي تخدم الطرق الجوية الاسرائيلية وأهم من ذلك لانها طائرة اميركية . ان الحكومة الاميركية هي اشد مؤيدي اسرائيل ، فهي تزودها بالسلاح من اجل تدميرنا . وهي تعطي الصهيونيين دولارات اميركية بدون ضريبة . وهي تدعم اسرائيل في جميع منابر العالم وتساعدنا بكل طريقة ممكنة . اننا ضد اميركا لانها بلد

امبريالي . ولقد اطلقنا اسم تشي عُيفاراً على وحدتنا الفدائية لاننا كرمها اغتيال اميرك لتشي ولاننا جزء من العالم الثالث ومن الثورة العالمية . وكان تشي رسولا من رسل تلك الثورة . لقد اخذنا الطائرة الى حيفا لانها مدينتي ومدينة سليم ، وكلانا طرد منها في العام ١٩٤٨ . واخذناكم الى تل ابيب تحديا لاسرائيل واطهارا لعجزها عندما يلجأ العرب الى الاستراتيجية الهجومية لا الدفاعية . وجئنا بكم الى دمشق لان سوريه هي قلب الوطن العربي النابض ولان السوريين شعب طيب وكريم . اننا نأمل ان تتمتعوا باقامتكم في دمشق . ونأمل ان تعودوا الى بلادكم وتقولوا لاصدقائكم الا يذهبوا الى اسرائيل ، منطقة الحرب في الشرق الاوسط . نرجو ان تقولوا لجيرانكم اننا شعب مملوك نرغب في العيش بسلام وأمان في بلادنا ونحكم انفسنا بانفسنا . نرجو ان تقولوا للامريكيين اننا نكره الحرب والاستغلال وانه يجب عليهم ايقاف حكومتهم عن خوض الحرب ضدنا ومساعدة الاسرائيليين في حرماننا من ارضنا . قولوا لشعوبكم ان المجيء الى اسرائيل هو مساعدة لها على انكار حقوقنا علينا . ثورة وسلام . تحياتنا الى جميع محبي المضطهدين . »

وقاربت الساعة السابعة من مساء التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ . وما ان انتهيت من القاء خطابي حتى رأيت صديقي اليوناني يجهد بالبكاء وامرأة اميركية تحاول تهدئته . ولا لظن أنه عرف أنني أنا التي تحدثت معه في الباص قبيل صعود الطائرة . وسرت أنا وسليم ووزعنا الحلوى على الأطفال .

ومر المسافرون في الجمارك السورية ثم وزعتهم السلطات على فنادق دمشق ، وأطلقت سراحهم جميعا باستثناء ستة اسرائيليين . وقد نقلت احدى السيدات الى المستشفى لمعالجة كسر حدث في راسها . وفي الثالث من ايلول أطلق سراح أربعة من الاسرائيليين . أما الشخصان الباقيان فقد جرى تبادلهما فيما بعد بطيارين سوريين وحفنة من المقاتلين كانوا في المعتقلات الاسرائيلية . اما انا وسليم فقد أخذونا الى مركز الشرطة واحتجزنا مدة خمسة وأربعين يوما .

عدوان حزيران وخرافة الإبادة

الدكتور اسعد رزوق

قبل عدة شهور من مجيء الذكرى الخامسة لعدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أخذت تلوح على الافق الاسرائيلي تباشير نظرة «مستهجنة» لحقيقة العدوان الذي درج البعض على تسميته بـ «حرب الايام الستة» أو معاركها التي توقفت عند توسيع رقعة الاحتلال الصهيوني للارض العربية . وتطلت طلائع تلك النظرة في مشادة داخلية نشبت بين لفيف من كبار الجنرالات و القادة البارزين في الدولة الصهيونية . اما المناسبة التي شهدت بداية المشادة فقد تصادفت مع انعقاد ندوة للتناقش حول كتاب أصدره عاموس ايلون تحت العنوان التالي : «الاسرائيليون : المؤسسون والابناء» * . كان ذلك حوالي منتصف شهر آذار (مارس) الفائت من هذا العام . ولدى حلول يوم الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، كانت وسائل الاعلام الاسرائيلية تخوض في نقاش مثير للغاية بين مختلف الاطراف التي شاركت في التخطيط للعدوان وقامت بدور رئيسي على صعيد التنفيذ العملي . فراح نفر من كبار الضباط العسكريين الذين شغلوا المناصب الحساسة ابان شن العدوان ، ثم تسرحوا من الخدمة في المدة الاخيرة لكي يتعاطوا العمل السياسي ويتابعوا نشاطهم في ميدان الحياة المدنية ، يتسابقون على الادلاء بالرأى وتوضيح الموقف . بينما سارعت الصحف وأجهزة الاعلام الى استصراح جميع القادة الذين قبعوا في مراكز المسؤولية وأسهموا بقسط فعال في التدبير للعدوان والاعداد له ، كما شاركوا في تنفيذ عملياته ومخططاته على المستويات كافة .

ولكي نحيط بالملابسات التي رافقت المشادة الاسرائيلية منذ بروزها الى ميدان النقاش العلني وعلى صفحات الجرائد الصادرة في اسرائيل ، ومن ثم انتقال اخبارها الى أعمدة الصحف العالمية ، يجدر بنا التوقف قليلاً عند الآراء والمعلومات التي أفضى بها العميد (احتياط) متياهو بيليد(١) ابان المناقشة الدائرة حول كتاب ايلون المشار اليه اعلاه ، والاطلاع على وجهات النظر الاخرى من حيث مجاراتها لآراء بيليد أو محاولاتها في الرد عليه ودحض اقواله وتفسيراته .

الخدعة تتحول الى خرافة

انطلق بيليد في عرض آرائه حول الاسباب التي دفعت اسرائيل نحو شن عدوانها صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من موقع القول ببطلان الاعتقاد الذي اختلقته

* — صدر كتاب ايلون بالانجليزية ايضا ، وتحت العنوان التالي :

Amos Elon, The Israelis: Founders and Sons

وتضمن هذا الكتاب بعض الآراء والتحليلات التي تخالف الموقف الصهيوني — الاسرائيلي الرسمي وتفضح الكثير من الضلالات التي درجت اسرائيل على «تلقينها» لوسائل الاعلام وأجهزة الدعاية ، في الداخل والخارج على السواء . حتى ان هذا الصحافي الشاب أثر البوح بما يريد له الاسرائيليون البقاء طي الكتمان ، فلم تنقصه الجعرة او يخنه الصدق عندما كتب يقول : « ان معاينة العرب على الاخطاء التي اقترفتها أوروبا ينبغي لها ان تنقل ضمير الاسرائيليين على امتداد فترة طويلة من الزمن الاتي » .

اسرائيل عن تعرضها لخطر الابداء عشية افتعال العدوان . فالادعاء القائل بأن وجود الدولة الصهيونية كان عرضة للخطر ، وان هذا الخطر المزعوم بات يتهدد سكان اسرائيل بالفناء ويستهدف ابادتهم والقضاء عليهم ، لا يعدو كونه « خدعة » تفتقت عنها مخيلة الاوساط الحاكمة في اسرائيل قبل توقف القتال وبعده بقصد تبريرها لشن العدوان وتهيئة الجو الملائم للاحتفاظ بالمكاسب وتحقيق الاطماع التوسعية . ومما قاله بيليد خلال المناقشة : « ان النظرية التي تعتبر ان اسرائيل كانت عرضة لخطر الابداء في حزيران ١٩٦٧ ، وانها حاربت في سبيل كيانها المادي آنذاك ، ليست سوى خدعة (bluff) ولدت ونمت بعد الحرب » (هآرتس ، ١٩/٣/٧٢) (٢) .

فالحكومة الاسرائيلية درجت على التمسك بوجهة النظر القائلة ان « خطر الابداء وحده يبرر شن الحرب » . بينما يرفض بيليد هذا الادعاء ويجرده من كل اساس للصحة . والمعروف عن هذا العسكري في الاحتياط انه لا ينتمي الى الفئات الاسرائيلية التي تحسب نفسها على اليسار ، بل يشتهر عنه اتخاذ المواقف المتمادية في موالة اميركا ومعاداة الاتحاد السوفياتي(٣) . فلا عجب ، اذن ، ان يأتي تفسيره للعدوان الاسرائيلي على النحو الاتي : « كان سبب الحرب محاولة الاتحاد السوفياتي تغيير الوضع الراهن في المنطقة ، بأن تحل تسوية سوفياتية محل التسوية الاميركية القائمة منذ ١٩٥٧ . والعرب كان لهم دور ثانوي بهذا الشأن » (٤) .

وفيما يتعلق بالسؤال « المحوري » عن تعرض اسرائيل للابداء سنة ١٩٦٧ نجد بيليد على استعداد تام للاعتراف ببطلان هذا الادعاء وفضح الدوافع الكامنة وراء التذرع بخرافة الافناء والابداء . فهو يتساءل خلال المناقشة التي تطرقت الى موضوع يحتل منزلة المحرمات التي تستنزل تهمة الخيانة على كل من تحدثه نفسه بالخوض فيها ، بقوله : « ما هي اخر مرة كانت اسرائيل فيها مكتسوفة لهجوم عربي ؟ » . لكي يجيب على تساؤله مؤكدا : « كان ذلك سنة ١٩٤٨ ، كما اقر التاريخ » (٥) .

بيد ان العميد بيليد وجد من يشاركه هذه القراءة « الجديدة » للتاريخ المعاصر . فقد اعرب زميله في الاحتياط ، عيزر وايزمان ، وشريكه في النقاش — « عن قدر من الموافقة على القول ان دولة اسرائيل لم تتعرض لخطر الدمار عشية حرب الايام الستة » (عال همشمار ، ٢٠/٣/٧٢) (٦) . ولا حاجة بنا الى تذكير القارئ بأن وايزمان شغل منصب رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فهو — كما بيليد — احد الجنرالات الاثني عشر الذين كانت تتألف منهم هيئة الاركاب العامة للجيش الاسرائيلي في ذلك الحين . ومما اثار استغراب الكثيرين ان يبادر نفر من القادة الذين احيطوا بهالة تعظيمية في اعقاب الانتصار الاسرائيلي الى الاقدام على التشكيك في صدق الدوافع التي اعلنتها حكومتهم لتبرير عدوانها ، ثم رفعها الى سدة العقيدة المنزهة عن كل نقاش أو تساؤل حول مضمونها ومقوماتها . فالاقوال التي وردت على لسان بيليد ووايزمان لم تذهب عبثا هذه المرة . بل أدت بدورها الى اثاره اهتمام الصحافة ، فشجعتها على الخوض في موضوعات تتناول عملية التضليل الاعلامي والنفسي الذي تمارسه اسرائيل منذ عدوانها ، في المجالين : الداخلي والخارجي .

ومهما تكن البواعث الكامنة لدى العميد في الاحتياط بيليد حتى تجعله يمضي في محاولته الرامية الى تحطيم الاسطورة القائمة على الزعم بوجود خطر يتهدد اسرائيل بالابداء — على الصعيدين : الفردي والجماعي — فان القضية تحولت بين عشية وضحاها الى موضوع الساعة ، وانتقلت من قاعة الندوة الى ميدان الصحافة والاعلام والرأي العام . ففي ٢٤ آذار (مارس) ١٩٧٢ نشر بيليد دراسة طويلة في صحيفة « معاريف » — وهي

أقوى الصحف الإسرائيلية توزيعاً — حيث تابع شرح آرائه في معرض التصدي لخرافة الإبادة المزعومة . ومما كتبه بالحرف الواحد : « ليس هناك من سبب يدعو إلى إخفاء الحقيقة القائلة أنه منذ سنة ١٩٤٩ لم يتجرأ أحد — والأصح هو القول أنه لم يكن أحد في وضع يسمح له بذلك — على تهديد وجود إسرائيل بالذات . وبرغم هذا فقد تابعنا تغذية الشهور بالنقص ، كما لو كنا شعباً ضعيفاً ، وصغيراً ، يعيش على القلق لضمان وجوده ، وهو عرضة لخطر الإبادة في كل لحظة » (٧) .

فالتهديدات المنسوبة إلى القادة والحكام العرب ربما تركت بعض الأثر في نفوس المسؤولين الإسرائيليين . لكن بيليد يؤكد لنا أن مطلقاً هذه التهديدات العربية أنفسهم كانوا يدركون قصورهم تمام الإدراك فلم يحملوها على محمل الجدية أبداً . ومعظم التبريرات والمزاعم التي صدرت عن المعتدين الإسرائيليين وتلقفتها الصحافة العالمية لكي تبادر إلى الأخذ بها وتبنيها — يقول بيليد — « جرى تقديمها بعد انتهاء الحرب ، ولم تؤخذ بعين الاعتبار في حساباتنا قبل نشوب القتال » (٨) .

لكن الجنرال بيليد يعترف علناً في الوقت ذاته بأنه كان من أنصار بدء العمليات العسكرية ضد مصر في أيار (مايو) ١٩٦٧ . والتبرير الذي يقدمه ليس على سبيل « الدفاع عن وجود » إسرائيل ، بل فقط لاجل « اقتناع » الطرف العربي بقوة الردع الإسرائيلي . لذا نجد أنه يعتبر إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية بمثابة ذريعة للحرب Casus belli - تستوجب القيام بعمل عسكري للحيلولة دون اقدام عبد الناصر والسوفييات على تغيير الوضع الراهن في المنطقة . فيعود إلى اطلاق التأكيد التالي : « عندما مضينا إلى تعبئة قوانا كلها ، لم يوجد أي شخص عاقل لكي يعتقد بأن هذه القدرة كلها كانت لا غنى عنها لاجل « الدفاع » ضد الخطر المصري الذي يتهددنا . هذه القدرة كانت ضرورية لسحق المصريين بشكل حاسم على الصعيد العسكري ولإحراج حمايتهم السوفييات على المستوى السياسي . والادعاء بأن القوات المصرية التي احتشدت على حدودنا كانت بمثابة التهديد لوجود إسرائيل لا يشكل اهانة لكل شخص ذكي يمتلك القدرة على تحليل هذا النوع من الأوضاع فحسب ، بل هو قبل أي شيء اهانة للجيش الإسرائيلي » (٩) .

إن هذه الآراء والاعترافات الصادرة عن متيهاو بيليد تتعارض مع الموقف الرسمي لحكومة إسرائيل وتدحضه بشكل صارخ . ففي الثاني عشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — وبعد مضي يومين على « الانتصار » الذي أحرزته القوات الإسرائيلية المعتدية — كان رئيس الوزراء ، ليفي أشكول ، يعلن أمام الكنيست ما يلي : « لقد تعلق وجود دولة إسرائيل بخيط رفيع ، لكن آمال الزعماء العرب في إبادة إسرائيل منبت بخيبة مريّة » (١٠) . ولم يتجرأ أحد من المخوضين بسحر هذه الحجة وزيف المنطق الإسرائيلي على التصدي لتلك المزاعم وتفنيدها ، سواء من داخل إسرائيل أم خارجها في المجال العالمي . بل عمد المسؤولون الإسرائيليون بدورهم إلى ترسيخ هذا الاعتقاد في الأقوال والتصريحات التي صدرت عنهم كافة . وتابعتهم معظم الصحف العالمية في الترويج لهذه الخدعة طيلة السنوات الخمس التي انقضت على العدوان .

فالسؤال الذي طرحه بيليد عما إذا كانت إسرائيل بالفعل مهددة آنذاك بخطر الإبادة جر إلى سلسلة من الاعترافات والتفسيرات التي أدت إلى التشكيك في صحة الموقف الإسرائيلي المعلن بصورة رسمية* . ولا بد لنا من الاطلاع على نماذج أخرى من

* حاول أحد الشبان الإسرائيليين ، جيعورا نوبمان ، أن يدافع عن نفسه أمام محكمة عسكرية إسرائيلية يوم الحادي عشر من تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، بتهمة الامتناع عن تأدية الخدمة العسكرية ورفض اقسام يمين الولاء للجيش الإسرائيلي . فاستشهد بأقوال الجنرالات الذين أكدوا أن إسرائيل لم تكن معرضة لخطر الإبادة ، مثلما

الاجتهادات التي طلع بها كبار القادة العسكريين في معرض الرد على آراء بيليد ونظرياته . كما ان الزعماء السياسيين لم يتخلفوا عن الاسهام بقسطهم في النقاش الذي تحول الى مشادة .

تنويعات وتبريرات

كان العميد احتياط عيزر وايزمان في طليعة الذين هبوا للرد على آراء بيليد دون ان يتمكنوا من دحض مقولتها الاساسية . فقد أجرى معه دوف غولدشتاين مقابلة نشرتها صحيفة معاريف (٧٢/٤/٤) وأعلن فيها وايزمان انه « لم يكن هناك خطر اباداة على الاطلاق » وان هذه « الفرضية » لم يعتنقها أبدا أي « اجتماع جدي » . وادعى الرئيس السابق لشعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب حزيران ١٩٦٧ بأن الدول لا تحتاج الى خطر اباداة يتهدها أو حتى الى حجة عرضية لكي تأخذ زمام المبادرة في شن حرب (١١) . ثم عاد الرئيس الحالي لادارة حزب « حרות » (وايزمان) الى ابراز « جانب خفي » من حرب حزيران ١٩٦٧ في مقالة نشرتها صحيفة « يديعوت اchronوت » غداة الذكرى الخامسة لتلك الحرب (٧٢/٦/٦) ، فاعترف بأن اسرائيل اعدت لشن الحرب منذ ١٩٥٦ ، ولم تنتظر حلول شهري أيار وحزيران من سنة ١٩٦٧ . ومما جاء في مقالة وايزمان : « شغلتنا ، حرب المستقبل ، كثيرا — مثل كل رئاسة أركان تجد نفسها في وضعنا — خلال كل الفترة الممتدة من عملية ،قادش ، (اي : حرب سيناء ١٩٥٦) الى حرب الايام الستة ، وليس فقط خلال أيار — حزيران ١٩٦٧ » . (ن . م . د . ف . ١٩٧٢/٧/١ ، ص ٣٩٣) .

غير ان صحيفة « يديعوت اchronوت » استصرحت الجنرال دافيد البعازر ، رئيس الأركان العامة ، ما يلي : « الحدود السابقة لم تكن آمنة . ومن الصعب القيام بالدفاع عن البلاد ضمن حدود من ذلك القبيل . فلو سمحنا للقوات المسلحة العربية بتنظيم حشودها والمباداة بالهجوم ، لكانا قد عرضنا دولة اسرائيل للخطر » (١٢) .

بينما أعلن الجنرال حاييم بارليف ، وهو رئيس سابق للأركان يشغل حاليا منصب وزير التجارة والصناعة ، في مقابلة نشرتها صحيفة « معاريف » (٧٢/٤/١٩) الرأي التالي : « نحن لم نكن مهددين بخطر الابادة عشية حرب الايام الستة ، ولم نقل أبدا أو نفكر بوجود احتمال من هذا القبيل . ومن الصحيح ان هذه الفرضية جرى تصورها ابان حرب ١٩٤٨ ، لكنها تكشفت عن ضالة في الجدية منذ ذلك الحين » (١٣) .

وتعرض موردخاي بنتوف ، الوزير السابق عن المابام خلال عدوان الخامس من حزيران ، لهجوم عنيف على صفحات الجرائد الاسرائيلية في اعقاب ما كتبه ونشرته عال همشمار (٧٢/٤/١٤) من أن « هذه القصة كلها عن خطر الابادة جرى اختراعها بجميع فصولها وتضخيمها في وقت لاحق لتبرير مسألة ضم مناطق عربية جديدة » (١٤) . فاقراء الذين هاجبوه تحدثوا عن وجوب « الاستمرار في تربية الشعب وثقيفه في ضوء خطر الابادة » . بينما رد عليهم بقوله : يجب تغليب الحقيقة على تربية « قوامها الاوهام الخادعة » (١٥) . ومن المعروف ان الوزيرين عن المابام في حكومة اشكول التي قررت بدء

استند في دناعه الى الاسباب الوجدانية التي تجعله يتمتع عن الخدمة في جيش يمارس الاحتلال والاضطهاد ، والقتلاع والتشريد والنفي .

ومما أثار غضب غولدا مئير هو ان الجنرال بيليد أعلن في حديث اذاعي بان محاكمة هذا الشاب ، البالغ الثامنة عشر من العمر ، هي غلطة — ويجب اعفاء المعارضين لاسباب ضميرية من تادية الخدمة . فقد اغتصمت مئير مناسبة انعقاد مجلس الوزراء لتوجيه نقدها الشديد الى آراء الجنرال ، وكذلك الى المسؤولين عن الاذاعة والتلفزيون متهمة اياهم باعطاء الكلمة للمعلقين « لا يعربون دائما عن وجهات نظر موزونة » . (لوموند

١٨ — ٧٢/٦/١٩) .

العمليات العسكرية — وهما بنتوف واسرائيل بارزيلي ، الذي توفي لاحقا — لم يصوتا الى جانب القرار الحكومي في مجلس الوزراء يوم ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والداعي الى شن الهجوم ضد الدول العربية . اما السبب المعطى لامتناعهما عن التصويت فهو اقتناعهما بانه لم تستخدم جميع الوسائل الدبلوماسية والسياسية لتفريق الحشود المصرية على حدود اسرائيل والتوصل الى اعادة فتح خليج العقبة امام الملاحه .

ان نظرية بيليد سرعان ما حظيت بتأييد نفر من كبار القادة العسكريين والزعماء السياسيين . وفي السابع من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ كان منحيم بيغن يتناول الموضوع امام حشد من الطلاب في الجامعة العبرية بالقدس ، مشيرا الى وجود اخطار اخرى كانت تتهدد اسرائيل . حتى ان صحيفة « أوت » الناطقة بلسان حزب العمل بادرت في الاسبوع الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ الى نشر حوار دار بين الجنرالات وايزمان وغافيش وبيليد وهرتزوغ يؤكدون فيه بلا استثناء ودون التباس ان اسرائيل لم تتعرض الى خطر الابداء عشية حرب الايام الستة (١٦) . ويقول مراسل صحيفة « لوموند » ان الجنرال بيليد لجأ الى تذكير الزملاء بالتقديرات التي توصلت اليها اجهزة المخابرات العسكرية الاسرائيلية ومؤداها ان مصر لم تكن مستعدة للحرب في ايار — حزيران (مايو — يونيو) ، ١٩٦٧ . بينما اعترف بيليد منذ البداية بطبيعة المناقشات التي كانت تدور داخل هيئة الاركان العامة ، على النحو الاتي : « عندما كنا نتحدث عن الحرب في الاركان العامة ، كان حديثنا يدور عن المضاعفات السياسية التي سوف تترتب عن عدم خوضنا الحرب — ماذا سيجل باسرائيل خلال خمس وعشرين السنة القادمة . ولم نتحدث أبدا عن البقاء على قيد الحياة اليوم » (١٧) .

فالنقاش الذي بدأ في اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٧٢ ، تحول الى مشادة داخلية مع اقتراب الذكرى الخامسة لعدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ومما تجدر ملاحظته ان الصحافة العالمية لم تأخذ علما بالامر الا عشية الخامس من حزيران ، ١٩٧٢ . فقد نشرت صحيفة « لوموند » يوم السبت الواقع في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ مقالا للكاتب الاسرائيلي المشرف على تحرير مجلة « نيو اولتوك » — امنون كابيلوك — وعنوانه : « عشية اندلاع النزاع ، هل كانت اسرائيل حقا مهددة بخطر الابداء ؟ » . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية استهدفت وضع حد للنقاش الذي وصفته افتتاحية لصحيفة « دافار » الرسمية بـ « النقاش المزعج والعقيم » . لذا اغتمت مناسبة الذكرى الخامسة للعدوان ، ونشرت نص القرار الذي تبناه مجلس الوزراء الاسرائيلي قبل خمس سنوات بالضبط ، وذلك يوم الرابع من حزيران (يونيو) ، ١٩٦٧ . وصدرت الصحف الاسرائيلية صبيحة يوم الاثنين الواقع في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ حاملة نص القرار الرسمي في صدر صفحاتها الاولى . بينما كان وزير الدولة وأحد المقربين من غولدا مئير — اسرائيل غاليلي — قد بادر يوم السبت (٧٢/٦/٣) الى دحض التصريحات القائلة بأن اسرائيل لم تكن معرضة لخطر الابداء . فقال : « انه لمن السهل جدا بعد الحين اعادة التاريخ ، لكن الواقعة الحقيقية هي ان اسرائيل كانت مهددة بالافناء » . ثم أضاف غاليلي : « اسرائيل قادرة ، وسوف تبقى كذلك ، على الحاق الهزيمة بجميع الدول العربية مجتمعة » (١٨) .

قرار العدوان ومضاعفاته

اقدمت الحكومة الاسرائيلية على سابقة لا مثيل لها ، عندما أفرجت يوم الاحد الموافق للرابع من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، عن نص القرار الذي اتخذته قبل خمس سنوات بالضبط وعشية البدء في عدوانها العسكري والقيام بشن العمليات الهجومية ضد الدول العربية . وجاء في النص الذي تناقلته وكالات الأنباء والصحف العالمية ما يلي : « ان الحكومة ، بعد استماعها الى التقارير التي رفعها كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية

وزير الدفاع ، ورئيس الأركان العامة ورئيس شعبة المخابرات العسكرية حول الوضع العسكري والسياسي، توصلت الى قناعة مفادها ان الجيوش المصرية والسورية والاردنية قد تحركت واحتشدت في مواقعها بغية شن هجوم مباشر على امتداد أربع جبهات ، بحيث صارت تتهدد وجود دولتنا . تقرر الحكومة اتخاذ الخطوات والإجراءات العسكرية اللازمة لتحرير اسرائيل من ربقة العدوان الذي يتابع احكام طوقه حولنا . وتفوض الحكومة الى كل من رئيسها ووزير الدفاع وهيئة الأركان العامة للقوات الاسرائيلية صلاحية تعيين موعد البدء في العمليات العسكرية . كما يجري اطلاع اعضاء الوزارة في اسرع وقت ممكن على سير العمليات العسكرية المنوي تنفيذها . وتعهد الحكومة الى وزير الخارجية باستنفاد جميع الامكانيات السياسية بغية توضيح موقف اسرائيل واكتساب تأييد الدول الكبرى» (١٩) .

مما لا ريب فيه ان الذين عمدوا الى نشر نص القرار كانوا يهدفون من ورائه الى تحقيق عدة أمور . هذا مع العلم بأن الصحافة الاجنبية رأت في بادرة الاقدام على نشر قرار العدوان دليلا رسميا على ان الاسرائيليين كانوا البادئين في اطلاق النار صبيحة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فالوثيقة الرسمية تؤكد على خرافة التهديد بالابادة ، وتنظر الى مسألة الحشود العربية من الزاوية الملائمة للابقاء على الهاجس المصطنع بوجود خطر يتهدد كيان الدولة ويجعل أهلها عرضة للابادة والافناء . كما ان القائلين بفائدة نشرها توسموا فيها افحاشا للاصوات التي تعتبر خرافة الابادة جزءا من الخدعة التي يجري توسلها للاحتفاظ بالمناطق المحتلة . فالاشارة الى « الخطر العربي » الذي بات يتهدد وجود اسرائيل ترمي الى الرد على بيليد ومؤيدي نظريته في « الخدعة » التي جرى استنباطها لاحقا واحلالها في منزلة الاسطورة التي لا تقبل النقاش .

ان الجنرال بيليد — كما يقول كابليوك — اراد البرهان على حقيقة قائمة ويصعب نكرانها . فالحكومة الاسرائيلية تعتمد استغلال مشاعر القلق لدى السكان بقصد الوصول الى غاياتها وبلوغ مآربها . وفي طليعة الغايات والمآرب تأتي مسألة « تكبير رقعة اسرائيل » ، بضم المناطق العربية المحتلة . فالمسؤولون ، بنظر الجنرال في الاحتياط ، لجأوا عن سابق تصور وتصميم الى تشويه الهدف الذي من اجله قامت حرب الايام الستة بغية احداث التشويش والبلبلة في مسألة أمن الدولة وسلامتها . والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا التضليل المدروس تنطوي على امرين : **أولا** — ان الحكومة الاسرائيلية ، في محاولتها الرامية الى تزييف الاسباب المؤدية للحرب والقاء دوافعها الحقيقية في غياهب التعقيم ، تسعى لحمل الشعب على القبول بمبدأ الضم الجزئي او الكلي — متى أمكن ذلك — للمناطق العربية المحتلة . **ثانيا** — تقوم حكومة اسرائيل على اذكاء خوف لا اساس له في نفوس السكان ، بحيث تجعلهم في حالة من القلق او الفزع الدائم على وجودهم بالذات (٢٠) .

اي أن المؤسسة الحاكمة وسلطات الاحتلال الاسرائيلي ترمي في تمسكها بالخرافة التي اطلقتها عن تعرض كيان الدولة لخطر الابادة ، طمعا في استغلال مخاوف القلق التي ترررها هي في النفوس لكي تعود فتحصدها لحاجاتها واطماعها التوسعية .

ومما تجدر ملاحظته ان الخطوة الحكومية بنشر القرار لم تنجح في وضع حد للنقاش الذي بات يسبب لها الازعاج والاحراج . لقد بادز نفر من الصحافيين الاسرائيليين عند بداية النقاش الى مناشدة الجنرالات تغليب « حسهم الوطني » على المضي في التعرض لامور خطيرة . وطلب هؤلاء الى كبار العسكريين السابقين « الامتناع عن استخدام حقهم الاساسي في التعبير عن آرائهم » . أما الحجة التي أرفقوا بها دعوتهم الى عدم الخوض في مسائل حساسة من هذا القبيل فقد تذرعت بما يلي : لئلا يلحق الضرر باسرائيل في مجالين — على صعيد الرأي العام العالمي وبين يهود الشتات (٢١) .

لكن الجنرال وايزمان فاجأ دعاة التريث والامتناع عن التصدي لمثل هذه التلفيقات بقوله: « يرغب يهود الشتات ان يروا فينا ، لاسباب خاصة بهم ، ابطالا ينتصبون بقدم ثابتة عند أسفل الحائط . لكن هذه الرغبة لا يسعها ابدًا تغيير شيء من الحقائق الواقعة » (٢٢) .

ومن الثابت ان لجوء الحكومة الى اذاعة نص القرار الذي اتخذته الوزارة الاسرائيلية عشية شن العدوان ينم عن محاولة ترمي الى اقفال باب المشادة العلنية حول موضوع « خطر الابداء » . فقد أصبح الموقف حرجا بالنسبة لوضعها أمام الرأي العام داخل اسرائيل ، وازدادت المخاوف من ردود الفعل في اوساط الرأي العالمي . بينما سارع أنصارها الى تكتيل جبهة تتصدى لحملة الجنرالات وتستترخ مجموعة من القادة العسكريين الذين لا يشاطرونهم الرأي . فانضم كل من اسحق رابين واريك شارون (قائد القطاع الجنوبي في اسرائيل حاليا) ويعقوب يادين ودانفيد اليعازر الى غاليلي وموشيه كارميل وأبا أيان في الدفاع عن وجهة النظر الرسمية . واذاع راديو اسرائيل بمناسبة الذكرى الخامسة للعدوان حوارا جرى بين الجنرال متتياهو بيليد والجنرال حايم هرتزوغ — المعلق العسكري الرسمي ، والرئيس السابق لشعبة المخابرات العسكرية . فذهب الاول الى حد القول صراحة بأنه لا توجد براهين للدلالة على كون المصريين كانوا بالفعل ينوون مهاجمة اسرائيل حينذاك . بينما اعترف هرتزوغ ، وهو العضو في حزب العمل الحاكم ، بأن « خطر الابداء » لم يكن قائما : « فلا هيئة الركان الاسرائيلية ، ولا قيادة البنتاغون — كما تبرهن مذكرات الرئيس الاميركي ليندون جونسون — اعتقدت بوجود مثل هذا الخطر » . ثم عاد الجنرال هرتزوغ الى متابعة الحديث في الموضوع اياه من اذاعة اسرائيل يوم ٧ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، فاقترح « وضع حد لهذا النقاش ، لانه يجدر بنا الا نثير الشكوك حول هذه القصة التي خلقناها نحن » (٢٣) . واتاحت الاذاعة الاسرائيلية (٧٢/٦/٦) أمام الجنرال في الخدمة ، اريك شارون ، مجالاً واسعاً للرد على المشككين من خلال اعلانه في اجتماع عام بأن اسرائيل شنت الحرب سنة ١٩٦٧ بقصد ازالة خطر الابداء الذي كان يتهدد وجودها (٢٤) .

حتى ان القائد السابق للركان العامة ، حايم بارليف ، الذي يشغل حالياً منصب وزير التجارة والصناعة ، وجد من المناسب توضيح موقفه مجدداً في اجتماع الوزارة الاسرائيلية يوم الاحد الموافق ٢ تموز (يوليو) ، ١٩٧٢ . فقد أدلى بارليف ببيان أمام الحكومة « لانه جيء على ذكر اسمي في معرض تصريحات واقوال ترمي الى التقليل من فداحة الخطر الذي تربص بدولة اسرائيل على عتبة حرب حزيران » . ومما تضمنه بيان بارليف « التصحيحي » هو « ان حرب حزيران كانت حرباً لم ترغب فيها اسرائيل ولا هي بدأتها . فقد نشبت هذه الحرب بمبادرة من الدول العربية التي أقدمت على اتخاذ خطوات اجبرتنا فيها على خوض الحرب : اغلاق مضائق تيران وحشد الجيوش العربية على حدود اسرائيل ، وما رافق هذه الحشود العسكرية من اعلانات صريحة بالحرب » (٢٥) . الى هنا يكون بارليف قد أرضى الموقف الرسمي بوضع نقاطه على الحروف . وفي الوقت نفسه جاء بيانه حاملاً التأكيد التالي : « أنا من جهتي لا استعمل التعريف عن تدمير اسرائيل ، لان مغزى هذه الكلمات في معناها المؤلف هو الاغناء الجسدي للميون من اليهود او الغزو الفعلي لاراضي دولة اسرائيل ، او الامران معا . ومثل هذا الخطر لم يكن قائماً » (٢٦) .

أصداء في صحف العالم ؟

اذا كانت المؤسسة الحاكمة في اسرائيل لم تقابل بادرة كبار الجنرالات السابقين بارتياح تام ، فانها اعترفت بدورها — وللمرة الاولى بهذه الصورة الرسمية — ان قوانينها العسكرية كانت البادئة في شن الهجوم العدواني . وسرت شائعات مفادها ان الجنرال

ببليد ومؤيديه في الرأي يحاولون تحقيق بعض المكاسب السياسية على الصعيد الداخلي وطمعا بخوض الانتخابات العامة القادمة في اسرائيل . فهل تبقى هذه المشادة محصورة ضمن اطارها الداخلي - الاسرائيلي ؟ ان الآراء التي صدرت عن الجنرالات تدل على ظاهرة تتخوف منها الحكومة . اذ تعني هذه الظاهرة وجود عناصر مسؤولة وغير مترددة عن دحض التفسير الحكومي الرسمي لاحداث العدوان .

ولكن ، ما هو الصدى الذي أحدثته هذه المشادة والاعترافات التي أسفرت عنها ، بالنسبة للصحافة العالمية . فالمعروف ان الصحف الاجنبية دأبت منذ عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ على ترديد الرواية الاسرائيلية والاخذ بها دون أي تحييص او تدقيق . والسؤال الذي يقفز الى الذهن على الفور يشير الى موقف الصحف الغربية من الاعترافات الاسرائيلية ، الصريحة والرسمية ، بالبدء في شن العدوان .

فقد كتبت صحيفة « نوي زوريخر تزايتونج » (١٧/٦/١٩٧٢) تحت عنوان « الخطر الذي تهدد اسرائيل قبل حرب الايام الستة » لكي تنوه بالمقاصد السياسية التي يرمي اليها الجنرال ببليد . وقالت بأن أصحاب النظرية التي تنفي تعرض اسرائيل لخطر الابداء ، وهم من الجنرالات ورجال السياسة ، يقومون بمحاولة تهدف الى ازالة الشكوك وانعدام الثقة بين اسرائيل والدول العربية . وهؤلاء يريدون بالتالي افهام العرب بأن اسرائيل لا تنوي ضم جميع المناطق المحتلة ، بل هي مستعدة للالتقاء معهم في منتصف الطريق . فالمناطق المحتلة - كما تؤكد الصحيفة السويسرية - سوف تظل اداة للمساومة ، انما في اطار معنى متغير الان . والمشادة الدائرة في اسرائيل توحى بانطباع مفاده « تحذير مصر من مغبة الاقدام على بدء حرب جديدة » (٢٧) .

ومما تجدر ملاحظته ان مراسل الصحيفة المذكورة في اسرائيل لم يشأ اخفاء دهشته من اقبال الاسرائيليين على التصدي لمسائل من هذا النوع بصورة علنية ودون أية تحفظات - علما بأن الحل السلمي للنزاع ما زال بعيد المنال . فهو ينتهي الى الاشادة « بسعيهم نحو بلوغ الحقيقة - هذا السعي الذي لا يقف عند أية حدود » . ويقترح ان الاسرائيليين يشعروا بالقوة الكافية والثقة بالنفس الى درجة تسمح لهم بتوضيح هذه المسائل ومناقشتها .

بينما تساءلت مجلة « تايم » الامريكية (١٩/٦/٧٢) عما اذا كانت حرب حزيران ضرورية . واعتبرت النقاش الدائر في اسرائيل بمثابة « علامة تشير الى كون الاسرائيليين باتوا يشعرون الان بقدر كاف من الامان لكي يجازفوا باثارة مثل هذه القضية الحساسة في العلن » . فالسيدة فولدا مائير - على حد قول المجلة - تبدي اهتماما للتدليل على خطأ النقاد وللتشديد على ذريعة الحرب بصورة تجعل مسألة البقاء اكثر اتصالا بالحس الوطني والامتناع عن الخوض في قضايا من هذا النوع . والحكومة الاسرائيلية لم تبادر الى نشر القرار المتخذ عشية العدوان الا بعد ان تنبتهت لامر النقاش وخطورة الآراء والاعترافات بالنسبة للرأي العالمي .

حتى أن سفارة اسرائيل في باريس قامت عند اواخر حزيران الفالث بتوزيع كراس اعدته وزارة الشؤون الخارجية بالقدس . وهذا الكراس يحمل العنوان التالي : « التهديد ، والاحداث التي ادت الى حرب الايام الستة » فهو يتضمن النصوص والرسوم البيانية ، الى جانب الرسوم الكاريكاتورية المأخوذة عن الصحف العربية . كل ذلك يقصد التدليل على « رغبة الزعماء العرب منذ ١٩٤٨ في تدمير اسرائيل » . ولقد اعترف ابا ايبان في معرض الرد على سؤال تلقاه خلال اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم الثاني من تموز (يوليو) الحالي بأن سفارة اسرائيل في باريس هي التي قامت بنشر الكراس المذكور (٢٨) .

أما « الإثولات » أو « العبر » التي يستخلصها الكراس المعد لتدارك الموقف الاعلامي والحيلولة دون انهيار الخرافة المنسوجة حول « خطر الإبادة » ، فهي على النحو التالي : « العداة والكراهية يشجعان على العدوان ، وضيق المسافات الاقليمية يضاعف من اغراء العدوان . وهيئة الامم المتحدة ، كما قوى الامن ، اظهرت عجزها في وضع حد للازمات . وفي ابان الازمات تفتقد الضمانات والتأكدات المعطاة من جانب الدول الكبرى في الماضي الى التصديق » (٢٩) .

بيد أن كراس وزارة الخارجية الاسرائيلية لا يكتفي بالقاء هذه الدروس على مسامع الراي العام الاوروبي ، بل يجد من المناسب ابلاغ من يهيمه الامر شيئاً عن طبيعة الاطماع التوسعية لدولة اسرائيل . ففي خاتمة النص المرصود في الكراس نقرا ما يلي : « ان ذلك الجزء من سيناء ، الذي سيعود الى مصر ضمن اطار اتفاقية سلام بينها وبين اسرائيل ، ينبغي جعله مجرداً من السلاح . مثلما ينبغي بقاء شرم الشيخ في أيدي اسرائيل . ويجب ان تبقى اسرائيل في مرتفعات الجولان . واخيراً ، يجب أن تظل القدس موحدة وكجزء من اسرائيل وعاصمة لها » (٣٠) .

ان الاصداء التي ترددت في بعض الصحف الاوروبية والعالمية عن انهيار الاسطورة التي نسجتها مخيلة القيادة السياسية الاسرائيلية حول خطر الإبادة المزعوم ، لم تأت على المستوى ذاته من اسهام تلك الصحف في الترويج للاسطورة منذ خمس سنوات . ورغم هذا ، فان اسرائيل الرسمية بادرت على جناح السرعة الى الهاء الراي العام بصيغة جديدة — قديمة لروايتها المهودة عن عدوان حزيران وخرافة الخطر الذي ما فتئ يتهددها بالإبادة والدمار . فهل تكون الذريعة التي تتوسلها الصحف الكبرى للتهرب من تهجئة الحقيقة حرفاً حرفاً كامنة في اكتفائها بالقول ان المشادة الجارية في اسرائيل لا تعدو كونها مسألة داخلية ؟ ومتى ينتهي لها الادراك السليم بأن الرجوع عن الخطأ — حتى في مثل هذه الحالات المصرية — هو أيضاً فضيلة ، وعلى سبيل التكفير عن رذائلها الماضية ! .

١ — متياهو بيليد (عميد احتياط) ، كان رئيساً لشعبة الاعدادات والتكوين في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ . وأصبح استاذاً لتاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل ابيب ، بالإضافة الى انتسابه كباحث لمعهد شيلواح . دخل معترك السياسة بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ، وأخذ يعد العدة لخوض الانتخابات العامة في اسرائيل . كما عكف على كتابة المقالات والتعليقات في الصحف الاسرائيلية ، وشارك في التوقيع على عريضة الاساتذة المرفوعة الى غولدا مئير بتاريخ ٢٦/١٢/٧١ . ينتمي الى تلك الفئة من ضباط الاحتياط الذين قالت عنهم صحيفة « يديعوت » (٢٢/٢/٧٢) بأن ميولهم « الحماةية » لم تصبح معروفة علانية الا بعد دخولهم ميدان الحياة المدنية . والمعروف ان بيليد اختار موضوعاً لاطروحة الدكتوراه التي أعدها في إحدى الجامعات الامريكية عن الاديب والروائي المصري « نجيب محفوظ وآثاره » . وسعى عبثاً فسي

٢ — انظر صحيفة **لوموند** ، السبت ٢٢/٦/٧٢ ، حيث المقال التالي :

Amnon Kapeliouk : "Israël était-il réellement menacé d'extermination ?".

وسوف نشير الى هذا المقال باسم كاتبه « كابليوك » . وما تجدر ملاحظته ان « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » دأبت منذ العدد السابع (السنة الثانية) في ١/٤/٧٢ على متابعة اخبار النقاش الدائر في اسرائيل حول موضوع « التعرض المزعوم لخطر الإبادة » . راجع الاعداد التالية من ن. م. د. ف. : العدد ٩ (١/٥/٧٢) ، ص ٢٤٤ ، العدد ١٢

١٨ - راجع لوموند ، الثلاثاء ٧٢/٦/٦ :
"Jérusalem affirme que l'Etat hébreu
était menacé d'anéantissement en
1967".

١٩ - المصدر نفسه . انظر كذلك ما يلي :

Süddeutsche Zeitung, 6/6/72 (Nr. 127):
Israel Veröffentlicht Angriffsbeschlups
(Amtliches Dokument beweist : Die
Israelis schossen am 5 Juni 1967
zuerst).

New Zürcher Zeitung, Samstag, 17
Juni 1972 (Nr. 164): "Israels Bedro-
hung vor dem Sechstagekrieg: Eine
innenpolitische Kontroverse".

٢٠ - كابلوك ، المصدر السابق .

٢١ - المصدر نفسه .

٢٢ - المصدر نفسه .

٢٣ - انظر لوموند ٧٢/٦/١٠ .

٢٤ - المصدر نفسه .

٢٥ - الدايلي ستار ، ٧٢/٧/٣ .

٢٦ - المصدر نفسه .

٢٧ - نوي زورخير تزايتونغ (العدد ١٦٤) ،
٧٢/٦/١٧ .

٢٨ - الدايلي ستار ، المصدر السابق .

٢٩ - انظر لوموند ، الجمعة في ٣٠ حزيران

(يونيو) ، ١٩٧٢ .

٣٠ - المصدر نفسه .

(٧٢/٦/١٦) ، ص ٣٥٣ - ٣٥٧ ، والعدد ١٣

(٧٢/٧/١) ، ص ٣٩٣ - ٣٩٦ .

٣ - كابلوك ، المصدر السابق .

٤ - ن. م. د. فاه ، العدد ٧ (٧٢/٤/١) ،
ص ١٧٨ .

٥ - المصدر نفسه .

٦ - المصدر نفسه ، العدد ٩ (٧٢/٥/١) ،
ص ٢٤٤ .

٧ - كابلوك في « لوموند » ، المصدر السابق .

٨ - المصدر نفسه .

٩ - المصدر نفسه (نقلا عن « معاريف ») ،
٧٢/٣/٢٩ .

١٠ - المصدر نفسه .

١١ - المصدر نفسه (نقلا عن « معاريف ») ،
٧٢/٤/٤ . وانظر أيضا ن. م. د. فاه ، العدد

٩ (٧٢/٥/١) ، ص ٢٤٤ .

١٢ - كابلوك ، المصدر السابق .

١٣ - المصدر نفسه .

١٤ - المصدر نفسه .

١٥ - انظر لوموند ، ٧٢/٦/١٠ ، ص ٣ :

"Plusieurs généraux affirment qu'Is-
raël n'était pas menacé d'extermina-
tion en 1967".

١٦ - المصدر نفسه .

١٧ - انظر مجلة تايم الاميركية .

"Was the War Necessary ?," June 19,
1972, pp. 18-19.

أبعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا

الدكتور غسان العطية

تتناول هذه الدراسة علاقة اسرائيل بأفريقيا بعيدا عن نطاق السببية الاحادية الجانب ، كما يحاول البعض ان يطرحها(١). وهناك ارتباط عضوي بين افريقيا كما هي اليوم بقيادتها السياسية التي يرتبط معظمها بعواصم الدول الاستعمارية السابقة ، وافريقيا كما تصبو شعوبها ان تصير . ولا يتم الانتقال من افريقيا الحكام الى افريقيا الشعب في فراغ بل لا بد ان يرتبط من جهة بتحول البنية الاجتماعية والاقتصادية لافريقيا من بنية تحكمها علاقات اجتماعية استغلالية وخضوع اقتصادها للدول الغنية ، الى بنية اجتماعية واقتصادية متحررة من الاستغلال والعبودية للاقتصاد الاستعماري . يرتبط التحول الافريقي من جهة اخرى بحركة التحرر العالمية المعادية للاستعمار ، اذ ان أي انتصار لحركة التحرر العالمية هو انتصار للتحول التقدمي في افريقيا والعكس صحيح ، وتطور افريقيا لا يتم بمعزل عن الصراع العالمي الدائر في الساحة العالمية بين المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة .

ان علاقة اسرائيل بأفريقيا تحدد على ضوء التحول الافريقي الذي ستنشط اسرائيل في دعمه او عرقلته على ضوء اثره في الصراع العربي - الاسرائيلي الذي بات مرتبطا بحركة التحرر العالمية والصراع الأمريكي - السوفييتي . من هنا يتبني مراجعة الوضع العربي المعاصر لتحديد الامكانية العربية للرد على اسرائيل والكشف عن الامكانيات الكامنة التي يمكن ان تجعل من اللقاء العربي الافريقي ضرورة مصلحية لكلا الطرفين . ان العلاقة الموضوعية والواقعية والجدلية بين الوجود السياسي الافريقي والاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ، والوضع العربي المعاصر تحدد ابعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا والرد العربي عليه .

معالم الوجود السياسي الافريقي

١ - تبلور الواقع السياسي الدولي المعاصر لافريقيا في فترة وجيزة في ستينات القرن الحالي بالتحديد . فاذا نظرنا اليوم الى خارطة افريقيا السياسية سنشاهد ٤٢ دولة مستقلة تغطي ما يزيد على ٨٠ ٪ من مساحة افريقيا ، منها ست دول عربية هي مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . وهناك الكيان العنصري في جنوب افريقيا ، اما حكومة ايان سميث في روديسيا فلا تزال المجموعة الدولية باستثناء البرتغال وجنوب افريقيا غير معترفة بها ، وعليه لا يمكننا ان نصنفها ضمن الدول الافريقية المستقلة . وتضم القارة الافريقية اقاليم لا تزال خاضعة للسيطرة الاستعمارية المباشرة كآنگولا وموزامبيق ونامبيا (جنوب غرب افريقيا) وغينيا البرتغالية . واذا ما قارنا هذه الصورة بواقع افريقيا السياسي في أواخر الخمسينات سوف نلاحظ ان الدول الافريقية المستقلة من غير الدول العربية هي اربع فقط : الحبشة وليبيريا وغانا وغينيا . وفي عام ١٩٦٠ نالت ست عشرة دولة افريقية استقلالها(٢) ، وارتفع في عام ١٩٦٨ عدد الدول

الافريقية المستقلة الى ٣٥ دولة . وعليه يمكننا القول ان معظم دول افريقيا هي حديثة الاستقلال وتجربتها في الحكم المستقل قصيرة العمر .

٢ — تركت الدول الاستعمارية افريقيا بعد سيطرة استمرت عشرات من السنين واحيانا قرونا ، دون ان تخلف وراءها اثرا ملموسا للتقدم الاجتماعي أو العلمي أو الاقتصادي (٣) ، مما جعل صفة التخلف في الميادين المذكورة هي الصفة الغالبة لهذه الدول . واذا ما أضفنا مشكلة ندرة الكوادر الفنية والاستثمارات والرأسمال الوطني تتجسم أمامنا فداحة العبء المترتب على الانظمة الافريقية الحديثة الاستقلال ، واصبحت هذه الظاهرة بمثابة قدم اخيلوس بالنسبة لدول افريقيا الحديثة الاستقلال .

٣ — تكون المجموعة الافريقية اليوم ثقلا سياسيا مهما على الصعيد الدولي ، فالدول الافريقية تشكل الثلث من مجموع العضوية في الامم المتحدة . وتعتبر القارة الافريقية بمثابة خزان للطاقات الطبيعية التي لم تستغل بعد ، فكمية الحديد الموجودة في افريقيا هي ضعف ما هو موجود في امريكا وثلثا ما هو موجود في الاتحاد السوفياتي ، ويكفي الاحتياطي الافريقي من الفحم للاستغلال لفترة ثلاثمئة عام ، وتبلغ حصة افريقيا من قوى العالم المائية حوالي ٤٠ ٪ ولكن لم يستغل منها سوى ٥ ٪ ، وتملك القارة الافريقية ٥٣ معدنا من أهم المعادن التي تدخل في الصناعة الاساسية في العالم ، بالإضافة الى الارض الشاسعة التي لم تستغل زراعيًا بعد (٤) . وانطلاقا من الشعور بضرورة الوحدة والتعاون سعت دول افريقيا الى تنسيق سياساتها فعملت على اقامة منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ والتي انضمت اليها جميع الدول الافريقية باستثناء الكيان العنصري في جنوب افريقيا .

٤ — ان الاستقلال السياسي الذي حققته معظم الدول الافريقية يبقى استقلالا شكليا ما دام معظم هذه الدول خاضعا للنفوذ الاقتصادي والمالي للدول الاستعمارية التي حكمت البلاد سابقا .

تعتبر هذه الظاهرة بحق وجها من أوجه الاستعمار الجديد في افريقيا . فمن (٢٠٦٠٠٠) مليون دولار التي تمثل مجموع الاستثمارات الاجنبية والمحلية في افريقيا ، تبلغ حصة بريطانيا وفرنسا وبلجيكا (١٦٦٠٠٠) مليون دولار (٥) . وان معدل المساعدات الأمريكية لافريقيا خلال السنوات الاخيرة هو حوالي ٣٥٠ مليون دولار في السنة وتشكل هذه المساعدات حوالي ٢٠ ٪ من مجموع المساعدات الخارجية لافريقيا .

وبلغت الاستثمارات الخاصة الأمريكية في عام ١٩٦٨ مبلغا قدره حوالي بليون دولار وقد كان معدل ارتفاع الاستثمارات الخاصة الأمريكية في افريقيا بين ١٩٦٣ — ١٩٦٨ حوالي ١٤ ٪ سنويا (٦) . هذا وعملت بعض الدول الاستعمارية تحت وطأة اشتداد حركات التحرر الوطني على اجهاض المضمون الحقيقي للاستقلال من خلال اقامة كيانات سياسية مستقلة شكلا ومرتبطة فعلا بالدوائر الاستعمارية السابقة ، وساعدت هذه الخطوة الاستعمارية على قطع الطريق أمام نمو الحركات التحررية الوطنية المحلية . وقد قررت فرنسا في عام ١٩٦٠ تحت ضغط الثورة الجزائرية اعطاء الاستقلال الشكلي الى ١٣ دولة كان معظمها جزءا من اتحاد غرب افريقيا الفرنسي واتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسي .

ان تجزئة هذه الاقاليم واقامة كيانات سياسية هزيلة لا تملك المقومات المادية للاستقلال الفعلي ومن ثم ربط اقتصاد هذه الدول بفرنسا ، اضافة الى مرابطة قوات عسكرية فرنسية في البلاد أفرغ استقلال هذه الدول من أي محتوى حقيقي . وتنعكس تبعية هذه الدول الثلاث عشرة في مواقفها في الامم المتحدة تجاه قضايا التحرر ومعاداة الاستعمار ، فعندما طرح في الجمعية العمومية في عام ١٩٦١ مشروع باعطاء الجزائر

حق تقرير المصير والاستقلال صوت معظم الدول المذكورة سابقا ضد القرار وامتنع البعض الآخر ، ولنا في موقف هذه الدول السلبي من القضية الفلسطينية دليل آخر على تبعية هذه الدول واثار النفوذ الاجنبي فيها .

٥ - تزايد نفوذ العسكريين في دول افريقيا في مرحلة ما بعد الاستقلال ، فقد كان مجموع القوات المسلحة للدول الافريقية غير العربية عام ١٩٦٤ - حيث نالت معظم دول افريقيا استقلالها - يقرب من ١٤٥٠٠٠ رجل ونصف هذا العدد مكون من قوات اثيوبيا وكونغو - كينشاسا فقط . وارتفع الرقم في ١٩٧٠ الى حوالي ٤٠٠٠٠٠ (باستثناء قوات الدول الافريقية العربية التي تقدر بـ ٣٠٠٠٠٠ رجل) (٧) . وفي الوقت الذي كان تأثر هذه الزيادة على الصعيد الدولي والخارجي محدودا فان لتصاعد القوات العسكرية الافريقية اثرا كبيرا على الصعيد الداخلي لدول افريقيا .

وينعكس ذلك في سلسلة الانقلابات العسكرية التي قامت في عدد متزايد من دول افريقيا ، اذ ان اتجاه دول افريقيا نحو فكرة الحزب الواحد ساعد في دفع المؤسسة العسكرية التي تملك عناصر القوة المسلحة والتنظيم أن تصبح أداة فعالة بيد المعارضة السياسية . وبمقدار فشل الانظمة السياسية التي قامت بعد الاستقلال في تحقيق اهدافها تمكن العسكريون من فرض ارادتهم . وفي افريقيا اليوم اثنتا عشرة حكومة عسكرية ، ثلاث منها عربية .

٦ - ارتبطت اليقظة الافريقية بنمو الحركة الوطنية التحررية التي ظهرت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل تنظيمات سياسية حزبية ومؤتمرات . ومن السمات البارزة لهذه التنظيمات السياسية خضوعها لقيادة « الطبقة الوسطى » وأقصد بذلك تلك العناصر التي نالت من الناحية الثقافية قسطا معينا من التعليم كالدراسة المتوسطة ، والتي تحتل من الناحية الوظيفية مناصب اجتماعية « محترمة » كالحامين ، والاطباء ، والموظفين والمعلمين ، والتي تمارس من الناحية الاقتصادية دور التاجر المحلي ، والمالك ، وصاحب المزرعة ، والتي تبرز من الناحية الاجتماعية بمظهر الطبقة التي تطبعت بمظاهر حضارية أوربية حديثة في اللبس والمأكل والمسكن . وقد حلت هذه الطبقة بعد الاستقلال محل القيادة القبلية التقليدية المتمثلة برؤساء القبائل الذين كانوا متعاونين مع السلطات الاستعمارية السابقة . وبالرغم من تبني قيادات الاحزاب الوطنية شعارات الاستقلال والحكم الذاتي ومعاداة الاستعمار تأثرت في الوقت نفسه فكريا وحضاريا بأوروبا والغرب عموما ، ويعود ذلك للعوامل الآتية : ١ - عودة الكثير من الافريقيين الذين خدموا في ادارات الدول الاستعمارية واجهتها وجيوشها خلال الحرب العالمية الثانية الى بلادهم حاملين معهم تجاربهم الجديدة المتأثرة بالواقع والفكر الغربي (٨) . ب - هناك اعداد متزايدة من الطلبة الافارقة الذين أتموا دراساتهم في أوروبا والولايات المتحدة وعادوا الى بلادهم ليحتلوا مراكز سياسية وادارية واجتماعية أكثر مسؤولية بل أن البعض منهم توصل الى سدة الحكم أمثال دكتور نكروما والدكتور كاوندا . ج - وقد أقامت قيادات بعض التنظيمات السياسية الافريقية الوطنية - خاصة في المستعمرات الفرنسية - علاقات ودية مع احزاب التريبول اليسارية والحزب الشيوعي بالذات . وكان لـ Groupe d'Etude Communistes التي تأسست في أواخر ١٩٤٣ في داكار و ابيجان وكوناكري وباماكو ، دور مهم في تهيئة وتنمية عدد لا بأس به من قياديين الاحزاب الافريقية التي قامت فيما بعد في المستعمرات الفرنسية - الافريقية كحزب Rassemblement Démocratique African في منطقة افريقيا الاستوائية والغربية الفرنسية .

تحولت السلطة بعد استقلال المستعمرات الافريقية الى الاحزاب السياسية التي قادت حركة الاستقلال الوطني ولكن دور هذه الاحزاب واسلوبها في نيل الاستقلال اختلفا من

اقليم الى آخر ، عمدت بعض الاحزاب الى الاسلوب السياسي السلمي ولجأ البعض الاخر الى العنف والثورة المسلحة الامر الذي ترك اثره على طبيعة الانظمة الافريقية التي قامت بعد الاستقلال . وكان لظروف مقاومة الاستعمار دور مهم في تنظيم الحركة الوطنية في جبهة او حزب سياسي واحد واتجهت معظم الدول الافريقية بعد الاستقلال الى تبني نظام الحزب الواحد ، فمن مجموع ٤٢ دولة ، هناك ٢٦ دولة افريقية تطبق نظام الحزب الواحد .

الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية

ان المعيار الرئيسي في تقدير اهمية افريقيا بالنسبة لاسرائيل هو مقدار اثر افريقيا المباشر وغير المباشر بالفعل وبالإمكان ، على الصراع العربي - الاسرائيلي . وكل ما من شأنه تدعيم الكيان الاسرائيلي بشكل مباشر او غير مباشر هو بدون شك هدف تسعى او ستسعى اليه السياسة الاسرائيلية ، ويصبح حرمان العرب من أي كسب معنوي ، سياسي او مادي ضمن هذه المقولة بمثابة هدف ضمني للسياسة الاسرائيلية . فلافريقيا وانطلاقا من هذه القاعدة اهمية بارزة بالنسبة للسياسة الاسرائيلية، وما اصرار اسرائيل على فتح مضائق تيران وخليج العقبة بوجه الملاحه الاسرائيلية الا انعكاس لدى الاهمية التي تعلقها اسرائيل على الاتصال السريع والمباشر مع القارة السوداء . وان مراجعة قصيرة لمعطيات الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ستساعدنا على تفهم التحرك الاسرائيلي في افريقيا .

ظهر الوجود الاسرائيلي في الشرق العربي بعد حرب ١٩٤٨ ، كوجود مفروض بالقوة ورغمما عن ارادة ابناء المنطقة . وما دامت البلاد المحيطة بهذا الكيان ترفض التسليم والتعايش مع الوجود الاسرائيلي لا بل مصرّة وساعية من اجل استعادة حقوق الشعب الفلسطيني ، فالسياسة الاسرائيلية ستنتقل من العمل على انهاء عزلة الكيان وتثبيت وجوده في المنطقة مستخدمة الاداة العسكرية والسياسية لقهـر ارادة البلاد المحيطة بها والرافضة لوجودها . والترجمة العملية لهذه القاعدة هي :

أولا : بناء جيش قوي مسلح بأحدث الاسلحة كفيل بردع أي محاولة عربية مسلحة لاسترداد الحق الفلسطيني ثم دحرها . وقد حدد ايجال ألون نائب رئيسة وزراء اسرائيل الحالي هذه السياسة بقوله : « الامل الوحيد لردع العرب ومنعهم من فرض حرب جديدة ، يرتبط بقوة جيش الدفاع وبطريقة استخدامها . . وطالما ان الجيش قادر على حسم المعركة والانتصار فيها ، فان ذلك يؤدي الى ردع العرب من الدخول في حرب جديدة . وارتداد العرب لفترة زمنية طويلة من شأنه ان يؤدي الى تسليم بالامر الواقع ، والتسليم يؤدي الى السلام » (٩) .

وما دام الغرب هو المصدر الوحيد للسلاح فان اسرائيل مطمئنة على بقاء ميزان التسلح لصالحها ، ومن هنا تأتي اهمية صفقة الاسلحة الروسية المعروفة بالتشيكية عام ١٩٥٥ مع مصر كخطوة في انهاء احتكار الغرب للأسلحة اذ فتحت ابواب التسابق على التسلح بين اسرائيل وبعض الدول العربية . هذا وان المعدات الحربية وحدها لا تخلق جيشا قويا ولذا عملت اسرائيل على عسكرة الاقتصاد والمجتمع كشرط واجب لقيام جيش رادع .

ثانيا : العمل على كسب الدعم والاعتراف الدولي باسرائيل كدولة شرعية ، وتقوية علاقات اسرائيل بدول العالم . كان تأييد الدول الكبرى للوجود الاسرائيلي عاملا اساسيا في حماية اسرائيل خلال المرحلة الاولى من وجودها وهي مدينة في استقلالها - لحد بعيد - لهذه الدول التي تبنت قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وما دامت الدول الكبرى مجمعة على تأييد اسرائيل فلا مجال لخوف من تهديد عربي حقيقي ، ولذا بادرت اسرائيل عندما

أخذ هذا الإجماع يتبدد تحت وطأة الحرب الباردة لاجداد اتفاق بين الدول الكبرى حول الوجود الإسرائيلي وكرر بن غوريون رئيس الوزراء آنذاك بأن التفاهم المسبق بين هذه الدول شرط ضروري للسلام في الشرق الأوسط واقترح بأن يقدم الاتحاد السوفياتي والغرب تعهداً مشتركاً بضمّان الحدود القائمة في الشرق الأوسط (١٠). أطلقت إسرائيل هذه الدعوة عن قناعة بأن الاتفاق بين الدول الكبرى سيكون لمصلحتها ، ولكن تطورات ما بعد حرب ١٩٦٧ غيرت من موقف إسرائيل وباتت تخاف من اتفاق الدول الكبرى على تسوية تفرض عليها . وتطالب إسرائيل اليوم بتسوية لمشكلة الشرق الأوسط تتم باللقاء المباشر بين العرب وإسرائيل الأمر الذي يعني انفراد إسرائيل بالعرب وهم في مواقع ضعف مما يساعد إسرائيل على فرض الأمر الواقع وبالتالي الاستسلام على العرب . أما بالنسبة لعلاقات إسرائيل بدول العالم فلا تزال تسعى الى تطويق العرب دولياً برأي عام عالمي يؤيد الوجود الإسرائيلي ، وعلى حد قول ابا ايان وزير الخارجية الإسرائيلية بعد عودته من جولة في بعض الاقطار الافريقية : « نحن قلنا ان الوضع الطبيعي بالنسبة لإسرائيل هو الانسجام الاقليمي Regional Harmony ولكن اذا تعذر تحقيق ذلك فسنعمل على زرع العلم الإسرائيلي في مئات العواصم ونعمل على خلق وجود دولي لإسرائيل يمتد عبر جميع قارات العالم » (١١) .

وتسمى إسرائيل ، وبشكل أكثر تحديداً ، الى تطويق الدول العربية بحزام من الدول المتعاطفة مع إسرائيل يمتد من تركيا وإيران في الشمال والشرق ، وتركيا في الغرب ، وأفريقيا في الجنوب . وقد وصف احد الكتاب هذا الهدف قائلاً انه « الحصار الكامل للعرب بواسطة حزام من الدول لا تجد إسرائيل بهم الشركاء فحسب بل الحلفاء والاصدقاء ايضاً » (انظر مجلة World Today عدد ١٤ (في يناير ١٩٥٨) صفحات ٣٧ — ٤٦ مقال بعنوان « إسرائيل تتجه نحو افريقيه وآسيه : تفسير للسياسة التجارية الجديدة ») .

ثالثاً : للغرب والرأي العام العالمي دور مهم في دعم الكيان الإسرائيلي . ولكن التطورات العالمية والاقليمية عبر عشرين السنة الماضية دفعت إسرائيل — من أجل تكريس وجودها — الى العمل على بناء دولة قوية ليس عسكرياً فحسب بل اقتصادياً وصناعياً واجتماعياً . ولم تبقى منطقة الشرق الأوسط بعيدة عن رياح الحرب الباردة التي أنهت مرحلة اللقاء السوفياتي — الغربي بشأن خلق إسرائيل كما تجلّى في الاتفاق على قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وكان لقيام أنظمة تقدمية في بعض الاقطار العربية دور مهم في تفهم الاتحاد السوفياتي للقضية الفلسطينية وبالنتالي تأييده لقضايا التحرر الوطني في البلاد العربية ، وبمقدار تزايد التقارب العربي السوفياتي ازداد التصاق إسرائيل بالغرب وبأمريكا بالذات . ولكن اذا كانت إسرائيل تعول على دعم عسكري غربي مباشر في حالة نشوب حرب مع العرب فإن دخول الاتحاد السوفياتي كحليف للعرب سيؤدي على الاقل الى منع التدخل العسكري المباشر للغرب لصالح إسرائيل وذلك انسجاماً مع منطق الحرب الباردة الذي يرفض اي مجابهة مباشرة بين العملاقين . وعليه عملت إسرائيل على تنمية قدراتها العسكرية بالشكل الذي يمكنها من خوض حرب ناجحة مع العرب دون مساعدة مباشرة من الخارج .

نلمس هذا التغير النوعي في الاستراتيجية الإسرائيلية في الفرق بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ حيث توصلت إسرائيل في الحرب الثانية الى كسب الحرب دون تدخل عسكري امريكي او غربي مباشر .

من الخطأ تصور إسرائيل مجرد أداة لا حياة ولا ارادة لها بيد الاستعمار او الغرب . صحيح ان هناك ارتباطاً عضوياً بين الوجود الإسرائيلي والاستعمار ولكن كما نجد بين الدول الاستعمارية تناقضات يمكن وصفها بتناقضات ثانوية هي من قبيل التنافس الذي ينتهي عند الاصطدام بخاطر خارجي فإن علاقة إسرائيل بالغرب وأمريكا تحمل ضمناً

امكانية مثل هذه التناقضات . وكانت تجربة الحركة الصهيونية مع بريطانيا في عام ١٩٣٩ — عندما صدر الكتاب الابيض الداعي لتحديد الهجرة اليهودية لفلسطين — درسا لاسرائيل في ضرورة الاعتماد على النفس . ومن الممكن ان تبرز التناقضات الثانوية بين اسرائيل والغرب وامريكا نتيجة ظروف الحرب الباردة او لضرورات المصلحة الاستعمارية الخاصة للدول الاستعمارية الكبرى ، ولنا من مقارنة علاقة اسرائيل بفرنسا في عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ خير مثال . ولذا عملت اسرائيل على توفير اكبر قدر من الاستقلال والتقليل من الاعتماد على الخارج . يقول آلون في هذا الصدد : « للاقتصاد السليم أهمية سياسية وعسكرية لان هناك علاقة وطيدة بين المصادر الاقتصادية وبين درجة الاستقلال القومي وبين هذين الاثنيين معا وبين القدرة العسكرية للدولة وقدراتها على الاختبار النسبي للاستراتيجية المطلوب الدفاع عنها » . وان هناك « ضرورة لبناء الاقتصاد وتعميق الانتاج المحلي من المنتجات الحيوية ووسائل القتال . . . وليس ذلك ضروريا لضمان مستوى معيشة مرتفع فحسب وانما هو ضروري ايضا لتخفيض ارتباط اسرائيل قدر الامكان بالدوائر الاجنبية كي لا تتأثر بالتغيرات المرتبطة بها وكي لا تقع تحت تهديد بالخطر مع تجاهل ضرورات تسليحها . ولهذا فان جهودا خطيرة تنتظرنا في المجال الاقتصادي ، اذ يجب ان لا نستبعد احتمال ظهور اختلاف في وجهات النظر وسوء تفاهم مع دول صديقة تريد استخدام نفوذها الاقتصادي في الجدل الدائر حول تخطيط حدود اسرائيل » (١٢) .

وفي نجاح اسرائيل — في تحويل البلاد الى دولة صناعية تعتمد في ميزانها التجاري على التصدير الصناعي قبل كل شيء — دلالة على السعي نحو الاستقلال الاقتصادي . وتدل الخطوات التي أنجزتها السلطات الاسرائيلية في بناء صناعة محلية للأسلحة بشكل واضح على رغبة اسرائيل في تحقيق أقصى درجة من الاكتفاء الذاتي في ميدان التسلح (١٣) . والنقاش الذي دار في اواخر عام ١٩٧١ عن احتمال تنازل اسرائيلي مقابل اتمام صفقة شراء الفانتوم من الولايات المتحدة وما لحق ذلك من اصرار اسرائيلي على رفض اي تنازل مقابل الفانتوم (١٤) ما هو الا اشارة اخرى للاهمية المتزايدة لاحتمالات الاختلاف التكتيكي بين اسرائيل وحليفاتها .

ولكن يجب الا يدفنا هذا الى الاعتقاد بوجود تناقض استراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل وحتى الحملة الاسرائيلية للضغط على امريكا لغرض عدم « بيع » مصالح اسرائيل من اجل تفاهم مع موسكو خاصة خلال زيارة نيكسون للاتحاد السوفياتي في ايار ١٩٧٢ — هي من قبيل المناورة والتهويل ضمن التكتيك . فقد كتب ا. شفيستر في هارنس بتاريخ ١٣/١/١٩٧٢ : « على الاسرائيلي القلق ان يثق بأن جميع الخطوات الأمريكية ، حتى تلك التي أعدت للضغط على القدس ، ترتكز على اساس ان اسرائيل مصلحة وطنية للولايات المتحدة » و اضاف « هذا لا يعني ان هناك وفاقا تاما بيننا وبينهم (الاميركيين) ، ولكن عدم الاتفاق ناتج عن الخلاف في الرأي بالنسبة الى السؤال : ماذا يقوي اسرائيل ، الاراضي أم التسويات ؟ امتيازات استراتيجية اساسها جغرافي ام اخرى يكون مصدرها افضليات تقنية واقتصادية وسياسية وثقافية ؟ . . . » (١٥) .

والوجه الاخر للنتائج المترتبة عن احتمال ظهور تناقض او اختلاف نسبي بين اسرائيل وحليفاتها من الدول الكبرى هو سعي اسرائيل لتصبح عنصرا ايجابيا ذا فائدة للغرب ، لا مجرد عالة انسانية تستدر الحنان والعطف . سيكون بيد اسرائيل في مثل هذه الحالة ورقة رابحة في معاملاتها مع حليفاتها في اي عملية مساومة سياسية كانت ام اقتصادية . ان العنصر الايجابي او الورقة الرابحة التي تلعبها اسرائيل هي في قيامها بدور الرديف او الوسيط للمصالح الاقتصادية والسياسية للغرب في العالم الثالث وتقدم اسرائيل نفسها في وجه ازدياد النفوذ السوفياتي كموقع متقدم في خدمة الغرب . قال ابا ايان بتاريخ

١٨/٤/١٩٧١ في معرض حديثه عن العلاقة بين اسرائيل وامريكا : « لن تتخلى الولايات المتحدة عن اسرائيل ، لانها توصلت هذا العام الى استنتاج هو انها تدعم اسرائيل ليس مجرد العطف عليها ، بل كما ذكر نيكسون للحيلولة دون خرق ميزان التسلح لان ذلك ضروري للمصالح الامريكية ، ولان أمن الولايات المتحدة قائم على الثقة بقدرتها على الردع في العالم فليست هناك دولة في اية قارة ، تثق بان الولايات المتحدة ستذهب لمساعدتها ، اذا تخلت هذه عن أمن اسرائيل » . وقال : « ان اهمال اسرائيل معناه انهيار تام للثقة بالردع الامريكي في العالم . لذلك فان الولايات المتحدة ستعمل على مساعدة اسرائيل بناء على اعتبارات مصلحتها ، وليس لاعتبارات العطف فقط ، رغم الخلافات القائمة » (١٦) . وقال ايغال ألون ومن المنطلق نفسه : « ان وجود دولة اسرائيل مستقلة قوية في قلب الشرق الاوسط وعلى شاطئ البحر المتوسط اصبح في صالح اميركة » (١٧) .

وبازدياد الخدمات التي تقدمها او يمكن ان تقدمها اسرائيل لحليفاتها يزداد الدعم المقدم من هذه الدول لاسرائيل وتضييق شقة الخلافات المحتملة بالطبع .

رابعا : ضالة نفوس سكان اسرائيل بالمقارنة مع عشرات الملايين العرب جعل اسرائيل بأمس الحاجة لمزيد من الهجرة لسد حاجة قواتها العسكرية من جهة وتوفير الايدي العاملة الاقتصادية من جهة اخرى . اضافة الى اعتبار تجميع يهود العالم في ارض اسرائيل هدفا ايدولوجيا (١٨) . ولكن الدعوة لمزيد من الهجرة لاسرائيل ينطوي على تناقض يجسد الدوام التي يعيشها الكيان الاسرائيلي . يقول المنطق الصهيوني ان ضرورات الامن تتطلب الهجرة ، ولكننا نلاحظ ان رقعة اسرائيل الجغرافية ومواردها الاقتصادية لا تسمح بهجرة واسعة و لاجل استيعابهم لا بد من مزيد من الارض وهذا يعني مزيدا من التوسع وبالتالي استمرار الحرب .

التحرك الاسرائيلي في افريقيا

يتم تحديد ابعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا على ضوء العلاقة الموضوعية بين الواقع الافريقي والاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ، وكيف يمكن بعبارة اخرى لافريقيا ان تخدم أهداف الاستراتيجية الاسرائيلية ؟ وما هي الخطوات التي اتخذتها فعلا او يمكن ان تتخذها اسرائيل لتحقيق ذلك ؟

اولا : اسرائيل في دور الدولة الصغيرة المتحررة : توجهت اسرائيل في اواخر الخمسينات وبالتحديد عام ١٩٥٧ نحو افريقيا . ولهذا التوقيت علاقة بعاملين اساسيين ، فمن ناحية ، فتحت مضائق ثيران وخليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية بعد حרב سيناء ١٩٥٦ ، الامر الذي يسر الاتصال البحري بين اسرائيل وشرق وجنوب افريقيا . وكانت هذه الفترة — من ناحية اخرى — تمهيدا لاستقلال معظم القسارة الافريقية . وهكذا — وبدون اضاءة الوقت — تحركت اسرائيل نحو افريقيا مستهدفة كسب صداقة القارة لها وبالتالي اعترافها ودعمها وقطع الطريق على اية محاولة عربية معاكسة . (راجع الجدول رقم (١)) .

استفادت اسرائيل في سعيها لكسب اعتراف الدول الافريقية وصداقتها من جملة عوامل ذاتية وخارجية : ١ — سخر التأثير السياسي للدول الاستعمارية السابقة في بعض الدول الافريقية الفتية لمصلحة اسرائيل . فقد اعترفت مجموعة المستعمرات الفرنسية الثلاث عشرة المستقلة في ١٩٦٠ بدولة اسرائيل تحت تأثير فرنسا التي كانت تخوض انذاك حربا استعمارية ضد عرب الجزائر . وتعتبر ليسوتو وبوتسوانا الخاضعتان لنفوذ جنوب افريقيا والبرتغال من خيرة اصدقاء اسرائيل في افريقيا . ب — مبادرة اسرائيل السريعة لخطب ود الدول الافريقية حديثة الاستقلال وذلك بالاسراع في الاعتراف بهذه الدول بمجرد اعلان استقلالها مما ترك اطياب الاثر في نفوس ابناء هذه الدول المتعطشين للانتماء

الجدول رقم (١)

النمو والتوزيع الجغرافي للبعثات الدبلوماسية والقنصلية الاسرائيلية

١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٥	١٩٥٩	١٩٥٤	١٩٥٠	١٩٤٩	المكان
٢٩	٢٩	٢٧	٨	٢	١	١	افريقيا
١٣	١٣	١١	٧	٥	٣	٤	امريكا الشمالية
١٦	١٥	١٤	٢٢	١٣	٨	٢	امريكا اللاتينية
٢	٢	٢	٢	٢	٢	١	استراليا ونيوزيلانده
٢٣	٢١	٢١	٢١	١٩	١١	٩	اوروبا الغربية
١	٧	٧	٧	٧	٦	٦	اوروبا الشرقية
٩	٩	٨	٧	٥	١	—	آسيا
—	—	—	٦	٦	٥	—	غيره
٩٣	٩٦	٩٠	٨٠	٥٩	٣٧	٢٣	المجموع

المصدر: Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel, Setting, Images, Process*, London, Oxford University Press, 1972, p. 518.

لنادي الراشدين في عالم الدول المستقلة . ثم ان هذه الدول الفتية كانت بعيدة فكريا وعيليا عن ظروف نشأة اسرائيل وغالبا ما نظرت اليها كحقيقة واقعة وكعضو متساو في هيئة الامم . ان غياب مبادرة عربية سابقة له قد اثر بدون شك في تعزيز الموقف الاسرائيلي . ج — تعتبر اسرائيل اقامة تمثيل دبلوماسي بينها وبين افريقيا بمثابة بداية لعمل دؤوب ومستمر لكسب افريقيا ، وتسعى الحكومة الاسرائيلية الى تعيين عناصر كفوءة سياسيا واداريا في بعثاتها الدبلوماسية (١٩) . وساعد ارتفاع المستوى الثقافي في اسرائيل وتوفر الكفاءات الثقافية المستوردة من الدياسبورا الى ملء البعثات الدبلوماسية بالعناصر المناسبة التي لا تنظر الى عملها بعقلية بيروقراطية استعلائية (٢٠) . واعطيت البعثات الدبلوماسية الكثير من الصلاحيات التي تساعدها على التحرك السريع والمبادرة والبت بالقرارات دون ضياع الوقت في اجراءات روتينية تقلل ان لم تقتل مثل هذه الروحية في العمل (٢١) .

وقد عملت اسرائيل على تهيئة مناخ نفسي مناسب في القارة السوداء يتقبل نشاطها السياسي والاقتصادي . فقد طرحت اسرائيل نفسها كبلد له ماض ومصالح متماثلة مع شعوب افريقيا السوداء ، فمعاناة الزوج من الاضطهاد تشابه ما قاساه اليهود من نزعة اللاسامية والاضطهاد . خاطب وزير خارجية اسرائيل وفدا من جمهورية افريقيا الوسطى يزور اسرائيل قائلا : « كل منا قطع شوطا طويلا في طريق التمييز والحزن والالم — البعض بسبب اللون والبعض الاخر بسبب الدين » (٢٢) ، وبذات الوقت تصور الدعاية الاسرائيلية العرب كتجار عبيد ومضطهدين (٢٣) ، وتشبه صراع افريقيا السوداء مع الاستعمار بصراع الصهيونية ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين ، وكما انتصرت الاولى على بريطانيا انتصرت الصهيونية على الاستعمار البريطاني ، متناسية وجود الشعب الفلسطيني والعلاقة العضوية بين نشأة الكيان الصهيوني والسدعم البريطاني ابتداء من وعد بلفور حتى التقسيم . وترغب اسرائيل في اعطاء الانطباع بأنها دولة صغيرة متقدمة محبة للسلام وليس لها اطماع استعمارية ، وتقدم نفسها كنموذج جديد للتقدم في العالم الثالث ، وان التعاون معها لا ينطوي على سلبيات التعاون مع الدول الكبرى ، واقدمت اسرائيل في عام ١٩٧٠ على تقديم مساعدة رمزية بشكل تبرعات غذائية

وبطانيات وادوية الى منظمة الوحدة الافريقية ، الى جانب برامج التعاون والمساعدات الفنية والاقتصادية الاسرائيلية - الافريقية ، والتي سأتناولها بالبحث في فصل مستقل . وقد حققت السياسة الاعلامية الاسرائيلية نجاحا ملموسا في بعض الاوساط الحاكمة في افريقيا . فعندما انتقد مندوب احدى الدول العربية مندوب ساحل العاج في الامم المتحدة ببيع القضية الفلسطينية ، رد عليه مندوب ساحل العاج قائلا : « لعل مندوب العربية السعودية معتاد على شراء الزنوج ولكن لا يمكنه ابدا شراعا » (٢٤) . وصرح ليوبولد سنغور رئيس السنغال وعضو اللجنة الرباعية لتقضي الحقائق عند زيارته لاسرائيل في اواخر ١٩٧١ بأن الحركة الصهيونية تشابه نضال الزنوج وحركة القومية العربية وذلك باعتبارها حركة تحرر وطني (٢٥) ، علما بأن ما يقرب من ٤٥٪ من سكان ساحل العاج و ٨٥٪ من سكان السنغال هم من المسلمين .

ثانيا : اسرائيل في دور المساند للرجعية الافريقية : وفي الوقت الذي تحاول اسرائيل استنفاد امكانية التحرك تحت ستار التقدمية والتحرر ، تعمل بشكل فعال - ولكن بهدوء - على ممارسة دور المساند والمدافع عن الانظمة الرجعية والعنصرية والخاضعة للنفوذ الغربي مثل اثيوبيا وجنوب افريقيا والكونغو (كينشاسا) - زئير - .

اسرائيل واثيوبيا : كرست اسرائيل الجزء الاكبر من تحركها السياسي والاقتصادي في افريقيا نحو اثيوبيا ، لا لقربها ولا لكونها الدولة الوحيدة المطلة على البحر الاحمر ولا لان لها علاقة ايجابية مع اسرائيل فحسب بل لوجود قاسم سياسي مشترك يتمثل في محاربة « الخطر السوفيتي » ومعاداة حركات التحرر الوطني في اريتريا والصومال .

تقول الدكتورة سوزان جتلسن استاذة الدراسات الافريقية في الجامعة العبرية : ان للبلدين هدفا استراتيجيا واحدا وهو ابعاد الاتحاد السوفياتي عن البحر الاحمر وكلا البلدين متعاطف ومتفهم لمشاكل البلد الاخر مع جيرانه - مشاكل اسرائيل مع الدول العربية ومشاكل اثيوبيا مع الصومال والسودان وجبهة التحرير الايتيرية (٢٦) . وفي هذه الاستراتيجية تلتقي كل من اسرائيل واثيوبيا بالمصالح الامريكية ، وتعتبر اثيوبيا على حد تعبير الياهو سلفطر مبعوث صحيفة هآرتس الى اديس ابابا ، ان التخريب السوفياتي يتم بواسطة العرب . لهذا السبب يهتم الاثيوبيون بالتغلغل الروسي في البحر الاحمر ويقلقهم ذلك . . . وفي هذا المجال لا تلتقي المصالح الاثيوبية بالمصالح الاسرائيلية فقط ، بل تلتقي ايضا بمصالح الولايات المتحدة (٢٧) . ولقد عبر عن اللقاء الاستراتيجي بين اسرائيل وحكام اثيوبيا عمليا بتغلغل اسرائيل عسكريا واقتصاديا في اثيوبيا . فصادرات اسرائيل الى اثيوبيا في ارتفاع مستمر والميزان التجاري بين البلدان هو لصالح اسرائيل .

الجدول رقم (٢)

صادرات وواردات اسرائيل الى اثيوبيا (آلاف الدولارات) (٢٨) و(٢٩)

الواردات	الصادرات	السنة
١٤٤٥٦	٣٤٣٧٤	١٩٦٧
٢٤٠٧٥	٤٤٩٥٣	١٩٦٨
١٤٩٧٣	٤٤٣٦٤	١٩٧٠
٢٤٠٩٠	٣٤٥٧٤	١٩٧١

ويغطي النشاط الاقتصادي لاسرائيل في اثيوبيا ميدان الزراعة والصناعة وارسال الخبراء . اذ ان شركتين اسرائيليتين متفرعتين عن شركة اميران الاسرائيلية تشاركان على اساس المناصفة بأضخم مشروعين اقتصاديين في اثيوبيا وهما في افارم ، مصنع الادوية في اديس ابابا ، ومزرعة القطن ومساحتها ٢٥٠٠٠٠ دونم . وقامت شركة

سوليل بونيه الاسرائيلية باعمال بناء مطار اديس ابابا ، والجامعة ، ووزارة الخارجية والملعب الوطني ، كما تقوم حاليا بانشاء طريق رئيسية بين اثيوبيا وكينيا . وتساهم اسرائيل في عدد من المصانع المحلية كمصنع للجلود ، ومصنع للمعاطف ، ومصنع لانتاج اطارات النوافذ والابواب من الالمنيوم . كما تهين شركة انكودا الاسرائيلية على تصنيع اللحوم في اريتريا .

ويمثل الدعم الاسرائيلي العسكري لاثيوبيا الوجه الاخر للعلاقة الاسرائيلية - الاثيوبية . فالخبراء الاسرائيليون العسكريون يقومون بتدريب الجيش الاثيوبي على الحرب ضد العصابات وكذلك تدريب القوة البحرية الاثيوبية الحديثة النشأة ، ولعب المستشارون الاسرائيليون دورا بارزا في اعداد قوات الامن الاثيوبية . ويعلق ديك رسل على دور المستشارين الاسرائيليين في الجيش الاثيوبي قائلا : « نادرا ما يدخل هؤلاء في اشتباك فعلي . . . كان مثل هذا الاحتمال امرا بعيدا قبل خمس سنوات ولكنه اصبح الان امرا تحتته الضرورة (٣٠) » .

وتحاول كل من اسرائيل واثيوبيا عدم الاعلان عن التعاون الاسرائيلي - الاثيوبي خاصة في الميدان العسكري . وما الزيارة السرية للجنرال حايم بارليف رئيس اركان الجيش الاسرائيلي السابق لاثيوبيا في ايلول ١٩٧١ التي كشفت عنها جريدة الاهرام الا نموذجيا بسيطا للطابع السري للتعاون بين البلدين (٣١) .

اسرائيل وجنوب افريقيا : يعود التقاء اسرائيل بجنوب افريقيا الى اكثر من عامل . فهناك الجالية اليهودية التي يبلغ عددها (١١٥) الف يهودي ، وهؤلاء يتمتعون بجميع الحقوق السياسية والمدنية ولهم مكانتهم البارزة في الاقتصاد المحلي . وقد ساهمت الجالية اليهودية في جنوب افريقيا بدعم اسرائيل ماديا على شكل تبرعات بلغت عام ١٩٦٧ مقدار ٩٨ مليون ليرة اسرائيلية وتوقع د . اسرائيل غولد شتاين رئيس كيرن هايسود - الصندوق التأسيسي - ان ترتفع تبرعات يهود جنوب افريقيا في عام ١٩٧١ الى مبلغ ١٤٠ مليون ليرة اسرائيلية ، وبذلك تصبح الجالية اليهودية في جنوب افريقيا بالنسبة لعدددهم اهم جالية يهودية في العالم (ما عدا اسرائيل طبعا) من حيث تقديم التبرعات لاسرائيل (٣٢) . ويلتقي البلدان في معاداة المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي . وتعتبر جنوب افريقيا اسرائيل بمثابة خط الدفاع الاول ضد النفوذ السوفييتي . يقول س . د . سلزبرغر ، من كبار محرري النيويورك تايمز : « تعتقد جنوب افريقيا ان اسرائيل تعيق التقدم السوفييتي نحو الجنوب ، وان للتعاون المشترك بين البلدين ، اولا وقبل كل شيء ، اهمية نفسية من وجهة النظر اليمينية لجنوب افريقيا . وتعتقد جنوب افريقيا ان عطف اسرائيل يساعدها على الصعيد الدولي ، وخصوصا في اوساط منتقديها من يهود الولايات المتحدة وبريطانيا » (٣٣) . وكان لاقلاق قناة السويس نتيجة عدوان حزيران ١٩٦٧ فائدة خاصة لجنوب افريقيا وذلك لتحويل السفن من المرور بالقناة الى المرور في كيب تاون وفعلا ارتفع عدد السفن المارة بالميناء المذكور من ٨٤٠٠٠ سفينة قبل اغلاق القناة الى ٢٠٠٠٠ سفينة في عام ١٩٧٠ . وتحتل جنوب افريقيا على صعيد التعاون الاقتصادي والتجاري المكانة الاولى بين الدول الافريقية في مجال التبادل التجاري ، فقد بلغت صادرات اسرائيل لجنوب افريقيا في عام ١٩٦٨ ما قيمته ٥٦٦٠٠٠٠ دولار ، وواراداتها ٥٢٣٩٠٠٠ دولار وبلغت صادرات اسرائيل عام ١٩٧١ مبلغ ٩٦٣٩٨٠٠٠ دولار مقابل ٨٦١٥٠٠٠٠ دولار (٣٤) . واشارت معاريف الى مجالات التعاون الاقتصادي : « ١ - ان تطوير ميناء ايلات لا يؤدي الى توسيع علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا فحسب ، وانما الى توازن الصادرات والواردات ايضا . ففي جنوب افريقيا وحدها نستطيع ان نجد مواد استيراد دون عودة السفن الى ايلات فارغة . ٢ - ان الوضع الصناعي في جنوب افريقيا وفي اسرائيل متشابهان

جدا وهذه الصناعات ليست متضاربة ، بل يكمل بعضها بعضا « (٢٥) .

ويبدو ان اسرائيل قد وضعت خبراتها العسكرية في خدمة حكومة جنوب افريقيا ، فقد زارت اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بعثة عسكرية من جنوب افريقيا لغرض دراسة التجربة الاسرائيلية في الحرب مع البلاد العربية كما وان حرب سيناء عام ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧ تدرسان في الكلية العسكرية في جنوب افريقيا . اضافة الى تزويد جنوب افريقيا بطائرات (عربا) الاسرائيلية الصنع . وتنتج جنوب افريقيا مدافع رشاشة حسب مواصفات الرشاش الاسرائيلي (عوزي) ، وهناك انبساء عن تسليم اسرائيل لجنوب افريقيا مخططات محرك طائرة الميراج (٢٦) . ولكن اسرائيل وجنوب افريقيا يلتزمان الصمت بشأن التعاون العسكري والسياسي فيما بينهما . ويبدو ان الطرفين متفهمان للمواقف العلنية التي قد تتخذانها لا سيما موقف اسرائيل من جنوب افريقيا على صعيد الامم المتحدة حيث ينجم الموقف الاسرائيلي نحو الامتناع عن التصويت في قضايا التمييز وبعض الامور السياسية الاخرى المتعلقة بجنوب افريقيا وذلك سعيا نحو عدم اثاره دول افريقيا السوداء . وعملت اسرائيل على تسوية قضية تبرعها بهدية رمزية لمنظمة الوحدة الافريقية مع جنوب افريقيا بشكل لا يدع مجالاً لغضب الاخيرة (٢٧) .

الكونغو — كينشاسا واسرائيل : علاقة اسرائيل بالكونغو (كينشاسا) — وتعرف اليوم بزائر — نموذج للدعم الاسرائيلي للانظمة المرتبطة بالغرب ، التي تتخذ شكل تدريب القوات الكونغولية ، وقد اصبحت وحدة الكومندوس التي يتم تدريبها على ايدي المستشارين الاسرائيليين العمود الفقري لجيش الكونغو والدعم الرئيسي لرئاسة جوزيف موبوتو الذي تم تدريبه هو ايضا في اسرائيل . ويعود تاريخ التعاون الاسرائيلي — الكونغولي الى ١٩٦٣ ولا يزال مستمرا ، و آخر حلقة في هذه السلسلة هي زيارة وفد عسكري برئاسة بريجيدير اونوره انكولونه رئيس اركان جيش الكونغو (كينشاسا) الى اسرائيل في آذار ١٩٧١ وذلك للبحث في اقامة كلية عسكرية في الكونغو يسهم الاسرائيليون في الاشراف عليها (٢٨) ، هذا الى جانب المعونة الاسرائيلية الفنية والاقتصادية لنظام حكم موبوتو .

ان افريقيا مجتمع غير مستقر سياسيا وهذا امر طبيعي بالنسبة لمجتمع يمر بتحولات اجتماعية واقتصادية اساسية ، ثم ان القوى السياسية الدولية والمحلية تضغط باتجاهات مختلفة على الازواضع السياسية المحلية معرضة الانظمة الافريقية الى تغيرات مفاجئة وتناقضات داخلية تصل الى حد الحرب الاهلية . وتعمل اسرائيل تجاه هذه الاحداث من منطلق معاداة العرب ، وعليه تسعى لكبح القوى التي يمكن ان تؤازر العرب . وتكون مواقف اسرائيل معارضة او مؤيدة لاي تحرك افريقي بناء على تقييم اسرائيل للنتائج والاثار المحتملة لهذا التغير على الصراع العربي — الاسرائيلي ، ومن تلك التناقضات الافريقية التي طفت الى السطح احداث الكونغو بعد الاستقلال ، والثورة الايرتيرية ، والحرب الاهلية في نيجيريا ، وحركة جنوب السودان ، وثورة انغولا . ولقد التزمت اسرائيل تجاه هذه الاحداث موقفا معاديا للثورة الوطنية في انغولا . وقد ذكرت الجيروزليم بوست في ١٩٧١/١/٢٧ ان الحركة الشعبية لتحرير انغولا ادانت اسرائيل لمساعدتها البرتغال في الحرب ضد المقاتلين الانغوليين الاحرار . وازافت الجيروزليم بوست « ان مقالا نشر في صحيفة الحركة أكد ان القوات الوطنية استولت على اسلحة اسرائيلية عند احتلالها ثكنة برتغالية في ١٩٧١/١/١٩ قرب مدينة كواندو » (٢٩) .

وقد تبنت اسرائيل تشومبي رائد الحركة الانفصالية في كاتنجا المدعوم من قبل المصالح الراسمالية الغربية ضد لومومبا ، وان المساعدات العسكرية الاسرائيلية لاثيوبيا يعاد توجيهها الى محاربة حركة التحرر الوطني الايرتيري والصومالي (٤٠) وتعاطفت اسرائيل

مع الجنرال اجوكو زعيم الاقليم الشرقي ذي الاغلبية المسيحية ضد حكومة نايجيريا .
اما على صعيد الامم المتحدة فالموقف الاسرائيلي اتسم بالمعارضة لحركات التحرر
الوطني . فقد صوتت مرة واحدة فقط في سنة ١٩٦٣ لتدين السياسة العنصرية لحكومة
جنوب افريقيا ولكنها صوتت ضد مبدأ حق تقرير المصير للشعوب ، ومبدأ الصوت الواحد
للرجل الواحد وامتنعت عن التصويت على مشاريع القرارات الاخرى — اسبوية الداعية
لحظر استعمال الاسلحة النووية والتوقف عن التجارب النووية واعتبار افريقيا منطقة
حرة من الاسلحة النووية ، وصوتت اسرائيل ضد منح تونس والمغرب والجزائر
الاستقلال (٤١) .

ان هذه السياسة المعادية لحركة التحرر الوطني الافريقي تضع اسرائيل في موقف المراهن
على حضان النفوذ الاستعماري في افريقيا ضد حركة الشعوب الافريقية للتحرر وهذا لا
يعود الى اختيار اعتباري بقدر ما تحته طبيعة الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية فما
دامت الحركة القومية العربية راغدا من روافد الحركة العالمية للتحرر من الاستعمار ولها
مصلحة في انتصار الثورة الاشتراكية العالمية ، فان مصلحة اسرائيل تكمن في عرقلة أي
راغد يصب في تيار التحرر الوطني والثورة الاشتراكية او حرفه .

اخرج من هذا التحليل الى المعادلة التالية : ان أي انتكاسة او ردة يمينية في افريقيا هي
كسب — وبالتالي — دعم لاسرائيل والعكس الصحيح . والجدير بالملاحظة ان السياسة
الاسرائيلية في افريقيا اتسمت بالمرونة وطول النفس فهي تسعى لاستنفاد الممكن ضمن
الواقع الافريقي . فاسرائيل لا تعتبر الموقف العلني لبعض الدول الافريقية دليلا قاطعا
على نية الحكومات الافريقية فبعض هذه الحكومات تطلق التصريحات العلنية المؤيدة
للغرب للاستهلاك السياسي الخارجي دون الالتزام العملي بهذه البيانات كموقف نكروما
على الصعيد الدولي والمؤتمرات التي لا ينعكس عمليا على علاقات غانا واسرائيل
الشائبة .

وتتمتع اسرائيل بعلاقات ثنائية طيبة مع عدد من الحكومات الافريقية المحسوبة على الخط
الاشتراكي كحكومة زامبيا وغانا . وقد رفض ابا ابيان طلب البعض بقطع المساعدات
الاسرائيلية للدول الافريقية التي تعلن عن مواقف غير مؤيدة لاسرائيل (٤٢) كما ان اسرائيل
تعمل من خلال ابقاء اتصالها بدول افريقيا بغض النظر عن اتجاهاتها الآتية وذلك بشكل
بعثات وخبراء ومشاريع مشتركة ، وذلك كتواعد تمهيدية للوثوب في حالة أي تغيير نسبي
لصالح اسرائيل .

ان وجود مثل هذه القواعد ساعد اسرائيل على القفز للصدارة في اوغندا بعد سقوط ابوتو
الذي كان على وشك قطع علاقات بلاده باسرائيل ، واسرائيل واصلت مساعداتها لمالي
بالرغم من توقيع مالي على مقررات كازيلانكا عام ١٩٦١ المعادية لاسرائيل وعلق ناطق
بلسان وزارة الخارجية الاسرائيلية عقب صدور البيان المشترك لناصر — كيتا المعادي
لاسرائيل ، بأن اسرائيل لا تنوي قطع مساعداتها لمالي وان البيان لا يعكس فعلا العلاقات
بين اسرائيل ومالي التي تستمر طيبة (٤٢) .

ثالثا — **افريقيا ميدان لابرز فوائد اسرائيل للغرب** : تخدم الساحة الافريقية
الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية كميدان عملي يتيح لاسرائيل فرصة اثبات منفعتها
للغرب وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بالاساليب التالية :

١ — انهاك مصر — القطر العربي الافريقي ، الذي يعتبر اكبر واكوى كيان افريقي من
الناحية العسكرية والحضارية والسكانية الذي جعل محاربة الاستعمار القديم والجديد
ناشكاله المختلفة هدفا استراتيجيا في صلب سياسته الخارجية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .
ويقول جاك بولن في هذا الصدد « مهما تكن نوايا ناصر الحقيقية فان اثره في التطورات

الآخيرة في افريقيا ، ومساعدته للحركات الوطنية ودوره في اضعاف النفوذ الغربي عبر القارة يبقى حقيقة لا نقاش فيها(٤٤). وعليه يصبح انذاك مصر او اشغالها عن القيام بدورها التقدمي في افريقيا خطوة في صد التيار المعادي للاستعمار الغربي .

ويشرح ابا ايبان هذا الدور بقوله ان مصر تملك قوة عسكرية كبيرة لا تملكها اية دولة افريقية أخرى ، ولولا قيام اسرائيل بصد هذه القوة واضعافها لتعرضت افريقيا لتأثير اكبر من شمالها(٤٥). وإذا كان هذا التعليق قد صدر بعد حرب حزيران فان اسرائيل قدمت الخدمة ذاتها لفرنسا وبريطانيا عام ١٩٥٦ ، فقد كان العدوان الاسرائيلي الثلاثي بمثابة رد فرنسا على مساعدة مصر للثورة الجزائرية ورد انجلترا على ما تصورته عن دور مصر في اقالة كلوب باشا من قيادة الجيش الاردني واثارة العداء ضدها في آسيا وافريقيا ، وقد سبق ان اعلن سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا آنذاك استيائه من الحملة الدعائية المعادية لبريطانيا التي تبثها أجهزة الاعلام المصرية في افريقيا(٤٦) .

٢ — الوقوف دعائيا وسياسيا ضد ما يسمى بالخطر السوفييتي في افريقيا . كما تبين لنا من طبيعة العلاقة الاسرائيلية بكل من اثيوبيا وجنوب افريقيا ، كان في اغلاق قناة السويس نتيجة حرب حزيران خدمة لأمريكا وذلك بابعاد الاسطول السوفييتي المتزايد القوة من مياه البحر الاحمر . وتطرح اسرائيل نفسها كنموذج ثالث وبديل للرأسمالية التي ترفضها شعوب افريقيا ، والاشتراكية ، كما تتجسد في المنظومة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفييتي . وميزة النموذج الاسرائيلي بالنسبة للمصالح الامريكية هي في محاولة اقناع شعوب افريقيا بإمكان ايجاد طريق للنمو غير الاشتراكية السوفييتية ، وان اتباع الاشتراكية — كما هو الحال في اسرائيل — لا يعني الصدام مع الغرب بل العكس تماما . يقول و . روستو مستشار وزارة الخارجية الامريكية سابقا ما معناه لا تقوم مصلحة الولايات المتحدة في حماية اراضيها فحسب ، بل تشمل حماية قيم المجتمع الامريكي في العالم وافكاره ومنع اندحار هذه الانماط والقيم على أيدي دعاة الشيوعية ، وان التزام اسرائيل بالقيم التي تنادي بها أمريكا يجعل من بقاء اسرائيل ونموها خدمة للمصالح الامريكية(٤٧) .

وقد قدمت الولايات المتحدة الدعم الكبير لمساعدة اسرائيل للقيام بدور الواجهة البديلة للشيوعية والاشتراكية ، فالى جانب المعونات الاقتصادية والفنية والعسكرية الضخمة فان الولايات المتحدة ساعدت المؤسسات الاسرائيلية المختصة بالعمل في العالم الثالث . فقد بدأ المعهد الافرو — اسيوي لثئون العمل والتعاون التابع لهستندروت عمله في سنة ١٩٦٠ بمنحة مالية قدرها ٦٠٠٠٠٠ دولار قدمها اتحاد النقابات الامريكية ومجموع ما تلقى المعهد الافرو اسيوي من مساعدات ومنح من اتحاد النقابات الامريكية والنقابات الدولية الخاضعة للهيمنة الغربية كمؤتمر الاتحادات النقابية البريطاني «تي . يو . سي » للفترة ١٩٦٣/٦ ، ٣٠٠٠٠٠ دولار(٤٨). ويبدو ان قسما من رؤوس الاموال الامريكية المقدمة الى اسرائيل يعاد استثمارها في افريقيا ، ويساعد تزايد عدد المستشارين والخبراء الاسرائيليين في افريقيا في غلق الابواب أمام طلب الخبرة من المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفييتي بالذات مما يرضي الولايات المتحدة بدون شك .

يقول ارنولد رفكن الوثيق الصلة بالمسئولين الامريكيين في كتابه « افريقيا والغرب » ان اسرائيل بإمكانها توفير النموذج الاقتصادي الثالث الذي يختلف عن النمط الغربي ولكن الأكثر تعابشا بالتأكد مع مصالح العالم الحر من النموذج الشيوعي وبالإمكان تمكين دور اسرائيل كقوة ثالثة باستخدامها كطرف ثالث في تقديم المساعدات ، فالدولة الغربية التي تريد توسيع مساعداتها لافريقيا بإمكانها توجيه بعض مساعداتها بواسطة اسرائيل التي لها خصائص خاصة . أبدت معظم دول افريقيا قبولها ، ويقترح رفكن ان تقدم ألمانيا الغربية او الولايات المتحدة لاسرائيل اعتمادات بالمسارك او الدولار تخصصها

اسرائيل للمساعدات والقروض لافريقيا والمبالغ المسترجعة يعاد وضعها في بنوك اسرائيل لتوجيهها مرة ثانية في برامج مساعدات اسرائيلية لافريقيا . وبذلك يقول رمكن تكون ألمانيا الغربية والولايات المتحدة قد ساعدت على تحسين ميزان المدفوعات الاسرائيلي كما تكون قد وفرت مزيدا من المساعدات الى افريقيا(٤٩) .

رابعا — **علاقات اسرائيل التجارية والاقتصادية بأفريقيا** : ساعدت ظروف التخلف الاجتماعي والاقتصادي في افريقيا ، اسرائيل على تقديم نفسها كطرف ثالث مستعد ضمن إمكاناته لتقديم المساعدة الفنية والاقتصادية لدول افريقيا الحديثة الاستقلال . وقد تعرض عدد من الكتاب الاجانب والعرب لبحث اوجه النشاط الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا(٥٠) . ولذا ساقترص على ذكر الخطوط الرئيسية للنشاط الاقتصادي والفني الاسرائيلي في افريقيا وذلك كمقدمة لا بد منها لتحليل معنى هذا التحرك . وقد اتخذت علاقة اسرائيل الفنية والاقتصادية بافريقيا اوجها مختلفة منها :

اولا : برنامج المساعدات الفنية الاسرائيلية الذي يقوم على استقبال الطلبة والاداريين والموظفين والشباب من ابناء الدول الافريقية للدراسة والتدريب في اسرائيل ضمن برامج تدريبية وتعليمية لا تخلو من دعاية لفترات محدودة وفي ميادين اجتماعية وصناعية وزراعية مختلفة . وتكون بعض البرامج معدة سلفا ويهيأ البعض الآخر بناء على احتياجات الدول الافريقية وغالبا ما تكون هذه البرامج قصيرة ومكثفة وفعالة . وقد برز المعهد الافرو — اسيوي للدراسات التعاونية والعملية التابع للهستدروت من بين المؤسسات الاسرائيلية المعنية بهذا النشاط ، فقد قام المعهد منذ تأسيسه عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٨ بقبول ١٤٥١٥ طالبا من ٧٩ دولة ، ونحو ثلثي هذا العدد من دول افريقيا فقط(٥١) ، ولوزارة الزراعة مركز دولي للتعاونيات في رحوفوت وقد درس فيه لغاية ١٩٧١ ما يقرب من ١٢٤٠٠٠ طالب من غرب افريقيا(٥٢) تدربوا جيعهم على اساليب الزراعة الحديثة في اسرائيل لا سيما تجربة الكيوتز والموشاف التي تعتبرها اسرائيل نماذج صالحة للتصدير والتدريب للمدرسات في حقل الخدمة الاجتماعية المحلية ومركز التدريب للمدرسين في حقل الارشاد والمهن ومعهد ونجيت للمدرسين في حقل التربية الوطنية ، وتلعب الجامعات والمعاهد العليا الاسرائيلية دورا مهما في تعليم ابناء الدول الافريقية ، ويقدر عدد الطلاب الاجانب ومعظمهم من ابناء الدول النامية الذين انهوا دراساتهم العليا في اسرائيل لغاية عام ١٩٧١ بـ ١٥٤٠٠٠(٥٣) . هذا وان الجامعة العبرية وجامعة تل ابيب اخذتا توليان اهتماما خاصا للدراسات الافريقية وذلك كجزء من التوجه الاسرائيلي نحو القارة الافريقية(٥٤) .

يتمثل الوجه الثاني للمساعدات الفنية الاسرائيلية لافريقيا بارسال خبراء ومستشارين اسرائيليين للعمل في الدول الافريقية ، ويقدر عدد هؤلاء الخبراء الاسرائيليين المرسلين لافريقيا في مختلف المجالات باستثناء العسكرية خلال الفترة ١٩٦٦/٥٨ بـ ١٢٦١ خبيرا ومستشارا موزعين بالشكل التالي(٥٥) : الزراعة : ٢٦١ من ٥٢٣ ، تنظيم الشباب : ٢٣٤ من ٢٥٦ ، مهندسون : ٤٢ من ٦٤ ، الطب والصحة العامة : ١٧٣ من ٢٠٢ ، التربية : ١٠٢ من ١٠٦ ، التعاون : ٢١ من ٢٤ ، الادارة : ٤٦ من ٦٣ ، البناء : ٤٩ من ٦٥ ، العمل الاجتماعي : ٢٢ من ٢٣ ، متنوع : ٣١١ من ٤٨٩ ، والمجموع : ١٢٦١ من ١٩١٥ .

ويلاحظ بشكل واضح تركيز اسرائيل على افريقيا حيث يعمل نحو ثلثي خبراء اسرائيل في الخارج في افريقيا . وعدد خبراء اسرائيل في افريقيا اليوم اكثر من الرقم المذكور خاصة اذا ما اضفنا الخبراء العسكريين الاسرائيليين(٥٦) . والامر الذي يزيد من اهمية عدد الخبراء والمستشارين الاسرائيليين في افريقيا كونهم عناصر كفوءة في اغلب الاحيان .

يقول ج. ه. جانسن الصحفي الهندي : « يقدم الخبراء الاسرائيليون خدمات في حقول مختلفة في الدول الافرو - اسيوية وهم فعلا خبرون في حقولهم ، ونشيطون يعملون ويعيشون مع السكان المحليين بعكس خبراء الدول الاخرى ، وباستثناء فيلق السلاح الامريكي ، الذين كانوا يبقون بعيدين مترفعين عن السكان المحليين . ومع ان خدمات هؤلاء الخبراء لا تعطى بدون مقابل ، الا ان مرتباتهم تسير مع معدل المرتبات المحلية . ولذا فان الافريقيين والاسيويين ينظرون الى الخبر الاسرائيلي كصديق وهو يكسب بلاده سمعة حسنة » (٥٧) .

ثانيا : اسهام الحكومة الاسرائيلية ورأس المال الخاص الاسرائيلي في المشاريع الاقتصادية في افريقيا وذلك على أساس المشاركة بنسبة لا تزيد عن ٥٠٪ من رأس المال وإدارة المشروع لفترة قصيرة يحق بعدها للدولة الافريقية الشريكة شراء الحصة الاسرائيلية بتعويض عادل . القصد من وراء هذا الاسلوب بدون شك هو عدم إثارة مشاعر الحساسية عند الدول الافريقية من عودة النفوذ الاستعماري بزي جديد .

كان تأسيس خط النجمة السوداء في غانا عام ١٩٥٧ أول نموذج للاسهام الاسرائيلي في المشاريع الافريقية ، فقد أسهمت شركة تسييم للملاحة الاسرائيلية بنسبة ٤٠٪ من رأس مال الشركة و ٦٠٪ للحكومة الغانية وتركت الإدارة بيد الاسرائيليين . وقد حقق المشروع نجاحا كبيرا وبقيت الإدارة بيد الاسرائيليين حتى بعد ان اشترت غانا حصة اسرائيل بعد ثلاث سنوات ، وقد أسهم ذلك في تسهيل التجارة بين اسرائيل وغانا . وتأسست في غانا في عام ١٩٥٨ شركة غانا الوطنية للانشاءات برأسمال قدره ٥٦٠.٠٠٠ دولار ، حصة الحكومة الغانية ٦٠٪ وحصة شركة سوليل بونيه الاسرائيلية ٤٠٪ وقد ازداد عدد مثل هذه المشاريع المشتركة في افريقيا في عام ١٩٦٣ الى ٤٣ مؤسسة (٥٨) وكانت سوليل بونيه عنصرا فعالا في هذه المشاريع فقد أقامت شركات برأسمال مختلط اسرائيلي - محلي في كل من غرب نيجيريا وشرق نيجيريا وسيراليون واثيوبيا وتنجانيقا وكينيا ، وغولتا العليا وجمهورية افريقيا الوسطى ، وقد بلغ مجموع رؤوس الاموال لجميع الشركات الانشائية ذات العلاقة بسوليل بونيه في افريقيا في نهاية عام ١٩٦٢ مبلغا قدره ٤٠ مليون دولار ، وتستخدم هذه الشركات نحو ٣٢٤.٠٠٠ عامل محلي و ٣٥٠ مهندسا واداريا اسرائيليا (٥٩) .

ثالثا : العناية بالتبادل التجاري مع افريقيا ، وهناك أكثر من سبب تجاري يدفع اسرائيل نحو افريقيا ، فمن ناحية ، تلتقى البضائع الاسرائيلية - المقاطعة عربيا - منافسة شديدة في اسواق اوروبا الغربية التي تعتبر اهم سوق تجاري بالنسبة لاسرائيل ، اضافة الى كلفة الشحن العالية التي تتكبدها البضاعة الاسرائيلية المصدرة الى اوروبا بينما توفر افريقيا - خاصة بعد فتح خليج العقبة ومضيق تران بوجه الملاحة الاسرائيلية في عام ١٩٥٦ - ميدانا رحبا للبضاعة الاسرائيلية ، ويمكن في الوقت ذاته سد حاجة اسرائيل من المواد الاولية المتوفرة في افريقيا وغالبا ما تكون بسعر وكلفة أقل . وقد حققت اسرائيل نجاحا باهرا في تنمية تجارتها مع افريقيا ، فقد ارتفعت نسبة صادرات اسرائيل الى افريقيا وآسيا من ١٤٤٪ في عام ١٩٤٩ الى ١٧٤٢٪ عام ١٩٦٧ (٦٠) وبلغت ٢٥٪ عام ١٩٧٠ (٦١) . وان حجم الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا في ارتفاع مستمر حتى بلغ ٤١٦٥٦ مليون دولار في عام ١٩٧٠ بينما بلغت واردات اسرائيل من افريقيا في العام نفسه ٣٠٤٠٨ مليون دولار .

وقد صرح بلوهنتال المسئول المالي في شركة كور الاسرائيلية ورئيس مجلس غرفة التجارة الاسرائيلية الافريقية في حزيران ١٩٧١ بأن الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا تزداد بنسبة ٢٢٪ سنويا وان افريقيا تستورد نحو ٤ - ٥٪ من مجموع صادرات اسرائيل و ١٠٪ من صادراتها الصناعية التي توزع بالنسب التالية : المنسوجات ١٧٪ ، مواد

الجدول رقم (٣)

تطور الصادرات والمستوردات الاسرائيلية مع افريقيا (ملايين الدولارات) (١٢)

السنة	صادرات اسرائيل الى افريقيا	وازدات اسرائيل من افريقيا
١٩٦٣	١٣٦١١	٢١٤٤٢
١٩٦٤	١٣٦٦٣	٢٤٤٧٠
١٩٦٥	٢١٤٦٠	٢٧٤٠٠
١٩٦٦	١٩٤٨٠	٢٨٤١٠
١٩٦٧	٢٤٤٠٠	٢٧٤٤٠
١٩٦٨	٢٧٤٩٤	٣٠٤٩٣
١٩٦٩	٣٤٤٢٤	٣١٤٢٢
١٩٧٠	٤١٤٥٦	٣٠٤٠٨
١٩٧١	٤٧٤٩٣	٢٥٤٠٥

بناء ١٥ ٪ ، مواد كيميائية ١٨ ٪ ، بلاستيك ومطاط ١٠ ٪ ، مواد للطرق ٦ ٪ (١٣) .

والجدير بالملاحظة ان نسبة صادرات اسرائيل الى افريقيا وان كانت ضئيلة بالمقارنة الى مجموع صادرات اسرائيل ، الا ان صامويل ديكالو رئيس قسم السياسة في جامعة رود ايلاند في الولايات المتحدة يقول بالرغم من ان بعض صادرات اسرائيل الى افريقيا (كالاثاث ، والسمنت ، وزيت فول السويه) هي ضئيلة بالمقياس المطلق ، الا انها تشكل اكثر من ٥٠ ٪ من مجموع صادرات اسرائيل من هذه المواد ، وبعض المواد (مثل الادوية والسجاد والانايبب العازلة) تصدر اسرائيل ٢٥ ٪ من انتاجها الى افريقيا (١٤) مما يجعل افريقيا سوقا رئيسيا لبعض المنتجات الاسرائيلية ، كما ان واردات اسرائيل من افريقيا تتركز على المواد الخام (حوالي ٩٦ ٪) كالماس الخام والاحشاب والجلود والصوف واللحوم والزيوت النباتية والقطن (١٥) .

وتسعى اسرائيل كما يبدو من نشاطها الاقتصادي في اثيوبيا وكينيا الى تنمية انتاجية هذه البلاد لمواد اساسية وخام تحتاجها اسرائيل (كمزرعة القطن الكبرى في اثيوبيا ومزارع الابقار وتعليب اللحوم في اريتريا) والتي تعوض اسرائيل عن الاعتماد على الاسواق الاوربية . وقد توقعت الجيروساليم بوست في عددها الصادر في ٢٨/٥/١٩٧١ ان يرتفع حجم التجارة بين اسرائيل وافريقيا خلال عام ١٩٧١ ليصل ١٠٠ مليون دولار ، وان يفوق التصدير الى افريقيا الاستيراد بـ ٥ مرات . وبات هذا الفارق بين صادرات اسرائيل واستيراداتها من افريقيا يثير مخاوف اسرائيل من حدوث ردود افعال سلبية بين الدول الافريقية . واقترح يهوشوا اربل - المدير في شركة الدا التجارية وعضو البعثة التجارية التي زارت ثلاث دول في افريقيا الوسطى خلال منتصف عام ١٩٧١ - ان تستثمر اسرائيل قسطا اكبر من رساميلها في افريقيا وتساعد على تسويق صادرات افريقيا الى دول اخرى (١٦) ، علما ان غلق قناة السويس له اثر كبير في عرقلة صادرات دول شرق افريقيا .

ومن العوامل التي ساعدت على نمو حجم التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا الامور التالية :

١ - كان يجب ان تملك اسرائيل ما يمكن ان تصدره قبل ان تبدأ بالتصدير وهذا ما حققته اسرائيل فعلا في بناء صناعة متقدمة وزراعة متطورة يفيض انتاجها عن حاجة البلاد ساعد في ذلك بدون شك توفر الخبرات الفنية العالية المستوردة من يهود

العالم المتقدم ، الى جانب تدفق رؤوس الاموال والمساعدات المالية من اوروبا وامريكا .
٢ — اقامت اسرائيل شركة ملاحه تعرف باسم شركة ديزنغوف غرب افريقية تملك الحكومة الاسرائيلية نصف أسهمها ويملك النصف الاخر القطاع الخاص الاسرائيلي وذلك لتنشيط التجارة مع افريقيا . ونجحت هذه الشركة في انشاء اربعة عشر فرعاً في نيجيريا وغانا وسريالون . كما ان اسرائيل دخلت كشريك في شركات ملاحه افريقية كخط ملاحه النجمة السوداء الغانية مما سهل تصدير البضائع الاسرائيلية الى غانا وغرب افريقيا وأسهمت اسرائيل في انشاء خط ملاحه النجمة الذهبية في هونك كونك الذي يعمل بين موانئ الشرق الاقصى والولايات المتحدة وغرب افريقيا وبذلك ربطت اسرائيل تجارتها الخارجية بشبكة مواصلات بحرية متداخلة (٦٧) .

٣ — الاتصال المباشر عن طريق ارسال البعثات الاقتصادية والتجارية الى العواصم الافريقية لتقصي امكانية تطوير التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا ، هذا الى جانب انتشار البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في افريقيا وتمكين موظفيها من اتخاذ القرارات والحسم بالكثير من الامور دون الخضوع للروتين (٦٨) .

٤ — ساعد برنامج التعاون الفني ووجود المستشارين والخبراء الاسرائيليين في افريقيا على زيادة التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا . ويقول لوفر : « ان كون أكبر نمو في الصادرات الاسرائيلية هو نمو تلك الصادرات التي تتجه الى الاقطار التي لها برامج تعاون فني مع اسرائيل ، ليس طبعاً من قبيل الصدفة (٦٩) . مثال ذلك اقطار كينيا والحبشة وأوغندا . سبب اصرار الخبراء الاسرائيليين احياناً على استيراد الادوات والبضائع الاسرائيلية بالرغم من وجود مثيلتها عند دول اخرى وبسعر او وجوده افضل استنكار بعض المسؤولين الافريقيين (٧٠) .

٥ — استفادت اسرائيل من الرساميل الاجنبية خاصة الامريكية في توسيع نشاطها الاقتصادي ومما يجلب الانتباه ان بعض المساعدات الغذائية الامريكية الى اسرائيل يعاد تحويلها الى مادة اسرائيلية للتصدير ، فمثلاً لا تنتج اسرائيل فول السويدا ومع ذلك تصدر زيت فول السويدا الذي تعتبر امريكا منطقة غنية به .
ان دور اسرائيل الاقتصادي والفني في افريقيا يخدم الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية من الجوانب الاتية :

١ — كسب دعم او على الاقل حياد الدول الافريقية المستفيدة من الخبرات والمساعدات الاسرائيلية وتحاول اسرائيل ان تجعل من طريفة تصرف خبراءها في افريقية نقطة توضح جدية هؤلاء تجاه افريقيا وصدقتهم . هذا وان ازدياد الاعتماد على الخبرة الاسرائيلية يضع الطرف المستفيد في حرج مادي فيما اراد اتخاذ موقف سياسي معاد لاسرائيل .

٢ — توفر افريقيا ميدانا واسعا لتنشغيل عدد كبير من الايدي الفنية الفائضة عن حاجتها وسبب هذه الظاهرة هي استفادة اسرائيل من الهجرة اليهودية الواسعة من دول متقدمة حضارياً وصناعياً (٧١) .

٣ — يقول مردخاي كرنين : « يؤمل في الامد البعيد ان تهمد المساعدات الفنية الاسرائيلية الطريق لتوسيع الاسواق للصادرات الاسرائيلية (٧٢) . واذا قارنا ميزان التبادل التجاري في اوائل الستينات بنهاية الستينات نلاحظ صحة توقعات كرنين . سيساعد هذا الامر بدون شك على تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي ودفعه نحو الاستقلال . وهذا هدف استراتيجي بالنسبة لاسرائيل . وقد قال بن غوريون في المؤتمر الصهيوني الذي عقد في القدس بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠ : « ان الاستقلال الاقتصادي لاسرائيل

يعتمد على الروابط الاقتصادية الوثيقة مع افريقيا واسيا » .

٤ — توفر افريقيا الخامات التي تعد اسرائيل بأمس الحاجة اليها في صناعاتها لا سيما الماس الخام الذي أصبح مادة رئيسية في الصناعة الاسرائيلية وتخدم بعض المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية الافريقية المشتركة الاقتصاد الاسرائيلي بتوفير المواد الاولية والمنتجات الزراعية كالقطن والاعذية والحبوب التي تحتاجها اسرائيل بأسعار ارخص بدلا من استيرادها من اوربا كما هو الحال عمليا . ومثال ذلك المشاريع الاسرائيلية — الافريقية في كينيا واثيوبيا لانتاج اللحوم ومزارع القطن والكاكاو . وتحتاج اسرائيل من ناحية اخرى في حالة استمرارها في بناء صناعة متطورة ، لا بد من ان تعتمد على الانتاج الواسع ، الى اسواق جديدة كي تحقق ربحا معقولا . وافريقيا توفر سوقا مربحة بسبب القرب الجغرافي وافضلية المنافسة .

٥ — واخيرا يعني اي نجاح اقتصادي لاسرائيل خطوة في كسر طوق المقاطعة الاقتصادية العربية المفروضة على اسرائيل وبالتالي خطوة نحو فرض الوجود الاسرائيلي في الارض العربية .

١ — Mordechai E. Kreinin, *Israel and Africa, A Study in Technical Cooperation*, New York, Praeger, 1964.

٢ — وهي : الكابرون ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، كونغو (برازافيل) ، داهومي ، الغابون ، ساحل العاج ، مدغشقر ، مالي ، النايجر ، السنغال ، توغو ، فولتا العليا (وجميعها من المستعمرات الفرنسية) ، الكونغو (ليوبولدفيل) وهي مستعمرة بلجيكية سابقا ، نايجريا ، الصومال .

٣ — عندما اعلنت غينيا في ايلول ١٩٥٨ طلبها بالاستقلال التام عن فرنسا ، انسحبت الاخيرة عن البلاد وغادرت معها جميع الاجهزة الادارية ومعظم المؤسسات التجارية والمهنيين من اساتذة مدارس واطباء وموظفي مرغا كونكري وقامت دولة غينيا وخزينة البلاد اقرب الى الانلاس .

٤ — دراسات عربية ، العدد ٤ ، شباط ١٩٧٢ ، مقالة « الثورة في افريقيا » لنصرالدين البهرة ص ١٧—١٨ نقلا عن كتاب ، كوامي نكروما ، الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية .

٥ — M. Braginshy, *Africa Wins Freedom*, Progress Publisher, Moscow (no date), p. 168.

٦ — Inn Brownlie (ed.) *Basic Documents on African Affairs*, Oxford, 1971, p. 483, 7. "Policy Statement on Africa which was submitted to the President by Secretary Rogers, March 26, 1970".

٧ — William Guttridge, "The Military in Africa," *African Affairs*, Vol. 69, No. 277, October 1970, p. 366-367.

٨ — Thomas Hodgkin, *African Political Parties*, Penguin African Series, London 1961, p. 41.

مثال ذلك ان اكثر من ١٠٠,٠٠٠ نايجيري خدموا بالسلحة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية .

٩ — ايجال ألون — الستار الرملي ، وذلك كما وردت في كتاب ابراهيم العابد ، *مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية* — مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١١ — ١٢ .

١٠ — *Middle East Record*, Vol. II, 1961, Tel Aviv University, The Reuven Shiloah Research Center, Jerusalem, Israel, 1961, p. 184, 300.

١١ — *Jewish Observer and Middle East Review*, July 11, 1969.

نشرة م. د. ف.ه. بيروت عدد ٢ تاريخ ١٩٧٢/١/١٦ نقلا عن هارتس ١٩٧٢/١/٦ من مقالة للكاتبياهو سلفنر .

وقد تباين اهتمام الاعلام الاسرائيلي بالقارات الثلاث التي تشكل العالم الثالث في الستينات كانت افريقيا على رأس قائمة النشاط الاسرائيلي ولكن الاتجاه الاعلامي الاسرائيلي الجديد يتجه نحو وضع امريكا اللاتينية وبعدها آسيا ، ثم افريقيا كهدف اعلامي .

- ١٢ — ابراهيم العابد — **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** — مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٠ — ١١ . نقلا عن سلسلة مقالات لايغال ألون ظهرت في صحيفة معاريف في ٩/٢٢ ، ٩/٢٧ ، ١٠/١ ، ١٩٦٨/١٠/٦ .
- ١٣ — **الاهرام** ، نقلا عن النشاط الصهيوني في العالم — وزارة الاعلام — بغداد السنة ٢ — عدد ٤ — ١٩٧٢/٣/١ .
- لاسرائيل اليوم مجمع صناعات حربية يعمل به حوالي ٩٠ الف فرد ويعمل بشكل خاص في انتاج الطائرات وقطع الغيار اللازمة لمختلف الاسلحة والمعدات المصنوعة محليا والمستوردة وبالذات قطع غيار الطائرات ومعدات الرادار والاتصال الالكتروني . وتنتج اسرائيل حوالي ٩٠ ٪ من حياجة قواتها من الذخائر والمفرغعات . وقد ارتفع قيمة ما تنتجه اسرائيل من الاسلحة والمعدات والذخائر من ٣٠ مليوناً في ١٩٦٧ الى ٢٠٠ مليون عام ١٩٧١ ، وتبلغ صادرات اسرائيل من الاسلحة والمعدات والذخائر حوالي ١٩ مليون جنيه استرليني عام ١٩٧٠ و ٢٤ مليون جنيه استرليني عام ١٩٧١ .
- ١٤ — اذاع راديو اسرائيل مساء ١٢/١/١٩٧٢ ، صرحت رئيسة وزراء اسرائيل حول موضوع طائرات الفانتوم وتجهيزها بمعدات امنية من الولايات المتحدة « اننا لم نوافق على قبولها مقابل تنازلات سياسية » .
- ١٥ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، السنة ٢ ، عدد ٥ ، تاريخ ١٦/١/١٩٧٢ . وان نتائج زيارة نكسون لوسكو لم تقدم اي جديد بالنسبة للشرق الاوسط ولم يقدم الطرف الامريكى اي تنازل على حساب اسرائيل .
- ١٦ — العابد ، **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ص ١٦ ، مقابلة اذاعها راديو اسرائيل ونقلتها صحيفة دافار بتاريخ ١٨/٤/١٩٧١ .
- ١٧ — **المصدر السابق** ، ص ١٥ .
- ١٨ — David Ben Gorion, "Israel's Security and her International Position, before and after the Sinai Campaign." *Israel Government Year-Book, 1959/60, p. 22.*
- « ان العودة ليست مجرد تحرير اليهود من خطر الابادة المادية او الروحية في الشتات ولا مجرد الرسالة التاريخية الاسمى لدولة اسرائيل ، بل لها ايضا أهمية فائقة لضمان سلامتنا » .
- ١٩ — في فترة نمو العلاقات بين اسرائيل واثيوبيا لعب سفير اسرائيل حنان اينور سابقا رئيس قسم افريقيا في وزارة الخارجية ومؤلف كتاب *Notes on Africa* دورا بارزا ، ج. ه. جانسن ، **اسرائيل والدول الاثرو اسيوية** ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٩ .
- ٢٠ — تقرير خاص غير منشور ٥/٣/١٩٧٠ — يشكو العرب القاطنون في السنغال من السفارات العربية في داكار بسبب الروح البيروقراطية والاستعلائية التي يتصف بها اعضاء البعثات الدبلوماسية العربية .
- ٢١ — Mordechai E. Kreinin, *Israel and Africa, A Study in Technical Cooperation*, New York, Praeger, 1964, p. 4.
- ٢٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٤ .
- ٢٣ — تقرير خاص ، ٥/٣/١٩٧٠ في تنزانيا استطاعت اسرائيل ان تشوه سمعة العرب كثيرا من خلال الطعن بتاريخهم وتصويرهم كمستعمرين والاشارة الى انهم اوجدوا تجارة العبيد .
- ٢٤ — *Newsweek*, August 20, 1962.
- ٢٥ — دافار ٧/١١/١٩٧١ نقلا عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٦ تاريخ ١٦/١١/١٩٧١ .
- ٢٦ — *Jerusalem Post*, Sept. 1, 1971.
- ٢٧ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٣ تاريخ ١٠/١/١٩٧١ نقلا عن تقرير كته الياهو سلفطر مبعوث هارتس الى اديس ابابا في هارتس بتاريخ ١٥/٩/١٩٧١ .
- ٢٨ و ٢٩ — *Statistical Abstract of Israel, 1969, p. 208 years 1967, 1968.*
- وجامعة الدول العربية — المكتب الرئيسي لتاطعة اسرائيل ، دمشق ، **تقرير عن التجارة الخارجية الاسرائيلية** ، حزيران ١٩٧٢ ، ص ١٤ ، وذلك بالنسبة لارتعام ١٩٧٠ و ١٩٧١ .
- ٣٠ — *Jerusalem Post*, Oct. 31, 1971 — An Article by Diek Russel.
- ٣١ — **الاهرام** ١٥/٩/١٩٧١ .

- ٣٢ — نشرة م. د. ف. ، عدد ٤ ، تاريخ ١٦/٥/١٩٧١ ، نقل عن الجيروزالم بوست بتاريخ ٢٣/٣/١٩٧١ .
- ٣٣ — المصدر السابق ، نقل عن هارتس ، ٣٠/٤/١٩٧١ .
- ٣٤ — جامعة الدول العربية : المكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل ، دمشق . تقرير عن التجارة الخارجية الاسرائيلية عام ١٩٧١ ، حزيران ١٩٧٢ ، ص ١٤ .
- ٣٥ — نشرة م. د. ف. : ، بيروت ، عدد ٤ في ١٦/٥/١٩٧١ .
- ٣٦ — ورد هذا التبا في مقالة س. د. سولزبرغر في النيويورك تايمز بتاريخ ٢٠/٤/١٩٧١ وأدى الامر الى اشارة الموضوع في الكنيست الاسرائيلي في جلسته المنعقدة بين ١٦ — ١٩ ايار ١٩٧١ وحاول وزير الخارجية نفي الخبر .
- ٣٧ — محاضر الكنيست الاسرائيلي ، الجلسة السابعة ، ٥ — ٧ تموز ١٩٧١ . من قرارات لجنة الامن التابعة للكنيست حول تأييد حكومة اسرائيل لمنظمة الوحدة الافريقية : « ان اللجنة تؤيد خطوات الحكومة الهادفة الى ازالة سوء التفاهم الذي حدث بينها وبين حكومة افريقيا نتيجة التبرعات المذكورة » .
- ٣٨ — نشرة م. د. ف. ، عدد ٢ — ١٦/٤/١٩٧١ نقل عن معارف ٢١/٣/١٩٧١ .
- ٣٩ — نشرة م. د. ف. ، عدد ٢ — تاريخ ١٦/٤/١٩٧١ نقل عن الجيروزالم بوست .
- ٤٠ — هارتس ، ١٦/٩/١٩٧١ ، مقالة لمبعوث هارتس الى اريتريا أ. سلفطر .
- ٤١ — ج. ه. جانسن ، اسرائيل والدول الاخرى اسيوية ، مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠ ، ص ٢١ و ٢٢ .
- ٤٢ — وكالة الانباء العراقية — الانصات ١٩٧١/٩/٨ نقل عن اذاعة اسرائيل مساء ١٩٧١/٩/٨ تصريح ابا اياب .
- ٤٣ — *Middle East Record*, Volume Two, 1961, Tel Aviv University, The Reuven Shiloah Research Center, Jerusalem, Israel, p. 339.
- ٤٤ — Jacques Baulin, *The Arab Role in Africa*, Penguin African Library, London, 1962, p. 544.
- ٤٥ — *Jewish Observer and Middle East Review*, July, 11, 1969.
- ٤٦ — Jacques Baulin, *The Arab Role in Africa*, p. 49.
- ٤٧ — W. W. Rostow, *The United States in the World Arena*, New York, 1960 Appendix A.
- ٤٨ — الهدف — عدد ٢٢ — ٧ آذار ١٩٧٠ نقل عن دراسة نشرتها مجلة تريكوكتيننتال .
- ٤٩ — Arnold Rivkin, *Africa and the West*, New York, 1962, pp. 84-85.
- ٥٠ — Mordechai Kreinin, *Israel and Africa, A Study in Technical Cooperation*, New York, 1964.
- ٥١ — Lanfer, *Israel and the Developing Countries*, New York 1966.
- رياض القنطار ، التغافل الاسرائيلي في افريقيا وطرق مجابهته ، مركز الابحاث ، سلسلة دراسات فلسطينية ، عدد ٤٣ ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- د. عبد الملك عودة ، اسرائيل و افريقيا ، القارة ، ١٩٦٤ .
- ٥١ — *Jewish Observer & Middle East Review*, November 22, 1968.
- ٥٢ — نشرة م. د. ف. ، بيروت ، عدد ٤ ، تاريخ ١٦/٥/١٩٧١ ، نقل عن نفتالي هرتس احد مسؤولي العلاقات الدولية في المستدروت — الجيروزالم بوست بتاريخ ٢٦/٣/١٩٧١ .
- ٥٣ — نشرة م. د. ف. ، عدد ٤ تاريخ ١٦/٥/١٩٧١ ، نقل عن الوكالة الطغرافية اليهودية في ٧/٥/١٩٧١ .
- ٥٤ — *The Jerusalem Post - Week & Magazine*, Oct. 15, 1971.
- ومن احدث الكتب العبرية المتعلقة بافريقيا كتاب للمريون موشكات ، افريقيا : نضال من اجل التحرر والتنمية ، تل ابيب ، ١٩٧١ .
- ٥٥ — مجلة الهدف البيروتية ، عدد ٣٢ — ٧ آذار ١٩٧٠ ، اذاعة اسرائيل مساء ١٩٧١/٩/٨ صرح شمعون امير نائب المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية للشؤون الاقتصادية والتعاون الدولي بوجود نحو الف خبير اسرائيلي يعملون في الخارج في سبعين دولة نامية في العام الماضي .
- ٥٦ — يقدر عدد الاسرائيليين القيمين في اوغندا والذي طلب عيدي امين مغادرتهم البلاد حوالي ٧٠٠ فرد .

- ٥٧ - ج. ٥٠. جانشن ، إسرائيل والدول الأفرو - آسيوية ، مركز الابحاث ، سلسلة ابحاث فلسطينية ، رقم ١٤ ، بيروت ، ١٩٧٠ - ص ٤٠ .
- ٥٨ - الهدف البيروتية عدد ٣٢ تاريخ ٧ آذار ١٩٧٠ نقلًا عن بحث نشر في مجلة القارات الثلاث الكوبية .
- ٥٩ - M. E. Kreinin, *Israel and Africa*, p. 134.
- ٦٠ - يوسف شبل ، تجارة إسرائيل الخارجية ، مركز الابحاث ، سلسلة دراسات فلسطينية ، عدد ٦٠ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٦ .
- ٦١ - نشرة م. د. ف. ، بيروت ، عدد ١٣ في ١٠/١/١٩٧١ نقلًا عن « الاتحاد » الاسرائيلية في عددها ١٠/٩/١٩٧١ ، وذلك من تصريح لشمعون امير ، نائب المدير العام في وزارة الخارجية الاسرائيلية للشؤون الاقتصادية والتعاون الدولي ، كما ان الاذاعة الاسرائيلية بالعربية نقلت التصريح بتاريخ ٨/٩/١٩٧١ وذلك فيما يتعلق بنسبة صادرات اسرائيل عام ١٩٧٠ الى افريقيا واسيا وهذه النسبة تشمل كما جاء في التصريح الدول النامية ككل .
- ٦٢ - يحيى عروكي : العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل ، مركز الابحاث ، سلسلة دراسات فلسطينية عدد ٨١ ، بيروت ١٩٧١ ، جدول رقم ٢ ص ٦١ . وذلك لارقام السنوات ١٩٦٢ الى غاية ١٩٦٧ ، فؤاد حمدي بسيسو ، تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي ، منشورات دائرة الابحاث والدراسات ، البنك المركزي الاردني ، عمان ١٩٧١ ، ص ٥٨ ، جدول رقم ١٨ . وذلك لارقام عام ١٩٦٨ .
- Israel, Central Bureau of Statistics, *Monthly Foreign Trade Statistics*, January-Dec. 1970, Jerusalem, Feb. 1971, p. 30-32.
- وذلك بالنسبة لارقام عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، جامعة الدول العربية ، المكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل ، دمشق ، تقرير عن التجارة الخارجية الاسرائيلية عام ١٩٧١ . حزيران ١٩٧٢ ، ص ١٤ ، وذلك بالنسبة لارقام عام ١٩٧١ .
- ٦٣ - نشرة م. د. ف. ، بيروت ، عدد ١٣ بتاريخ ١٠/١/١٩٧١ .
- ٦٤ - *International Affairs*, Moscow, Feb. 1972, p. 63.
- نقلًا عن مجلة : Tricontinental, No. 15, 1969, p. 46.
- ٦٥ - فؤاد حمدي بسيسو ، تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي ، ص ٥٩ ، نقلًا عن بحوث غير منشورة للدكتور محمد صقر ، التجارة الخارجية لاسرائيل للفترة ١٩٤٩ - ١٩٦٨ ، عمان ، ١٩٧٠ ، ص ١٢١ .
- ٦٦ - نشرة م. د. ف. ، بيروت ، عدد ١٣ ، تاريخ ١٠/١/١٩٧١ ، نقلًا عن الجيروزاليم بوست ١٢/٨/١٩٧١ .
- ٦٧ - Arnold Rivkin, *Africa and the West*, New York 1962, p. 81.
- ٦٨ - Kreinin, p. 4.
- ٦٩ - الهدف ، ٧ آذار ١٩٧٠ .
- ٧٠ - Kreinin.
- ٧١ - Kreinin, p. 12.
- ٧٢ - المصدر نفسه ، ص ١٢ .

يوميات الحزن العادي !

محمود درويش

فصل آخر من كتاب تجربة محمود درويش
الاسرائيلية ، ينشر تباعا في « شؤون فلسطينية » .

[١]

- انحنى ، يا حبيبي ، ريثما تمر العاصفة .
— من شدة الانحناء صار ظهري قوسا ، فمتى تطلق سهمك ؟
[تمد يدك الى يدك ، فتجد حفنة طحين]

.....

- انحنى ، يا حبيبي ، ريثما تمر العاصفة .
— من شدة الانحناء صار ظهري قنطرة ، فمتى تعبر ؟
[تحاول أن تحرك رجلك ، فلا يتحرك الحديد]

.....

- انحنى ، يا حبيبي ، ريثما تمر العاصفة .
— من شدة الانحناء صار ظهري علامة استفهام ، فمتى تجيب ؟
[المحقق يدير اسطوانة عليها تصفيق كثير]

.....

حين شتتتهما العاصفة ، كان الحاضر يصرخ بالماضي : أنت النسب . وكان الماضي يحول
جريمته الى قانون . أما المستقبل فقد كان شاهدا محايدا .
و حين هدأت العاصفة ، كانت الانحناءة قد اكتملت ، وتحولت الى دائرة لا تعرف بدايتها
من نهايتها .

[٢]

- ضع فاصلة وراء كل تنهيدة ، وقل لنا : من أنت ؟
و حين أفاق من الغيبوبة كان دمه قد جف .
— أنا من الضفة الغربية .
— ولماذا عذوبك ؟
— وقع انفجار في تل ابيب ، فاعتقلوني .

— وماذا تفعل في تل أبيب ؟

— أعمل في البناء .

لم تكن حالة عمل العمال العرب من الضفة الغربية او قطاع غزة في المدن الاسرائيلية قد تحولت الى ظاهرة عامة . ولعل الرأي العام العربي ، بعد الهزيمة الاخيرة مباشرة ، كان يطالب العمال العرب بالمجاعة تعبيرا عن الصمود ورفض الاحتلال ، دون ان يفكر احد من المسؤولين بالاهتمام بمسألة تأمين سبل المعيشة للسكان الواقعين تحت الاحتلال من أجل ضمان استمرارهم في الصمود وعدم التعاون مع الغزاة .

— عندما تسكت المدافع ، من حقي ان أشعر بالجوع .

ماذا تقول لمن يطرح السؤال بهذا الشكل ؟ . ليس بوسعنا ان نطحن الاناشيد الحماسية والخطب الحماسية ونعجنها ونحولها الى خبز .

ان اخطر شيء هو أن يتحول الوطن ، تحت الاحتلال الاجنبي ، الى رغيف خبز . ولكن الشيء ايضا هو ان يدفع المواطنين الواقعون تحت الاحتلال الى المجاعة في حالة الصمت العسكري والسياسي السائدة .

— في حالة الحرب والمعارك لا نفكر كثيرا بمستوى المعيشة . أعلنوها معركة أو حربا وخذوا منا كل التضحيات . ولكن حين تسكت المدافع ، فمن حقنا ان نشعر بالجوع .
ولماذا تنسى او تتناسى ان اسرائيل بنيت بسواعد عربية .
يا للمفارقة . . ويا للعار !

[٣]

● يقدمون لك تفاحة حمراء ، ويسألون : هل ذقت التفاح السوري .

ما أجمل التفاح في السجون . هو الشيء الوحيد الذي يحول لون الرماد الى لون النار .
تقول لهم : ان التفاح السوري يملأ الاسواق الاسرائيلية . وان التفاح السوري يهزم التفاح الاسرائيلي . . اكبر ، وأجمل ، وأرخص . يشتريه اليهود بلا حرج ، على الرغم من احتجاج الكيبوتسات التي هبطت قيمة تفاحها ، لانه اكبر . . وأجمل . . وأرخص !
— وماذا جاء بكم هنا ايها الاصدقاء السوريون . كنا نعد العدة لاستقبالكم في بيوتنا لا في السجون .

— لقد ألقوا علينا القبض بتهمة التسلل من دمشق الى القنيطرة .

— كل عودة تسلل . هذا هو حظ العرب .

— . . وقالوا اننا جننا للتجسس .

— تجسس على المنازل والكروم ؟!

— شيء كهذا .

— وهل اتهموكم بأنكم تسرقون تفاحكم .

— لم يقدموا لائحة الاتهام بعد .

— كم قضيتكم في الاعتقال ؟

— أحد عشر شهرا وأسبوعا وثلاثة أيام .

ويسألونك فجأة :

أنت تعرفهم ، فهل تظن أنهم سيتهموننا بأننا سوريون ؟

— أستم كذلك ؟

— نعم . نحن سوريون .

— وهل هي تهمة ؟

— لا نعرف ...

[٤]

● من أين أخي ؟

— من غزة .

— ماذا فعلت ؟

— أقيت قنبلة على سيارة الغزاة ، فانفجرت بي .

— و

— ألقوا علي القبض ، واتهموني بالانتحار .

— اعترفت طبعاً ؟

— ليس تماماً . قلت لهم ان محاولة الانتحار لم تنجح . ولذلك حرروني من الرحمة

وحكموا علي بالسجن المؤبد .

— ولكنك كنت تنوي القتل لا الانتحار ؟

— يبدو أنك لا تعرف غزة . المسافة هناك شيء وهمي .

— لا أفهمك جيداً .

— يبدو أنك لا تعرف غزة ، فمن أين أخي ؟

— من حيفا .

— ماذا فعلت ؟

— أقيت قسيده على سيارة الغزاة ، فانفجرت بهم .

— و

— ألقوا علي القبض ، واتهموني بالقتل الجماعي .

— اعترفت طبعاً ؟

— ليس تماماً . قلت لهم بأن محاولة القتل نجحت . ولذلك اعطوني الرحمة ، فاستجابوا

إلى طلبي ، وحكموا علي بالسجن لمدة شهرين .

— لا أفهمك جيداً .

— يبدو أنك لا تعرف حيفا . فالمسافة هناك شيء وهمي .

— جاء الحارس . وضعه في زنزانه . وأطلق سراحي ! ..

[٥]

● اذهبي . . وتعالى ، ريثما أصحو من اللذة .

— وابتعدي عني قليلاً ، لكي ينفصل اللحم عن عظامي .

— وأنا علمتك التدخين . وأنت علمتني مرافقة الدخان .

— اذهبي . . وتعالى !

— وماذا قلت لها أيضاً ؟

لم أحدثها عن الحب . كان كلامي غامضا ولا افهمه إلا حين تمام . وكأنت تغني كثيرا ،
ولا أفهم غنائها إلا في الحلم . وهي جميلة .. جميلة . يوم رأيتهما سقط الغيم على
دماغي ، فحطفتها الى البيت ، وقلت لها : اعتبري ذلك حبا .

تضحك .. تضحك في أحلك الساعات .

وكنت أناديها باسم مستعار لان ذلك أجمل . أقبليها ، وبين القبلة والقبلة أشتهيها وأشعر
أنها ستضيع مني لو توقفت عن القبل .

بين الرمل والماء ، قالت : أحبك

وبين الشهوة والعذاب ، قلت : أحبك

وحين سألتها الضابط عما تفعله هنا أجابت : من أنت ؟ فأجابها : ومن أنت ؟

قالت : أنا حبيبته ، وجئت أودعه حتى باب السجن أيها المجرم . ماذا تريدون منه ؟

قال : اعلمي أنني ضابط .

قالت : وأنا سأصبح ضابطة في العام القادم أيها المجرم .

.. وأبرزت شهادة الاستدعاء الى الخدمة العسكرية . فحياها الضابط بابتسامة ،
وسحبني من ذراعي الى زرنانتي .

وفي العام القادم كانت الحرب . وعدت الى الزنزانة من جديد . وفكرت بها : ماذا تفعل
الآن ؟ كانت في مدينة نابلس أو في مدينة أخرى واحدة من الفاتحين .. تحمل بندقية
خفيفة . ولعلها تلك اللحظة كانت تأمر الرجال برفع أيديهم أو بالركوع على الأرض .
أو لعلها كانت تشرف على استجواب أو تعذيب فتاة عربية في مثل سنها .. وفي مثل
جمالها السابق .

لم تقل وداعا

ولم تقل لها : اذهبي وتعالني .

لقد علمتها التدخين ، وعلمتك مرافقة الدخان .

[٦]

● نكتب مسرحية مشتركة ؟

— نكتب .

— نبحث عن نقطة التقاء ؟

— نبحث

— نطرح القضية بكل حدتها ؟

— نطرح

— ليكن بيت متنازع عليه هو عقدة المسرحية .

— ليكن .

— نلتقي بعد شهر ؟

— نلتقي .

في تلك اللحظة ، كانت خديجة تودع ابنها في المخيم ، وتسلمه مفتاح البيت الذي اشتهر
في حيفا باسم « البيت الاحمر » .

وفي تلك اللحظة ، كانت ساره ، المقيمة في « البيت الاحمر » ، تودع ابنها الذي لبي
اشارة في الراديو تأمره بالالتحاق بوحدته العسكرية .

التقى الشابان القادمان من اتجاهين متعاكسين في نقطة ما من الغابة ، واشتبكا . وليس
مهما أن نعرف أيهما قتل الآخر .

— هل أكملت الفصل ؟

— أكملت .

« في المهجر ، لم يعلمني ابي الانتحار او اليأس ، ولم يعلمني التخلي عن يهوديتي . لقد
رباني على أنني خلقت لآكون مطاردا ، ومع ذلك فقد علمني الحياة » .

— وأنت ماذا كتبت ؟

— « في المهجر ، لم يعلمني ابي الانتحار او اليأس ، ولم يعلمني التخلي عن فلسطينيتي .
لقد رباني على أنني خلقت لآكون مطاردا ، ومع ذلك ، فقد علمني الحياة » .
— هذه نقطة التقاء هامة .

— والبيت الذي يستقطب مصرينا ، هل هو نقطة لقاء أم نقطة وداع ؟

— انه نقطة صراع .

— كيف تحله المسرحية ؟

— لننقل : ان الحق لا ينبع من الارث ، بل من الحاجة والجدارة . وعلى أساس ذلك ، لا
يكون الرجل الذي بنى هذا البيت منذ خمسين سنة صاحب الحق فيه الان ، لان رحيله
عنه — تحت أي ظرف من الظروف — هو بمثابة تخل عن حق لا يحتاجه . أما المالك
الحالي ، فقد بذل جهدا في السيطرة على هذا البيت الذي لا يملك سواه .
— وأين العدل في المسرحية ؟

— العدل .. العدل . لنبحث عن العدل معا في اللحظة الراهنة . لنجعل حالة تأنيب
الضمير مناخا سائدا في البيت ريثما يفعل الزمن مفعوله . ليكن التعبير عن الشعور
بالاثم لدى اليهودي تعويضا عن ضياع البيت بالنسبة للعربي .

— نلتقي بعد شهر لاضع صيغة أخرى لعدل أكثر عدالة ؟

— نلتقي .

وفي تلك اللحظة ، كانت بيوت أخرى في مدن أخرى ، تستبدل سكانها . وكانت مفاتيح
جديدة تتكدس فوق المفاتيح القديمة في المهاجر العربية التي تضيق مساحتها حربا بعد
حرب . وفي الليل ، يحمل شبان مفاتيحهم ولا يعودون ! .

[٧]

● لماذا هذه الغطرسة ؟ لقد ورثت ديني وقوميتي ، ولم أواجه لحظة اختيار واحدة .
والآن أسألكم : من اختار منكم أن يكون يهوديا .. من ؟ ..

— هذا هو الفرق بيني وبينك : أنا لست يهوديا فحسب ، ولكنني اخترت أن أكون
يهوديا .

— كيف ؟

— تلك مسألة غير قابلة للشرح . اليهودية لا يفهمها الا اليهودي . وهذا هو مصدر
اعتزازي الذي تسميه غطرسة .

— انني أفهم أن تقول انك اخترت أن تكون صهيونيا .. أن تكون اسرائيليا . فهل تعني
ذلك ؟

— لا أعني ذلك تماما . أعني أنني اخترت يهوديتي والتزمت بها .
— وكيف يتجلى هذا الالتزام ؟

— بالوطن التاريخي

— وما هو هذا الوطن التاريخي ، هل هو غامض كأنتمائك . هل اخترته أم ورثته ؟
— غامض وواضح معا . اخترته وورثته معا .

كان المتحدث كاتباً . وكان يتمرد على الفواصل التي يضعها البعض بين اليهودية والصهيونية والإسرائيلية . ويعتقد أن اليهودية لا تتجلى إلا بالصهيونية ، والصهيونية لا تتركس إلا بالإسرائيلية . ومن هنا ، يكون التخلي عن الصهيونية تخلياً عن اليهودية .

وحين تسأله عن التحديد العملي لمصطلح الوطن التاريخي ، يذكر بالحوار الشهير الذي دار بين بن غوريون ومفكر عربي سنة ١٩٣٦ ، أيام كانت فلسطين حلماً صهيونياً . سئل بن غوريون عن ذلك الوطن التاريخي فأجاب أنه المنطقة المفتوحة للاستيطان اليهودي .
— وما هي تلك المنطقة ؟

— أرض إسرائيل .

— وما هي حدودها ؟

— حدود أرض إسرائيل معروفة في التاريخ .

— ولكن الحدود أمر مصطنع . تكون اليوم هنا ، وتكون غداً هناك .

— أرض إسرائيل هي تلك الأرض الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط غرباً ، والصحراء شرقاً ، بين سيناء جنوباً ، ومنابع الأردن شمالاً .

— أنك تضم عبر الأردن أيضاً

— بالطبع ، فالأردن ليس حداً لأرض إسرائيل . أنه نهر في أرض إسرائيل .

— أنها أرض عربية ولنا حق السيادة الكاملة عليها .

— كنا قبلكم في أرض إسرائيل . ونحن نعود إلى بلادنا .

وكان حاييم وايزمن يقول : « أنني أعرف أن الله وعد بني إسرائيل بأرض إسرائيل ، ولكنني لا أعرف الحدود التي عينها الرب » .

في ذلك الوقت ، كانت ملايين العرب تضحك ساخرة من أحلام وايزمن وبن غوريون . وحين تنظر اليوم إلى الحدود السرية « التي عينها الرب » والتي تجاوزت فلسطين إلى ما هو أبعد ترى أن « الواقع الإسرائيلي » أوسع من « الحلم الصهيوني » ومن التاريخ اليهودي ، وتذكر ذلك الكاتب الذي قال لك : « هذا هو الفرق بيننا وبينكم . أنا لست يهودياً محسباً ، ولكنني اخترت يهوديتي » .

فهل تضحك مرة أخرى ، كما ضحك العرب قبل خمسين سنة ، أم تورث أحلامك إلى الأطفال الذين يولدون على حراب الاحتلال ! .

[٨]

● تريد أن تستمتع بالشارع ؟

« — يا حبيبي ، في عيد ميلادي ، أرجو أن تكون هديتك لي دباباً ، أو مدفعاً ، أو أي سلاح من صنع روسي .

— سأهديك دباباً ننام فيها معاً يا عزيزتي . لنجرب وضعاً آخر .

— لا . سأنام معك في الهواء الطلق ، على ضفة قناة السويس .

— ها .. ها .. ها

— ها .. ها .. ها

تمشي في الشارع . تجلس في مقهى . تسافر في أوتوبيس ، وتسكت . لست مدعوا للإعلان عن هويتك . أن صمتك يقول كل شيء . هو الموقف الوحيد الذي يتاح لك أن تتخذه حين تستمع الى هذا الغزل الإسرائيلي . انتهى عصر الكلمات العذبة . سأهديك غزالا وقمرًا . لا . ما أبعد الفارق بين الخيال السابح في الصحراء والخيال المصنوع من التكنولوجيا والنصر . كلمات الحب الآن منسجمة مع آخر أحداث الساعة وأحدث مبتكرات السلاح . واللذة لا تتناغم مع أشياء الطبيعة .

هكذا أصبح العربي في إسرائيل متخلفا حتى في ممارسة الحب . لقد احتاج الى وقت طويل لكي يعرف كيف يخاطب صديقتة بالورد . فكم من العصور يحتاجها هذا المخلوق لكي يتدرب على هذا الغزل : يا عزيزتي .. سأهديك دبابة .

وبماذا تفكر ؟ كيف ينامون في الدبابات ! وكيف ينجبون أطفالا في الدبابات ! وكيف يتنزهون في الدبابات ! على رسلك .. هذا هو البيت الإسرائيلي المؤمن . هذا هو عش الحب . وهذا هو المستقبل !

[٩]

● وفي عيد رأس السنة ، ماذا تفعل ؟

تنزل الى الشارع لتبحث عن بطاقة جميلة ترسلها الى صديق . فماذا تجد ؟ لا صورة لوردة واحدة ، ولا رسما لشاطئ أو عصفور أو امرأة . لقد اختفت كلها لتعطي المكان للدبابة والمدفع والطائرة وحائط المبكى والمدن المحتلة ومياه قناة السويس المنقولة الى هذه البطاقات . وحين تلمح غصن زيتون تجده مرسوما على جناح طائرة مقاتلة من صنع فرنسي .

وحين ترى غتاة جميلة تجدها مدججة بالسلاح . وحين تقع عينك على مدينة تجد خلفيتها حذاء جندي ، فيقع قلبك على الأرض . ولا يبقى لك الا أن تنكش في زاوية الشارع المزدهم ، لتفسيح المجال أمام الآف الأيدي الممتدة نحو بطاقات العيد الملونة . ترسلها الى يهود العالم تعبيرا عن فرحة البعث التاريخي ، وعودة الاسطورة . وأنت لا تبعث الى أصدقائك الا صمت القلب الذي لا يصل .

ويفاجئك الكرنفال في الشارع . ينقض عليك الضوء كما كان ينقض عليك وأنت خارج من زنزانة مظلمة . وأسراب من الاطفال — الحمايم مدججة بالسلاح . اللعبة سلاح . والمتعة سلاح .

وأنت ؟ ليس في طفولتك وشبابك غير حصان خشبي ..

[١٠]

● تريد أن تنام ؟

في الساعة الرابعة صباحا ، يوقظك جرس الباب . تعرف الزائر . ولكن النعاس أقوى من الشرطة . وفي التاسعة صباحا تذهب الى مكتبك لتعمل . تستمتع بنصف فنجان القهوة قبل قراءة الأخبار . يأتيك الزائر المعتاد ويقول : تعال معي ! . تسأله : اعتقال . أم تحقيق ؟ . يقول : لا اعرف . تسأله أن تأخذ فرشاة أسنانك وأدوات الحلاقة وملابس داخلية ، فيرد عليك : لا وقت !

تجلس أمام الضابط .

يقول لك بأدب ، من تحت صورة هرتسل : يشرفني أن أعتلك .
تجامله : ويشرفني أن أمنحك هذا الشرف . ولكن ، هل تفضل وتقول لي ما هي تهمتي ؟
يقول لك : أنت منهم بتنجير بطيخة عند مدخل السيرك ، وبالمس بأمن الدولة .
البطيخة ، والدولة ، والسيرك — انسجام نادر .

تنتهي مدة التوقيف القانونية . كل شيء هناك ثانوي . تتوقع ان يأخذوك الى المحكمة ،
فتسمنع برؤية مدينتك المفتونة بنفسها ، من خلال قضبان سيارة البوليس . او تتطرف
بالأمل ، كعادتك ، وتتوقع ان يطلقوا سراحك .
— انتظر قليلا .

تحتج على حافة القانون فيقولون لك : لن نحتفظ بك ساعة واحدة بعد انتهاء مدة
التوقيف .. ماذا تظن ؟ هنا قانون . هنا اسرائيل ، وليس العالم العربي .
تفكر بالعالم العربي ، فتختلط الغصة بالحلم .. وتنتظر . ماذا تنتظر .. ضابط التحقيق
أم العالم العربي ؟!

ثم يدخلونك الى غرفة أخرى . تجد ضباطا وامرأة عجوز . يسألك أحد الضباط ان كنت
تتقن اللغة العبرية ، ثم يتلو لائحة الاتهام : أنت متهم بالعمل على تدمير دولة اسرائيل .
تسأل : تقصد الدولة أم البطيخة ؟ . تقول لك المرأة القبيحة : احترم المحكمة . تعلن
دهشتك : أية محكمة ؟ فيأتيك صوت قادم من مستنقع : هذه محكمة ، وأنا قاضية .
عندها ، تفهم أنهم احترموك ونقلوا المحكمة الى السجن من أجلك . ولكنك ترفض
تكريمهم : كلا يا سيدتي . لا هذا المكان محكمة ، ولا أنت قاضية . هذا سجن . وأنت
سجانة .
تنتهي الجلسة بتجديد مدة التوقيف .

[١١]

● تعود الى البيت بسيارة أجرة ؟

تتكلم مع السائق بلغة عبرية سليمة ، وشكلك لا يعلن هويتك . يسألك السائق : الى
أين يا سيدي ؟ تقول : الى شارع النبي .

تشعل سيجارة لك وسيجارة للسائق لانه مهذب . يقول فجأة : قل لي ، الى متى هذا
القرف .. لقد سئنا .

تظن انه سئم حالة الحرب وارتفاع الضرائب وسعر الحليب . فتقول : الحق معك ..
لقد سئنا . يتابع : الى متى تحافظ دولتنا على هذه الاسماء العربية القذرة ! . يجب ان
نحوهم ونمحو أسماءهم من الوجود . تسأله : من هم ؟ يقول باستنكار : العرب طبعا .
تسأله عن السبب ، فيقول : لانهم قذرون .

تعرف من لهجته انه مهاجر من مراكش . تسأله : هل أنا قذر الى هذا الحد ؟ وهل أنت
أكثر نظافة مني مثلا ؟ يندهش لسؤالك : ماذا تقصد ؟ . تسأله أن يكون ذكيا ، فيدرك
ولكنه لا يصدق : أرجوك .. كف عن المزاح !

عندما يرى بطاقتك يصدق أنك عربي . يقول : لا أقصد المسيحيين — أقصد المسلمين .
تقول له أنك مسلم ، فيقول : لا أقصد كل المسلمين .. أقصد القرويين . تقول له أنك
من قرية متخلفة هدمتها دولته كما يشاء ومحتها من الوجود كما يشاء . يقول : كل
الاحترام للدولة ! .

تنزل من السيارة ، وتقرر العودة الى البيت مشيا . تصييك نوبة قراءة أسماء الشوارع . فعلا ، محوا أسماءها . صار صلاح الدين ثلومو . وتتساءل : لماذا حافظوا على اسم المتنبى !

وعندما تصل الى شارع المتنبى تقرا الاسم ، لأول مرة ، باللغة العبرية ، فتجد أنه « المونت نفي » وليس المتنبى كما كنت تتصور !

[١٢]

● تريد أن تسافر الى القدس ؟

ترفع سماعة التيلفون ، وتطلب ضابط المهمات الخاصة في دائرة الشرطة . تعرفه جيدا فتسأله عن أحواله وتمازحه . ثم ترجوه ان يعطيك تصريحاً للسفر ليوم واحد بدون نوم . يقول لك : قدم طلبا خطيا . تترك عملك وتقدم الطلب الخطي على ورق صقيل . . وتنتظر الجواب ، يوما . . يومين . . ثلاثة أيام . ثمة أمل لانهم لم يقولوا « لا » كالعادة . ولكنك تنتظر ، وميعادك في القدس يقترب . تسألهم . . ترجوهم . . تتوسل اليهم ان يقولوا اي شيء . ان يقولوا « لا » لتصبح في حل من الميعاد . لا يقولون . تخبرهم ان أمامك ساعات معدودة ، يقولون : تعال الينا بعد ساعة لتتسلم الجواب .

تذهب ، فتجد المكتب مغلقا . تتساءل ببراءة : لماذا يخلجون مني ؟ لماذا لم يقولوا « لا » كعادتهم دائما . تغضب وتقرر - بغباء - ان تنتقم من « أمن الدولة » . . وتسافر .

في اليوم التالي يستدعونك للمثول أمام محكمة عسكرية عاجلة . تنتظر دورك وتسمع حكايات : امرأة عربية تعمل في كيبوتس . ينص التصريح على منعها من النزول في أية محطة على الطريق . لسبب ما اضطرت للنزول ، فاعتقلوها . وشباب انحرفوا عن الشارع الرئيسي فاعتقلوهم . والمحكمة لا تبريء أحدا . سجن وغرامات . وتذكر حكاية الشيخ والحمار والتصريح : كان الشيخ يحرث في الحقل . علق عباءته على شجرة . والتصريح في جيب العباءة . اكتشف ان حماره قد ابتعد عن أرضه ودخل أرضا أخرى . خف للحاق بالحمار ، فاعترضته الشرطة العسكرية واعتقلته ، لانه دخل أرض الدولة بلا تصريح . قال لهم : معي تصريح . . في جيب العباءة المعلقة على الشجرة هناك . اعتقلوه وحاكموه .

وتذكر تصاريح الموت ، حيث كان الفلاحون يوقعون على نص يحملهم المسؤولية عن موتهم لو انفجرت الغام في منطقة كان الجيش يستخدمها للمناورات . هذا النص يعني الدولة من تحمل المسؤولية . ولكن الفلاحين كانوا يفكرون بلقمة العيش ولا يفكرون بالموت . وفعلا ، مات منهم من مات وعاش منهم من عاش . ويئست الدولة من الاحياء والاموات فصادرت الارض .

وتذكر أيضا الطفلة التي ماتت في حضن والدها أمام مكتب الحاكم العسكري ، حيث كان الاب ينتظر تصريحاً للسفر من قريته الى المدينة لمعالجة طفله المريضة .

وتشعر بالسعادة لانهم حكموا عليك بالسجن لمدة شهرين فقط . وفي السجن ، تغني للوطن . . وتكتب رسائل الى حبيبتيك ، وتقرأ مقالات عن الديموقراطية . وتقرأ رواية « الحرية او الموت » ، فلا تحرر نفسك . . ولا تموت .

[١٣]

● تريد أن تسافر الى اليونان ؟

تطلب جواز سفر ، فتكتشف انك لست مواطنا ، لان أباك او أحد أقاربك قد هرب بك اثناء

حرب فلسطين ، وقد كنت طفلا . وتكتشف ان أي عربي ترك بلاده في تلك الفترة ، وعاد اليها متسللا ، قد فقد حقه في الجنسية .

تأس من جواز سفر ، وتطلب جواز مرور . تكتشف أنك لست مقيما في اسرائيل ، لانك لا تحمل شهادة اقامة . تحسب الامر نكتة فتسرع لترويها لصديقك المحامي : « لا أنا مواطن هنا — ولا أنا مقيم . اذن ، أين أنا ومن أنا » . تفاجأ بأن القانون معهم ، وبأنه يترتب عليك أن تبرهن وجودك . تقول لوزارة الداخلية : أنا موجود أم غائب ؟ أعطوني خبرا في الفلسفة لاثبت له أنني موجود .

ثم تدرك أنك موجود فلسفيا ، وغائب قانونيا .

تفكر بالقانون . ما أشد براعتنا حين نظن ان القانون وعاء للعدل والحق . القانون هنا وعاء لرغبة الحاكم ، أو بدلة يفصلها على قياسه . وأنا موجود في هذه البلاد قبل وجود الدولة التي تنفي وجودي . وترى مرة أخرى ان الحق أمنية تقترب من الوهم اذا ابتعد عن مسند القوة ، وان القوة تحول الوهم الى واقع . وتبتسم للقانون الذي يمنح كل يهودي في العالم حق الجنسية الاسرائيلية .

ونسعى من جديد . أمرك لله وللقانون . تحصل على شهادة تثبت أنك موجود ، وتحصل على جواز مرور . ولكن من أين تمر ؟ أنت مقيم في حيفا ، والمطار قرب تل أبيب . وتسال الشرطة تصريحاً للسفر من حيفا الى المطار فترفض . يتدخل المحامي وأعضاء برلمان ، ولكن الشرطة ترفض . ثم تظن أنك أكثر خبثاً منهم ودهاء ، فتغير طريق مرورك ، وتقرر السفر عن طريق ميناء حيفا على اعتبار أنك تملك حق الوصول الى الميناء . تبتهج لذلك . تشتري تذكرة ، وتعبر قسم مراقبة الجوازات والصحة والجمارك ولا يعترضك أحد . وقرب السفينة يلتقون القبض عليك ، ويقدمونك الى المحكمة . وما زلت مصراً على ان القانون معك هذه المرة .

وتكتشف في المحكمة ان ميناء حيفا جزء من دولة اسرائيل وليس جزءاً من مدينة حيفا ، ويذكرونك بأنك محظور من الوجود في أية منطقة من دولة اسرائيل خارج حيفا . والميناء — في القانون — خارج حيفا . وتدان

تقول لهم : أريد ان ادلي باعتراف خطير ما دمت قد فهمت القانون : يا سادة ! أنا استحم في البحر كل يوم ، والبحر تابع لدولة اسرائيل وليس تابعا لمدينة حيفا ، وأنا لا احمل تصريحاً لدخول البحر .

وعندي اعتراف آخر : أنا استمتع بالطقس في مدينة حيفا . والطقس تابع لدولة اسرائيل وليس تابعا لحيفا . وأنا لا احمل تصريحاً لدخول الطقس . والسماء التي اراها فوق حيفا ليست تابعة لحيفا . وأنا لا احمل تصريحاً للجلوس تحت السماء .

ثم تطلب منهم تصريحاً للاقامة في الريح ، فيبتسمون !

[١٤]

● تحتفل بعيد ميلادك ؟

آه من الاحتفالات . يهجم عليك التاريخ بشراسة . هزيمة تلو هزيمة تلو هزيمة ، والعرب يحتفلون بكل أيامهم . وتتساءل : أيامنا تمحو أيامنا من غرط المناسبات والاعياد . لم يبق في الروزنامة يوم واحد للنصر . كل الايام محجوزة للانقلابات والانقلابات المضادة ، وكلها اعياد مقررّة . عندها تجد سبباً لاستمرار هزيمتك : حين يخلو أحد مقاعد السنة من يوم واحد . . . سننتصر .

والليلة عيد ميلادك — الثالث عشر من أيار — وأنت تريد مناسبة لانتزاع المرح الكاذب من جهة الأيام الصادقة . تدعو أصدقاءك . . تتأمرون على الكآبة بالكأس والموسيقى والنكات الجارحة . يرتفع صوت الموسيقى وترقصون . تصل ضحكات الفتيات الى نوافذ الجيران . وفي منتصف الليل يأتي البوليس . يتحقق من هويات الحاضرين ويهددك بالاعتقال : كونوا مهذبين . كفى بربرية ! تسأل عن السبب فيقول لك ان الجيران قد استدعوه ليحافظ على هدوء البناية من مرحنا . تقول له : عيد ميلاد . يقول : لا يعنيني .

ويا أيها الجيران الطيبون ! لماذا لم تنبهوني الى أن فرحي يؤلمكم ؟ لماذا تنهمر موسيقاكم المأخوذة من لحمي على نوافذي كل ليلة ، ولا أحتج . متى تخرجون من حطفي أيها الجيران ، متى ؟ .

وحين تأوي الى الفراش لتنام ، تقتنع بأن الجيران كانوا على حق . في الصباح تعتذر لهم قائلاً : لا يحق لي أن أحتفل ما دمت جاركم . سامحوني أيها الجيران ، فقد تبت عن الاحتفال .

[١٥]

● تريد أن تستأجر شقة ؟

تقرأ ابواب الاعلانات في الجرائد . وتقفز الى التليفون : سيدتي . . قرأت اعلاناً عن شقتك ، هل لي أن أراها ؟

تصل اليك ضحكتها وسعادتها فتمتلئ بالامل : الشقة ممتازة يا سيدي ، على الكرمل . تعال واحجزها فوراً .

تنسى أن تدفع ثمن المكالمة التليفونية ، وتسرع اليها . تعجب بك السيدة ، وتتفق معها على شروط الدفع وميعاد تسلم المفتاح . وحين تجلس لتوقع على العقد تنزل الساعة على رأس السيدة : ماذا عربي ؟ . عفوا يا سيد . . اتصل غدا !

تتكرر القصة عدة أسابيع . وفي كل مرة تعود خائبا تقرأ شرفات المنازل ، تقرأ تساريخ المنازل ، وتسال عن اصحابها الغائبين في رياح الهجرة والمنافي . كم من بيت بناه صاحبه ولم يسكنه . ان اصحاب هذه المنازل ما زالوا يحتفظون بمفاتيحها في جيوبهم وقلوبهم في انتظار العودة . العودة الى أين ؟ لو عاد احدهم الى منزله فهل يسمح له باستعمال مفتاحه ؟ او هل يوسعه ان يستأجر غرفة واحدة في بيته . ويقولون لك : « ان الصهيونية لم ترتكب اثماً . كل ما في الامر انها احضرت شعبا بلا وطن الى وطن بلا شعب » . وتسالهم عن بنى هذه البيوت . أية شياطين بنتها للاساطير ! . عندها ينصرفون عنك وينجبون مزيداً من الاطفال في بيوت مسروقة .

[١٦]

● تريد أن تزور أمك في العيد ؟

من شهور طويلة لم تزر أمك وأباك واخوتك في قرية لا تبعد عنك اكثر من ساعة . تجتهد في اختيار الكلمات التي تتضمنها رسالتك الى البوليس هذه المرة . تكتب : « أتمنى أن تأخذوا بعين الاعتبار المشاعر الانسانية الخالصة التي آمل ألا تروا فيها ، هذه المرة ، تصادماً مع حرصكم الشديد على صيانة متطلبات أمن الدولة ومقتضيات الدفاع عن سلامة الجمهور . وأرجو ، بموافقتكم المنشودة على اصدار تصريح لزيارة أهلي في

العيد ، أن تبرهنوا على أن أمن الدولة ليس نقيضا للحد الأدنى من فهم مشاعر الناس .
 يغادر أصدقاؤك المدينة ، وتبقى وحدك . تشرب القهوة وحدك وتحزن وحدك . كل
 العائلات يلتئم شملها غدا ، وليس من حقك أن تقتحم بيت أحد . وتبقى وحدك .
 الحل في البحر . في الصباح الباكر تذهب الى الشاطئ وحدك وتطفئ نارك في الماء
 الأزرق . تأخذك الموجة ولا تعيدك . عليك أن تعود وحدك . تتمدد على الرمل الساخن
 في الشمس والهواء والوحدة . لماذا تبتذر الشمس نفسها الى هذا الحد . ولماذا ينكسر
 الموج ؟ . الشمس كثيرة والرمال كثيرة والماء كثير . ويتكلمون حولك بلغة تفهمها فتشدد
 حزنا ووحدة واغترابا . تتنابك رغبة في وصف البحر لصديقتك ، ولكنك وحدك .
 بمناسبة . . وبدون مناسبة يشتمون شعبك ويستمتعون بأثار شعبك . وحتى وهم
 يسبحون وهم يمزحون وهم يتبادلون القبل يشتمون شعبك . اليس بوسع البحر أن
 يمنحهم لحظة صفاء وحب ، فينسونك قليلا ؟ . كيف يملك المرء القدرة على الكراهية وهو
 متمدد على رمال الشاطئ ! كيف ! تذهب طافحا بالملح والحنين والشمس الى مقهى
 الشاطئ . تشرب البيرة وتصفر لحنا حزينا فتنهال عليك النظرات . تشغل نفسك
 باشغال سيجارة لا طعم لها ، ثم تشتري ذرة صفراء وتأكل وحدك . تتمنى لو تقضي
 اليوم كله على الشاطئ لتنسى ان اليوم عيد وان اهلك ينتظرونك . ولكن ، حان موعدك
 اليومي في محطة الشرطة فتذكر كل شيء . وتشتمل زرقة البحر والسماء في ومضة
 مفاجئة لها لون الظهيرة في عينيك . وتسير ..

عند مدخل دائرة الشرطة ينتظرك اخوك الصغير ، ويقول لك : اسرع . اثبت وجودك
 بسرعة . أمك تنتظرك في غرفتك . تنسى قلمك وروايتك وتعود لاهثا . رفضت أمك أن
 تأكل طعام العيد بدونك ، فجاءت واحضرت لك كل شيء . . حتى الخبز والاطباق
 والقهوة احضرتها معها من القرية . . حتى زيت الزيتون والملح والتوابل .

تودعك أمك في المساء . تقبلها وتغلق الباب خلفها . لا تستطيع مرافقتها حتى الشارع
 لان الشمس قد غربت . ودولة اسرائيل لا تسمح لك بمغادرة المنزل بعد غروب الشمس
 حتى لو كان السبب وداع امك . تجد نفسك وحيدا في العيد من جديد . تجلس على
 كرسي قديم ، تستمع الى كونسرتو رقم 1 لنتشايكوفسكي ، فتبكي فجأة كما لم تبك طفلا .
 من سنين طويلة تحمل هذا البكاء الذي ينهمر الان . يا امي ! ما زلت طفلا . اريد ان
 أحمل احزاني وأركض بها نحوك كي اصبها في حضنك . اريد ان اقطع المسافات لابكي في
 حضنك .

فجأة تناديك الجارة لتقول لك ان امك ما زالت مسمرة خلف الباب . تخرج اليها ،
 وتحقق امينتك في البكاء بين يديها !

[١٧]

❁ أحيانا ، يلقون عليك القبض وانت ترتكب الحلم .

ولو فكرت مليا ، لما وجدت تهمة أخرى . فهذه الكتابة وهذه الخطابة ليست الا مظهرا من
 مظاهر تجلي الحلم في لغة . ما الفرق ، اذن ، في نظر القانون بين الحلم الصامت والحلم
 انصاخب .

— كنت تنوي ان تقول كلاما آخر .

— كنت تنوي ان تفعل شيئا آخر .

ويدهشك ايضا انك مستعد دائما للاجابة عن تهمة لا تعرفها . واذا لم يتهمك احد بادرت الى اتهام نفسك .

— ماذا فعلت من اجل اي شيء ؟

— ماذا بوسعك ان تفعل من اجل اي شيء ؟ .

تصعد ، يوم السبت ، الى الجبل ولا تدرك الفجر ابدا . تدهشك العلاقة النادرة بين الشمس والسجون . هذه الشمس — متى رأيت ولادتها لأول مرة ! لا تكذب ولا تقل انك بحثت عنها في نزهة أو معركة . أيقظوك في ساعة مبكرة ووضعوا زنديك في حديد جديد، وأخرجوك الى ساحة السجن . وهناك شاهدت ولادة الشمس لأول مرة . لا تكذب ولا تقل انها لم تكن جميلة ، وانك لم تشعر بالحياء .

تصعد ، يوم السبت ، الى الجبل . لا ليس هذا جبلا ، فالكرمل مؤذنة الله . تطل منها اشجار تغطي مداخل مضادة للطائرات والجمال . لو وقف هنا مؤذن وهمس : حي على انصلاة ، لامتلات مساجد دمشق بالمصلين . ويمر عنك العشاق والجنود « هل كان النبى ، والقرية ، والحياة التي نخلقها هنا . هل كانت عزيزة وحقيقية وعادلة الى هذا الحد قبل الآن » — هكذا يقولون بعد الحرب والانتصار . وهكذا تقول أنت أيضا بعد انحراب والهزيمة . ويقولون : « مع كل خطوة على هذه الطبيعة تتراجع الظلال وتحتك الخضرة والامل » . وهكذا تقول : « مع كل خطوة على هذه الطبيعة يسقط قلبي وتحتلني الخضرة والامل والغزاة » .

ويلقون عليك القبض وانت ترتكب الحلم .

— ماذا كنت ستفعل لو انتصرت في الحرب .

تجيبهم : اصعد الى الجبل . اختار اية صنوبرة . اجلس . امد قدمي في البحر الابيض المتوسط . اضع يدي على شعر السماء . واتابع الحلم كما افعل الان تماما .

— ما هكذا يفعل المنتصرون .

— لم انتصر مرة واحدة في حياتي لاعرف كيف يسلك المنتصرون .

وتشعر انك لم تعد مواطنا . تاريخك احلام تتمزق كأوراق الجرائد . وكل حلم فجعية . ماذا تنفك اليرموك والقادسية والمعارك السابقة ؟ . ولماذا أنت لماذا أنت ! جميل هو الكرمل . . وقريبة هي السماء ، والنصر بعيد . وماذا فعلت من اجل اي شيء ؟ لا شيء . نجد نفسك خارج الحرب وخارج الانتصار وخارج الهزيمة وخارج انسانيتك . هكذا تصبح شجرة أو حجرا أو أي شيء في الطبيعة ! .

مناقشة مع الحزب الشيوعي الاردني

منير شفيق

نشرت مجلة « الوقت » في عددها الخامس — ايار ١٩٧٢ — السنة الخامسة عشرة مقالاً للاستاذ نعيم الاشهب تحت عنوان « في سبيل التغلب على الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية » اعلن فيه الكاتب منذ البداية : « ونحن نقدم هنا رأي الحزب الشيوعي الاردني حول الموقف الراهن داخل حركة المقاومة » ، فالمقال ، اذن ، لا يعبر عن رأي كاتبه ، وانما هو رأي رسمي للحزب الشيوعي الاردني ، ومن هنا فان مناقشة المقال تتناول اتجاهها متواجداً في الساحة الاردنية — الفلسطينية .

« ان حركة المقاومة الفلسطينية بشكلها الحالي هي رد الفعل الطبيعي والشرعي للعدوان الاسرائيلي — الامبريالي على البلدان العربية ، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من حركة التحرر العربي والعالمي » ، بهذه الكلمات يفتتح الاستاذ نعيم الاشهب مقالته مرتكبا خطأ أساسياً ، أعني اعتباره حركة المقاومة رد فعل للعدوان الاسرائيلي — الامبريالي . حقا لو كان القصد وراء عبارة العدوان الاسرائيلي — الامبريالي الوجود الصهيوني — الامبريالي على ارض فلسطين ، لقبلت هذه المقدمة مع التحفظ على استخدام عبارة « رد فعل » ، ولكن ما يفهم من سياق المقال كله ، يشير الى ان المقصود هو العدوان الذي تم في حزيران ١٩٦٧ . وهنا جذر الخطأ الاساسي في النظر الى المقاومة . هذه المقاومة انني رفعت راية الكفاح المسلح ونفذته منذ الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ ، اي قبل العدوان بأكثر من سنتين . فالقضية اذن ، أبعد من مجرد رد فعل لعدوان ١٩٦٧ ، بل أكثر من ذلك انها تمثل ارادة الشعب العربي الفلسطيني والجماهير العربية ومصالحهما وآمالهما في تحرير فلسطين من الوجود الصهيوني — الامبريالي من أساسه ، وهي بهذا تكون حلقة موصولة بسلسلة الثورات والنضالات التي خاضها شعب فلسطين وجماهير الأمة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ضد اقامة الوطن القومي الصهيوني والسيطرة الامبريالية — الرجعية .

ان التأكيد على أن المقاومة الفلسطينية هي مجرد رد فعل لعدوان ١٩٦٧ او أنها مجرد مقاومة فحسب ، اي لا تحمل سمات الثورة الشعبية التحررية الوطنية الديمقراطية ، يترتب عليه التهيئة المسبقة لتصفية المقاومة وانهاء مهمتها مع تصعيد اثار عدوان ١٩٦٧ ، وهنا مصدر الخطورة في اعتبار المقاومة « رد فعل » لعدوان ١٩٦٧ . كما أن التشديد في الرد على أن المقاومة الفلسطينية ليست رد فعل لعدوان ١٩٦٧ ، وليست مجرد مقاومة فقط ، وانما هي أساسا ثورة شعبية تحررية وطنية ديمقراطية ، يترتب عليه التهيئة المسبقة لاستمرار الثورة حتى نهاية الشوط اي حتى التحرير الكامل . وهنا مصدر الاهمية في رفض نقطة انطلاق المقال المذكور .

ولكن اذا كان موضوع المقال هو « في سبيل التغلب على الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية » ، فماذا تتمثل الازمة ؟ يقول الكاتب :

« تتمثل هذه الازمة في الاساس ، بتصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن اثر سلسلة من

العمليات العسكرية ، نظمتها السلطات الرجعية الاردنية ، بالتواطؤ والدعم الكاملين من الامبريالية الامركية ، وبهذا تحرم حركة المقاومة من قاعدة نشاطها الاساسية ، باعتبار الاردن يضم العدد الاكبر من الفلسطينيين الذين يعيشون خارج المناطق المحتلة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان للاردن اطول حدود مع الاراضي المحتلة .

ونتمثل هذه الازمة من جانب اخر في استمرار وتعمق الانقسامات وتعارض المواقف ولا سيما بين المنظمات الفدائية الكبيرة وذلك حول طرائق معالجة الازمة الناشئة مع السلطات الاردنية ومسؤولية نشوء هذه الازمة . هذا بشكل خاص وحول بعض اساليب العمل ضد الاحتلال الاسرائيلي بشكل عام ، ولو ان الخلاف هنا تكتيكي في اساسه ، وفي الحقيقة فان عدم وحدة فصائل هذه الحركة تشكل اساس جميع الاخفاقات والنكسات التي عانتها وتعانيها حركة المقاومة .

ولا يمكن النظر الى هذه الازمة التي تمر بها حركة المقاومة الفلسطينية اليوم بمعزل عن المصاعب التي تعانيها حركة التحرر العربي مجموعها، والناجمة في الاساس عن الهجمة الامبريالية - الصهيونية الشرسة ومضاعفاتها ، فقد أدت الهزيمة التي نزلت بعدد من الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ من جهة ، والعجز حتى اليوم ، عن تصفية اثار هذه الهزيمة بتحرير الاراضي العربية التي احتلتها الجيوش الاسرائيلية ، سواء بالوسائل العسكرية او الدبلوماسية من الجهة الاخرى ، أدى ذلك الى نشوء انقسامات وتيارات مختلفة داخل حركة التحرر العربي ، تتبلور حول وسائل تحقيق هذا الهدف . «

اذن ، تتمثل الازمة ب : (أ) تصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن ، (ب) استمرار الانقسامات وتعمقها وتعارض المواقف ولا سيما بين المنظمات الفدائية الكبيرة ، (ج) المصاعب التي تعانيها حركة التحرر العربي مجموعها . ان تليخيص الازمة بهذه العوامل الثلاثة تفتقر الى الشممول والتعمق في تحليل الازمة ، فلو تناولنا مسألة تصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن لوجدناها نتاج ازمة أبعد ، بدأت قبل تصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن ، بل لقد بدأت والعمل الفدائي في مجد تواجد قواعده في الاردن . أعني الازمة التي جاءت نتيجة قبول مشروع روجرز وما أدى اليه من وقف لاطلاق النار على خطوط المواجهة الامر الذي ترك المقاومة وحيدة في مواقع القتال المباشر ضد جبهة من الاعداء تضاعفت قوتهم نتيجة ذلك ايضا . ان هذا الوضع الذي لعب دورا حاسما في تغيير موازين القوى في الاردن ضد مصلحة المقاومة ، ومن ثم سهل تصفية قواعدها فيه ، وما زال هو نفسه لاعب الدور الحاسم في استمرار اغلاق الاردن بوجه الثورة الفلسطينية ، وفي استمرار تعمق الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية ، وفي حركة التحرر العربي عموما . على ان هذا لا يعني ان تصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن لا تشكل أزمة ، او على الاصح صعوبة حقيقية ، بحد ذاتها بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، كما لا يعني هذا تسويغا للمقاومة في عدم التغلب على ذلك الدور الحاسم السلبي الذي لعبه الوضع المشار اليه ، سواء أيام تواجد المقاومة في الاردن ، او بعد ذلك ، او الان ومستقبلا .

ان ازمة المقاومة لا يمكن ان ترى بمعزل عن مؤامرات الطول السياسية ، وعن هجر القتال بحثا عن حل للقضية من خلال العمل الدبلوماسي وطرح المشاريع ، وممارسة الضغوط المعنوية والدولية ، خاصة مع وجود السلبيات الذاتية في المقاومة وعلسى رأسها مسألة فقدان التنظيم الطليعي والعمل والتنظيم الجماهيريين المستندين الى الخط الجماهيري . لقد لعبت المناورات الامبريالية - الصهيونية - الرجعية ، مثلا مشروع روجرز وما شابه ، دورا حاسما بسبب وجود نقاط ضعف اساسية في حركة المقاومة وحركة التحرر العربي ، وليس لان من المفروض بها ان تلعب مثل ذلك الدور ، فهي لا تستطيع ان تلعب مثل هذا الدور مع ثورة فياتنام . ولهذا فان الحديث عن الدور الذي

لعبته ، وتلعبه ، تلك المناورات ، يأخذ حجمه المشار اليه اعلاه ، في ظل الظروف المعطاة في منطقتنا ، ومن هنا كان لا بد من نقد محاولة وضع مسألة تصفية قواعد العمل الفدائي في الاردن على رأس العوامل التي تتمثل فيها الازمة .

أما اذا دققنا بالمظهر الثاني للازمة الذي يشير اليه الأستاذ نعيم الأشهب وهو «استمرار وتعمق الانقسامات وتعارض المواقف ولا سيما بين المنظمات الفدائية الكبيرة» فنسجد ان هذا الجانب : (1) قد تواجد مع المقاومة الفلسطينية منذ بدايتها ، (2) انه الان اقل منه في اي يوم مضى ، (3) من الخطأ ان يقال عنه انه «يشكل اساس جميع الاخفاقات والنكسات التي عانتها وتعانيها حركة المقاومة لانه هو ايضا نتيجة وليس سببا ، اذ يكفي ان نسأل لماذا لم تتحقق وحدة المقاومة حتى تنهال الاسباب العديدة ، وعلى رأسها فقدان التنظيم الطبيعي والخط الاستراتيجي والتكتيكي الصحيح عسكريا وسياسيا وجماهيريا ، فلسطينيا وعربيا» لو فرضنا جدلا ان الانقسامات وتعارض المواقف قد دخلت تحت مظلة وحدة وطنية ، ولكن لم تكتشف القوانين الخاصة لاستراتيجية حرب الشعب طويلة الامد في بلادنا وتكتيكها ، ولم تكتشف نظرية الثورة العربية ، فان تلك الوحدة، في أحسن الحالات ، قد تخفف من بعض المظاهر السلبية ، او بالأصح ستساعد على حرمان القوى المترددة والمستسلمة او المعادية للثورة الفلسطينية من اتخاذ الانقسامات قميص عثمان تسوغ بها كل ما جرى ويجري . يجب الا يفهم من هذا الرد ان الوحدة الوطنية بين منظمات المقاومة وبين اوسع جماهير الشعب العربي الفلسطيني والجماهير العربية ، ليست ذات اهمية حاسمة استراتيجية وتكتيكية ، وإنما يجب ان يفهم كقند للتأولات انسطحية حول مسألة الانقسامات في الساحة الفلسطينية ، انه نقد باتجاه التعميق ، وليس باتجاه الرفض .

وحين يعالج الكاتب ازمة المقاومة باعتبار عدم امكانية النظر اليها «بمعزل عن المصاعب التي تعانيها حركة التحرر العربي بمجموعها» لا بد من ان يصطدم القارئ بالتمييز المتصود في وصف حالة كل من المقاومة وحركة التحرر العربي ، فهنا - المقاومة - تعيش ((ازمة)) وهناك - حركة التحرر العربي بمجموعها - تعاني ((مصاعب)) . السؤال الان ، هل حالة حركة التحرر العربي أفضل من حالة حركة المقاومة ؟ الجواب بالتأكيد لا ، فوضع حركة المقاومة ان لم يكن أفضل فهو ليس أسوأ قطعا ، فالمقاومة ما زالت مشرعة السلاح ، وما زالت متواجدة بين الجماهير ، وما زالت قادرة على الفعل والتأثير ، أو على الأقل ، ما زالت في مواقع رفض الاستسلام ، ومقاومة التراجع عن اهدافها في التحرر الكامل او القاء السلاح رغم ما تعانیه من أزمة ومصاعب ، وما تتعرض له من اخطار ، ورغم ما ألم بها من نكسات ، ونفذ فيها من جراح . واذا تذكرنا ان المقاومة جزء عضوي حاسم الاهمية في حركة التحرر العربي ، أدركنا ان محاولة التفريق فسي ظروفنا المعطاة غير واردة فهنا ازمة وهناك ازمة ، وهنا مصاعب وهناك مصاعب . ولا مجال لمثل هذا التمييز الا اذا اعتبر رفض المقاومة لقرار ٢٤٢ هو ازمة المقاومة ، في حين قبول « حركة التحرر العربي » لهذا القرار نزع عنها صفة مواجهة ازمة ، وقصر ما تعانیه على صفة « مصاعب » . ومن هنا يكون الاختلاف مع الأستاذ نعيم الأشهب عميقا وواضح التخوم ، اذ ان المسألة من وجهة نظرنا معكوسة تماما . فموقفه من مسألة قرار نوفمبر (٢٤٢) عام ١٩٦٧ ، في حالة تبنيه من قبل حركة التحرر العربي هو الذي يشكل مخاطر حقيقية تؤدي الى الهاوية ، وستثبت الايام ان حركة التحرر العربي المقاتلة هي ، فقط ، التي تستطيع ان تخرج من ازماتها وصعوباتها في حين ينتظر الذين يباحثون عن حلول « سلمية » تدهور مستمر ، لان الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني لا يفهمان غير لغة القتال بالتنظيم الطبيعي المقاتل ، وبالجمبه العريضة المقاتلة والجماهير المنظمة المقاتلة ، أما ما عدا ذلك فخلق التربة الخصبة لتمكين عملاء الامبريالية الامريكية للتسلل

الى قلب مواقع حركة التحرر العربي ، ومن ثم سحقها . ان مسألة تحديد الشكل النضالي الرئيسي بدرجة العدو مسألة مركزية ، وهذا بدوره ما يجعل الخلاف مع الاستاذ نعيم يصل حتى الجذور ، (ملحوظة : ان الخلاف يستمر حين نأتي الى تحديد القوى التي يمكن ان يطلق عليها اسم حركة التحرر العربي ، خاصة ، عند تحديد اهداف حركة التحرر العربي واستراتيجية الثورة العربية وتكتيكها . حيث سنجد ان القوى الوطنية التي تؤيد قرار نوفمبر ١٩٦٧ ، تقع على هامش حركة التحرر العربي من وجهة النظر التاريخية والثورية والمستقبلية ، ولا يمكن ان تكون ممثلة لها . لان القوى التي تمثل حركة التحرر العربي هي القوى التي تحمل اهداف حركة التحرر العربي وتطبق استراتيجية الثورة العربية خاصة وتكتيكها ، في ميدان الصراع ضد العدو الصهيوني ، حيث سنجد انفسنا حيال استراتيجية حرب الشعب طويلة الامة وتكتيكها بوصفها الطريق الوحيدة التي يمكن ان تحل التناقض العدائي بيننا وبين العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية .

لكي يتضح كل ما ذهب اليه هذا الرد لنتابع المقالة المذكورة وهي تعدد العوامل التي أدت الى وقوع المقاومة في الازمة . يقول الاستاذ نعيم :

((اولاً : الموقف من امكانية الحل السياسي ومن قرار مجلس الامن .

لقد عارضت جميع المنظمات الفدائية — عدا منظمة الانصار التي يقودها الحزب الشيوعي الاردني بالتعاون مع الاحزاب الشيوعية الشقيقة في العراق وسوريا ولبنان — كل تسوية سياسية ورفضت القبول بقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢/١١/١٩٦٧ بشأن ازمة الشرق الاوسط .

وإذا كان هذا الموقف هو من الناحية التاريخية ، استطرادا واستمرارا للنهج التقليدي انذي ظل ساريا منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ في معالجة القضية الفلسطينية ، والذي غذته المؤامرات المتصلة على هذا الشعب وفي اتخاذ موقف سلبي من كل ما يعرض سواء كان ملائما او غير ملائم ، في هذه الحثبة او تلك ، لمستقبل عمل حركة التحرر الفلسطينية بشكل خاص وحركة التحرر العربي بشكل عام ، حتى تحجر هذا النهج وتعمق بحيث لم يعد التحرر منه سهلا ، فان هذا الموقف السلبي من امكانية الحل السلمي ومن قرار مجلس الامن ، انما هو الانعكاس العفوي ورد الفعل العاطفي في اذهان الفئات المختلفة من البورجوازية الصغيرة التي تشكل غالبية الشعب العربي الفلسطيني — كما هو الحال ايضا في العالم العربي — لهول الهزيمة من جهة ، وللاضطهادات الوحشية التي ترتكبها السلطات الصهيونية في المناطق المحتلة ، وقبل كل ذلك رد الفعل لمشاريعها التوسعية في هذه المناطق من جهة اخرى . «

يلاحظ هنا ما يلي : (١) ربط معارضة المنظمات الفدائية — عدا منظمة الانصار « بكل فخر » — لامكانية الحل السياسي ، وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، بالنهج التقليدي الذي ظل ساريا منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ ، اي ابتداء من رفض وعد بلفور ، ومعارضة اقامة الوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية وانتهاء بمقاومة مختلف المشاريع الاستعمارية التي كانت تهدف دائما الى تميع النضال الجماهيري واجبار شعبنا على القبول بالحلول الاستعمارية والصهيونية وعلى رأسها اقامة دولة اسرائيل الخ الخ . . ان هذا الربط فيه اساءة صارخة لتاريخ النضال الوطني الفلسطيني والعربي كله ، فهو يجير ، اولاً ، شرف رفض المشاريع الاستعمارية والصهيونية لمصلحة القيادة التقليدية القديمة ، في حين كانت تلك القيادة تأخذ تلك المواقف تحت ضغط الجماهير الشعبية التي هي صاحبة الفضل في رفض تلك المشاريع ، وهي التي قررت الرفض وستظل مصدره ومحركه . وإذا كان هنالك من درس يجب ان نتعلمه من تاريخ حركتنا الوطنية في الماضي والحاضر فهو ليس

خطا الرفض للمشاريع الاستعمارية والتصفوية ، فهذا الرفض كان صحيحا وسيظل كذلك ما دامت هناك مشاريع استعمارية وصهيونية ، وانما الخطأ هو ان ذلك الرفض لم يكن اكثر حرصا ، ولم يكن اكثر اصرارا على القتال بالجماهير المسلحة المنظمة حتى تحقيق الانتصار . ان وقفات التردد امام المشاريع الاستعمارية - الصهيونية هي التي كانت تجهض الحركة الوطنية والثورية ، وتخذل ارادة جماهيرنا . ومن هنا ، ثانيا ، فان ربط معارضة المنظمات الفدائية للحلول التصفوية بالموقف « التقليدي » للقيادات المتهرثة ، احتقار لارادة الجماهير الشعبية العربية الفلسطينية والعربية وقواها الوطنية ، اي ان فخر تاريخنا كله وهو رفض المشاريع الاستعمارية والصهيونية ومقاومتها يصحان من وجهة النظر هذه مذمة ومسبة وموقفا « سلبيا متحجرا » . (٢) اذا كان رفض المشاريع الاستعمارية - الصهيونية في الماضي ورفض المشاريع الامبريالية - الصهيونية في الحاضر ، « انما هو الانعكاس العفوي ورد الفعل العاطفي في اذهان الفئات المختلفة من البرجوازية الصغيرة » أفلا يعني هذا ان موقف لينين في فضح اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وسائر بنود اتفاقيات سايكس بيكو ومختلف المشاريع الاستعمارية ، وكذلك موقف الكومنترن والاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية حتى عام ١٩٤٧ هو من « الانعكاس العفوي ورد الفعل العاطفي في اذهان الفئات المختلفة من البرجوازية الصغيرة » ؟ (٣) اين هي الارقام التي يستطيع ان يثبت بها الاستاذ نعيم الأشهب ان **غالبية** الشعب العربي الفلسطيني وكذلك العالم العربي من البرجوازية الصغيرة ؟ واذا كان كذلك فما معنى حزب البروليتارية والنضال من اجل الاشتراكية ما دامت غالبية الامة العربية من البرجوازية الصغيرة ؟ (٤) لتتذكر انه كان هنالك دائما في تاريخ الشعب الفلسطيني والشعب العربي ، قوى تدعو الى التعامل الايجابي مع المشاريع التي تطرحها الامبريالية والصهيونية ، وهنالك قوى مثلها موجودة حتى الان ، ابتداء من حزب الدفاع وانتهاء بالجعبري ومحمد ابو شلباية فهل هذه تمثل فكر البروليتارية غير السلبى وغير المتحجر ، والذي يستطيع « بفهلوية » التقاط ما هو ملائم من تلك المشاريع ، و« نبذ » ما هو غير ملائم . طبعاً لكي نكون منطقيين مع أنفسنا لن نستخدم المنطق نفسه الذي استخدمه الاستاذ نعيم الأشهب فنعتبر موقفه استمرارا للموقف التقليدي للقوى التي كانت تهاجم ، وما زالت تهاجم ، المواقف السلبية ، وتدعو للمواقف « الايجابية » ، لان من الضروري وضع كل موقف ضمن اطاره ومحتواه ، فلا نسحب موقفا على آخر سحباً تعسفياً .

ثم تنتقل المقالة لتصف موقف المنظمات من الحل السياسي وقرار مجلس الامن فتقول : « ان هذا الموقف غير الواقعي لا يأخذ في الحسبان وضع حركة التحرر العربي في هذا الظرف الدقيق ، لا سيما بعد الضربة التي تلقتها في حرب حزيران (يونيو) ، ولا الوضع الدولي ، ولا سيما ميزان القوى في المنطقة حالياً . وهنا ، لا بد من التوضيح ، اولا وقبل كل شيء ، ان لا خلاف على تقييم ميزان القوى عموماً ، او على الاصح لا خلاف على ان توازن القوى الحالي في غير مصلحتنا . ولكن الخلاف الحاد والمبدئي هو في المنهج الذي يعالج السؤال : ما العمل في ظل معادلة ميزان القوى تلك ؟ لاننا سنواجه على الفور بمنهجين يتعارضان ٥١٨ ، **المنهج الاول** : ان عدم التوازن القائم حالياً يقضي بقبول الامر الواقع ، او البحث عن حلول وسطية ، او على الاصح « اصلاح » الواقع دون تغيير كفه . **المنهج الثاني** : ان عدم التوازن هذا يقضي بعدم الاستسلام ، لا كلياً ولا جزئياً ، امام هذه المعادلة ، وانما النضال من اجل تغييرها وهذا يقتضي دراسة التناقض في طرفي تلك المعادلة وتحديد طبيعته ثم كيفية حله حلاً جذرياً . وهكذا يؤدي هذان المنهجان الى خطين سياسيين مختلفين ، الى موقفين طبقين ، فالاول يقود الى التسعي لحل « سلمى » وتطبيق قرار مجلس الامن - بكل ما يحمله القرار من شروط ونتائج تؤدي الى تصفية الحركة التحررية والثورية وتكريس الوجود الصهيوني الخ - بينما يقود المنهج الثاني

الى رؤية الطبيعة العدائية للتناقض بيننا وبين العدو ، والخروج بالموضوعية القائلة ان حرب الشعب طويلة الامد هي الطريق الوحيد لحل هذا التناقض من جانبنا ، اي هي الطريق الوحيد لقلب ميزان القوى لمصلحتنا .

ثم ان الحديث عن توازن القوى لا علاقة له بتحديد الاهداف الاستراتيجية فهو يتعلق بتحديد استراتيجية العمل وتكتيكه . يعني عندما طرح لينين هدف اسقاط الحكم القيصري وانجاز الثورة الديمقراطية ومن ثم تحقيق الثورة الاشتراكية في كل روسيا ، كان غير واقعي لان توازن القوى في اواخر القرن التاسع عشر لم يكن لمصلحته . وكذلك عندما تطرح قوى ثورية ، في فرنسا مثلا ، الاشتراكية هدفا لنضالها تكون غير واقعية لان توازن القوى الحالي في فرنسا لا يؤدي الى انجاز هذا الهدف . ان طرح الاهداف الاستراتيجية لحركة ثورية لا يأخذ بعين الاعتبار توازن القوى في مرحلة محددة ، وفي لحظة راهنة ، والالم يبق امام أية حركة ثورية غير طريق الاصلاحية والتخلي عن النضال الثوري . لان كل حركة ثورية حتى لحظة انتصارها النهائي تكون ضمن معادلة تواجه فيها توازنا للقوى في غير مصلحتها . ان مسألة توازن القوى تناقش من زاويتين رئيسيتين وهي كيف نعمل لتغير ميزان القوى لمصلحتنا ؟ ثم تناقش من زاوية كيف نواجه العدو في هذه اللحظة او تلك اي هل تكون في الدفاع الاستراتيجي والهجوم التكتيكي ام ننقل الى الهجوم الاستراتيجي الخ الخ .

ان هذه الملاحظات لا بد من ان تسحب وبكل قوة في الرد على هجوم السيد نعيم الاشهب على شعار دولة فلسطينية ديمقراطية حيث يصفه بأنه « سلبى بقدر طوباويته ، وعدم قابليته للتطبيق العملي في ايامنا ، وخاصة بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ » . لاحظ لماذا هو سلبى وطوباوي ؟ بسبب عدم قابليته للتطبيق العملي في ايامنا . لو قتل هذا المنهج في التفكير فلن يكون ثمة من شعار ترفعه حركة التحرر الوطني او الطبقة العاملة الا ويسقط عليه وصف السلبية والطوباوية ما دام غير قابل التحقيق في الظرف الراهن في الفترة الزمنية المعطاة ، وهكذا بجرة تلم يجب ان تشطب شعارات التحرر والاشتراكية والشيوعية من قاموس اغلب بلدان العالم لانها غير قابلة للتحقيق ، في كثير من الحالات ، بأقل من عشرين ، او اربعين عاما ، او أكثر . وهكذا بجرة تلم لا تبقى غير شعارات « الاصلاحية » والبرنشتانية والكاوتسكية قابلة للتحقيق وغير طوباوية .

ويتابع الاستاذ نعيم بعد ان يسقط هدف تحرير فلسطين واقامة الدولة الديمقراطية ويستبدله بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن ، ليقول : « اما اشكال العلاقة اللاحقة بين انشعبين : العربي الفلسطيني والاسرائيلي ، فهي رهينة بنتائج النضال الذي تخوضه شعوب المنطقة لتصفية مصالح ونفوذ الامبريالية والاستعمار الجديد في المنطقة ، وضد الطابع العدواني التوسعي لدولة اسرائيل ، وفي سبيل التقدم الاجتماعي » . تثير هذه الفقرة المختصرة عدة ملحوظات تحدد اتجاه المقالة كلها كما تظهر ان هذا الاتجاه يتعارض ١٨٠ مع الخط السياسي للثورة الفلسطينية والثورة العربية . انها تحدد ان الكاتب ينطلق من : (١) « مسلمة » الشعبين العربي والاسرائيلي اي مسلمة القومية الاسرائيلية ويضعها على المستوى نفسه ، وبالحدود نفسها ، مع القومية العربية . اي الاقرار بحقتها باقامة وطن قومي يهودي على ارض فلسطين . (٢) حل القضية مرتبط بنتائج النضال الذي تخوضه شعوب المنطقة اي المسألة متروكة لعلم الغيب ، فاذا كان صحيحا ان حل القضية مرتبط بالنضال الثوري فلا يجوز عدم رؤية نتائج هذا النضال سلفا . ان شعوبنا تناضل وتريد ان تعرف الى أين هي ماضية وما هي نتائج نضالاتها وتضحياتها . (٣) لا بد من ان يلاحظ تمييز الكاتب بين النضال « لتصفية مصالح ونفوذ الامبريالية والاستعمار الجديد في المنطقة » وبين عبارة « ضد الطابع العدواني التوسعي لدولة اسرائيل » . وهنا يبرز السؤال اليست دولة اسرائيل والمؤسسات الاقتصادية

والسياسية والثقافية الخ في اسرائيل ، تحتاج الى تصفية كذلك ؟ ام لا تدخل ضمن موضوعه « تصفية مصالح ونفوذ الامبريالية والاستعمار الجديد في المنطقة » ؟ . كيف لو سحبنا عبارة النضال ضد الطابع العدواني التوسعي لدولة اسرائيل على العبارة السابقة الخاصة بالموقف من المصالح الامبريالية بحيث تصبح : « النضال الذي تخوضه شعوب المنطقة ضد الطابع العدواني والتوسعي لمصالح ونفوذ الامبريالية والاستعمار الجديد في المنطقة ؟؟ » (٤) اما الهدف الثالث فهو « في سبيل التقدم الاجتماعي » . وهنا نجد انفسنا امام ضباب هدف لا يعني شيئا محددا ، بمعنى تقدم اجتماعي في ظل اي نظام ؟ وتحت قيادة اية طبقة ؟ ومن أجل تحقيق اية اهداف ؟ ان فهم هذا الهدف يجب ان يرتبط بالمنهج « الاصلاحى » الذي عولج به الموقف من مسألة الحل السياسي وقرار مجلس الامن . اليس هذا هو شعار احدى شرائح البرجوازية الصغيرة ؟؟

الان ، اذا وضعنا امام اعيننا منهج التفكير الذي يحكم الاستاذ نعيم الاشهب والاهداف التي يحرص بها نضال الثورة الفلسطينية ، نستطيع ان نضع النقاط الاخرى التي يثيرها حول ازمة المقاومة ضمن اطار ذلك المنهج وتلك الاهداف ، او بكلمات اخرى نستطيع ان نبقي خلفية تفكيره حول كل نقطة حاضرة في الاذهان ، وبهذا لا نضل في تحديد ابعاد ملحوظاته . يقول الاستاذ نعيم « ثانيا : كان الخطأ السياسي الاخر ، الذي وقعت فيه حركة المقاومة ، وعلى وجه الدقة اكبر منظماتها وهي « فتح » هو شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان العربية التي توجد فيها قواعد حركة المقاومة ، بما في ذلك الاردن .

« فماذا كان يعني هذا الشعار بالنسبة لبلد كالاردن يشكل الفلسطينيون غالبية سكانه ؟ من المعلوم انه عقب حرب حزيران (يونيو) ونشوء حركة المقاومة ، راحت هذه الحركة تمارس نفوذا متزايدا على الجماهير وعلى الحياة العامة في الضفة الشرقية للاردن ، بلغ ذروته قبل مذابح ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ التي كانت موجهة ضد حركة المقاومة الفلسطينية خاصة والحركة الوطنية في الاردن عامة .

قبل هذه المذابح ، كانت حركة المقاومة تشكل سلطة حقيقية بكل معنى الكلمة الى جانب السلطة الرسمية في الاردن . اذ كانت لها مؤسساتها واجهزتها في انحاء البلاد ، وكانت لها قوات مسلحة وجهاز امن ومخابرات ومؤسسات مالية وادارية الخ . . . هذا الى جانب تمتعها بنفوذ كبير بين الجماهير ، وبخاصة الجماهير الفلسطينية .

وبمعنى اخر : كانت حركة المقاومة تتدخل فعليا ، بقدر ما يتعلق الامر بمباشرة سلطاتها ونفوذها على الحياة العامة وعلى المواطنين في الضفة الشرقية ، ومن الجانب الاخر ، كانت لا تتدخل بقدر ما يتعلق الامر بالعمل للأستعاضة عن الحكم الرجعي الذي يواصل البقاء الى جانب سلطة المقاومة ، بحكم وطني في الاردن .

وقد بلغ الامر حدا اصبح محتوما بعده حسم التناقض بين شعار « عدم التدخل في الشؤون الداخلية للاردن » وبين الممارسة الفعلية لحركة المقاومة ، وبالتالي : حسم التناقض الناجم عن وجود سلطتين في البلاد ، لصالح احدهما . وقد حسمته السلطة الرجعية لصالحها حتى الان ، اذ كانت اقدر على اخذ زمام المبادرة .

ولكن اذا كان هذا الموقف خاطئا ، لانه قد اثر على فعالية النضال لايجاد حكم وطني في الاردن في فترة معينة ، فان الشعار المتهور الذي ينادي بالمباشرة بتصفية أنظمة الحكم المختلفة في العالم العربي باعتبار ذلك المقدمة الضرورية لدحر اسرائيل ، هو الاخر خاطيء ايضا .

ان معالجة الاستاذ نعيم لشعار عدم التدخل تخلص من اي تحليل فضلا عن افتقارها الى الوضوح فيما يتعلق بالشطر الذي يتعلق بالبلدان العربية ، عدا الاردن ، اذ لم يقل كيف

كان يجب ان يطبق ما دام يعتبر الشعار الذي ينادي بتصفية انظمة الحكم المختلفة في العالم العربي شعارا « متهورا » . على الرغم من ان هذا الشعار قتل بحثا ، ولا حاجة لمناقشته من جديد ، ولكن لا بد من ان نلاحظ الخلفية التي ينقده بها الاستاذ نعيم ، في الاردن ، حيث ان خطاه يكمن في ان حركة المقاومة كانت لا تتدخل بقدر ما يتعلق الامر بالعمل للاستعاضة عن الحكم الرجعي الذي يواصل البقاء الى جانب سلطة المقاومة بحكم وطني في الاردن » . وهنا لا بد من ان يعود للذاكرة المحتوى الذي كان يطرح به شعار الحكم الوطني في الاردن هذا الشعار الذي يجب ان يفهم محتواه محصورا باستبدال الحكومة الرجعية دون المساس بالنظام الرجعي من حيث اتى ، وبهذا يبدو النقد بعيدا تماما عن ادراك الواقع في الاردن حيث كان امام المقاومة استقطاب النظام من اساسه اذا كان لها ان تتدخل للاستعاضة عن الحكم الرجعي بحكم وطني . اما الطلب من المقاومة التدخل من اجل تغيير قشرة الحكم لحساب بضعة وزراء في حين يبقى النظام وجهازه بأيدي الطبقة الرجعية العملية ، فسيؤدي الى اخطاء واخطاء حقيقية ، وما كان سيعفي المقاومة من معركة ايلول ومجزرة جرش . ويكفي تذكر تجربة الحكومة الوطنية في الاردن ١٩٥٦ / ١٩٥٧ ، لتصبح الصورة واضحة تماما .

مرة أخرى ، المطلوب من المقاومة اتخاذ موقف « اصلاحي » بدل التأكيد على ان خطأ المقاومة في الاردن كان انها لم تمض حتى النهاية في تثبيت سلطاتها ونفوذها وقوتها ، مع اغتنام اللحظة المناسبة لحسم الصراع لمصلحة الجماهير الاردنية - الفلسطينية ، وانزال الضربة القاضية بالرجعية . او على اقل تعديل المضي في تركيز قوتها واضعاف السلطة الرجعية الى حد يجعل الاخيرة عاجزة عن ضرب المقاومة واعادة الاردن الى سيطرتها المطلقة . اما التغيير الشكلي للحكم بمعنى اقامة حكومة وطنية في ظل الدولة الرجعية فهذا المطلب ما زال متدنيا جدا بالنسبة لما حققته الثورة الفلسطينية في الاردن من تدخل فعلي باتجاه تسليح الجماهير وتنظيمها واشاعة سلطة جماهيرية مقابل السلطة الرجعية .

ويتابع الاستاذ نعيم : « ثالثا : التقليل من دور النضال السياسي .

ان الموقف الخاطيء يرفض امكانية التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط ، والموقف من قضية السلطة في الاردن ، قادا بالمنطق والضرورة ، الى تقليل المنظمات من دور العمل السياسي بين الجماهير ليس في الضفة الشرقية للاردن فحسب ، بل والى حد كبير في المناطق المحتلة .

ويتجسد هذا الموقف في المقولة التي كان يرددتها بعض قادة هذه المنظمات « كل شيء تقرره فوهة البندقية » . وفي الحقيقة ، لم يكن هناك من واصل القيام بهذا الدور ولا سيما في الضفة الغربية غير الحزب الشيوعي الاردني ، منذ الاحتلال وحتى اليوم ، وبشكل مستمر ومنظم » .

على الرغم من ان حركة المقاومة لم تعط النضال السياسي الاهمية الكافية الضرورية الا ان من الضروري الانتباه الى ان هنالك اختلافا جوهريا بين الحديث عن اهمية النضال السياسي في حرب الشعب وبين حديث الاستاذ نعيم عن « التقليل من دور النضال السياسي » ، لانه يربط التقليل من دور النضال السياسي بمسألة الموقف من التسوية السياسية ، وقرار مجلس الامن ، اي انه يفهم النضال السياسي في الثورة الفلسطينية انه نضال باتجاه قرار مجلس الامن ، في حين ان النضال السياسي ليس وقتا على شعارات التسوية وقرار مجلس الامن ، لان اهمية النضال السياسي قانون موضوعي لكل ثورة شعبية وعمل مسلح جماهيري . ومن هنا فان نقد الاستاذ نعيم حول تقليل المقاومة من دور النضال السياسي ينطلق من ارضية مرفوضة تماما . كما لا يمكن اعتبار

النضال السياسي الذي اقتصرت عليه نشاط بعض الشيوعيين في الاراضي المحتلة هو الذي عوض عن هذا النقص لان اي نضال سياسي في ظل ثورة مسلحة لا يعمل باتجاه فوهة البندقية ولا يقيم الترابط العضوي بينه وبين البندقية هو نضال قد ضل سواء السبيل تماما . ثم ما معنى الغمز من شعار « كل شيء تقرره فوهة البندقية » اوليست هذه الموضوعات من الموضوعات الماركسية اللينينية الاساسية ؟ نعم « كل شيء تقرره فوهة البندقية » هذه موضوعة صحيحة وهي لا تتعارض مطلقا مع اهمية النضال السياسي بل هي تحتم النضال السياسي من اجل جعل فوهة البندقية ملايين الفوهات ومن اجل جعل بندقية الشعب هي التي تقرر كل شيء لا بندقية الاعداء . كما انها لا تتعارض مطلقا بل توجب ان تكون فوهة البندقية تحت قيادة السياسة التي لا تستطيع ان تعبر عن نفسها ، في نهاية المطاف ، بغير فوهة البندقية ، او ليست الحرب استمرارا للسياسة بوسائل اخرى ؟

اما الخطأ الرابع الذي يسجله الاستاذ نعيم على حركة المقاومة فهو : « موقف التمييز الذي اتخذته قيادة حركة المقاومة من الحزب الشيوعي الاردني ، وخاصة قبل ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، بدعوى قبول هذا الحزب لقرار مجلس الامن لعام ١٩٦٧ ، وعدم استبعاده احتمال التسوية السياسية للارملة ، وتخلفه بعض الوقت عن الانضمام الى العمل المسلح . وقد أدى موقف التمييز الشاذ هذا ضد الحزب الشيوعي الاردني الى : (١) حرمان حركة المقاومة من قدرات وخبرات هذا الحزب الفنية « . . . (٢) « ان موقف التمييز هذا من الحزب الشيوعي الاردني قد شجع الرجعية الضالعة مع الاستعمار الأمريكي للاستفادة من هذا الموقف . . . »

يلاحظ هنا : (١) ان مسألة الاختلاف الجوهرى ، او على الاصح ، الاختلاف حول الاهداف وحول الاستراتيجية والتكتيك ، يجب الا يعكس نفسه على العلاقة بين المقاومة والحزب الشيوعي . (٢) ان مسألة التمييز ، اذا صح التعبير ، تبدو كأنها عبارة عن مزاج وليست نابعة من اختلاف في المواقف ، او تبدو كأنها منطلقة من عداوة ضد الشيوعية ، وهذه مسألة لم تكن واردة لدى المقاومة ، بل عندما تشكلت قوات الانصار عرضت المقاومة قبولها كأية منظمة اخرى شريطة ان توافق على ميثاق منظمة التحرير ، او قل على قضية تحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني واستراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد . ثم (٣) يبدو كأن الذي يتحمل مسؤولية عزلة الحزب الشيوعي الاردني عن حركة المقاومة هو حركة المقاومة وليس العكس . أما بالنسبة لقضية حرمان حركة المقاومة من قدرات وخبرات هذا الحزب الفنية ، فهذا صحيح تماما لو ان هذا الحزب كان سيضع تلك الخبرات والقدرات باتجاه اهداف الثورة الفلسطينية واستراتيجيتها وتكتيكها . ولكن لا قيمة لاية قدرة وخبرة اذا كانت تتبنى خطأ سياسيا خاطئا . وهنا ايضا ان مسؤولية حرمان المقاومة من قدرات كوادر الحزب الشيوعي وخبراته تقع على عاتق قيادة الحزب وليس على المقاومة .

يتبقى حول هذه النقطة القسم المتعلق بتشجيع الرجعية الضالعة مع الاستعمار الامريكى فهذه قضية لا علاقة للمقاومة بها، ما دام الحزب قد وضع نفسه في موقف تفيد منه القوى الرجعية الضالعة مع الاستعمار الامريكى . مع ان مثل هذه الموجة من العداوة ، لم تترها الرجعية الاردنية — للاسف — ضد الشيوعية في فترة وجود المقاومة بل حرمت هذا الحزب من مثل هذا الشرف . اما اذا كان المقصود حوادث وقعت في الخفاء داخل جيش التحرير ، فان اجراءات النقتيل والتعذيب مرفوضة ومدانة من قبل المقاومة ، على ان نتذكر ان بعض قيادات جيش التحرير كانت ايضا ، في المقابل ، وفي كثير من الحالات ، تقدم كل التسهيلات للحزب الشيوعي ، ومن وراء ظهر المقاومة ، وتضهد عناصر من المنظمات الاخرى في المقاومة .

ثمة قضية أخرى يتفق فيها الأستاذ نعيم الأشهب بتناقض شديد فهو من ناحية يعتبر خط الحزب الشيوعي صحيحا ومواقفه صحيحة وهو من ناحية ثانية يقول « حقا ، لقد تأخر حزبا، بعض الوقت، في الانضمام الى حركة المقاومة المسلحة، وكان ذلك تحت تأثير بعض العوامل ، أهمها وجود كتلة يمينية في قيادة الحزب ، كانت برغم اقرارها في جميع وثائق الحزب ومطبوعاته التي صدرت منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بشرعية ممارسة جميع اشكال النضال ، بما فيها النضال المسلح ، لتصنيّة اثار العدوان ، فانها من الناحية العملية ، وكما اكد سير الاحداث اللاحق ، لا تؤمن بامكانية ممارسة هذا الشكل من النضال ضد الاحتلال وبالتالي تعلق آمالها ، عمليا ، على مساومات وتنازلات تجريها السلطات الاردنية مع الاستعمار الاميركي واسرائيل . الان ، اذا تذكرنا ان هذه الكتلة كانت قائدة الحزب والمسيطرة تماما على كل كبيرة وصغيرة فيه ، الا يعني هذا ان الاستاذ نعيم الأشهب قد وضع ، بنفسه ، النقاط على الحروف حول خط الحزب بالفترة الممتدة من يونيو ١٩٦٧ حتى قبيل أيلول ١٩٧٠ . فما معنى كل التغني بصحة خط الحزب وباتهام المقاومة بالتمييز ضده ؟؟ . كان يجب على الأستاذ نعيم ان يتحدث عن تلك القيادة ودورها في الانحراف بالحزب وخطه السياسي والعملي . ولكن يبدو ان النقد الموجه الى تلك القيادة لا ينبع من نقاط اختلاف جذرية ، ما دام الطرف الآخر مسلما بنسعين بالمئة من الموضوعات التي ربت تلك القيادة الحزب عليها ابتداء من الموقف من الموضوعات الاساسية المختلف عليها في الحركة الشيوعية ، ومرورا بالموقف من مسائل الثورة العربية ، والوضع في الاردن ، وانتهاء بقضية فلسطين . ويبدو ان الخلاف محصور بمسألة هل يستخدم شكل الكفاح المسلح كأحد الاشكال في ازالة اثار العدوان أم لا يستخدم ، وهذه قضية تظل فرعية وغير مبدئية اذا كان هناك اتفاق حول جميع القضايا الاساسية الاخرى وحول الخط السياسي الرئيسي . وهذا ما يجعل الانقسام انذني حدث في داخل الحزب الشيوعي الاردني غير مفهوم ما دام لم يمس القضايا المبدئية اترئيسية سواء على النطاق العالمي ، او النطاق المحلي الاردني ، او على النطاق الفلسطيني . ولعل هذا هو السبب الذي يجعل الأستاذ نعيم ينتقد الكتلة اليمينية ويدافع في الوقت نفسه عن خط الحزب خلال قيادتها ، ويتبنى جوهر موضوعاتها بل ربما كانت تلك القيادة اكثر « منطقية » مع نفسها وجوهر موضوعاتها حين ترفض التكتكة في مسائل حمل السلاح ، وتربط تكتيكها باستراتيجيتها القائمة على عقد الامل ، عمليا ، « على مساومات وتنازلات تجريها السلطات الاردنية مع الاستعمار الاميركي واسرائيل » .

اذا كان كل ما تقدم قد حدد لماذا نرفض الموضوعات التي طرحها الاستاذ نعيم الأشهب في مقالته « في سبيل التغلب على الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية » ، فان الاطالة لا تعود ضرورية لمناقشة النقاط التي يثيرها حول « بعض الاخطاء والنواقص في التنظيم والنشاط العملي » لانها نقاط لا جديد فيها ، عولجت منذ زمن في مناقشات دارت داخل صفوف المقاومة ، ولكن ضمن وضعها في اطار مختلف عن الاطار الذي يضعها به الاستاذ نعيم الأشهب ، الاختلاف نابع من الاختلاف حول الخط السياسي . . حول الاهداف حول الاستراتيجية والتكتيك . هذا الاختلاف الذي لا بد من ان ينتقل الى مسائل التنظيم والنشاط العملي وطريقة معالجة سائر الاخطاء والنواقص . اي ان مناقشة قضايا التنظيم والنشاط العملي لا بد من ان ترتبط ارتباطا عضويا بالخط السياسي ، بالهدف الاستراتيجي ، بالاستراتيجية والتكتيك . ومن هنا فان نقد « بعض الاخطاء والنواقص في التنظيم والنشاط العملي » لا يجوز ان يعالج الا ضمن اطار التحرير الكامل لارض فلسطين واستراتيجية حرب الشعب طويلة الأمد وتكتيكها ، وهذا عكس ما فعله الاستاذ نعيم الأشهب .

العبرانيون السود

عبد الحفيظ محارب

من بين ظواهر التمييز التي أخذت تتكشف وسط المجتمع الاسرائيلي وتبرز بشكل حاد ظاهرة « العبرانيين السود » التي تعبر بشكل واضح عن التمييز العنصري في اسرائيل . ولعل هذه الظاهرة قد فاقمت برائحتها العنصرية كافة ظواهر التمييز العرقي والطائفي التي تبرز بين الفينة والاخرى بين الفئات المختلفة التي تشكل لبنة المجتمع الاسرائيلي . فهي تمتاز عن ظواهر التمييز العنصري التي تلف بعض فئات المجتمع الاسرائيلي وشرائحه بعامل رئيسي يتمثل في لون بشرة « العبرانيين السود » ، بينما أسباب الظواهر الاخرى تكمن في عدة عوامل من أهمها العامل الحضاري والاقتصادي والاثني والتاريخي . كما وتختلف ذيول وانعكاسات ظاهرة العبرانيين السود عن ذيول وانعكاسات ظواهر التمييز التي تعاني منها بعض الفئات في اسرائيل . ففي حين نرى ان ظاهرة التمييز التي يعاني منها أبناء الطوائف الشرقية تنعكس على المجتمع الاسرائيلي وعلى مجمل العلاقات بين الاشكناز والاسفاراديم ضمن الاطار اليهودي في العالم ، نرى ان ظاهرة التمييز الموجهة ضد العبرانيين السود تنعكس بشكل رئيسي على العلاقات الاسرائيلية الافريقية وبشكل اعم على العلاقات الاسرائيلية مع الملونين في أنحاء العالم . وهناك شيء آخر لا بد من الاشارة اليه قبل التعمق في دراسة العبرانيين السود ، وهو وجه الشبه الكبير بين طلائع المهاجرين اليهود الببيض في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الذين قدموا الى فلسطين بحجة ان الرب قد منحها لهم ، وبين العبرانيين السود الذين قدموا الى فلسطين عند بداية الربع الاخير من القرن العشرين بحجة ان الاله قد منحها لهم أيضا !

من هم العبرانيون السود ؟

قدمت الى اسرائيل خلال الاعوام الثلاثة الماضية بضعة مجموعات من اليهود الافروأميركان حسب قانون العودة لعام ١٩٥٠ الذي يمنح كل يهودي الحق في الهجرة و « العودة » الى اسرائيل . وقد تشكلت المجموعة الاولى من ٢٨ شخصا من مواليد شيكاغو في الولايات المتحدة وصلت الى مطار اللد في النصف الثاني من شهر ديسمبر ١٩٦٩ ، بعد أن مكثت في ليبيريا ثلاث سنوات . وكان قد سبق مجيء هذه المجموعة قدوم بضعة أفراد من أبناء الطائفة بموجب قانون العودة ، واستوعبوا في كيبوتس ديني . ثم أعقبت الموجة الاولى من هؤلاء المهاجرين موجة ثانية وثالثة ، إلا أن دائرة الهجرة والاستيعاب الاسرائيلية وضعت العراقيل امامهم ولم تعتن بهم ، ومن هنا بدأت تبرز قضية « العبرانيين السود » التي بلغت ذروتها عندما اتخذت السلطات الاسرائيلية قرارا بطرد بعض المجموعات العبرية السوداء ، ومنع مجموعات أخرى من الوصول الى اسرائيل . وكان الدافع وراء هذا القرار تخوف السلطات الاسرائيلية من تزايد عدد العبرانيين السود ، الامر الذي من شأنه أن يخلق مشاكل عنصرية في المجتمع الجديد المليء بالتناقضات الطائفية والاجتماعية ، ويؤدي بالتالي الى ترجيح كفة السلبيات على

كفة الايجابيات التي كانت تتوخاها اسرائيل من استقبال عدد ضئيل من اليهود الملونين لخدمة أغراضها الدعاوية .

استوطن العبرانيون السود مدينة ديموناه ومتسبيه ريهون وعمراد في النقب الا ان تجمعهم الرئيسي يقع في « ضاحية النصر » في ديموناه ، كما وتوجهت عائلات عبرانية سوداء الى مدينة أريحا وسكنت بين أهلها العرب ، ومن خلال المقارنة بين معاملة الملونين في ديموناه اليهودية ومعاملتهم في أريحا العربية يتسنى لنا الوقوف على مدى التعصب العنصري أو التسامح الانساني لدى المجتمعين الاسرائيلي والعربي ، وسنقف على هذا الموضوع في مكان آخر من هذا المقال .

يعود تاريخ العبرانيين السود الى عام ١٩١٥ عندما بدأت فئات قليلة من زواج اميركا المتحدرين من أصل أفريقي يعتنقون الديانة اليهودية ، حيث انضم المتهودون منهم تحت زعامة بحار أسود من الولايات الجنوبية في اميركا ، كان قد ادعى ان الله ظهر له في الحلم اثناء رحلاته الى أرض الوطن وبشره بالنبوة ثم عاد الى اميركا وأسس « كنيسة الله » مثلما عرفت في فيلادلفيا . واستطاع من خلال اطلاعه على اللغتين العبرية والبيدشية اقتطاف فقرات من التلمود مما كان له وقع كبير على نفوس اتباعه(١)، الذين يعتقدون بأنهم في الحقيقة يتحدرون من اليهود الاثيوبيين أو الفلاش . ويبلغ عدد أفراد هذه الطائفة بضعة آلاف يتركزون في ضاحيتي هارلم وبروكلين في نيويورك وكذلك في مدينة شيكاغو . ومن الجدير بالذكر ان أبناء طائفة العبرانيين السود يعرفون في الولايات المتحدة بهذا الاسم أو باسم « اليهود السود » اما في اسرائيل فقد تعددت الاسماء التي تلصق بهم ، فبالاضافة الى الاسمين آنفي الذكر يعرفون أيضا بـ « الاسرائيليين السود » ، مع تحاشي المصادر الاسرائيلية في بعض الاحيان من ذكر اسم « اليهود السود » . أما أبناء الطائفة فقد أصبحوا في اسرائيل يتمسكون بشكل ملحوظ باسم « العبرانيين الاسرائيليين » دون ذكر كلمة اليهود بقدر الامكان كرد فعل على ما يلاقونه من « اليهود البيض » .

أخذ وضع « العبرانيين السود » في ديموناه يسير من سيء الى اسوأ بعد وصول اعداد من أبناء الطائفة لم تعترف سلطات الهجرة والاستيعاب الاسرائيلية بهم ولم تزودهم ببطاقة مهاجر ، كما وأغلقت مجالات العمل والسكن أمامهم ، ولم يبق أمامهم الا الانتحاء الى أبناء جلدتهم في ضاحية النصر في ديموناه ليتقاسموا معهم منازلهم وطعامهم . ومن الجدير بالذكر ان مجموعة ديموناه الاولى استقبلت « أخوتهم العائدين الى أرض الآباء والاجداد بالقرع على الطبول والرقص على أنغام القيثارة » . بيد أن القيود التي فرضت عليهم من قبل السلطات الاسرائيلية ، وشبهه المقاطعة التي واجهوها من قبل سكان ديموناه ، بالاضافة الى الوضع السكني حيث حشر ما ينوف على المئتي شخص في ١٢ شقة فقط ، قد جعل حياة أبناء هذه الطائفة لا تطاق الامر الذي دفعهم للقيام « بعملية غزو » في وضح النهار لحنوت كبير في ديموناه حين دخلت مجموعات من النساء والرجال السود الى الحانوت وتناولت منه الأغراض التي تحتاجها دون ان تقوم بدفع ثمنها ، بغرض دفع السلطات الاسرائيلية الى ايجاد حل لقضيتهم ، الا أن قوات الشرطة هرعت الى الحانوت ، وانسحب اليهود السود من الدكان . وقد ارتأى قسم من العبرانيين السود ان خير طريقة للخروج من الطوق العنصري المفروض عليهم في ضاحية النصر بديموناه الخروج من المدينة ، واقامة مستوطنة لهم في النقب ، وبالفعل توجهت مجموعة الى أحد الاماكن في النقب وانهمكت في بناء براكيات ، الا أن قوات الامن كانت لهم بالرصاد ، وحالت دون بروز مستوطنتهم العتيدة .

عند ذلك أخذت روح العنصرية تفوح وتشتد في ديموناه ، فقد توجهه أهالي « ضاحية

النصر « بعريضة الى السلطات الاسرائيلية يطالبون فيها « بايجاد حل فوري للمشكلة التي برزت في الضاحية في أعقاب اسكان السود مهاجري ليبريا بين ظهرانينا » . وبعد أن تطرقت العريضة الى حالة الضوضاء والصخب التي يحدثها الجيران السود « طيلة الليل » وانعكاسات هذه الحالة على السكان البيض تطرقت الى حالة الخوف التي تعتري قسما كبيرا من النساء « اللواتي يتخوفن من البقاء وحدهن . وتأخذ المشكلة بالاشتداد مع خروج الزوج للالتحاق في سلك الخدمة الاحتياطية » واختتمت العريضة بقولها « في ضوء ما تقدم نتوجه في هذه العريضة ونطالب كسل مؤسسة مسؤولة عن هذا الوضع ، بتمكيننا من العيش في بيوتنا دونما خوف او شغب ، وأن لا نرغم على العيش في حياة شبيهة بالحي اليهودي في نيويورك ، حيث لا يخرج الانسان من بيته ابتداء من ساعات المساء وحتى ساعات الصباح خوفا على حياته » (٢) .

ومع تصاعد الكراهية للسود ، المشفوعة بنمو العنصرية ، تحرك رئيس بلدية ديموناه مطالبا السلطات المختصة بايجاد حل لحالة الخوف الناجمة عن قدوم العبرانيين السود « الذين عكروا صفو المدينة » اما بطردهم من البلاد أو على الأقل بنقلهم من ديموناه . وقد احتاط رئيس البلدية ، نتيجة الخوف على نفسه ، ووضع حارسا على باب منزله ، تحسبا من وقوع حادث له على يد اليهود السود . ومن الجدير بالذكر ان كلمة الخوف او الرعب تتردد كثيرا على السنة اليهود البيض عندما يتحدثون عن اليهود السود بالرغم من أن اليهود السود لم يرتكبوا جريمة ضد أحد من البيض . والحقيقة أن حالة الخوف هذه حالة ذهنية مبنية على أفكار سابقة مشوشة تغذيها وتلهبها روح العنصرية ، وهي شبيهة الى حد كبير بحالة الخوف من الظلام او الليل ، فرئيس البلدية « يخاف منهم » كما ان قسما كبيرا من النساء يخفن منهم وهناك مهاجر جديد من الارجننتين يخاف منهم : « انني أخاف منهم . لقد نقلت أختي من المدرسة التي يتعلم بها أبناءهم . انها على قسط وافر من الجمال وأخاف عليها . لقد سبق لي أن عرفتهم خارج البلاد » (٣) . ووصفت احدي النساء حالة الخوف بقولها : « انهم يخيفون أطفالنا ويصرخون على الجميع . . . كل الجيران يغلقون أبواب منازلهم بشكل جيد ، لدرجة ان أحد الجيران أحاط منزله بسياج قوي . . . » ، ثم قدمت اقتراحا فريدا من نوعه ، يبعد عنها شبح الخوف من اليهود السود ، ويزيل عنها حالة الخوف من الفدائيين العرب في آن واحد « انني لا أريد طردهم من البلاد ، بل منحهم مكانا يستوطنون فيه . انني اقترح توطينهم بالقرب من الحدود لانني على ثقة بأن العرب سيخافون منهم ، ولن يجروا على اجتياز الحدود ولو مرة واحدة » (٤) . اما سكرتير مجلس عمال ديموناه « يهودا يافت » ، ضابط سابق في الجيش الاسرائيلي ، فقد عبر عن خوفه منهم بانكاره بأنه يخاف : « انني لا أخاف منهم ولم أخف حتى من العرب عندما قاتلتهم . لقد كنت ضابطا في الجيش الاسرائيلي ، انني لست خائفا لكي أطلب حراسة الشرطة (مثل رئيس البلدية) بيد ان الوضع على جانب كبير من الخطورة . ستحدث هنا عملية قتل أو كارثة أخرى . ان هؤلاء السود يتضورون جوعا وعندما يشعر الانسان بالجوع عند ذلك . . . » (٥) .

بالاضافة الى حالة الخوف الناجمة عن أفكار سابقة تجاه الانسان الملون ، أخذت تبرز في ديموناه اتهامات وادعاءات ضد الجالية السوداء ، وقد وجدت مكانا بارزا لها في وسائل الاعلام الاسرائيلية سواء في الصحافة او الاذاعة والتلفزيون . وتدور الادعاءات حول أعمال الشغب والضوضاء التي يحدثها العبرانيون السود طيلة النهار والليل ، وحول « أصوات الطبول وأنغام القيثارة التي لا تعرف النوم » الامر الذي يؤثر على راحة الجيران . وتتطرق الادعاءات ايضا وبأسف الى أعمال السرقة والسطو التي يقوم بها أبناء الجالية السوداء في ديموناه ، فهناك صاحب حانوت يشكو من أنهم سرقوا بعض الماكولات ، وثمة حلاق يشكو من ان الاطفال السود ألقوا بالحجارة على واجهة محله

وحطموها ، وهناك كثير من النسوة يدعين بأن « الثياب التي تنثر في الهواء ، وتسقط ، لا تعود » . غير أن أي واحد من هؤلاء لم يقدم دعوى الى الشرطة ضد « اللصوص السود » خوفا من الانتقام ! ويصف ضابط اسرائيلي يسكن في « ضاحية النصر » اعمال السرقة والجو السائد في ديموناه بقوله: « انهم يذهبون الى الحانوت على شكل جماعات ، يقوم واحد منهم بمشاغلة صاحب الحانوت ، وينهبك الآخرون بالسرقة . ان الجو في الضاحية على جانب كبير من التوتر . لقد هجرت بعض العائلات الضاحية بسببهم ، واصبح من المستحيل تأهيل الشقق الخالية لانه لا يوجد هنالك من يريد ان يسكن معهم في الضاحية . يوجد بينهم نساء مع اولاد وبدون أزواج . ان اولادهم يشكلون قدوة سيئة لاولادنا » (١) .

ومن الجدير بالذكر — بمناسبة الحديث عن القدوة السيئة لاولادنا (اي اولاد البيض) — انه لم يرد ذكر اية حادثة اعتداء من قبل اطفال السود ضد اطفال البيض وكان سببها السود ، فالحوادث التي تقع عادة بين الاطفال يكون وراءها اطفال البيض ، فخلال عشية عيد المساخر عند اليهود ، أخذ اطفال البيض يلاحقون الاطفال السود ويصرخون في وجوههم « أسود قذر » مما أدى الى وقوع شجار بين الطرفين . وكافة الحوادث التي تقع بين الاطفال تعقب عادة صرخة « زنجي قذر » . ومع ذلك فقد أبرزت وسائل الاعلام الاسرائيلية الجانب السلبي الذي ينعكس على اطفال البيض من جراء معاشرتهم للسود بشكل آخر ذكي ، كما جاء على لسان الطفل دادو حداد الذي يلعب في بعض الاحيان مع الاطفال السود في الملعب المشترك : « صحيح انهم يتسببون في صخب فظيع خلال الليل ، يغنون ويرقصون ، الا أن ذلك يجذبني للتطلع اليهم من خلال النافذة ، وبعد ذلك وخلال النهار لا استطع تركيز افكاري في المدرسة ، الامر الذي يجعل المعلمة تغضب علي » (٧) .

الى جانب الادعاءات من قبل البيض ضد السود التي تلتصق بهم اعمال سطو وسرقة واحداث شغب وصخب ، أخذ البعض من سكان ديموناه يفكر بالرحيل من المدينة ، بعيدا عن السود وعن مشاكل المستقبل للمدينة اذا لم تقم الحكومة بايجاد حل . يقول أحد السكان بعد ان رفض أن يفصح عن اسمه خوفا من الانتقام ! « لا يهمني اذا كان هؤلاء يهودا أم لا . ان هذه المسألة تهم الدولة ، بيد أن الذي يهمني مستقبل الضاحية وهذا المكان ، وخاصة كيف تتطور الامور . انني اريد ان أعيش في هدوء وأمن . لسدي امرأة واطفال وأخشى أن يصيبهم مكروه . لقد دفعت مقابل حصولي على الشقة . ٤ الف ليرة وأريد أن تحافظ على قيمتها ، فاذا لم يطرأ تغيير على الوضع الراهن سيكون من المشكوك فيه أن أتجح في بيعها او أنجح في البقاء هنا . انني لا أرى آمالا كثيرة » (٨) .

وازاء هؤلاء المتذمرين الذين يشكلون استعظافا ، هنالك من يتحدثون بعنف ، ويهددون باستخدام القوة ضد القادمين السود ، وخاصة من بين عناصر الشباب مثل دافيد ابو طبول البالغ من العمر ٢٦ عاما من سكان الضاحية : « لقد ابلغنا هذا الاسبوع البلدية بأنها اذا لم تعالج هؤلاء السود القذرين فاننا سنأخذ القانون بأيدينا » (٩) .

وخلال ذلك ، ووسط رائحة العنصرية والطائفية أخذ البعض يهجر المدينة مثل « يحزقيل كوهين » يعمل في سلك التعليم ، الذي مس كبد الحقيقة عندما تحدث عن الوضع السائد في ديموناه ، والناجم عن اللبنة الطائفية المجهول بها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل : « باستطاعتكم نشر اسمي لان الامر لا يهمني الآن ، لقد كنت مديرا لاحدى المدارس هنا ، كما وكانت امراتي معلمة . وقد اضطررنا للهجرة من ديموناه بسبب التمييز الطائفي . لماذا ؟ لانني (فوزفوز) اشكنازي . نعم هكذا هو الواقع ، ٦٠ ٪ من سكان المدينة من مهاجري شمال افريقيا و ٢٠ ٪ من مهاجري الهند ، ويمثل النسبة الباقية أبناء

الطوائف الأخرى . ويحس المرء هنا بالتوتر الطائفي الذي يملأ الجو ، فليس من المستغرب ان انغلق السود في جيتو خاص بهم . **انهم لا يريدونهم لأنهم سود** ، كما أنهم لا يريدونني لانني اشكنازي . لماذا لا يسلمونهم منازل ؟ لماذا يؤدون بهم الى حالة الجوع ؟ هناك مساكن كثيرة في ديموناه تكفي الجميع » (١٠) .

قبل التطرق الى الجانب الآخر من مشكلة « العبرانيين السود » والى الوقوف على وجهة نظرهم تجاه القضايا التي تهمهم ، لا بد من الوقوف قليلا حول اوضاع اخوانهم في متسبيه ريمون ، المكان الثاني لتجمعهم ، لاستكمال صورة نظرة اليهود البيض تجاههم .

ان المعلومات حول ابناء الطائفة العبرانية في متسبيه ريمون وعراد قليلة وغير كاملة ، بسبب قلة عددهم في هذين المكانين ، واشتداد أزمة ابناء الطائفة في ديموناه لدرجة أصبحت معها قضايا الملونين في متسبيه ريمون وعراد ثانوية . ويستدل من المعلومات المتناثرة والمبتورة حولهم ان الادعاءات نفسها التي وجهت ضد ابناء جلدتهم في ديموناه قد وجهت ضدهم ولو بشكل مخفف . يقول رئيس مجلس متسبيه « تسفي حزان » : « قبل نصف عام توجه الي موظف كبير يعمل في وزارة الاسكان واقترح استيعاب ١١ عائلة سوداء بسبب افتقار معاملنا الى الايدي العاملة . لقد كانت تلك بمثابة المرحلة الاولى والاخيرة . ان هذه المجموعة منغلقة على نفسها ، تقسم من افرادها يعمل ، وقسم آخر منهمك بأعمال مختلفة مثل صناعة ادوات الزينة والاحزمة الجلدية . ويشكو السكان من الصخب والضوضاء كما ويشكون من ان كل شيء ينشر في الهواء على الحبال ، ويسقط في الساحة ، لا يعود أبدا . ان ذلك أمر غير مستحب . بالاضافة الى ذلك ، لا يدفعون الضرائب بشكل منتظم ، كما ويتأخرون في دفع اقساط اجرة المنازل » (١١) .

مع وصول المجموعة الاولى الى ديموناه ، فوجيء افرادها عندما أرسلت السلطات الاسرائيلية اليهم الحاخام « درعي » من اجل تهويدهم ، ذلك أنهم اعتقدوا ان لا حاجة الى تهويدهم ، باعتبار أنهم من ابناء طائفة « اليهود السود » او « العبرانيين السود » في الولايات المتحدة ، وقد قدموا الى اسرائيل بموجب قانون العودة عام ١٩٥٠ ، ولذا رفضوا الفكرة من أساسها ، وعاد الحاخام درعي صفر اليدين . الا ان السلطات الاسرائيلية عادت وأرسلت اليهم المدير العام لوزارة الاستيعاب في ذلك الوقت الزعيم (احتياطي) يوسف جيبع في محاولة لتهويدهم ، وعندما رفض هؤلاء الفكرة هددتهم جيبع بأنهم اذا لم يتهودوا سيحرمون من الحقوق التي يتمتع بها المهاجرون الجدد ، كما وستغلق ابواب العمل أمامهم . قد يبدو للوهلة الاولى انه من الغريب ان تأتي محاولات التهويد بعد مدة من وصول ابناء الجالية الى ديموناه ووفق قانون العودة الإسرائيلي ، الا ان وجه الغرابة يزول اذا علمنا ان السلطات الاسرائيلية كانت تتصور ان الهجرة ستقتصر على هذه المجموعة الصغيرة التي يمكن استخدامها لاغراض دعائية ، فضلا عن انه اتضح لها ان المجتمع الاسرائيلي يرفض ان يكون بين صفوفه عناصر اثنية غريبة عنه خاصة اذا كانت هذه العناصر سوداء اللون .

ومن الجدير بالذكر هنا ان مجيء العبرانيين السود الى اسرائيل رافق الضجة الحادة التي حدثت بسبب القضية المشهورة للرائد بنيامين شليط حول من هو اليهودي ؟ وعندما عرضت قضية اليهود السود على حاييم شبير (من الحزب الوطني المتدين) وزير الداخلية في ذلك الوقت قال بتهمك « هذا ما ينتصني الان ! » .

عند تمسك العبرانيين السود بموقفهم أخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تشكك في يهوديتهم مدعية ان قسما منهم غير مختون ، وانهم بعيدون كل البعد عن الدين اليهودي ، ولا يصلون في كنيس ، وزادت على ذلك بأن ذكرت ان احد زعمائهم ويدعى « بن عامي

كارتر « شوهده وهو يخرج من احد مساجد القدس ، وعندما سئل عن سبب دخوله المسجد اجاب بتلعثم بأنه يتاجر بالبسط .

وقبل التطرق الى معتقدات العبرانيين السود لا بد من الاشارة الى ان مفاهيمهم الدينية، وخاصة الزعماء منهم ، قد تطورت على اثر اصطدامهم بالواقع العنصري للمجتمع الاسرائيلي ، ففي حين كان افراد الطائفة يعتبرون في الولايات المتحدة فئة يهودية بالرغم من مفاهيمهم الخاصة والمشوشة عن اليهودية ، أصبح قسم كبير منهم يبتعدون عن المفاهيم اليهودية الارثوذكسية، وينكرون بأنهم يهود، ويبلورون مفاهيم جديدة «للعبرانيين الاسرائيليين» كردة فعل للتمييز الذي لاقوه . ومع ذلك يجمع كافة افراد الطائفة على ان التوراة هي كتابهم المقدس وما عدا ذلك فهو بمثابة بدع . كما ان لهم مفاهيم خاصة تجاه انبياء اليهود مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب ، فجميع هؤلاء سود وليسوا بيضا ، كما ان الله نفسه أسود وليس أبيض .

ويحدثنا احد زعمائهم في ديمونا « جبرائيل كتان » عن معتقداتهم قائلاً : « اننا لسنا يهودا ، ولسنا على استعداد لان نصبح يهودا . نحن عبرانيون اسرائيليون نؤمن باننا من ذرية ابراهيم واسحاق ويعقوب . انتم تسمون باليهود لانكم من سبط يهودا ، بينما نحن وانثون اننا نتحدر من بقية اسباط اسرائيل ، ولذلك فان هذه الارض لنا ، وليس هنالك داع لنصبح يهودا . اننا اسرائيليون اكثر من عدد كبير من اليهود الذين هاجروا الى هنا وتلقوا كل شيء من الحكومة . ان الحكومة لا تريدنا لاننا لا نريد ان نتهود ، وقد اوضحنا للحاخام درعي ان لا حاجة لتهودنا لكوننا عبرانيين اسرائيليين ، واذا لم نتلق المساعدة من الحكومة فان الرب لن ينسانا وسيمدنا بيد المعونة » (١٢) . ومن الملاحظ هنا ان جبرائيل كتان حاول ان يفرغ كلمة « يهود » من المعنى الديني ، الكامن بها ، ويضفي عليها معنى السبط او الامة ، لكي يماثلها بالمعنى الكامن وراء كلمة « العبرانيين الاسرائيليين » التي أضفى عليها معنى الامة .

اما زميله « يحزقيل بن يسرائيل » من سكان ديمونا فيعترف بالمعنى الديني الكامن وراء كلمة يهود ، الا انه لا يتقبله : « ان مفهوم يهودي غير مقبول لدينا ، فكلمة يهودي مفهوم ديني ، اما العبرانيون الاسرائيليون فانه اسم امتنا . لقد كان العبرانيون الاوائل سودا . اننا نطالب بالحصول على قطعة ارض لكي نعبد الخالق عليها » ويضيف بتحد كرد فعل على الادعاءات التي تنتشر ضددهم : انتم اليهود لن تقولوا لنا من نحن . لقد قالها لنا الرجل الابيض في الولايات المتحدة . . . هنالك توتر وكبت في الجو ، وسيأتي الكثيرون في اعقابنا » (١٣) . ومع ذلك فهنالك قسم منهم يعتبر نفسه يهوديا وخاصة من بين الاشخاص العاديين من ابناء الطائفة مثل المدعو « ايوان » . « طبعا انا يهودي ، ولدت في اميركا كيهودي ، وهكذا . كنت دائما مثل ابوي واخوتي الاربعة » .

ويمكن القول ان طائفة العبرانيين الاسرائيليين تعتبر من الناحية الدينية طائفة يهودية ، الا انها ازاء واقع التمييز الجديد في المجتمع الجديد ، حاولت ان تضفي مفاهيم جديدة على معتقداتها اليهودية .

وفيما يتعلق باداء الطقوس الدينية لافراد الطائفة ، فانهم يؤدونها بقلوبهم وفي اي مكان يرتأونه مناسباً ، فهم لا يذهبون الى الكنيس (في اسرائيل) لاعتقادهم بانه بمثابة حجارة ولا يمكن للانسان المؤمن ان يتشبه بعبدة الاصنام الذين يخشعون امام التماثيل المصنوعة من الحجر . يقول احد رجالهم في ديمونا ويدعى « سيسخار » : « اننا لا نصلي مثلكم في الكنيس لاننا نحن اليهود الحقيقيون . ان الكنيس بمثابة مبنى . ان داوود الملك اراد ان يبني بيتا للرب بيد ان الرب لم يسمح له بذلك . . . ليس هنالك داع لاثبت لاولئك الذين يصلون امام حائط من حجر بأنني يهودي ، انهم لا يستطيعون ان يقولوا لي

من أنا ، ان الذي يصلي امام حائط يعتبر من عبدة الاصنام ، كما انه من غير المستحسن ان يراك شخص ما وانت تصلي ، ان الامر الوحيد الذي نعمله سوية هو ان نتجمع ونتناول اطراف الحديث عن الدين . . . » (١٤) . ويستكمل « ميخائيل يسرائيل » احد رجال الطائفة في ديمناه توضيح الصورة متهما اليهود (ربما يكون كردة فعل على تهكمات الاسرائيليين عليهم) بأنهم عبدة اصنام : « انتم اليهود تصلون للحجارة ، تصلون لحجارة حائط المبكى في القدس كأنها قوة عليا . ان ذلك محرم ، والتوراة تحريمه . اننا نصلي في قلوبنا » . أما جبرائيل كنان فقد اوضح بأن الصلاة تعتبر مسألة شخصية : « ان هذه مسألة شخصية وانا لا اسألك كيف تصلي وهل أنت تصلي . كل انسان يصلي في قلبه وهذا هو المهم » (١٥) .

من الملاحظ في اقوال وتصريحات العبرانيين الاسرائيليين تشددهم على انهم من اسباط بني اسرائيل ، وتمسكهم « بأرض الميعاد » التي « وعد الله بمنحها لبني اسرائيل » ، وهذا الامر يغيظ الاسرائيليين ويجعل البعض منهم يوشك على « التفجير » من شدة الغيظ . وسنورد هنا حديثا بين صحفي اسرائيلي واحد العبرانيين السود ، مع الملاحظة بأن طبيعة الاسئلة والرد عليها تتسم بنوع من التحدي الناجم عن التمييز العنصري .

« س : من انت ؟

ج : بعد خمس سنوات سأقوم انا بتقديم الاسئلة وانت بدور الاجابة .

س : ماذا يحدث حينئذ ؟

ج : عند ذاك سنقيم مملكة داوود الجديدة بمشيئة الله ، اننا ملايين كثيرة ، وهذه بلدنا ، لقد كان ابراهيم واسحاق ويعقوب سودا مثلنا ، ونحن اليهود الحقيقيون .

س : من اين لك بانك يهودي حقيقي ؟

ج : ومن اين لكم الثقة بانكم يهود حقيقيون ؟ اننا يهود مثل ابائنا ابراهيم واسحاق ويعقوب . لقد باعوننا للعبودية ، والان نعود الى بلادنا ولن نتحرك منها ابدا » (١٦) .

أما البعض الذي يوشك على « التفجير » والاختناق من رائحة « الصهيونية الجديدة » المنبعثة من اقوال العبرانيين ، فيمثلهم يهودا ياقوت سكرتير مجلس عمال ديمناه الذي يطالب بترحيلهم قبل ان يستشري خطرهم : « انني اقول لك بأنني اردت ان اصفع احدهم عندما زرت بيته . لقد شعرت بأنني اكاد ان اتفجر تماما . لقد قال لي : خلال ستة اعوام سيتراوح عددنا في اسرائيل من مليونين الى ثلاثة ملايين ، وعند ذلك سنأتي نحن وندرس احوالكم ! لماذا لا نصدقهم ؟ انهم يفصحون عما يجول في خاطرهم . انهم يعلنون بانهم ضد قوانين الدولة . . . انهم يهددوننا بأنهم سيصفون الحساب معنا مع مجيء الوقت » (١٧) .

ومن المعروف ان العبرانيين السود يناضلون من اجل هجرة اخوانهم من المنفى (الولايات المتحدة) الى اسرائيل ، اسوة بهجرة يهود الشتات ، وعندما تأتي مجموعة يستقبلون « العائدين من المنفى » بالرقص على اصوات الطبول وانغام القيثارة ، وعندما تقوم اسرائيل بطرد مجموعة منهم او تحول دون وصول مجموعات اخرى يحتجون ويهددون « بأن ذلك لن يساعد سلطات اسرائيل لان جماهير غفيرة ستتفتني اثرنا ، ولن يكون بوسعكم الوقوف امامهم . . . اننا سنأتي امواجا امواجا الى ارضنا » او كما يقول جبرائيل كنان : « انه من غير المستحب ان تقوم حكومتكم بمنع اخوتنا من الهجرة الى اسرائيل . ستقع هنا حرب كبيرة ، ليست حربا بالسلاح ، فنحن لانملك السلاح . . . ولكن الحرب ستقع اذا لم يقرر الرب في اللحظة الاخيرة اعدتكم الى طريق الصواب لكي تفهموا قضيتنا » (١٨) .

هنالك قضية تحاول وسائل الاعلام الاسرائيلية التركيز عليها ، وهي هجرة المجموعة

الاولى الى ليبيريا ومكوئها هناك بعض الوقت قبل مجيئها الى اسرائيل اي عدم هجرتهم من الولايات المتحدة الى اسرائيل مباشرة اسوة بسائر اليهود ، بغرض الايحاء بان هجرتهم الى اسرائيل لم تأت من خلال ايمان مطلق او تصميم مسبق ، بل بفضل المصعوبات التي واجهتهم في ليبيريا . الا ان العبرانيين السود يردون على هذا الايحاء وذلك التشكيك بردود تتسم في بعض الاحيان بالتحدي لما فيها من وخزات للمجتمع الاسرائيلي مثل قولهم : « اننا عشنا في ليبيريا عيشة الصحراء ، لكي نتعلم كيف نعاني هنا » . ويفلسف « منشييه بن يسرائيل » احد افراد الجالية قدومهم الى ليبيريا ومن ثم مجيئهم الى اسرائيل بقوله : « لقد انتظرنا اكثر من ٤٠٠ عام لكي نصبح احرارا . اننا لا نحتاج فقط الى تحرير مادي ، بل ايضا الى تحرير روحي ، ولذا قررنا قبل المجيء الى اسرائيل المكوث في ليبيريا وافريقيا في المكان الذي جلبنا منه كعبيد . وبعد ان طهرنا انفسنا هناك سمح لنا بالقدوم الى ارض الاباء » (١٩) .

يمنتع العبرانيون وبشكل ذكي عن خوض المواضيع السياسية التي تشغل بال الاسرائيليين ، ويحصرّون حديثهم السياسي حول التمييز العنصري الذي يواجهونه سواء من قبل السلطات الاسرائيلية او المجتمع الاسرائيلي ، ويتهربون من الافصاح عن رأيهم حول القضايا السياسية الهامة او البت فيها ، ويفغفون تهربهم في بعض الاحيان بأمور دينية . ونلاحظ ذلك من خلال الاسئلة التي توجه اليهم واجوبتهم عليها ، فحول مدى استعدادهم للانخراط في سلك الخدمة العسكرية في اسرائيل ، يردون بالشكل التالي : « لماذا هذه الاسئلة ، كيف يمكن لك ان تتفهمننا . اننا جوعى وانت شبعان » او « اننا لم نعد الى بلادنا لكي نطلق النار ونقاتل » وكذلك الحال بالنسبة لمصير المناطق المحتلة فانهم يتهربون من الافصاح عن رأيهم تجاهها باعتبارها قضية سياسية ، اما اذا جوبهوا باسئلة حرجة - وكثيرا ما توجه اليهم - حول مدى استعدادهم للدفاع عن « ارض الاباء » فيتهربون ويفغفون اجابتهم بأمور دينية ، ونورد هنا نموذجا من الاسئلة الحرجة والاجوبة عليها .

س : هل انتم على استعداد للدفاع عنها (ارض الاباء) ؟

ج : نحن ضد الحروب . ان الله هو الحامي .

س : واذا ما قام العدو بهجوم واراد احداث دمار وخراب ؟

ج : انه لن يمس اناسا مثلنا . غالله يقوم بحمايتنا « (٢٠) .

ذكرنا سابقا ان السلطات الاسرائيلية اخذت تضع العراقيل امام العبرانيين السود وتحول دون حصولهم على عمل يقيهم غائلة الجوع ، وتطرد البعض منهم ، وتحول دون البعض الاخر من المجيء الى اسرائيل ، كما ان المجتمع الاسرائيلي سواء في ديموناه او خارجها ينظر نحوهم نظرة احتقار وازدراء مشفوعة بروح عنصرية . وفي مقابل ذلك تشبث العبرانيون بحقهم في المجيء الى البلاد بموجب قانون العودة ، وبلوروا مفاهيم جديدة على معتقداتهم وطعموها بمفاهيم الامة والشعب ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن كم يبلغ عدد افراد هذه الجالية في اسرائيل ؟ وهل باستطاعة هذا العدد ان يحدث هذه الضجة ؟

للوهلة الاولى يبدو ان الشق الاول من السؤال اسهل للاجابة ، الا ان العكس هو الصحيح ، فالمعلومات الواردة في المصادر الاسرائيلية حول عددهم متناقضة وليست دقيقة ، ففي حين تقدر بلدية ديموناه العدد بأنه يقارب الـ ٢٥٠ نجد بعض المصادر الاسرائيلية التي تتخوف من تكاثرهم وتطالب الحكومة بطردهم ، تبالغ في العدد وتدعي بأنه يناهز الالف ، وبعض المصادر الاخرى تسدعي بتهمك انه يعادل الالفين من حيث الصخب والضوضاء ! بينما يدعي بعض الاسرائيليين المتذمرين منهم ومن تعذر وجود حل جذري وسريع لطردهم بأن الله فقط هو الذي يعرف عددهم ! اما العبرانيون السود

انفسهم فيذكرون ارقاما متناقضة ومبالغا بها بعض الشيء عندما يسألون عن عددهم ، فأحيانا نجد العدد ٥٠٠ و احيانا أخرى الف ، ومن الجدير بالذكر أنهم يقرنون هذه الأرقام أثناء الحديث عن عددهم « بالآلاف من أختونا الذين يعيشون في المنفى ويعتزمون المجيء الى ارض الاباء » وفي بعض الاحيان « الملايين من أختونا . . . » . ومع ذلك يمكن القول ان عدد افراد هذه الجالية يناهز المئتين ولا يتعدى الثلاثمائة . ولكن هل باستطاعة هذا العدد البسيط ان يحدث هذه الضجة ؟ . الحقيقة ان الضجة التي رافقت مجيء العبرانيين لا تعود اليهم او الى معتقداتهم بقدر ما تعود الى الطبيعة العنصرية للمجتمع الاسرائيلي . فبالإضافة الى سياسة المحاصرة والتجوير التي مارستها السلطات الاسرائيلية ضدهم ، والمقاطعة المشفوعة بافتراءات وتهم من قبل اليهود البيض ، حرم معظم اطفال الجالية « العبرية الاسرائيلية » من الالتحاق بالمدارس ، لامتناع المؤسسات الثقافية عن استيعابهم بحجة أنهم لا يحملون بطاقة مهاجر . ويعي العبرانيون السود السياسة العنصرية التي تمارسها اسرائيل ضدهم . ويكشف « جبرائيل كتان » هذه السياسة بقوله : « الحقيقة أنهم لا يريدوننا ، ان اسرائيل تمارس سياسة عنصرية وتنجح في التستر على كراهيتها للسود ، بيد اننا كشفنا القناع عن وجهها الحقيقي ، لذلك فنحن نعرف كيف ندافع وكيف نعمل للحصول على حقوقنا » (٢١) .

ويعترف بعض الاسرائيليين (البيض) مثل موشيه لايفشتس من سكان ديمونا — بالرغم من أنه طالب بطرد العبرانيين السود — بالتعصب العنصري الذي أخذ ينمو بين صفوف الاسرائيليين مع قدوم الجالية اليهودية السوداء بقوله : « يؤلني مصير هؤلاء السود . . . ويؤلني بشكل أشد العنصرية التي أخذت تنمو في اوساطنا والتي من شأنها ان تشوه شكل دولتنا وطابعها » .

لم تقتصر سياسة التمييز الموجهة ضد ابناء العبرانيين السود ، والنابعة من الطابع العنصري للمجتمع الاسرائيلي ، على الاحياء منهم فقط ، بل تشمل ايضا الاموات . فقد حدث ان توفي طفلان من ابناء الطائفة العبرانية ، ووقف المسؤولون عن الدفن حيارى من امرهم ، هل يوارونها التراب في المقبرة اليهودية او في مقبرة جديدة ؟ واستقر الرأي على احاطة المقبرة اليهودية بسور وان يوارى جثمان الطفلين الاسودين خارج السور .

قبل ان نتطرق الى وضع العبرانيين السود في اريحا والى معاملة العرب لهم تجدر بنا الإشارة الى ان قضية ابناء الطائفة قد شغلت معظم المؤسسات الرسمية العليا في اسرائيل ، بما في ذلك محكمة العدل العليا والكنيست ، وبعثت من جديد قضية من هو يهودي ؟ وأثارت الجدل حول قانون العودة لعام ١٩٥٠ الا ان أهم شيء في قضية العبرانيين السود يتمثل في الطريقة التي عالجتها المؤسسات الرسمية والتي تفوح بالرائحة العنصرية . وسنورد هنا الحديث الذي جرى اثناء طلب قدمه المحامي « بن منشيه » الى محكمة العدل العليا لايثاف الامر الذي صدر بحق ٨ من ابناء الطائفة بمغادرة البلاد ، وقد اشترك في الحوار المحامي والقاضيان « ميني » و « كيستر » .

« القاضي ميني : هل لديكم اثبات بانكم من نسل الاسباط العشرة ؟ هل توجد لكم شجرة عائلة ؟ المحامي : من المعترف به ان اليهودي هو ابن ام يهودية ، ومن هي الام اليهودية ؟ هي ابنة ام يهودية وطمجرا . ان موكلي يدعون بانهم من نسل الامة العبرية .

القاضي ميني (بتهمك) : العبرانيون هم اولئك الذين عبروا النهر ، وكذلك هؤلاء عبروا النهر ، ولكن نهر المسيبي » .

المحامي : يواجه موكلي مأزقين : انهم يهود وايضا سود .

القاضي ميني : ليست هناك ولو ذرة تمييز بسبب اللون .

المحامي : انهم يقولون بانهم عبرانيون بيد ان الجميع يلقبونها بالسود .

القاضي كيستر : ان الفلاش ليسوا بيضا ومع ذلك لم يطردوا من البلاد .

الحامي : المشكلة مع الفلاش لم تثر بسبب قلة عددهم في البلاد « (٢٣) .

وفيما يتعلق بمعالجة الموضوع في الكنيسة فقد دلت « المعالجة » بشكل واضح جلي على مسدى العنصرية الكامنة والتي تستيقظ بين الفينة والاخرى بين اجنحة البرلمان الاسرائيلي . فقد استغلّت كتلة جاحال « حيرت الاحرار » مقتل أحد افراد الطائفة على يد احد ابنائها بسبب خلاف عادي ، وطلبت طرح الموضوع امام الكنيسة تحت عنوان « التوتر الاجتماعي في ديموناه » ووصف عضو الكنيسة « مناحيم يديد » من كتلة جاحال في الجلسة وضع مدينة ديموناه بعد مجيء العبرانيين الاسرائيليين اليها بقوله : « يلقي سود شيكاغو ظلالة من الارهاب والرعب والخوف (على المدينة) ولا يترددون في سلب حقنا على ارض اسرائيل . من يعرف اين ستؤدي عملية القتل النكراء . ينبغي اتخاذ الحيطة والحذر من قوى العنف هذه . ان السكان يطالبون بوضع حد لمعاناتهم . من الصعب وصف المشاعر التي تعتمل في صدور سكان ديموناه الذين المت بهم منصية كبيرة وفضيحة من الصعب مواجهتها . ان قانون العودة لا يسري عليهم ، وليس باستطاعتهم في اي حال من الاحوال طلب حق الدخول الى ارض اسرائيل . انني اعتقد بضرورة قيام الحكومة باجراء دراسة جذرية لمعرفة اذا ما كانت هنالك عناصر معادية تقف وراء هؤلاء الاشخاص ، او اذا كانوا يعملون او يستغلون بايحاء من قبل عناصر تسللت بين صفوفهم » (٢٤) .

لقد اثار مجيء عدد قليل من اليهود السود الى اسرائيل ، العنصرية الكامنة في المجتمع الاسرائيلي ، سواء على صعيد الافراد او الهيئات المحلية ، ام على صعيد وسائل الاعلام والمؤسسات الرسمية العليا . والحقيقة ان هذا الامر غير مستغرب في مجتمع كالمجتمع الاسرائيلي الذي يعمل دائما على نقاء العنصر اليهودي في الدولة اليهودية ، واذا علمنا ان هذا المجتمع — وهو لا يزال يعتبر مجتمع مهاجرين ومستوطنين — يحمل بين ثناياه مجموعة من الصراعات المتفاعلة ، مثل الصراع حول من هو يهودي ، والصراع بين الطوائف العربية والطوائف الشرقية التي تثن من واقع التمييز في كافة المجالات والتي تلتصق بابنائها كنية « السود » من قبل ابناء الطبقة الفوقية (الاشكناز) مع ان لونها ابيض ، يسهل علينا تصور النظرة تجاه اليهودي الاسود فعلا .

تحدثنا في السابق حول مجمل القضايا التي واجهها العبرانيون السود في ديموناه ومنتقل الان للحديث حول اوضاعهم في مدينة اريحا العربية . لم ينج اليهود السود في اريحا من مطاردة السلطات الاسرائيلية لهم ، فقد طردت ثمانية منهم الى خارج البلاد .

كيف كانت معاملة العرب لهم ؟ هل اتسمت نظرة السكان العرب بالعنصرية او التعصب ؟ للرد على هذين السؤالين نورد هنا حديث يهودي اسود (منشيه بن اسرائيل) اجراه معه صحفي اسرائيلي :

« س : الاتوجه صعوبة في العيش في محيط عربي ؟

ج : انني اعيش على ما يرام مع عائلتي .

س : من يوجد معك .

ج : فقط زوجتي .

س : ما هو شعورك وانت تسكن وحيدا بين العرب ؟

ج : حسن للغاية ، عندما جئت سألوني هل انت مسلم او مسيحي . قلت بفخر : انا يهودي .

س : كيف كانت نظرتهم اليك بعد ان اعلنت بانك يهودي ؟

ج : ان نظرتهم كنظرتهم الى كل غريب . ليس فقط اصحاب هذا البيت بل كافة سكان اريحا ذوو قلوب طيبة . ولذلك لا اواجه مشاكل ... ان الناس هنا وديون بشكل ايجابي ، وهذا يعني انهم لا يضعون العراقيل امامك ، ولا يحشرون انوفهم في شؤونك ، انني لا اشعر نفسي غريبا بين العرب .. »

من خلال الجملة العفوية البسيطة التي تفوه بها « منثيه بن اسرائيل » يمكن للقارىء تصور مدى الهوة القائمة بين النظرتين المتناقضتين ، النظرة العنصرية الشوفينية التي تمثلها ديموناه الاسرائيلية والنظرة الانسانية التسامحية التي تمثلها اريحا العربية . ثم انتقل الصحفي الاسرائيلي الى توجيه اسئلة حرجة تمس الصراع العربي الاسرائيلي :

« س : هل تعتبر نفسك « مستوطنا » ؟

ج : (يتحفظ) انني لم أكن في البلاد خلال حرب الايام الستة ، ولا انتمى الى الحرب ، انني لا ا تدخل في السياسة بل اعيد الرب . ان حقنا في الوجود هنا حق منحه لنا الرب .

س : ماذا تعني بـ « لنا » لليهود او العرب ؟

ج : انني لا اريد ان اخوض في هذا الموضوع ، لا اريد ان اتطرق الى السياسة او الى الجدل القائم حول لمن تعود هذه الارض . انني على ثقة بان الله هو الذي سيقرر مصير هذه البلاد . ان ذلك فوق طاقتي .

ولاستكمال الصورة حول نظرة سكان اريحا العرب تجاههم نورد هنا الحديث الذي أدلت به مواطنة عربية من سكان اريحا تدعى امينة زكريا ابراهيم :

« س : اتعرفين معتقدات الشخص الذي استأجر منزلكم ؟

ج : لقد قال لي فور وصوله الى هنا بانه يهودي .

س : بالرغم من ذلك اعطيته المنزل ؟

ج : لماذا لا ؟ أليس هو انسانا ؟ » (٢٥) .

ذكرنا في السابق ان التمييز العنصري الذي واجهه العبرانيون السود في ديموناه لم يقتصر على الاحياء منهم فقط بل شمل ايضا الموتى ، وتمثل ذلك في قضية دفن طفلين من ابناء الطائفة ، التي وجدت حلالها بمواراتها التراب بالقرب من المقبرة اليهودية وبناء سور بين الموتى البيض والموتى السود .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هل ستبنى الاسوار حول المقبرة العربية في اريحا في حال وفاة احد اليهود السود ؟ لقد حدث فعلا ان توفي طفل من ابناء الطائفة ، ولم تحدث قضية دفن ، بل تمت عملية دفنه بهدوء ، بواسطة العرب انفسهم بالقرب من مقبرة البلدة دون ان يكون هنالك سور او حائط .

نعود الان الى الحديث حول جانب اخر من قضية العبرانيين السود ، وهو وجه الشبه الكبير بين طلائع المهاجرين اليهود البيض في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الذين قدموا الى فلسطين بحجة ان الرب قد منحها لهم ، وبين طلائع المهاجرين اليهود السود الذين قدموا الى فلسطين عند بداية الربع الاخير من القرن العشرين بحجة ان الاله قد منحها لهم ايضا .

لقد مر معنا كيف ان اليهود السود قد بلوروا اثناء وجودهم في ديموناه مفاهيم جديدة وطعموا معتقداتهم الدينية بمفاهيم الامة المميزة التي وعد الله انبياءها في الماضي بمنح ذريتهم « ارض الميعاد » ، وكيف انهم يتحدرون من نسل هؤلاء الاباء ، ولذا فسان هذه الارض تخصهم وحدهم . ومن اجل الشروع في امتلاك الارض حاول اليهود السود بناء اول مستوطنة تابعة لهم في النقب الا ان السلطات الاسرائيلية حالت دون ذلك .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن : هل العبرانيون السود يعتبرون حركة صهيونية جديدة تحاول ان تظهر على انقاض الصهيونية القائمة ؟ كثيرا ما تلمح المصادر الاسرائيلية باستغراب ودهشة الى اوجه الشبه بين الحركة الصهيونية ومطالب العبرانيين السود ، الا انها لم تتطرق الى اسباب ولادة « الحركة الصهيونية السوداء » ، وهنالك من بين الاسرائيليين من يخرج عن اطار التلميح ، ويدخل اطار الحلم ، ليروي لنا ولادة الحركة الصهيونية السوداء وولادة الدولة العبرية السوداء على انقاض الحركة الصهيونية

البيضاء والدولة اليهودية البيضاء . وصاحب هذا الحلم هو أوري أفنيري ممثل كتلة هعولام هزيه المعارضة في الكنيست .

هنالك ثلاث ملاحظات لا بد منها قبل التمعن في اللوحة الرمزية الرائعة الكامنة في « حلم » أوري أفنيري : ١ - ان المفاهيم الجديدة لطائفة اليهود السود قد نجمت أصلاً عن واقع المجتمع الاسرائيلي ، كما وان ولادة ما يسمى ولو تهكماً « بالحركة الصهيونية السوداء » ناجمة بالاصل عن الواقع العنصري للحركة الصهيونية البيضاء . ٢ - ان عدد افراد الجالية اليهودية السوداء (بضعة آلاف في اسرائيل والولايات المتحدة) يجعل الحديث حول احتمال ولادة حركة صهيونية جديدة على انقاض الصهيونية القائمة مجرد هراء . ٣ - ان « حلم » أوري أفنيري الذي « راوده في المنام » وظهر على صفحات « هعولام هزيه ٢٠ / ١٠ / ٧١ » والذي سنقوم بايجازه ، يعتبر تصويراً رمزياً رائعاً للصراع العربي الصهيوني ، ولقيام الحركة الصهيونية بسلب فلسطين العربية .

يقول اوري أفنيري في حلمه : استمرت الهجرة الاولى حوالي ١٢ عاماً من ١٩٧٠ - ١٩٨٢ ، وبدت في ذلك الوقت كظاهرة ثانوية ، ففي أعقاب تدمير مركز المجموعة الاولى في دييمونا ، تدفقت موجات أخرى من المهاجرين السود وفتت حياها السلطات الاسرائيلية حائرة دون ان تتخذ موقفاً حاسماً . وقد اتسمت هذه الفترة بطرد بعض المجموعات وقبول مجموعات أخرى ، وبذلك بقيت الهجرة مقلصة ، بيد ان المستوطنات العبرية السوداء برزت هنا وهناك في اماكن مختلفة من البلاد ، وتعلم المستوطنون السود اللغة العبرية وادعوا بأنهم يعتزمون تحسين احوال البلاد . وفي الفقرة نفسها ظهرت كتب في امريكا وافريقيا اثرت تأثيراً كبيراً على جيل كامل من السود تحمل اسماء مثل « التحرير الذاتي للعبري الاسود » الى ان ظهر كتاب لصحفي اسود يدعى « تايلور هاريس » يحمل اسم « دولة العبريين » يدعو الى ايجاد حل لقضية العبرانيين السود ، وتطرق الكتاب الى سكان البلاد الاصليين بقوله : « اليهود هم خداعون ، والشعب اليهودي غير موجود . . . » . وكان لكتاب هاريس تأثير كبير على النفوس ، واخذ الصحفي هاريس الذي تحول بين ليلة وضحاها الى سياسي كبير ، يجتمع مع زعماء العالم في محاولة يائسة للحصول على وعد لمنح البلاد الى العبرانيين السود .

وفي عام ١٩٨٢ عقد في « منورونيا » عاصمة لبيريا المؤتمر العبري الاول ، وبعد الخطاب التاريخي لهاريس الذي قال فيه « هل يقلب الاسود جلده ، والنمر جلده » واثق المؤتمر على مشروع منورونيا الذي دعا الى « اقامة وطن قومي للشعب العبري الاسرائيلي » . وفي اعقاب المؤتمر حدثت الهجرة الثانية حيث قدمت مجموعات مثالية سوداء من الولايات المتحدة وبلدان افريقية ، وقد ارغمت الحكومة الاسرائيلية على اتخاذ موقف ليبرالي تجاه الهجرة بسبب الرأي العام العالمي . وقد بلغ مجموع اليهود السود عند نشوب الحرب العالمية الثالثة حوالي مئتي الف عبري اسود .

كان من نتيجة الحرب العالمية الثالثة (١٩٩٧ - ٢٠٠٤) ان تغير مصر اسرائيل مثلها تغيرت مصائر بلدان أخرى كثيرة . وقد ادى التوازن الصاروخي البرهيب الى وقف الحرب بين الولايات المتحدة والصين من جهة وبين دول الحلف الاتحاد السوفييتي واليابان من جهة أخرى ، وفي نهاية الحرب فاجأ وزير خارجية اليابان « بلفشيري » العالم بتصريحه المشهور بـ « وعد بلفشيري لعام ٢٠٠٩ » وجاء في التصريح السذي ارسله الى رئيس لبيريا : « يسرني ان ابليكم باسم حكومة صاحب الجلالة القيصر . . . ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف لاقامة وطن قومي للشعب العبري الاسود في اسرائيل . . . شريطة ان لا يمس ذلك حقوق الطوائف غير السوداء في اسرائيل . . . » وجاء هذا الوعد لكسب عطف دول البلدان الافريقية .

وفي ظل « الوصاية » على الشرق الأوسط من قبل اليابان على اثر انتصار دول الحلف ازداد بشكل مهبوس عدد السود في البلاد ، بواسطة المبالغ الكبيرة التي دفعتها اليابان للسود والاراضي التي منحتها لهم . كما وتعزز التعاون بين اليابانيين و « الوكالة السوداء لاسرائيل » التي اقامتها الهستدروت العبرية . وواجه اليهود هذا الغزو بثورات كثيرة (مثل ثورات ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩) . وكان السود في هذه الفترة يقدمون شكاوي كثيرة الى الامم المتحدة مدعين بأن سلطات الانتداب اليابانية تتعاون مع اليهود ضدهم !!

وفي هذه الفترة اشتدت حدة الصراع بين العبرانيين السود واليهود اصحاب البلاد ، وادعى الطرف الاول استنادا الى التوراة ان هذه البلاد لهم وحدهم وفي تلك الفترة تسلم مقاليد الحكم في الولايات المتحدة شخص عنصري ، وجه جام غضبه على العبرانيين السود ، ووضع ٢٠ مليوناً منهم في معسكرات الاعتقال وبدأ عند اندلاع الحرب العالمية الرابعة بحملة تصفية جسدية ضدهم ، وعند انتهاء الحرب وانتصار الديمقراطية على الفاشية ، اخذت مأساة السود تستحوذ على الرأي العام العالمي ، واخذ السود ينشطون في الهجرة الى اسرائيل بطرق شرعية وغير شرعية ، وفي عام ٢٠٢٨ اتخذت الامم المتحدة قراراً بتقسيم اسرائيل الى دولتين ، دولة يهودية في المنطقة الشمالية من البلاد ، ودولة عبرية في المنطقة الجنوبية ، اما القدس ممدينة دولية مفتوحة . وقد قابل السود القرار بابتهاج لا مثيل له ، بيد ان اليهود وقفوا ضد القرار ، ولذا وقعت حرب خاطفة بين الطرفين وقفت فيها الدول الكبرى الى جانب السود . وفي شهر مايو اعلن بن جورج في ديموناه اقامة الدولة العبرية السوداء ، التي حظيت باعتراف دولي ، واخذت مكانها اللائق بها بين الشعوب ، بالرغم من الغبن الذي لحق باليهود : ومن البديهي ان اليهود لم يقبلوا بالتقسيم ، كما وانهم عقدوا العزم بعد عقد الهدنة (في اذار ٢٠٣٠) على العودة وتحرير بلادهم ، وفي عام ٢٠٣٧ . . . « وعند هذا العام (الذي يرمز الى ١٩٦٧) يصحو اوري افنيري من « حلمه المزعج » ويتخلص من الكابوس ، ليجد نفسه لا يزال في دولة اسرائيل وفي عام ١٩٧١ ويقول « كفى من هذا الحلم . . . ان ذلك لا يمكن ان يحدث لنا ، ربما يحدث في اية بقعة اخرى من العالم ، ولكن لا يحدث عندنا ، لاننا لسنا اغبياء مثل شعوب اخرى » .

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------------------------------------------------|
| ١٢ - معاريف ٧١/١٠/٨ . | Theodor Draper, <i>The Rediscovery of Black Nationalism</i> , p. 72. — ١ |
| ١٤ - ملحق دافار ٧١/١٠/١٥ . | ٢ - عل همشمار ٧١/١٠/٨ . |
| ١٥ - هعولام هزيه ٧١/١٠/١٢ . | ٣ - هعولام هزيه ٧١/١٠/١٢ . |
| ١٦ - دافار ٧١/١٠/٨ . | ٤ - ملحق هآرتس ٧١/١٠/١٥ . |
| ١٧ - هعولام هزيه ٧١/١٠/١٢ . | ٥ - هعولام هزيه ٧١/١٠/١٢ . |
| ١٨ - معاريف ٧١/١٠/٧ . | ٦ - هآرتس ٧١/١٠/٨ . |
| ١٩ - ملحق معاريف ٧١/٩/٣ . | ٧ - معاريف ٧١/١٠/٧ . |
| ٢٠ - دافار ٧١/١٠/٨ . | ٨ - عل همشمار ٧١/١٠/٨ . |
| ٢١ - يديعوت احرونوت ٧١/١٠/٦ . | ٩ - هآرتس ٧١/١٠/٨ . |
| ٢٢ - عل همشمار ٧١/١٠/٧ . | ١٠ - هعولام هزيه ٧١/١٠/١٢ . |
| ٢٣ - معاريف ٧١/١٠/٢٢ . | ١١ - دافار ٧١/١٠/٨ . |
| ٢٤ - يديعوت احرونوت ٧٢/١/٢٧ . | ١٢ - معاريف ٧١/١٠/٧ . |
| ٢٥ - ملحق معاريف ٧١/٩/٣ . | |

الوحدة الوطنية الفلسطينية واقعها وكيفية اجتراعها

الدكتور سعيد حمود

مدخل : لا عجب اطلاقا ان تكون قضية الوحدة الوطنية ، اكثر القضايا هيمنة والحاسا على الحوار الفلسطيني ، في مختلف اصعدته واجوائه . ولا عجب ايضا ان تكون ساحات بحث الوحدة الوطنية مرتعا للزيادات والتخريجات ربما يعجب في حالها من كان بعيدا عن واقع منظمات العمل الفلسطيني ، وعن العقد ذات الاثر العميق المدى ، الذي تراكم فيه عبر السنوات المريرة الماضية . ربما يستغرب من عجز عن قراءة الواقع ، قرائنه ومدلولاته ، ومن تعلق بأهداب أهل يكاد ان يكون سرايا . فالوحدة الوطنية الفلسطينية هي ام القضايا في العمل الفلسطيني ، وهي مفتاح المخرج من المأزق ، اذ ان الشذمة ، والضياح الناجم عنها ، ما هما الا صورتين خطيرتين من صور المأزق الخانق والقائم حاليا في اطار حركة المقاومة الفلسطينية . على أننا لا نقول ذلك في ظل وهم ، ولو للحظة واحدة ، بأن تحقيق الوحدة الوطنية ما هو الا الحل السحري لكافة معضلات العمل الفلسطيني . نقول فقط ان عملية ولوج المحطة الاولى على طريقها الطويل قد تعني انعتاق عقلية منظمات العمل الفلسطيني ، من شوائب ومعيقات عديدة كبلتها بل وشلتها ردحا طويلا من الزمن . كذلك فان تخطي العقدة الاولى (المؤلفة من عقد يصعب حصرها) ولو بخطوة واحدة قد تكون مؤشرا عميقا الى بداية تغير جذري والى بداية حل ، تتحلل بعده العقد واحدة تلو الاخرى . لماذا تصعب ، اذن ، الخطوة الاولى ؟ ولماذا يبدو العمل الفلسطيني وكأنه قد كتب عليه ان يظل مراوحا في مكانه ، عاجزا عن اداء مهامه التاريخية ، مترددا في خوض نضاله الطويل المضني والشاق ، الذي تبدو شروط خوضه الموضوعية والتاريخية متوفرة وجاهزة ؟ هذا ما نحاول الاطلاع عليه ، واستشفاف حقائقه في البحث التالي . واكثر من ذلك وحتى تقترب هذه المحاولة من جدواها ولنقل ، مردودها الكامل ، فانها بعد سبر اغوار مواقف المنظمات قدر الامكان ، ستعمد الى تلمس بعض الجوانب والقضايا التي قد تعين العمل الفلسطيني على اجتراع معجزة الخطوة الاولى .

اولا : استعراض موجز للتطورات الاخيرة في قضية الوحدة الوطنية

١ - قبل انعقاد المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطيني الاخيرين (من ٦ - ١٠ نيسان ١٩٧٢) بأيام التقى قادة المنظمات الخمس الممثلة في اللجنة التنفيذية، في سلسلة اجتماعات طويلة ومركزة للبحث في شؤون الوحدة الوطنية الفلسطينية او بكلام أدق للخوض مرة اخرى (بعد مرات ومرات عديدة وطويلة ومضنية) في حقيقة مواقف المنظمات وحقيقة استعداداتها للولوج عمليا في خطوات محددة تؤدي الى صيغة يمكن اعتبارها بداية وحدة فعلية بين المنظمات تكون أساسا لوحدة وطنية حقيقية . وبرغم ان هذه اللقاءات تمت تحت ضغط اقتراب موعد انعقاد المؤتمرين - الشعبي والوطني - ، مما دفع احد الاطراف الى التساؤل ، في بداية الاجتماعات ، فيما اذا كانت هذه من نوع « حمى

المواسم « التي تصيب العمل الفلسطيني قبل انعقاد المجالس الوطنية وما تلبث ان تزول وتندحر بعد انتهاء انعقادها ، وبرغم ان هذه اللقاءات تمت ايضا تحت ضغط ، يكاد أن يكون موسميا ايضا ، مارسته «فتح» في اتجاه انها « في حينه » سوف تعلن موقفا محددًا بل مشروعًا محددًا يلزم المنظمات بالوحدة الوطنية ومن لا يلتزم فسوف يعامل بالعقاب ؟ برغم هذه الضغوطات وغيرها (وهي الاخرى عديدة) فان اللقاءات تميزت بالامور التالية :

أ — جرى طرح جدي لخطوط برنامج سياسي موحد ، بدأ ان كافة المنظمات متفقة عليه . وقد اشتمل على تحديد دقيق لنظرة حركة المقاومة الى مهامها على الساحات : الفلسطينية ، والاردنية — الفلسطينية ، والعربية والدولية . وقد تميزت هذه النظرة ، وربما لأول مرة ، بوضوح كامل ومشارك فيما يتعلق :

— بضرورة اقامة الجبهة التقدمية الفلسطينية . — وبالنظام العميل في الاردن وضرورة التصدي له واسقاطه عبر برنامج محدد لجبهة اردنية — فلسطينية تقدمية . وبضرورة اقامة جبهة عربية عريضة ، تضم القوى التقدمية العربية ، لتكون قوة مساندة ومشاركة مع الثورة الفلسطينية في نضالها ضد الامبريالية والصهيونية . — وبالتوجه لاقامة العلاقات الثورية المتينة مع قوى التحرر على الصعيد العالمي .

ب — كما جرى استعراض بنود مشروع برنامج تنظيمي مقترح للعلاقات داخل الجبهة التقدمية الفلسطينية ، اي داخل منظمة التحرير الفلسطينية . وان كان البحث لم يتوغل عمليا في المشروع ، فقد تمحورت الاراء حول ضرورة دراسته وضرورة ارساء العلاقات على قواعد واضحة وعملية .

ج — طرحت المنظمات جملة ارائها في صدد الوحدة الوطنية ، بصراحة وتفصيل ، ظهر من خلالها ان هناك حيزًا مشتركًا تقف عليه جميعها ، مع التأكيد الجاد على امكانية بقاء الابواب مفتوحة للحوار من اجل توسيع الحيز المشترك وصولًا الى جعله قادرًا على استيعاب خطوة جدية اساسية على طريق وحدة المنظمات .

٢ — انعقد المؤتمر الشعبي الفلسطيني يوم ٦/٤/٧٢ في اطار الدراسات التي قدمت له : مشروع البرنامج التنظيمي ، مشروع البرنامج السياسي ، مهام النضال على الساحة الاردنية (بما في ذلك الرد على مشروع المملكة العربية المتحدة) ، مهام النضال الحر على ساحة الوطن المحتل (مع تحديد الموقف من الانتخابات البلدية) ، ومهام النضال الموحد على الساحة العربية . وقد كان واضحًا ، منذ اللحظة الاولى لانعقاد المؤتمر ، ان قضيته الاساسية ما هي الا قضية الوحدة الوطنية الفلسطينية . وعلى امتداد الجلسات العامة ومناقشات اللجان التي تفرعت عن المؤتمر هيمنت الابحاث والمناقشات المنصبة في اتجاه الوحدة الوطنية . ودونما حاجة الى اية تفصيلات في هذا المجال فقد توصل المؤتمر الى ادخال بعض التعديلات على المشاريع ثم اقرها كتوصيات رفعت الى المجلس الوطني الذي احوالها بدوره كترارات الى اللجنة التنفيذية . وتأكيديًا لحرص المؤتمر والمجلس على ان لا تتجمد هذه القرارات داخل « اسوار » اللجنة التنفيذية ، قاما بتشكيل لجنة متابعة خطوات تنفيذ الوحدة الوطنية التي عمقتها المناقشات واضفت عليها طبيعة المؤتمرين صفة الشرعية والالزام .

٣ — عقدت لجنة المتابعة اول اجتماع لها يوم ٥/٥/١٩٧٢ (أي بعد حوالي ٢٤ يومًا على انتهاء المؤتمر الشعبي) استمع خلاله اعضاء اللجنة الى استعراض لما « أنجزته » اللجنة التنفيذية من خطوات حتى ذلك التاريخ ؛ ويمكن تلخيص ما استعرضته اللجنة التنفيذية كما يلي : أ — الاتفاق على تشكيل مجلس اعلام مركزي موحد يشرف على اصدار صحيفة واحدة ناطقة باسم الثورة الفلسطينية . وتتوحد ضمن اطواره جميع الاذاعات الناطقة

باسم الثورة (صوت فلسطين - صوت الثورة) ويشرف على وكالة انباء فلسطينية واحدة ذات نشرة يومية . وقد تضمن الاتفاق بين المنظمات ان يكون يوم ٥ حزيران ١٩٧٢ موعدا لبدء عملية التوحيد الاعلامي ضمن الخطوط المذكورة . ب - تشكيل لجنة عسكرية عليا تشرف على وضع البرنامج العسكري او خطة التوحيد العسكري موضع التنفيذ ، وقد حدد لهذا الامر مهلة لا تتعدى الشهر الواحد بعد الاتفاق . ج - تشكيل اللجنة التنفيذية للجنة فرعية منها لدراسة البرنامج السياسي الذي رفع اليها من قبل المؤتمر الشعبي ، ولاقراره نهائيا فيما بعد وبأسرع وقت ممكن . د - تشكيل لجنة ثلاثية لوضع خطة من اجل الوحدة المالية لتعرض على اللجنة التنفيذية من اجل اقرارها ، وذلك في موعد اقصاه يوم ١٢/٥/١٩٧٢ .

وبعد ان استمعت لجنة المتابعة الى هذه الامور ، طالبت اللجنة التنفيذية بالاسراع في تطبيقها، اذ ان الوضع لم يعد يتحمل الاتفاقات والصيغ التي لا يتعدى اثرها حدود الورق الذي توضع عليه . كما قامت لجنة المتابعة بانتخاب امانة سر مؤلفة من خمسة من اعضائها من اجل المتابعة اليومية ولإطلاع لجنة المتابعة على كافة ما يتم .

٤ - عقدت امانة سر لجنة المتابعة اول اجتماع لها في بيروت بتاريخ ٢٦/٥/١٩٧٢ ، وعبر استعراضها لجدية السير على الخطوات التي اتفق عليها ، تبين لها انه ما تزال هناك اشواط وأشواط لا بد من اجتيازها قبل الاقتراب من الصورة التي زينت لها . وقررت امانة السر عقد اجتماع آخر في وقت قريب لتتمكن من الاطلاع بشكل تفصيلي على الخطوات التي حددت لتنفيذها مواعيد ثابتة . (في ذلك الحين كان قد تقرر تأجيل موعد اجتماع لجنة المتابعة نفسها الى يوم ١٥/٦/١٩٧٢) .

٥ - عقدت امانة السر اجتماعها الثاني ايضا في بيروت بتاريخ ٦/٦/١٩٧٢ ، وبعد تداول موجز ظهر من خلاله ان القضايا ما زالت متحجرة تراوح في مكانها ، طلبت امانة السر حضور رئيس مجلس الاعلام المركزي عضو اللجنة التنفيذية لتكون على بينة من حقيقة ما يجري على صعيد الواقع . قدم الاستاذ كمال ناصر تقريرا بين فيه سبب التأخر في تطبيق القضايا التي سبق الاتفاق عليها (خاصة فيما يتعلق بالجانب الاعلامي) مشيرا الى انه سبب فني في الدرجة الاولى . أما الجوانب الاخرى ، المالية والعسكرية . فغيبين انه ما زال يعترضها الارتباك والتعثر ، وان قضية جيش التحرير انما تمثل عقبة حقيقية واسباسية في هذا المجال . وكذلك برزت في ذلك الحين قضية ، اصرت بعض المنظمات على اهميتها ، ملخصها انه بالرغم من الاتفاق على صيغة نهائية للبرنامج السياسي . فلا بد من اقرار صيغة لبرنامج تنظيمي تحدد العلاقات بين الفصائل والمؤسسات المقبلة على التوحيد ، وذلك قبل التوغل عميقا في الخطوات التنفيذية . وحرصا على عدم ارتباك العلاقات وتعرضها للتعثر وبالتالي للفشل . امام هذه الصورة المشوشة قامت امانة السر بتوزيع مسؤوليات الاتصال بكافة الفصائل على اعضائها من اجل الوقوف وبشكل نهائي وواضح على حقيقة الراء والمواقف تجاه القضايا التي ما زالت معلقة . على ان تتم الاتصالات لغاية مساء يوم ١٤/٦/١٩٧٢ ، الموعد المحدد لاجتماع امانة السر للمرة الثالثة قبل موعد اجتماع لجنة المتابعة بكامل اعضائها .

٦ - اجتمعت امانة السر للمرة الثالثة مساء يوم ١٤/٦/١٩٧٢ ، عرض الاعضاء حصيلة اتصالاتهم بالمنظمات ، وكان ملخصها انه فيما يتعلق بالجانب الاعلامي فان الخطوات التي اتفق عليها قد وضعت موضوع التنفيذ وان الصحيفة الناطقة بأسم المقاومة ككل سيصدر عددها الاول بتاريخ ٢٨/٦/١٩٧٢ . أما القضايا الاخرى ، العسكرية والمالية بالذات . فانها ما زالت تراوح مكانها ولم يحدث حيالها اي تطور او تقدم جديد . وقد استعرض في هذا الاجتماع موقف « فتح » كاملا ، حيث اتضح استعداد « فتح » للالتزام بكافة الخطوات التي اعلنتها والتي اتفق عليها ، مع ابداء الملاحظات حول صيغة العلاقات

داخل مؤسسات المنظمة الوظيفية وفيما يتعلق بالمكاتب والدوائر . كما استعرض موقف الصاعقة ، الذي بدت فيه بعض التحفظات والشكوك ، ولكن المحصلة النهائية كانت الاستعداد للالتزام . وبنتيجة استعراض موقف قيادة جيش التحرير برزت بعض العقد التي يصعب حل جزء كبير منها بصدد النواحي الاعلامية والعسكرية خاصة والتي تنم عن وجود قضية مستعصية ، اساسها لا يمت بصلة الى القضايا المطروحة وانما تعود الى الوضع غير الطبيعي السائد بين قيادة جيش التحرير واللجنة التنفيذية للمنظمة (ومن الواضح ، في هذا المجال ، أنه لا يجوز ان تستمر هذه العضلة ولا بد ان تبادر قيادة المنظمة الى التصدي السريع والجذري لها بهدف وضع حل نهائي وواضح) . وكان واضحا انه لا توجد اية معوقات من قبل جبهة التحرير العربية . اما بالنسبة للمواقف الاخرى (الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية) فقد رأت امانة السر ضرورة الاستماع الى مزيد من التوضيح من قبل ممثلي الجبهتين . على أثر هذا الاستعراض قررت امانة السر ضرورة وضع تقرير مفصل امام لجنة المتابعة حول كافة المسائل في الاجتماع المزمع عقده في اليوم التالي :

٧ - عقدت لجنة المتابعة اجتماعها الموسع الثاني صباح يوم ١٥/٦/٧٢ في بيروت ايضا . وبناء على قرار امانة السر في اجتماعها يوم ٦/٦/٧٢ حضر الاجتماع رئيس اللجنة التنفيذية وغالبية اعضائها . وعلى اثر الاجتماع الى تقرير امانة السر ، الذي تضمن كافة الملاحظات حول تعثر الخطوات وعدم وضوح بعض المواقف ، قام رئيس اللجنة التنفيذية بعرض وجهة نظره كاملة مبينا الصعوبات والعقبات ، مشيرا الى العقدة التي يمثلها وضع جيش التحرير غير الطبيعي في العلاقات مع القيادة السياسية والى ان « فتح » قدمت كل ما تقدر عليه ، بينما ظلت المنظمات الاخرى دون تحديد مواقف حاسمة وفي حالة من التردد والتخوف . وتساءل رئيس اللجنة التنفيذية عن الاسباب وراء هذا الوضع . مؤكدا على ان « فتح » انما توجهت بكل ما قدمته عن ايمان عميق بضرورة الوحدة الوطنية وضرورة بذل كافة الجهود الممكنة من أجل تحقيقها . ثم قام ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في اللجنة التنفيذية بعرض موقف الجبهة مؤكدا استعدادها الكامل للسير في الخطوات المتفق عليها والدفن بها الى الامام (وكان هذا الموقف قد تأكد عليها بالرسالة التي قدمتها الجبهة الشعبية الى رئيس مجلس الاعلام المركزي في اليوم السابق) ، الا انه أثار تركيز ملاحظات الجبهة الشعبية حول ضرورة ارساء قواعد صريحة وواضحة للعلاقات التنظيمية بين الاطراف المقدمة على دخول خطوات موحدة في النضال المشترك نحو اهداف مصرية أصبحت متبلورة لدى كافة القوى ، وقال انه دون هذا الوضوح في العلاقات ستظل خطوات الوحدة متعثرة وفوقية وموسمية ودون اثر فعلي في المدى القريب والمتوسط والبعيد ، مؤكدا على ان الجبهة انما تبدي هذه الملاحظات من أجل انضاج الوحدة الوطنية وليس بأي حال من الاحوال بهدف عرقلتها وتأخيرها ، ومشيرا الى ان المرحلة الراهنة انما هي المحطة المناسبة لمثل هذه الوقفة من أجل ارساء قواعد مشتركة للنضال الواحد ، وعلينا ان لا نفوت هذه الفرصة مهما كان الثمن . ثم تكلم ممثل الجبهة الديموقراطية في الاتجاه نفسه تقريبا . وعلى اثر الاجتماع الى بقية آراء اعضاء اللجنة التنفيذية ، تابعت لجنة المتابعة اجتماعها منفردة لبحث المهمات المطلوبة من امانة سرها حين موعد الاجتماع القادم . (الذي حدد بيوم ٢٠/٧/١٩٧٢) ويمكننا تلخيص المهمات بالامور التالية :

١ - المطالبة بضرورة انعقاد مجلس الاعلام المركزي لمتابعة تركيز الخطوات المتفق عليها من ناحية ، ومن ناحية اخرى لبحث القضايا المثارة من قبل جهات مختلفة في مجال التوحيد الاعلامي .

ب - ممارسة كافة الضغوط على اللجنة التنفيذية لحسم قضية جيش التحرير الفلسطيني

وكذلك وضع المنظمات غير الممثلة في اللجنة التنفيذية .

ج - الاصرار على انعقاد اللجنة العسكرية العليا لاكمال الاتفاق على برنامج الوحدة العسكرية ووضعه موضع التنفيذ .

د - متابعة اللجنة المكلفة باعداد البرنامج التنظيمي والمساهمة معها في انجاز هذا البرنامج .

هـ - التأكد من طرح المشروع المعد من اجل الوحدة المالية على اللجنة التنفيذية والبدء في اتخاذ الخطوات العملية في صدده .

٨ - كان من المفترض ان تعقد لجنة المتابعة اجتماعها الثالث يوم ٧/٧/٧٢ ، غير ان سفر وفد المقاومة الى الاتحاد السوفييتي حال دون ذلك ، ولم تتم منذ يوم ١٥/٦/١٩٧٢ أية تطورات تذكر في اعمال لجنة المتابعة .

٩ - تم في وقت لاحق تحديد موعد لاجتماع لجنة المتابعة ، وذلك يوم ٢٤/٨/١٩٧٢ . توخينا في هذا الاستعراض تبيان حجم الجهود التي بذلت وطبيعة الاساليب التي اعتمدت وحقيقة القضايا التي اثيرت . كما توخينا اعطاء النتائج حجمها الفعلي بعيدا عن متهات الشتائم وتجنبنا لجلالات الامل الواهم لنصل الى حقيقة مؤداها : انه بعد مضي فترة اربعة شهور كاملة على انتهاء المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني ، لم يتحرك العمل الفلسطيني في اتجاه الوحدة الوطنية بخطوات واثقة وفعالية تنسجم مع حجم الامل التي عبر عنها المؤتمر او حجم الجهود التي بذلت في صددها . (هذا اذا اکتفينا بتركيز جهود المرحلة الاخيرة ، مع العلم ان السنوات الماضية شهدت جهودا ومحاولات مضمينة من اجل التوحيد) ولنصل أيضا الى جملة اسئلة رئيسية تطرح نفسها بالحاح مشوب بالتعقيد في هذه المرحلة : لماذا تتعثر مسيرة الوحدة الوطنية ؟ ما هي العوامل والمعضلات التي تحول دون تحقيقها ؟ اهي لعنة ابدية كتبت على العمل الفلسطيني ، كما يقول البعض ؟ ام هي نتائج التخلف الحضاري السحيق ، كما يقول آخرون ؟ ام ان جوهر الاسباب يعود الى عوامل وكوامن اخرى ؟ هذا ما نحاول الاجابة عليه في القسم الثاني من هذا البحث .

ثانيا : معضلات الوحدة الوطنية : حقيقتها ، حجمها ، اسبابها وأشكالها

يقول لي ذوان ، السكرتير الاول للجنة المركزية في حزب العمال الفيتنامي ، في كتابه « الثورة الفيتنامية - المشاكل الرئيسية والمهام الرئيسية » ، وفي تحليله لقضية الجبهة الوطنية : « ان الجبهة الوطنية تجمع في وحدة متناقضة عدیدا من الطبقات الاجتماعية تختلف الواحدة منها عن الاخرى، وتتوحد كلها على أساس برنامج نضال مشترك ومحدد . على ذلك فانه لا يمكن للمرء ان يتصور جبهة وطنية بدون طبقات مختلفة ، والخط البدئي يتطلب من المرء ان ينطلق من وجهة نظر طبقية في دراسة كل المشاكل المتعلقة بسياسة الجبهة الوطنية وحلها » . ويقول لي ذوان أيضا : « وبالنسبة للطبقة العاملة ، وبحكم مركزها التاريخي ، فان مصلحتها الطبقية والمصلحة الوطنية تتطابقان تماما . اما بالنسبة للطبقات الاخرى ، فانه بينما يوجد اتفاق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، الا ان هناك أيضا نقاط اختلاف بينهما . ولهذا السبب ، ومن اجل تحقيق الوحدة ودعمها ، فان هناك بالضرورة صراعا بين مختلف وجهات النظر الخاصة لاجزاء الجبهة المثلين لمختلف الطبقات الاجتماعية . ان وحدة من جانب واحد ، وبدون صراع ستنتهي في الواقع بتدمير الوحدة ، وبتصفية الجبهة الوطنية . ومعرفة كيفية ادارة صراع مؤسس على المبادئ ، أي على أساس برنامج سياسي مشترك وبهدف تحقيق هذا البرنامج لن يؤدي الى تحطيم الوحدة او الى اضعاف الجبهة ، على العكس ، ذلك هو الشرط الوحيد لتعزيز الوحدة ولدعم الجبهة » . وبعد أن يؤكد لي ذوان على دور الحزب

في بناء الجبهة وفي داخلها يصل الى القول : « ان حزبنا . وهو يعتمد على القوى الاساسية للعمال والفلاحين ويقوم في كل مرحلة بتقدير دقيق للتغيرات التي تطرأ على مواقع الطبقات ، ويحدد بشكل سليم العدو الاكثر خطورة ، ذلك الذي يجب الاطاحة به . كان يطبق تكتيكات مرنة للغاية ، ويوسع الجبهة الوطنية بدون توقف ، ويجذب كل يوم قوى جديدة الى صفوف الجبهة ، ويقودها لكي تتبنى أشكالاً من العمل المشترك من أجل هدف ثوري محدد ومباشر » .

تتبع القيمة الحقيقية في هذه الكلمات البسيطة الواضحة من ناحيتين : ١ - ان لي ذوان يصف هنا تجربة حدثت ولا يطلق نظريات فيما يجب ان يكون ، وهو يحدد طبيعة القوى والفئات التي ناضلت وحاضت التجربة في اطار الجبهة الوطنية في فيتنام ، ولا يناشد قوى لا يعرف طبيعتها وحقيقتها قوتها . ٢ - ان التجربة التي يصفها لي ذوان قد اعطت نتائجها الايجابية كاملة ، وما نشهده الان على ساحة الصراع الفيتنامية ، لهو انصاع دليل على نجاح تصور وممارسة القيادة الثورية هناك . (ومن الخطأ الفادح تصور ان الانجازات التي شهدتها مسيرة الجبهة الوطنية الفيتنامية قد تمت دون معضلات وعقد وعقبات ، تمكنت القيادة والحزب والقوى الاساسية الاخرى من تفهمها والتصدي لها والتعامل معها تعاملًا ثوريا اصيلاً) . من هنا ، ونحن ننطلق في مناقشة تجربتنا (محاكمتها) من أجل ارسائها على مسار سليم وواضح وفاعل ، فمن الضروري ان نتساءل عن حقيقة المعضلات وعن الكيفية التي تعاملت القوى داخل حركة المقاومة الفلسطينية بواسطتها نجاحها ، كيف فهمت وكيف مارست .

١ - معضلات تحقيق الوحدة الوطنية

تنقسم المعضلات في مسيرة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، من حيث طبيعتها ، الى فئتين : أ - المعضلات الموضوعية ، وهذه قد اخذت ملامحها منذ نشأة فصائل حركة المقاومة ، من التباين في المنطلقات وتصورات العمل ومن اختلاف الرؤى وكذلك من تباعد الخلفيات التنظيمية ، بمعنى ان كل فصيل تقريبا ، وان كان يلتقي مع الاخرين في الاهداف (تحرير كامل التراب الفلسطيني) والاساليب (الكفاح المسلح) ، كان يركز في بناء نفسه تنظيميا وعسكريا وسياسيا وكذلك في توجهه الجماهيري الى خلفياته الفكرية الخاصة وتصوراته التي كونها عبر سنوات طويلة من التشرذم والصراع الخفي . هذه الخلفيات والتصورات ، مضافا اليها ان الجهد الكامل (تقريبا) للمنظمات لم يتوجه الى تجديد وحدة الهدف والاسلوب في صالح تنمية علاقات وحدوية تدريجية ، وانما الى التركيز على ذاته والتحجر عندها ، حتى كادت وحدة الهدف والاسلوب تسمي قضايا بلا مدلول عملي فاعل ، هذه الخلفيات والتصورات المتباينة ما زالت حتى هذه اللحظة تعكس نفسها ، بشكل او بآخر ، على طبيعة العلاقات . كل هذا من ناحية ، أما من ناحية اخرى ، فان طبيعة التطورات السياسية في اطار الهزيمة ، وطبيعة تفوق العدو عسكريا وتماسكا ، في ظل العجز أحيانا والتباين أحيانا اخرى ، قد اسهمت اسهاما بالغا في تهيئة المناخات غير المناسبة لعملية التوحيد . لا داعي هنا الى تعداد الافرازات الخطيرة التي تولدت عن هذه الحالة ، لانها (أي الافرازات) باتت واضحة امام المطلع وغير المطلع على مشاكل العمل الفلسطيني .

ب - المعضلات الذاتية ، ومن الواضح انه لو أمكن التغلب على هذه المعضلات وتقليص حجومها ، لاصبح متاحا التصدي للمعضلات الموضوعية . على رأس قائمة المعضلات الذاتية تأتي قضية العقلية التي تهيمن على قيادات العمل الفلسطيني والتي أفرزت عجزا تنظيميا وعسكريا وكذلك سياسيا . ثم تأتي قضية عدم القدرة على تخطي جدار أزمة الثقة التي ظلت تتفاقم حتى بلغت في كثير من الاحيان ذروات صدامية غير مبررة ولا مقبولة . ثم يأتي الاسلوب ، الناتج عن هذا كله ، الذي اعتمد لجابهة المعضلات ، والذي

يعتبر انعكاسا أميناً لطبيعة العقلية . تميز الاسلوب بصفة الهروب في اتجاهين :
١ - نحو الذات في محاولات دؤوبة للتركيز عليها و ابرازها ومناطحة كل شيء من اجلها .
ب - ونحو المجهول ، اي نحو قضايا غير مضمونة الطريق ولا النتائج ، بعدا عن
المعضلات الحقيقية وعن جوهر الازمة . ولا مجال هنا لفتح ملف هذه المظاهر ، اذ انه
من الصعب جدا فيما بعد اغلاقه .

٢ - الفهم والتعامل

برغم كل ما تقدم فان التطورات والضغوطات العديدة قد اجبرت وما تزال فصائل حركة
المقاومة على اتخاذ المواقف المباشرة في اطار الوحدة الوطنية الفلسطينية . وفي ظل
غياب الفهم والقناعة الاستراتيجيين (لدى غالبية الفصائل) بموضوعة الجبهة الوطنية
ودورها في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، وكذلك في ظل غياب الفهم العلمي
لكيفية بنائها ، من حيث القوى والبرامج ، فان التعامل قد تميز بصفتين رئيسيتين :
الموسمية والفوقية . وهكذا كانت تنتهي المحاولات دائما الى مزيد من التعقيد . كنا نريد
الوحدة !! ولكننا دائما كنا نخشاها . هنا يكمن سر الفشل ، رغم الجهود ورغم اللقاءات
والاجتماعات المضنية والمكثفة .

ثالثا : الشروط الموضوعية لاجتراح معجزة الوحدة الوطنية

(لعلنا نكتفي هنا بتعداد الشروط والمداخل دون التوغل في تفاصيلها ، حتى نتيج الفرصة
امام انفسنا لمحاكمة غنية وواعية ، تجنبنا شر الهروب في قوالب الصيغ العملية
وتفاصيلها) .

مع التقدير الشديد للجهود المبذولة الان من اجل تنمية الخطوات التي امكن التوصل
اليها ، ومع القناعة بأنها افضل من لا شيء ، ومع كسل الوضوح في حقيقة النوايا
والتصرفات ، ومهما بدا قاسيا القول ، فان الوحدة الوطنية الفلسطينية كما تقاربها
اليوم ، لن تتحقق . ولا امل اطلاقا بأن تفرض ، لا من قبل لجنة المتابعة ولا المجلس
الوطني ولا أية منابر غيرها . نقول هذا بمرارة ، اذا نظرنا الى الامور من زاوية الوضع
المنهاري الذي نعيشه ، ومن زاوية اولئك الذين يعتبرونها خشبة الخلاص من الفرق
المحيق الذي يتهددنا . ونقول هذا بثقة ، اذا استندنا الى فهم استراتيجي وقناعة مطلقة
باصالة وضرورة هذا الفهم . كيف نجترحها اذن ؟ نعدد هنا بعض الشروط والمداخل
الاساسية :

- ١ - التخلي نهائيا عن الصيغ والقوالب الفوقية الموضوعية لتحقيق الوحدة الوطنية .
- ٢ - التركيز على البرنامج السياسي المقرر ، ومحاولة اغناء تعبيراته وبرامجه العملية .
- ٣ - البحث عن صيغ متواضعة للعمل المشترك في برامج صغيرة وعملية ، وتنميتها
خطوة وراء خطوة ، يوما بعد يوم . ٤ - ارساء التحالفات على اساس الفهم العلمي
لطبيعة المرحلة (مرحلة تحرر وطني ديموقراطي) ولطبيعة الهجمة الشرسة التي
تستهدف الوجود الفلسطيني برمته (هجمة من اجل التصفية الجسدية والفكرية) .
- ٥ - القتال بلا هوادة لاختراق الجدار العربي (جماهريا) . يتم هذا بالفعل المتحرك
ضد العدو واركان معسكره ، وبالتعبير العملي عن فهم احتياجات المرحلة سياسيا
وعسكريا .

ولتبدأ أية محطة في العمل الفلسطيني ، مهما كانت ، بالتسلح بهذه الدروع وبغيرها وعلى
رأسها صمود جماهريا ، عندها نجترح المعجزة .

الفلسطينيون في العراق

عصام سخيني

أعد هذا البحث في مطلع العام ١٩٧١ في وقت كان الحكم الحالي يعد لخطة جديدة في معالجته لشؤون الفلسطينيين في العراق . وقد بدأت بوادر هذه الخطة تظهر في الاونة الاخيرة في بعض مشاريع السكن للاجئين في العراق . لذا فان النتائج التي توصل اليها هذا البحث يتحمل جزءا كبيرا من مسؤوليتها بعض الجهود السابقة .

الثلاث السابقة الذكر . وبالإضافة الى هؤلاء فقد قدمت الى العراق افواج اخرى من الفلسطينيين من مختلف المدن والقرى الفلسطينية بعد سنوات قليلة من النكبة قادمين اليه من الاردن وقطاع غزة . وقد كان الدافع من وراء تلك الهجرات التي لم تكن جماعية بقدر ما هي فردية البحث عن العمل حيث كان العراق يمثل امام الفلسطينيين - كامارات الخليج وان كان بمستوى اقل اغراء - قطرا جاذبا للهجرة . وقد كان ما يغري فلسطيني غزة على وجه التخصيص بالهجرة الى العراق ان الحكومة العراقية عاملتهم في وظائفها معاملة الاجانب من حيث الرواتب المزدوجة .

يبلغ عدد الفلسطينيين المسجلين لاجئين في العراق اقل من اربعة عشر الف نسمة بقليل . وفي « مديرية شؤون الفلسطينيين » في بغداد احصائية تبين عددهم كما هو واقع الحال في ١٩٦٩/٤/١٠ وهي كما يلي : ١٣٢٠٨ نسمة في بغداد و ٣٣٥ نسمة في الموصل^(١) و ٢٠٠ نسمة في البصرة : والمجموع ١٣٧٤٣ نسمة . وهذا العدد لا يشمل الفلسطينيين الذين دخلوا العراق بعد العام ١٩٥٨ والذين لا يعتبرون لاجئين كما لا يشمل عدد الذين نزحوا اثر عدوان ١٩٦٧^(٢) .

لا يتم الاشراف على شؤون اللاجئين الفلسطينيين في العراق من قبل وكالة غوث اللاجئين بل تولت هذه المهمة في البدء وزارة الدفاع العراقية . وقد اسكن الفلسطينيون قسي الاشهر الاولى لقدومهم في المدارس مثل دار المعلمين

في العام ١٩٤٨ وبسقوط المدن والقرى الفلسطينية بيد الاغتصاب الصهيوني اخذت افواج الفلسطينيين تولي وجوهها شطر الاقطار العربية المجاورة طلبا للنجاة وانتظارا لدخول الجيوش العربية . والعراق بحكم بعده الجغرافي عن الوطن الفلسطيني ما كان له ان يمثل دور « الملجأ » للفلسطينيين ، فهو جغرافيا تفصله عن فلسطين دول عربية اخرى امتصت افواج المهاجرين ، خاصة وان حلم العودة السريعة ما كان ليعتوره شك لدى الفلسطينيين الذين فضلوا البقاء قريبا من ارضهم منتظارا للرجوع . بيد ان الظروف الجغرافية لم تكن هي العامل الوحيد في توزيع الفلسطينيين في الاقطار العربية ومعظم اقطار العالم . ويقدر ما يتعلق الامر ببحثنا فقد لعب الجيش العراقي الذي خاض حرب ٤٨ الى جانب الجيوش العربية الاخرى ، لعب دورا في انتقال قسم من الشعب الفلسطيني الى القطر العراقي . فقد حدث ، او اريد له ان يحدث ، ان المنطقة الوسطى من فلسطين كانت مسرح عمليات هذا الجيش ، الامر الذي جعله يساعد على تفريغ عدد من القرى العربية الفلسطينية - وعلى الاخص المثلث القروي جبع - اجزم - عين غزال من سكانها العرب ونقلهم وباشراف الجيش نفسه الى القطر العراقي . وقد تدر عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين دخلوا العراق في النصف الثاني من العام ١٩٤٨ ولغاية مطلع العام ١٩٤٩ على شكل قوافل نظمتها السلطة العسكرية العراقية بثلاثة آلاف شخص جلهم من القرى

الريفية ودار المعلمين العالية وكلية الهندسة وبعض الدور الأخرى . وبانقضاء العطلة الصيفية نقل قسم كبير منهم إلى البصرة حيث أعيد إسكانهم في معسكر الشعبية كما نقل قسم آخر إلى الموصل وأعيد إسكان الباقين في بنايات كانت متخلفة ككوااد ، منها نادي الرافدين ونادي العلوية ونادي الزوراء والرشيدي وغيرها . وعندما كانت وزارة الدفاع تتولى مهمة الإشراف على الفلسطينيين كان هؤلاء يتقاضون مساعدات عينية حيث توزع عليهم وجبات الاطعمة في مناطق تجمعاتهم . وقد ظل الحال كذلك حتى عام ١٩٥٠ عندما انتقلت « ملكية » الفلسطينيين إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي أسست شعبة لرعايتهم أصبحت فيما بعد تعرف « بمديرية شؤون اللاجئين الفلسطينيين في العراق » .

وليس لهذه المديرية علاقة إشراف على شؤون جميع الفلسطينيين المقيمين في العراق بل هي تتعامل مع « اللاجئين » منهم بصفة خاصة . واللجوء كما يكتسب هذا اللقب وأمتهانته ينبغى أن يتوفر فيه شرطان : الأول أن يكون من بلد محتل منذ العام ١٩٤٨ ، والثاني أن يكون قد دخل العراق وأقام فيه قبل ١٩٥٨/٩/٢٥ . وإثبات الشرط الأول يتأتى بتأييد من منظمة التحرير الفلسطينية ، أما الشرط الثاني فيؤكد عن طريق مديرية الإقامة .

ولغرض جمع الشمل اجبى ضم الزوجة إلى زوجها الفلسطيني المسجل قبل عام ١٩٦١ ولا يجوز ضم الزوج إلى الزوجة . ولنفس الغرض أيضاً أعطت وزارة الشؤون الاجتماعية لنفسها الحق في أن تمنح صفة اللجوء للفلسطينيين ممن لهم إقرباء لاجئون في العراق قبل ١/١/٦١ ومن الدرجة الرابعة (٣) . ويحصل اللاجئ المسجل بطاقة خاصة به كما تصرف له تذكرة مرور صالحة للسفر إلى الاقطار العربية وبعض الاقطار الأجنبية بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية (٤) . أما المواطنين الفلسطينيون الآخرون والذين يحملون جوازات سفر عربية غير عراقية أو تذاكر سفر خاصة باللاجئين الفلسطينيين كالتى تصرف في سوريا ولبنان وعزة ، فيقيمون في العراق بموجب إقامة سنوية تتجدد بتجدد اجازات العمل وتسري عليهم القوانين النافذة المفعول بالنسبة لغير العراقيين .

وفي اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ نجبت مشكلة لم

تحل حتى الان نتيجة تدفق اعداد غفيرة من النازحين الفلسطينيين قادمين من الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الضفة الشرقية إلى العراق . ولم يستطع هؤلاء النازحون الجدد الحصول على اذن اقامة في العراق لاستفاد السلطات العراقية إلى ترار كان قد اتخذ مجلس جامعة الدول العربية بعدم السماح للنازحين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة بالاقامة في الاقطار العربية بقصد وضع حد لحركة النزوح . وهكذا يضطر هؤلاء إلى الاقامة في العراق اقامة غير شرعية مما يعرضهم إلى متاعب جمة . فبالاضافة إلى مخالفتهم القوانين العراقية المتعلقة بشروط الاقامة وطرق الحصول عليها مما يجعلهم في خوف دائم من الطرد خارج العراق ، بالاضافة إلى هذا يعانون مشاكل مستعصية في اعمالهم وكسب معيشتهم خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن جميع هؤلاء النازحين الجدد هم من الكسبة الكادحين . وقد أخذ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد على عاتقه في احدى الفترات ، مسؤولية ايجاد حل لهذه المأساة كذلك فعل اتحاد عمال فلسطين (فرع العراق) . وأجرى مكتب المنظمة وفرع الاتحاد عدة اتصالات مع الجهات العراقية المختصة غير أن ترار مجلس جامعة الدول العربية لم يكن يسمح بمواصلة البحث . وقد تولت فيما بعد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مهمة الخروج بحل لمثل هؤلاء الا ان احداث أيلول - المجزرة حالت دون الوصول إلى نتيجة .

تبلغ ميزانية مديرية شؤون الفلسطينيين في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ٢٠٠ ألف دينار عراقي في السنة . وهي ميزانية ثابتة منذ تأسيس المديرية عام ١٩٥٠ حتى اليوم رغم أن عدد اللاجئين المسجلين فيها قد تضاعف عدة مرات خلال السنوات الماضية - في العام ١٩٥٢ كان عدد اللاجئين المسجلين والذين تتولى المديرية رعايتهم ٢٠٠٠ مواطن ويزيد الرقم الآن عن ١٤٠٠٠ . ويصرف هذا المبلغ على نوعين من الخدمات : المخصصات النقدية والسكن :

المخصصات النقدية : عوضاً عن التموين الذي تقوم بتوزيعه وكالة الغوث على اللاجئين الفلسطينيين في مطلع كل شهر في الاقطار العربية الأخرى ، يتقاضى اللاجئ الفلسطيني في العراق مخصصات نقدية نظمتها التعليمات الخاصة بالفلسطينيين رقم

المخصصات . وقد اعتبرت الاسرة مؤلفة من الزوجين وخمسة اولاد غير متزوجين كحد اعلى لدفع المخصصات .

وفي رأينا ان هذه الطريقة المتبعة في العراق افضل بدرجات مما تتبعه وكالة الغوث في الاقطار العربية الاخرى بأسلوب صرف المؤن المهود وذلك من جانبين : الاول انها اخسفت وقعا على نفس الفلسطيني واحفظ لكرامته ، والثاني انها لا تحتاج الى كل ذلك الجيش من الموظفين والخبراء والى كل تلك المصروفات التي تتكدها الوكالات والتي تستقطع بالتالي من نصيب المواطن الفلسطيني المستحق .

وفهم من التعليمات المذكورة انما ان اللاجئين في العراق لا يتقاضون جيبعا مخصصات نقدية . وكما تظهر سجلات مديرية شؤون الفلسطينيين فان : ٢٨٧٢ شخصا يتقاضون مخصصات كاملة - ١٠٠ فلس يوميا ، و ٥٤١ شخصا يتقاضون نصف مخصصات - ٥٠ فلس يوميا ، وذلك من بين ١٢٧٤٣ شخصا مسجلا في شهر نيسان ١٩٦٩ . أي ان نسبة الذين يتقاضون مخصصات (كاملة او نصف) هي ٣٢ ٪ من مجموع اللاجئين الفلسطينيين في العراق . اما الاخرون فاما ان مخصصاتهم مقطوعة أو انهم مسجلون بدون صرف اصلا . وهذه النسبة قد انخفضت عن تلك التي كانت عام ١٩٦٤ ففي ٦٤/١/١ كان عدد الذين يتقاضون مخصصات ٥٠١٥ مواطنا من جملة ١٠٩٧٨ فلسطينيا مسجلا اي ان نسبة الذين كانوا يتقاضون مخصصات في ذلك العام كانت ٤٥٪ من المجموع الكلي . وعلمنا ان نلاحظ من وجهة نظر اخرى ان ٥١٪ من الاسر الفلسطينية اللاجئة في العراق يصيبها نصيب من المخصصات . فمن جملة ٢٣٣٥ أسرة لاجئة (نيسان ١٩٦٩) تتقاضى ١٢٠٩ أسر مخصصات نقدية بينما ٥١٧ أسرة مقطوعة مخصصاتها كليا و ٦٠٩ أسر مسجلة بدون صرف . وربما يفيد قليلا في توضيح كيفية دفع المخصصات وطريقة الاستفادة منها الجدول المستقى من جداول لشعبة الفلسطينيين في كل من البصرة والموصل في تشرين الثاني ١٩٧٠ (جدول رقم ١) .

ورغم ان هذه التعليمات المتعلقة بالمخصصات ظلت سارية المفعول منذ صدورهما حتى اليوم الا انه طرأ عليها تعديل طفيف لا يمس جوهرها . وقد جاء هذا التعديل بالقرار رقم ٣٦٦ الصادر عن

«١» لسنة ٦٨ على الشكل التالي : ١ - تدفع اعانة ولادية نقدية قدرها خمسة دنانير لكل لاجئة تستحق المخصصات . ٢ - تدفع اعانة وفاة نقدية قدرها خمسة دنانير عن كل فلسطيني يتوفى يزيد عمره عن الست سنوات . ٣ - يدفع لكل طفل تجاوز عمره السنة الواحدة لحد ست سنوات «٥٠» فلسا يوميا بعد التأكد من دخل العائلة . ٤ - يدفع لكل شخص اكمل السنة السادسة من عمره ولم يتجاوز الثامنة عشرة «١٠٠» فلس يوميا . ٥ - يدفع لكل شخص يتراوح عمره بين الثامنة عشرة والخامسة والستين «١٠٠» فلس يوميا اذا توفر فيه احد الشروط التالية : أ - اذا كان مصابا بعاهة أو مرض يمنعه من الكسب على ان يكون ذلك مؤيدا بقرار لجنة طبية رسمية . ب - اذا كان طالبا في مدرسة صباحية ولم يكن موظفا أو مستخدما في دائرة رسمية أو شبه رسمية او شركة ولم يكن له مورد آخر للرزق على الا يزيد عمره عن العشرين عاما في المدارس المتوسطة والاعدادية (الثانوية) والستة والعشرين عاما في الكليات . ج - اذا كانت انثى غير موظفة او مستخدمة في دائرة رسمية أو شبه رسمية أو شركة ولم يكن لها مورد آخر للرزق . ٦ - يدفع لكل شخص تجاوز عمره الخامسة والستين سنة ١٠٠ فلس يوميا . ٧ - تقطع المخصصات اذا : أ - كان طالبا وقبل في البعثة أو كلية الاحتياط . ب - غادر العراق اعتبارا من تاريخ صدور الامر الاداري بذلك . ٨ - يستمر صرف المخصصات للنزلاء بالمستشفيات من الفلسطينيين . ٩ - للوزير بتوصية من مدير الخدمات الاجتماعية العام بناء على الضرورة صرف المخصصات الى الفلسطينيين المقبولين بدون صرف في الحالات التالية : أ - للعاجز اذا ثبت عجزه بتقدير من لجنة طبية رسمية او عجزه عن العمل لكبر سنه . ب - الارملة المتطوعة اذا ثبت عدم وجود اي معيل لها أو أي دخل خارجي . ج - في حالة توقيف أو سجن رب الاسرة وعدم وجود مورد لها أو دخل خارجي . ١٠ - يقسم دخل العائلة - من غير المخصصات التي تدفعها مديرية الخدمات الاجتماعية العامة - على خمسة ويكون خارج القسمة عدد الامراد الذين تقطع عنهم المخصصات . « وتطبيق هذه المادة يتم بأن تقطع مخصصات شخص واحد من العائلة مقابل كل خمسة دنانير من الدخل الذي تحصل عليه الاسرة من غير

جدول رقم (1)
المخصصات النقدية للاجئي الموصل والبصرة

الاجريون	المخصصات المطلوبة	(٦)	(٥)	(٤)	(٣)	(٢)	(١)	عدد المسجلين	الاجريون	البصرة
مليون	مليون	المخصصات نصف كاملة	أقل من سنة	٦-١	١٨-٦	٦٥-١٨	تجاوز ٦٥			
٨٢	١٠١	٤	٤٧	٤	٢٧	٨٩	١٢٢	٥	٢٤٩	٥١
١٤٩	٤٣	٨	١١٢	٩	٤٨	١١٠	١٤٠	٥	٣١٢	٥٣
٢٣١	١٤٤	١٢	١٥٩	١٣	٧٥	١٩٩	٢٦٣	١٠	٥٦١	١٠٤

- (١) مئة فلس في اليوم
(٢) مئة فلس بشرط - طالب ، مصاب بعمالة ، انثى غير موظفة .
(٣) مئة فلس في اليوم .
(٤) خمسون فلسا في اليوم .
(٥) لا يتقاضى مخصصات .
(٦) ٢٠٠٥٪ نسبة الذين يتقاضون مخصصات الى المجموع العام .

الاورام التحريرية التي يصدرها او الذين يقدمون معلومات مضللة أو كاذبة عن حالتهم المعاشية أو اجورهم للجهة التي يراها مناسبة على ان لا تزيد عن ثلاثة اشهر عن كل مخالفة ولا يعاد اليه المبلغ المستقطع(١)» فانه « لا يترتب للفلسطينيين حق قبل مديرية الخدمات الاجتماعية العامة بصدد استحقاقهم للمخصصات والمديرية المذكورة منحها حسبما يترأى لها من ظروف كل فلسطيني وفقا لهذه التعليمات(٧)». وكما قال على ذلك ما حدث عندما طالب سكان ملجأ سنجرار في الموصل بتحسين اوضاعهم السكنية وذلك في شهر ايار ١٩٦٩ فهددت شعبة الفلسطينيين في الموصل بقطع المخصصات ثم نفذت تهديدها بالفعل واردفته بقطع المساء والكهرباء عن الملجأ حتى « اقتنع » السكان بوجهة نظر الشعبة . وقد تدخل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الموضوع وتوصل مع المديرية في بغداد الى تسوية عادلة لوضعهم .

السكن : تعتبر مشكلة السكن من اعصى المشكلات المعيشية التي يعاني منها اللاجئون الفلسطينيون في العراق . وسنلقي نظرة على بعض اوجه هذه المشكلة وابعادها : يتوزع الفلسطينيون في العراق بين ثلاث مدن : بغداد بشكل رئيسي (نحو ٢٥٠٠ أسرة) والبصرة والموصل بشكل ثانوي (نحو ٥٠ أسرة في كل منهما) بالاضافة الى اعداد قليلة جدا في بعض المدن الاخرى . وكما المحت سابقا سكن الفلسطينيون في أول عهدهم بالعراق في المدارس

مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٧/٨/٦٩(٥) . وقد جاء في بند ٦ « المخصصات » من هذا القرار ما يلي : أ - يستمر على صرف المخصصات للفلسطينيين في الحالات التالية : اولاً اذا سافر احد افراد العائلة للدراسة على حسابه الخاص . ثانياً اذا سافر احد افراد العائلة للاتحاق بالخدمات . ب - يتوقف صرف المخصصات للاسباب التالية : اولاً ان كان سفر احد افراد العائلة للدراسة على نفقة الحكومة . ثانياً سفر احد افراد العائلة الى دولة اخرى لغرض الاشتغال ويعد التأكد من كونه وجد عملاً هناك . ج - في حالة توظيف أو استخدام أحد افراد العائلة في دوائر الدولة الرسمية أو شبه الرسمية في العراق يلاحظ مقدار راتبه ومدى تناسبه مع افراد عائلته فان كان متناسباً مع المستوى المعاشي للعائلة تقطع المخصصات عن العائلة بأكملها . اما اذا كانت الاجور التي يتقاضاها ضئيلة فيجب موازنة ذلك والابتداء على قسم من المخصصات التي تدمع لبقية افراد العائلة بما يتناسب والمستوى المعيشي للأسرة .

غير ان هذه المخصصات التي تدمع للاجسيء في العراق تستعمل احياناً سلاحاً حاداً بيد الوزارة تهدد بقطعها وتنفذ غالباً لدى ارتكاب من يتقاضونها اية مخالفة لا تنال رضى مديرية الفلسطينيين . «تقدير الخدمات الاجتماعية العام تقطع المخصصات عن الفلسطينيين الذين يخالفون هذه التعليمات أو

والنوادبي غير أن ذلك لم يكن الا حلاً مؤقتاً خرجت منه الحكومة العراقية « بنظام الملاجيء » وهو طراز فريد من السكن الجماعي ما أظن ان مجتمعاً من المجتمعات وفي الثلث الاخير من القرن العشرين يضم بين جنباته ما هو ادنى منه درجة .

والملاجئ بيت كبير يضم احياناً ٨٠ غرفة واكثر كان في الاصل مدرسة او ربما بني قصبياً ليكون فندقاً هجره نزلاًؤه لقدمه ، تستأجره مديرية الفلسطينيين وتتكس فيه الاسر الفقيرة بشكسل لا انساني :
 أ - الملاجئ يضم ٢٤ أسرة كحد ادنى و ٦١ أسرة كحد اعلى . ب - اكوام القاذورات تتكدس على ابواب الملاجيء حيث تتحول في حر بغداد اللانح الى موطن للمرض قل له نظير ، والمياه القذرة تعيق عابر السبيل وهي لا تجد لها مصبا سوى الشارع العام ومدخل الملاجئ نفسه لعدم توفر الحفر الامتصاصية أو المجاري . ج - داخل الجدران المتهدمة والسقوف المهترئة تنحسر الاسر اللاجئة بواقع غرفة واحدة لكل اسرة مكونة من ستة افراد واذا زاد الرتم عن هذا يفرد لها قنوتنا غرفتان ، غير ان الواقع في اغلب الاحيان لا يتمشى مع القانون ، مما يضطر الاسرة في معظم الحالات (والتي كنت شاهداً عليها) ، الى ان تقسم الغرفة الواحدة التي لا تتجاوز كثيراً اثني عشر متراً مربعاً الى قسمين بواسطة بطانية أو ملاءة . د - معظم هذه الملاجيء آيل للسقوط فهي بنايات

قديمة جداً لم يلحقها الهدم الا لان الملاجئين « يعمرونها » فقط (٨). هـ - المنافع الصحية شحيحة غير متوفرة فالملاجئ الذي يتسع احياناً لاكثر من ثلاثين اسرة لا يتوفر فيه اكثر من دورتي مياه أو ثلاثة ان كان مسكانه من المحظوظين . و - ممرات الملاجئ والتي هي مظلمة رطبة ضيقة تصبح ملاعب للاطفال تمنع بهم وتزدحم بصرخاتهم . ز - نتيجة للحر الخائق في بغداد يضطر المواطنين فيها للنوم فوق اسطحة منازلهم ، والملاجئ ذو السطح الواحد يحوى الاسر كلها في الصيف ليلاً . والمساء تتجلى عندما يقسم السطح ببطانية تعيث بها الريح ينام على جانب منها النساء وعلى الجانب الاخر يستلقي الرجال .

وفي جدول (٢) قائمة بأسماء هذه الملاجيء وعدد الاشخاص الذين يسكنونها كما يبين الجدول مجموع نفقات كل ملاجئ (الايجار السنوي ونفقات الكهرباء والماء والتنظيف) .

وبالاضافة الى هذه الملاجيء هناك في بغداد دور مستأجرة اصغر منها حجماً ويبين جدول (٣) عددها وعدد ساكنيها وياجرها السنوي .

اما النوع الثالث من السكن فهو الدور الحكومية وتتركز بشكل اساسي في حيين من احياء بغداد : مدينة السلام ومدينة الحرية وهي شكل من اشكال

جدول رقم (٢) - الملاجيء في بغداد

اسم الملاجئ	الموقع	عدد الاسر	عدد الافراد	مجموع النفقات بالدينار
الصفار	باب الاغا	٣٩	٢٢٢	٣٠٨٠
السباع	قره شعبان	٢٨	١٥٠	١٨٣٠
المشفل	ش المستنصر	٢٤	١١٢	١٢٩٠
راحيل شحمون	تحت التكية	٥٨	٢٨٥	١٧٨٧
منشى صالح	تورات	٥٨	٣٨٦	١٨٩٥
العاقولية	عاقولية	٢٦	١٧١	١٢٠٧
ماوى الاحداث سابقا	الحرية	٢٧	١٦٨	٤٣٨
دار الفلسطينيين	ش الشيخ عمر	٦١	٣٨٤	١٣١٢
معهد المكتوفين سابقا	الزعفرانية	٥٨	٣٠٥	لم يبيت فيها حتى الان
دار رعاية الاحداث	الزعفرانية	٤٧	٣١٣	لم يبيت فيها حتى الان
المجموع العام		٤٢٦	٢٤٩٦	

جدول رقم (٣) - الدور المستأجرة للفلسطينيين في بغداد

العائدية	عدد الدور	موقعها	عدد الاسر	الافراد	الايجار السنوي بالدينار فلس دينار
١ - الدور المجعدة (٩)	٢٦	مركز بغداد	١١٨	٦٩٨	١٠٥٤٤٠٦٨٢
	٢٨	الكرادة الشرقية	١٤٧	٩٠٤	٢٩٧٢٤٣١١
	١	الاعظمية	٥	٢٢	٤١٤٧٨١
٢ - اوقاف بغداد	١	عبواضية	١١	٧٠	٦٠٠
٣ - امانة العاصمة	١	راس القرية	٩	٧٢	٣٦٠
٤ - دور اعلية	٣	الكرادة الشرقية	١٥	٨٠	٣٠٧٤٧٧٩
	١	القادسية	٦	٤٥	٣٥٠
	٨	بغداد الجديدة	٧٠	٣٩٠	٢٣٠١٤٣٥٠
	٣١	السلام	١٦٨	١٠١٧	٧٨٨٢
	٥	الحريصة	٢٢	١٤٤	١٤٢٠
المجموع العام	١٠٥		٥٧١	٣٤٤٣	١٧٢٨٩

جدول رقم (٤) - الدور الحكومية

عدد الدور	الموقع	عدد الاسر	عدد الاشخاص
١٣٠	الحريصة	١٦٣	١١٠٧
١٣٧	السلام	٢٥٧	١٥٦٥
٢٤	تل محمد	٣٦	٢٣٨
٨	الزعفرانية	١٢	٨٤
١	مشتل السلام	١	١١
المجموع ٣٠٠		٤٦٩	٣٠٠٥

وقد اختارت المديرية ملجأ اخر لهم (ملجأ الشيخ قنحي) وهو مكون من ١٢ غرفة فقط منها دفنح بالسكان الى العصيان واستعانوا في ذلك بلجنة انتدبوا مكونة من رئيس بلدية الموصل وممثل عن الاتحاد الوطني لطلبة العراق وممثل عن القطاع الشعبي ، واستشهد « العصاة » بقرار هذه اللجنة بأن الملجأ الجديد لا يتسع لكثير من ست اسر نظرا لضيق غرفه . وقد لجأت المديرية الى أسلوب قطع المخصصات والماء والكهرباء عن اللاجئين لاتناعم بضرورة الامتثال لاوامرها وهو ما سلف ذكره . ان ازمة السكن في العراق بل بأساتها دفعت المهتمين بها فلسطينيين وعراقيين الى دراستها اكثر من مرة . وسكان الملجأ يحفظون عن ظهر قلب جميع المشاريع التي قدمت بتاريخها وارقامها وينودها المفصلة لحل مشكلتهم ، كما ان ذاكرتهم

المساكن الشعبية ، المغرقة في الشعبية وان كان هذا النوع من السكن اكرم من سابقه اذ البيت الواحد يضم احيانا اسرة او اسرتين .

ان الحكومة العراقية تقدم خدمات السكن المجانية في بغداد الى ٨٩٤٤ لاجئا فلسطينيا موزعين على ١٤٦٦ أسرة بمعنى ان نسبة الذين يستفيدون من السكن المجاني في بغداد هي ٦٣ ٪ من مجموع اللاجئين الفلسطينيين تقريبا .

والصورة في البصرة أو الموصل ليست بأفضل منها في بغداد . ومثال على ذلك وهو ما اشرت اليه سابقا ما حدث بالنسبة للملجأ سنجان الذي سمي باسم الحي الذي يقع فيه (باب سنجان في الموصل) . وقد سكن هذا الملجأ خمس عشرة أسرة فلسطينية الى ان طلبت مديرية شؤون الفلسطينيين منهم اخلاء والا تمرضوا لخطر الموت تحت الإنقاص .

لا تسمى عدد الزيارات التي قام بها المسؤولون للاجئين ولا وعودهم المتتالية التي قطعوها على انفسهم للتخفيف من بؤس هؤلاء السكان . ومن جملة هذه الوعود ما جاء في القرار رقم ٣٦٦ الذي اتخذته مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٧/٨/٦٩ والذي جاء في مقدمته ما يلي : « ايماننا من حزب البعث العربي الاشتراكي بوحدة الشعب العربي والعربي ووحدة مصيره وانطلاقا من شعوره بخطورة المرحلة التي تعيشها امتنا العربية في معركتها الحاسمة مع العدو الصهيوني - الامبريالي ، وبأهمية ان يكون للعنصر الفلسطيني الدور الطبيعي في معركة التحرير قامت قيادة الحزب بدراسة اوضاع الفلسطينيين الموجودين في القطر العراقي وقدمت مقترحاتها الى مجلس قيادة الثورة فقرر بمالحتها كما يلي : ١ - ازمة السكن : انشاء مجموعات سكنية : سنة على غرار مدينة السلام تتوفر فيها كافة الشروط الصحية (كمجموعات سكنية متكاملة الخدمات) وتبقى هذه الدور ملك الدولة يتمتع الفلسطيني ببنفعتها ما دام موجودا في العراق ولا يحق له شراء الاراضي والبناء وطلب السلف التعاونية والعقارية (١٠) » .

غير ان تلك الوعود جميعا والدراسات ومحاولات تحسين شروط السكن كانت دائما وفي كل مرة تصل الى طريق مسدود لاكثر من سبب :

١ - ان سرعة تغير الحكومات في القطر العراقي وبالتالي تغير السياسة المتبعة لم تكن تعطي الفرصة لمشروع واحد لان يأخذ مداه الكامل فيبصر النور . والامثلة على ذلك كثيرة منها : منذ اكثر من سنة ونصف قامت منظمة التحرير الفلسطينية (مكتب بغداد) بدراسة الموضوع مع عدد من المسؤولين العراقيين . وقد توصلت الدراسة انذاك الى ان وزير الشؤون الاجتماعية والعمل (السيد انور عبد القادر الحديثي) قد طلب الى وزارة التخطيط تخصيص ربع مليون دينار عراقي للنفقات تنفيذ مشروع اسكان للاجئين حيث كان من المقرر ان يضم هذا المشروع ١٥٠٠ وحدة سكنية في القطعة ٩/١ من المقاطعة رقم ١٩ غزالية . وكان الرأي ان ينفذ هذا المشروع من قبل وزارة الاشغال والاسكان للاقتصاد في النفقات . وقد دخل هذا الطلب دوامة مغرغة دون ان يصل الى نتيجة الى ان عهد بوزارة الشؤون الاجتماعية الى وزير اخر (السيد مرتضى الحديثي) فغض الطرف عن المشروع .

٢ - ان السياسة المتبعة في تضيئة سكن الفلسطينيين في العراق كانت في رأينا سياسة خاطئة : أ - ليس هناك تفكير يتصف بالجزرية في محاولات حل هذه المشكلة وانما هو في جميع الاحوال ومختلف الظروف والعهود يرمي الى حلها حلا جزئيا مبتورا سرعانا يظهر فشله وعقبه . فالسياسة العراقية المتعلقة بشؤون الفلسطينيين لم تتخل قط منذ كانت مأساة اللجوء عن فكرة تأمين « الملاجئ » للاجئين اليها رغم كل ما يرافق هذا النظام من السكن من اخطار اجتماعية وخطيئة وصحية . وظلت هذه السياسة منذ العام ١٩٥٠ تدور ضمن هذه الحلقة لا تتخطاها ولا تخرج عنها . كما ظلت تتناول مشكلة كل ملجأ على انفراد دون ان تفكر مرة ، وان فكرت لا تنفذ ، بالغاء هذا الاسلوب السكني الكتيب . فعندما اصبح ملجأ «مقرو» (١١) مثلا غير صالح للسكن في منتصف العام ١٩٧٠ استعصى عنه بلجأ اخر في الزعفرانية لتظل مشكلة التكدس السكاني هي هي لم تتغير . ب - ان ما ينفق على سكن الفلسطينيين في العراق ينفق بسورة عشوائية لا تدبر فيها . وتحدثت بالازمام : ان مجموع ما ينفق على سبعة ملاجئ في بغداد معروفة لدينا ايجاراتها يبلغ ١٢٤٠١ دينار عراقي سنويا . وهذه الملاجئ (الصغار ، السباع ، المشغل ، راحيل شحمون ، منشى صالح ، العاتولية ، دار الفلسطينيين) تضم ٢٩٤ أسرة حسب الجداول المذكورة سابقا . أي أن نصيب الاسرة الواحدة يبلغ نحو ٤٢ دينارا في السنة وسطيا . ورغم ان المبلغ زهيد نسبيا الا انه اذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف السكنية القاسية التي يعانيها سكان هذه الملاجئ وهي ما اتينا على وصفها سابقا نجد ان مثل هذا المبلغ لو انفق بطريقة أخرى يمكن ان يوفر سكنا اكرم واكثر لياقة .

٢ - ان جزءا من مسؤولية مشكلة السكن يقع على الفلسطينيين انفسهم : أ - لقد جرى في عام ١٩٦٥ اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية - مكتب بغداد - والحكومة العراقية - عهد المشير عبد السلام محمد عارف - على بناء مساكن شعبية للفلسطينيين في منطقة ابي غريب وهي احدى ضواحي بغداد القريبة ، وكاد الاتفاق يأخذ صيغة التنفيذ لولا ان الفلسطينيين اعتبروا ذلك المشروع جزءا من مؤامرة توطئتهم خارج وطنهم فثاروا

يأتيه من السماء .

ونترجم هذه النقاط الى لغة الأرقام والواقع
موجهين اهتمامنا بالدرجة الأولى الى « الملاجيء »
دون التطرق الى الدور المستأجرة أو الحكومية
لان الأولى هي محور المشكلة وهي الأشد تعاسة :
ان مجموع الاسر المعنية هنا يبلغ ٤٢٦ أسرة
(٢٤٩٦) حسب الجدول رقم (٢) ، موزعين
حاليا في عشرة ملاجيء تبلغ نفقاتها الكلية نحو
١٦٠٠٠ دينار سنويا . (١٢٨٢٩٦ ديناراً لثمانية
ملاجيء معروفة الأيجار لدينا والباقي تقدره
للجائين استؤجرا حديثا ولم يبت باجرتها حتى
الآن - معهد المكوفين سابقا ٥٨ أسرة ودار رعاية
الإحداث سابقا ٥٨ أسرة (جدول رقم ٢) . ولو
فرضنا جدلا ان جميع هذه الاسر دون استثناء
بحاجة حقيقية الى ان يتوفر لها سكن مجاني لعدم
تسكنها من السكن على نفقتها الخاصة ، مع اننا
نشك في ذلك ، فان ٤٢٦ وحدة سكنية مطلوب
توفرها لحل مشكلتهم . واذا افترضنا ان الوحدة
السكنية الشعبية لن تتجاوز تكلفتها بأي حال من
الاحوال ٢٠٠ دينار عراقي (١٦) ، فان نفقات المشروع
بأكمله ستبلغ ٨٥٢٠٠ دينار آخذين بعين الاعتبار
ان وزارة الأشغال والسكن هي التي ستتولى
تنفيذ المشروع للاقتصاد في النفقات ولتبع مصدر
الأموال المخصصة وان المشروع سيقام على أرض
امرية . وبعملية حسابية بسيطة نجد ان هذا
المبلغ المقترح يعادل تماما بدلات الأيجار التي تدفع
للملاجيء العشرة لمدة خمس سنوات .

لا بل اننا نذهب في مشروعنا المقترح الى ابعد من
ذلك فنضيف اليه ان بعض الاسر التي تسكن هذه
الملاجيء قادرة في حال انتقالها الى هذه المساكن
الجديدة على دفع بدلات ايجار سنوية زهيدة يمكن
ان ترصد لاضافة وحدات سكنية مستحدثة الى
المشروع يستفيد منها حسب الأولوية الفلسطينيين
الذين يسكنون في الدور المستأجرة (جدول رقم ٣)
والذين يعانون ايضا من مشكلات لا تقل كثيرا عن
تلك التي يعانيها اخوانهم سكان الملاجيء . ونؤكد
هذا الاقتراح ايمانا من المبدأ الذي اثبتناه وهو
ضرورة ان يسهم الفلسطينيون في حل مشكلاتهم .

ولكي يأخذ هذا الموضوع صيغته العملية فاننا
نقترح ان تستوفي مديرية شؤون الفلسطينيين
ايجارا سنويا بمعدل ٢٠ دينارا (٢٠ ، ٢٠ ، ٤٠)
دينارا سنويا حسب دخل الاسرة ووضعها

وهددوا بالامتناع عن السكن واداهوا مكتب المنظمة
مما جعل المنظمة تتراجع وتتخلى عن مثل هذا
الاتفاق . وقد اعتبر المظلومون ان ذلك الهياج لا
مبرر له لان العودة الى الوطن والديار في حال
تحققها لن يمنعا سقف يضم عائلة وينشئ جيلا
خاليا من الامراض التي تحقنها بها الملاجيء .
ب - ان عددا من سكان الملاجيء (واقولها عن
تجربة واختبار) ، غير محتاج للسكن فيها ولديه
من الدخل ما يمكنه من السكن خارجها بأجر (١٦) .
وبالتأكيد فان نسبة هؤلاء منخفضة بين الاغلبية
الفقيرة المحتاجة الا ان خروج القادر على اعالة
نفسه من الملاجيء يترك مجالا لعيش اكرم ب حياة
الانسان لشخص لا يمكنه مورده المالي من السكن
خارجها .

وقد نظمت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لهذا
الموضوع فأصدرت أمرا رقم ٥١١ بتاريخ ٦٩/٩/٤
بتشكيل لجنة لجرد حالات اللاجئين وقد تشكلت
اللجنة من مدير الخدمات الاجتماعية العام ومدير
الحسابات والحقوق والعقود في المديرية المذكورة
ومدير ادارة اللاجئين الفلسطينيين وضيف للجنة
بقرار آخر ممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية
(مكتب بغداد) اثر طلب منها . غير ان هذه
اللجنة لم تبأشر عملها لتخوفها من الصعوبات التي
ستنتج من مثل هذا الجرد وللمعتبات المتوقعة التي
ستعترض طريقها .

ان حلا جذريا وحاسما مطلوب من وزارة الشؤون
الاجتماعية والعمل في العراق لمواجهة مشكلة اسكان
اللاجئين الفلسطينيين . ولو اجيز لنا الاقتراح فاننا
نضع النقاط التالية موضع بحث : ١ - ضرورة ان
تتوفر لدى السلطات العراقية النية الكاملة على
استبدال اسلوب العيش في الملاجيء بأسلوب آخر
افضل منه واكرم . ٢ - ان عملية الاستبدال هذه
اذا حسبت بمنطق الربح والخسارة تد تكلف
الخزينة العراقية مبلغا من المال في البداية ولكن
في المدى البعيد ستتساوى نفقات اي مشروع مع
الإيجارات الباهظة التي تتكبدها الخزينة الان ان
لم تقل عنها . ٣ - ان عملية الاستبدال هذه
ستكون على حساب نسبة ضئيلة من الفلسطينيين
الذين يتمتعون بسكن مجاني حاليا ، ولكن
« التضحية » بهذه النسبة الضئيلة انما هي
لمصلحة المجموع . ٤ - ضرورة ان يشترك المواطن
الفلسطيني نفسه في حل مشكلته دون ان ينتظر الحل

الاجتماعي والاقتصادي) من ٢٠٠ أسرة فلسطينية من سكان الملاجئ البالغ عددهم كما ذكرنا ٤٢٦ أسرة . وبذلك يتوفر لدينا سنويا ٩٠٠ دينار اي ما يكفي لاضافة ٤٥ وحدة سكنية في العام الاول وتزداد بنسبة مطردة في الاعوام اللاحقة .

وهناك ملاحظتان : الاولى اننا لا نعتبر ان مشروعا كهذا « مؤامرة » لاسكان الفلسطينيين وتوطينهم خارج وطنهم فان مثل هذه الزايدات السياسية مرفوضة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان نسبة لا يستهان بها من الشعب الفلسطيني في مهاجره المختلفة تتمتع بوضع اقتصادي ، وبالتالي سكني ، جيد ، ومع هذا فلم يمنحها جودة هذا الوضع من العمل للعودة . ومشروعنا المقترح لا يوغر مثل ذلك الوضع الجيد المذكور بل هو يؤمن الحد الأدنى من ضرورات بناء المواطن اجتماعيا ونفسيا وصحيا بل ونضاليا . والثانية ان هذه المساكن المقترحة بحكم انها ملك للدولة العراقية سوف تستفيد منها هذه الاخيرة ، في حال تحقق العودة المرتقبة ، لمواطنيها المحتاجين وبذلك فانها ستكون من المشاريع الاجتماعية دائمة النفع .

مديرية شؤون الفلسطينيين : أسست المديرية كما ذكرت عام ١٩٥٠ بميزانية سنوية ثابتة قدرها ٢٠٠ . . . دينار وهي توزع على الخدمات : بنسبة ٧٥ ٪ تقريبا للمخصصات النقدية ونحو ١٣ ٪ لاجور السكن والباقي بدل الكهرباء والماء والتنظيف والمجاري . وترتبط المديرية اداريا بالمديرية العامة للخدمات الاجتماعية في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل وهي تضم ٢٢ موظفا ومستخدمًا يرئسهم مدير ادارة شؤون اللاجئين الفلسطينيين (١٤) ويتقسم العمل اداريا الى الاقسام التالية :

١ - قسم البحث الاجتماعي ومهامه : أ - دراسة المشاكل والنزاعات بين الفلسطينيين . ب - دراسة الحالة السكنية وتقديم التوصيات بشأنها . ج - دراسة الحالة الميشية وتطبيق التعليمات المرعية . د - الاشتراك في لجان المخصصات والسكن وجمع الشمل . هـ - تنظيم قرارات اللجان وتنفيذها . و - الاحصاء وتدقيق الجداول الاجتماعية للمجاي الموصل والبصرة .

٢ - قسم الادارة ومهامه : أ - استئجار واخلاء وترميم الدور المشغولة بالفلسطينيين . ب - اشتغال الفلسطينيين . ج - ايقاف وصرف المخصصات . د - تدقيق الوثائق المدرسية وانجاز

مخابرات مطلبة البعثات . هـ - ضبط قيود الاسر وتأشير المخابرات والهويات في السجلات . و - المخابرات السرية وذاتية الموظفين .

٣ - قسم الحسابات ومهامه : أ - صرف مخصصات اعاشة الفلسطينيين . ب - اجراء التسوية القيدية للسلف . ج - تجديد عقود الايجار ودمج بدلاتها . د - دفع اجور الكهرباء والماء والتنظيفات والنفقات الاخرى . هـ - دفع رواتب الموظفين والمستخدمين والاجراء .

٤ - قسم الاحوال المدنية ومهامه : أ - منح وثائق السفر وتبديدها وتبديلها والاضافات عليها . ب - منح بطاقات الهوية . ج - الاحالة الى اللجان الطبية ومخابرات المستشفيات . د - اخبار دوائر أمناء السجل المدني المختصة بالولادات . هـ - تسجيل المواليد وصرف امانات الولادة . و - اخبار دوائر الصحة والمستشفيات بالوفيات . ز - ترقين قيد المتوفين وصرف اعانات الوفاة . ح - اصدار كتب التأييد الى المحاكم الشرعية المختصة . ط - تنظيم وكالات المخصصات وتجديدها والغاؤها . ي - انجاز مخابرات سفر الفلسطينيين وعودتهم . ك - تأييد الجنسية والعمر ومقر الحال .

٥ - قسم الاوراق : وتشمل مهامه تسجيل المخابرات الصادرة والواردة وحفظها .

٦ - قسم الطباعة .

٧ - ادارة ملجأ راحيل شحمون ومهامه : أ - استلام اعلامات الولادة وارسالها الى هذه المديرية . ب - الاخبار عن حوادث الوفيات . ج - الاخبار عن كافة المخالفات والنزاعات في الملاجئ . د - ابلاغ الفلسطينيين بالاوامر والتعليمات الصادرة من المديرية .

كما تضم المديرية سبع لجان متخصصة كالآتي :
١ - لجنة المخصصات وتقوم بصرف او قطع او التوصية بصرف المخصصات حسب التعليمات المرعية . ٢ - لجنة السكن ومهامها : أ - الكشف عن الدور وتقديم التوصية باستئجارها . ب - تخصيص المساكن كلما توغرت للاسر المحتاجة . ج - اجراء التبادل بالمساكن . هـ - فصل المنازعات المتعلقة بالسكن . ٣ - لجنة جمع الشمل . ٤ - لجنة تسجيل الفلسطينيين . ٥ - لجنة ترميم المساكن . ٦ - لجنة المشتريات . ٧ - لجنة ترشيح البعثات .

الواقع الاجتماعي - الاقتصادي

السنوات ٤٧-٥٧ بلغ ٢٢ بالالف (١٦). ٤ - مقارنة هذه النسبة بغيرها من معدلات المواليد في اقطار أخرى ثبت معدل المواليد (١٧) لكل ألف من السكان في : العراق : ٢٠٤٧ ، سوريا : ٢٥ ، ج.ع.م. : ٤٢٤٨ ، فرنسا : ١٩٤٥ ، النمسا : ١٤٤٩ ، ايطاليا : ١٨٤٣ .

الوفيات : ما ذكرناه عن الولادات من حيث عدم توفر الاحصائيات ينطبق على الوفيات ايضا . وبالطريقة نفسها استطعنا ان نحصي للعام ١٩٦٩ (٧٤) شهادة وفاة. وبذلك تكون نسبة الوفيات ٥٤٣ بالالف . غير اننا نتحفظ على هذه النسبة اذا قارناها بما هي عليه في الاقطار المتقدمة حضاريا فلا يخفى « ان العراق يصنف ضمن مجموعة الاقطار التي تسجل فيها حركة الوفيات أعلى المعدلات العالمية » (١٨) وتبلغ اعلى نسبة وفيات في العالم ما بين ٢٠ - ٣٠ في الالف : ٢٣ في الهند ، ٢٤٤٧ في سيلان ، واطل نسبة وفيات حوالي ١٠ في الالف : ٨٤٩ في هولندا ، ١٠ - ١٢ في اسكندنافية (١٩).

ونتناول موضوع الوفيات من جانب آخر فنلقي نظرة على اسباب الوفيات لدى البالغين ثم لدى الاطفال : من دراسة ١٠٠ شهادة وفاة بالغ معروفة الاسباب اخترت اختيارا عشوائيا من بين نحو ٤٠٠ شهادة وفاة لعدد من السنين كانت اسباب الوفيات كما يلي : ٣١ وفاة بأمراض القلب و١٧ بالشيخوخة و١٤ بالسرطان و٧ بالسل و٧ بتسمم الدم بالبول وه بارتفاع ضغط الدم وه نزيف دماغي و٢ تشمع الكبد و٢ لكل من : التهاب المعدة ، الروماتزم ، الجلطة الدموية ، الحروق ، ووفاة واحدة لكل من : الشلل ، اليرقان ، السكر .

ومن اطلعنا على ٤٥ شهادة وفاة اطفال اخترت بالطريقة السابقة وجدنا ان اسباب الوفيات كما يلي : ١٨ ذات الرئة و٩ الاسهال و٧ النقص الولادي و٣ الهزال و٢ القلب ووفاة لكل من جفاف الانسجة ، السعال الديكي ، الحروق ، اليرقان ، الورم الدماغي ، شلل الحنجرة . ويلاحظ بالنسبة لوفيات الاطفال ان الامراض التي يمكن ان نطلق عليها اجتماعية مثل ذات الرئة والاسهال والهزال تعد مرتفعة (تشكل ٦٦٤٦ ٪ من مجموع الاسباب) ومثل هذه الامراض تكون نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدنية مما يستتبع سوء التغذية

ان أي دراسة ديموغرافية للسكان تحتاج الى توفر احصاءات دقيقة عن عدد هؤلاء السكان خلال سنوات مختلفة ، عدد المواليد ، عدد الوفيات ، حوادث الزواج والطلاق ، حركة الهجرة ، تركيب السكان العمري والجنسي . غير ان مثل هذه الاحصاءات تشح بالنسبة لفلسطيني العراق :

١ - المعلومات المتوافرة ، على قلتها ، تتعلق باللجئين منهم فقط ولا تتناول الفلسطينيين غير المسجلين لاجئين . ٢ - لا تحتفظ مديرية شؤون الفلسطينيين بسجلات تتعلق بحركة السكان ، وانما يضطر الباحث كي ينال بغيته الى اللجوء الى كثير من الملفات المكسدة بما يرافق هذه الطريقة من احتمال ضياع كثير من المعلومات ان فاتته البحث في ملف او اكثر (١٥) . ٣ - لا توجد ارقام جاهزة عن عدد اللاجئين وكل ما استطعت الحصول عليه رقمان يبينان عددهم في عامي ١٩٦٤ و١٩٦٩ فقط. غير انه من خلال المعلومات التي توافرت لدينا والتي استقيناه من ملفات مديرية الفلسطينيين نحاول القاء نظرة سريعة على الوضع الديموغرافي للفلسطينيين المسجلين لاجئين .

الولادات : كما اشرت لا توجد احصائية جاهزة تبين عدد الولادات كي يتمكن الباحث من استخلاص النتائج المتوخاة . غير اننا من خلال تجولنا في ملفات شهادات الولادة المحفوظة لدى مديرية شؤون الفلسطينيين استطعنا ان نحصي ٣٩٨ ولادة خلال عام ١٩٦٩ ولدى نسبتها الى عدد اللاجئين المسجلين ذلك العام (١٣٧٤٣ مواطن) نجد ان نسبة المواليد تبلغ ٢٨٤٩ بالالف .

ولنا ملاحظات على هذه النسبة : ١ - يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار احتمال الخطأ لدى احصاء شهادات الولادة الموزعة على أكثر من ملف . ٢ - كما ان علينا ان نلاحظ انه معروف ان عددا من الولادات لا تسجل بسبب : أ - عدم التشدد في تطبيق القوانين الملزمة بتسجيل اية ولادة جديدة . ب - ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال الرضع (دون السنة الواحدة) مما يضعف فرصة التسجيل باعتبار ان موت الوليد يلغي حاجة تسجيله اساسا . وهذا يجعلنا نجزم بأن نسبة المواليد اكثر مما نكرنا . ٣ - سجلت هذه النسبة زيادة ملحوظة على مثيلتها لدى سكان العراق فمعدل الولادات في مدن بغداد والموصل والبصرة خلال

والمسكن والجهل بأصول رعاية الطفل وبمبادئ الصحة العامة .

نمو السكان : لتحتفلنا على نسبة الوفيات لدى لاجئي العراق لا نستطيع ان نستخرج الزيادة الطبيعية لديهم^(٢٠) . لذا لجأ الى احتساب النسبة المئوية للزيادة السنوية وهي التي توفرها لنا سجلات مديرية شؤون الفلسطينيين لسنتين فقط : عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٦ . فقد كان عدد اللاجئيين في العراق عام ١٩٦٤ يبلغ ١٠٩٦٤ بينما بلغ عددهم في عام ١٩٦٦ ١٣٧٤٣ وبذلك تسجل الزيادة السنوية نسبة مئوية قدرها ٥٤٤ ٪ . الا اننا لا نستطيع ان نسلّم باطلاق بصحة هذه النسبة : ١ - هي مرتفعة جدا اذا تورنت غيرها من النسب في العالم ، وللمقارنة نثبت الجدول التالي للاعوام ٥٠ - ١٩٥٥^(٢١) : فان النسبة المئوية للزيادة السنوية في جنوب شرق آسيا ١٤٧ وفي جنوب غرب آسيا ٢٤٥ وفي شمال وغرب اوروبا ٤٦ . وفي جنوب اوروبا ٤٩ . كما ان نسبة نمو السكان في العراق نفسه للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧ كان معدلها ٣٤٣٦٤ ٪^(٢٢) ٢٠ - في ظلنا ان هذه النسبة المرتفعة كانت نتيجة لتسجيل لاجئين جدد في مديرية شؤون الفلسطينيين اكثر منها مؤشرا الى زيادة طبيعية في السكان .

التركيب العمري والنوعي للسكان : ان تكوين السكان حسب فئات السن يعتبر من أهم وأخطر العوامل الديموغرافية في دلالتها على قوة السكان الانتاجية ومقدار حيويتهم . كما ان هذا التكوين تنسحب اهميته على مجالات اخرى خلاف المجال الديموغرافي ، « فمهينات العمل لا بد ان تعرف حركة العاملين فيها وعدد السكان في سن العمل ، كما ان المهتمين بالشؤون الاجتماعية لا بد لهم من الالمام بنسب السكان في سن التلذذة وبحركة الاعمار نحو الشيخوخة . . كما ان الدولة تحرص على تحليل هذه التراكيب لضرورات الامن القومي والدفاع عن الوطن »^(٢٣) .

جدول رقم (٥) التركيب العمري للاجئي العراق(٢٤)
(كانون الثاني ١٩٧١)

فئة العمر	الذكور ٪	الاناث ٪
٠ - ٩	٣٠	٢٩
١٠ - ١٩	٢٩	٣٠
٢٠ - ٢٩	١٦	١٥
٣٠ - ٣٩	١٠	١٠

٤٠ - ٤٩	٦	٦
٥٠ - ٥٩	٢	٥
٦٠ +	٦	٥
المجموع	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

يتضح لنا من دراسة الجدول ما يلي :

١ - يلاحظ ان فئة العمر (٠ - ٩) تتساوى مع الفئة (١٠ - ١٩) وهو امر غير مقبول ديموغرافيا لشعب فتى كثير الموالييد مثل الشعب العربي ، اذ من المفروض ان تزيد الفئة الاولى على الثانية . غير اننا نعزو هذه الظاهرة الى امرين : ١ - اثناء اخذنا العينة من سجلات الاسر (كانون الثاني ١٩٧١) لاحظنا ان موالييد عام ١٩٧٠ لم يسجلوا جميعا بدليل ان تواريخ ميلاد هذا العام لم تكن تتجاوز شهر حزيران الا نادرا ، ويعود هذا الى ان بيانات الولادة لم تكن قد وصلت بعد الى مديرية شؤون الفلسطينيين ، ويؤكد هذا الامر انه لا يوجد حافظ لدى الياض لتسجيل اطفالهم الجدد الا بعد بلوغهم السنة الاولى من اعمارهم كي يتقاضوا عنهم المخصصات المالية . ب - من المعروف ديموغرافيا ان نسبة الولادات تميل الى الانخفاض في السنوات التي تعقب الحروب والاضطرابات والثورات . والشعب الفلسطيني ، وبضمنه فلسطينيو العراق ، يخوض منذ عام ١٩٦٧ حربا وثورة على اكثر من جبهة ، فهل حدث انكماش في نسبة المواليد نتيجة ذلك ؟ نرانا نبيل الى هذا الرأي . ولترجيح ذلك نذكر ان نسبة المواليد من الجنسين الى مجموع السكان في عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ مجتمعين هي ٥٤٤ ٪ بينما النسبة ذاتها في عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ هي ٦٤٣ ٪ . وهذا يجعلنا نرجح حدوث انكماش في نسبة المواليد في السنوات التي أعقبت ١٩٦٧ .

٢ - مع اخذ ما اتضح لنا في الفقرة السابقة بعين الاعتبار واذا رسمنا هربا سكانيا مبنيا على الارقام السابقة يظهر لنا ان اللاجئيين الفلسطينيين في العراق في دور الشباب الديموغرافي . فقاعدة الهرم ستكون عريضة وجوانبه تتقوس تقوسا طفيفا نحو الداخل وتنحدر تدريجيا . والسكان في مثل هذا الدور يمتازون بالحيوية وبالقدرة على الانجاب فهم يسرون نحو الازدياد .

٣ - السكان في سن العمل : في حالة دور الشباب الديموغرافي يتركز ٤٠ ٪ من السكان او اكثر في

٦ - ان نسبة النوع او الجنس لدى لاجئي العراق هي ٩٢٤ (٢٥) (عام ١٩٧٠) . وهي نسبة تتقارب مع مثيلاتها في الاقطار العربية ، المغرب ٩٩٦ (عام ١٩٥١) ، الاردن ٩٦٨ (١٩٥٢) ، سوريا ٩٩٧ (عام ١٩٥٦) ، العراق ٩٩١ (عام ١٩٥٧) .

٧ - ان نسبة الذين ولدوا منذ عام ١٩٤٦ فصاعدا هي ٥٨٤٣ ٪ من مجموع السكان .

وقبل الانتقال الى موضوع آخر في هذا الفصل أود أن أشير الى أن مديرية شؤون الفلسطينيين كانت تقوم (مطلع عام ١٩٧١) بمسح اجتماعي/سكاني ميداني للاجئين المسجلين لديها . وحين تنشر نتائج هذا المسح فستكون لها فوائد دراسية جمة .

الدخل والمستوى الاقتصادي : لدى حديثنا عن مثل هذا الموضوع ينبغي ان نميز مبدئياً بين قطاعين من الفلسطينيين في العراق : الاول الفلسطينيون الذين يسكنون الملاجيء والدور الحكومية المجانية، والثاني أولئك الذين يسكنون خارجها . فلكل من هذين القطاعين مستواه الاقتصادي الذي يختلف عن الاخر . والتميز يجب ان يلحظ ايضا بين «اللاجئين» وما يمكن ان نطلق عليهم منهجياً اصطلاح « الوافدين » وهم الذين قدموا العراق لا طلباً للجوء وانما بحثاً عن عمل باعتبار ان العراق ، والى حد ما ، يمثل قطراً جاذباً للهجرة .

ان نظرة عامة الى واقع سكان الملاجيء تظهر بوضوح ان غالبيتهم يعانون من وضع اقتصادي متدن اذا تورن بوضع اقربانهم الذين يسكنون على نفقتهم الخاصة . ويكني برهانا على صحة هذه النظرة انهم ما زالوا يعيشون في يؤس الملاجيء التي أتينا على وصفها في الفصل السابق . وسكان الملاجيء والدور الحكومية المجانية في العراق يشكلون نسبة ٦٣ ٪ من اللاجئين .

وكي لا يظل ما طرحناه مجرد « رأي » قابل للنقاش تمنا بدراسة ميدانية للجانين من هذه الملاجيء (٢٦) : ملجأ راحيل شحمون وهو من اكبر ملاجيء بغداد وملجأ السباع وهو من المتوسطة فيها . وخرجنا بهذه الحقائق كما هي في كانون الثاني ١٩٧١ : عدد سكان الملاجئين معاً ٢٨٤ وعدد الذين يعملون منهم ٥٣ . وبذلك تكون درجة المعيلين ١٣٤٨ ٪ (٢٧) . وهذا يعني ان كل ١٣٤٨ من السكان يقع عليهم عبء اعالة ١٠٠ منهم . ولدى مقارنة هذه الدرجة بمثيلاتها في بعض الاقطار العربية تظهر لنا الهوة

فئات السن الصغيرة (أي أقل من ١٥ سنة) ، وبوجود ٥٠ ٪ من السكان في فئات السن المتوسطة (١٥ - ٦٤) والباقي وهي نسبة ضئيلة لفئات السن الكبيرة (٦٥ سنة) . وبالنسبة لموضوع بحثنا فان : ٤٥ ٪ من السكان هم من فئات السن الصغيرة و ٥٠ ٪ منهم يتركزون في الفئة المتوسطة و ٥ ٪ منهم في الفئة الكبيرة . اي ان السكان في سن العمل (١٥ - ٦٤) هم ٥٠ ٪ من مجموع السكان ، وهذا يعني ان عبئا كبيرا يقع على السكان العاملين اذ يعملون نصف السكان اذا افترضنا ان الرجال والنساء يعملون معاً وهذا غير متوفر لدى الشعب العربي متاطبة بما فيه الفلسطينيون ، الامر الذي يلقي تبعات اكثر على العاملين فربما تصل النسبة الى ان اكثر من ٧٠ ٪ من السكان يظلون عالة على العاملين .

ونتقارن هذه النسب التي ذكرناها بمثيلاتها في اقطار أخرى كي نتضح الصورة أكثر .

القطر وسنة التعداد	تحت ١٥	١٥-٦٤	٦٥+
عج	١٩٦٠	٤٢٤٨	٥٣٤٧
العراق	١٩٥٧	٤٤٤٥	٥٤١
المملكة المتحدة	١٩٥١	٢٢٤٣	٦٦٤٨
الولايات المتحدة	١٩٥٠	٢٦٤٩	٦٤٤٩
لاجئو العراق	١٩٧٠	٤٥	٥

٤ - ان ارتفاع نسبة السكان في سن العمل (١٥ - ٦٤) يعتبر قرينة لمتدور التطور الحضاري اذا رافق هذا الارتفاع ارتفاع آخر في حجم غير القادرين على العمل من كبار السن (فوق ٦٥ سنة) . وللتدليل على ذلك نذكر هذه الارقام : نسبة السكان في سن العمل مرتفعة في السويد ٦٦٤٨ ٪ وفي النمسا ٦٦٤٥ ٪ وهما من الدول المتقدمة حضارياً ونسبة كبار السن فيهما ٩٤٦ ٪ و ١٠٤٦ ٪ على التوالي . بينما النسبة الاولى في تركيا والمكسيك ٥٩٤٣ ٪ و ٥٤٤١ ٪ والنسبة الثانية ١٤٢ ٪ و ٢٤٩ ٪ على التوالي والدولتان من الدول النامية . اما بالنسبة للفلسطينيين العراقي فهي ٥٠ ٪ و ٥٠ ٪ .

٥ - ربما يكون من المفيد في مثل هذا البحث ان نذكر ان نسبة الذكور الذين في سن الجندية (١٨ - ٣٩) بين لاجئي العراق هي ١٦ ٪ من مجموع السكان . (هذه النسبة هي ١٢٤٦ ٪ لدى المواطنين العراقيين عام ١٩٥٧) .

المخفضة التي تصل اليها الاولى . فهي في العراق مثلا عام ١٩٥٧ ٢٨٤٢٪ (٢٨)، وهي في العام نفسه في سوريا ٣٢٤٥٪ وفي ج ع م ٣٤٤١٪ وفي تونس ٣٥٤٨٪ ومن المفروض ان تكون هذه الدرجات عام ١٩٧١ قد ارتفعت الى اكثر من ذلك نتيجة للتطور الاقتصادي .

غير ان هذا المؤشر يعضده آخر لا يقل عنه اهمية . فمعدل الاجور للعاملين الفلسطينيين في هذين اللجائين موضوعي البحث هو ٣٢٠ ديناراً في السنة بينما نستطيع ان نفترض مستثنين السى بعض الاحصاءات المتوفرة ان معدل دخل العامل العراقي في بغداد في عام ١٩٧١ يزيد عن ٣٢٥ ديناراً في السنة (٢٩).

وهذا يعني ما يلي : اولا ان معدل أجر العمال العراقيين يزيد عن معدل دخل « المشتغلين » الفلسطينيين في اللجاءى . وهؤلاء « المشتغلون » لا يضمون عمالا فحسب وانما بينهم عدد من الموظفين (معلمين وموظفين في الدوائر الرسمية) واصحاب محلات (تجارية ومطاعم) وحرثيين . وهذا يعني ضمنا ان معدل أجر « العمال » الفلسطينيين ينخفض بنسبة لا بد ان تكون ملحوظة عن معدل اجر امثالهم من العمال العراقيين . وثانيا ، من زاوية اخرى يبدو ان الفروق بين اجر العامل العراقي و« المشتغل » الفلسطيني طفيفة او تكاد تكون متساوية . ولكن لو وضعنا على الاعتبار درجة العيلين الفلسطينيين وقارناها بدرجة العيلين العراقيين لتأكدنا ان دخل المواطن الفلسطيني في اللجاءى يظل ادنى بدرجات من دخل زميله المواطن العراقي . والمعادلة التالية تظهر هذه الحقيقة : ان كل ١٠٠ مواطن فلسطيني في اللجاءى يعيشون على عمل ١٣ مشتغلا ، دخل الفرد السنوي منهم ٣٢٠ ديناراً . وان كل ١٠٠ مواطن عراقي يعيشون على عمل ٣٥ — ٣٨ عاملا ، اجر العامل السنوي منهم ٣٢٥ ديناراً .

ان هذا التحليل المبسط المبني على دراسة نموذجية للجبين في بغداد يقطع باليقين بان غالبية سكان اللجاءى يعانون من هبوط في الدخل مما يستتبع هبوطا مشابها في المستوى العيشي لديهم . ولنتفسير هذا الواقع لا بد من الاشارة الى أن اللجائين الفلسطينيين قدموا في عام ١٩٤٨ من مجتمع زراعي (اجزم ، جبع ، عين غزال) فاصطدموا بمجتمع متطور نسبيا في بغداد في وقت

لم يكونوا يملكون فيه سلاح علم او حرفة مما اضطرهم ، وهم الذين فقدوا كل شيء ، الى كسب معيشتهم من طريق اللجوء الى الحرف الصغيرة التي لا تحتاج الى مهارة خاصة — بائعين متجولين ، عمالا في المحلات التجارية ، بائعي خضروات ، عمال بناء مبتدئين . يؤكد هذه الحقيقة ان من جملة ٣٨ شخصا يشتغلون من سكان ملجأ راحيل شحمون يوجد : ١٥ عاملا غير ماهر ، ١٣ عاملا في مهن مختلفة ، موظفان ، مستخدمسان ، فراشان ، خياطان ، بائع اقمشة ، ومدرس . يضاف الى ذلك ان ما تدفعه الحكومة العراقية من مخصصات الى جانب توفير السكن المجاني قد خلق حالة من الركود في كسب العيش وتحسين وسائله ، وربما كانت هذه الحالة سببا في قتل روح الطموح والمبادرة .

ولكن ماذا عن الفلسطينيين خارج اللجاءى ؟ في الحقيقة لا تتوفر لدينا احصاءات وافية نستطيع الاعتماد عليها باطلاق . ولكن لعل الجدول رقم ٦ لسلم الدخل المستقى من تقديرات منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد لدخول المواطنين الفلسطينيين لفرض ضريبة التحرير ، لعله يعطي بصورة تقريبية فكرة عن سلم الدخل للفلسطينيين جميعا من ذوي المهن والحرف الحرة (غير الموظفين او المستخدمين في المؤسسات الحكومية او الشركات) . وقد كانت طريقة المنظمة في تقدير الدخل ان تركت للمواطن نفسه حق التقدير ثم قامت لجنة اختصاصية بفحص هذا التقدير في ضوء معلوماتها وبندراسة كل حالة على انفراد بفحص السجلات والمقارنة بين اصحاب المهنة الواحدة واعطي المكلف الحق في الطعن والاعتراض لدى لجنة شكلت لهذا الغرض . وحتى كانون الثاني عام ١٩٧١ كان الذين شملهم التقدير ٣٧٩ مكلفا موزعين كما يلي : ١٦٨ عاملا ، ٧٤ حرفيا ، ٣٣ بقالا ، ٣٢ تاجرا ، ٣٠ صاحب مطعم ، ٢٤ بائع اقمشة متجول ، ١٨ مهن أخرى . وقد اخترنا ان نبدأ سلم الدخل بـ ٣٠٠ دينار سنويا لاعتقادنا ان مثل هذا الدخل يعتبر الحد الأدنى المتكشف لما يمكن ان تتعاشى به اسرة متواضعة في بغداد ، لا بل ان هذا الدخل ان لم ترغده مساعدات نقدية او ترافقه مجانية السكن يظل أقل من أن يوفر معظم ضرورات الحياة (٣٠) . وربما يكون من المفيد ان نثبت هنا تقريبا آخر للدرجة الاولى من سلم الدخل (فئة أقل من ٣٠٠ دينار) فنحصل على الجدول التالي :

النسبة المئوية للمجموع العام	النسبة المئوية في الدرجة نفسها	العدد	الدخل السنوي بالدينار
٪ ٣	٪ ٧	١٣	١٠٠ -
٪ ٢١	٪ ٤٦	٨٢	٢٠٠ - ١٠١
٪ ٢٢	٪ ٤٧	٨٥	٣٠٠ - ٢٠١

جدول رقم (٦)

دخول الفلسطينيين غير الموظفين او المستخدمين

النسبة المئوية	العدد	الدخل السنوي بالدينار
٪ ٤٧٠٧٥	١٨١	٣٠٠ -
٪ ٣١٤٤٠	١١٩	٦٠٠ - ٣٠١
٪ ١٠٤٣٠	٣٩	٩٠٠ - ٦٠١
٪ ٦٤٠٧	٢٣	١٢٠٠ - ٩٠١
٪ ٠٤٥٣	٢	١٥٠٠ - ١٢٠١
٪ ١٤٨٤	٧	١٨٠٠ - ١٥٠١
٪ ٢٤١١	٨	١٨٠١
٪ ١٠٠	٣٧٩	المجموع

نستنتج ان نحو ٨٠ ٪ من الاسر الفلسطينية في العراق تعاني من دخل منخفض نسبيا وان نحو ١٦ ٪ (اصحاب الدخول من ٦٠١ - ١٢٠٠) يتمتعون بدخل متوسط وان نحو ٤ ٪ منهم فقط تتيج لهم مواردهم المالية مستوى افضل من سابقه .

اما بالنسبة للموظفين والمستخدمين في الدوائر والمؤسسات الحكومية فان الجدول رقم ٧ يبين سلم الدخل لديهم بدرجات ثنوية مماثلة لتلك التي في جدول سلم الدخل لغير الموظفين .

كما ذكرنا في الحاشية رقم (٢٩) فان الدخل المقترض لاسرة متوسطة صغيرة هو ٦٠٠ دينار سنويا لذا فاننا نستطيع ايضا ان نصنف مواطني الدرجة الثانية من سلم الدخل (فئة ٣٠١ - ٦٠٠ دينار) ضمن الاسر ذات الدخل المنخفض .

واذا صحت تقديرات منظمة التحرير الفلسطينية ، ونراها اقرب ما تكون الى الصواب نتيجة الجهد الكبير الذي بذل في تقدير الدخول ، وصدق تمثيل العينة على مجموع الفلسطينيين في العراق فاننا

جدول رقم (٧)

سلم الدخل للموظفين والمستخدمين الفلسطينيين في الوزارات والدوائر الرسمية في العراق عام ١٩٧٠ (٣)

النسبة المئوية	العدد	الدخل السنوي بالدينار
٪ ١٨٤٦٦	٣٨	٣٠٠ -
٪ ٥٩٤٨٠	١٢٢	٦٠٠ - ٣٠١
٪ ١٥٤١٨	٣١	٩٠٠ - ٦٠١
٪ ٤٤٤٠	٩	١٢٠٠ - ٩٠١
٪ ٠٤٤٩	١	١٥٠٠ - ١٢٠١
٪ ٠٤٩٨	٢	١٨٠٠ - ١٥٠١
٪ ٠٤٤٩	١	١٨٠٠ +
٪ ١٠٠	٢٠٤	المجموع

وينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة هذا الجدول ما يلي : ١ - انه يشمل الفلسطينيين بنفثتهم اللاجئين منهم والوافدين ٢٠ - كما أشرت سابقا ان الحصول على أي معلومات من ملفات مديرية شؤون الفلسطينيين تضطر الباحث كي ينال ما يطلب الى ان يتجول في كثير من الملفات المكتملة مما يجعل ضياع بعض المعلومات محتتملا .

وهناك ملاحظات اخيرة على سلمي الدخل مجتمعين : ١ - ان اقل دخل عرف لدينا بالنسبة لغير الموظفين هو ٦٠ ديناراً في السنة واعلى هذه الدخول هو ٦٠٠٠ ديناراً . وان ادنى دخل بالنسبة للموظفين والمستخدمين هو ١٢٠ ديناراً في السنة واعلى دخل هو ٢٧٧٤ ديناراً في السنة ٢٠ - ان معدل الدخل لغير الموظفين هو ٤٩٩ ديناراً في السنة وللوظفين والمستخدمين ٥٣٥ ديناراً ٣٠ - يظهر الجدولان مجتمعين ان ٧٩ ٪ من المجموع الكلي دخله اقل من ٦٠٠ دينار وان ١٧ ٪ منهم يقع دخل الواحد بين ٦٠١ - ١٢٠٠ وان ٤ ٪ من الجميع تتجاوز دخولهم ١٢٠١ ديناراً في السنة .

التوزع المهني وفرص العمل : يمتهن عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين في العراق الحرف الصغيرة ذات الدخل المتواضع ومن هؤلاء تعاني نسبة كبيرة من البطالة التي تلجج مؤشراتنا في الاحتفاظ المقاهي القريبة من اسكان تجمعات اللاجئين بهم . وكما اشرت في الفصل الاول فقد زادت نسبة هؤلاء الذين يعملون في الحرف الصغيرة (خاصة اجراء في المطاعم) بقدم اعداد من النازحين الجدد ، من الضفة الغربية خاصة ، في اعقاب حرب ١٩٦٧ . ويوجد فوق هذه القاعدة العريضة من الهرم الحرفي عدد كبير من الفلسطينيين الذين يعملون في الشركات والبنوك اداريين ومحاسبين وكتبة . ويقل عن هؤلاء عدداً أولئك الذين يعملون في الدوائر والمصالح الحكومية . ونعتقد ان مرد ذلك يعود الى ان الشركات تدفع رواتب اعلى من الرواتب الحكومية ، يضاف الى ذلك ان المواطن الفلسطيني لم يكن يتمتع وحتى وقت قريب ، بنفس حقوق الموظف العراقي في الاجر والتعيين والتقاعد . وتبين القائمة التالية توزع ٢٠٤ موظف ومستخدم فلسطيني في الوزارات والدوائر والمصالح الحكومية والشركات المؤتممة : ٢٦ في مصلحة نقل الركاب / سائقين ، ١٧ في وزارة النفط ومؤسساتها ، ١٧ في المؤسسة

العامة للتجارة ، ١٨ في مصلحة الكهرباء ، ١٠ في شركات الغزل والنسيج ، ٩ في المؤسسة العامة للصحافة والطباعة / كتاب وطابعون ، ٩ في شركات صنع الدخان ، ٨ في مصلحة السينما والمسرح العامة ، ٨ في شركة السمنت ، ٧ في شركات التأمين ، ٦ في شركات صناعة الادوية ، ٦ في البنوك المؤتممة ، ٥ في مصلحة الموانئ ، ٥ في البريد والبرق والهاتف ، ٥ في مديرية التصميم والانشاء الصناعي العام ، ٥ في وزارة الري ، ٥ في رئاسة مجلس الخدمة العامة ، ٤ في مديرية المباني العامة ، ٣ في وزارة الاصلاح الزراعي ، ٣ في وزارة العمل - مديرية التخطيط ، ٣ في وزارة الزراعة ، ٣ في شركة استخراج الزيوت النباتية ، ٢ في وكالة الانباء العراقية ، ٢ في وزارة التخطيط ، ٢ في مصلحة الخياطة العامة ، ٢ في مصلحة المزارع الحكومية العامة ، ١ في الشركة العامة للكيمياويات والمعدات الزراعية ، ١ في مديرية الخدمات الاجتماعية العامة ، ١ في الشركة العامة للصناعات الهندسية ، ١ في محافظة بغداد .

يضاف الى هؤلاء الموظفين والمستخدمين في المصالح الحكومية ، المدرسون والمعلمون (٢٧) الذين يبلغ عددهم ١٠٥ موزعين كما يلي : ٤٦ مدرسا من قطاع غزة و ١٢ معلما من قطاع غزة و مدرسا واحداً من الضفة الغربية و ٢٢ مدرسا من فلسطيني العراق و ٤ معلمين من فلسطيني العراق . اي ان اكثر من نصف المعلمين والمدرسين هم من « الوافدين » . ويعامل المدرس « الوافد » معاملة تختلف عن المدرس « اللاجئ » ، فالاول يمنح ضعف الراتب الاساسي (الراتب الاساسي لحامل الشهادة الجامعية هو ٢٨ ديناراً ، بالاضافة الى غلاء المعيشة المقرر للموظفين العراقيين (١٣ ديناراً) بجانب بدل سكن (١٨ ديناراً عراقياً في الشهر) يختص به « الوافد » . وهو يعمل بعقد يتجدد سنويا . اما المعلمون (الوافدون منهم واللاجئون) والمدرسون اللاجئون فيتساوون بالموظف العراقي . والى جانب هؤلاء المعلمين والمدرسين يوجد عدد قليل ممن التحقوا بملاك التدريس الجامعي (نحو ١٢ بين مدرس ومعيد نصفهم من قطاع غزة) .

اما بالنسبة للمهن الاخرى كالطب والحاماة والهندسة والصيدلة فالفلسطينيون فيها قلّة (طبيبان وميدلي واحد ومحام واحد وعدد قليل

١٧/٨/١٩٦٩ مسايلي : « التعيين : مساواة الفلسطينيين بالعراقيين عند التعيين والترقيع والتقاعد على ان يبقى التعيين مشروطا بالانتهاء في حالة عودة الفلسطينيين الى ديارهم ... مساواة الفلسطينيين (الموظفين) بالعراقيين في حصولهم على الاجازات الدراسية وعند استلامهم من مصرف الرهون حسب الشروط المرعية» (٢٤).

التعليم : لقد اتاحت الحكومة العراقية للفلسطينيين اللاجئين اليها فرصة التعلم ، وقد تأكد هذا الامر بجانية التعليم في العراق لجمع المواطنين بمختلف مراحل الابتدائية والثانوية والجامعية . غير انه لا تتوفر لدينا ولا لدى اية جهة اخرى في العراق احصائية تبين عدد الطلبة الفلسطينيين في مختلف مراحل التعليم وعلى مدى السنوات الماضية . وزارة التربية والتعليم العراقية تنفقت الى مثل هذه الاحصائية وكذلك مديرية شؤون الفلسطينيين . وقد قدرت الاخيرة تقديرا تخمينيا عدد الطلبة الفلسطينيين في اواخر عام ١٩٧٠ بنحو ٤٠٠٠ طالب في مختلف مراحل التعليم .

وإذا جاز لنا ان نلجأ الى العينة في مثل هذا المجال الحيوي والبالغ الاهمية فاننا نذكر ان ملجأ راحيل شحمون والسباع (٢٥) في بغداد يمكن ان يقدم بعض المعلومات . عن مثل هذا الموضوع : عدد الاسر في الملجأين معا ٨٦ اسرة ، مجموع السكان ٤٣٥ شخصا ، عدد الطلاب في مختلف مراحل التعليم ٧٥ طالبا ، عدد الطالبات ٦١ طالبة والمجموع ١٣٦ طالبا وطالبة . اي ان نسبة عدد الطلاب الى مجموع السكان تعادل ٢١،٢٪ . وفي ملجأ راحيل شحمون (عدد سكانه ٢٤٩ موزعين على ٥١ اسرة) يبين الجدول رقم ٨ توزيع الطلبة في مختلف مراحل التعليم .

وتخصص الحكومة العراقية سنويا عشرين منحة دراسية للدراسة في جامعاتها للطلبة اللاجئين في العراق . وقد بلغ عدد الذين استفادوا من هذه المنح ١٣ طالبا وطالبة . ويتم اختيار هؤلاء الطلبة عن طريق لجنة تتمثل فيها وزارة التربية والتعليم ومديرية الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وفي العام الدراسي ٧٠ - ٧١ توقفت هذه المنح دون ابداء الاسباب . بيد ان ما يثير التساؤل في موضوع الطلبة الفلسطينيين في العراق ، وهو ما لفت نظرنا اثناء مقابلاتنا للطلبة الذين كانوا يتقدمون بطلبات للحصول على بعثات دراسية ، ان

جدا من المهندسين معظمهم من قطاع غزة) . غير انه علينا ان نلاحظ ان قطاع الزراعة ظل مجالا لم يلجأه الفلسطينيون مع ان معظم اللاجئين الى العراق كانوا ملاحين ومزارعين في وطنهم ويعود ذلك الى السببين التاليين : الاول ان الحكومة العراقية لم تسمح للفلسطينيين بتملك الاراضي والعقارات كي تمنع استيطانهم (٢٦) . الثاني ان الفلسطينيين جميعا تجمعوا عند لجوئهم في المدن الكبيرة : بغداد والموصل والبصرة وندر اولئك الذين سكنوا القرى باستثناء المعلمين .

القوانين الخاصة بعمل الفلسطينيين : ظل الفلسطينيون الموظفون في الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية لفترة طويلة يعاملون معاملة خاصة كالاغنياء . وقد نظمت هذه المعاملة في عام ١٩٦٤ بنص المنشور العام (عدد ١٥١٠٨ المؤرخ ٢٩/٧/٦٤) الصادر عن وزير المالية كما يلي : « قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة بتاريخ ١١/٥/٦٤ بشأن اللاجئين الفلسطينيين في وظائف الحكومة ما يلي : معاملتهم معاملة الموظف العراقي من حيث نوال الراتب والملاوات السنوية ومخصصات غلاء المعيشة والاجازات بتطبيق قوانين وانظمة الخدمة عليهم باستثناء ما يلي : أ - عدم اعتبار خدماتهم تقاعدية لانه في حالة اعتبارها لهذا الغرض قد تدفع اللجوء بالتشبيث بالبقاء وعدم العودة هو وافراد اسرته في حالة استرداد الجزء السليب على ان يمنحوا عند انتهاء خدماتهم ما يعادل راتب شهر واحد عن كل سنة بمعدل اخر راتب عند ترك الخدمة . ب - ان ينظم نموذج عقد يحدد كل ثلاث سنوات او خمس سنوات مع استمرار اعتبار الخدمة لغرض العلاوة والترقيع ومدة الخدمة لغرض المكافاة . على ان تكون المعاملة شاملة لكافة من يحملون شهادة مدرسية مقبولة حسب احكام القانون .

يرجى اتخاذ ما يلزم بهذا الشأن بعد مراعاة ما يلي : ١ - ان القرار هذا يشمل اللاجئين الفلسطينيين فقط ولا يشمل الفلسطينيين على ان يقدم اللجوء الفلسطيني وثيقة من الجهات المختصة تؤيد كونه لاجئا فلسطينيا . ٢ - تحتسب رواتبهم على ملاكات المستخدمين الاجانب » .

وقد ظل هذا القرار ساري المفعول الى عام ١٩٦٩ عندما عدل بقرار رقم ٢٣٦ صادر عن مجلس قيادة الثورة . فقد قرر المجلس بجلسته المنعقدة بتاريخ

جدول رقم ٨

الطلاب في ملجأ راحيل شحمون

المرحلة	طلاب	طالبات	المجموع	النسبة المئوية
الابتدائية	٢٤	٢٣	٤٧	٥٧ %
المتوسطة	١١	١٣	٢٤	٢٩ %
الثانوية	٠٢	٠٥	٠٧	٨ %
الجامعية	٠٤	٠١	٠٥	٦ %
المجموع	٤١	٤٢	٨٢	١٠٠ %

فرع لاتحاد الكتاب الفلسطينيين فلم يتمكن لعدم توفر النصاب القانوني المطلوب (ثمانية اشخاص كحد ادنى) . ومن الاسماء التي تذكر في هذا المجال : جبرا ابراهيم جبرا - في الشعر والرواية - ، سلافه حجاوي وخالد علي مصطفى في الشعر والاولان معروفان على مستوى عربي . اما في مجالات الادب والتأليف الاخرى فلن نهجد الذاكرة في البحث عن غائب . وفي الفنون : في مجال الموسيقى يذكر اسما جميل قشقة وروحي الخماش وهما معروفان محليا الا ان شهرتهما قد خفت اخيرا واطن ان الاول منهما قد غادر العراق الى ج.ع.٠م ولم تسمع العراق قط بمطرب من فلسطينيها . اما الفنون التشكيلية (الرسم والنحت والتصوير) فلم يمارسها فلسطيني واحد . وكذلك الحال بالنسبة للفنون الشعبية باستثناء راقص فلسطيني في فرقة الرشيد للفنون الشعبية . وفي المسرح ، حاول بعض الشباب الفلسطيني ان يدخل ميدانه ولكن التجارب جميعا كانت فاشلة لعدم توفر الكفاءات المطلوبة . وقد تخرج في السنة ٧٠/٦٩ طالب فلسطيني من اكااديمية الفنون الجميلة قسم التمثيل والاخراج (عباس علي مصطفى) حاول مكتب المنظمة في بغداد اعطائه فرصة ابراز كفاءته الا ان ظروفها عديدة تتعلق بالمكتب نفسه حالت دون ذلك . وفي الصحافة والاعلام : ظلت هذه المجالات بعيدة عن تناول الفلسطينيين فلم يلجوها باستثناء نادر لا يشكل قاعدة . ففي الصحافة نذكر اسم خالد علي مصطفى الذي شغل منصب سكرتير تحرير مجلة الف باء الاسبوعية . ومحمود عبدالله اليعقوبي الذي ظهرت له ولفترات متقطعة وقليلة بعض المقالات الصحفية في احدى الجرائد اليومية . كما ان هناك محررا فلسطينيا في جريدة بغداد ابوزرغر اليومية . ولم يلج الاذاعة

المعدلات التي كانوا ينالونها في شهاداتهم الثانوية كانت منخفضة اجمالا بشكل يدعو الى الاستغراب . كما ان هناك نسبة غير ضئيلة منهم غازوا بشهاداتهم الثانوية اثر اربع او خمس محاولات فاشلة . وهو امر يلفت النظر اذا قارنا هذه الحالة بتفوق الطلبة الفلسطينيين في مختلف اماكن تجمعاتهم . كما ان الطلبة « الوافدين » يسجلون نجاحات ملحوظة . ان الطالب اللاجيء في العراق وبسبب اوضاعه الاقتصادية غير الملائمة مضطر الى الجمع بين العمل والدراسة على حساب الدراسة نفسها(٣٦) . يضاف الى ذلك ان الظروف السكنية البائسة التي يحياها الفلسطيني في الملاجيء تحمل في طياتها الف مشكلة ومشكلة ولا توفر ادنى شروط الدراسة للطلاب .

الوجه الثقافي : لو استعرضنا الوجه الثقافي لفلسطيني العراق لتبين لنا ان الحركة الثقافية لديهم لا تتماشى مطلقا مع شبيهاتها لدى الفلسطينيين في الاقطار العربية الاخرى . ونقر بأن نسبة فلسطيني العراق الى اخوانهم في سائر مهاجرهم قليلة ، كما ان الفلسطينيين يمثلون في العراق اقلية مقارنة بمجموع الشعب العراقي ، ومع هذا الاقرار تظل الحقيقة ملاحظة وهي ان نسبة المثقفين البارزين الى جملة المواطنين الفلسطينيين في القطر العراقي تظل هزيلة لا تستحق ذكرا . كما ان المؤسسات الثقافية لديهم او المؤسسات التي كان من الممكن ان ينشئوها او يشرفوا عليها معدومة كليا(٣٧) .

واستعراض سريع لمختلف اوجه النشاط الثقافي يوصلنا الى هذه النتيجة التي اثبتناها . في الادب والتأليف : ان عدد الادباء والكتاب الفلسطينيين في العراق لا يتجاوز اصابع اليد الواحد . وقد حاول مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد تشكيل

والتلفزيون فلسطيني من العراق . اما في وكالة الانباء العراقية فنذكر اسم محمد محمود ابو زمق . وكما تكتمل الصورة ننظر الى المجال الرياضي رغم انه لا يدخل في هذا الباب . ونلاحظ انه لم يلمع نجم رياضي فلسطيني واحد . والذي يستحق

الحياة السياسية

الذكر من الرياضيين حامي الهدف مروان غالب الذي يعتبر من لاعبي الدرجة الاولى في بغداد . وقد حاولت المنظمة ايلاء النشاط الرياضي جانباً من اهتمامها فشكلت فريقاً لكرة القدم غير ان معظم لاعبي هذا الفريق كانوا من الفلسطينيين الوافدين .

لم يحمل الفلسطينيون معهم في هجرتهم الاولى العام ١٩٤٨ ايا من مؤسساتهم السياسية والحزبية الى مهاجرهم الجديدة ، بعد ان فشلت تلك المؤسسات ففكر وممارسة في قيادة الشعب الفلسطيني وتنظيمه واعداً . غير اننا نستطيع ان نؤكد ان الفلسطينيين حملوا معهم شيئاً حافظوا عليه هو فلسطينيتهم التي ما تخلوا عنها قط في ارجح الظروف واقسامها . ولم يشكل فلسطينيو العراق استثناءً من هذه القاعدة ، بل ربما لا نجانب الصواب اذا ذكرنا ان « الفلسطينية » في العراق تأكدت اكثر منها في اي قطر عربي اخر ، اذ لم يذب الفلسطيني في المجتمع العراقي بل ظل محتفظاً بجميع خصائص شخصيته بايجابياتها وسلبياتها ، وهو يتحسس هذه الشخصية ، تعيش معه في الوعي وفي اللاوعي . ولسنا هنا في صدد تقييم هذا الامر شجبا او موافقة ولكنها حقيقة يتلمسها كل من عاش في العراق وعاش فلسطينيه .

ولكن ما هي الظروف التي منعت الفلسطينيين من الاندماج في المجتمع الذي احاط بهم وابتغتهم متفردين في فلسطينيتهم ؟ سأضرب صفحا عن « العام » الذي ينتظم الفلسطينيين جميعا في مختلف الاقطار التي لجأوا اليها ، واتناول « الخاص » الذي ربما تفرده به وضع الفلسطينيين في العراق .

لقد قدم اللاجئون الاوائل ، كما قلت في موضع سابق ، من مجتمع زراعي (قرى اجزم وجبع وعين غزال) واستقروا في العاصمة بغداد التي هي بالمقارنة مع مجتمع الاصول متطورة حضاريا . وكان هؤلاء اللاجئون بحكم فقرهم الشديد غير قادرين على تنمية انفسهم اقتصاديا ، وبحكم افتقارهم المهارات الفنية عاجزين عن الدخول في حلبة المنافسة مع العمال المهرة العراقيين . بمعنى انهم لم يستطيعوا ان يتكيفوا مع الحياة الاقتصادية الجديدة التي انفتحت امامهم بفترة وبدون سابق اعداد وتهيئة ، فاضطروا الى الانعزال في ملاجئهم ذات الجدران الفلسطينية والمحتوى الفلسطيني ، الامر الذي جعل منهم شبه طبقة ذات خصائص منفردة : فقيرة

— فلسطينية ، وجعل اندماجها فيها حولها امرا متعذرا . وقد ساعد على ذلك جملة من العوامل ندرجها كما يلي :

١ — لم يعمل اي من اللاجئين في العراق في القطاع الزراعي بسبب ان الحكومات العراقية ، في مختلف عهودها ، منعت الفلسطينيين من تملك الاراضي من جهة ، ولان اللاجئين استقروا في المدن الكبيرة [بغداد ، البصرة ، الموصل] من جهة اخرى . وبذلك لم تتهيأ للفلسطينيين فرصة الاسهام في عملية الانتاج والالتصاق بالارض وهما عاملان رئيسيان من عوامل الاندماج .

٢ — لقد عززت القوانين والانظمة العراقية المتعلقة باوضاع الفلسطينيين عدم الاندماج : فقد ظلت معاملة الفلسطينيين معاملة متميزة في الوظائف والاقامة والسفر بالاضافة الى التملك . فقد كانوا حتى فترة قريبة يعاملون في الوظائف معاملة الاجانب ، وهم يمنحون تذاكر سفر خاصة بهم . ولدى سفرهم خارج العراق يطلب منهم ان يستحصلوا على موافقة مديرية شؤون الفلسطينيين ، وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، وخشية الهجرة خارج الوطن العربي ، اصبح الفلسطيني مضطرا عند السفر الى الحصول على موافقة منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ — لا بد ان نشير كذلك الى التركيب الخاص للمجتمع العراقي والذي يتميز بتعدد قومياته ودياناته التي ترتصف على ارضيته متكاثرة دون شبهة من اعتراض . وهذه القوميات تحتفظ بجميع مقوماتها من عادات ولغة وغير ذلك . و « الفلسطينية » عندما دخلت العراق كاتلية اتخذت لها موقعا على هذه الخارطة البشرية دون ان تكون محتاجة لتبرير الاحتفاظ بشخصيتها او للتخلي عنها ازاء هذا التعدد المبرر والمقبول .

٤ — رغم ان العراق قد رحب بمقدم اللاجئين اليه ، الا ان كثرة من العراقيين ، وبسبب ما اتهم به الفلسطينيون باطلا بانهم باعوا ارضهم ،

جعل نصيبهم في المؤسسات السياسية والحزبية نادرا نسبيا ولا يكاد يذكر .

غير ان هذا لا يعني ان فلسطيني العراق لم يتأثروا بالتيارات السياسية والوطنية التي رأوها تصطرع امامهم . هم لم يقفوا منها موقف المتفرج بل انفعلوا بها وانجرفوا في مدها . وكان ايمانهم بالثورة العربية ، باهدافها التي طرحتها ، ايمانا لا يرقى اليه شك . وقد وجدوا في « الناصرية » علامة بارزة من علائم هذه الثورة عندما كانت الناصرية لا تزال في اوج مجدها وعنفوانها ووجدوا فيها طريقهم الى وطنهم فدان معظم فلسطيني العراق بمبادئها وحلوا شعاراتها وآمنوا بصاحبها منقذا ومحررا . وقد عانى الفلسطينيون كثيرا من جراء ذلك خاصة في العقود التي كانت على خلاف مستحکم مع « الناصرية » . والى جانب الناصرية بل دونها بدرجات اجتذبت الاحزاب عددا من الشباب الفلسطيني في العراق الذين ظلوا في حدود الكم المحدود ودون ان يكون لهم دور يستحق التسجيل في القيادة او المسيرة(٢٩) . ومن نافل القول ان نؤكد ان الاحزاب التي استأثرت بانتباه الفلسطينيين هي الاحزاب ذات البرامج القومية بالدرجة الاولى وان كانت الاحزاب الاممية والدينية لم تخل من بعض الفلسطينيين بخلاف الاحزاب ذات البعد الاقليمي (كالحزب الوطني الديموقراطي) التي لم تحظ بانتباه الفلسطينيين ولم تشغل بالهم . وربما يكون تقديرنا صحيحا الى حد بعيد اذا صنفنا ان حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي هما اللذان كان لهما النصيب الاكبر من اقبال الحزبيين الفلسطينيين ويندرج بعدها في الاهمية الحزب الشيوعي ثم جماعة الاخوان المسلمين . ولكن نؤكد مرة اخرى ان الاعداد التي انخرطت في النشاط الحزبي ظلت اعدادا محدودة جدا ولا تشكل ظاهرة كما ظلت غير متنامية امام الانتشاء الناصري لفلسطيني العراق الذي ، وان كان اصحابه لم ينتظهم تكتل ما ، فقد ظل يحصرم الاحزاب من كسب المؤيدين .

والى جانب تأثير الناصرية على الاتجاهات السياسية الوطنية لدى فلسطيني العراق فان خصوصية التجربة الحزبية في العراق بالاضافة الى وضع الفلسطينيين هناك كان لها نتائج لا نقلل من قيمتها في موقف الفلسطينيين السلبى ازاء الاحزاب ونشير الى هذا الامر اشارة سريعة :

نظرت الى هؤلاء اللاجئين نظرة غير عادلة تخفض من قيمتهم . واذا كانت هذه النظرة ، ولفترة طويلة ، عامة في كثير من المجتمعات العربية ، الا انها كانت في العراق عنيفة قاسية وربما يعود ذلك الى الطبع الحدي الذي تتميز به السيكولوجية العراقية مما يؤدي الى الاحكام القطعية القاسية . وقد استتبع تلك النظرة انكاشا في المجتمع الفلسطيني وحدث من انفلاشه فيما حوله .

هذه العوامل التي ذكرنا ، بالاضافة الى العوامل العامة التي تنطبق على الفلسطينيين في كل مكان مثل ضرورة الحفاظ على الشخصية الفلسطينية باعتبار ذلك مصلحة وطنية وموقف الرأي العام العربي من الفلسطينيين عزز « عدم الذوبان » الفلسطيني في العراق . ولكن هل يعني هذا ان فلسطيني العراق معزولون عن الحياة السياسية فيه ؟ ثم ما مدى مساهمتهم في هذه الحياة وما هي مواقفهم السياسية والوطنية ؟ ذلك ما سنجيب عنه فيما يلي شاطرين البحث الى مرحلتين : ما قبل الثورة الفلسطينية ، وما بعدها واثناها .

الفلسطينيون قبل الثورة الفلسطينية : لم تكن الساحات العربية التي لجأ اليها الفلسطينيون عام ١٩٤٨ لتخلو من اوجه النشاط السياسي ، ومع النكبة اضيف بعد جديد للعمل السياسي والوطني في العالم العربي تجلى في الشعارات و « البرامج » الجديدة التي تدعو لعودة الفلسطينيين الى ديارهم وتحرير ارضهم . وكان من الطبيعي والمنطقي ان ينخرط الفلسطينيون في مثل هذه النشاطات ويتوزعوا بين الاحزاب العربية المتواجدة واحيانا ليسهموا في ايجاد اخرى جديدة متخذين من تلك الاحزاب وبرامجها وسيلة لتحقيق هدفهم الكبير في عودتهم الى وطنهم ما دامت جميعها تضع هذا الهدف في صميم برامجها وتجعل له الصدارة في جملة شعاراتها .

وفي العراق بحث الفلسطينيون عن موضع قدم لهم في خضم هذه التيارات والمذاهب السياسية المتعددة التي كانت ولا تزال تجتاح العالم العربي والعراق في جملته . غير ان الدور الذي مظهره الفلسطينيون على مسرح السياسة العراقية ظل دورا هامشيا عديم التأثير مسلوب الازادة(٣٨) . ويعود ذلك في رأينا الى عدم اندماجهم في المجتمع العراقي من جهة ومن جهة اخرى وهو السبب الاهم الى قلة عددهم مقارنة بمجموع الشعب العراقي مما

كان مساعد القائد وامراء السرايا . ولم يصل ضابط فلسطيني في الفوج الى رتبة اعلى من رتبة ملازم .

وبانتقال ١٤ رمضان (عام ١٩٦٣) الذي اطاح بحكم عبد الكريم قاسم وضعت وزارة الدفاع العراقية ثلاثة خيارات امام ضباط الفوج : التسريح ، النقل الى الوحدات العراقية ، البقاء في الفوج . ثم في عام ١٩٦٤ الحق الفوج بالوحدات العسكرية العراقية العاملة في شمال العراق حيث كانت الحركة الكردية المسلحة بقيادة الملا مصطفى البرازاني مستعرة واعطي مهمات قتالية في تلك المنطقة وابدل اسمه من فوج التحرير الى « الفوج الاول - اللواء ٦٥ المستقل » وعلى اثر ذلك طلب قسم كبير من الجنود تسريحهم وتم ذلك بالفعل . وقد استمر ضباط الفوج في الجيش العراقي حتى تشكيل جيش التحرير الفلسطيني اذ التحق عدد كبير منهم بالعمل فيه . وهكذا لم يحسن عبد الكريم قاسم لعبته الاعلامية .

والثانية **رابطة ابناء فلسطين في العراق** : في ١٤/٣/١٩٦٠ اعلن اربعة عشر عضوا مؤسسا في بغداد انه « لما كانت الجمهورية العراقية الخالدة بزعامة زعيمها الامين اللواء الركن عبد الكريم قاسم ترعانا اليوم وترعى قضيتنا بالذات كما صرح سيادة الزعيم الامين بذلك مرارا ، لذلك عملنا على تكوين جمعية باسم رابطة ابناء فلسطين المقيمين في العراق ترعى شؤونهم وتعرف الرأي العربي والعالمي - ان امكن - بقضيتهم ورائدنا الوحيد هو خدمة قضيتنا التي تعتبر قضية الامة العربية باجمعها وقضية كل عربي مخلص» (٤) .

وقد جاءت المواد التالية في النظام الداخلي تعبر عن طبيعة هذه الجمعية :

المادة (٣) اغراض الجمعية : أ - رفع المستوى الثقافي بين ابناء فلسطين واللجئين بصورة خاصة وذلك بالتعاون مع السلطات المختصة في الجمهورية العراقية او بفتح مدارس او مراكز تثقيفية بعد تأييد وزارة المعارف او الجهات المختصة في الجمهورية العراقية او مساندة الطلبة المعوزين والقاصرين منهم لاتمام دراستهم . ب - رفع مستواهم الصحي بالتعاون مع السلطات العراقية ايضا او ايجاد اطباء على ان توافق عليهم وزارة الصحة والجهات المسؤولة في الجمهورية العراقية اذا كانوا من غير العراقيين تتعاون معهم الرابطة في حدود هذا

١ - رغم ان الاحزاب في العراق وضعت القضايا القومية بما فيها القضية الفلسطينية في صلب برامجها ، الا ان اهتماماتها العملية انصرفت في الدرجة الاولى الى القضايا الوطنية المحلية [النضال ضد الحكم ، قضايا النفط ، الاصلاح الزراعي الخ] وهي قضايا ، رغم خطورتها ، لم تستطع ان تجذب الفلسطينيين جذبا محكما وتربطهم بالنضال من اجل انجازها .

٢ - ان عدد الفلسطينيين ، كما اشرنا ، قليل بالمقارنة الى مجموع الشعب العراقي ، وهكذا لم يكن هناك مجال واسع لظهور التيارات الحزبية في صفوفهم .

٣ - لقد تميزت التجربة الحزبية في العراق بطابع دموي عنيف ، ووصل الخلاف فيما بين اطرافها الى مستوى التناقض العدائي ، يضاف الى ذلك الانقسامات العديدة التي شقت كل حزب الى عدد من الفرق المتناحرة ، ولا شك ان تجربة هذه بعض خصائصها ما كان لها ان تستهوي الفلسطيني فيخوض غمارها في وقت كان فيه في اشد الحاجة الى ان تلتفت هذه الاطراف المتصارعة الى قضيته القومية فتوليها جزءا من اهتمامها .

قبل ان انتقل الى الفقرة التالية ، اجد من الضروري ان اشير الى تجربتين فلسطينيتين مرتا في العراق : الاولى **فوج التحرير الفلسطيني** : في شهر حزيران من العام ١٩٥٩ اعلن الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم عن تشكيل فوج عسكري من فلسطينيي العراق اطلق عليه اسم فوج التحرير . وخلال الاشهر الاربعة الاولى من تشكيل الفوج انضم اليه نحو ٣٠٠ جندي و ٥٠ ضابطا من الفلسطينيين (نسبة كبيرة من هؤلاء الضباط كانوا من غزة) . وكان دافع المتطوعين الى هذا الفوج ظنهم انه سيكون نواة لحركة مسلحة فلسطينية تأخذ دورا طليعيا في معركة التحرير . غير ان الايام القادمة خيبت ظنهم . ففي عهد قاسم لم تزد مهمات الفوج عن اثنتين : الاستعراضات اثناء زيارات الوفود العربية الى العراق . والتدريب المتكرر المعاد في معسكر الرشيد القريب من بغداد . لذا فلا عجب اذا توقف سيل المتطوعين من الجنود واخذوا ينسلخون منه تدريجيا ، على الرغم من تكاثر عدد الضباط الذي وصل عام ١٩٦٣ الى ١٥٠ ضابطا مع ان الملاك الاعتيادي للفوج هو ٣٢ ضابطا فقط . وقد عهد بقيادة الفوج الى ضابط عراقي ، وكذلك

الهدف . ج - رفع مستواهم الاجتماعي وذلك بالتعاون مع السلطات العراقية ومساعدة الفقراء والمعوزين وحل مشاكلهم الاجتماعية التي قد تنجم، وفقا للقوانين المرعية في الجمهورية العراقية .

د - تعريف الرأي العام العربي والعالمي بظروف وملايسات القضية الفلسطينية في مختلف وسائل النشر والطرق القانونية . هـ - بعث الروح الرياضية والمعنوية في صفوف ابناء فلسطين وذلك بفتح نواد لهم .

المادة (١٠) يكون شعار الرابطة «اننا عائدون» .
المادة (١٣) ان الصفة التي تتصف بها الرابطة هي (اجتماعية - ثقافية - صحية) كما هو منصوص عليه في المادة الثالثة وهي ليست حزبية ولا تتدخل في شؤون الدولة الداخلية والخارجية .

المادة (١٤) تحل الرابطة فيما اذا لم تقم بالاغراض التي انشئت من اجلها ، وطلب اكثرية اعضاء الهيئة العامة ذلك ، او انسحبوا منها ، او اذا خالفت القوانين المرعية في الجمهورية العراقية وارتأت الحكومة حلها .

وقد استمرت هذه الرابطة في الوجود سنة وثمانية أشهر ففي ١٤/١١/١٩٦١ وجهت الهيئة الادارية للرابطة كتابا الى الحاكم العسكري العام ذكرت فيه : « بناء على ما تقتضيه المصلحة الوطنية التي نضعها فوق كل اعتبار وبالنظر لعدم تحقيق جمعية رابطة ابناء فلسطين في العراق للاغراض التي انشئت من اجلها ونظرا لوجود الهيئة العربية العليا لفلسطين في العراق والتي تمثل عرب فلسطين من جميع الوجوه وفي كافة المجالات ، لذلك قررت الهيئة العامة حل جمعية (رابطة ابناء فلسطين في العراق) وتحويل اموالها المنقولة وغير المنقولة الى مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين في العراق » .
وجاء هذا القرار ليس فقط للاسباب التي ذكرت وانما كان بطلب من الهيئة العربية العليا التي كانت تتمتع ببعض عطف عبد الكريم قاسم في العراق .

وقد ادرجت هذه التجربة عمدا في هذا الفصل عن الحياة السياسية وان كانت اهداف الرابطة كما ذكر نظامها الداخلي (اجتماعية - ثقافية - صحية) آخذاً بعين الاعتبار ان مرامي المؤسسين كانت سياسية ، كما فهمت من بعضهم ، تهدف الى ممارسة نشاط سياسي وطني . غير انها كانت

تجربة ساذجة لم يكتب لها النجاح كما هو متوقع ولم تترك اثرا في حياة الفلسطينيين لا سياسيا ولا اجتماعيا ... حتى ولا صحيا .

الفلسطينيون بعد ومع الثورة : كانت تلك صورة سريعة للحياة السياسية لفلسطيني العراق قبل نشوء منظمات المقاومة وممارستها عملها الثوري . وقيام الثورة الفلسطينية وتساعد مدها خاصة بعد العام ١٩٦٧ اهتزت تلك الصورة القديمة وتلاشت لتفسح المكان لصورة اكثر اشراقا . فالحياة السياسية لدى فلسطيني العراق كما هي الحال تماما لدى الفلسطينيين عموما اصبحت معطاء واضحة الرؤية فعالة . فعندما طرحت الثورة الفلسطينية تصورها الجديد ومارست هذا التصور عملا عمده الدم وجدت لدى الفلسطينيين استجابة كاملة اذ كانت التجسيد الحي لارادة كل فلسطيني شريف . وكان اول انقلاب حقيقي في نفسية المواطن الفلسطيني ومن ثم في ممارسته ان استعاض عن تلك الولاءات القديمة التي سبق وان اتينا على ذكرها ، والتي هي في رأينا ولاءات وسيطة لتحقيق هدفه في العودة والتحرير ، استعاض عنها بانتماء مباشر الى عمل يجعله قابضا على زمام قضيته بنفسه . لقد اصبحت ولاؤه ولاول مرة منذ نكبة عام ١٩٤٨ ، اصيلا ، مباشرا وبدون توسط ، فاعطى هذا الولاء المستجد كل جهده وكل طاقته .

ومن هنا لم تجد التنظيمات الفلسطينية على اختلافها عائقا دون الوصول الى كل فلسطيني في العراق فخطابته مباشرة ووصلت به ومعه الى ضرورة بذل الجهد والتضحية ان بالوقت او المال او النفس . وقد استطاعت المنظمات ان تكفل من حولها وفي داخلها معظم الشباب الفلسطيني في العراق في تنظيمات سياسية وشعبية تشكل ظهيرا للثورة المسلحة واذرعا اعلامية ومالية لها . حتى انه لنستطيع ان نجزم انه ندر وجود الذين لا يجهرن بانتمائهم للثورة ولا يمارسون من خلالها عملا . ومن جملة هؤلاء التحقت اعداد غفيرة بالكفاح المسلح مع من تركوا الملاهي والمخيمات وحملوا السلاح دفاعا عن وطنهم . وقد نال عدد من هؤلاء المقاتلين شرف الشهادة(٤).

الانتماء التنظيمي : لا نريد ان ندخل في دراسة اسباب التشرذم الفلسطيني وانقسام الثورة الفلسطينية الى فصائل وتنظيمات ، كما لا نريد ان نتطرق الى نتائج هذا الانقسام على حركة

المقاومة نفسها أو بالنسبة لعلاقتها مع الجماهير العربية ، غير ان وصفنا لوضع الفلسطينيين في العراق والسياسية منها ، لا بد وان يدفنا الى الحديث عن التعبئة التنظيمية لديهم ما دنا قد تطرقنا في الحديث الى ولاءاتهم السياسية قبل قيام الثورة الفلسطينية .

وانه لمن الصعوبة القصوى ان نعطي ارقاما عن عدد الاشخاص المنتهين الى التنظيمات الفلسطينية في القطر العراقي ، وهذه الصعوبة ايضا تعترضنا عند الحديث عن توزيع هؤلاء المنتهين بين مختلف التنظيمات وتصنيفهم الى نسب : (١) الصعوبة مفهومة في الحالة الاولى لان ضرورات امن الثورة تقتضي التكم (٢) وهي مبررة في الحالة الثانية نظرا للحساسية والاحراج الناشئين عن اثاره مثل هذا الموضوع .

غير ان هناك مؤشرات تدل على التسلسل النسبي بين المنتهين اذكر منها اثنين : ١ - الانتخابات التي يتم بها اختيار هيئات ادارية جديدة للاتحادات الفلسطينية . وقد جرت العادة ان تكون قوائم المرشحين المتنافسة ذات ولاء تنظيمي يدعمها فيمنحها النجاح او منى بالفشل نتيجة قوة التنظيم او ضعفه النسبي . ٢ - المهرجانات والاحتفالات العامة التي تقيمها التنظيمات والمسيرات الجماهيرية التي تشترك فيها مما يعطي انطباعا عاما عن نسبة المؤيدين لهذا التنظيم او ذلك .

وفي ضوء هذين المؤشرين ومن خلال تجربة شخصية استطيع ان ازمع ان فتح تستأثر باوسع ولاء تنظيمي في مختلف اماكن تجمعات الفلسطينيين وفئاتهم المهنية والحرفية والطلابية في العراق . ويليها وان كان بفارق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما تتمتع الجبهة الشعبية الديمقراطية بعدد محدود من الانصار في القطاع الطلابي على وجه التخصيص . بينما تتساوى وربما بفوارق ضئيلة باقي فصائل المقاومة في اكتساب اعداد قليلة جدا من فلسطينيي العراق . وفيما يتعلق بطلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) فقد حظرت نشاطها في العراق منذ اكثر من سنة ونصف مما يجعل ادراجها في السلم النسبي امرا غير عادل . اما بالنسبة لقوات التحرير الشعبية فقد اخرجتها عمدا من التصنيف لان هذه القوات لم تكن اصلا بأن تمد لها جذورا تنظيمية شعبية في القطر العراقي اذ تعتبر تنظيميا عسكريا بحتا فهي

جزء من جيش التحرير الفلسطيني وذراع فدائيه لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقبل مجزرة ايلول اجرت قيادة جيش التحرير الفلسطيني اتصالات مع السلطات العراقية لسن قانون التجنيد الاجباري لفلسطينيي العراق ، وكانت القيادة تأمل ان يخرج هذا القانون الى حيز التنفيذ .

بيد ان الولاء التنظيمي لفلسطينيي العراق لا يجب حقيقة ان الولاء الاول بل الوحيد للجميع هو للثورة الفلسطينية . والشئ الذي نود ان نؤكد هنا ان روحا من التفاهم والاخوة الحقيقية تسود قواعد التنظيمات جميعا وان العمل المشترك ينظم عموما فصائل المقاومة في معظم الاحيان دون عصبية او تحيز .

منظمة التحرير الفلسطينية : مارست منظمة التحرير الفلسطينية عملها في العراق منذ العام ١٩٦٤ ويهنا في هذه الفقرة ان نلقي نظرة على مدى تقبل الفلسطينيين في العراق لوجود المنظمة بينهم والى اي مدى يريدون ان يكون مكتبها في بغداد مشرفا على امورهم . ونشير منذ البداية الى ان مثل هذا الموضوع يحكمه عدة عوامل : أ - مقدار تبثيل منظمة التحرير الفلسطينية لقوى الثورة وتمسك هذه القوى بميثاق المنظمة وقرارات مجالسها الوطنية والتي تنص صراحة على ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جبهة وطنية لهذه القوى . ومن جهة اخرى قدرة مكتب المنظمة على ترجمة مثل هذه القرارات الى واقع عملي معاش . ب - مدى التجاوب الذي يبديه مكتب المنظمة في القطر تجاه قضايا الفلسطينيين ومشكلاتهم وهذا العامل محكوم بدوره باخرين : كفاءة الجهاز العامل وجدديته ، وتوفر الامكانات لمواجهة هذه القضايا . ج - التسهيلات التي تقدمها السلطة في القطر لمكتب المنظمة او المعوقات التي تضعها امامه .

وفي ضوء هذه العوامل ، مر مكتب المنظمة في بغداد منذ عام ١٩٦٤ بفترات مد وانحسار متعاقبة انعكاسا للتطورات التي كانت تحدث في الساحة الفلسطينية وعلى الاخص ترتيب الخارطة التنظيمية للقوى الفلسطينية خارج او داخل اطار المنظمة . فعندما كان مكتب المنظمة يعمل منفردا في العراق كان يستأثر باهتمام الفلسطينيين نضاليا ويبادر الى تحمل مسؤولياته تجاه القضايا الحياتية للمواطن الفلسطيني . غير انه بتعدد مكاتب المنظمات في بغداد توزعت هاتان المهمتان بينها ، الامر الذي

الفلسطينيون مورد مالي دائم للثورة : يتأكد لدى الفلسطينيين جميعا يوما بعد يوم ان الثورة ثورتهم وان استمرارها وتصاعدها مرهونان بارادة الجماهير الفلسطينية نفسها وبقدرتها على الحفاظ عليها . ومن هنا يتأكد استمرار الدعم المادي للثورة الذي يقدمه الفلسطينيون انفسهم في مختلف اماكن تجمعاتهم . وهم بدعمهم ذلك لا يفعلون اكثر من أن ينمو ارادتهم في العودة ويحافظوا على كرامتهم التي استعيدت بعد امتحان طويل .

وفلسطينيو العراق ليسوا استثناء من هذا كله . وهم ينمون الموارد المالية لثورتهم بطرق مختلفة :
١ - الاشتراكات الشهرية التي يلتزم بها الاعضاء لتنظيماتهم .
٢ - التبرعات والهبات والاسواق الخيرية التي يقيمونها في كل مناسبة .
٣ - الجهود التي يقوم بها اعضاء التنظيمات في جمع التبرعات من المواطنين العراقيين (٤).
٤ - ضريبة التحرير وهي مورد مالي دائم للثورة ينمو باستمرار ويصب في الصندوق القومي الفلسطيني، يدفعها كل مواطن فلسطيني في العراق بنسبة ٣٪ من دخله . وتشمل هذه الضريبة الفلسطينيين في معظم الاقطار العربية غير انها في العراق اتخذت شكلا اكثر انتظاما .
اذ كانت الحكومة العراقية ، بطلب من رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السابق ، قد اصدرت بتاريخ ١٩٦٥/٨/٢٢ قانونا وزاريا يحمل الرقم ١٣٠ لسنة ١٩٦٥ باسم قانون استقطاع مبالغ للصندوق القومي الفلسطيني نصت المادة الاولى منه على ما يلي : « يخصم ٣٪ من رواتب واجور الموظفين والمستخدمين والعمال الفلسطينيين الذين يعملون في الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والشركات الحكومية وغير الحكومية ويعتبر ايرادا للصندوق القومي الفلسطيني » . وقد طبق هذا القانون بأثر رجعي اعتبارا من ١٩٦٤/١٠/١ . غير ان مكتب المنظمة في بغداد رأى في هذا القانون نقصا يتمثل في انه لا يشمل باحكامه اصحاب المهن الحرة . وقد سمى المكتب طويلا وفي عهود مختلفة لتعديل القانون نزولا على الحاج عدد كبير من المواطنين الفلسطينيين انفسهم غير المشمولين في القانون لمساواتهم في شرف دفع هذه الضريبة حتى استطاع تعديله في اواخر عام ١٩٦٦ بما يتفق مع هذه الرغبة . وفيما يلي نص القانون المعدل : « استنادا الى احكام المادة خمسين من الدستور المؤقت وبناء على ما عرضه وزير المالية ووافق عليه مجلس الوزراء واقره مجلس قيادة الثورة صدر القانون

افقد مكتب المنظمة كثيرا من مبادراته وقدرته على التحرك . ثم مع دخول فصائل المقاومة (فتح والصاعقة ثم الجبهة الشعبية الديموقراطية فيها بعد) اطار المنظمة ومع الحساس الشعبي السذي قولت به هذه الخطوة بالاضافة الى توفر جهاز عامل فعال في مكتب المنظمة ، تمكن هذا المكتب من ان يستعيد كثيرا من مواقفه التي فقدت .

ومن يعايش فلسطينيي العراق يتلبس اتجاها صادقا عند المواطن الفلسطيني الى ان يشارك مكتب المنظمة في حل كثير من مشاكله حتى الخاصة منها . وعندما كان المواطن يجد استجابة من المكتب ، خاصة اذا وفق المكتب بايجاد حل مرض ، يزداد التصاق المواطنين بالمنظمة ويزداد يقينهم بضرورة وجودها . ويجد الفلسطينيون في العراق انه من الطبيعي ومن صلب عمل المنظمة ان تتولى رعاية شؤونهم مما دامت المنظمة تمثل الكيان السياسي والوطني للفلسطينيين جميعا بدون استثناء . حتى ان مثل هذا التصور قد انطبع في اذهان المواطنين العراقيين ، فكثيرا ما يلجأ المواطن العراقي الى مكتب المنظمة لحل مشكلة له مع مواطن فلسطيني ، والاثنا يرتضيان بالمكتب حكما . ومهما اختلفت الراء في مهمات منظمة التحرير الفلسطينية ودورها ، وما هي مؤهلة له ، وهل من المفروض فيها ان تشغل اجهزتها بحل « مشاكل الناس » ، أم ان دورها يجب ان يكون نضاليا تمهيدا فحسب ، فالواقع هو ان المواطن الفلسطيني في العراق يلجأ الى « منظمنا » كما يدعواها ، ان حزبه امر او المت به شدة او عجز عن حل مشكلة .

اما مدى استجابة اجهزة الحكم في العراق لهذا التوجه فقد مرت هي الاخرى بمراحل غير متساوية . وبعيدا عن ذكر الاسباب ، فان الموقف الرسمي في العراق تجاه المنظمة ومكتبها في بغداد كانت تتناوبه فترات ايجابية حارة واخرى سلبية باردة . وكلما كثرت التسهيلات التي تمنحها الدولة لمكتب المنظمة ، ازدادت فاعلية المكتب في تبنيه لقضايا الفلسطينيين ومبادراته الى ايجاد الحلول المناسبة لها . ومنذ مطلع عام ١٩٧٠ انشأت الحكومة العراقية ما سمي بالمكتب القومي لفلسطين ومنعت أي اتصال لمكتب المنظمة (وسائر فصائل المقاومة) بأية جهة مسؤولة في الحكم الا عن طريق هذا المكتب ، ولا شك ان مثل هذا الحصر اعاق من امكانية تحرك مكتب المنظمة وعطل كثيرا من مبادراته الايجابية .

التالي : **المادة الاولى** : ١ - يخصم ٤٪ من رواتب واجور الموظفين والمستخدمين والعمال الفلسطينيين والمتجنسين بجنسية أخرى وهم من أصل فلسطيني الذين يعملون في الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والشركات الحكومية وغير الحكومية ويقيد ايرادا للصندوق القومي الفلسطيني .

٢ - يستوفى ٢٪ من الدخل السنوي ويستقطع باقتساط شهرية من اصحاب المهن الحرة الفلسطينيين والمتجنسين بجنسية أخرى وهم من اصل فلسطيني لحساب الصندوق القومي الفلسطيني وتقوم لجنة أو لجان لا يقل عدد اعضاء كل منها عن ثلاثة اعضاء تشكلها منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد بتقدير الدخل للمكفنين المذكورين لهذا الغرض .

٣ - للمكلف المذكور في الفقرة (٢) من هذه المادة ان يعترض على التقدير المذكور خلال خمسة عشر يوما من تاريخ تبليغه به لدى لجنة استئنافية تؤلف من مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد واربعة اعضاء من اعضائها على ان يكونوا من غير المشتركين في التقدير الابتدائي ويكون قرار اللجنة الاستئنافية نهائيا . **المادة الثانية** : تعتبر البالغ المتحققة في ذمة المكلف المتنع عن ادائها دينا للصندوق القومي الفلسطيني تستوفى منه بطرق التنفيذ القانونية من قبل دوائر التنفيذ وفق قانون التنفيذ مع اعتبار ذلك من الامور المستعجلة .

المادة الثالثة : ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية . **المادة الرابعة** : على الوزراء تنفيذ هذا القانون « . وقد بوشر بتنفيذ هذا القانون من ١٩٧٠/١/١ ليعطي الثورة الفلسطينية موردا ثابتا ناميا باستمرار دون ان يكون خاضعا لاي تقلبات سياسية .

النشاط النقابي الفلسطيني : لقد آثرنا ان ندرج هذا البند تحت عنوان « الحياة السياسية » لان عمل الاتحادات الفلسطينية هو عمل سياسي فسي الدرجة الاولى مهني في الدرجة الثانية . فمؤسسات النقابية والاتحادات الفلسطينية ليست الا جزءا من اجهزة الثورة الفلسطينية تسهر ضمن خطها السياسي العام وتشكل قاعدة من قواعدها الشعبية (٤٢) .

وبقيام الاتحادات الفلسطينية التي كانت تتخذ مركزا عاما لها في القاهرة على الاغلب نشأت فروع لها في معظم الاقطار العربية ومن جبلتها العراق . وكان اسبق هذه الاتحادات الى الوجود في القطر العراقي **الاتحاد العام لطلبة فلسطين** عام ١٩٦٣ .

وبانقلاب تشرين في العام نفسه حل الاتحاد ثم أعيد

تشكيله في ١٩٦٥ . وقيام جامعتين بالاضافة الى جامعة بغداد ، احداها في الموصل والاخرى في البصرة ، انشء فرعان جديدا للاتحاد في هاتين المدينتين وفي عام ١٩٦٩ ارتبطت هذه الفروع الثلاثة بكونفدرالية تنظم شؤون الاتحادات الطلابية الفلسطينية في العراق وتشرف على سياستها العامة وتنسق من اعمالها . وقد مارس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في العراق دورا بارزا في العمل الوطني الطلابي الامر الذي دفعه الى مركز الصدارة بين الاتحادات الطلابية العربية فصار بمرکز رئاسة مكتب التنسيق لهذه الاتحادات الذي شكل في العام الماضي . وبلاضافة الى العمل السياسي والتعبوي الواسع الذي يمارسه اتحاد طلبة فلسطين فهو يقدم خدمات طلابية متعددة ومختلفة لجميع الطلبة الفلسطينيين وخاصة منهم الوافدين الجدد .

وكان **الاتحاد العام لعمال فلسطين** في العراق هو الثاني في الوجود بعد اتحاد الطلبة ، فقد تأسس عام ١٩٦٥ ليمارس دوره السياسي والنقابي بين ابناء فلسطين في العراق . ومن ابرز نشاطات وانجازات هذا الاتحاد في الفترة الاخيرة ما يلي :

١ - اشراف الاتحاد على اسبوع دعم الصندوق في الفترة من ٥ - ١٢ حزيران ١٩٧٠ وكانت الحصيلة المالية لهذا الاسبوع بالاضافة الى نتائجه الاعلامية الفائقة نحو عشرة الاف دينار عراقي تم رصدها لدعم صمود شعبنا في الارض المحتلة .

٢ - اثناء مجزرة ايلول ١٩٧٠ نشط الاتحاد فسي جمع التبرعات المالية باسم اللجنة المركزية وكان اسهامه في الجمع نحو عشرة الاف دينار عراقي أخرى . كما قام بجهود واسعة في تقديم الهدايا المالية والعينية للمصابين الذين نقلوا الى العراق للمعالجة . ٣ - لعل ابرز مشاريع الاتحاد مشروع الضمان الصحي للعمال الفلسطينيين . فقد جرى اتفاق بين الاتحاد وعدد من الاطباء المتبرعين في بغداد بأن يعالج هؤلاء العمال المنتسبين الى المشروع . واشترك الضمان بالنسبة للمعامل ١٠٠ فلس عراقي يدفعها شهريا للاتحاد وقد بلغ عدد المنتسبين للمشروع (كاتون الثاني ١٩٧١) ٦٠٠ مشترك استفاد منهم خلال سنة ٣٠٠ عامل عولجوا في بغداد . ولم يكتب الاتحاد بذلك بل أوفد عددا من المرضى للمعالجة خارج العراق (٥ أطفال من ابناء العمال الى بلغاريا) . ٤ - البعثات التدريبية والتثقيفية : اهتم الاتحاد بالاستفادة من المنح

تُسيق نشاطاتها والتخطيط لأعمالها فسي مختلف المجالات . ويجب الا يغيب عن بالنا في هذا المجال ان نذكر ان **الهلال الاحمر الفلسطيني** قد شكل له فرعا في العراق اثناء مجزرة ايلول ١٩٧٠ وقد بدأ أعماله بأن أسهم في استقبال المصابين الذين قدموا الى العراق (معالجة ١٥٩ جريحا من الاردن) وبارسال سبع سيارات شاحنة محملة بالادوية والمواد العينية الى المصابين في الاردن .

وكما ألمحت سابقا فان الاتحادات الفلسطينية جميعا في العراق تعتبر نفسها ، كما هو منصوص عليه في دساتيرها وانظمتها الداخلية بالفعل ، فروسا للاتحادات الفلسطينية المركزية . وهي تشارك في مؤتمراتها العامة بمثلين تنتدبهم وتسهم في لجانها التنفيذية وفي مجالسها العليا . اما وضعها الرسمي والقانوني في العراق فان الانظمة العراقية المتعلقة بتشكيل الجمعيات تتطلب الحصول على موافقة من وزارة الداخلية قبل تأسيس اي اتحاد او نقابة باعتبارها يندرجان تحت اسم « جمعية » . واتحادا الطلاب والعمال يخضعان لهذه الانظمة . غير ان منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد ، وبموافقة ضمنية من قبل السلطات العراقية ، اخذت على عاتقها ومسؤوليتها في الونة الاخيرة مهمة تشكيل الاتحادات الفلسطينية باعتبار ان الاتحادات الفلسطينية جزء منها وقاعدة من قواعدها الشعبية . وقد نفذت المنظمة هذه التصور منذ عام ١٩٦٩ بتأسيس الاتحادين الاخيرين (المرأة والمعلمين) .

الدراسية التي تخصصها الدول الصديقة للعالم الفلسطينيين وفي عام ١٩٧٠ أرسل الاتحاد خمسة من عماله الى بلغاريا واربعه الى البانيا لزيادة خبراتهم في ميكانيك الديزل كما قام بايفاد آخر الى الاتحاد السوفيتي للدراسة العليا . وقد استفاد من دورات المؤسسة الثقافية العمالية في العراق ثمانية عمال خلال عام ١٩٧٠ حققوا نجاحا ملحوظا . ومن الجدير بالذكر ان اربعا من النساء الفلسطينيات العاملات في بغداد قد انتسبن الى الاتحاد مؤخرا وهي خطوة جديدة في العراق .

الاتحاد الثالث حسب التسلسل الزمني كان **الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية** في العراق عام ١٩٦٦ « فبما بعد لجنة المرأة الفلسطينية عام ١٩٦٩ ثم رابطة المرأة الفلسطينية عام ١٩٧٠ » ، وقد اخذ هذا الاتحاد على عاتقه مهمة اشراك المرأة الفلسطينية في العمل الوطني كما أمد الثورة من خلال مشاريعه « الاسواق الخيرية ، جمع التبرعات ، لجان كنزة المناضل « بكثر من الدم المادي . وكان آخر الاتحادات الفلسطينية في الظهور **الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين** - رابطة العراق (عام ١٩٧٠) وقد ابدى هذا الاتحاد الناشء نشاطا ملحوظا بعد ان ضم الى عضويته معظم المعلمين والدرسين الفلسطينيين العاملين في مختلف ألوية العراق (٩٨ منتسبا من مجلة ١٠٥) . وفي عام ١٩٧٠ وبإشراف من منظمة التحرير الفلسطينية ، مكتب بغداد ، شكلت هذه الاتحادات الاربعة ما أطلق عليه اسم **المجلس القطري للاتحادات الفلسطينية في العراق** بقصد

فيه اقامة غير شرعية مما يجعل عملية حصرهم وتعدادهم مستحيلة . وقد حصلت بعد جهد على رقمين من مديرية الاقامة في بغداد فقد أبلغت أن عدد الفلسطينيين الذين دخلوا العراق ولم يخرجوا منه في العام ١٩٦٩ بلغ ١٥٠ مواطنا وهؤلاء في العام ١٩٧٠ بلغوا ٥٠٠٠ مواطن وهذه ارقام غريبة يصعب الاخذ بها .

٣ - **تعليمات خاصة بالفلسطينيين** رقم ١ للسنة ١٩٦٨ .

٤ - اكتسبت المنظمة هذا الحق في أعقاب حرب ١٩٦٧ للحيلولة دون بعض الفلسطينيين والهجرة خارج الوطن العربي .

٥ - نشر في **الوقائع العراقية** عدد ١٧٧٢ تاريخ ٢٨ آب ١٩٦٩ .

١ - هناك احصائية حديثة (تشرين الثاني ١٩٧٠ عن عدد الفلسطينيين في كل من البصرة والموصل تبين انهم بلغوا ٢٤٩ و ٣١٢ نسبة على التوالي .

٢ - حاولت ان احصل على عدد الفلسطينيين الذين ينضون تحت هاتين الفئتين ففشلت . ويعود الفشل الى أن مديرية الاقامة في العراق لا تحتفظ لديها ببيانات احصائية دقيقة عن عدد الذين يدخلون ويخرجون الى ومن العراق من جهة والى أن معظم الفلسطينيين الذين يدخلون العراق يحملون جوازات سفر اردنية فيسجلون « مواطنين عربا » دون الاشارة الى اصولهم من جهة ثانية . وسبب آخر ان أولئك الذين نزحوا في أعقاب هزيمة حزيران فأموا العراق يقيمون

- ٦ - المادة ١٥ من التعليمات رقم ١ للسنة ٦٨ .
- ٧ - المادة ١٢ من التعليمات نفسها .
- ٨ - في زيارة لاحد هذه الملاجيء وهو الرقم ١٤٠/١٤١ شارع الكفاح رأيت الجدران تسند بأعمدة من الخشب خوف السقوط والغرفة التي دخلتها تقع في الطابق العلوي وكانت أرضيتها تهتز بشدة .
- ٩ - كانت ملكا لليهود العراقيين الذين هاجروا من العراق الى فلسطين المحتلة .
- ١٠ - **الوقائع العراقية** عدد ١٧٧٢ تاريخ ٢٨/٦٩/٧ .
- ١١ - كان يسكنه ٦٩ أسرة مكونة من ٣٥٥ شخصا .
- ١٢ - التعليمات رقم ١ للسنة ١٩٦٨ تنص : « اذا ثبت بصورة قطعية ان دخل الفلسطيني لا يقل عن ستين دينارا شهريا فيكلف بالسكنى على حسابه الخاص » .
- ١٣ - في المشروع الذي تقدم به وزير الشؤون الاجتماعية الى مجلس قيادة الثورة والذي أشرت اليه من قبل يبلغ معدل تكلفة الوحدة السكنية ١٦٦ دينارا فقد طلب تخصيص ربع مليون دينار عراقي لانشاء ١٥٠٠ وحدة سكنية .
- ١٤ - تعاقب على شغل هذه الوظيفة ثلاثة مديرين أولهم السيد فائق الاورفلي والمدير الحالي هو السيد عبدالعزيز عبدالله العزاوي .
- ١٥ - كمثل على ما أقول ، عندما كنت أبحث عن عدد الولادات والوفيات كنت مضطرا الى تصنع عدد كبير من الملفات المخصصة لحفظ شهادات الولادة او شهادات الوفاة .
- ١٦ - فاضل الانصاري : **سكان العراق** ، جدول رقم ٨ ص ٧٠ .
- ١٧ - الاحصاءات العالمية سجلت نسبة مواليد ٥٠ في الالف كحد اعلى ، وأدنى حد وصلت اليه هو ١٠ بالالف .
- ١٨ - فاضل الانصاري ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ .
- ١٩ - الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور محمد صبحي عبدالحكيم ، **السكان ديموغرافيا وجغرافيا** ، ص ٦٦ .
- ٢٠ - الزيادة الطبيعية هي الفرق بين المواليد والوفيات ، وتحسب معدلات الزيادة الطبيعية اي هذا الفرق بالنسبة لكل ألف من السكان .
- ٢١ - دكتور غلاب ودكتور عبدالحكيم ، **المصدر**
- ٢٢ - **كتاب الجيب السنوي للاحصاءات العامة في الجمهورية العراقية للسنوات ٥٧ - ٦٧** (الجهاز المركزي للاحصاء) ، ص ٦ .
- ٢٣ - فاضل الانصاري ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٥ .
- ٢٤ - عمل هذا الجدول من خلال دراسة ٧٣٢ أسرة تضم ٤٠٠٧ أشخاص [٢٠٧١ ذكرا و١٩٣٦ أنثى] اختيرت عشوائيا من سجلات مديرية شؤون الفلسطينيين في شهر كانون الثاني ١٩٧١ . ولان هذه العينة كبيرة نسبيا [ثلث عدد اللاجئين المسجلين تقريبا] فاننا نستطيع ان نسلم بأن النتائج التي نحصل عليها منها صحيحة الى حد بعيد .
- ٢٥ - تمثل هذه النسبة عدد الاناث الى ١٠٠٠ من الذكور .
- ٢٦ - ساعد في جمع المعلومات ميدانيا عن اللاجئين الاخ محمود موسى حيدان احد اعضاء مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد وهو نفسه كان يسكن احدهما اثناء جمعه المعلومات .
- ٢٧ - تستخرج درجة المعيلين كالتالي : درجة المعيلين = عدد المعيلين / عدد السكان x ١٠٠ .
- ٢٨ - صححها فاضل الانصاري (**المصدر السابق** ص ٢١٩) استنادا الى بعض المتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية والديموغرافية الى ٣٥ ٪ - ٣٨ ٪ .
- ٢٩ - توصلنا الى هذا الافتراض كما يلي : يشير الجدول رقم ٤١ من **كتاب الجيب السنوي (المصدر السابق)** الى ان مجموع الاجور المدفوعة للعمال في المؤسسات الصناعية في بغداد كانت عام ١٩٦٦ « ١٦٠٦٤٤٠٠٠ دينار » ومعدل العمال هو ٥٥٣٠٩ أي ان معدل الاجر للعمال هو ٢٦٠ دينارا في السنة . ونستطيع ان نستخرج من الجدول نفسه ان هناك زيادة في معدلات الاجور بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٦١ بنسبة ١٢ ٪ فاذا افترضنا ان هذه النسبة في الزيادة ظلت كما هي خلال ١٩٦٦ - ١٩٧١ فنستنتج ان معدل الدخل السنوي للعمال العراقي في عام ١٩٧١ هو ما ذكرنا في المتن اي ٣٢٥ دينارا .
- ٣٠ - ليس بين أيدينا أرقام جاهزة تبين تكاليف المعيشة في بغداد ، ولكن بحكم الملاحظة والتجربة نستطيع ان نفترض الارقام التالية لاسرة مكونة من خمسة أفراد ينتمي عائلها الى الطبقة

العراق فيها نعلم هي عضوية قيادة منطقتة بغداد في حزب البعث الحاكم حاليا وقد تمتع بها السيد حسن محمود طه .

٤٠ - تهديد ، النظام الداخلي للجمعية المحفوظ في وزارة الداخلية العراقية - قسم الجمعيات .

٤١ - نذكر من هؤلاء : من حركة فتح الشهداء عبدالمنان عبدالقادر وعبدالحنان عبدالقادر وهما شقيقان ، مصطفى محمد عويس ، فالح ابو الشعر ، احمد نافع الماضي ، جمعه احمد سلامة ابو حديد ، سامي مصطفى الطريقي ، عبدالله مرشد الاسعد ، حمزة شعبان ابو الهيجاء ، سعيد عبدالحفيظ ، علي لطف التايه ، احمد محمد رشيد مصطفى . ومن جيش التحرير الفلسطيني وقواته الشعبية الشهداء الدكتور الملازم عبدالوهاب القنسة ، وهو اول طبيب فلسطيني شهيد في الثورة ، الملازم اول زكريا حسين العواجا ، الملازم سميح احمد المرعي ، عبدالفتاح محمد المرعي ، احمد عبدالباقي . ومن الجبهة الشعبية الديمقراطية الشهيد محمد ابو الفوز .

٤٢ - منذ نحو سنتين منعت الحكومة العراقية جمع التبرعات من قبل المنظمات وحصرتها في مؤسسة اقامتها لهذا الغرض عرفت باسم « اللجنة العليا لجمع التبرعات للمجاهدين الفلسطينيين » .

٤٣ - في دساتير الاتحادات الفلسطينية جميعا مواد تؤكد ان هذه الاتحادات قاعدة من قواعد الثورة الفلسطينية بصيغة وقاعدة من قواعد منظمة التحرير الفلسطينية بصيغة اخرى .

المتوسطة الصغيرة (حربي صغير ، موظف عادي ، عامل ماهر) : ٤٥٠ ديناراً سنوياً بين مآكل ومسكن و١٥٠ ديناراً للملبس والمواصلات والطوارئ والمصروفات الاخرى . أي ان المجموع ٦٠٠ دينار سنوياً .

٣١ - كانت مديرية شؤون الفلسطينيين في بغداد قد طلبت من مختلف الوزارات والدوائر تزويدها باعداد واجور الموظفين والمستخدمين لديها . وقد أعد هذا الجدول من اجابات الوزارات والدوائر الى المديرية المذكورة والمحفوظة في ملفات المديرية .

٣٢ - في العراق الفرق بين المدرس والمعلم ان الاول يخدم في الملك الثانوي والثاني في الابتدائي .

٣٣ - عدد قليل جدا من الفلسطينيين تملكوا دورا لسكناهم في العراق محتالين على القانون بأن سجلوا هذه الدور باسم اصدقاء لهم عراقيين مقابل صكوك بأثمانها تستحق عند الطلب .

٣٤ - **الوقائع العراقية** العدد ١٧٧٢ تاريخ ٢٨ آب ١٩٦٩ .

٣٥ - تراجع الحاشية رقم (٢٦) بخصوص جمع المعلومات عن هذين اللجائين .

٣٦ - اعرف طالبا يعمل اسكافيا وهو في السنة الثالثة الجامعية وآخر انهى دراسته الثانوية وهو يعمل بائع ملابس قديمة .

٣٧ - رابطة ابناء فلسطين التي سوف يمر ذكرها لا تمثل استثناء من هذا الحكم لانها لم تنجز ايا من الاهداف التي انشئت من اجلها .

٣٨ - بطبيعة الحال حديثنا عن تأثير الفلسطينيين لا عن اثر القضية الفلسطينية .

٣٩ - أعلى مرتبة حزبية وصلها فلسطيني في

صحف اليسار المصري وقضية فلسطين

عبد القادر ياسين

الشعبية للتحرر حيث اصبح « طليعة العمال » « فحزب العمال والفلاحين » ، والذي كان يعرف — اختصارا — باسم « ع. ف. » . وفي اواخر ١٩٤٩ تكون « الحزب الشيوعي المصري » والذي كان يعرف في الاوساط السياسية المصرية باسم « الراية » نسبة الى صحيفته السرية « راية الشعب » . ثم تنابت الانسلاخات في « حدثو » ، حتى بلغ عدد المنظمات الشيوعية في مصر عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، ١٣ منظمة سرية . وفي الثامن من يناير (كانون الثاني) ١٩٥٨ اتحدت كل المنظمات المصرية ، فيما عرف بالحزب الشيوعي المصري ، ثم عادت حدثو ، بعد اربعة اشهر من الوحدة ، الى الانسلاخ عن الحزب . وفي ربيع عام ١٩٦٥ ، اعلن كل من الحزب وحدثو حل تنظيميهما .

وفي الفترة التي كانت فيها المنظمات الشيوعية تشارك في النشاط السياسي ، اصدرت واشترت امتياز العديد من الصحف ، التي لم يكتب لها الدوام ، وتميزت بقصر العمر ، نتيجة الملاحقة المستمرة من اجهزة الامن ، ومحاربتها لها بسلاحي الاغلاق والمصادرة .

ولم ترد في مقالي هذا بعض الصحف والمجلات ، التي عرف عنها صدورها عن منظمات شيوعية ، ويعود ذلك الى اسباب مختلفة . ١ — بعض هذه الصحف لم يعالج ولم يتطرق للقضية الفلسطينية . كجبل « التطور » التي كانت تصدرها جماعة « الخبز والحرية » التروتسكية في الاربعينات . و« الغد » ، التي صدر منها ثلاثة اعداد في الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٣ ، ثم عادت الى الظهور عام ١٩٥٩ ، ليصدر منها ثلاثة اعداد اخرى ، ومن المعروف انه كان لحدثو نفوذ كبير عليها . وسبب عدم تطرق المجلتين المذكورتين

في اعقاب ثورة ١٩١٩ المصرية ، تجمعت الحلقات الماركسية المصرية والاجنبية ، مكونة « الحزب الاشتراكي المصري » الذي اعلن برنامجه الاول في ١٨ أغسطس (آب) ١٩٢١ . وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٢٣ تقرر تغيير اسم الحزب الى « الحزب الشيوعي المصري » . وفي عام ١٩٢٤ — وتحسب ضغط اصحاب رؤوس الاموال الاجانب وتهديد سلطات الاحتلال البريطاني التي ارسلت بوارجها الى الاسكندرية — صفي بالقوة اعتصام عمالي كان يقوده الحزب ، ثم سرعان ما اصدرت حكومة سعد زغلول قرارا بحل الحزب واتحاد العمال معا ، واصدرت احكاما قاسية على قادة الحزب . وفي عام ١٩٢٨ القى القبض على مجموعة اخرى من قادة الحزب . واستمرت الحكومة المصرية في مطاردة اعضاء الحزب . وابتداء من عام ١٩٣٩ ، بدأت تتكون حلقات ماركسية جديدة ، خاصة بين الاجانب . فكانت « الحركة المصرية للتحرر الوطني » و « الايسكرا » و « الطليعة الشعبية للتحرر » و « الخبز والحرية » . وفي عام ١٩٤٦ تأسست « حدثو » نتيجة لاتحاد « الحركة المصرية » و « ايسكرا » . كما تغير اسم منظمة الطليعة

* المقصود هنا هي الصحف العلنية التي كانت تصدرها المنظمات الشيوعية السرية في مصر . وتأتي ضرورة (مقال المعلومات) هذا ، بعد محاولات تشويه وتسويد مواقف الاحزاب الشيوعية العربية من قضية فلسطين ، والتي وصلت ذروتها ابان الصدام بين الاتجاهين ، القومي والشيوعي ، في وطننا العربي ، فيما بين عامي ١٩٥٩ — ١٩٦٤ . ويلاحظ ان الطرف الاخر ، أي الاحزاب الشيوعية العربية ، كان قد عمد — في رده — الى التبسيط والانفعال دون التاصيل والتوثيق .

بلفور الى فلسطين وسوريا، فنشرت عنها ريبورتاجا شيقا ، وقالت « كأن لم يكفه ما فعلته زيارته لاهالي فلسطين ، وأي تذكرا مؤلم تركه في أنفسهم، فأراد أن يتسلى بتعذيب اهل سوريا ، ويتلهى بأن يتفرج على عذابهم والمهم عندما يزور بائع شقيقة بلادهم للمستعمرين من اليهود » . ثم تستعرض الصحيفة وقائع المطاردة العنيفة التي قامت بها الجماهير السورية واللبنانية في دمشق وبيروت للورد بلفور . مما اضطر للورد الى الفرار من المدينتين المذكورتين ، طلبا للنجاة(١).

وفي حديثها عن الاحتفال بعيد العمال في أول مايو في فلسطين، تحدثت «الحساب» عن اتحاد العمال العرب واليهود « رغم الخلاف الحيوي الشديد بين سكان فلسطين من العرب الوطنيين وبين اليهود الصهيونيين المستعمرين ... وذلك لان العمال الوطنيين يعلمون حق العلم أن لا شأن للعمال اليهود بالحركة الاستعمارية الصهيونية ، لانهم ضد كل استعباد واستعمار ». وتحدثت «الحساب» عن انقطاع جميع عمال فلسطين عن العمل في هذا اليوم وقيامهم بتظاهرات كبرى في معظم مدن فلسطين وخاصة في القدس وحيفا . كما أشارت الى الصدام الذي وقع بين رجال الشرطة والمتظاهرين . وقالت « الحساب » ، على لسان مندوبها في فلسطين ، ان المتظاهرين من العمال كانوا « يهتفون بسقوط وعد بلفور ، وبسقوط الانتداب الانجليزي ، وبسقوط الصهيونية والاستعمار . وهتفوا اليوم ثمان ساعات ، وبحياة العامل ، وغير ذلك من النداءات »(٢).

٢ (الأسبوع : مجلة اسبوعية ، صدر العدد الاول منها في أول يناير (كانون الثاني) ١٩٣٤ . ولم يكن للصحيفة عند صدورها اي صلة بالمنظمات اليسارية . ومنذ العدد ذي الرقم ٤٧٤ ، المؤرخ في ١٥ يوليو (تموز) ١٩٤٣ ، قامت « لجنة نشر الثقافة الحديثة » بتحرير عدد من الاسبوع وترك آخر لهيئة التحرير القديمة . ومن المعروف ان لجنة نشر الثقافة الحديثة كانت منظمة علنية لتنظيم « الطليعة الشعبية للتحرر » السري . وقد ضمت العديد من العناصر الشيوعية البارزة ، منهم يوسف درويش ، سعيد خيال ، واحمد رشدي صالح . وكان العدد ٥١٢ ، الصادر في ١٩/٤/١٩٤٤ ، هو آخر الاعداد التي اشرفت لجنة نشر الثقافة على اصدارها .

لل قضية الفلسطينية هو تخصصها ببحث المسائل الايديولوجية والادبية . اما المجلة الثالثة فهي « دراسات سوفيتية » التي اصدرتها دار الفكر ، التعبير العلني لحدثو ، وكانت دراسات سوفيتية تصدر بصفة غير دورية ، وقد تخصصت في نشر مقالات سوفيتية فقط . ٢٠ - ان البعض الآخر من هذه الصحف ، وان كان الشيوعيون هم الذين يحررونها ، الا ان منظماتهم لم تكن هي التي اصدرتها . كصحيفة « المساء » ، والتي كان اغلب كتابها ومحريها ، فيما بين اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦ - مارس (اذار) ١٩٥٩ ، من الشيوعيين . الا أن رخصة الصحيفة كانت باسم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر شخصيا ، شأنها شأن صحف دار التحرير (الجمهورية ، التحرير ، اجبشيان جازيت ، وكرنفال) وشأن صحيفة الشعب التي كان يرأس تحريرها المرحوم صلاح سالم ، عضو مجلس قيادة الثورة المصري . اما مجلة الطليعة القاهرية والتي اخذت في الصدور منذ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٥ ، فقد صدرت عن مؤسسة الاهرام . كما أن مجلة الكاتب كانت قد صدرت عن دار التحرير ، ثم انتقلت ملكيتها الى وزارة الثقافة ، ومنذ نوفمبر ١٩٧١ ، تخلت وزارة الثقافة عنها وبذا اصبحت المجلة الوحيدة في مصر ، التي لا تصدر عن مؤسسة حكومية او الاتحاد الاشتراكي .

١ (الحساب : صحيفة اسبوعية ، اصدرها الحزب الشيوعي المصري ، وكان العدد الاول منها قد صدر يوم الثلاثاء الموافق ٢١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٤ . وكان ابراهيم الصيحي هو صاحبها ورئيس تحريرها . وظلت « الحساب » تصدر حتى العدد السابع عشر منها ، والمؤرخ في الثامن من مايو (أيار) ١٩٢٥ .

وبالرغم من أن القضية الفلسطينية لم تكن ، عند صدور هذه الصحيفة ، قد طرحت بالعمق الذي بدا بعد ثلاثينات القرن الحالي ، وبالرغم من ان الحساب كانت قد أثبتت في صدر صفحاتها الاولى انها « تعنى بنوع اخص بالشؤون الداخلية » ، وبالرغم من ضعف الفكرة العربية في مصر آنذاك ، وبالرغم من قصر عمر الصحيفة المذكورة ، الا اننا نلاحظ انها قد اهتمت بالمسألة الفلسطينية والصهيونية بشكل لم نجد في أية صحيفة مصرية في ذلك الوقت . فقد تصدت الحساب لزيارة اللورد

هو صاحب امتيازها ورئيس تحريرها . ومنذ العدد السادس والعشرين ، الصادر في العشرين من مارس (آذار) ١٩٤٦ ، دون اسم ابو سيف يوسف سكرتيرا لتحرير المجلة . وأخذت المجلة تصدر صباح كل اربعاء . وكان العدد الثاني والاربعين هو اخر اعداد المجلة ، وهو الصادر في العاشر من يونيو (حزيران) ١٩٤٦ .

ومن المعروف ان مخلص عمرو وبولس فرح - مندوبي مؤتمر العمال العرب بفلسطين - كانا قد مرا بالقاهرة لدى زهابهما وعند عودتهما من « مؤتمر نقابات العمال العالمي » الذي انعقد في باريس في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٥ . وقد اتصل عمرو وفرح اثناء وجودهما بالقاهرة ببعض الشيوعيين المصريين ، ومن ضمنهم مجموعة « الفجر الجديد » . وكان لهذا الاتصال اثره الكبير في تعريف الشيوعيين بحقيقة قضيتنا الوطنية وابعادها ، وقد انعكس ذلك في كتابات الشيوعيين المصريين ، فاتسمت مقالاتهم عن القضية الفلسطينية ، بعدئذ ، بالعمق والدقة ، كما كان من نتيجتها كبر حجم المادة المنشورة عن فلسطين في صحف اليسار الشيوعي المصري .

ويكتب صادق سعد مقالا ، بدون توقيع ، اشار فيه الى المطالب والشعارات التي ترفعها عصبة التحرر الوطني الفلسطينية ، وهي « السعي لاجاد مجلس نيابي في البلاد يمثل الشعب تمثيلا ديمقراطيا ، ويمكن جميع السكان من الاشتراك في ادارة شؤونه كخطوة تقربه اكثر فأكثر من هدفه النهائي : الاستقلال والسيادة الوطنية » ويؤكد صادق سعد في مقاله ان كفاح فلسطين الوطني الديمقراطي يتجه « الى الحصول على الاستقلال ، والتخلص من الطغيان الصهيوني » ويشير الى مطالب الحركة الوطنية في مجال انشاء النقابات العمالية ، والمدارس ، ويؤكد ان الحركة الوطنية الفلسطينية « لا تطالب فقط بهذه المطالب المادية لتحسين حالة الشعب ، بل تطالب ، بالدرجة الاولى ، بحكم ديمقراطي تمثيلي » . وفي المقال نفسه يقدم صادق سعد تقريبا دقيقا للصهيونية باعتبارها « حركة استعمارية ليست في الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار اكثر ما يمكن من منابع المواد الاولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة ، والصهيونية بطبيعتها ، التي اشرنا اليها ،

وفي مقال لها تحت عنوان « مشكلة فلسطين » ، أشادت الاسبوع باحتجاج مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزراء المصري آنذاك ، الذي قدمه الى الكونجرس الامريكسي ، بشأن موقف امريكا من مسألة فلسطين ، ورات المجلة المصرية ان مذكرة النحاس « تعبر عن موقف كل تقدمي ازاء هذه المشكلة » . ويرى كاتب المقال ان قضية « عرب فلسطين لا تعارض مبدأ تحرير الاقليات . وكما قالت المذكرة المصرية ، لا فائدة في ترحيل الاسرائيليين من البلاد الغاشية الى فلسطين ، لجعله اضطهادا جديدا هناك ، يدفع ثمنه العرب سواء كانوا مسلمين ام مسيحيين ام اسرائيليين » . وأكدت المجلة « ان ميثاق التحرير نفسه هو الذي سيسمح أيضا ، للاسرائيليين أن يقضوا في بلادهم ، التي هي تحت نفوذ النازية ، حياة سعيدة طليقة اسوة بمواطنيهم الاوربيين » وشددت الصحيفة على كون « شؤون فلسطينية تخص الفلسطينيين وحدهم » . وأشاد المقال بتضامن الشعوب العربية ، وأعرب كاتب المقال عن أمله في أن تمنع الهجرة منعا باتا الى فلسطين « ويرد للفلسطينيين حتمه المسلوب فيدبرون شؤونهم بلا تدخل سواء كان شرقيا أم غريبا » (٣).

وتعرضت الاسبوع في العدد نفسه لكاتب الدكتور يوسف هيكل ، « نحو الوحدة العربية » وانتقدت فيه عدم تضمنه « أية اشارة الى الاغراض المشروعة الحقيقية التي تنشدها الشعوب العربية من وراء وحدتها . ثم هو في الوقت ذاته يعالج الموضوع معالجة مائعة سطحية غير صحيحة ، توأمها الخضوع امام العراقل القائمة والتسليم بالمظالم الموجودة » (٤).

وعندما تأسست « رابطة المثقفين العرب » في فلسطين ، منبثقة عن عصبة التحرر الوطني الفلسطينية ، رحبت « الاسبوع » بها ، ونشرت جزءا كبيرا من مبادئها الاساسية (٥).

٣ الفجر الجديد : وفي مايو (أيار) ١٩٤٥ ، أصدرت منظمة « الطليعة الشعبية للتحرر » مجلة علنية باسم « الفجر الجديد » . وقد صدر العدد الاول منها في السادس عشر من مايو (أيار) ١٩٤٥ . وظلت تصدر كل نصف شهر مرة ، حتى العدد السادس عشر منها ، الصادر في الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٤٦ ، حيث أخذت في الصدور اسبوعيا . وكان احمد رشدي صالح

معارضة حركة العرب الديمقراطية ... وهي تستثمر عشرة ملايين من الجنيهات في فلسطين لحساب امثال شركة البوتاس وشركة الكهرباء وروتشيلد ، وغيرها من المؤسسات الرأسمالية التي تعتصم الشعب الفلسطيني كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ... والصهيونية تجد سنداً قانونياً في تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ويربطها هذا بالانتداب «(٦)».

وعندما تصدر «رابطة المثقفين العرب» الفلسطينية مجلة «الغد» ، ترحب الفجر الجديد بصدور زميلتها ، وتصفها بأنها «صوت جديد مخلص يرغمه الكتاب الاحرار هناك مدافعا عن أسس ما في حياة البشر : الحرية السلمية ، والعدالة الاصلية ، والديمقراطية الحقيقية» (٧).

ويوزر د. ن. بريث ، عضو مجلس العموم عن حزب العمال البريطاني ، الاسكندرية في خريف ١٩٤٥ ، فيلقتي به مندوب الفجر الجديد ، ويوجه اليه عدة اسئلة ، يتضح لنا ، من خلال سؤاله الخاص بالصهيونية مدى الفهم العميق الذي يتمتع به مندوب المجلة للمسألة الصهيونية ، اذ نجده يسأل بريث «يعتبر المصريون الاحرار ان الصهيونية ، بأشكالها السياسية والاقتصادية ، ونشاطها المناهض للحرية ، تقوم حجر عثرة في سبيل استقلال البلاد العربية ، وأن القضاء عليها ضرورة يفرضها قيام سلام عالمي وتحتها سلامة الديمقراطية والحرية في الشرق الاوسط . يرى المصريون الاحرار هذا الرأي ، ويراد معهم العرب المخلصون في جميع بلاد العالم ، بينما يستغل الرجعيون تردد العمال من الصهيونية ، فيذيعون أنهم يؤيدونها بأعمق مما يؤيدها المحافظون ، فهل يحس الرأي العام البريطاني خطورة هذه المسألة عامة وعلى نمو الديمقراطية والحركات الشعبية على وجه الخصوص ؟ » وجاءت اجابة المفكر التقدمي البريطاني واقعية وصريحة وواضحة ، اذ اجاب « لا اظن أن الرأي العام البريطاني متنبه الى خطورة الصهيونية او الشر الذي يمكن أن تحدثه ، وأما الرأي العام اليساري فيعادي الاستعمار ولا يثق بالصهيونية ، ولكنه قد تأثر بالآم اليهود في اوربا . لا شك ان هناك عملا كبيرا يجب ان يؤدي قبل أن يتضح الموقف للرأي العام» (٨).

ولدى عودته من باريس كتب مخلص عمرو مقالا

في الفجر الجديد اشار فيه الى ان « الطبقة العاملة في العالم اصبحت لا تترى انها طبقات مختلفة متباعدة . ولا كتلا مناضلة منعزلة ... وأن وحدة وفود العمال العربية في هذه المؤتمرات أدت الى انتخاب رئيس الوفد اللبناني عضوا في اللجنة المركزية ، والى محاربة الصهيونية بين صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية ، مما ألغى ونفى مساعدة العمال العالميين لها » (٩).

وفي العدد نفسه نشرت « الفجر الجديد » (برنامج مندوبي نقابات مصر في مؤتمر النقابات العالمية المنعقد في باريس) ، وقد تضمن البرنامج تسع مواد ، وجاء في مادته السابعة « ٧ - مناصرة فلسطين العربية في كفاحها ضد الاستعمار والصهيونية باعتبار هذه الاخيرة نوع من انواع الفاشية » (١٠).

وتنشر المجلة تصريحا لمخلص عمرو وبولس فرح ، كان قد ادليا به لوكالة الانباء الفرنسية في باريس ، وجاء فيه أن مسألة فلسطين ليست « مسألة جنسية بل مسألة سياسية . وان كان اليهود ديمقراطيين فلا يجب ان يكافحوا من أجل دولة يهودية ، بل من أجل استقلال الدولة الوطنية الديمقراطية الفلسطينية » . وعلقت الفجر الجديد على هذا التصريح بقولها « ... والواقع اننا لا نرى من جانب الصهيونيين ، على اختلاف احوالهم ، أي نداء لجلاء قوات الاحتلال عن فلسطين ، بل أن الاستثمار نتيجة لهذا الموقف في أمان بفلسطين ، الى درجة تسمح له بأن يشرع ، كما جاء اخيرا ، في تحويل فلسطين الى معقل استعمار رئيسي في الشرق الاوسط ... وقد زاد نشاط الرأسماليين الامريكيين في تأييد الصهيونية ، ليسربوا عن طريقها سيطرتهم على الشرق العربي » (١١).

وفي مقال « احتضار الصهيونية » وصف صادق سعد الصهيونية بأنها «حركة رأسمالية استعمارية، يقوم بها كبار الرأسماليين الاحتكاريين ، ليستغلوا موارد فلسطين وشعبها وموقعها الاستراتيجي ... فالوطن (القومي) الذي تسمى الصهيونية السى تأسيسه في فلسطين لم بين الا عن طريق رؤوس أموال ضخمة تبلغ ١.٥ ملايين جنيه ... حجم التبرعات منها ٢٠ مليون جنيه فقط . اما الباقي - وهو الجزء الاكبر - فجاء عن طريق المؤسسات المالية الانجليزية ، التي أتت بعشرين مليوناً من الجنيهات ، والامريكية ، التي (ساهمت) بعشرة

ملايين ، والالمانية الخ . ولم تكن هذه المنشآت المالية يهودية جميعا ، كما لم تكن ايضا اموالها يهودية صرفة : فلورد هيرست ، رئيس الشركة الكهربائية جنرال اليكتريك ، عضو مجلس ادارة شركة الكهرباء الفلسطينية . ولورد ملتشت ، رئيس شركة الصناعات الكيماوية البريطانية (ا.ي. سي. اي) ، عضو مجلس ادارة شركة البوتاس الفلسطينية ، يجلس بجانب مستر ه. ساش ، وهو مدير شركة ماركس وسينسر ليمتد الانجليزية . وبنك باركليز الانجليزي هو الذي يقدم القروض الى شركات الاراضي الصهيونية ، في حين ان شركة برودينشيل للتأمين الامريكية استثمرت مليوناً وسبعماية وخمسين الف جنيه في ترموض البناء سنة ١٩٣٥ » . ويصل الكاتب الى نتيجة مؤداها ان « ليس جميع الصهيونيين يهودا » . ثم يشير الى مخاوف الصهيونية التي اثارها سقوط الفاشية ، ويستشهد بأحد مشاهير الصهيونية « روبين » ، الذي عبر عن هذه المخاوف في كتابه « يهود العصر الحاضر » ، حين قال « ان تلاشي اضطهاد اليهود بسبب تلاشي الصهيونية ... فاضطهاد اليهود احسن مثر لصلحة الصهيونية » . ويشخر كاتب المقال من زيارات عبد الرحمن عزام بك ، امين الجامعة العربية آنذاك ، المتعددة الى عواصم العالم ، والتي تخضت عن تصريح عزام بك الذي ادلى به في لندن ، والذي أكد فيه بان « الجامعة العربية ترغب في وضع مسألة فلسطين على الرف لسنة واحدة » . ثم يعدد صادق سعد الضربات التي وجهت للصهيونية من اليهود الشرقيين والطبقة العاملة العربية واليهودية . ويشير كاتب المقال الى ان « الطبقات الكادحة اليهودية قد بدأت تياس من سياسة (تعاون الطبقات) ... وهذا المر بيرجر ، مدير جمعية يهودية امريكية ، يقول ان (حل المسألة اليهودية لا يكون بأنشاء ارض يهودية في فلسطين ، ولكن بواسطة الاعتراف لليهود بحقوق ومسؤوليات في أي بلد هبطوا اليه أو عاشوا فيه) . وهؤلاء يهود الاتحاد السوفيتي يستنكرون الصهيونية ويقطعون علاقاتهم مع جمعية النصر التابعة لها . بل وترى الشعب الهندي يؤيد قضية العرب في مؤتمر نقابات العمال الدولي ، الذي انعقد في لندن منذ أشهر قليلة » (١٢) .

العربية والخطر الصهيوني » ، أشارت فيه « الى الخطر الكامن في الحركة الصهيونية ، والى ضرورة حل المشكلة الفلسطينية حلا سريعا عادلا ... وان على الشعوب العربية كلها أن تتحد لوقف مناورات الاستعماريين الانجليز والامريكيين ، وهي المناورات التي تتخذ فلسطين مسرحا لها حتى تثبت اقدامها فيه وفي الشرق العربي من بعد . وهذه المطامع الاستعمارية يحاول أن يخفيها الاستعماريون الانجليز والامريكيون تحت ستار ما يسمونه الوطن القومي لليهود . وبذلك يخرجون المشكلة من نطاقها الاقتصادي الى نطاق عنصري وديني في حين ان الصهيونية ، قبل كل شيء ، حركة اقتصادية تحاول ان تبسط على الشرق العربي نفوذ الرأسمال الاجنبي » . وبينت الطريق ، في مقالها ، ان مشروع سوريا الكبرى « لم يكن في جوهره سوى مناورة رجعية خطيرة ترمي الى بناء دولة صهيونية تهدد جميع الاقطار العربية ، وجر سوريا ولبنان الى منطقة نفوذ استعماري معين الخط » . ونددت الفجر ، في تعليقها على ما جاء في الطريق ، بالمسؤولين العرب الذين اجتمعوا في الجامعة العربية « ولم يطالبوا بحل قضية فلسطين في حين انها أهم قضية تواجه البلاد العربية في المرحلة الحاضرة ، واول امتحان جدي يبين حقيقة الجامعة ومدى قوتها » . وتنتهي الفجر الى مناقشة الشعوب العربية الى التنبه ، في كفاحها ضد الصهيونية « الى حيل الاستعمار وصنائعه ، وان تقاوم تلك المشاريع التي تهدد مستقبل بعض البلاد العربية وان تصر على حل واحد للقضية الفلسطينية ، وهذا الحل يتمثل في أن فلسطين بلد عربي ، اكثرية عربية ، ولن يتم اتفاق بين اليهود والعرب ما لم يلغ الانتداب البريطاني الغاء تاما » (١٣) .

وفي منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٥ ، نشرت الفجر النص الكامل لبيان عصابة مكافحة الصهيونية ، الصادر في بغداد بمناسبة يوم وعد بلفور ، والذي ندد بالوعد المذكور (١٤) . وفي العدد نفسه كتب جهاد ، وهو الاسم الرمزي لصديق سعد ، مقالا بعنوان « حوادث ٢ نوفمبر » وصف فيه مكافحة الصهيونية بأنها « عمل وطني مجيد يجب ان تقوم به في حزم وقوة » ويعود جهاد الى وصف الصهيونية بأنها « حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الامريكي والبريطاني الان لتثبيت دعائمها في بلادنا العربية » ويؤكد « ان عدونا الاول هو الاستعمار البريطاني » ويتهم المقال

وتقتطف الفجر الجديد عن زميلتها البيروتية « الطريق » جزءا من مقال لها بعنوان « الشعوب

الاستعمار البريطاني « وسنائه من الرأسماليين الصهيونيين » بأنهم خالقو وعد بلفور . ثم انتقل جهاد إلى انتقاد الاحداث التي وقعت في مصر أثناء الاضراب العام احتجاجا على وعد بلفور ، وما قامت به بعض العناصر الفاشية - من اخوان مسلمين وعناصر مصر الفتاة - من مهاجمة لمحات سكن اليهود ومتاجرهم ، متها هذه العناصر بتحويل « حركتنا الوطنية عن مجراها الحالي ضد الاستعمار البريطاني والاستبداد الرجعي ، إلى حركة عنصرية » (١٥).

وعندما قررت الحكومتان البريطانية والأمريكية إيفاد لجنة إنجلو أمريكية إلى فلسطين ، تصدت الفجر لهذه اللجنة ، وأكدت « أن تعيين هذه اللجنة مخالفة صريحة لحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، بل أنها مخالفة للمنطق البديهي ، إذ أن العرب يشكون أولا وقبل كل شيء ، الاستعمار البريطاني الذي قدم فلسطين لقمة سائفة للصهيونية ، والاستعمار الأمريكي الذي يعتبر أهم عَضد للصهيونية الآن » . وعادت الجلسة إلى التساؤل مستنكرة « ... كيف يمكن بعد ذلك للجنة عينتها الحكومة الاستعمارية البريطانية وزودتها بممثلين للحكومة الأمريكية ، كيف يمكن للجنة هذا تشكيلها أن تحل مسألة فلسطين ؟ » وانتهى كاتب المقال إلى أن « لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالاستقلال » (١٦).

وفي العدد نفسه نشرت الفجر الجديد ، تحت عنوان « يقاومون الهجرة إلى فلسطين » ، النص الكامل لمقال كانت قد نشرته «الاتحاد» الصحيفة الأسبوعية لعصبة التحرر الوطني الفلسطينية . ويتم فيه كاتب المقال السلطات البريطانية والأمريكية بأنها « لم تتخذ إجراءات سريعة لتأمين عودتهم [يقصد عودة اليهود الموجودين في معسكرات أوروبا] إلى أوطانهم الأصلية » ويرى كاتب المقال « أن يؤيد اليهود بكل قواهم الديمقراطية الحقيقية التي بدأت تنتشر في أوروبا الوسطى والشرقية ، وهكذا يصبح في مقدورهم أن يتفهموا إمكانيات عيشهم الواسعة في ظلال هذه الديمقراطية الجديدة » . ويؤكد مقال الاتحاد « أن قضية اللاجئين اليهود تنفصل تمام الانفصال عن قضية فلسطين ومستقبلها » وينتهي إلى أن حل قضيتي فلسطين والمهاجرين اليهود « يكون على أساس الخطوط العريضة الآتية : ١ - تسليم المسؤولية في معاملة هؤلاء اليهود

اللاجئين ... إلى ممثلين عن منظمات اليهود ... من الاقطار الديمقراطية ٢٠٠٠ - أن يسمح للرعيا البريطانيين ... بدعوة اقاربهم إلى بريطانيا ... ٣ - تثقيف هؤلاء اليهود بضرورة عودتهم إلى أوطانهم الأصلية ... ٤ - وبعد ذلك ، إذا بقي من لا يرغب في العودة إلى وطنه الأصلي ، من الواجب تأمين اللجأ له في الاقطار الديمقراطية المتعددة ... ويجب الا يسمح بالهجرة إلى فلسطين الا بعد اخذ موافقة سكان فلسطين ، موافقة ديمقراطية غير اجبارية . ٥ - ... من واجب بريطانيا أن تضع خطة لمستقبل فلسطين . خطة تقودها إلى حريتها ورخائها » (١٧).

وعندما ألقى مستر أرنست بيغن ، وزير الخارجية البريطانية آنذاك ، بيانه عن قضية فلسطين ، والذي طالب فيه أمريكا بالمشاركة في (حل) المشكلة الفلسطينية !! عقدت الجامعة العربية اجتماعا لها ، وردت على بيغن بأنها « واثقة ان الحق لا يتجزأ ، وان المبادئ الديمقراطية التي قام عليها نظام الامم المتحدة الذي تشترك فيه الدول العربية لا يدع مجالاً لأي شك في حق عرب فلسطين في توجيه حياتهم الوجهة التي يريدونها ، وهي استقلال فلسطين الذي ينتظر العرب تحقيقه بأسرع ما يمكن » . وتنتقد الفجر « الروح الرخو المستخذي » لرد الجامعة ، وتشير إلى أنها كانت ترجو « أن تظهر الجامعة في صراحة وعزم مسؤولة الانتداب في أزمة فلسطين الحاضرة . وأن تطالب بقوة بمنح الشعب الفلسطيني حرياته التي تتمشى مع كفاحه الجيد وتتلام مع مقررات المؤتمرات الدولية » . ويشير المقال ، إلى دلالة (استدعاء) أمريكا « للمعاونة في حل قضية فلسطين ، فأمریکا الاستعمارية تأتي لتظاهر بريطانيا الاستعمارية في الشرق الاوسط ضد خطر المعسكر السلافي الذي تفترض وجوده . وبريطانيا تكفل القوى الرجعية في الشرق العربي ليكون نطاقا صحيا آخر حول النفوذ السوفييتي . يأخذ هذا التكتل أحد أشكاله في جامعة الدول العربية » . وتورد الفجر بقية خطاب الجامعة إلى بيغن ، والذي تشير فيه إلى تأكيد مجلسها « رغبته في أن يسود العلاقات العربية البريطانية ، دائما ، أحسن التفاهم ، وان يكون تناول المشاكل وحلها على ضوء المبادئ السامية الإنسانية » . وتهزأ الفجر من مجلس الجامعة الذي « يريد ان يتفاهم مع الاستعمار » « يمثل حكومات ولا يمثل شعوبها ... ويقف حائلا بين

الشعوب العربية وبين التحرر ... وهو غير جاد في محاربة الاستعمار كله ومتراح في محاربة عميله وصنيعه الا وهو الصهيونية . ويرى كاتب المقال « ان الصهيونية لا يكافحها مجلس من حكومات عربية متهادنة مع الاستعمار ، او غير جادة في محاربهه ، بل يحاربها نشر ومساعدة الوعي في الشعوب العربية ، وذلك بتعميق الديمقراطية فيها واطلاق حرية الصحافة والرأي والاجتماع والخطابة » ثم يشير المقال الى تكتل الجامعة العربية للاحزاب العربية في فلسطين فيما عرف بـ « الهيئة العربية العليا » فرى ان « تجاهل القوة الوحيدة التي بح صوتها بالدعاء الى تكوين جبهة وطنية ، ونعني بها عصابة التحرر الوطني ، فتكتيل آخر في صالح الاستعمار ، للقوى الرجعية المتهادنة معه ، واضعاف من جهة اخرى للقوى الشعبية التي هي القوى الوحيدة القادرة على مكافحة الصهيونية » . وينتهي علي الراعي ، كاتب المقال والمتستر تحت اسم « علي الكاتب » الى « ان حل قضية فلسطين ومكافحة الصهيونية لن يتم الا بمكافحة الاستعمار اولا وقبل كل شيء ، والنهوض بالشعوب العربية واطلاق حريتها الى آخر مدى » (١٨) .

وكتبت « الاتحاد » الفلسطينية مقالا بقلم فؤاد نصار، نددت فيه بالاعتقالات التي قام بها اسماعيل صدقي ، رئيس وزراء مصر آنذاك ، في ديسمبر ١٩٤٥ ضد الشيوعيين والديمقراطيين المصريين ، وقد نشرت الفجر هذا المقال (١٩) . كما كتبت الغد ، مجلة رابطة المثقفين العرب الفلسطينيين ، مقالا بعنوان « الاشتراكية جريمة في مصر » ، نقلته عنها الفجر الجديد رأته فيه « ان ليس أغرب على السمع ان تكون الاشتراكية تهمة في هذه الايام ، ولا أوغل في خيانة الوطن من منح الطبقة العاملة من التنظيم والتكاتف ولا أرخص ضميرا أو أحط نفسا ممن يبيع نفسه وقلبه لمستعمره » . وينتهي كاتب المقال الى « أن سمعة مصر ، وان الحق قبل سمعتها، يقتضيان اطلاق حرية الاحرار، اشتراكيين كانوا أو ديمقراطيين » (٢٠) .

وتدين الفجر الجديد مندوب مصر في مؤتمر سان فرانسيسكو ، لانه « لم يؤد لفلسطين العربية حقها على مصر بوصفها عضوا في الجامعة العربية ، ودولة شقيقة تقع صريعة الاستعمار » وتشيد المجلة اليسارية المصرية ، في الوقت نفسه ، بموقف المندوب السوري في المؤتمر المذكور ، الذي

تمنى « رؤية فلسطين تتحرر وفقا لرغبات أهلها من أي انتداب او وصاية » (٢١) . وفي العدد نفسه نشرت الفجر بيان المكتب السياسي لعصبة التحرر الوطني بفلسطين ، والخاص بلجنة التحقيق الانجلو - امريكية ، والذي أكد فيه ان « في اثاره موضوع الهجرة مؤامرة لإبعاد الشعب العربي عن نضاله الحقيقي في سبيل الغاء الانتداب واستقلال فلسطين » . كما رفض البيان تحمل الجامعة العربية مسؤوليات القضية الفلسطينية ، مصرأ على « أن تكون قيادة النضال الوطني في فلسطين بأيدي الشعب العربي المجاهد ، وان تكون الجامعة العربية مؤيدا ومؤازرا » ووصف المكتب السياسي ، لجنة التحقيق الجديدة بأنها مجرد « هيئة استعمارية تريد ان تفرض سياسة (جديدة) بعد ان نقضت جميع السياسات » . ورفض البيان الاعتراف « بقانونية أية هيئة او لجنة تحقق في مصرنا » (٢٢) .

ويساند ابراهيم الكاشف ، وهو الاسم الرمزي لريمون دويك ، موقف عصابة التحرر هذا ، فيؤكد ان « الاوساط الرجعية في لندن وواشنطن تبذل تصارى جهدها لجعل هيئة الامم المتحدة هيئة قاصرة ولهذا تعجلت في تعيين لجنة انجليزية امريكية للفصل في مشكلة فلسطين قبل اجتماع هيئة الامم المتحدة ، حتى لا تفسح المجال أمام الرأي العام العربي لبيسط قضيته أمام الرأي العام الدولي لا أمام هيئة تحكيم هي في الواقع أحد الطرفين المتخاصمين » (٢٣) .

وتورد الفجر خبرا عن أن « اينشتاين يتهم الاستعمار » قالت فيه « ان الدكتور ألبرت اينشتاين ، العالم اليهودي وصاحب نظرية النسبية، قرر أمام لجنة التحقيق [الانجلوأمريكية] (انه لا يوافق مطلقا على انشاء دولة يهودية لانها فكرة قديمة بالية ، والحق أن أوروبا مريضة بالشعور الوطني) وقد اتهم بريطانيا بتحريك اسباب الاضطراب بين العرب واليهود ، وان الاستعمار البريطاني يسر على مبدأ « قرق تسد » ، واقترح اسناد ادارة هذه الارض المقدسة الى هيئة الامم المتحدة » (٢٤) .

وعندما دست الجامعة العربية انها في القضية الفلسطينية ، نددت بها جريدة الاتحاد اليسارية الفلسطينية ، ونقلت عنها الفجر مقالا كاملا بعنوان « الى اين تسر الجامعة العربية ؟ » أشارت فيه الاتحاد الى « وقوف الجامعة العربية موقفا

تعاونيا مهادنا للاستعمار البريطاني... ولم تطالب
بالغاء الانتداب البريطاني عن اهل فلسطين» ووصف
مقال الاتحاد ، الجامعة العربية بأنها « لينة ،
مهادنة ، مترددة ، قلقة ... وان نضال الشعوب
العربية ، وحده ، هو الكفيل بتحقيق اهداف
الشعوب العربية ، وهو الذي سيجعل من الجامعة
العربية منظمة للنضال ضد الاستعمار وأعوانه
الرجعيين » (٢٥).

وفي العدد نفسه نشرت الفجر الجديد برقية لملخص
عمرو ، سكرتير اللجنة التنفيذية لمؤتمر العمال
العرب في فلسطين ، الى اسماعيل صدقي باشا ،
يستنكر فيها اعتقال القادة النقابيين المصريين (٢٦).
واستنكرت الفجر الجديد موقف ممدوح بك رياض ،
مبعوث الحكومة المصرية امام لجنة التحقيق الانجلو
أمريكية ، حيث قال أمام هذه اللجنة « ان الكتاب
الابيض قد حل مشكلة فلسطين بعد أن قبله
العرب » . واعتبرت المجلة المصرية « ان ممثل
الحكومة أيد الاستعمار » (٢٧).

وعادت الفجر الى « موقف الجامعة العربية من
لجنة التحقيق » ، وتحت هذا العنوان كتب ل. ع. ،
وهذه هي الاحرف الاولى لاسم لبيب عزوز ، مقالا
استنكر فيه خلو جدول اعمال مجلس الجامعة
العربية من اي بند « يمس الصراع الدامي الذي
يدور بين شعوب بلادنا العربية والاستعمار
البريطاني !! » ورجح الكاتب المصري ان لا يعرض
المجلس « في جد وحزم للقضية التي سوف تعرض
عليه : قضية فلسطين » . ووصف الجامعة العربية
بأنها « كانت في الواقع مسرحية من بدايتها » .
وأشار الى « سياسة التهدئة التي يقود دفتها
رجال الجامعة العربية » الذين « طرحوا جانباً
مسألة الاستعمار البريطاني في فلسطين وعجزوا
عن معالجة مشكلة اللاجئين باعتبارها مشكلة
منفصلة عن مشكلة اليهود » . وأكد عزوز « ان
المسألة ليست تأييد او مناهضة الكتاب الابيض ،
وليست تقسيما لفلسطين ، وليست لجانا استعمارية
مفروضة ، ففلسطين جزء من العالم العربي ،
وتطورها السلمي لا ينفصل عن التطور السلمي
لجيرانها من البلاد العربية وهذا لن يتحقق عن
طريق اتفاقات ثنائية بريطانية امريكية » . وأكد
لبيب عزوز ان الحل يكن فيما أقره المؤتمر الثامن
عشر للحزب الشيوعي البريطاني ، والمتضمن
« انتهاء الانتداب والاعتراف بالاستقلال الوطني

لفلسطين في ظل نظام ديمقراطي يكفل الحرية
والحقوق المتساوية للعرب واليهود » . كما ايد
كاتب المقال ما كان قد صرح به مخلص عمرو ،
في وقت سابق ، من ان الحل يتلخص « في المطالبة
بالاستقلال والحكم الديمقراطي ومنح اليهود
والاقلية الاخرى حقوق المواطنين وواجباتهم ووقف
الهجرة اليهودية ومعالجة مشكلة اللاجئين باعتبارها
مشكلة منفصلة عن مشكلة فلسطين واحالة قضيتها
على هيئة الامم المتحدة » (٢٨).

ونقلت الفجر الجديد أجزاء من خطاب نقولا شاولي ،
رئيس تحرير « صوت الشعب » جريدة الحزب
الشيوعي السوري اللبناني ، والذي كان قد ألقاه
في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي البريطاني ،
والذي جاء فيه « ... وفلسطين تطلب الغناء
الانتداب ووقف الهجرة ، والغناء الوطن القومي ،
واقامة حكم وطني دستوري قائم على الاستقلال
والديمقراطية » (٢٩).

وفي اعقاب الصدام الدامي بين الطلبة والعمال
المصريين من جانب والشرطة من جانب آخر ،
والذي ذهب ضحيته عشرات العمال والطلبة
الثائرين ، نقلت الفجر الجديد عن الغد الفلسطينية
كلمة لها بعنوان « لتعش مصر المناضلة » حيث
فيها نضال الطلبة المصريين وترحمت على شهدائهم
وأدانت الحكام المصريين الخونة (٣٠).

وتحت عنوان « ماذا في البلاد العربية ؟ » قالت
الفجر الجديد « ... والسياسة البريطانية ، بعد
المساومة مع المصالح الامريكية اخذت توجهه
نشاطها لترسيخ اقدمها الامبراطورية ، بجعل
فلسطين وطناً قومياً للصهيونية . واخذت تضغط
لمنع الحكومات العربية المناهضة لنفوذها من اتخاذ
اية سياسة جدية نحو قضية فلسطين » (٣١).

وبعد وصول لجنة التحقيق الانجلو امريكية الى
فلسطين ، نشرت الفجر البيان الذي أصدره في حينه
مكتب الرئاسة في عصبة التحرر الوطني ، في
أوائل مارس (آذار) ١٩٤٦ ، والذي طالب فيه
« برفض التعاون مع لجنة التحقيق واحباط مهمتها »
ويسمي البيان اللجنة « بلجنة التضليل ! » وتنبأ
مكتب رئاسة العصبة ، في بيانه ، بأن اللجنة
سوف تقترح تقسيم فلسطين . وناشد البيان
« اللجنة العربية العليا » بمقاومة اللجنة
المذكورة (٣٢).

وتعود الفجر فتنتشر برقبة ، كان قد أرسلها فريق من طلاب عكا وشبابها وعمالها الى اللجنة العربية العليا في القدس ، يحتجون فيها على قرارها بعدم الاضراب في فلسطين تضامنا مع الشعب المصري في حداده على شهدائه الاحرار(٣٢).

وتنشر الفجر بيانا كان قد وصلها من الهيئة المؤسسة لحزب الشعب العراقي (وهو حزب يساري تأسس ١٩٤٦ برئاسة عزيز شريف) ، بشأن اللجنة الانجلو - امريكية ، تشير فيه الى ان « مسألة فلسطين هي عين مسألة البلاد العربية كلها » والى مطالب الشعب الفلسطيني « بالتححر من الاستعمار البريطاني وبتحقيق نظام نيابي ديمقراطي » ووصف البيان مصدر تأليف اللجنة الانجلو امريكية بأنه « لا صفة له دوليا ويناقض ميثاق الامم المتحدة » . وان هذه اللجنة « تمثل الانجليز - وهم مستعمرو فلسطين - والامريكان - وهم الذين يريدون اخضاع فلسطين للاستعمار الصهيوني » . ويصف حزب الشعب ، في بيانه ، الصهيونية بأنها « حركة استعمارية بحته لا تريد في حقيقتها - الا استغلال اليهود كأداة لمقاومة الحركة الوطنية العربية » وكمصدر ارباح لكبار الاحتكاريين من اليهود وغير اليهود . وانتهى البيان الى وجوب « مقاطعة اللجنة » ، وان تحول قضية فلسطين الى مسألة دولية تعرض امام مجلس الامن(٣٤).

وعندما بدأ موظفو فلسطين ، العرب واليهود ، اضرابهم العام ، كتب أنور عبد الملك مؤكدا « ان الكفاح المشترك للجماهير اليهودية والعربية ضد المستعمر البريطاني لهو الحجر الاساسي لحل مشكلة فلسطين »(٣٥). وفي وقت لاحق نشرت الفجر الجديد نبأ اجتماع اللجنة التنفيذية لمؤتمر العمال العرب بالقدس في منتصف ابريل (نيسان) ١٩٤٦ ، واتخاذها قرارات وطنية ، منها : تحية الموظفين المضربين والمطالبة بالامعراج عن المعتقلين السياسيين ، وتحية قادة العمال المعتقلين في مصر(٣٦) .

وتستغل الفجر صدور بيان اللجنة الانجلو امريكية الماليء للصهيونية ، فتندد بالجامعة العربية التي سبق ومجدت اللجنة . ورأت الفجر أن تقرير اللجنة جاء بهذا الشكل « **اولا** : لان لجنة التحقيق كانت موفدة من أكبر البلدان الاستعمارية ، وأن هذين البلدين يؤيدان الصهيونية تأييدا قويا فعلا ،

ويعارضان استقلال فلسطين معارضة قوية ... **وثانيا** : لان الاستعمار في حاجة جوهرية للمحافظة على فلسطين حتى يجعل منها محورا لمناوراته ، ومؤامراته ضد الحركات الوطنية التحررية في الشرق العربي ، وضد الاتحاد السوفيتي ، ثم ان لفلسطين مركزا استراتيجيا ممتازا في سلسلة المواصلات الامبراطورية ... وأما السبب الثالث، فهو محاولة الاستعمار ان يظهر الحركة الوطنية كحركة عنصرية دينية موجهة ضد اليهود . ويرى كاتب المقال ان « امريكا وبريطانيا يريدان أن يفتكا بالشعب العربي في فلسطين » . ثم يعيد المقال الى الازهان معارضة الشيوعيين العرب والشيوعيين الفلسطينيين لهذه اللجنة عند تشكيلها(٣٧). وتواصل الفجر حملتها على اللجنة الانجلو امريكية ، فتنشر بيانا للجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب ، والذي ترفض فيه الرابطة قرار اللجنة المذكورة(٣٨).

وتنقل الفجر عن زميلتها اللبنانية «صوت الشعب» مقالا لمصطفى العريس، بعنوان «الحركة النقابية في الاقطار العربية» استعرض فيه الحركة النقابية العمالية في كل من مصر والعراق وفلسطين، مشيرا الى ان حركة الطبقة العاملة في الاخيرة قد انبثقت من صميم النضال الوطني الشعبي ضد الاستعمار والصهيونية ، ويستعرض بعد ذلك مراحل تطور هذه الحركة ونموها(٣٩).

وفي ركن « قالت الصحف والمجلات » نشرت الفجر جزءا من مقال لجريدة الاتحاد الفلسطينية ، وفيه يؤكد كاتبه ، « ان علينا ان نقود شعبنا وان نضع قضيتنا في مجلس الامن ، فذلك طريقنا ، وهو طريقنا نحو توحيد التعاون ما بين الشعوب الساعية لاستقلالها والتخلص من الاستعمار »(٤٠). وتزيد الاتحاد القضية وضوحا حين تنشر مقالا اخر ، تنقله عنها الفجر ، وفيه تقول « ... لقد رأينا سياسة بريطانيا وأمريكا ، وخبرنا عمليا اهدافها الاستعمارية في بلادنا ، فهل ستتغير الوضعية ان ذهبنا الى مجلس الامن حتى ان كانت بريطانيا وأمريكا فيه سائدة ... وعلى كل حال يكفينا ان نفضح سياسة بريطانيا في مجلس الشعوب وامام الشعوب »(٤١).

ثم تنشر المجلة المصرية بيان مكتب الرئاسة لعصبة التحرير الوطني ، الصادر في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، ردا على هجوم كان قد شنه جمال الحسيني ، رئيس الحزب العربي الفلسطيني ،

ومن العراق تطالعنا جريدة « الوطن » الناطقة بلسان حزب الشعب العراقي ، بمقال عن « المطامع الاستعمارية » ، تنشر الفجر اجزاء منه في ركن « قالت الصحف والمجلات » ، وعن فلسطين تتحدث الصحيفة العراقية ، فتؤكد ان الشعوب تعرف « من يحاول اخراج الشعب الفلسطيني العربي من بلاده ، لاحلال الصهاينة محلهم » (٤٧).

وفي الركن نفسه تقتطف الفجر اجزاء من مقال للغد الفلسطينية ، تقول فيه « ان سياسة الصهيونية قطعة من السياسة الرأسمالية الاستعمارية ، وجزء لا يتجزأ منها، وكتيبة من المعسكر الرأسمالي. وان اليساريين في جميع الاقطار العربية اعداء للاستعمار والصهيونية » وتنتهي المجلة الفلسطينية الى « ان مصلحة وطننا في اليسارية ويجب ان نكون كلنا يساريين » (٤٨). وفي الركن نفسه تنشر الفجر اجزاء من مقال « اهدافنا تتحقق بالتنظيم الديمقراطي الصحيح » عن الاتحاد ، وفيه تطالب الصحيفة الفلسطينية بضرورة « تنمية التنظيم الحزبي الصحيح وافساح المجال امام جميع التيارات الفكرية الديمقراطية لتقوم بدورها وتؤدي واجبها دون ارباب او ارهاق ... ليتيسر للشعب رؤية السياسة الصحيحة التي تلائم اوضاعه فيؤيدها ويسير في ركابها الى ان ينال اهدافه ويصل الى امانه ... » (٤٩).

وتحت عنوان « الى مجلس الامن » نشرت الفجر الجديد فقرات من كتاب مفتوح كانت قد وجهته اسرة تحرير الغد الفلسطينية الى الاحزاب والهيئات الديمقراطية في مصر والعراق وسوريا ولبنان طالبت فيه بعرض قضية فلسطين على مجلس الامن ، بغرض افشال قرار مجلس الجامعة العربية القاضي بتشكيل لجنة للتفاوض مع انجلترا (٤٩).

وتحت عنوان « في شرقنا العربي موجات اضطهاد » كتبت الفجر مقالا غفلا من اسم صاحبه ، اشارت فيه الى ان « موقف الوطنيين العرب من مسألة فلسطين اصبحت مقياسا لسلامة كياناتهم واستعدادهم لمقاومة الاستعمار كل في بلده » واكدت ان « الحركات التقدمية في مختلف البلاد العربية كانت في طليعة المدافعين عن فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية ». وينتقد المقال لين دول الجامعة العربية وتردها « اياما وشهورا قبل ان تتقدم لمفاوضة الاستعمار ، وتقرر الجامعة العربية بجانب القرارات السرية

ضد العصبة ومؤتمر العمال . وحدد البيان اهداف العصبة ودورها في «النضال في سبيل الغاء الانتداب، وانشاء حكومة وطنية ديمقراطية مستقلة » وأشار البيان الى ان العصبة « تفصل عمليا بين الصهيونية صنيعة الاستعمار وبين السكان اليهود المظلمين ، الذين يسرون وراء الصهيونية ... وترى من واجبها ان تضع سياسة ايجابية امام السكان اليهود الذين يختلفون بالاهداف والمصالح مع الصهيونية » (٤٦). ثم عادت الفجر الجديد ونشرت خبرا عبرت فيه عن « أسف زعماء عصبة التحرر الوطني بفلسطين للموقف الذي اتخذه جمال الحسيني » وقد نقلت الخبر عن الاتحاد الفلسطينية التي كانت قد اضافت أنه « ما كان ينبغي ان يورط جمال الحسيني نفسه في امور يجهل حقيقتها » (٤٦).

وفي مقال « على البلاد العربية ان ترفض الاستعمار » الذي نقلت الفجر اجزاء منه عن الاتحاد حثت الصحيفة الفلسطينية البلاد العربية لاقامة « السلم المنشود ، وان تقيمه بالتعاون مع جميع القوى الوطنية الصادقة في داخل بلادها وخارجها ، لا مع العناصر الاستعمارية التي تعمل على احباط محاولات الشعوب السلمية » (٤٤).

ويدي خالد بكداش ، سكرتير الحزب الشيوعي السوري ، بحديث الى جريدة صوت الشعب ، تنقل عنه الفجر ، حيث يقول عن فلسطين ، أن حزبه يدعو الى « العمل لتقوية التضامن العربي للنضال من أجل تحقيق الجلاء عن جميع الاقطار العربية واثقاذ فلسطين من الانتداب والصهيونية والاحتلال العسكري الاجنبي وانتزاع استقلالها » (٤٥).

ويكتب احمد رشدي صالح مقالا يوضح فيه أن الوطن العربي قد أصبح أهم منطقة احتكاك في العالم ، وبنه الا اننا يجب « الا ننسى ان الصهيونية تتسرب الى جسم بلادنا العربية بعدما نمت في قلب فلسطين . فجمياعاتها ونشاطها فسي مصر وسوريا ولبنان والعراق ، ناهضة تماما . ويشير ، في مرارة ، الى انه « في آخر اجتماعات الجامعة العربية تقرر ان لا تعرض قضية فلسطين على مجلس الامن باعتبارها نزاعا بين بريطانيا وفلسطين ، والنتيجة ان الجامعة العربية ساعدت الاستعمار في عزل فلسطين عن المعترك الدولي » (٤٦).

الخطيرة الوهية مساومة الاستعمار البريطاني على حساب فلسطين » ويشير الكاتب الى « تحويل فلسطين الى معتقل للعرب » ويختتم مقاله بنشر برقية من سجون العراق بتوقيع يوسف زلخه - رئيس عصبة مكافحة الصهيونية - ومحمد حسن ابو العيس - عضو هيئتها الادارية ، وكان المذكوران بنويان ارسالها الى امين الجامعة العربية والى مختلف الصحف والهيئات التقدمية في الاقطار العربية وفيها يحتج ، زلخه وابو العيس ، على تعطيل جريدة « العصبة » الناطقة بلسان عصبة مكافحة الصهيونية ، وعلى اعتقالها « ومهاجمة المطبعة واعتقال سكرتير ومحاسب العصبة لجرد اصدارنا كراسا يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار ، وعلى اعتقال اربعة اعضاء من جمعيتنا لجرد تقديمهم عريضة احتجاج على اعتقالنا » وتستعرض البرقية انجازات العصبة في مجال مكافحة الصهيونية والاستعمار ، ومؤازرة فلسطين (٥٠).

وعندما تمنع حكومة اسماعيل صدقي المجموعات الماركسية العلنية المصرية ، من عقد اجتماع لنصرة شعب فلسطين ، تعتمد هذه المجموعات الى جمع الكلمات التي كانت مستتلى في الاجتماع ، في كراس أصدرته « دار القرن العشرين للنشر بالقاهرة » وهي التعبير العلني الثاني للطليعة الشعبية للتححر ، بعد مجلة الفجر الجديد . والمجموعات الماركسية التي شاركت هي « دار الابحاث العلمية » ومن ابرز شخصياتها شهدي عطية الشانعي وعبد المعبود الجبيلي و « رابطة فتيات الجامعة والمعاهد » ومن اشهر عناصرها الدكتورة لطيفة الزيات و « اسرة تحرير الفجر الجديد » و « لجنة نشر الثقافة الحديثة » و « جماعة ام درمان » وهي المجموعة الماركسية السودانية ، التي كانت تصدر ، انذاك ، مجلة ام درمان ، في القاهرة . وكانت جريدة الاتحاد الفلسطينية قد اشارت الى ان منع الحكومة الصديقية احتفال الهيئات الديمقراطية في مصر يعد تحطيماً لروابط التضامن بين مصر وفلسطين (٥١).

وفي مقال عن « الارهاب في شرقنا العربي » فضحت الفجر الجديد الاستعمار الذي « ينشط فيؤيد الارهاب الصهيوني ويعززه مستهدنا ابقاء سيطرته بمعاونة الصهيونية ومحاولا ابراز الوضع في فلسطين كما أظهرته في لجنة التحقيق ، من انها لن

تصل الى الحكم الذاتي الذي يفضي على جميع المناورات الاستعمارية» (٥٢).

وببصادة حكومة صدقي للفجر الجديد ، خسرت القضية الفلسطينية نصيراً كبيراً ومنبراً هاماً مؤازراً لها في القطر المصري .

٤ (الضمير : في الثامن من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٥ ، بادرت مجموعة من النقابيين الشيوعيين المصريين ، المرتبطين بالطليعة الشعبية للتححر ، الى تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومي » ، وقد استمر نشاط هذه اللجنة حتى ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥ . واتسع نشاط هذه اللجنة حتى انضوى تحت لوائها ما بين ٧٠ - ٨٠ عضواً ، يؤازره نحو اربعة الاف عامل ، معظمهم من عمال النسيج ، واكثر من ربعهم شيوعيون (٥٣). وفي يوم تأسيس اللجنة ، قام محمد يوسف احمد المدرك بطبع برنامج اللجنة ، الذي حمل اسماء المدرك ، ومحمود محمد العسكري ، وطه سعد عثمان ، ومحمود محمد قطب ، ومحمد مدبولي ، ومحمود حيزة . وقد تضمن برنامج اللجنة فقرتين ؛ تحت بند « علاقات مصر الدولية » المدرج تحت فصل « التحرير من الاستعمار » ، اشارة لموقف لجنة العمال للتحرير القومي من قضية فلسطين ، اذ نصت الفقرتان المذكورتان على « ج - تحويل الجامعة العربية الى أداة ديمقراطية ضد الاستعمار ، وذلك باشتراك البلاد الغير مستعمرة والمستعمرة ، لمساعدتها في كفاحها الوطني الديمقراطي . د - مكافحة الصهيونية ، وتأييد الشعب الفلسطيني في نضاله الوطني الديمقراطي » (٥٤).

وقد اشترت لجنة العمال للتحرير القومي امتياز مجلة الضمير ، واخذت في اصدارها في القاهرة بدلا من بني سويف حيث كانت تصدر ، واطلقت على اصدارها بشكل دوري ، اسبوعياً ، الا ما تعرض منها لمصادرة البوليس السياسي . وكان العدد الاول الذي اشرفت اللجنة على تحريره ، هو العدد ٢٧٠ الصادر بتاريخ ١٩/٩/١٩٤٥ . وكان العدد الاخير الذي اشرفت عليه اللجنة هو ذو الرقم ١١ والصادر في الثامن من يوليو (تموز) ١٩٤٦ . وكان محمود محمد العسكري مديراً للمجلة ، في حين كان عبدالكريم احمد العسكري هو صاحب الامتياز ورئيس التحرير ، وطه سعد عثمان سكرتيراً للتحرير . وقد تصدت الضمير

العمالية والنقابية الاحتجاج « الى الجهات ذات الشأن » . ووضح العسكري ، ان الطبقة العاملة المصرية أقدمت على ذلك لانها تمي « ان الصهيونية هي الخطر المباشر الذي يهدد الشعب الكادح في شقيقتنا فلسطين العربية الحرة ، بل تهدد حياة الشعوب الكادحة في الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة » . ويرى العسكري ان الصهيونية هي « الرأسمالية اليهودية الاستعمارية المتعنتة ، التي تظلم الشعب الاسرائيلي الكادح ... لمصلحة حفنة من الرأسماليين الصهيونيين المستبدين » (٥٩).

وتذيع عصبة التحرر الوطني بياننا الى الشعب بعنوان « لا حل غير الاستقلال !! » نشرته الضمير ، ونددت فيه العصبة ببيان بيغن سابق الذكر ، وطالبت باستقلال فلسطين واتشاء حكومة ديمقراطية مستقلة ، واشاعة الحريات وايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وفصل قضية اللاجئين اليهود عن قضية فلسطين . وانتهى البيان الى الدعوة للوحدة الوطنية (٦٠).

٥ (الجهاهير : اصدرت « حدثو » ، جريدة اسبوعية تحمل اسم « الجهاهير » . وقد صدر العدد الاول منها في السابع من ابريل (نيسان) عام ١٩٤٧ . وقد قال لي زكي مراد ، احد قادة المنظمة المذكورة وأحد الذين تولوا اصدار الصحيفة ، ان توزيع الصحيفة قد وصل الى ١١٠٠٠ نسخة اسبوعيا ، وهو رقم مرتفع اذا ما قسناه بمعدلات توزيع الصحف آنذاك . وقد كان محمود النبوي المحامي هو صاحب الامتياز ورئيس التحرير في وقت واحد .

وقد فضحت الجهاهير « المؤامرة الانجلو سكسونية بخصوص فلسطين ... عندما عارض المندوبان الانجليزي والامريكي طلب الدول العربية بادراج اقتراح باستقلال فلسطين في جدول اعمال الامم المتحدة » وأشارت الصحيفة الى ان انجلترا كانت قد أرسلت عشر لجان تحقيق الى فلسطين « ولم تقترح واحدة منها ان تستقل فلسطين ، بل كانت كل اقتراحاتها تهدف الى تثبيت اقدام الاستعمار في فلسطين والشرق الاوسط بأجمعه » . ونوهت الصحيفة الى ان « الشعب الفلسطيني يريد استقلاله وحرية ... وان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيوني أداة

للصهيونية ، وقالت ان « لن تمروا ... هي الكلمة التي تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية في وجه الصهيونية ... وان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة - الاستعمار ، الاستغلال ، الجشع ... والصهيونية والفاشية مرتبطان ارتباطا وثيقا لا يحله الا النضال ضد اسباب الاضطهاد والتعسف ، والدفاع عن الحريات الديمقراطية » . ثم يستعرض كاتب المقال تضامن الشعوب العربية مع شعب فلسطين ، ويكشف مدى تآكل الجامعة العربية (٥٥).

ونشرت الضمير على صفحتين منها حديثا كانت قد أجرته مع بولس فرح ، اثناء مروره بالقاهرة عائدا من باريس الى فلسطين ، وقد تحدث بولس في حديثه عن التضامن بين الوفود العمالية العربية ، وأشار الى الانتصار الكبير على الصهيونية بانتخاب مصطفى العريس عضوا في اللجنة المركزية لمؤتمر النقابات العالمي . كما أشاد بولس فرح بالتأييد الذي حصلت عليه القضية الفلسطينية من وفود الاتحاد السوفييتي وفرنسا وبلدان امريكا اللاتينية والهند واستراليا ودول البلقان ونيوزلندا (٥٦). وفي العدد نفسه ، نشرت الضمير بياننا لعصبة التحرر الوطني الفلسطينية نهيت فيه الى ان الاستعمار يروج انباء عن تعجز الموقف في فلسطين ، ليتخذ من هذه الانباء مبررا لضرب الصحافة والحركة العمالية والوطنية والصناعة والتجارة العربية في فلسطين . ويطلب البيان بوحدة « قوى كل وطني مخلص في فلسطين » (٥٧).

وقد ادلى محمد المدرك عقب عودته من باريس ، حيث كان يرئس وفد مصر الى مؤتمر نقابات العمال العالمي ، بحديث الى الضمير ، قال فيه ان « مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وايران وكل منظماتها العمالية تشكل في ان منظمة الهستادروت ليست منظمة عمالية بالمعنى المفهوم ... لانها منظمة رأسمالية تملك كثيرا من المؤسسات الصناعية ، التي تستغل جهود المنتسبين اليها تحت تأثير فكرة الصهيونية » . ثم أوضح كيف فضحت الوفود العربية الى المؤتمر حقيقة الهستادروت والصهيونية (٥٨).

وكتب محمود محمد العسكري يشيد بحسن تنظيم وتدبير الطبقة العاملة المصرية « وفهمها الصحيح للقضايا الوطنية » مستشهدا بيوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ، حيث قررت فيه الهيئات

الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر» (٦١).

وعندما يشكل اليهود التقدميون في مصر الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، تنشر الجاهير حديثا لعزرا هراري ، سكرتير الرابطة ، اشار فيه الى « ان أهداف الرابطة هي مكافحة الصهيونية ودعايتها المظلة بين كافة الاسرائيليين القاطنين في مصر » . وفضح هراري في حديثه طبيعته الصهيونية(٦٢).

وكشفت الجاهير الستار عن تعمد الحكومات العربية تأخير تقديم مشروعها الى الامم المتحدة ، والقاضي بالفناء الانتداب البريطاني على فلسطين ، مما أفسح المجال لنجاح الاقتراح البريطاني بتشكيل لجنة تحقيق دولية ، واتهمت الصحيفة الحكومة المصرية « بتفويت الفرصة ، بتعمدها التغافل عن السير في طريق الاجراءات الصحيح !! » ونوهت الجاهير بوقوف الاتحاد السوفيياتي ودول شرق اوربا مع الاقتراح العربي ، ووقوف الدول الاستعمارية مع الاقتراح البريطاني ، وفوز الاخير بأغلبية ٢٤ صوتا ضد ١٥ صوتا . كما أشادت الصحيفة المصرية بوقوف جروميكو ، المندوب السوفييتي في الامم المتحدة آنذاك ، والذي وقف صائحا مطالباً بضرورة « مناقشة موضوع استقلال فلسطين في هذه الدورة !! » (٦٣).

وبعد اقرار الامم المتحدة للمشروع البريطاني ، نشرت الجاهير صورة كاريكاتورية كبيرة في صفحتها الاولى ، وفيها نرى فلسطين مربوطة الى خشبة ، وقد صعد ترومان على سلم الى أعلى الخشبة ليوثق رباط فلسطين ، في حين تشدد الصهيونية رباطها من وسطها ، بينما يتفرج بين على عمليات التوثيق والتقييد(٦٤).

وفضحت الجاهير موقف الاستعمار الامريكي وهملائه في الامم المتحدة الذين رفضوا « ان يكون استقلال فلسطين المهمة الرئيسية للجنة التحقيق ، معللين هذا بعذر رخيص هو انهم لا يريدون ان يفرضوا على اللجنة حلا من الحلول » . ثم تشير الى رفض « الاستعمار الامريكي منح جواز سفر مرور لاحد اعضاء الهيئة العربية العليا ، وهو الدكتور بديري [تقصد الدكتور جليل البديري] بحجة انه (شيوعي) ، حتى لا يكشف موقف الاستعمار » . وتستهنج الجاهير موقف الوفود العربية المشكك في موقف الاتحاد السوفييتي « فيمتنعون عن

التصويت لاقتراح الاتحاد السوفييتي بأن تكون الدول الخمس من بين اعضاء لجنة التحقيق » . وتتساءل الصحيفة اليسارية المصرية باستنكار « او تظن الوفود العربية ان لجنة التحقيق الحالية احرص على استقلال فلسطين من لجنة يشترك فيها الاتحاد السوفييتي ؟ أهم راضون عن لجنة تحقيق مركبة معظمها ، تحت ستار الحياء ، من ذبول الاستعمار ومن دول تأتمر بأوامر المستعمرين ؟؟ » وتتهم الجاهير الحكام العرب بتوجيه « كفاح الشعوب ووجهة خاطئة ، ويحاولون في فلسطين ان يثيروا الشعب العربي على اليهود — دون الاستعمار — ويحاولون تحويل الانظار الى مشكلة فرعية ، كمشكلة الهجرة . فيصورون له ان الهجرة هي اصل الداء ، كي ينسى ان المستعمر هو أصل البلاء » . وينتهي كاتب المقال الى ان حل مشكلة فلسطين « هو جلاء الجنود البريطانيين عن فلسطين ، هو قيام فلسطين الحرة الديمقراطية ... » (٦٥).

وتعود صحيفة الجاهير الى سلاح الكاريكاتير ، فنشرت في صفحتها الاولى صورة كاريكاتيرية كبيرة ، تصور فيها الاستعمار البريطاني في شكل ذئب وبجانبه أربع فتيات صغيرات يمثلن فلسطين ومصر والسودان واليونان . وتحت الصورة كتبت الصحيفة « صرح مستر بينن ، وزير خارجية بريطانيا ، بأن بقاء بريطانيا في الشرق الاوسط ضروري لرفاهية شعوبها » . وعلقت الصحيفة بقولها « يذكرنا هذا بقصة الذئب الذي ادعى لفتاة صغيرة انه حاميا ، ثم التهمها !! » (٦٦).

وفي ركن « القاموس السياسي » كتبت الصحيفة الشيوعية المصرية عن « الصهيونية » باعتبارها « الحركة التي ترمي الى تكوين دولة يهودية في فلسطين على اعتبار انها الوطن الاصلي لهم » . ثم استعرضت نشأة الحركة الصهيونية ، وعلاقتها بالاستعمار . وانتهت الى ان الحل يتمثل في : **أولا** : أن على اليهود أن يشتركوا في الكفاح مع شعوبهم ، لضمان حقوقهم . **ثانيا** : عودة اليهود الموجودين في المعسكرات الى أوطانهم الاصلية . « ويجب ان نوضح ان فلسطين لا يمكن ان تحل القضية اليهودية » . **ثالثا** : حل مشكلة فلسطين « ينحصر في الكفاح المشترك بين جاهير اليهود والعرب معا ، للتخلص من الاستعمار الاتجولو امريكي وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة » (٦٧).

وعندما قررت الهيئة العربية العليا في فلسطين مقاطعة لجنة التحقيق التي أوفدها الأمم المتحدة ، استنكرت صحيفة الجاهير المصرية هذا القرار ، وأبدت دهشتها من موقف « الهيئة العربية التي أبدت استعدادها الدائم للتعاون مع لجان التحقيق الاستعمارية ، التي طالما أوفدها المستعمرون ، مرة بعد مرة ، لتعذب بأهل فلسطين ولتضلل الرأي العام العالمي » وانتهى المقال الى اتهام الهيئة العربية العليا بأنها « لم تخدم ، في موقفها الاخير ، سوى مصالح الاستعمار والصهيونية » (٦٨).

وتعتبر الجاهير حل محمود النقراشي — رئيس وزراء مصر آنذاك — للرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية « فضيحة نقراشبية جديدة » وتهزأ من المبرر الذي ساقته الحكومة لحل الرابطة وهو : « المحافظة على الامن » قائلة « اذن ، فكافحة الصهيونية مخلة بالامن يا دولة الباشا ! » وتعرب الصحيفة عن دهشتها لتترك الحكومة النوادي والهيئات والاتحادات الصهيونية تنتشر وتزدهر (٦٩). وفي العدد نفسه تنشر الجاهير برقية من الرابطة الى رئيس الوزراء ، احتجت فيها على حظر نشاط الرابطة .

وبعد أن يدلي مندوبو الحزب الشيوعي الفلسطيني (اليهودي) بشهادتهم أمام لجنة التحقيق الدولية ، تنشر الجاهير مضمون شهاداتهم ، والمطالب التي تقدموا بها الى اللجنة المذكورة ، وهي : الغاء الانتداب ، وضمان حرية الشعبين العربي واليهودي لتكوين دولة مستقلة ديمقراطية (٧٠).

وتأخذ الجاهير على حيد فرنجية — وزير خارجية لبنان والذي تحدث أمام اللجنة الدولية باسم الدول العربية — تأخذ عليه اكتفاءه بالمطالبة بوقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي وتكوين دولة عربية مستقلة ، واهماله المطالبة باستقلال فلسطين (٧١).

وتنشر الجاهير صورة كاريكاتورية ، يراقص فيها عبدالرحمن عزام المستر بيغن ، الذي بدا في صورة سيدة بدينة ، وعلى بعد وقف ترومان يتطلع اليهما . وعزام يقول له « لا تظن ان غرامي الجديد ينسيني الحبيب الاول ! » (٧٢).

وتتدد الجاهير بالتقرير الذي اصدرته اللجنة الدولية ، لانه عامل مشكلة فلسطين « على أنها مشكلة تسوية علاقات العرب باليهود » فأغلقت

جلاء الجيوش الاستعمارية عن فلسطين . كما انتقدت « الجاهير » الهيئة العربية العليا التي « أسهبت في اظهار (عدم عدالة) التقرير » (٦٣). ويصدر الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني ، بياناً ، نشرته الجاهير ، استنكرا فيه مناورات الاستعمار الانجلو امريكي ، واعربا فيه عن تأييدهما المطلق لحق فلسطين « في الجلاء والغاء الانتداب واقامة حكم ديمقراطي ، ووقف الهجرة الصهيونية ، ورفض كل مشروع يرمي الى التقسيم او اقامة دولة يهودية في فلسطين » (٧٤).

ونشرت الجاهير اخبار التظاهرات التي عمت القاهرة والاسكندرية تأييدا لفلسطين ، والتي نزلتها الشرطة بالقوة (٧٥). وهزأت الجاهير من اجتماع مجلس الجامعة العربية في « ربوع لبنان » ، وحذرت من « بوادر تدل على اتجاهات خطيرة غير سليمة » بالنسبة لقضية فلسطين (٧٦). وعندما ترسل الحكومة المصرية جيشها الى العريش ، تمهيدا لدخوله فلسطين ، تتساءل صحيفة الجاهير « أذهب جيشنا المصري الى العريش ، دون ان يمر على فايد وقتال السويس ! » ألم ير في طريقه جنودا بريطانية تحتل ارضنا المقدسة ... لم تعلن الحكومة الكفاح المسلح والحرب المقدسة — كما طلب الشعب ونادي يوم عودة النقراشي من امريكا — ضد (الاصدقاء البريطانيين) !! « وتؤكد الجاهير ان الحكومة المصرية تستغل « مشكلة فلسطين لتحويل انظار الشعب عن قضيته الوطنية وتشغل اذهانه عن الداء الحقيقي ، فأس الداء هنا في مصر ، وهناك في فلسطين وشرق الاردن والعراق ، ما هو الا الاستعمار !... ان تحرير وادي النيل وتوجيه ضربة قاصمة للاستعمار البريطاني في مصر هو خير مساعدة نقدمها لفلسطين والشعوب العربية ... » (٧٧).

ثم تنشر الجاهير صورة كاريكاتورية يسدو فيها الاستعمار الانجلو امريكي يدير بيده طاحونة كبيرة ، وعزام باشا يلقي بالجاروف بالجنود العرب الى داخل الطاحون ، في حين تقف الصهيونية في الطرف الاخر من الطاحون ، تحبل جاروما آخر وقد ملأته جنودا تغذف بهم الى الطاحون نفسه من فتحة اخرى . والجزء الاسفل للطاحون يخرج العديد من القتلى . وتحت الصورة علق الرسام « يوقدون نيران حرب دينية . لن تحترق فيها سوى الشعوب . ولن يستفيد منها سوى الاستعمار » (٧٨).

وكشفت الصحيفة اليسارية المصرية استغلال الاستعمار لقضية فلسطين ، لبعث مشروع الدفاع المشترك «ظاهرة الدفاع عن مصالح عرب فلسطين، وجوهره الخضوع التام لسيطرة وقيادة الاستعماريين البريطاني والامريكي» ، ثم تشر الجماهير الى تطوع قبائل العراق : وفتح الاخوان المسلمين باب التطوع في مصر ، وغض الملك عبدالله الطرف عن مشروع سوريا الكبرى ، واستعداد بن سعود لان « يضع يده في يد أخيه الملك عبدالله ، وينسى مطالب الحجاز الاقليمية ... وهكذا تلعب الدول العربية المحتلة ، في الجامعة العربية ، لعبة الاستعمار ، وتهد له الطريق — لان تكوين الكتلة الشرقية فحسب ، بل لتوجد له المبرر للبقاء في فلسطين » . ثم كشفت الجماهير الستار عن وصول بعثات أمريكية الى دمشق والقاهرة . ورفض مجلس الجامعة العربية توصية اللجنة السياسية التابعة له ، والتي طالبت بمقاطعة إنجلترا والولايات المتحدة ، والغاء اتفاقيات البترول والطيران ... » (٧٩).

وتحت عنوان « استقلال وديمقراطية او استعمار وعبودية ، هذه هي مشكلة فلسطين » أدانت صحيفة الجماهير تشويهات الصحافة المصرية لصورة القضية الفلسطينية ، وأكدت ان جميع « الحلول التي قدمتها إنجلترا وأمريكا والدول العربية — مهما اختلفت أشكالها واساليبها ... ترمي في جوهرها الى بقاء الاوضاع الحالية بفلسطين ، لا تؤدي الا الى بقاء السيطرة الاستعمارية » . ثم اشارت الصحيفة اليسارية الى المشروع الأمريكي ، والى قول جروميكو من أنه « لا يمكن حماية مصالح الشعوب العربية واليهودية الا بتكوين دولة عربية مستقلة ديمقراطية » . وترجع الصحيفة تأييد الاتحاد السوفييتي المفاجئ لتقسيم فلسطين ، الى سوء علاقات العرب واليهود الذي يحول دون امكانية التعاون السلمي بينهما . واتهمت الصحيفة زعماء الجامعة العربية وزعماء الصهيونيين بتأجيج نار الفتنة وايصال الوضع بين الطرفين الى ما وصلت اليه ، بحيث استحال معه قيام دولة موحدة مستقلة ، مما وضع الاتحاد السوفييتي امام خيارين : فاما قبول التقسيم كأساس لاستقلال فلسطين ، واما القبول بالسيطرة الاستعمارية على فلسطين (٨٠).

وأكدت الجماهير « ان استقلالنا سيكون مهددا طالما وجدت قوات استعمارية مرابطة في هذا القطر الشقيق » ونددت بالدعاية الاستفزازية والتصريحات والنداءات الحماسية ، وكشفت جهود بريطانيا لحمل الامم المتحدة للاخذ بأحد امرين « أما الاخذ بمشروع يبقى الاستعمار البريطاني في فلسطين ... واما تأجيل القضية » . ودعت الجماهير الى التعجيل بايجاد « حل عملي لمشكلة فلسطين » (٨١).

وتؤكد الجماهير ان موقفها من قضية فلسطين ينطلق من زاوية الاستقلال والديمقراطية ، وانها تؤيد « قيام دولة عربية يهودية بفلسطين ... وان تتحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ، وان تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية الحقيقية » . وتتهم الصحيفة زعماء العرب وزعماء اليهود بوضع العراقيل للحيلولة دون حصول فلسطين على استقلالها . ويؤكد كاتب المقال « أننا لا نوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين ، كأساس لاستقلال فلسطين ». وتردف « وأماننا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل للتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما في دولة واحدة مستقلة ديمقراطية » (٨٢).

وتوجز الجماهير مقالا كانت قد نشرته « نيو تايمز » السوفيتية عن « الشرق العربي ومسألة فلسطين » أكدت فيه الصحيفة السوفيتية صداقة السوفييت للعرب ، ووضحت ان الاتحاد السوفييتي قد وافق على التقسيم باعتباره « المشروع الوحيد الذي يمكن تنفيذه في الظروف الحاضرة » وهو الكلام نفسه الذي كان قد قاله المندوب السوفييتي في الامم المتحدة ، ووضحت المجلة السوفيتية ان هذه الموافقة ترمي الى هدف واحد وهو « تسليم فلسطين في اسرع وقت ممكن الى سكانها » (٨٣).

وتتنجر التظاهرات في القطر المصري ، وتهاجم صحيفة الجماهير محاولات الفاشيين والمضللين لتحويل « هذا الكفاح الى كفاح عنصري ضد اليهود » (٨٤). وتورد « الجماهير » ، في مكان اخر من العدد نفسه ، نماذج من مواقف الرجعية العربية ، فتسجل تصريحات لجبيل مردم بك — رئيس وزراء سوريا — عن « المعارك الدامية المقبلة » ، وتصريح اخر للشيخ يوسف ياسين — مستشار الملك السعودي — يهدد فيه « بطرد اليهود من فلسطين » . واخيرا اعلان مجلس

الجامعة العربية « بالحرب على اليهود اذا جلا الانجليز » . وقد حذرت الصحيفة الشيوعية المصرية من أن الحرب « بين العرب واليهود يثرها الاستعمار ليبقي في فلسطين » (٨٥).

وغداة حل الحكومة السورية للحزب الشيوعي السوري ، نشرت « الجماهير » حديثا لخالد بكداش سكرتير عام الحزب ، جاء فيه عن مشكلة فلسطين « نحن الشيوعيين نعتقد ان اهم شيء في هذه المشكلة الشائكة ، هو جلاء الجيوش الاجنبية عنها ، والغاء الانتداب ، واعلان استقلال فلسطين ، وتحرير فلسطين من الاستعمار والاستغلال هو همتنا الاول والاخير » (٨٦).

وتذكر « الجماهير » بموقف الاتحاد السوفيتي المؤيد لاستقلال الشعوب العربية ، كما تتدد الصحيفة بهتافات رجال البوليس السياسي المصري : (تسقط روسيا !) (٨٧). وفي كلمتها ، أكدت الصحيفة المصرية « ان مشكلة فلسطين هي مشكلة وادي النيل » كما اشارت الى اساليب الاستعمار الوحيدة في جميع المستعمرات والى محاولات الفاشيين والاخوان المسلمين لتحويل القضية الى صراع عنصري (٨٨). وتشر الجماهير صورة كاريكاتورية ، تبدو فيها الحرب الدينية في صورة وحش مقيد ، في حين يمسك الاستعمار الانجلو امريكي بطرف منشار وتمسك الرجعية العربية ، ممثلة في عزام باشا الطرف الاخر ، والاستعمار والرجعية يعملان على قطع الحبل بالمنشار . وفي مواجهة الوحش تقف « شعوب الشرق المستعبدة » والوحش يتوثب للانقضاض عليها (٨٩). وفي العدد نفسه دعت الجماهير الى تحويل التظاهرة التي دعت الى اقامتها « هيئة وادي النيل » من اجل فلسطين ، الى تظاهرة ضد الاستعمار (٩٠). وتؤكد الجماهير ان الحكومة المصرية رأت في قضية فلسطين ، كما سبق ورأت في الكوليرا التي انتشرت قبل عام في مصر ، وسيلة « لتلوية الشعب عن مطالبه التي يكافح من أجلها ... وستارا تستأنف تحته المفاوضات مع المستعمر » (٩١).

وتتهم صحيفة منظمة حدتو ، الجامعة العربية بالعمل على تقسيم فلسطين وابقاء الاحتلال البريطاني فيها . كما تنتقد مقاطعة الجامعة للجنة الدولية التي أوكل اليها تنفيذ التقسيم ، فهذه المقاطعة ، في رأي الصحيفة « لن تمنع الزعماء اليهود من التفاهم معها ، اي لن يمنع تكوين

الدولة اليهودية . ولكن مقاطعة العرب للجنة يعرقل تكوين الدولة العربية المستقلة » (٩٢). وفي مقال اخر ، تساءلت الجماهير « أيمن ان نسعي حربا تؤدي الى تثبيت اقدام المستعمر واعوانه بحرب عادلة مقدسة ؟ » (٩٣).

وباللون الاحمر ، وفي صدر صفحاتها الاولى ، نشرت الجماهير جزءا من تعليق لراديو موسكو ، يرى فيه الراديو ان الرجعيين الفاشيين في البلاد العربية قد وجدوا « في مسألة فلسطين الفرصة لاستغلال التعصب الديني لحرف الجماهير العربية عن الهدف الحقيقي ... ويوجهون الجماهير ضد (الخطر الشيوعي) الوهمي » (٩٤).

وتهزأ الجماهير من آخر اجتماع كانت قد عقدته الجامعة العربية ، والذي ادلى اثناء زعمائها بتصريحات عديدة عن « القرارات الخطرة » التي سيتخذونها !! وكيف أن الاجتماع قد تمخض عن قرار « عائم » . وتستبعد الصحيفة قيام الدول العربية بالهجوم على فلسطين بينما الجنود البريطانيون مرابطون فيها . وتهاجم الصحيفة اليسارية المصرية ، السرية التي احاطت الجامعة بها قراراتها الاخيرة ، مؤكدة ان « التاريخ يشهد ان كل قرارات - ما عدا الاسرار الحربية - تتخذ بصفة سرية ما دامت تعادي المصالح الشعبية ويخشى الزعماء اذاعتها » (٩٥).

وينتقد بيان لحدتو ، نشرته الجماهير ، ببيان الجامعة العربية الذي « يتجاهل وجود الاستعمار في شرقنا العربي » ويؤكد بيان المنظمة المصرية « أن سياسة الاستعمار التي سار عليها رؤساء الحكومات العربية هي المسئول الاساسي عن تقسيم فلسطين » ببذلهم اقصى جهودهم للحيلولة دون « ايجاد جو من الالفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية » . وترى حدتو ، في بيانها ، أنه حيال ذلك لم يكن امام الاتحاد السوفيتي الا ان يوافق على التقسيم « باعتباره الحل العملي الوحيد في الظروف الحاضرة ، الذي يحقق الغاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات الاستعمارية عن الاراضي المقدسة » . ويشير بيان المنظمة اليسارية المصرية الى الازمة السياسية والاقتصادية التي يعانيها الاستعمار والرجعية ، ويرى البيان أنها رأيا في اشعال حرب عنصرية مخرجا لهما من ازمتهما (٩٦).

ونقلت صحيفة الجماهير عن نيو تايمز مقالا ، أكدت

فيه المجلة السوفيتية ان الاستعمار الانجليزي قد استغل مشكلة فلسطين لحرف أنظار الشعوب العربية عن مشاكلها الحيوية ، واثارة العرب ضد اليهود ، وتعكر صفو علاقات الدول العربية بالاتحاد السوفيتي . وتكرر نيو تايمز نفس التفسير الذي كانت قد رددته صحيفة الجماهير لتأييد الاتحاد السوفيتي لتقسيم فلسطين(٩٧).

وتفضح صحيفة الجماهير سر زيارة نوري السعيد باشا المفاجئة للقاهرة ، وتبين انه حمل معه الى مجلس الجامعة العربية مشروع موريسون ، وان المجلس وافق على عرض مشكلة فلسطين على مجلس الامن على أساس مشروع موريسون ، الذي يقضي بتقسيم فلسطين ، بحيث يخص العرب ٣٨ ٪ منها وتشغل منطقة يهودية ١٧ ٪ منها ، في حين يظل الباقي تحت الادارة المباشرة لبريطانيا . وتهاجم الجماهير المشروع لانه يحول فلسطين الى «مستعمرة بريطانية»(٩٨).

وتفضح الجماهير أساليب الاستعمار البريطاني للتشبث بفلسطين(٩٩) بأيعازه « للرجعية العربية والرجعية اليهودية ان يعرقل هذا التقسيم » وتندد الجماهير باستفزات عصابة الارجون الصهيونية الارهابية(١٠٠). ثم تشير صحيفة الجماهير الى تهديدات فوزي القاوقجي — قائد جيش الانتقاذ في فلسطين — بباداة اخر يهودي. وتصريحات وايژمن التي تدعو الى « انهاء الصداقة بين الصهيونيين والانجليز »(١٠١).

وعندما سحبت حكومة الانتداب رخصتي جريدتي « الاتحاد » و « الشعب » الفلسطينيتين ، نددت زميلتهما الجماهير بهذا الاجراء التعسفي(١٠٢).

وتلقي الجماهير الضوء على موقف امريكا المتردد الغامض « فهي توافق على تقسيم فلسطين ولكن بشرط أن تبقى فلسطين مستعمرة بشكسل او بآخر(١٠٣).

وفي الحادي عشر من مارس (اذار) ١٩٤٧ ، ارسل فهمي السلفيتي — بأسم مؤتمر العمال العرب في فلسطين — الى جريدة الجماهير، مستنكرا اطلاق الرصاص على عمال مصانع سباهي المصرية، والسذين كان قد سقط منهم ثلاثة قتلى برصاص الشرطة(١٠٤).

وتعود الجماهير لتكرار ما نادى به من قبيل ، لحل المسألة الفلسطينية ، وتندد بمحاولات

« الرجعية العالمية ، بقيادة امريكا الاستعمارية، وضع المشكلة على أساس انها نزاع بين العرب واليهود ، لا على أنها مشكلة فئيل الانتداب البريطاني ، وتحرير سكان فلسطين »(١٠٥). ونددت الصحيفة بمشروع أمريكا في الامم المتحدة والرامي الى استبدال التقسيم بوصاية الامم المتحدة على فلسطين(١٠٦).

وقبل دخول جيوشها فلسطين ، أعلنت حكومة النقراشي الاحكام العرفية في البلاد المصرية ، وضربت الحركة الوطنية ، مما كان من نتيجته اغلاق « الجماهير » .

٦ (الملائين) : أتت انتخابات ١٩٥٠ المصرية بحزب الوفد الى الحكم ، الذي ألغى بدوره الاحكام العرفية ، وعاشت مصر انفراجة نسبية . وفي الثاني والعشرين من ابريل (نيسان) ١٩٥١ ، أصدر أحمد صادق عزام ، الحامي وعضو الحزب الوطني ، جريدة سياسية اسبوعية هي « الملائين » وكانت « حدثو » تقف وراء تلك الصحيفة . التي صدر منها ثلاثون عددا كان اخرها في ١٢/٢٦/١٩٥١.

ونشرت الملائين خبرا عن نهب اسرائيل لاملاك العرب فيها(١٠٧). وخبرا اخر فضحت فيه ما كان قد صرح به حسين الجندي بك ، وكيل مجلس الشيوخ المصري ، من أن « القضية المصرية لا تحل الا اذا عقدنا صلحا مع اسرائيل ... وسأناذي بابقاء معاهدة ١٩٣٦ لانها خير الف مرة من أية معاهدة تبرم »(١٠٨).

وقد أولت الملائين موقف السوفيت من تقسيم فلسطين اهتمامها ، فنشرت ردا لجاكوب مالك على محمد صلاح الدين بك — وزير خارجية مصر انذاك — والذي كان قد اتهم الاتحاد السوفيتي بأن موقفه من اسرائيل هو موقف امريكا نفسه . وقد جاء فيرد مالك ، ان الاتحاد السوفيتي قد وافق على التقسيم نظرا لتعذر قيام تعاون بين اليهود وعرب فلسطين ، بفعل دعايات الاستعمار وزعماء العرب وزعماء الصهيونيين ، وان الاتحاد السوفيتي كان يتطلع الى تحقيق الحل المنشود للقضية الفلسطينية ، وهو « وحدة فلسطين المستقلة الديمقراطية » على مر الزمن . وأشارت الملائين الى موقف المندوب السوفيتي في الامم المتحدة — يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ — الذي رفض المشروع الامريكي القاضي بتنفيذ تقسيم فلسطين في يوليو (تموز) ١٩٤٨ . وعرض

المنذوب السوفيتي « مشروعاً آخر يقضي بانسحاب جيش الاحتلال البريطاني في موعد اقصاه أول يناير (كانون الثاني) ١٩٤٨ ، وأشرف مجلس الأمن لمدة عام على شؤون فلسطين » . وادان مالك مشروع برنادوت ، واعتبره قد جاء نتيجة لتنسيق أمريكا « مصالحها الاستعمارية مع مصالح بريطانيا الاستعمارية » . ويتحدث المنذوب السوفيتي عن الملك عبدالله الذي « يصول ويجول ويختم المناسبة ختاماً شكسبيرياً ، فيلتهم الدولة العربية المستقلة الديمقراطية ... وبذلك يعود الجيش البريطاني الى فلسطين ، كامتداد لاقامته في الاردن » (١٠٩) .

٧ (الواجب : بمصادرة الملايين انتقلت هيئة تحريرها الى صحيفة الواجب ، حيث اشترى صادق عزام امتيازها من اصحابها ، واثبت اسم عزام كرئيس لتحرير الواجب جنبا الى جنب مع اسم الامير حامد المليجي ، رئيس التحرير القديم . وكان العدد الرابع عشر الصادر في ١٢/٢٥/١٩٥٢ هو آخر الاعداد التي اشرفت « حدثو »

على اصدارها .

وفي العاشر من اغسطس (آب) ١٩٥٢ القى القبض على اكثر من ستين شيوعياً في قطاع غزة لانتمائهم الى عصابة التحرر الوطني المحظورة ، وعند تقديمهم للمحاكمة ، كتبت الواجب تحت عنوان « الاحرار الفلسطينيين امام المحاكم العسكرية » مقالا أشادت فيه بمواقف ونضال « الشعب الفلسطيني وقيادته الشعبية الواعية التي تقف الان خلف القضبان ، أمام الحكمة العسكرية ... والتي تحاكم على تأييدها لكفاح الشعب المصري المسلح ، لتحاكم على نضالها من أجل السلام وعودة المشردين . لتحاكم على اصرارها المستميت في سبيل وطن حر وشعب سعيد » . وأيدت الصحيفة اليسارية دهشتها من هذا الموقف الذي أقدمت عليه الادارة المصرية في غزة ، وانتهت الى المطالبة « باطلاق سراح هؤلاء الابطال فوراً » (١١٠) .

- ١٤ - المصدر السابق ، العدد الثالث عشر ، ١٩٤٥/١١/١٥ ، ص ٨ .
- ١٥ - المصدر السابق ، العدد الثالث عشر ، ص ٩ .
- ١٦ - المصدر السابق ، العدد الرابع عشر ، ١٩٤٥/١٢/٦ ، ص ١٣ .
- ١٧ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٤ .
- ١٨ - المصدر السابق ، العدد الخامس عشر ، ١٩٤٥/١٢/١٦ ، ص ٣ و ١٨ .
- ١٩ - المصدر السابق ، العدد السابع عشر ، ١٩٤٦/١/١٩ ، ص ٦ - ٧ .
- ٢٠ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٧ .
- ٢١ - المصدر السابق ، العدد الثامن عشر ، ١٩٤٦/١/٢٣ ، ص ٣ - ٤ .
- ٢٢ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٧ .
- ٢٣ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٢ .
- ٢٤ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٦ .
- ٢٥ - المصدر السابق ، العدد التاسع عشر ، ١٩٤٦/١/٣٠ ، ص ٤ - ٥ .
- ٢٦ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٦ .
- ٢٧ - المصدر السابق ، العدد ٢١ ، ١٩٤٦ ، ٢/١٣ ، ص ١٥ .
- ٢٨ - المصدر السابق ، العدد ٢٣ ، ٢/٢٧ ،

- ١ - صحيفة الحساب القاهرية ، العدد الخامس عشر ، ١٩٢٥/٤/١٧ .
- ٢ - المصدر السابق ، العدد السابع عشر ، ١٩٢٥/٥/٨ .
- ٣ - مجلة الاسبوع القاهرية ، العدد ٤٧٨ ، ١٩٤٣/٨/١٢ ، ص ١٣ .
- ٤ - المصدر السابق .
- ٥ - المصدر السابق ، العدد ٥١٠ ، ٤/٨/١٩٤٤ ، ص ١٣ .
- ٦ - مجلة الفجر الجديد ، العدد الثالث ، السنة الاولى ، ١٩٤٥/٦/١٦ ، من مقال (كفاح فلسطين الوطني الديمقراطي) ، ص ١٨ .
- ٧ - المصدر السابق ، العدد السابع ، ٨/١٦/١٩٤٥ .
- ٨ - المصدر السابق ، العدد التاسع ، ٩/١٦/١٩٤٥ .
- ٩ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٣ .
- ١٠ - المصدر السابق ، العدد نفسه .
- ١١ - المصدر السابق ، العدد العاشر ، ١٠/١/١٩٤٥ ، ص ١٣ .
- ١٢ - المصدر السابق ، العدد الحادي عشر ، ١٩٤٥/١٠/١٥ ، ص ٢ و ١٥ .
- ١٣ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢٣ .

- أجراها الصديق الدكتور رؤوف عباس ، في
 ١٩٦٥/١/٢ ، بمنزل الاول . وقد تفضل الدكتور
 رؤوف ، مشكورا ، باطلاسي على محضر
 الجلسة ، بالاضافة لمجلة (الضمير) و(برنامج
 لجنة العمال للتحرير القومي) ، وكلها غير
 موجودة في دار الكتب والوثائق بالقاهرة .
- ٥٤ - « برنامج لجنة العمال للتحرير القومي » ،
 ١٩٤٥/١/٨ ، ص ٦ .
- ٥٥ - خيري محمود (لن تمروا) مقال بمجلة
 الضمير ، العدد ٢٧٤ ، ١٩٤٥/١٠/١٧ ،
 ص ١ .
- ٥٦ - الضمير ، العدد ٢٧٥ ، ١٩٤٥/١٠/٢٤ ،
 ص ٦ - ٧ .
- ٥٧ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص
 ٩ - ١٢ .
- ٥٨ - المصدر السابق ، العدد ٢٧٦ ، ١١/٧/
 ١٩٤٥ .
- ٥٩ - المصدر السابق ، العدد ٢٧٨ ، ١١/٢٨/
 ١٩٤٥ ، من مقال (لا عنصرية بين العمال)
 بقلم محمود العسكري ، ص ٤ و ٨ .
- ٦٠ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٤ و ٥ .
- ٦١ - صحيفة الجماهير القاهرية ، العدد ٥ ،
 ١٩٤٧/٥/٥ ، من مقال (الاستعمار يريد تحطيم
 التعاون الدولي واستعباد الشعوب ويريد تكبيل
 فلسطين بالاغلال . ونحن نكافح من اجل فلسطين
 مستقلة ديمقراطية) ، ص ٢ و ١١ .
- ٦٢ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٤
 و ١١ .
- ٦٣ - المصدر السابق ، العدد ٦ ، ٥/١٢/
 ١٩٤٧ ، من مقال (حول قضية فلسطين
 الصحافة الصفراء تضلل الرأي العام ،
 والاستعمار يبخس في مؤامراته !!) ص ٢ و ٣ .
- ٦٤ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ٥/١٢/
 ١٩٤٧ ، ص ١ .
- ٦٥ - المصدر السابق ، العدد ٧ ، ١٩٤٧/٥/١٩ ،
 من مقال (ان اصدقاء فلسطين في هيئة الامم
 هم اصدقاء مصر وان اغدائها هم اعداء شعوب
 العالم) ، ص ٣ .
- ٦٦ - المصدر السابق ، العدد ٨ ، ٥/٢٦/
 ١٩٤٧ .
- ٦٧ - المصدر السابق ، العدد ٩ ، ١٩٤٧/٦/٢ ،
 ص ٩ .
- ٦٨ - المصدر السابق ، العدد ١١ ، ٦/١٦/

- ١٩٤٦ ، ص ٦ - ٧ .
- ٢٩ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٣ .
- ٣٠ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢٠ .
- ٣١ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١١ .
- ٣٢ - المصدر السابق ، العدد ٢٤ ، ١٩٤٦/٣/٦ ،
 ص ١٧ .
- ٣٣ - المصدر السابق ، العدد ٢٥ ، ٣/١٢/
 ١٩٤٦ .
- ٣٤ - الفجر الجديد ، العدد ٢٨ ، ١٩٤٦/٤/٣ ،
 ص ١٥ .
- ٣٥ - المصدر السابق ، العدد ٣١ ، ٤/٢٤/
 ١٩٤٦ ، ص ١٧ .
- ٣٦ - المصدر السابق ، العدد ٣٢ ، ٥/١/
 ١٩٤٦ ، ص ٦ .
- ٣٧ - المصدر السابق ، العدد ٣٣ ، ٥/٨/
 ١٩٤٦ ، ص ١٨ - ١٩ .
- ٣٨ - المصدر السابق ، العدد ٣٤ ، ٥/١٥/
 ١٩٤٦ ، ص ٧ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، العدد ٣٥ ، ٥/٢٢/
 ١٩٤٦ ، ص ١٠ .
- ٤٠ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٩ .
- ٤١ - المصدر السابق ، المصدر ٣٨ ، ٦/١٢/
 ١٩٤٦ ، ص ٩ .
- ٤٢ - المصدر السابق ، العدد ٤٠ ، ٦/٢٦/
 ١٩٤٦ ، ص ٢ .
- ٤٣ - المصدر السابق ، العدد ٣٩ ، ص ٢ .
- ٤٤ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ٦/١٩/
 ١٩٤٦ ، ص ٨ .
- ٤٥ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٢ .
- ٤٦ - المصدر السابق ، العدد ٤٠ ، ٦/٢٦/
 ١٩٤٦ ، مقال (سياسة مترنيخ في شرقنا
 العربي) بقلم احمد رشدي صالح ، ص ٢ .
- ٤٧ - المصدر السابق ، العدد ٤١ ، ٧/٣/
 ١٩٤٦ ، ص ٢ .
- ٤٨ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢ .
- ٤٩ - المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٤ .
- ٥٠ - المصدر السابق ، العدد ٤٢ ، ٧/١٠/
 ١٩٤٦ ، ص ٧ و ١٨ .
- ٥١ - المصدر السابق ، العدد ٤٠ ، ٦/٢٦/
 ١٩٤٦ ، ص ٢ .
- ٥٢ - المصدر السابق ، العدد ٤١ ، ٧/٣/
 ١٩٤٦ ، ص ٢١ .
- ٥٣ - جلسة مع محمد يوسف احمد المدرك ،

- ١٩٤٧ ، ص ٢ .
- ٦٩ — المصدر السابق ، العدد ١٢ ، ٦/٢٣ /
- ١٩٤٧ ، ص ٥ .
- ٧٠ — المصدر السابق ، العدد ١٦ ، ٧/٢١ /
- ١٩٤٧ ، ص ٤ .
- ٧١ — المصدر السابق ، العدد السابع عشر ، ١٩٤٧/٧/٢٨ ، ص ٤ .
- ٧٢ — المصدر السابق ، العدد الثامن عشر ، ١٩٤٧/٨/٤ ، ص ١ .
- ٧٣ — المصدر السابق ، العدد ٢٢ ، ٩/٦ /
- ١٩٤٧ ، ص ٤ .
- ٧٤ — المصدر السابق ، العدد ٢٤ ، ٩/٢١ /
- ١٩٤٧ ، ص ٣ .
- ٧٥ — المصدر السابق ، العدد ٢٦ ، ١٠/٥ /
- ١٩٤٧ ، ص ١ .
- ٧٦ — المصدر السابق ، العدد ٢٧ ، ١٠/٥ /
- ١٩٤٧ ، ص ٥ .
- ٧٧ — المصدر السابق ، العدد ٢٨ ، ١٠/١٩ /
- ١٩٤٧ ، ص ١ .
- ٧٨ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١ .
- ٧٩ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ .
- ٨٠ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ و ٤ .
- ٨١ — المصدر السابق ، العدد ٢٩ ، ١٠/١٦ /
- ١٩٤٧ ، مقال (ماذا تم في قضية فلسطين) ، ص ٦ .
- ٨٢ — المصدر السابق ، العدد ٣٠ ، ١١/٢٣ /
- ١٩٤٧ ، مقال (نحن وفلسطين) ، ص ٦ .
- ٨٣ — المصدر السابق ، العدد ٣١ ، ١١/٣٠ /
- ١٩٤٧ ، مقال (الاتحاد السوفياتي والشعوب العربية) ، ص ٦ .
- ٨٤ — المصدر السابق ، العدد ٣٢ ، ١٢/٧ /
- ١٩٤٧ ، مقال (السلاح ... السلاح ! فلنكون كتائب وطنية مسلحة ضد الاستعمار) ، ص ١ .
- ٨٥ — المصدر السابق ، العدد نفسه (حول قضية فلسطين) ، ص ٢ .
- ٨٦ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ .
- ٨٧ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ .
- ٨٨ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ .
- ٨٩ — المصدر السابق ، العدد ٣٣ ، ١٢/١٤ /
- ١٩٤٧ ، ص ١ .
- ٩٠ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، الصفحة نفسها .
- ٩١ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، الصفحة نفسها مقال (استئناف المفاوضات تحت ستار مأساة فلسطين) بقلم محمد كمال .
- ٩٢ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، (الجامعة العربية تعمل على تقسيم فلسطين) ، ص ٣ .
- ٩٣ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، مقال (أهي حرب عادلة ؟) ، ص ٦ .
- ٩٤ — المصدر السابق ، العدد ٣٤ ، ١٢/٢١ /
- ١٩٤٧ ، ص ١ .
- ٩٥ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢ .
- ٩٦ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٣ و ٨ .
- ٩٧ — المصدر السابق ، العدد ٣٥ ، ١٢/٢٨ /
- ١٩٤٧ ، ص ٢ .
- ٩٨ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٨ و ٢ .
- ٩٩ — المصدر السابق ، العدد ٣٦ ، ١/٤ /
- ١٩٤٨ .
- ١٠٠ — المصدر السابق ، العدد ٣٨ ، ١/١٨ /
- ١٩٤٨ ، مقال (الطريق الوحيد لاستقلال فلسطين هو الكفاح ضد الرجعية العربية واليهودية) بقلم ن. و. ، ص ٢ .
- ١٠١ — المصدر السابق ، العدد ٤١ ، ٢/٨ /
- ١٩٤٨ ، مقال (نحن نكافح في سبيل سلام دائم وديمقراطية شعبية — مناورات الاستعمار حول قضية فلسطين) ، ص ٦ .
- ١٠٢ — المصدر السابق ، العدد ٤٢ ، ٢/١٥ /
- ١٩٤٨ ، ص ٣ .
- ١٠٣ — المصدر السابق ، العدد ٤٤ ، ٢/٢٩ /
- ١٩٤٨ (حول قضية فلسطين) ، ص ٢ .
- ١٠٤ — المصدر السابق ، العدد ٤٧ ، ٣/٢١ /
- ١٩٤٧ ، ص ٢ .
- ١٠٥ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، من مقال (حول قضية فلسطين) ، ص ٢ .
- ١٠٦ — المصدر السابق ، العدد ٤٨ ، ٣/٢٨ /
- ١٩٤٨ .
- ١٠٧ — صحيفة الملايين ، العدد الثالث ، ٥/٦ /
- ١٩٥١ ، القاهرة ، ص ٨ .
- ١٠٨ — المصدر السابق ، العدد الرابع ، ٥/١٣ /
- ١٩٥١ ، ص ١ .
- ١٠٩ — المصدر السابق ، العدد ٦ ، ٥/٢٧ /
- ١٩٥١ ، ص ١ و ١١ .
- ١١٠ — جريدة الواجب القاهرية ، العدد ١١ ، ١٢/٣/١٩٥٢ ، ص ١ .

أوائل الستينات ، كانت من أبرز الاعمال . ولا بد من الإشارة الى ان هذا النضال كان يدعم من جانب منظمات وشخصيات يهودية .

ولقد استعملت السلطات الاسرائيلية اساليب عديدة ومتنوعة لمواجهة العرب في اسرائيل . فمذ عام ١٩٤٨ وهي تستعمل « قوانين الطوارئ » والتي ورثتها عن حكومة الانتداب البريطاني . ولقد صادرت حسب هذه القوانين حوالي ٩٠٪ من الاراضي العربية التابعة للمغرب الذين بقوا في ديارهم في اعقاب حرب ١٩٤٨ ، وحسبها ايضا يعقل المئات من العرب اعتقالات اداريا ، تصدد اقاماتهم ، وتفرض عليهم الاقلام الجبرية . وحسب قوانين الطوارئ ايضا هدمت قرى بكاملها وشرذ الالاف من العرب وقسم منهم لا يزال حتى اليوم بعد ٢٥ سنة من قيام دولة اسرائيل ، يعيش كلاجئين في القرى المجاورة ، مثل سكان كفر برعم واقراط وغيرها .

الطريقة الثانية ، والتي تعتمد السلطات الاسرائيلية كثيرا عليها ، هي سياسة التجهيل . حتى العام الماضي كانت نسبة النجاح في امتحانات « البجروت » (والتي تخول الطالب دخول الجامعات) بين العرب تتراوح بين ٦ و ١٥ بالمائة في العام (بينما النسبة بين اليهود تتراوح بين ٧٠ و ٩٠ بالمائة) والسنة الماضية فقط تجاوز عددهم الـ ٢٥ ٪ . ولهذه الظاهرة ، في رأبي اسباب عديدة اهمها : عدم استيعاب اساتذة اكناء، وكل مدرس عربي يقبل حسب آرائه السياسية بالاضافة الى استخدام الواسطات ، عدم توافر الكتب الدراسية ، واستعمال « الدوسيهات » والكتب المطبوعة بواسطة المستامن ، عدم توافر المختبرات ، الانية المناسبة وغيرها ، بالاضافة الى فقر البرنامج العربي للثقافة العامة (يعكس البرنامج في المدارس العبرية) .

ومن الاساليب المهمة الاخرى ايضا ، عدم اعطاء المجال لاتمامة اي تنظيم عربي مستقل ، بغض النظر عما اذا كان هذا التنظيم سياسيا ، رياضيا ، ثقافيا او ادبيا . انه لا يوجد في اسرائيل اي تانون يمنع ذلك ، فالسلطات اذكي من ان توقع نفسها في هذا الشرك . ولكنها تستعمل الضغوط ، واساليب القمع الاخرى بمنعها . انها على استعداد للتسامح اذا ما كانت هذه التنظيمات تابعة لاحدى المنظمات او الاحزاب الصهيونية ، اما اذا كانت

المنظمة لا صهيونية فانها تحاول الحد من نشاطها في الوسط العربي ، كما هو الواقع مع « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (متسبين) حيث ان السلطات لم توافق على اعطائها رخصة اصدار جريدة او مجلة باللغة العربية ، وبالرغم من انها ، اي السلطات ، منحها رخصة لاصدار مجلة باللغة العبرية (اود هنا ان استثنى الحزب الشيوعي الاسرائيلي « رايح » فهو حزب غير صهيوني مخضرم وله نشرات عديدة) .

ومن جملة الاساليب ايضا فرض الرقابة على الانتاج الادبي في اسرائيل (والمقصود العربي منه فقط) فمعظم الدواوين الشعرية ، والكتب الادبية التي صدرت حتى الان ، قد مرت تحت مشرط الترشيح للرقابة ، فمثلا ديواني « ارض الميعاد » روقب ، حذفت منه بعض القصائد ، شطبنت اسطر من قصائد وحتى كلمة واحدة من قصيدة . واود ان اضيف ان بعض القصائد التي منعت الرقابة نشرها كانت قد سبق ونشرتها في الصحف والمجلات .

ولعل السطور التالية تعطي القارئ صورة اكثر وضوحا بالنسبة للرقابة في اسرائيل : بعد ان انتهيت من اعداد ديواني « ارض الميعاد » توجهت الى صديق لي وهو يهودي يعمل مصمما فنيا وطلبت منه ان يضع تصميما للغلاف الديوان ، وبذوره طلب مني ان اطبع له على الالة الكاتبة صفحة كاملة ، يحتوي كل سطر فيها على اسم الكتاب مكررا ، وان ابقى فراغا في الوسط لعنوان الكتاب بحرف كبيرة ، ثم قال انه سيضع بعد كل اسم مرة علامة سؤال ، ومرة علامة تعجب حيث يصبح الغلاف بهذا الشكل : ارض الميعاد ؟ .. ارض الميعاد ! .. وهكذا على كل الغلاف الاممي ، قدمت هذا الرأي للرقابة ، وكان الرد بعد اسبوع ، انهم وافقوا على تصميم الغلاف بشرط ان احذف علامة التعجب واستعمل علامة السؤال فقط . لقد قيل ان السلطات الابرائيلية قد الفت الان الرقابة على الادب العربي ، وسوف نرى ما يخبئه لنا الدهر من مفاجات .

ما هي اهم الحركات التي قاومت الطغينان الاسرائيلي وما هو دوركم في هذه الحركات ؟

اذا كنت تعقد الحركات العربية ، فانها قليلة واهمها حركة « الارض » والتي تأسست عام ١٩٥٨ ثم اخرجت خارج القانون بتهمة « العمل ضد امن

الدولة » . لقد كانت والدتي ، وكذلك انسا من الاشخاص الذين اشتركوا في تأسيسها ، وهناك ايضا المنظمات الطلابية العربية . ولكن هناك حركة عربية واسعة جدا وهي « اغلبية العرب في اسرائيل » فقد اشتركوا ، وما زالوا ، في نضال منيف ومستمر ضد الطغيان الصهيوني .

اما اذا كان السؤال يقصد الحركات الاسرائيلية عامة ، فان هناك حركات وشخصيات عديدة قاومت وتقاوم الطغيان الصهيوني ، خصوصا ضد العرب ، وفي طليعتها الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راح) والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (متسبين) وكذلك مجموعة القوة الثالثة والتي كان يترأسها المحامي مردخاي شتاين ، ولجنة حقوق الانسان التي يترأسها الدكتور اسرائيل شاحك . وهناك حركات متأرجحة امثال « حركة همولام هزه » و « سيح » (اليسار الاسرائيلي الجديد وهذا اسمها وليس صفتها) وغيرها .

ما هو تقييمكم للشباب المناضل من عرب اسرائيل ، خاصة مجموعة الشعراء والكتاب العرب وما هو دورهم في مرحلة مواجهة الاحتلال الصهيوني ؟

بعد عام ١٩٤٨ كنا ، نحن العرب الذين بقينا في وطننا ، كنز مقطوع من شجرة ، عندنا القليل جدا من الابداء والمثقفين ، بمعظم الذين بقوا كانوا من الفلاحين المتمسكين بأرضهم . وكان علينا ان نختار اما الاضلال ، وتذويب الشخصية العربية في المجتمع اليهودي الاسرائيلي (واعني بالتذويب اذابة سياسية ، اجتماعية ، ثقافية وادبية) ذي الثقافة والامكانات الكبيرة او المحافظة على شخصيتنا المستقلة . ولقد اختار ابناء شعبي الطريق الاخرى ، اي المحافظة على الشخصية العربية المستقلة . (لا أستطيع ان انكر وجود تأثير من المجتمع الثاني بسبب الاحتكاكات اليومية) كان الطريق آمنا صعبا وشاقا ، ولم تكن عندنا الامكانات الادبية لتثقيف انفسنا ، الكتب غير متوفرة ، وكذلك المجلات الادبية والثقافية ، وذلك حتى عام ١٩٥٨ حيث بدأت «شركة الكتاب العربي» باصدار كتب منقولة . ولكن نتيجة للضغوط التي استعملت ، وما زالت تستعمل ضدنا ولدت عندنا طبقة مثقفة كانت جامعتها التجربة اليومية والصراع المستمر . ولا بد من الاشارة ان كلمة مثقف عندنا ، واعني بين العرب ، لا تعني في معظم الحالات ، ان الشخص قد أنهى دراسته الجامعية ، كما هو متفق

عليه في العالم ، بل ان اغلبية المثقفين ، وخصوصا الاسماء المعروفة في العالم العربي قد انهوا دراستهم الثانوية فقط ، وبعدها خاضوا معترك الحياة ، وكونوا شخصياتهم المستقلة .

لقد اطلق على ادبنا صفة « ادب المقاومة » ، وفي رأبي ان هذا التعبير ثقيل على كواهلنا الغضة واكبر من طاقتنا وواتعنا . فكلية « مقاومة » لها ابعاد اكثر بكثير من المعارك اليومية التي نخوضها ، اننا نخوض نضالا عنيقا ، نستعمل فيه في معظم الاحيان الطرق الشرعية . فاذا ما اردت ان اطلق اسما على ادبنا ، فانني لن اعطيه اكثر من اسم « الادب المناضل » وهو في رأبي جدير به بكل ما في الكلمة من معنى .

ما هو وضع العرب في سجون اسرائيل ؟ وما هي تجربتك الخاصة في هذا الموضوع ؟

لقد مرت بتجربة خمسة عشر شهرا من الاعتقال الاداري ، دون ان اقدم للحكمة . ولقد ضربت واهنت وتعذبت نفسانيا اثناء التحقيق معي . لقد حاولت السلطات الاسرائيلية الصاق تهمة الانتباء الى احدى المنظمات الفلسطينية ، وغشلت . ثم كانت هناك محاولة لارغامي على مغادرة وطني وغشلت هذه ايضا . ولقد كان واضحا ان اسباب اعتقالني هي اسباب سياسية ، حيث انني اعتقلت بعد اسبوعين من صدور ديواني « ارض الميعاد » . ولقد حقق معي عن كتاباتي الشعرية والنثرية ، وخصوصا المقالات التي سبق ونشرتها في مجلة « هذا العالم » عندما كنت رئيسا لتحريرها . وكذلك المقالات التي نشرتها باللغة العبرية في صحف البلاد المختلفة . كما حقق معي عن الرسالة التي ارسلتها (بالبريد) للشاعرة فدوى طوقان والتي انتقدت فيها زيارتها لموشه ديان في منزله . وكذلك عن اصدقائي اليهود وعن علاقاتي بهم . ومن ثم حولت الى السجن الاداري . لقد لعب اصدقائي اليهود دورا رئيسيا في الكفاح من اجل اطلاق سراحني وفضح اساليب السلطات الصهيونية في استعمالها لقوانين الطوارئ .

وضع العرب في السجون الاسرائيلية ، يختلف باختلاف السجن ، ولكن بالاجمال سيء . ان سلطات السجن تقوم بعملية تمييز بين العرب من الاراضي المحتلة وبين المساجين الاسرائيليين . فالعرب من الاراضي المحتلة محتجزون في قسم خاص بهم ، ساعات بقائهم خارج الغرف اقصر بكثير من ساعات

والتروتسكين وغيرهم ، فيعتمدون في الأساس على حل جذري للقضية ، حل ثوري يعطي للفلسطينيين جميع حقوقهم . غلقت رفضت هذه المنظمات قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لأنه يعطي حلاً استعماريًا للقضية ، وفيه تصفية للقضية الفلسطينية ، خصوصاً وان هذا الحل يدعم الكيان الصهيوني ويحافظ على الانظمة الرجعية واللاثورية في العالم العربي .

ما هو تقييمك للدور الذي تقوم به القيادة الفلسطينية تجاه الحركات المناهضة للصهيونية في إسرائيل ؟

ان استراتيجية تطور عمل اليسار الصهيوني (اليهودي والعربي) في اسرائيل تعتمد على البديل الذي تطرحه المنظمات الفلسطينية ، والتي تمثل الند في الصراع القائم ، فاذا كان البديل حلاً اشتراكيًا ثوريًا ، ساعد هذه المنظمات والحركات على السير قدماً في محاربة الصهيونية ، اما اذا كانت النظرية دينية وقومية ، فان سبيلها سيكون صعباً وشاقاً ، ولغاية الآن ، فان معظم المنظمات الفلسطينية لم تطرح البديل الاشتراكي الثوري الصحيح .

وكما ان قوة اليسار اللاصهيوني في اسرائيل ، وضعفه يعتمدان على البديل الذي تطرحه المنظمات الفلسطينية ، فان قوة الصهيونية وضعفها يعتمدان على نفس المصدر ايضا (في اسرائيل على الأقل) ان طرح شعار الدولة الديمقراطية ذات الاديان الثلاثة تعطي للصهيونية قوة العمل والاهتمام ، بأن المنظمات الفلسطينية تهدف الى محو الشخصية القومية الاسرائيلية (وهناك مثل هذه الشخصية) وتحويلها الى اقلية دينية ، الشيء الذي يرفضه حتى اليسار اللاصهيوني في اسرائيل .

ما هو تقييمك للعمل الفلسطيني في المرحلة الماضية والمرحلة الحالية ؟ وما هي بعض الانتراحات التي تقدمها حتى يستطيع العمل الفلسطيني السير الى الامام من اجل التحرير والحرية ؟

أهم ما قام به العمل الفلسطيني في جميع مراحلته هو اعادة تكوين الشخصية الفلسطينية . ففي اسرائيل مثلاً ، شططب الاسم فلسطين او الفلسطينيين من قاموس معظم الصحف والمجلات لسنين عديدة في اغتصاب عام ١٩٤٨ ، مما حدا ببعض قادة اسرائيل وعلى رأسهم دافيد بن جوريون ، وجولدا مائر وغيرها ان يتساعلوا « فلسطينيون

الاسرائيليين . لهم حق زيارة مرة واحدة بالشهر ، بينما الاسرائيليين مرتين . وكذلك فهم محرومون من الظلم السينمائي الذي يعرض مرتين في الشهر ، ومن مشاهدة التلفزيون وممارسة الالعاب الرياضية ومن الكتب الدرامية والثقافية. يسكن كل ١٥ الى ٢٠ شخصاً في غرفة (بينما الاسرائيليون من ٥ - ٧ اشخاص في الغرفة الواحدة) .

ان كل ما ذكرت ينطبق على السجون داخل اسرائيل (قبل عام ١٩٦٧) باستثناء سجن عسقلان حيث المعاملة فيه مظلة جدا ، فبالاضافة الى كل ما ذكرت هناك اذلال للانسان ، ومحاولة لتحطيم النفس ، ففي ذلك السجن يقبع المسجونون داخل غرفهم طيلة ثلاث وعشرين ساعة في اليوم ، وعندما يخرجون للساحة يسرون في صف واحد ، والحديد بايديهم ، وعليهم ان يخفضوا رؤوسهم وعيونهم للارض ، وان يتوجهوا للسجان بكلمة سيدي ، وهذه المعاملة شبيهة للمعاملة في سجون الاراضي المحتلة .

ما هو تقييمك للحركات الاسرائيلية التي تؤيد حق الفلسطينيين ؟

هناك اكثر من تفسير لعنى « الحق الفلسطيني » في المنظمات والحركات ، والاحزاب الاسرائيلية . وكل يفسره حسب مفهومه . فالاحزاب الصهيونية اليمينية لا تعترف بهذا الحق مطلقاً ، بينما المنظمات والاحزاب الصهيونية « اليسارية » تعترف بحق جزء من الفلسطينيين بالعودة لوطنهم ، ولقد تبنى هذه الفكرة حزب مجام الصهيوني ، والاغلبية في حركة « سيح » والتي تمثل موقف حزب مجام قبل عشر سنوات . اما اليسار غير الصهيوني فهو يفتقره يعتمد على مفهومه الثوري لحل القضية . فالحزب الشيوعي الاسرائيلي مثلاً ، بقي متمسكاً حتى عام ١٩٦٧ بقرار الامم المتحدة من عام ١٩٤٨ ، اي بقرار التقسيم ، ثم تبنى بعد حرب حزيران قرار مجلس الأمن ٢٤٢ والذي لا يعطي ، في رأبي ، الحق الكامل للشعب الفلسطيني ، ويحل المشكلة حلاً جزئياً وموقتاً . اما حزب هعولام هزه ، والذي يتأسسه اوري امنري ، فهو يفتقره متأرجح وغير ثابت . والاعتراف بالحق الفلسطيني عنده يعتمد على الموقف العام في اسرائيل وفي العالم .

اما موقف المنظمات اليسارية الثورية مثل « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (متسبين) والحزب الشيوعي الثوري (جماعة النضال)

...؟ ما هذا ...؟ » في مقابلاتهم الصحفية .
وكما اتهمت جولدا مائير بعض اليهود في اسرائيل
بانهم هم الذين خلقوا الشخصية الفلسطينية
بتحدثهم عنها . لقد كان اندلاع الكفاح المسلح حجر
الزاوية باعادة تكوين هذا الكيان .

انني اعتقد انه لن تكون هناك قيمة عملية للعمل
الفلسطيني ما لم يتبن ايدولوجية اشتراكية ثورية
وموتفا واضحا وصريحا خصوصا بالنسبة لليهود
الموجودين في اسرائيل .

**ما هو برأيك الحل للقضية ؟ وما هو تقييمك لفكرة
الدولة الديمقراطية التي تطرحها الحركة
الفلسطينية ؟**

الحل في رأيي يجب ان يكون حلا اشتراكيا بحيث
يتجاوز الدائرة الفلسطينية الاسرائيلية ويصبح
شرق اوسطي . فكل المنطقة ما هي الا جسم
متكامل الاعضاء ، ولكل عضو فيه فعاليته وقيمه .
فعندما نحول الصراع القائم اليوم ، من صراع
تومي الى صراع طبقي ، نكون قد حددنا طريقنا
واعادنا . ففي رأيي ان ليس هناك فرق بين

حسين وديان ، فكلاهما ينتمي للطبقة نفسها ،
ويخدم السيد نفسه بالرغم من اختلاف توميتها .
النظرة الشرق اوسطية تحتم على كل ثوري اينما
كان ، بغض النظر عن هويته وجنسيته وقوميته ،
ان ينضم الى صفوف الثورة بعد ان تحدد اعداءها ،
فانتصار الثورة في اي جزء في الشرق الاوسط
يساعد على حل القضية .

لقد كان احد الاخطاء الرئيسية ، في رأيي ، الذي
وقعت فيه معظم المنظمات الفلسطينية هو الفصل
بين الفلسطيني واللأفلسطيني ، وماذا كانت
النتيجة ؟ لقد وقف الفلاح الاردني يدعم حسين
في الحرب القذرة ضد الفلسطينيين ، فلو ان
المنظمات الفلسطينية اعطت البديل لهذا الفلاح
او القروي الاردني ، وجندته ضد العدو المشترك ،
لما كانت هناك نكسة ايلول ١٩٧٠ وهي ، اي
المنظمات تمر بالوضع نفسه اليوم في جنوب لبنان .
ان العمل على اقامة دولة اشتراكية ، تكون فيها
الحقوق السياسية والقومية كافة متساوية لجميع
الشعوب التي تسكن المنطقة ، هو في رأيي الحل
السليم .

رسالة من بيروت

الجامعة الفلسطينية المقترحة ... الى اين وصلت ؟

تسبب في كونهم لاجئين . وينسحب ذلك على
فلسطينيين مثلما ينسحب على الهند وباكستان
ونيجيريا وغيرها . ولعلل بريطانيا في اواخر عهد
الانتداب قد ارادت ان تكفر عما ارتكبته من سياسة
تعليمية تجاه الشعب العربي الفلسطيني الذي
حرمته من حق توجيه ثنائيه القومية وتربية ابنائه
بالطريقة التي تخدم اهدائه فقررت في النهاية ان
تسلمه المفتاح ليصنع ما يشاء ضمن النطاق الذي
لم يعد فيه لمشيئته خيار كبير . ولعلها كانت موقنة
بان « التقسيم » كائن لا محالة فلا بد للشعب
العربي الفلسطيني من كلية جامعية على غرار كلية
الخرطوم الجامعية . والمهم ان مبلغا لا بأس به
من المال ، كما علمنا آنذاك ، قد وضع في عهدة
بعض الشخصيات الفلسطينية لكي يتابعوا تنفيذ
المشروع . (هذه المعلومات في حاجة الى تحقيق
وتأكيد من كل من لديهم علم او الملم بالموضوع) .

في اواخر عهد الانتداب البريطاني على فلسطين
اذيسع خير فحواه ان « الحكومة » تنوي تحويل
الكلية العربية في القدس الى جامعة . وشاعت
فرحة بين الطلبة والمثقفين في فلسطين لم تنتقص
منها الا الظروف السائدة في ذلك الوقت والتي كانت
تلقي ظللا قوية من الشك حول الخبر . اذ كيف
يعلن الانتداب عزمه على انشاء جامعة في الوقت
الذي يعلن عن عزمه على الانسحاب من البلاد .
فهو اما انه لا يريد ان ينسحب او انه لا ينوي
انشاء جامعة . وبات الامر مجالا كبيرا لمختلف
التاويلات . وكان مما تيل في التأويل ان بريطانيا
تقوم احيانا بعمل « كفارة » لذنوبها في حق شعب
من الشعوب ، لا حبا في ذلك الشعب او في الخير
ذاته وانما لازالة شيء من ألم الضمير البريطاني
تجاه ذلك الشعب . وهكذا فإن بريطانيا هي اول
من يتبرع لاغاثة اللاجئين الذين تكون هي اول من

وهي المهمة المؤرخ أن يفت عند هذه الاسئلة ويحسق ويدقق . ولكن غايتنا هنا ليست التاريخ ، وانما هي تتعلق بالحاضر والمستقبل .

لا مجال هنا للخوض طويلا في اثر الجامعة العبرية على تكوين شعب «اسرائيلي» في فلسطين واحياء اللغة والثقافة العبرية البائدة وبلورة الاهداف والوسائل والمؤسسات الصهيونية في فلسطين . ولكن يمكن مقارنة ذلك مع الوضع العربي حيث لم تكن هنالك جامعة عربية وكان التعليم تحت الاشراف المباشر لحكومة الانتداب البريطاني . وفي الوقت الذي انصرفت فيه المؤسسات الثقافية الصهيونية الى تخطيط التعليم اليهودي حسب متطلبات الاهداف الصهيونية كان هم الانتداب البريطاني حصر التعليم الثانوي في القلة العربية الممتازة وتحويلها الى طبقة من الموظفين والمدرسين .

يكشف لنا موشه مينوهين الكاتب اليهودي المناهض للصهيونية كيف ادخل الى مدرسة جيمنازيا هرتسليا في مطلع هذا القرن في مرحلة اعداده لكي يكون زعيما من زعماء الصهيونيين في فلسطين . وقد تخرج من تلك المدرسة مع موشه شتوك الذي اصبح فيما بعد وزيرا للخارجية الاسرائيلية . وارسل موشه مينوهين الى جامعة كولومبيا في نيويورك لاستكمال اعداده للمستقبل . ولكنه انقلب هناك على الفكرة الصهيونية بعد ان تكشفت له حقيقتها اللا انسانية . هذه الحادثة تكشف لنا كيف كان الصهيونيون يختارون النجباء من اطفالهم وبعدهم لكي يكونوا زعماء المستقبل كل في مجاله . وفي المقابل كانت سياسة حكومة الانتداب التعليمية تعمل على امتصاص الطلبة العرب النجباء لتحويلهم الى موظفين في خدمة حكومة الانتداب . والقلائل الذين كانوا يرسلون في بعثات للدراسة في بريطانيا لم يكونوا احرارا في اختيار ما يناسبهم من دراسات بل كانوا في معظمهم يرسلون على اساس ان يعودوا للعمل في جهاز المعارف كمدرسين او اداريين .

وهكذا حرم الشعب العربي الفلسطيني من امكانية ان يصبح خيرة ابنائه زعماء له في المستقبل . فقد تم تدجين اصحاب المواهب وتحويلهم الى طبقة ممتازة من الموظفين . وقد توزع افراد هذه الطبقة بعد انتهاء الانتداب البريطاني واستخدمتهم الادارات البريطانية والشركات والمؤسسات الاجنبية في مناطق البترول مستفيدة من خبراتهم واخلاصهم

وفي خضم الاحداث التي توالى سارعت الاسم المتحدة الى وضع يدها على مبنى الكلية العبرية ذات الموقع الاستراتيجي وعلى قصر الحكومة القريب منها . والذي اتخذت منه مقرا رئيسيا لهيئة الرقابة الدولية على الهندة . وقد تم في خلال ذلك نقل مكتبة الكلية العبرية الى البلدة القديمة في القدس ووضعت الكتب في اماكن امينة ريثما يأتي اليوم الذي ينفخ فيه الغبار عن المشروع «النائم» . غير انه في خلال عشرين سنة من الهدوء النسبي بعد ذلك ، لم يجد مشروع جامعة القدس طريقه الى النور او الى مجرد البحث والنقاش الجديين . فكل سؤال كان يطرح حول الموضوع لم يكن ليجد من يجيب عليه او من يريد بحث ذلك الموضوع « الشائك » . واصبح موضوع جامعة القدس مسألة سياسية من اختصاص السياسيين لا من اختصاص رجال الفكر والتربية . لم تكن المسألة مسألة مال او كتب او مبان او اساتذة . بل ان هذه الامور كانت اسهل ما في الموضوع . وسؤال لماذا لم تتم جامعة فلسطينية خلال السنوات العشرين التي تلت عام ١٩٤٨ هو شبيه بسؤال لماذا لم يتم كيان فلسطيني في تلك الفترة ؟ وسؤال لماذا لم تتم جامعة في القدس ، سواء اكانت فلسطينية او اردنية هو ايضا قريب من السؤال الاول . فالدول العربية الغنية وكذلك المتمولون والاثرياء من ابناء فلسطين لم يبخلوا على المشروع . بل واعربوا عن كامل استعدادهم للانفاق عليه . وفي وجه العراقيل السياسية كانت هنالك محاولات ذكية من ابناء المدينة ورجالها للالتفاف حول تلك العراقيل بانشاء معاهد عالية يمكن ان تتطور بسرعة الى جامعة . وكان ابرز تلك المحاولات هو المعهد العربي الكويتي في القدس والذي برز الى حيز التنفيذ قبيل الاحتلال عام ١٩٦٧ .

ماذا حدث لمكتبة الكلية العربية واين استقرت في النهاية تلك الكتب ؟ وماذا حدث لاموال المشروع المودعة باسمه من قبل حكومة الانتداب ؟ وماذا حدث لجميع المحاولات العربية والفلسطينية لانشاء جامعة في القدس ؟ جميع هذه الاسئلة تنفرع من السؤال الكبير : ماذا حدث للشعب الفلسطيني ذاته ؟ وكيف تعاون الاثريون والاعداء على محاولة طمس كيانه ووجوده حتى لا يكون له ادب قومي ومؤسسات قومية . تلك اسئلة يمر بها هذا البحث مر الكرام ، على اهميتها ، نظرا لانه مهم بالواقع والمستقبل اكثر من الاهتمام بالماضي — ولعل من

الوظيفي . كما ورثت الإدارة الأردنية الجزء الباقي من هذه الطبقة التي خرج منها الوزراء ورؤساء الدوائر وغير ذلك من الفعاليات الإدارية . وربما أن هذا يجيب الى حد ما على السؤال المحير الذي كان دائما يقول : لماذا رزى هذا الشعب النشيط الذكي دائما بزعماء من غير مستواه ؟! ولربما أنه لا مفر امامنا من الاعتقاد بأن حرمان الشعب العربي الفلسطيني من مؤسسات قومية ومن جامعة على الاخص لم يكن وليد الصدفة بل نتيجة تخطيط مدروس لبعثرته والقضاء عليه حتى لا يستطيع ان يطالب بحقوقه المسلوبة او ينافح دونها .

وبالرغم من جميع المخططات المدروسة لطمس كيان هذا الشعب وبعثرته ، فقد استطاع ان ينتج ادبا متميزا وفكرا وان ينهض في ثورة مسلحة في الوقت الذي ظن فيه الكثيرون انه قد انتهى وتبعثر وتلاشى . ولم يعد الان بيان دولي يخلو من الاعتراف بالشعب الفلسطيني ووجوده . ولعل ذلك ما يدفع هذا الكاتب الى الاعتقاد بأن العقبة السياسية التي كانت تحول دون انشاء جامعة فلسطينية قد باتت اخف وطنا الان عن ذي قبل وأن كانت ما تزال عقبة كبيرة . ومثلا ان المال والكتب والاساتذة لم تكن العقبة الرئيسية في الماضي فان الامر لا يزال كذلك الان . ولكن العقبة الرئيسية الان هي اتفاق الراي الفلسطيني ذاته حول هذه الجامعة المقترحة : فكرتها ، غايتها ، تكوينها ، وموقعها .

لقد طرحت فكرة الجامعة الفلسطينية في السنوات الاخيرة وعلى عدة مستويات . طرحت داخل صفوف الشعب الفلسطيني وخارج صفوفه . وقد تبلورت الافكار خلال الاشهر القليلة الماضية الى عدد من الدراسات . وكل تلك الدراسات مهمة ومفيدة . غير ان الافكار تتباين . فمنها ما يرى انشاء جامعة تكنولوجية للدراسات العليا . ومنها ما يرى انشاء كلية جامعية او معهد عال للمعلمين . ومنها ما يلح على انشاء جامعة متكاملة على غرار احسن الجامعات وارتقاها . وفي رأي هذا الكاتب ان الافكار لا حد لها . ولا قدرة لاحد سوى الكمبيوتر على اعطاء الاشكال والاحجام والانواع التي يمكن ان تكون عليها الجامعات والمعاهد العليا . فاذا كان من يريد انشاء الجامعة فردا من الافراد ، فان شكلها ومضمونها وحجمها يتحدد بإمكانات ذلك الفرد وغاياته ومزاجه . ولو ان طائفة من الطوائف

تريد انشاء جامعة فان نوع تلك الجامعة وحجمها يتحددان ايضا بحاجات تلك الطائفة وامكاناتها وغاياتها . ولكن جامعة لشعب كالشعب الفلسطيني وفي مثل ظروفه فان احدا بمفرده او حتى فئة بمفردها لا تستطيع ان تقرر نوع تلك الجامعة وانما تقررها احتياجات الشعب وظروفه وامكاناته . هذا مبدأ لا بد من الاحتكام اليه لتوفير الكثير من الجدل وعدم اهدار الطاقات الفكرية في التمرينات الخيالية . ولربما ينحصر النقاش بعد ذلك في محاولة استكشاف احتياجات شعبنا في الحاضر والمستقبل على ضوء ظروفه وامكاناته .

ان حاجات شعبنا ليست حاجات مادية ووظيفية فقط وانما هنالك حاجات معنوية لا تقل اهمية عن كل احتياجاته . وتلك هي حاجته الى الحرية لاستكشاف مصيره وممارسة تقرير ذلك المصير . ويبدو لي ان أية جامعة فلسطينية ، محسوبة على الشعب الفلسطيني ، يجب الا تكون محصورة في تفریح نمط واحد من الناس سواء اكلنوا معلمين او مهندسين او تكنولوجيين . وان اية محاولة من هذا القبيل انما تصدر عن احكام مسبقة على هذا الشعب . فاذا كان البعض يرون انشاء كلية للتربية مثلا على اعتبار ان هنالك حاجة ماسة في البلدان العربية للمدرسين وان بإمكان الفلسطينيين ان يسدوا هذه الحاجة او قسما منها فانتني ارى في ذلك حكما مسبقا على شعبنا يحدد له القيام بوظيفة معينة . وينسحب هذا القول نفسه على أية فكرة من هذا القبيل سواء اكانت الجامعة المقصودة كلية للتربية او كلية متخصصة للعلوم التكنولوجية . وليس الاعتراض على انشاء كلية للتربية او أية كلية متخصصة ولكن الاعتراض على ان تكون الجامعة التي تحمل اسم الشعب الفلسطيني محصورة ومقيدة بدور وظيفي معين .

ان من واجب الجامعة الفلسطينية ومن مبررات وجودها هو ان تكون قادرة على كسر الانبساط والقوالب الفكرية التي خططت وفرضت على الشعب حينما لم يكن واعيا لابعادها . ولقد أصبحت هذه القوالب جزءا منا على مر الزمن وأن الوان لان نعبد النظر فيها بوعي وان نستعيد اصلتنا الفكرية . ولربما ان طريقة نظرة بعضنا الى الجامعة ووظيفتها هو من آثار هذه القوالب .

الجامعة الفلسطينية يجب أن تكون جامعة حرة،

دراسته او جزء منها اذا كان غير قادر على الانفاق على تعليمه . وقد يقتضي ذلك عدم تحديد مدة الدراسة بسنين معينة وانما باتهام برامج مقرررة على نمط الجامعات الشعبية في الدانمارك او نظام التعليم في بعض الجامعات الاميركية وذلك حتى يتاح للطلاب التوفيق ما بين العمل والدراسة . ان ظروف شعبنا واحتياجاته المادية والمعنوية تفرض مثل هذه الشروط الاساسية على أية جامعة تحصل اسمها . ولا أظن الا ان شعبنا قادر على القيام بما تتطلبه مثل هذه الجامعة من تضحيات وعمل .

ومن اجل الا يبقى هذا المشروع مجرد كلام نظري اقترح أن تتألف لجنة تأسيسية للمشروع مكونة من احد عشر شخصا بصفاتهم الشخصية لا بانتماؤاتهم المهنية او السياسية على أن يكون هؤلاء من البارزين والمؤتمين بمشروع الجامعة على هذا الاساس . وتقوم هذه اللجنة بالاعلام للمشروع وتنشئ سكرتارية عامة لها للتابعة . وتقوم اللجنة التأسيسية بتأليف لجان من داخلها وخارجها لدراسة ووضع مختلف البرامج التنفيذية . ويمكن أن تكون هذه اللجان ما يلي : أ - لجنة الاتصال والعلاقات . ب - لجنة البرامج الجامعية . ج - اللجنة المالية . د - اللجنة الهندسية . وتجتمع اللجنة التأسيسية بصورة دورية لتابعة اعمال مختلف اللجان على أن يظل النشاط الاعلامي حيا في مختلف المراحل . وتضع اللجنة التأسيسية النظام الداخلي لعمليها كما تضع مشروع نظام داخلي للجامعة في انتظار الموافقة عليه من قبل اول مجلس ادارة منتخب يمثل الاساتذة والطلبة والمواطنين .

لقد مرت فترة الان منذ أن قدمت دراسات مختلفة لمشروع الجامعة الفلسطينية وأظن أن الوقت قد حان لتجاوز النقاش الى مرحلة العمل - وارجو ألا يمر وقت طويل قبل ان نسعى ببروز لجنة تأسيسية لمشروع الجامعة الفلسطينية .

أبراهيم أبو ناب

والعلم فيها حرا وتميز بأقصى درجات الحرسة الاكاديمية . وعلى ذلك فيجب الا تقتصر على فرع من فروع التخصص وانما تخوض في كل فرع من فروع العلوم والمعرفة الانسانية . والشروط الثاني هو أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخ الشعب الفلسطيني وواقع ومستقبله . وبهذين الشرطين تستحق مثل هذه الجامعة أن تدعى فلسطينية .

ان تحقيق الشرط الاول كفيل بأن يجعل دور مثل هذه الجامعة متناسقا مع دور الشعب الفلسطيني كما يراه الآخرون . فاذا كان هذا الشعب قد قدر له أن يقوم بدور طليعي في تحرير الأرض العربية والإنسان العربي فلا بد لجامعته المقترحة من أن تقوم بدور طليعي في تحرير العقل العربي وتمكينه من أصوله وتخليصه من الزيف الثقافي المتراكم عليه . والشرط الثاني هو الارتباط الوثيق بين الجامعة والشعب انما يعطي الشرط الاول شكله ومحتواه . فالشرط الاول بدون الشرط الثاني يبقى كلاما نظريا جبلا ولكنه دون تحديد وتطبيق . ولترجمة الشرط الثاني الى واقع عملي أرى أن يكون مجلس ادارة الجامعة مقسما بالتساوي بين ممثلين عن الاساتذة والطلبة والمواطنين . وبذلك تكون هذه الجامعة قد حققت خطوة متقدمة على معظم الجامعات حيث يحتدم التناقض بين الجامعة والطلبة .

بالإضافة الى الحرية والارتباط الوثيق بين الجامعة والشعب هنالك شرط ثالث مكمل لهذين الشرطين لا ينفصل عنهما الا وهو ديمقراطية التعليم فسي الجامعة الفلسطينية المقترحة . وديمقراطية التعليم في هذه الجامعة يعني ان يكون التعليم فيها متاحا وميسورا لكل فلسطيني سواء بالاقامة او بالانتساب بما يتناسب وامكانياتها المتاحة في كل مرحلة من مراحل تطورها . ولا تعني اتاحة التعليم للفلسطينيين اقتصره عليهم . ولعل هذا يقتضي أن تكون الجامعة نظرية وتطبيقية وانتاجية بحيث يتمكن الطالب المتقيم فيها من العمل لقاء تكاليف

رسالة من الأرض المحتلة تقرير عن معاهد التعليم المالي في الضفة الغربية

١٥٠٠ دينار . كما يحتوي المعهد على مختبرات علوم حديثة مجهزة تجهيزاً حسناً ، ويرصد سنويا مبلغ ١٠٠٠ دينار لتحصين هذه المختبرات . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

معهد المعلمين - العرب

تأسس هذا المعهد سنة ١٩٥٨ ليكون معهدا لتخريج معلمين للمرحلة الابتدائية والاعدادية في مدارس التربية والتعليم . وفي سنة ١٩٦٤ انغمس معهد المعلمين لعدم حاجة الأردن في ذلك الوقت الى المزيد من خريجي دور المعلمين . وتحول المعهد بعد ذلك الى معهد زراعي للمعلمين لتخريج معلمين زراعيين فنيين . وفي سنة ١٩٦٩ اعيد افتتاح معهد المعلمين مرة ثانية وتحول المعهد الزراعي الى مرحلة زراعية ثانوية . ويقبل في هذه المرحلة الطلاب الذين انهوا المرحلة الاعدادية حيث يقضون ثلاث سنوات في الدراسة الزراعية يقدمون في نهايتها امتحان شهادة الدراسة الثانوية الزراعية . اما معهد المعلمين فيقوم على تخريج معلمين للتدريس في مدارس التربية والتعليم في الضفة الغربية ، ويقترص التخصص في المعهد على الفرع الادبي فقط حيث يتخصص الطالب في الاجتماعيات او اللغة الانكليزية او اللغة العربية والدين . ويبلغ عدد طلاب المعهد للعام الدراسي ٧٢/٧١ في السنة الاولى ٣٨ طالبا وفي السنة الثانية ٣٨ طالبا ايضا . وقد تخرجت عام ١٩٧١ الدفعة الاولى من المعهد بعد افتتاحه للمرة الثانية وعددهم ٤٥ طالبا . وقد تم استيعاب العدد الاكبر منهم في مدارس الضفة الغربية . ويشترط في قبول الطالب في هذا المعهد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية العامة . ويتبع المعهد نفس مناهج دور المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم . ويقوم بالتدريس في المعهد خمسة معلمين يحملون مؤهلات جامعية ويشرف على الادارة السيد ابراهيم القادري وهو يحمل شهادة بكالوريوس في العلوم .

وفي المعهد مكتبة تحتوي على ٧ الاف كتاب ويضاف سنويا بعض الكتب من ميزانية خاصة يتبرع بها طلاب المعهد . وفي المعهد مختبر صغير للعلوم العامة ينقصه الكثير من الاجهزة اللازمة لطلاب معهد المعلمين . ويستعمل فقط لتدريس طلبة القسم الادبي .

المعهد الزراعي - طولكرم

تأسس هذا المعهد سنة ١٩٦١ تحت اسم كلية الحسين الزراعية . وجعلت مدة الدراسة فيها سنتين جامعتين بعد المرحلة الثانوية على ان ترتفع في المستقبل الى اربع سنوات وتؤدي الى شهادة البكالوريوس في الزراعة او التعليم الزراعي . وكان التفكير المبدئي لدى الحكومة الاردنية ان تكون هذه الكلية تقسما من الجامعة الاردنية ، الا انه في سنة ١٩٦٢ صرف النظر مؤقتا عن تأسيس هذه الكلية وحولت الى كلية الحسين الزراعية في طولكرم وجعلت مدة الدراسة فيها سنتين نهائيتين يكون الهدف منهما تخريج فنيين زراعيين . وفي سنة ١٩٦٤ اصدرت وزارة التربية والتعليم الاردنية قرارا اصبح اسم الكلية بموجبه (معهد الحسين الزراعي - طولكرم) ورفعت مدة الدراسة في قسم الزراعة والعلوم الى ثلاث سنوات بعد المرحلة الثانوية لانساح المجال لادخال مساقات التربية وعلم النفس والاساليب الخاصة والعامة في التدريس والوسائل المعينة وغيرها من المواد . كما انشئ عام ٦٥/٦٤ قسم لاعداد معلمي العلوم والرياضيات للمرحلة الاعدادية . وفي عام ١٩٦٥ طالب عميد المعهد بالحاقه بالجامعة الاردنية ليكون اساسا لكلية الزراعة . وقد رحبت الحكومة الاردنية بهذا الطلب ولكنها اشترطت دفع مبلغ مليون دينار اردني لتأسيس معهد اخر مماثل لمعهد الحسين الزراعي في وزارة التربية والتعليم . وكان هذا الطلب حجر عثرة في سبيل تأسيس كلية الزراعة في طولكرم . وفي بداية العام الدراسي ٦٩/٦٨ اضيفت ثلاثة فروع تخصص اخرى الى المعهد لاعداد معلمي اللغة العربية والتربية الدينية ، اللغة الانكليزية ، الاجتماعيات ، مدة الدراسة في كل منها سنتان بعد الدراسة الثانوية . وبذلك اصبح المعهد معهدا عاليا لاعداد المعلمين في التخصصات المختلفة للتدريس في المرحلتين الابتدائية والاعدادية .

ويضم المعهد الزراعي في طولكرم حاليا نحو ٣٠٠ طالب في السنوات الثلاث ، ويشرف على تدريسهم هيئة مكونة من ٢٠ مدرسا يحملون المؤهلات الجامعية . وفي المعهد مكتبة تحتوي على ٢١ الف كتاب وترصد ميزانية سنوية لتطوير المكتبة قدرها

ويتبع المعهد مباشرة لاشرف ضابط قيادة التربية والتعليم في الضفة الغربية . وتوضع ميزانية المعهد بموافقة هذه القيادة . ويقدر مصروف الطالب بـ ٢٥ قرشا في اليوم وعلى هذا الاساس تحسب الميزانية السنوية . ويذهب القسم الأكبر من الميزانية لاعاشة الطلاب في القسم الداخلي ثم لمصاريف زراعية في الحقل . وتتبع رواتب المعلمين لضابط القيادة رأسا ولا تدخل في ميزانية المعهد . ويدفع كل طالب لدى التحاقه بالمعهد خمسة دناتير رسوم مصاريف ونشاطات خارج الصفوف وتبرعات للمكتبة . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

مركز تدريب الفتيات والعلمات - رام الله

يتبع هذا المركز مباشرة لوكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين . ويضم المركز معهدا لتدريب العلمات وقسما للتدريب المهني للفتيات ويتسع لـ ٦٤٠ طالبة . وقد تأسس سنة ١٩٦٢ ، وقبل حرب حزيران سنة ١٩٦٧ كان المركز يقبل طالبات من اربع دول مضيئة للاجئين الفلسطينيين هي الاردن ، قطاع غزة ، لبنان وسوريا . وبعد الحرب اقتصر القبول على قطاع غزة والضفة الغربية فقط ، حيث يتم قبول الطالبات من هاتين المنطقتين بنسبة متساوية لمدة سنتين . يهدف هذا المركز الى تدريب الفتيات للحصول على مهنة في احد الحقول التالية : أ - تدريب العلمات . ب - التدريب المهني - ويشمل الدورات التالية : التحليل المخبري ، دورة مساعدي الصيادلة ، الحضائنة ورياض الاطفال ، ادارة المنازل والمؤسسات ، اعمال المكاتب والسكرتارية ، خياطة الملابس ، التجميل وتصفيف الشعر .

ويشترط في قبول الطالبة ان تكون فلسطينية لاجئة تحمل بطاقة تموين سارية المفعول وان تكون ناجحة في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة (او امتحان القبول الذي يعقده المركز للمتدمات لاحدى الدورات المهنية) . ويبلغ عدد الطالبات الملتحقات بمعهد تدريب العلمات للعام الدراسي ٧٢/٧١ ٢٧١ طالبة وفي قسم التدريب المهني ٢١٣ طالبة . ويبلغ عدد خريجات هذا المركز منذ تاسيسه حتى الان نحو ٢٠٠٠ خريجة . ومعظم هؤلاء الخريجات حصلن على وظائف في مناطق مختلفة من العالم العربي . وبعد حرب حزيران اقتصرت امكانيات العمل على الضفة الغربية وقطاع غزة . وتعطى الاولوية في توظيف خريجات المركز في شواغر وكالة

الاغاثة . وفي عام ١٩٧١ تخرج من المركز ٩٨ طالبة من قطاع غزة استطاعت ٣٦ منهن الحصول على وظائف ، كما تخرجت من الضفة الغربية ٨٩ طالبة استطاعت ٧١ طالبة منهن الحصول على وظائف .

ويقوم بالتدريس في قسم تدريب العلمات هيئة تدريس عددها ٢٣ معلما ومعلمة يحملون مؤهلات جامعية . وقد وضعت مناهج تدريس خاصة للمركز باشراف خبراء منتدبين من هيئة اليونسكو . وقد تم تطوير هذه المناهج غيا بعد بمساعدة الهيئة التدريسية لتتشمى مع احتياجات المنطقة . وتخصص وكالة الاغاثة ميزانية سنوية للمركز على اساس

٥٥ دولارا مقابل كل طالبة تلتحق بالمركز كما تخصص دولارين مقابل كل طالبة لتحسين وتطوير مكتبة المركز . وتصل الى المركز مساعدات مالية وفنية سنوية من مؤسسات عالمية مختلفة . وتشرف على ادارة المركز السيدة انعام المفتي وهي تحمل شهادة البكالوريوس في الاداب . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

مركز تدريب المعلمين - رام الله

يتبع هذا المركز مباشرة لوكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، ويضم المركز معهدا لتدريب المعلمين لمدة سنتين . وقد افتتح المعهد هذا العام سنة ثالثة كمشروع تجريبي يهدف الى زيادة تخصص الطالب في العلوم والرياضيات واللغة الانكليزية كما يهدف الى فتح مجالات عمل افضل امام الخريجين . ويبلغ عدد الطلاب في السنة الاولى ١٢٤ طالبا ، وفي السنة الثانية ١٢١ طالبا ، وفي السنة الثالثة ٤٤ طالبا بالاضافة الى ١٣ طالبة من مركز تدريب الفتيات والعلمات في رام الله . ولا يوجد اي تفكير لتطوير المركز الى اربع سنوات . ويشترط في قبول الطالب في هذا المركز ان يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية العامة بمعدل لا يقل عن ٦٧٪ بالاضافة الى مقابلة شخصية امام لجنة خاصة . وتسير المناهج حسب برنامج خاص باشراف خبراء من هيئة اليونسكو . ويقوم بالتدريس في المركز ٢٣ مدرسا يحملون مؤهلات جامعية وتتراوح سنوات الخبرة بين ٢ - ١٣ سنة . وتقتصر مجالات العمل لخريجي المعهد على الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد استوعبت مدارس وكالة الغوث من خريجي العام الماضي ١٥ طالبا بينما استوعبت المدارس التابعة للتربية والتعليم ثلاثة خريجين فقط ، وذهب

الباقون الى الضفة الشرقية بحثا عن عمل ، وسافر البعض الى الخارج لاتبام الدراسة في الجامعات . وفي المعهد مكتبة تحتوي على ١٦ الف مجلد باللغتين العربية والانكليزية والقسم الاكبر منها مخصص للعلوم والرياضيات . كما يضم المركز ٣ مختبرات للفيزياء والكيمياء والاحياء وتبلغ الميزانية العامة للمركز ١٩٠ الف دولار يخصص معظمها لمصاريف القسم الداخلي . كما يرصد مبلغ ٢٠٠ دولار في السنة لتطوير المختبرات وثمانية دولارات عن كل طالب لتطوير المكتبة . ويصرف لكل طالب ١١٧ قرشا في الشهر كمصاريف خاصة . ويقوم بالاشراف على ادارة المركز السيد عطية محمود وهو يحمل شهادة البكالوريوس في العلوم . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

معهد معلومات رام الله

يتبع هذا المعهد لوزارة التربية والتعليم الاردنية وبعد حرب حزيران انتقل الاشراف عليه الى ضابط التربية والتعليم في قيادة الضفة الغربية . وتأسس هذا المعهد سنة ١٩٥٢ وهدفه تخريج معلمات للمرحلة الالزامية . ويشترط في قبول الطالبة حصولها على شهادة الدراسة الثانوية العامة . والدراسة في هذا المعهد تتبع مناهج دور المعلمين التابعة لوزارة التعليم الأردنية .

عدد الطالبات في السنة الاولى ١٢٠ طالبة وفي السنة الثانية ١٢٤ طالبة معظمهن من الضفة الغربية وشعبة واحدة فقط من قطاع غزة . وتقوم بالتدريس في هذا المعهد ١٧ مدرسة منهن ١٢ مدرسة متفرغة . وجميعهن يحملن شهادات جامعية وتتراوح سنوات الخبرة لديهن من ٤ - ١٠ سنوات . اما مجالات العمل لخريجات المعهد فهي افضل من اي معهد اخر ، اذ تقوم مدارس التربية والتعليم باستيعاب جميع الخريجات في مدارس الضفة الغربية . ويحافظ المعهد على عدد الخريجات كل عام بحيث لا يزيد على ١٢٠ حتى تتوفر لهن الشواغر بعد التخرج .

وفي المعهد مكتبة تحتوي على ١٦ الف مجلد بالعربية والانكليزية وتبلغ ميزانية المكتبة السنوية ٣٦٠ ديناراً . اما المختبرات فهي ضعيفة نسبيا وتحتاج الى المزيد من التطوير ، ويرصد سنويا مبلغ ٢٠٠ دينار بقصد تحسين المختبرات .

وتبلغ مصاريف الطالبة الواحدة في المعهد نحو ٢٨

دينارا في الشهر الواحد (نحو ٢٢٤ ديناراً للسنة الدراسية) . وعلى هذا الاساس تحسب الميزانية العامة للمعهد . ومن شروط الالتحاق بهذا المعهد ان تقيم الطالبة في القسم الداخلي - وقد الحقت بالمعهد في العام الماضي شعبة خاصة لطالبات غزة ويتخصصن الان في الفرع العلمي لضمان استيعابهن في مدارس غزة بعد التخرج .

وفي سنة ١٩٥٦ الحقت بهذا المعهد مدرسة نموذجية تحتوي على ستة صفوف ابتدائية - والهدف من هذه المدرسة تدريب الطالبات على التطبيق العلمي . وتضم هذه المدرسة ١٥٠ طالبة من المتفوقات اللواتي يأتين من وسط علمي وثقافي ممتاز . وتقوم بالاشراف على ادارة المعهد الانسة ندى بركات وهي تحمل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

معهد الروضة الوطني للمعلمين - نابلس

مؤسسة وطنية خاصة تأسست سنة ١٩٧٠ . تهدف الى تخريج معلمين مؤهلين للتدريس في المرحلة الالزامية . مدة الدراسة فيها سنتان بعد المرحلة الثانوية ويشترط في قبول الطالب حصوله على شهادة الدراسة الثانوية العامة . وتقتصر الدراسة في هذا المعهد على الفرع الادبي فقط حيث يتخصص الطالب في احد المجالات التالية : اللغة العربية والدين او الاجتماعيات او اللغة الانكليزية . وتسر الدراسة حسب مناهج دور المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم الأردنية . ويبلغ عدد طلاب السنة الاولى ٢٥ طالبا وطالبة وفي السنة الثانية ٤٤ طالبا وطالبة ، ويقوم بتدريس هؤلاء الطلاب هيئة تدريس مكونة من ٢٠ مدرسا معظمهم يحملون مؤهلات جامعية . ويقوم هؤلاء المعلمون بالتدريس في القسم الثانوي التابع لنفس المعهد . وتتخرج الدفعة الاولى من هذا المعهد في نهاية العام الدراسي ٧٢/٧١ ، وما زالت مجالات العمل امامهم غير معلومة . ويعتقد المشرفون على المعهد بضرورة تحديد عدد الطلاب عند القبول حتى يضمنوا ايجاد عمل بعد التخرج نظرا لامكانيات العمل المحدودة في الضفة الغربية .

تبلغ رسوم التعليم للطالب الواحد في العام الدراسي ٤٠ ديناراً اردنياً بما فيها اللزوم المدرسية . ويشرف على المعهد اربعة اشقاء من آل عبد الهادي . وهم لا يعتمدون على اي مصدر للمساعدات المالية من الخارج ويكتفون بجهدهم

العربية والانكليزية ، وتخصص الادارة سنويا ٤٠٠ دينار لتطوير المكتبة واطافة اعداد جديدة من الكتب . كذلك يحتوي المعهد على ٣ مختبرات صغيرة للفيزياء والكيمياء والاحياء وترصد الادارة مبلغ ٤٠٠ دينار في السنة لتطوير هذه المختبرات وتوسيعها . والمدير المسؤول عن المعهد هو الاستاذ محمد العميد (بكالوريوس اداب) ويشرف على سياسة الكلية العامة والمالية مجلس عمدة مكون من ستة اشخاص هم : الدكتور احمد سروري ، الدكتور جودت تفاعه ، السيد ابراهيم صنوبر ، السيد حكمت المصري ، السيد تحسين كمال والدكتور مصطفى بشناق . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

كلية بير زيت

كلية بيرزيت مؤسسة اهلية للتعليم العالي تقع على بعد ٢٦ كيلو مترا شمالي مدينة القدس . ويشرف على الكلية مجلس ائمة يقرر سياسة الكلية ويتحمل جميع مسؤولياتها . وتحتوي الكلية على صنفين بعد المرحلة الثانوية : الصنف الجامعي الاول والصنف الجامعي الثاني بفرعيهما الادبي والعلمي . وتدرس جميع المواد باللغة الانكليزية فيما عدا مادة اللغة العربية . ويوجد في الكلية أيضا برنامج تحضيري خاص يعطى للطلبة الذين يحتاجون الى تقوية لغتهم الانكليزية قبل التحاقهم بالصنف الجامعي الاول .

تتبع الكلية نظام التعليم الحصر الذي يتيح للطلاب فرصة اختيار المواد التي تناسبه دون التقيد بفترة زمنية محددة اذ تصعب له جميع المواد التي يدرسها بغض النظر عن الفترة التي اخذت فيها . ويتيح هذا النظام كذلك للطلاب فرصة دراسة مواد متنوعة خارج اختصاصه يختارها حسب مبوله . وينح الطالب الذي ينهي البرامج المقررة بنجاح الشهادة الجامعية المتوسطة في الاداب او العلوم . وتؤهل هذه الشهادة حاملها للانتقال الى السنة الجامعية الثالثة في عدد من الجامعات في البلاد العربية وخارجها من ضمنها الجامعة الاردنية ، الجامعات العراقية ، الجامعة الاميركية في بيروت ، كلية بيروت للبنات ، الجامعة الاميركية في القاهرة وعدد من جامعات بريطانيا والولايات المتحدة . ولكي يقبل الطالب في الصنف الجامعي الاول « ادبي او علمي » عليه ان يكون قد اجتاز امتحان الدخول للغة الانكليزية وان يحبل شهادة الدراسة الثانوية

الفردية والدخل العائلي من الاسهم والشركات والاراضي . ويقوم بالاشراف الاداري على المعهد السيد مروان عبد الهادي وبالاشراف الفني السيد صالح عبد الهادي وهو يحبل شهادة البكالوريوس في الاداب . (لا يوجد دليل رسمي للمعهد) .

معهد النجاح الوطني للمعلمين - نابلس

مؤسسة وطنية خيرية هدفها اعداد المعلمين المؤهلين للتدريس في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية . ومدة الدراسة فيها سنتان بعد المرحلة الثانوية ، ويشترط في الطالب عند القبول ان يكون ناجحا في امتحان الدراسة الثانوية العامة . ويبلغ عدد طلبة هذا المعهد في العام الدراسي ٧٢/٧١ ٥٥٤ طالبا وطالبة منهم ٣٠٠ في السنة الاولى و ٢٥٤ في السنة الثانية وتبلغ نسبة البنات حوالي ٨٠٪ . ويقوم بتدريس هؤلاء الطلاب هيئة تدريس عددها ٢٩ مدرسا ، من بينهم ١٢ مدرسا متفرغا و ١٧ مدرسا غير متفرغ . وجميعهم يحملون مؤهلات جامعية وتتراوح سنوات الخبرة لديهم بين ٢ - ٢٠ سنة .

وتتبع الدراسة في هذا المعهد نفس مناهج معاهد المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم الاردنية . والدراسة في المعهد مسائية تبدأ في الساعة الثانية حتى الساعة مساء . ويعطى الطلاب في الفصل الاول مواد مقررة ثم يبدأ التخصص في الفصل الثاني . ويقوم كل طالب في نهاية المرحلة بالتطبيق العملي المكثف لمدة شهر باشراف الوجهين التربويين التامين لمكتب التربية والتعليم . وعند تخرج الطالب يمنح شهادة المعهد التي تؤهله للعمل كمدرس في مدارس الضفة الغربية . وتتوقف مجالات العمل لخريجي هذا المعهد على الشواغر المتوفرة في مدارس الضفة الغربية ، وتعطى اولوية التوظيف عادة لخريجي المعاهد التابعة لوزارة التربية والتعليم وبناء عليه اصبحت مجالات العمل امام خريجي هذا المعهد محدودة مما اضطر العديد منهم الى البحث عن مجالات جديدة للعمل في البلاد العربية مثل المملكة العربية السعودية وليبيا .

تبلغ رسوم التعليم في المعهد ٥٠ دينارا اردنيا في العام الواحد . ونظرا لضعف الموارد المالية لعدد كبير من الطلاب فقد بلغ مجموع الاعفاءات من الرسوم هذا العام ثلاثة الاف دينار .

وتحتوي مكتبة المعهد على ثمانية الاف مجلد باللغتين

العامة الاردنية او ما يعادلها من الشهادات الثانوية العامة .

تحتوي مكتبة الكلية على ١٨٤٠٠٠ مجلدا « منها ١٢٤٠٠٠ باللغة الانكليزية و ٦٤٠٠٠ باللغة العربية » وتشمل هذه الارقام ايضا نحو ٧٠٠ مرجع . وتشترك المكتبة في ما يقرب من مائة مجلة دورية . وتوجد في المكتبة قاعة للمطالعة تتسع لمائة طالب كما تحتوي على قسم خاص للمجلات المجلدة التي تستعمل كمرجع في الابحاث . في الكلية مختبرات مجهزة تجهيزا حسنا للفيزياء والكيمياء والاحياء وتعطى الفرص الكافية للطلاب لاجراء الاختبارات الفردية باشراف المدرس المختص .

وتبلغ رسوم التعليم السنوية ١٤٠ دينارا للطلاب الواحد بينما تبلغ رسوم القسم الداخلي ١٨٠

دينارا في العام الواحد . وتقدم الكلية عددا من المنح الدراسية للطلبة المتفوقين والمحتاجين وتغطي هذه المنح رسوم التعليم ورسوم القسم الداخلي او جزءا منها . وكذلك يوجد امكانية لحصول الطالب على قرض بدون غائدة وتدفع هذه القروض عادة بعد انتهاء الطالب من دراسته الجامعية .

ويبلغ عدد طلبة الكلية للعام الدراسي الحالي ١٨٠ من بينهم ٧٠ طالبة و ١١٠ طلاب . ويقوم بالتدريس في الكلية ٢٠ مدرسا جامعيا يحمل اثنان منهم شهادة الدكتوراه وثمانية شهادة الماجستير . وتتألف الهيئة الادارية في الكلية من : رئيس الكلية الدكتور حنا ناصر ، عميد الكلية الدكتور جابي براهمي ، مدير التسجيل منير ناصر . (وللكلية دليل عام سنوي) .

٠ ح ن

رسالة من امستردام عملية مطار اللد والاعلام العربي

جديدة لم تكن الى الان ضمن تقديرات استخبارات الامبريالية في العالم وحساباتها . وهناك ملاحظة مهمة اخرى ، هي أن ادانة الهجوم من طرف صحف غربية كثيرة ضالعة مع الصهيونية ، بأقنسى عبارات الادانة ، لم تعزز الاثر المقصود منها في الغرب . بخلاف احداث سابقة اقل عنفا كانت تتخذ وسيلة لتشويه سمعة المقاومة الفلسطينية وكانت في الوقت نفسه تكم أفواه اعداء الصهيونية من الغربيين ولو مؤقتا . وهذه ظاهرة تستحق التفحص . والمتفحص لا يستطيع اهمال عامل التوقيت . توقيت العملية كان متقنا . فقد جاء في اعقاب حادث الغدر بخاطفي طائرة سايبينا . لقد طرب انتصار اسرائيل وعشاقها ساعة انتشر خبر السيطرة على طائرة سايبينا وقتل اثنين من شبان وشابات المقاومة الذين قاموا بالعملية . الا ان اصدقاء العرب الذين شيدوا صداقتهم على اسس من التفهم العميق للقضية الفلسطينية ، لم يطربوا . كذلك لم يطرب غالبية الذين قدروا بحسبهم السليم ان ما قامت به عصابة القادة العسكريين الاسرائيليين للاستيلاء على طائرة سايبينا وافشال خطط خاطفيها ، عمل جنوني مغامر مجرد من كل احساس بالمسؤولية . والمتفحص لذبول حادث

الهجوم على مطار اللد كان علامة فارقة في مسيرة حركة التحرير الفلسطينية ، وفي مجال سمعتها على النطاق العالمي ، كحركة تحريرية مشروعة . ذلك ان الهجوم على مطار اللد كان أول تحد سافر للعدو في رقعة من الارض يعتبرها بمثابة القلب في جسم الدولة الصهيونية الغاصبة . والهجوم ، بعد ذلك ، لم يكن يقابل مؤقتة اخفنى زارعوها عن الانظار ، بل كان بالرجال يحملون عتادهم الحربي بأيديهم ويموتون مع الذين قدر لهم الموت في تلك اللحظات التي تفجر فيها غضب الثائرين على البطش والظلم كما لم يتفجر من قبل . وايضا فان الهجوم نفذ على أيدي شباب اجانب يحملون رسالة رجال المقاومة الشرفاء في كل مكان ، ومضمونها ان معركة التحرر من الامبريالية والظلم ميدانها الكرة الأرضية بأكملها وليس وطننا بعينه .

ان المتطوعين الاجانب في حركات التحرير ، يعملون في أكثر من أرض تتطلع الى التحرر ، لكن التاريخ لم يسجل لهم بعد اندفاع هؤلاء الشبان اليابانيين وحماسهم الذين قاموا بالهجوم على مطار اللد . معنى هذا ان حركات التحرير في العالم متجهة نحو مزيد من التضامن والعمل المشترك ومزيد من تصعيد العنف . ومعناه انها صارت تأخذ ابعادا

مطار اللد ، في الغرب ، يرى ولأول مرة كيف ان الصحف الصفراء التي حاولت ان تلصق بالمقاومة الفلسطينية صفات الجبن والذنابة والشر ، لم تجد ميدان الكلام وقتنا عليها فقط تصول وتجول فيه كما تشاء وتعبث فيه بعقول الناس كما تريد . ذلك ان صحفا ومجلات كثيرة سواها حاولت من فرط رهبتها واشفاقها على اسرائيل ان تنظر قليلا الى الامام . هذه ، اذ ادانت الهجوم وبكلام قاس ايضا ، فقد حاولت في الوقت نفسه ان تغمز من طرف خفي داعية اسرائيل الى التخلي عن تعنتها وصلتها وغرورها ، والانسحاب في المساعي الرامية الى احلال السلام في الشرق الاوسط قبل فوات الوقت . بل ان بعضها منها لم يتردد في الاشارة بصراحة الى اثر العنف والبطش الصهيوني في خلق حالة من اليأس لدى الفلسطينيين تفرض عليهم تصعيد متاومتهم الى مراتب اعلى من العنف . وفي هذا الدليل القاطع على ان الحادث، وان كان غريبا وداعيا الى التساؤل ، فانه خلف وراءه آثارا ايجابية . ولقد لاحظ كل هذا في حينه ، قراء الصحف الكبيرة الغربية ، مثل الواشنطن بوست والنيويورك تايمز والتريبون والفارديان والتايمز ومجلات كالقايم والنيوزويك .

والواقع ان اصدقاء العرب في الغرب ، بعد سماعهم اخبار مطار اللد والهجوم عليه ، وضعوا ايديهم على قلوبهم . والسبب هو ان الحادث جديد في نوعيته ، انصف بمرتبته عالية من العنف لم تأخذ بها حركات المقاومة بعد . كان هؤلاء الاصدقاء يعللون ما حدث بأنه خطأ فرضته ظروف آتية خافية . كانوا يقولون لانفسهم ، ان الشبان اليابانيين اغلب الظن كانوا يستهدفون اصلا تدمير عدد من الطيارات على أرض مطار اللد ، او الهجوم على مخزة عسكرية من حراسه ، او أي شيء من هذا القبيل ، لكنهم فعلوا ما فعلوه تحت ضغط الظروف ، فالمنطق يرفض اطلاق النار على ابرياء ، وحدث ما خافه هؤلاء الاصدقاء . اذ طلعت الصحف الاستعمارية الصفراء على قرائها بأشنع حملة تشهير بالفلسطينيين ، وبلغت واحدة انظف كلماتها كانت الذبح والبربرية والهجبة والقبح . وكان هؤلاء الاصدقاء يخشون ايضا ان تنقلب موجة العطف على الفلسطينيين التي سادت اوساطا مثقفة كثيرة في السنوات الخمس الاخيرة ، الى موجة معاكسة . غير ان شيئا من هذا لم يحدث . بل ان صحفا كثيرة اخرى كما

بينت راحت تشير الى ضرورة العثور بسرعة على حل لقضية الشرق الاوسط وضرورة اسهام اسرائيل في ذلك بموقف جديد ، غير موقف التصلب والتحدي والتوسع . وتفسر ذلك بدون شك ، هو ان الناس الذين كسبهم الاعلام الفلسطيني والعربي في السنوات الماضية ، تم كسبهم بالتعريف وبالنشر باللغات الاجنبية ، وكذلك بتبادل الوفود الرسمية والشعبية والصحفية . والصحف التي اخذت تدعو اسرائيل الى ضرورة التكيف مع الواقع ، ذلك خوفا عليها ورهبة مما هو قادم . ثم ان غطرسة اسرائيل وصلت حدودا لم يعد يقبل بها الذين يحكمون العقل . فلم يحدث في التاريخ ان بقيت دولة صغيرة سنين طويلة تتحدى كل الدول من حولها ومعظم دول العالم ، بينما كل ما تنفعله وتنفذه لا يشير الا الى طريق واحد ، هو طريق الاحتلال والتوسع والغزو .

وهذه بعض الادلة الناطقة الاخرى . في نفس اسبوع الهجوم على مطار اللد ، كانت بعض السفارات العربية في لاهاي ، قد نظمت لبعض رجال الصحافة والتلفزيون الهولنديين رحلة استطلاع لبعض الاقطار العربية يتعرفون خلالها على اوضاع الفلسطينيين . وعاد هؤلاء من رحلتهم والصحف الصفراء غارقة في حمى الهجوم على الفلسطينيين ، وقلنا : الان اما ان يخلق هؤلاء افواههم ، او يهاجموا الثورة الفلسطينية . الا ان ما صدر عنهم كان مغايرا لكل تلك التوقعات . الريبورتاجات التلفزيونية التي قدموها كانت من امتهق وافضل ما قدمه التلفزيون الهولندي عن القضية الفلسطينية . والمقالات التي نشرها كانت عرضا صريحا لمأساة الشعب الفلسطيني بدون رتوش من ناحية وبدون « الغام » من ناحية اخرى . واغرب من ذلك ان وفدا تلفزيونيا اخر عاد في تلك اللحظات من زيارة لاسرائيل واستولى على العارفين اعتقاد بأنه سيقدم مواد معاكسة للاولى . وحتى هذا لم يحدث ، لان ذلك الوفد اكتفى من كل ما جمعه في اسرائيل بقصة النازحين من البدو والفلاحين الفلسطينيين ، وقدم افلاما تصور مأساتهم احسن تصوير ، بكل ما فيها من بطش الجيش الاسرائيلي، وتدمير البيوت بالديناميت والقاء هؤلاء التعمساء في اراض صحراوية بعد اخراجهم بالقوة من اراضيهم التي حولها الى جنان.

الاحلام التي ترعرعت في الصدور على يد « الكرامة » ، واندرثت في ايلول ، وانتعشت من جديد ايام وضع

الى اصدقاء للقضية الفلسطينية . هذا ابرز طريق
في مجال الاعلام . الطريق البارز الثاني ، هو
الاشترك في اللقاءات الثقافية في الغرب باصوات
فلسطينية . اذكر عملا صالحا في هذا المجال ،
قام به الفلسطيني محمود رباني الذي يشغل منصب
قنصل الكويت في لاهاي . فقد وصل الى علمه خبر
عن تنظيم ندوة شعرية عالمية في مدينة روتردام
الهولندية ، من جانب لجنة الشعر الهولندية ،
دعيت اليها أسماء معروفة عالميا في ميدان الشعر .
وبالاتصال باللجنة ، اعدت دعوة للشاعر الفلسطيني
محمود درويش . وجاء محمود درويش الى
روتردام ، والتي في الندوة تصالدا من شعره في
مجموعة كبيرة من المثقفين ، وتعرف شخصا على
شعراء عالميين لم يكن يعرفهم شخصيا . وشاعرنا
أحق مني في تسجيل ما شاهده وحققه في هذه
الندوة على صفحات « شؤون فلسطينية » . وما
أكثر هذه المناسبات ، وما أجدر السفارات العربية
والبعثات الدبلوماسية العربية بأن تظل على صلة
بها ، ويبقى الطريق البارز الثالث ، وهو طريق
النشر باللغات الأجنبية . ان مراكز البحث
والدراسات الفلسطينية تبذل جهودا مشكورة جدا
في مجال نشر الوثائق والكتب القيمة عن القضية
الفلسطينية باللغات الأجنبية ، الا ان هذه الكتب
والمنشورات بحاجة الى توزيع اوسع . ليس من
سبيل لدراسة هذا الموضوع دراسة اعمق لتصل
هذه الكتب والمنشورات والوثائق الى أيدي أكبر
عدد من مثقفي الغرب ؟

عقيل هاشم

الاتحاد الثلاثي موضع التنفيذ ، وانكفات على
وجهها بعد استسلام طائفة سايبنا ، الاحلام في
استمرار صعود المقاومة رغم ما تتعرض له
من تضيق وتطويق ، يجب ان تظل ملء الصدور
والعقول . ولكي تتحقق هذه الاحلام ، على
المقاومة ان تعرف كيف تفلت من اسار الحصار
المفروض عليها من الامبريالية والصهيونية والرجعية
العربية . ولعل من الافضل لها ان تشغل نفسها
بعمليات جريئة داخل الارض الفلسطينية بسدل
عمليات الحدود التي لا تغني من جوع . ثم ان
المعركة بين العرب جميعا واسرائيل قادمة لا محالة ،
وعندئذ ستلعب المقاومة دورها المطلوب منها .
فالى ان يحين الوقت ، يجدر بها ان تثبت وجودها ،
ولا يكون ذلك الا بالعمل داخل اسرائيل . وما عدا
ذلك فهو ضياع للجهد والسمعة والارواح . عن
هذا الطريق فقط ، يظل صوت الثورة الفلسطينية
مسموعا وتصبح جزءا صميما من الثورة العالمية ضد
الامبريالية والاستعمار .

واما في مجال الاعلام للقضية الفلسطينية ، فعندي
في هذه الرسالة ملاحظة واحدة مع انها تكرر
لنداءات مماثلة اوردتها اقلام كثيرة في السابق .
من واجب منظمة التحرير ان تدعو الوفود الغربية
للبلاد العربية ، ليشاهدوا احوال الفلسطينيين
على الطبيعة وليتحدثوا مع الفلسطينيين فسي
مخيماتهم وليناقشوا قادة العمل الفلسطيني .
وليس المقصود ، الوفود الصحفية فقط ، وانما
الوفود الحزبية والنقابية والطلابية ايضا . معظم
الذين اطلعوا على القضية الفلسطينية في ارضها ،
سواء في الاقطار العربية او في اسرائيل ، تحولوا

رسالة من دمشق

المؤتمر الاول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين

عقد في دمشق من ٨-٥ آب ١٩٧٢ المؤتمر الوطني الاول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، وذلك بعد انقضاء ثلاث سنوات على تأسيس الاتحاد . فكان اعلان عن تشكيله في صيف عام ٦٩ واختيرت قيادة مؤقتة (امانة عامة) للاتصال بالمعلمين الفلسطينيين ، حيثما كانوا ، من اجل تأسيس فروع او روابط للاتحاد . فكانت فترة السنوات الثلاث الماضية بمثابة المرحلة التحضيرية او التأسيسية في تاريخ الاتحاد ، ولكنها كانت فترة صعبة حقا . لم تكن تلك الصعوبة ناجمة عن كون مرحلة التأسيس هي العادة من اصعب المراحل ، وانما بسبب الاوضاع الحرجة التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية منذ عام ٧٠ ، وبسبب الاوضاع الخاصة للمعلمين الفلسطينيين . فهم يتوزعون في عدد كبير من البلدان العربية تمتد من المغرب الى اليمن الجنوبية ، ويعملون في قطاعات مختلفة مثل الاتروا ، والمدارس الرسمية ، والمدارس الخاصة ، وما يعني ذلك من تباين في اوضاع العمل وفي قدرة المعلمين على التحرك . وبرغم ذلك فقد استطاع الاتحاد ان يحقق الكثير من الانجازات وعلى اكثر من مستوى . ولا بد في هذا المجال من الاشارة

بجهود القيادة التي اشرفت على العمل وتحملت مسؤوليته في المرحلة السابقة . فهذه القيادة كانت عبارة عن ثلاثة عناصر متفرغة فقط ، امكانياتها المادية محدودة للغاية ، وكان عليها ان تحقق ثلاث مهمات رئيسية وضخمة - واستطاعت فعلا انجازها ، يرغم ان تجربتها النقابية كانت شبيهة معدومة : (١) على الصعيد الذاتي كان عليها ان تقيم البنيان التنظيمي للاتحاد ، بما يتطلب ذلك من زيارة لمناطق عمل المعلمين ودراسة امكان تأسيس فروع فيها ، وان تحضر نظما داخليا تسترشد به الفروع في عملها اليومي ، وان تشرف على الانتخابات القطرية لهذه الفروع ، وغير ذلك مما تتطلبه عملية البناء الداخلي في المراحل الاولى . (٢) وعلى الصعيد العربي كان على الامانة العامة ان تؤمن عضوية الاتحاد في اتحاد المعلمين العرب ، وتوثق علاقاتها مع نقابات المعلمين العربية ، وان تتابع عددا من قضايا المعلمين الفلسطينيين في بعض الدول العربية . (٣) وعلى الصعيد العالمي كان على الامانة العامة ان تثبت وجود الاتحاد كهيئة

فيما يتعلق بالمؤتمر ، بلغ عدد اعضائه ٤٨ عضوا . حضر منهم ٤٠ عضوا ممثلين للفروع او الروابط التالية : المغرب ، الجزائر ، ليبيا ، مصر ، لبنان ، سوريا ، العراق ، الكويت . كما حضر المؤتمر وفود تمثل منظمات ذات صفة دولية مثل اتحاد المعلمين العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الاتحاد العالمي للمعلمين (الفيز) ، ووفود تمثل نقابات او اتحادات وطنية في سوريا ، مصر ، العراق ، الكويت ، لبنان ، تونس ، السودان ، الاتحاد السوفياتي ، كوريا ، كندا . وبالطبع قدمت نقابة المعلمين في الجمهورية العربية السورية جهودا خاصة لانجاح المؤتمر .

افتتح المؤتمر مساء السبت في ٨/٥ في مدرج جامعة دمشق حيث التي عدد من الكلمات مثل كلمة وزير التربية في الجمهورية السورية ، كلمة رئيس دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير ، كلمة حزب البعث ، كلمة جبهة التحرير الايرتيرية ، بالاضافة الى عدد من كلمات الوفود الاخرى . وفي اليوم التالي بدأت جلسات عمل المؤتمر حيث ناقش الاعضاء التقرير العام الذي قدمته الامانة العامة عن عملها في الفترة السابقة، وكذلك نوقش التقرير المالي . وبعد اقرار التقريرين توزع اعضاء المؤتمر الى خمس لجان هي : اللجنة السياسية والاعلامية ، اللجنة النقابية ، لجنة الشؤون التربوية والثقافية ، اللجنة المالية ، لجنة النظم واللوائح ، واستطاعت هذه اللجان ان تفرغ من عملها مساء الاثنين . والواقع انه لم يكن بمقدور هذه اللجان انجاز مهمتها والمتمثلة برسم سياسة ثابتة للاتحاد ، لولا توفر شعور كبير بالمسؤولية من قبل الاعضاء ، وايهان مخلص بضرورة نجاح المؤتمر ودفع الاتحاد الى الامام . وتجسد هذا الشعور في كافة جلسات المؤتمر ، اثناء مناقشة التقرير العام،

التحرير هي المثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني « ، واعتبر الوحدة الوطنية « مطلباً مبدئياً واستراتيجياً ملحا » و أعلن اذنته لاية منظمة لا تلزم بتنفيذ ميثاق الوحدة الوطنية الذي اقره المؤتمر الشعبي في القاهرة بتاريخ ٦/٤/٧٢ . وعلى المستوى العربي أعلن المؤتمر تأييده لحركات التحرر العربية واستنكاره لسياسات القمع والتسلط التي تمارسها القوى الرجعية ، بدعم من الامبريالية ، ضد المناضلين العرب . وشجب بشدة مشروع حسين - سيسكو - الون المسمى بمشروع المملكة المتحدة ، وتدّد بسياسة القمع والارهاب التي يمارسها نظام حسين ضد جماهيرنا في الاردن و طالب المؤتمر كافة الدول العربية برفض الحصار الشامل على هذا النظام العميل لاسقاطه ، كما شجب المؤتمر كافة الطول التصفوية والاستسلامية . وعلى المستوى الدولي اعتبر المؤتمر معركة الحرية كل لا يتجزأ ، وان الثورة الفلسطينية تقف مع حركات التحرير في خندق واحد لدحر الامبريالية بزعامة امريكا . (٢) **على الصعيد التربوي** : أكد المؤتمر على اهمية الدور الذي يمكن ان يلعبه المعلم في تنشئة الجيل تنشئة ثورية ، واعتبر نشر التربية الثورية مهمة رئيسية من مهماته ، وركز على اهمية نشاط المعلم خارج اوقات العمل لتنمية مواهب التلاميذ ، والتوسع في مشروعات رياض الاطفال ... الخ هذا الى جانب العديد من القرارات التي اذا استطاع الاتحاد انجازها فانه يحقق فعلا مبرر وجوده كاتحاد ثوري ينظم قطاعا شعبيا فلسطينيا من اجل تطوير المجتمع الفلسطيني والثورة الفلسطينية .

مرة أخرى ، لقد كان الجو الاخسوي الذي ساد المؤتمر من أبرز صفاته ، مما جعل العلاقة بين الاعضاء لا تقتصر على مجال العمل وحده بل تتعداه الى اقامة علاقات شخصية جيدة ، فكان المؤتمر بذلك فعلا فرصة للقاء والحوار الايجابي وتقوية العلاقات بين المعلمين الفلسطينيين .

شهادة موسى

وخلال عمل اللجان ، وعند مناقشة التوصيات في الجلسة قبل الاخيرة . ولم يكن هذا النجاح في سير العمل ناتج عن قلة النقاش او حجب او تهريب القضايا ، بقدر ما كان بفعل توفر الجدية في النقاش ، وفعالية الاعضاء ، وربما جاز القول ان رئاسة المؤتمر كانت ديمقراطية اكثر من اللازم بفسحها المجال امام جميع الاعضاء لمناقشة اية نقطة مهما طال وقتها ، حتى وان كان في ذلك بعض التكرار . وكذلك تجسد هذا الشعور بالمسؤولية اثناء عملية الانتخاب للامانة العامة الجديدة ومجلس الاتحاد . فلم يشهد المؤتمر محادثات « الكواليس » ، ولم يطغ الجوّ الانتخابي على جو العمل ، كما هي العادة في المؤتمرات ، بل ساد الجميع جو من التفاهم والتعاون بحيث لم يكن بإمكان اي مراقب ان يعرف ما اذا كان المؤتمرون ينتهون الى عدة تنظيمات سياسية ، وهو الواقع فعلا ، مما جعل نائب رئيس الاتحاد العالمي للمعلمين (الفيز) يشيد بهذه الوحدة وهذه الروح متمنيا ان تسود جميع فرق الثورة .

خرج المؤتمر بعدد من القرارات من اهمها :
(١) **على الصعيد النقابي** : على المستوى الذاتي أكد المؤتمر على « ضرورة بذل أقصى الجهود من اجل تقوية البنية الذاتية في كل المجالات وعلى الاخص الناحية التنظيمية » ، كما قرر تشكيل صناديق للضمان الاجتماعي في كل الفروع ، وقرارات اخرى تتعلق بحماية المعلم الفلسطيني وتحسين وضعه ، ورفع المستوى النقابي للاتحاد . وعلى المستوى الفلسطيني اعتبر الاتحاد جزءا من الطبقة العاملة وقرر المؤتمر « مواصلة النضال من اجل اقامة التنظيم النقابي الفلسطيني الموحد في اطار منظمة التحرير » ، وعلى المستوى العربي والدولي حدد المؤتمر هوية الاتحاد بقراره « عدم التعاون مع الاتحاد العالمي الغربي ، وتوثيق صلته مع الاتحاد العالمي للمعلمين (الفيز) » الذي يضم النقابات التقدمية في العالم . (٢) **على الصعيد السياسي** : أكد المؤتمر « ان الثورة الفلسطينية ممثلة بمنظمة

(١) المقاومة الفلسطينية

بمسدس يقدم له . وقد حاولت الدعاية الاسرائيلية استغلال هذه الحادثة لتصور اوكاموتو بأنه مجرد رجل مهووس بالموت . ولكن مراغمته التي أُلقيت في المحكمة (١٣ تموز) ابرزت تبعته بوضوح فكري لاغاق عمله ونتائجته يتنامى مع اتجاه الاعلام الاسرائيلي . ويظهر في هذه المراقمة ان اصرار اوكاموتو على الانتحار كان يجسد رغبته في الوصول الى مستوى عال من التضحية تجعله قادرا على تحصيل كافة الضغوطات التي تعترضه . غني مطلع مراغمته قال « كانوا يقولون لنا عندما كنا صغارا ، اننا سنتحول الى نجوم في السماء حين نموت . نحن الذين هاجمنا مطار اللد نريد ان نصبح ثلاثة نجوم في سماء الشرق . ان الثورة ستستمر وستظهر في السماء نجوم متعددة ، لكن اذا ادركنا اننا سنذهب الى السماء نفسها ونشع معا ، نستطيع حينذاك ان نعيش في اطمئنان وسلام » . أما في نهاية مراغمته فقد عاد وكرر قائلا « اذا نجحت الثورة العالمية فستمتلئ السماء بالنجوم » . ولا يدع هذا الكلام مجالا للشك بأن تفكير اوكاموتو بالموت ، ليس نابعا من الهوس ، بل من الاستعداد الفائق للتضحية ، ومن قناعته بأن الثورة العالمية التي يؤمن بها تستدعي تضحيات غالية .

ومن الملاحظات البارزة في المحاكمة محاولة محامي الدفاع الاسرائيلي السذي عينته المحكمة اظهار اوكاموتو على انه شخص مجنون لا يتمتع بكامل قواد العلية . فقد طلب في الجلسة الاولى (١٠ تموز) عرضه على اطباء اخصائين ، ولكن اوكاموتو رفض ذلك علنا وباصرار قائلا « لا اوافق على ان أفحص ، ولا اريد ان افحص » . وهذا المجرى في الدفاع عن اوكاموتو يشوه قضيته السياسية التي كان يريدنا من وراء عمله ، ويبرز تحيز محاميه الواضح ضده ، والذي تجلى بوضوح في الجلسة الختامية حين طالب بأن لا يصدر عليه

بعد عملية مطار اللد الثانية (٣٠ أيار) وما تلاها من اعتداءات عنيفة على لبنان ، وبعد انفجار موضوع العلاقات اللبنانية الفدائية والتوصل الى اتفاقية تقضي بتجميد العمل العسكري مؤقتا ، واجهت حركة المقاومة سلسلة من الاحداث المتنوعة ذات الاهمية والدلالة ، بدت في الظاهر متباعدة جغرافيا ، ومختلفة نوعيا ، ولكنها كانت بالرغم من ذلك مشدودة الى بعضها البعض بكثير من الترابط .

وأبرز هذه الاحداث (من ١ تموز الى ١٠ آب) ، المحاكمات التي جرت في اسرائيل للفدائي الياباني كوزو اوكاموتو وللغدائيتين ريبا طنوس وتريز هلسا ، ثم اقدام اسرائيل في نفس فترة المحاكمات على تنفيذ سلسلة من العمليات الارهابية في لبنان ضد قادة المقاومة والفكر الفلسطيني ، تلتها على الصعيد الفدائي عمليات ضرب للمصالح الامبريالية والاسرائيلية في اوربا ، ومحادثات سياسية هامة أجرتها المقاومة في موسكو . وسنحاول هنا تسجيل الملحح الاساسية لهذه الاحداث .

١ - المحاكمات الاسرائيلية :

بدأت صباح العاشر من تموز محاكمة الفدائي الياباني اوكاموتو ، وانتهت في ١٧ تموز بصدور حكم يقضي بسجنه مدى الحياة ، وتميزت هذه المحاكمة بمواصفات عديدة ملفتة للنظر . فمنذ البداية رفض اوكاموتو الاعتراف ، وظل مصرا على رفضه محتفظا بأعصابه الهادئة ، حتى اوقعه احد المحققين (الجنرال زيثيني) بخدعة ، اعترف هو نفسه انها نجحت حيث مثلت كل وسائل التحقيق الاخرى ، مبينا قناعته بأن الاساليب التقليدية في التحقيق لا تنفع مع هذا النوع من الاشخاص . وكانت الخدعة تقوم على اساس ان يدلي اوكاموتو باعتراف كامل ، مقابل وعد بأن يسمح له بالانتحار

حكم بالاعدام تأيلاً « لا تجعلوا منه شهيداً . ان شعب اسرائيل مليء بالشفقة والرحمة . قولوا له انه برغم انك لا تستحق الحياة فانك ستمنح الحياة كهبة » .

لقد تمتع اوكاموتو منذ اعتقل بأعصاب هادئة جداً، ومثل حالة راقية من الصمود النفسي ، ودافع عن عمله في المحكمة بوضوح وحماس ، ولم يحاول في أية لحظة من اللحظات ان يستدر العطف ، أو أن يلجأ الى اساليب من شأنها تخفيف الحكم عليه .

وما ان انتهت محاكمة اوكاموتو حتى بدأت في ١ آب وفي المكان نفسه محاكمة الفدائيتين تيريز هلسا وربما طنوس اللتين شاركتا في عملية اللد الاولى التي تمت في شهر ايار الماضي . وعلى عكس موقف الفدائي الياباني ، كان موقف الفدائيتين هلسا وطنوس ، بعيداً عن الصمود النفسي اللازم لمواجهة المحاكمة . فقد اعترفت ريبا طنوس بحمل الاسلحة والذخائر ، ولكنها قالت (حسب رواية رويتر) انها فعلت ذلك بضغط من الفدائيين . وذكرت صحف اسرائيل ان الدكتور حنا هلسا سيحضر من الاردن الى اسرائيل حاملاً وثائق تثبت ان تيريز هلسا ايضاً « اجبرت » على العمل لحساب الفدائيين .

وقد لوحظ ان المدعي العام الاسرائيلي قد استغل هذا الوضع النفسي للفدائيتين في محاولة منه لتشويه موقفهما ، وتشويه موقف العمل الفدائي بالتالي . وقد برز ذلك بوضوح كامل من خلال تركيزه على الحياة الخاصة للفدائية ريبا طنوس .

ب - العمليات الارهابية :

ومع بداية المحاكمات الاسرائيلية ، كانت اجهزة المخابرات فيها تنفذ سلسلة من العمليات الارهابية ضد قادة المقاومة الفلسطينية المتواجدين في لبنان . وقد جاء تنفيذ هذه العمليات بعد الاعتداءات الاسرائيلية المتتالية على الحدود الجنوبية ، والتي كانت تهدف الى تشكيل ضغط واسع على الحكومة اللبنانية حتى تقوم من جانبها بالضغط على العمل الفدائي ومنعه من الانتلاق من الاراضي اللبنانية، وشكلت تكميلاً للاعتداءات الاسرائيلية ، بحيث يمكن القول بأن المخطط الاسرائيلي يقوم على بتدين هما:

- ١ - اعتداءات على الحدود اللبنانية للضغط على الحكومة ، ولإثارة سكان القرى ، بما يتعرضون له من مصاعب ، ضد الفدائيين . ٢ - ترتيب عمليات

نسف واغتيال لقادة المقاومة لخلق جو من الارهاب بين صفوفهم ، وللتخلص من عناصر فعالة يؤدي فقدانها الى ضعف البنية الداخلية للقيادات .

وقد لوحظ أن اسرائيل ركزت في عملياتها الارهابية على قادة المقاومة من جهة ، وعلى قادة الفكر والاعلام الفلسطينيين من جهة أخرى . مما يبرز اهتمامها بمواجهة الاتهام والمؤسسات التي أخذت على عاتقها مواجهة الدعاية الصهيونية ، وبلورة الاساس النظري لحركة المقاومة - وقد قامت اسرائيل تنفيذاً لذلك بالعمليات الارهابية التالية :

- ١ - وضع المتفجرات في سيارة المناضل الشهيد غسان كنفاني الناطق الرسمي بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورئيس تحرير مجلة « الهدف » . واستشهدت في الحادث ايضاً ابنة شقيقته « ليس نجم » . (٨ تموز) . ٢٠ - ارسال طرد متفجر الى احد مسؤولي فتح المعروف باسم « ابو حسن » . وقد تم اكتشاف الطرد وتجيره (١٧ تموز) . ٣ - توجيه رسالة متفجرة الى الدكتور انيس صايغ مدير عام مركز الابحاث الفلسطينية ، انفجرت به في مكتبه ، وأدت الى اصابته بجراح . (١٩ تموز) . ٤ - توجيه ثلاث رسائل متفجرة الى غسان كنفاني، وشفيق الحوت، ومروان دجاني ، تم اكتشافها واتلافها . (٢٠ تموز) . ٥ - ارسال لغم داخل كتاب الى يسام ابو شريف احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، انفجر به في مكتب جريدة الهدف وأدى الى اصابته بجراح . وفي اليوم نفسه اكتشف طرد آخر من النوع نفسه مرسل الى صلاح صلاح ممثل الجبهة الشعبية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير (٢٥ تموز) . ٦ - انفجار رسالة ملفومة بنائب مدير بنك الريف، مرسله الى مسؤول فدائي لم يعرف اسمه ، بعد أن أعيدت الى عنوان البنك الذي استعمل اسمه للتضليل .

وقد تم اللجوء الى هذه الاساليب الارهابية بعد حملة مركزة في الصحافة الاسرائيلية على « الامن الشخصي لقادة المقاومة » وضرورة شعور المسؤولين الفدائيين بأنهم مهددون شخصياً ، رافقتها حملة مماثلة على مراكز البحث الفلسطينية، وعلى الدور الفكري الذي تلعبه . وكان اسرائيل كانت تقصد من وراء هذه الحملة الاعلامية ، تهيئة الرأي العام في اسرائيل لتقبل الاعمال الارهابية التي ستنفذها . ومما يجدر ذكره انه ليست هذه

هي المرة الأولى التي تلجأ فيها إسرائيل الى تنفيذ مثل هذه الاساليب الارهابية . فقد سبق لها ان نفذت عملية مماثلة تماما ضد العلماء الالمان الذين كانوا يعملون في الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٣ . ولم تكن الطرود المتفجرة الاسلوب الوحيد الذي لجأت له آنذاك ، بل لجأت ايضا الى أساليب الخطف والاعتقال ، لبعض العلماء ، ولابناء عائلاتهم ايضا . كما سبق لها ان أرسلت طردا متفجرا الى الضابط المسؤول عن الفدائيين الفلسطينيين في غزة عام ١٩٥٦ ادى الى استشهاده .

أما بالنسبة للتحقيق في هذه العمليات الارهابية ، فلم يتم الوصول بشأنه الى اية نتيجة حتى الان . ولكن البحث فيها أدى الى وضع اليد على عدد من شبكات التجسس الاسرائيلية ، يعكف التحقيق على معرفة مدى الارتباط بينها وبين الحوادث التي جرت . وتتوقع كافة الدوائر الفلسطينية ان تستمر اسرائيل في هذا النوع من العمليات الارهابية ، ولذلك عمدت كافة المنظمات الفدائية الى اتخاذ اجراءات أمن احتياطية مناسبة .

ج - العمليات الفدائية المضادة :

بعد استشهاد غسان كنفاني بثلاثة ايام ، وبعد بدء محاكمة الفدائي الياباني بيوم واحد ، قام الفدائيون الفلسطينيون بوضع عبوة ناسفة في المحطة المركزية للسيارات في قلب مدينة تل ابيب . واعلنت الشرطة الاسرائيلية ان ١١ شخصا اصيبوا بجراح ، وان اضرارا لحقت بالمحطة . وتم اعتقال ١٠٠ عربي للتحقيق معهم ، بينما اوقفت كل سيارات الركاب الكبيرة بين المدن واخضعت للتفتيش .

وفي الخامس من اب اعلنت منظمة أيلول الاسود مسؤوليتها عن نسف خزانات النفط في تريستا شمال شرقي إيطاليا . وأدت هذه العملية الى تدمير ٤ خزانات من مستودع ضخ للنفط ينقل الى ألمانيا الغربية . ووصفتها الشرطة الإيطالية بأنها « عملية دبرت بهارة وبعد دراسة دقيقة ووافية » . وقد قتلت منظمة أيلول الاسود في بيانها ان هذه العملية استمرار لخط المنظمة « بتوجيه الضربات العنيفة الى اعداء الثورة الفلسطينية ، والمصالح الامبريالية المساعدة للصهيونية » ، بينما قتلت وكالة « وفا » في نشرتها اليومية انه « لا بد من التركيز على المصالح الامبريالية وفي مقدمتها مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربية . فحرب

المصالح لا بد ان يسير متوازيا مع تصعيد العمل القتالي الفدائي داخل الارض المحتلة » . وكانت منظمة أيلول الاسود قد نفذت قبل ذلك عمليات أخرى مماثلة منها نسف معملين للغاز الطبيعي في هولندا ، ونسف مصنع ينتج مولدات كهربائية لاسرائيل في مدينة هامبورغ بالمانيا الغربية .

وقد اتخذت على اثر ذلك اجراءات متعددة لمراقبة العرب المقيمين في اوربا . ففي بون ذكر مسؤول في وزارة الخارجية ان تدابير اتخذت لتشديد الرقابة على العرب المقيمين في ألمانيا الغربية . وفي إيطاليا اخضع البوليس هويات نحو الفتي طالب عربي للتدقيق . أما على الصعيد العربي فقد هاجمت كل من جريدة الرأي الأردنية وجريدة الاهرام المصرية عملية النسف . قتلت جريدة الرأي « أية مصالح امبريالية - صهيونية تلك التي يتحدثون عنها ؟ ... وهل إيطاليا حقا دولة امبريالية ؟ » . وقاتل جريدة الاهرام « ان على حركة المقاومة الفلسطينية ان تأخذ في الحساب ان مثل هذه الاعمال لن تؤثر على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية » .

وبعد عملية تريستا بيوم واحد (٦ آب) انفجرت سفينة شحن اسرائيلية وغرقت في البحر الادرياتيكي على بعد ٦٠ كيلومترا من تريستا . وربطت وكالة الانباء الفلسطينية بين انفجار السفينة وحراسق تريستا فقالت « لعل في نسف خزانات النفط في تريستا ، وانفجار الباخرة الاسرائيلية بات تران الترجحة العملية لما اشرنا اليه دائما من ان الكفاح المسلح ... ينبغي ان يسير في خطوط متوازية وفي كل مكان داخل الارض المحتلة وخارجها » .

وفي الثامن من آب تم العثور على قنبلة قبل ان تنفجر أمام مكاتب شركة طيران العال الاسرائيلية في مدينة ستوكهولم .

وتبرز هذه العمليات نشاطا فدائيا ملحوظا باتجاهات ثلاثة : ١ - الاستمرار في العمليات الفدائية داخل اسرائيل ٢ - ضرب المصالح الامبريالية ، والمصالح الأخرى التي تقدم خدمات لاسرائيل في الخارج ٣ - ضرب المؤسسات الاسرائيلية في الخارج .

ويلاحظ أن هذه العمليات جاءت مباشرة بعد بدء المحاكمات في اسرائيل ، وبعد عمليات الارهاب في بيروت ، لتشكل نوعا من الرد عليها .

د - محادثات موسكو :

في الجلسة الاولى للمحادثات « ليس من باب الجمالة او المبالغة ان اقول لكم انتسا نفكراف بحركتكم على اعلى مستوى من الاعتراف » ويمكن تلخيص أبرز ملامح هذه الجولة من المحادثات بالنقاط التالية : ١ - ارتفاع مستوى المشاركة السوفياتي في المحادثات . فقد جرت المحادثات بحضور بونامارييف وكودياتسييف عضوي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، بالرغم من ان الدعوة موجهة من قبل لجنة التضامن . ٢ - اقدام السوفيات على التصدث بصراحة وشمول عن موقفهم من الاحداث والمواقف العربية والفلسطينية . وهنا نقول المعلومات الصحفية ان الوفد السوفياتي طرح للنقاش مشروع الملك حسين واسلوب رد المقاومة عليه . كما طرح موضوع الوضع في الاردن ، والجهود المبذولة على صعيد الجبهة الوطنية الفلسطينية - الاردنية . وبرز من خلال هذا النقاش اهتمام الاتحاد السوفياتي بضرورة تعميق المضمون الاجتماعي لحركة المقاومة ، وبضرورة تحديد الفئات الاجتماعية التي تخاطبها المقاومة بشعاراتها في الاردن وفي الارض المحتلة ، حتى يصبح بالامكان مواجهة المخططات الاسرائيلية التي تستند الى اجراءات اجتماعية تخدم مصالحها . ٣ - ركز الاتحاد السوفياتي على انه سيبذل جهوده للاتصال مع البلدان الاشتراكية الشقيقة لينسق معها دعم حركة المقاومة . ٤ - ابدى الوفد السوفياتي اكثر من مرة ارتياحه لطبيعة تشكيل الوفد الفلسطيني ، الذي ضم كافة المنظمات الفدائية ، بعد ان تواجدت كلها داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير (فتح - الصاعقة - الشعبية - الديمقراطية - جبهة التحرير العربية) .

وحيث صدر البيان المشترك برزت فيه روح هذه النقاط التي نقلتها الاوساط الصحفية . فقد جاء فيه اعتراف شبه رسمي بمنظمة التحرير الفلسطينية حين سجل ان الوفد الفلسطيني اعرب عن الامتنان لثناء المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفياتي « لمنظمة التحرير الفلسطينية المعيرة عن مصالح الشعب العربي الفلسطيني » . وبرز في البيان تقارب سياسي حول مجريات الاحداث في الشرق الاوسط حين سجل البيان ان ممثلي منظمة التحرير اشاروا الى ان المحاولات التي تقوم بها الاوساط الامبريالية والرجعية للاخلال بالصدادة بين قوى التحرر الوطني في العالم العربي وبين الاتحاد

في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تواصل تنفيذ مخططاتها لمحاصرة حركة المقاومة ، وصل الى موسكو في ١٧ تموز وفد فلسطيني برئاسة ياسر عرفات ، وأجرى محادثات أسفرت عن نتائج هامة سوف يكون لها تأثير كبير على مسيرة حركة المقاومة ، اذا ما عرفت ان تستفيد منها . وعلاقات حركة المقاومة مع الاتحاد السوفياتي علاقات قديمة تعود الى شباط ١٩٧٠ حين قام وفد فلسطيني لأول مرة بزيارتها بناء على دعوة من اللجنة السوفياتية للتضامن الاسيوي الافريقي . وتمت محادثات اخرى مماثلة في ٢٠ ت ١ ١٩٧١ . وفي كل جولة من هذه المحادثات كان موقف الاتحاد السوفياتي يرفع من درجة دعمه لحركة المقاومة الفلسطينية . ففي المحادثات الاولى (شباط ١٩٧٠) أعلن الاتحاد السوفياتي موقف الدعم لحركة المقاومة ، ولكن لم يصدر عن تلك المحادثات بيان رسمي . وفي المحادثات الثانية (ت ١ ١٩٧١) حافظ الاتحاد السوفياتي على نفس الموقف مع صدور بيان رسمي عن المحادثات أعلن فيه ان « الاوساط الاجتماعية السوفياتية تقف بحزم الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر العربية » . أما في جولة المحادثات الثالثة (١٧ تموز ١٩٧٢) فقد برزت اولا دلائل تشير الى أن الاتحاد السوفياتي أبلغ وفد حركة المقاومة انه سيرفع من مستوى دعمه لها . كما صدر ثانيا عن المحادثات بيان مشترك اكثر وضوحا واتصالا بمجريات الاحداث . وتم الاتفاق ثالثا على البحث في افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في موسكو . ويشكل تكامل هذه العناصر الثلاثة الروح الجديدة للعلاقات بين الطرفين .

ومن المفيد ان نلاحظ ان المحادثات قد تمت مباشرة بعد قرار الرئيس السادات باخراج الخبراء السوفيات من مصر . ومن هنا كان هناك اهتمام واسع في اوساط المراقبين السياسيين ، لمعرفة مدى تأثير الموقف المصري على علاقات الاتحاد السوفياتي مع الحركات الشعبية في المنطقة العربية . ويبدو ان تأثير الخطوة المصرية على الموقف السوفياتي كان تأثيرا مباشرا ، وعبر عن نفسه برفع درجة التأييد لحركة المقاومة . فقد قالت المعلومات الصحفية ان رئيس الوفد السوفياتي قال

وإذا كانت هذه الاشارات تبرز انتقالا في مستوى الدعم الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي لحركة المقاومة الفلسطينية ، فان القدرة على الاستفادة منه مرهونة بمقدار ما تستطيع حركة المقاومة ان تنجزه على صعيد توسيع نفوذها الجماهيري بشكل عام ، وداخل الاردن والاراضي المحتلة بشكل خاص ، اذ كلما تعمق نفوذ حركة المقاومة الجماهيري ، وكلما تعمقت نضالاتها السياسية المسلحة، أصبحت المقاومة قادرة على الاستفادة من التأييد العالمي الذي تلقاه ، وتحويل هذا التأييد الى أسلحة فعالة في المعركة التي تخوضها . وحين يؤكد الاتحاد السوفياتي على المضمون الاجتماعي الذي يجب ان تتضمنه شعارات حركة المقاومة ، فهو انما يشير الى المرحلة الجديدة التي يدخلها النضال الفلسطيني ، والتي أصبحت تختلف نوعيا عن المرحلة السابقة .

بلال الحسن

السوفياتي وبقية البلدان الاشتراكية ، هي محاولات مناضمة لمصالح الشعوب العربية » .
اما على صعيد دعم حركة المقاومة فقد سجل البيان تأكيد ممثلي « اللجنة السوفياتية لتضامن بلدان اسيا وافريقيا أن الشعب السوفياتي سوف يواصل في المستقبل أيضا تقديم المساعدة الى حركة المقاومة الفلسطينية في نضالها العادل ضد الامبريالية والرجعية والعدوان الاسرائيلي ، ومن اجل الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني » . ويلاحظ هنا اختلاف ذو دلالة بين صيغة الدعم الواردة في هذا البيان ، وبين صيغة الدعم التي وردت في البيان المشترك الذي صدر بعد جولة المباحثات الثانية في العام الماضي . فبينما تؤكد هذه الصيغة على الحديث باسم الشعب السوفياتي ، كانت الصيغة الماضية تتحدث عن الدعم باسم الاوساط الاجتماعية السوفياتية .

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة أيلول

بقلم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شععث

من منشورات مركز الابحاث في م . ت . ف . (بيروت)

٥ ل . ل .

٥٠٣ صفحات

تضاف أجور البريد : ١٠٠ ق . ل . في البلاد العربية ،
٢٥٠ ق . ل . في أوروبا ، ٥٠٠ ق . ل . في سائر دول العالم

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

المناهضة للإمبريالية . **ثالثا** - ان هذا التحالف العربي مع الاتحاد السوفياتي ، يتمشى ويتوافق مع سياسة عدم الانحياز . فاللانحياز لا يعني موقفا وسطيا متساوي المسافة بين الإمبريالية الأمريكية والمعسكر الاشتراكي المناهض للإمبريالية ، بل بالعكس ، ان سياسة عدم الانحياز تعني انحيازاً للقوى التصحيحية الكامنة في كلا الكتلتين مع الإدراك بأن احتمالات سلامة المنهج والسياسة العامة مرجحة بشكل حاسم في كتلة المعسكر الاشتراكي . وبالتالي ، وفي ظل عدم حدوث اي تعديل في المعادلة الأمريكية - الإسرائيلية ، فان التعديل الذي يمكن ان يطرأ على المعادلة العربية - السوفياتية غير مجرب الا اذا كان باتجاه التماسك الأشد عضوية والاكثر كثافة .

هنا علينا ان ندرك بأن الاتحاد السوفياتي قد تخلى عن سياسة التزمّت الستاليني التي اقتضتها ظروف التكوين الاشتراكي وظروف الحرب العالمية الثانية . وجد الاتحاد السوفياتي نفسه ، بنسب متفاوتة وفي مراحل مختلفة ، متجاوبا مع النظرات الاستقلالية والتطلعات التحررية التي ميزت سياسة اللانحياز في دول العالم الثالث الحديثة الاستقلال . وكان من جراء ذلك حدوث تلاقٍ منتظم بين الاتحاد السوفياتي وبين الحركات التحررية الاصلية في العالم . لكن هذا التلاقى لم يكن بالضرورة ، وباستمرار ، خالياً من التوتر والاختلافات في وجهات النظر خاصة وان استقرار الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى ذات مصالح استراتيجية كونه حتم عليه سلوكا اتسم بتمازج بين المصالح الاستراتيجية الكونية ومصالح الثورة العالمية المعاصرة . هذه الملامح المتوترة في اطار التحالف بين دول العالم الثالث المتحررة والاتحاد السوفياتي ، ادخلت الى العلاقات الدولية ، والى منطلق الثورات المعاصرة تعديلات جذرية خاصة على المواقف الدوغمائية السابقة لكل من الاتحاد السوفياتي والحركات الثورية في العالم الثالث . هذا لا يعني ، بالطبع ، عدم استمرار المواقف المزمّنة للذين لم يتمكنوا من استيعاب وهضم التعديلات الجذرية التي طرأت على المسرح العالمي وعلى موازين القوى وعلى السلوك المذهبي للثورات المعاصرة . لقد نظّر الموقف المتزمّت للاتحاد السوفياتي ايام ستالين ،

ان التغيرات التي طرأت على مستوى العلاقة بين جمهورية مصر العربية والاتحاد السوفياتي ، وما تبع ذلك من تطورات في الساحة القومية على صعيد الاعلان عن قيام دولة الوحدة بين مصر وليبيا ، تحتم علينا ان نلتقي بعض الضوء على خلفية علاقة الاتحاد السوفياتي بالقيادات الوطنية في العالم الثالث لما لذلك من علاقة مباشرة بالتحرك الثوري العربي بصورة اجمالية ، وبالتحريك الثوري الفلسطيني بصورة خاصة .

ان الاتحاد السوفياتي هو قوة الردع الاساسية تجاه التواجد الإمبريالي الأمريكي . فالوجود السوفياتي في منطقة البحر الابيض المتوسط هو تحييد للطاقة الهجومية التي يمثلها الوجود الإمبريالي الأمريكي في المنطقة بالنسبة للاهداف المرحلية المشروعة للثورة العربية المعاصرة . اي ان الاتحاد السوفياتي ، حين يتحالف مع القوى العربية التقدمية ، يضع نفسه في موضع يتلاقى فيه مع اهداف الثورة العربية المرحلية . فالاتحاد السوفياتي ليس مجرد صديق ، بل هو بالضرورة حليف . لكن هذا التلاقى المستمر لا يعني بالضرورة التلاقى الدائم ، ولا يعني الارتباط العضوي نظرا للتباينات العقائدية القائمة أو المحتملة والتي يمكن ان تجعل المساندة في مستوى العلاقة الالية أو العضوية . ومع ذلك فان التحالف مع الاتحاد السوفياتي يجب ان يكون مطلبا استراتيجيا للثورة العربية المعاصرة للاسباب الثلاثة التالية :

اولا - ان قدرة التحرك الثوري العربي على انجاز التغييرات المطلوبة في الواقع العربي وعلى ترجيح القوى العربية الذاتية على الكيان الصهيوني الاسرائيلي في المنطقة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتحالف مع القوة الكبرى التي هي قادرة ، بحكم مصالحها واستراتيجيتها ، على احتواء قدرة الانقضاض الأمريكي على اهداف الثورة العربية المرحلية والثابتة ، وبالتالي الغاء هذه القدرة .

ثانيا - ان التحالف العضوي بين الولايات المتحدة واسرائيل والقوى الرجعية العربية ، يشكل بحد ذاته قوة مادية قادرة على عرقلة مسيرة الثورة العربية المعاصرة اذا لم تتمكن هذه الثورة من ارساء معادلات جادة ومستديمة مع القوى العالمية

وابان حدة الاستقطاب بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في عهد الحرب الباردة ، الى سياسة اللانحياز على انها « قوة احتياطية » للاستعمار وقطع طريق على الثورة الشيوعية . لكن سياسة اللانحياز استمرت في العالم الثالث واكدت انسلاخها التام عن اي انضواء في اطار الاحلاف العسكرية والاقتصادية التي أنشأها الغرب ، فأثبتت بذلك مصداقية قدرتها على التصرف بمقدراتها بحرية كما حصل في مصر والهند وغيرها من قوى العالم الثالث . وكان هذا مجا حدا بالاتحاد السوفياتي لادراك حقيقة منادها ان مناهضة الامبريالية الامريكية والرأسمالية الدولية ، يمكن ان تكون متعددة الاشكال والوسائل .

كان هذا الادراك انعكاسا لتطورات داخلية في الاتحاد السوفياتي تمثلت في استقرار مرحلة التآجج الثوري في مؤسسات ثورية ، وفي تحول المجتمع ، من خلال نجاح مؤسساته وزيادة قوة البنية الداخلية التي يتكرب منها المجتمع السوفياتي ، نحو مزيد من الضمانات والحقوق للمواطنين السوفيات ولطامحهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ونحو مزيد من الثقة بالقدرة على مواجهة التحديات الامبريالية. لقد جعلت هذه الثقة القيادة السوفياتية تدخل مرحلة اكثر انفتاحا من مراحل التزمته التي تلازم عادة مراحل التأسيس . كان من جراء ذلك ان اخذ الحوار تدريجيا مكان البيانات المتبادلة ، ورغم ان الحوار لم يكن بالمستوى المكثف المطلوب دوما ، الا انه اخذ موقعه في العلاقات الجادة بين دول العالم الثالث والاتحاد السوفياتي . وهكذا بدأت العوامل التي تجعب ما بين دول عدم الانحياز والاتحاد السوفياتي تتشظ وتكبت العوامل التي تفرق بينهما . واخذ الاتحاد السوفياتي يقدم ، بالاشارة الى دعمه الدبلوماسي المستمر ، للقضايا العربية وقضايا التحرر ، المساعدات الضخمة لتمكين المجتمعات الافريقية والاسيوية من بناء المؤسسات الصناعية ومؤسسات التمويل الاقتصادي والاجتماعي مثل سد اسوان وسد بكره تاغال في الهند .

وبينما كان الاتحاد السوفياتي يعمد في الانفتاح على العالم الثالث ، كانت الولايات المتحدة بقيادة دالاس وتوجيهه تمنع في المزيد من الانغلاق والتصلب والتشدد ازاء حركات التحرر في العالم . ومن هنا بدأت تتطور معالم الامبريالية والاستعمار الجديد في السياسة الامريكية بالاعتراف الشكلي باستقلالات

العالم الثالث ، وفي الوقت ذاته في العمل على تفرغ هذه الاستقلالات من مضامينها الاصلية . ادى هذا الانغلاق والتشديد من جانب الولايات المتحدة ازاء مبادرات العالم الثالث ، الى مزيد من الابتعاد عن التعامل معها لانها كانت تسعى الى وراثة الاستعمار القديم والى تطويق الاتحاد السوفياتي بحزام من القواعد العسكرية ومناطق النفوذ السياسية والاستراتيجية . لهذا عمدت الى سياسة الاحلاف والى تفرغ العالم الثالث من القيادات السياسية الملتزمة بالابعاد السياسية والاقتصادية للتحرر الكامل ، بواسطة افتعال أزمات اقتصادية ، وترتيب انقلابات عسكرية ، وتشجيع القرى البيئية والمحافظة بشتى الوسائل . كانت هذه الهجمة الامبريالية الامريكية على القيادات الوطنية المحررة في العالم الثالث ، تدفع هذه القيادات الى المزيد من التعامل والتحالف مع الاتحاد السوفياتي ، الذي تحل ، بدوره ، من الاجتهاد الملتزم السالف . وهكذا ، ومنذ الستينات ، وجدت قوى عدم الانحياز انها اصبحت بالضرورة اكثر انحيازا للمواقف السوفياتية لان الاتحاد السوفياتي ، بالمقابل ، وجد نفسه في موقف المتبني للمواقف المصرية للدول غير المنحازة . هذا التوافق العام بين الاتحاد السوفياتي والقيادات الوطنية التحررية والتقدمية في دول العالم الثالث ، هو الذي مكن هذه القيادات من الحفاظ على الانجازات الاستقلالية والتطويرية والثورية امام الهجمات المتكررة للامبريالية الامريكية . هذا لا يعني ان الولايات المتحدة لم تتمكن من تحقيق انتصارات على المكاسب الوطنية والثورية التي حققها العالم الثالث ، بل بالعكس ، لقد شاهدنا مثلا في غانا وفي مالي وفي اندونيسيا وفي غيرها من مناطق العالم الثالث انتكاسات بل هزائم للمكاسب الوطنية والثورية فيها . ولقد تبكمت الولايات المتحدة ان تنفذ ، وأن تستعيد حيويتها في التحرك السياسي والاستراتيجي في المنطقة الاسيوية الافريقية ، والى حد اكبر في دول اميركا اللاتينية من جراء التباعد والانقسام الذي حصل داخل المعسكر الاشتراكي ، خاصة التناقض بين الاتحاد السوفياتي والصين . كان لهذا التناقض الذي برزت معالمه بحدة في منتصف الستينات أثر مباشر على علاقات الاتحاد السوفياتي مع العالم الثالث . فمن جهة لم يعد الاتحاد السوفياتي قادرا على الامعان في مساندة وتبني دول العالم الثالث الوطنية والتحررة والتي لا يزال على رأسها قوى غير

منسوبة للحزب الشيوعية ، لان هذا كان يؤكد مصداقية الهجمة العقائدية الصينية على المواقف السوفياتية في العالم الثالث . ومن أبرز المآخذ الصينية على الاتحاد السوفياتي هو هذا المستوى المكثف من التعامل بينه وبين القيادات الوطنية التحررية في دول العالم الثالث لان الصين كانت تعتبر ان المساعدات الضخمة الاقتصادية والسياسية التي يقدمها الاتحاد السوفياتي لدول عدم الانحياز التي هي في احسن الاحتمالات انظمة بورجوازية وطنية ، انما هي مسحوبة من الحصة التي يجب على الاتحاد السوفياتي ان يعطيها للصين من اجل التعميل في تقوية معالم القوة الذاتية للمجتمع الصيني الشيوعي . هذا بالاضافة الى التناقضات الجيوبوليتيكية بين البلدين والتي تمثلت في الخلافات على الحدود وفي كون الصين الدولة الكبرى في الشرق الأقصى .

كان لا بد من ان تنسحب محصلة هذه التناقضات السلوكية والمذهبية بين الاتحاد السوفياتي والصين ، على العالم الثالث من حيث الدعامة الدولية لقدرة العالم الثالث على تجهيز ذاته وتقوية البنية الهيكلية في مجتمعاته للتصدي للهجمات الامبريالية . اجل ، لقد ادخل الانقسام الذي حدث في المعسكر الاشتراكي العالم الثالث في مناهات مذهبية وسلوكية حرفته عن التوجه المكثف لمجابهة التحديات اليومية التي تطرحها قوى التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي والمؤسسي فيها . وهكذا نقصت فعالية المساعدات التي كان يقدمها الاتحاد السوفياتي رغم ازدياد كميتها بالنظر الى الانقسام داخل المعسكر الاشتراكي ، اي ان مردود المساعدات كان اقل مما كان يمكن ان يكون عليه ، لو ان الانتحام نجح في اعادة الوحدة في المعسكر المناهض للامبريالية . لذلك فان سياسة الانفتاح داخل المجتمع السوفياتي ، التي مكنته من اكتشاف فعالية القوى الوطنية المناهضة للامبريالية ادت الى اصطدامه مع القطاع الاشتراكي الاكبر في المعسكر الاشتراكي؛ الصين . هنذا المآزق الذي وجد الاتحاد السوفياتي نفسه فيه ، كان مآزقا استراتيجيا ومآزقا مذهبيا . المآزق الاستراتيجي فرض على الاتحاد السوفياتي ان يعيد النظر في المدى الذي يمكن ان يبلور استعداداته للتصادم مع الولايات المتحدة ، وبالتالي ان يكبح ويضبط اي تماد قد يؤدي الى ان يجد الاتحاد السوفياتي نفسه مجابها

التحديات على اكثر من جبهة . لذلك وجدنا الاتحاد السوفياتي في عدة مراحل يخضع مجابهاته الفرعية او آية مجابهات فرعية الى مقتضيات المواجهة الاساسية الدائمة بينه وبين الولايات المتحدة . وكان هذا الحرص على استمرار ميزان القوى بين الدولتين العظميين ، حرصا شديدا الارهاق ، حتى اعتقد الكثير من الثوريين ومن القوى المتحررة في العالم الثالث على الاخص ، بان مقتضيات الاستراتيجية الكونية للاتحاد السوفياتي ، تغلبت بشكل نهائي وحاسم على الدور الثوري الذي كان منتظرا ان يلعبه الاتحاد السوفياتي . ولعل هذا الاستنتاج ، وان بدا منطقيًا ، فانه ليس دقيقًا ، لان الاتحاد السوفياتي لا يتعامل مع الولايات المتحدة بشكل آلي ومووري ، بل هناك في محصلة القوى تعادل او ما يقارب التعادل ، الا ان الاتحاد السوفياتي يتفوق في بعض الامور ، كما تتفوق الولايات المتحدة في أمور أخرى . الا ان محصلة القوة داخل الدولتين تؤدي الى ما يعتقد او اتفق عليه انه تعادل . ان احدى مكامرين الضعف في المعسكر الاشتراكي هي ان الاتحاد السوفياتي في مجابهته للولايات المتحدة ، لا يجد نفسه منسقا في خطته واستراتيجيته مع القوة الثانية المجابهة للولايات المتحدة ، اي مع الصين ، ويفقدان التخطيط والتنسيق اللزمين ، بين الاتحاد السوفياتي والصين ، يدخل عنصر الضعف في مجمل اطار المواجهة السوفياتية الامريكية . هذا الاعتبار السوفياتي للمعق الاسوي للمجابهة مع الولايات المتحدة يحتم على الاتحاد السوفياتي تكثيف قبضته على الدائرة الاوروبية لاستراتيجيته، مما يفسر موقفه من مظاهر التلمل المذهبي والسياسي الذي ظهر في تشيكوسلوفاكيا بقيادة دويتشيك وفي المجر قبلها وفي غيرها من التمثلات التي تجيء بين الحين والآخر في اطار اوروبا الشرقية . من ناحية أخرى ، لم يكن الاتحاد السوفياتي قادرا باستمرار على تلبية كل ابعاد الثورة الوطنية والاجتماعية في العالم الثالث بالمستوى الذي كانت تتطلبه هذه القيادات بالنظر الى ان موازين القوى بينه وبين الولايات المتحدة فرضت على حرية حركته نوعا من تفضيل بعض البدائل غلى الاخرى وان كانت هذه البدائل من نفس النوعية والمعدن . لقد كشف الاتصاد السوفياتي ان له خطا استراتيجيا ثابتا وواضحا فيما يتعلق بمحالفاته مع القيادات الوطنية في العالم الثالث ولذلك فان القيادات الوطنية في العالم

الأمريكي الإسرائيلي في مأزق ذاتي له .

من هنا تتراءى لنا أهمية التوجه الوحدوي الذي نشط في الآونة الأخيرة والذي ظهر في نمو تيار مصر على استكمال الوحدة ، على الأقل بين قطرين أي بين مصر وليبيا ، من حيث انه يشكل إحدى أوجه التعبئة للقوى الذاتية في المنطقة ، يضاف الى ذلك ان مواجهة المصالح البترولية الأمريكية في المنطقة العربية وتهديدها ، اذا كان مصداقا ، يشكل وجها ثانيا من أوجه التعبئة الذاتية وتقويضا للقوى

المستفيدة من بقاء المصالح البترولية وأن عملية التأميم التي حصلت في بعض القطاعات البترولية في العراق والتي أثبتت صدق التهديدات العراقية ،

هي وجه آخر من أوجه الاستفادة والتعبئة للقوى الذاتية العربية . أمام هذه الخطوات الإيجابية نحو تعبئة القوى الذاتية لا بد من ان نحدد بعض المحاذير ، التي بدون ادراكها وتلافيها لا يمكن ان نحقق الاستفادة القصوى من هذه الخطوات :

المحذور الاول يجب ان لا تعني الخطوات الوحدوية تعويضا عن اي انخفاض من مستوى وضرورات تكيف العلاقة بيننا وبين المعسكر الاشتراكي . بل بالعكس يجب ان تعني الخطوات الوحدوية مزيدا من هذه العلاقة والتنسيق ، لان تعبئة القوى العربية الذاتية من خلال ضرب المصالح الأمريكية في المنطقة والمزيد من الخطوات الوحدوية ، يعني ان المساعدات السوفياتية والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي تصبح أكثر جدوى وأكثر فعالية .

المحذور الثاني ، أن الخطوات الوحدوية يجب ان يلزمها مشاركة فعالة على مستوى البحث الديمقراطي الثوري كي تجيء كل خطوة وحدوية ، وهي مستوفية لشروط المشاركة الخلاقة للجماهير ، وليست مشاركة اغتعال حالات اجماعية للجماهير ، لان الجماهير العربية ملتزمة بالوحدة لكن هذا الالتزام بالوحدة لا يمكن ان يكون ملييا لحاجات مواصلة الثورة الاجتماعية ومقتضياتها الا من خلال فهم واع بأن الوحدة تعني ثورة جذرية ، ليس فقط في معالم الحياة ، بل في نهج المشاركة ، اي مشاركة الجماهير في صناعة الوحدة وليس فقط في تأييدها . نقول هذا لان معيار الالتزام صار ، في زحمة الاحداث ، معيار السواء للسلطة . قد تكون السلطات العربية مالكة للحقائق اكثر من الكثيرين من المعلقين والمتزمين من الجماهير ، الا ان هذا لا يجعل السلطة مصدر الحقيقة . ومن هنا نعلم

الثالث مطالبة بدورها بأن تعميم بدعة المعاني والنماذج التي تتأني وتستتبع المآزق الاستراتيجية والنظري الذي يجد الاتحاد السوفياتي نفسه فيه . اذ يجد نفسه في حالة تسابق أو تنافس على استقطاب القوى التغييرية والثورية في العالم الثالث التي هي فكريا ومذهبيا أكثر استمدادا لتقبل التفسير والإجتهد الصينيين ، والتي هي من حيث مصالحها اليومية بحاجة ملحة ، متزايدة الاحصاح الى المساندة السوفياتية .

يتراءى لنا أن هذا المآزق حقيقي ، الا انه يجب ان لا يؤدي بنا الى تقليص علاقاتنا مع المعسكر الاشتراكي بشقيه ، بل بالعكس علينا ، كما نجحت الثورة الفيتنامية ، بأن نؤكد هذا التراث الذي كونه من جراء اتباعنا سياسة عدم الانحياز والمتمثل في استبقاء الجدارة الاستقلالية في ذاتنا ، حتى نكون نحن الذين نقرر حركتنا ومختلف التحركات التي تجيز لنا تعميق مفاهيم الثورة وديمومتها . سياسة الانحياز تعني في هذا المضمار ، ان الثورة العربية والقيادات التقدمية الوطنية العربية ، منحازة الى قدرات وطاقت الالتحام بين الصين والاتحاد السوفياتي . ان الثورة العربية المعاصرة هي ساحة التقاء بين الاتحاد السوفياتي والصين ، هي إحدى ادوات الالتحام بين كسافة القوى المناهضة للامبريالية ، لذلك فان سياسة الانحياز هي لا انحياز لعوامل التناقض وانحياز لقدرات الالتحام داخل المعسكر الاشتراكي . من هنا تأتي ضرورة الاقتداء بتجربة الثورة الفيتنامية وبصيغة العلاقات التي انشأتها مع قطبي المعسكر الاشتراكي ، اذا تمكنت من التحكم بقواتها الذاتية ، وأكدت وحدتها وتماسك قواها ، تمكنت من ان لا تكون في مواجهاتها مع الامبريالية ضحية من ضحايا المآزق ، بل أداة من ادوات الخروج منه . اذا ان اقرارنا بالنماذج السلبية المحتومة لهذا المآزق داخل المعسكر الاشتراكي وما يتيح من تجديد فرص التحرك للامبريالية الأمريكية ، يجب أن يدفع القوى الثورية والتقدمية في العالم الثالث نحو مزيد من التماسك والوحدة ، بدلا من التعبير عن التناقضات التي اوجدتها المآزق داخل المعسكر الاشتراكي وفي المعسكر المناهض للامبريالية . أجل ان التعبئة المكثفة لهذه القوى الذاتية والتي تقوم على التركيز على ضرورة الوحدة العضوية بين القوى الثورية والوطنية والتقدمية ، تحدد من فعالية النتائج السلبية من جهة وتدفع بالبحر

السلطات ان تبیح الحقائق وأن تأتي المشاركة الجماهيرية تبلور الحقائق الى حقيقة . فالولاء هو للثورة الوحودية وليس للسلطات الوحودية . من هنا لا بد أن تكون هناك مناقشات مستمرة للحقائق ، لا بد أن يتحرر الجو العربي من الذعر الذي يقصي المفكرين المترجمين عن المساهمة ، ولا بد أيضا ان ندرك أن التردد حتى للقول الصحيح ليس بديلا للتليل . المشاركة تعني انه يجب ان يسمح للمخالفة ان تفعل فعلها في القرار ، لا ان يلجأ الى تخويف المخالفين وارهابهم والا تعطل العقل وكرنا في السبعينات اخطاء الخمسينات وانتكاساتها . نحن في مرحلة تقرير مصر . وتقرير المصير يعني مشاركة فعالة تجيز الخطأ في التعبير ولكنها لا تجيز الخطأ في القرار . والخطأ في القرار يمكن ان نحول دونه اذا اجزنا الخطأ في التعبير .

ان البحث في عملية المعادلة العربية السوفياتية اجمالا والمعادلة مع المعسكر الاشتراكي الشامل يجب ان يأخذ بعين الاعتبار أن المعادلة الامريكية الاسرائيلية لم يطرأ عليها اي تعديل ، بالعكس فان الولايات المتحدة في مؤتمر القمة في بكين وموسكو تمكنت من أن توجد لنفسها علاقات ثنائية مع هاتين الدولتين ما يجعلها تفكر بالتصادي والاسترسال في تثبيت تواجدها وتقويته في منطقة الشرق الاوسط . هذا بدوره يحتم علينا ان ننذكر ان هذا التواجد الاميركي قد زاد من مساعداته العسكرية والمادية والاقتصادية لاسرائيل بمبلغ ٣٨٠ مليون دولار في الاعتمادات الاخيرة التي كانت مستثناة من التخفيض الذي اصر عليه مجلس الشيوخ الاميركي . كما أن الولايات المتحدة قد أوجدت لنفسها قواعد عسكرية جديدة في اليونان بتحالفها مع النظام العسكري هناك . وأن هذه القاعدة الجديدة هناك هي من أجل تمكين حماية العدوانية الاسرائيلية لا فقط الكيان الاسرائيلي . يضاف الى ذلك تزايد الشراسة التركية ضد القوى اليسارية ومحاولات الضغط التي تقوم بها الولايات المتحدة ومنظمة الحلف الاطلسي على حكومة مكاريوس الوطنية ، بالإضافة الى المزيد من التسهيلات التي اعطتها إيطاليا للحلف الاطلسي ، والى ان ايران عززت تعاملها البترولي مع اسرائيل بالإضافة الى استيلائها على الجزر العربية في الخليج العربي واقامتها قاعدة عسكرية في احدها ، بالإضافة الى الاتفاق مع الحبشة ، كل هذا يشير

الى ان الولايات المتحدة تعمل ، بالإضافة الى تمكين اسرائيل من تحدي الإرادة الدولية ومن الاستمرار في توسعها وعدوانها على انشاء حزام لا لحماية اسرائيل وحسب ، بل لاجهاض الطاقات الثورية في الوطن العربي ايضا . هذا الهدف الاستراتيجي للامبريالية الامريكية يدفعنا الى ان نكون اشد حرصا على عدم التفريط بأي تواجد للاتحاد السوفياتي في المنطقة ، دون ان يعني هذا عدم اخضاع استقلالية القرار العربي للإرادة العربية . ولكن هذا المستوى من الراهات والحساسية لموازين القوى في المنطقة وعلى المستوى العالمي يفرض علينا ان يكون العامل الاساسي في تقييمنا هو ، بالضرورة ، حركة المحور الاسرائيلي الاميركي ومضمونه . هذا الذي يحدد ردود فعلنا مهما بلغت أوجه التناقضات الثانوية بيننا وبين حلفائنا من تحد واستفزازات . فاذا استبرينا في اضعاف مستوى العلاقات بيننا وبين المعسكر الاشتراكي ، عندئذ تتمكن الامبريالية الامريكية من أن تصيب الحركات الثورية في احد مفاصلها . لذلك يصبح لزاما علينا ان ندرك بأن اسرائيل قررت المزيد من الترابط العضوي مع الولايات المتحدة ومع الامبريالية العالمية دون ان تتخلى عن مبادرتها الصهيونية التوسعية العدوانية ذاتها لان اسرائيل هي التي ، بوعي لمصالحها ، ترتبط مع مراكز الثقل الامبريالي في العالم . ونحن بوعي كامل لمصالح الثورة العربية المعاصرة ومصالحة التحرير لا بد ان نعلم روابطنا مع معازل ومصادر القوى للقطاع المناهض للامبريالية ، مع استبقائنا على قدرة الحركة واستقلاليتها وحرية القرار . لذا فان دراسة معمقة لسلوك العدو بالإضافة الى اهدافه الامنية والمرحلية والبعيدة المدى يجب ان تكون دراسة نجعلها تحدد القيود التي لا يمكن لنا التغلقت منها اذا نحن اردنا أن تكون مجابهتنا فاعلة . هذه القيود هي ليست من نوع الاسر على الطاقة الاستقلالية العربية . بل هي ضوابط من شأنها ، اذا نحن مارسناها ، ان تفجر طاقات القوى الذاتية في الواقع العربي . والثورة الفلسطينية هي اكثر القطاعات العربية المؤهلة في هذه المرحلة لان تكون بوصلة هذا التحرك الدولي للثورة العربية المعاصرة .

الدكتور كلوفيس مقصود

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

اواخر شهر نيسان الماضي وهي القول صراحة ان للدول العربية التي تعرضت للعدوان الحق الكامل في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبها اسرائيل ، وهذا يعني الاقرار بحق العرب في اللجوء الى الحرب لحسم النزاع القائم مع اسرائيل . وكان المرشال غريشكو - وزير الدفاع السوفياتي - قد اكد هذا الحق في صيغة مشابهة اثناء زيارته لسوريا في شهر ايار الماضي . اما البيان المشترك الصادر عقب زيارة صدقي الاخيرة فقد اكد هذا الحق من جديد وبوضوح اجبر عندما ذكر : « ان الجانب السوفياتي يشاطر الجانب المصري والدول العربية الاخرى رايها القائل انه في حال اصرار اسرائيل على رفض تسوية سياسية عادلة للنزاع في الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن (رقم ٢٤٢) فان للبلدان العربية الحق في استخدام كل الوسائل الموجودة تحت تصرفها لتحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ » . الا ان نص البيان المشترك الذي تم توزيعه ونشره في مصر اهل هذه الفقرة المهمة والحوية اهمالا كاملا ولاسباب تتعلق لا شك بالازمة التي كانت على وشك الاشجار بصورة علنية . اذ ان الاتحاد السوفياتي كان يرمي من وراء هذه الفقرة : (١) التأكيد على الحق العربي في استخدام كل الوسائل - بما فيها القتال - لتحرير الاراضي المحتلة ، (٢) القول ان القرار النهائي في ذلك هو بيد القيادة السياسية العربية وان الاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يقف حائلا بينها وبين العمل العسكري اذا كانت تعتقد انها مستعدة له ، (٣) الرد على الاتهامات التي كثر تداولها مؤخرا حول رغبة الاتحاد السوفياتي في استمرار حالة الاحرب والاسلم القائمة في المنطقة وكونه هو احد الاطراف المستفيدة منها . ولا شك ان اغفال اجهزة الاعلام المصرية هذه الفقرة من البيان كانت تعبيراً عن قرب انفجار الازمة لان الرئيس السادات شدد عند اعلان قراراته الهامة وتفسير موجباتها على ان انتهاء مهمة الخبراء والمستشارين السوفيات يفتح الطريق امام مصر للخروج من حالة الاسلم والاحرب التي لم تعد تطاق ، ملقياً بذلك المسؤولية (أو جزءاً منها) في استمرار حالة الجمود في المنطقة على

بعد اشهر طويلة من الجمود الذي سيطر على النزاع العربي الاسرائيلي ، وخاصة على الصعيد الدولي ، وقع تطور دراماتيكي هام جدا وغير متوقع في العلاقات المصرية السوفياتية . لقد انفجرت الخلافات المكتومة بين البلدين مرة واحدة وظهر تدهور علاقاتهما للعيان عندما اعلن الرئيس السادات قراراته (١٨ تموز ١٩٧٢) بترحيل الخبراء والمستشارين السوفيات من مصر خلال عشرة ايام .

حتى النصف الاول من شهر تموز لم تكن هناك أية دلائل تشير الى ان ازمة من هذا النوع ستفجر بين البلدين الصديقين على الرغم من الشعور العام لدى المراقبين بأن ثمة خلاصات في وجهات النظر بين الرئيس السادات والقيادة السوفياتية . حتى الزيارة السريعة التي قام بها رئيس الوزراء المصري الى موسكو في منتصف شهر تموز حيث قابل زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي بريجنيف (والتي تبين فيما بعد انها كانت حاسمة بالنسبة لانفجار الازمة) ، لم يظهر منها ما يشير بوضوح الى الاحداث الكبيرة اللاحقة . اذ ترددت حولها الانباء العادية التي تذكر مع كل زيارة تتم بين القيادات في القاهرة وموسكو . وكتب عنها الصحافة السوفياتية الكلام المهود حول « اجواء الصداقة التقليدية والتفاهم المتبادل » الذي يسود هذه الزيارات وحول انسجامها التام مع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين . كانت المفاجأة الوحيدة ، التي ما كانت لتثير كبير اهتمام لولا انفجار الازمة بعد الزيارة مباشرة ، هي اختصار زيارة صدقي الى يوم واحد فقط بدلا من الايام الثلاثة التي كان متوقعا ان يمضيها في العاصمة السوفياتية . كذلك صدر بيان مشترك عن الزيارة ، اعتيادي في محتواه وشدد كالعادة على علاقات الصداقة التقليدية بين البلدين والتعاون الشامل بينهما . الا ان بعض الملابس الملفة للانتباه رافقت صدور البيان المشترك ونشره وبما انها اكتسبت معان مهمة على ضوء الاحداث اللاحقة لا بد من الوقوف عندها بسرعة في هذا المقام .

عاد البيان المشترك في احدى فقراته الى ذكر مسألة كانت قد وردت لأول مرة في بيان عربي - سوفياتي عقب زيارة الرئيس السادات لموسكو في

والتعليقات الصحفية في العاصمتين كانت لا تعكس ، ولو تلميحاً ، واقع الحال بالنسبة لنقاط جوهرية مختلف عليها بين البلدين .

ثانياً ، ان نقطة الخلاف الجوهري كانت تتعلق « بالتسليح ونوعيته وتوقيت وروده » . اي ان مصر كانت تشتكي من ان الاتحاد السوفياتي يماطل في تقديم الاسلحة الهجومية التي تحتاج اليها من اجل خوض معركة التحرير (طائرات ميغ ٢٣ وصواريخ أرض - أرض على ما يبدو) وانه في كثير من الاحيان كان لا يتم تسليم الاسلحة المتفق عليها في المواعيد المحددة لذلك . ويلخص الموقف المصري في هذا الموضوع بما ذكره السادات في خطابه بأنه قال للقيادة السوفياتية : « اعطونا السلاح وخليكو بعيد . . . اعطونا السلاح ومالكوش دعوة » . (في حديثه مع رجال الاعلام ، ٢١ تموز ٧٢) .

اما وجهة النظر السوفياتية فيمكن استخلاصها واعادة تركيبها نسبياً من التلميحات التي قيلت ونشرت في مصر على اعلى المستويات ومن ردود الفعل الصحافية السوفياتية نفسها ومن المصادر الصحفية الموثوقة اكثر من غيرها ، ومن تعليقات الاوساط الدبلوماسية المطلعة (مثلاً ، لقاء السيد كامل الاسعد ، رئيس مجلس النواب اللبناني ، مع القيادة السوفياتية مؤخرًا) . ويمكننا تلخيص وجهة النظر السوفياتية على النحو التالي :

(أ) ان تجارب الاتحاد السوفياتي السابقة والحاضرة في تعامل الجيوش العربية مع السلاح السوفياتي ، وخاصة المتطور منه ، لا يمكن ان تشجع القبول ببساطة بفكرة مجرد تقديم السلاح لها وعدم متابعة الموضوع الى ابعد من ذلك . وهناك عدة تجارب تخطر في البال مثل طائرة الميغ ٢١ التي اختطفها عميل اسرائيلي من العراق قبل حرب حزيران ١٩٦٧ بفترة قصيرة ، وكانت اول طائرة من نوعها تقع بأيدي المعسكر الامبريالي ، ومعروف ان اطلاق اسرائيل وامريكا على الطائرة المسروقة قد ساعد العدو كثيراً في معارك حزيران . ومن الملاحظ بهذا الصدد ان الصحافة السوفياتية اخذت تشير الى الهزيمة التي مني بها سلاح الطيران المصري في ١٩٦٧ بينما كانت في السابق تتفادى الكلام عن هذا الموضوع . بالاضافة الى اسلحة حلف وارسو المتقدمة والمتطورة التي غنمتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ هناك حادثة الزعفران المشهورة حيث تمكنت قوات الكوماندوس الاسرائيلية

خرجت الازمة المكتومة الى العلن على شكل قرارات اعلن عنها الرئيس السادات في ١٨ تموز تدعو الى وجوب مغادرة المستشارين والخبراء السوفيات الاراضي المصرية خلال عشرة ايام ، والى وضع كافة الانشاءات العسكرية السوفياتية على الاراضي المصرية تحت السيطرة المصرية واعتبارها « ملكاً خالصاً لجمهورية مصر العربية وتحت ادارة قواتها المسلحة » . أما المعدات العسكرية السوفياتية وغيرها من الاجهزة التابعة لهم فاما ان تباع لمصر او تنقل الى خارج البلاد ، ودعا الرئيس السادات الى اجتماع مصري سوفياتي لاجراء مشاورات حول المرحلة القادمة من العلاقات بين البلدين على ان « يعقد الاجتماع في القاهرة وليس في اي مكان اخر » . كما اعتبر ان مرحلة جديدة في تاريخ مصر قد بدأت . وفي ٦ اب اعلن الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، سيد مرعي ، ان جميع الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيات قد انسحبوا من مصر وانه لم يبق الا عدد محدود من المدربين الذين سيظلون لفترة محدودة فقط . وانعكس مستوى التدهور في العلاقات بين البلدين في النبا الذي جاء من القاهرة ومفاده ان اسبوع الصداقة المصرية - السوفياتية الذي اقيم بمناسبة الذكرى العشرين لثورة ٢٣ يوليو قد اقتصر على المباريات الرياضية فقط . كما انعكس في قول السادات عند اجتماعه بجلالات الاعلام في مصر « باننا ننتظر موسكو ، فان ردت ببادرة ايجابية فلسوف تبادلها الخطوة بعشرة ، اما ان جاء الرد سلبياً فسنكون مضطرين لمقابلة السيئة بسيئة مثلها » .

عند مراجعة التعليقات والخطابات التي القاها الرئيس السادات اثناء اعلان قراراته وبعدها ، ومراجعة مصادر المعلومات الاخرى تبرز امامنا عدة وقائع تتعلق بالعلاقات المصرية - السوفياتية وما آلت اليه وبتأثير ذلك على النزاع العربي الاسرائيلي وتوازن القوى في المنطقة .

اولاً ، ان الخلافات بين القيادتين السوفياتية والمصرية كانت موجودة باستمرار خاصة منذ تسلّم الرئيس السادات زمام السلطة ، ولكن كلا من الطرفين كان يعتمد اخفاءها حفاظاً على المصلحة المشتركة ، كما ان البيانات المصرية - السوفياتية المشتركة الكثيرة التي صدرت في السنتين الاخيرتين (على اقل تعديل) وتصريحات الطرفين الرسمية

التي تلتها تعزز وجهة نظرهم حول الأوضاع الداخلية في البلد وترديها دون مستوى المطلوب وفقا لرأيهم . كل هذا واضح مما أصبح معروفا عن الرسالة التي وصلت السادات عن القيادة السوفياتية في الاسبوع الاول من تموز (والتي اتخذ قراراته على اثر الاطلاع عليها) والتي احتوت كلاما عن « شروط الحرب وطبيعة الاستعدادات النفسية والشعبية والاقتصادية الضرورية للنصر » .

(ج) ترى القيادة السوفياتية انه ليس هناك من فائدة في تسليم الاسلحة الاكثر تطورا قبل الاستيعاب الكامل للأسلحة التي تم تسليمها سابقا . وان الاسلحة المتوفرة للجيش العربي هي بمستوى ، ان لم تكن افضل ، الاسلحة السوفياتية التي انتصرت بها الهند على حليفة امريكا الباكستان والتي استخدمها ثوار فيتنام في حملتهم الأخيرة ضد حكومة سايفون وقواتها علما بأن القوات الفيتنامية الثورية لا تملك اي غطاء جوي يذكر لمواجهة الطيران الامريكى الموجود بكثافة لا مثيل لها في تاريخ الحروب الحديثة .

ثالثا ، ان الاعتبارات التي ذكرت في مصر على اعلى المستويات في تفسير قرارات الرئيس السادات وتبريرها كانت تدور حول قضايا ذات طابع دولي مرتبطة جوهريا بالنزاع العربي الاسرائيلي ، وأهمها : رفض مصر لحالة اللاسلم واللاحرب المهيمنة على النزاع في المنطقة ، مؤتمر القمة الامريكى - السوفياتى الذى انعقد مؤخرا في موسكو حيث ترددت ابناء ووردت تلميحات تفيد بأن اتفاقا تم بين الدولتين على عدم تصعيد ازمة الشرق الاوسط عن طريق شحن الاسلحة الى الطرفين المتنازعين ، وعدم ثقة القيادة السوفياتية بالقدرات القتالية الراهنة للجيش المصري . يضاف الى ذلك اللوم الشديد الذى وجهه الرئيس السادات الى الحكومة الامريكية في خطابه المطول الذى تلى اتخاذ القرارات حيث قال ان « موقف الولايات المتحدة هو اخطر مشكلة في ازمة الشرق الاوسط » . ولخص خطورة هذا الموقف في التمهيدات التي اعطتها امريكا لاسرائيل بنص صدور اي قرار عن مجلس الامن يجبر اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، ورفض كل تسوية لا تكون مستندة الى المفاوضات المباشرة بين طرفي النزاع ، وبالحفاظة دوما على التفوق العسكري الاسرائيلي . ويكون الرئيس السادات قد حمل امريكا بصورة من الصور مسؤولية استمرار حالة

من الاستيلاء على جهاز كامل للرادار ونقله الى اسرائيل . ونتيجة لهذه الفضيحة العسكرية اقبل رئيس الاركاب المصري يومها واعدم بعض الضباط المسؤولين . هناك ايضا تجربة حرب الاستنزاف التي لم يكن الاتحاد السوفياتي راض عنها ، بل قبل بها مرغبا باعتبارها وسيلة للضغط على اسرائيل والولايات المتحدة . الا ان نتائج هذه الحرب كانت مخيبة للامال ولم تكن بمستوى التوقعات اذ انتهت بقبول مشروع روجرز واتفاقية وقف اطلاق النار الامريكية وما اعتب ذلك من نتائج بالنسبة للحركة الوطنية عامة . واخيرا أمام الجميع تجربة الضباط الخمسة الكبار من هيئة اركان الحرب السورية الذين تمكنت اسرائيل من اختطافهم دفعة واحدة من لبنان . وبالتالي طلب سورية مساعدة الاتحاد السوفياتي لادخال التبديلات اللازمة في اوضاع القوات المسلحة بسبب ما يمكن ان تكون اسرائيل قد اكتشفته عنها من الضباط المختطفين .

(ب) اعتقاد القيادة السوفياتية بان شروط النصر غير مكتملة في مصر في الوقت الحاضر اذ ان المسألة لا تتلخص بمجرد الحصول على هذا النوع أو ذاك من الطائرات أو الصواريخ بل بها هو أهم أي متانة الجبهة الداخلية ومستوى التعبئة الشعبية المنظمة . لذلك نجد ان الصحافة السوفياتية شنت هجوما على القوى الرجعية العربية وخاصة في مصر قائلة : « لا يمكن التغاضي عن حقيقة وجود قوى رجعية يمينية في بلدان عربية عدة بينها مصر تعارض التحول الاشتراكي وتعمل على تصعيد نشاطها وتحاول تخريب الإصلاحات التقدمية وبالتالي تخريب الصداقة السوفياتية - العربية » .

ويبدو ان مسألة الجبهة الداخلية المصرية وضعفها قد أثرت كثيرا في الموقف السوفياتي الذي احتج عليه الرئيس السادات باعتبار ان القادة السوفيات يرون ان قرار الحرب لا يرتبط فقط بهدى استعداد الجنود على الجبهة فقط بل يتطلب ايضا اعادة تركيب الأوضاع الداخلية وترتيبها من جديد على امس تناسب تماما مع خطورة قرار الحرب وتحقيق الانتصار ، وانه ما لم تتخذ اجراءات جذرية من هذا النوع فان الحرب ستؤدي الى كارثة اخرى . كما يرون ان تقديم الاسلحة الاكثر تطورا التي تطلبها مصر مرهون بتحويلات داخلية من هذا النوع . يضاف الى ذلك ان تجربة عام الضم ، الذى لم يعترف به السوفيات ، والاضطرابات الداخلية

بالاسلم والأحرب والنتائج التي ترتبت عليها حتى الان . كذلك لا بد من الاشارة الى الضغوط الداخلية والخارجية المتصاعدة التي تعرض لها الرئيس السادات للقيام بعمل ما لتحريك الجمود الخيم على النزاع في المنطقة ولتهدئة قطاعات حساسة متطلبة في الداخل . وعلى ما يبدو كان مصدر هذه الضغوط الداخلية المستويات العليا من الجيش التي لم تكن مرتاحة لوجهة النظر السوفياتية التي مر ذكرها ، وقوى اخرى لم تكن مرتاحة للوجود السوفياتي في مصر اصلا وعبرت عن قلقها من خلال البيانات والتصريحات والعرائض مطالبة باعادة مصر الى « منطة الامان » (اتجاه البغدادي - كمال الدين حسين) . أما الضغوط الخارجية فقد جاءت من عدة اطراف عربية معروفة بواقفها العدائية الصريحة من الشيوعية والاتحاد السوفياتي ، يضاف الى ذلك الجو العربي العام الذي يوهي بالتقارب مع امريكا كما تم التعبير عنه في اعادة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة من جهة والسودان والجمهورية العربية اليمنية من جهة اخرى ، بالإضافة الى زيارة روجرز الاخيرة الى اليمن ومنطقة الخليج العربي . وهناك ضغط من نوع اخر جاء من طرف السعودية التي ترى مع امريكا بأن الوجود السوفياتي في مصر يشكل تهديدا لمصالح حكامها وللمصالح الامبريالية المرتبطة بها . ولم تكن المابلة التي اجراها وزير الدفاع السعودي مع الرئيس السادات في الاسبوع الاول من تموز بعيدة عن هذا الواقع ، خاصة وان الوزير كان عائدا لتوه من زيارة سياسية لواشنطن وذكر ان انباء موثوقة ان وزير الدفاع السعودي حمل معه رسالة امريكية الى الرئيس السادات فحوها التاكيد من جديد على ان مفتاح الحل لازمة النزاع العربي الاسرائيلي هو بيد امريكا وامريكا وحدها ، وانه ضمن الظروف الراهنة لا يمكن تقديم أي حل سوى مشروع التسوية الجزئية (اعادة فتح القناة وانسحاب اسرائيلي لطيف من على ضفتها) وان مشاغل الانتخابات لا تمنع الحكومة الامريكية من اتخاذ القرارات الملائمة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ووضعها موضع التنفيذ في الوقت المناسب . ومع ان الرسالة الامريكية ذكرت انه ضمن الظروف الراهنة (قبل اخراج المستشارين السوفيات) لا حل عند امريكا الا التسوية الجزئية هذا لا يعني انه سيكون لديها عروض بحلول افضل اذا تغيرت « الظروف الراهنة »

باتجاه يرضي امريكا ، (مثل خروج السوفيات) اذ المتوقع هو ان تصعد امريكا مطالبتها مرة اخرى كما فعلت دوما في السابق بعد كل تنازل تقدم به الجانب العربي ظنا منه انه يقترب من تطبيق قرار مجلس الامن بتفسيه المصري - السوفياتي . وهذا يعطي اهمية لقول الرئيس السادات عن الامريكيين « انهم اعترضوا التنازلات من رأسي واحدة بعد الاخرى دون ان يقدموا شيئا في المقابل » (في مقابلة مع « نيوزويك » شباط ١٩٧٢) رابعا، ان الانسحاب السوفياتي من مصر قد شمل بالإضافة الى المستشارين والخبراء العسكريين للمحققين بالقوات المسلحة المصرية ، الطائرات التي كان يقودها طيارون سوفيات (ميغ ٢٢) مع طيارها ، صواريخ سام - ٦ مع انشاءات الرادار التابعة لها ، فرق الصيانة، المدربون والمدرسون في الكليات الحربية، السرب الجوي التابع للاسطول السوفياتي في البحر الابيض المتوسط والذي كان يقوم بعمليات الاستطلاع فوق الاسطول السادس ، اجهزة ومعدات متنوعة . وقد ترددت انباء صحفية امريكية تقول ان مراقبة قطع الاسطول السادس قسي المتوسط من قبل الطائرات السوفياتية قد توقفت في الفترة الاخيرة . كما انه يبدو ان الانباء الصحفية الاولى التي ذكرت بأن الانسحاب السوفياتي لن يؤثر على مجالات التعاون القائم مع مصر في الدفاع الجوي والبحري غير صحيحة . من ناحية اخرى أكدت أعلى المراجع المصرية ان الانسحاب السوفياتي سيحتفظ بالتسهيلات البحرية المقدمة له في الموانئ المصرية ، الا ان الناطق الرسمي باسم الحكومة المصرية (محمد حسن الزيات) اضاف في مؤتمر صحافي (٢٢ تموز) ان مثل هذه التسهيلات تقدم ايضا « لاية دولة تحتاج اليها بما فيها الولايات المتحدة » .

بعد اعلان قرارات الرئيس السادات الهامة بيضعة ايام عقد وزير الدولة للاعلام ، محمد حسن الزيات مؤتمرا صحافيا مهما (٢٢ تموز) شرح فيه الخطوط العريضة للسياسة الدولية التي ستتبعها مصر بالنسبة لمستقبل النزاع العربي الاسرائيلي بعد انتهاء مهمة الخبراء السوفيات في البلاد . وتلخصت الصورة التي رسمها الزيات للسياسة المصرية المقبلة بالنقاط التالية :

(أ) اعتبار « خطوة الرئيس السادات الاخيرة وكل خطواتنا السابقة فرصا للتحرك بالشرق الاوسط نحو السلام » لان مصر ترفض استمرار حالة الاحرب

والسلام و« تريد السلام فقط ، ولا تريد حلا يفرضه العسكريون في اسرائيل » كما انها لا تريد « مجرد مهلة في انتظار حرب جديدة » ، بل تريد سلاما عادلا « يحفظ الوحدة الإقليمية لدول الشرق الاوسط ويحترم حقوق شعب فلسطين » .

(ب) التعبير عن أمل مصر في « ان يستمر الاتحاد السوفياتي في تقديم الأسلحة وقطع الغبار للأسلحة الموجودة بالرغم من قرارات الرئيس السادات » .

(ج) الاعلان عن أن مصر ستحاول الحصول على ما يمكنها من الاسلحة من أية دولة والتعبير عن الرغبة المصرية « في اقامة علاقات طيبة مع كل الدول بما في ذلك الولايات المتحدة » . وأضاف الزيات بهذا الصدد قائلاً « اننا نسود بالطبع الحصول على بعض طائرات الفانتوم نظرا الى انكم (مخاطبا المرسلين الامريكين) سوف تعطون منها للدول « الصديقة » اي (اسرائيل) » ثم اكد « ان هذه ستكون سياستنا الدولية » . وفيما يتعلق بإمكانية الحصول على السلاح من فرنسا اعاد الزيات الى الاذهان ان الحظر الذي تفرضه الحكومة الفرنسية على شحن الاسلحة الى الدول المعنية مباشرة بالنزاع في الشرق الاوسط ما زال ساري المفعول . وكانت الخطوط العريضة لسياسة مصر الدولية احد المواضيع الهامة التي تطرق اليها الرئيس السادات في خطابه المطول الذي ألقاه بمناسبة الذكرى العشرين لثورة ٢٣ يوليو كما كانت الموضوع الرئيسي للمقابلة التي اجرتها معه مجلة « نيوزويك » الامريكية في عددها الصادر في اوائل آب بشن الرئيس السادات حملة عنيفة على الولايات المتحدة في خطابه واعتبرها مسؤولة عن استمرار أزمة الشرق الاوسط بسبب التعهدات التي تلقتها اسرائيل بعرقلة اي اجراء دولي قد يجبرها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وبتزويدها بالاسلحة كي تكون دوما متفوقة على العرب وباصرارها على ضرورة المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل . كذلك اتهم امريكا بتخريب محادثات الدول الاربعة الكبرى لانها تريد اجبار العرب على التفاوض مباشرة مع اسرائيل . واكد الرئيس السادات انه بالرغم من الخلافات القائمة مع الاتحاد السوفياتي فان الولايات المتحدة لا تشكل البديل الذي ستوجه اليه مصر مما يجعل معركة التحريص محتمة . وبالنسبة للاتحاد السوفياتي بين في خطابه انه طلب من القيادة السوفياتية اثناء زيارته لموسكو

في شهر نيسان المنصرم (أي قبل القمة الامريكية - السوفياتية بحوالي شهر) بأنه يجب الا يكون هناك اي تحديد لشحن الاسلحة الى المنطقة قبل حل الأزمة ، ويجب اثناء حالة اللاحرب والسلام ، كما ينبغي على الاتحاد السوفياتي ان يرفض أية محاولات امريكية للمساومة على الحدود العربية . كذلك ذكر السادات انه ابلى القيادة في موسكو بأنه على الاتحاد السوفياتي الا يستمر في موقفه الحذر زيادة عن اللزوم لان مشكلة الشرق الاوسط لن تحل ابدا بهذه الطريقة . أما في مقابلته مع مجلة « نيوزويك » فقد أوضح الرئيس النقاط التالية : (أ) ان المصالح الامريكية ستصبح قريبا عاملا من عوامل المعركة من اجل استعادة اراضيها وان « خريفنا حارا طويلا ينتظر هذه المصالح في الشرق الاوسط » . وتوعد السادات ، بهذا الصدد ، الرئيس نيكسون بأنه لن يكون بإمكانه (أي نيكسون) « الاعتماد على فترة من الهدوء في هذه المنطقة خلال معركة الانتخابات ، لان مفاجأة جديدة تنتظره » لكن بالرغم من تهديد الرئيس السادات بمس المصالح الامريكية في الخريف المقبل فقد نفى ، في نفس المقابلة ، عزم العرب على التعرض للمصالح البترولية الغربية في منطقتنا . قال الرئيس السادات « ان المقاطعة النفطية محتملة لكنها مشكلة معقدة جدا . لسنا مستعجلين على فتح جبهة النفط ولسنا عصبيين ولا حاجة الى الهستيريا » . (ب) أكد ان مصر والاتحاد السوفياتي صديقان وليسا حليفين وان التسهيلات البحرية المقدمة للسوفيات في مصر ستستمر . (ج) كشف بأنه كان قد وعد وليم روجرز انه اذا قبل الاسرائيليون بادرته (أي السادات) لاعادة فتح قناة السويس « فان عهدا جديدا سينبثق ولا اعود في حاجة الى السوفيات في مواقع صواريخ سام » . كما اكد ان القيادة في مصر عملت « اكثر مما انتظره روجرز وجوزيف سيسكو عندما طرحت بادرتي للسلام ، حتى اننا رسنا التناضيل الصغرى للمشكلة كلها » . الا ان السادات اضاف ان هذه الخطوات لم تجد اية استجابة من الحكومة الامريكية التي « تراجعت عن كل كلمة قالتها » . (د) اكد الرئيس من جديد انه عرض تنفيذ كل تعهدات حكومته بموجب قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، « وهذا يعني الاعتراف بسلامة الاراضي الاسرائيلية واستقلالها السياسي . وهذا يعني ايضا حرية الملاحة . كما يعني كل شيء باستثناء

استقرار ميزان القوى في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم » . ومعروف ان هذا الموضوع كان يشكل دوما مسألة هامة في اجتماعات المجلس الوزاري للحلف الاطلسي . وفي الاجتماع الاخر للحلف المركزي الذي انعقد مع بداية هذا العام هاجم وزير خارجية بريطانيا الوجود السوفياتي في الشرق الاوسط بشدة . بعد ذلك ذكر البلاغ المشترك الذي صدر عقب الاجتماع الذي تم في برمودا بين الرئيس نيكسون ورئيس الوزراء البريطاني (ادوارد هيث) موضوع الوجود السوفياتي في الشرق الاوسط باعتباره عقبة في وجه التوصل الى تسوية سلمية في المنطقة . اما على صعيد التصريحات الرسمية الاميركية لم يقل الكثير حول قرارات السادات وما قيل وضع بصيغ متحفظة وغير استفزازية او شامخة . وعبر تصريح وزير الدفاع الاميركي (ميلفين ليرد) عن هذا الاتجاه بقوله ان الولايات المتحدة تراقب الانسحاب السوفياتي من مصر « باهتمام شديد » وتأمل ان يستمر وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل كما انها « تأمل في ان تستطيع (اي امريكا) التحرك نحو حل في تلك المنطقة » . وبعد قرارات الرئيس السادات تكلم سيسكو امام لجنة تابعة للكونغرس الاميركي عن النزاع في الشرق الاوسط . وكان أهم ما جاء في اقواله . اهماله الكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وعدم الاتيان على ذكره ، تشديده على ان النزاع العربي الاسرائيلي لا يمكن تسويته الا بواسطة مفاوضات مباشرة بين الطرفين المعنيين ، وقوله ان القرارات والتصريحات الصادرة عن هيئة الامم لا يمكن ان تؤدي الى تسوية النزاع . وعلى الصعيد غير الرسمي كتب المعلق الصحفي الاميركي سولزبرجر معبرا عن خلاصة الموقف الاميركي من انفجار الازمة بين مصر والاتحاد السوفياتي (الهيرالد تريبيون ، ٢١ تموز ١٩٧٢) قائلا انه اذا ما رحلت كل القنوات العسكرية السوفياتية من مصر وتبع ذلك تخفيض واضح في التسهيلات البحرية للاسطول السوفياتي فان اهمية الاجراءات المصرية « ستكون حقا عظيمة جدا » . كما ذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » ان « من شأن القرار المصري ان يزيد من امكانيات الوصول الى تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي » . ودعت الرئيس السادات الى استئناف العلاقات الدبلوماسية مع امريكا . ولا شك ان نيكسون سيسفيد في حملته الانتخابية من الانسحاب

تبادل السفراء ، عندما يسلم الاسرائيليون للعرب الاراضي التي احتلوها في العام ١٩٦٧ » . وشدد الرئيس المصري قائلا في المقابلة نفسها « ان صراحتي كرجل سلام لا يمكن التشكيك بها . ليست لدينا اية اهداف عدوانية ضد اسرائيل ... ان العالم كله يعرف انني رجل سلام وهذا ما اثبته بادارة العام الماضي للوصول الى اتفاق سلام . الا ان الحكومة الاسرائيلية اقتنعت شعبها بانني رجل حرب » .

فيما يتعلق بزدود الفعل الدولية على قرارات السادات لم يصدر اي تعليق رسمي عن الاقتصاد السوفياتي حتى الان ، وكانت التعليقات الصحفية هي رد الفعل الظاهر الوحيد هناك . اتصفت هذه التعليقات بالهدوء والرصانة في رغبة واضحة بعدم التهور في دفع تدهور العلاقات مع مصر الى ابعد مما وصلت اليه ، مع التشديد على اهمية الصداقة العربية السوفياتية لدعم الجهود الوطنية العربية لمواجهة العدوان الاسرائيلي والخطر الابريالي في المنطقة ، هذا بالاضافة الى التذكير المتكرر باهمية العون الاقتصادي والعسكري السوفياتي لمصر وغيرها من الدول العربية عبر العشرين سنة الماضية وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن الدلائل التي تشير الى الاهمية التي تعلقها القيادة السوفياتية على التطورات الاخيرة في مصر اجتماع القمة الذي عقده زعماء دول حلف فرسوفيا حيث بحثت ، بلا شك ، ازمة العلاقات الراهنة مع مصر . وكان الاجتماع خطوة واضحة من قبل موسكو للتشاور مع حلفائها حول الازمة وامكانيات تطورها المستقبلية وكيفية التعامل معها . اما رد الفعل الاميركي المباشر فقد اتصف بالارتياح الرسمي الواضح ، ولكن غير الملن . وهنا علينا ان نفهم هذا الموقف من خلال كون اخراج الوجود السوفياتي من مصر مطلب اميركي رسمي قديم تم التعبير عنه في بيانات وتصريحات رسمية للرئيس نيكسون ووليم روجرز وجوزيف سيسكو وهنري كيسنجر . ومن اشهر هذه التصريحات المؤتمر الصحافي الذي طالب فيه كيسنجر « بطرد » السوفيات من مصر (١٦ حزيران ١٩٧٠) . كذلك كشف الرئيس السادات في المقابلة المشار اليها مع « نيوزويك » ان روجرز وسيسكو ناقشا معه موضوع انتهاء الوجود السوفياتي في مصر . وفي مطلع هذا العام قال نيكسون « ان الانتهاكات السوفياتية في مصر كانت ذات تأثيرات خطيرة على

السوفياتي اذ سيقدم نفسه على انه صاحب السياسة المتصلبة التي ابعدت الاتحاد السوفياتي عن خطوط المواجهة مع اسرائيل .

في بريطانيا لم تصدر اية تعليقات رسمية على قرارات السادات الا ان الانباء ذكرت ان المسؤولين في وزارة الخارجية يراقبون بعناية بالغة تطورات الازمة مع الاتحاد السوفياتي و « المضاعفات العسكرية التي قد تترتب على قرارات السادات » . كما ذكرت ان الاوساط الدبلوماسية البريطانية تعتبر ان معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية مجمدة حاليا وانها اصبحت الان موضع اعادة نظر خاصة بعد اعلان مشروع قيام وحدة كاملة بين مصر وليبيا . من جهة اخرى اعلنت مصادر مسؤولة في لندن ان بريطانيا مستعدة لدراسة اي طلب يتقدم به مصر لشراء الاسلحة بهدف استبدال جزء من المعدات الحربية السوفياتية ، كما عادت الى التذكير بما قاله وزير الدولة البريطاني (جوزيف غودبر) في ١٨ نيسان الماضي حول استعداد بلاده للنظر بعطف الى كل طلب جديد للحصول على السلاح من قبل الدول العربية شرط الا يؤدي ذلك الى تعديل ميزان القوى في الشرق الاوسط .

اما الاوساط السياسية الفرنسية المسؤولة فقد اعتبرت ان قرارات السادات قد « غيرت مسرح الشرق الاوسط تغييرا كبيرا وانزلت نكسة اكيدة بسياسة الاتحاد السوفياتي وقدمت نجاحا للرئيس نيكسون » . ونفت هذه الاوساط بصورة رسمية الانباء التي كانت قد ترددت حول امكانية حصول فرنسا محل الانتقاد السوفياتي في تزويد مصر بالسلاح مؤكدة ان سياسة فرنسا القائمة على حظر شحن الاسلحة الى البلدان المتورطة مباشرة في النزاع في الشرق الاوسط ما زالت سارية المفعول . وعلى الصعيد غير الرسمي علق صحفية

« اللوموند » قائلة انه « اذا كان الرئيس السادات يتكل في الوصول الى تسوية سلمية عن طريق الولايات المتحدة فانه سيمصدم باتهامك السياسة الامريكية في الحملة الانتخابية وبعدم رغبة واشنطن في الضغط على اسرائيل » .

وكما هو متوقع نظرت الصين الى قرارات الرئيس السادات من زاوية الصراع الصيني السوفياتي فأبدت ارتياحا كبيرا لتدهور العلاقات المصرية السوفياتية . الا ان التعبير العلني عن هذا الارتياح جاء بعبارات عامة بدون ذكر الاتحاد السوفياتي بالاسم كما جاء في تعليق رئيس الوزراء شو ان لاي حيث قال بان الصين مسرورة وهي ترى الشعوب العربية تقاوم « السيطرة والتدخل من قبل الدول الكبرى » .

على صعيد هيئة الامم المتحدة صرح فالدهايم ، اثناء زيارته لموسكو ، ان انسحاب الخبراء السوفيات من مصر لن يؤثر على مهمة السلام الدولية التي يقوم بها يارينغ لان الانسحاب هو قضية ثنائية تمه للبلدين المعنيين بصورة رئيسية . وذكرت الانباء ان اوساط هيئة الامم تعتقد ان الخروج السوفياتي يقدم للولايات المتحدة فرصة لتحسين علاقاتها مع مصر وذلك عن طريق الضغط على اسرائيل للتوصل الى تسوية مع مصر تؤدي الى انسحاب جيش الاحتلال من سيناء . كما ترى هذه الاوساط ان الخروج السوفياتي قد يساعد الوسيط الدولي في انجاح مهمته ، وسيؤدي الى خفض في شحنات السلاح الامريكي الى اسرائيل وربما ادى الى قيام الولايات المتحدة بتقديم مبادرة جديدة لتسوية الازمة في الشرق الاوسط عن طريق احياء مشروع روجرز الذي قبلته مصر .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

شبيه باتفاق الجسور المفتوحة ، يفتح بموجبه ميناء غزة أمام الصادرات والواردات الاردنية دون اتفاق رسمي ، وعن توجيه النظام الاردني دعوات الى عدد من الشخصيات والصحفيين في الضفة الغربية الى زيارة الاردن . الا ان وزير الاعلام الاردني الراحل عدنان ابو عودة قد كذب هذه الأنباء بالرغم من ان بعض الصحفيين من أبناء الضفة قد أكد صحتها مدعين بانهم تلقوا دعوات من السلطات الاردنية .

اما السلطات الاسرائيلية فقد انهكت خلال الاونة الاخيرة في متابعة سياستها الرامية الى تكريس الاحتلال في محاولة منها لاضفاء صفة الشرعية عليه . ففي أعقاب مهزلة الانتخابات التي فرضتها على الضفة الغربية قامت سلطات الاحتلال بفرض الانتخابات على موظفي بلدية القدس ومستخدميها العرب ضمن الانتخابات القطرية لتقابة الموظفين العامة ولتقابة عمال البلديات في اسرائيل ، باعتبار ان سكان مدينة القدس العربية مواطنون اسراييليون . وقد جرت الانتخابات بالفعل في ١٧/٦/٧٢ وبلغ عدد اصحاب حق الاقتراع العرب في القدس حوالي الف شخص يعمل ٨٠٠ منهم في بلدية المدينة ، وقد بلغت نسبة الاشتراك في الانتخابات حوالي ٨٠٪ نجح فيها كل من ابراهيم الدجاني وحسن الرشيد .

وتعتزم سلطات الاحتلال الحاق هذا الاجراء باجراء آخر تفرض بموجبه الانتخابات للغرف التجارية في الضفة الغربية ، حيث اصبح من المقرر اجراء الانتخابات في شهر اب . وكانت اخر انتخابات للغرف التجارية شهدتها الضفة الغربية قد جرت عام ١٩٦٥ ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الانتخابات ستجري وفق القانون الاردني رقم ٥٨ لعام ١٩٦١ الخاص بالغرف التجارية ، ويشترط القانون ان لا يقل عمر المرشح عن ٢٠ عاما وان يكون مقيما اقامة دائمة في المدينة التي ستجري فيها الانتخابات وان يدفع رسم ترشيح ببلغ عشرة دنائير وان يكون متنسبا للغرفة التجارية ومسددا اشتراكاته لمدة ثلاث سنوات متتالية . اما فيما يتعلق بالشركات فلا يحق لها الادلاء بأكثر من صوت واحد ويجب على العضو الذي يدلي بصوته ان يكون حائزا على تفويض من الشركة نفسها . ومن الجدير بالذكر

برزت على سطح الاحداث في المناطق المحتلة في الآونة الاخيرة عدة موضوعات ، تتمثل في تحرك الزعامة التقليدية التي يقذب ولاؤها بين السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، وبلغ تحركها اوجها في توجه وفود منها الى البلاط الهاشمي للتعزية بوفاة الملك طلال ، وتحرك ما يعرف بالزعامة الشبابية في الضفة الغربية ، وبلغ تحركها ذروتها في المطالبة باقامة حزب يدعو الى كيان فلسطيني ، وتحرك سلطات الاحتلال ، وبلغ هذا التحرك حد الاعمال النازية بقيام سلطات الاحتلال بشن حرب بيولوجية ضد مزارع قرية عقربة العربية :

اتسمت هذه الفترة بتقارب اكثر بين السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، وبين السلطة الاردنية والوجاهة التقليدية ، ويتمثل التقارب بين السلطتين في : ١ - المزيد من التعاون على جانبي الجسور المفتوحة بين الضفتين ، فقد وصل الى المناطق المحتلة حتى مطلع شهر اب ١٢٠ الف زائر من الدول العربية في نطاق برنامج زيارات الصيغ الذي سينتهي عند منتصف شهر اكتوبر من هذا العام ، وتقدر سلطات الاحتلال ان يصل التسدد النهائي خلال تلك الفترة الى ١٦٠ الف زائر ، ومن الجدير بالذكر ان عدد الزوار خلال العام الماضي قد بلغ حوالي مئة الف . ٢ - موافقة الحكومة الاردنية على دخول السياح الاجانب من اسرائيل الى الاردن عن طريق جسر اللنبي والعودة من الطريق نفسها ، وذلك للمرة الاولى منذ حرب عام ١٩٤٨ ، بواسطة احدى شركات السياحة والسفر الاسرائيلية التي ستقوم بتنظيم رحلات للسياح الذين سيوزرون كلا من عمان وجرش والبراء والمعقبة . ٣ - قيام سكرتير اللجنة التنفيذية للاتحاد الوطني في عمان المدعو محمود سعيد بزيارة للضفة الغربية في اواخر شهر حزيران استغرقت عشرة ايام ، اجتمع خلالها بالزعامة التقليدية ومن بينها رئيس بلدية الخليل ، وصرح بانها « اعجب كثيرا بما شاهده من تطور وتقدم في المدن التي زارها » وانسه سيزور الضفة في شهر اكتوبر القادم .

الى جانب ذلك اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية ووكالات الأنباء تتناقل انباء عن توصل السلطات الاردنية والاسرائيلية الى نوع من الاتفاق الجنتماني

عمان ، وتعتبر هذه الزيارة الاولى للصفة الشرقية منذ حرب حزيران ، وكان في استقباله عند اجتيازه جسر اللنبي عدد من الرسيين الاردنيين .

وقد قام النظام الاردني من ناحيته بتوجيه دعوة الى الجعبري لزيارة عمان الا ان رئيس بلدية الخليل الذي كان في السابق قد وجه انتقادات لاذعة للنظام الاردني من خلال ارتبائه في احضان سلطات الاحتلال قد رفض الدعوة « لاسباب صحية » . ٤ - توجه معظم رؤساء البلديات ووجهاء الضفة بما يشبه مهرجانات الولاء التي كان هؤلاء يقومون بها قبل حرب حزيران ، الى عمان وعلى رأسهم الحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس وحكمت المصري رئيس مجلس النواب الاردني سابقا وعدد من الاعيان والنواب ورؤساء الغرف التجارية الى البلاط الهاشمي في عمان لتقديم التعازي الى الملك حسين بوفاة ابيه الملك طلال وذلك « نظرا للخسارة الفادحة التي حلت بالامة العربية بوفاة المغفور له جلالة الملك طلال بن عبد الله » كما جاء على لسان الناطق باسم الغرفة التجارية لدينة نابلس .

لقد كان موت الملك طلال مناسبة للثالوث المسيطر في الضفة الغربية ، سلطات الاحتلال والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، للتحرك في خط واحد لتسوية النزاع اي تصفية القضية الفلسطينية ضمن اطار عام يصون الاطماع التوسعية الاسرائيلية ويحمي شهوات العرش الملكي في السيطرة ولو اسميا ويذكي تطلعات الزعامة التقليدية التي تتسم موافقتها بالتذبذب الشديد والتعلق الماروق . لم تكن الاطراف الثلاثة منسجمة مع نفسها حيال موت الملك طلال ، ولم يكن جزئها صادقا ، فصحية « الانباء » الاسرائيلية التي تنطق باسم سلطات الاحتلال فتحت صفحاتها للتعزية بوفاة « المغفور له جلالة الملك » والزعامة التقليدية هرعت الى القصور الملكية في عمان للتعزية « بالمصاب الاليم » مع انها تسدرك جيدا ان الاشادة بطلال او حتى مجرد الحديث العادي عنه وهو على قيد الحياة يعتبر من المحرمات في عمان ، والبلاط الملكي اعلن الحداد ، مع ان هذا البلاط كان بحرما دخوله على « مفيد الامية العربية ... » الذي طرد من الاردن في مطلع الخمسينات واودع المستشفيات العقلية خارج الاردن الى ان وافته المنية . وفي خلال هذا التقارب انهكهم رئيس بلدية نابلس معزوز المصري في مصالحه

ان المهينين على الغرف التجارية في الضفة يؤيدون دعوة سلطات الاحتلال لاجراء الانتخابات ، كما ان السلطات الاردنية التزمت الصمت حيال الموضوع ، بالرغم من انه يعتبر امتدادا للاجراءات الاسرائيلية الرامية الى تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه .

ومن ناحية اخرى حدثت في الاونة الاخيرة فترة في التقارب بين الزعامة التقليدية والنظام الاردني ، ومن اوجه هذا التقارب :

١ - قيام النظام الاردني بدفع رواتب الموظفين في الضفة بعدد قطيعة استمرت خمسة شهور .
٢ - قيام رئيس بلدية غزة رشاد الشوا المعروف بولائه للأسرة الهاشمية بزيارة عمان واجتماعه بالملك حسين ، وخروجه من هناك باتفاق مع الملك ينص على المساواة في المعاملة بين ابناء قطاع غزة وانباء الضفة الغربية ، وقد اصدر الملك تعليمات بهذا الشأن ، وفي مقابل ذلك ، يبدو ان الشوا قد قبل المشروع الملكي بشأن اقامة المملكة العربية المتحدة ، ويشتم ذلك من قول الشوا في كلمة القاها في مخيم للاجئين من ابناء القطاع في الاردن : « نرى لزاما علينا ان نجتمع ارادة سكان المناطق المحتلة على ربط قطاع غزة بالضفة الغربية وان لا نترك لاسرائيل فرصة ابتلاع القطاع » . ٣ - دعوة رئيس بلدية الخليل محمد الجعبري الى تعيين مبعوث عربي فلسطيني من ابناء الضفة للتوسط بين اسرائيل والنظام الاردني والدول العربية ذلك « لان الشعب في الضفة الغربية يتطلع الى الاستقرار ، ولا يمكن التوصل الى ذلك الا عن طريق المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية » .

ومن بين الاسماء التي اقترحها الجعبري للقيام بهذه المهمة عدة شخصيات من بينها انور الخطيب محافظ القدس سابقا وحكمت المصري رئيس مجلس النواب الاردني سابقا والحامي عزيز شحادة ، وقد رفض الاخيران دعوة الجعبري ، اما انور الخطيب فمعتب قائلا ان هذه المهمة فوق طاقتي وانني اتطلع بأن ارى النزاع العربي الاسرائيلي قد حل « ولي الشرف الكبير بأن يكون لي نصيب في ايجاد الحل العادل لهذا النزاع بالتوسط بين الاطراف المعنية » . وبالرغم من تحفظ الخطيب على دعوة الجعبري فان الدلائل تشير الى ان الخطيب قد قبل الدعوة ، حيث علم انه قام بزيارة في الاونة الاخيرة الى

الخاصة ، وخطا خطوة تشير الى استحالة قيام جبهة وطنية في الضفة تكون الزعامة التقليدية احد اطرافها ، وتمثل هذه الخطوة في قيام معزوز المصري باقالة ٤٠ عاملا من بين ٢٠٠ عامل يعملون في مصنع الزيوت التابع له ، بحجة ان هؤلاء العمال بدأوا باضراب لزيادة أجورهم . ولا يحتاج المرء الى اجهاد فكره لمعرفة المكان الذي سيتوجه اليه العمال المفصولون ، لان امامهم طريقا واحدا . . . المصانع الاسرائيلية .

الدعوة لاقامة حزب في الضفة : الى جانب تحركات الثالوث المسيطر في الضفة تحركت فئة صغيرة في القدس والضفة الغربية ، تطلق عليها وسائل الاعلام الاسرائيلية اسم « المتفنين الشباب » لتأسيس حزب في الضفة الغربية . وقد ولدت هذه الفئة الصغيرة في احضان الاحتلال لتكون بمثابة احتياطي يمكن ان يستخدمها في الوقت الذي يشاء ، وكورقة ضغط موجهة ضد النظام الاردني من ناحية والزعامة التقليدية من ناحية اخرى .

يقف على رأس هذه الفئة الصغيرة محمد ابو شلبياية صاحب كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » ومن بين اعضائها محرر صحيفة « الفجر » الاسبوعية جميل حمد ويوسف ناصر وابراهيم دعبيس وسليم خوري . تدعو هذه الفئة الى فكرة اقامة دولة فلسطينية في المناطق الفلسطينية المحتلة . وقد اخذت تنشط في الآونة الاخيرة بعد التقارب الذي حدث بين الزعامة التقليدية والنظام الاردني وفي اعقاب صدور الكتاب الثاني لحمد ابو شلبياية الذي يحمل اسم « الطريق الى الخلاص والحرية والسلام » الذي طالب فيه بـ « ضرورة اقامة دولتين حرتين مستقلتين في فلسطين ، واحدة للفلسطينيين والاخرى للاسرائيليين والذي يقودنا الى ضرورة ان تكون الخطوة العملية الوحيدة لتحقيق ذلك هو وضع المناطق الفلسطينية المحتلة بعد حرب حزيران تحت اشراف الامم المتحدة لكي يتمكن الفلسطينيون من المجيء الى دولتهم والحصول على هويات فلسطينية ، واجراء استفتاء ولاتخابات برلمان ينتخب بدوره لجنة تنفيذية ، تجري مفاوضات مع اسرائيل باشراف الامم المتحدة للاتفاق على جميع القضايا التفصيلية . . . ان قيام هذه الدولة يعني سلاما بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، ويعني في نفس الوقت سلاما مع الدول العربية ، لان مشكلة مصر وسوريا ولبنان والبلدان العربية

الاخرى مع اسرائيل نابعة من مشكلة الفلسطينيين والاسرائيليين واذا حلت المشكلة بين الفلسطينيين والاسرائيليين حلت في نفس الوقت المشكلة بين الاسرائيليين ومصر وسوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية » . ومن اجل تحقيق ذلك تقدمت هذه المجموعة بطلب الى وزير الدفاع موشيه ديسان للسماح لها باقامة حزب في الضفة « لقد بعثنا برسالة الى ديان وطلبنا مقابلته ، اننا نريد ان نوضح له مبادئ الحزب ، اننا نريد ان يعرف باننا مجموعة مثقفين مسلمين ومسيحيين نود تنظيم حزب يسمى الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة ، تحافظ على علاقات وطيدة مع دولة اسرائيل . لقد انتظرنا بصبر خمسة اعوام ان يقوم زعمائنا المسنون بعمل لصالح القضية الفلسطينية بيد اننا لم نر اية نتيجة لنشاطهم ، لذا قررنا استلام زمام الامور بأيدينا لاعتقادنا بان الشباب يمتلك المقدرة والقوة للعمل من اجل هذه الفكرة » (معاريف /١٧/ ٧٢/٧) كما جاء على لسان سليم خوري محاضر في كلية الاداب في الجامعة العبرية ومن سكان القدس العربية . ويعتقد ابو شلبياية ان المرحلة الاولى من نشاط الحزب تتطلب العمل على فرس فكرة استحالة وجود حل اخر غير الحل المتعلق بالتعاون مع اسرائيل في اذهان الجماهير الفلسطينية ، وضرورة قيام اسرائيل بالاعلان عن استعدادها لحل القضية الفلسطينية .

اما سليم خوري فقد كشف النقاب عن الخطوات الرئيسية الثلاث التي يعتمز الحزب السعي من اجل تحقيقها :

١ - اجراء استفتاء في القدس والضفة الغربية « اننا سنسأل الشعب اذا كان يريد دولة فلسطينية او يرغب في حكم اردني او يوافق على الحكم الاسرائيلي » . ٢ - ارسال بعثة الى الامم المتحدة من بين صفوف الحزب لتوضيح اهداف الحزب وطلب مساعدة الامم المتحدة في اقامة السدولة الفلسطينية . ٣ - انتخاب مؤسسات الحزب بشكل ديموقراطي .

لم تحصل هذه المجموعة حتى الان على ترخيص باقامة حزب الا ان الدوائر الحكومية قد عبرت عن رأيها بانها « لا ترى اي سبب يحول دون قيام تنظيم سياسي كهذا في القدس الشرقية » بينما حصلت على ترخيص باصدار مجلة اسبوعية باسم محمد ابو شلبياية تحمل اسم « صوت الشعب » .

النور الى ١١ مستوطنة . ونيسا يتعلق بسيناء
فقد ذكر المسؤولون عن الاستيطان بان مستوطنتين
جديديتين ستقامان عند مشارف رفح ، وتسمى بلدية
ايلات في الوقت الحاضر الى ضم منطقة من سيناء
تقع على شاطئ سيناء جنوبي ايلات . وذكرت
المصادر الاسرائيلية ان عملية الضم ستتم في
المستقبل القريب .

نضال المقتلعين من مشارف رفح : لا يزال سكان
منطقة رفح الذين أجلوا عن اراضيهم بالقوة بغرض
تهويد منطقتهم باقامة المستوطنات الاسرائيلية عليها ،
يشنون نضالا من اجل العودة الى اراضيهم ، فقد
ارسل اربعة من شيوخ القبائل بشكوى الى «محكمة
العدل العليا» الاسرائيلية تطرقوا فيها الى قصة
ترحيلهم والى تدمير خيامهم وبيوتهم على أيدي
وحدات من الجيش الاسرائيلي ، والى التهديدات
التي راغقت العملية « اذا بقيتم حتى ظهور الشمس
غدا فاننا سنحرق خيامكم » والى قيام المتقدم
« قزاز » بخداعهم بتعهده امامهم بتكبيرهم من اخراج
أمتعتهم من بيوتهم قبل عملية الهدم والنسف ، غير
ان حتى هذا الوعد لم يتحقق فقد « نسفت بيوتهم
وقبرت الامتعة الموجودة بداخلها » .

وذكر الشيوخ في شكواهم ان عدد ابناء عشائريهم
الذين اقتلعوا من اراضيهم يبلغ عشرة آلاف ، وان
المنطقة التي أجلوا عنها بالقوة تصل مساحتها الى
١٥٠ كم مربع وان لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لارضهم ،
كما وتقدم خمسة شيوخ آخرين يمثلون خمس قبائل
اخرى أجلوا من منطقة ثانية بشكوى مماثلة ،
وأوضحت الشكوى انهم أجلوا عن منطقة تصل
مساحتها الى ١٠٠ كم مربع كان يقطنها عشرة آلاف
من أبناء القبائل الخمس ، وأوضحوا في شكواهم ان
عملية الترحيل تمت تحت وطأة التهديد والوعيد
بواسطة الحاكم العسكري لقضاء خان يونس الذي
أبلغهم ان عليهم ان يصلوا خلال ثلاثة ايام « ومن
يبقى فان بيته سيهدم على رأسه » . وطالب شيوخ
القبائل في الشكويين اعادتهم بدون قيد او شرط
الى اراضيهم .

لم يكتف سكان مشارف رفح بتقديم الشكاوى ، بل
أخذ المزارعون منهم يتوجهون الى مزارعهم المحاطة
بسياج النهب والسلب ، واخذوا يعتمون بمزروعاتهم
ايمانا منهم بحقهم الذي لا ينازع في اراضيهم ، الا
ان سلطات الاحتلال كانت لهم بالمرصاد « فقد
شوهدت بعد ظهر امس طائرة هليكوبتر تحوم فوق

واخر عمل سياسي قام به « المتفقون الشباب »
اتخاذ قرار بارسال وفد الى الامم المتحدة ليقدم
عريضة الى سكرتير الامم المتحدة « تتضمن
استنكارهم لما تقوم به حكومة الاردن من اجل ضم
الضفة الغربية وقطاع غزة اليها » ويطالبون فيها
« بمنح حق تقرير المصير للفلسطينيين » (الاذاعة
العبرية ٨٢/٨/٥) . وبذلك تكون سلطات الاحتلال
قد خلقت فئة صغيرة كورقة ضغط تستخدمها عند
الحاجة ضد النظام الاردني والزعامة التقليدية من
اجل الحصول على مزيد من التنازلات لصالح
الاحتلال .

حركة الاستيطان : نشطت سلطات الاحتلال في
الايونة الاخيرة في سياستها الواضحة المتمثلة بازالة
معالم قديمة واقامة معالم حديثة ، سياسة
الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، ففي هضبة
الجولان يجري العمل على قدم وساق لاقامة ثلاث
مستوطنات جديدة تعتبر الان في طور البناء وهي
« كنفار حريف » و « ناب » و « مركز خسفين »
من المقرر ان تؤهل خلال العام القادم .

ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال وجدت في
الهجرة اليهودية الاخيرة المتصاعدة من الاتحاد
السوفياتي معينا لتأهيل بعض مستوطناتها . فقد اقام
عدد من مهاجري الاتحاد السوفياتي نواة لتأهيل
مستوطنة جديدة في الهضبة تعتمد في معيشتها على
الصناعة والبناء حيث « ان معظم المستوطنين هم
من حملة الشهادات الاكاديمية والصناعية ...
مهندسو الات والكترونات » .

ومن ناحية اخرى وبمناسبة مرور خمسة اعوام على
تأسيس اول مستوطنة في الهضبة ، كشفت وسائل
الاعلام الاسرائيلية للمرة الاولى النقاب عن عدد
المستوطنين في الهضبة ، فقد ذكر « يعقوب اراد »
مدير الوكالة اليهودية في الجليل ان عدد المستوطنين
في الهضبة السورية يناهز الـ ١٥٠٠ مستوطن ،
كما وعلم ان التكاليف الاجمالية للاستيطان في
الهضبة قد بلغت حتى الان مئتي مليون ليرة
اسرائيلية . وفي غور الاردن احتفل في ٧/٧/٧٢
بالبدء باستيطان موشاف يحمل اسم « بوقاع »
يقع شرقي مدينة نابلس بالقرب من قرية بوقاع
التاريخية التي اكتشفت اثارها عند بدء الاعمال
لاقامة المستوطنة . ومن المقرر ان يقوم سكان
الموشاف باعمال زراعية ، وسيعتمد ايضا على
المشاريع الصناعية ، وبذا يصل عدد مستوطنات

رؤوس البدو الذين يقومون بأعمال الزراعة في المناطق التي أخلقت ، وتشن غارات على العرش المصنوعة من القش التي اقلوها لتتبعهم عائلة الحر ، وتهدمها » (دامار ٧٢/٦/٢٢) . وبالرغم من ذلك فإن اصرار ابناء القبائل التي أجليت وعنادهم أقوى بكثير من ارادة الطيار الاسرائيلي السذي أصبحت مهمته ملاحقة الفلاحين العرب ، فقد أكد هؤلاء بوعي نضالي « انه ينبغي على الحكومة ان تدرك انه اذا كانت تريد ارضا بدون سكان ، فعليها ان تقوم بذبحنا جميعا . وليست هناك طريق أخرى » (عل هشمبار ٧٢/٧/٤) .

حرب بيولوجية ضد مزارع عقربة العربية : في الوقت الذي كانت فيه طائرة هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي تحوم فوق رؤوس مزارعي مشارف رفح وتطاردهم وتهدم عرشهم ، برزت على سطح الاحداث في الضفة الغربية بأساة أخرى لفلاحي قرية عقربة ، بقيام طائرة اسراييلية بالاغارة على مزروعات القرية والقائها مواد سامة عليها ، وكانت حصيلة الغارة اتلان مزروعات تمتد على مساحة خمسة آلاف دونم تخص فلاحي القرية .

أخذت سلطات الاحتلال تتستر على هذا العمل المشين وتحول بقدر المستطاع دون نشره ، الا ان الاهالي أخذوا يناضلون ويحتجون ضده ، وقد بعثوا برسائل الى « الخصم والحكم » يشكون فيها تصرفات سلطات الاحتلال ، بيد ان الاجابة جاءت لاستكمال الغرض من العمل المشين ، ففي الرابع من مايو جرى في نابلس اجتماع بين مندوبين عن اهالي عقربة ومدير اراضي اسرائيل وشخص آخر رفضت المصادر الاسرائيلية الافصاح عنه ، وقد صدم المندوبون العرب عندما أوضح لهم مدير اراضي اسرائيل ان السلطات تعتزم اقامة مستوطنة يهودية في اراضيهم ، وان ذلك يتطلب ثلاثة آلاف دونم ، واقترح عليهم قبول تعويضات مالية مقابل ذلك ، بيد ان السكان العرب رفضوا الاقتراح بشدة ، واخذوا يناضلون من أجل اراضيهم ، وبالرغم من ذلك لم تياس سلطات الاحتلال ، مستغلة عدم انتشار العمل المشين ، وعقدت اجتماعا آخر في ٢٢ مايو باشتراك الحاكم العسكري لمدينة نابلس مع سكان القرية ، وطلب من السكان في هذا الاجتماع التوقيع على «وثيقة تنازل عن الاراضي والموافقة على قبول تعويضات» بيد أنهم رفضوا التوقيع « اننا لن نبيع هذه الارض ، اننا نعيش من هذه الارض ، فكيف نبيعها ؟ اننا لن

كان وراء شريط السموم التي القتها الطائرة طيلة ساعات عدة على مزروعات القرية ، شريط آخر من الاحداث يبدأ من الاحتلال وينبع من أطباع العدو التوسعية المتمثلة في الاستيطان اليهودي .

تقع قرية عقربة في منطقة نابلس وعلى بعد حوالي ١٥ كم الى الشرق الجنوبي من المدينة ، وتشرف على وادي الاردن ، وتمتلك القرية حقولا واسعة تمتد حتى النهر . وقد بدأت اول عملية نهب وسلب لاراضي القرية عندما صادرت سلطات الاحتلال منطقة من الاراضي تقع غربي النهر ، بحجة انها منطقة تدريبات عسكرية ، وخسرت القرية بعض اراضيها ، ولم تكف سلطات الاحتلال بذلك ، بل أخذت توسع دائرة السلب بحجة متطلبات الامن ، ففي « ٣٠ يناير عام ١٩٧٢ ابلغونا بانهم يوسعون حدود المنطقة المخلقة باتجاه الغرب ، ومنعونا من التوجه الى الاراضي التي زرعتها . وبعد ان نما القمح - وقد نما بشكل جيد بسبب الامطار هذا العام - وسعوا المنطقة العسكرية بحيث أصبحت تشمل مزارعنا ، وكنا نعتقد باننا نملك الحق بالاعتناء في مزارعنا ، بيد أنهم حركوا الخط ، وحالوا بيننا ودخول المنطقة » كما يقول الشيخ

« تجاوزا » قامت به بعض العناصر العسكرية ، وأنكر ان يكون الدافع من وراء ذلك بناء مستوطنة يهودية ، بالرغم من انسه على علم بالاجتماعين اللذين جرى في مدينة نابلس واللذين كشفنا عن الغرض من « العمل الهيجي » ، ومع ذلك فقد كذب وزير الزراعة حاييم جباتي ديان حين اعترف في ٧٢/٧/١٨ في الكنيست ردا على استفسار وجهه اليه عضو الكنيست اوري افنيري « انه يوجد في مكتبه اقتراح لاقامة مستوطنات يهودية على اراضي قرية عقربة » . يعلق الشيخ حسن سعيد على « العمل الهيجي » بقوله : اذا كان الجيش الاسرائيلي يريد ارضا وابادة قمحنا مهل هذا يعني بانهم يريدوننا بأن نصبح فقراء ؟ اننا مرتبطون بهذه الارض .. نعيش منها وهي لنا .. لم نشترها بل ورثناها عن آباءنا واجدادنا .. انني رجل مسن اناهز السبعين من عمري ، لقد عايشت عهد الاتراك والعهد البريطاني والعهد الاردني .. بيد ان أية حكومة لم تفعل ما فعلته الحكومة الاسرائيلية معنا . ماذا يريدون ؟ ان نموت ؟ « هذه قصة مشارف رفع ، وقصة قرية عقربة .. صورة مصغرة عن قصة فلسطين عام ١٩٤٨ — قصة فلاحين بسطاء يقفون في وجهه النازيين الجدد .

٥٤ م

نبيهما في أي حال من الاحوال » واستهروا في نضالهم من اجل شرح قضيتهم للرأي العام .. ومن خلال هذا الاصرار ، استطاع الفلاحون كسر طوق التكتم الذي فرضته سلطات الاحتلال وبايصال قضيتهم الى الرأي العام العالمي ، فقد ابلفوا حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس السابق بقضيتهم وابلغ هذا بدوره الدكتور فان مراهش احد قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي عند اجتماعه به في اواخر شهر مايو بالقضية ، عند ذلك اطلقت القضية من الطوق الذي فرضته سلطات الاحتلال ، الامر الذي احدث ضجة وانقسامات في الرأي بين الكتل السياسية الاسرائيلية المختلفة ، فقد قدمت القائمة الشيوعية الجديدة « راکاح » مؤيدة من قبل كتلة هعولام هزية اقتراحا بحجب الثقة عن الحكومة بسبب العمل المشين في قرية عقربة ، الا ان الاقتراح فشل .

ومن الجدير بالذكر ان موشيه ديان قد اعترف بأن العمل الذي قامت به الطائفة الاسرائيلية باتلاف المزروعات يعتبر « عملا هيجيا » خلال الجلسة التي عقدتها الحكومة الاسرائيلية في ٧٢/٧/٩ ، الا ان اعترافه « بالهيجية » يجيء بعد فشل محاولات التكتم على ما جرى في قرية عقربة ، وبغرض اظهار ان السلطات العليا تعارض هذه الاعمال ، واعتبر هذا العمل

جدول بالمبيعات المسكينة لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٢ - ١٩٧٢/٨/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ المبيعات	موقعها	نوع المبيعات	المستعمل	تقل جريح	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر	تاريخه
١	ج.ش.ت.ف.ش.	٦/١٤	النتيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة بريد	—	٢٠٢	٢
٢	ج.ش.ت.ش. (١)	٦/٢٤	النتيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير باص لنقل الجنود	—	٢٠٢	٢
٣	ج.ش.ت.ف.ش.	٧/٩	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصباية	تدمير ثلاث عربات في محطة القطارات	—	١٦١	٧/٢٢
٤	ج.ش.ت.ف.ش.	٧/٩	مكينا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	المركوبة	—	١٦١	٧/٢٢
٥	ج.ش.ت.ف.ش.	٧/٩	اوربود/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٢ اصباية	حرق سبع محلات تجارية	—	١٦١	٧/٢٢
٦	ج.ش.ت.ف.ش. (١)	٧/٩	راحات غان	تفجير	عبوات ناسفة	٧ اصبايات	احترق معمل للخجارة	—	١٦١	٧/٢٢
٧	ق.ع.ق.ش.	٧/١٤	العبيل/الجزلان	قصف	قذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	١٦١	٧/٢٦
٨	ق.ع.ق.ش.	٧/١٤	ممسك عين الواويك/الجزلان	قصف	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	١٦١	٧/٢٦
٩	ق.ع.ق.ش.	٧/١٥	الغالوجا	القتحام	رشاشات	غير محدود	غير محدود	—	١٦١	٨/١٠
١٠	ق.ع.ق.ش.	٧/١٦	بني براق/تل ابيب	القتحام	وتفائل يدوية	—	حرق مصنع للمويف	—	١٦١	٧/١٧
١١	ق.ع.ق.ش.	٧/١٧	موسيل/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشغال الليران في مصنع اسبر لصناعة المواد البلاستيكية	—	١٦١	٧/١٨
١٢	ج.ش.ت.ف.ش.	٧/١٧	التميرات/غزة	الاشغال	اسلحة مختلفة	غير محدود	حرق مصنع للمويف	—	١٦٢	٨/٥
١٣	ق.ع.ق.ش.	٧/١٧	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من مسرح قاعة « هيبا »	—	١٦٢	٨/١٠
١٤	ق.ع.ق.ش.	٧/١٨	بين طولاكرم وناطيا	القاء	قذائف يدوية	غير محدود	امطاب باص لشركة ايجد	—	١٦٢	٧/٢٦
١٥	ق.ع.ق.ش.	٧/١٩	جين/الجزلان	مجموع	مارون وقذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	١٦٢	٧/٢٠

٧/٢٢	وفسا	الاسعمال النيران في بداية	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	طل ايبب	٧/٢٢	٠ ق.ع.ق.ث.	١٦
٨/١٠	وفسا	في سوق بيمكيل	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	شحنات بينامينا/طل ايبب	٧/٢٢	٠ ق.ع.ق.ث.	١٧
٨/١٠	وفسا	تدمير جزء من بناية	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	ريشيون لعجون/طل ايبب	٧/٢٣	٠ ق.ع.ق.ث.	١٨
٨/١٠	وفسا	حرق مصنع للفسنج	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	رامات فان	٧/٢٧	٠ ق.ع.ق.ث.	١٩
٨/ ٢	وفسا	تدمير جزء من بناية في شارع يهودا	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	طل ايبب	٨/ ١	٠ ق.ع.ق.ث.	٢٠
٨/ ٥	وفسا	الاسعمال النيران في مبنى الصندوق القومي	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	تريستا/اطاليا	٨/ ٤	٠١٠٠٠	٢١
٨/ ٦	وفسا	تدمير خزانات البترول والاسعمال النيران فيها	غير محدود	عبارات ناسئة	تفجير	تيلان/تاليس	٨/ ٥	٠ ق.ع.ق.ث.	٢٢

١ - كما املت قوات التحرير الفلسطينية من مسؤولياتها عن العمليات التالية كما ورد
تكرها في جدول القوس الماعي :

١ - عملية رقم ٨ بتاريخ ٢ / ٦

تعريف بالمصطلحات والشرائح الوارد ذكرها

- ١ - ق.ت.ش. : قوات التحرير الفلسطينية .
- ١ - جيش.ت.ف.ف. : الجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين .
- ٢ - ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة .
- ٤ - ١٠٠٠٠ : منظمة ايلول الاسود .
- ٥ - ٠٠٠٠٠ : اللجنة العسكرية الفلسطينية وتمصر شهرها عن ادارة الشؤون الصحية والتوجيه الهنوي لجيش التحرير الفلسطيني .
- ١ - م. : الهدف مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين .
- ٧ - ف.ت. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .
- ٨ - و.ا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليات

[١]

على هامش قضية كفربرعم :

((لا دولة يهودية ولا صهيونية بدون طرد العرب ومصادرة اراضيهم !))

تقول لافنته منصوبة في مكان ما من ارض كفر برعم — أصدرها مكتب رئيس الحكومة : « أيام الهيكل الثاني — كانت هنا مستوطنة يهودية — واحدة من مستوطنات كثيرة في الجليل الاعلى . ان بقايا الكنيس منذ القرن الثالث تشهد على مستوى الحياة العالي للمواطنين هنا حتى بعد خراب الهيكل » . وينقطع التاريخ فجأة . وتمر عدة قرون لا تعترف بها اللافتة الاسرائيلية . وكان كفر برعم تغزت مرة واحدة من الهيكل الثاني الى دولة اسرائيل . وكان التاريخ كان نائما طيلة قرون .

في نوفمبر ١٩٤٨ ، دخلت وحدة من الجيش الاسرائيلي قرية كفربرعم دون ان تتعرض لاية مقاومة من جانب السكان . بعد اسبوعين من الاحتلال الاسرائيلي صدر امر باخلاء القرية من سكانها العرب . وقيل لهم : ان الاخلاء مؤقت .

وفي الثالث عشر من عام ١٩٤٩ بعث مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية رسالة الى سكان كفر برعم جاء فيها : « بسبب الاعتبارات الامنية فليس من الممكن اليوم السماح لكم بالعودة الى القرية » . وفي الوقت ذاته كان ينشأ في القرية العربية جنين لاقامة كيبوتس يهودي .

ما هي هذه الاعتبارات الامنية ؟

يقول يغال ألون ، فيما بعد ، ان الذي جرى جرى اثناء الحرب . وكان ألون يكذب بلا حياء . فلم تجر في كفربرعم اية معركة . وسكان هذه القرية لم يعيروا من بيوتهم . لقد أخرجوا منها بالقوة ، وبعد

تاخرت اجراس الكنائس في اعلان موت العدالة في اسرائيل . . تاخرت كثيرا . ذلك ، لان الشكل الذي انشئت به اسرائيل والمضمون الذي تصله ، منذ البداية ، يتناقض مع اصول العدالة . ان العدالة مغدور بها منذ حوالي خمسة وعشرين عاما على ارض فلسطين .

وقد تكون قضية قريتي كفر برعم واقرت دليلا طازجا ومستمرا على ان مطلب العدالة من الصهيونية ليس مطلبنا عسير المثال فحسب ، ولكنه ايضا يحمل الصهيونية صفات اخلاقية غريبة عنها .

ان اهم شيء في هذه القضية هو ان طرح موضوع العدالة . . مجرد طرحه لا يتم الا بالنضال الدائب . وهذا النضال وحده هو الذي جعل اجراس الكنائس تترع ، هذا الشهر ، احتجاجا على موت العدالة ، وان جاء متأخرا ولكنه صالح الى ان يشتد النضال ويتصاعد دفعا عن اقدس انتماء وهو الانتماء الى الارض التي لا يكون وطن بدونها .

وليست هذه القضية — قضية كفربرعم واقرت — موضوعا طارئا . ليست قضية لاجئين في وطنهم . ليست قضية فلاحين تعرضوا للظلم . ولكنها قضية جوهرية تمس قلب الفكر والتطبيق الصهيونيين على ارض فلسطين ، وتهز هيكل الدعوى الصهيونية من اركانها الاساسية . انها قضية حق عربي لا يكون حله ممكنا الا بالغاء حق آخر يدعمه طرف آخر . ماذا حدث في كفربرعم ؟

وما هي كفربرعم اولا ؟

انتهاء مهارك ٤٨ . ومن هنا ، لا تكون حجة الإن
الا ذريعة للاستيلاء على القرية وارضها .

وفي عام ١٩٥١ قدم اهالي كفر برعم — الذين
أصبحوا لاجئين في قرية أخرى — طلبا الى محكمة
العدل العليا يطالبون فيها باصدار قرار بالعودة الى
قريتهم . وأصدرت أعلى هيئة قضائية في اسرائيل
قرارا يعترف بحق أهالي كفر برعم بالعودة الى
قريتهم . ولكن هذا القرار غير قابل للتنفيذ بسبب
صدور امر عسكري يعلن المنطقة « منطقة مغلقة » .

وقد صدر هذا الامر العسكري على عجل لابطال
مفعول قرار محكمة العدل العليا . وهذه طريقة
متبعة في اسرائيل في كل القضايا التي لا تستطيع
محكمة العدل العليا الا الاعتراف بعدلتها ، فتلجأ
السلطات العسكرية الى التخلص من مسؤولية
القرار باصدار امر عسكري ، لان مصطلح
« الاعتبارات الامنية » شديد القدسية في اسرائيل .
وقد نشرت مجلة « حوتام » (٧/٧) وثيقة غير
منشورة من قبل عن قضية قرار محكمة العدل العليا
في حينه « في ٥١/٨/٣٠ توجهنا الى محكمة العدل ،
ويوم صدور القرار لم يكن هنالك أي منح قانوني
لمودتنا الى القرية . وفي ٥١/١١/٧ ادعت الحكومة
ان منطقة كفربرعم قد اعلنت منطقة امنية بناء على
القانون الصادر في ٥١/١٠/٢٩ . وقد رفضت
محكمة العدل العليا هذا الادعاء . تقدمت الحكومة
ادعاء آخر وهو : ان منطقة كفر برعم منطقة
مغلقة منذ ٥١/٨/٢ . قال السكان ان هذا القانون
لم ينشر ، ولذلك لا قيمة له . وفي ٥١/١٢/٦
نشرت الحكومة هذا القانون في الوقت الذي تأجل
فيه انعقاد المحكمة الى حين صدور القرار في
٥١/١٢/٣ . ولقد تأجلت المحكمة لمدة ثلاثة أيام
بتدخل من الحكومة ، فسرى مفعول القانون » .

وفي ١٦ ايلول ١٩٥٣ قامت وحدة من الجيش
الاسرائيلي بنسف القرية ، لخلق احتمال بنسف
القضية كلها من أساسها .

وفي تشرين الثاني جرى اجتماع في مدينة الناصرة
بين وجهاء قرية كفر برعم وبين الحاكم العسكري
ومساعد المستشار للشؤون العربية ومدير دائرة
الاراضي في وزارة الزراعة . اقترحوا على الاهالي
ان يأخذوا دونما مقابل دون في اراضي قرية الجش،
ولكنهم رفضوا . فاقترحوا عليهم ان يحصلوا على
قروض بعيدة الامد ، فرفضوا . طالبوا باعادتهم
الى قريتهم ، ولكن طلبهم رفض « الى ان يتحقق

السلام » . وفي عام ١٩٦٢ بنت الحكومة ٥٠ وحدة
سكنية في قرية الجش لسكان قرية كفر برعم .
ولكنهم رفضوا اي حل عدا عودتهم الى قريتهم .
في كانون الاول ١٩٦٦ — أعلن ليفي اشكول رئيس
الحكومة آتئذ عن الغاء الحكم العسكري . ولكن
منطقة كفر برعم ظلت منطقة مغلقة للحيلولة دون
خلق « قاعدة قانونية » لتنفيذ قرار محكمة العدل
العليا .

وفي كانون الثاني ١٩٦٨ يقدم اهالي كفر برعم بعض
التنازلات . يطلبون من رئيس الحكومة ومن وزراء
اخرين طلبا بالسماح لهم ببناء بيوت قرب القرية
المهدومة والحصول على جزء من اراضيهم السابقة،
ذلك الجزء الذي لا يستثمره المستوطنون اليهود .
وطلبوا تعويضا عن الجزء الاخر بشكل ارض
بعيدة عن ارضهم . ولكن مستشار الشؤون
العربية يبلغهم ، بناء على امر من رئيس الحكومة
ووزير الدفاع ، بأنه لا امكانية للاستجابة لهذا
الطلب .

بعد أكثر من عشرين سنة من حرمان اهالي كفر برعم
من العودة الى ارضهم التي يبسثرها مستوطنون
اسرائيليون ، نشأت قضية أخرى وهي ما
يدعيه هؤلاء المستوطنون من حق على الارض
ذاتها . وينطوي هذا الصدام على تلخيص كبل
قضية اغتصاب فلسطين . الجانب الاسرائيلي يقول
الان انه اكتسب « حق » الامر الواقع ، فهل يكون
الصراع ، اذن ، بين حقين ؟ . بالطبع ، لا ،
فليس ثمة صراع بين حقين . ان الصراع يجري
بين حق وباطل . فادعاء الحق الاسرائيلي قائم
على الاغتصاب . واستخدام كل احابيل القوانين
العسكرية والاحتيايل بشتى الاساليب لتمكين عنصر
الزمن من خلق امر واقع — كما حدث في كفر برعم
وغيرها — ليس مبررا شرعيا ولا اخلاقيا لطرح
قضية الحق الاسرائيلي الذي انتقل من ادعاء الحق
التاريخي الى ادعاء حق الامر الواقع .

من هنا . يقول سكرتير كيبوتس « برعام » القائم
على أرض كفر برعم : « عندما تقرر الحكومة العمل
على حل المشكلة ، فان برعام طرف في الامر » .
ويقول ملحق صحيفة « عل ههشمار (٧/٧) : ان
أهالي كيبوتس برعام ليسوا مسؤولين عن الظلم
الذي لحق بأهل كفر برعم ، وليسوا مسؤولين عن
الحل » .

فما هو الامر بالنسبة لسكان هذا الكيبوتس الذي

اقتطع جزءا كبيرا من أراضي كفر برعم ومساحتها ١٢٥٠٠ دونم (حسب الاجزاء الاسرائيلي) واقتطع كيبوتسبان اخران الجزء الباقي من الارض ؟ يقول ملحق « عل همشمار » بأن محصول الفواكه من أرض هذا الكيبوتس قد بلغ هذا العام ٢٠٠٠ طن . واquam في السنوات الاخيرة منشآت ضخمة للتبريد وصيانة الفواكه « ولا يتصور ابناء كيبوتس برعام امكانية العيش بدون الفواكه » ، وهم بعيدون عن التفكير بالتنازل عن هذه الزراعة مقابل زراعة اخرى في ارض بعيدة « ! وتضيف الصحيفة « اما فيما يتعلق بالمراعي فانهم يفكرون بإمكانية التنازل » ! ان هذا الكلام ذو مغزى . فان الصحيفة الناطقة بلسان حزب الكيبوتسات تريد ان تواجه مأساة اهالي كفر برعم باحتيال وقسوة « مأساة » جديدة لاولئك السكان الذين يستثمرون اراضي كفر برعم . والواقع ، ان موقف « هشومير هتسعر » أصبح شديد الحرج . وتقول مجلة « همولام هزه » (٧/٥) ان وزراء الدفاع نسي اسرائيل كانوا دائما يصرّون على ضرورة ابقاء بمفعول انظمة الطوارئ التي تبقى كفر برعم وأقرت بموجبها مناطق مغلقة . والان ، بعدما انتقل موضوع هذه الانظمة الى لجنة الخارجية والامن لتجديدها أعلن موشه ديان نجاته انه انتهت الحاجة اليها ، ومن الممكن الغاؤها . وتقول المجلة ان السبب في ذلك يعود ، في الغالب ، الى أن ديان يريد الانتقام من « هشومير هتسعر » الذي اثار ضجة حول مداخل رفح ، في الوقت الذي يجلس فيه على أرض مفتوحة من كفر برعم . وتعلق المجلة على ذلك بقولها : « اذا كانت متطلبات الامن تتغير ، في ليلة ، وفقا لحسابات حزبية وشخصية - فما هي فائدتها .. وما هي قيمتها الاخلاقية ؟ ولكن ديان استطاع ان يضع « هشومير هتسعر » والقيام في امتحان اخلاقي صعب ، اذ لا فرق بين كفر برعم وبين مدخل رفح الا فارق الزمن فقط . فالحادثان متشابهان . فهنا وهناك تم طرد السكان بعد انتهاء الممارك وفي فترة الهدوء . وهنا وهناك تم استغلال شعارات امينة كاذبة لطردها عالمي الارض من ارضهم . وهنا وهناك ليس بوسع قوة التعويضات والاسكان في مكان اخر ان تحو الظلم . وهنا وهناك لا طريق الا : اعسادة المتأين الى بيوتهم » .

لا يحتاج المرء الى كثير من الجهد للتدليل على مدى الكذب المسافر في ادعاءات السلطات الاسرائيلية

التي تبرر اغتصابها لاراضي القرية باعتبارها امنية . ولكن هذه السلطات لا تستطيع ان تخفي اعتبارات اخطر لامرارها على المضي في عملية الاغتصاب ، وهي : ان قرية كفر برعم ليست حالة واحدة ، فهناك اكثر من عشرين قرية تشبه حالتها حالة كفر برعم . وفي جوهر الامر ، ليست كفر برعم الا نموذجا ومثالا لكل عملية اغتصاب فلسطين . وقد صرح الجنرال حاييم بارليف (٨/٨) « قبل كل شيء هناك قضية امنية . توجد اهمية كبرى لعدد قرى الاقلية مع الحدود اللبنانية ، ويجب عدم زيادة هذا العدد . وبالإضافة الى الناحية الامنية - هناك قضية اخرى تتعلق بسكان ابعدها هم ايضا عن قراهم مثل اهالي كفر برعم اثناء حرب ٤٨ . ان هذا الوضع يشكل مأساة بالنسبة لهؤلاء ، وقضية صعبة ومستعصية بالنسبة لدولة اسرائيل . فاذا ما قمنا باعادة اهالي كفر برعم الان فاننا نكون قد سجلنا سابقة . وهناك قرى اخرى لا اعرف بالضبط عددها ابعدها اهاليها . فاذا نقول لهم ؟ هل نقول لهم اننا سمحنا لاهالي كفر برعم بالعودة لانهم موارنة ، ولن نسمح لكم لانكم مسلمون » .

وفي اجتماع حزب العمل (٨/١٠) قالت رئيسة الوزراء غولده مئير : « لم يكن سبب مجيبي الى هنا شعوري بتأييب الضمير او الخزي للمقرار الذي اتخذته الحكومة (ضد عودة اهالي كفر برعم) . لقد عاد شعب اسرائيل الى ارضه وأخذ يعيد بناءها ، وان اية ضجة تحدث لن تقدر على تشويه الاساس الاخلاقي للحركة الصهيونية » .

وقد عبرت صحيفة يديعوت احرونوت (٧/١٤) بصراحة تامة عن المفهوم الاخلاقي للصهيونية الذي تباهت به غولده مئير . في مقال ليשיهاو بن نورات كتب : « من واجب القادة الاسرائيليين ان يفهموا الجمهور ، بصراحة وشجاعة ، عددا من الحقائق التي طمست بمرور الزمن . واولها - انه ليست هناك صهيونية ، وليس هناك استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة اراضي » !

واجمع كثير من الملحقين الاسرائيليين على «خطورة» الاستجابة لطالب قريتي اقرت وكفر برعم ، اعتقادا منهم ان مثل هذه الاستجابة ستكون سابقة تقلب الوجود الاسرائيلي رأسا على عقب . فان مبادئ العدالة ، في مثل هذه الحالات ، تتفانى مع

فإذا سمحنا لسكان كفر برعم واقرت بالعودة بعد ٢٥ سنة ، فسنخلق وضعا أساسيا ، قد تكون له انعكاسات على قضية اللاجئين بأكملها . ماذا سنقول عندئذ لعرب يافا ، الذين سيطلبون بالعودة الى اماكنهم آمنين الواضح كالشمس أنهم سيعتقدون ، في مطالبتهم ، على حالتهم كفر برعم واقرت .

هذا هو لب القضية كما يراه الفكر الاسرائيلي - الصهيوني ، فالمقضية المطروحة تنطوي على مبدأ وليس على محاولة لاصلاح ظلم وقع بحق قريتين عربيتين ، وهذا المبدأ يتناقض مع الدعائم التي تقول عليها اسرائيل « لا صهيونية » ، ولا استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة الاراضي « كما تقول «يديعوت احرונوت» . واما موافقة يغال آلون نائب رئيس الحكومة على اعادة اهالي كفر برعم واقرت فليست ناجمة عن اعتراف بمبدأ . بل هي ناجمة عن حسابات حزبية . فقد صرح آلون في حديث تلفزيوني بأنه « اذا قدمت طلبات جديدة للحكومة ، بالاضافة الى الطلب الذي تقدم به اهالي كفر برعم واقرت ، فسأصوت ضد هذه الطلبات . وانا اعتبر قضية كفر برعم واقرت قضية خاصة ووحيدة في نوعها » .

قضية كفر برعم واقرت ليست قضية خاصة ووحيدة في نوعها . انها قضية شعب فلسطين .

مبادئ الصهيونية وطبيعة نشوء اسرائيل . كتبت « هارتس » (٧/٢) : « قد تنسر عودة اهالي اقرت الى قريتهم بأنها رضوخ للضغوط من جانب الحكومة . وان رضوخا كهذا قد يشجع مزيدا من الضغوط . فماذا سيكون شأن عرب آخرين أجلوا عن قراهم سنة ١٩٤٨ ؟ ماذا سيكون شأن اولئك الذين اضطروا الى ترك اماكنهم ويريدون العودة اليها ؟ . ومن يستطيع ان يطلب تسييج المناطق في رفح سنة ١٩٧٢ اذا كانت العجلة تعود الى الوراء في اقرت ؟ » .

« ولنفرض ان الحكومة استجابت لهم ، فماذا سيحدث غدا لسكان قري اخرى مهجورة ؟ ألن يتقدم دروز بيت جن غدا بطلب مماثل ؟ في اوائل الخمسينات صادرت الحكومة الاف الدونمات التي يملكها الدرّوز بالقرب من روش بنا لاسباب أمنية ، يستطيع أصحاب هذه الاراضي المسابقون ان يطلبوا العودة اليها الان . وفي قرية الرامة يسكن لاجئون هجروا قراهم زمن الحرب . وليسوا بحاجة الى السفر عشرات الكيلومترات ليشاهدوا حقولهم . بوسعهم ان يشاهدوا كيف تسزرع الكيبوتسات اليهودية حقولهم من الاكواخ التي يسكنونها » (دانار ٧/٤) .

وعبرت صحيفة « دانار » (٧/٥) عن المخاوف الصهيونية من مبدأ اعادة اهالي كفر برعم الى قريتهم بقولها : « ان التبرير الاكبر هو الاسبقية ،

[٢]

اسرائيل . . وخروج السوفييت من مصر

ولقد تراوحت ردود الفعل الاسرائيلية على خروج الخبراء السوفييت من مصر بين مدى الامل التي ينبغي لاسرائيل ان تعلقها على ابعاد هذا الحدث . بين المبالغة في الامل والاسراف في اليقين وبين التحذير من اغراء الامل دارت معظم تعليقات الصحف الاسرائيلية . فان صحيفة « هارتس » تميزت في تعليقاتها بالحذر . كتبت في ٧/٢٠ : « ان الطريق لا تزال طويلة من الان حتى تصفية الوجود السوفييتي في مصر او ابتعاد مصر الكامل عن الاتحاد السوفييتي . علينا ان نتذكر ان الوجود السوفييتي في مصر مؤلف من قوس قزح واسع للغاية . ويشكل العنصر العسكري « احد مركباتها

« الروس ذاهبون ، ونحن باقون » .

بهذه الصيغة الجارحة ، عبرت رئيسة حكومة اسرائيل غولده مئير عن فرحة رد الفعل الاسرائيلي الاول على قرار انهاء مهمة الخبراء السوفييت في مصر . وبدا لغولده مئير ان الفرصة أصبحت مواتية لدعوة الرئيس المصري الى الجلوس معها « لبذل جهد مشترك من أجل التوصل الى اتفاق » في خطاب القته في الكنيسة في ٧/٢٦ . وبعهد مناقشة استغرقت خمس ساعات قررت الكنيسة ، بأغلبية الاصوات ، الموافقة على دعوة غولده مئير الى الرئيس المصري « للدخول في مفاوضات مع اسرائيل ، بدون شروط » .

فقط « . ولكن صحيفة « دافار » ٧/٢١ ترى « ان في خطوة السادات ايجابية مزدوجة من وجهة النظر الاسرائيلية . فحسن ان العلاقات بدأت تتأزم بين مصر والاتحاد السوفيتي . وحسن ان هذا التطور تدريجي ومنضبط . ان مجرد سوء العلاقات يقلل ضمتنا خطر التدخل السوفيتي في حرب مباشرة ضد اسرائيل الى جانب مصر . وبالإضافة الى ذلك فان كون اتجاه السوء في العلاقات منضبطا يمنع انفجارا مبريا خطرا نحو حرب يائسة ضد اسرائيل ، او تحولا دراماتيكا نحو الولايات المتحدة » .

وعبرت رئيسة تحرير « دافار » في العدد ذاته عن ارتياحها « لان النفوذ السوفيتي في العالم العربي عامة . وفي مصر خاصة ، هو عامل سلبي بالنسبة الى اسرائيل . فهو من ناحية عسكرية عنصر مقيد ، ومن ناحية الاقتصاد الوطني فرض علينا أعباء أمنية باهظة . ومن ناحية سياسية كان مضرا دائما لضغوط متوقعة على اسرائيل . وبالنسبة الى الولايات المتحدة زدعنا من احتمال حصول اي مجابهة بين الدول الكبرى . ولقد ولد مشروع روجرز على خلفية هذا الروح ، اكثر من كونه ناشئا على خلفية أمل الولايات المتحدة في كسب نفوذ في مصر . وعلى هذا الاساس فان الخوف من ضغوط امريكية على اسرائيل نتيجة طرد السوفييت من المنطقة ليس له وزن يذكر . ولو كان له وزن ، لما أمكن مقارنته ابدا مع الفوائد المتوقعة من طرد السوفييت من المنطقة » . كيف تواجه اسرائيل نتائج خروج السوفييت من مصر ؟ .

لقد انتهزت غولده مثير هذه الفرصة لتعلن دعوة مصر الى مفاوضات مباشرة بدون شروط . واغترض المعلق السياسي يوثيل ماركوس في صحيفة « هارتس » ٧/٢٦ على هذه الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل على التطورات الخطيرة الاخرى « ليست هذه هي الطريق التي ينبغي السير فيها . ليس المطلوب الان اطلاق البالونات ، بل المنادرة العملية من جانب اسرائيل للتسوية . لان خطوة السادات هو أمر ملموس ، تستدعي الرد بخطوة ملموسة وليس باطلاق البالونات فقط » . ويشرح المعلق السياسي ضرورة قياس اسرائيل بببادة سياسية للاقترب من التسوية بقوله « ان خطوة السادات كانت مرحلة لا بد منها في السياق الذي

بدأ منذ عام بصحوة القيادة المصرية من الامل في كسر الجمود بواسطة حرب يشترك فيها السوفييت او يساندونها على الاقل . ويقول الكاتب انه ليس مهما الان ان نعرف اذا كان السادات قد درس خطواته ، او اذا كان قراره نتيجة ضغط من قادة الجيش . المهم هو دراسة الوقائع وهي تشير الى أن السادات قد تحمل بقراره عدة مخاطر هي : أولا : بطرده المستشارين الروس من جبهة القناة قد حرز اسرائيل من كابوس المواجهة مع جنود سوفييت في حالة نشوب حرب .

ثانيا - أصبحت نصر مكشوفة أكثر أمام سلاح الطيران الاسرائيلي ، لانه أزاحت عنها الغطاء الجوي الذي ضمنه الاتحاد السوفيتي .

ثالثا - لقد بدأ ينتهك جزء من معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي ، تلك المعاهدة التي تضمنت انشاء قواعد للاتحاد السوفيتي مكنته من الوجود في البحر الابيض المتوسط ضد الامريكيين . ولا يعرف رد فعل روسيا ، هل تترك هذه القواعد ؟ . رابعا - بتنفيذ قرار الابتعاد فانه يخاطر في أن الاتحاد السوفيتي سيرد على خطواته بشدة ، بشكل تحديد تزويده بالسلاح .

فماذا يترتب على اسرائيل ان تفعل الان في هذه الظروف الجديدة ؟ .

يقول كاتب « هارتس » : « من ناحية اسرائيل يجب ان تكون هذه اللحظة ملائمة لخطوة سياسية في اتجاه التسوية ، للأسباب التالية :

١ - لان السادات قام بعمل ملموس من شأنه أن يؤدي الى ابعاد الحرب .

٢ - لانه خاطر في أن يكون الرد السوفيتي عنيفا ، الامر الذي يترك فراغا في مصر من ناحية المساعدة العسكرية والسياسية .

٣ - لان هذا الفراغ قد يغري الولايات المتحدة . وقد يجز ضغطا امريكا على اسرائيل .

٤ - لان هذه الأسباب الثلاثة تدل على أن السادات قد خطا خطوة الى الامام في اتجاه التسوية بطرق سياسية » .

واختتم الكاتب مقاله بقوله : « من الحماقة الا تستغل اسرائيل التطورات الجديدة في مصر من أجل تقريب التسوية . فعلينا أن نقدر خطوة السادات الشجاعة وأن نأخذ بعين الاعتبار وضعه

مصدر جديد للسلاح . ٣ - شق طريق السى
 الغرب ، الى الولايات المتحدة والى اوروبيا
 الغربية ، على أمل أن يأتي الخلاص من هناك ،
 المساعدة السياسية المطلوبة ، وربما المساعدة
 الاقتصادية والعسكرية ، الأمر الذي يمكن مصر
 من عزل اسرائيل وتعريضها للضغط . (٧/٢١) .
 وعن الموقف الأمريكي يقول «علق» «يديعوت
 اchronوت» : «من الواضح أن للامريكيين أسبابا
 غير قليلة للرضا عن الوضع ، فالضربة الكبيرة
 التي أنزلت بالسوفييت توافقت نجاحات امريكية في
 امكنة اخرى في الشرق الاوسط والعالم العربي ،
 ولكن ، لا يحتاج الامريكيون الى التظاهر برضاهم ،
 فالعلاقات بين القاهرة وواشنطن لم تكن حسنة
 ابدا قبل حدوث التحول الكبير - إعلان السادات
 عن طرد الروس . ان الامريكيين ، يحافظونهم
 على الصمت الحذر والتصريح بأن المسألة أمر
 مصري داخلي - يتحون لمصر امكانية وغرصة
 السير نحوهم . ويبدو لنا ان مصر ستسير نحو
 الامريكيين ان عاجلا أم آجلا » .

ويضيف الكاتب : « يمكن التكهن بأن الرد الأمريكي
 سيكون مضطبا أكثر بسبب الانتخابات ، فالبيت
 الابيض ليس مستعدا للقيام بأي شيء يؤدي الى
 عداء الصوت اليهودي لنيكسون . ولكن ماذا بعد
 نوفمبر ؟ من الممكن الاعتقاد ان الميل الطبيعي
 للامريكيين لاعادة مشروع روجرز الى مائدة المباحثات
 سيلجحه عاملان تحولوا الى عوامل هامة في السياسة
 الامريكية : ١ - فكرة ان تسوية شاملة لا يمكن
 ان تتم دفعة واحدة ، بل يجب ان تسبقها تسوية
 جزئية يكون فتح قناة السويس جوهرها . ٢ -
 التفكير انه في الوضع الراهن للعلاقات الدولية
 لا يمكن تحقيق التسويات الا عن طريق المفاوضات
 بين أطراف النزاع » . ويستخلص الكاتب من ذلك :
 « ان المناورة المصرية الرامية الى تجديد الولايات
 المتحدة واوروبيا الغربية - وعلى رأسها فرنسا -
 للضغط على اسرائيل لقبول مشروع روجرز -
 محكومة بالفشل . ولكن اذا عرفت مصر كيف تتغلب
 على مخاوفها وتحفظاتها ، ووافقت على التفاوض
 مع اسرائيل - حول تسوية جزئية اولا وبعد
 ذلك حول تسوية شاملة - فعندئذ يمكن التكهن
 بأن واشنطن ستضغط بكل ما لها من نفوذ على
 اسرائيل لاطهار المرونة . ويبدو ان اسرائيل تخاطر
 بفقدان مكائنها كقلعة وحيدة للغرب في الشرق
 الاوسط » !

الحساس . ان دعوة العرب الى الدخول في
 مفاوضات بدون شروط مسبقة تشبه دعوة العرب
 الى الزحف على ركبهم . . . ولكن السؤال لا يدور
 حول التكتيك الذي ينبغي علينا اتباعه . السؤال
 هو : ماذا تريد اسرائيل فعلا ؟ هل هي مستعدة
 حقا للتنازل عن جزء من المناطق ؟ أم انها تفضل
 الحديث عن السلام والبقاء في المناطق ؟ لا توجد
 اجابة قاطعة على هذه الاسئلة . عندنا حكومة
 مبتازة للحجرات الحرجة في ساحة القتال ، ولكن
 يبدو ان هذه الحكومة غير مؤهلة للتسوية
 وللمفاوضات المرنة . وفضل برهان على ذلك هو
 انها لا تميل الى استغلال ظروف جديدة من اجل
 التسوية » .

وتوقع المعلق بولس في « هارتس » ٧/٢١ أن يؤدي
 تمرار السادات الى تجديد المساعي الدبلوماسية
 في الشرق الاوسط للتوصل الى « تخفيف التوتر بين
 مصر واسرائيل » ويعرب عن اعتقاده في أن
 « الولايات المتحدة لن تضغط على السادات أكثر
 مما ينبغي وستفضل ان تتركه يعزز مركزه الداخلي
 قبل ان يتخذ خطوة اخرى ، الى ان يصبح سهلا
 لتأثير امريكي في اتجاه تسوية سلمية » . ويقول
 المعلق السياسي : « لن نفاجا اذا زادت الاحداث
 الاخيرة العطف الذي تكنه واشنطن للسادات . ان
 بعض الشخصيات في وزارة الخارجية الامريكية
 الذين كانوا يقولون دائما ان بوسع الولايات المتحدة
 ان تعيد احتلال موقع النفوذ في القاهرة ، يستطيعون
 القول الان انهم لم يخطئوا . وسترتفع أسهم
 السادات في البورصة السياسية الامريكية » .
 وجذر بولس من الاعتقاد القائل ان ضرب الجيش
 المصري الان يستطيع ان يدفع مصر للجلوس الى
 مائدة المفاوضات على معاهدة الصلح « لقد ابتعدت
 ساعة الحرب . ومبادرة عسكرية من جانب
 اسرائيل لاضع القاهرة تنقصها الظروف
 السياسية الملائمة » .

ويرى المعلق السياسي في « يديعوت اchronوت »
 اريئيل غينائي ان خطوة السادات تهدف الى تحقيق
 ثلاثة اهداف : « ١ - تقوية هبة النظام ، بتحويل
 السادات الى الرجل الذي حرر مصر من الوصاية
 الروسية ، مقابل عبد الناصر الذي طرد الانجليز ،
 ولكنه جاء بالروس . ٢ - كسب الوقت ، فالان
 يمكن تحصيل موسكو المسؤولية عن تأجيل تحرير
 الارض العربية المحتلة ، وضرورة البحث عن

لنا : « من الضروري ان تمخووا نحو المصريين ، فالخطر الروسي زال ، والمصريون يبحثون عن طريقهم في عالمنا . اعطوهم فرصة » . والفرصة — من وجهة النظر الامريكية هي التسوية الجزئية على الاقل . وهنا يكمن الخطر . علينا ان نصعد وألا نتنازل ، لقد اثبتت التجربة ان الصبر والعناد عملا لمصلحتنا » . ويبنى الجنرال وايزمن حسابه بالشكل التالي : « ان العناد الاسرائيلي قد يدفع السادات الى نفاذ الصبر ، فيأمر قواته بفتح النار . وعندها يكون الفضل مضمونا اكثر من اية مرة اخرى في الماضي ، وخاصة ان المستشارين السوفييت ليسوا معه » . ويختم مقاله : « هذه هي الفرصة التي لا تتكرر ، وعلى العالم ان يعطي اسرائيل ومصر فرصة التوصل الى مفاوضات ، بدون تأثير روسي ، وبدون وساطة امريكية » ! .

• د • م

وكتب الجنرال هيزر وايزمن في «يديعوت احرونوت» (٧/٢١) : « ان السادات قد طرد جزءا من الروس ، وهو يتوقع تطورا امريكي . السادات يريد تحقيق مشروع روجرز ، وسيطلب الان تسديد الشيك الامريكي . ولكن الوقت ليس مريحا للامريكيين للاستجابة الى هذا المطلب . فالانتخابات على الابواب ونيكسون يحتاج الى الصوت اليهودي . ومن هنا ، فمن المتوقع ان توجه واشنطن الى القاهرة بالانتظار بصبر حتى انتهاء انتخابات الرئاسة الامريكية » .

ويرى عيزر وايزمن ان « واجب اسرائيل هو التوقف بالمرصاد والبقطة ، والا يخدمها سحر خروج الروس من مصر ، وألا تغريها التلميحات الامريكية . ويجب أن نفترض بأن الامريكيين لن يشنوا حملة سياسية شاملة على اسرائيل . سيطلب الامريكيون في المرحلة الاولى التوصل الى تسوية جزئية في منطقة قناة السويس . سيقولون

صدر عن مركز الأبحاث

قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان

دراسة في القانونين المحلي والدولي

بقلم

انيس فوزي قاسم

٢٠٠٧ ل . ل .

١٧٣ صفحة

تضاف أجور البريد : ٥٠ ق . ل . في العتالم العربي ،
١٠٠ ق . ل . في اوروبه ، ٢٠٠ ق . ل . في سائر دول العالم

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) بأخبار العدو ومواقف قاداته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات وأقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالإضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الأوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومربح للقارئ .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او بآية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسمائة ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملة الأخرى ، يضاف إليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١. ل. ، في أوروبا ١٥. ل. ، في الأمريكتين ٤٠. ل. ، وفي آسياه وافريقيه ٣٥. ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الإذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعربية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وأدق سجل علمي شامل

للقضية الفلسطينية

في تطوراتها وأحداثها وأخبارها

مدة ست سنوات ونصف السنة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠)

ثلاثة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٧١٠٠ صفحة من القطع الكبير

سعر المجموعة ١٤٥ ل.ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

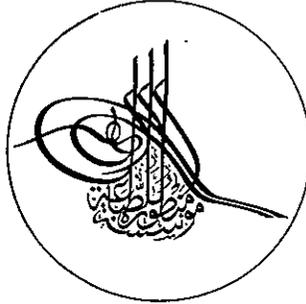
بيروت - لبنان

ص. ب ١٦٩١

- Are you in need of good Quality offset printing at a reasonable price ?
- Are you looking for a quick service and dealings that are met ?

- هل انت بحاجة الى طباعة اوفست جيدة وباسعار معقولة ؟
- هل تبحث عن خدمة سريعة وانجاز في الوقت المحدد ؟

THEN



اذن

مؤسسة منطورة هي الرد على مشكلاتك

MANTOURA ASSOCIATES is the answer to your problems

Our services include:

- Designing and Lay-Out
- Colour separations
- Films and platemaking
- All kinds of printing; with a stress on colour work
- Binding

تتضمن خدماتنا :

- التصميم والايخراج
- فصل الالوان
- تصوير افلام وبلكات
- جميع انواع الطباعة ، والتشديد على الملون منها
- والتجليد

MANTOURA ASSOCIATES

مؤسسة منطورة

Zoghbi Building — Rue de Liban

بناية زغبى — شارع لبنان

Beirut — Lebanon

بيروت — لبنان

P.O. Box 2333 — Tel. 241470

ص.ب ٢٣٣٣ — تليفون ٢٤١٤٧٠

R. C. 3333

السجل التجاري ٣٣٣٣

AL - JAMHOUR

الجمهورية

اطلالة اسبوعية

على

قضايا المقاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العالم وشعبه

معالجة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صباح كل يوم اربعاء

تطل

الجمهورية

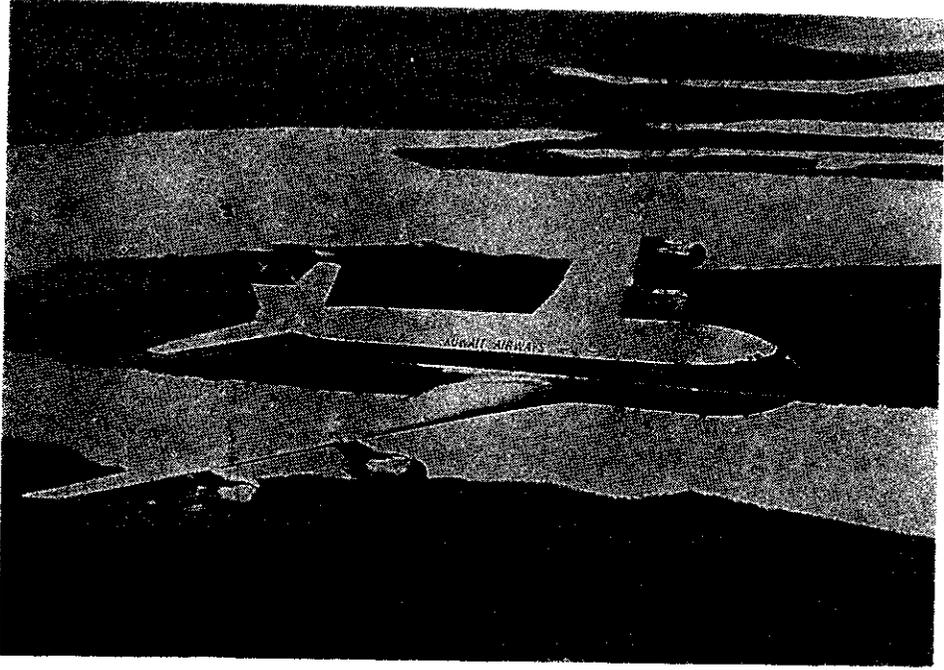
على قرائها الموزعين

في

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

خطوط الكويت الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي
وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة



مكاتب رئيسية في كل من:

الكويت - البحرين - الدوحة - دبي - الظهران - عدن - عمان - دمشق - بيروت - القاهرة
طهران - عبادان - أثينا - جنيف - فرانكفورت - باريس - روما - لندن - نيويورك - هيوستون
شيكاغو - نيترويت - تورونتو .

السبابة الدولية



مجلة دورية تصدر عن
مؤسسة الاهرام
كل ثلاثة اشهر

دراسة القضايا الدولية المعاصرة
بأسلوب علمي ونظرة موضوعية

- قضايا المجتمع الدولي ... بصراعاته واتجاهاته الجديدة
 - قضايا العالم الثالث ... على طريق التنمية والتقدم
 - قضايا الوطن العربي ... في أحسم سنوات مصيره
- رئيس التحرير : د. بطرس بطرس غالي

اقرأ في عدد يوليو ١٩٧٢ الدراسات التالية :

- افريقيا في مواجهة العدوان الاسرائيلي .. د. ياسين العيوطي
- السياسة اليوغسلافية والصراع العربي الصهيوني .. محمد السيد سليم
- اللعبة الدبلوماسية الرومانية في الشرق الاوسط .. د. عدنان العميد

بخصوص الاشتراك السنوي وطلب الاعداد السابقة والمجلدات السنوية
يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ، شارع الجلاء ،
القاهرة — جمهورية مصر العربية .

شركة التوريد والتجهيزات ش.م.م.

شركة هندسة ومقاولات متخصصة بأعمال تكييف الهواء والتبريد والتدفئة
والتمديدات الصحية وغيرها من أعمال الهندسة الميكانيكية
وجميع أعمال الهندسة الكهربائية

بناية الغانم — شارع الحمرا — بيروت

تلفون ٣٤٥٥٤٠ — ص.ب ٨٩١٤

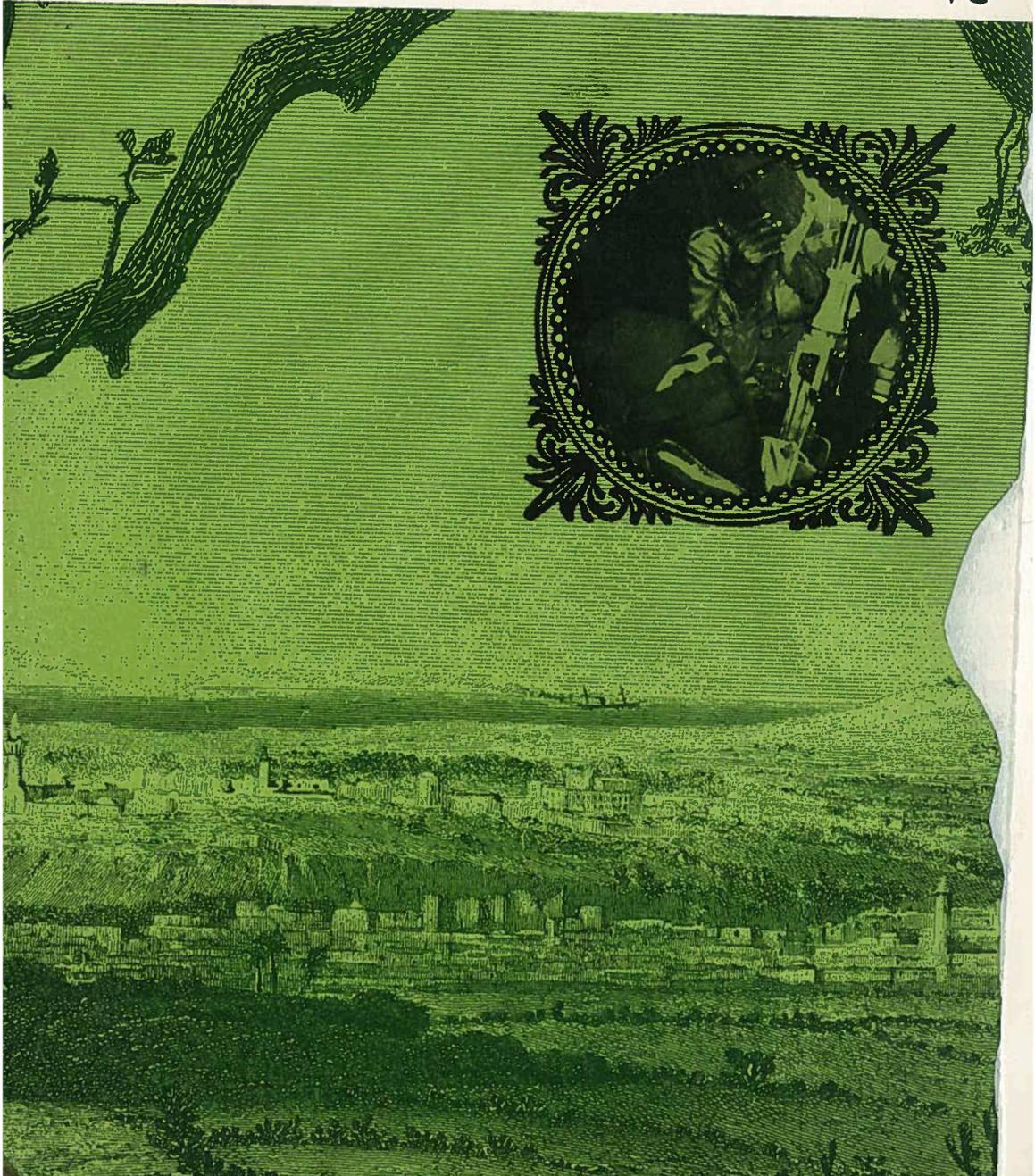
برقيا : سكلب — بيروت .

Telex : SACLEB 20226 LE

لشؤون فلسطينية

تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٢

١٤



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صالح

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢

رقم ١٤

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد متعهد التوزيع : جبريل ديب

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، احمد خليفة
الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ،
د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب تهوجي ، د. محمد الجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تفكس
بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، رامس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحات ، بيروت

نسخ المسند (بريد جوي) : ٢١/٤ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسيا وافريقيا
واوربية ، ٦ ل.ل. في الامريكتين واوستراليا

الاشراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا امريكا)
في آسيا وافريقيا واوربية، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا امريكا) في الامريكتين
واوستراليا . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا امريكا) في سائر
الدول الاجتبية

يغطي حجم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمواطنين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال المنظمات
او النقابات او الاتحادات

صورة الغلاف : غزة الصابدة

المحتويات

شؤون فلسطينية ، الدكتور أنيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .	٤
ذاهب الى العالم غريب عن العالم ، محمود درويش [الشاعر والكاتب الفلسطيني ، مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م . ا .] .	٥
حول مستقبل المقاومة الفلسطينية ، الدكتور هشام شرابي [استاذ التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة جورجنتاون] .	٩
يهود الولايات المتحدة والحزبان الديمقراطي والجمهوري ، عودة ابو ردينة [الدارس في كلية القانون والدبلوماسية في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة] .	٢٦
خطر الإبادة : اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية ، المقدم الهيثم الايوبي [المستشار العسكري في م . ا .] .	٤٠
« الاتحاد الوطني » والشكل الراهن للسلطة في الأردن ، هاني حوراني [كاتب أردني] .	٤٩
سمرة عزام في ذكرها الخامسة : دراسة في فنها القصصي ، الدكتورة نادرة جميل السراج [استاذة الادب العربي في جامعتي عمان والكويت سابقا] .	٦٩
المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية ، خليل ابو رجيلي [باحث في الشؤون الفلسطينية] .	٨٢
مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي ، كين ميركورد [باحث في الاقتصاد الاسرائيلي] .	٩١
اليابان واسرائيل والعرب ، ا . ق .	٩٧
التعليم في قطاع غزة ، شحادة موسى [باحث في م . ا .] .	١١٢
مراجعات : اليسار الجديد واليهود ، جوليانا سعد [كاتبة في الشؤون الاسرائيلية] . شجرة الصبر ، مصطفى كركوتي [كاتب عربي سوري] . من هو اليهودي ، الدكتور محمد المجذوب [استاذ الحقوق في الجامعة	١٤١

اللبنانية [لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في إسرائيل ، ا. ن . سعيد
[باحث في م. ا.] . الطوفان واعادة التكوين ، فوزي كريم [شاعر وناقد
عراقي] . تحت شجرة التوت ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات
العبرية بجامعة عين شمس] .

١٥٩ ثلاثة تقارير عن الولايات المتحدة واسرائيل : (١) نيكسون يفدق العون
لاسرائيل دون أن يجني حصادا سياسيا من اليهود الاميركيين ، أندرو غلاس
[كاتب اميركي] . (٢) دور اليهود الاميركيين في تمويل اسرائيل وتوجيه
دفة السياسة الاميركية ، ستيفن كليدبان [كاتب اميركي] . (٣) ملاحظات
على العلاقات الاميركية الاسرائيلية ، خالد القشطيني [باحث عربي
ومراسل شؤون فلسطينية في لندن] .

٢٠٥ تقرير خاص : خطة التنمية الثلاثية في الاردن ٧٣ - ١٩٧٥ .

٢١١ ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحافيين الفلسطينيين : (١) بلال الحسن
[رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. ا.] . (٢) شفيق الحوت
[مدير مكتب م. ت. ف. في لبنان وأمين في اتحاد الصحفيين العرب] .
(٣) ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] .

٢٢١ رد على مقال « مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط » ، خالد
محي الدين [سكرتير عام المجلس المصري للسلام] .

٢٢٨ تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و ١٧ ايلول ، ه. ا.

٢٢٤ شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية
عريبا ، ن. ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال
العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] . (٤) المناطق
المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [باحث في م. ا.] . (٥) جدول بالعمليات
العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ، وآخر بالعمليات العسكرية التي
اعترف بها العدو الصهيوني من ٨/١٣ - ١٩٧٢/٩/١٢ ، غازي خورشيد
[باحث في م. ا.] . مع ملحق عن ألمانيا واسرائيل والعرب ، ف. المنصور
[باحث في م. ا.] .

٢٢٤ اسرائيليات : م. د.

شؤون فلسطينية

الدكتور أنيس صايغ

مر الكاتب الفلسطيني ، في الأسابيع الماضية ، في امتحان عسير . ومرت معه « شؤون فلسطينية » في امتحان عسير أيضا . فمن الجهة الواحدة ، وبحكم كون « شؤون فلسطينية » منبر الكاتب الفلسطيني ومجاله الأول للتعبير والمناقشة ، لم يكن من المعقول إلا أن تهتم المجلة بالقضايا التي أثارها اهتمام الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في اجتماعاتهم الأخيرة في بيروت . وزاد في ضرورة اطلالة المجلة على هذه القضايا ان عددا من أسرة تحريرها اشتروا اشتراكا معليا في تلك الاجتماعات ، ان في الاعداد لها ، او في تقديم البحوث ، او في الترشح (وبعضهم في النجاح) لانتخابات الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين التي انبثقت عن تلك الاجتماعات . ولكن مقابل هذا كله أثار بعض الاصوات في أسرة التحرير تساؤلا وجيها : هل يصح لشؤون فلسطينية ، وهي إحدى الأدوات التي يستعملها الكتاب الفلسطينيون لتوحيد الصفوف ولتنقية الجو الفلسطيني ليصبح اوفر قدرة على مواجهة العدو ، أن تفتح صفحاتها لنقاش في الموضوع قد يغذي الخصومات ويلهب المشاعر الحساسة ؟ وكانت حجة رئاسة التحرير ، في الإصرار على تناول الموضوع ، هي ان مبرر وجود « شؤون فلسطينية » هو في الأساس ومنذ البدء ان تكون منبرا حرا للنقاش في القضايا المطروحة على صعيد البحث في وطننا العربي مما له علاقة بالقضية وبالشعب الفلسطيني .

ولذا كانت « شؤون فلسطينية » تحرص دائما على أن تغطي المؤتمرات والندوات التي تعقدها التجمعات المهنية الفلسطينية ، من طلاب ونساء وعمال ومعلمين ، حتى تلك الاجتماعات والندوات العادية ، من غير المعقول أن تغفل المجلة عن شؤون تجمع الكتاب والصحافيين . وعلى الأقل من ناحية وثائقية لا يجوز لشؤون فلسطينية ان تصدر في أكتوبر ولا تتطرق الى مسائل اهتم لها الكتاب الفلسطينيون (بل المجتمع الفلسطيني كله) في سبتمبر . والكتابة في موضوع كهذا ليست هي ، بحد ذاتها ، مدعاة لتأجيل الحساسيات واثارة المشاعر . المهم هو نوع الكتابة والغاية منها . وغاية « شؤون فلسطينية » حينما تتكلم ، في مراجعاتها للكتب او في تعليقاتها للمؤتمرات او في مقابلاتها مع قادة المقاومة ، هو أن تتيح للأفكار الفلسطينية ان تنشر في جو من الحرية ومن الهدوء ومن النقاش العلمي مما يسهم في سد الطريق على الانفعالات وعلى التشنجات وعلى المهارات . والمهم في معالجة المجلة لموضوع كهذا الا تتحاز بشكل انفعالي أو عاطفي أو مغرض الى جانب فريق فلسطيني ضد فريق آخر ، ما دام الفريقان يتبعيان الى ثورتنا التي نؤمن بها ونعمل لها . ولهذا لم نعهد بمعالجة مشكلة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين الى كاتب واحد يمثل وجهة نظر واحدة ، بل طلبنا الى ثلاثة من أحواننا وزملائنا (اثنان منهم من أسرة التحرير والثالث من كتاب المجلة) ، ممن رافقوا القضية المطروحة للنقاش مرافقة حكيمة ، ومن مثلوا ويمثلون ثلاث وجهات نظر مختلفة عن بعضها بعضا ، طلبنا منهم ان يتناولوا الموضوع كل من زاويته . وذلك ليخرج القارئ بحصوله صورة واضحة ومتكاملة عن هذا الموضوع ويتخذ ، في آخر الامر ، الحكم أو القرار الذي يصل اليه بقناعته هو . وان رئاسة التحرير تعتقد انها ، بهذا الاسلوب ، تحقق غرض المجلة لا في توثيق الأحداث وتطليلها فحسب بل ايضا في تقريب وجهات النظر وفي تعبئة الجهود من أجل الوحدة الوطنية ، هذه الوحدة المنشودة في كل المجالات وعلى كل الأصعدة ، لتنتقل الثورة بالزبد من الأندفاع والقدرة والحرارة والايمان . ومما يزيد في تقابعتنا بهذا الاسلوب ان الكتاب والصحافيين المجتمعين في بيروت تحت شعار « بالدم نكتب لفلسطين » (وهو أقدس شعار يرفعه كاتب او صحافي) انما هم انفسهم يحترفون مهنة النقد كسبيل لتوجيه الشعب نحو الافضل ، ومن غير المعقول ان يرفضوا نقد انفسهم او ان يتجاهلوا المشاكل التي تعترض سبلهم .

زاهب الى العالم غريب عن العالم

محمود درويش

● في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب العالم الى غرفة النوم .

لقد كان يومه حافلا . وكان الصفاء يغمر الارض : ما زالت أدوات الحضارة الغربية
تصارع الإرادة البشرية في آسيا . التراب الآسيوي يموت ، والإنسان الآسيوي يموت .
ومياه الأنهار تجرف من فاتهم أن يلتقوا بأدوات الحضارة . وقريبا من البحر الأبيض
ما زالت الأحذية العسكرية ، الغربية الصنع ، تدوس الحضارة القديمة والإنسان
الجديد . وفي نشرات الأخبار العادية ، العادية جدا ، يباد حقن الأطفال ، لانهم غريب
ولانهم قادرون على النمو .

وفي ساعة متأخرة من النهار ، ينهض العالم من غرفة النوم الى غرفة العمليات .
كانت ليلته صافية ، واحلامه متواصلة السعادة .

هكذا ينام العالم ..

هكذا يستيقظ العالم ..

وهكذا ينساني .

لا يذكرني الا في حالتين : حين أجرب الموت ، وحين أجرب الحياة . ولقد مدت لمدة زمنية
قرن وشبعت موتا .

واليوم ، اليوم لم يذهب العالم الى غرفة النوم . وقف على حافة الكرة الأرضية ، وأجرب
بالخروج من دائرة الإنسانية ، لانني حاولت أن أخترق الدائرة ، حاولت الدخول .

— ماذا يعنيك من تاريخي ايها العالم .. ماذا يعنيك ؟

— التاريخ هو الماضي ، وأنا أدريه في المعاهد .

— واين رأيتني أول مرة ؟

— كنت أراك دائما على تراب فلسطين حتى خرجت ، وعاد الصفاء والسلام الى الارض .
فلماذا تعود الآن ؟ لماذا تكسر الصفاء ؟

هكذا يفهمني العالم ، وهكذا يريدني . لقد انتهى صراعنا ما دمت قد خرجت من
فلسطين ، وما عاد للنار حارس . واكتملت معادلة سلام العالم ، وصار الأمن الدولي
مشروطا بغيابي عن فلسطين وعن الإنسانية .

لم أودع أحدا ، ولم أودع شيئا . دحرجني كعقب بندقيّة من الكرمل الى الميناء ، وكنت

اتشبث بخاصرة الله وأصرخ ، حتى ضاع صوتي ووعيي . ولكن العالم وعدني بصدقة مقابل التوقيع على هدنة مع النفس ، لان الهدنة مع القاتل لا تتم الا بعد الهدنة مع النفس . ولقد تصدق العالم علي : اعطاني طحيناً وثياباً وخياماً كثيرة لي ولأطفالي الذين لم يولدوا مقابل ان اعطيه الوطن والامن . وحين كنت اشعر بالبرد في الماضي ، كانت صحف الراي العام العالمي تقيني من الامطار والارتجاج . وحين كنت اشعر بالجوع ، كانت مقرة من ثلاثة سنطور في خطاب رئيس دولة متحضرة تشبعتني . وحين كنت اشعر بالحنين ، كانت الاغاني الاجنبية ، المنبثقة من راديو الجيران ، تجعل الرحيل تجربة جميلة .

وهكذا يذهب العالم الى غرفة النوم . . وينساني .

● لا توقظوا الضحية ، لئلا تصرخ .

— من أيقظها . . من المسؤول ؟

— ريح تهب فجأة ، فتنعش الموتى .

— من أين تهب ؟

— من كل الجهات . . من الوطن .

— ومن علمهم هذه اللفظة المهجورة ؟

— شعراء يغنون على رابية .

— اقتلوهم .

— قتلناهم ، فابتكروا لفظة أخرى — الحرية .

— من علمهم هذه اللفظة العاصية ؟

— ثوار حماسيون .

— اقتلوهم .

— قتلناهم ، فتعلموا كلمة أخرى — العدالة .

— من علمهم هذه اللفظة ؟

— الظلم . . هل نقتل الظلم ؟

— اذا قضيتم على الظلم ، قضيتم على انفسكم .

— ما العمل ؟

— تقتل الذاكرة .

وهكذا ينام العالم . وهكذا يصحو . هو مدجج بالسلاح ، وأنا مدجج بالقيود . القوي متحضر ، والضعيف بربري . وليس التاريخ قاضياً . التاريخ موظف . ماذا كان الهنود الحمر سيقولون لو هزموا غزاتهم . والذين يتباهون بالحضارة والتمدن هم غالباً ما يكونون القتلة . . القتلة . انظروا هذا الثلاثي : الاول — اباد شعبا في الماضي ، ويبيد اليوم شعبا وتربة في جنوب شرق آسيا ، ويفجر علامة تحضره الكبرى — القبيلة الذرية — في شوارع العالم . . يطالبني بالخروج من خلية الانسانية ومن الكرة الارضية لانني ارهابي . والثاني — ليس من الحكمة ان نذكره بماضيه . لقد احرق عشرات الملايين من البشر باسم الحضارة والتمدن ، والان يتعاقب القاتل والضحية وينجبان وليداً جديداً هو الثالث — فماذا ينتج عن زواج الازهباب الا الازهباب ! وجاء الثالث المدجج بالنوراة

والصالح ، واقتلني من خالي وسهولي وبكرخي من الكفارة الى الخصم . هذا
الثلاثي يطالني بالخروج من الكرة الارضية لانني ارهابي .
وماذا كان العالم يفعل ؟

في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب الى غرفة النوم وينام .

القتل دائما جريمة . فلماذا يتحول القتل الى دعامة من دعائم الهيكل الحضاري اذا
مارسه الاقوياء ؟ . وهل نشأت اسرائيل على وسيلة اخرى غير القتل والارهاب . هكذا
العالم دائما - شديد الاعجاب بالقتل الجماعي ، وشديد التنديد بالقتل الفردي . من
حق الدول ان تقتل شعوبها والشعوب الاخرى ، وليس من حق فرد او شعب ان يقتل
من اجل حريته .

ومن هو هذا الراي العام العالمي ؟

نحن نستخدم هذا المصطلح مجازا ، فنطلب العدالة من القتل اذا كان معنى المصطلح هو
تلك الاجهزة الاعلامية التي يديرها افراد متشابكون في المصالح والعقائد . فلماذا نعطيه
مثل هذه القداسة ؟ ان الراي العام الحقيقي - الضمير الانساني - لا نراه ولا نسمع
صوته ، لان مؤسسة « الراي العام العالمي » الغربية الرسمية قد خنقته وزيفته . واذا
كان سلوكنا خاضعا لمتطلبات كسب « الراي العام العالمي » المعبر عنه بالاجهزة الاعلامية
الرسمية ، فقد آن لنا ان نكتشف اننا نستمرى عبوديتنا وضياعنا ونبحث لها عن اسباب
البقاء ، طالما ان هذا « الراي العام » ملك افراد هم اعداؤنا . فهل يصلح هؤلاء لان
يكونوا قضاة ! حين نتحاشى الانتحار يقولون اننا جبناء . وحين نتنحصر يقولون برايرة .
حين ندعو الى السلام يقولون اننا كذبة مراؤون . وحين ندعو الى المعركة يقولون اننا
متوحشون . وهل نحن قتلة ؟ . من قتل من ؟ هل سالوا هذا السؤال .

ليس صحيحا ان العالم قد فقد ذاكرته . وليس صحيحا ايضا اننا قادرون على اعادة
الذاكرة الى العالم عن طريق ارضائه . العالم يرتاح . العالم يريد ان يلعب ويريد ان
يشرب .

— لماذا توقظ العالم من النوم ؟

— هذا ليس صوتي . هذا صوت ارتطام جثتي على الارض .

— ولماذا لا تموت بهدوء ؟

— لان الموت الهاديء حياة ذليلة .

— والموت الصارخ ؟

— قضية .

— هل جئت تعلن حضورك ؟

— بل جئت اعلن غيابي .

— ولماذا تقتل ؟

— لا اقتل الا القتل . لا اقتل الا الجريمة .

— اذهب الى الجحيم .

— انا قادم من الجحيم .

للمرة الاولى ، سال العالم نفسه : من اخبره انه قنبلة ؟

— من كثره ما ضربوه بالرصاص ، تراكمت الشظايا على الشطآن ، فولدت طاقة ،
وصار قابلا للانفجار .

— اخرجوه من دائره العالم .

— لقد اخرجناه ... وعاد .

— انصبوا له كميناً على حافة الارض ، وادفعوه الى الفراغ .

— لا يمكن الاقتراب منه ، لانه مدجج بربع قرن من المأساة والغضب والانفجار .
— ارهابي ؟

— نعم . ارهابي ويائس .

ماذا يفعلون باليأس . اليأس صنو الموت . لا اريد من العالم شيئاً الا ان يرفع سكينه
عن عنقي . لقد كنت رهينة . أنا الرهينة منذ خمس وعشرين سنة في ايديكم ، واطلق
اليأس سراحي . من يعيدني الى الامل غير اعلان ياسي ! ومن يحررني من الاسر غير
قدرتي على الانتحار ! . ليذهب العالم الى غرفة النوم . اناصمام امان العالم — هذا هو
الدور الذي حددتوه انتم لي . وليس بوسعكم ان تحددوا لي شكل اعتراضي على موتي
المجاني . ليس بوسعكم ان تحددوا لي طريقة تخلصي من الجزرة المزمرة . ليس لي الا
ان أموت . فلأمت كما أشاء . لا أرضى بهذا الدور لا أرضى — فليست عبوديتي معادلة
للأمن . سموني ما شئتم . جاء دوري الان لاسمي نفسي ما أشاء ، وافعل ما أشاء .
اقف في قلب العالم . أنتزع ذراعي . ألوح بها في الهواء . احوّلها الى كرة والعب معكم
.. اقدفها في شبكات عيونكم يا قضاة الحضارة . ليس من أجل الوطن . ليس من أجل
الشعب . وليس من أجل الانتقام . هكذا ، يطيب لي — كحيوان آسيوي — ان
استخدم جسدي ، ان امرنه على الحركة بعد شلل دام ربع قرن .. ان اقطعه اربا اربا
واسليكم . هذه هي حريتي الوحيدة ، فلماذا تعترضون على انتحاري يا خبراء القتل
الجماعي . ويا من تحولون الاطفال الى فحم ! انتم تقتلون .. اذن انتم تعيشون . وانا
انتجر .. اذن انا اعيش . لمن اسمح لاحد ، بعد الان ، ان يقتلني سواي . هل
تعرفونني ؟ لقد نجوت من قتالكم . هل تعرفونني ؟ . ان حليب وكالة الغوث لا يخلق دماً
في الشرايين . انه يخلق ديناميت . هذا غذاؤكم يعود اليكم . شكراً لكم . وحين رميتني
امي في شوارعكم طردتموني وقتلتم : عد الى أمك ، وحين عدت الى ابي القيتم علي
القبض وعذبتموني وقتلتم : ارهابي . ومنذ تلك اللحظة ، وانا ابحت عن ابي . وهل
تعرفون أين وجدتها ؟ كان جسمي ينظر دماً . وحين افقت من الغيبوبة وجدت نفسي في
بركة دم . حدثت فرايت ملامح سسيتها وجه ابي . كان ذلك دمي ولم يكن دمكم يا قضاة
العالم .

من حولني الى لاجيء ، حولني الى قنبلة . اعرف اني ساموت ، واعرف اني اخوض
معركة خاسرة اليوم لانها معركة المستقبل . واعرف ان فلسطين — على الخارطة —
بعيدة عني . واعرف انكم نسيتم اسمها وتستخدمون ترجمتها الجديدة . اعرف هذا كله .
ولهذا احوّلها الى شوارعكم ، وبيوتكم ، وغرف نومكم . ليست فلسطين أرضاً — أيها
السادة القضاة — . لقد صارت فلسطين اجساداً تتحرك .. تنتقل في شوارع العالم ،
وتغني أغنية الموت ، لان المسيح الجديد ترجل عن الصليب . امثشق عصا ، وخرج من
فلسطين .

حول مستقبل المقاومة الفلسطينية

الدكتور هشام شرابي

مقدمة لكتاب سيصدر قريبا بالانكليزية عن مركز الأبحاث تحت عنوان « فلسطين تعيش »
ويضم مقابلات مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية سبق ونشرتها « شؤون
فلسطينية » .

ان هذه المقابلات التي أجريت مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية - فتح ،
والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ،
والصاعقة ، وجبهة التحرير العربية - تشكل وثيقة سياسية وتاريخية فريدة من نوعها ،
أذ ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يضم فيها كتاب واحد تصريحات عن مواقف
منظمات المقاومة وآرائها والتي هيمنت على المسرح السياسي والأيديولوجي في العالم
العربي منذ العام ١٩٦٧ .

وربما صح القول انه لم يسبق ان صدر أي تصريح عن أي من زعماء المقاومة الذين
أجريت معهم هذه المقابلات فيه مثل هذه الصراحة والشمول . والحقيقة ان ما يبيح
على هذه المقابلات فرادتها هو بالضبط الانفتاح الذي ميز استجابة أولئك الزعماء إلى
الأسئلة السابرة التي طرحت عليهم . ويحتمل ان تكون هذه هي المرة الأولى التي يمارس
فيها الزعماء علنا النقد الذاتي محللين أخطاءهم السابقة وخطط المستقبل .

وإذا ما أخذنا كل مقابلة على حدة نجد انها تمثل وجهة نظر معينة وأيديولوجية مختلفة
ولكن تلك المقابلات مجتمعة تؤلف كلا واحدا وتعبّر عن موقف واحد مستمد من تجربة
مشتركة وهدف مشترك - تجربة شعوب يحمل السلاح ويضع التحرير
هدفاً أخيراً لكفاحه . وجددير بالملاحظة ان أياماً من الزعماء لا يتحدث
عما يسمى « بالتسوية السياسية » ، وان الجميع يتحدثون عن مبدأ التحرير
ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن الفلسطينيين المناضلين (مهما كان موقفهم
الأيديولوجي) يرون ان الحل النهائي للمسألة الفلسطينية لا يمكن أن يكون على حساب
حقوق الفلسطينيين بل على أساس العدل فقط ، أي على أساس الاستعادة الكاملة
لحقوق الفلسطينيين الانسانية والسياسية في وطنهم هم .

وكما سيتضح من خلال قراءة هذه المقابلات فانه ليس ثمة وهم حول كيف ومتى يمكن
تحقيق هذا الهدف . فمن جهة ينظر إلى اسرائيل كما هي ، قوة تدعها أميركة ولكنها
تعتمد في الوقت ذاته على نفسها وتتمتع بقدرة تدميرية مستقلة هائلة ، كما تشكل الحركة
الصهيونية بالنسبة لها حصناً عالمياً نجح في السيطرة على ارادة وثروة اليهودية العالمية .
ومن جهة أخرى ، ينظر إلى الدول العربية كما هي ، دول متخلفة ومجزأة وعاجزة عن
تعبئة الحد الأدنى من مواردها لمواجهة التهديد الذي يواجهها وغير قادرة على التعاون
فيما بينها من أجل ان تصبح القوة التي بمقدورها أن تصبحها . أما الفلسطينيون من
جهتهم فيجدون أنفسهم ممزقين بالخلافات والنزاعات الداخلية ، ويعانون من نقصان

الضعف والعجز نفسها المسؤولة عن الضعف العربي الاكبر . ان هذه المقابلات تلمح
النضوء بوضوح على العوامل التي ساهمت في الوصول الى هذا الوضع ، كما تحدد
الشروط الضرورية للتغلب عليه . ومن هذه الناحية تشكل هذه المقابلات علامة بارزة
على طريق تطور الوعي الفلسطيني الذي يشكل بدوره نقطة مهمة في تطور الوعي
الثوري في العالم العربي ككل .

كان على هذه المقدمة ان تستتبع تحليلا تاريخيا لحركة المقاومة وربما مناقشة لتطورها
الايدولوجي والسياسي . الا اني رأيت ان المدخل المنهجي وحده لا يكفي لفهم نمو حركة
التحرير الفلسطينية وتطورها ومستقبلها اذ ان مثل هذا الفهم لا يتطلب معرفة المبادئ
والاهداف التي تقول بها الحركة فحسب بل ايضا معرفة المنطلقات التي تنبع منها .
ونادرا ما سنحت الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن سبب رفضهم حل التسوية
السياسية واصرارهم على التحرير كمبدأ وهدف نهائيين . انني سأحاول في الصفحات
التالية ان احدد الاطار الذي يمكن من خلاله فهم هذا الموقف مركزا على ما يعنيه
الفلسطينيون عندما يقولون اننا لا نستطيع القبول عن التحرير بديلا .

ملاحظات شخصية

أولا وقبل كل شيء ، ان بعض التعليقات المبنية على اساس تجربتي الشخصية قد
توضح بعض النقاط حول تطور خلفية المقاومة الفلسطينية .

عكست تحليلات المقاومة باستمرار ، في السنوات التي تلت حرب العام ١٩٦٧ مباشرة ،
ذلك الشعور بالقوة والنشاط والعافية الذي ساد تلك الفترة بدل ان تعكس حقيقة
الوضع . ولقد اوضحت كتاباتي وكتابات آخرين غيري الفرضيات والمفاهيم الخاطئة
التي شجع ظهورها بروز الحركة السريع . ولقد لاحظت في دراسة عن حركة المقاومة
الفلسطينية وضعتها في العام ١٩٦٩ * تطورات كانت تتشكل بصورة مفاجئة وعنيفة في
الوقت الذي كانت تسير فيه الثورة بأسلوب الثورتين الكويتية والجزائرية . الا انني
لم استطيع ان ارى مستقبلا المازق والركود الذي تلاه نتيجة لهجمة الملك حسين على
الفلسطينيين في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وكذلك لم استطع ان اقيم تقييما صحيحا عوامل
الانشقاق داخل الحركة ، فقد كان تصوري الدائم هو ان الوحدة آتية بشكل طبيعي
وحتمي . وقبيل الكثير من الشعارات المتداولة دون تساؤل او تفحص . اذ لم تكن
تراودني شكوك حول صحة المواقف الثورية . وعندما انظر الان الى الوراثة اجد ان ذلك
لم يكن نتيجة للتفكير المزاجي فحسب ، وانما ايضا نتيجة لنقاط ضعف معينة تضمنها
تحليلي . وكنت قد بدأت بعد هزيمة العام ١٩٦٧ ، مثل كثيرين غيري ، اقرا ماركس
بجدية فامتلا رأسي بالنظريات التي لم اتمثلها تماما .

ان ابناء جبلي الذين وجدوا انفسهم ، مثلما وجدت نفسي ، في اعمال مهنية
(تقتضي ثقافة او علما) كانوا قد اعتادوا نكبة العام ١٩٦٧ على كبت
مشاعرهم والانصراف الى مشاغلهم . وكان شعور هذه الطبقة المثقفة
بعدم جدوى رفع الصوت ناتجا بالاكتر عن تخوفنا من الضرر الذي قد
يلحق اعمالنا ومصادر رزقنا كفلسطينيين يعيشون خارج بلادهم . فعشنا
ليومنا سواء في البلدان العربية ام خارجها . ولكننا حققنا نجاحا على وجه العموم ،
وبدا ان النجاح الشخصي يسهل علينا نوعا ما تحمل النكبة الوطنية . ولكن لم يتمتع
الفقراء والفاشلون منا ، وخاصة سكان المخيمات ، بالتعويضات النفسية ذاتها ، وكانت
فلسطين بالنسبة لهم عذابا يوميا . كانوا يفكرون في شيء واحد فقط : في العودة .

* الفدائيون الفلسطينيون : فاعليتهم وصدقتهم (مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، واشنطن
العاصمة ، ١٩٧٠) . الترجمة العربية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٧٠) .

الأق ١٩٦٧ خطانا نجد التمسكاً ورفضاً في ضوء حديثه . فمن ذلك العام أصبح أكثر من
نصفت شعبياً يعيّن تحت الحكم الإسرائيلي ، وصار الفلسطينيون « يهود اليهود »
والكفارة على عكس اليهود لم ينشر في نفس العالم العربي شيئاً من الشفقة أو الرحمة . إن
يعود اليهود إلى « وطنهم » فذلك مشهود مثير يدعو إلى الإعجاب والدعم . بينما إن يفقد
نحن وطننا فذلك أمر لا أهمية تذكر له . وفجأة رأينا مكانتنا في أعين العالم « المتمدن » .
إننا نوح أدنى من الإنسانية يعيش خارج التاريخ ، إننا الهنود الحمر الجدد والزئوج
لاسرائيل .

وكانت الحالة الأسوأ هي حالة فقرائنا — عمالنا وبنلاحينا . أما الطبقة العليا — ملاكو
الأراضي وكبار التجار والفئات المتوسطة والمتوسطة الدنيا — فقد تدبرت أموراً بشكل
أو آخر . في ظل الحكم الإسرائيلي تواطأت هذه الطبقة مع الحكام اليهود وخلصت إلى
السكينة . أما في البلدان المحيطة بفلسطين فقد كانت هذه الطبقة من الفلسطينيين قد
دبرت أموراً المعيشية واندمجت في حياة بيئتها الجديدة . أما الشعور بفقدان الوطن
فقد عبر عن نفسه عند هذه الطبقة في صورتين : صورة « مادية » تنعكس في روايات عن
الغنى والأملك التي خلفوها وراءهم ، وصورة « عاطفية » تنعكس في وطنية بلاغية
مجردة عن الالتزام أو العمل السياسي الجاد .

إن الأوضاع الجديدة التي عاش في ظلها الفلسطينيون غيرت القليل من العلاقات الطبقة
القديمة . لقد كانت البرجوازية والبرجوازية الصغيرة بالنسبة للفلاحين والعمال غير
المهرة الذين اقتلعوا من وطنهم تمثل طبقات مالكة ومستغلة . ولم يتغير شيء في هذه
العلاقة لا في ظل الاحتلال الإسرائيلي ولا في البلدان المحيطة بإسرائيل . واعتبرت
الطبقات العليا الظروف الرهيبة التي عاشتها الجماهير الآن ، « طبيعية » مثلما كانت
الظروف السابقة . إن عيش الجماهير الفلسطينية على الحسنة الدولية واستغلالها
كيد عاملة رخيصة بواسطة مغتصب أرضها لم تكن إلا امتداداً فقط للاستغلال واليؤس
السابقين على يد الطبقات البرجوازية والإقطاعية الوطنية . وبمعنى معين تطابق
أفق رؤيا الطبقات الفلسطينية المسيطرة وأفق رؤيا المحتل الإسرائيلي . لقد استغل
الجانبان الجماهير الفلسطينية وعانت هذه الجماهير من استغلال الجانبين على حد
سواء .

وكشفت هزيمة العام ١٩٦٧ أيضاً أفلاس النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وحطمت
سيطرة الأيدولوجية القديمة مفسحة المجال بذلك لبروز منظور راديكالي جديد . فقد
أخذ الفلسطينيون المنضوون تحت لواء حزب البعث وحركة القوميين العرب والحزب
السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي وال الإخوان المسلمين ينظرون إلى الأمور
بطريقة مختلفة . وأخذت الشعارات القديمة التي ترعرعت في ظل معاناة أجيال ثلاثة من
البرجوازية العربية وطموحاتها تفقد معناها . وخضع المجتمع الآن ككل ، بقبه
ومؤسساته وتنظيمه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لنقد سريع وغاضب .

ومع انهيار تبريرات الهزيمة أصبح القول بالحاجة إلى تحول جذري في المجتمع العربي
يتخذ معنى عينياً معنا . وهذا الإدراك مثل بداية أول تغير خطير في وعي هذا الجيل .
ولكن نزوج الإدراك الراديكالي يتطلب تجاوز مجرد إطلاق التعميمات . إلا أن هذا
الوعي الجديد افتقر إلى الأسس النظرية الضرورية للتحليل الشامل ، كما افتقر أيضاً
إلى القدرة على الخروج ببرامج و استراتيجيات واضحة تنتظم حولها القوى الاجتماعية
الجديدة . وهنا ظهر التشوش الموضوعي في البيئة الاجتماعية في شكل الوعي ذاته .
إن السعي منذ العام ١٩٦٧ وراء مفهوم ثوري أدى إلى ظهور أدب ثوري واسع

* على حد تعبير راشد حسين في إحدى تصانده .

ترجمات الكتابات الثورية الرئيسية كافة من ماركس الى ماركوزه بالاضافة الى التعلقات والتاريخات والتحليلات الثورية . الا ان الممارسة في التجربة الفلسطينية سارت سراً مستقلاً عن النظرية المنظومة وتلكات وراء الممارسة . وفي حين لم يكن من الممكن التمييز بين النظرية ومجرد الكلام اتخذت الممارسة صورة العمل العفوي غير المنظم .

ان حمل البندقية اعطى بالتأكيد دروساً لم تكن أي نظرية بمفردها قادرة على اعطائها . ولم تظهر الايام الاولى للمقاومة ما تستطيع الإرادة ان تولده فقط بل أكدت أيضاً ان العمل الثوري هو الطريق الوحيد الى التحول الذاتي . واصبح واضحاً ان لا شيء يستطيع تحرير المجتمع من قيوده غير القوة الكامنة في جماهير هذا المجتمع المقهورة والمستغلة . وهكذا رأينا الانسان العربي الجديد يبرز على صورة الفدائي الفلسطيني ، وتصورنا الثورة العربية تولد من تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الآثار المباشرة لهزيمة ١٩٦٧ هي تلك الفترة البطولية التي برزت فيها المقاومة الفلسطينية ، ونفتت شجاعة رجالها وتصميمهم حياة جديدة في نفوس الفلسطينيين والجماهير العربية كافة . وقبل ذلك لم يشعر الفلسطينيون في تاريخهم بالارتباط الشديد فيما بينهم . لقد عبر الفدائيون النهر للمرة الاولى خلال عشرين عاماً واستطاعوا ان يضربوا العدو ضربات موجعة .

وفي اللحظة ذاتها التي بدا فيها ان المقاومة اوشكت ان تدخل مرحلتها الحاسمة سيطرت عليها تناقضات داخلية وخارجية شلت فاعليتها . وأمام عجز حركة المقاومة عن الاتجاد والاتفاق حول برنامج مشترك وستراتيجية مشتركة اصبحت الحركة عرضة لضربات قوى الثورة المضادة . وهكذا بدأت الضربات الاليمية المتتالية تتساقط عليها من قبل انظمة الحكم « الصديقة » والمعادية في صورة مستترة تارة وفي صورة علنية طورا الى ان جاء الهجوم الساحق في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وأخذ الاصدقاء والمؤيدون ينصرفون عن الحركة ، وبذلك انتهت فترة الشعور بالقوة والنشاط والعافية . وفجأة وجد الفلسطينيون أنفسهم في عزلة وفي غربة عن مضيفهم العرب يواجهون العدو وحيدين .

وعند عودتي في اوائل العام ١٩٧١ الى عمان في زيارتي الاولى لها بعد ايلول (سبتمبر) الماضي لاحظت ان مشاهد الازدحام الحية التي كانت تتميز بها عمان قبل برهة قصيرة قد غابت . وعادت عمان ثانية البلدة التي عرفت في العام ١٩٤٩ عشية الهزيمة الاولى : غلا وجه ، ومهجورة ، ومقهورة . ان تواجد جنود البادية في كل مكان - في المطار وفي المباني الحكومية وعلى كل مفترق طرق - كان يعزز جواً بزبريا يخيم على كل شيء .

لقد كان الجو جافاً وبارداً عندما حطت الطائرة التي اقلتنا الى مطار عمان حيث حضرنا لنتناقش زعماء مختلف المنظمات حول مخططات الوحدة التي وضعها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية كي تطرح في الاجتماع المقبل للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة . وجرى لنا استقبال حار في المكاتب التي اصبحت الان هادئة وشبه مهجورة . وكان الناس أشد رغبة في التحدث من الاستماع . وكان لدى كل جماعة وكل مسؤول صورة خاصة لما حدث وللخطأ الذي وقع وصورة لعلاج الوضع . ولم تعد هناك تلك الحماسة والثقة الفخورة بالنفس التي تركت في نفسي اثراً عميقاً في زيارتي الاولى لمنظمات المقاومة في العام ١٩٦٩ . لقد أخذ الانهاك نصيبه وذهب الزهو وظهر في الجو ذلك الشعور بالضيق الذي ساد الساحة الفلسطينية قبل العام ١٩٦٧ . وبدا الناس في المخيمات والمكاتب قلقين ومرتابين : يلومون ويغتابون بعضهم بعضاً ويتبادلون التهم ، انها عادات المهزومين والمنكوبين . أنني لم اسمع من قبل بمثل هذا العدد الكبير من الاشخاص الذين يتهمون بجرائم رهيبه مثل الجاسوسية والتواطؤ مع

الحدود والتعامل مع نظام الحكم هذا أو ذاك . إن الفلسطينيين الذين توحشوا منذ فترة
قريبة تقطع دور الأيديولوجيين على أنفسهم .

ركبت إحدى سيارات الحنة المتابعة الغربية ، وكانت تحمل علما أحضر كبير برزب على
جانباها . وضعدنا إلى تلال جرش الصحيرية ذات اللون البني الفاتح ، وتوقفنا في المركز
المحلي لقيادة جيش التحرير الفلسطيني قرب الآثار الرومانية الجميلة . ونظرت من
شرفة المركز الذي يشغل بناية صغيرة لأرى رجالا مسنين من مخيم غزة القريب
يستدفنون في شمس الشتاء ورؤوسهم مخفية ومنتشرين هنا وهناك في مجموعات
صغيرة . ونادرا ما كانوا يظهرون أي اهتمام بما يدور حولهم . وبعضهم كان ينظر
بصمت . ولدى خروجنا من المركز المحلي لقيادة جيش التحرير وجدت أن معظمهم ، وعلى
الرغم من تجعد وجوههم وبياض ذقونهم ، لا يتجاوز الخمسين . انهم الشبان الذين
تركوا بيوتهم وحقولهم قبل عشرين سنة ونيف .

توقفنا ثانية في مخيم غزة الواقع على الطريق إلى منطقة الاحراج . وهنا أحاط بنا عدد
لا يحصى من الاولاد وكذلك قلة من الرجال المتجهين السائرين سرا بطيئا . وبدأ
الاولاد سعداء واصحاء . أما الشبان فبدأ أن جوا مأساويا يلفهم . وهنا انتابني حزن
باليأس . وأدركت في لمح البصر ما المقصود بالتميز الماركسي بين الوضع الثوري في حد
ذاته والوضع الثوري من أجل ذاته ، أدركت الفرق بين العيش تحت عبء الظروف
القاهرة وبين امتلاك الوعي الثوري لتغيير تلك الظروف .

وسرعان ما أدركنا أن مسألة الوحدة (بين مختلف المنظمات) لم تكن مسألة نظرية
بحاجة إلى حل بواسطة الاتفاق الشفوي . وعدنا إلى بيروت مقتنعين أنه قبل القيام
بأي شيء يجب أولا أن يوجد الوضع حلوه بذاته إذ أن الحل المتأنيب عن التكسير
تفكيرا ذاتيا أثبت أنها قليلة الفائدة على الرغم من صحتها النظرية .

منظور الوعي الثوري

بعد أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ أخذ الناس يتحدثون حديثا مختلفا . وفي هذه المجموعة من
المقابلات يظهر ذلك جليا ، فنجد الناطقين الرسميين باسم المقاومة يوجهون كلامهم إلى
بعضهم بعضا وإلى شعبهم هم وليس إلى « الرأي العام العالمي » ووسائل الاعلام .
فهم لا يسعون وراء خلق صورة معينة لأنفسهم وما عادوا يتنافسون الواحد مع الآخر
من أجل الدعاية . وهذا يضيف على المقابلات ميزة نادرة من الصراحة . أضف إلى
ذلك أن هناك متطلبات ملحة جديدة نتيجة للظروف التي تغيرت . أننا نتحسس موقفا
يتطلب اتصالا ولن يرضى بالطريقة الخطابية القديمة . وليس هذا مجرد تغير في التكتيك
الإعلامي ، انه يشير إلى تغيرات داخل الحركة وربما إلى دخولها مرحلة متقدمة من
النضوج .

إن الناطقين باسم المقاومة في موقفهم من مختلف المسائل التي يتناولها هذا الكتاب
بالبحث يعبرون عن وعي مشترك يتجاوز وعي الأفراد أو المجموعات . انهم يتحدثون
نيابة عن الفلسطينيين ككل ، ومن خلالهم ، عن الصامتين والمقهورين في العالم العربي
بأسره . انهم يؤكدون العزم على تحمل الهجمات الصهيونية على حقوقهم القومية
والانسانية ، ويعبرون عن رفض النظام السياسي والاقتصادي للامبريالية الغربية
المعاصرة التي تحول دون أن تحقق المنطقة استقلالها السياسي والاقتصادي التام .
وهم ينظرون إلى إسرائيل ضمن هذا النظام على أنها فرع للامبريالية تغذية وتعززه
الولايات المتحدة التي تلقي مصالحها في المنطقة دعم إسرائيل وتأييدها . ومهما اعتبرت
إسرائيل نفسها مستقلة فانها تبقى خاضعة موضوعيا لحكم منطق الوضع الامبريالي
الراهن ومتطلباته والذي تشكل هي جزءا منه . انها بالنتيجة تشكل تحديا للتطلعات

العربية النابعة من الوعي المتزايد للوضع السائد في المنطقة . وإذا كان هذا الوعي يستفقد على ترجمة نفسه الى عمل اجتماعي وسياسي منظم يشمل العالم العربي ويصبح بذلك قوة مادية فان « الثورة » الفلسطينية هي من أجل ذلك بالتحديد . وعلى الرغم من ان الفلسطينيين لا يستطيعون القيام بالثورة في البلدان العربية ، عدا ثورتهم الفلسطينية ، فان ثورة فلسطينية أصيلة ومستمرة قد تلعب دور المساعد الذي يجعل العالم العربي راديكاليا ويعطي الثورة العربية دافعها الحاسم .

ان الوعي المرتبط بالمقاومة الفلسطينية هو ذات صفة تاريخية أي انه يشكل مرحلة محددة في التطور السياسي . وان محتوى هذا الوعي ووجهته يتغيران ويتطوران مع الخبرة والزمن . ولكن الشكل الثوري يبقى أثناء هذه العملية بأسرها ثابتا . ولا يفقد الوعي صفته الثورية الا اذا تحطمت حركة المقاومة التي تجسده أو تحولت الى مجرد عمل سياسي .

وقد يبدو في هذه المرحلة الهدف الذي يقوم حوله هذا الوعي ، أي هدف التحرير ، غير واقعي ومجرد حلم نظري . ولكن هذا يرجع بالضبط الى كون الوعي وعيا ثوريا . ان التفكير الثوري يولد من معارضة الواقع القائم ، وهو لكونه ثوريا لا يقبل هذا الواقع مرجعا نهائيا لتفكيره . ان « حقيقة » هذا التفكير لا تستمد من هذا الواقع المباشر المعين ولكنها متأصلة في الكل التاريخي الاوسع الذي يشكل هذا الواقع جزءا مرحليا عابرا منه فقط . ان ديناميته هي في عدم ديمومة الحاضر .

ان هذا النوع من الوعي الذي تعبر عنه حركة المقاومة الفلسطينية والذي يرفض الامر الواقع الصهيوني وفق شروط هذا الواقع ومتطلباته يعلن ان التحرير الكامل ، وليس غير التحرير الكامل ، هو هدف الثورة الاخير . ونلاحظ ان لا احد من المتحدثين باسم المقاومة ينكر الواقع الحاضر المرير ممثلا في الفوضى العربية والشقاق الفلسطيني والتفوق العسكري الاسرائيلي والتزام الولايات المتحدة بالصهيونية ، الخ ، ولكنهم يرفضون الخضوع لهذا الواقع وحقائقه . ان الوعي الثوري الذي يعبرون عنه في هذه المقابلات يقدم البديل للتفكير والعمل بلغة الامر الواقع . وان البديل هو مشروع تضالي يستمد قوته وثقته من الطاقة التاريخية المتأصلة في الحاضر . وهذا البديل يطرح مطلبا للمستقبل ، وهو مطلب لا يمكن للوعي العملي المتمثل في قيادة الانظمة ان يطرحه لانه وعي غائب عن المصالح القومية الكبرى ومنهمك في المصالح الجزئية الصغيرة . ولا يطرح هذا البديل المستقبل كهدف طوباوي يمكن الوصول اليه بقفزة خيالية ولكن كهدف بعيد يمكن تحقيقه بالعمل الجاد وبلورته من خلال النضال اليومي المستمر . الا انه هدف لا يمكن تحقيقه الا على يد حركة قادرة على تعيئة الجماهير تعيئة ثورية صحيحة .

المقاومة واليهود الاسرائيليون

ان كل منظمة من منظمات المقاومة الفلسطينية تستهدف ، كجزء من استراتيجيتها ، الوصول الى اليسار الاسرائيلي الجديد ، وبالتالي الى الجماهير اليهودية . وهذا يعكس القدرة المتزايدة للحركة ، وهي تسير على طريق النضوج ، على الاعتراف بحقائق معينة والقبول بها . وعلى رأس هذه الحقائق وجود شعب يهودي عسلي الارض الفلسطينية . وقد يكون مفهوم فلسطين الديمقراطية اول تعبير عن ذلك ولا بد ان يليه صيغ مادية اخرى اكثر دقة وتفصيلا . الا ان تفهم هذه الحقيقة لم يكن سهلا . وانه لمن المستحيل تحديد الاشكال المادية المحددة - السياسية والاقتصادية والحضارية - التي قد يتطلبها الاتفاق المشترك في هذه المرحلة . ولكنه بات من الواضح انه في سبيل معالجة هذه المسألة وضع الفلسطينيون برنامجهم على انه برنامج جدير بدعم القوى اليسارية والتقدمية ، وهو بذلك يشكل تقدما كبيرا على الموقف الصهيوني المنصري .

ولا بد من القول ان متطلبات المقاومة الفلسطينية كانت تفتقر حول الاعتماد على التحرير
حيث ان يتصور في النهاية على أساس الانتفاخ الفلسطيني في اليهودي خارج الظهور
الصهيونية . ولكن مهمة تحطيم البنى الفوقية للصرح الصهيوني لا يمكن تنفيذها على
أيدى الفلسطينيين وحدهم بصفتهم قوة خارجية . ويتطلب نجاحها منها ان تصبح أيضا
مهمة يهودية يجري تنفيذها سياسيا من الداخل .

ان هذا اللقاء بين القوى الراديكالية السذي يفترضه هذا الرأي يشكل خطأ سياسيا
اساسيا واحدا في أية استراتيجية ثورية في المستقبل . ولا بد هنا من الاعتراف انه حتى
الان لم تنجح الا جماعات هامشية من المعسكرين في الاتصال فيما بينها محققة نتائج
سياسية ضئيلة . ومع ذلك فان هذا امر هام من حيث ارسائه سوابق للمستقبل . وفي
هذه المرحلة تقع مهمة حمل المتهورين من الشعبين ، على ادراك القهر المشترك
والحقوق المشتركة ، على الثورة الفلسطينية التي تمثل رفض العدوان الصهيوني
والارادة على قهره .

مسألة التصديق

ولكن قبل الوصول الى هذه الاهداف سيتحتم على الفلسطينيين ان يناضلوا وحدهم مدة
طويلة . وينتظر من القوى المؤهلة او التي قد تكون حليفة للفلسطينيين في اسرائيل
(العمال المتهورون واليهود الشرقيون واليسار غير الصهيوني) ان تبقى مدة طويلة من
الزمن جزءا من المؤسسة الصهيونية رغم الصراعات الطبقية والعرقية والايديولوجية .
وهكذا فان المسألة تطرح نفسها على الشكل التالي : وجوب اسقاط الصهيونية ، واقامة
تحالف طبقي بين المضطهدين الاسرائيليين والفلسطينيين . ولكن من اجل اقامة مثل هذا
التحالف يجب اولا تحطيم الهيمنة الصهيونية الايديولوجية والسياسية (على المضطهدين) ،
اي انه يجب اسقاط البنى القومية للصهيونية . ولا يبدو ان هناك مخرجا واضحا أو
سهلا من هذا المأزق .

ولكن ربما كان بإمكان الفلسطينيين التقدم تقدما كبيرا في هذه المسألة اذا نجحوا في
تحقيق أمرين : (1) تحويل حركتهم الى حركة راديكالية حقيقية ، (2) تنظيمها على شكل
قوة سياسية وعسكرية فعالة . واذا اظهر الفلسطينيون بصورة مقنعة (وليس بتعبير
ايديولوجية فقط) أنهم متجهون نحو مجتمع اشتراكي يتمتع فيه اليهود بحقوق متساوية
مع غيرهم ، وأنهم عازمون حقا على خوض نضال طويل الامد فانه من الممكن التفكير
بالتحول الراديكالي . ولكن ربما كان أهم من ذلك قدرتهم على توضيح استحالة حل
المسألة اليهودية على حساب الفلسطينيين وعدم عدالة ذلك ، وذلك من خلال عملية
النضال الحقيقي وليس من خلال محاولات الاقتناع الاعلامي فقط . ويجب اظهار الحركة
الصهيونية على انها حركة تدفع بطبيعتها اولئك الذين يعانون منها الى مقاومتها والقتال
ضدها .

وباختصار ، يجب اولا تحطيم الاجماع الصهيوني ايديولوجيا قبل ان يصبح من الممكن
قيام اي بديل قابل للحياة وغير صهيوني للتعايش العربي الاسرائيلي . كما يجب بطريقة
ما حمل الاسرائيليين على ادراك انهم لا يستطيعون العيش الى الابد بالسلح وحده
وتأجيل التفاهم مع الفلسطينيين وجيرانهم العرب الى امد غير محدد . ومن الواضح
ان هذا لا يمكن ان يأتي عن طريق الاقتناع الفعلي أو بواسطة هزيمة واحدة . ونذكر انه
عندما كان نشاط المقاومة في اوجه بين العامين ١٩٦٨ - ١٩٧٠ بانته بعض الدلائل
الاولية واضحة على تزايد وعي الاسرائيليين لطالب الفلسطينيين . ان احد اهداف
حركة المقاومة هو دفع مثل هذه الافكار عند الرأي العام اليهودي وتوسيعها مرة أخرى .
يجب ان تصبح حركة المقاومة الفلسطينية اذا قوة عسكرية وسياسية وايديولوجية

حقيقته وموثوقه ومعترفا بها كذلك من جانب العدو وحلفائه المحتلين في معسكر العدو، قبل أن تستطيع الحركة أن تشر داخل إسرائيل الاستجابة التي بدونها سيبقى التحرير الحقيقي بعيد المثال . ان عملية التحويل الراديكالي التي جرت في حركة المقاومة الفلسطينية يجب ان تجري في صفوف اليهود . وفي ظروف كهذه قد تكون المعارضة من داخل إسرائيل أقل صلابه وأكثر دياكتيكية مما يظهر لأول وهلة .

مبررات استمرار النضال

ويعي الفلسطينيون في اتخاذهم قرارهم السير في طريق النضال المعارضة التي سيلقونها على جميع المستويات . فهم يجدون أنفسهم على صعيد المنطقة في مواجهة الوضع الراهن محدداً بنماذج وقوانين إجرائية تربط ضمن اطار مشترك اسرائيل والدول العربية من جهة ، والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من جهة اخرى . ان التوازن السوفياتي - الاميركي والميزان العربي الاسرائيلي يستثنيان اي تغيير جذري في العلاقات القائمة بين القوى ومناطق النفوذ ، انها يستثنيان بالضبط ذلك النوع من التغيير الذي تتطلبه استعادة الحقوق الاساسية للفلسطينيين . وهكذا فان حركة المقاومة الفلسطينية تمثل نفيًا لهذا التوازن والميزان . وكونها كذلك يجعل الفلسطينيين يشكلون القوة المركزية الاولى التي من شأنها ان تهدد الوضع القائم واستقرار القوى القائم في الشرق الاوسط على جميع المستويات .

وربما يكون من الطبيعي ان نتوقع من اولئك الراضين عن الامور كما هي قائمة - اي من المستفيدين من التوزيع القائم للسيطرة والجاه - ان يتحدثوا بما يتمشى ووضع تلك الامور ، أي ان يتحدثوا عن القيم والمصالح والاهداف المستمدة من هذه الحالة وان يعملوا من أجل الحفاظ عليها . وهكذا فان اولئك الذين يقولون «بالاتزان» و «التعقل» و «الواقعية» في حديثهم عن الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة يلتقون مشاركة الامبرياليين الرأسماليين والمستعمرين الاستيطانيين وكذلك الطغم البورجوازية والبورجوازية الصغيرة الحاكمة في المنطقة .

الا ان الفلسطينيين لا يرون خيارا غير الاستمرار في الكفاح . انهم يقاتلون في سبيل حقوقهم الانسانية الكاملة بما في ذلك حقهم البديهي في العيش في ظل الحرية الديمقراطية على ارض وطنهم . ان الفلسطينيين لا يطالبون بالتمتع بهذا الحق وحدهم وانما يقولون بحقوق اليهود الموجودين الان في اسرائيل بالتمتع بالحقوق نفسها في دولة ديمقراطية علمانية مشتركة . ومن ناحية حقوق الانسان فان اسرائيل اليوم تساوي بالضبط ما اخذت من الفلسطينيين . ان السعادة الاسرائيلية تتكون من دموع الفلسطينيين* . واذا كان الاسرائيليون اليوم شعبا له ارض فان ذلك لان الفلسطينيين شعب بلا ارض . ان انتصارات اسرائيل هي هزائم الفلسطينيين وان اعتداد الاسرائيليين انما هو ذل الفلسطينيين ، وقوة اسرائيل هي ضعفهم . وبينما تنمو اسرائيل على مر الزمن وتتقدم لتصبح دولة بين الدول يختمني الفلسطينيون شيئا فشيئا ليصبحوا شعبا بلا دولة اما مسيطرا عليه في ارض فلسطين أو يعيش في المنفى . ان وجود اسرائيل انما يعني انعدام وجود الفلسطينيين بكل ما في الكلمة من معنى .

وبصورة موضوعية ، ليس امام الفلسطينيين خيار غير القتال ضد الاستعمار والسيطرة الاسرائيليين . ولا يمكن ، والحالة كذلك ، ان ينظر الى التحرير على انه مغامرة رومانطيقية بل على اساس انه مسألة بقاء أو عدم بقاء . ولا يمكن ان يكون الفلسطينيون طرفا في اي حل « جزئي » في ظل الظروف السائدة لان كل حل « جزئي » هو في الحقيقة

حل شامل يشرح تأثير تطور ذلك الحصار الحربي لحقوق الفلسطينيين الإنسانية الوطنية والإنسانية كافة

أما بالنسبة للأخلاق فإن الفلسطينيين يعون جيدا فلسفة الأفياء المنكفئة على ذاتها التي تجعلهم عاجزين عن رؤية الام شعوب العالم الثالث وتطلعاتها المشروعة في الحياة الحرة السعيدة . وفي فترة ما قبل التاريخ التي تشكل التاريخ الذي لا زلنا نحياها فان نظام الامبريالية الرأسمالية الليبرالية والمستغلة القاسية انتج منظومة من القيم التي تستطيع بكل سهولة ان تبرر أكثر جرائم الامبريالية وحشية وضراوة . وهكذا استطاعت البلدان القوية كأمركة ان تكتف بالغموض الحقيقة الإنسانية لأعمالهم عن طريق تقنيع تلك الاعمال بتعابير وعمليات فكرية لا علاقة لها بتلك الاعمال ذاتها ، مثل الحجج التي تبدو في ظاهرها قانونية او النصائح التي تدعو الى « العملية » تلك التعابير والعمليات الفكرية التي تعمل على ابقاء البنى المضطهدة القائمة في الدول العنصرية وعلى ابقاء التعابير العسكرية « المحايدة » المعقدة التي تستخدم في اخفاء الرعب الإنساني من الدمار على يد القوة التكنولوجية المتفوقة في فيتنام . ولقد حاول الصهيوينيون في فلسطين والامريكيون في فيثنام والروديسيون البيض والافريقيون الجنوبيون جميعا ان يضرّبوا ستارا على اعينهم واعين الآخرين واخفاء عدوانهم ووحشيتهم ولا انسانيتهم بطريقة أو أخرى . وقد يرتكب الصهيوينيون اشجع الجرائم (كما فعلوا في دير ياسين وقبيه وكفر قاسم) ولكنهم يستطيعون التغلب على شعورهم بالذنب والحفاظ على استقامتهم في اعينهم هم وذلك بالاعتراف بارتكاب مثل هذه الجرائم ومعالجتها على اساس أنها « غير مقصودة » وشاذة وعبرة عن انحرافات آنية .

وبسبب هذه الفلسفة الأخلاقية يدرك الفلسطينيون انهم لن يحققوا شيئا بمجرد دعوة القوي الى معالجة الظلم الذي ارتكب في حقهم لانه يكاد لا يعترف بهذا الظلم . لقد وجد الفلسطينيون من خلال الدروس المريرة التي تلقوها انه لا القوانين الدولية ولا الاعمال والمقررات الصادرة عن الهيئات الدولية تستطيع ان تحقق شروط الحق والعدالة . ان العدالة التي سيعترف بها العالم هي تلك التي يستطيع المضطهد ان يحققها من خلال نضاله وتضحياته . ان المضطهدين لا يستطيعون ابدا ان يتوقعوا الحصول على حقوقهم على طبق من الفضة في عالم السیادات الوطنية وسيطرة الامم الغنية ، عالم القوى الامبريالية والمواع العاجزة عن الدفاع عن نفسها ، عالم الاستعمار الجديد .

ويعلم الفلسطينيون انه مع تصاعد النضال فلا بد له من ان يتخذ شكلا قاسيا . ان العنف الشامل لا ينفصل عن عملية التحزير من الاستعمار الاستيطاني . ان ضحايا العدوان الاستعماري يلجأون الى العنف المضاد للقضاء على العنف الذي وقع عليهم . والوحشية تزداد مع تزايد العنف والعنف المضاد . وهكذا فان الضحية ومضطهدها يقعان في شرك التصعيد القاتل . ونحن نعلم من التجربة الماضية ان التصعيد لا ينتهي قبل ان يصل درجات حادة من سفك الدماء والدمار الذي يدوم شهورا بل وسنوات كما حدث في الجزائر .

وهناك ثلاثة اسباب اساسية تفرض على الفلسطينيين اختيار هدف التحرير هدفا لا عودة عنه . السبب الاول هو غياب أي بديل آخر للكفاح ؛ فاذا هم لم يقاتلوا هلكوا . وهم لم يبق لديهم الا القليل ليخسروه . « ان ما لا يقتلني يجعلني اقوى » على حد قول فريدريك نيتشه . السبب الثاني يكمن في حركة التحرير السائرة في جميع انحاء العالم . فالفلسطينيون اصبحوا يرون ، كما لم يفعلوا من قبل ، ان تحررهم جزء من حركة عالمية . انهم يرون تحررهم مرتبطا بتمزيق نظام الامبريالية الجديدة الامريكي ، هذا النظام المحكوم عليه بالزوال في الشرق الاوسط مثلما في جنوبي شرقي آسيه . وهناك اخيرا

القدرة على التحول في المجتمع العربي ، اي القدرة على تعبئة الطاقة العربية التي لا بد ان تصبح يوما ما حقيقة واقعة .

الوضع العربي

ان من الحماقة التقليل من قيمة المصاعب التي يواجهها الفلسطينيون في هذا الوقت في العالم العربي . فحركة التحرير تواجهه بديلا ووجهة نظر بارزة تعتبر نفسها واقعية وبراجماتية وتدعو الى تسوية سياسية ، ويدعو هذا الموقف الواقعي (او التشاؤمي) اساسا الى تسوية (في هذا الوضع السياسي والعسكري المحدد) تنفذ « ما يمكن انقاذه » . ولا يستمد هذا الموقف ضرورته من مجرد الضغوط اليومية (والضعف العربي الناتج عن الاحتلال والشقاق العربي والفلسطيني) وانما ايضا ، وبالقدر نفسه ، من الاعتقاد ان القوة (العربية) الممكنة لا تستطيع ان تأتي بأية نتيجة عملية في الوقت الحاضر ، وان خدمة الاهداف النهائية على افضل وجه قد تأتي عن طريق ضمان المصالح الآتية . ان اولئك الذين يدافعون عن هذا الموقف يؤكدون انهم في سعيهم للتسوية السلمية لا يتخلون عن هدف التحرير وانما « يؤجلونه » فقط الى وقت اكثر ملاءمة في المستقبل . ويحاجج هؤلاء بقولهم ان الطريقة الوحيدة الان هي مواجهة العدو ، بسوء نيته ونزغته المزيفة للخير ، والحصول منه على أكبر ما يمكن الحصول عليه دون التعرض لمخاطر قوته (وقوة مؤيديه الاميركيين) التدميرية الساحقة .

ان رد المنادين بالتحرير على هذا الموقف يتلخص بالقول ان ثمن السلم اقل من ثمن الحرب . هم يرفضون التسوية السياسية على انها ليست اكثر من الاستسلام والغاء امكان التحرير الى الابد . انهم يحذرون تبني الاوهام حول المستقبل نظرا للمسافة التي لا يزال يترتب على حركة التحرير السير فيها ، كما يحذرون بالقدر نفسه رفض بديل التحرير على انه في الطرف الحاضر غير عملي او غير واقعي . وعلى الرغم من ان التسوية السياسية ، من وجهة نظر دعاة التحزير ، ربما ستبقى الشكل النهائي لسلم نهائي فان السلام تحت اية ظروف (مثل الظروف الحاضرة) لا يمكن ان يكون مقبولا لانه لا يمكن ان يكون سلاما حقيقيا .

ويرى الذين يرفضون التسوية ويدعون للنضال ان المصالح الآتية والاهداف النهائية لا يتفصلان : ماذا كان التحرير في الوضع الحالي يبدو بعيد النال فان التسوية السياسية تتخلى ليس فقط عن الحقوق الاساسية ولكنها تقضي على ارادة القتال وتؤجل امكان التحرير الى اجل غير مسمى . ومن الواضح ان الموقفين في مضامينهما العملية والسياسية يعبران بالضرورة عن مواقف متناقضة حول السؤال : « ما العمل ؟ » فالمسافة التي تفصل بين الموقفين هي تلك التي تفصل بين مصالحهما المادية . ويبدو هذا التعارض واضحا في الطريقة التي يقيم بها كل من الجانبين التجربة الفيتنامية . فبالنسبة الى الواقعيين نرى ان درس فيتنام هو ذلك الدرس الذي تريد الولايات المتحدة ان تلتقنه الى شعوب العالم الثالث كافة اي الثمن الكبير الذي يتوجب على الشعوب التي تقول بحزب التحرير الشعبية . اما بالنسبة لدعاة الكفاح المسلح فان الدرس المستقى هو ان الشعب الفيتنامي علم العالم ان الشعب المسلح المصمم هو قوة لا تقهر . ان التناقض اذا بين موقف التحرير وموقف « الواقعية » ليس فقط بين المقاومة المستمرة والتسوية السياسية ولكنه يعبر عن تناقض داخلي عميق في قلب بنية المجتمع العربي بكيته .

ان دعاة التحرير ينظرون الى انفسهم بانهم الواقعيون الحقيقيون وذلك من خلال المنظور الذي ينظرون منه على المسألة دون ان توجههم مصالحهم الثابتة في البنية القائمة ، فهم يعتقدون انه من المعقول تماما خلق وعي سياسي كاف في صفوف الجماهير العربية وجعل الكفاح المسلح قضية واقعية . ان المدخل الآلي والسطحي وحده يفصل الكفاح

المنطلق عن النضال السياسي ، اتفق يرون ان النضال السياسي والكفاح المسلح
شكلان ووجهة ، ان النضال السياسي ، منحروا عن الكفاح المسلح ، مستورد بناء على
الاحوال والظروف التاريخية .

وهذه النظرة في التحرير تأخذ في الحسبان مصادر العالم العربي كافة ولا تتعثر عند
بالبنادي الجامعة ، فهي لا تتخلى عن دور الجيوش التقليدية والتدريب التكنولوجي
والمعدات المتقدمة وغيرها في حرب العصابات ، وتعتبر زيادة القدرة العسكرية للجيوش
القائمة عاملا رئيسيا في خوض الحرب الشعبية ، فلا الجيوش النظامية ولا القوات
الفدائية وحدها تستطيع ان تتحمل حربا طويلة ضد عدو غني متقدم تكنولوجيا . وعندما
يرتبط شكلا النضال عضويا فقط تستطيع ان تولد حركة تحرير شعبية حقيقية ، أي
عندما تنضم الجيوش النظامية الى الميليشيا الشعبية وقوات الفدائين يمكن التغلب على
التجزئة والشقاق العربي ويمكن ان تصبح الجبهة العربية الموحدة حقيقة راهنة .
وترتكز مقولة التحرير على الابدأ القائل انه عندما يشمل النضال الشعب بأسره فقط
يمكن تحقيق حق الشعب في الحرية والاستقلال ، ولن يستطيع اي قول بالحق أو العداوة
ان يثبت وحده هذا الحق ابدا . وفي النضال ضد الاستعمار يستطيع عنف المضطهدين
وحده ان يحطم عنف المضطهد . ومن خلال هذا المنظور لا يمكن رؤية طريق قصير الى
التحرير او مهرب من سفك الدماء والدمار الذي تستتبعه حرب التحرير . وفي النضال
ضد الاستعمار الاستيطاني ، مثلما هي الحال في النضال البروليتاري لا بديل للثورة من
الاستيلاء على السلطة التي لا تستسلم بارادتها ابدا . أما التسوية السياسية القائمة
على المساومة والحل الوسط فتؤدي ، مثل جميع الاصلاحات البرجوازية ، الى تعزيز
السيطرة القائمة ونسف ارادة القتال عند الشعب المتحفز الى القتال . وبناء عليه فان
المفهوم التحريري يرفض « العقلانية » المزعومة التي ينادي بها « الواقعيون »
و « البرجمانيون » بأسلوبهم الكبي والحسابي والعملي . وبالنسبة لهذا المفهوم فان
الانسان ، لا التكنولوجيا ولا الآلة ، هو محور التغيير . ان سر القوة الفيتنامية يكمن في
التنظيم الاجتماعي والسياسي الفيتنامي وليس في تقدم فيتنام التكنولوجي (ولقد اظهرت
التجربة الامريكية في فيتنام انه يمكن ان تصبح التكنولوجيا المتقدمة قوة سلبية بكونها قوة
غير عقلانية وغير انسانية ، مدمرة لغيرها ولنفسها في آن واحد) . وفي المجتمعات
النامية (مجتمعات العالم الثالث) فان البنى الاجتماعية والسياسية الموجهة الى هدف
التحرير (لا الى التعايش مع الامبريالية) تستطيع وحدها ان تركز التكنولوجيا لخدمة
الانسان وتحريره . اما عندما تكون التكنولوجيا تحت سيطرة الوضع الراهن فانها
توضع في خدمة هذا الوضع أي في خدمة السيطرة والقمع ، أي في خدمة الامبريالية .

ولا يتعمى الموقف التحريري عن حالة المجتمع العربي الموهنة ، بل على العكس من
ذلك فهو منهنك بتطيل هذه الحالة باستمرار . ولهذه الحالة جوانب كثيرة . فمن
الناحية السياسية لا يزال العرب بعد أكثر من خمس وعشرين سنة من المواجهة يجدون
انفسهم بعيدين عن الوحدة بعدهم عنها عندما نالوا استقلالهم من الاستعمار . ويقتضي
الشقاق والارتباب المتبادل بين الدول العربية على أية امكانية في المستقبل المنظور
للتعاون الجدي أو العمل المنسق بين تلك الدول . ومن الناحية الاجتماعية فان المجتمع
العربي ، بما فيه مجتمعاته القطرية (سورية والعراق ومصر وغيرها) لا يزال يعاني
من نقاط العجز والضعف القديمة الحضارية والسياسية والاقتصادية . ان المجتمع
العربي لا يزال عاجزا عن تجنيد القوة الكافية لتحقيق اول اهدافه الأساسية الاجتماعية
والسياسية .

ان الجانب الاهم في هذا الوضع هو ذلك المتعلق بعماد الطاقة الثورية في المجتمع
العربي أي الجماهير البروليتارية والفئات البرجوازية الصغيرة وخاصة المثقفة منها .

إن الجماهير متصلة في حضارة القرون الوسطى الدينية والثقفون هم أسرى تربية مثالية تجريدية . ومن الناحية الأيديولوجية والتنظيمية فإن المهمة التي يتطلبها التحرير تبدو محيطة وبالضرورة طويلة الأمد . وبذلك نفهم موقف « الواقعيين » ونفاد صبرهم وشكهم بالإمكانات البشرية المتوافرة .

ولا يتمتع الوعي الثوري حتى الآن (وهو شرط من شروط السلوك الثوري) بقاعدة جماهيرية في العالم العربي . وعلى الرغم من أن الجماهير قادرة على الممارسة الثورية عندما يستوعبها النضال الثوري (الجزائر ، عدن ، غزة) فإنها تميل في حالات الاستقرار والانتقال إلى البقاء خاضعة للأيديولوجية السائدة (أي الأيديولوجية الدينية والقومية الحضارية) وبالتالي للتلاعب السهل بها من جانب المسكين بمقاييد السلطة . وهكذا تطرح المسألة نفسها ، من وجهة نظر المنادين بالتحرير ، ليس على أنها غياب الجماهير الثورية موضوعيا وإنما قبل كل شيء على أنها غياب الوعي الثوري داخل الجماهير الثورية .

أما المثقفون البرجوازيون فيعمانون من نوع آخر من العجز الذي يؤدي إلى النتيجة ذاتها . وإن التقديس الأعمى للتعليم خلق في العالم العربي ، كما في المجتمعات المتخلفة الأخرى ، طبقة همها السعي وراء المركز الاجتماعي « اللائق » والرفاهية في العيش . وتسيطر على هذه الطبقة أيديولوجية الحضارة المجردة التي تغفل الإنسان وتتعلمى عن الواقع الاجتماعي . وإن القيم التي يشكل منها المثقفون البرجوازيون الصغار صورتهم الذاتية ونمط حياتهم تعود جذورها إلى حضارة طبقية وثقافية وعرقية ، هي الحضارة الأوروبية والأمريكية . وانتقال هذه الطبقة إلى الوعي الثوري هو تحول صعب ومعقد ويشكل عملية طويلة الأمد .

وإذا كان للموقف التحريري أن يقبل الواقع الاجتماعي والسياسي القائم في العالم العربي طبقا لشروطه فإن معارضة هذا الموقف الواقعي تفقد حينئذ معناها ، وتجدد المقاومة بنفسها خاضعة لمتطلبات الواقعية كما يدركها الحس العام أي خاضعة للتسوية . ولكن من الضروري لمنظور التحرير أن يقدر بالضبط على تجاوز الواقع الحالي والنظر من خلاله وما وراءه إلى الطاقة الثورية الكامنة في أحشائه ، أي أن يقدر على رؤية الوضع القائم لا كمجموعة مجزأة وجامدة من الأحداث والوقائع المتجاورة عرضا ، بل ككل دينامي حي ، وكجزء من عملية تاريخية متطورة . وبهذا المنظور فإن تحليل الواقع العربي لا يتوقف عند ما نراه أمامنا من الانحلال والانحطاط الذي يقدمه هذا الواقع ولكنه يتجاوزه ليرى التناقضات المتصلة فيه والقادرة على تهيئة الظروف والإمكانات للتحول الراديكالي فيه .

إن المفهوم التحريري يفترض التغيير الراديكالي (سياسيا واجتماعيا) كما يفترض هذا التغيير المفهوم التحريري ذاته الذي يرى التغيير الراديكالي عملية دياكتيكية ويراهما يسيران يدا بيد في عملية النضال .

ومن خلال هذه النظرة لم يعد العالم العربي يبدو مجرد مجتمع متخلف ينتظر أن « يطور » بل مجتمعا على عتبة فترة اضطرابات وتغيرات عنيفة . إن الوضع الموضوعي بعيد عن الغائية ويمثل وضعاً مفعماً بالإمكانات .

الأ أن هذا المفهوم لا يضيف على صاحبه أي قدرة تنبؤية بمعزل عن تلك التي تحددها الإرادة الجماعية المؤثرة في الواقع الموضوعي ، إذ أن الواقع المادي للصورة الاجتماعية والسياسية القائمة سيستمر في طرح نفسه في أشكال غير متوقعة . وليس هناك أية ضمانات في أن التناقضات المدركة في الوضع السائد لن تطمس أو تظهر بواسطة القوى الخارجية ، أو أن المستقبل يجب أن يأتي بظروف أكثر ملاءمة للتحرير . وصحيح أن

الخطاثة الثورية الكامنة سوف تتحدد تحديدا ريشيما والسطة والتناقضات المجتمعية المتأصلة في الوضع العربي الزاهن ولكن هذا سيحدث فقط بالطريقة والى الحد الذى تستطيع فيه الإرادة الذاتية ان تسير بهذه التناقضات في اتجاه ثوري . وعلى أنه حال فان يمكن المستحيل التنبؤ بالشكل المعين للتطورات الممكنة . وما يجب التأكيد عليه هو ان التحرير لا يطرح نفسه على انه مجرد هدف يجب ان يتحقق ولكن بالحري كعملية تتكشف في مراحل عبر مدة زمنية . ولذلك نرى هذا الشعار الصائب : ان الذين يناضلون في سبيل التحرير يحررون انفسهم ايضا في عملية التحرير .

وهناك طبعاً خطر ان يحمل هذا التحليل المدافع عن نظرية التحرير على المجازفة في تصعيد التفكير المزاجي في وضع الصياغات النظرية . وبإمكان التجاوز ان يصبح مصلاً لان الواقع هو واقع رعب ويدعو المرء الى التهرب منه . ومن الواضح ان وجهة النظر المنادية بالتحرير (في أشكالها العملية في العالم العربي) لم تنتج حتى الآن تحليلاً منظوماً للوضع - لتركيب أو بنية المجتمع العربي وللقوى التاريخية المحددة والمؤثرة فيه ولا اتجاهاته ونظراته الايديولوجية وللهمم التنظيمية القادمة وما الى ذلك . انها لا تزال على المستوى الاولي لتمثل مفاهيم النقد والتحليل الكلاسيكيين ولتطوير الادوات المفاهيمية الاساسية لهذا التحليل . وان تطوير النظرية الصحيحة يشكل مهمة خطيرة في هذه المرحلة من مراحل تطور الحركة الفلسطينية .

ومن الواضح ايضا ان المسافة التي تفصل بين وعي الفلسطينيين الثوري وبين الوعي الكامن لدى القاعدة الشعبية أي الجماهير العربية هي المسافة ذاتها التي تفصل بين ارادة التحرير وبين الوسيلة الحقيقية لتحقيقه . ولهذا السبب فأتينا عندما نبدأ بالتفكير جدياً بنضال يمتد عشرين وثلاثين وخمسين سنة يصبح البرنامج الثوري حينئذ برنامجاً واقعياً . ولكني اكرر القول : ان الظروف الموضوعية للتطور الثوري موجودة في الواقع الحاضر الآن . وبما ان العوامل « الموضوعية » قد تكون ناضجة فان العوامل الذاتية تصبح مهمة تماماً . وان الفلسطينيين بوعيهم واعمالهم يلعبون الدور « الذاتي » في الاسراع في العملية التي ربما تهافت لها الظروف « الموضوعية » . لهذا لم تعد الازمات تدل على مجرد حالات عدم استقرار عرضية او مؤقتة وانما قد تدل على بداية مرحلة تاريخية جديدة من التغيير البنوي في المجتمع .

وهكذا تبرز أهمية تمييز وتحديد الاتجاهات والميول الملازمة لوضع تاريخي معين فعندما ينفذ ادراك طاقة الحاضر الكامنة الى الوعي (على شكل إمكانات مستقبلية) يؤثر على الحاضر ويصبح قوة تحويلية تصعد وتسارع في الوضع الثوري . وقد يبدو على السطح ان الهدوء قد تمكن استعادته وان الوضع الراهن دائم ، ولكن هذا هو المظهر السطحي لكل نظام مسيطر يستمد وجوده من علاقات القوى الراهنة .

ان التناقضات تنفج أبداً تحت السطح . ويستطيع انتشار الوعي الراديكالي ، الذي اصبح يشكل عملية مستمرة في المجتمع العربي اليوم ، ان ينتهز ظروف الازمات وان يعزز الدفع الثوري . وعندما تحدث تطورات مفاجئة وغير متوقعة داخل البنية القائمة - وطنياً وعلى صعيد المنطقة وبين القوى الكبرى - فقد تنتج عن ذلك ازمات أعمق تتيح المجال أمام تحقيق « قفزات » ثورية تسير بالعملية الثورية الى الامام .

مقدمات ومتطلبات أساسية

وهكذا فانه يتوجب على الفلسطينيين ان يقوموا بدور رئيسي في الثورة العربية الآتية . وان ارادة التحرير راسخة في وعي منبثق من تجربة تاريخية ويؤلف أداة تغيير للتاريخ وبالتالي لهذا الوعي فان الهزائم (والانتصارات) ليست نتائج نهائية ولا يمكن ان تحدد نتيجة النضال من يوم لآخر . فالنصر والهزيمة يؤلفان العملية التي من خلالها قد تؤدي

الهزائم أيضا الى انتصارات . ان ما يقرر النتيجة النهائية هو حصيلة القوى التي تكو وتناضل وتنظم على امتداد سنوات عديدة .

ويتجسد الوعي الثوري في العالم العربي موضوعيا في الفلسطينيين بغض النظر عن حالة « الثورة الفلسطينية » (ذاتية الفلسطينيين) . وطالما ان الفلسطينيين مقتنعون من ارضهم ومحرومون من حقوقهم الانسانية والوطنية (وشرط الا « يذابوا » كشعب) فان هذا الوعي الثوري سيبقى موجودا فيهم كماكانية تنتظر التحقيق لتخلق التناقضات التي تعمق الوعي وتزرع الثورة .

وتكمن فرادة الوضع الفلسطيني في انها قضية عربية شاملة تتخطى الحدود الوطنية الفلسطينية . وعلى العكس من الثورة الجزائرية التي كانت مع كل راديكاليها ثورة وطنية جزائرية تهدف الى استقلال الجزائر وحسب ، فان المقاومة الفلسطينية تنطوي على حركة تتجاوز الحدود الفلسطينية المحضة وتشمل المجتمع العربي بأسره . وهكذا فان ما يبدو في تعبيرها المادي انه وعي فلسطيني بالتحديد يبرز على انه الوعي المشترك لكل الجماهير العربية . وهذه هي الحقيقة التي تجعل امتلاك الفلسطينيين وعيا ثوريا شرطا مسبقا لبروز وعي جماهيري صحيح على النطاق العربي العام . وتتمتع حركة المقاومة الفلسطينية بالطاقة الكامنة لتحويل السياسة العربية والايديولوجية العربية تحويلا راديكاليا لكونها تمثل عملية اجتماعية جذرية . وان دفع شرط هذه العملية الى الامام هو ما يصر عليه زعماء المقاومة : مواجهة عنفية مستمرة مع العدو ، رفض الاستسلام ، ونضال مستمر ومتصاعد .

ومن هذه الناحية فان هناك مقدمات ونقاط انطلاق معينة تحدد نضال الحركة واستراتيجيتها . والمقالات لا تذكر هذه المقدمات والنقاط ذكرا واضحا ، ولذلك لا بد هنا من تحديدها تحديدا واضحا .

ان اول هذه المقدمات وربما اهمها هي التالية : **ان الدولة الاستعمارية الاستيطانية لا اساس لها في الشرعية** . فهي وليدة القوة وبقاؤها رهن ببقاء القوة . وان النظرية الصهيونية ومطالبها لا معنى لها خارج ذاتية الصهيونيين الدينية او النفسية وخارج صفوف مؤيديهم الدينيين والسياسيين . ان الدولة لها وجود تجريبي فقط وليس لها اكثر من الشرعية التجريبية . وفلسطين ارض مفتصبة مثلما كانت الجزائر في الماضي ، واسرائيل تشكل كيانا استعمارا استيطانيا .

اما المقدمة الثانية فهي **ان الدولة الصهيونية ، مثل كل دولة استيطانية اخرى ، تخلق بذاتها حفاري قبرها** . انها تخلقهم خلقا خارجيا على شكل مقاومة مسلحة ، وخلقها داخليا على شكل معارضة اخلاقية وسياسية . وان حركتي المقاومة (الخارجية) والمعارضة (الداخلية) تبرزان منفصلتين ولكنهما قادرتان على التعاون والارتباط فيما بينهما اذا تيسرت الظروف المناسبة .

ويتعتبر الزعماء الصهيونيون اليوم هذه الامكانية بعيدة ، فهم لا يستطيعون ان يروا اي شكل من اشكال التقاهم والارتباط الفلسطيني - اليهودي على مستوى التساوي بين الشعبين . ويرجع ذلك الى عجز الايديولوجية الصهيونية عن رؤية تناقضاتها وعجزها بالتالي عن التغلب على هذه التناقضات . وتجدر الاشارة الى ان الصفة السلطوية للصهيونية (وكل ايديولوجية عنصرية) تحد من رؤيتها (انظر ادناه) وتعيق جوانب حيوية من معرفة الذات - مثلا ، معرفة كيف جاءت اسرائيل الى الوجود ، ومعرفة من هم الفلسطينيون ، الخ . ولكن هذه الجوانب لا يمكن ان تخفى او تطمس الى الابد . ان الستار الذي يخفي الواقع الاستعماري عن ذاته يمزقه انبثاق حركة التحرير والانتقاد الداخلي . فعندما حمل الفلسطينيون السلاح في العام ١٩٦٧ ونظمو انفسهم .

من أجل الكفاح المسلح بدأت برادر الشك بالذات تدخل عقول الأميركيين ، وظهرت الدولة اليهودية للكثيرين أقل طوباوية وأكثر استعمارية في التركيب والانتحاء ، وشبه كثير من اليهود داخل إسرائيل وخارجها - المستوطنون الصهيونيون ، واليهود الصابرا ، ومؤيدو إسرائيل من الصهيوين وغير الصهيوين - بالقلق والخوف ، فقد اضطر هؤلاء اليهود إما إلى تجاهل الحقائق عن وعي أو إلى خنق المشاعر الأخلاقية أو إلى تفسير المعلومات الجديدة تفسيراً تبريرياً . وأصبح الشك بالذات وطمس المشاعر الأخلاقية والتبرير الذهني للشعور بالذنب من أول علامات نضوح التناقضات الداخلية .

والمقدمة الثالثة هي أن الدولة الصهيونية عاجزة عن ادراك مجمل واقعها ، فهي تدرك فقط مظاهر سطحية ومفككة من مظاهر التناقضات الخارجية . وربما كان هذا الفشل متصلاً في العقليّة الاستيطانية ذاتها على الرغم من أساليبها « العلمية » . وهكذا فإن الصهيونية لا تستطيع أن تتصور الأمن بمعزل عن القوة . وهي من حيث المبدأ تزدرى بيئتها الإنسانية « المحلية » وتسعى دائماً لقمعها - يقول الإسرائيليون : « لا يفهم العرب إلا منطق القوة » . أن طبيعة « المعرفة » الصهيونية تجعل الاستنتاج التالي حتمياً : لكي تحوز إسرائيل على الطمأنينة عليها أن تستعد للامن النووي .

وترتكز المقدمة الرابعة على الاعتقاد بأن البنية الصهيونية ليست أبدية وأن تحطيمها ليس في حيز المعقول فقط بل هو أمر حتمي إذا أخذنا بالحسبان الطاقة الكامنة للتحول العربي وأنحلال الاستعماري* . أن التناقض بين الدولة الصهيونية وبيئتها العربية يمكن الإبقاء عليه دون حل باستمرار الشلل العربي (استمرار الشقاق والتخلف الاجتماعي والسياسي) وبتعزيز السيطرة الصهيونية والإمبريالية الجديدة . وأنه من السخف التاريخي أن يستطيع ٢ ٪ من مجموع سكان المنطقة (وأرضها) ، وهي النسبة التي تحتلها إسرائيل في العالم العربي ، أن يمد سيطرته إلى الـ ٩٨ ٪ الأخرى (كما لو سيطرت هونغ كونغ على الصين) حتى ولو بدعم أغنى قوة إمبريالية في العالم . وعندما يظهر هذا السخف كواقع عملي محسوس لا يعود التحرير أمراً تجريدياً بعيداً وإنما مشروعاً عملياً تحتمه البنية التي هو في موقع المعارضة والمقاوم لها .

يمكن تحديد أهداف التحرير من خلال نضال الفلسطينيين فقط . أنه عندما تكتسب الحركة معرفة عدوها تكتسب معرفة ذاتها ، وهي تكتسب معرفة ذاتها في نضالها ضد عدوها . وعملية التحول الراديكالي هي النتاج الحتمي للنضال ، أما اللامبالاة والانتهازية فهما النتاج الحتمي للتخلي عن النضال .

وتؤكد المقدمة الخامسة ما يلي : بقدر ما تشكل الصهيونية نغماً للفلسطينيين فإن التحرير يشكل نغماً للصهيونية . ولا تستطيع التسوية السياسية ضمن الواقع القائم إلا أن تعني تسوية قائمة على « لا واقع » الفلسطينيين أي على تقليصهم إلى اقتلاع دائم ، إلى لاجئين ، إلى تجمع من الأفراد لا دولة لهم ، وبكلمة ، إلى لا شعب . وبناء على ذلك فإن التناقض بين الصهيونية والمطالب الفلسطينية يطرح نفسه بشروط مطلقة . ولا يمكن تحقيق تسوية بين الصهيونية والحركة الفلسطينية إلا بأحد طريقتين : إما بإذابة الشعب الفلسطيني أو بإذابة البنية الصهيونية . والمعادلة هنا هي بين إذابة شعب وإذابة بنية ، وبالتحديد إسقاط قيادة إسرائيل وسياساتها الصهيونيتين وتعرية جهازها الاستعماري

* أن تشويه هذه الجملة أمر سهل بالطبع ، فهي قد تعطي معنى « إبادة الجنس » ولكن « القاء اليهود في البحر » الخ . ولكنه لا يوجد سبيل للتحوّل دون مثل هذا التشويه . لقد اغتصب الصهيونيون بيوت الفلسطينيين وأراضيهم وألقوا بهم في الصحراء ، ولا يزال الأمر يبدو وكأن الصهيونيين هم « الضحية » وهذا النوع من التشويه غير ممكن في مناخ عادي سليم ، وربما لا يكون ذلك كله تزييفاً وأغياً بل نتيجة نوع من اهراب الاضطهاد Paranoia الجماعي .

والغاء اطارها الثيوقراطي والعنصري ، واستبدال كل ذلك ببنية انسانية حرة ديمقراطية .

في العام ١٩٦٥ عرف ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، السياسة الصهيونية (تجاه العرب) بانها تستهدف في النهاية تحقيق اهداف ثلاثة جميعها تشكل اهدافا نفسية اساسا وهي : « . . . خلق (١) شك - وفي نهاية الامر (٢) تسليم و (٣) ياس - حول حلم ازالة اسرائيل من خارطة العالم » . وفي التحليل الاخير فان اهداف المظهد تشكل اهداف المظهد . وهكذا فان الهدف الاول لحركة التحرير هو بالضبط منع الصهيونية واسرائيل من تحويل التفوق (العسكري) القائم الى شرعية (سياسية) . ان اليأس من الحفاظ على التناقض بلا حل وبقوة السلاح ، ذلك التناقض الذي خلقتة الصهيونية الاستعمارية ، يفتح المجال امام البديل ، اي التصالح العربي - اليهودي ، الذي لا يمكن تحقيقه الا من خلال التحرير . وعليه فان تحرير فلسطين لا يمكنه الا ان يكون راديكاليا ، انه الشرط المسبق للتغير النوعي في النضال . ومن السهل التسليم بضمية الحجة القائلة انه بناء على قوة العدو (ودعم الولايات المتحدة له) فان التحرير حلم لا جدوى منه . ولكن التسليم بالحجة المضادة القائلة انه اذا كان المستقبل ليس في صالح الاستعمار الصهيوني والامبريالية الامريكية فانه لا بد من ايجاد بديل للمساومة والتسوية اصعب من ذلك .

وربما لا يكون الوضع ناضجا لبروز حركة تحرير تامة ولكن الظروف ليست جاهزة « للتسوية » ايضا . ان اعطاء الوقت لقوات التحرير قد يقوم به العدو نفسه . وقد يكون الامر انه طالما استمرت الولايات المتحدة في دعمها - وقد تستمر في دعمها الى اجل غير مسمى - وطالما حافظت اسرائيل على تفوقها الذي لا نزاع حوله فمن المحتمل ان تستمر القيادة الصهيونية في تأجيل نوع التسوية الذي تسعى حكومات عربية كثيرة وراءه . وقد يؤدي هذا الى نضوج التناقضات وقد يقدم للفلسطينيين فرصة اخرى للامسك بالمبادرة التاريخية في العالم العربي .

ومع ذلك فان الوضع الحالي يفرض متطلباته الملحة والمباشرة وهذه المتطلبات ليست متعيرة ولا يتوقع ان تنقد اولويتها في المرحلة الحاضرة ولا لزمن قادم .

الامر الاول هو وقف التوسع الاقليمي الصهيوني ووقف استيطان الصهيونيين على اية اراض اضافية في فلسطين وفي الاراضي الغربية . ففي العامين ١٩٤٨ - ١٩٤٩ سقطت مساحات شاسعة من الارض تحت السيطرة اليهودية بسبب نمط المستوطنات الصهيونية التي كانت قائمة في فلسطين في العقدتين السابقتين او العقود الثلاثة السابقة . ولم تكن هذه المستوطنات مجرد ادوات في تأمين مناطق ستراتيجية ولكنها خدمت ايضا كقواعد لإخراج السكان العرب من تلك المناطق . والان يتكرر النمط نفسه في المناطق المحتلة من مرتفعات الجولان الى البحر الميت ، ومن شرم الشيخ الى غزة . وفي حال نشوب حرب في المستقبل فان عملية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ذاتها ستتكرر . وهذه المرة سيغير اللاجئون نهر الاردن قادمين من غزة والضفة الغربية تاركين مناطقهم خالية وقابلة للضم بالامر الواقع . ان التمسك بالارض اذا هو الهدف الاسمي لكل عمل فلسطيني في الحاضر والمستقبل .

اما الامر الثاني فهو تجذير السكان الفلسطينيين في الارض الفلسطينية سواء في اسرائيل العام ١٩٤٨ ام في الضفة الغربية المحتلة ام في قطاع غزة . ولا بد من ايجاد الوسائل لوقف خروج الفلسطينيين من ارضهم بارادتهم او بالاغراء . وفي النهاية سيستطيع اصحاب الارض الشرعيين التمسك بحقهم الوطنية في فلسطين وذلك فقط برفضهم « مغادرة » ارضهم و« الاختفاء » عنها . ان اكثر من نصف الفلسطينيين يعيش الآن في

طل الحكم الإسرائيلي ، وهؤلاء يتشكلون القاعدة الرئيسية في النضال من أجل التحرير .
والامر الثالث هو اعاقه الهجرة اليهودية على نطاق واسع الى اسرائيل . وان التوسعية
الصهيونية ليست مجرد عملية عسكرية ، انها بصورة رئيسية عملية استيطان . فبدون
الهجرة اليهودية على نطاق واسع لا تستطيع الصهيونية تحقيق اهدافها السياسية
والاقتصادية . وطالما ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل على نطاق واسع لا تتم (من
الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على وجه الخصوص) ، وطالما ان الهجرة المضادة
الضئيلة من اسرائيل تستمر — فان الصهيونيين لن ينجحوا ابدا في ان يصبحوا قوة ذات
شأن في الشرق الاوسط وسيفشلون في زرع انفسهم في المنطقة بصورة دائمة . وهذا
الامر ضروري لستراتيجية النضال قصيرة وطويلة الأمد .

الامر الرابع هو الحفاظ على المقاومة الفلسطينية حية وناشطة . ان العنف المنظم
للفلسطينيين المضطهدين هو القادر بصورة رئيسية على تحقيق الامور المذكورة اعلاه
وعلى خلق حركة تحرير ناجحة ونامية . وان الكفاح المسلح هو شرط تنظيم الشعب
وللقيام بالنضال السياسي والحفاظ على نيران التحرير ملتهبة . وفي التحليل الأخير ، ان
الكفاح المسلح وحده يستطيع ان يمنع الحقيقة الثابتة للعدوان الصهيوني من ان تصبح
واقعا مسلما به . ان مصير الاجيال القادمة من الفلسطينيين (وغيرهم من العرب) ،
سواء كانوا سيعيشون احرارا مستقلين أم خاضعين للاستعمار الجديد ، قد يعتمد على
ما اذا كانت المقاومة الفلسطينية ستتطور بطريقة تجعل من الممكن بروز حركة تحرير
قادرة على تعبئة الجماهير مادة الثورة وعلى تحقيق اهدافها الاجتماعية والسياسية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

كتاب

الصهيونية واسرائيل وآسيا

تأليف ج. ه. جانسن

ترجمة راشد حميد

يرتكز الكتاب على قراءات مكثفة في الايديولوجيا الصهيونية وعلى مسح للمعلقات الاسرائيلية بالدول
غير العربية في آسيا ، وبذلك جاء مثرا للتساؤلات العميقة ومقدما مادة اساسية للمهتمين بالصهيونية
وبمعلقات اسرائيل مع العالم الثالث .

٢٤٩ صفحة

من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية

تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

في القدس (٤) . فقد صدر اثناء الحملة الانتخابية الاولى في فلوريدا بيان عن مركز الحملة الرئيسي للسيناتور مسكي (عن ولاية مين) يحثه بقوله : « فائز يفاضل من اجل قضيه فائزه هي امن اسرائيل » (٥) . ونشر العاملون في حملة همفري الانتخابية اعلانا في صفحتين في صحيفة « جويش فلوريدين » الاسبوعية يتساءل : « اي مرشح ديمقراطي افضل صديق لاسرائيل ؟ » (٦) ثم يجيب ان السيناتور هيوبرت همفري هو المرشح الوحيد الذي يدعم مطالب اسرائيل بالجزء العربي من القدس . ورد العاملون مع جاكسون باعلان مؤلف من صفحتين وفي الصحيفة نفسها ايضا مؤكدين « ان احدا لم يعمل اكثر من السيناتور م . جاكسون في سبيل مساعدة اسرائيل » (٧) . وفي سبيل الحصول على الاصوات اليهودية الكثيرة في فيلادلفيه اثناء الانتخابات الاولى في بنسلفانيا قال السيناتور همفري « انني سأذهب الى اسرائيل » . وذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » انه بسبب عدد السكان اليهود الكبير قال الزعماء اليهود لهمفري انه يجب عليه « تجديد اوراق اعتماده » اذا كان يتوقع تأييد اليهود له في الانتخابات . وبناء على ذلك اصدر السيناتور همفري بيانا يقول ان الولايات المتحدة قد رفضت الاعتراف بالقدس يهودية وان الرئيس نيكسون « لم يجد الوقت أبدا لزيارة أكثر اصدقائنا ولاء في الشرق الاوسط ، ومهما يكون دوري في الحياة الاميركية العامة في العام القادم فائني سأقوم برحلة الى القدس للمشاركة في احتفالات الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لقيام اسرائيل » (٨) .

وحتى السيناتور مكغفرن ، اكثر المرشحين اعتدالا ، تخلى عن اعتداله السابق حول الشرق الاوسط « لان الذي يدعم اسرائيل باندفاع شديد يجلب الاصوات اليهودية » (٩) . ولقد توج مكغفرن رأسه بقلنسوة الصلاة في كنيس وادي سان فرناندو حيث دعا ادارة نيكسون الى الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل « والى نقل سفارتنا الى هناك » (١٠) . وقال مكغفرن أيضا انه يجب على الولايات المتحدة ان « تزود اسرائيل بالطائرات المتقدمة وغيرها من المعدات التي تحول دون الهجوم عليها . وتسليم هذه الاسلحة ... يجب الا يشترط موافقة اسرائيل على المطالب الدبلوماسية الاميركية بل يجب ان يكون التزاما مستمرا يقوم على اساس المتطلبات العسكرية فقط » (١١) . أما جورج لاردنر الابن فقد قال بصراحة في صحيفة واشنطن بوست : « ولكن هنا في كاليفورنيه ... كان مكغفرن يلعب اللعبة القديمة ذاتها ، كان ينشد أناشيد المديح للجميع من النبي ابراهيم الى موشيه دايان » (١٢) . وثناء الانتخابات الاولى في نيويورك طبع رجال مكغفرن ثلاثة ملايين نشرة تصفه بأنه « مدافع قوي عن اسرائيل » (١٣) . ونقلت إحدى النشرات عن مكغفرن قوله انه سيبيع طائرات الفانتوم النفاثة الى اسرائيل ويسلمها تلك الطائرات في غضون اسبوع بعد تسلمه مهامه رسميا . وقالت النشرة أيضا انه يدعم ضم اسرائيل بمدينة القدس اليها (١٤) . وتم ذلك لمواجهة مزاعم رجال همفري ، ان مكغفرن « ضعيف » في موقفه من اسرائيل ولواجهة ما قاله مانفرد أهرنشتاين ، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية نيويورك ، ان « اصوات جزء من المؤسسة الصهيونية في هذا البلد ... سيتحدد على ضوء ما يعتقدون ان نيكسون فعله من أجل اسرائيل ، ويعتقدون انه فعل الكثير في هذا السبيل . فهم متجهون نحو مسألة واحدة تشكل كل ما يستطيعون رؤيته . ولذلك فهم يشعرون أنهم ملزمون وسيفون هذا الالتزام » (١٥) .

وهكذا لعب الزعماء السياسيون اليهود أدوارا بارزة شملت امورا واضحة جدا في حملة مكغفرن الانتخابية الناجحة للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي له ضد ريتشارد نيكسون لانتخابات الرئاسة في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ . ولقد رشح السيناتور ابراهام ريببوكوف ، حاكم ولاية كونكتيكت السابق ، صديقه القديم والطيب ، مكغفرن في مؤتمر الحزب حيث أقيمت ثمانى عشرة خطبة امام ٣٠١٦ مندوبا بينهم ٣٠٠ يهودي ترشح ستة اشخاص . ولم يشر أي من الخطباء عدا ريببوكوف وحده الى اسرائيل بقوله

ان « دور (مكغفرن) القيادي في انهاء مأساة فينتام لم يقلل من غزوة على حماية المصالح الحقيقية للولايات المتحدة في اوروبه وعلى بقاء اسرائيل في الشرق الاوسط» (١٦). وبعد ان انتصر مكغفرن في الاقتراع الاول أعلن ريبكوف وماندل عضوين في الوفد الرسمي للحزب الذي سيبلغ مكغفرن رسميا نوابا ترشيحه . وتصدر الاشارة هنا الى ان ماندل هو احد ثلاثة حكام من اليهود جميعهم في الحزب الديمقراطي ، أما الاخران فهما ملتون شاب ، حاكم ولاية بنسلفانياه ، وفرانك ليشنت ، حاكم ولاية رود ايلاند . وكان ليشنت رئيس وفد ولايته الذي اقترح اعضاؤه الاثنان والثلاثون الى جانب مكغفرن . ورئيس ماندل ايضا شخصيا وفد ماريلاند الا ان هذا الوفد لم ينجح في الاقتراع بأغلبية اعضائه الى جانب مكغفرن الذي حصل على ١٣ صوتا فقط في حين صوت ثمانية وثلاثون الى جانب جورج ولاس ، حاكم ولاية الابامه .

وبرز نفوذ اليهود الاميركيين في الحزب الديمقراطي في ذلك البند من البرنامج السياسي المتعلق باسرائيل الذي نص على انه : « يجب على الولايات المتحدة ان تلتزم التزاما تاما بدعم اسرائيل في حقها في الوجود ضمن حدود آمنة يمكن الدفاع عنها . ويجب على الادارة الديمقراطية القادمة ان تعلن تنفيذ التزاما ثابتا وعلنيا طويل الامد بتزويد اسرائيل بالطائرات وغيرها من المعدات العسكرية بكميات وانواع متقدمة حسب حاجتها من اجل الحفاظ على قوتها الرادعة في وجه تكديس الاسلحة السوفياتية والتهديدات العربية لتجديد الحرب ، وان تسعى الى جمع الطرفين في مفاوضات مباشرة في سبيل حل سياسي دائم . . . وان تحافظ على التزام سياسي وقوة عسكرية كبيرة في اوروبه وفي البحر الابيض المتوسط بحيث تردع الاتحاد السوفياتي عن ممارسة ضغط لا يطاق على اسرائيل . وان تعترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل وان تدعم الوضع القائم فيها بحيث تتاح حرية الوصول الى الاماكن المقدسة للاديان كافة» (١٧).

ان اليهود الاميركيين هم « من الممولين الرئيسيين للحزاب السياسية ، وخاصة للديمقراطيين ، تماما مثلها هم الممولون الرئيسيون لاسرائيل نفسها » (١٨). ويعتمد رجال السياسة الاميركيون أكثر فأكثر على مبالغ كبيرة من المال في حملاتهم الانتخابية . وهذا ما عبر عنه السيناتور مسكي بايجاز عندما انسحب من الانتخابات الاولية : « ليس لدينا المال . . . ببساطة لا يمكن خوضها (الانتخابات) بدون المال» (١٩). وهكذا فإن المرشحين للرئاسة مديونون بازدياد لاولئك المتبرعين اليهود الذين يستطيعون تزويدهم بالمال . « فمع ازدياد تكاليف خوض الحملات يزداد نفوذ الدولار» (٢٠). ان قلب الحزب الديمقراطي المالي هو الاستثمار اليهودي الذي يقوم به اصحاب البنوك اليهود في « وول ستريت » . وتصدر الاشارة هنا الى مجموعتين اثنتين تسيطران على وول ستريت هما الـ WASPS (اميركيون من نيو انغلند) واليهود .

ومن المستثمرين اليهود اصحاب البنوك : ليمان اخوان ، وغولدمان ، وساكس وشركاه ، وكوهن ، ولواب وشركاه ، ولازارد اخوان ، وكارل م . لؤاب ورودرس (Rhoades) . هذا وان الأشخاص الذين يديرون هذه المؤسسات تربطهم بصورة وثيقة صلات عائلية وتجارية تعود الى زمن وصول الافراد الاول من عائلاتهم الى الولايات المتحدة . وعلى سبيل المثال فان اقارب ليمان وحدهم يجمعون معظم البيوت اليهودية من اصحاب البنوك في عائلة واحدة كبيرة . وهكذا نجد ان جون ل . لؤاب (من كارل م . لؤاب ورودرس) وبنيمين بطنفيزر (احد كبار الشركاء في كوهن ولؤاب) متزوجين امرأتين من عائلة ليمان . وآرثر التشووتل (من غولدمان وساكس) تربطه قرابة وثيقة بليمان . وهناك امثلة كثيرة أخرى . فكوهن متزوج من لؤاب وشيفس (من كوهن ولؤاب) متزوج من عائلة ووريورغ (من كوهن ولؤاب) .

ان شركاء كثيرين وموظفين عديدين في المصارف اليهودية يعملون مدراء في شركات كثيرة وهذا يعني انهم يسيطرون دورا بارزا على الرغم من انهم لا يسيطرون بالضرورة على المصالح المالية . وعلى سبيل المثال فان لازارد اخوان وشركاه وصفت بانها من اقوى البيوت المالية في وول ستريت . ويسيطر على هذه الشركة اندريه ماير البالغ الثالثة والسبعين من العمر « واحد اقوى الرجال في وول ستريت والذي يشكل بذلك قوة رئيسية في الدوائر المالية الدولية » (٢١) . وجدير بالذكر ان السجلات الراهنة تشير الى ان شركاء لازارد يعملون حاليا كمدراء لاكثر من ستين شركة ، حوالي نصفها من الشركات العامة الكبيرة (٢٢) . ولا بد لنا ان نذكر ان صلة ماير بال كندي وثيقة ، فهو يقدم لهم المشورة حول المسائل المالية وبالإضافة الى ذلك يعتبر ماير ان الرئيس الاميركي السابق ليندون جونسون ودافيد روكفلر (تشيزمانهاتن بنك) من اصدقائه . وهناك اصدقاء متنفذين آخرون لماير في الولايات المتحدة منهم يعقوب جافيتس وشارل بيرسي وادوارد كندي ، اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وهنري فولر ودوغلاس ديلون ، وزيراً المالية السابقان في الولايات المتحدة .

« ومع ذلك فانه لا حاجة بنا الى القول ان رجال الاعمال اليهود وليس الاميون هم الذين يتزعمون الدعم المالي للحزب الديمقراطي في وول ستريت بالإضافة الى تقديمهم عددا من الخدمات واسباب الراحة الى المرشحين والمسؤولين في الحزب . وهناك عدة عائلات في هذه المجموعة تقدم للحزب بعض اكبر المتبرعين له والذين يجمعون الاموال في سبيله . وفي العام ١٩٦٤ ، على سبيل المثال ، قدم العديد من آل لحمان ما مجموعه ٣٧٠٠٠٠ دولار للمرشحين الديمقراطيين . و قدم اندريه ماير وحده ٣٥٠٠٠٠ دولار . وفي العام ١٩٦٨ تقدم جون ل. لؤاب واقاربه وشركاؤه مبلغ ٩٠٠٠٠٠ دولار ، كما سلفهم لؤاب شخصيا مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دولار آخر » (٢٣) . ومن كبار المتبرعين للحزب الديمقراطي في منطقة نيويورك ، ماري لاسكر ، ارملة البرت لاسكر الذي اثرى ثراء فاحشا من جراء عمله في الاعلانات (٢٤) . ويقوم بجمع الاموال للحزب الديمقراطي بصورة رئيسية في نيويورك اشخاص آخرون مثل آرثر كريم ، وروبرت بنيامين ، وارنولد بيكر (عن الفنانين المتحدنين) وهوارد شتاين (من شركات درايفوس) . ووردت معظم اموال الحزب الديمقراطي في نيوجيرسي في السنوات الاخيرة من ليون هس (اميرادا — هس بتروليوم) والراحل شارل انغلهارد (صناعات انغلهارد) (٢٥) .

وكان البرت م. غرينفيلد ، لعقود خلت ، ابرز الذين يجمعون المال في بنسلفانيا . اما الان فان غرينفيلد ميت . الا ان مهمة جمع الاموال قد تقع على كاهل غوستاف امستردام (Greenfield's Bankers Securities Corp.) . وسيقوم بمساعدة امستردام يهود بارزون آخرون مثل فريدريك مان (رئيس Industrial Container Corp.) وفيليب بيرمان (رئيس Hess Department Store) وآرون غولدمان (Macke Vending Company) (٢٦) . ونستطيع ان نتبين بجلاء دور رجال الاعمال اليهود في تمويل الحزب الديمقراطي في شيكاغو من خلال حقيقة ان « ٢٩ من أصل نحو الـ ١٢٠ رجلا الذين أعطوا ١٠٠٠ دولار أو أكثر الى « نادي الرئيس جونسون » في العام ١٩٦٤ كانوا اعضاء في « ستاندرد كلب » الذي تقتصر عضويته على اليهود فقط الى حد بعيد . وأمكن التعرف على ١٠ اشخاص فقط كأعضاء في « نادي شيكاغو » الذي يعتبر معقل الاثرياء من غير اليهود في هذه المدينة » (٢٧) . وفي كاليفورنيا نجد ان ابرز جامعي الاموال والمتبرعين هم ، بشكل رئيسي ، من اثرياء رجال الاعمال اليهود بمن فيهم صاحب العقارات بن سويغ وولتر شورنشتاين وصديقيهما وزميلهما في التجارة ادولف شومان الذي يرأس شركة لصناعة الالبسة . اما الذين يجمعون المال في لوس انجيليس فمعظمهم من اعضاء Hillcrest Country Club وهو اكثر الاندية

اليهودية في المدينة اقتصارا على اليهود . ويضم هذا النادي رجل المال مارك تير ، والمحامي يوجين وايمان ، وجو شابين ولورنس هارفي . ومن المتبرعين السياسيين البارزين الآخرين بوليس زيغرن وجون فاكتور ومايلز روبين وماكس بالفسكي . هذا ويقدر ان ٦٠ - ٩٠٪ من الاموال التي تجمع في كاليفورنيا تأتي من اليهود (٢٨) . ومدينة نيو اورلينز هي المدينة الجنوبية الكبيرة الوحيدة التي يسيطر فيها اليهود على الناحية المالية في الحزب الديمقراطي ، ومنهم عائلة شتيرن التي تملك جزءا كبيرا من شركة سيرز وروبك ، ورجل الاستثمار المصرفي هيرمان كوهلمايير (كوهلمايير وشركاه) والمحامي ستيفن ليان وتاجر القهوة سام اسرائيل (٢٩) .

ولقد لعب اليهود الامريكويون دورا محوريا في تمويل حملة السيناتور همفري لانتخابات الرئاسة في العام ١٩٦٨ . ووفقا لما تقوله Citizens Research Foundation فقد تلقى همفري المبالغ التالية بالدولار : (٣٠)

جون فاكور وزوجه ١٠٠٠٠٠٠ ، السيدة البرت لاسكر ٦٠٠٠٠٠٠ ، جاك درايفوس وزوجه ٦٣٤٠٠٠٠ ، نورمان كزنز ٥٥٦٠٠٠٠ ، ليو فاسرمان وزوجه ٥٤٤٠٠٠٠ ، هاري برانت وزوجه ٤٥٤٠٠٠٠ ، فريدريك ر. مان ٣٠٠٠٠٠٠ . وقدم جون فاكور ٢٤٠٠٠٠٠ دولار اضافية على شكل قروض . وجدير بالذكر هنا ان جون فاكور هذا ، وهو من رجال التأمين في ولاية كاليفورنيا اعفي في العام ١٩٦٢ بواسطة الرئيس جون كينيدي من تهمة التحايل (عن طريق الرسائل) التي ادين بها في العام ١٩٤٣ . وسلف ليو فاسرمان ، رئيس «شركة الموسيقى» في اميركة ، لهمفري مبلغ ٢٤٠٠٠٠٠ دولار في العام ١٩٦٨ (٣١) .

اما الرجل الذي قام بجمع معظم الاموال من اجل حملة همفري في العام ١٩٦٨ و ١٩٧٢ فهو يوجين وايمان الذي يدير مكتبا يضم ٦٠ موظفا في لوس انجليس . واحد العوامل الاساسية في نجاح وايمان كرجل مال سياسي كونه يعمل في بفرلي هيلز بالغة الفنى والمأهولة باليهود بصورة كثيفة . وهناك عامل آخر هو اتصالاته مع اغنياء اليهود الامريكويين عبر «سندات اسرائيل» . ويضم مكتب وايمان صورة له مع غولدا مئير عندما اجتمعت به للاعراب عن امتنانها له بسبب الدور الذي لعبه في بيع ما قيمته ٢١ مليون دولارا من السندات الاسرائيلية (٣٢) . ويعود دعم اليهود الامريكويين المالي لهمفري الى دعمه الاعمى لاسرائيل . فقد قال وايمان « ان هيوبرت همفري هو افضل بائع سندات اسرائيلية في البلاد » (٣٣) .

وفي ما يلي قائمة بأسماء المتبرعين اليهود الرئيسيين لحملة همفري الانتخابية في العام ١٩٧٢ : (٣٤)

اسم المتبرع	المهات	القروض
آرثر كوهين	١٠٠٠٠٠ دولار	
جوزف كول	٤٥٦٠٠٠٠ دولار	٣٢٥٦٠٠٠٠ دولار
جون فاكور	٦٠٠٠٠٠ دولار	
ميلتون فلبرت	١٠٠٠٠٠ دولار	
ستانلي غولتبلم	٢٥٦٠٠٠٠ دولار	
ايرفنج كاهن	٧٥٦٠٠٠٠ دولار	
ايرفنج كوسلوف	١٠٠٠٠٠٠ دولار	
ماكس كامبلان	٥٦٠٠٠٠ دولار	
يوجين كلاين	٦٦٠٠٠٠ دولار	٥٠٦٠٠٠٠ دولار
فيليب كلاتسنينك	٥٦٠٠٠٠ دولار	
جون لؤاب وزوجه	٥٠٦٠٠٠٠ دولار	

أرشيف التبرعات

١٢٦٥٠٠ دولار	أ. ت. ب. بوليسكي
٥٤٠٠٠ دولار	لورنس روزنتال
١١٦٠٠٠ دولار	مشلم ريكليس
١٥٠٠٠ دولار	مارفن روزنبرغ
١٥٦٠٠٠ دولار	صموئيل روثيرغ
٣٨٦٠٠٠ دولار	دانيال شوارتس
٢٥٦٠٠٠ دولار	والتر شورينشتاين
٥٤٠٠٠ دولار	روبرت كوغود
٢٧٤٠٠٠ دولار	يوجين وايمان
١٢٦٥٠٠ دولار	غلبرت لحمان
١٥٠٠٠ دولار	
٥٠٠٠٠ دولار	
٥٠٠٠٠ دولار	

نلاحظ ان القائمة تضم أسماء الذين يتبرعون بمبلغ ٥٠٠٠ دولار فما فوق فقط . وهناك عدد كبير من المتبرعين اليهود الذين قدموا أقل من خمسة آلاف دولار . ومن بين الذين تبرعوا للمفري عدد من الناس الذين تربطهم صلات وثيقة بإسرائيل ، وهؤلاء هم : لويس بويار ، زعيم منظمة السندات اليهودية « والرفيق الدائم لغولدا مئر رئيسة الوزراء الاسرائيلية » (٢٥) . ومشلم ريكليس ، الرئيس المساعد للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك . وجوزف كول مدير PEC Israel Corporation التي تملك اجزاء رئيسية من شركات إسرائيل مثل كرمل واينز المحدودة ، وايحود للتأمين ، ودهانات تامبور . وهناك أيضا صموئيل روتبرغ المدير العام لمنظمة السندات الاسرائيلية ، وروبرت كوغود عضو لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية التي تعمل في الكونغرس من أجل كسب التأييد لاسرائيل .

اما اللائحة التالية فتقدم جزءا من أسماء المتبرعين اليهود الذين قدموا لحملة مسكي خمسة آلاف دولار أو أكثر :

المتبرعون اليهود الرئيسيون لحملة مسكي

الاسم	المكان	المبلغ
اليكس ابراهام	نيويورك	٥٤٠٠٠ دولار
جو البرسون	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٢٦٥٠٠ دولار
اليكس جان بنيمين	نيويورك	١٨٠٧٥٠ دولار
سليمان بيكر	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٠٤٠٠٠ دولار
ايرفنج بلم	بلمتور ، ماريلاند	٦٤٠٠٠ دولار
ب. جيرالد كانتور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥٤٠٠٠ دولار
نورمان كرتز	نيويورك	١٥٤٠٠٠ دولار
سيدني فاكور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥٤٥٠٠ دولار
جوزف ملنر وأولاده	نيويورك	٣٢٤٠٠٠ دولار
ادوار غنزبرغ	كليفلاند	٥٤٠٠٠ دولار
بيلي غولدبرغ	هوستن ، تكساس	١٠٤٠٠٠ دولار
برام غولد سميث وزوجه	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥٤٥٠٠ دولار
تشارلز غولدشتاين	ميامي ، فلوريدا	٥٤٠٠٠ دولار
ستانلي غولدشتاين	بروفيدنس ، رود ايلاند	٥٤٠٠٠ دولار
سانفور غرينبيرغ وزوجه	واشنطن العاصمة	٥٤٠٠٠ دولار
مالكوم هشت الابن	ووترتاون ، ماساتشوستس	٥٤٠٠٠ دولار

٦٤٠٠٠ دولار	بلتمور ، ماريلاند	جيرالد هومبيرغر
٥٤٠٠٠ دولار	باريس	دافيد كار
٥٤٠٠٠ دولار	شيكاغو ، إلينوي	هوارد كوفين
١٠٤٠٠٠ دولار	واشنطن العاصمة	دافيد كريغر
١٦٤٠٠٠ دولار	نيويورك	فريدريك وبولا ديتس مورغان
٣٢٤٠٠٠ دولار	شيكاغو ، إلينوي	هارولد بيرلمان
٣٩٤٨٩٣ دولارا	غولديتس ، فلوريدا	ارنولد بيكر وزوجه
٥٤٠٠٠ دولار	نيويورك	ليونيل بينكس
١١٤٢٥٠ دولارا	كونكتيكت	السيدة رالف بومرنوس
١٠٤٠٠٠ دولار	فيلادلفيا	ادوار بيسزيك
٥٤٠٠٠ دولار	بوسطن	سومنز رdstون
٥٤٢٣٣ دولارا	نيويورك	ارنولد سولتسمان
٥٤٠٠٠ دولار	سان فرانسيسكو ، كاليفورنيا	ولتر شورينشتاين
٧٤٥٠٠ دولار	بقرلي هلز ، كاليفورنيا	فيليب شايנדلينغ
٥٤٠٠٠ دولار	واشنطن العاصمة	تشارلز سميث
٥٤٠٠٠ دولار	نيويورك	أ. ستينبرغ
١٠٤٠٠٠٠ دولار	شيكاغو ، إلينوي	سيدني شتاين الابن
٥٤٠٠٠ دولار	بقرلي هلز ، كاليفورنيا	السيدة ليونارد سبري
١٢٤٠٠٠ دولار	لوس انجليس	جوزف سيناي
٥٤٠٠٠ دولار	نيويورك	لورنس تيش
٥٤٠٠٠ دولار	نيويورك	برستون تيش
٥٤٠٠٠ دولار	ماليبو ، كاليفورنيا	بول زيغرن
١١٤٠٠٠ دولار	نيويورك	جاي وسليغ زيسيس
٧٤٩٧٨ دولارا	نيوتون ، ماساشوستس	الفين زيسيس

المصدر : واشنطن بوست ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ - ص ١ - ١٠

نيويورك تايمز ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ٢٦ .

يظهر أن أكثر المتبرعين سخاء هم من عائلة ارنولد بيكر الذي يشغل منصب رئيس اللجنة التنفيذية لشركة الفنانين المتحددين ، ويلعب بيكر هذا دورا رئيسيا في جمع الاموال لمسكي . ولقد بلغ مجموع ما قدمته عائلة بيكر ٥٣٤٨٩٣ دولارا (٣٦) . وأعلن مسكي أيضا عن تلقيه مبالغ اضافية هامة من اليهود الاميركيين في شركة الفنانين المتحددين وغيرها من الشركات العاملة في صناعة السينما . وتشمل التبرعات التي تقدمها شركة الفنانين المتحددين (بالاضافة الى مبلغ الـ ٥٣٤٨٩٣ دولارا) ١٢٥٠ دولارا من دافيد بيكر (رئيس الفنانين المتحددين) و ١٠٠٠ دولار من آرثر كريم (رئيس مجلس ادارة الشركة) و ٢٠٠٠ دولار من روبرت سن . بنيمين (الرئيس المشارك للمجلس) و ١٨٧٥٠ دولارا من السيدة بنيمين و ٥٠٠ دولار من اريك ر . بلسكو و ١٠٠ دولار من فرد غولديبرغ (وكلاهما نائب للرئيس) . ومجموع ما تقدمه الشركة هو ٧٧٤٤٤٣ دولارا (٣٧) . أما الذين يجمعون المال لمسكي في كاليفورنيا فمنهم بول زيغرن الذي قدم مبلغ ٥٠٠٠ دولار وجو سبتاي الذي تبرع بمبلغ ١٢٤٠٠٠ دولار ، وكلاهما مؤيد قوي لاسرائيل . وهناك هبات أخرى تأتي من صناعة السينما اذ قدم في شركة (Loew) كل من لورنس تيش (الدير) وبرستون ر . تيش (الرئيس) مبلغ ٥٠٠٠ دولار . وقدم مايكل رdstون ، مدير شركة مسرح نورث ايست ٥٠٠٠ دولار كما قدم ابنه سومنز (رئيس الشركة) مبلغا مماثلا ، وبالإضافة

التي ذلك دفع ادوار رينستون ، تفتيح سومير ، مبلغ ١٥٠٠ دولار (١٨) . ولقد خرج نورمان كزير ، المحرر السابق في مجلة « مساترداي ريفيو » ، بمبلغ ١٥٠٠٠ دولار الحملة مسكي . وتبرع فريدريك مورغان (المحرر في مجلة « هدسون ريفيو » وعضو هيئة التدريس في جامعة برنستون) وزوجه بمبلغ ١٦٠٠٠ دولار . ومن المتبرعين اليهود الآخرين المعروفين ليونيل بنكس الذي تبرع بمبلغ ٥٠٠٠ دولار والسيدة رالف بومرونس التي قدمت مبلغ ١١٢٥٠ دولارا . وقام هارولد بيرلمان (من رجال الاعمال اليهود في ويليامت في ولاية ايلينوي) بتقديم مبلغ ٣٢٠٠٠ دولار . وقبل انسحاب مسكي من حملة الانتخابات الاولية قال بيرلمان لمسكي انه « مستعد لتخصيص ١٠٠٠٠٠ دولار . . . لهدف مساعدته في أن يترشح وينتخب » (٢٩) . وجدير بالذكر ان بيرلمان من اكبر اصحاب الاسهم في شركة وستنغهاوس (اذ يملك ١٦٥٠٠٠ سهم) التي تعمل في اسرائيل . وشملت لائحة المتبرعين لمسكي يهودا بارزين من العاملين بنشاط من اجل اسرائيل . لورنس تيش (المدير المشارك للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك) ودافيد كريغز (في لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية) وتشارلز سميث (من اللجنة نفسها) وايرفنج بلم (الذي رئس اللجنة التي طورت معهد المعيشة اليهودية التابع لمجلس الاتحادات اليهودية) وادوار غينزبيرغ (رئيس لجنة التوزيع المشترك في كليفلاند) وجيرولد س . هوفبرغر (من لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية) وكبار المسؤولين في وكالة البرق اليهودية . وهناك آخرون ايضا مثل السيدة ليونارد سبري (رئيس مجلس « أنظمة المعلومات العلمية » Scientific (XEROX) Data Systems التي لها فرع اضافي في اسرائيل) وروبرت بنيمين (رئيس اللجنة التنفيذية في المؤسسة الثقافية الامريكية الاسرائيلية وعضو مجلس أمنائها) . وهناك أخيرا جوزف فلتر واولاده الذين قدموا ٣٢٠٠٠ دولار . وفلتر هو احد الذين يجمعون الاموال للنداء اليهودي الموحد .

هذا ويلعب اليهود الامريكيون دورا هاما في تمويل حملة السيناتور مكغفرن لانتخابات الرئاسة ضد ريتشارد نيكسون . واحد اكبر مهولي مكغفرن هو ماكس بالفسكي الذي يقول انه اعطى الى مكغفرن ٣٥٠٠٠٠ دولار على شكل منح وقروض قبل انعقاد المؤتمر الديمقراطي (٤٠) . وبالفسكي هو اكبر اصحاب الاسهم في XEROX بالإضافة الى انه رئيس مجلس ادارة « أنظمة المعلومات العلمية المحدودة في اسرائيل » . اما ثاني اكبر المهولين لحملة مكغفرن فهو مايلز روبين ، احد رجال الصناعة في لوس انجليس ، الذي قدم حتى الان ٨٦٠٠٠ دولار (٤١) على شكل هبات و ٨٥٠٠٠ دولار (٤٢) على شكل قروض . ويشكل المرتبة الثالثة هنري كيلمان الذي يتولى توزيع المستوردات الرئيسية في فيرجن آيلاندز وصاحب فندق هيلتون في المنطقة ذاتها بالإضافة الى انه يرئس اللجنة المالية القومية التابعة لمكغفرن . وقد قدم هو نفسه هبات بقيمة تفوق ٥٩٠٠٠ دولار وقروضا بقيمة ١٠٠٠٠٠ دولار (٤٣) . وقد قام كيلمان بتنظيم جماعة من المتبرعين لجمع الاموال لمكغفرن وذلك تحت اسم Woonsocket Club تيما ببلدة صغيرة في ولاية داكوتة الجنوبية امضى فيها مكغفرن دراسته الثانوية . وفي سبيل الاشتراك في عضوية هذا النادي يجب ان يدفع المتبرع مبلغ ٢٥٠٠٠ دولار على الاقل . وبين أعضاء هذه الجماعة يهود بارزون منهم ماكس بالفسكي وروبرت مغرهورف وابنر ليفاين وهارولد ويلنز والمثلة شيرلي مكين . ويقول كيلمان انه سيجمع من خمسة الى عشرة ملايين دولار لحملة الخريف وثلاثين الى خمسة وثلاثين مليون دولار لحملة الانتخابية بأسرها (٤٤) . ومن المتبرعين الآخرين ماكس فاكوتور الثالث (٤٥) الذي قدم قرضا بمبلغ ٥٠٠٠٠ دولار وتشارلز سيبيل الذي قدم هبات بقيمة ١٢٥٠٠٠ دولار وبرنارد فايسبورج قدم مبلغ ٧٠٠٠ دولار وغرانك توبين مبلغ ١٤٦٩٥ دولارا وابنر ليفاين ٦٨٧٥ دولارا وادغار بروغمان ٥٠٠٠ دولار وبرنارد روبين وزوجه مبلغ ١٠٠٠٠٠

دولار و جاك هولتزمان ٥٠٠٠ دولار وفرد ايشنتاين ٦٠٠٠ دولار ولويس وولفسون ٥٠٠٠ دولار ونوربرت كريفل ١٠٠٠٠ دولار (٤٦). ولا بد لنا من ان نذكر ان كثيرين من اليهود قدموا اقل من ٥٠٠٠ دولار . اصف الى ان كثيرين من اليهود البارزين في العمل المسرحي والسينمائي يجمعون المال مثل برناره سترايسند . ويلقى مكغفرن دعم مليونيرين يهوديين بارزين هما هوارد ساميلز (الذي يطمح ان يصبح حاكم نيويورك في العام ١٩٧٤) وهوارد متسناوم (المرشح الديمقراطي عن اوهايو في العام ١٩٧٠) (٤٧). ويذكر ان جاك كابلان وزوجه جمعا في اول ايار (مايو) ١٩٧٢ مبلغ مليون دولار على شكل هبات وتعهدات لمكغفرن في جلسة في شقتهم في بارك افنيو (٤٨). ومن بين الذين حضروا الجلسة او الذين اعلنت تعهداتهم في غيابهم جوان بالفسكي (زوج ماكس بالفسكي السابقة) التي قدمت ٥٠٠٠٠ دولار . ومن جهة اخرى فان كثيرين من اغنياء اليهود يتجهون الى تأييد ريتشارد نيكسون ودعمه لان مشاعر القلق تراودهم حول سياسات مكغفرن الخارجية والاقتصادية . وستناول تحول اغنياء اليهود الى تأييد نيكسون بالنقاش في هذه الدراسة . وفي ما يلي اسماء بعض المتبرعين اليهود من انصار مكغفرن المعروفين بتفانيهم لاسرائيل : تشارلز سميت (من لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية) الذي قدم ٢٦١٠٠ دولار ، ومير فلدمان الذي اعطى ١٤٠٠٠ دولار ، والذي خدم كمستشار لدى الرئيس جون كينيدي « والذي كان القوة الموجهة في القرار الذي نص على ارسال اول مساعدة عسكرية امريكية هامة الى اسرائيل — ارسال صواريخ هوك التي شحنت الى اسرائيل في العام ١٩٦٣ . ومارس فلدمان مرة ضغطا شديدا حول مسألة تتعلق بمقبرة في ذلك الجزء الذي كان تحت السيطرة الاردنية التي درجة انه هدد وزير الخارجية دين راسك بالاستقالة » (٤٩). ونذكر فرانك لوتنبرغ (اول نائب رئيس لمؤسسة اصدقاء الجامعة العبرية الاميركيين) الذي يلعب دورا رئيسيا في جمع الاموال للمؤسسات التربوية الاسرائيلية . ونذكر ايضا آبنر ليفيان كشخص يجمع الاموال لاسرائيل ومكغفرن .

وهناك ممولون ومؤيدون يهود وراء الحزب الجمهوري ايضا . الا « ان ما يجعل جامعي الاموال من اليهود بيرزون الى ذلك الحد من البروز في صفوف الديمقراطيين ليس الوجود اليهودي البارز بقدر ما هو غياب البروتستانت البارز » (٥٠). وعلى سبيل المثال قدم اعضاء كثيرون في نادي هارموني في نيويورك (وهو اقدم ناد للذكور اليهود فقط) في العام ١٩٦٨ مبلغ ٥٠٠٠ دولار او اكثر الى الجمهوريين ، كما فعلوا مثل ذلك بالنسبة للديمقراطيين . وفي ستاندرد كلوب (وهو نظير نادي هارموني) في شيكاغو قدم ثلاثة وعشرون عضوا مبلغ ٤٣٤٠٠٠ دولار للديمقراطيين كما تقدم احد عشر عضوا مبلغ ٣٥٤٠٠٠ دولار للجمهوريين (٥١). وعرف في العام ١٩٦٠ ستون متبرعا للجمهوريين قدم الواحد منهم ١٠٠٠٠ دولار او اكثر بينهم ١٠ بالمئة فقط من اليهود (٥٢). وفي الانتخابات القادمة فان كثيرين من المتبرعين التقليديين للحزب الديمقراطي سيدعمون نيكسون ، وهذا نتيجة لقرار نيكسون تزويد اسرائيل بالفاتنوم وانهاء محاولات يارنغ من اجل انسحاب اسرائيل من سيناء (٥٣). وبدا هذا التحول عندما دعي سبيرو اغنيو ، نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، كمتحدث في المادبة السنوية الثانية والستين للصهيونيين الاميركيين المتدينين في اوائل خريزان (يونيو) حيث جرى رفض الديمقراطيين بازدراء . اصف الى ذلك ان السفير الاسرائيلي لدى الولايات المتحدة اشار الى انه يفضل اعادة انتخاب الرئيس نيكسون هذه السنة . وقال السفير الاسرائيلي اسحاق رايبين « يجب علينا ان نفرق بين المساعدة الفعلية والمساعدة اللفظية » (٥٤). واضاف انه « في الوقت الذي تقدر فيه الدعم اللفظي الذي نتلقاه من جهة فاننا يجب ان نفضل الدعم الفعلي الذي نتلقاه من الجهة الاخرى » (٥٥). وقال رايبين ايضا انه لم يصرح اي رئيس

أخر تصريح بعد الأزمات للولايات المتحدة بدعم وجود إسرائيل مثل التصريح الذي أدلى به الرئيس نيكسون في خطابه للكونغرس عند عودته من موسكو .

إن إسرائيل راضية جدا عن نيكسون . « فعند نهاية السنوات الأربع من حكم نيكسون تكون إسرائيل قد تلقت أكثر من ١١٧٨ مليون دولار كمجموع قيمة المساعدة بما في ذلك القروض والهبات . وذلك يفوق ما تلقت إسرائيل على شكل مساعدة خلال السنوات التسع عشرة الماضية » (٥٦) . أضف الى ذلك قول السيناتور جافيتس إن نيكسون سينقل قريبا السفارة الأمريكية من تل أبيب الى القدس (٥٧) . وقد أرسل سام روثبيرغ ولويس بوير (من منظمة السندات الإسرائيلية) وهما من مؤيدي الحزب الديمقراطي التقليديين ، رسائل دعم شخصية الى نيكسون . وصرح بوير الى صحيفة « جيروساليم بوست » قائلا « انني أعمل محاولا إعادة انتخاب الرئيس نيكسون . وانني لا أجعل من ذلك سرا » (٥٨) . وعلق الصحافيان أيفنز ونوفاك على ذلك بالقول انه « لا يمكن تصور حدوث هذا التحول دون مباركة الحكومة الإسرائيلية » (٥٩) . وعلى الرغم من ان الحكومة الإسرائيلية وسفيرها في واشنطن نفيان انها يفضلان إعادة انتخاب نيكسون فقال ستيوارت السوب « انه (التأييد الإسرائيلي لنيكسون) صحيح بالطبع » (٦٠) . ويعزو السوب تأييد إسرائيل لنيكسون الى انه اثناء القتال في الاردن بين الجيش الاردني والمقاومة الفلسطينية في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ تلقى رابين مكالمة هاتفية من البيت الابيض تتساءل عما تستطيع إسرائيل عمله لوقف الدبابات السورية التي كانت تزحف على الاردن لمساعدة الفدائيين ، ورد رابين على هذا التساؤل بقوله ان الاسرائيليين يفتقون ثقة مطلقة بأن قواتهم تستطيع بالعمل من مرتفعات الجولان أن تأسر او تدمر القوة السورية برمتها . وكان الاسرائيليون يرغبون في ركوب تلك المخاطر التي ينطوي عليها تدخل قواتهم بشرط واحد فقط هو ان توضح الحكومة الأمريكية للسوفييات ان الولايات المتحدة ستقاوم بشدة أي عمل مضاد على قناة السويس او في أي مكان آخر . والتزم نيكسون بذلك دون تردد وأصدر أمرا شديدا أن لا اتصال اطلاقا بموسكو أو أي عاصمة أخرى . وقرر أن تكون هناك أفعال لا كلمات (٦١) . واستنفرت إحدى الفرق الأمريكية الخمس الموجودة في الماتيه الغربية استنفارا كاملا وكذلك الفرقة الثانية والثمانون المحوطة في الولايات المتحدة . وفي الوقت نفسه جرت ترتيبات سرية مع الحكومة اليونانية لتقديم مناطق تحط فيها القوات الأمريكية في اليونان بالإضافة الى قاعدة لدعم تلك القوات في حال تحرك قوات الولايات المتحدة . وبالإضافة الى ذلك جرى تعزيز الاسطول السادس في المتوسط بصورة كثيفة بحاملات الطائرات والقوات التابعة لها . وزيدت قوة الاسطول السادس بسرعة عن حجبها في الحالات العادية بحيث أصبح يتألف مما لا يقل عن خمس حاملات تضم قوات من مختلف الاسلحة لمهمة معينة . وأخذت هذه القوة تتحرك باتجاه شرقي المتوسط . وتم هذا العمل من جانب نيكسون بسرية كاملة . وكان الشعب الأمريكي ولا يزال في معظمه غير مدرك أن أزمة خطيرة جدا وقعت . أما الحكومة الإسرائيلية فكانت تعي الأزمة كما كانت سعيدة للغاية بسبب تحرك نيكسون .

وابرزت أزمة ١٩٧٠ للاسرائيليين الحاجة الى وجود اسطول اميركي قوي في المتوسط . ووفقا لبرنامج مكغفرن فان الولايات المتحدة ستحتفظ بفرقتين عسكريتين فقط في أوروبا بدلا من خمس . أضف الى ذلك ان مكغفرن يريد تخفيض القوات الأمريكية الخاصة للحاملات من اربعة عشرة الى ستة . وأخيرا سيقطع مكغفرن كل مساعدة اميركية الى الحكومة اليونانية وسيقتل كل المنشآت الأمريكية في اليونان (٦٢) . وتعليقا على هذا قال ستيوارت السوب : « في مثل هذه الظروف — التي يعيها الاسرائيليون جيدا — ستكون الولايات المتحدة قادرة على الكلام ولكن على القليل من الأفعال الحقيقية » (٦٣) . وقال بيتر غروس في صحيفة « نيويورك تايمز » « ان الخيار الإسرائيلي يبرز من موقف الرئيس

المعادى للسوفيات في الشرق الاوسط ومن سياسته في متابعة الحرب في فيتنام . ولم يتردد الاسرائيليون احساسون سياسيا في الاختلاف على مر السنين مع الامريكين الليبراليين حول فيتنام .

« ان مزاج هذا البلد (اسرائيل) يتميز بالشعور بالقوة ، ويرى الاسرائيليون انهم امة قوية تقوم بدور الحليف الصغير ، وهي سياسة من الواضح انها جذابة جدا بالنسبة للاسرائيليين » (١٤) . الا ان اهتمام الجالية اليهودية يتجاوز سياسة مكغفرن الخارجية . وبالنسبة لليهود الاغنياء وغير الاغنياء فان برنامج نيكسون الضرائبي مهم لهما على حد سواء اذ يقضي بفرض الضرائب بصورة كبيرة على الاغنياء ، كما يدعم تقديم الباصات والمدارس والمسكن الافضل من اجل الفقراء السود في المناطق المحيطة بالمدن مثل فورست هلز في نيويورك (١٥) .

ويتوقع ان يشمل تنظيم حملة نيكسون تشكيل لجنة من الزعماء اليهود البارزين الذين يدعمون اعادة انتخاب نيكسون . وسيكون الرئيس المشارك لهذه اللجنة وليم ا. وكسler رئيس بناي بريث السابق وكذلك صموئيل روثبيرغ (من بيوريه في ولاية النوي) وهو الشخص الرئيسي الذي يقوم بمختلف المهام في منظمة السندات الاسرائيلية ورئيس مجلس محافظي الجامعة العبرية . وسيكون بين اعضاء اللجنة « اسماء تجد آذانا صاغية في الجالية اليهودية الاميركية » (١٦) . وذكر الصحافي توماس برادين ان الزعماء الديمقراطيين جعلوا لسفير اسرائيل في واشنطن اسحاق رايبين صلة في جمع خمسة ملايين دولار من الجالية اليهودية الاميركية من اجل اعادة انتخاب نيكسون . وزعيم هذه الخطوة هو لويس بويار المعروف بدعوه لقضايا الحزب الديمقراطي (١٧) . وقال ماكس فيشر ، وهو من الاشخاص البارزين في جمع المال من اجل اسرائيل ونيكسون ، ان « مبالغ كبيرة » من الاموال اليهودية التي كانت تذهب في السابق الى المرشحين الديمقراطيين تتدفق الان على حملة نيكسون . وقد امتنع فيشر عن اعطاء ارقام ولكنه قال انه جمع حتى الان من اليهود « ثلاثة اضعاف » ما جمعه في العام ١٩٦٨ كله . وقال ايضا : « ببساطة ليس هناك مقارنة . ولم يكن عملي اسهل ابدا » (١٨) . ودعا لويس بويار الى منزله في بفزلي هلز ، فيشر وخمسة واربعين من اصدقائه اليهود الاغنياء الديمقراطيين في ايار (مايو) لجمع المال من اجل نيكسون ، وعند انتهاء الاجتماع قال فيشر ان « الجميع عدا حفنة » تعهدوا بالتبرع لنيكسون .

وعقدت اجتماعات مماثلة في طول البلاد وعرضها وكانت الاستجابة حتى الان ، على حد قول فيشر « ممتازة » (١٩) . وتحدث هنري كيسنغر خلال شهر تموز (يوليو) الى رجال الاعمال اليهود في نيويورك وبفزلي هلز الذين يعتبرون تقليديا ديمقراطيين والمشمزين في الوقت الحاضر اشمزازا شديدا من موقف مكغفرن من اسرائيل وسياسته الاقتصادية . وفي السادس والعشرين من تموز (يوليو) التي كيسنغر خطابا في خمسة وستين من اليهود الديمقراطيين الاغنياء جدا في مدينة نيويورك . وكانت هذه هي المرحلة الاخيرة في عملية التجميع الناجحة لصالح نيكسون للمتبرعين السياسيين الذين يؤيدون همفري . والاشخاص البارزون في هذه العملية هم خمسة مليونيرين يهود : ماكس فيشر ، غوستاف ليفي (الممول في وول ستريت) ، تافت شرايبر (شركة الموسيقى الاميركية) ، تد كمنغز (صاحب شركة Giant Food Markets) ، برنارد لاسكر (وول ستريت) . وفي ما يلي اسماء بعض الذين تركوا همفري وايدوا نيكسون نتيجة لعملية التجميع المذكورة : جون فاكور ، جين كلاين ، ستانلي باير (شركة بنسلفانيا للتأمين على الحياة) ، ستانلي غولد بلم (Equity Funding) ، فكتور كارتر (مليونير يهودي من الساحل الغربي للولايات المتحدة) وصهيوني ايد جاكسون في انتخابات الرئاسة (٧٠) . والمليونيرين اليهود الآخرون الذين ايدوا حملة نيكسون مثلهم ريكليس ، وتشارلز باسين ، وآرثر كوهين (٧١) . وفي

الثالث من نخور (بولنوي) ١٩٧٢) التي تبنى ثلاثة رجال بارزون في السلطات الصهيونية تأييد ريتشارد نيكسون معتبرين أن سياسته تجاه إسرائيل هي السبب الرئيسي لومئهم والرجال الثلاثة الذين كانوا طوال حياتهم ديمقراطيين هم الدكتور وليم أ. وكسلر (رئيس المؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية) ، والحاخام هرشل شاكر (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي الأمريكي حول اليهود السوفيات ، وللصهيونيين المتدينين في أميركا) ، والحاخام سيمور سينغل (استاذ اللاهوت في معهد اللاهوت اليهودي الأمريكي) . وجدير بالذكر ان الحاخام شاكر قال انه يدعم نيكسون « بدافع اعتقاد ايجابي » . وانتقد شاكر برنامج مكغفرن « لتهديده دور أميركا في حفظ الامن والسلام في كافة أرجاء العالم » ، وتاكيدها على نظام الحصص (الكوتة) المحلي الذي سيثير التمييز في الجهة المعاكسة» (٧٢) . وذلك يشير الى اصلاحات الحزب الديمقراطي التي قدمها أصلا مكغفرن والتي دعت الى تمثيل أوسع لجماعات الاثنية في المؤتمر الديمقراطي .

وبسبب الدعم القوي الذي قدمه نيكسون لاسرائيل يتوقع كثيرون من المحللين السياسيين ان يتحول اليهود الى تأييد نيكسون في التنافس بينه وبين مكغفرن ، كما يتوقعون ان تتراوح نسبة التحول بين ٣٠ و ٥٠ بالمئة معتبرين ان ٣٥٪ معدل جيد (٧٢) . وقد أعلن الحاخام الكناه شوارتس ، مدير العلاقات مع الجماعات في اتحاد الكنيس اليهودية الارثوذكسية الامريكية ، ان أكثر من نصف يهود نيويورك سيؤيد نيكسون وأعرب شوارتس عن شعوره ان معظم اليهود الاورثوكس لا يؤيدون سياسات مكغفرن المعادية لفيتنام . وقال الحاخام هارولد هاهن ، حاخام Rochdale Temple في سينسنتا في أوهايو ، انه يعتقد ان المقترعين اليهود « يشعرون في مأمن أكثر مع نيكسون مما مع مكغفرن » . وهذان الحاخامان يتفقان على ان الناخبين اليهود يعتقدون « أننا نعرف ما لدينا عند نيكسون ، أما عند مكغفرن فانا لا ندرى ماذا سنكسب » (٧٤) . وهكذا فان تحول الناخبين اليهود في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم الى نيكسون سيجعل انتخابه مضمونا .

ان حساب مردودات الاستثمارات السياسية أمر صعب . ومع ذلك فان من الواضح ان اليهود يلعبون دورا رئيسيا في تحديد المرشح الديمقراطي للرئاسة « ويشكلون أكبر فريق بين أكبر المترعين » (٧٥) . ووفقا لما قاله الكاتب والناقد اليهودي ت. ر. فايغل فان « من الواضح ان اسرائيل كما نعرفها لم تكن لتأتي الى الوجود لولا الدعم المالي الأمريكي والدعم السياسي من اليهود الأمريكيين كتوة ضاغطة فريدة على اي ادارة أميركية» (٧٦) . وكتب ستيفن كلايدمان في الواشنطن بوست قائلا ان المعلومات التي تصل الى الرئيس وأعضاء الكونغرس عن طريق أفراد يهود ومنظمات يهودية تحاول كسب التأييد لليهود « تشكل جزءا ، واحيانا جزءا هاما ، من المعلومات التي تدخل في عملية اتخاذ قرار الرئيس حول مسائل مثل المساعدة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل » (٧٧) .

وأخيرا يجب التأكيد على ان عدم قدرة العرب على معاقبة الولايات المتحدة بسبب دعمها لاسرائيل يعزز النفوذ الصهيوني ويؤيد زعمهم انه من الممكن للولايات المتحدة ان تبنى علاقات مع العالم العربي في الوقت الذي تستمر في دعمها لاسرائيل . ولقد قال أبا ابيان « ان اولئك الذين يقولون ان التوتر بين الولايات المتحدة والبلدان العربية ليس سببه دعم أميركا لاسرائيل هم على حق » (٧٨) .

- | | |
|-----|-----------------------------------------|
| ١ - | ايفنغ ستار أند دايلي نيوز ، ١٩٧٢/٧/٢٥ . |
| ٢ - | واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص ١١ . |
| ٣ - | المصدر نفسه . |
| ٤ - | نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٣/١٠ ، ص ١٠ . |
| ٥ - | المصدر نفسه . |
| ٦ - | المصدر نفسه . |

- ٢٦ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٢/٢٨ ، ص ١ - ١٠ .
- ٢٧ - المصدر نفسه .
- ٢٨ - المصدر نفسه .
- ٢٩ - ناشنال أوبزرفر ، ١٩٧٢/٤/٨ ، ص ١ .
- ٤٠ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ٣٢ .
- ٤١ - ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ .
- جوش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢ ، ص ١ . نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
- ٤٢ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص ١ - ٢ .
- ٤٣ - واشنطنونيان ، آب (اغسطس) ١٩٧٢ ، ص ٤١ ، ص ٤٤ .
- ٤٤ - لوس انجليس تايمز ، ١٩٧٢/٦/٦ ، ص ٣ .
- ٤٥ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص ١ - ٢ .
- ٤٦ - جوش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢ ، ص ١ . نيو يورك تايمز ، ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
- ٤٧ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ٧ - ٧ .
- ٤٨ - ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ .
- ٤٩ - نيويورك تايمز ماغازين ، ١٩٧١/١١/٧ ، ص ٨٨ - ٨٩ .
- ٥٠ - Ramparts ، حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، ص ٤٣ .
- ٥١ - المصدر نفسه .
- ٥٢ - المصدر نفسه .
- ٥٣ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص ١ - ٢٣ .
- ٥٤ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١١ ، ص ١ - ١ .
- ٥٥ - المصدر نفسه .
- ٥٦ - نير آبيست ريبورت ، ١٩٧٢/٦/٧ ، ص ١٧ .
- ٥٧ - وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١١ ، ص ٢ .
- ٥٨ - جروسالم بوست الاسبوعية ، ١٩٧٢/٦/٢٧ ، ص ٢ .
- ٥٩ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص ١ - ٢٣ .
- ٦٠ - نيوزويك ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
- ٦١ - المصدر نفسه .

- ٧ - المصدر نفسه .
- ٨ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٤/١٩ ، ص ٢٨ .
- ٩ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٥ ، ص ٢١ - ٢١ .
- ١٠ - وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٥/٣٠ ، ص ٤ .
- ١١ - المصدر نفسه .
- ١٢ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١ ، ص ١ - ١ .
- ١٣ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص ١٢ .
- ١٤ - المصدر نفسه .
- ١٥ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص ٤ - ٤ .
- ١٦ - وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ٤ .
- ١٧ - جوش ويك ، ١٩٧٢/٧/٢٠ ، ص ٢ .
- ١٨ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص ٤ - ٤ .
- ١٩ - ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٥ .
- ٢٠ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/١١/١٤ ، ص ١ - ١ .
- ٢١ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص ١ .
- ٢٢ - المصدر نفسه .
- ٢٣ - وليم دونوف ، 'Fat Cats ، Ramparts ، & Democrats' ، حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، ص ٢٨ .
- ٢٤ - المصدر نفسه ، ص ٤٠ .
- ٢٥ - المصدر نفسه .
- ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
- ٢٧ - المصدر نفسه .
- ٢٨ - نيويورك تايمز ، ١٣ أيار ١٩٧٢ ، ص ١٠ .
- ٢٩ - Ramparts ، ص ٤٣ .
- ٣٠ - نيوزويك ، ١٩٧١/١٢/١٣ ، ص ٢٩ .
- ٣١ - وول ستريت جورنال ، ١٩٧٢/٢/٨ ، ص ١ .
- ٣٢ - ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٢ .
- ٣٣ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .
- ٣٤ - جوش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢٣ ، ص ٢ .
- تقرير مكتب الولايات المتحدة العام للحاسبة رقم C 062472051, DM 000001
C 04,207,2395, DM 000001
- ٣٥ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .

- ٦٢ - نيوزويك ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
 ٦٣ - المصدر نفسه .
 ٦٤ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ١٢ .
 ٦٥ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص ٢٣ - أ .
 ٦٦ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/٧ ، ص ١١ .
 ٦٧ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١٧ ، ص ١٥ - أ .
 ٦٨ - المصدر نفسه .
 ٦٩ - المصدر نفسه .
 ٧٠ - واشنطن بوست ، تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، ص ١ - أ .
- ٧١ - المصدر نفسه .
 ٧٢ - نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٨/٤ ، ص ٣٥ .
 ٧٣ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص ١٥ - أ .
 ٧٤ - جويش كرونیکل ، ١٩٧٢/٧/٢١ ، ص ٨ .
 ٧٥ - Ramparts ، ص ٤٣ .
 ٧٦ - ملحق جويش كرونیکل الاديبي .
 ٧٧ - واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص ٤ - أ .
 ٧٨ - وكالة البرق اليهودية ، نشرة الأنباء اليومية ، ١٩٧٢/٧/٣١ ، ص ١ .

صدرت الكتب التالية عن مركز الأبحاث في م.ت.ف.

حول الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية

السعر ل.د.

- ١ - الآراء الأميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين ، بقلم مايكل جانسن (بالانجليزية ، ١٩٧١) .
- ٢ - مقالات في الرأي العام الأميركي والقضية الفلسطينية ، بقلم ليلي تاضي (بالانجليزية ، ١٩٦٩) .
- ٢ - عرض للعلاقات الأميركية الاسرائيلية ، بقلم ليلي تاضي (بالانجليزية ، ١٩٦٩) .
- ١ - الجالية الأميركية في لبنان والمشكلة الفلسطينية ، بقلم باسم سرحان (بالعربية وبالانجليزية ، ١٩٦٩) .

ترسل الطلبات الى : مركز الأبحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ - بيروت ، ويضاف الى ثمن كل كتاب اجرة البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروپه ، ٢٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم .

خطر الإبادة : اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية

المقدم الهيثم الايوبي

الاستراتيجية في دولة من الدول هي مجموعة التدابير والخطط والاساليب المستخدمة لتجميع قوى الدولة واعدادها لخلق الاداة اللازمة لتحقيق اهدافها رغم العقبات والصعوبات الناجمة عن ارادة الخصم واستراتيجيته . والاستراتيجية بنت الواقع الذي تعيشه الدولة ، وهي تحمل في صلبها انعكاسات هذا الواقع الاجتماعي والاقتصادي والديموغرافي والجغرافي والنفسي ، وتتحول مع تحولاته وتتطور بتطوره الدائم .

ولقد وعى مخطوطو اسرائيل قبل بنائها وقبل انتقالها من مرحلة الفكرة الى مرحلة الواقع ، طبيعة هذه الدولة وحقيقتها كجسم غريب مغروس في قلب منطقة لا يمكن ان تقبله او تتعايش معه . كما وعوا ان وجود عرب فلسطين وحقهم الشرعي في البقاء على ارضهم ، سيجبر بناء الدولة الجديدة على اقتلاع السكان ، واحتلال مكانهم بالقوة ، الامر الذي سيؤدي الى صراع عنيف تزداد حدته مع ارتفاع مستوى وعي العرب اصحاب الارض لطبيعة الخطر ، وتزايد حاجة المهاجرين الجدد لجال حيوي اوسع . لذا كان من الطبيعي ان يرسموا الدولة اسرائيل استراتيجية تحقق لها الامن والتوسع ، وتؤمن ترابط هذين الهدفين وتناوبهما حسب الوضع وحالة موازين القوى . وان يخلقوا الاداة السياسية - العسكرية القادرة على تنفيذ هذا الترابط والتناوب . ولكي تكون الاداة على مستوى المهمة ، ولكي يستطيع الجسم الغريب مجابهة التحديات المنتظرة ، رآى مؤسسو الدولة الاوائل ان عليهم اعداد قوة مسلحة متفوقة ماديا ، وقادرة على تحقيق « الردع النشط » عن طريق التلويح بالقوة او استخدامها جزئيا عند الضرورة ، والانتقال من استخدام القوة الجزئي الى الحرب الشاملة مع نقل المعركة الى خارج اراضي الدولة عندما تتوفر الظروف الملائمة لذلك على الصعيد الداخلي والخارجي .

والى جانب الاعداد المادي الذي اهتمت به كسافة الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، وتوصلت اليه عن طريق التفوق النوعي ، وتكثيف التسليح الحديث ، وتقويت قوى المعسكر العربي ، والترابط العضوي مع المعسكر الامبريالي الراغب بحماية مصالحه في المنطقة العربية ، فقد سارت هذه الحكومات اشواطاً على طريق الاعداد المعنوي الذي يستمد عناصره من الجذور الدينية والتاريخية للعقيدة الاسرائيلية . وتوصلت الى استخدام التعصب الديني والعقد القديمة المتأصلة في نفوس يهود المنطقة العربية ويهود الشتات لرفع مستوى الحقد الجماعي ، وتمجيد العنف والقوة داخل المجتمع الاسرائيلي الجديد ، وخلق رباط معنوي يربط بين مختلف طبقات هذا المجتمع الذي يضم افراداً من جنسيات متعددة وثقافات متباينة ، وتسليح السكان الاسرائيليين وقواتهم المسلحة بقوة معنوية تتحول خلال الصراع الى قوة مادية .

ومما يمكن التوقُّن الماديَّة والعنويَّة كغيرين، ومهما كان الاعتماد اللادني والشعوي
دقيقاً، فإن إمكانية استخدام القوى على أرض المعركة، واحتمالات النصر في الصراع
المرتقب لا تصل إلى ذروتها - في عالمنا المترابط المتشابك بكل تعقيداته وحساباته
وتوازناته الدولية - إلا إذا امتلكت القيادة السياسية - العسكرية العليا حرية عمل
واسعة عن طريق اكتساب المناورة السياسية الداخلية والمناورة السياسية الخارجية
بشكل حاسم يضمن تماسك المجتمع ودعم الرأي العام العالمي طوال مدة الصراع التي
يسعى كل طرف من الطرفين المتنازعين إلى تقصيرها أو إطالتها حسب لجوئه - بناء
على وضعه وتقديراته وتوقعاته الخاصة بتبديل موازين القوى - إلى استراتيجية
الحرب الخاطفة أو استراتيجية الحرب طويلة الأمد .

وتكشف دراسة حركة المجتمع الإسرائيلي واتجاهات الرأي العام العالمي خلال الحروب
العربية - الإسرائيلية الثلاث (٤٨ - ٥٦ - ٦٧) وخلال معارك الاستنزاف أو فترات
الهدنة الطويلة بين هذه الحروب، تماسك غالبية طبقات الشعب وشرائه في إسرائيل،
وتأييدها - بنسب متباينة - لفكرة ضرورة اخضاع كافة التناقضات والصراعات لصالح
الصراع ضد العرب . كما تكشف أن شرائح واسعة من الرأي العام العالمي - بما في
ذلك مجموعات « اشتراكية » عربية وشعوب مهورة في العالم الثالث - كانت تؤيد
إسرائيل رغم عدوانها المكشوف . ولا يمكن تفسير هاتين الظاهرتين إلا إذا وعينا نجاح
العدو في المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل المعارك العسكرية، وخلالها،
وبعدها .

ولقد استخدم الإسرائيليون لتحقيق هذا النجاح أكثر من سلاح، واستندوا إلى عدة
أفكار، كتدعيم إيديولوجية ديناميكية عنصرية في الداخل، والعمل خارجياً بديبلوماسية
نشطة ترافقتها مساعدات اقتصادية وتقنية وعسكرية للدول الإفريقية حديثة الاستقلال،
مع الاستفادة من قوة الإعلام الإسرائيلي وسيطرة الصهيونية العالمية على الإعلام في عدد
كبير من الدول بغية تشويه سمعة العرب، وكشف تناقضاتهم الداخلية، واقتناع العالم
بعدالة الحرب الدفاعية (الوقائية) الإسرائيلية، واقتناع العالم الغربي بالأسطورة
المزيفة القائلة بأن مبادئه ومثله العليا (١) مرتبطة ببقاء إسرائيل « الخفر الأممي الذي
يحرص المدنية ضد البربرية » (١)، وبأن مصالحه المادية تتفق ودعم هذه الدولة التي
ستتقف في وجه مد الحركات التحررية في المنطقة وتكون « قاعدة ضد روسيا » (٢) -
و « حصن الديمقراطية في هذا الشرق » (٣) . الخ . . بالإضافة إلى التأكيد على
أسطورة محورية هي : **خطر الإبادة المحدث بالشعب الإسرائيلي** الذي يخوض معركته
وهو بين شذقي الأسد . وتستند أسطورة خطر الإبادة إلى أن إسرائيل دولة صغيرة
حضارية مسالمة [١] تعيش وسط منطقة معادية وحساسة، وفي ظروف عسرة تجعل
**حضارتها المادية والروحية معرضة للخطر ومرتبطة بشكل لا يقبل الانقسام مع مقتضيات
الامن .** والحقيقة أن التركيز على خطر الإبادة الخارجي لا يستهدف سوى احتواء
النزاعات الداخلية، وبناء وحدة وطنية قوية باسم ضرورات الامن التي جعلتها الحكومة
الإسرائيلية، حسب تعبير المطران يوسف ريبا « بقرة مقدسة » (٤) . وفي الندوة التي
نظّمها معهد شيلواح وجمعية السلام وكلية ادارة الاعمال في جامعة تل ابيب تحت عنوان
« تحديات السلام » تحدث الدكتور يوحنا بيرس، الأستاذ في علم الاجتماع بجامعة
تل ابيب عن العوامل الخفية للنزاع العربي الإسرائيلي، وذكر أن من هذه العوامل
« الرغبة في ابراز المشاركة اليهودية ازاء الظاهرة الاجتماعية المعروفة، وهي ازدياد
النزاعات الداخلية عندما يتلاشى الخطر الخارجي » (٥) . وتحدث عن تغذية العداء
اليهودي للعرب، واعادها إلى عدة أسباب منها « المصلحة في تقوية بناء الوحدة الوطنية
ضد عدو خارجي مشترك » (٦) . بيد أن محاولة التركيز على الخطر الخارجي،

ومقتضيات الامن الداخلي والخارجي في اسرائيل اخذت بعدا مبالغاه . ولم تعد آثارها لتتف عند حدود تحقيق الوحدة الداخلية ، بل اتسعت حتى خلقت مجتمعا عاش على القلق وتوقع الحرب ، وافرز جيلا فاشيا يقدر العدوان والعنف ، ويحتقر كل القيم والحضارات ويعيش داخل « غيتو مادي ومعنوي » (٧) يعزله عزلا مطلقا عما حوله . ويلاحظ المدقق في خطابات الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين وتصريحاتهم وتوجيهاتهم الى المواطنين واوامرهم اليومية الى الجنود نغمة التاكيد على ضرورة الدفاع عن الوطن و « احباط محاولات الجيوش العربية الراغبة باحتلال اسرائيل وتدميرها » ، و « فك الحلقة المطبقة على اسرائيل » ، و « صد العدوان الرامي الى تدمير البلاد » . الخ .

ولكن ترى متى كانت اسرائيل معرضة لخطر الابادة والدمار ؟ ان اعادة دولة ما بالمعنى المادي للتصفية امر متعذر في عالمنا المعاصر . والخطر الاقصى الذي يمكن ان تتعرض له اية دولة هو تدمير قواتها المسلحة ، وتجريدها من درعها ، واجبارها على تقديم تنازلات سياسية واقلبية تختلف باختلاف حجم الهزيمة العسكرية وحجم الجهد والتضحيات الاضافية التي يعتقد الخصم المنتصر ان عليه ان يقدمها اذا ما شاء المطالبة بتنازلات اكبر ، واستعداده للاشتراك بمعارك جديدة لتحقيق ذلك . ولا يمكن تدمير القوات المسلحة للدولة الا اذا امتلك الخصم تفوقا ماديا ومعنويا ، واستغل ظرفا دوليا مناسباً لتسديد الضربة وتحقيق النصر العسكري الذي يترجم خلال مباحثات السلام الى نصر سياسي . فمتى اجتمعت كل هذه المعطيات منذ بدء الصراع العربي - الاسرائيلي حتى اليوم ؟

في عام ١٩٤٨ كان ميزان القوى المادية متوازنا . وهناك تقديرات تؤكد ميل الميزان آنذاك لصالح القوات الاسرائيلية . وتقديرات معاكسة تؤكد ميله لصالح الجيوش العربية . ولكن الميل حسب التقديرين لم يكن كافيا لتحقيق الحسم السريع قبل تدخل المجتمع الدولي ، وفرض الهدنتين ، ثم فرض مباحثات رودس . وفي حديث لبن غوريون مع صحيفة معاريف عن حرب ١٩٤٨ سئل بن غوريون : « هل خفت من ان نهزم ؟ » فاجاب : « كنت واثقا من النصر . كانت لدي معلومات » (٨) . وفي عام ١٩٥٠ جاء التعهد الامريكي - البريطاني - الفرنسي ليعضن امن اسرائيل وحدودها . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٥ ، وعندما كانت مفاتيح التسليح العربي بيد الغرب اعلنت الدول الاستعمارية المتقدمة عن رغبتها بالحفاظ على الوضع الراهن في الشرق الاوسط عن طريق تزويد اسرائيل بأسلحة تعادل اسلحة الدول العربية المتاخمة لفلسطين او تفوقها . وكانت كافة المحاولات العربية لشراء الاسلحة من الغرب في تلك الفترة - تماما كالمحاولات التي تجري اليوم - دليلا على نقص في وضوح الرؤيا ، وخلل في فهم طبيعة الاستراتيجية الامبريالية وارتباطاتها ، وسيطرة الوهم على امكانية الافادة من مساعدة الغرب الامبريالي دون تهديد مصالحه بجدية - هذا الوهم الذي لم يتبدد كليا حتى اليوم رغم جميع الدروس . وعندما حطم العرب حصار السلاح ، وفتحوا الباب لاسلحة دول الكتلة الشرقية ، فتحت الدول الاوروبية مخازنها لاسرائيل ، ومكنت التحالف معها ، واعادت التوازن .

وفي حرب ١٩٥٦ كانت القوات الاسرائيلية ، وقوات فيلق الغزو الانكلو - فرنسي ، وقوات فرنسا وبريطانيا البحرية - الجوية العاملة في شرق البحر الابيض المتوسط اكبر من القوى العربية (المصرية والصورية والاردنية) المستعدة للاشتباك في المعركة . ومن عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ استطاعت الامبريالية والرجعية اجهاض اول وحدة رأت النور ، وكان من الممكن ان تلعب دور نواة تجمع عربي اكبر يشكل خطرا على اسرائيل . وبالرغم من السلاح السوفييتي الذي تدفق الى الجيشين السوري والمصري قبل الوحدة

وخلالها وبعد انضمامها ، فقد حرصت الولايات المتحدة على تسليح إسرائيل عن طريق فرنسا والنايا العربية وبريطانيا في البداية ، وبشكل مباشر فيما بعد ، بحيث تكون القوة الاسرائيلية العسكرية اكبر من تسليح دول المواجهة وهكذا تحولت هذه الدولة الصغيرة — مساحة وسكانا — الى قلعة مسلحة ، أخذ الاسطول الامريكي السادس مهمة حماية امنها كضمانة اضافية بلا مقابل .

وفي عام ١٩٦٧ كان حجم القوات الاسرائيلية المشتبكة في القتال اكبر من حجم القوات العربية التي دخلت المعركة (نظرا لانعدام الوحدة العربية — ولو بين دول الطوق على الاقل — وضعف أساليب التعبئة والحشد والقيادة والاتصال) . وبالرغم من تحسين الوضع الاستراتيجي الاسرائيلي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، واستناد الجبهتين الاسرائيليتين الغربية والشرقية الى موانع طبيعية قوية (قناة السويس ونهر الأردن) وتسلق القوات الاسرائيلية لهضبة الجولان ، فقد عملت الولايات المتحدة ما في وسعها لتدعيم القوة العسكرية الاسرائيلية وتزويدها بأحدث الاسلحة حتى تستطيع الحفاظ على المناطق المحتلة والمساومة بها لتحقيق السلام (على الطريقة الاسرائيلية) أي لاجبار الامة العربية على الاستسلام .

وعندما بدأت معارك الاستنزاف على قناة السويس تابعت الولايات المتحدة عملها لتزويد إسرائيل بما يلزمها من طائرات ومعدات وأموال لتأمين التفوق على القوات العربية ، ولجابهة التطورات التكنولوجية في الحرب الاليكترونية ، ولتعويض كل خسائر حرب الاستنزاف .

وفي فترة وقف اطلاق النار ، ومع تزايد الوجود العسكري السوفيتي في مصر بصورة خاصة ، صعدت الولايات المتحدة دعها لاسرائيل ماديا وتقنيا . ووضعت أسلحتها المتطورة كلها في خدمة التفوق الاسرائيلي .

اذن ، في أية مرحلة من هذه المراحل كانت إسرائيل معرضة بالفعل لخطر الإبادة او حتى لخطر الهزيمة ؟ وفي أية فترة من هذه الفترات اتحد عرب دول المواجهة ، ووجدوا قواهم ، وأعدوا للمعركة قوة تتفوق على قوة العدو بنسبة تسمح بسحقه ؟ وفي أية فترة خرجوا من حلقة السباق مع العدو في المجال الذي يمكنه ان يسابقتهم فيه ، وفتحوا مجالاً جديداً لا يستطيع مجاراتهم فيه ولا تستطيع الدول الكبرى المتقدمة ضبطه او التأثير عليه الا اذا تورطت على غرار التورط الامريكي في كوريا (١٩٥٠ — ١٩٥٣) وفي فيتنام (من ١٩٦٦ حتى اليوم) ، وهو مجال تثوير القوى البشرية الزاخرة كافة وتعبئتها وتسليحها بغية زجها في معركة تحرير طويلة ، يتناغم فيها قتال القوات الآلية المتطورة مع قتال الجماهير المسلحة ، وتمتدح فيها حرب الحركة (طيران — مدرعات — صواريخ محمولة) مع حرب المواقع (ميليشيا شعبية مسلحة بايديولوجية ثورية واسلحة خفيفة ومعدات مضادة للدروع والطائرات) بالاضافة الى حرب عصابات نشطة وراء خطوط العدو ؟ ومتى كان الوضع العربي والسياسة العربية قادرين على فصل إسرائيل عن حلفائها عن طريق تهديد مصالح هؤلاء الحلفاء الحيوية في المنطقة ؟

ان الوحدة العربية — ولو وحدة القتال على الاقل — لم تتحقق حتى الآن . والتحالف مع الصديق الوحيد (المعسكر الاشتراكي) يضعف يوماً بعد يوم . وتعبئة الجماهير وتسليحها ايدولوجيا وماديا لقلب موازين القوى وشحن حرب طويلة الامد لم يتحققا بعد . ولم يعد العرب بملايينهم المائة وثوراتهم الهائلة لمعركة المصير قوة تفوق قوة العدو . ولم تتقدم القوات العربية البعيدة حتى اليوم الى المدى الاستراتيجي او العملياتي الذي يسمح لها بأن تلعب دوراً فعالاً في المعركة . والامبريالية الامريكية سائرة على طريق دعم العدو الاسرائيلي وهي ضامنة — حتى الآن — لكل مصالحها واستثماراتها التي زادت

بعد عام ١٩٦٧ ! فكيف يمكن التحدث في إسرائيل والحالة هذه عن خطر الإبادة سواء أكان المقصود إبادة الدولة ، أم إبادة القوات المسلحة وتدميرها بشكل يحقق الهدف السياسي ؟ وكيف يمكن ان يتحدث القادة العرب عن تحرير الأراضي المحتلة قبل ان تتغير المعطيات السابقة وتقلب موازين القوى المادية والمعنوية ؟

ان هذه الحقائق مجتمة تكشف زيف الاسطورة التي روجها الاسرائيليون واستفادوا منها داخليا وخارجيا ، وترفع القناع عن الدجل الكامن في قول العميد شارون قائد المنطقة الجنوبية ، واحد قادة الهجوم على سيناء « ان حرب الايام الستة كانت حربا تهدف الى منع ابادتنا . ان هدف العدو المعلن عنه كان إبادة دولة إسرائيل . كان هذا هو الشعور الذي رافقنا وبهذه الروح تحدثنا الى الجنود «(٩) ، او في قول اسحاق رابين عند الحديث عن حرب ١٩٦٧ : « ساد الشعب بأسره في إسرائيل الشعور بأن الحرب هي من أجل استمرار بقائنا . هذا الشعور هو الذي أدى الى ان تحقق الحرب الانجازات العظيمة . وليس السلاح والطائرات والاشياء الاخرى . ولولا هذا الشعور الصادق والصحيح لما حصلنا على ما حصلنا عليه «(١٠) ، او في اقوال غيرها من قادة العدو .

ولقد أدى انتصار الاسرائيليين في عام ١٩٦٧ الى خلق شعور من الاطمئنان بين صفوف الجيش والشعب في إسرائيل . وجاءت تصريحات القادة العسكريين والسياسيين وتبجحاتهم لتدعم هذا الشعور . فلقد صرح اللواء موشي دايان في خطاب أمام المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش بـ « ان دولة إسرائيل اليوم هي أقوى دول المنطقة ، وان قوتها العسكرية متمركزة ومتحركة وقادرة على حماية الدولة «(١١) . وعندما سئل حاييم بارليف في آب ١٩٧٢ عن اقتصاد الحرب وضرورة تطبيقه في إسرائيل اجاب : « انا لا اعتقد بأن إسرائيل تواجه الان وضعا يحتم عليها اهمال جميع مجالات الحياة في سبيل المجهود الحربي . ولا اعتقد بأن إسرائيل من الممكن ان تسمح لنفسها بتوجه كهذا ، ولذلك لا اعتقد بوجود اساس لاتباع نظام اقتصاد الحرب «(١٢) . الامر الذي يؤكد ان إسرائيل لا تعيش حالة خطر يهدد وجودها ، ولا تعيش حتى حالة حرب تستدعي اتباع اقتصاد حرب . اما زئيف شيف المعلق العسكري الاسرائيلي فقد كتب في هارتس : « تخلصت إسرائيل بفضل الوضع الجغرافي الاستراتيجي الحالي من مخاوفها القديمة وهي : انها ان لم تكن البادئة باطلاق النار فمن المحتمل ان تهزم او ان تضطر لدفع ثمن فادح من الضحايا «(١٣) . ولقد نشرت معاريف نص مقابلة اجرتها مع اللواء الاحتياطي يغال يدين قال فيها : « في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عندما وقفت الى جانب مردخاي هود في غرفة العمليات ، واخذنا نسمع عن الانتصارات الرائعة لسلاح الجو قلت لمردخاي : ان إسرائيل قد ولدت اليوم من جديد . . . ان الاخطار التي كانت تحيق بها آنذاك لم تعد قائمة الان «(١٤) . وفي مطلع نيسان ١٩٧١ تحدث ابا ايان امام مؤتمر حزب العمل الاسرائيلي قائلا : « واجهنا الافناء زمنا طويلا . اما الآن فقد أصبحنا اسياذ مصرنا ، ولن نخاطر بهذا الوضع «(١٥) .

واثار هذا الشعور الجديد حالة جدل داخل المجتمع الاسرائيلي . وطرح العديد من التساؤلات حول اسطورة الإبادة القديمة . ولقد انبرى عدد من كبار القادة العسكريين لتحليل هذه المسألة . وذكرت هارتس ان العميد الاحتياطي متتياهو بيليد رئيس قسم الامداد والتموين في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ ، والباحث في معهد شيلواح ، واستاذ تاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل ابيب قال بأن مقولة ان إسرائيل تعرضت في حزيران ١٩٦٧ لخطر الإبادة وان دولة إسرائيل حاربت من أجل كيانها ، عبارة عن « خدعة ولدت ونمت بعد الحرب فقط » كما قال بأن الاسرائيليين لم يتعرضوا في ايار لخطر الإبادة « كأفراد او كجماعات » . وعاد الى مسألة ميزان القوى

وهي مسألة مجرّمة في هذا المجال - عندما قال: « ان المصريين حسدوا في سيناء مع
الفا حدي ، وحدثنا نحن ضدّهم مئات الآلاف من الرجال » . ثم ربط خطر الإبادة
بالحجوم وفق المبدأ العسكري الذي ينفي قدرة الدفاع على تحقيق النصر الحاسم ، وطرح
السؤال التالي : « ما هي آخر مرة كانت اسرائيل فيها مكشوفة لهجوم عربي ؟ كان ذلك
سنة ١٩٤٨ ، كما اقرأ التاريخ » (١٦) .

وبالرغم من عدم موافقة يغال آلون على كافة تفاصيل فكرة بيليد ، فقد اثار الى صحة
رأيه القائل بعدم تعرض الدولة في حرب حزيران ١٩٦٧ لخطر الإبادة بقوله : « اننا لم
نكن عرضة لخطر الإبادة وقتها » (١٧) . واشترك العميد الاحتياطي عيزر وايزمان (رئيس
شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش خلال حرب حزيران ١٩٦٧ ورئيس حركة
حيروت) في الجدل الدائر حول هذه المسألة اكثر من مرة ، فلقد قال في آذار ١٩٧٢
« انني مستعد للموافقة على ان وجود دولة اسرائيل لم يتعرض لخطر الدمار ، ولكن هذا
لا يعني اننا كنا نستطيع الامتناع عن ضرب المصريين والأردنيين والسوريين ، ولو فعلنا
ذلك لما استمرت دولة اسرائيل قائمة بنفس المقياس والروح والجوهر » (١٨) . ثم تحدث
في مقابلة اجراها بعد شهر مع روف غولدشتاين فأكد « لم يكن هناك خطر ابادة ! كان لا
بد من مهاجمة المصريين ولم يكن ثمة مفر من ذلك . ولو كانوا هم البادئين بالهجوم لما
هددنا بخطر ابادة ، ولكن خسائرنا كانت ستكون أكبر كثيرا » (١٩) .

ولما سألته غولدشتاين : هل قلت قبل الحرب لاشكول اننا غير مهدين بخطر ابادة ؟
اجاب : « لم يكن ثمة حاجة لذلك لأنه لم يجر أي حديث في اي اجتماع جدي عن مثل هذا
الخطر . لقد تحدثنا عن الحرب وأهوالها . وتحدثنا عن قصف تل أبيب والخسائر .
تحدثنا عن الخطر الناجم عن دخول قوات عدوة الى مناطق في اسرائيل . ولكن لم يتحدث
أي شخص عن الإبادة » (٢٠) . ثم عاد العميد الاحتياطي عيزر وايزمان ليكرر افكاره في
حزيران ١٩٧٢ على صفحات يديعوت احرونوت فقال : « لم تكن دولة اسرائيل فعلا
معرضة للفتنة لو لم نشن الحرب في الوضع الذي كنا عليه خلال أيار - حزيران ١٩٦٧ ،
ولو لم نتغلب على المصريين والأردنيين والسوزيين . ولكن وجودها لم يكن ليستمر
بالصورة نفسها التي كانت قائمة يومذاك ، او كما هي اليوم » (٢١) .

وبالرغم من هذه الحقائق والشهادات الصادرة عن أعلى مستويات القيادة الاسرائيلية ،
وبالرغم من حجم الهزيمة التي لحقت بالجيش العربي في عام ١٩٦٧ ، والذي ادى الى
خفوت الاصوات المتحدثة عن خطر الإبادة العربي ، فقد لجأت القيادة الاسرائيلية الى
تغذية سكان اسرائيل ويهود الشتات والرأي العام الغربي بجرعات جديدة من الحديث
عن الخطر . ولكن الحديث اتجه هذه المرة نحو « الخطر السوفييتي » و« الخوف من
الدب الاحمر » الذي لا يهدد اسرائيل وحدها ، بل يهدد الوجود الغربي والمصالح الغربية
في الشرق الاوسط . ففي أيار ١٩٧١ كتب عيزر وايزمان تحت عنوان : **ما الذي يجعل
وزير الدفاع يتراجع** : « وما تزال هذه الحكومة (الاسرائيلية) تعمل في جو من المخاوف ،
ومن الحديث عن صعوبة محاربة المصريين اليوم لانه ينبغي الخوف من الروس » (٢٢) .
واشار زئيف شيف الى احتمال التدخل السوفييتي في الصراع العربي - الاسرائيلي ،
والخطر الذي يمثله هذا التدخل عندما قال « ان أكثر المسائل التي تتخبط فيها اسرائيل
حيوية هي كيف سترد الولايات المتحدة في حالة تدخل روسي بصورة فعالة ومباشرة
بالتقتال في قناة السويس وسيناء ، وربما أكثر عمقا في أراضي اسرائيل » (٢٣) . وذكر
رئيس الأركان حايم بارليف في حديثه مع الإذاعة الاسرائيلية بتاريخ ٧١/٩/١١
« ان اسرائيل لا تستطيع - بأي حال - ان تتجاهل الوجود السوفييتي في المنطقة .
ولا تستطيع ان تخرجه من حساباتها عند أي تقدير للموقف » (٢٤) . . . « اننا لا
نجهل انه في حالة عودة القتال فان بعض الاعمال ستؤدي بلا شك الى رد فعل

سوفييتي» (٢٥). وذهب اسحاق رابين سفير اسرائيل في الولايات المتحدة الى ابعد من ذلك في البيان الذي لقاه امام اللجنة الامريكية - الاسرائيلية للشؤون العامة وقال فيه : « ليس ثمة دولة أشد رغبة من اسرائيل ان ترى اتفاقية بين القوتين الكبيرتين تقرر انهما لن تستدرجا الى الصراع المحلي مهما كانت الظروف . الا ان الروس قاموا لسوء الحظ بالخطوة الاولى ... فأشركوا قواتهم الذاتية في نزاعنا المحلي في آذار ١٩٧٠ . ومنذ ذلك الحين نعيش في وضع تشترك فيه قوة كبرى بقواها الذاتية الى جانب احد اطراف الصراع » (٢٦) .

ولقد استغل الاسرائيليون هذا الموقف الجديد لاستثارة الولايات المتحدة وحلفائها داخل حلف الاطلسي ، ولابتزاز الاموال والاسلحة المتطورة من الولايات المتحدة التي لم تتردد في تقديم طائرات الفانتوم المزودة بأحدث الاجهزة للصراع ضد الدفاع الجوي المصري بما في ذلك بطاريات الصواريخ التي يديرها السوفييت وطائرات الاعتراض التي يقودها طيارون سوفييت . ولقد كتب زيف شئيف بهذا الصدد « اعتقد ان لاسرائيل الحق في المطالبة بهبات شبيهة بتلك التي تعطى للدول الغربية الواقعة بالقرب من الحدود الروسية . على الولايات المتحدة الاعتراف بحقيقة ان موسكو نجحت في توسيع حدودها منذ الحرب العالمية الثانية الى حد بعيد . ان اسرائيل هي احدى الدول الواقعة اليوم على الحدود الجديدة . ولذا يحق لها ان تتوقع مساعدة امريكية ملائمة » (٢٧) . وعندما تحدث اسحاق رابين امام اللجنة الامريكية - الاسرائيلية للشؤون العامة ، اشار الى مسألة المعدات والاسلحة وقال بأنه استلم اسلحة كافية لمحاربة العرب « لكن المشكلة لا تقتصر على القوات العربية . ففي الوقت الحاضر على اسرائيل الاتقدر فقط قوتها العسكرية مقابل قوة الدول العربية مجتمعة ، ومدعمة بكميات لا حد لها من السلاح والتقنيين والمدرين من الاتحاد السوفييتي ، بل انها تواجه ايضا **التورط العسكري المباشر لقوة كبرى** . ان الاتحاد السوفييتي موجود على ارض مصر ، واذا استؤنفت الاعتداءات - أمل الا يحدث هذا - قد نجد انفسنا مشتبكين مع قوات روسية محدودة متمركزة في مصر وملتزمة بعمليات عسكرية ذات ادوار معينة في الاجواء المصرية . هذه هي مشكلتنا » ... « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة لاية فترة ممكنة - خمس او عشرين او خمسين سنة - ما دمت لا نحرم من المعدات اللازمة لدفاعنا . واذا كان هناك تهديد لوجود اسرائيل فانه يأتي من **خطر مشاركة الاتحاد السوفييتي بقواته الذاتية في الصراع ضدنا** » (٢٨) . ولم تقتصر مطالب اسرائيل من واشنطن على الاموال والاسلحة والمعدات بل تعدتها الى المطالبة بضمانات جديدة تتعهد الولايات المتحدة بها **بالتدخل الفعال** الى جانب القوات الاسرائيلية اذا ما تعرض أمن اسرائيل لخطر حقيقي من جانب السوفييت . ولقد نشرت هارتس تعليقاً لزييف شئيف قالت فيه : « ولعله يستحسن الإبقاء في هذه اللحظة على الشك لدى الروس حيال استعداد الولايات المتحدة لمواجهتهم اذا تعرضوا لاسرائيل » (٢٩) . وذكرت معاريف في تعليق على زيارة سيسكو لاسرائيل « ان الالتزامات الامريكية والردع في وجه التدخل السوفييتي ، وهما جوهر المشكلة في نظر مخططي السياسة الاسرائيلية ، سيجددان هذه المرة أيضاً شروط اسرائيل » (٣٠) . وعندما حدد اسحاق رابين امام مؤتمر اللجنة الامريكية - الاسرائيلية للشؤون العامة الاهداف الاربعة التي تسعى اسرائيل لتحقيقها في علاقتها مع امريكا قال عن الهدف الثالث : « والهدف الثالث أكثر تعقيداً نوعاً ما . ذلك ان صراع الشرق الاوسط لم يقتصر على نزاع محلي ، فثمة قوة كبرى هي الاتحاد السوفييتي متورطة ايضاً . لهذا فاننا **نحتاج لموقف امريكي معين** ، يؤثر في الاوضاع بطريقة تحول دون حرية الاتحاد السوفييتي بالقيام بأعمال عسكرية ضد اسرائيل » (٣١) .

وهكذا يرى ان اسرائيل لم تتوقف طوال فترة وجودها عن التحدث باسهاب عن خطر الابداء رغم انها كانت غير معرضة لهذا الخطر . وعلى الجانب الاخر من الخندق تحدث العرب عن ابداء اسرائيل في وقت كان ميزان القوى سلبيا بالنسبة لهم . واذا كانت اسرائيل قد استفادت من حديثها عن هذا الخطر ، وابتزت ما هي بحاجة اليه من عطف وتأييد واموال واسلحة ومعدات ، وكسبت المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية ، فان نتيجة حديث الساسة العرب عن ضرورة ابداء اسرائيل — دون امثلاك الاداة اللازمة لذلك ، وقبل ظهور الظروف التي تسمح حتى بقهر القوات المعادية المسلحة — أفقدهم الكثير على سعيد المناورة السياسية الخارجية ، وأضعف قدرتهم على المناورة السياسية الداخلية لانه خلق حالة رفض وعدم ثقة داخل الجماهير العربية التي كانت تفجع دائما بالتناقض بين طموحاتها والامكانات المتوفرة لها ، وبالبنون الشاسع بين ما تطرحه الحكومات نتيجة لتصوراتها الذاتية او لاغراضها الداخلية وحقيقة الواقع الموضوعي على أرض الصراع السياسية — العسكرية .

ان هذا القول لا يعني مطلقا نقد فكرة ابداء العدو الاسرائيلي (لا بمعنى تدمير الناس والممتلكات بل بمعنى تدمير الهياكل السياسية — العسكرية الاساسية وقهر القوات المسلحة بشكل يحقق الهدف السياسي العربي) فهذه الفكرة كامنة في صلب كل صراع ، وتشكل هدف كل قوتين متجابهتين تحاول كل واحدة منهما استخدام العنف — بعد فشل الاساليب الاخرى — لتدمير قدرة الخصم القتالية أو لشلها عن الحركة بغية الوصول الى الاغراض العسكرية التي تتم المساومة عليها للوصول الى الاهداف السياسية . ولا يمكن لامة تجابه تحديا مصيريا يعرض وجودها كله للخطر الا أن تفكر بالحرب وتستعد لها ، وأن تستعد بالتالي لتبني فكرة كلاوزفيتز « ان الحل الدامي للضرورة اي الجهد الرامي الى ابداء القوات المعادية هو الابن الشرعي للحرب » (٢٢) مع التأكيد على ان « تدمير قوات العدو هو أهم هدف رهان في الحرب قاطبة » (٢٣) . ان نقدنا لا يلامس الفكرة بل يتجه بشكل اساسي الى التحدث عن الابداء قبل امتلاك القوة اللازمة للهجوم ، وقبل انتظار المناخ السياسي الدولي الملائم . والتحدث عن الهجوم مع النية باتخاذ موقف الدفاع ، وفي ذلك مخالفة لمبدأ حربي اساسي يؤكد ضرورة التحدث عن الدفاع عندما تكون الخطة الهجومية مكتملة والقوى الهجومية مستعدة للضرب .

ان الواقع العسكري العربي الحالي ، ومضي سنتين على وقف اطلاق النار دون وجود اية بادرة لمتابعة القتال ، والسعي الحثيث وراء الحل السلمي ، وانخفاض حجم الوجود العسكري السوفييتي في منطقتنا الى الحد الأدنى سيسكت الابواق المتحدثة في اسرائيل عن خطر الابداء . ولكن الاستراتيجية الاسرائيلية لم تقبل . وستبقى اسسها واهدافها واساليبها كما كانت من قبل . فمن أين ستستقي بعد اليوم مبررات حديثها عن الخطر ؟ وهل ستجد ضالتها في بعض التصريحات النارية الجديدة التي يطلقها الزعماء العرب عن الحرب — دون امتلاك اداتها — أم في تحليلات عسكرية أحادية الجانب كتحليلات الفريق صلاح الدين الحديدي في كتابه الذي نشرت مجلة الحوادث عددا من فصوله (٢٤) ، أم في الاخبار الغامضة التي تتردد عن سراب شراء أسلحة غربية فرنسية أو ايطالية أو انكليزية ان لم نقل أمريكية لتبديل موازين القوى ؟

هذا هو ما سترد عليه الاحداث في وقت غير بعيد .

- ١ — تيودور هرتزل . ذكرها هيلم كيلاني في
الذهب العسكري الإسرائيلي ، مركز الابحاث
في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .
- ٢ — بن غوريون (١٩٤٦) ، المرجع السابق .
- ٣ — الدكتور التبان (١٩٥٢) ، المرجع السابق .
- ٤ — في مطلع آب ١٩٧٢ قال المطران يوسف

٢٥ - وكالات الانباء : أ. ب ، ي. ب .
 ٢٦ - نرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م .
 د. ف. ، ٧٢/٦/١ .
 ٢٧ - هارتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون
 (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق
 العدد ٨ من نشرة م . د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .
 ٢٨ - نرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة
 م . د. ف. ، ٧٢/٦/١ .
 ٢٩ - هارتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون
 (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق
 العدد ٨ من نشرة م . د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .
 ٣٠ - معارف ، ٧١/٧/٢٣ .
 ٣١ - نرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة
 م . د. ف. ، ٧٢/٦/١ .
 ٣٢ - كارل فون كلاوزفيتز « في الحرب » الجزء
 الاول ، الفصل الثاني ، الصفحة ١١٥ .
 ٣٣ - كارل فون كلاوزفيتز ، المرجع السابق .
 ٣٤ - نقول نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية ،
 الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية (عدد
 ٢١ في ٧٢/٨/٢٤) ان اللواء الاحتياط حاييم
 هيرتسوغ طلق في اذاعة اسرائيل على صدور
 كتاب الفريق صلاح الدين الحديدي ، وعلى
 حديث المؤلف عن خطة هجومية مصرية في عام
 ١٩٦٧ بما يلي : « لهذا التصريح اهمية كبيرة
 لانه قد لحقنا ضرر كبير حسب رأيي من جراء
 التصريحات الكثيرة غير المعتمدة ، واهيانا غير
 المسؤولة التي ادلى بها البعض في الفترة
 الاخيرة ، والتي مفادها ان اسرائيل لم يكن
 يتهددهما الخطر في فترة الاستعداد لحرب الأيام
 الستة . ومن المفيد ان يأتي مصري اخرا ،
 ويعترف ان هدف مصر كان هجوما وان المصريين
 ارادوا مهاجمة اسرائيل » . وعندما سألته
 مراسل الاذاعة بولماز براك : « هل يفهم من ذلك
 ان خطر الابداء يتهددنا ؟ » اجاب هيرتسوغ :
 « هل كنا مهدين بالابادة ام لا امر خاضع
 للاعتبارات الموضوعية ، ولكن من ناحية ذاتية
 كان خطر الابداء بالنسبة للسكان في اسرائيل
 ماثلا حقا امام اعينهم . . . ومن الجهة الاخرى
 كان العرب يبنون ابادتنا . ان اعتراف المسؤول
 المصري في غاية الاهمية لانه يفيد وضع الاحداث
 في المنظور الصحيح » .

ريا لغولدا ماثر خلال اجتماعه بها : « لقد
 خلقت الحكومة بقره مقدسة اسمها الامن » .
 ٥ - عرض الياهو سلفطري في هارتس ، ١١/١٧/
 ٧١ ، عن نشرة م . د. ف. ، ٧١/١١/١٦ .
 ٦ - المرجع نفسه .
 ٧ - من حديث لهيرتس ماركوز خلال زيارته
 لاسرائيل في نهاية عام ١٩٧١ : « انكم على
 طريق اقامة غيتو مادي ومعنوي آخر ، الا اذا
 حدث تغيير وستكونون معزولين عن العالم
 المعادي لكم » ، نشرة م . د. ف. ، ٧٢/١/١ .
 ٨ - معارف ، ٧١/٤/٢٨ - نشرة م . د. ف. ،
 ٧١/٧/١ .
 ٩ - معارف ٧٢/٦/٧ - نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٧/١ .
 ١٠ - معارف ٧٢/٦/٢ - نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٦/١٦ .
 ١١ - دافار ، ٧٢/٢/٣١ .
 ١٢ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية الصادرة
 عن مركز الابحاث الفلسطينية ، ٧٢/٨/٥ .
 ١٣ - هارتس ، ٧١/١٢/٢٢ .
 ١٤ - معارف ، ٧١/١٢/١٠ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/١/١ .
 ١٥ - مركز الابحاث الفلسطينية ، اليوميات
 الفلسطينية ، مجلد ١٣ ، ص ٣٧٣ .
 ١٦ - هارتس ، ٧٢/٣/١٩ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٤/١ .
 ١٧ - دافار ، ٧٢/٦/١٥ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٧/١ .
 ١٨ - عال همشمار ، ٧٢/٢/٢٠ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٤/١ .
 ١٩ - معارف ، ٧٢/٤/٤ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٥/١ .
 ٢٠ - المرجع السابق .
 ٢١ - يديعوت اهرنوت ، ٧٢/٦/٦ ، نشرة
 م . د. ف. ، ٧٢/٧/١ .
 ٢٢ - معارف ، ٧٢/٥/١٤ ، نشرة م . د. ف. ،
 ٧٢/٦/١ .
 ٢٣ - هارتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون
 (الحلقة الرابعة) » ، ٧١/٧/٢ ، ملحق العدد
 ٨ من نشرة م . د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .
 ٢٤ - الاهرام ، ٧١/٩/١٢ .

((الاتحاد الوطني)) والشكل الراهن للسلطة في الاردن

هاني حوراني

[!]

في ٧ ايلول ١٩٧١ ، اي بعيد قرابة الشهرين من خروج المقاومة من جبال عجلون والاحراج ، وبعد مرور عام على قتال ايلول ، أعلن الملك ، قيام تنظيم سياسي عام في البلاد « يضم جميع أبناء الشعب وبناته ، وينظم طاقات المجتمع وامكاناته ، ويوجهها نحو اهداف محددة واضحة » (١). وبصيغة « الاتحاد الوطني » لم يعد النظام يتحدث باسم الشرائح الطبقية والفئات العليا من المجتمع ، بل أعطى نفسه حق الحديث باسم جميع الطبقات وباسم الشعب وعاد الملك ليؤكد أن الاتحاد الوطني « ليس هو تنظيمنا حزبيا بالمعنى السياسي او الاجتماعي المعروف ، ولكنه اطار عام ينتظم الانسان والحياة في بلدنا » (٢). فما الذي حصل ؟ وماذا يعبر هذا التحول ، وبأي اتجاه يجري داخل النظام ؟

لحظة الاعلان عن الاتحاد الوطني ، كانت ذاكرة الجماهير ما زالت ندية . وتعود الى ما قبل عام ، حين كانت توطن نفسها للانعقاد ، واذا ذلك كانت الردة الرجعية قد استكملت ملامحها ، واستعادت كل تقاليدھا بسرعة . وخلال عام أخذت كل ادوات القمع ورموزها التي لم تكن حتى الامس القريب ، غير أكسسوارات لمسرحية تاريخية بالية ، تستعيد اعتبارها ، و « عاد كذلك الى الظهور رجال الدرك القدامى الذين بدا أنهم اندثروا منذ امد بعيد » . وفي ايام ايلول الدموية استنفر الملك اسلحة الماضي في الحرب الصليبية التي شنھا ضد المقاومة والحركة الوطنية الديمقراطية . واتحدت الشرائح الطبقية العليا في الدولة والجيش ، حيثارات جحيما في مرمى البصر، وتسلحت بالعداء البدائي ، وبالأخطاء المقدمة من الجبهة المغالبة لها ، وأعطت فيالقتها شرف القتال من اجل اقرار سلطة « القانون والنظام » واحباط « المؤامرة الجهنمية » ومشروع « الوطن البديل » . وهكذا اندفعت الفئالق الصليبية الجديدة للقتال بشراسة ، مسلحة بوعود غسل شرفها العسكري المهذور ، واعدة اعتبارها لذاتها ، والاننتقام من العقائدين والملاحدين ، والفدائيين غير الشرفاء ، وتطهير الفداء من مدعي الفداء . ومع نتائج القتال الشرس الذي دار قرابة الايام العشرة ، كان حزب النظام ، غير العلني ، البرجوازية البيروقراطية في الدولة والجيش ، بعض اجنحة البرجوازية الكبيرة ، والزعماء الغشائيون ، يسجل انتصاره لمصلحته الخاصة تحت عنوان « مصلحة البلاد والمجتمع » وفي الوقت ذاته كانت نشوة الجنود بسقوط عدد من اجزاء « المدينة » بيدهم ، بعد أن استعصت عليهم في الايام الماضية ، قد بلغت ذروتها ، فلم ينسوا أن يحولوا نارهم ، ونهبهم الى الاحياء البرجوازية ، التي ابدت تساهلها وضعفها اتجاه

المقاومة - وبالتالي استحقوا عقابهم . لقد كان كل ما هو مدني ، كل ما هو معتدل ومتعقل يجد نفسه معرضا للعقاب ومستهدفا بالعداء . ان المدينة بكاملها ، عوقبت جماعيا وان تراوحت حصص احيائها ، لكونها متواطئة مع المقاومة .

ان الجنود المشحونين بايديولوجية النظام ، وبالشعارات التي وضعت بين ايديهم ، وبتميز العداء الشخصي بينهم لكل ما له صلة بالمقاومة وبالمدينة ، لم يوفروا الحماية القدامى للنظام ، الذين كانوا قبل ايام حرس النظام ، والذين يضعون بشعاراتهم السلمية والتفاهمية ، واجهة متعقطة و « وطنية » للذين يعدون عمليا للتصفية وللجزرة . وهكذا ، فان الجنود السكارى الذين قاتلوا تحت راية سيادة القانون والنظام وتحت راية الدين ضد الاحاد ، وراية حماية المجتمع ضد الفوضى ، طافوا في الاحياء البرجوازية ، وحطموا واجهات المحال ونهبوها ، ودخلوا المنازل الوجيهة عنوة ، وعبثوا ، واعتدوا على الاعراض ، وواجهوا بالضرب والشمتم كل من يفسد طقوس الغزو الاحتفالي . واطلقوا النار على سبيل التسلية على مواطنين ، يعتبرون طبعين ، امثاليين ، غاية في الطاعة والامتثال للنظام . وسددوا قذائفهم على المساجد والكنايس ، واهانوا رجال الدين ، ولم يوفروا رموز النظام حتى الامس من الازلال . **اي انهم انتهبوا كل ما حارب النظام باسمه ، وقاتلوا من اجله .** واخيرا ، وعلى اكتاف هذه الفيالق ، وباسمها ، سعد وصفي التل ، الذي كان ضمن بضعة رجال من أبطال المجزرة في غرفة عمليات النظام ، الى سدة الحكم ، بعد ان كان يقف الى جانبه ، ومن خلفه ، او على هامشه لسنوات منذ عام ١٩٦٦ .

[٢]

ان وصفي التل ، لم يفهم كما يجب ، ولم تعامله المقاومة بما يستحق كخصم ، ومن ثم فان « تحليلهم » له ، لم يصبه سياسيا ، كما اصابته رصاصات مقاتلي ايلول الاسود فيزيقيا . انهم لم يتوصلوا الا الى اطلاق اللعنات وصرخات الثأر من الارادة الجهنمية الاستعمارية التي اعدته وهيئته لدوره المنتظر ، ولم يفهموه الا كوريث لاقليمية والسده الشاعر ، ورجل الانجليز وصنيعتهم . وبالتالي فقد قاتلوا فيه شيحا لعينا لم يعرفوا كنهه ، في الوقت الذي اغفلوه كافراز وكنهج سياسي واجتماعي ينبثق عن بنيان اجتماعي له علاقاته الداخلية وقوانينه .

[٣]

لم يسبق ان سعد سياسي اردني الى رئاسة الوزارة بمثل العنجهية والغرطسة التي احاطت بصعود وصفي التل بعيد المجزرة . انه لم يكنف باملاء شروطه على الملك لقبول الوزارة - متسلحا بحرارة مواسير البنادق التي لم تتوقف عن العمل بعد ، وبدخان البارود الذي يعبق في جو السلطة ويصبع سياستها - وانما اعلنت هذه الشروط ، التي تمثل طبيعة نهج التل ، عبر وكالة الانباء الاردنية الرسمية ووزعت بما تستحق من عناية عبر اجهزة الاعلام الاردنية المختلفة . ومع التحول النوعي الكبير في موازين القوى بين المقاومة والنظام ، الراجح لصالح الاخرى . كان التحول ذاته يطرأ على علاقات الاجنحة المختلفة المنضوية تحت لواء النظام الاردني . كما ان الملك ، الذي اعتاد ان يلعب دوره القديم « كوالد للامرة الاردنية » ، وان يمسك عصا التوازن بين شتى اجنحة النظام من منتصفها ، كان واعيا بالثقل الذي ينثله وصفي التل الذي يحظى بثقة البيروقراطية الادارية والاطارات العليا من النظام وكبار الضباط . وبالتالي كان مضطرا الى الاتكاء على برنامج التل ونهجه المتصلب ، الذي يكفل له استعادة السيادة الكاملة للنظام واحكام سلطته على البلاد ، غير انه يخفف من سلطة الملك ويخضعها لتقنين سياسي كابح . وهكذا فان ظهور الاتحاد الوطني ، كتنظيم سياسي في البلاد ، كان تعبيرا تنظيميا ، عن نهج هذه الفئات والشرائح التي اعطت وصفي التل ثقلا اجتماعيا في البلاد ، واعطته

فرضية الحزبات تحولت معنية على منته التطلعه بما يمكن لها الحصول على مراكز مفرزة ضمن النظام . ان اطروحة انشاء تنظيم سياسي موحد في البلاد ، تمثل الطنمة الأكثر تفصيلاً وتشديداً لمفهوم وصفي التل في العمل السياسي . وهي طبعة مكيفة ومعدلة لاطروحات سابقة لم تعرف الحياة قط . ففي اوائل الستينات ، كان وصفي التل ينشط لطرح مشروع يسمح بانشاء احزاب سياسية في البلاد ، تتكون ضمن اطار النظام وشرعيته ، وتقتسم ادوار الحكم والمعارضة وفقاً لمنظور ليبرالي يبيح فرص الصراع على السلطة على أسس برامجية ، يوفّر للنظام قواعد استقرار سياسي نسبي ، ويقتل من الطابع العشوائي للصعود والهبوط للرموز السياسية في البلاد والتي تتم وفق « ارادة ملكية سامية » غير محكومة بنفوذ هذه القوة الاجتماعية او تلك ، هذا البرنامج السياسي او ذاك (٢) . ان وصفي التل ردد اطروحته هذه في فترة صعوده السياسي المفاجيء ، وبدون اسناد اجتماعي من قاعدة النظام التقليدية . وخرج من الظلال ، في فترة تنامي النفوذ الامبريالي في البلاد ، وخضوعها لنموذجه التهموي ، متسلحاً بوزارة من التكنوقراطيين والاداريين والمهنيين ، الذين لم يسبق لهم ان شغلوا مناصب وزارية من قبل . وكان بينهم عدد من ذوي المسحة الوطنية والعصرية ، وعدد من الحزبيين الديمقراطيين المرتدين . لقد كانت حكومته تلك (١٩٦٢) اشارة ذات دلالة للتحولات التي جرت على عدد من الفئات الاجتماعية « البرجوازية الكبيرة والمتوسطة » والتي باتت جزءاً من قاعدة النظام الاجتماعية ، وذلك بعد ان افسحت سياسة الاستعمار الجديد الاقتصادية في البلاد المجال لتنامي الاستثمارات في قطاعات التجارة والصناعة والزراعة ، مما عزز وضع هذه الفئات اقتصادياً واجتماعياً ، وأمكن حل تناقضها مع النظام بشكل ودي وضمن حصولها على نفوذ سياسي مواز ، يعبر عن نهجها وطموحها (٤) . وهكذا فإن اطروحة تعدد الاحزاب جاءت متوافقة مع النموذج « الليبرالي » للتنمية والتطور الاقتصادي في الاردن ، والتي لعبت المساعدات والاستثمارات الامريكية دوراً مهماً فيها . كما قدمت الولايات المتحدة ومؤسساتها المتخصصة ، التوصيات المناسبة لنمط التنمية وشكل الاسهام الحكومي وحدوده . أي ان اطروحة تعدد الاحزاب كانت متوافقة مع موضوعات التنمية الليبرالية « المبادرة الحرة ، الحرية الاقتصادية . . الخ » ان برنامج السنوات السبع كان صدى مباشراً لهذه التوصيات ، فقد كانت السياسة الاقتصادية تتبنى تعاون القطاعين الحكومي والخاص ، وترك للدولة دور الاسهام في المشاريع العامة ، واحداث تسهيلات تحتية تعزز مبادرة القطاع الخاص (شق الطرق والمواصلات المختلفة ، مشاريع الري . . الخ) واسهام الدولة في تمويل المشاريع الانتاجية الكبيرة ، ثم طرح حصص الدولة فيما بعد للبيع للقطاع الخاص . بالاضافة الى احداث تسهيلات تشريعية مختلفة لحماية الانتاج المحلي واغراء القطاع الخاص بتوسيع مجال الاستثمار (٥) . اي ان وصفي التل ، قدم اطروحة الاحزاب المتعددة ، الى جانب اسهامه في احداث تطوير رأسمالي في البلاد (في شروط وآفاق كولونيالية) ، وتحديث قطاعات الانتاج واطارات الدولة ، وجاءت بالتالي محاولته لبلورة اطراره السياسية ، وتنمية قوته الاجتماعية . ان اطروحته هذه كانت محاولة للبحث عن هذه الاطر ، وهذه القاعدة الاجتماعية من الفئات المتنورة والعصرية في قطاع الدولة والبرجوازية النامية ، المتصلة بالقطاع الحديث من الانتاج ، ومن التكنوقراط والمهنيين ، ليواجه بهم الثقل السياسي لباقي الرموز التقليدية في النظام والمستندة الى قوى اجتماعية غير قادرة على طرح برنامج له جزالة برنامجه العصري وبريقه . ومن ثم فإن هذه الاطروحة كانت كفيلة بان تحققت — باهتدائه الى الاطر التي تبلور برنامجاً يحظى بثقة القوى الاجتماعية النامية والتي تبحث لنفسها عن دور ارسخ في تقرير سياسة النظام ، وتضمن له ايضا البقاء في السلطة ، او الصعود اليها مجدداً ، بهدف عقلنة اسلوب الصعود والهبوط من السلطة وتقنينه وفقاً لقوانين واسس الصراع البرامجي بين الفئات والشرائح الطبقيّة المشكلة

لقاعدة النظام الاجتماعية . أي بهدف التقليل ، ما أمكن ، من الطابع العشوائي الذي يفرضه الملك ، كموجه وموازن بين اجنحة السلطة ، في تحديد الوجة السياسية للبلاد ، الامر الذي يجعل طموحات التل مهددة فعلا بالسقوط في الظلام ، بمجرد ان يطرا أي تناقض مع الملك ، ونذهب « الإرادة الملكية السامية » للبحث عن رجل منفذ ، أكثر طواعية ، ليصعد مجددا الى النور(٦) .

وكما نعرف ، فان هذا المشروع لم ير النور قط ، وبوسعنا ان نتصور ان ما طوى اطروحة الاحزاب ، هو بالذات الهاجس الذي كان يتخوف منه وصفي التل : « الإرادة الملكية السامية » التي لا يمكن ان تتوافق دوما وابدأ مع منظور وصفي التل السياسي وبرنامجه ، نفوذ القوى والفئات الاخرى في قاعدة النظام ، خضوع النظام لضغوط التحولات الجماهيرية في المنطقة العربية وانعكاساتها على البلاد ، مما يتطلب الانحناء للعواصف السياسية ، لا مجابتهها . ان ما يمكن اضافته ، هو ان القوى والشرائح التي اطلق وصفي التل شهيتها بحكومته الاولى « حكومة الشباب » من اجل حصص أكبر في السلطة ، ومن اجل اقرار نهج مؤات لمصالحها ، كانت **جينية سياسيا** ، ولم تجد الفرصة لتميز نفسها بشكل أكثر نضجا ، كما لم تجد الشجاعة لتقدم رموزا أخرى بقوة شكمية رمزها الاول وصلافته . وبكلمة أخرى لم تع ، هذه الفئات والشرائح مصالحها كليا بصورة أكثر تجانسا وتمايزا بما يكفل لها طرح نفسها كقوة سياسية يحسب حسابها . ولعل أكثر محاولاتها هذه نموذجية ، نجده في السؤال الخجول الذي قدمته مجلة « الاثنين » في منتصف الستينات عن غياب السياسيين الشبان في الحكومات المتعاقبة على البلاد .

[٤]

ان التعديل والتفحيح الذي اجراه وصفي التل ، بطرحه مشروع التنظيم السياسي الموحد بدلا من اطروحة الاحزاب المتعددة ، لم يكن مجرد تكيف مع ظروف ما بعد معارك ايلول ، وان كان الاتحاد الوطني قد حمل في بنيته التنظيمية والسياسية ملامح هذه الظروف . ولذلك يمكن ان نلاحظ ان الانقسام العمودي الذي شق المجتمع ، بصورة اقليمية ، وانعكاس هذا الانقسام على قاعدة النظام الاجتماعية ، كان يعبر بهذه الدرجة او تلك عن تناقضات طبقية ، وتناقضات في المصالح بين الشرائح التي تنتمي الى ذات الطبقة . والذي له صلة بتفاوت التطور بين سكان الضفتين ، وتوزع ادوارهما الانتاجية . ذلك ان قاعدة النظام الاجتماعية والمكونة من تحالف طبقي بين البرجوازية الكبيرة (ذات الصبغة التجارية الغالبة) والملاك العقاريين والبرجوازية الادارية (البيروقراطية) في الدولة والجيش والزعامات العشائرية ، قد انقسمت ، في فترة تنامي الصراع بين النظام والمقاومة ، على نفسها . واتخذ هذا الانقسام دلالاته السياسية الواضحة في عدم اتفاق اطراف النظام على نمط المجابهة مع المقاومة . وكان ثمة خياران امام النظام ، مجابهة أردنية سياسية مع المقاومة ، تكون جزءا من المجابهة السياسية العربية من اجل الوصول الى تسوية بعيد مبادرة ووجرز ، أم مجابهة مسلحة لا تنتظر التسوية ، بل تكون التصفية خطوة على طريقها . وهكذا فان قاعدة النظام انقسمت على ارضية التسوية بين هذين النمطين من المواجهة(٧) . لقد أخذ هذا الانقسام طابعه العياني الملموس في الايام الاخيرة من حكومة عبدالمنعم الرفاعي ، التي شهدت تصعيدا منظما للتوتر في عمان ، وتحركات عسكرية شاملة حول محاور العاصمة . وأخيرا اقالة حكومة الرفاعي وقيام الحكومة العسكرية ، التي عبرت عن تغلب الاطراف المتشددة في النظام باتجاه حسم الصراع مع المقاومة عسكريا .

[٥]

ان هذا الانقسام ، الذي أخذ شكلا اقليميا ، له مقدماته بظهور تناقضات ما بين جناحي

السلطة الأساسية - البرجوازية التجارية والملاك الثغاريين من ناحية ، والبيروقراطية وكبار الضباط وبعض الرموز البرجوازية الصناعية والعشائرية من ناحية أخرى ، غير عن نفسه في صراع زمر النظام في نهاية الستينات وتصاعد بعد الحرب . وكان موقف الرموز السياسية في السلطة والمثلة للقطاعات البرجوازية التجارية والملاك العقاريين بعد تنامي نفوذ المقاومة ، هو تحاشي الصدام معها ما أمكن ، بحكم وعيها بالاضرار التي ستخلفها مثل هذه الصدمات على مصالحها في البلاد ، وخاصة بعد ضياع الضفة الغربية . فهي بحاجة ماسة الى جو وفاق عربي يتيح لها التحرك اقتصاديا في مناخ سياسي ملائم .

وكانت مصالحها تعتمد أساسا على تسهيلات تسمح لها بالحركة عبر الحدود العربية ، وفي إطار علاقات أردنية - عربية متوطدة . أما البرجوازية البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش والزعامات التقليدية الشرق - أردنية ، فانها على الرغم من انتعاشها الاقتصادي بفعل المساعدات العربية بعد الحرب ، إلا أنها لم تكن مطمئن لبدء ارتهان المساعدات بموقف النظام من المقاومة ، ولكون الأخيرة تنتمي جماهريا وسياسيا الى حد أنها تقف كسلطة أخرى موازية لها وبالتالي ترى فيها نقيضها المرشح لتهديدها ، ذلك ان المقاومة كانت تمارس نفوذها كسلطة بفعل الضغط الجماهيري ، وبشكل عفوي وبشيء من البلادة ، وان كانت تبدو وكأنها منزهة عن اغراض الحكم والسلطة .

ان البرجوازية البيروقراطية في الدولة وكبار الضباط ، الذين باتت تحت ايديهم قاعدة مادية مؤثرة ، وجهاز لجب من الموظفين وجيش جرار يتنامى باستمرار ، كما يتنامى حجم انفاقها ، استشعرت باستقلالها عن باقي اطارات النظام الاجتماعية ، وبتعزز مطامحها بمباشرة اقرار نهجها في السياسة العليا للنظام ، بحكم ارتباط مصالح هذه الفئة الاجتماعية ببقاء الدولة ونموها . وواقع الامر ، ان هذه الفئة الاجتماعية ، نمت وتوطدت مصالحها بفضل البجوحة الامبريالية ، التي قدمت الحصة الاعظم من مساعداتها وهباتها لدعم الميزانية ، ولدعم الانفاق المتكرر في الدولة والجيش ، ربطت مستقبلها عن وعي بالرهان على الامبريالية وعلى مشاريعها . وهي قد وجدت جوهر وفاقها أو تناقضها مع عدد من الاقطار العربية ، على اساس مدى رهان هذه الدولة أو تلك على الامبريالية ومشاريعها بصدد مسألة احتلال الاراضي العربية في حرب ١٩٦٧ ، أو هي وجدت جوهر هذا الوفاق بمدى تقبل البلاد العربية المعنية أو سكوتها على هذا الرهان . وعلى الرغم من ان الجناح المتصلب من النظام ، كان بحاجة الى المساعدات العربية المقررة في مؤتمر قمة الخرطوم ، إلا أنها كانت على استعداد للتضحية بها ، لكون هذه الدولة أو تلك تشترط بهذا القدر من الجدية أو ذاك ، مسألة عدم صدامها مع المقاومة ، واشتراط نوع من التعايش معها .

وهكذا نجد ان قاعدة النظام الاجتماعية لم تعد موحدة ، كما كانت سابقا ، بل يسودها تناقض متوتر ومشحون بالعداء الذي رفع من حرارته جسامة احداث ايلول . وتعكس هذا الواقع تصريحات وصفي التل بعيد صعوده الى السلطة ، عندما تصدى في اجادينه وندواته الصحفية بمزيد من القسوة والتجريح لرؤساء الحكومات السابقين ، (ويعني التلهوني والرفاعي ، دون ان يحتاج الى تسميتهما) واعتبرهم مسؤولين عن الاوضاع التي سادت قبيل ايلول وآلت اليه ، جنبا الى جنب مع المقاومة . كما نجد ان عبد المنعم الرفاعي يتصدى في تصريح صحفي له ، الى النهج السائد في النظام والذي يطبعه بطابع الاقليمية البغيضة وخاصة في مؤسساته الاعلامية ، معبرا عن استيائه لصعوبة تصدى النظام الاردني للقضية الفلسطينية في المنابر الدولية بالجدارة نفسها التي كان يتمتع بها .

ومن هنا نلمس ان اوضاع ما بعد ايلول ، وانعكاساتها على قاعدة النظام ، ليست فقط لا تتيح المجال لترك الباب مفتوحا امام اتجاهات اطراف النظام للتعبير عن نفسها ، بل اكثر من ذلك ، فان البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش فرضت نهجها على بقية اطراف النظام ولجمت اي صوت مناهض لها . ان التعبيرات العملية للطابع التسلسلي السافر الذي فرضه وصفي التل في تنفيذ نهجه ، يتمثل في احداث تغييرات واسعة في مواقع النظام ، استهدفت تطهير مؤسسات الدولة والجيش والسلك الدبلوماسي كافة من الرموز التي تعبر بهذه الدرجة او تلك عن نهج متعاكس او حتى متحفظ من برنامج ومنظوره الخاص . ان احداث التنقلات ، والاحالة على التقاعد ، والعزل كفلت بتصفية المعامل الرسمية لرموز الاطراف الاخرى من النظام . كما ان اعادة تشكيل مجلس الاعيان واستبعاد بهجت التلهوني ، وعبد المنعم الرفاعي وسليمان النابلسي منه ، واحلال عناصر جديدة تعزز النهج السائد كان العنوان البارز للتحويل داخل النظام باتجاه انفراد طرف واحد في السلطة . ولكون الاتحاد الوطني الاردني ، الاطار التنظيمي والايديولوجي ، لفئة واحدة من قاعدة النظام الاجتماعية ، وتعبيرا عن احتكارها للسلطة في جميع مواقعها ، فان اللجنة التحضيرية والاطارات القيادية للاتحاد قد خلت من اسماء الرموز السابقة ومن يمثلها . مما يعني عمليا ، عزلهم السياسي عن ممارسة أي دور . وهكذا نلاحظ ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت للاتحاد ، صرح بقوله « ان الحكومة ستكون جزءا من الاتحاد ، وكذلك المؤسسات الوطنية ، للقضاء على كل تعارض وخروج على مبادئ الميثاق » . وتابع دودين فقال : « ان الذين لا ينضمون للاتحاد لن يكون لهم نصيب في قيادة هذا الشعب » (٨) .

ان جملة التشريعات والقوانين التي سنت بعيد ايلول ، تظهر رغبة السلطة في احداث تحولات جوهرية تمس اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنقابية كافة . وهذه التشريعات ، ليست فقط موجهة لمزيد من الكبح للحركة الجماهيرية ، والعمال والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة (المهنيين) وانما ايضا للبرجوازية الكبيرة ، والملاك العقاريين اذ ان التشريعات الجديدة رفعت بعض التسهيلات والامتيازات السابقة ، كما زادت من الالتزامات الضريبية على هذه الفئات لصالح ميزانية الدولة ، وحملت جزءا هاما من اعباء الازمة الاقتصادية (مثل اجبارها على شراء السندات الحكومية ، تقديم قروض خاصة للدولة . . الخ) (٩) . ومن جهة اخرى فان عددا من المنابر والاطارات شبيهة السياسية مثل « التجمع الوطني الاردني » لجنة انتقاد القدس « تعرضت لمضايقات قاسية شلتها عن العمل . كما ان « المجمع المهني » تعرض للحل بهدف اخضاعه للاتحاد الوطني اما النقابات العمالية ، فقد آلت الى نقابات بيضاء ، ومنابر رجعية للسلطة .

ان مراجعة سياسية لاسماء اعضاء اللجنة التحضيرية والكوادر القيادية النشطة في الاتحاد الوطني ، تشير بجلاء الى طبيعة انفراد فئة واحدة من قاعدة النظام في السلطة ، وبغض النظر عن بعض العناصر الهامشية في الاتحاد ، فان غالبية الاسماء تنتمي الى مواقع برجوازية في أجهزة الدولة او في قطاعات زديفة ، تعكس اقتصاديا وايديولوجيا ، مصالح هذه الفئة (١٠) . كما ترتبط بها اطارات وسيطة ودنيا من الموظفين والمحافظين ، ورؤساء البلديات والمخاتير والعلمين ، وبعض المهنيين (١١) . كما ينشط عدد من النواب والاعيان (وغالبيتهم من الشمال) في النشاطات والندوات التي ينظمها الاتحاد ، وهم في الغالب يمثلون تيار وصفي التل في مواقعهم التشريعية (١٢) . وبحكم طبيعة الاتحاد هذه ، عبر احد اعضاء اللجنة التحضيرية في حديث له امام الموظفين ، عن طبيعة الاتحاد الاجتماعية فقال « ان جهاز الموظفين كان في الماضي قطاعا مشغولا ، والمطلوب الان هو ان

يكون جهازا قادرا على العمل والتحرك وأداة نشاط في جسم الاتحاد» (١٦). وفي رسالة صحفية من عمان ، كتب أحد المرسلين يصف الجهود الرامية لضم الموظفين في جهاز الدولة الى الاتحاد الوطني مقال ملخصا الوضع « انت موظف ، اذن انت عضو في الاتحاد الوطني الأردني » (١٤).

[٨]

قبل أن يعلن الملك تبنيه الرسمي للاتحاد ، كانت أنباؤه قد تسربت من أوساط النظام الى الشارع ، ونقل مرابيل « النهار » في عمان حديث « مسؤول كبير » في الاتحاد حول طبيعة التنظيم الجديد « يتولى الاتحاد الوطني الأردني تحديد الخط العام للحياة الأردنية ، وقد تعلمنا من الأخطاء التي وقعت في بلدان عربية ، وسنفلأني كل ما يؤخر تقدم هذا الاتحاد ونجاحه . هذا الحزب الأردني الوحيد سيتيح وجود معارضة داخلية تكون اختلافا في أساليب العمل ، من أجل الحفاظ على الخط العام الذي سيكوّن الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما له علاقة بالأردن داخلا وخارجا » (١٥).

وخلافا لهذا التصريح ، فقد حرص النظام على أن يقدم الاتحاد الوطني ، لا على أساس انه حزب ، وانما على انه « اطار عام » كما قال الملك في كلمة الاعلان عن الاتحاد في ٧ ايلول ١٩٧١ . وكذلك في جميع تصريحات اركان الاتحاد الوطني واحاديثهم . ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت يكرر « ان الاتحاد ليس حزبا ، بدليل ان التعريف العلمي للحزب هو انه يجمع طلائع طبقية اجتماعية معينة تعمل على خدمة هذه الطبقة ، والسعي لايقالها الى كراسي الحكم على حساب الطبقات الأخرى من المجتمع ، الامر الذي يخلق صراعا طبقيًا في المجتمع ، وبالتالي يؤدي الى ايقاعه فريسة للعدو وفق آرائه » .

ويضيف قائلا « اننا نعيش مرحلة تحرر وطني ، وجزء من وطننا محتل ، والجزء الآخر معرض للخطر ، فمن هنا لا بد من قيام اتحاد وطني من أجل أن يقاوم هذا الشعب تحت شعار الجبهة الوطنية التي تنصهر فيها كافة قوى الشعب » (١٦). ويتحدث ابراهيم الحباشنة عضو اللجنة التنفيذية المؤقتة للاتحاد الوطني في الخط ذاته ، ويضيف « ان الاتحاد الوطني ليس تجمع أحزاب ، وانما هو اطار عام للمبادئ السياسية والوطنية والثقافية والتربوية والاقتصادية ضمن خط متواز لصالح جميع أبناء الشعب ، وليس لصالح طبقة واحدة » (١٧). وعلى الرغم من هذه التأكيدات المتتالية ، فان جميع الفئات الاجتماعية الخارجة عن اطار الاتحاد الوطني تعتبره حزبا . وكذلك الحال الصحفيون والمراقبون ، الذين يقدمونه على انه « حزب حكومي ، حزب الملك المدني ... الخ » ولكن طريقة تكوينه ونهجه العام يقدمانه على حقيقته ، كحزب الفئة المهيمنة على السلطة الان في الأردن .

لقد شكل الملك لجنة تحضيرية ضمت قرابة المئتين من الشخصيات الأردنية - الفلسطينية ، المعينين منه (١٨). وقد تولت هذه اللجنة انتخاب لجان مكاتب عمل المحافظات في الضفتين ، وذلك لتولي الإعداد والتنظيم والدعوة للمؤتمر العام للاتحاد . وقد تشكلت هذه اللجان الفرعية على اساس التمثيل الجغرافي للضفتين ، كما تشكلت لجانان أخريان ، احدهما للنساء والأخرى للبدو (١٩). وقد تولت هيئة مكاتب العمل المنبثقة عن اللجنة التحضيرية تنظيم سلسلة من الاجتماعات الشعبية في المحافظات ، كما جذبت وسائل الاعلام الحكومية ، وعقدت ندوات تلفزيونية ، نقلت الصحف المحلية بدورها تفاصيل مناقشاتها . وكانت مهمة هذه الاجتماعات والندوات ، الدعوة للاتحاد وشرح أهداف الميثاق . ومن جهة ثانية شكلت هيئة مكاتب العمل ، لجانا قطاعية ، للتنسيق والاعلام ، ولجانا أخرى للصناعة والتجارة ، والموظفين والمعلمين والطلبة (٢٠). وشهدت الشهور الأولى للاعلان عن الاتحاد حملة تعبوية كبيرة ، تمثلت في سلسلة الاجتماعات والندوات على امتداد المحافظات ، لعبت فيها مكاتب العمل واللجان القطاعية دور

التحضير ، وقدمت لها تسهيلات حكومية ، من المحافظين ورؤساء المجالس البلدية والقروية ، والامن العام ، واستخدمت المدارس والمرافق العامة لهذه الاحتشادات ، وغظيت اعلاميا على نطاق واسع . لقد كانت مهمة هذه الاجتماعات ، الدعوة للانتساب للاتحاد ، وشرح أهدافه والرد على تساؤلات المواطنين ، وكانت مثل هذه الاجتماعات تتوج بارسال برقيات الولاء للملك والنظام والاتحاد الوطني . وليس من المبالغة في شيء ، أن نشير الى الطابع القسري والزجري الذي تتم فيه هذه الاحتشادات ، اذ عوضا عن أساليب القسر المادي في تجميع المواطنين وحشرها في هذه الاجتماعات ، فان الارهاب المعنوي والسياسي كان يلعب تأثيره الخطير ، كما ان اليأس وروح التملق للسلطة منعنا لشرورها ، كانا يدفعان المواطنين الى ندوات الاتحاد الوطني التي لم يكن لهم فيها من دور سوى تلقي الركام اللفظي الرسمي ، والتمتع الايديولوجي الجديد . وفي أحد هذه الاجتماعات يقول مصطفى دودين صراحة « ان الانتساب اختياري ، وليس اجباريا ، ولكن لا مجال للانتعزال عن مسيرة هذا البلد ، والذين يبقون خارج تنظيمات الاتحاد سيظلون بمعزل عن ابناء البلد » (٢١) .

ان نشاط الاتحاد الوطني التعبوي باتجاه دفع المواطنين للانتساب للاتحاد الوطني ، قد توج بالدعوة الى المؤتمر العام للاتحاد الوطني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧١ . وقد دعي الى هذا الاجتماع ٢٤٠٠ شخص يمثلون المحافظات في الضفتين . وكان التمثيل موزعا بنسبة النواب عن كل محافظة مشروبا بأربعين ، وكانت كل محافظة تختار ممثلها الى المؤتمر العام (٢٢) . وكما ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد الوطني ، فانه ينبثق عن المؤتمر العام مجلس للاتحاد يتألف من ٣٦٠ عضوا ، بينهم ٢٤٠ عضوا يتم انتخابهم من اعضاء المؤتمر العام ، فيما يتم تعيين ١٢٠ عضوا من قبل الملك ، على ان يكونوا من اعضاء المؤتمر العام . ويظل مبدأ التعيين قائما « الى أن تزول آثار العدوان » (٢٣) . وكذلك الحال مع اللجنة التنفيذية العليا ، اذ ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد على انتخاب ٢٤ عضوا من اعضاء مجلس الاتحاد للجنة التنفيذية العليا ، وعلى تعيين الملك للاعضاء الاثني عشر الآخرين في اللجنة (٢٤) . وفي المؤتمر العام الاول ، الذي عقد في الموعد المقرر ، جرى عرض الميثاق وتم اقراره ، كما اختير الملك رئيسا اعلى للاتحاد والامير حسن نائبا للرئيس . وخلافنا لمواد النظام الاساسي السالفة ، فقد كلف المؤتمر العام الملك اختيار لجنة تنفيذية عليا مؤقتة للاتحاد ، الى حين انعقاد المؤتمر العام الثاني في شهر آب ١٩٧٢ ، وفي مطلع كانون الاول ١٩٧١ أصدر الملك قرارا بتشكيل اللجنة التنفيذية ، وكانت تتألف من ٣٦ عضوا ، بينهم ستة وزراء ، وعدد من الاعيان والنواب ، وثلاث سيدات (٢٥) .

مما مر يتبين دون اي لبس ، انه رغم التصفية الرجعية التي تطبع تكوين الاتحاد ، والتي تكفل وصول ممثلي البيروقراطية الاكثر امثالا الى المؤتمر العام ، فان الاطارات العليا في الاتحاد ، تخضع لمبدأ التعيين ، الذي يكفل خضوع الاتحاد لكوادر قيادية منتقاة ، ومضمونة الولاء . ان الاتحاد الوطني والحال كذلك ، ليس اكثر من مؤسسة بيروقراطية ، تفتقر الى الحد الادنى من الديمقراطية ، حتى عندما تتعامل الفئة المهيمنة على السلطة مع قاعدتها الاجتماعية .

[٩]

سبق أن أشرنا ، ان الاتحاد الوطني يطرح نفسه ، ليس على انه حزب طبقة أو فئة من هذه الطبقة ، وانما على اساس تنظيم عام لكل المجتمع ، فلماذا يصر على هذا ، في الوقت الذي تعامله الغالبية الساحقة من الجماهير على انه حزب الفئة المسيطرة على السلطة ، ويبدو ذلك جليا في استفسارات المواطنين التي تنصب على علاقة الاتحاد بالحكومة القائمة (آنذاك : حكومة وصفي النثل) وما هو مصير الاتحاد في حال مجيء

حكومة جديدة ، وما موقف الاتحاد منها . الخ . ان الاتحاد الوطني ، شأنه شأن
التنظيمات الطبقيّة كافة التي اقيمت بقرار رسمي من فوق ، وتشكلت بادعاء تمثيلها جميع
فئات المجتمع وطبقاته ، بدون استشارة هذه الفئات والطبقات ، وبدون اعطائها حق
ارسل ممثلها بالطرق ، التي قدمها التاريخ الانساني : اي احوالها الخاصة ، لتكون في
النهاية اتحادا وطنيا او جبهة وطنية . ان الاتحاد الوطني ، يرفض ذلك ، انه يرفض ان
يطرح نفسه كحزب ولا يريد نفسه تجمع احزاب ، انه يريد ان يكون اطارا وطنيا عريضا ،
انه ، كغيره من التنظيمات المشابهة في عدد من الاقطار المتخلفة ، يريد ان يضع نفسه
فوق الطبقات وخارج الصراع الطبقي . ويحكم ملامح التنور الديماغوجي والانتقائية
المتذلة التي قدمتها العناصر المرتدة على ماضيها الحزبي ، الى الاتحاد الوطني ، فانه
يعترف بواقع انقسام المجتمع الى طبقات ويعترف بالاستقلال الطبقي ، ولكنه ، ولاغراض
توطيد سلطة هذه الفئة على الحكم ، يريد ان يحل هذا الانقسام وهذا الصراع وفاقيا
وحيا . ويضع الاتحاد الوطني نفسه - وفقا للفهم البونابرتي الذي يطرحونه - حكما
بين الطبقات ، ويقول باذابة الفوارق الطبقيّة وفقا لمبادئ التضامن الاجتماعي ، التي
تعني في شروط الاردن ، اشراف الدولة وتوجيهها لحدود الاستقلال الطبقي ، اي تهذيب
هذا الاستقلال وتقنينه من أعلى . ان الاتحاد الوطني ، يحكم ادعائه السياسي بأنه
« اطار عام » للمجتمع ، ويكونه « جبهة وطنية تنصهر فيها كافة قوى الشعب » ، لا
يطرح مسألة العلاقات بين الاطراف المشكلة لهذه الجبهة او لهذا الاطار ، كما تبني عادة
الجبهات الوطنية في العالم . وانما يطرح مفهوما طبقيّا ، يبرر فيها احتكاره
للسلطة « باسم المجتمع » ، وهذا المفهوم يعبر عنه في ميثاق الاتحاد
الوطني بتعبير « الديمقراطية الهادفة » الذي يهذب بصفات اخلاقية
مثل « الديمقراطية يجب ان تكون متفتحة ، تقوي اوامر المحبة والاخاء ،
تزيل آثار الهدم وتعزز افكار البناء ، بعيدة عن الارهاب الفكري ،
ايجابية ، هادئة ، موضوعية . الخ . بيد ان الهدف الحقيقي ، الكامن وراء مثل هذا
التعبير الديماغوجي ، هو احكام سيطرة الاتحاد الوطني واركانه ضمن النظام ، على
السلطة ، وقمع الافكار والتيارات الاخرى التي تتباين بهذه الدرجة او تلك عن افكار
الاتحاد ونهجه . اذ يرى الميثاق ان حرية التعبير عن الافكار والمعتقدات في البلاد ، تتم
« وفق روح الميثاق وفي النطاق المحدد للديمقراطية الهادفة » . ومن اجل هذا الفرض
ينص الميثاق على « رعاية الديمقراطية الهادفة وخلق مدارسها ومؤسساتها بصبر وعزم
وايمان » (٢٦).

ان هذه الفئة الاجتماعية ، المعبر عنها تنظيميا وسياسيا في الاتحاد الوطني ، بحكم طرحها
لنفسها كاطار للمجتمع ، ولكل الطبقات والفئات ، كانت مضطرة لان تطرح نمطا معينا
من الدعوة الايديولوجية ، وبرنامجا مختلفا ، يمس جميع الفئات والشرائح الطبقيّة في
المجتمع ، اي انها اقامت تعديلا نوعيا على نمط علاقة النظام بالجمهير وبالطبقات كافة .
فالنظام مارس تاريخيا ، سلطته استنادا لحق مطلق اخلاقي وديني ، وثبت هذه السلطة
وعززها بالقمع ، وخاصة تجاه الطبقات الدنيا والمتوسطة من المجتمع . وكانت سلطته
تستند غالبا الى تحالف الشرائح الطبقيّة العليا مدعومة ومسنودة من البرجوازية والقوى
التقليدية . ولم تكن ثمة ارضية للتعايش مع الطبقات الادنى ، التي لم يكن بوسع النظام
بحكم نمط العلاقات السائدة والنظام الاجتماعي والاقتصادي السائد ان يلبي اي مطلب
شعبي ديمقراطي . لذلك فان القمع المباشر والسلطة البوليسية كانت الاداة الرئيسية
لفل الجماهير والقضاء على مؤسساتها . اما اليوم ، فان البرجوازية البيروقراطية
وشرائح عصرية اخرى حولها ، تريد ان تقيم صلاتها مع الطبقات والفئات المختلفة في
المجتمع ، على اساس ايديولوجي ، عوضا عن ارتكازها الى السلطة القمعية . وتريد
ان تنشر مناخا ايديولوجيا ، يعزز دور الدولة ، ليس بوصفها أداة قمع بيد طبقة ، وانما

بوصفها جهازاً فوق الطبقات ، ومزجها عن التناقضات الطبقية والاستغلال الطبقي ، وأداة إصلاح وحكماً عادلاً يسترشد « بمبادئ التضامن الاجتماعي » . كما أنها تطرح - الاتحاد الوطني ، على أنه الإطار السياسي ل**جميع الطبقات والفئات الاجتماعية** ، ومن خلال مشاركة الجماهير ، في الاتحاد ، فإنها تشارك في السلطة في توجيه الحكم ومراقبته . ومن هنا ، فإن البرجوازية البروقراطية والشرائح المحيطة بها ، تريد أن تقيم حكماً استبدادياً مستنيراً ، يعقلن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، عبر النخبة البروقراطية العصرية المنورة ، التي تضع نفسها خارج العراك ، وخارج حلبة الصراع الاجتماعي . وهي بصدد ذلك ، بمقدار الترميمات التي تجريها على النظام السياسي وعلى نظام الإنتاج ، التي تعزز سلطة الدولة في الاشراف والتوجيه والتخطيط المركزي ، فإنها تسعى الى **احداث تعديل على قاعدة النظام الاجتماعية ، يطمح الى ادخال فئات جديدة** ، وحصص الفئات المنافسة (البرجوازية التجارية والملاك العقاريين) . ان خرق الاتحاد لقاعدة النظام التقليدية والتوجه نحو فئات متوسطة ودنيا ، لا يمكن ان يتم دون تبني اصلاحات معينة تساعد على تحرير أوهام هذه الفئات حول امكان تحقيق النظام لمطالبها . بيد ان هذه الاصلاحات انما تتم وتجر لصالح تعزيز السلطة السياسية للبروقراطية وحلفائها ولا تصاحبها حريات سياسية وديمقراطية وانما على العكس ، وبالتالي فإنه ليست هناك ضمانات لتحقيق هذه الاصلاحات . ان قطاعات مهمة ، في **الريف الأردني ، وفئات أخرى من البرجوازية المتوسطة والصغيرة الشرق - اردنية في اجهزة الدولة والقطاعات المرتبطة بها** ، جرى تعزيز مخاوفها بعيد قتال أيلول انما كانت مستهدفة من المقاومة ، باستهدافها للدولة ، وقد جاء الاتحاد الوطني ورموزه القيادية في الحكم ، لتعزز هذه المخاوف ، **بدعوتها لان تلعب دوراً سياسياً في دعم النظام الراهن** ، الذي هو حامي مصالحها . لذلك فان الاتحاد كان نشطاً للغاية في مناطق شمال الاردن على نحو بارز ، كما منحه **الانئلجنسيا الأردنية** ، العصرية في المدن دماء جديدة ، واعطت الحكومة طابعها المتقدم عن الحكومات السابقة .

[١٠]

في الفترات التي يزداد الصراع الاجتماعي ، في بلد من البلدان ، وعندما تصبح الازمة الثورية ناضجة ، فان الرجعية لا تستطيع ، عشية انتصار الثورة ، ان تعيد تقديم نفسها ، كما عرفت الجاهل سابقاً . ذلك ان المد الثوري ، وتطور الوعي والنضج الموضوعي ، تخلق ثقافة وتقاليد متقدمة بين صفوف الجماهير ، وتقدم الشواهد التاريخية ، على ان عودة الرجعية للسلطة يتخذ طابعاً جديداً ، اي انها تميل الى تغيير ثوبها ، وتتسعى لحو ذاكرة الجماهير واعادة اعتبارها لذاتها أمامهم . وفي مثل هذه الظروف يتقدم المرتدون ، الذين كانوا في يوم من الايام في صفوف الحركة الجماهيرية ، ثم تجاوزتهم الحقبة ، ليقدموا للرجعية ائمن الخدمات . فهم الذين يأخذون على عاتقهم تبرئة النظام وتحديثه ، ويمنحون النظام غطاء ايديولوجياً ، يستر عريه الرجعي البشع ، بانتقائية مبتذلة وديماغوجية ، مركبة من ثقافات ومنابع ايديولوجية مختلفة ، توطد للنظام استقراراً وتؤمن له الاستمرار . وبالطبع فان هؤلاء المرتدين (٢٧) لا يقدمون على ذلك تطوعاً ، كما ان القوى التقليدية تقبل بهم بطوع ارادتها وبرضاها . ان ما يجعل مثل هذا اللقاء المقيت ممكناً ، هو الحقبة والظرف الموضوعي الحرج لكلا الطرفين . وهذا ما فعله الحزبيون المرتدون ، عبر الاتحاد الوطني ، حينما قدموا للنظام « نظريته الجديدة » عن **الطريق الثالث** . يقول ابراهيم الحباشنة « لقد تبنى ميثاق الاتحاد الوطني **نظرية جديدة** ، هي نظرية الطريق الثالث في البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ، وكان من الجراة حقا ان يتبنى الاردن **نظرية خاصة** به في هذا العالم الذي تتقاذفه نظريتان ، تتبناها دول عظمى تؤثر في مصير الشعوب تأثيراً مباشراً . وما زالت دول عديدة في

بلدان آسيا و إفريقيا ، التي تحررت حديثا ، تتلمس الطريق الثالث ، لكنها لم تستطع الوقوف على قدميها امام النظريات العالمية كالماركسية والاشتراكية . والطريق الثالث في مفهومنا يرتبط بتراثنا العربي المادي والروحي ويستند الى اعماق فلسفة هذا التراث ، ويشتمل على نظرية التوازن في الاجتماع والاقتصادي والثقافي الفردي والجماعي . اما نظرية التوازن فيبوضحها الحباشنة على النحو التالي : « مفهوم التوازن في تراثنا مفهوم أصيل وعميق (. . .) وتعتمد من الناحية الفيزيائية على الابعاد المتساوية في حركة الفرد ضد المجتمع ، وحركة المجتمع ضمن المجموعة الانسانية ، وتعتمد على محصلة القوى المتصارعة في مختلف المجالات ، وعلى نقض النقيضين في الصراع الاجتماعي ، وهذا يرسم لها مسارا متوازيا بفضل تدخل الانسان الذي لا يقف متفرجا على حركة التطور الحثيبي والغفوية (. . .) لذلك من هنا يبدو اختلاف الاتحاد بمفهومه عن الحزب السياسي ، لان موضوعه هو الشعب بأسره ، وليس فئة من فئاته او طبقة من طبقاته » (٢٨) . ان ما مر ، يوضح طبيعة التحول في لغة النظام ونهجه وطبيعة الغطاء الايديولوجي الذي يقدمه المرتدون . وفي افتتاحية لصحيفة النظام الرسمية « الراي » قالت : « ان الميثاق الاردني الذي استقى مبادئه ونظراته ، من الواقع المرير الذي تعيشه شعوب العالم الثالث ، اوضح الطريق الثالث لهذه الشعوب في مواجهة الطفيلان الرأسمالي او الديكتاتورية الشيوعية » . وعادت ذات الصحيفة في عرضها لندوة خصصت لتشرح مبادئ الاتحاد الوطني لتكرر انه « يطرح نظرية جديدة للعمل الاجتماعي والاقتصادي والتنظيمي بصورة عامة ، معتمدا على تجربة الدول النامية ، وتطلع هذه الدول الى بناء مجتمعات خالية من التناقضات الطبقيية » .

[١١]

ان اطروحة الطريق الثالث ، التي يقدمها متطرو الاتحاد الوطني ، على انها نظرية خاصة وجديدة ، وكثيرة رائدة وفريدة للتطور ، تعبر عن نفسها في الميثاق الوطني ، كبرنامج للنظام وكغطاء ايديولوجي على النحو التالي : **على الصعيد السياسي العربي** ، يحدد الميثاق التناقض الاساسي في المنطقة العربية ، على انه التناقض مع العدو (الصهيوني) ، **ويراه التناقض الاساسي الوحيد** . « ومن هنا فان جميع الاقطار العربية مدعوة للوقوف صفا واحدا ضد الخطر المشترك ، وهذا يستلزم بالضرورة حشد جميع الطاقات العربية وحل الخلافات بالحوار الهادئ ، والتزام المواقف المسؤولة والتعاون الاخوي الايجابي » (٢٩) . ويستتبع هذا الفهم للتناقض في المنطقة الدعوة لحشد القوى العربية وتنسيقها وتوحيدها في خط المجابهة مع العدو ، منعا لانفراد بضرب كل منها على حدة . ويدعو الميثاق الى وحدة خط المجابهة السياسية ، ووضع سياسة خارجية موحدة للدول العربية و « نبذ المعارك الجانبية بين الدول العربية ، بسبب تباين أنظمة الحكم ، او اية خلافات اخرى » . ووفقا للمنظور المار ذكره ، فانه لا وجود لتناقض اساسي اخر في المنطقة ، كالتناقض مع الامبريالية واستنزافها للثروات العربية . واغفال العدو الامبريالي ، كعدو اساسي ، يضع كل دعاوات الاتحاد الوطني ، عن التقدم والتحرر الوطني ، في موضعها كديماغوجية سافرة . وبصدد وحدة القوى العربية ، فأنها في الميثاق تؤسس وتستند الى ارضية النظام الاردني ، ويضعها خاضعة لاشتراطات الرجعية ، التي تتحدث عن الوحدة والتضامن ، وتمارس سياسة انقسامية واقليمية وانفرادية ، وتدعو الى نبذ المعارك الجانبية ، وهي تعني دعوة القوى العربية لفض النظر وتمهيد التجاوزات الوطنية والتنازلات المقدمة للعدو مقابل مصالحها الذاتية الضيقة . ان الميثاق يذهب الى حد وضع نموذج سياسي جديد للوحدة العربية فيقول : « ولما كان العديد من الاقطار العربية الشقيقة تمر في المرحلة نفسها التي يمر بها الاردن ، وتجاهه مشاكل داخلية وخارجية متماثلة ، ونظرا لان المرحلة التي نجنازها تتطلب

بالضرورة قيام اتحادات وطنية تنطلق من واقع يماثل واقعنا ، فان الاتحاد الوطني الاردني سيعمل على توثيق العلاقات مع تلك المنظمات على اختلاف تسمياتها ، بمختلف الوسائل لاعترافنا بان هذا هو المنطق السليم نحو اتحاد الدول العربية ووحدة الامة العربية » . ان المنظر الاردني للوحدة بين الدول العربية ينطلق من الدعوة لتعميم التجربة الاردنية ، والتجارب الأخرى المشابهة في عدد من الاقطار ، اي قيام اتحادات وطنية ، لا تستند الى تقاليد التحالفات الطبقية في جبهات وطنية ، تسودها علاقات ديمقراطية ، وقوانين التضامن مع النقد . وهو اذ يجد في التحولات الرجعية واليمينية في المنطقة العربية تغطية له ، فانه يجد الشجاعة الكافية لدعوة هذه الاتحادات على اختلاف تسمياتها لتوثيق صلاتها . باتجاه تعميم القمع الرجعي ، واخضاع جميع الطبقات لسلطة الطبقة السائدة ، اي طبقة برجوازية الدولة والبيروقراطية .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، فان الميثاق يروج لمفهوم برجماتي نفعي في الموقف السياسي ، يعبر في الشروط الموضوعية الراهنة ، عن تبرير لسياسة الارتواء في احضان الامبريالية ، تحت شعارات وتسميات مختلفة . فالميثاق يدعو الى « تفهم السياسة الدولية والتناقضات الدولية الاقتصادية والسياسية ، وفي ضوء ذلك اتخاذ المواقف المناسبة لمصلحة القضية ، والابتعاد ما امكن عن التشنجات العقائدية والجمود خلف الشعارات ومواقف الزيادة السياسية » . ويستتبع الميثاق ذلك بالقول « ان المصلحة الاقتصادية الوطنية تحدد الاولويات في تعاملنا مع الدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية » . وفي الفقرة الاخيرة نجد كمية مذهلة من الابتذال الديماغوجي ، فمن الواضح ، وخاصة في شروط الاردن العيانية ، ان ما يحدد اولويات التعامل مع الدول الاجنبية ، ليس المصلحة الاقتصادية الوطنية فقط ، وانما بالتحديد ، مدى استقلال هذا القطر او ذاك او تبعته الاقتصادية (ومن ثم السياسة) الامبريالية ، ومن هنا ففي حالة الاردن ، فان الامبريالية هي تقرر ، ذلك ان اعتماد ميزانية الدولة ، في قسمها الاعظم ، على المساعدات الاميركية والامبريالية عموما ، لا يترك لايدولوجي الاتحاد الوطني فرصة تبرير هذه الترهات . وما من شك ، في ان مرتدي الاتحاد الوطني ، لورجعوا الى محفوظاتهم بامانة ، لاعادوا صياغة الفقرة السابقة على النحو التالي « ان المصلحة الاقتصادية للشرائح والفئات الطبقية السائدة تحدد الاولويات في التعامل مع الدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية » ، ذلك ان مصالحها ، وليس المصلحة الاقتصادية الوطنية هي التي تبرر ارتواءها في احضان الولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا » . بالاضافة الى ما مر ، هناك بنود حول الموقف من القضايا الدولية ، تتحدث عن احترام سيادة الوطنية لسائر الشعوب وحقها في تقرير مصيرها واختيار انظمتها بحرية ، وشجب التدخل الخارجي لغرض نظام معين بالقوة . ودعم تحرير الشعوب في صراعها ضد الاستعمار ، رفض سياسة التبعية والاشتراك في احلاف وتكتلات ومحاور سياسية عدوانية . الخ . ان البنود السابقة لا تحتاج الى تعليق ، فكل بند منها قد اسهم النظام بحرقه عمليا ، وبطرق مختلفة . ان خدمات النظام ، وعلى رأسه رموز الاتحاد الوطني ، للثورة المضادة في الخليج وعمان ، من تسليح وتدريب وخبراء ، نموذج رهن للموقف الاردني الواقعي .

وعلى صعيد السياسة الداخلية ، سبق ان اشرنا الى موقف الاتحاد الوطني من الحكم ونموذجه للديموقراطية . ونضيف لفقرة من الميثاق : « علاقة الاتحاد بالحكم تنطلق من الاجابية ، يتعاون مع الحكم بقدر ما يتحرك الى الامام ، وفق مبادئ الاتحاد ، دون التأثير ببندل الاشخاص والاسماء » . ويدعو الميثاق الى تنسيق جهود جميع قوى الشعب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفق مبادئ الميثاق للعمل والكفاح في سبيل تحرير الوطن المحتل ومجابهة تحديات التنمية والتقدم . .

أما على الصعيد الاقتصادي ، فإن الميثاق يحدد في برنامجيه الاقتصادي عن الهدف التالي « العمل على إقامة بنية اقتصادية في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والقطاعات المصرفية ، والاجتماعية والخدمات العامة ضمن إطار الاقتصاد الموجه ووفق برامج انمائية محكمة في سبيل إقامة مجتمع اقتصادي متوازن ومستقل مزدهر يستهدف : تحقيق حد أدنى من الدخل للمواطن يكفل له الحياة الحرة الكريمة ، وحد أعلى من الدخل للمواطن يعالجه مسار الاقتصاد الموجه وقوانينه » . ويتسم اشكال الملكية والاطار القانوني للمؤسسات في جميع القطاعات السالفة الى اربعة اشكال : القطاع الحكومي ، المختلط ، الخاص ، التعاوني . ويرى الميثاق انه من اجل توازن الاقتصاد الوطني ووحده وافتتاحه ومرونته ، فانه يتطلب ايجاد اقلية دائمة تتصل بين مختلف قطاعاته كوسيلة لتحريك وحدات اقتصادية من قطاع الى آخر في ضوء التجربة العملية ، وهذه المهمة تمارسها الدولة » . وينص من جهة اخرى على المركزية في التخطيط والبرمجة من اجل وحدة الاقتصاد الوطني ، وعلى اللامركزية في الادارة والتشغيل .

وبصدد القضية الزراعية ، فإن الميثاق يضع ضمن اهدافه العمل على تحقيق اصلاح زراعي مرحلي ، تلعب الدولة فيه دورا رئيسيا في التخطيط والتوجيه لاستصلاح الاراضي وحماية الاراضي المستصلحة ، على اساس عادلة ومراقبة استغلالها . واعتماد **التعاونيات الفلاحية في الانتاج والتسويق ،** والتوسع في اقامة **المزارع الحكومية النموذجية ،** واعتماد أحدث اساليب الاستثمار الزراعي لتخفيض كلفة الانتاج وزيادة انتاجية الارض . من الاهداف الاخرى ، توجيه الانتاج الزراعي وتنويعه وفقا لحاجات الاستهلاك الداخلي والتصدير ، وبرمجة هذا الانتاج وفقا لخطة التنمية العامة . كما يدعو الميثاق الى تطوير الثروة الحيوانية والانتاج الحيواني ، والتصنيع الزراعي ، واقامة الصناعات الريفية . ويحرص الميثاق على تأكيد تشجيعه للجهد الفردي والمبادرات الفردية في ميدان الاستثمار الزراعي ، كما يعمل على تفويض اراضي الدولة الزراعية لمن يعملون في الارض .

وكما يلاحظ ، فإن حدود البرنامج الزراعي في الميثاق ، ودلالاته العملية ، ليست في مستوى شعار اصلاح الزراعي ، الذي يعني في شروط الريف الاردني ، تحويلا في علاقات الانتاج ، بالاضافة الى تطوير الانتاجية تقنيا . ان ما يسمى اصلاح الزراعي ، يعبر في الحقيقة عن الرغبة في ان تلعب الدولة دورا في التخطيط والتوجيه ، لقيام زراعة رأسمالية قائمة على الجهد والمبادرة الفردية ، وعلى دور للقطاع الخاص بمفرده او بالمشاركة مع الدولة . . كما ان التعاونيات في ميادين الانتاج والتسويق ، هي خطة لتجميع الملكيات الزراعية في وحدات اكبر ، والتجربة تعلمنا ان هذه التعاونيات ، بدون وجود تشريع يحمي الفلاحين الصغار ، تعنى هيمنة الملاك الزراعيين الكبار على التعاونية . ومن جهة ثانية ، فان توجيه الانتاج الزراعي وبرمجته على الرغم من انهما شعاران متقدمان على الصعيد الاقتصادي ، من حيث انهما يؤديان الى زيادة الانتاجية ، وتحسين التربة واستصلاحها ، واخضاعها لضرورات التسويق المحلي والخارجي ، الا انها يعينان عمليا ، الحاق الدمار الاقتصادي في الفلاحين الصغار الذين سوف يواجهون اختيارا صعبا ومؤلما بين ان يخضعوا زراعاتهم لتوجيه الدولة ولحظة التنمية ، واما ان يعمدوا الى بيع الارض ، ويتحولوا الى بروليتياريا ريفية وعمال زراعيين بدون ضمانات وتسهيلات .

ان الاطار العام للبرنامج الزراعي في الميثاق ، هو اطار تقني محض ، لا يستهدف تحسين اوضاع الفلاحين بقدر ما يستهدف تحسين الانتاجية الزراعية ، ومن ثم لا حديث عن تحديد السقف الاعلى للملكية ، فيما يعنى البرنامج بتجميع الملكيات الصغيرة ، اما في تعاونيات تؤول حتما ، الى سلطة الملاك الزراعيين الاكبار ، او يدفع الفلاحين الصغار

والتوسطين الى بيع اراضيهم ، لانهم ، وبحكم اعتماد غالبيتهم على الزراعات التقليدية او زراعات الاكتفاء الذاتي ، غير مؤهلين لاختصاص نمط زراعاتهم للخطة او تمويل هذه الزراعات . ومن ثم فان المحصلة الرئيسية للبرنامج هو خلق استثمارات رأسمالية في الريف ، وتطوير الزراعات التصديرية ، واقامة المزارع الحديثة ، وصناعات زراعية وريفية بالمبادرات الخاصة . ومن جهة ثانية ، فان الدولة تتحدث عن « تفويض » اراضيها للمزارعين . وفي حديث لبراهيم الحباشنة يقول « ان هناك بعض الملكيات الكبيرة ، التي سيعمل الاتحاد على توزيعها على المزارعين ، والذين يتوجب عليهم استغلال الارض على الوجه المطلوب ، والا فستنزح ملكيتها منهم ويعاقبون . . » . ان مبدأ التفويض هو مبدأ تقني واقتصادي محض ، وله طابع المشروع الاقتصادي الخاص ، وان كان في اطار الخطة والتوجيه ، وفي مثل هذه الحالات ، فان التفويض يكون موجها لاشخاص تثق الدولة بقدرتهم الاستثمارية ، اي انه سينتهي الى صالح الملاك الزراعيين الكبار .

وفي القطاع الصناعي ، كما في القطاع المصرفي والبنكي ، فان الدولة تمارس مبدأ التوجيه ، وتحدد شكل الملكية للمؤسسات في هذين القطاعين على النحو التالي : مؤسسات حكومية ومؤسسة (٢٠) ، ومختلطة وخاصة وتعاونية . ويخضع الميثاق المؤسسات الصناعية لضرورة مراعاتها الامور التالية : الخطة السياسية الاقتصادية للدولة ، المنفعة العامة ، الكفاءة والجدوى الاقتصادية تحقيق الحد الاعلى من الانتاجية ، مراعاة تقسيم العمل في مختلف اجزاء الاردن . . . الخ . وبكلمة اخرى فان الميثاق يخضع الانتاج الصناعي لمواصفات الترشيد الاقتصادي من حيث الكفاءة الانتاجية بمزاينة الدولة واثرائها ، لكن الميثاق لا يتحدث عن استثمارات الخامات والمعادن في البلاد ، ولا عن تحويل نوعي للصناعة من صناعة استهلاكية ، يغلب عليها حصة ضئيلة من التصنيع المحلي وتعتمد على مواد وسيطة ونصف مصنعة .

وبصدد حقوق العاملين في المؤسسات الصناعية ، فان الميثاق يتحدث عن تحديد اجور العاملين وفقا لحد ادنى معاشي ولدى انتاجية العامل . وينص على تعديل الاجور حسب مؤشرات غلاء المعيشة وارتفاع مداخل المؤسسات الصناعية . كما يشير الميثاق الى اعطاء العمال في المؤسسات الصناعية فرص ملكية الاسهم في المؤسسات من مقطوعات ادخارهم ، وفرص المشاركة في الادارة والتوجيه . ويلاحظ ان الميثاق ، يقدم تعديلات اساسية لصالح العمال معيشيا واقتصاديا ، كتحديد الحد الادنى للاجور ، وتعديلها مع ارتفاع تكاليف المعيشة او ارباح المؤسسات . وهذا ينسجم مع خطة النظام لاحداث تحسينات معيشية ومادية ، بهدف امتصاص مطالب العمال وتدجينهم وتحويل جوهر علاقتهم بالسلطة لتقوم على اساس مطالب مادية ومعيشية محضة ، وبذات الوقت يجري سحب المزيد من الحقوق السياسية وتقييد الحقوق السابقة للعمال ونقاباتهم ، مثل حق الاضراب ، وطمس اية مكاسب اتاحتها المرحلة الماضية لهم ، وخاصة على الصعيد السياسي (٢١) . اما عن فرص تملك الاسهم في المؤسسات ، فان هذا الشعار الديماغوجي ، يذهب الى انعاش او هام مغلوطة حول امكان امتلاك العمال حصصا من ملكية المؤسسة الصناعية ، وتهدف الى تمييع التناقض الطبقي ، وجعل العمال ينظرون الى المؤسسة الصناعية كمؤسسة « لهم » ، والضرب على وتر التقاليد والثقافة الحرفية التي ما زالت منتشرة بين العمال ، واشعارهم ان تحويلهم الى ارباب عمل ، ممكن . وبديهي انه ، حتى في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، لم يحدث ان تمكن العمال من الحصول على حصص مهمة من اسهم المؤسسات الصناعية ، من اجورهم . اما عن فرص المشاركة في الادارة والتوجيه في المؤسسات الصناعية ، فقد حسم المسألة رئيس غرفة الصناعة الاردنية بقوله ، ان الادارة والتوجيه هي من حق مالكي اسهم

الشركاء ، وترك العمال ، هامين مشاركتهم في توجيه العمليات الإنتاجية داخل
المصانع (٣٢) . و أعلن الميثاق عن سعيه لوضع تشريعات خاصة تعالج مسائل الخدمات
الاجتماعية للعمال ، بتمويل مشترك بين الدولة والمؤسسة الصناعية والعمال أنفسهم .
كما دعا الميثاق الى تشجيع الرساميل الاجنبية والعربية للإسهام في الاستثمار الصناعي
ضمن مبدأ السيادة الاقتصادية للدولة . وتشجيع الصناعات الوطنية لا على أساس
الحماية فحسب ، وإنما على أساس مقاييس الجودة والدقة .

وبصدد القطاع المصرفي ، فإن الميثاق يدعو الدولة الى الاشراف على عدد من البنوك
القائمة — وهي عمليا تحت اشراف الدولة — والى اقامة عدد من البنوك مثل مصرف
للتنمية المهنية ، مصرف الادخار والتسليف الشعبي بالإضافة الى المصارف الأخرى مثل
البنك المركزي ، مصرف زراعي حكومي ، مصرف صناعي حكومي ، مصرف عقاري .
ويردد الميثاق دعوة الحكومة الى الاشراف على اي بنك تقتضي مصلحة الاقتصاد الوطني
الاشراف عليه . وانشاء بنوك مختلطة ، تسهم فيها الحكومة والقطاع الخاص .

يضع ميثاق الاتحاد الوطني عددا من المبادئ في اشراف الدولة وتوجيهها للتجارة
الخارجية ، مثل منع التبذير في الاستيراد والاستهلاك ، تشجيع تصدير المنتجات المحلية
وايجاد اسواق مستقرة لها ، كذلك توجيه التجارة الخارجية وفق خطط الانماء
الاقتصادي ، مراعاة سياسة الدولة الخارجية ، والتبادل التجاري وفقا لمبدأ تبادل المنافع
بين الدول وعلى أساس المساواة في التعامل . ان البند الأخير وبنودا أخرى سألها ،
ليس فيه من الواقعية شيء ، ان التبادل التجاري بين الاردن والبلدان الغربية وخاصة
الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية راجح لصالح هذه الأخيرة ، وأسس المساواة
في التعامل مجرد شعار للتنمية لطابع الخضوع والتبعية التي يعبر عنها بوضوح الميزان
التجاري الراجح بصورة مستديمة للبلدان المصدرة للاردن . وبصدد التجارة الداخلية ،
فإن الميثاق يضع عددا من الأسس لها ، بهدف تطويرها وعصرنة اساليبها وتقاليدها ،
كما تكفل تطور التجارة في الريف .

يحدد الميثاق واجبات الدولة في ميدان الخدمات والضمانات الاجتماعية ، فهو يرى ان
تؤمن الدولة الخدمات العامة (ماء ، كهرباء ، مواصلات ، ووسائل النقل والسدود
وشبكات الري) دون استهداف الربح ، ولقاء بدل مالي مناسب . والعمل على تحقيق
مبدأ التأمين الصحي العام ، والتأمين على جميع المواطنين في حالات العجز والشيخوخة
والمرض والبطالة بموارد من المال ويقدر من الخدمات ، ويتم ذلك من خلال تنظيم العمل
للجميع ، وتنظيم الاقتطاعات من المواطنين لتحقيق ذلك . كما يدعو الميثاق الى تأمين
السكن للمواطنين ورعاية الطفولة والامومة .

يفرد الميثاق فصلا خاصا للبناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية . يتحدث عن « الثورة
الاجتماعية الهادئة » ، التي هي — بنظر الميثاق — تطور دائم وتراكم للايجابيات واقتلاع
للسلبيات . وبصدد التنظيم النقابي كحق عمالي يضع الاهداف التالية : رفع المستوى
المعيشي والثقافي والمهني للعمال ، وضع القواعد السليمة لاخلاقية العمل والعمال ،
التعاون البناء بين فئات العمال والمسؤولين في الإدارات والمؤسسات الانتاجية ، الاسهام
في معركة التحرير تحت شعار (يد تبنى ويد تقاقل !) ، خلق المناخ المناسب لممارسة
النشاطات وتنمية العمال ذهنيا وجسديا . ويشير الميثاق الى ان العمال الزراعيين جزء
من القطاع العمالي يجب رعايته ، ويدعو الى ضرورة تطوير الريف ، لمنع هجرة اليدي
العاملة الفلاحية ، ودعم الانتاج الزراعي بتعميم الصناعات اليدوية والريفية . كما يدعو
الى تطوير قطاع البدو الرحل وتوطينهم وتأمين الخدمات لهم وتأمين العمل لابنائهم وفق
الخطة العامة للدولة . ولعل أبرز بنود هذا الفصل ، هو البند المتعلق بالفوارق بين فئات
المجتمع ، حيث يحدد الميثاق عددا من المواقف . فيقول : « ١ — لا ينكر وجود تناقض

بين فئات المجتمع وفي جميع مراحل التطور الاجتماعي ٢٠ - لا ينكر وجود أشكال من الاستغلال الطبقي في مختلف المجتمعات ٣٠ - استغلال المواطن لأخيه غير مقبول ولا يجوز تبريره . إلا أن هذا التناقض لا يبرر بآية حال الدعوة إلى إباحة الدم ، والقتل الفردي أو الجماعي . ٤ - إزالة الفوارق بين فئات المجتمع بتحقيق بالتعاون وفق مبادئ التضامن الاجتماعي ، والقواعد السلمية في تقييم إنتاجه العمل ، وتكافؤ الفرص ٥ - التماهي في تقسيم مجتمعنا يقودنا إلى المزيد من التجزئة والتهميق . ان فهم يتيق للفوارق الطبقية في المجتمع وطرق معالجتها ، يشير إلى اعتراف ضمني ، بتأثير الثقافة المتقدمة بين صفوف الجماهير خلال سنوات ما بعد الحرب ، وبالتالي فإنه يقر بواقع وجود تناقضات اجتماعية واستغلال طبقي ، بيد ان الميثاق يحل هذه المسألة على طريقته ، اي حلا برجوازيًا ، « مبادئ التضامن الاجتماعي » ، ونجد في الفقرة التالية المتصلة بالسياسة الضريبية استكمالاً لطول الميثاق للفوارق الاجتماعية ، إذ يرى أن الضريبة موجهة لمعالجة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بصورة هادئة ، ولمنع التمرکز الاستغلالي لرأس المال ، واتباع سياسة تطويرية لتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً ومثمراً ، يحمي المبادرة الفردية وحق التملك الفردي من جهة ، ويراعي مصلحة الدولة والجماعة من جهة ثانية ، كما تمد الدولة وميزانيتها بالإيرادات التي تساعد على مجابهة خدماتها التضامنية وحاجاتها المتزايدة .

تحظى الإدارة والإصلاح الإداري باهتمام من الميثاق ، فيفرد لها فصلاً خاصاً ، وينصرف القسم الأول منه في الحديث عن امراض الإدارة في الأردن ويبسطها على النحو التالي : نقص الانتاج وضعف الشعور بالمسؤولية ، الرشوة والفساد ، انعدام المبادرات ، والروتين ، تضخم الأجهزة باستمرار ودون حدود ، عدم وضوح الصلاحيات والاختصاصات ، فوضى توزيع الدوائر الحكومية ، تخلف أدوات الإدارة ، وخلل القواعد المطبقة في تقييم الموظف وعرقته ، وانعدام التأهيل والتنظيف لدى أغلبية الموظفين . أما القسم الثاني فهو يتضمن عدداً من الاستس التي يراها الميثاق كغيلة بمعالجة هذه الامراض منها : وضوح برامج التطور الاقتصادي والاجتماعي ، توجيه التعليم وفقاً لحاجات التطور في مختلف مجالات العمل ، الاستخدام في دوائر الدولة ومؤسساتها وفقاً لحاجاتها ، وليس للعائشة او لحل مشكلة بطالة ، توزيع الابنية الحكومية تسهيلاً لسير المعاملات ، تظعيم ادوات الادارة بالالات لتوفير السرعة والدقة والرقابة .

بالإضافة إلى ما مر ، هناك بنود أخرى في الميثاق ، تعالج مسائل تفصيلية مثل التعليم واللغة ، الالتزام بالنهج العلمي ، المرأة في المجتمع ، الجريمة ، الخ لا يمكن تغطيتها هنا . كما ان هناك فصولاً في الميثاق ، لا تتضمن أية أهمية ، مثل الفصلين الأول والثاني ، المعرفين في الرجعية ، انهما بمثابة خلفية تاريخية ومقدمة تتناول التاريخ الحديث للمشرق العربي ومن ضمنه الأردن ، يلخصان تاريخ حركة التحرر الوطني على انها سلسلة من الأخطاء والانحرافات عن الخط القومي القديم الذي مثله الشريف حسين وحركته ، لاتجاهها لتبني فلسفات ونظريات سياسية واجتماعية غربية ومستوردة . ان هذين الفصلين ، وفصولاً أخرى ذات صبغة ايديولوجية وتحليلية ، تنطلق من مواقع النقد الليبرالي والرجعي الصرف ، يتجه لادانة ما هو متقدم في حركة التحرر العربية ، ومتجدد في بنيتها وايديولوجيتها . ان استخدام المقولات الرجعية (الافكار المستوردة) الابتعاد عن التراث القومي والروحي . . الخ) واستخدام التراجعات والهزائم وكل ما هو سلبي حقاً في النضال التحرري العربي ، لصالح النقد الرجعي ولصالح منطق القوى « الواعية المجربة » ، اي اركان النظام والاتحاد الوطني واضرابهم . ان الفصول ذات الصبغة الايديولوجية والنظرية تقدم دون اية مواربة الطبيعة الرجعية للاتحاد الوطني وموقفه المعادي من الحركة الجاهيرية العربية .

ان الاستعراض المسهب لميثاق الاتحاد الوطني ، كبرنامج وكتعبير ايديولوجي عن نهج البرجوازية البيروقراطية في النظام ، قد قدم تفصيليا ، ماذا يعني منظرو الاتحاد الوطني بـ « الطريق الثالث » وما هي دلالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية في شروط الأردن الراهنة . وما من شك ان مقارنة الميثاق الاردني بالتماذج العربية والعالمية التي تقدم نفسها « كطريق ثالث » ، سوف تظهر الحدود المتواضعة للنموذج الاردني ، انه كاريكاتور بال ، للمناذج الاخرى التي تبحث لنفسها عن مكان وسط ما بين الاشتراكية والراسمالية . وما يقدمه الاتحاد الوطني ، على انه نظرية خاصة ، وطريق خاص ، ليس الا ابتذالا لمحاولات انجح تمويها ، وان كانت جميعها تعبر عن طبيعة واحدة . ولذلك فان بؤس النموذج الاردني للطريق الثالث ، هو ان تجارب اخرى متقدمة بدرجات لم تفلح في ان تصمد امام معطيات التاريخ الواقعي الذي لم يقدم مثل هذا الطريق الثالث ، وهذه التجارب ، على الرغم من انها تسلحت بسلاح التأميم ، وتملك وسائل الانتاج بهذا القدر او ذلك ، وعلى الرغم من انها اقامت الاقتصاد الوطني على التخطيط المركزي . فانها لم تقدم سوى نموذج لراسمالية الدولة . وما يعبر عنه الميثاق الاردني ، ليس الا محاولة لاختفاء مزيد من العقلة والتحديث على اساليب الانتاج ، ولا يغير من جوهر علاقات الانتاج الراسمالية ، بل يعززها وينميها برقابة الدولة وأشرفها ، وبالتالي فان مثل هذا الدور للدولة ، يقوى نفوذ البرجوازية البيروقراطية ، بحكم ان تطور القطاعات كافة ، لم يعد متروكا وفقا للنموذج الليبرالي القديم ، الذي اثبت انه لا يرجى منه شيء (برنامج السنوات السبع) ، والذي عزز قناعة البرجوازية البيروقراطية ان البرجوازية الوطنية ، بغنااتها كافة ، ليست مؤهلة لان تلعب دورا فعالا في تنمية الاقتصاد الوطني وتطوره . ومن ثم فان جوهر التحول يكمن في ان البرجوازية الوطنية ، باتت تحت رقابة البيروقراطية في استثماراتها وهي خاضعة بهذه الدرجة من الصرامة او تلك للخطوة العامة ، كما ان البيروقراطية طورت نمط علاقتها بالانتاج ، بان لم تكف بالدخول مع القطاع الخاص في مشاريع مشتركة فقط ، وانما باتت تتطلب دخولا مباشرا ، وبمؤسسات حكومية صرفة في عدد من القطاعات ، كما اخذت الدولة تشجع انماطا اخرى من الاستثمار (التعاونيات الزراعية والاستهلاكية والتسويقية ، مصرف التنمية المهنية ، مصرف للاذخار والتسليف ... الخ) ، كل هذا مع استمرار قدسية المبادرة الفردية والمشروع الحر ، وعدم الاعتداء عليها . ان البرنامج الذي يقدمه الميثاق ، رغم كل الديماغوجية الانبهارية ، لا يغير من جوهر علاقات الانتاج ، وانما يتوجه نحو استدامتها على اسس اكثر عقلانية ، انه يبحث عن انتاجية نامية ، وعن ادارة حديثة ، وزيادة في المدد الحكومي . وبتعبير اخر انه يقدم حلا فنيا وتنظيما جديدا لبث الروح في نظام الانتاج السائد . ويمكن اختصار عناصر هذا التحول فيما يلي :

١ - تطوير الريف راسماليا وتخليصه من الطابع الانتاجي السابق ، الذي يتميز بتفتت الملكيات الزراعية ، وقوضى انماط الزراعات ، وتوجه حصة كبيرة منها للاكتفاء الذاتي ، قلة الكفاية الانتاجية للارض والمزارعين . ويتم ذلك من خلال : ا - اصلاح زراعي يتمثل في توفير تسهيلات تقنية وشبكات ري وسدود وحماية التربة ، ومسح لسلاسل الزراعية . ب - تجميع الملكيات الزراعية الصغيرة على شكل تعاونيات فلاحية ، واغراء الفلاحين بالتجميع عن طريق اقامة مزارع نموذجية حكومية ، وهذا يعني ان الفلاحين سيواجهون اختيارات محددة مثل التجميع او بيع الارض ، وهذه تعني تحويل الفلاحين الصغار الى عمال زراعيين واقامة مزارع راسمالية كبيرة . ج - التعاونيات على مستوى التسويق تتطلب التجميع على مستوى الانتاج (في الملكيات الزراعية) ، وهذا الاتجاه يدفع لازدياد سيطرة التسويق الراسمالي . د - برمجة الانتاج الزراعي

وفق خطة التنمية العامة ، تعني أن الملاك الصغير لا يعود بوسعها أن يختار الزراعة التي يريدها ، وهو مبرر لسياسة التجميع ، بالرضى أو الإكراه أو بحكم قوانين السوق . ه - التوسع في الصناعات الزراعية وتوجيه الانتاج الزراعي والصناعات الريفيه وتشجيع المبادرات الفردية في ميدان الاستثمار الزراعي ، هي عناوين لاغراء الاستثمارات الرأسمالية للعمل في الزراعة ، ولزيادة تدخل الدولة معا . ٢ - تدخل الدولة في الصناعة ، يتجاوز مجرد الاسهام الحكومي في رأسمال المؤسسات الصناعية ، لاغراء القطاع الخاص ولطمئنته على نجاح المشروع الصناعي . ان الميثاق ينص على اقامة مؤسسات صناعية حكومية صرفة ، واخرى تعاونية . وفي الوقت نفسه يتيح المجال للاستثمارات الاجنبية والعربية ويضع التشريعات التي تكفل باغراءها . ٣ - تنظيم التجارة الداخلية على اسس السوق الرأسمالي وقوانينها ، وازاحة قيم التبادل السائدة والتي يحكمها الكثير من القوانين والاعراف القديمة ، وزيادة صلة الريف بالمدن عن طريق التجارة والتقليل من ظابع الاكتفاء الذاتي الذي يسود في اجزاء من البلاد . ٤ - توطين البدو ، وتقديم الخدمات الكفيلة باستقرارهم ، وربطهم بوسائل انتاج جديدة وخاصة الزراعة . ٥ - اقامة نظام خدمات عامة واجتماعية وصحية وضمانات ضد المرض والعجز والبطالة ، وتحسين الاجور وضبطها بالنسبة للعمال ، بمشاريع الدولة والقطاع الخاص والعمال . ٦ - زيادة التحصيلات الضريبية ، وتعزيز وازدادت الدولة من هذه التحصيلات . ٧ - زيادة فعالية اجهزة الدولة وتطوير انتاجية الكادر الحكومي .

ان هذه الترميمات والاصلاحات ، التي تعبر عن ازدياد سلطة الدولة في التخطيط والتوجيه والاشراف ، والدخول المتزايد في العمليات الانتاجية بصورة مختلطة مع القطاع الخاص ، وبصورة تدخل حكومي صرف في الانتاج ، ترافقها سياسة داخلية متشددة ، تعبر عن رغبة اركان الاتحاد الوطني في النظام باحكام القبضة على الجماهير ، من خلال التنظيم الموحد ، وتقنين الحقوق السياسية في اطار الاتحاد الوطني ، وعزل القوى الاخرى ، كما يترافق مع هذا الاتجاه ، سحب كلي لجميع التشريعات التي كانت تتضمن لمسات ليبرالية ، وذلك على الصعيد النقابي العمالي ، وعلى الصعيد النقابي المهني ، وفي الصحافة ، وبين الطلبة وفي السياسة العربية للاتحاد الوطني ، فان الميثاق ازاء حالة الحصار العربية ، يقرر مبادئ مثل تبذ المعارك الجانبية ، وحصر التناقض في المنطقة مع العدو الصهيوني ، وهي بنود ، تعبر عن مصلحة النظام في اطلاق يده داخليا وعربيا ، بدون كوابح تحد من حركته . كما تؤسس السياسة الخارجية في الميثاق ، على قاعدة براجماتية نفعية ، تؤدي الى تعزيز الصلات مع الامبريالية واستمرار الاعتماد عليها .

[١٣]

ان النموذج ، الذي يقدمه الاتحاد الوطني عبر ميثاقه ، للطريق الثالث ، يقارب الى درجة كبيرة النموذج التونسي الذي عبر عنه احمد بن صالح بوجه خاص ، في وضعه برنامج يكفل تدخل الدولة ، والحزب الدستوري المكييف « اشتراكيا » . ان ملامح كثيرة مشتركة بين البرنامجين الاردني والتونسي ، وخاصة في البرنامج الزراعي وسياسة التجميع واقامة التعاونيات الزراعية ، التي كان عمادها البيروقراطية . ان الفارق الوحيد ، هو ان البيروقراطية الاردنية ما زالت في طور الشروع في برنامجها ، فيما اعطت التجربة التاريخية حكمة الحاسم بحق النموذج التونسي . والذي عبر عنه السقوط المريع لسياسة التعاونيات ورمزها احمد بن صالح . أما وصفي التل ، فانه لم يعط قط فرصة انتظار فشله المحتوم ، كما اخذها احمد بن صالح ، فقد سقط صريعا مع التأسيس الرسمي للاتحاد الوطني في مؤتمره الاول . وترك لورثة برنامجهم مثل هذا المصير . ذلك ان رهان اركان الاتحاد الوطني ، على البيروقراطية الادارية والجهاز اللجب من الموظفين ، لمزيد من التحديث في الانتاج ، ولمزيد من الردود في جميع

القطاعات ، أمر مشكوك منه . أن حبة أصل البيروقراطية في البرجوازية الوطنية وفي الليبرالية الاقتصادية ، يماثل حبة أملنا في البيروقراطية نفسها . أن التجربة التونسية والمعرفة العميقة بطبيعة البيروقراطية جهاز الموظفين الحكوميين في الأردن ، تقدم لنا صورة المستقبل . فالميثاق عندما يعترف بأمراض الجهاز الإداري ، فإنه إنما يتحدث عن أمراض بنيوية ، وليس عن عيوب فنية ، ومثل هذا الجهاز ، الذي يتعرض موضوعيا وبشكل مفتوح الى مزيد من التعفن والفساد والرشاوي ، لن يكون قادرا على زيادة الانتاجية وتطويرها ، ما دام هو نفسه - اي الجهاز الإداري - محكوما بذات الداء (ضعف الشعور بالمسؤولية وضعف الانتاجية ، باعتراف الميثاق) . ان مثل هذا الجهاز ، مع اطلاق يده ، واعطائه مزيدا من الصلاحيات ، لن يفعل أكثر مما ينتظر منه ، فسوف تنمو امتيازاته ، وستتفخ أكثر فأكثر ، وستضاف الى هذه الامتيازات المرتبطة بالوظيفة الإدارية امكانات النهب المفتوحة امام كل بيروقراطي بعيد عن الرقابة الفعالة .

[١٤]

ان مقتل وصفي التل ، قبل ان تقطع البرجوازية البيروقراطية الشوط الضروري لتثبيت سلطتها ، يفتح الباب امام رياح الفئآت والشرائح الأخرى ، التي كانت مكبوحه وصامتة على مضمض ، كما ان رهبة البيروقراطية والعسكر الذين ، أخذوا على عاتقهم مهمة تثبيت السلطة للنظام ، في مواجهة المقاومة ، لم تعد كافية لإلجام الفئآت الأخرى من قاعدته النظام ، ذلك ان مقتل وصفي التل ، الذي له تأثيره الذاتي الهام ، وازدياد الأزمة الاقتصادية تفاقما ، والقطيعة العربية ، ومسألة استعادة الضفة الغربية ، وكسب ثقة الفلسطينيين ، ما هي الاماخذ تطل منها الاطراف الأخرى في النظام بحثا عن دور تضطلع فيه ، رغبة في استعادة نفوذها السياسي ، خطوة بعد أخرى . ان خطة التنمية للسنوات الثلاث ، هي الرهان الاقتصادي للبرجوازية البيروقراطية من اجل تثبيت دعائمها في السلطة ، وهي وان كانت مهددة باعادة اقتسام السلطة مع رموز البرجوازية التجارية ، الا انها تبقى قوة أساسية من قوى النظام لم يعد ممكنا تجاهلها . وستبقى هاجسا مزجا لبقية فئآت النظام ، اذا ما عادت مجددا « بارادة ملكية سامية » الى السلطة .

- ٥ - جاء البرنامج المخور « للسنوات السبع » وجملة من التشريعات الاقتصادية ، مثل قانون تشجيع الاستثمار ، وقانون الشركات بمثابة اقرار لتوصيات خبراء البنك الدولي .
- ٦ - راجع رسالة وفاق رمضان عن قيام الاتحاد الوطني في الاردن في النهار ، عدد ١٥/٩/١٩٧١ .
- ٧ - يعبر عن كل من النهجين الرموز التالية ، بهجت التلهوني ، عبد المنعم الرفاعي ، (ورشح حكمت المصري ليلعب دورا رئيسيا لفترة من الفترات) وسليمان النابلسي عن الجناح الداعي للاستناد الى الموقف العربي (وبالذات القاهرة) في اي موقف من المقاومة ، بينما مثل الجناح الثاني وصفي التل ، والزهر العسكرية البارزة ، وفيما بعد برز رياض الملقح ، احمد الطراونة ، من « المتشددين » .
- ٨ - راجع الراي في ٢١/١٠/١٩٧١ .
- ٩ - في العدد ٢٣٥٧ من الجريدة الرسمية

- ١ - جريدة « الراي » الأردنية ١٩٧١/٩/٨ .
- ٢ - المصدر نفسه .
- ٣ - اشار الملك في احدي خطبه في تلك الفترة الى اهتمام النظام بفكرة السماح بتكوين الاحزاب . ونجد اشارة متفضلة عن توجه وصفي التل لبناء حزب ، في رسالة مراسل « النهار » في عمان ، تحت عنوان « حزب حكومي في الاردن : اوصى بفكرته وصفي التل » العدد الصادر في ١٩٧١/٩/١ .
- ٤ - اوجت تسمية وصفي التل لحكومته الاولى بـ « حكومة الشباب » بوجود صلة ما مع حركة القوميين العرب ، وخاصة مع وجود اسماء ارتبطت بالحركة في وقت من الاوقات « عبد الوهاب المجالي مثلا » ومن اسماء الوزراء « الشباب » الذين جذبهم وصفي التل : الشيخ ابراهيم اللطان ، د. حازم نسيبة ، د. قاسم الرباوي .

- ١٦ - « الدستور » الاردنية ، ١٩٧٢/٢/١٠ .
- ١٧ - راجع كلمة الحباشنة في احدى النشرات المنشورة في « الراي » الاردنية عدد ١٩٧٢/١١/٣ .
- ١٨ - « النهار » ١٩٧١/٩/١ .
- ١٩ - « الانوار » ، ١٩٧١/٩/١٥ .
- ٢٠ - « الحياة » ١٩٧١/١/٥ .
- ٢١ - « الدستور » الاردنية ، ١٩٧٢/٣/١٠ .
- ٢٢ - « الدستور » ١٩٧١/١١/١٥ .
- ٢٣ - « الدستور » ١٩٧١/٩/٩ .
- ٢٤ - المصدر نفسه ، العدد نفسه .
- ٢٥ - « الحياة » اللبنانية ، ١٩٧٢/١/٣ .
- ٢٦ - راجع الفصل الثالث من الميثاق المقترح .
- « الدستور » ١٩٧١/٩/٨ .
- ٢٧ - كان مصطفى دودين و ابراهيم الحباشنة في صفوف الحركة الوطنية في الخمسينات ، والآخر كان على صلة وطيدة بالحزب الشيوعي الاردني .
- ٢٨ - راجع حديثا مع ابراهيم الحباشنة في جريدة « الراي » الاردنية ، ١٩٧٢/١/٢١ .
- ٢٩ - الاقتباس المذكور ، وكافة الاقتباسات الاخرى من نصوص الميثاق معتمدة على النص الكامل للبيشاق المقترح المنشور في جريدة « الدستور » الاردنية عدد ١٩٧١/٩/٩ ، لذلك لا داعي لتكرار الاشارة الى المصدر .
- ٣٠ - ورد تعبير مؤسسات حكومية ومؤسسة في القطاع الصناعي في الميثاق . وبغض النظر عن مدى جدية النظام بصدد التأميم ، فلم ترد اشارات واضحة حول ذلك . وان كان قد ورد تعبير « تحريك وحدات اقتصادية من قطاع الى اخر في ضوء التجربة العملية ، وهذه المهمة تمارسها الدولة » .
- ٣١ - يراجع في هذا العدد قانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٧٢ ، قانون معدل لقانون العمل ، الجريدة الرسمية (العدد ٢٣٥٧ ، ١٩٧٢/٥/٦) ص ٨٦٨ - ٨٧٣ .
- ٣٢ - راجع حديث رئيس الغرفة الصناعية في عمان الى جريدة الدستور الاردنية . ١٩٧٢/٦/٣ .

- الاردنية (١٩٧٢/٥/٦) . نشر ٢٣ قانونا جديدا ، وابتزها شمل العمل والعمال ، نقابة المحامين ، نقابة اطباء ، نقابة المهندسين ، اطباء البيطريين ، اطباء الاسنان ، المرصين والمرضات ، اي شمل عددا من النقابات العمالية والمهنية .
- ١٠ - من ابرز هذه الاساء واكثرها تحركا وتنظيرا للاتحاد الوطني : مصطفى دودين (وزير الشؤون الاجتماعية انذاك) ، ابراهيم الحباشنة (وزير الداخلية انذاك) ، عدنان ابو عودة (وزير الثقافة والاعلام) ، محمد الدباس (موظف حكومي كبير) ، سليمان رتيمة (عضو مجلس الاعيان) ، د. سعيد التل (استاذ جامعة) ، نجاح الضباط (تربوية) ، وعدد من الوزراء الاخرين : اميل الغوري (ويتجه عبادة الى المخيمات وتجمعات الفلسطينيين) اسحق الفرحان (للمعلمين والتربويين) ، محمد البشر (للصحة) د. خليل السالم (مدير البنك المركزي) ، وهناك عدد من التقنيين والاكاديميين مثل : د. سفيان التل ، د. وديع شرايعة ، د. كامل ابو جابر ونواب واعيان آخرون مثل محي السدين الحسين ، جمعة حماد .
- ١١ - من ابرز هؤلاء : جمال عبيدات (مدير مكتب الاتحاد في محافظة اربد انذاك) ، عبد الله العابد مياس (الرمتا) من الرياض (تربوية) ، فايز جابر (ضابط متقاعد) عظام عريضة ، فايز محمود ، (موظفون حكوميون منتدبون للاتحاد الوطني) .
- ١٢ - ومن نواب الشمال الناشطين انذاك : عبد الله الشريسة ، رزق البطاينة ، فضل الدلقوني ، سليمان القضاة ، (والوزير السابق حسن الكايد) .
- ١٣ - راجع « الراي » ١٩٧١/١١/١١ .
- ١٤ - راجع الاسبوع العربي عدد ١٩٧١/١٠/٢٩ .
- ١٥ - « النهار » ، ١٩٧١/٩/١ .

سميرة عزام في ذكراها الخامسة دراسة في فنها القصصي

الدكتورة نادرة جميل السراج

ما بين الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ والثامن من آب (اغسطس) سنة ١٩٦٧ أقل قليلا من اربعة عقود، هي عمر المرحومة القاصة الفلسطينية السيدة سميرة عزام . لكن الادييب والفتان الحق لا يقاس عمره بعدد السنوات التي عاشها يأكل ويشرب وينام كغيره من بني البشر ، وانما الذي يمنحه الخلود ويثري عمره ويستديم ذكراه هو الانتاج الذي خطه قلمه والآراء التي سجلت عليه ومنحت حياته قيمة وغنى وذكراه طيبا وشذى ، وبالأخص ما كان مطبوعا او منشورا من ذلك الانتاج وتلك الاعمال . وسميرة عزام خلفت بعد رحيلها خمسن مجموعات قصصية واكثر من اثني عشر كتابا مترجما من الانجليزية الى العربية ، عدا ما اشرفت على ترجمته او راجعته من اعمال غيرها من الاديباء والمترجمين..

انها لحياة خصبة خيرة معطاء ، لا نستغربها على فتاة خالدة طموحة بدأت كفاحها العملي وهي في السادسة عشرة من عمرها ، عندما مارست مهنة التدريس في بلدتها التي ولدت فيها ، مدينة « عكا » في شمال فلسطين . ورغم انها لم تكن مهينة تهيئة تربوية كاملة — من حيث الشهادات العلمية والخبرة العملية — الا انها اثبتت حذارة ومقدرة كاملتين ، ودرست بالمراسلة وطالعت بنهم فرقت بعد عامين الى وظيفة ناظرة للمدرسة التي بدأت بالتدريس فيها . واستمرت تعمل في مهنتها تلك الى عام الهجرة الفلسطينية او عام النكبة ١٩٤٨ حين اضطرت الى النزوح مع عائلتها واهل بلدتها وبقيت مدن فلسطين .

لا شك ان الفترة التي ترعرعت فيها الفتاة الصغيرة البريئة « سميرة عزام » كانت متميزة بالحركة والغليان والقلق القومي والوطني على مصر البلاد الذي أصبح في خطر منذ اعطي ذلك الوعد المشئوم في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ ، واجتاحت فلسطين الثورات المشهورة في الثلاثينات خاصة ، ثم الاربينات على المستعمر البريطاني والطامع اليهودي ، وانتشرت أعمال العنف في ارجاء البلاد . احسبت سميرة بما كان يدور حولها وما تنشره الصحف وتذيعه الانباء ، وتفكرت في كل ذلك بما لها من ذكاء وحده ذهن وقوة ملاحظة تفوق سنوات عمرها ، فأخذت تعبر عما تحس به وما تفكر فيه وبدأت تعالج كتابة القطع الوجدانية والشعرية والقصص القصيرة ، وسرعان ما ظهرت في جريدة « فلسطين » بعض تلك القصص بتوقيع « فتاة الساحل » التي لم يكن الكثيرون يعرفون

* تود كاتبة البحث ان تشكر الاستاذ اديب يوسف حسن — زوج الفقيده — على المعلومات القيمة التي بعث بها من بيروت ، وكذلك السيدة عبلا عزام — شقيقته في القاهرة — على حديثها عن طفولة الفقيده وبعض الذكريات .

انها بنت عكا « سميرة عزام » . ولست في موقف الحكم على تلك القصص المبكرة من انتاج سميرة لاني لم اقرأها ، ولكنها دون شك بادرة تنبئ عما جاء بعدها ، وتبشر بمولد قصاصة وفنائة من نوع رفيع ظهرت في سماء الادب الفلسطيني ، ويسا ليتها عمرت طويلا .

تفرق الفلسطينيون ايدي سبا ، واتجهت الهجرة شمالا وجنوبا وشرقا ، وربما الى الغرب ايضا . . ولم تكن هجرة مؤقتة كما خيل للفلسطينيين وقتها ، او كما اوحى لهم اولو الامر حينئذ ، بل كان واقع الحال ان مرحلة جديدة من حياتهم قد بدأت ، ولا يعلم احد متى تنتهي او متى تكون العودة الى الديار . انها مرحلة اتسمت من اولها بالعمل والكفاح والصبر على المشاق ، والتنقل والترحال ، وما يصحب كل ذلك من قلق واضطراب ، وشعور بالغربة والحنين . واتيح لسميرة ان تعمل في مجال التدريس في مدرسة الاناث بمدينة « الحلة » في العراق ، حيث مكثت عامين عادت بعدها الى لبنان . وهناك باشرت الكتابة لبعض المجلات والترجمة لبعض دور النشر الى ان التحقت عام ١٩٥٢ باذاعة الشرق الادنى مذيعة وكاتبة لبرامج ركن المرأة واقامت في قبرص مقر الاذاعة في ذلك الوقت ، وبعد عامين انتقلت الاذاعة الى بيروت واصبحت سميرة مسؤولة عن ركن المرأة ، واتيح لها وقت اكثر للتفرغ الى هوايتها المفضلة وهي كتابة القصص والترجمة من الانجليزية الى العربية . والى جانب شهرتها كاذاعية معروفة ، ازداد الناس والقراء معرفة بها وبششاطها حين اصدرت لها مطابع « دار العلم للملايين » مجموعتها القصصية الاولى « اشياء صغيرة » سنة ١٩٥٤ ، ثم تبعتها المجموعة الثانية التي اعطتها عنوان « الظل الكبير » سنة ١٩٥٦ .

وكما هو مقدر للافراد الفلسطينيين الرحل في هذا العصر الحديث ، قدر لسميرة عزام ان تعود الى البلد الذي عرفته اول هجرتها وعملت فيه ، فقبل الثورة العراقية بعام واحد حصلت على عقد للعمل في الاذاعة العراقية ومعها فريق من زملائها في اذاعة الشرق الادنى . لكن الفريق كله وجد نفسه مضطرا الى الاستقالة والعودة الى بيروت قبل مضي ثمانية اشهر من بدء العمل . اما سميرة ففي هذه الفترة تعرفت على شريك حياتها وارتبطت به وتم الزواج في بيروت ثم عادت معه الى بغداد للاقامة والاستقرار . ورجبت سميرة بالعمل مع اذاعة الثورة ، وكان صوتها يحيي المستمعين كل صباح في برنامج يومي ، بالاضافة الى ادارة برامج ركن المرأة . وقبل الثورة بقليل كانت قد شاركت في تحرير صحيفة « الشعب » العراقية حيث كان من زملائها الشاعر الكبير المرحوم بدر شاكر السياب . لكن الاحداث التي تلت عام ١٩٥٩ في العراق أدت الى ابعاد سميرة وزوجها من بغداد وتم السفر في وقت قصير ، وكانت الوجهة الى لبنان من جديد . في تلك الاثناء اثبتت سميرة كتابة مجموعتها القصصية التي اعتبرها زوجها تيمة لمجموعة « الظل الكبير » السابقة ، فاقترح عليها ان تسميها « . . وقصص اخرى » . وفي بيروت صدرت المجموعة بالعنوان المقترح . ومنذ ذلك الوقت أخذت تضاعف نشاطها ، خاصة بعد التحاقها بالعمل في مؤسسة فرانكلين للترجمة والنشر ، فقامت بترجمة عدد من الكتب القيمة لمؤلفين امريكيين ، نذكر منها كتابي المؤلفات الامريكية المشهورة « بيرل باك » وهما : « جناح النساء » ، و « ربيع الشرق وريح الغرب » ، ثم كتاب « امريكي في اوربا » لدوزورث ، و « القصة القصيرة » لراي وست و « حين مفقدا الرضا » لجون شتاينبك ، و « حكايات الابطال » جمع اليس هزلتون ، وكتاب « فن التليفزيون — كيف تكتب وكيف تخرج » لوليم كوفمان .

اما في مجال القصة ، فقد اخرجت المطبعة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » في نهاية صيف ١٩٦٣ ، وهي المجموعة التي نالت على اساسها جائزة اصدقاء الكتاب للقصة القصيرة . وقد احسنت « دار العودة » صنعا اذ اصدرت بعد وفاة سميرة

مجموعة خاضعة من قصصها خلال صيف ١٩٧١، وصدرتها بعنوان « العيد من العاشق العربية » وهو عنوان احدى قصص المجموعة ، التي تحوي بعض الخواطر الفلسطينية والصور العائلية والاشوية الحية الى جانبيها ما تحويه من قصص قصيرة بالمعنى المعروف . وفي النية اصدار مجموعة وافية من خواطرها الفلسطينية واحاديثها الاذاعية التي كانت تسجل وتذاع بصوتها من اذاعة صوت فلسطين في القاهرة .

اما عن ظروف وفاة الكاتبة « سميرة عزام » فقد كانت مفاجأة لجميع اصدقائها وعارفيها وقرائها والمعجبين بكتابتها ، ومع ذلك لم يستغرب منهم أحد أن تموت سميرة في تلك الظروف بالذات وقبل انقضاء أكثر من ستين يوما على نكسة حزيران « يونيه » ١٩٦٧ ، لم يستغرب ذلك خاصة الذين رأوها تحرق طاقتها وتشغل كل دقيقة من وقتها بالعمل مع لجان السيدات التي تشكلت في بيروت لتلقي التبرعات الواردة للاجئين « الجدد » من ملابس واحذية واغطية وخيام واغذية . حتى لكأنها تكفر عما حدث وما تعتبر نفسها وكل فلسطيني وفلسطينية مسئولين عنه وعما جر من ويلات بعده ، وكانت بنظرتها المتشائمة وفكرها القلق تقابل الوضع مع وضع الامارات العربية في الاندلس في اواخر عهدها ، اذ كان الاسبان يصبرون بضع سنوات ثم يغزون احدى تلك الدول المتناحرة فيحتلون ويطرودون او يقتلون اصحابها العرب او يضطرونهم الى التنصر ، وهكذا الى ان قضاوا على غزناطة آخر تلك الدول . وكانت تتساءل عما اذا كان التاريخ الان يعيد نفسه على ايدي اليهود هذه المرة .

هذه كانت حالها وهذا كان فكرها عندما عازمت على السفر من بيروت الى عمان صبيحة اليوم الثامن من آب « اغسطس » ١٩٦٧ ، بقصد مقابلة بعض اللاجئين الجدد ومحاولة التسلل الى فلسطين (ولم يكن اليهود قد استطاعوا ايقاف تيار التسلل الذي تلا النكسة حتى ذلك الوقت) علما بتبلغ مسقط رأسها عكا وتزور حيفا وتشبع حنينها الى الربوع . وسارت بها السيارة برفقة صديقتها ، طبيب وزوجته ، وعند مشارف جرش في شرق الاردن ، ولدى سماعها اول اخبار الظهيرة من المذيع بناء على طلبها ، التفت اليها الطبيب وزوجته فوجداها قد فارقت الحياة ، لم تفلح الاسعافات الاولية في ايقاظ القلب الذي غفا ، او بعث الروح الى الجسد الذي تهاوى من وطاة العذاب والارهاق واعياء الغربة والحنين . اخضر جثمان الفقيدة من عمان ودفنت في بيروت في التاسع من آب « اغسطس » ١٩٦٧ . الى جانب نشاطها في العمل والكتابة والاذاعة كانت سميرة تهوى السفر والرحلات فزارت من بلدان المغرب العربي كلاس تونس وليبيا والمغرب ، بالإضافة الى زيارتها لمصر والاردن وسوريا والعراق حتى بعد تركها . وفي اوروبا قامت برحلة او اثنتين الى كل من : ايطاليا واسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا . وأكثر ما يؤسف عليه ان روايتها التي وصفت فيها التيه الفلسطيني وسنوات النفي والتشرد وسماها « سينا بلا حدود » لن تكون بين ايدي القراء ، اذ انها مزقتها بانفعال شديد اثر حوادث نكسة ١٩٦٧ ، بعد ان قطعت في كتابتها شوطا بعيدا ، قائلة : « ان كل ما كتبته قد فقد معناه » .

ارجو ان يجد القارئ في الصفحات القليلة السابقة عن نشأة الكاتبة سميرة عزام وظروف حياتها ونقلاتها مدخلا طيبا ومناسبا للحديث عن مجموعات قصصها الخمسة التي نريد عرضها وتحليلها في الصفحات التالية ، اذ من المعروف ان شخصية الكاتب وانفعالاته مؤثرة في فنه ومنطبعة في انتاجه بصورة عامة . كما ان مشاهداته ولقائاته وتجارب حياته المختلفة لا بد ان تسهم في اخصاب فنه بالقدر اللازم ، واعطائه القيمة التي يحسها المتلقي ويقدرها بقدر ما تؤثر فيه تلك المشاهد والتجارب والانفعالات . ولقد اتفق النقاد والدارسون على ان مجال المعرفة لدى القاص هي كما يلي :

(١) التجربة المباشرة التي تعطي ابعادا متنوعة وتوسع افق الكاتب . (٢) القراءة

والاطلاع ، ففي الكتب أنواع مختلفة من الخبرة ، (٢) الاتصال بالناس والتحدث اليهم
وسماع مشاكلهم .

وقد اجتمعت لكاتبنا المجالات الثلاثة المذكورة وتوفرت لها اسباب كتابة القصة الجيدة
منذ البداية ، بالإضافة الى ما أخذت به نفسها من تنمية موهبتها وصقل معارفها
والاستفادة من كل الظروف التي يمكن ان ترتقي بفنها وتمنحه القيمة الحقيقية . وقصص
سميرة عزام بصورة عليمة تميزت بالواقعية ووصف المشاهد الحية والبعد عن الرمزية
ما أمكن ، وعدم الاستغراق في الخيال ، مع شيء من الرومانسية المحببة والاناقة اللفظية
والبراعة في الوصف والتحليل ، ولنبداً بمجموعتها الاولى « أشياء صغيرة » التي صدرت
عام ١٩٥٤ .

تحتوي المجموعة على ثلاث عشرة قصة قصيرة او « أقصوصة » كما يحلو لبعض النقاد
أن يسميها . تحمل القصة الاولى عنوان « الأشياء الصغيرة » وتحكي قصة فتاة رصينة
متزنة ، تعتقد انها من نسيج خاص ، لها مبادئها وأخلاقها ومثالياتها ، بالإضافة الى
نشأتها المحافظة وتربيتها البيئية التي يغلفها الكبت الشديد والانضباط التام . ويميزها
هذا السلوك الجاد بين رفيقاتها وأترابها ، اللاتي كثيراً ما يتحدثن عنها في مزاح قائلات :
« انها تعيش بعقلية أبيها وامها وعمتها العانس ! » ، هؤلاء الثلاثة الذين ما يزالون
يرددون على مسامعها عبارة : « لا تكوني كالأخريات الرعنאות فانت غير اولئك أصلاً
ونبتاً ، أنت ، وأنت . . . » . ولكنها الآن أنسانة متجددة الاحساس ، وستبني وجودها
بعد اليوم بحسها وإرادتها . . فقد بدأ عنادها يتزحزح « منذ طالما وجهها الأسمر للمرة
الاولى في السيارة العامة » . وتهمي الكاتبة في قص الاحداث وترتيب اللقاءات بين
البطل والبطله بصورة عفوية وطبيعية لا مبالغة فيها ولا تهويل ، ولا يفوتها ان تحلل
عواطف الفتاة المراهقة وتشرح نفسياتها بعد ما استسلمت لهذه العاطفة الجديدة
الغامضة والمشاعر الغضة الناشئة ، وكل ما يعترى الفتاة الرصينة ازاء تلك العواطف
والمشاعر من قلق وصراع ، وهو اجس ومخاوف حتى لتكاد ان تحترق نفسها وتثور على
ضعفها ، ولكنها في الوقت نفسه تشعر ان هذه العاطفة الجديدة المتبادلة قد منحتها ثقة
كبيرة بنفسها واحساساً جديداً بالحياة . . أما اسلوب القصة فقد سارت فيه الكاتبة
على طريقة السرد المباشر ، وهو أول وسائل الكاتبة القصصية ، ولكنها نثرت بين
الفقرات بعض العبارات والتساؤلات الموحية والتي وجهتها ببراعة ، بحيث بدت وكأنها
حديث مع النفس أو نوع من المونولوج الداخلي الذي أوحى به هذه المشاعر الدقيقة
التي تطفئ وتغور مع الأشياء الصغيرة .

لم يكن اسلوب السرد المباشر هو الاسلوب الوحيد الذي اتخذته سميرة عزام في كتابة
قصصها فالقصة الثانية في هذه المجموعة يمكن ان نطلق عليها « قصة في رسالة » تروي
فيها حكاية فتاة مظلومة مهيضة الجناح تبرر لشقيقها أسباب سقوطها حين رآته قادماً
ويبده المسدس ، يذرع الحي بخطوات مضطربة ، يريد ان ينتقم لشرفه من اخته التي
كانت في الرابعة عشرة وكان هو في الخامسة حين مات ابوها ، واضطرت الاخت
للعمل في مصنع حياكة ، ولكن صاحب المصنع النذل استغل سذاجتها وجمالها البريء
وأغراها بالهدايا والعمائم حتى وقعت الفريسة ، ثم خرجت مذلة بالخزي والعار ، فلم
تتمكن من العودة الى أخيها ولا الى الحي خشية امتصاص أمرها ، وقادتها الحياة الى
سلوك الساقطات ، وتطوع من الوشاة من اوصل خبرها الى شقيقها فجاءها يطلب
الثأر بعد ان كبر واصبح رجلاً . أما هي فقد ظلت تحن الى أخيها رغم خشية اللقاء :
« . . وعذبني شوقي مرة فعمزمت على ان اراك وحملت بعض الهدايا ، وما ان بلغت
المكان حتى وقفت حائرة امام الباب المغلق ، ولم ادرك كيف ادخل ، وماذا أقول ، ومن
أطلب . فالتقيت باللغافة التي أحملها من النافذة ثم عدت لا الوي على شيء . . » . ان

الكاتبة تفرد هنا بين رفته ظلت الراهة وعظمتها وأصغانتها وبين منسوة الرحطل وأمانته وسيطرته . ولكنها تبالغ قليلا في هذا التفريق بحيث تغطي العذر للفتاة في العودة التي طريق المصنع الذي جر عليها الويلات ، بدل العودة الى الخدمة في البيوت رغم ما فيها من تعنت ربة الدار وصفعاتها أحيانا . واسلوب الرسالة خطابي وعظي كأنها تصدت به البتلة تبرير سقوطها في سبيل لقمة العيش .

بقية قصص المجموعة يتراوح اسلوبها بين السرد والحوار ، والخواطر والسيرة الذاتية أحيانا . أما موضوعاتها فكثر منها يؤكد ما صورته في القصة السابقة من قسوة الظروف التي تضطر الفرد أو الافراد الى تصرف معين قد يضر فاعله والآخرين حوله . فعلت ذلك في قصتها « نافع الدواليب » حين ضاقت الحياة ببطل القصة ، وسدت امامه سبل العيش النظيف ، فاضطر الى الغش في عمله والعبث بدواليب الدراجات المصنوفة خارج دار السينما ، حتى اذا خرج أصحابها كان لا بد لهم من أن يقصدوا المحل لاصلاحها ، فينال قروشا من أقرب طريق . وهو يحاول تبرير عمله بأن وراءه أما وأخا واختا يعيشون من ابرة امهم . وهنا يطلب على الكاتبة تشاؤمها وتجنح الى السخرية حين تقرر أن بطل القصة يتردد على المدرسة الليلية ويسمع دروسا تحت على الامانة ، ثم يشعر بالخجل لعدم استطاعته تطبيقها في سلوكه .

وتعاود سيرة سوداويتها مرة أخرى حين تصور احلام فتاة فقيرة عابطة في مصنع لتعبئة الزجاجات ، مخطوبة لسائق سيارة المصنع الذي يوصلها الى بيتها بالسيارة كل يوم ، ولكن بدل أن يتما سرهما معا « على الدرب » وهو عنوان القصة ، فجأة يتخطى خطيبتها عنها ويترك عمله على سيارة المصنع الكبيرة ، ويصبح سائقا خاصا لمدير المصنع نفسه ، ومن يومها فهو لا يقف لها على الدرب ولا يوصلها ولا يعترف بها ! كذلك يبدو التشاؤم واضحا في قصتي « عقب سيجارة » و « بائع الصحف » ففي الاولى تصوير لمظاهر الفقر والحاجة مع كثرة الاولاد ، واضطرار احد الابناء الى تجبيع اعقاب السجائر بدل أن يحاول أي عمل نافع ، ودخوله السجن من اجل هذه الهواية غير المشروعة ، ولكن الدنيا ما زالت بخير فيها يبدو ، فالضابط المسئول « صفوان » جار قديم لمحمود ، والد الابن السجن ، يتعرف عليه ويخدمه باخراج ابنه من السجن . أما الصورة الاخيرة في القصة فساخرة مرة ، اذ يدخل الاب والابن البيت على صوت واقد جديد وضعت الام في تلك اللحظة « ونظر الولد الى ابيه وقد أمسك بيده علية ثقب وراحت يده الثانية تبحث بعصبية في جيوب سرواله وسترته عن شيء . . هنا دس حسين يده في جيبه واخرج عقبا من بين الاعقاب القابعة فيها ، ودفعه الى ابيه ليستقر في لحظة بين شفتي والده اليابستين المرتعشتين . . » !

و « بائع الصحف » صورة رومانسية مؤثرة رغم واقعية احداثها وصورها اليومية المتكررة ، فعبود صبي صغير بريء ، تعلم سر المهنة من والده وأخذ يقفز ما بين الحافلة والرصيف مناديا على ما في رزمته من صحف وما في الصحف من اخبار تهم مختلف الفئات ، فصحيفته « للموظفين تبشر بالكادر والعلاوات . . وللتجار بالتسوية للمشكلة الاقتصادية القائمة بين سوريا ولبنان . . الخ » عدا الطبقة التي يتفنن « عبود » في ابتداع العناوين الخيالية من أجلها : « الرجل الذي ذبح ابنه ، المجرم الذي دوخ القوات ، الفلاح الذي وجد كنزا مطمورا ، وهكذا » . ولكن هذه الحركة السريعة في القصة سرعان ما تنتهي الى سكون ، والكائن النابض بالحياة يلاقي مصيره القاسي تحت عجلات القافلة ، ويتناثر رشاش من دمه على الصحف الملقاة بجانب الجثة . ويسخر القدر من الناس وحركتهم واعمالهم ، فبائع الصحف النشط « عبود » أصبح خبرا صغيرا في صحيفة ينادي عليها بائع آخر « رقيع » تجرا بالتدليل على صحيفته في اليوم التالي بذكر تفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة .

الموضوع الثاني الذي شغل بال الكاتبة في هذه المجموعة هو موضوع الزواج والامومة والبنوة وما تستوجبه هذه العلاقات الاسرية والانسانية من تضحيات في كثير من الاحيان . وليس غريبا ان نجدتها تعطي الفكرة وعكسها والصورة ونقيضها ، فالحياة مليئة بالصنور المتناقضة والمواقف المتباينة والمتنافرة . هناك قصتان ، عنونت احدهما بكلمتي « امومة خيرة » والثانية بكلمتي « مات أبوه » سردت في اولها حكاية زوجة خيرة وفية ، توفي زوجها تاركا لها طفلين يؤنسان وحدتها ويخففان من آحزانها ، ولكنها ما تزال شابة جميلة رغم قسوة الحزن ، ومع هذا فهي ترفض الخاطبين وترد برفق جميع المقربين . اما هذا الرجل الذي جاءها بعد ثمانية أعوام من الجفاف والوحدة والمعاناة ، فلم تدر كيف ترده وهو لا يأتي الا « وفي يمينه باقة زهر وفي يساره حلوى وغيره للصغيرين وقد لمست فيه حنانا وتفهما ومشاركة . ولكن بماذا تجيب على الاستفهام الذي يطل من عيون الصغيرتين وكأنهما يتساءلان : اماه من يكون هذا الرجل ؟ . وتذكرت طفولتها وما ذاقته هي نفسها من مرارة اليتيم ، وكيف تضاعفت هذه المرارة حين تزوجت امها ، وتفلسن الزوج الكريه بالقسوة عليها وعلى أخويها الصغيرين . تقول القاصة : « وتطلق صاحبتنا آهة .. وتعود تمسح على شعر صغيريها في حنان وتقول : يا لي من انانية ! كيف سمحت لشبابي ان يطالب ولوجودي ان يحاسب وانا لست لنفسي بقدر ما انا لهذين الصغيرين ؟ انني امهما وابوهما » . هكذا قررت وانتهى الامر .. فما لها وللتفكير الان . انها ام .. وستبقى .

اما في القصة الثانية ، فتبدأ الاحداث من اول يوم في المساء ، عندما نظر الصغير السى جدته بعينين قلتين وهي تلوك كلماتها مولولة منحنبة « مات ابوك يا مدوح .. مات ابوك » . وتمضي الكاتبة في تحليل نفسية الصغير حين رأى والده مسجى على الفراش بلا حراك وحوله النسوة في ندب وعويل : « انسل فزعا مرتجف الاوصال . وجلس في العراء على حجر خشن .. لذعته الشمس فلم يشعر ، وعضه الجوع فلم يبال .. وظل يتلفت يمينه ويسرة خشية ان يرى احدا جاء يطلبه .. فهو يخشى العودة ولا يريد ان يموت كآبيه .. وظل هكذا الى المساء حتى لم يعد بوسعها ان يحتمل جوعه وقلقه وصبره وفزعه من اثباح المساء التي خالها مختبئة وراء الاحجار .. » . وعند عودته السى البيت لاقته امه باكية منحنبة وشدته الى صدرها ولذعت وجهه دموعها وهي تقول : « مات .. مات أبوك .. يا مدوح » . ويختلف موقف الام هنا عن موقف الام الوفية المضحية في القصة السابقة ، فما يكاد يمر عام حتى تسعى امها في تزويجها من جديد . وتم الامر وانتقلت الام الى بيت الزوج الجديد تاركة مدوح في بيت جدته . ولم يكن الامر هينا على الصغير ، لقد تعلم اليقظ ، وكان كلما يكبر معه نفوره من امه ، حتى اذا شب عن الطوق واصبح يعول نفسه من عمله كنجار بعد وفاة جدته وانتقلت امه وزوجها الى بلدة اخرى ، لم يعد لها في قلبه مكان ، واصبح لا يزد على رسائلها ويسخر من دعوته لزيارتها . وهنا تحلل الكاتبة نفسيته وهو كبير كما سبق ان حطت نفسيته وهو صغير : « لقد نظر الى الامر من ناحية انانية صرفة . لقد دعتة يجر حياة جافة لا تدفئها انفاس انثى ، وخلاه رحيلها يحيا في جو « مات ابوك » اعواما من الجذب العاطفي ، اذن فهي ليست مستحقة ان تكون له اما . ولكنها كانت امه .. وكلمة غضب تلفظتها شفتان في سورة حنق . لا تخنق نداء الدم . ولذا كان عطوفا حانيا عندما فوجيء بوالدته ذات مساء تصحب صغيرا جديدا .. هو اخوه .. ابن الرجل الاخر .. الذي مات » . وفي قصتي « الى حين » و « زواج العمه » حاولت الكاتبة ان تصور صورتين من صور سلوك الانتهازيين من الاقارب ، فالعمتان في القصة الاولى تريدان اقتناص زوج شاب غني لابنة اخيهما « سعاد » ويقع اختيارهما على « فهمي » ابن الجيران ، وتتصرفان بطريقة تخرج الفتي والفتاة وتخرجهما معا ، وتبالغان في تدليل « سعاد » والاهتمام

بمظهرها ومدانها وزينتها . وتلعب الصدق دورا في الأحلام العميقة ، والقناة خادسة الشعور ، ولكنها أيضا تعلم ونسج القصور في الأحلام . أما في ذلك الصباح ، فتسند استيقظت من حلمها على صوت عمته القديم يصيح : « ألم تستيقظ بنت الباشا ؟ تراها ستظل نائمة الى الظهيرة ؟ ومن يكس الشرفة ويسقي اصص الزرع ؟ أنا ؟ ذلك لان العمتين استيقظتا على صوت الجيران يودعون فتاهم « فهمي » المسافر الى امريكا للدراسة » .

والقصة الثانية تصور طمع الاخ وزوجته في مال شقيقته الارملة الحزينة ، واستغلال هذا المال بالمعيشة عندها والصرف منه على اولادها ، ولضمان نجاح اهدافها لا يفتنان يترحمان على زوجها الراحل ويملكن البيت بصورة ويصورانه لها سيد الرجال ، حتى لا تفكر في الزواج من أحد بعده : أما العمه فتصفي اليهما وتسمع كلامها ، حتى يجيء يوم زواج ابنة أخيها الشابة ، فتستيق لحالها وتصفي الى نصائح أم يوسف الخاطبة التي تبدأ السعي في سبيل « زواج العمه » رغم انف زوجة أخيها « أم شوقي » . والقصتان لا تخلوان من فكاهة وخفة في السرد والحوار .

يقول الدكتور محمد يوسف نجم في كلمته التأبينية المنشورة في عدد يناير من مجلة الاداب عام ١٩٦٨ : « كانت اقاويص الاشياء الصغيرة صراعا بين الروح العذب والنفس البريئة الطاهرة من ناحية ، والمحيط الحديد الذي لم تستطع ان تهضمه وتمثله وتمتصه في كيانها لتتلبس به كيانا آخر . ومن خلال الملاحظة والوعي الاخلاقي الذي لا ترتخي قبضته ، أخذت شخصيتها تتحرك وتنمو ، ومواقفها تتطور وتبلور ، كان همها آنذاك ان تتذكر وان تلاحظ وان تحس . أما التأمل والتفكر ، والشك والإيمان ، والنقصد والمحاسبة ، فطورها لم يحن بعد » .

وبالفعل بدأت مرحلة التأمل والتفكر مع مجموعتها الجديدة « الظل الكبير » وأخذت الكاتبة نفسها في هذه الفترة بشيء من الاطلاع والثقافة العامة ، وغدت أكثر انفتاحا على العالم حولها وأكثر اختلاطا ومجالسة ومراقبة ، خاصة عندما لاحظت ان هذا الاختلاط والانفتاح يثري فنها القصصي ويمنحه معينا لا ينضب من الموضوعات والاحداث والاشخاص . ولكنها ما زالت ، من ناحية اخرى ، تطل على الآخرين من مكان عال لا يستطيعون ان يرقوا اليها فيه ، فكما بدت في « الاشياء الصغيرة » فتاة مترفعة متميزة ، ومن نسيج خاص ، بدت كذلك في أول مجموعتها الجديدة شابة متحمسة متفتحة طموحة ، ولكنها ما زالت تحبس نفسها في توقعة لا يريد عقلها ولا حسها ان يخرجها منها ، انها ما فتئت مختلفة عن الاخريات : « وفي هذه المرة يجدر بها الا تكون عادية ، ان تمسك قلبها باليمين وبمعادلة رياضية باليسار . انها لا تريد ان تسخو فتمنح انسانا جد عادي حبا كبيرا ، بل ولا حاجة بها لان تحب ، يكفيها ان تملا عقلها ونفسها اعجابا ببطل » . كانت في اعماق نفسها تتوق الى شيء من الانطلاق ، وتتطلع الى مستقبل مشرق مضيء ، ينسبها بضخامته ضالة ماضيها باحداثه الصغيرة التافهة : « وكانت في رأسها خطوط مختلفة لمشروع ، كانت تعاني فيه فراغا لا يملؤه الا جبار ، جبار يبدو معه ماضيها شيئا ممسوخا ، شيئا لا يجرؤ حتى ان يهز في نفسها مكامن الحنين ، او أن يقول انه منها » . ولكنها عندما وجدت فارس الاحلام هذا ، صدمت حين وجدته ينظر اليها كأنه قبل أي شيء آخر . انه لم يلاحظ تميزها ولا تفردا ولا أخذ بما حشدت به رأسها الصغير من فلسفة وتفكير . اذن هو كالاخرين ، واذن هي كالاخرى ! وعصفت بها حيرة ، جعلت تسال نفسها اكانت مغرورة حين اصرت على جبار ؟ قد يكون ! لقد علمها رد الفعل القديم ان ترى لنفسها ظلا كبيرا ، حيث تضيق نسبة الاشيء ، ا تكون هذه نقطة ضعفها ؟ » .

يبدو ان تلك كانت نقطة ضعف بطلة القصة ، كما كانت نقطة ضعف الكاتبة نفسها ، بل

لعلها كانت نقطة الضعف لدى فئة من بنات فلسطين اللاتي نشأن في نفس الفترة ونفس الظروف التي عاشتها الكاتبة ، فتاة غضة يانعة في أرضها الحبيبة ، ثم مهاجرة غريبة — غربة الروح والنفس — تكد وتعمل في سبيل العيش الكريم ، وتسمى وتناضل من أجل العودة الظاهرة مع جموع اللاجئين ، حيث تأمل ان تنعم بحياة طبيعية سعيدة في مستقبل الأيام . ولكن الأيام طالت والسنوات أخذت تكرر ، واضطرتها الحياة الى التنازل على المستوى الشخصي ، والرضا والاقناع بما هو موجود وما هو كائن ، وعاشت حياتها كغيرها من بنات حواء .

وفي الفترة التي شهدت تجربة الوحدة العربية وثورة العراق ثم انتكاسة هذه الثورة ، خرجت الى النور مجموعتها القصصية الثالثة التي اعتبرت قمة للمجموعة الثانية ، سواء في موضوعاتها التي استقتها من الواقع المحيط بها والذكريات المخزونة في عقلها الباطن من أيام الطفولة ، أو في أسلوب السرد والحوار المحكمين والبناء الغني المتقن . وحملت السنوات الثلاث التالية مزيدا من التجارب والاحداث في حياة الكاتبة ومن حولها في بيروت ، وعاشت سميرة حياة ثقافية خصبة كان لثرائها اثر في تطور فنها القصصي خاصة انها عكفت على دراسة اسس هذا الفن ، وترجمت كتابين هامين في القصة القصيرة والقصة القصيرة الأمريكية ، بالإضافة الى عدد من القصص القصيرة والروايات الأمريكية المعروفة والهامة . وكان نتاج هذه الفترة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » ثم الخامسة التي طبعت بعد وفاتها « العيد من النافذة الغربية » .

يطول بنا الحديث لو أخذنا بتحليل قصص المجموعات الأربع الباقية قصة قصة كما حاولنا في المجموعة الأولى اعلاه . ولذلك يحسن بنا ان نحدد الموضوعات التي طرقتها الكاتبة والاحداث والشخوص التي صورتها ، وكيف استطاعت التعبير عن تلك الاحداث والشخوص والموضوعات في مختلف القصص المتناثرة بين مجموعاتها الأربع ، خاصة ان هناك دائما خيطا رقيقا يجمع بين القصص ، ويعطيها — بصورة عامة — ميزة في سميرة عزام .

سميرة عزام فتاة فلسطينية ، حملت قضية بلدها وعاشت بها متنقلة بين الأقطار : فلسطين كانت حياتها ، وفلسطين كانت مقتلها ومماتها — اذا صح التعبير — وبالرغم من ان القصص الفلسطينية في مجموعتها ليست غزيرة الكم والعدد ، الا انها من حيث الكيف تعتبر قمة في التعبير عن المأساة منذ أول وقوعها ، واحداث التشرذم والجوء ونفسية الفلسطيني وما تعرض له من ضغوط وظروف قاسية ومريرة ، قابلها جميعا بالصبر والعمل والصمود تارة ، والحدق والثورة والتمرد تارة أخرى . هناك قصتان تصوران كفاح أبناء فلسطين ونضالهم ضد قوى الشر والطغيان ، الأولى منهما تحكي قصة معلم شاب من ابناء قرية « بتير » في ضواحي القدس ، كان يحمل البندقية في الليل ، يحرس القرية مع رفاقه ويدافع عنها امام خطر الاعتداءات الصهيونية عام ١٩٤٨ . وفجأة نفذت ذخيرته ، ولم يكن امامه الا ان يموت مكانه هو وزوجه وطفله البريء ، او يرحل مع قلول النازحين « في الطريق الى برك سليمان » ، وانتصرت ارادة الحياة ، وفي رقعة متناهية تصف القاصة مشاعره ومشاعر زوجه ساعة الرحيل ، مودعين بيتا صغيرا عرف حبهما وكفاحهما المبكر معا ، وحديقة غرساها شجرة شجرة . ولطع رضاض الأعداء ، وأصاب صغيره الذي يحمله بين يديه ، وركض بالجسد الميت خشية ان تراه زوجه متصمق . وتحنت شجرة لوز سخية حفر حفرة صغيرة اراحه فيها ثم اهل عليها التراب برفق ، حفنة حفنة « ولم يقرأ صلاة ما ، فقد أخرسه الحدق » .

صورة مؤلمة من صور الهجرة الفلسطينية تكررت كثيرا في تلك الأيام . أما قصتها « خبز

الفداء» بصور حاشا آخر من حوارات النضال الفلسطيني . وقد بدت فيها الكاتبة أكثر حكمة ، ودراية بالفن القصصي ، واعتمدت في تسلسل الحوادث على الواقع الذي عاشته ورميقاتها في آخر أيام النضال قبل سقوط عكا وحيفا في أيدي الاعداء . كانت سميرة نفسها قد ساهمت مع سيدات عكا في حياكة القمصان الصوفية لاهدائها إلى أفراد الحرس القومي وكتابة عبارات مشجعة على بطاقات يضعنها في جيوب القمصان ، وهكذا كانت بطله القصة المرضة « سعاد » التي التقت صدفة بحارس المستشفى الليلي الذي كان قهصها من نصيبه وفي جيبه عبارتها التي تقول : « أرجو أن تكون من نصيب بطل » . (وسميرة معروفة بخلق الصدف الحلوة وتدبير المناسبات الموحية في قصصها بصورة عامة) . ويتكرر لقاءهما ، في طابور التدريب والتأهب وفي أوقات الراحة القليلة ، ونما الحب بينهما . وهنا تعاود الكاتبة ذكرياتها عن طبيعة بلادها الجميلة فنكتب : « كان الوقت ربيعاً ، وربيع فلسطين بحر أزرق تتهادى عليه أشعة المراكب البيضاء نهراً ، وترصعه فوانيس قوارب الصيد ليلاً ، وبساتين يرتقال يكثف عبقها الهواء . . وفي ربيع ذلك عرف شيئين . . الحب والحرب » . الحب هو الذي يعطي المعنى للحرب ، وما الحرب في نظره الا حق حياة للأرض التي يحب ، والفتاة التي يحب : « ومع كل اطلالة صباح . . كان يستقبل خيالها . . جنباً الى جنب مع أبناء المعارك في صحف الصباح . . معركة القسطل ، هجوم قومه من مثلث الرعب على قرى الاعداء . . غاراته وأخوانه على المصفحات اليهودية المتسللة على طريق حيفا - عكا نهائياً ، بطولة قومه في سلمة وفي كل مكان » . وكانت الحرب أقوى من الحب ! فوقعته كارثة حيفا وخرج النازحون يتلمسون طريقهم الى الميناء وأخذ الاعداء يمتطرون الطرقات والشعاب بالرصاص . أما هي فقد رفضت النزوح مع أهلها ، وأما هو فقد بقي ليؤدي ما وكل اليه من جمع الذخيرة من القرى نهراً والقيام بالحراسة مع رفاقه ليلاً . وعرفت « سعاد » طريقهم وأخذت تحضر لهم كل يوم صرة مملأ بالخبز والسجائر والحلوى . وتبلغ المأساة ذروتها على يدي الكاتبة عندما تلاقي « سعاد » البطلة مضرها المحتوم وتصيبها رصاصة وهي تمرق من باب الحديقة الى حيث تبع ورفاقه وراء المتاريس . وبشيء كثير من رقة الشعور ورهافة الحس تصف الصراع العنيف في نفسه ونفس رفاقه بين أن يطووا ضلوعهم على الجوع أو يمدوا أيديهم الى الصرة الممزقة والارغفة الملوثة بدمها الزكي ، ومرة أخرى تنتصر ارادة الحياة ، فما زال امامهم شوط طويل ، وعيونهم لن تنام عن الثأر ، فليكن الخبز هو « خبز الفداء » .

في مجموعة « الظل الكبير » صورتان فلسطينيتان غاية في الروعة والانسانية ، اوحى بأولاهما إليها عبارة وردت على لسان مذيع اذاعة الشرق الادنى ، ضمن « رسائل اللاجئين الى ذويهم » تقول كلمات الرسالة : « من جميل عبدالله في بيروت الى والده كريم عبدالله ووالدته سلمى واخته وداد في يافا : انا بخير كذلك خطيبيتي ناديا . سن تزوج في الساعة الثالثة من بعد ظهز الثامن من ايار في كنيسة « السيدة » ، ثم نساغر لاعمل في الكويت . مشتاقون ، طمنونا بواسطة الاذاعة » . ولكن ، ماذا بيد « سلمى الصواف » وزوجها أن يفعلا في يوم فرحة ولدهما « جميل » سوى ان يذيع المذيع زدهما على الرسالة فيقول : « من كريم عبدالله وزوجته سلمى وابنته وداد وزوجها . . نبارك زواجك وتدعو لك بالخير » . تصور سميرة قمة الفاجعة حين تقول : « وبيروت ليست في السند أو الهند . بيروت لا تحتل أكثر من ساعات ست في مشوار سيارة . . ولا تحتل أكثر من نصف ساعة في طائرة . . ومع ذلك فمستحيل المستحيل لديها (سلمى) ان تذوق فرحة العمر وتكحل عينها بمرأى جميل عريسا . . » وتتساءل سميرة : « أية نسوة في الحياة تششتط فلا تشفق على قلب أم ولا تفرح قلب أب . . » وتتحدث عن مشاعر الأم حين بلغت الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، وتستعرض الشريط الجميل الذي مر بخيالها لولدها الصغير

الذي كبر وتعلم ، وها هو يتزوج بعيدا عنها ، وتختيل حفل الزفاف والكنيسة وطلعة العروس ، يا ليت كل ذلك كان امامها ! « ما أعظم شوق يافا لان ترى عرسا لاخذ أبنائها ! » ولكن الكابوس ما زال ثقيلا وقد مات طعم الفرح في أفواه الناس . ثم من يزغرد للعريس ؟ أم العروس ؟ ولم لا وقد خلاها الجو ! وتختلط الافكار في رأس سلمى ، وتشعل الشموع في أيدي أبناء بنتها الذاهلين ، وتمسح دموعها وتطلق زغاريدها المخوقة .

الصورة الفلسطينية الثانية طالما وصفتها اقلام الصحفيين العرب وطالما صورتها كاميرات مصوري وكالات الانباء العربية والاجنبية ، اذ لم يعرف العالم صورة في طرافتها ولا في غرابتها ولا في شذوذها ، صورة بوابة « مندليوم » عشية عيد الميلاد من كل عام بعد عام ١٩٤٨ ، حيث يحتشد ابناء فلسطين الذين يعيشون في الداخل ، ليلتقوا خارج البوابة المشنومة بالوافدين للقائهم من الاهل والاقارب والابناء والازواج ، وربما الاحفاد ايضا . وفي ذلك العام بالذات حملت احدى السيارات القادمة عن طريق درعا والرمثا عجوزا مشوقة للقاء ابنتها التي ستحضر من « الناصرة » وقد حملت لها ولاولادها بعض المأكولات والملابس . وعبر الطريق تسلي نفسها والسائق بالثرثرة عن « ماري » واولاد ماري ، وتروي بعض احداث الهجرة ومآسي الفراق : « سبع سنوات مرت على فرقتنا ، تركتها عروسا فصار لديها كريم والياس وعبد النور ، سبع سنوات ، عمر يا بني عمر ، وما استطاعت ان تترك الناصرة الى القدس لقرانا فهي اما حامل او نفساء » . ورغم تعب الطريق ووعثاء السفر الا ان العجوز متمسكة قوية ، تصبر وتتحمل وستأتي ماشية على قدميها لو اقتضى الامر ، حتى تحظى برؤية ماري : « سأقبل ماري فلا أشبع وأشمها فلا اكتفي واسألها حتى يجف ريتي .. » ستسألها عن يافا ، فربما تكون زارتها ، عن البيت والجيران ، عن البيارة والكنيسة .. وتحمل نهاية القصة مفاجأة قاسية ، لقد مرض زوج ماري فلم تتمكن من الحضور .. والى العام القادم ! أية عبارة درامية تختم بها سيرة قصتها حين تفيق العجوز من غشيتها وتعطي السبل لناقل الخبز وتقول له : « خذها وقبل رأسها عني ، وقل لها على لساني . بعد السلام انني اذا عشت عاما آخر فستأتي اليها زاحفة على قدمي .. واذا عاجلتني رحمة الله ، فلن أموت الا بحسرتين حسرة بلدي ، وحسرة ماري ، وقبلة على خدها ! » . وقد عبرت الكاتبة نفسها عن اهتمامها بالمطالع والخواتيم حين قالت : « المطالع والخواتيم عندي اوليها عناية خاصة ، فقد تقتل العبارة الاخيرة ان لم تكن زحمة وموفقة كل الموحيات والتأثيرات التي احب ان اتركها مع القارئ » (١) .

وتجيء مجموعة « الساعة والانسان » بقصصها المتقنة الحك ، باحداثها الدرامية ، ومواقفها الساخرة ، ونهاياتها المساوية اليائسة ، ويحظى الفلسطينيون من كل ذلك بنصيب ، فالقصة الاولى من قصص المجموعة قمة في السخرية والمرارة والالم القومي الممض . ولذلك لم يكن غريبا ان صدرتها مجلة الاداب حين نشرت فيها عام ١٩٦١ بالابيات التالية للشاعر العراقي المرحوم بدر شاكر السياب من قصيدته « قافلة الضياع » :

« قابيل أين اخوك ؟ »

— « يرقد في خيام اللاجئين

السبل يوهن ساعديه ، وجثته أنا بالدواء

والجوع لعنة آدم الاول وارث الهالكين

ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين

ورمته أنا بالرعيث ، من التخصيص الى العلاء» (٢).

خادث اختلاس في مركز توزيع وكالة غوث اللاجئين يدان فيه « وصفي » ويطلب من صديقه وزميله المثل امام المحقق ، ولكنه لا يستطيع ان يدلي بأية معلومات عن زميله رغم علمه بها « فصدقتهما صداقة رصاص ودم . . جوع وتشرد . انه ليس ندلا . . وليس لصا . . ولكن » . والاجابة الوحيدة التي تفوه بها امام المحقق هي : « انني اعرف وصفي مذ كان طفلا ، زاملته تلميذا وموظفا ، وليس سهلا علي ان اتصور ان ينحط الى هذا الدرك » . ويجيء التعليق القاسي على لسان الرجل الاجنبي : « في مثل ظروفكم يا صاحبي لا يدري المرء في أية لحظة يمكن ان يصبح لصا . . » وتكون هذه المقولة بداية للقصة كلها ، يقوم الصديق الى قوائم التوزيع المنتظرة على مكتبه فيمزقها ويلقي بها في سلة المهملات . . ويمسك قلما وورقة بيضاء ، يسطر عليها ثلاث حكايات : « فياض الحاج علي » المزارع الطيب الذي كانت مواسم بلاده خضراء دائما « غسماؤنا سخية ، وتربتنا سمحاء ، ولم تكن سواعدا بالتخاذلة الرخوة » . ولكن ظروف اللجوء الذليل ، وأفواه الزوجة والاطفال الخمسة المطالبة قلبت حياته رأسا على عقب ، ولما جاءت زوجته الى مكتب التوزيع تطالب بتسليم الاعاشة لها ، لا له ، لانه يبيعها ويسكر بئنها ، أخذ يكيل لها الكلمات والركلات دون وعي حتى فارقت الحياة في الطريق الى المستشفى . وغدا فياض مجرما وقضي عليه بالاشغال الشاقة خمسة عشر عاما ! وأخت الشهيد احمد ، ومدرسه في الحرس ، تصبح بغيا بعد موت امها « اذ لم يبق امامها الا هذا الطريق » ! . وأبو سليم جاسوس الخيم الذي يسجل على اللاجئين تحركاتهم ويقف في طريق بنساء مدرسة جديدة في المخيم ، في حين يشتري هو جهاز تلفزيون ويفرض رسم دخول على من يريد الفرجة من اخوانه اللاجئين « كل هذه صور من آثار النكبة على الفرد الفلسطيني ، شوهته وأذلته وغلفت حياته بالخزي والعار » . ولذلك لم يكن غريبا ان يذهب الراوي فور انتهائه من كتابة هذه الحكايات وقد بيت في نفسه امرا « القضاء على مصدر الذل نفسه — مكتب التوزيع — وعندما تلتهم النار اكياس الفول والدقيق وكتل الدهن واكوام التمر والزبيب ، يشعر بزهو غريب ، فكل الناس سيعرفون « كل اللاجئين ، كل من في الوكالة ، وسيعرف المحقق بالذات ، انه شيء اكبر من لص ، وارفع من وغد ، وان قومه لن يلعنوه اذا جاعوا . . فما حرق قوتهم ، وما سلك ناره على غنائم اللصوص والفتران الا لانه . . » لانه يحبهم » ! .

صورة اخرى من صور الذل والهوان للذين مر بها « الفلسطيني » خاصة اول الهجرة ، تسجلها الكاتبة في القصة التي تحمل ذلك الاسم ، فقد أصبح « الفلسطيني » البقال كالارمني الاسكافي الذي لم يعرف له اسم على مدى ثلاثين عاما في الحي ، هذا مع ان مصائب الفلسطينيين أصبحت قوائد لدى بعض الانتهازيين من أهل البلاد الذين تعاملوا بتزوير بطاقات الجنسية وابتزاز اموال الفلسطينيين الكادحين .

لا شك ان سميرة كانت متعاطفة مع أبطال قصصها من الفلسطينيين ، الذين عرفت حياتهم عن قرب ، وزارتهم كثيرا في المخيمات وفي المدارس وفي معسكرات التدريب . وكانت هي نفسها تأخذ على الكتاب والشعراء العرب الذين تحدثوا عن اللاجئين عدم زيارتهم لمخيماتهم ومعرفتهم كيفية معيشتهم وما يتعرضون له ، وتطلب من الاديب ان ينظر الى القضية الفلسطينية كقضية معاشية يومية ، وتضيف : « ان تجاوبه يجب ان يتم أبدا على نطاق الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب — وان قدمت في نظرنا على غيرها من المشكلات — وانما بجميع قضايا التحرر في العالم » (٣).

٢ — مجلة الاداب ، عدد فبراير ١٩٦١ ، ص ١٨ .

٣ — مجلة الاداب ، عدد مارس ١٩٦٥ ، مقالة لسمرية عزام بعنوان : « دور الادب في معركة فلسطين » .

وهذه النظرة الانسانية الشاملة ليست غريبة على مسيرة عزام ، فالى جانب التماذج الفلسطينية البائسة والمهيضة الجناح ، تمثل قصصها بالشخصيات الضعيفة والبسيطة والمظلومة ، وهي دائما تتعاطف مع تلك الشخصيات وتحنو عليها وتبرر لها المواقف وتوجد لها الاعذار . كما ان ابطال قصصها في الغالب من الطبقة العاملة والبسيطة : صبي الكواء ، بائع الصحف ، عاملة الكوافير ، سكرتيرة المدير ، عاملة في مصنع ، بائعة الخ . وهي في تصويرها لتلك الشخصيات ، تطلها ، كلا على حدة ، وترسم ملامحها ببساطة وعمق ويصدق بالغ ، وكأني بها تعتنق مذهب تشيوكوف حين قال : « ان على المؤلف ان يكون انسانيا الى اطراف اصابعه » . ونجدها من الناحية الوصفية تعتنى بالتفاصيل وتصف لنا الجزئيات لكي تعطينا صورة متكاملة واضحة عن المنظر او الحالة التي تريد شرحها . وهي في هذا ايضا من مذهب تشيوكوف الذي يقول : « ان اقدس القداست عندني هو الانسان ، صحته ، ذكاؤه ، موهبته ، وحيه ، حبه ، وحرسته المطلقة » . وليس هذا غريبا على كاتب كان اصله طبييا بشريا .

ومن اعذب الصور الانسانية في قصصها صورة الوداع في المطار عندما نودي على ركاب طائرة البرازيل ، وهب « فرحات » وهب مودعوه من نساء العائلة ورجالها يلتقون معه الصور التذكارية ويزودنه بكلمات الوداع ووصاياه . وتحلل الكاتبة مشاعر المودعين وخاصة امه التي « يبدأ التاريخ عندها وينتهي بشيء من فرحات وفرحات » . كما تحلل مشاعر المهاجرين في ديار غربتهم وآلام الوحدة وقسوة الحياة في البداية ، ولا تبخل القاصة على فرحات ، الذي انسأها وداعه انها في انتظار حضور شقيقتها من القاهرة ، بأجل التعبيرات التي اعتادت ان تختتم بها قصصها او تنترها بين الفقرات : « ولما ركب الطائرة ووقف على سلمها ، فرشت القرية عواطفها على المدرج ، والقت ام بقلها على الطائرة .. » .

وفي قصتها « هل كان رمزي » صورة انسانية مؤلمة للام التي ضاع طفلها وهو في الرابعة من عمره ، واعادوه لها بعد اربع سنوات ، وقد كبر واستطالت قامته وتغير شكله الى حد ما ، فأنكرته ، من فرط وجومها وشروذ عقلها . وأحس هو بذلك ففر من البيت ، واستمرت الام في وقوعها بمدخل المدينة تتشبه بسترات المارة وتسال : « هل فيكم من رأى ولدا في الرابعة يلبس بنظالا أزرق ؟ » .

أما قصة « فردة حذاء » فتفاجئنا بالنهاية المأساوية المؤثرة عندما عثر أهل البيت على مجموعة من فردات الأحذية « الشمال » في غرفة التخزين على السطح ، وزال عجبهم عندما رأوا ابنة الخادمة تتأبط عكازا خشبيا إذ كانت برجل واحدة .

وتعاطف مسيرة ليس فقط مع الأدميين وبني الانسان ، بل ان رقة قلبها واحساساتها المشاركة دائما تمتد الى كل أليف وأنيس وضعيف من الحيوان ، وقصتها العزاقيسة المحلية « سعد والديك » مثل على ذلك . كما ان الفة المكان والتعود عليه عند الكلاب واضحة في قصتها « الحب والمكان » .

أما أكثر الموضوعات التي طرقتها مسيرة عزام في قصصها ، فهي الموضوعات النسائية والانثوية ومشاعر الامومة وروابط الزواج والخطبة وأحداث الميلاد أحيانا . وقد عرضنا لمجموعة من تلك القصص في الصفحات السابقة ، ونضيف هنا ان مجموعة من قصص « الظل الكبير » تدور حول هذه المعاني ، مثل قصة « نصيب » التي تسلط فيها الكاتبة الضوء على الطريقة التقليدية في الخطبة والزواج عند العرب ، وأن « السكوت علامة الرضا » بالرغم مما يدور في رأس العروس من صراع وتردد أحيانا ، إذ ان الاحلام لا تتحقق كلها في واقع الحياة . وقصة « ستائر وردية » من النوع الشعبي المحلي ، تحمل من روح التهكم الشيء الكثير ، تاجر عطارة بزواج مطلق ، وزوجات له متعاقبات ،

وجارات يتلقن الاخبار في فضول وهمس . وصف ساخر لهذا الجو الحريمي العتيق . وسيرة موهوبة في السخرية والتهمك ، مما يوحي بأنها متأثرة بأسلوب برنارد شو الذي قرأت له كثيرا دون ريب .

وفي حوار ذكي طريف بين فتاة شابة وخطيبها ، أعطته عنوان « القارة البكر » تطلق الكاتبة نفسية الرجل الشرقي وتحصي متطلباته في الفتاة التي يريد ان يتزوجها ، واول هذه المتطلبات الا تكون قد عرفت رجلا قبله « لئلا تحرمه من شعور كولومبس » . ويصف الفتاة بالجرأة المتناهية لانها حكمت له عن مشاعر سابقة حملتها لشباب قبل سبع سنوات . وعندما يثور ويسألها عما دفع بها الى هذا الاعلان تجيبه بقولها : « لا ادري ، كان يتأكلني الفيظ احيانا حين أسممك تتحدث الي عن تجارب الحياة وقد أخذك الزهو وكأنها أنت تحدث انسانة لا حق لها في ان تمارس تجربة ، وان تذوق انتصارات الحياة وانكساراتها ، انسانة لم تولد الا منذ عرفتتها » . وتجري الكاتبة على لسان الفتاة الاسباب التي تجعلها تبحث عن أي زوج او تقبل خطبة غير مقنعة : « امي ، أبي ، اخوتي ، شعوري بالضعف ، اسئلة الناس لي لماذا لم تتزوجي بعد .. الصحاح اهلي علي في ان افعل .. لقد بت اشعر بأنهم يضيقون بي .. » .

وقصة « اطفال الاخرين » تروي ظروفا دقيقة حساسة في حياة زوجين شابين لا ينجبان ، يطل بيتهما علي روضة اطفال ، وهي مليئة بالعواطف الغزيرة التي تغدقها الزوجة علي اطفال المدرسة حين تطل عليهم من نافذتها اكثر من مرة في اليوم ، تلك النافذة التي بدأت تضايق الزوج حين صارحه طبيبه بأنه هو الذي لا يجب ، ولكن « شهادة الطبيب فيه لا يمكن ان تبدل حقيقة احساسه فيما بينه وبين نفسه علي الأقل .. ان هؤلاء الصغار يعطونه الفرصة لان يحب .. » والاطباء يتركون شيئا للعلاج وشيئا للامل ، ليظل للحياة ما تستحق ان تعاش من أجله ، فلتظل النافذة مفتوحة للصغار ، وليظل الامل نبراسا ينير الظلمة الحالكة . وتتميز القصة بالتحليل النفسي الدقيق لكل من الزوجة المرحة المتفائلة والزوج الحساس المتشائم ، والكبرياء الخاص بكل منهما .

لكن نهايات قصص سميرة عزام ليست كلها مشرقة متفائلة كالقصة السابقة ، وقد لمسنا بعض الخواتيم الدرامية في قصص فائقة ، ونلمس ذلك اكثر فأكثر في قصة من مثل « الساعة والانسان » التي توحى بأنها قصة واقعية من ذكريات بعض اهلها او معارفها في الوطن . وعقدة القصة تدور حول « فؤاد » موظف السكة الحديد الذي بلغ المحطبة متأخرا ، وكان القطار قد أخذ بالتحرك ، فتعلق بباب العربة محاولا الصعود ، ولكن يده خذلته فأفلت الحاجز وسقط تحت العجلات ، ومن يومها ووالده الكهل يدور على بيوت القرية يوقظ الموظفين قبل الفجر حتى لا يلاقوا المصير نفسه . ولكن الولد نفسه يموت نتيجة برد اصابه وهو يلهث راكضا في الصباح الباكر تحت المطر المنهمر . ان عنوان القصة نفسه يحمل من السخرية المرة ما يفجع ، هذه الالة الدقيقة التي اخترعها الانسان لتضبط له اوقاته وتنظم حياته تكون هي السبب في مماته ! ولكن الشاعر العربي قديما قال : « تعددت الاسباب والموت واحد » . وهذا القول المشهور اوحى للكاتبة بأن تزودنا ببعض الاسباب الجديدة للموت في القصة التالية لسابقتها ، فأحمد ، شاب طموح كان يعمل صبيا عند البقال ، وانتقل الى ورشة اصلاحات ميكانيكية ، ثم ساقته طموحه الى المانيا حيث تعلم هندسة التليفزيون وتركيب الهوائي واصلاح الاجهزة ، وتزوج وأنجب ، ولكن القدر كان له بالمرصاد ، ونقلت الشاشة الصغيرة صورته وهو يسقط من فوق سطح احدى العمارات الشاهقة .. « كومة رابضة تمثل قصة الطموح في فصلها الختامي » .

ليست القصتان السابقتان الوحيدتين اللتين تحدثنا عن الموت في مجموعات سميرة

عزام . فمن الواضح ان هذا المصير لبني البشر قد أخذ من تفكيرها الشيء الكثير ، فهناك قصتها « هواجس » و « لا ليس لشكور » والآخره منها غاية في الرقة ودقة الاحساس ، تصور والد « شكور » الذي عمل طيلة حياته بصناعة التوابيت وبيعها يتشائم اليوم من عمله ويرغب في تغييره حين مرض ولده الصغير وخشي أن يصبح ذلك التابوت القصير من نصيبه . وعاف تجارة الموت « وراح يهوي بالفأس على النعش الصغير في ضربات عصبية مجنونة متلاحقة ، فما خلاه الا حطاما وراح يبعثرها بقدميه » .

الواقع ان فكرة الموت كثيرا ما كانت تسيطر على الكاتبة ، وتوحي لها بتأملات وخواطر عديدة ، وتتردد اوصاف الميتين اكثر من مرة في قصصها « فالوجه شمعي شاحب ، والعم محشو قطنا ، والعيان زجاجيتان نصف مفتوحتين » . ومع هذا فلم تخفها فكرة الموت ولم تفزعها النهاية المحتومة . انها هنا تذكرنا بالكاتب الساخر الواقعي ارنست همنجواي الذي ترجمت له هي نفسها مقالة نشرتها في مجلة الاداب عام ١٩٦١ بعنوان « ارنست همنجواي ، حي وسط الموت » تقول احدي فقراتها :

« كانت الحياة بالنسبة لهمنغواي شيئا لا ينفصل عن الموت ، بل هي صراع متقابل يتغلب فيه ابطاله لا على الخوف من الموت فحسب ، بل على الخوف من تعقيدات الحياة والتفكك الذي يهدد الفرد . ان الحياة هي الحياة الحققة ، وهي العمل والقوة الخلاقة التي تمد البطل بالقوة للصراع » .

كانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها سميرة الموت صراحة وباحساس شامل غامض يوم فاجأت صديقتها وزميلتها الادبية السورية السيدة الفة ادلبي بقولها : « ذات ليلة ستفاجأين بعيني » ولم يكن ذلك قبل وقت طويل من حادث وقاتها رحمها الله « (٤) .

وبعد ، فقد كانت سميرة عزام كاتبة ملتزمة ، لم تخرج عن نطاق مجتمعها وبيئتها بما فيها من آفات وأمراض اجتماعية ، ولم تكف عن النقد والتحليل لمختلف الاوضاع والاوساط ، موحية بالحل والاصلاح احيانا ، كما تميز اسلوبها وتناولها للقصص بالقيم الثلاث التي تميز القصة الناجحة وهي : الصدق والاخلاص والانسانية . اما تعبيراتها الجميلة الموحية ، والكلمات التي كثيرا ما تتحول في قلمها الى انغام ، فيكفيها دليلا عليها ، الى جانب ما مر من نصوص ، الجمل والعبارات القصيرة التالية :

« وفي تلك الليلة أنكرت مخدتها رأسها القلق » .

« وأجتمع الرجال على واجب الاموات ، ثم انقضوا عن رحمة الاحياء » .

« والتفت حسن الى بيته ، كان ما يزال مشدودا بكرامة ، جدرانها البيضاء تشرب فضة

القمر ، ويغسله عطر زهر اللوز بسخاء ربيعي . . » .

« ولم يكن ثمة صوت يحدد صمت الليل الا صوت ديك ارعن لا يبالي ان يصبح حتى في

ليل مات قمره » .

لم يكن كثيرا على سميرة عزام ان ينعته الناقد العربي الاستاذ رجاء النقاش بأفضل كاتبات القصة القصيرة في أدبنا المعاصر (٥) . اما فلسطين فقد خسرتها كاتبة أدبية ناجحة ، وخسرتها مناضلة حرة مجاهدة ، ولا يعوز عن فقدتها سوى عنايتنا بما خلفت من قصص ، وما أبقت من آثار جميلة تحمل المثل والمبادئ التي عاشت لها وماتت من أجلها ، وأولها : حب الوطن والتضحية في سبيله بالروح والنفس والمال .

المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية

خليل أبو رجيلي

أجمل الجنرال دافيد اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، أهداف الحملة الاسرائيلية على الجنوب اللبناني في يومي ١٦ و ١٧ أيلول ١٩٧٢ بقوله « لقد حددنا لانفسنا مهمتين : تدمير قواعد المخربين ، وتصفية رجالهم الموجودين في المنطقة ، وقد تم تحقيق هاتين المهمتين في شكل كامل » (١). وإذا كان هذا هو الهدف **المعلن** من الحملة ، فإلى أي مدى يتطابق هو مع هدفها **الحقيقي** ؟ وهل حقا ان المهمتين اللتين حددهما اليعازر هما المهمتان **المباشرتان** للغزو الاسرائيلي الاخير ، وبالتالي لكل اعتداء سبقه ، ولكل اعتداء قادم متوقع ؟ في اليوم الاول من الحملة الاخيرة ، أي قبل ان يعلن اليعازر هدف الحملة ، أكد العميد أول احتياط يهوشفاط هركابي ان « ألقصف الجوي ضد المخربين ما هو إلا اجراء مؤقت ، والشئ نفسه ينطبق على العمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات » (٢). إذن فان العسكرية الاسرائيلية تدرك ان تحقيق مثل هذه الاهداف **المباشرة المعلنة** غير قابلة للانجاز عن طريق الاعمال العسكرية التي تقوم بها القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني . ومن هنا فان هركابي نفسه في حديثه المشار اليه يضع تصورا آخر للحرب من « خلال جبهة واسعة جدا ، ومن خلال عمليات متعددة الاتجاهات ومتنوعة الاساليب » تهدف ، بقدر ما يتعلق الامر بموضوعنا ، الى « العمل على تحويل النزاع الى عبء على تلك الدول التي لم تتحمل اعباءه مما جعلها تمنح تأييدها لاستمراره ، وهدفنا سيكون **اجبار** هذه الدول على تقليص حجم تأييدها للحرب التي يقوم بها الفدائيون » . بعد هذا الخط الاستراتيجي العريض الذي يحدده هركابي تكشف وسائل الاعلام الاسرائيلي عن تفصيلاته فمكتب صحيفة « دافار » (١٧/٩/٧٢) ان « امام الحكومة اللبنانية الخيار بين طرد المخربين من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها » (٣). كما تكتب صحيفة « عل همشمار » في اليوم نفسه « ان المحافظة على الهدوء يتعلق بالحكومة اللبنانية وحدها وعليها ان تتخلص من أعمال المخربين » (٤). وهكذا ، تكشف هذه « الدعوة » للحكومة اللبنانية الهدف **الحقيقي** و**المباشر** للاعتداء الاسرائيلي على الجنوب اللبناني ، هي « دعوة » لان تتولى الحكومة اللبنانية نفسها المهمتين اللتين حددهما اليعازر هدفا للحملة بعد ان ادركت العسكرية الاسرائيلية عمق « القصف الجوي ضد المخربين والعمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات » . وهذه « الدعوة » الاسرائيلية ليست حديثة ، ولا هي موجهة فقط للحكومة اللبنانية وانما لشعب لبنان ، في قراه ومناطقه الجنوبية ، مقصود بها ايضا . فمنذ ان ابتدأت اسرائيل ب تكرار اعتداءاتها على الارض اللبنانية ، كان كل اعتداء يحمل في طياته مثل هذه « الدعوة » التي كانت اسرائيل تؤكد لها علانية في تصريحات قادتها او من خلال وسائلها الاعلامية . فعشية الاعتداء على بلدة حاصبيا وقرية دير العشائر في حزيران ١٩٧٢ حرص ابا اييان ، وزير خارجية اسرائيل ، على « افهام » اللبنانيين في الجنوب الهدف من هذا الاعتداء بأنه « القضاء على المخربين والمتعاونين معهم قمتى خرج المخربون من القرية وكف الاهالي عن التعاون معهم تركهم جيش الدفاع الاسرائيلي

بعيشون في أمان» (٥). والدعاوة الاسرائيلية توجه «الدعوة» الى اللبنانيين «للسخط» على الفدائيين حرصا منها على استقرار الشعب اللبناني فيذيع راديو اسرائيل (٢٣/٦١) ان «وكالات الانباء تتحدث عن التوتر المتزايد في اوساط الشعب اللبناني تجاه منظمات التخريب ، فالسخط الذي ساد سكان قرى الحدود موجه الى المخربين والسلطات اللبنانية التي لا تتخذ الاجراءات اللازمة لوقف نشاطات المخربين التي لا تقتصر على القيام بعمليات ضد اسرائيل بل تسيء ايضا الى الامن الداخلي في لبنان والى ااحة واستقرار الشعب اللبناني . فمنظمات التخريب تعتبر نفسها دولة داخل دولة ولا تحترم الحقوق الاساسية للشعب اللبناني» . هذا الحرص المزعوم على استقرار الشعب اللبناني ، يكشف الاهداف ويعريها : استعداد السلطة في لبنان على المقاومة ، خلق التناقض بين الشعب في لبنان والمقاومة ، وتصعيد هذين الهدفين الى مرحلة الصدام المسلح الذي يكون فيه طرفا الصدام خاسرين لا محالة . وازاء هذا الخسران الذي يحقق بالطرفين ، المقاومة ولبنان ، تستطيع اسرائيل من ثم ان تخطو خطوات اخرى في تحقيق اهدافها الحقيقية في لبنان والتي هي ، هذه المرة ، غير معلنة ، اعلانا صريحا . ونعني بذلك * :

تقويض الاقتصاد اللبناني

لا يزال الاقتصاد اللبناني يركز بصورة رئيسية على قطاع الخدمات الذي يشكل حاليا ٦٧ ٪ من الناتج الوطني بينما تساهم الصناعة بنسبة ١٧ ٪ والزراعة ١١ ٪ والبناء ٥ ٪ (٦) وتطور اقتصاد الخدمات هذا يتطلب استقرارا سياسيا حتى ينمو ويزدهر ، ففترات الاضطراب بالنسبة له هي فترات انكماش وتراجع بينما فترات الاستقرار هي فترات نمو كبير وازدهار .

ومن مقومات قطاع الخدمات في لبنان التجارة والسياحة وهذه الاخيرة تشكل دعامة قوية من دعائم الاقتصاد اللبناني وتبلغ نسبة مساهمتها في الناتج الوطني ١٥ ٪ وقد ارتفعت قيمة المقبوضات من السياحة من ٦٧٤٣ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٦٠ (٧) الى ٥٨٠ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧١ وكان متوقعا ان تصل الى ٦٤٥ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧٢ أي بمعدل زيادة قدره ١١ ٪ (٨) . لكن حالة عدم الاستقرار التي ولدتها الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان وموجة الانفجارات والاغتيالات السياسية التي تقف وراءها الاستخبارات الاسرائيلية قد أثرت على هذا القطاع تأثيرا مباشرا ولن يتوقع له هذه السنة نمو كبير كما كان متظنرا ودليل ذلك انخفاض عدد المصطافين العرب في المصايف اللبنانية هذه السنة (٩) والغاء الزحلات المقررة لبعض السياح الاوروبيين والامريكيين الى لبنان وبالتالي الغاء الحجوزات في فنادق بيروت والجبل التي تنتظر موسم الصيف حتى تعوض عن خسارتها في بقية فصول السنة .

ولا تكفي اسرائيل بالاعتداءات على لبنان حتى تقوض اقتصاده بل تستغل وسائل اعلامها في الخارج ، ودالتها على بعض وسائل الاعلام في العالم الغربي ، لتشوش على لبنان وتمنع السياح من زيارته . وانشأت لهذا الغرض مكاتب خاصة في اوربا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية يوميا وجمع المعلومات عن حوادث السير والمسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة ومن ثم ترجمة هذه المعلومات الى عدة لغات اجنبية وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان : لبنان كما يراه اهل . . . فتأملوه (١٠) . هذا نموذج عن رغبة اسرائيل في تقويض اقتصاد لبنان لتركيعة حتى يرضخ لجميع شروطها فيقيد تحركات المقاومة الفلسطينية على اراضيها لتصفيتها معنويا

* أعدت هذه المقدمة من قبل هيئة التحرير حيث ان المقال كتب اصلا قبل شهرين من تاريخ النشر .

وجسديا لكن بقطعة الشعب اللبناني حالت حتى الآن دون الرضوخ للشروط الاسرائيلية
المهينة للكرامة الوطنية .

الاهداف البعيدة

ان الهدف البعيد للاعتداءات الاسرائيلية على لبنان هو الاستيلاء على جنوبي لبنان وجزء
من منطقة البقاع الواقع على السفح الشرقي لجبل الشيخ وذلك لعدة اسباب اهمها :
— وجود كميات وافرة من المياه (منابع الاردن ، نهر الليطاني ، نهر الزهراني وينابيع
أخرى) تقدر بـ ٥٠٠ مليون متر مكعب في السنة تحتاج اليها اسرائيل لتحقيق مشاريع
الاستيطان في جنوبي فلسطين .

— وجود اراض زراعية خصبة (سهل مرجعيون ، السهل الساحلي ...) تحتاج اليها
اسرائيل لتوسيع الرقعة الزراعية لارضها .

— وجود أماكن أثرية غنية تمثل عدة حضارات تبغي اسرائيل الاستيلاء عليها لتنشيط
السياحة الى اراضيها .

— أهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية والاستراتيجية لامن الدولة الصهيونية .

وقضية مطامع اسرائيل هذه بالاستيلاء على بعض المناطق اللبنانية ، هي قضية طويلة ،
يرتبط تاريخها مباشرة بتاريخ الحركة الصهيونية . وقد اتخذت هذه المطامع منذ ولادتها
اتجاهين مختلفين ، سياسي واستيطاني . وسنعرض فيما يلي لخطة العمل التي اتبعتها
قادة الحركة الصهيونية في كل اتجاه كي يصلوا الى غايتهم .

الاتجاه السياسي

تؤكد جميع المقالات والبيانات والمذكرات الصادرة عن قادة الحركة الصهيونية في الفترة
التي سبقت مباشرة الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على
فلسطين وشرق الاردن ، تؤكد جميعها رغبة الحركة الصهيونية في الاستيلاء على جنوبي
لبنان وجبل الشيخ وسفوحه الشرقية الواقعة في لبنان وذلك استنادا الى العوامل
التاريخية والاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية . وسارت مطالبة الصهاينة وفق
الخطة التالية :

أ — بتاريخ ٥ ايار سنة ١٩١٧ احتجت الحركة الصهيونية في نشرة فلسطين ، الناطقة
باسمها ، على معاهدة سايكس — بيكو السرية التي اتفقت بموجبها بريطانيا وفرنسا
على تقسيم المشرق العربي فكتبت تقول :

« ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين « القديمة » يمكنه ان يحوز على موافقة
اليهود أو ان ينسجم مع آمانيهم القومية » .

وشددت النشرة على ضرورة توفر العوامل التالية في الارض التي ستمنح لليهود :

— سهولة الدفاع

— مساحة كافية للتوسع الاقتصادي

— شمول جميع المناطق التي قد تشكل مصدرا للمتاعب في المستقبل (١١) .

ب — بعد حصول اليهود على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بدأت اللجنة
الاستشارية لفلسطين ، (لجنة بريطانية تضم معظم الشخصيات الصهيونية) ، عملها
لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وقدمت هذه اللجنة
مقترحاتها استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية وأصررت على ان
تشمل الحدود الشمالية ، نهر الليطاني وجبل الشيخ (١٢) .

ج - في المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام اصرت على شمول الحدود الشمالية على جنوبي لبنان وجبل الشيخ . تقول المذكرة :

ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ . . . (١٢) .

تعيد المذكرة الى الاذهان ما صرح به مرارا قادة الحركة الصهيونية في تلك الفترة وتوضح اصرارهم على شمول جنوبي لبنان وجبل الشيخ ضمن الحدود القومية للوطن اليهودي في فلسطين . واعقت المذكرة عدة ايضاحات من قادة الحركة الصهيونية تثبت جميعها اطماع الحركة بجنوبي لبنان وجبل الشيخ :

- في ٦ كانون الاول سنة ١٩١٩ حددت الحركة الصهيونية رغبتها في الاستيلاء على جنوبي لبنان وجبل الشيخ بقولها : « ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني و منابع مياه الاردن وثلوج جبل الشيخ » (١٤) .

وارسل هيربرت صموئيل (١٥) رسالة الى احد اعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس يشرح فيها اهمية مستقبل فلسطين ويحدد عوامل النجاح لها فيقول : « ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة (من قبل مذكرة الحركة الصهيونية) حيوية للغاية » (١٦) .

وفي اجتماع ضم القاضي برنديس واللورد بلفور واللورد برسي والقاضي فرانكفورت ، صديق الرئيس الامركي نلسون ، المعروف بميوله الصهيونية ، اتفق المجتمعون على ان تحقيق الوطن القومي لليهود لا يتم الا بتوفير مساحة كافية لاستيعاب المهاجرين ، وتأمين مصادر المياه الواقعة في شمال البلاد (١٧) .

وفي اثناء انعقاد مؤتمر الصلح اتصل دافيد بن غوريون ووايزمن ، اول رئيس دولة لاسرائيل ، اللذان كانا في باريس للاحتقة مطالب الحركة الصهيونية ، بالبطريك الماروني والذي كان بدوره في باريس للمطالبة بضم الحليل الاعلى ووادي النصارى الى دولة لبنان ، اتصلا به لاقتناعه بالتخلي عن الحليل الاعلى وجنوبي لبنان لقاء وعد بمده بالمساعدات المالية والفنية كافة لتطوير لبنان الذي سيصبح دولة ذات اكثرية مسيحية فرفض البطريك طلبهم واصر على مطالبه (١٨) . فهذه الحادثة تثبت وسائل الترغيب التي اعتمدها الحركة الصهيونية لسلخ جزء من لبنان من سيطرة الانتداب الفرنسي وضمه لسلطة الانتداب البريطاني حتى يسهل عليها انشاء المستوطنات الصهيونية فيه والاستيلاء عليه عند قيام الدولة الصهيونية في الاراضي العربية المغتصبة .

الا ان فرنسا اصرت على ان تكون الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية الفاصلة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني خطا يمتد من رأس الناقورة على البحر الابيض المتوسط مرورا ببيانياس حتى مدينة درعا السورية . وهكذا قطعت الطريق على مطامع الحركة الصهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية معا . فأعلن قادة الحركة الصهيونية سخطهم على رضوخ الحكومة البريطانية الى المطالب الفرنسية ونددوا بهذا الاتفاق الذي افقدهم نهر الاردن ونهر الليطاني وجبل الشيخ وسهل حوران .

لكن قادة الحركة لم يياسوا من امكانه تغيير الحدود بطرقه سلبية محاولوا خلال الحربين العالميتين اقامة جاليات يهودية في الاراضي اللبنانية والسورية ، الا ان محاولتهم لاقت معارضة شديدة من السلطات الفرنسية التي رفضت رفضا باتا السماح للجاليات اليهودية بالاستيطان في الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية تخوفا من المطامع التوسعية الصهيونية(١٩) .

رغم هذه النكسات لم تتخل اسرائيل عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه ، فقد حاولت قبيل قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ شراء الاراضي المحيطة بمنابع الاردن ونهر الليطاني وذلك عن طريق سماسرة ماهرين الا ان محاولتها هذه باءت بالفشل(٢٠) ، وفي سنة ١٩٤٨ احتلت اسرائيل جزءا من قضاء مرجعيون وبنيت جيبيل واصبحت على مشارف الليطاني لكنها تراجعت عنها بعد ان قامت الحكومة الفرنسية بالضغط عليها . وفي اتفاق الهدنة الموقود سنة ١٩٤٩ بين لبنان واسرائيل احتفظت اسرائيل باجود الاراضي الزراعية التابعة للعديد من القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية منها اراضي قرى يارون ورميش وعيترون وبليدا وحولا والعديسه وكفركلا وميش الجبل . . .

ومنذ ذلك الحين لا ينفك المسؤولون الاسرائيليون عن كشف نواياهم التوسعية بالاستيلاء على جزء من اراضي لبنان . ففي مطلع ايار سنة ١٩٥١ يصرح ابا ايان وزير خارجية اسرائيل الان بما يلي : « لسنا من المهتمين بالنيل او بالفرات ولكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام »(٢١) وهذا يعني الاستيلاء على قضاء حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من البقاع الغربي . وفي مطلع سنة ١٩٥٥ نشرت مجلة ميدل ايسترن افيرز الامريكية الصهيونية ، مقالا جاء فيه : « كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب لا يمكن ان تتحقق بدون مياه الليطاني »(٢٢) . وفي ٧ تموز سنة ١٩٦٧ بعد حرب الخامس من حزيران مباشرة صرح ليفي اشكول ، رئيس الوزراء آنذاك ، لمندوب جريدة الموند الفرنسية معلنا نواياه بالاستيلاء على مياه لبنان فيقول : « لا يمكننا ونحن بامس الحاجة الى المياه ان نرى مياه نهر الليطاني تذهب هدرا الى البحر ، لقد اصبحت القنوات جاهزة في اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستعمالها »(٢٣) . ويجيب بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق على رسالة الجنرال ديفول الذي بعث يسأله عن نوايا اسرائيل بالنسبة للبنان فيقول : « ان امنيتي في المستقبل جعل الليطاني حدود اسرائيل الشمالية » . وافر حرب الخامس من حزيران يصرح وزير الدفاع موشي دايان : « ان حدود اسرائيل اصبحت طبيعية على جميع الجبهات باستثناء لبنان » . ويضيف في تصريح آخر امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان السورية المحتلة فيقول : « ان الضفة الشرقية للاردن ولبنان وسوريا ستكون الفريسة التالية لاسرائيل » .

تصريحات المسؤولين الاسرائيليين في هذا الصدد عديدة وكلها تثبت نوايا اسرائيل بالاستيلاء على جنوبي لبنان لتأمين كميات المياه التي تحتاج اليها لتحقيق سياسة الاستيطان في النقب واستيعاب موجات الهجرة التي ترد اليها في السبعينات . وستشدد أزمة المياه في اسرائيل ابتداء من سنة ١٩٧٥ لان الطلب على المياه سيزيد على الكميات المتوفرة في البلاد(٢٤) . فلا بد اذن لاسرائيل ان تحسم الموقف قبل ذلك التاريخ . وتشير تطورات الاحداث على الجبهة اللبنانية بعد حرب الخامس من حزيران الى رغبة اسرائيل الملحة في الاستيلاء على جنوبي لبنان . لانها منذ ذلك التاريخ قامت باحتلال مزارع شبعاء وشردت نحو ٥٥٠ شخص واقفلت ابواب الرزق امام اهالي شبعاء كما احتلت مشارف جبل الشيخ المطلة على شبعاء ، ومشارف كفرشوبا وانشأت مراكز مراقبة لها في الاراضي اللبنانية على طول الحدود وشقت اليها الطرقات .

لكن المسؤولين الاسرائيليين لا يفصحون عن كل الاسباب التي تدفعهم الى احتلال الاراضي اللبنانية فبالاضافة الى المياه التي تحتاج اليها اسرائيل هناك اهداف اخرى تدفع

باسرائيل الى الاسراع بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية منها :

— الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة لاسيما السهل الساحلي حيث تزدهر بساتين الحمضيات التي تشتهيها اسرائيل لتقضي من جهة على دعامة قوية من دعائم الزراعة وتزيل من جهة اخرى منافسا قويا لها في اسواق اوروبا الشرقية والاسواق العربية ايضا حيث تطمح اسرائيل بتسريب حمضياتها اليها عن طريق سياسة « الجسور المفتوحة » بينها وبين الاردن وذلك تحت ستار « منتجات الاراضي العربية المحتلة » (٢٥).

— التمرکز في الجنوب لاهميته العسكرية والاستراتيجية لحماية امن الدولة الاسرائيلية كي تمنع المقاومة والجيوش العربية من التمرکز فيه وتهديدها تهديدا مباشرا .

— تفتتت كيان لبنان تهديدا لإنشاء اول دولة من سلسلة الدول الطائفية التي فضحها كتاب « خنجر اسرائيل » حين نشر مضمون الوثيقة السرية التي كانت تنوي اسرائيل تحقيقه في الشرق العربي بالتعاون مع حلف بغداد سابقا كي تخلق حولها حزام امن مركبا من دويلات طائفية صغيرة تدور في فلكها . يشكل هذا الهدف اخطر تحد تقوم بتنفيذه اسرائيل لضرب امانتي الشعوب العربية في تحقيق الوحدة وذلك عن طريق اثارة النزعات الطائفية لدى الاقليات حتى تسلخها عن وحدة المصير مع الشعوب العربية . وقد يتجاوب معها بعض غلاة الطائفية الانعزاليين الذين يطمحون منذ زمن الى انشاء مثل هذه الدويلات .

٢ — الاتجاه الاستيطاني

هذا الاتجاه ملازم للاتجاه السياسي ويرمي الى انشاء مستوطنات صهيونية في الاراضي التي يطمح قادة الحركة الصهيونية بالاستيلاء عليها لفرض سياسة الامر الواقع ، وتجلت هذه السياسة بالاحداث التالية :

أ — اقام المستوطنون الصهيونيون بين سنتي ١٨٨٢ و ١٨٩٦ خمس مستوطنات في الجليل الاعلى المتاخم للحدود اللبنانية قرب حوض نهر الحاصباتي والليطاني . بلغت مساحة هذه المستوطنات في عام ١٩١٥ . ٨٤٥٣٠ دونما (٢٦) منها ما يقارب الثلث كان واقعا ضمن الاراضي اللبنانية في سهل مرجعيون وخراج قرية دير ميماس اللبنانية المشرفة على حوض الليطاني قرب قلعة الشقيف .

ب — اشترى السماسرة اليهود بين سنتي ١٩١٦ و ١٩٢١ القرى اللبنانية التالية : ضلحا ، هونين ، طبريخا ، الصالحة ، واستطاعت المنظمات الصهيونية بما لديها من نفوذ ان تضم هذه القرى الى فلسطين بعد تعديل للحدود جرى بين بريطانيا وفرنسا في سنة ١٩٢٣ . وقد شمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية وتم بموجبه سلخ بعض الاراضي الزراعية الخصبة التي كانت تابعة للبنان (٢٧) .

ج — نجح اليهود بين الحربين العالميتين في ان يبتاعوا قرية المنارة التي تقع على مرتفع يشرف على الجزء الجنوبي من جبل عامل والتي كان يملكها اقطاعي لبناني ، وامتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها والذي كان يملكه اثنان من تجار بيروت حصلا عليه في حزيران سنة ١٩١٤ من الدولة العثمانية وقبضا ثمنه ١٩٢٠٠٠ ليرة فلسطينية من شركة ترقيية الاراضي في فلسطين (٢٨) ، وهي شركة يهودية لعبت دورا بارزا في الاستيلاء على الاراضي العربية في فلسطين التي كان يملكها اقطاعيون كبار وذلك باغرائهم بمبالغ ضخمة من المال . وكان الغرض من شراء قرية المنارة وامتياز الحولة السيطرة على حوض الاردن والليطاني معا .

د — عام ١٩٤١ تقدمت احدى الشركات الصهيونية بطلب الى الحكومة اللبنانية لاعطائها امتيازاً لاستغلال مياه لبنان وتزويد القرى اللبنانية بالماء والكهرباء (٢٩) على غرار

الامتيازات التي حصلت عليها بعض الشركات الصهيونية من الحكومة البريطانية المتعدية على فلسطين . الا ان الحكومة اللبنانية تنبته الى نوايا الصهيونيين ورفضت اعطاء الامتياز حفاظا على الثروة المائية اللبنانية .

لكن الحركة الصهيونية لم تياس من فشلها في الحصول على امتيازات لاستغلال مياه لبنان وقد مارست ضغوطا غير مباشرة منذ ذلك الحين على الحكومة اللبنانية لمنعها من تنفيذ مشاريع الري المقررة في حوض الحاصباني والليطاني . ويلمس هذه الحقائق كل من رافق قضايا الري في الجنوب ويدرك مدى الضغوط التي مارسها البنك الدولي ولا يزال لعرقلة تنفيذ مشاريع الري في الجنوب من الليطاني والحاصباني وذلك عن طريق الماطلة بطلب دروس جانبية عن المشروع قبل المباشرة به . ومنذ ذلك التاريخ اشبع المشروع درسا وما يزال البنك الدولي متمنعا عن اعطاء القروض لتمويل تنفيذ اشغال الري لكنه كان سخيا باعطاء القروض لتمويل محطات توليد الكهرباء من الليطاني . ما هي الغاية اذن من تأخير ري الجنوب من الليطاني لولا الضغوط الاسرائيلية لمنع لبنان من الاستفادة من مياه هذا النهر كي تستولي عليه وتجر مياهه الى النقب ؟

تدل هذه الاحداث وغيرها من الاحداث المشابهة التي جرت قبيل انشاء دولة اسرائيل على مطامع الحركة الصهيونية الجدية بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية بواسطة فرض سياسة الامر الواقع التي لا يزال يتبعها المسؤولون الاسرائيليون في الاراضي العربية التي احتلوها في حرب الخامس من حزيران عن طريق انشاء المستوطنات الصهيونية فيها .

خاتمة

من الواجب اذن ان يدرك اللبنانيون جميعا ان الاطماع الاسرائيلية بالاستيلاء على جنوبي لبنان والجزء الجنوبي الشرقي من البقاع ليست وهما بل حقيقة واقعة تأتي في طليعة اهتماماتها في المستقبل القريب كما صرح بذلك وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان ، امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان المحتلة : « ... سيكون لبنان الفريسة التالية لاسرائيل » . ومن المهازل ان اسرائيل تجهر بنيتها هذه امام الملا دون خوف او حياء بينما لا تزال فئة من الشعب اللبناني ، اعمها التعصب ، تصر بان اسرائيل لا تطمع بأي شبر من الاراضي اللبنانية ولا تريد للبنان الا الخير والازدهار الاقتصادي شرط ان يطرد الفدائيون من اراضيه . وتصر هذه الفئة ايضا على الاعتقاد بان الخطر الحقيقي الذي يهدد كيان لبنان واستقراره كامن في الدول العربية « ذات الانظمة التقدمية » وي الفدائيين الفلسطينيين الذين جلبوا الويل والدمار الى لبنان منذ ان وطئت اقدامهم اراضيه . لقد وقعت هذه الفئة في فخاخ الدعاية الصهيونية لكن قد آن لهذه الفئة ان تفيق من غفلتها على صدى تصريحات المسؤولين الاسرائيليين بالاستيلاء على جنوبي لبنان . ان لها ان تعي ان الخطر الحقيقي والوحيد على لبنان هو التهديد الاسرائيلي لانها تطمع بأرضنا ومياهنا وخيراتنا ، وان الدول العربية والفدائيين هم حلفاؤنا الطبيعيون لاننا مرتبطون معهم بوحدة الحياة والمصير وتقتضي الظروف التي نعيشها بان نتعاون معا لردع العدو المشترك قبل ان يشرذمنا من ارضنا ونصبح لاجئين في الخيام .

٥ - تصريح نقلته الاذاعة الاسرائيلية في ٧٢/٦/٧٧ .

٦ - Henri Durane, *Options pour une politique de développement au Liban*, 1971, p. 4.

٧ - ميزان الانفعالات اللبناني ١٩٦٠-١٩٦٩ .

١ - حديث الى الاذاعة الاسرائيلية يوم

٧٢/٩/١٧ ، نشرة رصد اذاعة اسرائيل

الصادرة عن مركز الابحاث ، العدد ٤٢ .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - المصدر نفسه .

- ١٦ - رعانان ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
 ٢٠ - جريدة النهار ، ١٣ ايلول ١٩٤٥ .
 ٢١ - جبرؤاليم بوست ، ٢ ايار ١٩٥١ .
 ٢٢ - ميدل ايسترن ايمرز ، المجلد السادس ، العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٥٥ .
 ٢٣ - الموند ، ٧ تمز ١٩٦٧ .
 ٢٤ - *Quarterly Economic Reviews*, Israel 1969, No. 1, p. 13.
 ٢٥ - لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع راجع الدراسة التي صدرت لنا عن مركز الابحاث الفلسطينية في سلسلة دراسات فلسطينية عن الحمضيات في الاراضي المحتلة .
 ٢٦ - Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirtschaftsgbiet*, traduit en Français par Georges Shaib, Beyrouth, p. 108.
 ٢٧ - عبدالله عاصي ، صراعنا مع اسرائيل ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .
 ٢٨ - سعيد حماده ، النظام الاقتصادي في فلسطين ، جامعة بيروت الامريكية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٤٥ .
 ٢٩ - عبدالله عاصي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

- منشورات مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التّصميم العام ١٩٧١ ، ص ٨٦ .
 ٨ - *Le Commerce du Levant*, Edition Mensuelle,, Juillet 1972.
 ٩ - جريدة النهار عدد ٧/٨ و ٧/١٥/١٩٧٢ .
 ١٠ - جريدة الجريدة في ١/٢٤/١٩٧٢ .
 ١١ - مجلة فلسطين ، الجزء الاول ، العدد ١٥ ، ٥ ايار ١٩٦٧ .
 ١٢ - غريسكو سر رعانان ، حدود وطن ، لندن ١٩٥٥ ، ص ١٠١ .
 ١٣ - المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .
 ١٤ - فلسطين ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .
 ١٥ - هيربرت صموئيل ، احد أقطاب السياسة البريطانيين ، يهودي صهيوني عين اول مندوب سام بريطاني على فلسطين .
 ١٦ - وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩ ، الجزء الرابع عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .
 ١٧ - المصدر نفسه ، ص ١٢٧٦ .
 ١٨ - ذكر الحادثة النائب ريمون اده في بيانه سنة ١٩٦٨ ، وقال انه اطلع عليها في وثائق البطريكية المارونية في بكركي .

أصدر مركز الابحاث لخليل ابو رجيلي الكتب الثلاثة التالية باللغة العربية

- الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة .
- الثروة الحيوانية في فلسطين المحتلة .
- الحمضيات في فلسطين المحتلة .

سعر كل كتاب ليرتان لبنانيتان (تضاف اليها اجور البريد)

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي

كين ميركورد

ما زالت اسرائيل تتلقى ، منذ قيامها ، سيلا من رؤوس الاموال . فقد حصلت على ما يزيد عن احد عشر بليون دولار مكنتها من تغطية فائض الاستيراد الدائم لديها ، ذلك ان فائض الاستيراد على التصدير يعطي الاسرائيليين مستوى معيشة مرتفعا بصورة « اصطناعية » فمن غير الطبيعي ان تستهلك اي دولة اكثر مما تنتج ، وحين يتوقف هذا السيل من التمويل الخارجي ، عاجلا او آجلا ، ستضطر اسرائيل الى تخفيض مشترياتها من البضائع الاجنبية بحيث يتساوى الاستيراد مع التصدير وهذا يؤدي الى تقلص في الاستهلاك المحلي ، اي الى هبوط في مستوى المعيشة . وعلى حد تعبير احد كبار الاقتصاديين الاسرائيليين بأنه اذا كان استيراد رأس المال بمثابة « القوة الدافعة في الاقتصاد الاسرائيلي » (١) ، فان الحصلة النهائية للتوقف التام لهذا الاستيراد قد تكون اشد اثاره من مجرد تدني مستوى المعيشة . فبما ان الصناعة الاسرائيلية تتوجه ، بالدرجة الاولى لتلبية احتياجات السوق المحلية خاصة في مجالات السكن والنقل والملابس معتمدة على سيل رؤوس الاموال المتدفق نحوها من الخارج ، فان الركود الذي سيسببه توقف اجتذاب رؤوس الاموال ، سيؤدي الى البطالة وبالتالي الى تخفيض القوة الشرائية للمستهلك ، الامر الذي سيزيد من ضغط الركود . وهذا بدوره سيؤدي الى مزيد من البطالة والى تدن اكبر في مستوى البحبوحة العامة ، والى تغليب الهجرة من اسرائيل على الهجرة اليها .

لقد تنبه الاقتصاديون الصهيونيون لهذا الخطر منذ ان بدأ الصندوق القومي اليهودي في تمويل الكيبوتزات في الايام الاولى للانتداب . وما برح الاقتصاديون يحذرون من انه « لا توجد ضمانة لاستمرار تدفق رأس المال الخارجي الوحيد الجانب الى ما لا نهاية » . وبالتالي فان على اسرائيل ان تكيّف نفسها بالتدريج ، والشروط الضرورية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي حتى لا تجد نفسها في مواجهة هذا الوضع الصعب (٢) . وقد جرت اول محاولة اسرائيلية في اتجاه الوصول الى الاستقلال الاقتصادي عام ١٩٦٥ . احست الحكومة الاسرائيلية حينئذ بالقلق بسبب حدوث زيادة بلغت ١٣٥ مليون دولار على فائض الاستيراد ، فقررت ان لا مفر من احداث تحول جذري في سياستها الاقتصادية « لنفادي انهيار اكبر ، وخطر اشد بعد سنوات قليلة » (٣) . واصبحت الحالة حادة ، بصورة خاصة ، عندما كانت الزيادة في الواردات تؤدي الى ارتفاع حاد في ديون اسرائيل الخارجية لان فائض الاستيراد كان يغطي كليا ، الى حد ما ، من خلال زيادة القروض الخارجية والاستثمارات . ولهذا ، ويقصد تخفيض العجز في ميزان المدفوعات ، اقرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٥ قيودا على سياستها المالية والنقدية فوضعت حدا لنمو الاعتمادات المالية والمشاريع الانشائية العامة الجديدة . كان لهذا التحول اثر ايجابي فوري على العجز في الميزان التجاري اذ انخفض فائض الواردات من ٥٧٠ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ٤٥٢ مليون دولار عام ١٩٦٦ . لكنه ادى ، من ناحية اخرى ، الى اول

ركود في الاقتصاد الإسرائيلي . ومع أن الناتج القومي الإجمالي لإسرائيل استمر في النمو ، إلا أن نموه كان أقل بكثير منه في السابق . ففي عام ١٩٦٦ ازداد بأقل من ١٪ . وبسبب النمو في السكان فقد كان هذا يمثل انخفاضا يبلغ ١٤٩٪ إذا قيس على أساس الدخل الفردي . أما الانتاج الصناعي فلم يشعر بوقع السياسة الجديدة فوراً فبلغ ذروته في شباط ١٩٦٦ . لكنه انخفض باستمرار بعدئذ إلى أن بلغ انخفاضه أكثر من ١١٪ في نهاية السنة . غير أن عماد الصناعة الإسرائيلية ، وهي صناعة البناء ، التي تتأثر خاصة بتدفق الرساميل الخارجية ، فقد عانت من نكسة أشد إذ انخفضت نشاطات البناء بنسبة ٢٣٪ عام ١٩٦٦ (٤) . ومنذ ذلك الوقت وبعض الاقتصاديين الإسرائيليين يعزرون هذا البطء الاقتصادي إلى انخفاض الهجرة التي تطابقت وإياه . إلا أن السبب الحقيقي كان قرار الحكومة في الإقلال من اعتماد البلاد على استيراد الرساميل . أما الانخفاض في الهجرة من ٥٢٤٠٠٠ عام ١٩٦٤ إلى ١٤٤٠٠٠ عام ١٩٦٦ فقد كان نتيجة الفئور الاقتصادي بقدر ما كان سببه . ففي عام ١٩٥٨ عندما انخفض عدد المهاجرين بشكل أشد دون أن يرافق ذلك فتور اقتصادي يثبت أن تدفق الرساميل وليس المهاجرين هو عماد البحبوحة الإسرائيلية . ومع نهاية ١٩٦٦ خشي زعماء الحكومة نتائج سياسة القيود أكثر من خشيتهم الإغراق في المعضلات المالية واعدوا اقرار سياسة توسعية . ورغم ذلك فقد ازداد الركود ، فانخفضت نشاطات البناء إلى نصف ما كانت عليه قبل الركود . وفي ربيع ١٩٦٧ بلغت نسبة البطالة ١٠٪ من القوى العاملة واضطرت الحكومة إلى استئناف اعالة العاطلين عن العمل (٥) رغم كدر الإسرائيليين الواعين لاهمية الدعاية ولأثر مثل هذه الخطوة على الصورة التي تحاول إسرائيل أن تنسجها لنفسها في الخارج .

وأثر حرب حزيران ، انصبت اعانات يهود العالم بشكل لم يسبق له مثيل . فتغزت التحويلات الصافية ، وهو حساب ميزان المدفوعات الذي تدخل في عداده الهبات التي تتلقاها إسرائيل من مصادر مختلفة ، إلى ٥١١ مليون دولار عام ١٩٦٧ . أي ما يقرب من ضعف ما تلقته إسرائيل عام ١٩٦٦ . وقد حفز هذا التدفق من الرساميل الصناعة الإسرائيلية إلى استرداد نشاطها فوراً . وفي نهاية ١٩٦٧ انخفضت البطالة إلى نسبة مقبولة . وفي منتصف ١٩٦٨ ارتفعت نسبة الهجرة إلى إسرائيل للمرة الأولى في ثلاث سنوات . وسرعان ما نسي الإسرائيليون الأيام السوداء لما قبل الحرب وعمت موجة من التفاؤل الجديد توقعات الاقتصاديين الإسرائيليين بشأن المستقبل . وكان عكاس للنشاط الذي ولده انتصار إسرائيل في ساحة المعركة ، وضعت هيئة التخطيط الاقتصادي برنامج إنهاء رباعي في عام ١٩٦٨ يدعو إلى تخفيض مستثمر في العجز التجاري إلى ٣٩٥ مليون دولار بحلول عام ١٩٧١ (٦) . أما النتيجة فقد كانت ارتفاعاً حاداً في العجز التجاري بدلاً من إنخفاضه منذ حرب حزيران . وفي عام ١٩٧١ بلغ العجز ١٢٠٤ مليون دولار وينتظر أن يزداد ١٣٠ مليون دولار هذه السنة (٧) . أن التباعد ما بين التوقعات في خطة ١٩٦٨ وواقع التجربة الإسرائيلية ، يظهر أن حرب حزيران ، بدلاً من أن تكون خلاص إسرائيل الاقتصادي فإنها اغرقتها في مشكلات اقتصادية أعمق . وتحت الحاح الضغط لتلبية مدفوعات دفاعية أكبر وتحقيق مستوى معيشة أعلى من أي وقت مضى ، ازداد ارتباط إسرائيل ، بدلاً من أن يقل ، باستيراد الرساميل منذ ١٩٦٧ . أما ازدهار إسرائيل الظاهري فما هو إلا واجهة تخفي وراءها نفس المشكلات التي سببت ركود الـ ٦٥ - ٦٧ واعتمادها على استيراد الرساميل . وإلى أن تصحح إسرائيل ما دعاه أحد الاقتصاديين بـ « الفشل الرئيسي في سياسة إسرائيل الاقتصادية » (٨) أي العجز التجاري الدائم ، فسوف تبقى مدعومة اقتصادياً .

إن الوسيلة التي تفضل إسرائيل ، بواسطتها ، تخفيض فائض الاستيراد وبالتالي تبعيتها

للدعم الخارجي ، هي زيادة صادراتها . وبسبب الإمكانات المحدودة لزيادة صادراتها الزراعية ، ركزت على تطوير صناعتها . وبالنظر إلى امتلاكها موارد طبيعية قليلة ، اتجهت إلى الامعان في تكثيف استغلال اسرائيل لتفوقها النسبي خاصة في ميدان الصناعات ذات القاعدة العلمية وتلك التي تتطلب مستوى عاليا في مهارة الاختصاص والدراية (٩) . ووضع نظام حوافز لصناعات مثل الصناعات الكيماوية والكهربائية وصناعة الطائرات يقصد زيادة صادراتها . ويدخل في عداد الحوافز معونات مالية ضخمة من قبل الحكومة الاسرائيلية . وبالرغم من المقالات البراقة في الصحافة الاسرائيلية والغربية لمنجزات معهد التخنيون وصناعات الطائرات الاسرائيلية ، وشركة سور فان للطاقة الاشعاعية ومؤسسات مماثلة ، فان تكنولوجيا اسرائيل المتقدمة وصناعاتها المتوجهة للتصدير ، ما عدا استثناء واحدا ، لم تستطع ان تحقق مساهمة كبيرة في دخل اسرائيل من المدفوعات الخارجية . فصناعات الطائرات الاسرائيلية تقدم نموذجا عن مثل هذه الصناعات . فبعد اتفاق مبلغ ٦٥ مليون ليرة اسرائيلية لتطوير الـ عرفا Arava ، وهي طائرة تجارية معدة للتصدير ، لم تستطع صناعات الطائرات الاسرائيلية ان تحرز طلبا واحدا من الخارج لهذه الطائرة وطلبت لجنة الكنيست المالية من هذه الشركة التوقف عن انتاجها (١٠) . ويبدو من الطبيعي ان تلاقي اسرائيل صعوبة في منافسة غيرها في السوق العالمية في ميدان المنتجات المعقدة عندما تكون دولة كالولايات المتحدة التي تملك اضعاف ما لاسرائيل من طاقات بشرية وثروات طبيعية وتخصص بلايين الدولارات للابحاث العلمية ، تواجه صعوبات في منافسة دول متقدمة تكنولوجيا .

اما النجاح الوحيد في صناعات اسرائيل التصديرية فقد تمثل في صناعة صقل الالماس التي نمت من حجم متواضع قبل الحرب العالمية الثانية لتحتل المركز الاول في قائمة صادرات اسرائيل . الا ان مساهمة صناعة صقل الالماس في الدخل القومي الاسرائيلي ليست بقدر قيمة تصدير الالماس . فالقيمة المضافة بفضل الصقل في اسرائيل هي فقط ١٦ ٪ من قيمة التصدير . فقد تم في عام ١٩٧٠ تصدير الماس بمبلغ ٢٠٢ مليون دولار ، لكن القيمة المضافة بسبب الصقل في اسرائيل كانت ٣٩ مليون دولار فقط (١١) . ولما كان متوسط القيمة المضافة في صناعات اسرائيل التصديرية الاخرى يبلغ ٥٦ ٪ فقد الح الاقتصاديون مرارا ، لكن دون جدوى ، على ضرورة التنوع في الصناعة الاسرائيلية . فصناعات اسرائيل التصديرية ما زالت تحتفظ بطبيعة « الغلة الواحدة » اذ يشكل الالماس ما يزيد على ٥٠ ٪ من مجموع صادراتها الصناعية (١٢) . فالنسبة العالية المستمرة للالماس من مجموع الصادرات دليل فشل الصناعات التصديرية الاخرى اكثر منه اشارة الى نجاح صناعة صقل الالماس . اذا بقيت اسرائيل عاجزة عن تخفيض فائض وارداتها عن طريق زيادة صادراتها فان البديل الوحيد هو تخفيض وارداتها ويمكن تحقيق هذا بدون نفس مستوى معيشة الاسرائيليين اذا أمكن تخفيض استيراد المعدات الحربية . ولكن طالما ان اسرائيل عاجزة عن انتاج الاسلحة المعقدة التي تحتاجها فان تخفيض الواردات العسكرية لا يمكن الا ان يتبع تخفيضا في مجمل المصروفات الدفاعية . الا انه لا يحتمل حدوث تغيير في ميزانية الدفاع حتى في ظروف وقف اطلاق النار الراهنة اذ حذر الاسرائيليون زعماءهم من ذلك مرارا . وهناك تقدير يتميز بالتفاؤل اذ تتوقع خطة التنمية للفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٦ ، الصادرة عن سلطة التخطيط الاقتصادي ، حدا ادنى من الهبوط السنوي بنسبة ١٠ بالمئة في نفقات الدفاع في فترة خمس السنوات القادمة . وهكذا فان تخفيض اسرائيل ل وارداتها يتضمن تخفيض أو على الاقل «تسوية» مستوى معيشة الاسرائيليين لان الواردات الوحيدة التي يمكن تخفيضها هي الاستثمار والبضائع الاستهلاكية . الا ان هذه طريقة مؤلمة كما تبين من المحاولة التي جرت في

العام ١٩٦٥ لتخفيض اعتماد اسرائيل على استيراد رؤوس الاموال بهذه الطريقة .
وعلى حد قول محافظ بنك اسرائيل السابق فانه « على اساس الايصالات غير المدفوعة
يتشكل مستوى معين من المعيشة (والعمالة) والاستثمار وبيروز شكل جامد من اشكال
الاستثمار . هذا وان اصعب مهمة اليوم امام اي بلد هي تعديل هذا الشكل الجامد علما
ان اية محاولة للقيام بذلك تثير حتما مضاعفات اجتماعية واقتصادية خطيرة على مستوى
الانتاج واليد العاملة المستخدمة » (١٣) .

فقد ابتدأت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا سياسة نقدية ومالية تعاقدية مماثلة لتلك لسنة
١٩٦٥ بالرغم من مخاطرها على الاستقرار الداخلي . وبعد نقاش لاذع حول مخصصات
الدفاع اقرت الحكومة الاسرائيلية للمرة الاولى في تاريخ اسرائيل ، ميزانية في شباط ،
تقل في قيمتها الحقيقية عن سابقتها ، « الامر الذي لم يكن قبلا جوهريا » (١٤) على حد
تعبير الوزير ساير . فقد خفضت مخصصات الدفاع من ٦٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية
الى ٥٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . اما مخصصات وزارة الاسكان فقد خفضت بمقدار
الثالث كما اعلن عن تجميد قطاع المواصلات . ولدفع سياسة مقاومة التضخم ، اقرت
اللجنة الوزارية الاقتصادية مؤخرا تجميد جميع المشاريع العامة للانشاء والامناء وزيادة
٣٪ في السلفيات الموجهة (١٥) .

لقد اظهر الاقتصاديون الاسرائيليون من جديد تكتهم حيال السبب الحقيقي لمشاكل
اسرائيل الاقتصادية عندما عزوا ضرورة سياسة الانكماش الحالية الى الزيادة السريعة
في الاجور والاسعار . لكن التضخم الحالي ، شأن الانخفاض في عدد المهاجرين الى
اسرائيل عام ١٩٦٥ - ١٩٦٧ ، هو مظهر لمشكلات اسرائيل الاقتصادية اكثر منه سببا
لها . انه نتيجة طبيعة لجهود الاسرائيليين للحفاظ على مستوى معيشتهم في وجه جهود
الحكومة الرامية الى تقليص الاستهلاك الداخلي وخفض كلفة الانتاج الاسرائيلي بقصد
انقاص فائض الاستيراد . اما المسؤول الحقيقي فهو تدفق الرساميل الذي يمكن
الاسرائيليين من بلوغ هذا المستوى المتضخم للمعيشة الذي يترددون كثيرا في تركه .

ان التغير في تركيب الرساميل المستوردة الى اسرائيل بالاضافة الى ٢٥٪ من
الزيادة في الاستيراد منذ ١٩٦٧ هو الذي حتم التحول في سياسة اسرائيل . فقبل حرب
حزيران كان ٧٠٪ من المبالغ التي وصلت اسرائيل مدفوعات محولة دون اي عبء على
الاقتصاد بما انها لا تتضمن وجوبات ايفاء . اما اليوم فان حساب القروض يبلغ ٥٠٪ من
استيراد الرساميل (١٦) . اذ ان قدرة يهود العالم قد استنزفت فاضطرت اسرائيل الى
التوجه الى حكومة الولايات المتحدة لتغطية نسبة متزايدة باستمرار من اعباء ديونها .
لقد ابتدا التحول نحو المساندة المباشرة من الحكومة الامريكية عام ١٩٧٠ عندما قفزت
قروض الولايات المتحدة الى اسرائيل من ٩٢ مليون دولار عام ١٩٦٩ الى اكثر من ٣٠٠
مليون . فالقرض الضخم الاول ، ٥٠٠ مليون دولار الذي اقر في حريف ١٩٧٠ اتى في
وقت صعب جدا عندما انخفض احتياطي العملات الاجنبية اكثر من ٥٠٪ عن رقم ١٩٦٧
ولم يكن كافيا حتى لتغطية واردات شهرين . اما وزير المالية الاسرائيلي بنحاس ساير
فاشار فيما بعد الى انه لم يستطع ان يرى كيف « يمكن لاسرائيل ان تواجه المصاريف
الخارجية الضخمة من دون قرض الـ ٥٠٠ مليون دولار » (١٧) . وهذا يؤكد ان الاعتماد
على المساعدة الامريكية ما زال من المتطلبات المستمرة . فقد تلقت اسرائيل ١١٠٠ مليون
دولار من حكومة الولايات المتحدة في السنتين الاخيرتين (١٨) . والمساعدة الامريكية
المستمرة لاسرائيل تقدر بنحو نصف بليون دولار في السنة .

ادت تغطية القروض الامريكية لفائض الاستيراد المتزايد الى ارتفاع ديون اسرائيل
الخارجية الى ما يزيد على ٣٥٥ بليون دولار ، اي اكثر من ضعف رقم ١٩٦٧ . ومعظم
هذه الزيادة تمت في السنتين الاخيرتين عندما ارتفعت الديون بمقدار ٧٠٠ مليون دولار

في العام . وهي ترتفع القدر نفسه ، ويستظر أن يبلغ ٤٠١ بلقون دولار في نهاية هذا العام . وبارتداد الديون ، يتوجب على إسرائيل أن تحول المزيد من مواردها من الاستثمارات والاستهلاك الى ابقاء ما استحق من ديونها . فقد خصص ٢٢٪ من الميزانية المقررة في شباط الماضي لتسديد القروض ، اي انها حلت في المرتبة الثانية بعد مخصصات الدفاع واكثر مما رصد للاسكان والتعليم والخدمات الاجتماعية مجتمعة (١٩) . واذا توخت اسرائيل تجنب ايفاءات اكبر في المستقبل فما عليها الا ان تقلل من اعتمادها على القروض الخارجية بتخفيض فائض استيرادها .

وقد تنبه الزعماء الاسرائيليون الى هذا الواقع منذ زمن طويل . اما الذي حدا بهم الى اعتماد سياسة شد الحزام في هذا الوقت بالذات فربما كان الضغط من الولايات المتحدة . وبارتداد ديون اسرائيل تجاه الولايات المتحدة ، اشد قلق الاخرة على قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على البقاء .

الا انهم يحبون ان يروا الاتجاه مقلوبا . ومن جهة اخرى ، فان الدافع قد يأتي من الاسرائيليين انفسهم الذين يدركون ان الاتكالية الاقتصادية تستتبع فقدان الاستقلال السياسي . ان اسرائيل ليست راغبة في أن ترى ارادتها مكبلة بانكالتها على الدعم المالي الامركي مهما كانت ثقتها في حليفتها المخلصة . ومهما كان سبب سياسة التحفظ الجديدة فان الشهور الستة القادمة لا بد ان تكشف ما اذا كانت هذه المحاولة للتقليل من اعتماد اسرائيل على رؤوس الاموال المستوردة ستؤدي ، مثلما حدث من جراء المحاولة الاولى في العام ١٩٦٥ ، الى الركود . وهناك الان بعض الدلائل على هذا الاتجاه . ففي النصف الاول من هذا العام انخفض نمو الانتاج الصناعي الاسرائيلي قليلا (٢٠) ، ولقد انخفضت عمليات انشاء الابنية انخفاضاً حاداً . مثلما حصل لعدد من عرب المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل (٢١) . وقد ارتفع هذه السنة مجمل عدد المهاجرين . الا ان الهجرة من البلدان غير الشيوعية ، وهي الهم من وجهة النظر الاقتصادية لان المهاجرين من هذه البلدان يحملون معهم رؤوس أموال ، انخفضت بمعدل ١ بالمائة (٢٢) . وقد حذر بنحاس سابر ، وزير المالية الاسرائيلي ، من أنه كلما بقيت الضغوطات التضخيمية قوية فان « اجراءات مؤلمة » اضافية قد تدعو الحاجة لاتخاذها .

من الممكن ان تنفذ اسرائيل من حالة الركود المائلة في الافق اما بحرب اخرى او معونة امركية جديدة او اكتشاف نبط في النقب . لكن من شأن كل هذا ان يؤجل اليوم الذي يتوجب على اسرائيل فيه ان تصبح مستقلة اقتصاديا . فكلما سمحت اسرائيل لنفسها بتحويل فائض استيرادها باستيراد الرساميل ، كلما ازادت مشقة تكيف الاسرائيليين مع الوضع عندما يتوقف استيراد الرساميل . ففي ذلك اليوم المصري قد يظهر ان هذا الدفق من الرساميل ليس فقط سبب بحبوحة اسرائيل ولكنه مسؤول عن وجودها ايضا .

- | | |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------|
| ٦ - انهاء اسرائيل الاقتصادي ، وزارة
التصميم ، القدس ١٩٦٨ ، ص ٥ . | ١ - دافيد هوروفيتز ، ملحق جيروساليم بوست ،
١٩٦٧/١/٢٠ ص ٤ . |
| ٧ - جيروساليم بوست الاسبوعية ، ٢/٢٩/
١٩٧٢ ، ص ٧ . | ٢ - دافيد هوروفيتز ، اقتصاد اسرائيل ،
اوكسفورد بيركامون برس ، ١٩٦٧ ، ص ٤ . |
| ٨ - دون بانتكين ، اقتصاد اسرائيل : العتد
الاول ، القدس ، مشروع فوك للابحاث
الاقتصادية في اسرائيل ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٦ . | ٣ - ملحق جيروساليم بوست ، ١٩٦٧/١/٢٠ ،
ص ٤ . |
| ٩ - الانماء الاقتصادي الاسرائيلي ، ص ١٥٢ . | ٤ - التقرير السنوي ١٩٦٦ ، بنك اسرائيل ،
القدس ١٩٧١ ، ص ١٣ . |
| ١٠ - جيروساليم بوست الاسبوعية ، ٣/٢١/
١٩٧٢ ، ص ٤ ، و ٣/٢٨/١٩٧٢ ، ص ٥ . | ٥ - يو اس نيوز اندورلد ريبورت ٤/١٧/١٩٦٧ ،
ص ٧٢ . |

- ١١ - التقرير السنوي ، ١٩٧٠ ، بنك اسرائيل ،
ص ٢٢٧ .
- ١٢ - انظر ذي اسرائيل ايكونوميست ، كانون
الثاني ١٩٧٢ ص ١٤ .
- ١٣ - هورويتز اقتصاد اسرائيل ، ص ١٠٦ .
- ١٤ - هيروساليم بوست الاسبوعية ، ٢/٢٩/
١٩٧٢ ص ٦ .
- ١٥ - المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٥/٩ ، ص ٥ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ١٩٧١/٢/٢ ، ص ١٢ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ١٩٧١/١/١١ ، ص ١٢ .
- ١٨ - المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٢/٢٦ ، ص ٧ .
- ١٩ - المصدر نفسه ، ص ٦ .
- ٢٠ - ذي اسرائيل ايكونوميست ، كانون الثاني
١٩٧٢ ، ص ١٢ .
- ٢١ - الدايلي ستار (بيروت) ١٩٧٢/٧/٩
ص ٣ .
- ٢٢ - هيروساليم بوست ويكلي ، ١٩٧٢/٧/٤ ،
ص ٥ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٦/١٣ ، ص ٢ .

صدر عن مركز الأبحاث

كتساب

العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل

يقسلم

يحيى عزودكي

٣٠٩ صفحات

٤ ل.ل.

تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي
١٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

اليابان . . . و « اسرائيل » . . . والعرب

ا. ق.

مختلف السبل والاساليب لبلوغ غايتها للانفاذة من التقدم الاقتصادي الياباني شأنها في ذلك توسل مختلف السبل للانفاذة من تخلف دول العالم الثالث، فأوردت الوفود على مختلف المستويات ومن كافة الاختصاصات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية لزيارة اليابان محاولة الوصول الى مآربها السياسية والاقتصادية، وكالمادة قام امرأتان الطائفة اليهودية في اليابان بدورهم لخدمة الحركة الصهيونية ومن ثم اسرائيل، ولا ننسى الضغوط الامريكية على اليابان لمصلحة اسرائيل وقد كان لها الدور الاكثر فعالية على توسيع نطاق التعاون الياباني الاسرائيلي جالزغم من المصالح اليابانية الواسعة وذات الاهمية القصوى على الصعيد الاقتصادي في الوطن العربي .

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية مدهورة وقد وقعت وثيقة استسلام مع قيادة قوات الولايات المتحدة في الشرق الاقصى، وبدا « فقدت اليابان كل ما كانت تملكه في الخارج، وكان عدد سكانها يفوق الثمانين مليون نسمة فضلا عن ستة ملايين عادوا من الخارج . وكانت امكاناتها الغذائية في الدرجة الأدنى، وفي بعض الحالات اقل من الحاجات الضرورية . أما الصناعة فكانت متوقفة تقريبا كما ان المخزون الاقتصادي الذي كان قد تحقق منذ الانبعاث في الربع الأخير من القرن الماضي فقد أكثر من ثلثه .

لذلك بات على اليابان ان تغطي عجزها ذلك باي ثمن ومع اية مساعدة قد تأتيها لتتغذ شعبها من المجاعة التي باتت تهددها، ولتسجد السبيل امام الاستثمارات الاجنبية - وخاصة الامريكية - عليها بذلك تعيد النشاط الى الصناعة (٤). وكان من جملة الثمن الذي كان على اليابان ان تدفعه مقابل المساعدات الامريكية الى جانب مصلحة الولايات

اليابان اليوم، وبعد ربع قرن من الحرب العالمية الثانية، أصبحت تحتل المركز الثالث في العالم على سلم الاقتصاد (١)، وبذلك تأتي بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مباشرة . واليابان، وهذا وضعها، تتميز عن باقي دول آسيا، ولا شك افريقيا التي لا تزال من الدول النامية . لذا كانت تطلعات ونظرة اسرائيل اليها تختلف عن تطلعاتها ونظرتها الى باقي دول هاتين القارتين، خصوصا وان اليابان وحدها تصدر خمسة اضعاف ما تصدره الدول الاسيوية مجتمعة، كما تزيد قدرتها عن قدرة الكثير من دول اوربوا الغربية التي تعتمد عليها اسرائيل في مشاريعها (٢).

اسرائيل تتطلع الى آسيا وافريقيا باستثناء اليابان على انها « المجال الطبيعي » لتصرف منتجاتها الصناعية، واستثمار خبرات مواطنيها التقنيين الفائضة، وحتى ولو لم تنفض عن الحاجة المحلية في بعض المجالات، يستغنى عنها لامادتها الى حيث تهبس الحاجة لها للاستثمار الدعائي ذي الاهداف السياسية والاقتصادية البعيدة المدى . أما تطلعات اسرائيل الى اليابان، وكما قلنا هي الدولة الثالثة اقتصاديا في العالم، هي عكس مجرى تطلعاتها الى باقي آسيا وافريقيا اي عكس تطلعات ومطامح اسرائيل في الدول النامية . وقد ورد في مذكرة برية سلمت الى الامة العامة لجامعة الدول العربية عن مطامح اسرائيل الافرو - آسيوية كما ظهرت في مؤتمر (النيونيدو) بمنظمة الامم المتحدة للتطوير الصناعي الذي انعقد في طوكيو في اواخر ١٩٧٠، « اتضح خلال انعقاد المؤتمر اهتمام اليابان بزيادة استثماراتها في الدول النامية ولهذا فان اسرائيل تسعى الان الى الحصول على قروض وامتنحارات يابانية لتمويل مشاريع التنميسة الاسرائيلية (٣). فاسرائيل اذن تأخذ من اليابان «لتساعد» دول آسياه النامية. وقد توسلت اسرائيل

الاسرائيلية من المواد الكيماوية ذات حجم لا بأس به وقد خصصت هذه الشركة للتعامل مع اسرائيل بشكل يسري عليه قانون المقاطعة . ٤ - شركات يابانية تتعامل بصناعة وتجارة الالماس مع اسرائيل . والالماس يشكل ٨٢ ٪ من مستوردات اليابان من اسرائيل . ٥ - شركات مصنفة على انها ذات ميول صهيونية . ٦ - فروع الشركة اليابانية المحظور التعامل معها « شركة ميزورير للصناعات الثقيلة » لصنع وصيانة السفن ، ولاليابان هنا مصالغ كبيرة اذ ان الاسطول البحري التجاري الاسرائيلي كبير وطلبات اسرائيل من هذه الشركة وفروعها كبيرة . وهناك غيرها شركتان لصناعة السفن في اليابان لهما الوضع نفسه .

٧ - نسبة كبيرة من الشركات اليابانية المحظور التعامل معها تتعامل في الاستيراد والتصدير من والى اسرائيل ولها مكاتب فيها . هذا وقد بلغ عدد الشركات اليابانية الموضوعة ولا تزال على اللائحة السوداء في لبنان حتى تموز ١٩٧٢ ، ٦٤ شركة وقد رفع الحظر عن ثماني شركات فقط هي :

- ١ - « شركة أ.و.ي. المحدودة » عام ١٩٧٠ .
- ٢ - بنك اليابان للاستيراد والتصدير عام ١٩٧٠ .
- ٣ - « شركة نيبويكور كيوشيكي ريشا » عام ١٩٧٠ .
- ٤ - « الشركة الدولية للنسيج » عام ١٩٦٧ .
- ٥ - « لوسيانو برافيلي - سانشين » مصنع العلب عام ١٩٦٧ .
- ٦ - « شركة بلانو المحدودة » عام ١٩٦٤ .
- ٧ - « شركة اولافاو للصناعات الثقيلة » قامت بينساء خمس سفن لشركتي زيم وسومرفين الاسرائيليتين عام ١٩٧٠ .
- ٨ - « هينو مونورز المحدودة » عام ١٩٦٨ التي كانت تنتج في اسرائيل بالتعاون مع شركة « الين » سيارة « كونتسا » فهذه الشركة كانت قبل الامثال الى اوامر مكاتب المقاطعة العربية « قررت استثمار ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية في صناعات « الين » الاسرائيلية لعام ١٩٦٥ وكذلك استثمار مبلغ مماثل قبل نهاية عام ١٩٦٦ ، وذلك من اجل زيادة القدرة الانتاجية لسيارة « كونتسا » الى ١٥٠٠٠ سيارة في السنة . وتبلغ قيمة برنامج الاستثمار الذي خططت له شركة « الين » ١٦ مليون ليرة اسرائيلية ، وشارك مساهمو الشركة في بريطانيا والولايات المتحدة بالملايين العشرة الاخرى . وكان من المفروض ان

المتحدة الاقتصادية في هذا الاستثمار وخدمة المصالح الامريكية المباشرة ، فتح مجال التعاون بينها وبين اسرائيل ، وهذا معروف وطبيعي بالنسبة الى متطلبات الولايات المتحدة من الدول التي تقدم لها المعونة الاقتصادية والاستثمارات المالية . فقد نظمت وكالة الصحافة الفرنسية في ٢٨ تموز ١٩٧٢ ما يلي : « صرح الرئيس نيكسون في مؤتمر صحافي بأن المساعدة التي تقدمها الولايات المتحدة لكل من تركيا واليونان ضرورية لحماية اسرائيل . و اضاف « ومن دون تقديم المساعدة لليونان وتركيا لا توجد سياسة متباعدة لحماية اسرائيل » (٥) . ولم لا تكون اكثر تماسكا اذا ادخلت اليابان في برنامج المساعدة منذ ٢٥ سنة ؟

وسنحاول عن طريق المقارنة بين المصالح اليابانية مع العرب والمصالح اليابانية مع اسرائيل ان نبين مدى تأثير الولايات المتحدة على اليابان لتوسيع علاقاتها الاقتصادية مع اسرائيل واتخاذ موقف سياسي اقرب الى صفها .

المعروف ان اليابان تتبع نظام الاقتصاد الحر اري غير الموجه من قبل السلطات الحكومية الرسمية . فأكثر المؤسسات الاقتصادية والتجارية مؤسسات تتبع في ملكيتها للقطاع الخاص ، ولكن مع ذلك فقد خططت علاقات الشركات اليابانية مع العرب واسرائيل بحيث خصصت شركات لتعامل مع العرب واخرى لتتعامل مع اسرائيل . وفيما لو قارنا عدد الشركات اليابانية الموضوعة على اللائحة السوداء لمكاتب المقاطعة العربية مع عدد الشركات من الدول الصناعية الكبرى حتى تلك التي تأتي بعد اليابان في حجم الصادرات كبريطانيا والمانيا واطاليا ولا نتكلم عن عدد الشركات الامريكية الموضوعة على اللائحة السوداء ، لتبين لنا فائقة عدد الشركات اليابانية المحظور التعامل معها . هذا مع العلم بأن أكثر هذه الشركات يمكن تصنيفها على الشكل التالي :

- ١ - فروع لشركات اجنبية وبشكل خاص امريكية محظور التعامل معها مثل شركة آر.سي.آي وشركة زينيت الامريكيتين ، او شركات يملك أكثر من ٥٠ ٪ من اسهمها شركات اجنبية موضوعة على اللائحة السوداء للمقاطعة . ٢ - شركات يملكها او يساهم فيها اشخاص او شركات اسرائيلية الجنسية . ٣ - فروع الشركة اليابانية « شركة متسوبيشي للصناعات الكيماوية » اذ ان المستوردات

نتج الشركة (1) والآخر صورة متفردة جديدة هي
(أكتوبر 1970) (2).

ولا بد من الإشارة هنا الى ان هذه الشركات
والمؤسسات اليابانية الاربعة والتسعين ، ليست
جميع المؤسسات اليابانية التي لها علاقات مع
اسرائيل وتطبق عليها قوانين المقاطعة العربية ،
ذلك انه لا توضع مؤسسة اجنبية ما على اللائحة
السوداء الا اذا كانت منتجاتها تسوق في بلد عربي
او خدماتها تؤدي لبلد عربي ، ومن ثم قامت
بنشاطات في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة
العربية . او من ناحية اخرى كانت تقوم بنشاطات
في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة ، وطلبت جهة
عربية ما التعامل معها ، معدت فقط تقوم الاجهزة
المختصة بالاستفسار عنها ودراسة وضعها وتوضع
على اللائحة السوداء اذا ثبت خرقها لقوانين
المقاطعة . وهناك عدد من المؤسسات اليابانية
التي تساهم في تنمية الاقتصاد الاسرائيلي عن طريق
اقامة صناعات فيها ولم توضع اسماء هذه
المؤسسات على اللائحة السوداء . فكما قلنا ان
السلطات اليابانية تحاول جهدها لتوزيع نشاطاتها
الاقتصادية بين العرب واسرائيل وهي في سبيل
ذلك تتبع جميع وسائل التعمية تساعد في ذلك
السلطات الاسرائيلية . هذا ، ومن ناحية اخرى
تمتنع الشركات اليابانية ذات المصالح الكبرى في
الوطن العربي عن ادنى مجالات التعامل الاقتصادي
والتجاري مع اسرائيل حتى تلك التي لا تطبق عليها
قوانين المقاطعة العربية . مثال على ذلك رفض
الشركة اليابانية التي تنتج سيارات « تويوتا »
ذات السوق الكبير في الوطن العربي بيع اي عدد
من هذه السيارات الى اسرائيل ، وذلك كما
قلنا لحماية مصالحها الاقتصادية في الوطن العربي
وخوفا على سوقها الكبير فيه .

وكان من نتائج التزام معظم المؤسسات اليابانية
بقوانين المقاطعة العربية ، ان نشطت الاجهزة
الصهيونية في اليابان في مجال التجارة والأعلام ،
وقامت هذه الاجهزة في الولايات المتحدة بحملة
محاصرة ضد الشركات اليابانية الملتزمة بقوانين
المقاطعة لضربها وزحزحتها عن التزامها كي تخسر
سوقها الاميركية * .

وللمقارنة بين مصالح اليابان الاقتصادية مع

اسرائيل والوطن العربي بين يانه علاوة على ان
اليابان تصدر الى الوطن العربي اقساما عظيمة
لما تصدره الى اسرائيل ، واكثر ما تصدره الى
العرب بضائع كاملة التصنيع (اي استهلاكية)
وما تصدره الى اسرائيل بضائع للاستثمار ومواد
خام (انظر جدول واردات اسرائيل وفق نوعية
السلعة واستعمالها) ، علاوة على هذا فان
واردات اليابان من اسرائيل في اكثرها بضائع
نصف مصنعة ، بينما وارداتها من الوطن العربي
مواد خام مثل البترول والقطن وغيره من المنتجات
الزراعية المستعملة كمواد اولية في الصناعة
اليابانية (انظر جدول صادرات اسرائيل من
مجموعات منقاة من البضائع) . علاوة على كل
ذلك لليابان مصالح نفطية (امتيازات تنقيب
واستثمار) في الوطن العربي سنأتي على ذكرها
بالتفصيل فيما بعد .

وأهم واردات اسرائيل من اليابان ما يلي :

— المطاط الصناعي ، لا يشتغل على اطارات وسائيل
النقل التي تصنع اسرائيل منها كل حاجتها — الغزل
من الصوف الطبيعي والغزل الاصطناعي — المواد
الكيميائية المركبة والعضوية والبلاستيكية — المعادن
الخام والمصنعة ومنها الحديد والصلب — الادوات
— الآلات الكهربائية ويشكل خاص اللازمة للصناعة
وآلات الاتصالات السلكية واللاسلكية — بعض
وسائيل المواصلات الأرضية والبحرية (السفن
وناقلات النفط) — الساعات الصغيرة والكبيرة —
آلات القياس والنسب — الآلات والمعدات النسب
والبرصية المتفجرة كالمحسسات والآلات التصويرية
والتصوير السينمائي ومعدات وآلات التسجيل
والفونوغرافات والراديوآت وقطعها (٧) .

اما صادرات اليابان الى الوطن العربي فتشتمل
تشكيلة اوسع بكثير من تلك التي تصدر اليها
اسرائيل ومنها المواد الغذائية ، والمشروبات
واطارات السيارات والمبوسات ، اي بشكل خاص
المواد الاستهلاكية بينما سبق وقلنا ان اسرائيل
قلما تستورد من اليابان وبقية العالم بضائع
استهلاكية ، بل تستورد بضائع تساعد على زيادة
انتاجها هي . وعلاوة على ذلك فان مستوردات
الدول العربية الشرق اوسطية من بعض البضائع
التي تستوردها اسرائيل من اليابان تزيد عنها
اقساما عديدة وعلى سبيل المثال هذا الجدول من
المستوردات من اليابان :

* الاسبوع العربي ١٩٧٢/١/٥

اسرائيل

الدول العربية الشرق اوسطية

مليون ٢٤٢٢٤	مليون ٦٣٤٢٨٢	مصنوعات اساسية
مليون ٠٠٧٢٠	مليون ٣٤٨١٢	كياويات
مليون ١٤٨٧٦	مليون ١٨٤٦٢٥	معدات نقل

وذلك خلال النصف الاول من عام ١٩٦٦ (٨).

صادرات اسرائيل من مجموعات منتقاة من البضائع الى اليابان وبقية العالم بالمليون دولار

الى العالم		الى اليابان		
١٩٧٠	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٦٦	
				صادرات زراعية
٨٢٤٨	٩٠٤٩	—	—	حمضيات
١٢٦٤٤	١١٧٤٨	—	—	المجموع
				صادرات صناعية
٥٢٤٩	٤٤٤٤	٠٤٤	٠٤١	كيمياويات ، ادوية ودهانات
٦٢٤٨	٥٥٤٢	٠٤٤	٠٤١	منتجات زراعية ومأكولات
٩٩٤٧	٨٤٤٥	٢٤٨	٠٤٢	منسوجات ، البسة وجلود
٢٤٤٤٦	٢٥٣٤٥	٢٥٤٢	٢٤٤٥	مسلس
٦٤٩٤٢	٦١١٤٥	٢٢٤٢	٢٠٤٤	المجموع - منتجات صناعية
٧٧٥٤٦	٧٢٩٤٢	٢٢٤٢	٢٠٤٤	المجموع العام لصادرات اسرائيل

واردات اسرائيل وفق نوعية السلعة واستعمالها من اليابان وبقية العالم - بالمليون دولار

ثاني اليابان الدولة ...

من أصل ٢٣ دولة		من العالم		من اليابان		
١٩٧٠	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٦٦	
الرابعة	التاسعة	٣٥٠٤٣	٢٨٦٤٧	٣٩٤١	٣٤٢	بضائع للاستثمار
التاسعة	العاشر	٩٦١٤٤	٩٠٢٤٥	١٨٤٤	١١٤٨	بضائع إنتاجية/مواد خام
الخامسة	السادسة	٥٠٤٥	٦١٤٦	٢٤٥	٢٤٧	بضائع استهلاكية
السادسة	السابعة	٨٩٤٥	٧٩٤٨	٢٤٤	١٤٤	للاستعمال الطويل الامد
السادسة	الثامنة	١٤٤٥١٤٢	١٤٣٢٠٤٦	٦٢٤١	١٩٤٢	سريعة الاستهلاك
						مجموع الواردات

الوطن العربي بشكل خاص والشرق الاوسط (باستثناء اسرائيل) بشكل عام . فقد وجدت اليابان في الوطن العربي المكان الذي تتسوق فيه المواد الخام والمحروقات اللازمة لتنمية واستمرارية صناعاتها . واصبحت الخامات العربية تشكل نسبة كبيرة من مجمل واردات اليابان التي استوردتها ففي النصف الاول من عام ١٩٦٦ بلغت ٨٤٢ ٪ من مجمل وارداتها . وبلغ مجمل واردات اليابان في النصف الاول من ١٩٦٦ سبعة بلايين وأثنين وعشرين مليون دولار (٧٤٠٢٢٤١٢٨٤٠٠٠) كان نصيب الوطن العربي باستثناء تونس والجزائر

اما فيما يتعلق بسياسة اليابان الاقتصادية ومتطلباتها التي تغطيها الواردات فتقول المصادر الرسمية اليابانية : « وفي الواردات اهم ما يطالنا نوع الاصناف التي تزايدت والتي انخفضت فالمأكولات والاليات مثلا عرفت انخفاضا عظيما في الاستيراد فيما تركزت الواردات اليابانية على المواد الأولية للتصنيع التي تقدر حاليا بـ ٧٠ ٪ من مجموع الواردات . فاليابان تعتبر احدى الدول الاولى في العالم في مجال استيراد المواد الأولية (٩) . ولا شك ان هذا التطور في متطلبات الاستيراد الياباني اكثر ما انعكست نتائجه على

والعرب منها ٥٧٢٤٨٦ مليون دولار أما حصة إسرائيل فكانت ٩٤٥٠٧ ملايين دولار أي أقل من ١٪ من مجمل صادرات الشرق الأوسط إلى اليابان أو ١٤٣٥ بالالف من مجمل واردات اليابان من العالم (١٠).

أما حجر الأساس في صادرات إسرائيل إلى العالم وكذلك إلى اليابان فهو الماس المصقول الذي تستورده إسرائيل خاصة من جنوب أفريقيا ، بشكل خاص ، وتصله وتعيد تصدير أكثره . وشكل الماس المصقول ٨٢٤٢ ٪ من مجمل صادرات إسرائيل إلى اليابان في النصف الأول من عام ١٩٦٩ ، وفي عام ١٩٧٠ صدرت إسرائيل إلى اليابان ماسا محقولا بقيمة ٢٥٤٢ مليون دولار وفي عام ١٩٦٩ بما قيمته ٢٤٤٥ مليون دولار ، أي أن اليابان تستوعب أكثر من ١٠ ٪ من صادرات إسرائيل من هذه السلعة التي صدرت منها عام ١٩٧٠ ما قيمته ٢٤٤٦ مليون دولار . واليابان هي بذلك الدولة الرابعة بعد الولايات المتحدة وهونج كونج وبلجيكا/لوكسمبورغ في سلم استيراد الماس المصقول من إسرائيل (١١).

والى جانب الماس المصقول صدرت إسرائيل إلى اليابان خلال النصف الأول من ١٩٦٩ مواد كيميائية بقيمة ١٤٩١٦٠٠٠ دولار ومنتجات صناعية بـ ١٢٠٦٠٠٠ دولار ولسيدة بـ ٢٧٦٤٠٠٠ دولار ومعادن خام بـ ٢٩٧٤٠٠٠ دولار (بوتاس وفوسفات ونحاس) .

وفي مقابل ذلك صدرت الدول العربية الشرق أوسطية خلال هذه الفترة :

نפט ومنتجاته ٥١٣٤٢٣١٤٠٠٠ دولار ، منتجات زراعية ٨٩٩٤٠٠٠ دولار ، معادن خام للسماد ٢٤٧٠٠٤٠٠٠ دولار ، قطن ومنتجات زراعية أخرى للصناعة ٣٠٤٩١٩٤٠٠٠ دولار ، معادن خام ٢٩٤٩١٧٤٠٠٠ دولار ، مواد غذائية وحيوانات حية ٣٤٧٠٥٠٠٠ دولار (١٢) . ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن اليابان تستورد ٤٧ ٪ من النفط ومنتجاته ٥٥ ٪ من المنتجات الزراعية الصالحة للاكل من دول الشرق الأوسط العربية .

وقد ورد في الموسوعة النفطية العالية لعام ١٩٧٠ بعد تعدادها للامتيازات النفطية اليابانية في الوطن العربي قولها : « وفي هذا الوقت تخطط مؤسسات يابانيتان هما « بريدجستون » و « ماتسوي » لشراء

كميات كبيرة من الغاز الطبيعي السائل من أبوظبي وذلك في أوائل عام ١٩٧٢ .

لا تقتصر المصالح اليابانية في الوطن العربي على تصدير منتجاتها الصناعية إليه واستيراد تسهلا عالية من المواد الخام اللازم لصناعاتها منه ، بل كما سبق وذكرنا اعلاه فإنه أصبح لليابان نفذ حوالي عقد ونصف مصالح استثمارية في الوطن العربي . وهي بذلك حديثة نسبيا فيما لو مورنت بالمصالح النفطية الغربية في الوطن العربي ، هذا وإن كانت لا تزال محدودة من الناحية الانتاجية نسبيا نظرا لحداثة عهدها فإن الإمكانيات قد تأتي في المستقبل بنتائج ممتازة . هذا كما أن لليابان بعض الاستثمارات في المجالات الصناعية في بعض أنحاء الوطن العربي ، مثال على ذلك مصنع شركة متسوبيشي جنوب بيروت . ويلاحظ اتساع القاعدة الشعبية وكثرة عدد المؤسسات اليابانية ذات المصلحة المباشرة في الاستثمارات في الشركات اليابانية صاحبة الامتيازات النفطية في الأرض العربية . فكل من الشركات الخمس اليابانية اللواتي تملك امتيازات نفطية في الأرض العربية يساهم فيها عدد من المؤسسات اليابانية وفي بعض الحالات افراد يقوزعون قسما من أسهمها . ولا بد كما سبق في ختام هذه الدراسة من الامادة من هذه القاعدة ذات المصلحة الاقتصادية المباشرة في زحزة اليابان عن حيادها السياسي المزعوم في إطار القضية الفلسطينية . تتوزع الامتيازات النفطية اليابانية حاليا في الأرض العربية في المنطقة المحايدة الكويتية/السعودية وهي الآن الأهم ، وفي أبوظبي وقطر وجمهورية مصر العربية وجيبسج الشركات الأربع الأخيرة لم تباشر نشاطها إلا فيما بين أواخر الستينات وأوائل السبعينات ، وأكثرها لا يزال في طور الدرس والاستكشاف والتنقيب .

المنطقة المحايدة : وصاحبة الامتياز شركة الزيت العربية المحدودة التي تملك شركة تجارة البترول اليابانية المحدودة ٨٠ ٪ من أسهمها و ١٠ ٪ لكل من الكويت والسعودية . وقد بدأت هذه الشركة بالانتاج في كانون الثاني ١٩٦٠ وصدرت أول دفعة من انتاجها في آذار ١٩٦١ .

ومن الأرقام التالية يتبين لنا سرعة تطور انتاج هذه الشركة والإمكانيات التي يتبع بها امتيازها ، فمعدل الانتاج بالآلاف البراميل كان كما يلي :

١٢٤٢١٠ و ١٠١٤٢٠٠ و ١٠٩٤٢٠٠ و ١٠٧٤٦٨٦ و

١٢٥،٢٧٥ في السنوات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧٠ تباعا (١٣) .

أي ان الزيادة السنوية في الانتاج هي نحو ثمانية ملايين برميل . وقد وزعت الشركة عام ١٩٦٦ ١٤٪ من قيمة رأسمالها ارباحا على مساهميها و ١٦٪ سنويا في الاعوام ١٩٦٧ الى ١٩٧٠ (١٤) ، أي ان المساهم الياباني يسترجع قيمة الاسهم التي دفعها خلال ست سنوات تقريبا هذا علاوة عن المبالغ التي تقتطعها الشركة من الارباح لاعادة الاستثمار .

ابو ظبي : تعمل في ابو ظبي شركتان يابانيتان للتقريب عن النفط :

١ - شركة زيت ابو ظبي ، وتعمل في المناطق المغورة ، كما تم الاتفاق على ان تساهم في تمية حقل البندق في الجرف القاري بين ابو ظبي وقطر .

وتملك هذه الشركة خمس شركات يابانية يساهم في بعض منها رأس مال امريكي وهي : ١ - شركة زيت دايكو المحدودة ١/٣ ٢٣٪ ، ٢ - شركة زيت ماروزين المحدودة ١/٣ ٢٣٪ (وتملك ٢٠٪ من اسهمها شركة كاليفورنيا للزيت) ، ٣ - شركة التعدين اليابانية ١/٣ ٢٣٪ ، ٤ - مؤسسة اليابان لتبمية النفط ٢٠٪ ، ٥ - شركة زيت قطر ١٠٪ (شركة تساهم فيها ست شركات يابانية) .

« وينتظر ان تباشر هذه الشركة بالانتاج في اواخر عام ١٩٧٢ » (١٦) ، فقد اتيت في اوائل ١٩٧١ حفر بئرين منتجتين واكتشفت النفط في تسمية (ا) في المناطق المغورة (١٧) كذلك « تم الحفر بنجاح لبئرين استكشائيتين في التسمية (ب) » (١٨) .

٢ - « شركة زيت الشرق الاوسط » وتعمل على التباينة وتتوزع اسهمها اربع شركات يابانية اكبرها مجموعة متسويشي التي تملك ٤٤،٣٪ من الاسهم وتليها « جابان بترولويوم ديفالوبامات كوربوريشن » ٢٢،١٪ وتملك شركتين اولاهما للشحن البحري ٢٤،٢٪ والاخرى للتأمين ١٤،٤ (١٩) وتشمل منطقة امتيازها ٩٦٦ كم٢ على البر وقد باشرت عمليات التقريب في اوائل عام ١٩٧٠ واستمرت في البحث طوال العام ولكن لم تكن قد عثرت على نفط حتى ذلك التاريخ (٢٠) .

قطر : شركة زيت قطر ، وتعمل في المناطق المغورة ، وتملكها خمس مجموعات يابانية :

١ - مجموعة شركات النفط ، وتساهم فيها ست شركات نفط ٣٥،٣٪ ، ٢ - مجموعة شركات الكهرباء ، وتساهم فيها ثلاث شركات كهرباء ٢٦،٥٪ ، ٣ - مجموعة شركات سابينومو الثلاثية ١٥،٩٪ ، ٤ - مجموعات شركات الحديد والصلب الثنائية ٥،٩٪ ، ٥ - ثلاث شركات هي : شركة هيتاشي لبناء السفن ، نيسشو - ابواي ، صناعات اوهي ١٦،٤٪ (٢١) ، وقد حصلت هذه الشركة على حق التقريب عن النفط فسي المنطقة الجنوبية الشرقية المغورة عام ١٩٦٩ وباشرت التقريب عن النفط عام ١٩٧٠ (٢٢) وكان من المنتظر ان تبدأ بالحفر للمرة الاولى عام ١٩٧١ (٢٣) .

جمهورية مصر العربية : حصلت « مؤسسة شمال سومطرة لتبمية مصادر النفط » اليابانية على حق التقريب عن النفط في جمهورية مصر العربية وقامت بحفر ثلاث آبار ولكنها كانت جميعها جافة .

ان اسرائيل وهي ترى ابو المصالح اليابانية في الوطن العربي وتضخمها بهذا الشكل تنبؤها حاستها بأنه لا بد ان يأتي يوم يجعل فيه العرب وترسخ فيه اليابان لمصلحتها الاقتصادية في الوطن العربي وتنتقد على الامل بحيادها السياسي المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية ، هذا اذا لم تع موطن مصلحتها الاقتصادية . ان اسرائيل وهي ترى ذلك تحاول وقف انطلاق وزحف هذا الوهم المصلحي الاقتصادي في اليابان كما حدث في سيلان مثلا عندما

وعت مصلحتها الاقتصادية واهمية السوق العربية بالنسبة لصادراتها الرئيسية - الشاي - فبعد ان كانت سيلان تقيم علاقات وثيقة مع اسرائيل انتقلت ليماشي مصلحتها الاقتصادية هذا اذا لم يات دعمها لقضية الحق العربي في فلسطين . وقد نقلت وكالة الاسوشيتدبرس بأنه « طالب احد المسؤولين الاسرائيليين تديم العلاقات الاقتصادية مع اليابان لمواجهة النفوذ العربي في طوكيو » .

واضافت « وقال بهوشوا فيثري المستشار الاقتصادي السابق في سفارة اسرائيل في طوكيو في حديث الى جمعية الصداقة الاسرائيلية اليابانية ان اسرائيل يجب ان تتولى انشاء خـسـط ملاهي لنقل المعادن من اسرائيل الى اليابان عن طريق البحر الاحمر » (٢٤) . وتقوم السلطات في فلسطين المحتلة باستمرار بإرسال البعثات الاقتصادية الى اليابان وبقية دول آسيا التي تقبل استقبال وفودها ، ويخطط لهذه البعثات قبل شهور

من انطلاقها في جولتها فقد نقلت روبرت في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ « أعلنت وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية بان بعثة اسرائيلية مستقومة بزيارة الشرق الاقصى في شباط المقبل لدراسة امكانيات زيادة صادراتها الى هذه المنطقة . وستتوزع هذه البعثة كلا من اليابان وتايلاند وسنغافوره وهونج كونج وكوريا الجنوبية . وستتكون البعثة من (١٥) مندوبا لمؤسسات تنتج بضائع معدنية وكهربائية وغذائية ومعدات الري ومواد تجميل ومؤسسات متخصصة بالتخطيط لتثنية وتوسيع المرافق . وستقابل البعثة رجال اعمال ورسميين حكوميين خلال جولتها التي ستستمر شهرا كاملا . وهذه الرحلة ستكون اول حلقة من سلسلة خططت لها وزارة التجارة والصناعة لتثنية الصادرات الاسرائيلية الى هذه المنطقة » (٢٥) ، والى جانب البعثات الاقتصادية تحاول سلطات الاحتلال في فلسطين مد الجسور في مختلف مجالات الحياة مع اليابان ودول الشرق الاقصى وذلك بتبادل البعثات والزيارات الثقافية والرياضية والعسكرية والسياسية على الصعيد الرسمي والحزبي وعلى مختلف المستويات والانتهايات .

واسرائيل مع انها دعاما الامبريالية الغربية وقلمتها في الوطن العربي حاولت وبشكل خاسم في الخمسينيات استقطاب اليسار العالمي ، معتدة على تجربتها في الحياة الجماعية في الكيبوتزات على انها التطبيق الاشتراكي . وقد قبل هذا الادعاء في اكثر من بلد اسويي كجورما وسيلان واليابان . وقد ذكر في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل « ... ان فريقا من الشبان اليابانيين قدموا الى اسرائيل لدراسة نظام الحياة في الكيبوتزات ... » (٢٦) . وعن طريق الادعاء الاشتراكي تمكنت اسرائيل ان تلعب دورا كبيرا في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي الاول الذي عقد في رانجون في كانون الثاني ١٩٥٣ وجضره ١٧٧ مندوبا ومرابجا . وقد كانت الدعوات تد وجهت الى احزاب في الهند واندونيسيا وبورما والملايو والباكستان ولبنان وسوريا والعراق ومصر والى كل من الجناحين اليميني واليساري من الاشتراكيين اليابانيين وحزب المايماي الاسرائيلي الحاكم المصنف كأحد احزاب الوسط ، ولم توجه الدعوة لحزب المايماي المصنف مع « اليسار » . وخلال المؤتمر تازرت جهود اسرائيل ، كعضو في المؤتمر مع الجناح اليميني الياباني وممثلي الملايو على ان يصبح المؤتمر الاشتراكي الاسيوي كعضو

اقلسمى في الاتحاد الدولي للاحزاب الاشتراكية الذي تسيطر عليه الاحزاب الاوروبية الغربية التي تحمل اسماء اشتراكية وبعضها كان في الحكم او لا يزال . وقد عارض ذلك بقوة اشتراكيو الهند ولبنان ومصر وبشكل اقل قوة من قبل المثلثون الباكستانيون والاندونيسيون والبورميون ، ودافعهم كان شعورا اسوييا مقترنا بالرأي القائل بان الاتحاد الدولي لم يتخذ موقفا حازما بما فيه الكفاية في الخط المأخوذ للاستعمار والحياد (٢٧) . وقد حاول المعسكر الذي يمكن تصنيفه بالامريكي في المؤتمر اي الاسرائيليون واليابانيون والملاويون معارضة الحياد واجتذوا في المساومة بواسطة اقتراح يدعو الدول الاسيوية « الى عدم الارتباط بحركة السلم » لكون هذه الاخيرة مدعومة من قبل المعسكر الاشتراكي ، ولكن يجب ان تقوي الدول الاسيوية نفسها وتحدد موقفها بشأن قضايا السلم العالمي (٢٨) . ومن المفيد ان نذكر بان موقف المعسكر الامريكي (الاسرائيلي / الياباني) في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي هو الذي اطلق رصاصة الرحمة على هذا المؤتمر .

« لقد كان من الطبيعي ان يسيطر موضوع العدوان الثلاثي (١٩٥٦) على جو الدورة الرابعة من المؤتمر . ولكن بينما كانت الحكومات الاسيوية الامريكية في هيئة الامم المتحدة ، والشعوب تظاهروا في الشوارع منددة بالعدوان ، لم يتمكن الاشتراكيون الاسيويون من مجاراة هذه الرغبة الشعبية . اذ انه لما جرت المحاولة لاترار مشروع قرار يندد بالعدوان لم توافق عليه اسرائيل ، لذا خفف من لهجسة التنديد واقتمعت اسرائيل بان تغيب عن الجلسة . والسبب بان هذه « المنظمة الاشتراكية » أصبحت تعتمد كليا على اسرائيل ماديا ... فقد ابرزت اسرائيل مخططا تنظيميا وقدمت ميزانية لتثنية العلاقات بين الاحزاب « الاشتراكية » . وقد أكد الوفد الاسرائيلي ، الذي كان يرأسه رئيس وزراء سابق ، بان هذه المخصصات ستصل ولكنه رفض ان يبين مصدرها ، ولكن بعض الاحزاب الاشتراكية التقدمية رفضت ان تسيرها اسرائيل وفضلت ان ينفرط عقد الاتحاد على ذلك » (٢٩) .

وتفتتم اسرائيل كل فرصة مناسبة لارسال البعثات الى الشرق الاقصى ومنها اليابان ، « ففي عام ١٩٦٦ اوفد الجنرال اسحق رابين ، رئيس اركان الجيش حينئذ لزيارة اليابان وبعض دول الشرق الاقصى ، وقد رافقه رئيس دائرة العلاقات

والمساعدات الخارجية وقد قام خلال زيارته هذه بزيارة المعاهد والمنشآت العسكرية ، كما التقى سلسلة محاضرات في الكليات الحربية . كما وانه عقد محادثات مع القادة العسكريين والسياسيين . وحل راين ضيفا على حكومات الدول التي قام بزيارتها ، باستثناء اليابان حيث حل ضيفا على رئيس الاركان الياباني «(٢٠)» . وفي عام ١٩٦٧ « قام وزير خارجية اسرائيل برحلة شملت خمس دول شرق آسيوية هي تايلند وكومبودي وبورمه والفلبين واليابان . وكانت هذه الجولة واحدة من سلسلة جولات قام بها زعماء اسرائيليون مختلفون للشرق الاقصى . واثناء اقامته في اليابان في الفترة بين ١٤ و ١٨ آذار قابل ايبان-الامبراطور والامباطورة . كما اجتمع الى الزعماء السياسيين الاخرين الذين شدد امامهم على اهمية الدور الذي تلعبه اليابان في العالم النامي ، وأشار الى الاهتمام الذي أظهره الشباب الياباني في حركة « كيشيكو بسورج » الاسرائيلية . وقد ركز ايبان في تصريحاته على موضوع اخر له معنى خاص بالنسبة لليابان . ألا وهو استخدام الطاقة النووية والشحنات العائلة ان اسرائيل تقوم بمنع قنبلة ذرية . « وفي اجتماعين منفصلين مع الصحافة في غضون ثلاثة ايام ، بذل مجهودا ضخما لكي يشير الى أن اسرائيل مهتمة بالاستخدام السلمي للطاقة النووية وبصورة خاصة في تحلية مياه البحر . وقال ان اسرائيل ايدت مبدئيا فكرة عقد معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، لكننا لم نتخذ المبادرة لاتامة مناطق مجردة من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ، لان الدول العربية ترفض التفاوض معنا حول اي شيء . . . وابدى ايبان بملاحظة جانبية لا تخلو من الاهمية عندما قال ، اننا لا نستطيع العيش تحت تهديد حرب عصابات مستترة »(٢١) .

واسرائيل بعلاقتها مع اليابان تضرب على اوتار حساسة معينة ، كما تصنع مع غيرها ، فهي حسب القول الشائع تلبس لكل حالة لباسها . اسرائيل عندما تضاطب اليابان تعرف حساسيتها ضد استعمال الطاقة النووية في المجال العربي ، لذا فهي تدور وتتحايل بحيث تظهر انها توجه جهودها الى الاستعمال السلمي البناء للطاقة النووية واذا ما اضطرت للاقتران باستعمالها في المجهود الحربي لتضع بذلك اللوم على العرب . وهي هنا تدعي الدفاع عن النفس وان العرب يضطرونها للاحتياط عن جهودها السلبية الانسانية . . .

وبذلك تحاول جر اليابان الى ابعاد مما هي عن جباها المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية . وهي بذلك تحاول وضع اللوم على الدول العربية وبشكل خاص على المقاومة العربية . هذا بينما لا يزال النشاط الاسرائيلي الذي محاطا بالسرية التامة ولم يعلن عنه شيء . ولكن صحيفة الجروزالم بوست الناطقة باسم الخارجية الاسرائيلية اوردت في عددها الصادر في ١٤ شباط ١٩٦٧ قولها : « ان رئيس الوزراء ايمبي اشكول (وهو في الوقت نفسه رئيس لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية) اعلن في الكنيست في ١٣ شباط ان نزع السلاح التقليدي يجب ان يسبق اي ارتباط متبادل بعدم ادخال الاسلحة الذرية الى منطقة الشرق الاوسط . وكان يرد في ذلك على سؤال وجهه اليه عضو الكنيست شموشيل ميكونس (شيوعي) ، عما اذا كان مستعدا لاخذ اي مبادرة في نزع السلاح الذري »(٢٢) .

ومن ناحية اخرى تحاول اسرائيل ان تقارن امام اليابانيين بان وضعها مشابه لوضع اليابان جغرافيا وتقنيا ، فكل منهما تقع على طرف من طرفي القارة الآسيوية وفي معزل ، فاليابان جزر على طرف القارة الشرقي تحيط بها البحار اما اسرائيل فجزيرة يحيط بها بحر العداء العربي . وكل منهما متقدم تقنيا عن جيرانه . وكتب يهودي عاش حياته كلها في اليابان ويحصل الجنسية اليابانية في كتابه « اليابانيون واليهود » قائلا : « ان الياباني واليهودي يلتقيان في انهما تفوقا على العنصر القوقازي وبعد ان كان الياباني يعمل في خدمة القوقازي فقد تفوق عليه ، وقد كان الياباني اشبه برئيس نقابة العمال ، اي انه الاول بين اقاربه المولدين في العالم الثالث . ولكنهم حققوا تقدمهم الاقتصادي واصبحوا — هم واليهود — محلا للشك والكراهية والحقده »(٢٣) . ولا شك ان اسرائيل لا تود ان تذكر اليابان بانها بنهجها منذ كانت فكرة الى ان توصلت الى مرحلة التكوين الى ان اصبحت كما هي الآن ، تقتفي اساليب ومبادئ العسكريتارنا الاستعمارية اليابانية قبل انكسارها في الحرب العالمية الثانية وذلك لعرفتهم بان الياباني اليوم حتى الذي لا يزال يحن الى التوسع العسكري لا يريد ان يذكر بثلك الايام وبالاندحار العسكري الذي أدت اليه . اليابان اليوم تحاول ان تقنع العالم بانها تكتفي بالتوسع الصناعي والتجاري ، واثارة تلك الذكريات القديمة قد تفوق هذا التوسع ،

نظر الخصائفة الدول الثابتة عندها وهي التي كانت
ضحتها . هذا بينما اسرائيل لا تزال عاجزة عن
تحقيق التوسع الصناعي والتجاري لعجزها عن
مضاربة القوى الدولية الكبرى في هذا المجال ولا
تزال مظامها الإقليمية لا تعرف حدودا .

وتحاول اسرائيل كذلك ان تقيم علاقات صداقة مع
اليابان ذات ركائز ثقافية ، لذا اوجدت اكثر من
جمعية او اتحاد لتسهيل التفاعل الاسرائيلي في
الشرق الاقصى ومنه اليابان . وقد اوجدت
مجموعة من جمعيات الصداقة الاسرائيلية طرفها
الاخر كان مع من تمكنت من دول آسيا واوجدت
مجلسا جديدا للصداقة الاسرائيلية الاسيوية هدفه
تنسيق التعاون بين جمعيات الصداقة مع الدول
الاسيوية المنفردة . في الاجتماع التأسيسي لمجلس
الصداقة الاسيوية/الافريقية قال وزير خارجية
اسرائيل ، « ان على المجلس ان يقوم بمهمة
مزدوجة الهدف : اولا ان يسمى الى تظلم الدول
الاسيوية من غربتها عن الثقافة اليهودية-العبرية ،
وثانيا ان يزرع معرفة الحضارة الاسيوية بين
جماهير الاسرائيليين على نطاق جماعي ، وخاصة
باعطاء مناهج التربية الاسرائيلية بعدا
اسيويا» (٢٢) . هذا علما بان اسرائيل من ناحية
عملية تتبرأ من اسويتها وتعلن انها امتداد لاوروبا
في الشرق الاوسط، ولكن دائمها في انشاء جمعيات
الصداقة واعطاء مناهج التربية الاسرائيلية « بعدا
اسيويا » هو خدمة مصالح اسرائيل التوسعية
والتغلغلية في اسيا وهي بذلك تشكل اجهزة
مساعدة لوزارة الخارجية والوكالة اليهودية .
كذلك ان اعطاء مناهج التعليم ذلك « البعد
الاسيوي » يعد الناشئين ويديهم منذ الصغر
لاكتساب العقلية التوسعية .

ولهذا الهدف قامت الطوائف اليهودية في الشرق
الاقصى واوقيانوسيا في مطلع ١٩٧٢ بتشكيل «اتحاد
الطوائف اليهودية» وقد وصفت بمهمة هذا الاتحاد
بانها « لحماية الطوائف اليهودية من التفتت »
وتضم الطوائف اليهودية الموجودة في هونج كونج
والهند واستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة وتايلاند
واليابان . وتتبع بعض الاسر اليهودية في اليابان
وبقية المنطقة وخصوصا استراليا بنفوذ كبير
ومصالح واسعة .

« وقد اصدر الاتحاد الجديد بيانا اعلن فيه ان
الهدف هو دعم واحياء اليهودية في منطقتي جنوب

شرق اسيا والشرق الاقصى » خاصة
واضاف البيان الذي صدر عقب اول اجتماع عقده
الاتحاد الجديد في الشهر الماضي ان الاتصاف
يسمى للانضمام الى المؤتمر اليهودي العالمي وهو
اكبر منظمة صهيونية» (٢٤) . ولا شك ان هذا
الاتحاد كثيره من المنظمات الصهيونية في العالم هو
بالفعل دعم واحياء للحركة الصهيونية الاستعمارية .
وهو بذلك يشكل امتدادا للمؤسسات الاسرائيلية
الرسمية في فلسطين المحتلة ويعمل على دعم
اسرائيل اقتصاديا ومعنويا ويشكل جبهة خاضعة
على الحكومات التي تقيم في اراضيها لصالح
اسرائيل ، لتدعيمها سياسيا وماديا . وكثيرا ما
تمكنت الطوائف اليهودية في بعض الدول من التأثير
على مجرى تصويتها في هيئة الاسم المتحدة بسا
يختص بالقضية الفلسطينية نظرا لنفوذها المالي
وحسن تنظيمها .

الموقف السياسي الياباني الرسمي والقضية الفلسطينية :

تقيم اليابان علاقات دبلوماسية كاملة مع اسرائيل ،
وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي على مستوى
السفارة ومركز سفارتها في تل ابيب ، اي ان
اليابان لا تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل .
واليابان تدعي كما سبق وذكرنا انها تتخذ موقف
الحياد التام ، وبهذا الخصوص صرح « ايزاكو
نساتو » رئيس وزرائها في ٩ حزيران ١٩٦٧ قائلا :
« انا اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف
الحياد التام» (٢٥) . كما تقبل الحياد التام فيما لو جاز
الحياد في قضايا الحق ومصائر الشعوب . ولكن
اليابان ، فيما لو جاز حيادها ، حسب مفهومها
الرسمي ، لم تكن منضبطة كليا مع حيادها ،
وسنحاول استعراض موقف اليابان في هيئة الامم
وخارجها بالنسبة للقضية الفلسطينية في ما يلي :
لم تقبل عضوية اليابان في هيئة الامم المتحدة الا
بعد اكثر من احد عشر عاما من اندحارها في الحرب
العالية الثانية وزوال الصيغة الاستعمارية المباشرة
عنها ، فقد قبلت في هيئة الامم في ١٨ كانون الأول
١٩٥٦ ، لذا لم تعاصر احد اهم مراحل التقضية
الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة الا وهي بحث
قضية التقسيم ، هذا واعتقادنا انه لو كان لها حق
التصويت حينئذ على تقسيم فلسطين لكانت وقفت
تحت الضغط الامريكي . ونحن بقولنا هذا لا ننفي
الى القاء التهم جزافا فالوقائع التي سنسرد هي

التي تثبت ذلك . وستورد بعض الأمثلة المترجمة ولكن الشاملة من مواقف البيان في هيئة الأمم المتحدة لإعطاء فكرة واضحة عن سياستها . هذا علما بأن البيان تلقيا شاركت في النقاش عند طرح القضية على بساط البحث . وهي وإن تكلم مندوبوها بمبوضيع هامشية لا تعبر عن موقف أو ارتباط .

الاعتداء الإسرائيلي على سورية - في مجلس الأمن: : على اثر الهجوم الإسرائيلي الجوي على سبعة مواقع تقع جميعا ضمن مشروع تنمية نهر الأردن والذي أدى الى تعطيل بعض الجرارات وخسائر أخرى في الممتلكات والأرواح، تقدمت سورية بشكوى الى مجلس الأمن ضد اسرائيل . وفي الوقت الذي كانت الطائرات الإسرائيلية تغير فيه على الأراضي السورية تقدم المندوب الإسرائيلي الدائم في هيئة الأمم المتحدة بكتاب يدعي فيه انه « في ١٣ و ١٤ تموز قامت وحدات من الجيش السوري وبعض الجماعات الأخرى المسلحة بأحداث أعمال تجزئية ضمن الأراضي الإسرائيلية ، وأن الحكومة الإسرائيلية قد أمرت قواتها لتقوم بعمل ثاري محدود النطاق ضد سورية ، وذلك ردا على الاعتداءات السورية المتكررة على إسرائيل» (٢٦) . وعند البدء بمبحث القضية في المجلس عارضت اليابان واكثرية المجلس ادراج الشكوى السورية وحدها على جدول الأعمال ، علما بأن ادراج الشكوى الإسرائيلية يشكل تجاوزا مع خطة اسرائيل الرامية الى التقليل من أهمية الشكوى السورية . هذا وقد امتنعت اليابان والولايات المتحدة والدول الدائرة في فلكها عن التصويت على مشروع قرار الأردن/مالي الذي يطلب من كل من اسرائيل وسورية التعاون مع كبر المراقبين لتنفيذ اتفاقية الهدنة كذلك ادانة الهجوم الإسرائيلي المبيت على الجمهورية العربية السورية (٢٧) . بعد فشل مشروع القرار الأردن/مالي تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا بمشروع قرار جديد (٢٨) اضطرنا الى سحبه نظرا لعدم منطقيته ولتأكيدهما انه سينال صوتيهما فقط عند طرحه على التصويت . عند ذلك تحركت ألبان علنا في إحدى تحركاتها النادرة في هيئة الأمم عند بحث القضية الفلسطينية وتقدمت بصحبة الأرجنتين وهولندا ونيوزيلندا ونيجيريا ويوغندا بمشروع قرار جديد اقل تحيزا من مشروع القرار الانجلو/أمريكي فالمشروع السداسي « يدعو الحكومة السورية الى تقوية إجراءاتها ضد الحوادث التي تشكل خرقا

لاتفاقية الهدنة . وهذا يعني بانها اتخذت إجراءات في السابق والفرق واضح بين مشروع القرارين فالاول يدعو سوريا لاتخاذ الإجراءات التي تؤدي الى عدم اتخاذ أراضيها كقاعدة لمعمليات خرق لاتفاقية الهدنة . وقد فشل مشروع القرار السداسي نتيجة للفتو السوفياتي لكونه لا يدين اسرائيل . وهذا يعني أن اليابان احدى الدول المتقدمة بمشروع القرار لا تود ادانة اسرائيل ، او من الممكن انها لا تجرؤ على ذلك .

الاعتداء الإسرائيلي على قرية السموع الأردنية : في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٦٦ شن الجيش الإسرائيلي هجوما واسعا مدبرا بالطائرات والآليات البرية سقط على اثره عدد كبير من الضحايا من المدنيين والعسكريين وتنتج عنه دمار واسع . ناقش مجلس الأمن الاعتداء لاكثر من اسبوع واتخذ على اثر ذلك قرارا يلوم اسرائيل « ويهددها باضطراره اذا ما عادت وتكررت مثل هذه الاعمال الحربية الثأرية » الى اتخاذ خطوات حاسمة يجيزها ميثاق الأمم المتحدة لمنع تكرار مثل هذه الاعمال . اتخذ القرار بأكثرية ١٤ صوتا بدون معارض واستنكاف نيوزيلندا . ولم تأخذ اليابان موقف الحياد فحتى الولايات المتحدة لم تتمكن من الوقوف في وجه « اللوم » و « التهديد » باتخاذ إجراءات في المستقبل ضد العدوان الإسرائيلي .

في الجمعية العمومية واللجنة السياسية الخاصة : ونظرا ليلي بعض الأمثلة على موقف اليابان عند مناقشة بعض الأمور المتعلقة بالقضية الفلسطينية . أبدت اليابان حث الحكومات بالتبرع لوكالة الغوث، كما أبدت تصحيح قوائم الاعاشة . . . لتحقيق أقصى توزيع عادل للإعاشة على اساس الحاجة . اما عند طرح موضوع تطبيق الفقرة ١.١ (اي العودة لمن اراد العودة من اللاجئين والتعويض لمن لا يريد العودة) وعدم تطبيق هذه الفقرة يرجع الى امتناع اسرائيل عن ذلك ، رأى مندوب اليابان التفتيح عن الجلسة ! اما بما يخص مشروع القرار الذي يطالب بتعيين قيم على املك العرب الموجودة في اسرائيل استنادا الى ان حق العرب في املكهم ، حق تفره شرعة حقوق الانسان وتواعد القانون الدولي العام ، وكون الربيع السنوي ولا نقول المترامك يزيد عما تنفقه وكالة الغوث على النازحين الفلسطينيين ويدفع عنهم مذلة استجداء المعونات الخارجية . ومع ان مشروع القرار هذا

الثامن من قضية حركت خيزران منحصراً خارج اروتة
 الاسم المتحدة ، ففي التاسع من خيزران صرح
 « ايزاكو ساتو » رئيس وزرائها ، انذاك ، قائلاً
 « اني اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف
 الحياد التام» (٤٠). أما وزير خارجيته فقد شارك في
 اصدار بلاغ مشترك على اثر انتهاء زيارته الى
 يولوتيا في ٢٢ تموز ١٩٦٧ يعلن انه « من الضروري
 ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى مواقع ما قبل
 الخامس من خيزران » (٤١). أما في اروتة الامم
 المتحدة فلم تكن اليابان أقل منها تخبطاً عنها في
 خارجها ، وان كان موقفها أكثر التزاماً بالموقف
 الأميركي الكلي الاتحياز منه الى موقف الحياد كما
 سنرى في الجدول التالي الذي يبين مواقف كل من
 اليابان والعرب واسرائيل والولايات المتحدة بالنسبة
 لمشاريع القرارات التي طرحت على التصويت خلال
 بحث العدوان في الجمعية العمومية .

بين موضوع بانه ليس في تعيين القيم المتضمن
 لسيادة اسرائيل ، كما وانه لا يشكل سابقة تسري
 على دول اخرى ، ذلك لان وضع اسرائيل يخلف
 عن غيرها من الدول ، مع ذلك فان اليابان تمسكت
 « بحيادها » واستنكتت عن التصويت مما ساهم في
 فشل مشروع القرار وأبقى اسرائيل المحتلة بالقوة
 ارض فلسطين العربية ، تستغل ممتلكات شعبي
 فلسطين وتحرمهم من انتاجها (٢٩) . ان استعمال
 حق الحياد في عدم تأييد الحق لهو معارضة للحق .
 وفي العام السابق (١٩٦٥) امتنعت اليابان عن
 التصويت على ثلاثة مشاريع قرارات منها ما أيده
 العرب ومنها ما عارضه ، ونخص بالذكر الى جانب
 تعيين قيم على املاك النازجين قضية دعوة مندوبي
 منظمة التحرير الفلسطينية لتمثيل عرب فلسطين
 امام اللجنة السياسية الخاصة ومجلس الوصاية
 ومجلس الامن . أما في عام ١٩٦٧ فقد كان موقف

موقف الولايات المتحدة	موقف اسرائيل	موقف العرب بالاجمال	موقف اليابان	مشروع القرار السوفياتي
معارضة	معارضة	تأييد	معارضة	مقدمة مشروع القرار
معارضة	معارضة	تأييد	معارضة	البند الاول
معارضة	معارضة	تأييد	امتناع	البند الثاني
معارضة	معارضة	تأييد	معارضة	البند الثالث
معارضة	معارضة	تأييد	معارضة	البند الرابع
معارضة	معارضة	تأييد	معارضة	مشروع القرار الالاباتي
معارضة	معارضة	تأييد	تأييد	مشروع القرار اليوغوسلافي
معارضة	امتناع	معارضة	تأييد	مشروع القرار الاميركي اللاتيني
تأييد	غياب	تأييد	تأييد	مشروع القرار الخاص بالقدس
استئناف	تأييد	تأييد	تأييد	مشروع القرار الاتسائي

(يمكن الرجوع الى الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧ او للكتاب السنوي لهيئة الامم المتحدة للاطلاع
 على تفاصيل المناقشات ونصوص مشاريع القرارات الواردة اعلاه) .

الولايات المتحدة نفسها وفي الحقيقة هي التي دفعت
 دول امريكا اللاتينية للتقدم به ، فهو صورة مخففة
 لمشروعها ويربط الانسحاب بتصفية القضية
 الفلسطينية . وكانت المرة الوحيدة التي تكلم فيها
 مندوب اليابان ابان مناقشة العدوان الاسرائيلي
 عندما « عبر عن جزعه واهتمامه بالتقارير الواردة
 عن النزوح الجماعي الاجباري للعرب من بيوتهم ،
 واردف قائلاً انه يتوجب على المجلس اتخاذ
 الاجراءات لمنع مأساة اخرى نتيجة لضرب الضحايا
 في النزاع بين العرب والاسرائيليين» (٤٢). وبلاظ
 هنا ان اليابان لم تهزها سوى النتائج الاتسائية لما

ويلاحظ من الجدول اعلاه ان اليابان قد حرصت
 على مسايرة الولايات المتحدة في معارضتها لمشاريع
 القرارات المتدمة من قبل دول شيوعية ، ولكنها
 ايدت مشروع القرار اليوغوسلافي (او مشروع
 قرار دول عدم الانحياز) لانه اتى في صيغة غير
 حادة . وهذه هي الحالة الوحيدة خلال هذه الدورة
 التي عارضت فيها اليابان رأي الولايات المتحدة
 بصورة مباشرة ومن طريق التصويت . هذا علما
 بانها صوتت مع قرار عدم تعديل وضع القدس
 بينما استنكتت الولايات المتحدة عن التصويت .
 اما مشروع القرار الاميركي اللاتيني فقد ايدته

حدث ويقول مندوبها « ماتسوي » ، « الضحايا الأبرياء في النزاع بين العرب والإسرائيليين » . مع أنه يعترف بالنزوح الجماعي الإجباري للعرب من بيوتهم إلا أنه لا يدين الإسرائيليين أداة واضحة بالعدوان وهذه نتائجه ماثلة بين يديه تثير اهتمامه ليتحدث عنها « مجزوعا » ويصنف محررو الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية عام ١٩٦٧ اليابسان نتيجة لوقفها من هذه الدورة على « أنها من الدول غير المساعدة للعرب » وذلك إلى جانب بورما وكبوديا وإيران وتركيا ونايجيريا وسرايلون والكامبيرون والكونجو كينشاسا . بينما يصنف الكتاب بقية الدول الأفرو/آسيوية في أربع فئات أخرى هي : دول صديقة وهي التي صوتت السى جانب العرب ودول غير صديقة ودول غير صديقة أبدا ودول معادية بصورة ايجابية .

هذا بالأجمال هو الموقف الياباني الرسمي الذي وأن حاولت السلطات اليابانية وصفه بالحيداد التام ، فهو في رأينا ليس بالتام ولا بالجزمي . أنه يعبر عن المصلحة الخاصة لدولة تسمى فهم مصلحتها الخاصة في الوطن العربي . أن هذا الموقف يساير ارادة الولايات المتحدة ، ولا نعتقد باننا نكون مغالين لو فسرنا هذا الموقف على أنه انتظار من اليابان ذات المصالح الضخمة والتنامية في الوطن العربي ، لأن يكون لإسرائيل في المستقبل اليد العليا في تسيير شؤون الوطن العربي !!

الموقف الشعبي الياباني : أما الموقف الشعبي الياباني أو بصورة أدق الموقف غير الرسمي الياباني بالنسبة للقضية الفلسطينية فمن الطبيعي أن يكون أقل تحديدا لتعدد الفئات التي تناولتها وعبرت عن رأيها فيها . بالنسبة لرأي المواطن الياباني العادي اللانتمى أو غير الملتزم بحزب أو جماعة منظمة وليس له علاقة مباشرة من أي نوع - اقتصادية كانت أو اجتماعية - فليس من السهل تحديده . المواطن العادي في بلد بعيد مثل اليابان حيث لا توجد جالية عربية كبيرة ولا يقيم إلى جانبه طائفة يهودية كبيرة ، فاليهود المقيون في اليابان بصورة دائمة لا يتعدون المئات بينما يزيد عدد اليابانيين على المئة مليون نسمة ، وأن حاول هؤلاء المئات من اليهود الاتصال المباشر مع المواطنين اليابانيين فتكون النتيجة ذات فعالية محدودة ، مثل هذا المواطن من الطبيعي أن يتصف بالجهل بتضيقنا

تاريخا وواقعا ، إلا إذا كان ملتزما برأي سياسي أو له مصلحة اقتصادية مباشرة ففي الحالة هذه لا يبقى بالنسبة لنا مواطننا عاديا ، فهو مواطن مصنف . لقد بينا أعلاه موقف الجناح اليميني من الإشتراكيين اليابانيين ومدى انغماسه وتورطه مع الصهيونية خلال المؤتمر الإشتراكي الآسيوي الأول ، شأنه في ذلك شأن « اشتراكيي » الأحزاب الحاكمة في أوروبا الغربية التي تتورط قياداتها ومعظم قواعدها مع الصهيونية وتدعم إسرائيل في مختلف المجالات إلى أبعد الحدود . أما اليسار الياباني الحقيقي فقد ظهر موقفه الفلسطيني العلني وبشكل واضح بعد حادث مطار اللد في ٢١ أيار ١٩٧٢ عندما قام ثلاثة شبان من أعضاء منظمة الجيش الأحمر الياباني الذين وصلوا على متن إحدى الطائرات إلى مطار اللد في فلسطين المحتلة وقاموا بمهاجمة الموجودين في قاعة الركاب في المطار وبشكل خاص ممثلي سلطة الاحتلال ، كذلك الطائرات الموجودة في باحة المطار آنذاك . وقد وقع نتيجة للحادث إصابات مبدية وجرى من الإسرائيليين ومن السياح الذين صدف وجودهم في المطار في تلك اللحظة . لقد قام أعضاء منظمة الجيش الأحمر الياباني بتنفيذ هذه العملية التي دعيت بعملية دير ياسين الأكثر عنفا من عملية مطار اللد ، وذلك بالاشتراك مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ... وقد عبر الفدائي الياباني الوحيد الذي بقي حيا بعد الحادث عن دوافعه بقوله ، « أن المشاركة في نضال العرب جزء من الثورة العالمية ... ذلك أن الإسرائيليين جزء من حركة الإمبرياليين في العالم » (٤٤).

منظمة الجيش الأحمر الياباني أو « سيكي غون » منظمة يسارية أممية اعتنقت شعار ماوتسي تونغ « بالسلاح فقط يمكن تغيير العالم » والعالم الذي يعنيه الجيش الأحمر هو عالم الإمبريالية ، انطلاقا من اليابان إلى الولايات المتحدة ، فأوروبا الغربية وغيرها من مواقع الإمبريالية ففلسطين المحتلة حيث إسرائيل الصهيونية هي الإمتداد الطبيعي للإمبريالية ويدها الضاربة في الوطن العربي وأفريقيا وآسيا . بدأ الجيش الأحمر نشاطه بجناحه السياسي والعسكري سنة ١٩٦٥ . ولكن تعرف اليابانيين والعالم على منظمة الجيش الأحمر الياباني بشكل واسع كان في أول انطلاقة كبيرة لها في تشرين الثاني ١٩٦٩ ، حين نظم اليسار الياباني خمسة أيام عنف لمنع « أيزاكو ساتو » رئيس وزراء اليابان من

المتغير إلى الولايات المتحدة للتوقيع بمساعدة تعاون
بعضها ، لقد أرادوا بذلك الحد من الاتصال والتعاون
بين اركان الامبريالية في الولايات المتحدة واليابان
زيادة عن الانغماس العميق الجاري بينها ، وذلك
بمتغ توقع المعاهدة . وفي ٢١ آذار ١٩٧٠ خطفت
فريق من طلاب هذه المنظمة ، بينهم شقيق الياباني
الوحيد في عملية مطار اللد ، طائرة يابانية إلى بان
مونجوم في كوريا الشعبية تعبيرا عن وحدة اليسار
العالمي - ومنها وحدة اليسار الثائر على
البورجوازية الامبريالية الخائكة في اليابان - مع
الحكم الثوري في كوريا الشعبية . واحتج اليسار
الياباني الذي تتمثل به منظمة الجيش الاحمر بعنف
شديد على استمرار احتلال الامبريالية الامريكية
لجزيرة «أوكيناوا» حتى عام ١٩٧٢ ، وقد حاولوا
اقتحام القواعد العسكرية الامريكية والقوا القنابل
على المركز الثقافي الاميريكي . وقد اعتقل في اليوم
الاول من التظاهرات ١٨٥٧ شخصا . ثم نظموا
اضرابا عماليا وتظاهرة اشترك فيها نحو اربعة
ملايين شخص . « وكانت العناصر الاكثر تطرفا
خلال هذه التظاهرات هي منظمة الطلبة اليساريين
انها تضم ١٣ الف عضو عامل وتستطيع تجنيد ٤٢
الفا بن أصل ٤٤٠ الف طالب منتسبين الى روابط
الطلبة المنضمة الى التكتل اليساري المتطرف» (٤٥) .
وفي كانون الثاني ١٩٧٠ عقدت المنظمة مؤتمرا سريا
اقرت فيه سياستها وبرامج عملها بعد اندماج منظمة
الجيش الاحمر الطلابية مع منظمة ثورية عمالية
باسم الجيش الاحمر المتحد . ومنذ ذلك الحين بدأ
طابع المنظمة الاممي بالبروز فقد ارسلت فرقا
للتدريب في كوبا وبدأت اتصالاتها بمنظمة الفهود
اسود الامريكية ومختلف المنظمات الثورية في العالم
بما في ذلك المقاومة الفلسطينية بواسطة الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين . وفي عام ١٩٧١ صدرت
دراسة مشتركة حول « حرب الغدائين المعزرب
والجيش الاحمر الياباني » اعدها الجيش الاحمر
بالتعاون مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ،
ولكن اول اتصال جرى بينهما كان في عام ١٩٦٨
ببادرة من الجيش الاحمر الذي رأى في الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين تنظيما ثوريا ذا ايدولوجية
مطابقة لايدولوجيته ، وتشترك معه بذات الاسلوب
في مقاومة الامبريالية والاستقلال .

فصروا المواقف المتباينة في ضوء الثورة الحقبة
لا شك أن أكثر ما يهتمان في هذه الدراسة عن الموقف
الياباني من حادث مطار اللد هو رد الفعل الياباني
الرسمي وشبه الرسمي والى حد ما الشعبي الذي
نتج عنه .

رد الفعل الرسمي : تسابت الحكومة اليابانية
بارسال بعثتين الاولى سياسية وعلى مستوى عال
والاخرى من كبار رجال الشرطة ، وقالت صحيفة
«هيرالد تريبيون» الامريكية في رسالة لها من طوكيو ،
« اعلن اليوم هنا (طوكيو) ان مندوبين من الحكومة
اليابانية سافروا بطريق الجو الى اسرائيل ليغزوا
عن اسف حكومتها عن حادث مطار اللد .
المبعوثان هما كنجي فوكوناجا نائب قديم في الداييت
(مجلس النواب الياباني) والسكرتير الاول السابق
في وزارة ايزاكو ساتو ، رئيس قسم الشرق
الاطوسط في وزارة الخارجية اليابانية ، مينابو
ياماموتو» (٤٦) . ونقلت الاحرام عن وكالات الانباء ،
« وقد ادلى المبعوث الياباني كنجي فوكوناجا ببيان
في مؤتمر صحفي بعد ان اجتمع بجولدا مثر رئيسة
الوزراء وزلمان شاراز رئيس اسرائيل ليطالب منهما
الصنح عما فعله اليابانيون الثلاثة ، واضاف ،
ان المبالغ التي يتدفقها اليابان على سبيل
التعويض عن نتائج عملية اللد سوف يذهب جزء
منها الى اسر العتلى والجرحى والباقي لما وصفه
الى المشروعات الانسانية في اسرائيل . وقال ان
الصليب الاحمر الياباني سيدعم مبلغا كبيرا الى
هيئة موجن دافيد ادم ، (جمعية نجمة داوود
الحمراء) . وزادت الصحيفة : « واكد فوكوناجا
ان عددا من رجال الشرطة اليابانية بينهم
رئيسين ادارة التحقيقات الدولية واسمه تسوكادا ،
قد وصلوا الى تسل اييب لمساعدة الشرطة
الاسرائيلية في التحقيق مع الغدائي المعتقل
اوكاموتو» (٤٧) .

وقال سياسي ياباني كبير ، « ان هؤلاء الشبان
الثلاثة عار على الشعب الياباني» (٤٨) . اما صحيفة
كريستشن ساينس مونيتور مكتبته « وصم وزير
خارجية اليابان ، تايو فوكودا ، علنا امته بانها
ثوية ماديسا ولكنها فقيرة اخلاقيا » . وزادت
الصحيفة قائلا : « وتساءلت الصحف اليابانية في
افتتاحياتها ، هل سيظن الاجانب بان الشخصية
اليابانية تعاني نقصا ميثا» (٤٩) .

رد الفعل الصحفي : وكثبت صحيفة « مينشي »

الامبريالية ، في ثورة شغب لتحرير وطنه ، وان يسقط نتيجة ذلك عهد من الرسميين الاسرائيليين وبضعة سياح كان يجب ان يعرفوا بان زيارة بلد في حالة حرب معناه تعريض انفسهم للخطر ، فان مثل هذا العمل « يندى له جبين السياسة والصحافيين اليابانيين ويغرمهم بشعور الخزي والعار !! » ويستوجب ارسال رسميين كبار لطلب الصلح من جولدا مئير وطبعاً موشي دايان ولن ننسى مناخيم بيغن !

ولا شك ان في ما كتبه مسير كرم في الاهرام ، رداً واضحاً شبه كامل على استفراب البعض على ردة الفعل اليابانية على عملية مطار اللد اذ قال ، « ان فدائية اليابانيين الثلاثة اليساريين ابطال عملية مطار اللد هي التقيض الموضوعي لانتحارية اليمين الياباني كما تمثلت في انتحار الكاتب اليميني الياباني يوكيو ميتشيشيما ، اليسار يتجه نحو الغداء من اجل قضية عادلة يؤمن بها وبارتباطها بالضمير وبالمثل الانسانية العامة ، واليمين يتجه نحو الانتحار محكوماً بالعبث ورفض النضال . اليسار يتجه للغداء رفضاً للواقع الزاهن وتطلعا الى واقع متقدم ، واليمين يتجه للانتحار رفضاً للواقع الراهن ، ولكن متطلعا الى واقع مضى ويأساً من استعادته . » في حين اعطى اليساريون اليابانيون دمهم من اجل واقع اكثر انسانية يعرفون ان الوجود الاسرائيلي يقف في طريقه ، فان المنتحرين من مكري اليمين اليابانيين - واشهرهم ميتشيشيما - اهدروا دمهم من اجل ان تعود في اليابان قومة العنصرية والزرعة العسكرية المسيطرة (اي من اجل ان يعود في اليابان كيان شبيه بالكيان الاسرائيلي في الشرق الاوسط) « (٥٦) » .

وذئذ ان ردة الفعل اليابانية فيها الكثير من الخوف من ان تنتج عندها الملاحظات الصهيونية . فمثلاً ان انتشرت اخبار الحادث حتى قامت قيامة الصهيونية اذ « اعلن في طوكيو ان السفارات والمكاتب الحكومية اليابانية في الولايات المتحدة وأوروبا ، تلقت عدداً من المكالمات الهاتفية تهدد بالقاء القنابل عليها » (٥٧) . لا شك ان هذه التهديدات سوف لا تنفذ ، بل الهدف من ورائها هو زيادة في « تزكيج » اليابان ولحصراً اكثر من قبل داخل المعسكر الامبريالي الامريكى/الصهيوني وزيادة رضوخها لعملية الابتزاز الاسرائيلية للاموال اليابانية ، وقد دفعت التعميصات مباشرة من غير الحاجة الى المفاوضات ، وزيادة الاستقطابات

اليابانية تقول : « ان شعورا بالخزي والعار يغرمننا بان يعترف مواطنون لنا مثل هذه الاعمال (٥٨) . ومن طوكيو ارسل الاخ انور عبد الرحمن تقريراً خاصاً الى مركز الابحاث الفلسطينية قال فيه « وعقب صحيفة « جايان تايمز » في مقال لها ، ان جميع المقالات المكتوبة في الصحف اليابانية تبرزت بالخل والاسى العميق وخيبة الامل والشعور بالخوف من ان تسوء العلاقات بين البلدين . كما اضاف ان الصحف أبرزت الحادث بغناوين ضخمة وعبرت عن ارتياحها لتصریح جولدا مئير ، بأن الحادث لن يؤثر على العلاقات الودية بين البلدين . كما ان معظم الصحف قد اجمعوا على ان السلام الذي حققته اليابان بعد الحرب الكونية الثانية قد دمر تدميراً كاملاً » !! . واضاف التقرير : « قالت صحيفة يوميوري الواسعة الانتشار (٥ ملايين نسخة) بان البنك الصناعي الياباني لبناء السفن قدم شيكاً للسفارة الاسرائيلية بـ ١٥ الف دولار هدية لاسر الضحايا » . وزاد التقرير ، « ذكرت صحيفة « يوميوري » بان المكالمات تنهال على السفارة الاسرائيلية من مختلف طبقات الشعب معربة من اسفها ، وكذلك مقذبة تبرعات لاسر الضحايا ، وقد طلبت السفارة ان تحول المساعدات الى جمعية نجمة داوود الحمراء (٥٩) . اما رد الفعل الشعبي التزهي الواعي فهو بايجاز كلي ، مكموم سيفتال ختماً لو عبر عنه بالعلن .

وقد يقف البعض متأملاً باستفراب ودهشة مثل رد الفعل هذا ، يصدر عن شعب مثل الشعب الياباني ، ولا شك ان كل السياسة واكثر الصحافيين كانوا موجودين وواعين ، ان لم يشتركوا في حرب اليابان ، لاستعمار الشعوب قبل وختلال الحرب العالمية الثانية . فالزمن غير بعيد . ان امة حاولت استعمار قسم كبير من آسيا وسيطرت فعليا على جزء واسع منها لا يمكن ان تكون قد استعملت الوسائل السلمية والاسلوب الانساني للوصول الى اغراضها الاستعمارية . ان سقوط ملايين الضحايا في سبيل استعباد الشعوب واستعمار اراضيها ، لكون الجزر اليابانية تضيق باهلها ولجل الحصول على الخامات اللازمة للصناعة اليابانية . واييجاد الاسواق اللازمة لمنتجاتها ، مسألة كان فيها نظر ! اما ان يساهم ثلاثة شبان يابانيين هالمهم توسط ساستهم مع الامبريالية الامريكية وانعدام المناقبة بين هؤلاء الحكام بتعاملهم مع اسرائيل الصهيونية

خلاصة

كما فصلنا لليابان مصالح ضخمة متشعبة ونامية في الوطن العربي لا تتمتع بمثلها الا دول قليلة في العالم . والمستفيدون من هذه المصالح يشكلون قاعدة شعبية واقتصادية واسعة جدا يمكن اذا وجدت خطة عربية متكاملة توجيهها بحيث تمي وحدة مصالحها مع المصلحة العربية ، ومن ثم تصبح قوة ضاغطة تعمل لتوجيه السياسة اليابانية الخارجية في خط مواز مع المصلحة العربية القومية ، وطبعاً ذات العلاقة المباشرة مع القضية الفلسطينية التي هي الجسور والحدود الرئيسية للسياسة العربية الخارجية .

اليابان كانت ولا تزال تدعم سياسة الحصاد بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وكما رأينا انه مجرد ادعاء ، ولكنها والحق يقال لا تزال أقل انحيازاً الى الصهيونية من معظم الدول الغربية . لذا لما كانت هي تدعم الحياض ، ولما كانت أقل انحيازاً من معظم الدول الغربية ، ولما كانت مصالحها في الوطن العربي ضخمة ونامية فيجب ان يعمل العرب تجاهها وفق خطة متكاملة موحدة ، وأشدد موحدة .

العرب أقل حاجة الى اليابان من حاجة اليابان الى العرب ، وازيد انه بإمكان العرب الاستغناء ، عند الضرورة ، عن حاجة اليابان لهم من غير ان يخسروا شيئاً في المدى الطويل والمتوسط وقليلاً في المدى القريب . بإمكان العرب تصريف خاماتهم وسد الحاجة الاتية لسوقهم بعيداً عن اليابان ، أما اليابان فتستكون هي الخاسرة ، والخاسرة كثيراً في المدى القريب والمتوسط والى حد ما في المدى البعيد . ان اليابان اذا شاعت معاداة العرب وكانوا هم اسياد أنفسهم فستخسر العرب كسوق لتصريف منتجاتها وكنجم وحقل يمدانها بالخامات ذات الضرورة الاساسية لصناعاتها . ان اليابان كما تدل الوقائع ما هي الا مصنع مجهز بالالات والخبرة التقنية واليد العاملة . وكل هذا غير ذي فائدة لو انتطعت منه امدادات الوتود والخامات التي لا يؤمن منها محلياً سوى ٢٠٪

من المصانير الخاصة بالخطبة والنسبة العربية من هذه الخامات والوتود تشكل عنصراً أساسياً بالنسبة لحاجات المصنع الياباني . وهي نسبة عالية ذات تكاليف متدنية .

الياباني اكتسب التفكير المصلحي الاقتصادي واصبح ذلك الآن بالنسبة اليه تراثاً عميق الجذور . لذا أفضل أسلوب يمكننا التوجه بواسطته الى العقلية اليابانية هو أسلوب المعادلة الحسابية . ويتوجب على من له مثل هذه العقلية ، ولا يصعب عليه ، ان يمي مصلحته الاقتصادية على المدى البعيد . وانه يجب ان يفهم انه على هذا الذي سوف يكون الوطن العربي هو سيد نفسه . ومن يعتقد اننا سننفع في المستقبل كلياً تحت قبضة الصهيونية وهي التي سوف تستمر امورنا فهو مخطئ . الشعوب ، كما يجب ان يعلم اليابانيون ، قد عت وسارت في طريق التقدم والتحرر ، ولن يعيد التاريخ نفسه ، فلن تنطس حضارة في المستقبل تلقائياً ولوحدها . فالشعب الذي انطلق وتحرر سيبتي حراً وتزيد من انطلاقه في سبيل التقدم ولعلنا مع اليابان نواجه أخرى ... اننا واليابانيين آسيويون في الاصل والواقع ، وهكذا يريد كل منا ان يكون وان يبق ، بينما اسرائيل تتبرأ من آسيويتها التي ما كانت ولن تكونها . واليابان تخلف في تراثها الحضاري والديني عن الغرب كونها لا تعتمد اصولاً دينية يهودية ، أحسنت الصهيونية العالمية استغلالها بالنسبة للغرب المتدين . واليابان حرة كلياً من عقدة شعب الله المختار وما يلفها وما يتبعها من اعتقادات خاطئة توجد لدى الغرب ارتباطات وواجبات وهيبة للحفاظ على اسرائيل ودعم كيانها . وهذا مما يسهل علينا مخاطبة العقلية اليابانية . كل هذا يسهل لنا الوصول الى العقلية اليابانية ومخاطبتها والوصول بذلك الى نتائج ايجابية ... فيما لو أحسن التصرف على أساس خطة عربية متكاملة واحدة . ولا موجب للتأكيد أو التنبيه انه من مصلحتنا ان لا نتعادى مع اليابان سياسياً فنفسطر الى الحد من تعاملنا معها .

٢ - مجلة روز اليوسف ، ٢٨ ك ١٩٧٠ ،

مقال اسرائيل تضع خطة لغزو آسيا اقتصادياً .

٢ - المصدر نفسه .

١ - الاسبوع العربي ، ملحق العدد ٦٧٩ ، ١٢

حزيران ١٩٧٢ ، عدد خاص عن اليابان ١٩٧٢ ،

مقال « الاقتصاد والتجارة » .

- ١٩٦٦ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،
بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .
- ٢٧ - G. H. Jansen, *Afro-Asian and Non-Alignment*, Faber and Faber, London 1966, p. 265.
- ٢٨ - المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
- ٣٠ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .
- ٣٢ - المصدر نفسه ، ص ٦٨٤ .
- ٣٣ - صحيفة الاهرام ، ١٥ نيسان ١٩٧٢ .
- ٣٤ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٣٤ - الاهرام ، ١٢/١/١٩٧٢ .
- ٣٥ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧ ، ص ١١٥ .
- ٣٦ - المصدر نفسه .
- ٣٧ - المصدر نفسه ، ص ٥١٧ .
- ٣٨ - يرجى الرجوع الى المصدر نفسه اعلاه ، ص ٦٠١ - ٦٠٢ للوقوف على تفاصيله .
- ٣٩ - United Nations Yearbook, pp. 184-185.
- ٤٠ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧ ، ص ١١٥ .
- ٤١ - المصدر نفسه ، ص ١٠٠٤ .
- ٤٢ - U. N. Monthly Chronicle, July 1967, p. 25.
- ٤٣ - المصدر نفسه .
- ٤٤ - الاهرام ، ٧٢/١/٢ .
- ٤٥ - مجلة البلاغ البيروتية ، ٦٢/١/٥ .
- ٤٦ - *International Herald Tribune*, 2/6/72.
- ٤٧ - الاهرام ، ٧٢/١/٥ .
- ٤٨ - مجلة الهدف البيروتية ، ٧٢/١/٣ .
- ٤٩ - *Christian Science Monitor*, 2/6/72.
- ٥٠ - *International Herald Tribune*, 2/6/72.
- ٥١ - انور عبد الرحمن ، تقرير غير منشور الى مركز الابحاث الفلسطينية ومحفوظ في ملفات المركز .
- ٥٢ - الاهرام ، ٧٢/١/٣ .
- ٥٣ - *The Guardian*, 3/6/72.

- ٤ - ملحق الاسبوع العربي ، اليابان ١٩٧٢ ، ومن الواضح ان هذا الملحق الدعائي لليابان مدفوع ثمن كل صفحة منه من الخلاف السى الغلاف وجبيع مقالاته بمدة من قبل مؤسسات حكومية واقتصادية خاصة يابانية مثل المكتب التجاري الياباني ووزارة التجارة اليابانية ووزارة الخارجية وغيرها ... وهي بذلك تعبر عن وجهة نظرهما فقط .
- ٥ - النهار البيروتية ١٩٧٢/٧/٢٦ .
- ٦ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧ .
- ٧ - U. N. Statistical Papers - Commodity Trade Statistics, Series D, Vol. XIX, No. 1-5.
- ٨ - المصدر نفسه .
- ٩ - ملحق الاسبوع العربي ، اليابان ١٩٧٢ ، ص ٢١ و٢١١ .
- ١٠ - U. N. Statistical Papers - Commodity Trade, 1969.
- ١١ - Statistical Abstract of Israel 1971.
- ١٢ - U. N. Statistical Papers - Commodity Trade 1969.
- ١٣ - Organization of the Petroleum Exporting Countries, Statistics Unit, June 1971. Annual Statistical Bulletin.
- ١٤ - المصدر نفسه .
- ١٥ - Facts & Figures 1970, ARAMCO.
- ١٦ - Walter R. Skinner, *Oil and Petroleum International Yearbook 1971-72*, London.
- ١٧ - World Oil - International Edition, Aug. 15, 1971.
- ١٨ - The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, Vol. 55/9, Sept. 1971, p. 1618.
- ١٩ - Facts & Figures 1970, ARAMCO.
- ٢٠ - The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, vol. 55/9, Sept. 1971, p. 1618.
- ٢١ - Facts & Figures 1970, ARAMCO.
- ٢٢ - A. A. P. G. Bulletin, Vol. 5519, Sept. 1971, pp. 1617-1618.
- ٢٣ - World Oil, Aug. 15, 1971, p. 116.
- ٢٤ - وكالة انباء اموشينديبريس ١٩٦٨/١٢/٢٧ .
- ٢٥ - *Daily Star*, 18 Nov. 1970, (Beirut).
- ٢٦ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام

التعليم في قطاع غزة

شحاته موسى

في قطاع غزة منذ عام ١٩٦٥ مادة اقتصاديات المنزل في المدارس الإعدادية للبنات . وللانثروا مركز للتدريب المهني في غزة يدرب فيه الطلاب على عدد من الحرف لمدة تتراوح بين سنة وستين . كما تقدم الانثروا عددا محدودا من المنح الجامعية للطلبة المتفوقين سنويا .

وفي غزة كانت الانثروا تسيطر وفق المنهج المصري وتستعمل في مدارسها الكتب ذاتها ، الا ان السلطات الاسرائيلية قامت بعد الاحتلال بنسخ استعمال هذه الكتب بحجة انها تحتوي على مادة تسمم عقول الاطفال وتنمي الكراهية لاسرائيل .

ومع انه ليس من مهمة هذا البحث استعراض المراحل التعليمية بشكل تفصيلي ، الا ان ذلك يرد ضمن استعراض القضايا او النقاط الاساسية التي سنركز عليها مثل : ١ - التعليم والسكان : في محاولة للتأكيد على ضرورة ربط الاغراض التعليمية بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالقطاع .

٢ - الطلاب والدارس : في محاولة لاستكشاف ما اذا كان التعليم الذي تؤمنه الانثروا - العام والمهني - يتناسب مع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للسكان . والتركيز هنا على المرحلة الثانوية والتدريب المهني ، لان انتهاء المرحلة الابتدائية او الإعدادية لا يمكن الفرد ، بهذه المعرفة الاولى ، من تأمين عمل يعناش منه . ٣ - التسرب :

بهدف تكوين صورة عن عدد الطلبة الذين يتركون دراستهم . ولهذه المسألة اهميتها في غزة حيث نسبة البطالة مرتفعة جدا ، والتعليم هو السلاح الوحيد الذي يمكن من تأمين العمل في مثل ظروف القطاع . ٤ - تطور تعليم الفتيات : لمعرفة تطور التعليم في القطاع النسائي من المجتمع ، لما لذلك من ارتباط بمدد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية .

ينقسم الفلسطينيون في قطاع غزة الى فئتين : السكان الاصليون ، واللاجئون . ويتولى الاشراف على السكان الاصليين وبالتالي على التعليم لديهم السلطات المصرية (حتى عدوان اسرائيل واحتلالها للقطاع عام ١٩٦٧) ، وتشرف وكالة الغوث الدولية على اللاجئين وبالتالي تؤمن لهم الخدمات التعليمية . ومن المعروف ان وكالة الغوث الدولية تشكلت بقرار من الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، حدد مهماتها بـ : ١ - تقديم الغوث للاجئين الفلسطينيين على اساس الحاجة . ب - تنفيذ برنامج تهدف الى مساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم لاعالة انفسهم . وبأشرت الوكالة اعمالها في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠ (١) . وبالطبع فان التعليم يعتبر وجها اساسيا من اوجه المهمة الثانية للوكالة اي انه وسيلة لتكثيف اللاجئين من اعالة انفسهم .

يتألف النظام التعليمي في قطاع غزة من ثلاث مراحل مدتها ١٢ سنة : ٦ سنوات في المرحلة الابتدائية و٣ سنوات في كل من المرحلتين الإعدادية والثانوية . ويخضع الانتقال من مرحلة الى اخرى لاجتياز امتحانات رسمية .

توفر الحكومة في المدارس الرسمية (السكان الاصليون) التعليم في المراحل الثلاث ، كما توفر التدريب المهني على المستوى الثانوي ، وتدريب المعلمين في معهدين واحد للشبان وآخر للشابات . اما الانثروا فتوفر التعليم في المرحلتين الابتدائية والإعدادية فقط . وتدفع مبلغا مقطوعا مقداره ١٥٠ الف دولار للحكومة لقاء تأمين التعليم الثانوي لانشاء اللاجئين في مدارسها . كما كانت الانثروا تدفع مبلغ عن الطلبة اللاجئين الذين يتلقون تدريبهم في معهد تدريب المعلمين . وقد ادخلت الانثروا التدريب اليدوي للذكور في مدارسها الإعدادية ، كما ادخلت

الميلوث العام للانزوا، يذكر في تقريره الى الخليفة العانية عام ١٩٦٨ - أن ما بين ٤٠٠ - ٤٥٠ الفا من اللاجئين المسجلين في القطاع قد غادروه بعد الاحتلال (٩). كما أن السجلات الاردنية الخاصة بالأشخاص الذين غادروا القطاع الى الضفة الشرقية تشير الى انه حتى منتصف عام ٦٨ كان حوالي ٨٥٠٠ شخص فقط من غير المسجلين لاجئين قد غادروا القطاع (١٠). ويذكر تقرير المندوب العام لعام ٦٩ أن النزوح من القطاع قد توقف تقريبا بعد ذلك التاريخ ، اي بعد منتصف عام ٦٨ . اي ان الذين غادروا القطاع كانوا بحدود ٥٠ الفا وان من بقي فيه يزيد عددهم على ٤٠٠ الف وذلك يتعارض مع الارقام الاسرائيلية كما هو واضح . وبسبب هذه الاعتبارات فاننا لا نستطيع أن نجزم او ان نعطي رقما تقريبا لعدد سكان القطاع او لعدد الذين غادروه بعد الاحتلال.

فئات العمر : اذا نظرنا الى السكان بحسب فئات العمر نجد ان حوالي نصف سكان القطاع تقريبا هم دون سن الخامسة عشر وهي الفئة التي تعتبر عادة غير منتجة في المجتمع . ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ كانت نسبة من هم دون الخامسة عشر بين السكان الاصليين ٤٣٪ وبين اللاجئين ٤٦٪ ، مع ملاحظة ان مجلس الانتداب القومي المصري قام عام ١٩٥٥ بالاشترك مع الانزوا ببحث حول السكان جاء في نتيجته ان نسبة من تقل اعمارهم عن ١٥ سنة بين اللاجئيين في القطاع تصل الى ٥١٪ تقريبا (١١). اما في الوقت الحالي فان الاحصاءات المنشورة حول السكان في القطاع تظهر ما يلي : بالنسبة للاجئين تظهر ارقام الانزوا للعام ٦٩ ان هذه النسبة هي في حدود ٤٠٪ غير ان الانزوا ترفق بهذه الارقام تعليقا يؤكد ان العدد بالنسبة لان هم دون السادسة (سن دخول المدرسة) عدد غير دقيق « لان الانزوا لا تقدم التشجيع الكافي للاجئين لكي يسجلوا اطفالهم قبل بلوغهم السادسة » (١٢). اما الاحصاءات الاسرائيلية للعام ٦٨ فتظهر ان نسبة من هم دون الخامسة عشر في القطاع كله وشمال سيناء هي ٥٠.٦٪ (١٣). وعلى اي حال يتكهن القول ان هذه النسبة ليست اقل من ٤٥٪ ، وهي نسبة عالية اذا قورنت بمصر مثلا ، وهي دولة تتميز بنسبة مرتفعة لتزايد السكان حيث ان نسبة من هم دون الخامسة عشرة فيها كانت ٣٨٪ خلال الفترة من عام ٤٨ الى عام ٥٧ (٥٧) ، ويبرز عند الحديث عن

توزيع السكان بحسب فئات الاعمار حتى الآن يتفلسف بالتعليم هما : ما هي نسبة عدد التلاميذ الاجائي الى عدد السكان ، وما هي نسبة هؤلاء التلاميذ الى من هم في سن الدراسة فعلا وفي مختلف المراحل التعليمية . ولكن قبل التعرض لهذين السؤالين لا بد من اعطاء صورة عن الوضع الاقتصادي في القطاع ، اذ بدون هذه الصورة قد تعطي الارقام التي ذكرناها انطباعا خاطئا بل ومضللا . فعندما نقول ان حوالي نصف السكان هم دون سن الخامسة عشر ، اي فئة غير منتجة فلا بد ان نضيف اليهم فئة الكبار في السن والمعززة ، وكذلك فان ضعف اقبال النساء في مجتمعنا على العمل ، لاسباب عدة ، ومن ثم ثلث عدد النساء العاملات نسبيا ، يجعل عدد من هم خارج قطاع الانتاج كبيرا ، مما قد يوحي خطأ ، بأن القطاع بحاجة الى الايدي العاملة ، وبأن غرض العمل بالتالي متوفرة . وقد يستنتج أيضا ان السداع الاقتصادي ، اي تأمين الفرد لحياته وحياته اسرته ، لا يرتبط بالتعليم ، بينما يظهر الواقع عكس ذلك .

الوضع الاقتصادي : لم يكن القطاع يحدوده الحالية منطقة انتاج قبل عام ٤٨ بل كان يستكمل معظم حاجاته من انتاج باقي اجزاء فلسطين ، كما لم تنشأ فيه صناعات تذكر . اما الانتاج الزراعي فلم يكن يكفي حاجات السكان من المواد الاساسية . وبعد عام ٤٨ فقد القطاع معظم موارده الاقتصادية الطبيعية داخل المنطقة المحتلة من فلسطين ، ذلك ان خطوط الهدنة جعلت ٨٠ بالمائة من سكان القطاع الاصليين يمحون بدون مورد حيث اقتطعت اراضيهم واصبحت في الجهة الاخرى من الحدود ، أي تحت السيطرة الاسرائيلية . وبالتالي اصبح على القطاع ان يتحصل بموارده المحدودة هذه ، سكانه الاصليين الذين بلغ عددهم انذاك ٩٠ الف نسبة (١٥) ، واللاجئين الجدد اليه . وليس هنا مجال البحث في انواع العمل او التوزيع المهني للسكان في القطاع ، الا انه لا بد من التأكيد ان البطالة تعتبر من ابرز المشاكل التي يواجهها اهالي القطاع ، ذلك ان القوة البشرية الموجودة في القطاع ، تفوق من حيث العدد كثيرا كمية العمل الموجودة ، او التي يمكن توفرها في المستقبل نظرا لضيق الموارد الطبيعية من جهة وعدم توافر الخبرة الفنية التي يمكن الاستنادة منها في مشايرح صناعية ، او في ايجاد فرص عمل

لايجاد عمل في القطاع او في خارجو . كذلك فان اوضاع القطاع هذه تؤكد ان الخطة التعليمية التي تتوخى النهوض بجمتمع القطاع لا بد وان تهدف الى توفير كفاءات فنية قادرة على استغلال موارده واستثمارها الى اقصى مدى ، وتأمين مستوى من التعليم يمكن المتخرجين من ايجاد اعمال تسهم في رفع مستوى الحياة وتخفيف حدة المشاكل المختلفة . ولكننا سنرى عندما نتكلم عن التعليم الذي تؤمنه الانروا لابناء اللاجئين انها لا تستوحي سياستها التعليمية ولا مستوى التعليم الذي تؤمنه ، من مثل هذا الهدف .

الطلاب والسكان : من المعروف ان هناك جهتين تشرفان على التعليم في قطاع غزة : الانروا التي تتولى تأمين التعليم لابناء اللاجئين ، والحكومة المصرية - حتى عدوان ٦٧ - والتي تتولى تأمين التعليم لابناء السكان الاصليين . وتنتشر الانروا منذ فترة تقارير احصائية سنوية عن الطلاب ونسبة الطلاب الى السكان . اما بالنسبة للتعليم في المدارس الحكومية فلا تتوفر لدينا ارقام تفصيلية عن الطلبة في مراحل التعليم المختلفة ، او حسب فئات الاعمار ، كما لا تتوفر مثل هذه المعلومات عن السكان الاصليين (١٩) . لذا سنقتصر في تحديد نسبة الطلاب الى السكان ، على السنوات التي تتوفر عنها معلومات حول الطلبة اللاجئين وغير اللاجئين . ويبين الجدول رقم ١ الاعداد الاجمالية للسكان والطلاب في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ونسبة الطلاب الى السكان .

مناسبة لها خارج القطاع . وفي دراسة اجرتها الانروا عام ٥٤ جاء ان مشكلة السكان الاصليين في القطاع تعتبر اسوأ من مشكلة اللاجئين ، وذلك لان هؤلاء السكان يعيشون في اماكنهم الاصلية ، ومن ثم لا تشملهم المساعدات التي تقدمها الامم المتحدة . فالزارعون منهم فقدوا معظم اراضيهم ، وغير المزارعين لا يكادون يجدون شيئاً يعيشون منه . كما ان تدفق اللاجئين ، والتنافس على فرص العمل المحدودة اثرا كثيرا على الاجور ، فانخفض مثلا اجر العامل اليومي من حوالي ٢٠ قرشا الى ثمانية قروش . كذلك فان مستوى الدخل منخفض جدا بالنسبة لفتحي السكان ، الاصليين واللاجئين حيث تبين بنتيجة الدراسة ان ٤٢٪ من السكان الاصليين و ٥١٪ من اللاجئين لا يزيد دخلهم الشهري عن جنيهين فقط (١٦) . ورغم الجهود التي بذلتها الحكومة المصرية للتخفيف من حدة المشاكل الناجمة عن انتشار البطالة الا ان مشكلة الفقر ظلت مشكلة حادة ، اذ نجد انه حتى عام ١٩٦٠ كان ٢٥ الفا من السكان الاصليين ما زالوا يعتمدون على المساعدات العينية التي تقدمها الحكومة المصرية ، وان كان هذا العدد هو ٧٠ الفا عام ١٩٤٩ (١٧) . ولذا فان البطالة مرتفعة جدا في القطاع وخاصة في اوساط اللاجئين . ففي عام ١٩٦٠ كانت نسبة البطالة بين السكان الاصليين ٣٥٤٥٪ ، وبين اللاجئين ٨٣٪ ممن هم في سن العمل (١٨) . وعلى ذلك يمكن القول ان الدافع الى التعليم دافع قوي عند الفلسطينيين في قطاع غزة لكونه يشكل ، او يعتبر على الاقل بانه يشكل ، ضمانا نسبية

جدول رقم ١

الطلاب والسكان في القطاع

السنة	اللاجئون	الاصليون (٢)	مجموع السكان	النسبة المئوية	
				مجموع الطلاب	الطلاب لدى
١٩٥٠	١٩٩٠٥٨٧	٨٨٤٥٢٠	٢٨٨٤١٠٧	٢٤٤٧٧٢	٨٤٥
١٩٥٥	٢١٦٤١٩٦	١٠٢٤٤٧٥	٢١٨٤٦٧١	٥٦٤٧٥٢	١٧٤٦
١٩٦٠	٢٥٥٤٥٤٢	١١٨٤٧٥٠	٣٧٤٤٢٩٢	٧٥٤١٠٠	٢٠

١١٪ (٢٢) ، وفي سوريا ١٠٪ (٢٣) وفي لبنان ٢٢٪ (٢٤) . اما اذا اردنا مقارنة هذه النسبة عند كل من اللاجئين والسكان الاصليين في القطاع فاننا نلاحظ ان هذه النسبة كانت في البداية اعلى عند

وإذا نظرنا الى نسبة الطلاب للسكان عام ١٩٦٠ نجد انها نسبة مرتفعة نسبيا ، (٢٠ ٪) ، وخاصة عند مقارنتها بالنسبة المماثلة في بعض دول المنطقة . ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة في مصر حوالي

الاقتصادية الأساسية . ومن اجل هذه المقارنة
سنعتمد على عدد محدود من السنوات ولكنها تفي
باعطاء صورة عن الموضوع اذ هي تغطي الفترة
السابقة حتى عام ٦٧ . وبين الجدول رقم ٢ عدد
الطلبة الثانويين في القطاع ، وعمدد السكان
الاصليين وعدد السكان اللاجئيين ، ونسبة الطلاب
الى كل قطاع ، وكذلك نسبة الطلاب الثانويين الى
مجموع الطلاب ، ثم الى عدد السكان .

اللاجئيين ، اذ كانت نسبة الطلاب اللاجئيين الى
السكان عام ١٩٥٠ هي ١٨٪ بينما كانت حوالي
١٥٪ عند السكان الاصليين . اما في السنوات
اللاحقة فقد أصبحت هذه النسبة متساوية تقريبا ،
اذ كانت حوالي ٢٠٪ عام ١٩٦٠ عند الجهتين .
ولا بد في هذا المجال من معرفة نسبة الطلاب
الثانويين الى مجموع الطلاب ، وكذلك الى السكان
في القطاع عند الطرفين ، نظرا لاهمية التعليم
الثانوي ، خاصة اذا اعدنا للذهن مشكلة القطاع

جدول رقم ٢
عدد ونسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب

النسبة المئوية العامة للثانويين الى طلاب القطاع	الطلاب الاصليين %	الطلاب اللاجئيين %	جميع الثانويين في القطاع	الطلبة الاصليون	الطلبة اللاجئون	مجموع طلبة القطاع	السنة
٨٤٣	١٣	٢٤٧	١١٧٨ (٢٦) ١٦٤٦	١٥٣١٦	٤٣٥٢٣ (٢٦)	٥٨٨٣٩ (٢٥)	٥٦-٥٥
١٥٤٦	٢٤	٧٠٣	٥٥٠٧ ٣٤٠٠	٢٢٤٧٢	٢٦٤٥٠	٦٨٩٢٢	٥٩-٥٨
١٣	١٣	١٣	٨٨١٧ ١٢٦٦٧	٢٦٦٠٠	٦٧١٨٩	٩٦٧٨٩	٦٧-٦٦

الى ٢٤٧ عام ١٩٦٦ وذلك في القطاع ككل
اما بالنسبة للاجئيين فكانت هذه النسبة ٤٧٪ عام
٥٦ ارتفعت الى ٢٤٧ عام ١٩٦٦ ، أي النسبة
ذاتها لدى السكان الاصليين ، وكما يتبين من
الجدول رقم ٣ ، مع ملاحظة ان عدد الطلاب ذكر في
الجدول السابق . وهي نسبة مرتفعة نسبيا . تفي
مصر مثلا كانت نسبة الطلاب الثانويين العامة الى
مجموع السكان اقل من ١٪ عام ٦٦ - ٦٧ وترتفع
الى ١٤٦٪ اذ اضفنا لذلك طلبة القسم الفني في
المرحلة الثانوية (٣) . تبقى نقطة اخرى لا بد من
معرفة في هذا المجال وهي نسبة الطلبة الثانويين
الى من هم في سن الدراسة الثانوية من السكان .
ان مدة الدراسة في المرحلة الثانوية في القطاع هي
ثلاث سنوات ، والسمن النموذجي لهذه الفترة هو
بين ١٥ - ١٧ سنة . وبالتالي فان المقارنة

يتبين من الجدول ان نسبة الطلاب الثانويين الى
مجموع الطلاب هي حوالي ١٣٪ في العام ٦٧/٦٦
وهي نسبة مرتفعة نسبيا . ففي سوريا مثلا كانت
هذه النسبة حوالي ٥٪ عام ٦٨ - ٦٩ وترتفع الى
حوالي ٦٪ اذا اضفنا طلاب الفرع المهني واعداد
المعلمين الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية .
وفي مصر كانت نسبة جميع طلبة المرحلة الثانوية وفي
مختلف الفروع الى مجموع الطلبة حوالي ٨٪ عام
٦٥ - ٦٦ (٢٨) . وهذه النسبة مرتفعة ايضا بالنسبة
الى الفلسطينيين في المناطق الاخرى . اذ ان معدل
نسبة الطلاب الفلسطينيين في المرحلة
الثانوية الى مجموع الطلاب في المدارس ، في الدول
الاربع المضيقة ، كانت حوالي ٧٪ عام
٦٦ - ٦٧ (٢٩) . أما نسبة الطلبة الثانويين الى
مجموع السكان فكانت ١٪ عام ١٩٥٦ ، ارتفعت

جدول رقم ٣
نسبة الطلاب الثانويين الى السكان

السنة	سكان القطاع	اللاجئون	الاصليون	الى السكان	عند اللاجئيين عند الاصليين	نسبة الثانويين المسوية
١٩٥٦	٣٣٦٤٠٥٥ (٢١)	٢٢٧٤٣١٧	١٠٨٤٧٢٨	٠٤١	٠٤٧	٢٤٣
١٩٦٦	٤٤٥٥ (٢٢)	٣٠٧٤٢٤٥	١٤٧٤٧٥٥	٢٤٧	٢٤٧	٢٤٧

الإعدادية في فئة العمر المذكورة ، ١٥ - ١٧ .
 وضع أخذ الملاحظة السابقة بعين الاعتبار ، يمكن القول ان الفترة العملية للدراسة الثانوية هي بين سن ١٥ - ١٩ سنة ، وعلى هذا الاساس يشكل الطلبة الثانويون ٢١٪ فقط ممن هم في فئة العمر ١٥ - ١٩ من السكان . اما نسبة مجموع الطلبة في هذه الفئة الى ما يقابلهم من السكان فتزيد على ٢٠٪ (٣٢) . وهي نسبة مرتفعة اذا قورنت بها في الدول العربية ، كما يتبين من الجدول رقم ٤ :

نسبة الطلاب الثانوية		نسبة مجموع الطلبة الى فئة العمر		نسبة الثانويين الى فئة العمر		نسبة الطلبة الثانويون		نسبة السكان		نسبة فئة العمر		السنة
الطلاب	الثانوية	مجموع الطلبة الى فئة العمر	في فئة العمر	الثانويين	الى فئة العمر	الطلبة الثانويون	السكان	فئة العمر	النسبة	النسبة	النسبة	السنة
٣١٤٥	(٣٤)	١٣٤١٥٠	٢١٤٢	٨٤٩٦٨	٤١٤٥٧٤	١٩-١٥	٦٧-٦٦	غزة (للاجئين)	١٩-١٥	١٩-١٥	٦٦-٦٥	٦٧-٦٦
١١٤٣	(٣٥)	٢٧٤٤٨٣٠	١٥٤٥	٣٦٠٧١١	٢٤٤٢٠٤٠٠٠	١٩-١٥	٦٦-٦٥	مصر	١٩-١٥	١٩-١٥	٦٦-٦٥	٦٧-٦٦
			(٣٦) ١٨٤٢	٣٢٤٧٢١	١٧٩٤٧٠٠	١٨-١٥	٦٧-٦٦	الاردن	١٨-١٥	١٨-١٥	٦٦-٦٥	٦٧-٦٦
			(٣٧) ١١٤٦	٥٨٤٨٠١	٥٠٦٤١٩٥	١٩-١٥	٦٦-٦٥	سوريا	١٩-١٥	١٩-١٥	٦٦-٦٥	٦٧-٦٥
٢٦	(٣٨)	٩٦٤٢٤٣	-	-	٣٦٧٤٨٠٠	١٨-١١	٦٦-٦٥	لبنان	١٨-١١	١٨-١١	٦٦-٦٥	٦٧-٦٥

او الى السكان ، في اوساط اللاجئين .

التعليم المهني : قبل الاحتلال الاسرائيلي كان التدريب المهني على المستوى الثانوي يتم في مركز تدريب حكومي واخذ للشبان ، وكان عدد الطلاب المسجلين فيه ١٩١ طالبا عام ٦٧/٦٦ . كما كان يتم في مدرسة تجارية واحدة يبلغ عدد طلابها ٣٠ طالبا في ذلك العام . وكذلك كان تدريب المعلمين يجري في معهدين حكوميين ، واحد للشبان واخر للشابات ، يوفران دورة مدتها خمس سنوات تلي المرحلة الإعدادية ، وتهدف الى تخريج معلمين للمدارس الابتدائية . وفي عامي ٦٦/٦٥ و ٦٧/٦٦ كانت الاتروا تدفع نفقات ٢٨٩ و ٢٥٠ طالبا على التوالي بمعدل ١١٠ دولارات للشخص الواحد في السنة (٣٩) . ويضد العام ٦٧ - ٦٨ بدأت الاتروا تحويل الطلاب الجدد الراغبين بالانتساب الى دور المعلمين والمعلمات في غزة ، الى مركزي التدريب التابعين للاتروا في الضفة الغربية (٤٠) ، حيث التحق في ذلك العام ٤٠٧ طلاب من غزة بمركزي التدريب في رام الله ، منهم ١٥٠ طالبا و ٢٥٧ طالبة (٤١) . اما التدريب المهني الذي توفره الاتروا فقيم اجمالا في مركز التدريب المهني للشبان في غزة ، كما ان بإمكان الشباب او الشابات الالتحاق ببركزي

النموذجية تكون بين من هم من المدرسة ومن هم خارج المدرسة في هذه الفئة من العمر . وفيما يتعلق باللاجئين (لا تتوفر ارقام حول توزيع السكان الاضليين بحسب فئات العمر) كان ٤٠٪ من هم في هذه الفئة من العمر في المدرسة عام ٦٦ - ٦٧ . ولكن ذلك لا يعني ان هؤلاء جميعا هم في المرحلة الثانوية اذ ان تقسما من الطلبة الثانويين تزيد اعمارهم عن ١٧ سنة وتصل احيانا الى سن العشرين ، كما ان هناك تقسما من طلبة المرحلة

ان الطلبة الثانويين في الجدول هم جميع طلبة المرحلة الثانوية بمختلف فروعها ، غير ان الوضع يختلف بالنسبة للبنان حيث يشمل الرقم طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية . ويتبين من الجدول ان النسبة في القطاع (اللاجئين) هي اعلى منها في الدول الاخرى سواء بالنسبة لطلبة المرحلة الثانوية الى من هم في فئة العمر من السكان ام بالنسبة لجميع الطلبة في هذه الفئة من العمر مقارنة بما يقابلها من عدد السكان . ولكن يجب ان نلاحظ هنا ايضا ، ان التعليم في الريف العربي متخلف نسبيا في حين ان الريف متقدم تقريبا في اوساط السلاجئين حيث يعيشون بدون ارض ، في المدن او في جوارها . وفي الوقت نفسه لا بد ان نعرف توزيع التعليم الثانوي بحسب فروع اى التعليم العام والتعليم الفني ودور المعلمين ، خاصة اذا اعدنا للذهن اهمية توفر كفاءات فنية في قطاع غزة لاكثر من سبب من جهة ، ونمو هذه الفروع في المرحلة الثانوية في الدول العربية من جهة اخرى . ويتميز اخر لا يجوز في المقارنة بين الوضع التعليمي في الاتروا - خاصة في المرحلة الثانوية - وبين الوضع التعليمي في الدول العربية ، ان تكتفي بالارقام التي تشير الى ارتفاع نسبة الطلبة الثانويين الى مجموع الطلبة

هذا المجال ان يوسع بان الناحية المهنية التي توفرها الوكالة تختلف من حيث النوع والحجم عما هو مطبق في مصر . ومن الدلائل على عدم كفاية مركز التدريب المهني التابع للاتروا في غزة ، ان الحكومة المصرية هي التي اقترحت على الاتروا توسيع المركز بدءا من العام الدراسي ٦٧/٦٦ بهدف زيادة طاقة المركز من ٣٦٨ الى ٥٦٨ طالبا وفتح فروع جديدة ، وعرضت تحويل انشاء الابنية الاضافية اللازمة (الورش) وغرف النامه وغيرها) وتغطية النفقات المتكررة للطلاب الاضافيين الذين سيدخلون المركز على اساس دفع اعانة عن كل طالب (٤٤). وعلى اي حال سنقوم الان بمقارنة التدريب المهني واعداد المعلمين على المستوى الثانوي في مصر مع قطاع غزة مع العلم ان الارقام الخاصة بالاتروا لا تنحصر في المستوى الثانوي لان مراكز الاتروا تضم طلابا اتبوا المرحلة الامدادية وطلابا اتبوا المرحلة الثانوية وذلك بحسب المهن المختارة بينما تقتصر الارقام الخاصة بمصر على الطلبة في مستوى المرحلة الثانوية .

الاتروا في الضفة الغربية . وتدرس في هذه المراكز مواد البناء والميكانيك والكهرباء ، والمهن النسوية - في رام الله - حيث يتمسرت انضمام الدراسة الاعدادية (٤٤) . غير انه يشترط ان يكون الطالب حائزا على الشهادة الثانوية العامة للالتحاق ببرامج تدريب المعلمين . وقيل ان نعتد مقارنة بين التدريب المهني وتدريب المعلمين الذي توفره الاتروا والدول العربية الاخرى ، يجب ان نلاحظ ان الاتروا لا توفر التدريب المهني على مستوى ما بعد الثانوي ، على غرار الدول العربية . وهو لا يتم - كما لاحظنا - في القطاع ، بل في مركز رام الله التابع للاتروا . وكذلك بالنسبة للتدريب المهني حيث يوجد في القطاع مركز واحد للذكور يؤمن التدريب في عدد محدود من الحرف ولمدة سنتين في حين ان هذا التدريب يتم في مصر مثلا في مدارس متخصصة - زراعية ، تجارية ، صناعية ، ولمدة ثلاث سنوات (٤٤) .

ويقودنا هذا الى نقطة اخرى هي قول الاتروا انها تطبق في مدارسها مناهج الدول الخسيفة ، ويكني في

جدول رقم ٥

الطلبة اللاجئون في غزة في دور المعلمين (غزة والضفة الغربية) (٤٥)

ونسبتهم الى الطلاب الثانويين

النسبة المئوية	المجموع		طلبة دور المعلمين			
	١	٢	في الضفة الغربية		في غزة	
			١	٢	١	٢
٢٤٦	١٠٩	١٤١	-	-	١٠٩	١٤١
٥٤٥	١٩٨	٢١٨	١٥٦	١٨٨	٢٩	٣٠ (٤٦)
						٨٩٦٨ ١٩٦٧
						٧٥٦٨ (٤٦) ١٩٧٠

الحكوميين في غزة ، في السنة الرابعة والخامسة من دراستهم ، وبعد تخرج هؤلاء عام ١٩٧١ اقتصر وجود طلبة دور المعلمين على مركزي الاتروا في الضفة الغربية . لذا ، فمن المتوقع ان تخفض نسبة من هم في دور المعلمين الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية ، لان عدد الطلبة الثانويين سيزداد بينما طاقة مركزي الاتروا محدودة بحد ذاتها .

وقميا يتعلق بالتدريب المهني فان هذا التدريب كان يتم في مركز التدريب المهني التابع للاتروا والسذي كانت طاقته تتسع لـ ٣٦٨ متدوبا حتى عام ٦٧ وكذلك في المعهد الزراعي في بيت حانون والسذي انتقل في عام ٦٧ الى الحكومة المصرية لتحويله الى معهد لتدريب مسمين ريغيين للهدارس الابتدائية .

ونلاحظ من الجدول رقم ٥ ان نسبة من هم في دور المعلمين ، الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية (الحدد هنا يشمل طلبة المدارس وطلبة دور المعلمين) كانت ٢٤٦٪ عام ٦٧ ارتفعت الى ٥٤٥٪ عام ١٩٧٠ ، ولكن يجب ان نلاحظ قبل ان نحكم على هذا الارتفاع ان انخفاضا ملحوسا طرا على عدد الطلبة في المرحلة الثانوية بين عمامي ٦٧ و ٧٠ (١٤٠٠ طالب) بسبب الظروف الناجمة عن الاحتلال . بينما ارتفع عدد الطلبة في دور المعلمين وبالحدديد في مركزي الاتروا بالضفة الغربية بعد توقف ادخال الطلبة الى المعهدين الحكوميين في غزة . كذلك فان من بين طلبة دور المعلمين عام ١٩٧٠ كان ٦٩ طالبا وطلبة ما زالوا في المعهدين

عليه (٤٧). وبين الجدول رقم ٦ اعداد المتدربين في العامين ٦٦ - ٦٧ و ٦٦ - ٧٠ بغض النظر على المستوى الاكاديمي للمتدربين .

وذلك بموجب اتفاقية خاصة بين الانروا والحكومة المصرية ، وقد اقبل المركز نهائيا بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ٦٧ واستيلاء القوات الاسرائيلية

جدول رقم ٦

طلبة التدريب المهني في غزة (اللاجئون)

النسبة المئوية	التدريب المهني	المجموع	تدريب مهني (٤٨)	دور المعلمين	السنة
٤٤٤	٦٦٤٢	٤٢٥	٢٤٩	٨١٦٨	١٩٦٧
٦٤٧	٨٥٦٢	٥٧٨	٤١٦	٧٥٦٨	١٩٧٠

لمستوى ما بعد الثانوي ، كما ان مدة الدراسة الفنية في المرحلة الثانوية هي ثلاث سنوات في مصر في حين ان مدة الدراسة في مراكز التدريب التابعة للانروا لا تزيد عن سنتين باستثناء بعض المهنيين النسوية .

نلاحظ من الجدول ان نسبة طلبة التدريب المهني الى الطلبة الذين يتلقون تعليما او تدريبا في المرحلة فوق الاعدادي ودون الجامعي ، كانت ٤٤٤٪ عام ٦٧ ارتفعت الى ٦٤٧٪ عام ١٩٧٠ ، وفيما يلي جدول باعداد الطلبة في التعليم الثانوي الفني في بعض الدول العربية مع ملاحظة ان هناك معاهد فنية عليا

جدول رقم ٧

طلبة التعليم الثانوي الفني في بعض الدول العربية

نسبة الاتحاق في التعليم الفني	نسبة الفني الى الثانوي	المجموع الفني	الثانوي	الثانوي العام	البلد	السنة
٢٤ (٤٩)٪	٢٢	١١٩٩٥٥	٢٦٠٠٦	٦٠٩٤٩	مصر	١٩٦٧-٦٦
٣٠	٤٥	٢٤١٥٩٠	٧٢١٢٧	١٦٨٤٥٣	مصر	١٩٧٠-٦٩
١٥٤٦ (٥٠)٪	١٥٤٥	٤٥٩٦	٧١٤	٣٨٨٢	سوريا	١٩٦٦-٦٥
٣٤٤ (٥١)٪	٩	٢٠٤٨	٦٨	١٩٨٠	الاردن	١٩٦٧-٦٦

لسبب اللاحقين بينما لا ينطبق هذا الوضوح على الدول العربية حيث للسواطن موارد اخرى للحياة . ولذلك نكرر القول بأنه ليس مهما ان تطبيق الانروا في مدارسها الابتدائية والاعدادية المنهاج الدراسي المطبق في الدولة المضيفة بقدر ما هو مهم ان تسير الانروا في سياستها التعليمية وفق السياسات المتبعة في الدول المضيفة على الاقل ، وان توجه هذه الخطة الى تأمين التعليم والتدريب الفني المتنوع للشباب الفلسطيني لان انتهاء الطالب للتعليم الاعدادي فقط لا يؤهله عمليا لاي شيء .

المدارس والطلاب

بلغ عدد مدارس الانروا في القطاع عام ١٩٦٧ ، ١٠١ مدرسة ابتدائية واعدادية ، يعمل فيها ١٥٠٢ معلم ومعلمة ، وتضم ٥٨ الف طالب وطالبة . ولقد

وبمقارنة هذا الجدول مع الجدول السابق نلاحظ ان نسبة طلبة التدريب المهني الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية هي في قطاع غزة (اللاجئون - أي ما توفره الانروا) اقل منها بكثير في الدول العربية . ففي حين ان هذه النسبة تبلغ لدى الانروا ٥٪ نجد انها تبلغ ٤٥٪ في مصر ، كما كانت تبلغ ١٥٪ في سوريا و ٩٪ في الاردن منذ اكثر من ثلاث سنوات . ومن ناحية اخرى نلاحظ ان نسبة الفتيات من طلبة التعليم المهني كانت ٣٠٪ في مصر عام ١٩٧٠ وحوالي ١٦٪ في سوريا عام ٦٦ و ٢٤٤٪ في الاردن عام ٦٧ . بينما لا نجد فتاة واحدة من قطاع غزة تتلقى تدريبا فنيا في مراكز الانروا ، كما انه لا يوجد مركز للتدريب المهني النسوي في القطاع . وتعمك المقارنة بفارقة كبيرة اذ اعدنا للذهن ان التعليم بكل مروعه هو الراسمال الوحيد ، والحرمة الوحيدة تقريبا بالنسبة

حديثنا بالدرجة الأولى على حجم هذه المدارس ومواقعها ونوعها وسعتها .

يوجد في غزة (عام ٧٠) ١٠٨ مدارس أو وحدة مدرسية قائمة في ٩٥ بناء مدرسيا ، حيث يوجد ١٣ مبنى مدرسيا يضم كل منها مدرستين بإدارتين منفصلتين . وتحتوي هذه المباني الدراسية على ١١٥٣ غرفة تدريس من ضمنها ٧ غرف للتدريب اليدوي ، وتستعمل معظمها نظام الدوام الواحد ، اذ يوجد نظام الدوام المزدوج في ٢٧ مدرسة ابتدائية فقط . كذلك فان غرف التدريس في هذه المدارس كبيرة نسبيا اذ ان هناك ٤٧١ غرفة تزيد مساحته الواحدة منها على ٤٠ مترا مربعا ، و ٦١٤ غرفة تزيد مساحتها على ٤٥ مترا مربعا ، ولا يوجد في مدارس الاتروا ، في المناطق الأخرى ، غرف بهذا الحجم (٥٤) . واذا قارنا عدد الطلبة بعدد المباني المدرسية وغرف التدريس (باستثناء ٧ غرف مخصصة للتدريب) نجد ان معدل عدد الطلبة في البناء الواحد هو ٦٢٥ طالبا وطالبة ومعدل عدد الطلبة في غرفة التدريس هو ٥١ طالبا (كان عدد الطلبة عام ٦٩ - ٧٠ ، ١٧٣٠٩٠) . ولكن اذا اردنا معرفة العدد الفعلي للطلبة الذين يستعملون الغرفة الواحدة فلا بد من مقارنة عدد الطلبة بمعدل الفصول او الشعب حيث هناك ٢٧ مدرسة تستخدم النظام المزدوج . والجداول رقم ٨ يبين عدد الوحدات المدرسية (المدارس) وعدد الشعب ومعدل الطلبة في الفصل الواحد :

تعرضت معظم هذه المدارس للخطر اثناء العدوان الاسرائيلي ففحصت ٩٠ مدرسة الى التدمير او النهب ، وقدرت الخسارة التي تجبت عن ذلك بـ ٢٢٠ الف دولار . ثم اعادت الاتروا اصلاح هذه المدارس وتجهيزها قبل نهاية العام المذكور باستثناء مدرسة واحدة في رفح كانت قد دمرت تدميرا كاملا (٥٢) . وفي عام ١٩٧٠ اصبح عدد مدارس الاتروا ١٠٨ مدارس ، تضم حوالي ٥٩ الف طالب وطالبة ويعمل فيها ١٥٢١ معلما ومعلمة . اما بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة فقد كان هدها في القطاع في العام الدراسي ٧٠ - ٧١ ، ٥٤ مدرسة رسمية لختلف المراحل تضم ٣٩٢٢٤ طالبا ويعمل فيها ٩٥٩ معلما ومعلمة . وكذلك كان في القطاع في العام المذكور ١٩ مدرسة خاصة تضم ١٧١٣ طالبا وطالبة ويعمل فيها ٥٨ معلما ومعلمة (٥٣) . ولا تتوفر لدينا معلومات عن سعة المدارس او حجمها ومواقعها بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة ولذلك سنقتصر في الحديث عن هذه الناحية على مدارس الاتروا . فلما انه كان لدى الاتروا ١٠٨ مدارس عام ٧٠ ، منها ٧٢ مدرسة ابتدائية و ٣٦ مدرسة اعدادية ، بالإضافة الى ١٩ وحدة تدريب يدوي ، و ٢٧ وحدة لتدريب اقتصاديات المنزل تابعة للمدارس الاعدادية . غير ان الارقام التي تقدمها الاتروا لا تبين تفصيلا عدد المكتبات المدرسية والمختبرات واطرافها خاصة في المدارس الاعدادية ، ولا تذكر في بنود توزيع النفقات المالية اي شيء عن ذلك . لذلك يقتصر

جدول رقم ٨

مدارس الاتروا : عددها ونوعها وسعتها عام ١٩٧٠ (٥٥)

سعة سعة	دوام		مختلطة دوام واحد مزدوج مخيم		مدنية تربية الفصول		الطلاب الفصل المدرسة						
ابتدائي	٧٢	٣٣	٢٢	٧	٤٥	٢٧	٥٦	٩	٧	٨٧٥	٤٢١٤٧	٤٨٢٢	٥٨٥
اعدادي	٣٦	١٦	—	—	٣٦	—	٢٤	٨	٤	٣٥٥	١٧٠٢٦	٤٨٤٠	٤٧٣
الجموع	١٠٨	٥٢	٤٩	٧	٨١	٢٧	٨٠	١٧	١١	١٢٣٠	٥٩١٧٣		

قليلة هي ايضا ، اذ يبلغ عددها ١٥ مدرسة منها ٣ مدارس في الضفة الغربية و ١٢ مدرسة في لبنان (٥٧) . اما في سوريا والضفة الشرقية وقسوة فلا توجد مدارس اعدادية مختلطة . وغيا يتعلق بنظام الدوام فان المدارس التي تتبع نظام الدوام المزدوج قليلة في غزة قياسا بمدارس الاتروا في

نلاحظ من الجدول ان هناك ٧ مدارس مختلطة في غزة ، جميعها في المرحلة الابتدائية ، أي ثمن المدارس المختلطة الابتدائية لدى الاتروا في المناطق الأربع ، حيث يبلغ عدد هذه المدارس ٥٦ مدرسة منها ٢١ في الأردن و ٣٥ في لبنان وه مدارس في سوريا (٥٦) . اما في المرحلة الاعدادية فالمدارس المختلطة التابعة للاتروا

من ٢٥ طالبا في غرفها الصغيرة (٦٤). ويفكر التقرير ذاته ان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في الدول العربية المصنفة هو بين ٤٠ - ٤٥ في المرحلة الابتدائية و ٢٥ في المرحلة الاعدادية . ثم ينكر التقرير المتطلبات المالية التي يتوجب على الانروا تأمينها اذا كانت ستتبع ما هو قائم في الدول العربية من اجل حل مشكلة الازدحام بحيث تبلغ النفقات المتكررة للمرحلة الابتدائية ٤٩٧ الف دولار سنويا وللمرحلة الاعدادية مليون و ٤١٢ الف دولار سنويا بالاضافة الى النفقات الثابتة ، مما يعني ضمنا ان الانروا غير قادرة على اتباع مثل هذا النظام (٦٥). وبالفعل فان مقارنة الارقام المذكورة سابقا والخاصة بالعام ١٩٧٠ مع الارقام الخاصة بالعام ٦٦ - ٦٧ والتي يشير اليها تقرير الانروا المذكور ، تبين انه لم يطرأ اي انخفاض على معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد . ففي العام ٦٦/٦٧ كان المعدل في المرحلة الابتدائية هو ٤٣ في الاردن و ٤٨ في غزة و ٤٠ في سوريا و ٢٨ في لبنان ، وهي الارقام ذاتها تقريبا للعام ١٩٧٠ ، بينما طرأ ارتفاع على هذا المعدل في المرحلة الاعدادية . اذ كان المعدل ٣٥ في الاردن (اصبح ٢٩ عام ١٩٧٠) وفي غزة ٤٧ (اصبح ٤٨) وفي سوريا ٢٨ اصبح ٢٩ وفي لبنان كان ٣٠ اصبح ٢٥ (٦٦). وستلاحظ هذا الامر عموما وبالنسبة لغزة عندما نتكلم من معدل الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد .

سبق وذكرنا ان تقارير الانروا السنوية تخلو من تفاصيل احصائية حول المكتبات الدراسية (عددها ، امكانها ، عدد الكتب فيها ، نفقاتها) والمختبرات ، غير ان ما تذكره الانروا حول هذه الامور يمكن ان يعطي بشكل عام صورة عن الواقع المتدني في هذه الناحية . تقول الانروا في تقريرها عن سير العمل في العام الدراسي ٦٦ - ٦٧ ان معدل ما خصصته الوكالة لدارسها الابتدائية حتى ذلك الوقت لتزويد مكتباتها بالكتب بلغ ٣٠ دولارا فقط للمدرسة في العام الواحد ، وان ذلك المبلغ المتواضع لم يتبع في اكثر الحالات توفير اكثر من نواة مكتبة ، وانه يستحسن ان تزداد الاعتمادات المخصصة لتزويد مكتبات المدارس بالكتب الى معدل ١٠٠ دولار لكل مدرسة في العام الواحد وان يعين لكل مدرسة معلم يعمل نصف الوقت للاشراف على المكتبة وتشجيع تطوير عادة المطالعة بين الطلاب . ويضيف التقرير ان اعتماد ذلك في المدارس الابتدائية والاعدادية يتطلب نفقات متكررة سنويا تقدر بـ ٣٠٧ الف دولار (٦٧) ،

المناطق الأخرى ، مما يعني زيادة الطاقة الاستيعابية لمدارس غزة بالنسبة لغزرها . ففي المرحلة الابتدائية يوجد ١٣٣ مدرسة تتبع نظام الدوام المزدوج الكامل ، منها ٢٧ مدرسة في غزة و ٦٨ في الضفة الشرقية و ٨ في لبنان و ٣٠ مدرسة في سوريا (٥٨). وفي المرحلة الاعدادية يوجد ٤٠ مدرسة تتبع هذا النظام منها ٢٩ في الضفة الشرقية ومدرسة واحدة في الضفة الغربية ومدرسة في لبنان و ٩ في سوريا ولا يوجد اية مدرسة اعدادية تتبع نظام الدوام المزدوج في غزة (٥٩). وتتمايز المدارس في غزة بكبرها وارتفاع عدد الطلبة في المدرسة الواحدة . ففي المرحلة الابتدائية يوجد في غزة ١٥ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٥ فصلا ، وذلك من اصل ٣١ مدرسة للانروا بهذا الحجم في المناطق الأربع ، اي نصف هذه المدارس . وفي المرحلة الاعدادية يوجد في غزة ١٤ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٢ فصلا من اصل ٢٤ مدرسة تابعة للانروا في المناطق الأربع ، اي نصف هذه المدارس ايضا (٦٠). ومن ناحية اخرى يوجد في غزة ٤٢ مدرسة ابتدائية تضم الواحدة منها بين ٥٠٠ - ٧٠٠ طالب وذلك من اصل ٩٨ مدرسة منها ٣٦ في الضفة الشرقية و ١٠ في لبنان و ٧ في سوريا و ٣ في الضفة الغربية اي ان العدد الاكبر لهذا النوع من المدارس هو في غزة . وكذلك الامر في المرحلة الاعدادية حيث يوجد في غزة ٢٦ مدرسة من الحجم المذكور ، وذلك من اصل ٥٢ مدرسة ، منها ١٩ في الضفتين و ٥ في لبنان ومدرستان في سوريا . من جهة اخرى ، تشهد مدارس غزة ارتفاعا ملحوظا في معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد . ومن المعروف ان عدد الطلبة في الفصل الواحد يؤثر مباشرة على مستوى الدراسة اذ كلما كان العدد اقل كانت الفائدة اكبر . ويبلغ معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في المرحلة الابتدائية في غزة ٤٨٤٢ بينما هو في الضفة الشرقية ٤٤٤٨ وفي الضفة الغربية ٣٨٤١ وفي لبنان ٢٩٤٢ وفي سوريا ٣٩٤٨ (٦٢). وفي المرحلة الاعدادية يبلغ هذا المعدل ٤٨ في غزة بينما هو ٤٢٤٩ في الضفة الشرقية و ٢٥٤٢ في الضفة الغربية و ٣٤٤٩ في لبنان و ٢٨٤٦ في سوريا (٦٣). ويبدو من الارقام المذكورة ان الصنوف في مدارس الانروا اجمالا مزدحمة تماما وخاصة في غزة . وتقول الانروا في احد تقاريرها ان هذه الارقام تنطبق على المدارس التي تمتلكها الوكالة والمدارس التي تستأجرها - « وهذه عادة بيوت لا يمكن ان تستوعب اكثر

وكان الإثروا تزيد أن تقسول أن مواردنا المالية المحدودة ، لا تمكنها من إجراء التحسينات وسد الثغرات التي يعاني منها التعليم الذي توفره . ومن خلال ملاحظة بعض مدارس الانروا في لبنان ، فإن المكتبات المدرسية تكاد تكون معدومة وهي تقوم في حال وجودها على اكتاف الطلبة من الناحية المالية ، ولا يوجد معلم متفرغ لشؤون المكتبة ، كما لا توجد غرف خاصة بالمكتبات او المطالعة .

اما بالنسبة للمختبرات فنقول الانروا في التقرير المذكور انها لم تقم بتوفير المختبرات لاستعمال الطلاب الذين يدرسون العلوم العامة ، وانما حاولت معالجة هذا النقص بتوفير مجموعات من الأدوات الخاصة بايضاح العلوم ، وانه لو توفرت الاموال اللازمة لاعتبرت الوكالة انه من المستحسن انشاء غرف لمختبرات المعلوم للنصف الأعلى من السنوات التسع - الابتدائي والاعدادي - بمعدل مختبر واحد لكل 18 شعبة صف ، وذلك يتطلب 152 مختبرا علميا تبلغ تكاليفها حوالي مليون دولار (٦٨) . ويذكر تقرير الانروا عن العام الدراسي ٦٩ - ٧٠ ان الانروا قامت منذ عام ٦٥ بإنشاء ٢٣ مختبرا علميا ، وان ٩ مختبرات اخرى كانت قيد الانشاء في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٠ (٦٩) . ومن الواضح أن ذلك هو دون الحاجة بكثير ، فلو اخذنا

ما تعتبره الوكالة قضايا ، أي مختبرا لكل ١٨ شعبة صف ، لكان مطلوباً أن يتوفر ٧٢ مختبرا للصفوف الاعدادية فقط عام ١٩٧٠ حيث كان عدد الصفوف الاعدادية في جميع مدارس الانروا ١٣٠٠ صف في ذلك العام . اما عدد المختبرات في مدارس الانروا في غزة ، فلا يذكر عنه شيء في تقاريرها .

الطلاب : سنستعرض الان عددا من النقاط المتعلقة بالطلاب مثل : تطور عدد الطلاب - ذكورا واناثا - ومعدل عدد الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد ، وعدد الطلبة بالنسبة للسكان الذين في سن الدراسة ، بالإضافة الى قضايا التسرب والرسوب والنجاح . وسيتركز الاستعراض على الطلبة في مدارس الانروا وذلك بسبب عدم توفر ارقام تفصيلية حول الطلبة في المدارس الرسمية باستثناء الفترة حتى عام ٥٨/٥٩ كما ان هذه الارقام لا تبين عدد الطلبة في كل صف على حدة ولا معدلات الرسوب او التسرب ، كما اننا لا نملك ارقاما حول توزيع السكان والطلبة الاصليين بحسب فئات الاعمار . لذلك سنكتفي بالإشارة الى ما هو متوفر لدينا من ارقام عند الضرورة . ويبين الجدول رقم ٩ عدد الطلبة والمعلمين والسكان حتى عام ١٩٥٩ في القطاع اجمالا ، ونسبة الطلاب الى السكان وكذلك نسبة الطالبات الى مجموع عدد الطلاب .

جدول رقم ٩

تطور اعداد الطلبة والمعلمين في قطاع غزة

السنة	عدد السكان		عدد الطلاب		عدد المعلمين		الاعدادي		الثانوي		المجموع	
	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب
١٩٥٣	٣٠٦٢٧٢	٤٩٠٦٨	١٠٢٢	٢٣٧٦٣	١٠٣٦٦	١١٣٠١	١٥٨١	١٩٦٠	١٧	٢٧٠٢٤	١٢٠٤٤	(٧)
١٩٥٦	٣٣٦٠٥٥	٥٨٨٢٩	١٦١١	٢٢٢٩٣	١٢٣٩٧	١٤٧٤٠	٢٢٥٣	٢٥٩٩	٢٠٨	٢٩٦٣٢	١٥٨٥٨	(٧)
١٩٥٩	٣٦٧٠٢٠	٦٨٩٢٢	١٨٠٦	٢٨٥٢٧	١٩٠٣٣	١٦٠٢	٢٤٨٥	٧٥٥٨	١٣٤٩	٤٥١٨٧	٢٢٨٦٧	(٧)
١٩٦٦	٤٥٥٠٠٠	٩٥٩٣٦	(٧٣)									

١٩٪ (٧٥) عام ٥٥ وحوالي ٢٠٪ عام ١٩٦٠ (٧٦) ، وارتفعت الى ٢٢٪ عام ٦٥ (٧٧) . ويبين الجدول رقم ١٠ نسبة الطلاب الى السكان في الدول العربية وغزة لعام ١٩٦٥ .

وواضح من الجدول رقم ١٠ ان نسبة الطلاب الى السكان لدى لاجئي غزة أعلى منها في الدول العربية . ومن ناحية أخرى فإن هذه النسبة لدى لاجئي غزة هي أعلى منها لدى السكان الاصليين ، إذ ان

ان نسبة مجموع الطلبة الى السكان كما يستنتج من الجدول كانت ١٦٪ عام ٥٣ ، ارتفعت الى ١٧٤٥٪ عام ٥٦ ، ثم الى ١٨٪ عام ١٩٥٩ . وهي نسبة مرتفعة تماما اذا قورنت بما هو قائم في الدول العربية المضيئة . ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة ١٣٪ في كل من لبنان وسوريا وحوالي ١١٪ في مصر (٧٤) . وتبدو هذه النسبة أكثر ارتفاعا لدى اللاجئيين في القطاع حيث كانت هذه النسبة

جدول رقم ١٠

نسبة الطلاب الى السكان في بعض الدول العربية عام ١٩٦٥ (٧٨)

النسبة المئوية	الطلاب	السكان	البلد
١٥	٤٤٤٢٦٨٠	٢٩١٩٠٠٠٠	مصر
١٦	٩٠٠٠٠٠	٥٦٣٤٢٦٣	سوريا
١٩	٤٥٤٥١٠	٢٣٦٧١٤١	لبنان
٢٢	٦٤٨١٦	٢٩٦٩٤١	غزة

هذه النسبة كانت لديهم ٢٠ ٪ عام ١٩٦٦ . اما على الصعيد الفلسطيني فالجدول رقم ١١ يبين عدد السكان والطلاب ونسبة الطلاب الى السكان اللاجئين في الدول المضيفة الاربعة .

جدول رقم ١١

السكان والطلاب اللاجئين

في الدول العربية المضيفة عام ١٩٦٥

النسبة المئوية	الطلاب (٨٠)	السكان (٧٩)	البلد
٢٢	٦٤٨١٦	٢٩٦٩٤١	غزة
١٤	٩٩٢٥٩	٦٨٨٣٢٧	الاردن
٢٠	٣١٨٤١	١٥٩٧٨٣	لبنان
٢٣	٣٢٠٥٩	١٣٥٧٧٢	سوريا

ويتضح من الأرقام المبينة اعلاه أن غزة تأتي في المرتبة الثانية بعد سوريا من حيث نسبة الطلاب الى السكان في المراحل الثلاث ، الابتدائية والاعدادية والثانوية . وعدد السكان المبين في الجدول هو عدد اللاجئين المسجلين لدى الأتروا ، سواء من يتلقى اعاشة أو لا ، كذلك فإن أعداد الطلبة تشمل الطلبة اللاجئيين ، أبناء اللاجئيين المسجلين لدى الأتروا ، سواء كانوا في مدارس الأتروا أو الطلبة الذين يتلقون تعليمهم في المدارس الرسمية والخاصة وتدفع الأتروا اعانات مالية ، وكذلك الطلبة اللاجئيين في هذه المدارس والذين لا يتلقون أية اعانات مالية من الأتروا . غير أن ذلك لا يعني أن هذه الأعداد تشمل جميع الفلسطينيين إذ أن أرقام الأتروا تنحصر في اللاجئيين بحسب تعريفها لللاجئ ولا تشمل الفلسطينيين غير المسجلين كلاجئين . وإذا قارنا بين الجدولين السابقين نلاحظ أن نسبة الطلبة الى السكان هي لدى اللاجئيين أعلى منها في الدول العربية المضيفة . ولكن لا بد من تكرار الملاحظة هنا وهي أننا سنلاحظ هذا الفرق في

التعليم لدى اللاجئيين والدول العربية ما دام الأمر يتعلق بنسبة الطلاب الى السكان وهو موضوع يعكس مدى اقبال الطلاب على التعلم ، أو مدى توفر المدارس ، ولا شك أن الحافز الى التعلم لدى اللاجئيين قوي للغاية لان التعلم هو الرأسمال الوحيد أو جواز مرور اللاجئ الى الحياة ، كذلك فإن انعدام الملكية الصناعية أو الزراعية ، وتركز اللاجئيين حول المدن في مقابل وجود قطاع ريفي في الدول العربية وما يعانته هذا القطاع من تخلف وما يسوده من علاقات ، نقول ان تلك عوامل لها اثرها في زيادة اقبال اللاجئ على التعلم ، وارتفاع نسبة الطلاب اجمالاً في مجتمع اللاجئيين قياساً بالطلاب في الدول العربية . غير ان هذا الفرق يتغير لصالح الدول العربية عندما يتعلق الأمر بالنواحي الفنية التي تتناول نوعية التعليم ومستواه وتوفر الشروط الضرورية لتحسينه مثل المكتبات المدرسية والمختبرات ومعدل عدد الطلاب في الفصل الواحد ... الخ .

وإذا عدنا الى الجدول رقم ٩ نستخلص أن سكان القطاع قد ازدادوا بنسبة ٢٢ ٪ من عام ٥٣ حتى عام ٥٩ ثم ازدادوا بنسبة ٢٤ ٪ من العام ٥٩ حتى العام ٦٦ . أما عدد الطلاب في المراحل الثلاث فقد ازداد بنسبة ٢٠ ٪ حتى عام ٥٩ ثم ازداد خلال سبع سنوات ، أي حتى عام ٦٦ بنسبة ١٧ ٪ فقط . أي ان الزيادة في عدد الطلاب كانت اقل من نسبة الزيادة في عدد السكان بينما يختلف الوضع بالنسبة للدول العربية . فخلال سبع سنوات أي من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٧ ازداد عدد السكان في الدول العربية بنسبة ٢٢ ٪ بينما ازداد عدد الطلاب في الفترة ذاتها بنسبة ٦٠ ٪ أي ثلاثة أضعاف نسبة الزيادة في السكان . وبالنسبة للزيادة في كل مرحلة على حدة ، كانت الزيادة الكبرى في المرحلة الثانوية حيث ازدادت بنسبة ١١٩ ٪ وبلغت الزيادة في المرحلة الابتدائية ٥٠ ٪ (٨١) . أما في مدارس الأتروا فكانت الزيادة في هذه الفترة اقل مما هي في الدول العربية . وفي غزة تحديداً بلغت الزيادة في الفترة المذكورة ١٢٤٨ ٪ في المرحلة الابتدائية و٨٠ ٪ في المرحلة الاعدادية (٨٢) . غير ان المقارنة بين الأرقام على هذا النحو لا تكفي بل المهم ان نعرف مدى استيعاب المدارس الموجودة لمن هم في سن الدراسة . ويستحسن قبل ذلك ان نلاحظ ان الزيادة في عدد الطلاب يرافقها عادة زيادة مماثلة في عدد المعلمين . وهنا نلاحظ من جديد فرقا في

الطلاب وفي غزة مثلا ازداد عدد الطلاب في مدارس الانروا بنسبة ٢٥ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٢٢٤٥ ٪ ويتضح الزيادة في المناطق الاخرى من الجدول رقم ١٢ .

عدد الزيادة بين معلمي الانروا ومعلمي الدول العربية . ففي الدول العربية ازداد عدد المعلمين في الفترة المذكورة بنسبة ١٤٢ ٪ مقابل ٥٩٤٥ ٪ زيادة في عدد الطلاب . اما في مدارس الانروا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين اقل منها في عدد

جدول رقم ١٢ عدد المعلمين في مدارس الانروا والدول العربية

البلد	المعلمون		الزيادة ٪	الطلاب في المرحلة الابتدائية والاعدادية		الزيادة ٪
	(٨٢)	(٨٤)		١٩٦٧/٦٦	١٩٦١/٦٠	
غزة	١٢٢٥	١٥٠٢	٢٢٤٥	١٩٦٧/٦٦	١٩٦١/٦٠	٢٥ (٨٥)
الاردن	١٤١٦	٢١٢٤	٥٠	٧٨٦٨٧	٤٦٣٤٤	٦٩٤٨
لبنان	٦١٦	٧١٧	١٦٤٤	٢٤١٩٥	١٨٤٥١	٢١
سوريا	٥٠٧	٧٩٦	٥١٤٦	٢٦٠١٣	١٧٢٧٤	٥٠٤٦
الدول العربية	١٨٠ (الفا)	٤٣٨ (الفا)	١٤٢ (٨٦)	١٢٤٤١٤٨	٨٠٤٣٥٤٤	٥٩٤٥

الاعدادي بل تذكر الرقم الاجمالي للمعلمين في مدارسها .

جدول رقم ١٣

معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في مدارس الانروا (الابتدائية والاعدادية) (٨٨)

السنة	غزة	الاردن	لبنان	سوريا
٦٠ - ٦٠	٢٧٤٨	٢٢٤٧	٣٠	٢٤
٦٦ - ٦٧	٢٨٤٩	٢٧٤٦	٢٤٤٣	٢٤٤٤

ومن الواضح ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد قد ارتفع في المناطق الاربع ، وبشكل خاص في الاردن ولبنان حيث ارتفع في الاولى من ٢٢ الى ٣٧ طالبا وفي الثانية من ٣٠ الى ٢٤ طالبا . ويتضح من الجدول كذلك ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا في مدارس الانروا يساوي تقريبا معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية . اما معدل عدد الطلبة للمعلم في المرحلة الابتدائية وحدها في مدارس الانروا فهو اعلى من ذلك بكثير وخاصة في غزة حيث كان المعدل ٤٦٤٧ عام ٦٦ - ٦٧ . وهذا المعدل هو من ناحية اخرى اعلى منه في مدارس الانروا في باقي المناطق . ففي الاردن كان هذا المعدل في العام ذاته ٤١٤٥ وفي لبنان ٢٨٤١ وفي سوريا ٢٧٤٢ (٨٩) .

يمكن القول ، تلخيصا لما سبق ، ان التعليم في

تجدد الملاحظة السى ان الارتفاع الخاصة بالانروا تقتصر على المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، اما الارتفاع الخاصة بالدول العربية سواء بالنسبة للطلاب او المعلمين فهي تشمل المراحل الثلاث ، ابتدائية ، تكميلية وثانوية . كذلك فان الزيادة في مدارس الانروا متفاوتة سواء بالنسبة للطلاب ام للمعلمين . ففي الاردن مثلا ازداد عدد الطلاب بنسبة ٦٩٤٨ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٥٠ ٪ ، وفي لبنان كانت الزيادة في عدد الطلاب حوالي ضعف الزيادة في عدد المعلمين ، اما في سوريا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين تزيد قليلا عنها في عدد الطلاب . واذا كان لهذا الامر من دلالة فهي انه يمكن معدل عدد الطلاب بالنسبة للمعلم الواحد والذي يرتبط بدوره بفعالية التعليم ، اذ من المعروف ان السياسات التعليمية الحديثة تميل الى تخفيض هذا المعدل قدر الامكان حتى تسهل امكانية التفاعل بين المعلم والطالب ، فينال كل طالب الاهتمام الكافي من المعلم ، وتزداد الفاعلية من مادة التدريس . وفي الفترة المذكورة (٦٠ - ١٩٦٧) انخفض معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية من ٢٨ الى ٣٥ طالبا (٨٧) ، اما في مدارس الانروا فقد ازداد هذا المعدل . وفي الجدول رقم ١٢ تبين لمعدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا ، ذلك ان الانروا لم تكن عام ١٩٦٠ تسرق بين المعلم الابتدائي والمعلم

في المناطق الأربع ، في عام ٦٦ - ٦٧ (قبل
الاحتلال) ، وكذلك في عام ٦٩ - ٧٠ (بعد
الاحتلال) .

جدول رقم ١٤

نسبة الأطفال داخل مدارس

الانروا الى من هم في سن السادسة (أ)

غزة	الأردن	سوريا	لبنان
٦٧ - ٨٣٤٨	٥٤٤٨	٦٢٤١	٧٠٤٧
٧٠ - ٨٢٤٢	٦٥	٦٥٤٨	٨٦٤٨

ويظهر من الجدول رقم ١٤ ان غزة تأتي في المرتبة
الثالثة عام ١٩٧٠ ، اي ان نسبة من هم في
الدرسة من الأطفال الى من هم في سن السادسة ،
هي في غزة أقل منها في كل من سوريا ولبنان .
وان ١٨ ٪ من هؤلاء الأطفال هم خارج المدرسة
في غزة بينما تنخفض النسبة الى حوالي ٤ ٪ في
سوريا و ١٣ ٪ في لبنان . اما بالنسبة لعدد من هم
خارج المدرسة في سن الدراسة من ٦ - ١٤ ،
فالجداول رقم ١٥ يبين ذلك في غزة مقارنة مع الدول
العربية ، حيث كان المركز الاقليمي للتخطيط
التربوي والادارة في الدول العربية قد قام بدراسة
حول هذا الموضوع في عشر دول عربية (العراق ،
الأردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ،
سوريا ، السودان ، تونس ، مصر) . والجدول
خاص بالعام ٦٦ - ٦٧ وهو العام الذي تنطبق عليه
نتائج الدراسة العربية المذكورة .

يلاحظ من الجدول رقم ١٥ ان نسبة من هم في المدرسة
الى من هم في سن الدراسة في غزة أعلى بكثير مما
هي في الدول العربية . ففي السنة الأولى نجد ان
حوالي نصف الأطفال في الدول العربية هم خارج
المدرسة بينما تبلغ هذه النسبة لدى اللجئيين في غزة
١٦ ٪ ، وكذلك اذا اخذنا المرحلة الابتدائية اي
فئة العمر من ٦ - ١١ نجد ان ١٣٤٥ ٪ فقط هم
خارج المدرسة في غزة بينما تصل هذه النسبة في
الدول العربية الى ٤٥ ٪ اي أكثر من نصف
الأطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية .
وكذلك الامر بالنسبة للمرحلة الاعدادية (من ١٢ -
١٤ سنة) ، ففي غزة نلاحظ من الجدول ان ربع
من هم في سن الدراسة هم عملياً خارج المدرسة
بينما تزيد هذه النسبة في الدول العربية على
الطرفين . غير ان الجدول يبين من جهة أخرى فيما
يتعلق بمدارس الانروا في غزة ، ان نسبة من هم

غزة بنصف بأمرين : مقارنة بالمناطق الأخرى :
بمدارس غزة تشهد زيادة نسبية في عدد الطلاب
وعدد المعلمين أقل منها في المناطق الأخرى ،
وبالمقابل فان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد ،
او في الفصل الواحد هو في مدارس غزة أعلى
مما هو في المدارس الأخرى .

الاستيعاب : فيما يتعلق بالاستيعاب سنتعرض
لنقطتين : الأولى تتعلق بطاقة المدارس القائمة على
استيعاب من هم في سن الدراسة ، والثانية تتعلق
بنسبة من هم في المدرسة ومن هم خارجها من هم
في سن الدراسة .

١ - سعة المدارس : عندما نتكلم عن طاقة
استيعاب المدارس للطلاب فاننا نفترض ضمناً اتباع
المدارس لنظام الدوام الواحد ، اي ان يستعمل
الفصل الواحد الغرفة الواحدة طيلة النهار .
والسبب في هذا الافتراض هو ان وقت الفراغ ،
الناجم عن نظام الدوام الأزودج ، في مجتمع كمجتمع
اللاجئين ، حيث لا تتوفر وسائل للنشاط او مراكز
للثقافة (مكتبات ، اندية ، برامج نشاط
مختلفة ... الخ) قد يصبح سبباً في وجود عدد
من المشكلات الاجتماعية المختلفة .

ذكرنا انه كان في ١٩٧٠ بمدارس الانروا في غزة
٥٩٤١٧٣ طالباً وطالبة ، و ١١٥٣٣ غرفة للتدريس ،
وان معدل عدد الطلاب في الفصل
الواحد في المرحلتين الابتدائية
والاعدادية هو ٤٨ طالباً (٩٠) . وفي حال
اتباع نظام الدوام الواحد يصبح الطلاب بحاجة الى
١٢٣٥ غرفة تدريس . ولكن اذا سارت الوكالة
بحسب ما هو حاصل في الدول العربية ، اي جعلت
معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد لا يزيد على
٤٠ طالباً (كان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد
في مصر عام ٦٨ - ٦٩ كما يلي : ٤٢ في المرحلة
الابتدائية و ٣٧ في المرحلة الاعدادية) ، لاحتياج
الطلاب في غزة الى ١٤٨٠ غرفة تدريس ، اي الى
ما يزيد على ٤٠٠ غرفة عما هو موجود بالفعل .

ب - الأطفال خارج المدرسة : تستغرق فترة
الدراسة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية في غزة
٩ سنوات ، اي من سن ٦ - ١٤ سنة . ولكن
لا بد ونحن بصدد معرفة من هم خارج المدرسة في
هذه الفئة من العمر ، ان نعرف أولاً عدد الأطفال
الذين هم في سن الدخول الى المدرسة (٦ سنوات) ،
ويدخلونها عملاً . ويبين الجدول رقم ١٤ هذه النسبة

جدول رقم ١٥

نسبة الطلبة الى من هم في سن الدراسة (٦-١٤) في غزة عام ١٩٦٧/٦٦

النسبة المئوية لمن هم خارج المدارس (١٦) في الدول العربية	النسبة المئوية للطلاب في فئة العمر المدارس (١٦)	النسبة المئوية للطلاب في فئة العمر	الطلاب	السكان	فئة العمر
٤٧٤٧	١٦٤٢	٨٣٤٨	٦٩٧٩	٨٣٢٨	٦
٤٧٤٧	١١٤٢	٨٨٤٨	٦٨١٢	٧٦٧٢	٧
	١١٤٣	٨٨٤٧	٧٢٨٥	٨٢١٠	٨
٤٠٠	٩	٩١٤٠	٦٠٤٦	٦٦٤٦	٩
	١٤٤١	٨٥٤٩	٥٨٣١	٦٧٨٦	١٠
	١٨٤٩	٨١٤١	٥٢٢٥	٦٤١١	١١
٥٠٠ (المرحلة الابتدائية)	١٣٤٥	٨٦٤٥	٣٨١٧٨	٤٤٠٨٣	مجموع
	٢٢٤٥	٧٧٤٥	٥٤٨٣	٧٠٧٩	١٢
	٣١٤٩	٦٨٤١	٤٤٩٣	٦٥٩٦	١٤
	٢٥	٧٥٤٠	٥٤٣١	٧٢٣٧	١٣
٦٩٤٦ (المرحلة الاعدادية)	٢٦	٧٤	١٥٤٠٧	٢٠٩١٢	مجموع

جدول رقم ١٦

نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة (١٤)

عام ١٩٦٧/٦٦

العمر	غزة	الأردن	لبنان	سوريا
٦	٨٣٤٨	٥٤٤٨	٧٠٤٧	٩٢٤١
٧	٨٨٤٨	٧٧٤٠	٩٢٤٧	٩٥٤٤
٨	٨٨٤٧	٧٦٤٥	٩٥٤٦	٩٧٤٣
١١	٨١٤١	٦٣٤٩	٨٣٤٤	٨٦٤٠
١٢	٧٧٤٥	٦٣٤٣	٧٥٤٥	٨٠٤٥
١٤	٦٨٤١	٥٠٤٣	٤٩٤٠	٦٦٤١

نلاحظ من الجدول ان نسبة من هم في المدرسة الى من هم في سن السادسة من الاطفال مرتفعة نسبيا في غزة ، اذ هي أعلى منها في الأردن ولبنان ، اما بالنسبة لمن هم في سن الحادية عشرة اي السنة النهائية في المرحلة الابتدائية فتأتي غزة هي المرتبة الثالثة بعد سوريا ولبنان ويختلف الوضع في المرحلة الاعدادية اذ نلاحظ ان نسبة من هم في المدرسة في سن ١٢ - ١٤ رغم انخفاضها افضل منها في المناطق الأخرى ، وخاصة اذا قارنا من هم في السنة الأولى الاعدادية اي في سن ١٢ الى من يفترض انهم في السنة النهائية الاعدادية اي في سن ١٤ . ففي غزة انخفضت النسبة من ٧٧ %

خارج المدرسة في فئة العمر ٦ - ١١ عالية في سن السادسة والحادية عشرة ، اي في السنة الأولى والنهائية من هذه المرحلة ، فبالنسبة لمن هم في سن السادسة نجد ان ١٣٥٠ طفلا اي ١٦ % منهم خارج المدرسة وكذلك الامر بالنسبة لمن هم في سن الحادية عشرة ، اي في السنة النهائية الابتدائية ، حيث نجد ان ١٩ % من هؤلاء الاطفال هم خارج المدرسة . وتزداد نسبة من هم خارج المدرسة في المرحلة الاعدادية وبحسب السنوات تدريجيا . فمن بين الذين هم في سن الثانية عشرة ، اي الاول اعدادي ، نجد ان ٢٢٤٥ % هم خارج المدرسة ، وفي السنة الثانية ٢٥ % وفي السنة الثالثة تصل النسبة الى ٣٢ % ، اي حوالي الثلث . ولما هنا بصدد مناقشة اسباب ذلك ، ولكننا نعتقد ان هذه نسبة عالية خاصة في قطاع غزة حيث مجالات العمل محدودة ، خاصة وان من لم يته المرحلة الاعدادية لا يستطيع عمليا ممارسة عمل فني او اداري بل ان فرصته الوحيدة هي في العمل اليدوي . وبماكاننا لذلك ان نتصور ان قسما كبيرا من هؤلاء يصبحون عاطلين عن العمل . وعلى كل يستحسن ان نتقارن هذه الناحية في غزة بمناطق تجمع اللاجئين الأخرى ، اي في الدول العربية المضيفة . ويبين الجدول رقم ١٦ نسبة من هم خارج المدرسة الى من هم في سن الدراسة في هذه المناطق .

جدول رقم ١٨

التصرب في مدارس الانثى في غزة

	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩
١ ابتدائي	٢٤٤	٠٤٦	٧٤١	٣٤٩	٢٤٥
٢ ابتدائي	١٤٤	٠٤٧	١٤٤٤	٢٤٣	٣٤٢
٣ ابتدائي	١٤٣	٠٤٧	١٢٤٤	٣٤٠	١٤٥
٤ ابتدائي	١٤٣	٠٤٨	١٨٤٠	٢٤٩	٢٤٢
٥ ابتدائي	٢٤٠	١٤٠	١٦٤٦	٣٤٩	٢٤٨
٦ ابتدائي	٧٤١	٥٤٧	٢٢٤٢	٥٤٥	٥٤٢
الجموع	٢٤٦	١٤٦	١٥٤١	٣٤٨	٢٤١
١ اعدادي	٥٤٤	١٤٥	٢٣	٢٤٦	٢٤٧
٢ اعدادي	٦٤٩	٢٤١	٢٧٤٥	٤٤٨	٤٤٥
٣ اعدادي	—	—	٢٤٤٧	٤٤٦	٧٤١

يتضح من الجدول رقم ١٨ ان نسبة التصرب قد ارتفعت بشكل كبير اثر الاحتلال الاسرائيلي للقطاع، وتؤكد ذلك الوكالة حيث تقول في تقريرها الاحصائي للعام ٦٧ - ٦٨ ان هذا الارتفاع في نسبة التصرب يعود الى نزوح اهالي القطاع بسبب الاحتلال . من جهة اخرى ، يظهر الجدول ان نسبة التصرب الكبرى تحدث في نهاية المرحلة أي في الصف السادس الابتدائي والثالث الاعدادي . ففي عام ٦٧/٦٦ كانت نسبة التصرب في السادس الابتدائي ٥٤٧٪ دون ان تزيد هذه النسبة على ١٪ في أي من الصفوف الاخرى . وفي عام ١٩٧٠ كانت نسبة التصرب في السادس الابتدائي ٥٤٢٪ وفي الصفوف الاخرى في حدود ٢٪ . وبمراجعة الارقام الخاصة بالعامين ٦٦ و ٧٠ - حيث يذكر التقريران الاحصائيان التصرب بين الاناث والذكور - نلاحظ ان نسبة التصرب بين الذكور والاناث تكاد تكون متساوية ، وخاصة في المرحلة الابتدائية . ففي عام ٦٦ كانت نسبة التصرب في المرحلة الابتدائية ٢٤٦٪ للذكور و ٢٤٧٪ للاناث (٦٨) . وفي عام ٧٠ كانت نسبة التصرب بين الذكور ٢٤٨٪ وبين الاناث ٢٤٥٪ (٦٩) . اما في المرحلة الاعدادية فقد حدث تغير ملحوظ للنظر ، فلقد كانت نسبة التصرب بين الاناث عام ٦٦ اضعافها بين الذكور بينما اصبحت النسبة بين الاناث اقل منها بين الذكور في عام ١٩٧٠ . فمثلا كانت نسبة التصرب بين الاناث ٩٤٧٪ في الاول اعدادي عام ٦٦ و ١٤٢٪ فقط

في سن ١٢ الى ٦٨ ٪ في سن ١٤ ولكن النسبة ذاتها انخفضت في الاردن من ٦٢ ٪ الى ٥٠ ٪ وفي لبنان من ٧٥ الى ٤٩ بالمئة وفي سوريا من ٨٠ الى ٦٦ بالمئة . اي ان نسبة من يتابعون تعليمهم الاعدادي في غزة وخاصة من يصلون الى السنة النهائية من هذه المرحلة بتخفة لدى الفلسطينيين صوبها وان كانت في غزة افضل منها في المناطق الاخرى ، يؤكد ذلك ان الوضع عام ٧٠/٦٩ كان تقريبا على الصورة ذاتها حيث كانت هذه النسب كما يلي :

جدول رقم ١٧

نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة ١٩٧٠ (٦٥)

عنة العمر	غزة	الاردن	لبنان	سوريا	المجموع
٦-١١	٨٢٤٧	٧٥	١١٤٣	٩٦٤٣	٨١٤٣
١٢-١٤	٧٤٤٤	٦١٤٦	٦٩٤٥	٧٠٤٦	٦٦٤٣

ويتبين من الجدول رقم ١٧ ان نسبة الطلاب في فئة العمر ١٢-١٤ - أي في المرحلة الاعدادية - الى من هم في هذه الفئة من السكان ، هي في غزة اعلى منها في المناطق الاخرى بشكل واضح . كما يتبين ايضا ان نسبة من يتابعون دراستهم بعد المرحلة الابتدائية مرتفعة في غزة نسبيا . فقد انخفضت نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة من ٨٢٪ في المرحلة الابتدائية (٦٠ - ١١) الى ٧٤٪ في المرحلة الاعدادية (١٢ - ١٤ سنة) اي بحوالي ٨٪ بينما انخفضت هذه النسبة بحوالي ١٤٪ في الاردن و ٢١٪ في لبنان و ٢٦٪ في سوريا . ويؤكد هذا ما سبق وقلناه من ادراك الفلسطينيين لقيمة التعلم بالنسبة اليهم كمنفذ ووحيد من اجل الممبل والمعيش ، وخاصة في قطاع غزة حيث تكاد تفرس الممبل تكون معدومة ، بسبب كثافة السكان ، وضيق رقعة الارض التي يعيشون فوقها .

التصرب

بدأت دائرة التعليم في الانثى تصدر تقارير احصائية سنوية منذ عام ١٩٦٥ ، الا انها لم تكن تحتوي على تفاصيل وافية حول موضوع التصرب في قطاع غزة ، باستثناء التقرير الاحصائي الخاص بالعام ٧٠/٦٩ . ومن جهة اخرى لا تتوفر اي معلومات عن موضوع التصرب في المدارس الرسمية والخاصة في القطاع ، ولذلك فان الحديث عن التصرب سيقترن على مدارس الانثى ، وفي الفترة التي تتوفر عنها الارقام فقط ، أي في الفترة من عام ٦٥ - ٧٠ ، كما هو مبين في الجدول رقم ١٨ :

بين الذكور . وفي الثاني اعدادي كانت نصيبته التسرب بين الإناث ١١٤٧٪ بين الذكور ٢٤٢٪ فقط (١٠٠) . أما في عام ١٩٧٠ فكانت نسبة التسرب في الأول اعدادي ٢٤٢٪ للإناث و ٤٤١٪ للذكور وفي الثاني اعدادي ٣٤٧٪ للإناث و ٥٤٢٪ للذكور وفي الثالث اعدادي ٦٤٦٪ للإناث و ٧٤٧٪ للذكور (١٠١) . قد يكون للوضع الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي علاقة بذلك بمعنى ان الاعتقالات من جهة والانتراخ في صفوف المقاومة من جهة اخرى ، من قبل الشباب ، هي التي تجعل التسرب يتكون الدراسة . الا ان انخفاض نسبة التسرب بين الإناث في المرحلة اعدادية ، على هذا النحو ، يؤكد حقيقة اجتماعية تتعلق بدور المرأة ومكانتها في المجتمع ، أي ان العلم والعمل أصبحا هدفا للفئة ايضا . وتتميز هذه الحقيقة عندما نلاحظ ايضا ان نسبة الطالبات في المرحلة الثانوية تصل الى حوالي ٥٠٪ من مجموع طلاب المرحلة .

وإذا اردنا معرفة عدد الذين ينهون المرحلة التعليمية بالنسبة لن يدخلونها في بدايتها فلا بد ان تتوفر لدينا ارقام تشمل ست سنوات للمرحلة

الابتدائية وثلاث سنوات للمرحلة اعدادية . ولكن الأرقام المتوفرة لدينا لا تغطي سوى الفترة من عامي ٧٠/٦٦ فقط ، حيث بدأت دائرة التعليم في الانزواء تنشر تقارير احصائية سنوية منذ عام ١٩٦٥ . ومعظم هذه التقارير لا يتضمن النواحي التفصيلية في التسرب مثل تبيان التسرب لدى الذكور والإناث ، والتسرب اثناء العطلة الصيفية واثناء السنة الدراسية . يضاف الى ذلك ان التسرب لم يكن طبيعيا في عامي ٦٧ و ٦٨ ، على الأقل بسبب ظروف النزوح والاعتقال الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي . لذلك لا نستطيع اعتماد الأرقام الواردة كمقياس حقيقي لواقع التسرب ، كما اننا لا نستطيع اعتمادها لمقارنة التسرب في غزة مع غيرها من المناطق ، ولذا يمكننا بالنسبة لهذه الناحية ان نتارن بين غزة وغيرها في العامين اللذين سبقا الاحتلال فقط ، ويمكن عقد مقارنة للعام ١٩٧٠ على اعتبار ان عملية النزوح قد توقفت تقريبا وان كانت اوضاع القطاع ما زالت غير طبيعية (١٠٢) . والجدول التالي يبين نسبة التسرب في مدارس الانزواء في مناطق عملها الأربع :

جدول رقم ١٩
التسرب في مدارس الانزواء في الدول الخمسة (١٠٢)

	٧٠/٦٦		٦٧/٦٦		٦٦/٦٥								
	ضفة صفة لبنان سوريا	ضفة شرقية غربية	غزة	لبنان سوريا	غزة	لبنان سوريا	غزة الاردن						
١ ابتدائي	٢٤٢	٦	٢٤٨	٥٤٤	٣٥٥	٠٤٤	٢٤٤	٠٤٦	٢٤٤	٢٤٠	٤٤٦	٧٤١	
٢ ابتدائي	٤	٥	٤	٥٤٣	٣٤٢	٠٤٩	١٤٠	٢٤٦	٠٤٧	١٤٦	١٤٢	٢٤٢	٢٤٠
٣ ابتدائي	٣٤٤	٥٤٧	٤٤٣	٤٤٠	١٤٥	١٤٥	٠٤٧	٣٤١	٠٤٧	١٤٩	١٤٦	٣٤٠	١٤٣
٤ ابتدائي	٦٤٨	٩٤٩	٣٤٦	٤٤٥	٢٤٣	٢٤٣	١٤٧	٢٤٨	٠٤٨	٢٤٥	٣٤٠	٣٤٣	١٤٣
٥ ابتدائي	٥٤١	٦	٤	٤٤٣	٢٤٨	٣٤٢	٤٤٥	٤٤٤	١٤٠	٣٤٦	٤٤٩	٣٤٠	١٤٤
٦ ابتدائي	١٠	١٠	٧٤٦	٨	٥٤٢	١٩٤٨	٤٠٤٣	١٠٤٨	٥٤٧	١٦٤٣	٣٠٤٧	٩٤٣	٢٤٤
المجموع	٩	٦٤٨	٤٤٣	٥٤٢	٣٤١	٤٤١	٩٤٩	٣٤٩	١٤٦	٤٤٢	٧٤٦	٣٤٩	٢٤٦
١ اعدادي	١٧٤٥	٣٠٤٦	١٥	١٢	٣٤٧	٨٤٣	٦٤٧	٩٤٠	١٤٥	٦٤٠	٩٤٣	٩٤٥	٥٤٤
٢ اعدادي	١٤	٢١٤٦	١٤	١٧	٤٤٥	٥٤٢	٨٤٧	١٠٤٦	٢٤١	٥٤٨	١٣٤٠	١٤٤١	٦٤٩
٣ اعدادي	١٧	٤٠٤٨	١١٤٥	٢٧	٧٤١	—	٩٤٣	—	—	٦٣٤٠	٨٤٥	١٠٠	٨٥٤٢
المجموع	١٦٤٢	٢٦٤٨	١٣٤٥	١٦٤٧	٥٤١	٤٤٨	٦٤٩	٧٤٧	١٤٢	٢٥٤٣	٢٩	٣١٤٥	

و ٤٪ في الاردن واكثر من ذلك في سوريا ولبنان . وفي عام ٦٧ كانت النسبة في غزة ١٤٦٪ وفي كل من الاردن وسوريا حوالي ٤٪ بينما وصلت الى ١٠٪ في لبنان . وفي عام ٧٠ كانت النسبة في غزة ٣٪ وفي الاردن ٥٪ وفي لبنان ٧٪ وفي سوريا ١٪

يبين الجدول ان نسبة التسرب في غزة اقل منها في مدارس الانزواء في الدول العربية الاخرى ، سواء في المرحلة الابتدائية او اعدادية وفي السنوات الثلاث الواردة في الجدول . في المرحلة الابتدائية كانت نسبة التسرب ٢٤٦٪ عام ١٩٦٦ في غزة

٨٩٩	٢١	٢٠٣	١٢٠	٤ ابتدائي
٨٧٤	٢٥	٢٠٨	٨٩٩	٥ ابتدائي
٨٢٩	٤٥	٥٠٢	٨٧٤	٦ ابتدائي
٨٢٩	١٧١	١٧٤١	١٠٠٠	المجموع

ويمكن ان نستنتج من هذا الجدول الافتراضي انه من اصل ١٠٠٠ طالب يدخلون المرحلة الابتدائية يترك ١٧١ طالبا وطالبة دراستهم قبل انتهاء المرحلة ، وان معظم هؤلاء يتركون دراستهم في الصف السادس والصفين الاول والثاني . وبالتالي فان ٨٢٪ يبدؤون هذه المرحلة يتمكون من متابعة الدراسة حتى نهايتها وهي نسبة لا بأس بها اذا قورنت مع مثيلاتها في الدول العربية . ففي الجزائر كانت نسبة من ينهون المرحلة الابتدائية الى من يدخلونها هي ٤٥٨٪ في عامي ٦٤ و ٦٧ . وفي الكويت كانت النسبة ٩٠.٦٪ في اعوام ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ . وفي مصر كانت النسبة ٧٥٪ بدءا من الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ (١٠٥).

كلفة الطالب : تقدر كلفة الطالب بمعدل ما تنفقه الاتروا بالنسبة للطالب الواحد . وهذه النفقات اما رأسمالية او ثابتة ، واما نفقات متكررة ، تنفق سنويا ، مثل رواتب الموظفين وثمان الكتب والقرطاسية وغيرها . وفي عام ٦٧/٦٦ بلغت النفقات المتكررة للتعليم في غزة ٢٠٣٦٢،٢٩٠ دولارا موزعة كما هو مبين في الجدول رقم ٢١ . (انظر الصفحة التالية) .

يلاحظ من الجدول ان النسبة الكبرى من النفقات تذهب لمرتبات الموظفين اذ تبلغ نسبة المرتبات الى مجموع النفقات ٨٨.٦٪ في المرحلة الابتدائية و ٨٥٪ في المرحلة الاعدادية . وفيما يتعلق بالدول العربية كانت نسبة الرواتب الى مجموع النفقات المتكررة عام ٦٧ في بعض البلدان كما يلي : ٨٠٪ في سوريا ٦٧.٦٪ في مصر ، ٧٥.٥٪ في الاردن ، ٧٠.٦٪ في لبنان (١٠٦) . غير ان هذه تشمل الرواتب الى مجموع النفقات في مختلف مراحل التعليم ولذلك فان المقارنة غير دقيقة . اما بالنسبة لمدارس الاتروا في الدول الاخرى فالجدول رقم ٢٢ يبين النفقات الدورية ورواتب المعلمين وكلفة الطالب .

يلاحظ من الجدول رقم ٢٢ ان نسبة الرواتب الى مجموع النفقات متقاربة في المناطق الاربع لكن الوضع يختلف بالنسبة لكلفة الطالب . فكلية الطالب في غزة اقل من غيرها في المناطق الاخرى وفي مختلف المراحل

واذا نظرنا الى بعض الفصول في المرحلة الابتدائية كلا على حدة نلاحظ الفرق بشكل واضح . ففي الصف السادس الابتدائي كانت نسبة التسرب في كل من المناطق الثلاث تصل الى عدة اضعاف النسبة في غزة وذلك في عامي ٦٦ و ٦٧ اما في عام ٧٠ فقد انخفض الفارق في النسبة بين غزة وغيرها ولكنه ظل مرتفعا اذ كانت هذه النسبة ٥٠٢٪ في غزة و ٧٤.٥٪ في الاردن و ١٠٪ في كل من سوريا ولبنان . اما في المرحلة الاعدادية فان الفارق في نسبة التسرب بين غزة وغيرها كبير جدا . فاذا نظرنا الى هذه النسبة في عام ٧٠ مثلا نجدها في غزة ٥٪ بالنسبة لمجموع المرحلة بينما هي ١٥٪ في الاردن وحوالي ٢٧٪ في لبنان و ١٦٪ في سوريا . واذا نظرنا الى نسبة التسرب في الصف الثاني الاعدادي في العام نفسه نجد ان النسبة في غزة هي ٤٤.٥٪ وفي الاردن ١٥.٥٪ وفي لبنان ٢١.٦٪ وفي سوريا ١٤٪ اي ان نسبة التسرب في غزة في هذا الصف اقل من ثلثها في المناطق الاخرى ، شأنها في ذلك شأن نسبة التسرب بالنسبة لمجموع المرحلة كما لاحظنا .

ظنا انه لا يمكننا ، بسبب طبيعة الفترة التي تتوفر حولها ارقام التسرب ، ان نعرف بالضبط نسبة الذين ينهون المرحلة الى الذين يدخلونها في قطاع غزة . ولكن بالامكان وضع جدول افتراضي استنادا الى ارقام التسرب المعروفة لدينا للعام ١٩٧٠ في كافة الصفوف الابتدائية (الجدول رقم ١٩) ، ولنفترض ان لدينا ١٠٠٠ طالب دخلوا الصف الاول ابتدائي في العام ١٩٧٠ ، خاضعين لبرنامج التربيع الثلاثي ، ولنسبة التسرب نفسها في العام المذكور ، فتكون النتائج الافتراضية لان ينهي المرحلة الابتدائية منهم ، كما هو مبين في الجدول رقم ٢٠ :

جدول رقم ٢٠

نسبة الطلبة الذين ينقطعون عن الدراسة قبل نهاية المرحلة اعتمادا على نسبة التسرب في عام ٦٩-٧٠

الصف	نسبة التسرب		
	عدد	عدد	عدد
١ ابتدائي	١٠٠٠	٢٤٥	٦٦٥
٢ ابتدائي	٩٦٥	٢٤٢	٩٢٤
٣ ابتدائي	٩٢٤	١٤٥	٩٢٠

جدول رقم ٢١

نفقات التعليم المتكررة في غزة لعام ٦٦-٦٧ (بالدولار) (١٠٧)

المرحلة	رواتب الموظفين	الكتب واللوازم	نفقات اخرى	المعدات	المجموع	عددالطلاب	كلفة من	النفقات
الابتدائية	١٤٠٤١٤١١٩	٣١٤٧٨١	٥٢٤٥١٧	٤٩٤١٤٥	١٤١٧٤٤٥٦٤	٤١٤٦١٢	٢٨٤٢	٨٨٤٦
الاعدادية	٦٧١٤٥٨٤	٢٢٤١٤٣	٨٨٤٦١٩	٦٤٢٩٣	٧٨٨٤٧٣٩	١٦٤٨١١	٤٧٤٥	٨٥
الثانوية				١٥٠٤٠٠٠		٨٤٢٦٤	١٨٤١	
تدريب المعلمين				٤١٤١٨٣		٢٧٩	١٤٤	
تدريب مهني	٢٥٤٨٦٥	٢٦٤٣١١	٢٦٤٠٢٧	٦٢٤٠٨٣	١٧٦٤٢٨٦	٣٦٤	٤٨٤٤٢	٢٩٤٥
الادارة	٤٠٤٥١٨							
٢٤٣٦٢٤٢٩٠								

جدول رقم ٢٢

النفقات الدورية في مدارس الاونروا للعام ٦٦-٦٧ (بالدولار) (١٠٨)

النفقات	الرواتب	الرواتب كلفة	النسبة	الامدادية	الرواتب كلفة	النسبة	الثانوية	كلفة
غزة	١٤١٧٤٤٥٦٤	٢٨٤٢	٨٨٤٦	١٤٠٤١٤١١٩	٤٧٤٥	٨٥	١٨٤١	١٥٠٤٠٠٠
	(٤١٤٦١٢)	(١٦٤٨١١)			(٨٤٢٦٤)			
الاردن	٢٥٥٨٧٤٢١٣	٣٨	٩٠٤٦	٢٤٣٤٣٤٨٠٨	٦٦	٨٩٤٨	٢٤	١٧٥٤٠٠٠
	(٦٦٤٧٩٩)	(١٣٤٠٧٥)			(٧٤٢٩٦)			
لبنان	١٤١٠١٤٤٨١	٨٨	٩٦٦٤٣٠٩	٣٥٢٤٢٧٢	٨٧	٣٠٢٤٢٥٦	٥٤	٦٥٤٧٦٠
	(٢١٤١٨٧)	(٣٥٥٠٥)			(١٤٢٢١)			
سوريا	٧٩٢٤٨٦٤	٤٠	٦٩٨٤٣١٤	٤٠٣٤٨٠٨	٨٣	٣٢٤٤٧٢٥	٢٦	٧٩٤٤٨٧
	(١٩٤٧٩٦)	(٦٤٦٢٤)			(٢٤٢٠٥)			

مقارنة في المناطق الاربعة ، (٨٨ ٪ في المرحلة الابتدائية باستثناء الاردن حيث تبلغ النسبة ٩٠ ٪ ، والفرق في كلفة الطالب يعود بالدرجة الاولى الى الفوارق في معدل الراتب الشهري الذي يدفع للمعلم في كل من المناطق الاربعة . ففي غزة كان نصيب الطالب الابتدائي من المرتبات في العام المذكور (٦٧ / ٦٦) ٢٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٤٦ دولارا . ويبدو الفرق واضحا اذا قورن نصيب الطالب الفلسطيني من المرتبات في غزة ، مع نصيب الطالب في المدارس العربية . ففي مصر مثلا بلغ نصيب الطالب الابتدائي في العام نفسه ٩٦٦ جنيها مصريا اي حوالي ٢٣ دولارا ، وفي المرحلة الاعدادية ٢٦٤٥ جنيها اي حوالي ٦٣ دولارا (١٠٩) .

التعليمية . اذ بينما تبلغ كلفة الطالب في المرحلة الابتدائية في غزة ٢٨ دولارا ، تصل الى ٥٢ دولارا في لبنان و ٤٠ دولارا في سوريا . وفي المرحلة الاعدادية تبلغ كلفة الطالب في غزة ٤٧٤٥ دولارا بينما تصل الى ١٠٠ دولار في لبنان وتزيد عن ٦٠ دولارا في كل من سوريا والاردن . وفي المرحلة الثانوية تبلغ كلفة الطالب ، اي معدل الامانة المالية التي تدفعها الاونروا عن الطالب ، ١٨ دولارا في غزة بينما هي ٤٤ دولارا في لبنان و ٣٦ دولارا في سوريا . ان كلفة الطالب كما هو واضح في الجدول متصرفة على كلفته من النفقات الدورية ، التي تتكرر كل عام ، والتي تتكون اساسا من الرواتب التي تدفع للجهاز التعليمي . وبما ان نسبة الرواتب المستحصلة من مجموع هذه النفقات

من مجموع المنح . وينطبق الوضع نفسه على الاقطار الاخرى . ففي العام المذكور قدمت الاتروا ١٠٨٨ منحة جامعية للطلبة الفلسطينيين في المناطق الاربع المضيفة ، كان منها ٨٧ منحة للطلبات اي بنسبة ٨٪ فقط (١١١) . أما بالنسبة لعدد الطالبات في مراحل التعليم الثلاث فلا تتوفر لدينا معلومات حول قطاع السكان الاصليين الا لفترة محدودة وهي تتخصر بين عامي ٥٣ و ٥٩ . ففي عام ٥٦ كان في المدارس الرسمية ٨٢٨٤ طالبا وطالبة في المرحلة الابتدائية منهم ٢٣١٧ طالبة اي ٢٧٪ من مجموع طلاب المرحلة . وفي المرحلة الاعدادية كان هناك ٩٧٧ طالبة من اصل ٤٧٤٦ طالبا وطالبة اي بنسبة ٢٠.٤٦٪ من مجموع طلاب المرحلة . وفي المرحلة الثانوية كان هناك ٢٠٨ طالبات من اصل ٢٨٠٧ طلاب وطالبات اي بنسبة ٧.٤٥٪ (١١٢) فقط ، مع ملاحظة ان الطالبات في المدارس الحكومية لسن بالضرورة من السكان الاصليين بسن ان بينهن طالبات لاجنات . وفي عام ٥٩ كانت نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة كالاتي : ٣٠٪ في المرحلة الابتدائية و ٢٤٪ في المرحلة الاعدادية وفي المرحلة الثانوية ١٥٪ . اما في مدارس الاتروا فالجدول رقم ٢٢ يبين تطور عدد الطالبات في المراحل الثلاث:

جدول رقم ٢٢
اعداد ونسبة الطالبات الى الطلاب في غزة (١١٢)

المجموع		ثانوي		اعدادي		ابتدائي	
المجموع اناث	%	المجموع اناث	%	المجموع اناث	%	المجموع اناث	%
٢٨	١٠٧٦٢	٢٨٤١	٢	١٢	٥٦٤	٦	٢٠٥
٢٨	١٩٩٧	٥١٥٨٩	١٣	٥٧٧	١٧٧	٢٥	٢٢٨٢
٤٦	٢٠٣٧٥	٦٥٨٥٧	٣٧	٨٦٢٠	٣٢٦٠	٤٦	٧٠٧٤
٤٧٤٣	٢١٦٠٣	٦٦٧٤١	٤٨	٧٥٦٨	٤٧٤٦	٨١٢٧	١٧٠٢٦

الثانوية فقد كانت نسبة الطالبات الى مجموع الطلاب مجرد ٢٪ عام ٥٦ وارتفعت الى ٤٨٪ عام ٧٠ ، اي ان الزيادة في المرحلة الثانوية كانت اعلى من الزيادة في المرحلتين الاعدادية والابتدائية . وهذا يدل على مدى اقبال الفتاة على التعلم ، وتخطي العديد من العوامل الاجتماعية التي كانت تدفع الامل لاجراء بناتهم من المدارس في سن معينة هي في العادة دون المرحلة الثانوية ، خاصة وان ٣٠٪ من طلاب المرحلة الثانوية في غزة تتراوح اعمارهم بين ١٨ - ٢٠ سنة (١١٤) . واذا مسا نظرنا الى نسبة الطالبات الى من هن في سن

وفي لبنان يبلغ نصيب الطالب في المرحلة الابتدائية ٤٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٨٦ دولارا . وفي سوريا يبلغ نصيب الطالب الابتدائي ٢٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٥٢ دولارا . وفي الاردن يبلغ نصيب الطالب الابتدائي ٣٦ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٥٩ دولارا (١١٠) .

تعليم الفتاة

ان ملاحظة الارقام الخاصة بالتعليم تبين ان تطورا كبيرا قد طرأ على اقبال الفتاة الفلسطينية على التعليم في المراحل الثلاث على الاقل - الابتدائية والاعدادية ، والثانوية - ولا تتوفر لدينا ارقام حول عدد الطالبات الفلسطينيات في الجامعات . ولكن اذا اخذنا المنح الجامعية التي تقدمها الاتروا للطلبة الجامعيين مقياسا او انعكاسا للوضع الطلابي في الجامعة - وهو امر افتراضي - لاستنتاجنا ان نسبة الطالبات قليلة في الجامعة . وفي هذه الحالة مستبعد الارقام الخاصة بالعام ٦٦ - ٧٠ حيث ترد لأول مرة ارقام تفصيلية بحسب جنس الحاصلين على المنحة .

ففي العام المذكور قدمت الاتروا ٢٨٨ منحة جامعية لطلبة من غزة منها ١٤ منحة للطالبات اي ٥٪ فقط

التعليم من الإناث (الآنما أن هذه النسبة لا تحذف كثيرا عن نسبة الطلاب الى من هم في سن التعليم من الذكور . ففي عام ٦٩ - ٧٠ كانت نسبة الطالبات الى من هن في سن الخامسة عشرة تساوي ٥٧٤٨٪ وهي اعلى من نسبة الطلاب الى الذكور في هذه السن حيث كانت ٥٣٪ . وفي سن السادسة عشرة كانت نسبة الطالبات الى الإناث تساوي نسبة الطلاب الى الذكور . وفي سن

الضامنة عشرة كانت نسبة الطالبات تساوي ١٢٩٪ من الإناث ونسبة الطلاب ٥٢٦٧٪ من الذكور . وفي سن الثامنة عشرة كانت نسبة الطالبات ١٩٠٥٪ ونسبة الطلاب ٢٦٤٨٪ الى من هم في سن التعليم . وفي سن العشرين كانت نسبة الطالبات ٢٠٥٪ ونسبة الطلاب ٤٤١٪ (١١٥) . وهذه نسبة عالية اذا تورنت بغيرها في مدارس المناطق الأخرى التابعة للانزوا كما يتبين من الجدول رقم ٢٤ :

جدول رقم ٢٤

نسبة الطالبات في مدارس الأوتروا الى من هن في سن الدراسة (١١٦) في عام ٧٠/٦٩

غزة	الى الضفة الشرقية		الى الضفة الغربية		لبنان		سوريا	
	الطالبات	الإناث - الطالبات	الطالبات	الإناث	الطالبات	الإناث	الطالبات	الإناث
١٨٣٧	٥٧٤٨	١٦٩١	٣٦٤٦	٩٠٦	٣٥٤٢	٧٠٥	٤٣٤٢	٩٢٠
١٧٠٧	٥٣٤٤	١٠٠٨	٢٣٤٤	٦٨٢	٢٨٤٥	٤٨٥	٢٨٤٧	٧٠٨
١٤٠٤	٤٩٤٣	٦٨١	١٥٤٦	٤٧٧	١٩٤٥	٢٨٩	١٨٤٠	٤٩٣
٦٥٥	١٩٤٥	٢٤٨	٥٤٥	٢٣٧	٩٤٤	١٥١	٩٤٢	٢٠٦
٢٤٩	٦٤٤	٧٦	١٤٢	١١٢	٢٤١	٨٤	٦٤٣	٨١
٨٧	٢٤٥	٣٠	٤٠	٤٠	١٤٢	٣٩	٣٤١	٢٤

ويلاحظ من الجدول ان نسبة الطالبات الى من هن في سن الدراسة من الإناث ، هي في غزة اعلى منها في المناطق الأخرى ما عدا النسبة في سن العشرين اذ تزيد نسبة الطالبات في لبنان عنها في غزة . ففي سن السادسة عشرة مثلا تبلغ النسبة في غزة ٥٣٪ وفي سوريا ٤٤٪ اما في الأردن ولبنان

منها اقل من ٣٠٪ . وفي سن ١٨ تبلغ النسبة في غزة ١٩٤٥٪ وفي سوريا ١٥٤٤٪ وفي كل من الأردن ولبنان اقل من ١٠٪ . وبمقارنة نسبة الطالبات الى الطلاب في غزة بواقع الحال في الدول العربية نلاحظ الفرق لصالح غزة كما يتبين من الجدول رقم ٢٥ :

جدول رقم ٢٥

نسبة الطالبات الى الطلاب في مدارس الأوتروا والدول العربية (١١٧) في عام ١٩٦٧

المرحلة	الدول العربية			الأوتروا		
	مصر	الأردن	سوريا	لبنان	غزة	الأردن
الابتدائية	٣٩	٤٣	٣٣	٤٥	٤٧	٤٥
الإعدادية	٣١	٢١	٢٣	٣٨	٤٨	٣٤
الثانوية*					٤٦	٢٢

* تجدر الملاحظة اولاً ان نسبة الطالبات الى مجموع طلاب المرحلة - المتأهبة للمرحلة الإعدادية - في الدول العربية في الجدول ، هي نسبة الطالبات في المرحلتين الإعدادية والثانوية معا اذ يقسم التقرير الصادر عن المركز الإقليمي والذي أعده مكتب

اليونيسكو في باريس ، التعليم ما قبل الجامعي الى مرحلتين : الأولى وهي الابتدائية ، والثانية وهي الإعدادية والثانوية . كما تجدر الملاحظة ان هذه النسبة تشمل فقط التعليم العام ، ولا تشمل التعليم المهني وتدريب المعلمين . وبالملاحظة

٦٩ - ٧٠ كان ٦٦٤٧٤١ - طالبا ، أي انه ما زال دون ما كان عليه قبل الاحتلال في عام ٦٦ - ٦٧ . كما يلاحظ ان عدد الطلبة انخفض في العام التالي للاحتلال بحوالي عشرة الاف طالب وطالبة . وهذا الرقم يتناسب مع عدد الذين غادروا القطاع نتيجة الاحتلال . ففي عام ٦٧ كان عدد السكان اللاجئين ٣١٦ الفا وعدد الطلبة ٦٧ الفا اي بمعدل ٢١٢ بالالف . واذا ما اعتدنا هذه النسبة نجد ان الـ ٤٥ الف لاجيء الذين غادروا القطاع يجب ان يكون من ضمنهم حوالي عشرة الاف طالب .

ب - الإجراءات العسكرية التي اتخذتها وتتخذها سلطات الاحتلال عديدة وكذلك تأثيراتها . فعلى صعيد المدارس تعرضت مئة المدرسة التابعة للانزوح الى الدمار والسرقة بدرجات متفاوتة . وقدرت الخسائر بـ ٢٢٠ الف دولار ، كما دمرت مدرسة في رفح تدميرا كاملا (١٢٠) . كذلك اقل معهد بيت حانون لتدريب المعلمين بعد استيلاء قوات الاحتلال عليه . وعلى صعيد المعلمين واجهت المدارس مشكلة خاصة . فعند بدء العدوان الاسرائيلي كانت المدارس مغلقة ، وكان حوالي ١٨٠ معلما قد غادروا القطاع لتأدية امتحاناتهم الجامعية في مصر بالدرجة الاولى . وقامت سلطات الاحتلال بابعاد ٤٨ معلما وقتل ستة معلمين اثناء العدوان ، كما ترك العمل بعد العدوان مباشرة او اثناء السنة الدراسية ٤٠ معلما اخر ، فاصبح بذلك ٢٧٤ معلما خارج المدارس (١٢١) . وقد بذلت الوكالة جهودا أدت في النهاية الى السماح لمعظم المعلمين الذين كانوا في القاهزة بالعودة الى القطاع (١٢٢) . ويقول تقرير المندوب العام للانزوح لعام ٦٩ ان الاضطرابات بدأت في غزة في اكتوبر ٦٨ اي بعد افتتاح المدارس مباشرة واستمرت طوال العام . وهذه الاضطرابات تمثلت في التظاهرات والاضطرابات ومنع التجول واغلاق المدارس واعتقال افراد الهيئة التعليمية والطلاب (١٢٣) . ويذكر التقرير انه بين شهر تموز ٦٨ واخر تموز ١٩٦٩ اعتقل ٥٤ موظفا من موظفي الانزوح وأودع ٤٠ منهم السجن لفترات مختلفة بدون محاكمة (١٢٤) . ويذكر تقرير المندوب العام للانزوح لعام ١٩٧٠ انه خلال سنة بدءا من تموز ٦٩ اعتقل ٥٧ موظفا من موظفي الوكالة دون ان توجه اليهم اية تهمة . وفي ١٧ كانون الاول ٦٩ أخذ اثنان من موظفي الوكالة هما مدير التعليم العام ومدير إحدى المدارس ، الى صحراء سيناء ، ورغم مراجعة الوكالة

من الجدول ان نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة هي في غزة اعلى منها في مدارس الدول العربية ، وفي مدارس الانزوح في البلاد العربية الاخرى على حد سواء . ويبدو الفرق واضحا تماما في المرحلتين الاعدادية والثانوية . ففي غزة تبلغ النسبة ٤٨٪ في المرحلة الاعدادية وفي مدارس الانزوح الاخرى اقل من ٣٥٪ . وفي المرحلة الثانوية تبلغ النسبة في غزة ٤٦٪ وفي مدارس الانزوح الاخرى اقل من ٣٠٪ . بينما نلاحظ في الدول العربية ان اعلى النسب كانت في لبنان ، حيث بلغت نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة من الذكور والاثاث ، في المرحلتين الاعدادية والثانوية ٢٨٪ ، واقلها في سوريا حيث كانت ٢٣٪ ، اما في كسل من مصر والاردن فكانت ٢١٪ ، وهي اجمالا اقل منها في غزة بكثير .

بعض المشاكل الناجمة عن الاحتلال

يهيئا في هذا المجال ان نشير الى بعض المشكلات المتعلقة بالتعليم مباشرة والتي نجمت عن الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . ويمكن ايجاز هذه المشاكل بما يلي : أ - النزوح ، ب - الاجراءات العسكرية ، ج - الامتحانات ، د - الكتب المدرسية :

أ - النزوح : يقول المدير العام للانزوح في تقريره الى الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٨ ان نتيجة الامسال الميدانية في غزة كانت مؤلمة ومتواصلة ، وتأثرت خدمات الوكالة بنتائج الحوادث واجراءات «الامن» مثل منع التجول والاستجابات والتوقيف وهدم البيوت . ويعتقد التقرير نفسه ان بين ٤٠ - ٤٥ الف لاجيء مسجل لدى وكالة الفوث قد غادروا القطاع (١١٨) . ان الاثر المباشر والاولي لهذا النزوح هو انخفاض عدد الطلبة في المدارس كما يتبين من الجدول رقم ٢٦ :

جدول رقم ٢٦

اعداد الطلبة اللاجئين منذ الاحتلال الاسرائيلي (١١٩)

سنة	ابتدائي	اعدادي	ثانوي	المجموع
٦٧-٦٦	٤١٩٦٦	١٦٥٥٦	٨٢٦٤	٦٧١٨٦
٦٨-٦٧	٢٨٨٠٠	١٣٥٩١	٤٣١٥	٥٦٧١٤
٦٩-٦٨	٢٩٨٥٨	١٥٩٣٦	٨٠٣٨	٦٣٨٣٢
٧٠-٦٩	٤٢١٤٧	١٧٠٢٦	٧٥٦٨	٦٦٧٤١

ويلاحظ من الجدول ان مجموع عدد الطلبة عيام

بشأنها إلا أنها لم تنلق معلومات كافية من حيث هذا الإجراء (١٢٥)، وبالطبع ما زالت هذه الاعمال مستمرة حتى الآن . ويقول المندوب العام للوكالة في تقريره للعام ٧١ انه جرى خلال العام عدة انتهاكات لحرمة مراكز الوكالة ، وقامت السلطات الاسرائيلية مرات عديدة باستخدام مدارس الوكالة مراكز لتفتيش اللاجئين ، كما قامت بداهسة انشاءات الوكالة بدون ترخيص (١٢٦).

ج - **الامتحانات** : ان مشكلة الامتحانات التي نجحت بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ٦٧ تتعلق بطلية الشهادة الثانوية العامة . فقد وقع العدوان قبل بدء امتحانات هذه الشهادة . والمشكلة التي نشأت هي ان الطلاب الذين ينهون المرحلة الثانوية لا يستطيعون متابعة دراستهم الجامعية ما لم يحصلوا على الشهادة الثانوية العامة ، كما ان الحكومات العربية لا تعترف بالشهادة المحلية في ظل الاحتلال . وكانت السلطات المحلية قد اجرت امتحانا عاما في يناير (كانون ثاني) ٦٨ الا انه لم يعترف به (١٢٧) . وقد استطاع حوالي ٥٠٠ طالب الوصول الى الاردن في حزيران ١٩٦٨ ، وتقدموا لامتحان الشهادة الثانوية العامة (التوجيهية المصرية) ، الا ان المشكلة ظلت قائمة حتى صيف ١٩٦٩ ، اذ نجحت اليونسكو في تنظيم هذه الامتحانات في غزة في شهر اب من ذلك العام . ومنذ ذلك الحين تشرف اليونسكو على الامتحانات بالتشاور مع حكومتي مصر واسرائيل ، وتسلم السلطات المصرية اوراق الاسئلة واوراق الاجابة الى اليونسكو ، كما تعيد اليونسكو اوراق الامتحانات الى السلطات المصرية للتصحيح . ويشرف على الامتحانات مباشرة معلمون من مدارس الوكالة والمدارس الرسمية تحت امرة فريق من الخبراء الدوليين من اليونسكو والاتروا (بلغ عددهم في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ١٠٠٠ معلم و ٢٨ خبيرا دوليا معينين من قبل المدير العام) (١٢٨) . وتقدم وزارة التعليم العالي المصرية في كل عام ١٠٢٠ منحة جامعية لانضال الطلبة الناجحين في الامتحانات ، ويقوم الصليب الاحمر بنقل هؤلاء عبر قناة السويس ، كما تتمهد وزارة الدفاع الاسرائيلية بالسماح لهم بالمعودة في اثناء العطلة الصيفية (١٢٩).

د - **الكتب المدرسية** : بعد العدوان الاسرائيلي اعترضت السلطات الاسرائيلية على الكتب المدرسية التي تدرس في مدارس الاتروا بحجة ان

هذه الكتب تعطي صورة مشوهة من التطورات التي آتت الي قيام اسرائيل . وعن الوضع الذي تلا قيامها ، كما انها تعمل على غرس كراهية اسرائيل في اذهان الاطفال الذين يستعملونها . ثم قامت هذه السلطات بمنع معظم الكتب المستعملة في مدارس غزة (١٣٠) . وقد رفعت الاتروا الامر الى اليونسكو ، المسؤولة عن النواحي الفنية للتعليم في مدارس الاتروا . وفي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٦٧ اجتمع المجلس التنفيذي لليونسكو في باريس واصدر بالاجماع قرارا حول بموجبه المدير العام لليونسكو ان يتعاون مع الاتروا لمتابعة تأمين التعليم للاجئين في المناطق المحتلة وخارجها ، على اساس مبادئ آلتانون الدولي المتعلق بالاراضي المحتلة ، وعلى اساس مبادئ معينة تتضمن المثل الاخلاقية الواردة في دستور اليونسكو ، واعلان حقوق الانسان ، والحق الاولي للاهل في اختيار نوع الثقافة التي تعطى لابنائهم ، واحترام التقاليد الوطنية والدينية واللغوية ... الخ (١٣١) . وتم الاتفاق بعد ذلك بين المدير العام لليونسكو ، والمندوب العام للاتروا على ان تستمر الاتروا ، كاجراء مؤقت ، في استعمال الكتب المدرسية ، التي كانت مستعملة آنذاك ، باستثناء الكتب ، التي حظرتها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة ، ولكن على ان تؤجل الوكالة استعمال اية كتب جديدة قد تبدو معارضة مع القرار الى ان يتم التدقيق في محتواها على ضوء المبادئ الواردة في القرار . ولقد اثار ذلك احتجاج الحكومات العربية ، وعاد المجلس التنفيذي لليونسكو في شهر ايار - حزيران ٦٨ واصدر قرارا جديدا أكد على المبادئ الواردة في القرار السابق ، ووافق على الخطوات التي اتخذها المدير العام ، وخوله متابعة جهوده لتشكيل بعثة من الخبراء تقوم بمراجعة الكتب المدرسية المستعملة في مدارس الاتروا - يونسكو ، ومن ثم ترفع توصياتها للمدير العام ، من اجل الحصول على موافقة الحكومات المعنية وتعاونها . وقامت الاتروا باصدار مذكرات خاصة للتدريس في المناطق المحتلة ، اعدها في معهد التربية التابع للاتروا - يونسكو خبراء في دائرة التعليم في الاتروا في بيروت ، على اساس الكتب التي كانت تستعمل في السابق (١٣٢) . لكن المشكلة استمرت ، وبحث المجلس التنفيذي لليونسكو الامر مرة اخرى في تشرين الاول (اكتوبر) ٦٩ ، واتخذ قرارا (بموافقة ٢٧ صوتا ضد صوت واحد وامتناع ٤) دها حكومة

ورفع الانتاجية الزراعية على الرغم من صغر
ومحدودية الرقعة الزراعية في القطاع . كذلك فان
التعليم العالي ، وخاصة الجامعي ، يمكن ان يوفر
للشباب سلاحا للمنافسة وتأمين العمل في الخارج
ومن ثم رفع مستوى المعيشة لديهم .

(٣) وهناك عدد من الظواهر تعكس ادراك اهالي
القطاع لاهمية التعليم وضرورته كحل لمشاكلهم مثل :
ارتفاع نسبة اقبال على التعلم في مختلف المراحل ،
والارتفاع المحوظ في اقبال الفتيات على التعلم في
شكل خاص ، مما يعكس بالاضافة الى ذلك تغيرا
في المفهوم الاجتماعي لدور المرأة في المجتمع . وكذلك
انخفاض نسبة التسرب بين الطلاب ، اي الذين
ينقطعون عن متابعة دراستهم ، قياسا بمن ينقطعون
عن متابعة الدراسة في مناطق تجمع الفلسطينيين
الآخري .

(٤) ومع ذلك فواقيع التعليم في غزة هو دون
المستوى المطلوب بكثير ، وعاجز عن تأدية دور
لموس في تنمية القطاع وحل مشكلاته . فالتدريب
المهني محدود بحجمه ومستواه ، وهو على سبيل
المثال اقل مستوى منه في الدول العربية المضيئة ،
في حين يفترض العكس ، كذلك لا يوجد مركز
للتدريب المهني النسوي ، برغم اقبال الفتاة على
التعلم وارتفاع نسبة الطالبات في المرحلة الثانوية .
والتعليم الذي تؤمنه وكالة الغوث لآبناء اللاجئين
لا يتعدى المرحلة الاعدادية ، وقد يكون ذلك سببا
في انخفاض نسبة الطلاب في المرحلة الثانوية الى
من هم في سن الدراسة ، كما لاحظنا في البحث .
(٥) ان وضع القطاع الخاص يفترض ان ينال التعليم
بشقيه - الفني والعام - اهتماما خاصا ، وان
يؤمن لآبناء القطاع مستوى من التعليم والتدريب ،
لا يقل ، ان لم يبق ، المستوى المتوفر في السدول
العربية . هذا اذا اريد للتعليم في القطاع ان يكون
موضوعا رئيسيا في خطة تنمية القطاع وتوقيع فرص
العمل لآبنائه ورفع مستوى المعيشة لديهم .

الذي وضع عام ١٩٥٠ والذي يحدد الشخص
الجدير بالمساعدة ينص على ما يلي : « اللاجيء
هو الشخص الذي كانت فلسطين موطنه الطبيعي
لاكثر من عشرين سنة سببا مباشرة نشوب النزاع في
سنة ١٩٤٨ ، والذي نتيجة هذا النزاع فقد بيته
وسبب معاشه » . وقد استثنى هذا التعريف
الضيق اكثر من ٢٠٠ ألف شخص معوز من بين

اسرائيل الى القيام بحورا بازالة اية عقبات تعترض
استيراد الكتب المدرسية التي وافق عليها المدير
العام واستعمالها . وبعد ذلك قدم المدير العام
ليونيسكو تقريرا الى المجلس التنفيذي في دورته
الثالثة امساق بان الاردن وافق على التغييرات
المقترحة في بعض كتبه المدرسية ، وعلى ادخال
هذه التغييرات في الكتب المقررة لعام ١٩٧١/٧٠ .
وان الجمهورية المتحدة اعطت تأكيدات مماثلة ، مع
استمرار سورية على موقفها ، حيث رفضت في
السابق تشكيل لجنة « الخبراء المحايدين » على
اعتبار ان ذلك يشكل تجاوزا لسيادتهما
الوطنية (١٣٣) . وفي شهر ايار (مايو) ١٩٧١ ابلغ
المدير العام لليونيسكو المجلس التنفيذي ، ان
اسرائيل قد سمحت بادخال ٥١ كتابا الى قطاع
غزة وذلك من اصل ٥٨ كتابا اوصى بها (١٣٤) .
وهكذا يتضح ان المشكلة ما زالت قائمة .

خلاصة

أكد هذا الاستعراض لبعض قضايا التعليم في غزة
عددا من النقاط اهمها :

(١) ضيق المجال الاقتصادي في القطاع اساسا ،
اي قبل نكبة عام ٤٨ . وازدادت هذه المشكلة
بشكل حاد اثر النكبة حيث فقدت معظم اراضي
القطاع الزراعية ، كما شكل تدفق اللاجئين اليه
ضغطا سكانيا هائلا على موارده الذاتية المحدودة .
وتؤكد نسبة البطالة المرتفعة (بين السكان
الاصليين واللاجئين) هذه الازمة .

(٢) وانما هذا الوضع ، يبرز التعليم - بشقيه
الفني والعام - كحل اساسي للمشكلة . فالتدريب
الفني المتخصص والمتقدم يمكن ان يساهم في ايجاد
مشاريع وورش صناعية متخصصة ، تستوعب اليد
العاملة من جهة ، وتصدر انتاجها للخارج ، مما
يساعد على تنمية الوضع الاقتصادي في القطاع .
كما ان مثل هذا التدريب يمكن ان يساهم في تطوير

١ - المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم
في الدول العربية ، يهوث الموقدين ، رقم ٣ ،
١٩٦٣ - ٦٤ ، ص ٩ .
٢ - لم تعط الجمعية العامة تعريفا « للاجيء
الفلسطيني » ولكن تعريفا عمليا من قبل مدير
الانروا عمل به آنذاك ، وخضع التعريف نفسه
لتطويرات فيها بعد ، وكان التعريف العملي

من التقارير السنوية للمنحوب العام في السنوات
المذكورة

٢٢ - النسبة مستخرجة من الكتاب السنوي
للإحصاءات العامة ، ج. ع. م. ، ١٩٧٠ ،
ص ١٩ و ١٨ - ١٨٢ .

٢٣ - النسبة مستخرجة من المجموعة الإحصائية
لعام ١٩٦١ ، وزارة التخطيط ، سوريا ، ص
٧١ و ٢٢ .

٢٤ - المركز الاقليمي لتخطيط التربية وادارتها في
البلاد العربية ، يهوث رقم ٢ ، ١٩٦٨ ، ص ٦٩ ،
ص ٦ و ١١ .

٢٥ - هذه الأرقام الخاصة بجموع عدد الطلاب
في مختلف المراحل مأخوذة من نشرة الإحصائيات
الرسمية الصادرة عن ادارة الحاكم الإداري
العام للطعام ١٩٥٥ - ١٩٥٨ .

٢٦ - الأرقام الخاصة بالطلبة اللاجئين مأخوذة من
التقارير السنوية للمنحوب العام للأنروا .

٢٧ - الأرقام الخاصة بالعام ٦٧ مأخوذة من
تقرير دائرة التعليم عن سير العمل للعام
٦٧/٦٦ ، الأنروا ، ص ٤٨ و ٥٩ . أما الأرقام
الخاصة بطلبة السكان الأصليين فهل حاصل
طرح الطلبة اللاجئين من عدد مجموع الطلاب .

٢٨ - المركز الاقليمي ، المصدر السابق ، يهوث
رقم ٢ ، الدورة الطويلة الثامنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .

٢٩ - الأنروا ، دائرة التعليم ، التقرير الإحصائي
للعام الدراسي ٦٦ - ٦٧ ، ص ١٤ .

٣٠ - النسبة مستخرجة من كتاب المؤشرات
الإحصائية ، ل. ج. ع. م. ، ٥٢ - ٦٩ ، و ١٩٧٠ ،
ص ١٠ و ١٥٥ .

٣١ - عدد السكان عام ٥٦ مأخوذ من النشرة
الإحصائية الرسمية ، الحاكم الإداري العام
للتعام ، المصدر السابق .

٣٢ - سكان القطاع الإجمالي مأخوذ من تقرير
عن سير العمل للعام ٦٧/٦٦ - الأنروا - ص
٤٨ . أما عدد اللاجئين ضمن تقرير المنحوب العام
وكما كان هذا العدد في منتصف ١٩٦٦ . تقرير
المنحوب عام ٦٦ ، ص ٦١ .

٣٣ - المصدر السابق .

٣٤ - أعداد السكان والطلاب بحسب السن ،
الأنروا ، المصدر السابق . أما عدد الطلاب
الثانويين فيشمل أيضا طلاب مركز التدريب المهني
وتمهد المعلمين - تقرير عن سير العمل ٦٦ - ٦٧ ،
دائرة التعليم ، ص ٥٩ .

المتضمن الدائري في قطاع غزة وتقرى الحدود في
الأردن وبعض القبائل البدوية وهم الأشخاص
فقدوا أسباب معاشهم دون أن يفتدوا بيوتهم .
راجع : جون ديفز ، السلام المرأوغ ، ترجمة
محمود فلاح ، مكتبة اطلس ، دمشق ، ص
٦٧ .

U.N.R.W.A. P.R. Statistical Bulletin, - ٣
May - June 1951, p. 19.

٤ - الأنروا ، تقرير المنحوب العام ، ١٩٦٧ ،
ص ٦٠ .

٥ - الأنروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن سير
العمل للعام الدراسي ٦٦ - ٦٧ ، ص ٤٨ .

٦ - راجع كتاب الإحصاء السنوي ، الأنروا ،
دائرة التعليم ، ٦٨ - ٦٩ ، ص ٦ .

٧ - الأنروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي
٦٩ - ٧٠ ، ص ١٦ .

٨ - راجع الموجز الإحصائي الإسرائيلي للاعوام
٦٧ - ٧١ .

٩ - الأنروا ، تقرير المنحوب العام ، ١٩٦٨ ،
ص ٧ .

١٠ - المصدر نفسه ، ص ٥ .

١١ - محمد علي خلوصي ، التنمية الاقتصادية في
قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٦ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ،

١٢ - الأنروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي
للعام ٦٩/٧٠ ، ص ١٦ .

١٣ - الموجز الإحصائي السنوي لإسرائيل ،
١٩٦٩ ، ص ٦٢٢ .

١٤ - محمد علي خلوصي ، المصدر نفسه ، ص
٥٧ .

١٥ - محمد علي خلوصي ، المرجع السابق ،
ص ٤٣ - ٤٤ .

B. Todd, Human Resources, Beirut, - ١٦
Nov. 1954, pp. 7-8.

١٧ - محمد علي خلوصي ، المصدر السابق ،
ص ٦٥ .

١٨ - المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٤ .

١٩ - من أجل ذلك كتبنا ، في مركز الأبحاث ،
التي مكتب ادارة الحاكم الإداري العام لقطاع
غزة في القاهرة أكثر من مرة تطلب تزويدنا بهذه
الإحصاءات الا اننا للأسف لم نلتق أي جواب .

٢٠ - محمد علي خلوصي ، المصدر السابق ، ص
٥١ - ٥٢ . وبالنسبة للطلاب : المصدر ذاته ،
ص ٢٩٤ .

٢١ - أرقام الطلاب الخاصة باللاجئين مأخوذة

- ٥٤ - الأتروا ، الموجز الإحصائي ٦٦ - ١٩٧٠ ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- ٥٥ - الأتروا ، الموجز الإحصائي للعام الدراسي ٦٦ - ٧٠ .
- ٥٦ - المصدر السابق ، ص ٣٦ .
- ٥٧ - المصدر السابق ، ص ٧٤ .
- ٥٨ - المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- ٥٩ - المصدر السابق ، ص ٧٧ .
- ٦٠ - المصدر السابق ، ص ٢٨ و ٧٦ .
- ٦١ - المصدر السابق ، ص ٣٧ و ٧٥ .
- ٦٢ - المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- ٦٣ - المصدر السابق ، ص ٨٣ .
- ٦٤ - الأتروا ، تقرير عن سير العمل للعام ٦٦ - ٦٧ ، ص ١٦ .
- ٦٥ - المصدر السابق ، ص ١٦ - ١٧ .
- ٦٦ - بالنسبة للإرقام الخاصة للعام ٦٧/٦٦ ، انظر تقرير عن سير العمل للعام المذكور ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
- ٦٧ - المصدر السابق ، ص ١٨ .
- ٦٨ - المصدر السابق ، ص ١٩ .
- ٦٩ - الأتروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن العام الدراسي ٦٩ - ٧٠ ، ص ٩ .
- ٧٠ - ادارة الحاكم الإداري العام بفلسطين ، نشرة الإحصائيات الرسمية ، ١٩٥٣ ، ص ١٩ .
- ٧١ و ٧٢ - المصدر السابق ، ١٩٥٥ - ١٩٥٨ ، ص ٢٢-٢٣ . ويلاحظ ان هناك فرقاً بسيطاً بين مجموع عدد الطلاب ومجموع عدد الذكور والامات والسبب هو عدم تقسيم طلاب المدارس الخاصة الى ذكور واثات . كذلك يلاحظ انخفاض في عدد الطلبة في المرحلة الإعدادية وارتفاع عدد طلبة المرحلة الثانوية وذلك ناجم عن تصنيف مراحل التعليم حيث كان طلبة ما فوق الابتدائي وخاصة لدى الأتروا يعبرون في المرحلة الثانوية .
- ٧٣ - عدد السكان أخذ من تقرير الأتروا عن سير العمل ، دائرة التعليم ، للعام ٦٦ - ٦٧ وكذلك الطلاب غير اللاجئين في المدارس الرسمية ومعنى ذلك ان العدد المذكور في الجدول لا يشمل طلاب المدارس الخاصة . اما عدد الطلاب اللاجئين فمأخذ من تقرير التدوب العام للأتروا ٦٦ - ٦٧ ، ص ٧٤ .
- ٧٤ - مؤتمر وزراء التربية والتخطيط الاقتصادي في الدول العربية ، مراكش ١٩٧٠ ، احصاءات حول التعليم في الدول العربية ، مكتب الاحصاء

- ٣٥ - المركز الاقليمي ، المصدر السابق ، دورة ٦٨ - ٦٩ رقم ١٤٢١ ، ص ١ ، ٦ ، ٧ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ، بحوث ٢ ، رقم ١٤٢٢ ، ص ٦ .
- ٣٧ - المصدر نفسه ، بحوث ، رقم ١٤٢٤ ، ص ٣ ، ١٦ .
- ٣٨ - المصدر نفسه ، بحوث ، رقم ١٣٦٥ ، ص ١٣ .
- ٣٩ - الأتروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن سير العمل ٦٧/٦٦ ، ص ٤٧ - ٤٨ .
- ٤٠ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي ٦٩ - ٧٠ ، ص ٩ .
- ٤١ - U.N.R.W.A., Progress Report, 67-78, p. 63.
- ٤٢ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٠ .
- ٤٣ - المركز الاقليمي ، بحوث ، الدورة الطويلة ، المصدر السابق ، ص ٣ .
- ٤٤ - الأتروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن سير العمل للعام ٦٦ - ٦٧ ، ص ٥٥ - ٥٦ .
- ٤٥ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٢٢ .
- ٤٦ - الأتروا ، تقرير التدوب لعام ١٩٧٠ ، ص ٨٣ .
- ٤٧ - الأتروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن سير العمل ٦٧ - ٦٨ ، ص ٦٣ .
- ٤٨ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٢٩ .
- ٤٩ - الجهاز المركزي للتعينة العامة والاحصاء ، المؤشرات الإحصائية لـ ج.ع.م. ٥٢ - ٦٩ ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .
- ٥٠ - المركز الاقليمي ، بحوث ، الدورة الطويلة ، ص ١١ . وهذه الأرقام مقتصره على طلبة المدارس الرسمية فقط .
- ٥١ - المصدر السابق ، من رقم ١٤٢٤ ص ١٠ - التعليم الرسمي فقط .
- ٥٢ - الأتروا ، تقرير التدوب العام ١٩٦٨ - ٦٩ ، ص ٣١ .
- ٥٣ - رسالة من غزة . تذكر الأرقام الاسرائيلية ان المدارس الرسمية في القطاع وشمال سيناء كانت عام ٦٩ - ٧٥ مدرسة تضم ٤٤٤١٨٦ طالبا وطالبة بالإضافة الى ١١ مدرسة اخرى فيها ١٢٤٢ طالبا وطالبة . راجع : الموجز الإحصائي الاسرائيلي ، ١٩٧٠ ، ص ٦٤١ .

- التابع للونيسكو ، باريس ، ص ٤٨ و ٥١ و ٥٢ .
- ٧٥ - الأتروا ، تقرير المتدوب العام ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩ .
- ٧٦ - المصدر السابق ، ١٩٦٠ ، ص ١٣ و ١٨ .
- ٧٧ - المصدر السابق ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ و ٢٢ .
- ٧٨ - المركز الاقليمي ، الدورة الطويلة ، المصدر السابق .
- ٧٩ - الأتروا ، تقرير المتدوب العام ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢ - ٢٣ .
- ٨٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
- ٨١ - المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، مكتب اليونيسكو ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ .
- ٨٢ - راجع تقرير المتدوب العام للأتروا للعام ١٩٦٠ ، ص ١٧ - ١٨ . وهو لا يميز بين المرحلة الاعيادية والثانوية . وكذلك تقرير المتدوب للعام ٦٧ ، ص ٧١ - ٧٤ .
- ٨٣ - المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية ، بحوث الموفدين رقم ١ للعام ٦٢/٦١ ، ص ٢٥ .
- ٨٤ - الأتروا ، دائرة التربية ، الموجز الاحصائي ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٩ .
- ٨٥ - اعداد الطلاب . راجع تقرير المتدوب للعام ٦٧ ، ص ٧١ .
- ٨٦ - الارقام الخاصة بالدول العربية مأخوذة من «اهصاءات مقارنة عن التعليم في الدول العربية» المركز الاقليمي للتحقيق التربوي والادارة ، مؤتمر مراكش ، ص ١٤ . اما عدد الطلاب فهو في المراحل الثلاث وليس في الابتدائي والاعدادي فقط .
- ٨٧ - المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، اعداد مكتب اليونيسكو في باريس ، ١٩٧٠ ، ص ١٧ .
- ٨٨ - المعدلات مستخرجة من الجدول السابق .
- ٨٩ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الاحصائي للعام ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٩ .
- ٩٠ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الاحصائي ، ٦٩ - ٧٠ ، ص ٢٠ .
- ٩١ - الأتروا ، دائرة التعليم ، التقرير الاحصائي لعام ٦٦ - ٦٧ ، ص ١١ والتقرير الاحصائي لعام ٦٩ - ٧٠ ، ص ٢٦ .
- ٩٢ - الأتروا ، دائرة التعليم ، التقرير الاحصائي للعام الدراسي ٦٦ - ٦٧ ، ص ١١ .
- ٩٣ - المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ،
- اعداد مكتب اليونيسكو في باريس ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- ٩٤ - الأتروا ، التقرير الاحصائي ٦٦ - ٦٧ ، ص ٦٧ .
- ٩٥ - الأتروا ، تقرير عن العام الدراسي ٦٦ - ٦٧ ، ص ٧٠ .
- ٩٦ - الأتروا ، دائرة التعليم ، التقرير الاحصائي للعام ٦٦ - ٦٧ ، ص ٤٧ .
- ٩٧ - الأتروا ، دائرة التعليم ، التقرير الاحصائي للعام ٦٧ - ٦٨ ، ص ٨٩ .
- ٩٨ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الاحصائي للعام ٦٥ - ٦٦ ، ص ٣٣ .
- ٩٩ - الأتروا ، دائرة التعليم ، الموجز الاحصائي للعام ٦٦ - ٧٠ ، ص ٥٧ - ٥٨ .
- ١٠٠ - الأتروا ، الموجز الاحصائي للعام ٦٥ - ٦٦ ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .
- ١٠١ - الأتروا ، الموجز الاحصائي للعام ٦٩ - ٧٠ ، المصدر السابق ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- ١٠٢ - بدءا من نهاية هذا الوضع . وضع مخطط اسرائيلي جديد للهجرة في القطاع ، ستظهر نتائجه بدون شك على موضوع التعليم بشكل عام ، وموضوع التسرب بشكل خاص في الفترة القادمة .
- ١٠٣ - المصدر السابق ، اي التقارير الإحصائية الصادرة عن دائرة التعليم في الأتروا للسنوات المذكورة .
- ١٠٤ - الرحلة الاعيادية في لبنان اربع سنوات .
- ١٠٥ - المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، المصدر السابق ، ص : ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٩ .
- ١٠٦ - مكتب اليونيسكو ، المصدر السابق ، ص ٦٥ .
- ١٠٧ - تقرير عن سير العمل للعام الدراسي ٦٧ - ٦٨ والميزانية المقترحة للعام ٦٩/٦٨ ، ص ٥٩ - ٦٧ .
- ١٠٨ - الأتروا ، دائرة التعليم ، تقرير عن سير العمل للعام ٦٧ - ٦٨ وبرنامج الميزانية المقترحة للعام ٦٨ - ٦٩ ، ص ٦٩ .
- الارقام بين قوسين تشير الى عدد الطلاب في مدارس الأتروا . اما الطلبة الثانويون فيوجدون في المدارس الرسمية والخاصة .
- ١٠٩ - المركز الاقليمي ، صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية ، عدد خاص ، العدد ١٨ السنة السادسة ، ايلول = كانون الاول

١٩٦٨ ، ص ٢٨ .

- ١١٠ - النسب مستخرجة من الجدول السابق .
١١١ - الاترواء ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي للعام ٦٩ - ٧٠ ، ص ١٢١ .
١١٢ - إدارة الحاكم الإداري العام لقطاع غزة ، نشرة الإحصائيات الرسمية ٥٥ - ١٩٥٨ ، ص ٢٢ - ٢٣ .
١١٣ - المصدر السابق . والاترواء ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي للعام ٦٩ - ٧٠ ، ص : ٤٤٧ ، ٨٥ ، ١١٤ .
١١٤ - المصدر السابق ، ص ٢٤ .
١١٥ - المصدر السابق ، ص ٢٦ .
١١٦ - المصدر نفسه .
١١٧ - النسب الخاصة بالدول العربية مأخوذة من تقرير المركز الإقليمي للتخطيط التربوي والإدارة ، المصدر السابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .
أما الأرقام الخاصة بالاترواء فقد استخرجت من التقرير الإحصائي للعام الدراسي ٦٦ - ٦٧ الصادر عن دائرة التعليم .
١١٨ - الاترواء ، تقرير المندوب العام ، ١٩٦٨ ، ص ٧ - ٨ .
١١٩ - الاترواء ، دائرة التعليم ، الموجز الإحصائي

علاقات إسرائيل مع دول العالم

١٩٦٧ - ١٩٧٠

بقلم

شهادة موسى

١٠ ل.د.

٥١٧ صفحة

تضاف إليها أجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي
٣٠٠ ق.ل. في أوروبا ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر الدول

من منشورات مركز الأبحاث في م. ت. ف.
ص. ب. ١٦٩١ - بيروت

مراجعات

The New Left and the Jews, edited by Mordecai S. Chertoff.
(Pitman Publishing Corporation, New York, 1971).

والقسم الاول من هذا الكتاب ، ويتكون من مقالات كتبها خمسة من اساتذة الجامعات والكتاب البارزين في الدوائر الاكاديمية في الولايات المتحدة الاميركية ، لا يقدم محاولة اصيلة في دراسة حركة اليسار الجديد وعلاقتها بواقع المجتمع الامركي ولا يعالجها معالجة موضوعية ، بل يشتمل في ثناياه على اذانة مخرضة لليسار الجديد ، مشهرا بما يدعوه كاتبوه روحه الهدامة ، وجنوحه الى الايمان بدور النخبة وحكمها ، ورفضه للمجتمع الديموقراطي .

وتجدر الاشارة هنا الى مقالة والتر لاكر الاستاذ المعروف لدى الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة بدراساته حول الشيوعية ، ومن بينها دراسة حول الشيوعية في الشرق الاوسط ، وهي مقالة سبق ان نشرت عام ١٩٦١ ، قبل تبلور حركة اليسار الجديد . ورغم ان مقالته هذه ، وهي بعنوان : « تأملات حول حركات الشباب » لا تتناول بالبحث حركة اليسار الجديد ، فانها ليست بعيدة عن موضوع الكتاب بسبب ما عقده فيها من مقارنة بين مسزاج الشباب الامركي وتوجهاته الفكرية في الستينات ، وبما كان يسود اوساط الشباب في ألمانيا قبل شيوع النازية . فهذه المقارنة التي لم يثبت والتر لاكر من خلالها اوجه الشبه بين الحالتين ببراهين ثابتة او وثائق اكيدة ، سرعان ما التقطها العديد من السياسيين الامريكانيين ، ومن بينهم هنري كيسنجر ، ليتخذوا منها ذريعة للتشهير باليسار الجديد .

وفي واقع الامر ، نجد صدى لهذه الفكرة في مقالة اخرى في هذا القسم من الكتاب ، وضعها كاتبها روبرت نسبت في الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٠ ، وتتناول بصورة اكثر تحديدا وتخصيصا ، حركة اليسار الجديد وتتمهه بخلق ظروف تشابه تلك التي سادت

لقد كان ظهور حركة اليسار الجديد ونموها في الولايات المتحدة الاميركية في النصف الثاني من الستينات ، ومن ثم التزامها نهجا مناوئا للصهيونية ومؤيدا للقضية الفلسطينية بمثابة أول تحد ذي شأن للتأييد والدعم شبه التام الذي كانت تتمتع به اسرائيل ، حتى ذلك الحين ، في الولايات المتحدة الاميركية . وقد خلقت هذه الظاهرة وضما دقيقا للصهيونية لان حركة اليسار الجديد توجهت الى قطاع الشباب والطلاب في المجتمع الامركي وجذبت نحوها جانبها كبيرا منه . وازاء ذلك عمد الصهيونيون ، في سبيل مقاومة هذه الظاهرة ، الى اصدار العديد من الكتب والمقالات ، ونظمو المؤتمرات والنسذوات الموجهة لقطاع الشباب والطلاب ، لا سيما اليهود منهم ، لاتخاذ سمعة اسرائيل وصورتها في اذهانهم . والكتاب الذين نحن بصدد الحديث عنه هنا هو احدى هذه المحاولات الصهيونية . فهو اذ يشتمل على تحليل لواقف اليسار الجديد من وجهة نظر صهيونية ، يبادر لاعطاء « وصفات » متعددة لكيفية التيسل منه والتشهير به ، ويقدم لقطاع الشباب والطلاب بدلا له يتوافق مع اغراض الصهيونية واهدافها .

وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من ١٦ مقالا ، استخلصت عدة مقالات منها من مادة مؤتمر نظمه في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٠ « معهد المستدروت الامركي للتبادل الثقافي » . ولا ينتهي أي من كتابتي مقالات هذا الكتاب الى حركة اليسار الجديد ، رغم ان عددا منهم يصفون انفسهم بانهم يساريون . وقد قام مورداخي شيرتوف ، محرر هذا الكتاب وواضع احدى مقالاته ، بتصنيفه الى قسمين ، يتناول احدهما بالبحث اليسار الجديد وحركات الشباب بصورة عامة ، اما القسم الثاني فيتناول بصورة خاصة موقف اليسار الجديد من الصهيونية واليهود .

الماتيا قبل شيوع النازية. مما قد يؤدي الى ظهور حالة مشابهة في الولايات المتحدة اليوم . ونستطيع القول اجبالا ، ان هذا القسم من الكتاب حول اليسار الجديد بصورة عامة لا يعدو كونه محاولة للتشهير باليسار الجديد بمقارنته وربطه بأحداث ووضعيات لا تمت له بصلة .

اما القسم الثاني من الكتاب ، ويتكون من مقالات بقلم احد عشر كاتباً ، اثنان منها (تشومسكي وعرنوني) هما على صلة ما باليسار الجديد ، فهو ينضح أيضاً بنبرة الادانة للييسار الجديد لا سيما موقفه من الصهيونية واسرائيل . وقد تشذ عن ذلك مقالة « نعوم تشومسكي » بعنوان : « اسرائيل واليسار الجديد » ، والتي تبرىء اليسار الجديد من تهمة اللسامية التي يصمه بها الصهيونيون . وهو يبين ان اليسار الجديد ، ليس بكامله ، مناوئاً للصهيونية ومناهضاً لاسرائيل ، ويستطرد تشومسكي قائلاً ان ذكرى المجازر النازية ، التي يثرها الصهيونيون دائماً ، لم تعد حافظاً حقيقياً للسياسة ، بل ان مأساة الفلسطينيين الحية غدت أكثر أهمية منها . وازاء هذه الوضعية ، يرى تشومسكي ان اليسار الجديد مضطرب وغير سعيد وتسود صفوفه بلبله فكرية حول هذه القضية . ويخصص تشومسكي الشطر الأكبر من مقالته لاثبات آرائه هذه وذلك من خلال استعراض ما يعده كتابات اليسار الجديد . ويخلص تشومسكي في مقالته الى اقتراح تشجيع ودعم حركات اليسار والسلام في اسرائيل ، والا أصبحت اسرائيل مهددة بالارتباط ارتباطاً اوثق بالاوساط العسكرية والشوفينية والامريكية .

أما مقالة البروفسور الإسرائيلي ناثان روتنسترايخ فتنتطوي على محاولة لدحض افكار تشومسكي هذه (وكانت قد وردت في مقال سابق له في عام ١٩٦٩) . ويهاجمه لاعترافه ، جزئياً ، بحق الفلسطينيين ، كما يهاجمه لانتقاده قانون العودة الإسرائيلي معطياً الاولوية في التأكيد على الجرائم النازية باعتبارها أهم من المظالم التي لحقت بالفلسطينيين والتي يثرها تشومسكي .

وتتناول ثلاث مقالات من القسم الثاني ، بصورة محددة ، تأثير اليسار الجديد على اليهود الامريكيين . وتقدم حلولاً متعددة للتصدي له بينهم . مكاتب احدى هذه المقالات الثلاث ناثان غليزر يدحض ما يدعوه نظرية اليسار الجديد الاشتراكية ، ويصر

على ان هناك مصالح يهودية معينة تتجسد ، في نظره ، في « دور اليهود التاريخي » والذي يتمثل في الدأب على استمرار انحصار الإتجاهات المناهضة للسامية ، وفي الالتزام باستمرار وجود اسرائيل . وهو يقول دون اذنى مواربة بما ان اليسار الجديد يعارض جميع هذه المصالح ، فان من مصلحة اليهود وجميع الناس العقلاء ان « يعملوا على اضعاف اليسار الجديد وحصر قوته » (الصفحة ١٥٨) .

وهناك مقالة اخرى في هذا القسم تعالج الموضوع ذاته ، وان كانت تنحون منحى أكثر ليبرالية من سابقتها وهي بقلم توم ميلشتاين الذي يزعم ان اليسار الجديد قد لا يكون بحد ذاته مناهضاً للسامية (باستثناء جماعات سوداء معينة داخلية) ، بيد انه جعل مناهضة السامية امراً شرعياً في الحياة السياسية الامريكية بصورة بات يخشى معها ان تلتقط قطاعات اليمين الواسعة حملة مناهضة السامية هذه مما يعرض الحياة اليهودية في امريكا للمخاطر . أما الوصفة التي يصفها للتصدي للييسار الجديد فهي اعادة احياء ائتلاف الاقليات والحركة العمالية الليبرالي الذي كان قائماً في الستينات .

ويقدم محرر الكتاب ، مورديخي تشيرتوف وصفة ثالثة للتصدي لى اليسار الجديد ، فهو بعد ان يتناول في مقالته ما يدعوه مناهضة السامية في امريكا في اطار تاريخي ثم لى اليسار الجديد اليوم يؤكد على النمو المتزايد لما يدعوه الجماعات « الصهيونية الراديكالية » التي يعدد كثيراً منها ، معتبراً ان في تشجيع هذه الجماعات ارضاء لتوازع اولئك الذين يودون ان يكونوا صهيونيين وراديكاليين في آن واحد .

أما مقالة مناحيم هرنوني في هذا الكتاب فهي بعنوان : « لماذا يحتاج اليسار الجديد اسرائيل ؟ » التي يؤكد فيها يسارته اذ يروي كيف انه بصفتة محرراً لجلة « اقلية مكونة من واحد » (مينوريتي أوف ون) ، حمل ، خلال الستينات ، لواء الدفاع عن الثورة والتحريض في كل مكان من كوبا الى فييتنام ولكن في عام ١٩٦٧ بعد ان دافع عن موقف اسرائيل وجد ان اليسار الجديد قد انفض من حوله فانهارت مجلته ، وهو يخلص في مقالته الى نوع من التبرير الذاتي يزعمه ان اليسار يحتاج اسرائيل مثلاً بحذى « للتقدمية بالأعمال والاصمال لا بالاقوال » ،

ولعل أشد ما يستحق الملاحظة والتوثيق في مجموعة المقالات هذه ما اشتملت عليه من اقتراحات بشأن التصدي للاتجاهات المناهضة للصهيونية في اليسار الجديد . فمن الاقتراحات الموجهة للولايات المتحدة بصورة عامة إعادة احياء الائتلاف الليبرالي بين الاتليات والحركة العمالية ، أما بالنسبة للشباب اليهودي بصفة خاصة « فالوصفة » هي تشجيع « الصهيونية الراديكالية » على نمط اليسار الصهيوني . أما على الصعيد العالمي فتؤكد الاقتراحات على ضرورة احياء صورة امراييل الاشتراكية ومحورها الكيبوتز . وتجدر الإشارة إلى أن الصهيونيين قد اخذوا بهذه الاقتراحات ويطبقونها فعلا ، فلا يتوانى الصهيونيون عن اغتنام أية فرصة للاتصال بالجماعات السوداء الليبرالية ، فعلى سبيل المثال وجهت دعوات لاساتذة الكليات السوداء لزيارة امراييل ، وتتكاثر كالفطر الجرائد والجماعات الصهيونية الراديكالية سواء داخل الجماعات او خارجها وتولها مصادر صهيونية ، كما ظهر هنالك فيض من الكتابات حول بوروخوف وغير ذلك من كتابات اليسار الصهيوني ، وكذلك حول الكيبوتز باعتباره « نموذجا ثوريا » . وقد افلح الصهيونيون بفضل هذه المطبوعات الكثيرة وبواسطة عقد المؤتمرات واقامة الندوات وتأسيس الجرائد والجماعات الصهيونية الراديكالية في استعادة موطئ قدم لهم في الساحة الجامعية ، وليس بوسع الامكنات المحدودة المتوفرة للمقاومة الفلسطينية ان تتصدى لكل هذا الطوفان الدعائي الصهيوني في اوساط الشباب الجامعيين في الولايات المتحدة ، هذا في حين أن الدول العربية ومكاتب اعلامها التي تتوفر لها امكانيات جمة توجه جهودها الاعلامية نحو الأوساط الحكومية حيث تقع على آذان صباه .

لعل من الامثلة النموذجية على الكتابات الصهيونية اليمينية مقالة ماري سيركن في هذا الكتاب . فهي تهاجم اليسار الجديد لدعمه للفلسطينيين وتركز الاهتمام على الحركة السوداء زاعمة ان مناوأة الفهود السود للصهيونية هي من اعراض مناهضة السامية . وتخلص « ماري سيركن » في مقالتها الحافلة بالاحكام الديماغوغية والمغالطات في وقائع تاريخ القضية الفلسطينية إلى تأييد فكرة انشاء كيان فلسطيني على ضفتي الاردن الغربية والشرقية .

وختاما لا بد من الإشارة إلى مقالة سيمور ليبسيت التي اختار عنوانها لها « اشتراكية البلهاء » مستعرا بذلك تشخيص اوغست بيبيل لمناهضي السامية ، ومسبغا اياه على مناهضي الصهيونية . ويرى سيمور ليبسيت ان معارضة اليسار الجديد الدولية لاسرائيل ، ومناوأة الحركات السوداء في الولايات المتحدة للصهيونية تدفعان اليهود أكثر فأكثر إلى موافق محافظة بل ويمينية ، ولتجنب ذلك يشير بشروعة احياء صورة اسرائيل الاشتراكية بالتأكيد على طبيعة نظام الكيبوتزات فيها ، وذلك لنقض تلك الصورة التي تقرن اسرائيل بالاتجاهات اليمينية . وتتردد هذه الفكرة الأخيرة اي فخررة إعادة احياء صورة اسرائيل الاشتراكية ، في كثير من المقالات في القسم الثاني ، وهي مؤكدة بصورة خاصة بوضع مقالة سمعية غلب بعنوان : « الكيبوتز كمجتمع ثوري » في موقع استراتيجي في نهاية الكتاب . ولا تتناول سمعية قلب في مقالتها ، بأية صورة من الصور ، اليسار الجديد وعلاقته بالصهيونية ، بل هي تصف خبرات الحياة في الكيبوتز مؤكدة على ما تعتبره « طبيعته الثورية الاساسية » ، وتخلص من ذلك إلى ان الكيبوتز يمكن ان يكون قوام انسجام ووافق مع اليسار الجديد في الولايات المتحدة والعناصر التقدمية في

جوليانا سعد

امثال جويدي : شجرة الصبر (دار الاتحاد : توزيع دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢)

يد من هم أكبر منها سناً . فالاجوبة التي كانت تطلقها على امثلتها ، ضعفت متلاحقة دفعت الصغيرة الى الاستسلام لانه « اقرب طريق الى السلامة » . الطفلة الساذجة ، كانت تضيق بكلمات « يا لطيف » ، و « هذه ارادة الله » ، بلثبا كان يردد المترججون وهم يجرجرون تنهدات عميقة للتعلق عما يحدث من « خراب ودمار » . امثال جويدي هي التي تضيق ببث هذه الكلمات ، أم وداد ؟ ان المؤلثة هنا تدفع وداد خارج الصورة لتحل محلها ، ولكنها تعود من بعد ذلك ، وتميد المكان الى وداد حين لم تترك هذه ان الخطر بات يحيق بالجميع من كل جانب ، الا عندما رأت والدها بعد تنابل مولوثوف من « كحل العين » . فهي راته وهو « يضع عددا كبيرا من الزجاجات الضخمة الفارغة امامه ويحشوها بقطن بيلل وفي قعر كل واحدة من الزجاجات مسحوق يشبه كحل العين السذي تزين النساء به وبالمسابير المقطومة الراس » .

اذا كان الفن الروائي ليس المهم ، وهذا واضح في رواية « شجرة الصبر » ، فالاهم عند امثال جويدي هو نضج المؤامرات التي كانت تدير ضد فلسطين في الظلام ، وضد المقاومة التي حاولت استعادة فلسطين المسروقة . فقد سردت احاديث الكبار المجتمعين في منزل جد وداد ، وكيف كان حزب « اللحية » ، لحيحة الشيخ أمسر ، يخدم الانكليز واليهود معا . فجد وداد هو الذي قال ان « بعض رجال الدين ، وفي كل الظروف ، يلعب لعبتهم الخطرة العذرة ناسين الله في تلويهم طمعا بالسلطة والتأليه » . وأوضحت امثال جويدي ان الخطر لم يكن مصدره ، رصاص اليهود ومؤامرات الانكليز وحسب ، بل « حملات الاعلام الكاذبة من صحفنا ومنشوراتنا » كانت اكثر خطرا واشد فتكا . ماذا كانت تفعل السلطة حينئذ ؟ كانت توهم الشباب العرب بانهم الشجعان الاغوياء ليركب الفرور انفسهم فلا يخيفهم الخطر المحقق بهم لان عدوهم ضعيف جبان . وكانت تضع الشباب في جو المقاومة الشكلية لاستقطاب العناصر الوطنية المخلصة ، والهائها عن المقاومة الفعالة .

بعد المؤامرات ، وعمليات البيع والشراء التي قام

« انا شجرة الصبر ، لا يمينتي جوع او عطش ، ولا تحرقني شمس او يبيلني مطر . وكل عزيمة مغامرة تفتح لموق اشواكي . من احسب الله والوطن حمدهما على وجودي ، ومن بهما كفر مانقتي بكر مانتحرا انا » بهذه الكلمات تختتم امثال جويدي روايتها الفلسطينية الاولى « شجرة الصبر » . وامثال جويدي هي ابنة القضية المتعترية قبل اي شيء ، ابنة فلسطين ، انها وداد ، ابنة يافا التي لا تنسى رمال شواطئها الاسيرة ، ولا تتيب عن بالها ظلال اشجار البرتقال (اليافاوي) الاصفر . وداد ، ابنة القضية ايضا ، رحلت مع عائلتها من يافا خلال الهجرة الاولى الى لبنان ، ورحلت معها القضية لتتزرع « شجرة صبر » اخرى على امتداد الساحة العربية . ويلاحظ ان الرواية تقسم - في قسم كبير منها - مسيرة المؤلثة الذاتية بساء مستعمارة ، ودون تحديد للزمان . وتلجأ المؤلثة الى الرمز والتجريد في عرضها القصصي لتاريخ القضية الفلسطينية السياسي ، خاصة عند حديثها عن مواقف الانظمة العربية المختلفة ازاء القضية الفلسطينية .

ساق الجنود الانكليز والد وداد الى السجن ، وهي لا تزال في الثامنة من عمرها ، وكانت وصيته قبل ان يعقل الصغيرة ويرحل مكيا بالحديد : « وداد ، وطنك ، امك نفسك » . وبقيت وداد مستيقظة حتى الصباح الذي اطل مع دوي صوت انفجار شديد وقع في خمارة غولدا القريبة . دخان الانفجار الذي تعالى كسان اول اكتشاف في حياة وداد . وتصور المؤلثة هنا ساذجة الطفلة التي اكتشفت ان « النار في الخارج غير نار الموقدة التي تطبخ فوقها الجدة طعام الاسرة » . وتبرز المؤلثة ساذجة الطفلة وداد في مكان اخر من الرواية ، وذلك عندما بدأت وداد في تحديد فهم جديد لمعنى الخوف . « بالخوف من الصرصار غير الخوف من العترب » . والاسرائيلي ليس كالغول ، لان الغول على الاقل « يسكن بعيدا في اعالي الجبال ولا يحضر الا بدعوة من اهلها ، وهم لا يدومونه الا لان نزعها منه يجبرها على تنفيذ الاوامر » . ويرد تصوير الطفلة وداد ، الساذجة البريئة في مكان آخر ايضا ، فهي لا تعرف من الغائون غير تقبيل

نما الإعلام العربي ، ماذا حدث في حوض الوطن
يا صغرتي كحوض الأم لا يذبل عنه مهما تدفق الخير
والجنان من سواه . سمعت وداد هذه الكلمات
من أمها وهم يغادرون شاطئها يانفا على مركب
النزوح ، وتبرز صورة تقطر الما للفرقاء ، إذ قالت
وداد في سرها : « كم بيت بنيت على رماله
الناعمة !! . لقد تهدمت كلها وانهارت . . كما
تهدمت احلامي » . واخفت يانفا وراء الاسق ،
واحست وداد ان كيانها ينفصل عن ذاتها ، وخاطبت
نفسها : « سيكون العقاب مؤلما بقدر الالم الذي
أعيش ، فالجريمة كبيرة ، والجزاء سيكون أكبر » .
وهنا نسج مرة اخرى صوت الكاتبة لا صوت
وداد . فالطفلة الساذجة لا يمكن تحميلها عنف محبة
الارض ، ولا لفة السياسة الناضجة .

تسكن العائلة في احد مخيمات بيروت ، وتتابع
وداد دراستها ، وتحصل على شهادة البوييه
وتعمل معلمة في « مدرسة صبرا » التابعة للاونروا .
البؤس الشديد الذي كان يعاني منه سكان المخيم
دفعها دائما الى التأمل والجلوس على باب المخيم ،
وترك لمخيلتها القيام بالدور . اين ذلك الاسمر
على جواده الابيض ، « ذلك الرجل العظيم الذي
لا يزال يعيش في خاطري . . سيكمل تعليمي
وتخصصي . . سانتظره هنا على باب المخيم ،
سير بي يوميا ويأخذني على صهوة جواده
الابيض » . وتعود الكاتبة الى فضح التآمر وسرده
في روايتها مرة اخرى . الا ان التأمر هذه المرة
مختلف عما فكرته في القسم الاول من الرواية .
انه تأمر اللجسة التي اشرفت على وضع كتب
التدريس في المدارس التابعة لهيئة الامم المتحدة .
مدير المدرسة التي تعمل بها وداد اخلف معها
وطردها من العمل لانها خطرة . « خطرة لانك
تجسسين رؤوس الاولاد بالقضية فتصريفهم عن
دروسهم وتشويه انكارهم البكر » . لقد ادركت
وداد ان الكتب المقررة التي وضعتها لجنة سياسية
خاصة ، لا يمكن ان تخلق ثورة ، ولا يمكن ان
تحرك عنفوان القضية .

المشوق في رواية « شجرة الصبر » ، انطوب
الكاتبة اثناء معالجتها لعلنة الانسان بالارض
والوطن ، ويصلته بالآخرين . ويبدو ذلك من ألم
وداد الشديد « لانتشار الجوع والمرض في كل
مكان » . فسكان المخيم يتحركون « ليقتبوا انهم
احياء فقط » ، و « حتى ان طلاب المدارس الحفاة

أكثر عددا من المتعلمين » . بالرغم من كل ذلك
لم تسمح وداد للياس ان يبط من عزيمتها ، وقالت
« ان استسلم وأعلن ولائي لواقع فرضته علي
ظروف الحياة القاهرة فهذا أمر لا افكر فيه اطلاقا
لن آخني زقتي لك ايها البقعة السوداء المختلة من
جانبتنا » . وعن صلة الانسان بالارض ، تصور
— دون ان تتمكن من اخفاء الاعجاب — مقاه
فلسطينية تقول لليرة الاولى : « ليت اغتضبت
الاعراض كلها ، وبقيت الارض » . وتقرأ ايضا
« ليت ابي غاص بي ، يامي ، ياخي . ليت غاص
بنا جميعا ولم يفاخر بالارض » . استطاعت المؤلفة
ان تعبر عن التصاق الانسان بالارض ، عبر هذه
المقاطع ، بعمق محبته لها ، وبحرارة صلته بها .
القسم الثالث من الرواية ، وهو « الجريمة
والعقاب » ، يظهر في معظمه الهدوء ، ويروي
باسلوب رمزي ذكي . ويعالج علاقة القضية
الفلسطينية بالانظمة العربية . ولجات المؤلفة الى
اعتماد الرمز الذكي والحذر في رسم ابعاد هذه
اللوحة ، فوداد هي القضية ، وجاسر بك واخوته
من ام اخرى هم الانظمة . هناك العديد من المقاطع
في هذا القسم تحرك اعماق القارئ لدرجة كبيرة .
من شدة هذا التحرك ننسى احيانا اننا نقرأ رواية
فلسطينية . نحن ذهب وداد الى مكتب جاسر بك ،
المحسن الكثير ، لطلب مساعدته المادية لاجراء
عملية جراحية لاختها الضريب . « فتحت عينيهما
اللتين اغرورقتا بالدموع ونظرت في عينيه . . كان
الحنان يتدفق من نظراته الحادة كقطرات صقر
متي ، وتدهجت بنظرها لتبقي ابتسامته الصانعة
المشعة تلتصق فوق شفثيه » . ونسى ايضا اننا
أمام رواية فلسطينية حين نقرأ كلمات جاسر بك
التي قالها لوداد . « احبك ، وحبي طاهر كنفك
التي عرفت ، صديقتي ، وامحيتي نفتك » .

حاولت الكاتبة ان تظهر تمرد المرأة وغضبها عبر
وداد . فوالدة وداد « لا تعرف سوى كلمة نعم » ،
ولم تتمكن وداد من دفعها الى التمرد « على الدليل
من الكلام » . الا ان التمرد بدأ واضحا في نفس
وداد التي جاء على لسانها : « انا انسانة احب
التمرد على كل شيء . احب معاندة العبد شرط
ان يكون هذا العبد قويا ، اما الضعفاء فلا يعنيني
من امرهم شيء . اكرههم ، احقرهم ، احقد
عليهم » . جميل ان نقرأ تمرد امرأة ، واجمل من
ذلك ان تكون امرأة فلسطينية .

لأنها لا تقدر ظروفه من جهة ، ولأنها لا توافقه على مواقفه السياسية من جهة ثانية . لقد قالت وداد : « تريدون مني أن أصبح نظاما ، اتصرف ومثق بروتوكولات معينة ، واسير على نمط دولي وعربي معين ... وإثبات كثيرة تجعلني ابدو وكأنني بطلا مسرحية من الدمى المتحركة » .

وتوفق المؤلفة في عرضها لجزرة ايلول ١٩٧٠ في عمان وما تلا ذلك من مواقف سياسية عربية ، في صور رمزية ، أكثر وضوحا ، واشد ذكاء . ولتحاول مرة ثانية فك بعض رموز هذه الصور . حسن ، وهو أخ جاسر بك من أم أخرى ، يقتل اخوي وداد ، حين يامر الملك حسين قوات الابدانية في شن هجمات وحشية على بيوت اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات . ووداد تذهب الى منزل جاسر بك ، مثلما ذهب وفد المقاومة الى القاهرة بعد الجزيرة . وبعد موت عبد الناصر ، استأسد اخوته على المقاومة ، ووضموا وداد في قميص الانهزام ، لأنها قتلت جاسر بك كما ادعوا . وفي المحكمة هتفت : « لا تطلبوا لي البراءة .. فانا يا سادة ، شجرة الصبر .. اشواكي تنطح مواصف الدنيا باسرها . كلما هبت علي عاصفة من الرياح ، رددتها بصلابتي ، فتخالفت تلهث كما يلهث الاسد المهزوم » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها . امثال جويدي ، المؤلفة لا تدعي انها كاتبة رواية محترفة ، وهذا واضح من خلال تطور الرواية نفسها . وهي لا تدعي انها تدخل عالم الرواية ، لان روايتها خلقت من فن الرواية المتكامل . ولذلك تأتي رواية « شجرة الصبر » ، كترسيط اخباري ، مدغم بالصور ، يعرض الاحداث . وبما لا شك فيه ان الكاتبة استطاعت ان تستفيد من اوقات فراغها بشكل جيد ، وتقدم لنا - لأول مرة - رواية افروقت في سطورها - بشجاعة - قضية فلسطين من عشية النزوح الى عشية التضحية . والجديد في الرواية ، اسلوبها البسيط الذي يعتمد على الرمز . انها المرة الاولى التي تترجم بها القضية الفلسطينية السياسية الى رواية ، سجلت المؤلفة عبرها « مسيرة العذاب » الطويلة والدموية ، بالرغم من عدم مرافقة المؤلفة لهذه المسيرة .

مصطفى كركوتي

الرمزية الذكية واضحة تماما في اسلوب المؤلفة ، وهي تعبر - عبر وداد - عن العلاقة بينها وبين جاسر بك واخوته من الام الاخرى ، وعن الشك الذي سيطر على وداد منذ بداية هذه العلاقة . وقد يكون طرح امثال جويدي لهذه العلاقة ، اول طرح جري للعلاقة بين القضية الفلسطينية وبين الانظمة العربية . وتصور المؤلفة هذه العلاقة على انها « كلمة قمار .. مع مقامر لا يجيد اللعب ولكنه يحبه » . ووضح جاسر بك ذلك في سره حين قال : « انا هو ذلك المقامر ، العب حبا بالربح وانتقما من الخسارة . ولكنها هذه المرة لعبة مع مقامر ماهر .. شحذته مرارة الخسارات التي مني بها » . المقامر الماهر ، الذي « شحذته مرارة الخسارات » هو القضية الفلسطينية بعد ان تبنتها المقاومة ، وحمل ابناءها السلاح وبدأوا حروب التحرير الشعبية . وتتوالى الصور الرمزية الذكية ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تصبح صلبة فك الرموز سهلة للغاية . فحين كان يلجأ جاسر بك الى البحر كلما ضاق به الحال طلبا للمساعدة ، كان يقول : « اريد المساعدة يا بحر ، اريد وداد ، اريد ان تنتصر قضيتنا . انتصارها هو انتصار لكل ما قمت به من اعمال في شتى الميادين ، ولكل ما انبتت افكاري ومشاهري الوطنية من مبادئ جديدة .. المهني ايها البحر الصديق كنفسي ، المهني المخرج المشرف » . لتحاول فك رموز هذا المقطع . انتصار وداد هو انتصار القضية ، وانتصار القضية هو انتصار لكل ما قام به جاسر بك من اعمال في شتى الميادين . اذن ، ليس هو الذي اأم القنساء وفي عهده قامت اول وحدة عربية بين دولتين عربيتين ، واجرى تحولات اشتراكية في نظام بلاده ، ورفع من كاهل العامل استغلال الاثرياء وعن ظهر الفلاح سوط الاقطاعي ، وبنى السد ، وزود جيش بلاده باحدث الاسلحة ، وساد مؤتمرات الحياد وعدم الانحياز الدولية .. هذه هي اعمال جاسر بك ، وهو يريد ان يتوج انجازاته هذه بانتصار القضية الفلسطينية . ومن اكثر الصور الرمزية ذكاء ، تلك التي شطحها المؤلفة باسلوب ، هادئ وواضح الالوان ، حين عبرت عن موقف المقاومة الفلسطينية بعد قبول الرئيس الراحل عبد الناصر لمبادرة روجرز في صيف ١٩٧٠ . اذ جسات وداد تخاطب جاسر بك بعد خلاف حاد نشب بينهما ،

ان المعركة التي ربحها شاليت على سعيد القضاء (وخبرها فيما بعد على الصعيد السياسي ، لأن الكنيسة تبني ، يضغط من الأحزاب الدينية ، تشريعا مغيرا لقرار المحكمة) تتجاوز بكثير حدود القرارات الادارية . فخلف الواجهة الادارية التي ارتكبت « خطأ اداريا » عندما رفضت تسجيل تصريح شاليت ، تكمن مسألة مهمة تؤرق الجنون وتتعلق بكيفية تعريف او معرفة « من هو اليهودي » .

ولليهود ، بشكل عام ، من هذه القضية موقفان متباعدان : موقف المتدينين المتزمطين وموقف العلمانيين التحررين . ويتمسك انصار الموقف الاول باحكام « الهالخا » (او الشريعة الدينية التي تستمد احكامها من التلمود) ، و « الهالخا » تعرف اليهودي بأنه الشخص المولود من ام يهودية او المعتنق لليهودية . وإذا كان رجال الدين من اليهود يعارضون كل تعريف غير ديني للشعب اليهودي فلخوفهم من أن يؤدي ذلك الى الاعتراف بوجود فئة من اليهود لا تخضع للتسمية اليهودية . أما أنصار الموقف الثاني فيرون ان كون الانسان يهوديا لا يعني بالضرورة كونه متدينا ، فالانسان يمكن أن يكون يهوديا بثقافته ، أو تقاليده ، أو نشأته ، أو جيوغرافيا ، أو بالاضطهاد الذي عاينه . والصراع بين الموقفين قديم في اليهودية ، وهو الذي دفع بطابعه وحدته الخلافات التي فرت قريتها ، منذ بداية هذا القرن ، بين اليهود الصهيونيين واليهود الاشتراكيين . ولهذا اكتسبت قضية شاليت أهمية خاصة ومغزى كبيرا . ولهذا كذلك سارعت الشخصيات الدينية ، المتزمتة والرموقة ، الى تجريد حملة قاسية على حكم المحكمة العليا . فصرح كبير الحاخاميين الاشكناز انترمان بأن الحكم يتم من وجود « اتجاه هدام » داخل المحكمة ، غرضه « استئصال حجر من أحجار القاعدة التي يرتكز عليها بناء اليهودية » ، ونعني به ذلك الحجر الذي حافظ على نقساة الاسرة اليهودية ضد تسرب الثقافات الاجنبية وهدم اي شكل من اشكال التهجين » . وقال كبير الحاخاميين السفراديم نسيم ان « البلاد ستكتنف هذا الحكم بيديها الاثنتين » ، لانه سيؤدي الى انشقاق بين « يهود اسرائيل ويهود المثلث » .

مؤلف الكتاب يهودي من أصل فرنسي يمارس مهنة التعليم الجامعي في اسرائيل . وهو — كما يصف نفسه — يهودي مؤمن متدين ، يناضل داخل حركة تعمل « من أجل يهودية تستوحى التوراة » . والكتاب استعراض وتحليل للحكم الصادر في 1970/1/22 عن المحكمة العليا في اسرائيل حول قضية شاليت التي اثارته الرأي العام اليهودي وطرحته من جديد مسألة تعريف « اليهودي » . وشاليت ضابط يهودي في البحرية الاسرائيلية متزوج بمسيحية وله منها ولدان ، توجه يوما الى دائرة النفوس وطلب تسجيل ولديه في سجلات الحالة المدنية وفي بطاقات الهوية على انها يهوديان ، فرفض الموظف المسؤول طلبه ، واعتقد القاعدة الدينية ، وسجل الولدين على انها غير يهوديين . ورفع الامر الى المحكمة العليا فحكمت بإمكان تسجيل الولدين كاشخاص « ذوي انتماء الى العرق اليهودي » . ولكنها اشارت الى عدم امكان اعتبارها يهوديين بالنسبة الى أية معاملة تخضع للقضاء الشرعي اليهودي . ورأت المحكمة ان على موظف الحالة المدنية ان يكتبني — طالما ان المشرع لم يغير بعد القوانين المعمول بها — بتسجيل بصريجات المواطنين كما هي ، دون تعديلها او التشكيك فيها ، الا اذا بدا له انها مخلوطة بشكل سافر وشاذ .

ان بطاقات الهوية في اسرائيل تتضمن خاتمة كتب عليها « ليوم » . والغريب ان مضمون هذه الكلمة ما زال موضع جدل بين اليهود أنفسهم . وربما كان تعبير « الإنتماء العرقي » اقرب التفسيرات او المعاني اليها . وقد نصحت المحكمة العليا حكومة اسرائيل بالاقلاع من وضع هذه الخاتمة في بطاقات الهوية ، فرفضت . ولعلها فعلت ذلك لسببين : للحفاظ على علاقات اسرائيل بيهود الخارج ، وللاستمرار في تطبيق القانون الاسرائيلي الذي يميز بين « اليهود » و « العرب » و « الاجانب » .

وابان احتدام الجدل حول قضية شاليت تسال البعض : ان الامر لا يستحق كل هذه الضجة ، فكل ولد متحدر من ام غير يهودية يستطيع اعتناق اليهودية فيها بعد ، وخصوصا عندما يقرر الزواج بيهودية . ولكن القضية اعمق من ذلك وابعد .

وأعلن وزير الشؤون الدينية أن القضية تبس
« جنود وجودنا ، وأنتا لن نخضع لأوامر المحكمة
حول هذا الموضوع » .

ولو عدنا إلى الماضي القريب لوجدنا أن أول مشكلة
من هذا النوع اندلعت في إسرائيل وشغلت الرأي
العام فيها هي مشكلة الطفل ستينبرغ . ففي أواخر
عام ١٩٥٧ ، توفي هذا الطفل المتحدر من أب
يهودي وأم مسيحية ، فرفضت السلطات الروحية
اليهودية السماح بدفنه داخل المقبرة اليهودية .
وكان إسرائيل بار يهودا (العضو في الحزب
الإشتراكي أهدوت هاعفودا) وزيرا للداخلية
آنذاك ، فانتهز هذه الفرصة ووجه إلى إدارات
الحالة المدنية بعض التعليمات التي تتلخص بالسماح
بتسجيل الطفل المتحدر من زواج مختلط كيهودي
إذا رغب والداه في ذلك ، وباعتبار اليهودي « من
يصرح بحسن نية أنه يهودي » (وأضافت الحكومة
إلى ذلك فيما بعد : « ولا ينتهي إلى أية طائفة
دينية أخرى ») .

وأثارت هذه التعليمات ضجة كبرى في البلاد لأنها
حاولت إدخال تعديل على التعريف الديني التقليدي
 لليهودي . وانسحب يومذاك « الحزب الديني
القومي » من الائتلاف الحكومي ، فاضطر رئيس
الوزراء إلى تعليق العمل بهذه التعليمات . وتألقت
لجنة من الوزراء لدراسة مسألة « من هو
اليهودي ؟ » ، وقررت طلب المشورة والرأي من
الشخصيات اليهودية المرموقة . وفي ٣٠ نوفمبر
١٩٥٨ وجهت رسالة شرحت فيها المشكلة إلى
خمسين شخصية تقريبا . وكانت الرسالة تحمل
توقيع بن غوريون . وتلقت اللجنة ٤٥ اجاباة
(٢٠ من إسرائيل و ٢٥ من الخارج) . وقبل أن
تنتهي الحكومة من الاطلاع على الاجابة وطبعتها ،
في نهاية عام ١٩٥٩ ، كانت حدة المشكلة قد خفت
بسبب إجراء انتخابات نيابية جديدة ، وعودة الحزب
الديني إلى التعاون مع الحكومة ، وتبديل وزير
الداخلية . ولهذا قررت الحكومة إلغاء تعليمات
الوزير السابق . ومن اطلعنا على الردود نجد أن
الجميع تقريبا يمارشون فكرة إدخال أي تعديل
على العادات والتقاليد اليهودية المتبعة .

وبعد هذه الحادثة عرفت إسرائيل ، عام ١٩٦٢ ،
حادثة أخرى كان بطلها راهب اسمه دانيال . وهو
يهودي من بولونيا اضطر أثناء الحرب العالمية
الثانية إلى اعتناق الكاثوليكية والدخول في ملك

الرحمة . وعاد يوما إلى إسرائيل وطالب بمنحه
الجنسية الاسرائيلية قورا ، عملا بقانون العودة
الذي ينص على حق كل يهودي « عائد إلى أرض
إسرائيل » في اكتساب هذه الجنسية كاملة . وعندما
رفضت الإدارة طلبه ونصحته بطلب التجنس رفع
الامر إلى المحكمة العليا التي وجدت نفسها
مضطرة إلى حسم الامر وتحديد مفهوم « اليهودي »
الوارد في قانون العودة . وادلى الراهب بعدة
حجج لدعم طلبه ، أهمها أن القانون اليهودي
التقليدي يعتبر « أن كل اعتناق لدين آخر من قبل
اليهودي باطل وكأنه لم يكن » ، وأن اليهودي يبقى ،
على الرغم من ذلك ، عضوا في الاسرة اليهودية .
ورفضت المحكمة طلبه وأصدرت حكما غريبا يمكن
أن يوصف باليهوانية القانونية . لقد اعتبرته
يهوديا في نظر « الهالخا » ، وغير يهودي في نظر
الشعب اليهودي ، لأن هذا الشعب لا يرضى
باعتبار المارق أو المرتد عن الدين يهوديا . ونصحت
الراهب بطلب التجنس إذا أراد أن يصبح
اسرائيليا .

وجاء حكم شاليت يزيد الامر تعقيدا ويشجع بعض
الشخصيات اليهودية المناهضة للتقاليد الدينية
السائدة على الاحتكام إلى المحكمة العليا . وأشهر
الدعاوى وأحدثها هي دعوى العالم النفسي تمارين
الذي طالب بتضمين بطاقة هويته نصا يؤكد انتمائه
إلى القومية الاسرائيلية ، لا إلى القومية
اليهودية . وفي ١٩٧٢/١/٢٠ ، أكدت المحكمة
على أن القوميتين اليهودية والاسرائيلية مفهومان
متلازمان لا ينصلان . وعلقت غولدا مائير على
الحكم ، أمام المؤتمر الصهيوني العالمي ، فأكدت
على أن الجنسية والدين أمران متلاحمان مندمجان ،
وأن الزواج المختلط هو العدو الأول للدولة
اليهودية . وكانت قد أعلنت في عام ١٩٧٠ ، على
أثر صدور حكم شاليت : « أن الحفاظ على بقاء
الشعب اليهودي أهم من وجود دولة اسرائيل
والصهيونية ... ولن تتخلى في القرن العشرين عن
خيار الصلاة ولا عن التمايز » .

ويبدو أن الغرض اليميد للمؤلف من وضع الكتاب
ليس التعليق على قضية شاليت فقط ، بل التأكيد
كذلك على وجوب التمسك بالطابع الديني لإسرائيل
فهو يعتقد أن الصفة الدينية لهذه الدولة هي
التي درأت عنها حتى الآن خطر الانزلاق نحو
العدم . ولهذا نراه ، في أكثر من موضع ، يعمد

التي تفيد « المزاعم » القائلة بأن هذه الضففة أمر مؤقت وعارض تحتمه ظروف إسرائيل الراهنة . انه يجهد ليبرهن على أن النزعة الدينية ما زالت سائدة ومسيطره على جميع اليهود ، على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، وبما فيهم الفئات الاشتراكية المتأدية بالعلمانية . ان اليهود المطالبين بفصل الدين عن الدولة لا يشكلون - في رأيه - الا اقلية ضئيلة لا وزن لها ، وان الاوضاع الراهنة فسي اسرائيل لا تبقى ابدا باقتراب ساعة العمل بنظام علماني ، وان أكبر خطر يهدد تلاحم اليهود ووجودهم ، حتى خارج اسرائيل ، هو تلك النسبة ، التي أخذت ترتفع تدريجياً ، من الشبان اليهود الذين يتزوجون بغير اليهوديات فيبتعدون بذلك عن روح اليهودية .

وآراء المؤلف تفضح الاتجاه الديني التيوقراطي السائد في اسرائيل . وهذا الاتجاه يتعارض كلياً مع الشعارات العلمانية التي رفعها ، او يرفعها ، زعماء الصهيونية . فمهرزل كان يدعي انه يرصد رؤية التيوقراطيين ، في الدولة اليهودية المقبلة ، قابضين في معابدهم كما يقبع الجنود في ثكناتهم . وبن غوريون رفض - حفاظاً على مبدأ العلمانية - ان يتزوج حسب المراسم الدينية . وحاييم كوهن ، القاضي في المحكمة العليا ، تزوج بطلقة حينما كان يمثل اسرائيل في لجنة حقوق الانسان فسي الامم المتحدة . وهو القائل : « اليهودي هو الذي يعتبر نفسه يهودياً » . وهذه المواقف العلمانية لا تتخذ احداً ، او لا تتفق احداً ، اما لانها ليست صادقة ، واما لانها معدومة الاثر والتأثير . لقد قال كاتب يهودي آخر ، هو غاموس الون في كتابه « الاسرائيلون » (الصادر فسي نيويورك عام ١٩٧١) : ان القوة الفعلية للمتدينين في اسرائيل تفوق بكثير قوتهم الانتخابية المتضمنة بالـ ١٥ ٪ من الاصوات . ان لدى القيادة

الاسرائيليين نوعاً من التدين العاطفي ، الزراني ، الاسطوري ، الذي يأتي لتعريف هذه التسوية . وتدين النخبة السياسية (مضافاً الى القسوة السياسية المباشرة التي تتمتع بها الاحزاب الدينية) يتجه اليوم نحو أحداث انقلاب في المبادئ العلمانية التي كان يدين بها قسم كبير من الرعيل الصهيوني الاول .

وبقيت نقطة نود الاشارة اليها . ان المقدمة التي وضعها الناشر لكتاب « من هو اليهودي ؟ » تختلف باتجاهها مع اغراض المؤلف وافكاره . ان الناشر يعجب لاجتماع تسعة متفاعة من الحكماء المسلحين بالعلم والتجربة ، ولمدة عام او اكثر ، من اجل ايجاد حل لقضية تجد حلاً يومياً خارج غرفة المحكمة العليا : في المناقشات التي تدور في المقاهي ، ومن خلال حملات التضامن التي ينظمها يهود العالم ، وغير كل تصرف انتهازي يصندر عن السياسة ، « فليس ثمة احد يطالب بتعريف اليهودي : ان اللاسامية تعرفه كل يوم ... وليس في مناقشة المحكمة العليا اية غرابة . اننا نجد فيها التقليد الكبير للدعاية اليهودية . لقد قيل غالباً ان الدعوية الأكثر لاسامية هي الدعوية اليهودية . ومن المحتمل ان يكون ذلك قد قيل للدلالة على ان الدعوية اليهودية تتميز بمتاح فكري يستدعي البحث المستمر عن التناقض ، والاستبصار في المعارضة ، وقطع الشعرة الى اربعة ، بغية تغيير اللعبة العالمية » .

والخلاصة ان هذا الكتاب جاء يؤكد ، مرة اخرى ، نظرة الصهيونيين الى الدين والقومية . ورفضهم الشديد للفصل بين الاثنين ، وادعاءهم الدائم بأن اليهودية قومية ودين معا . وان كل فصل بينهما يفقد اسرائيل الاساس الذي تقوم عليه .

الدكتور محمد المجنوب

محمود اسماعيل نصيف ، لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل ؟
(النصف الاشراف : مطبعة العربي الحديثة ، بمساعدة نقابة المعلمين العراقية ١٩٧١)

فلبلاقاء الحوار الذي يدعو اليه حول المسألة في مقدمة الكتيب ولابداء بعض الملاحظات حولها .

لا بد من الإشارة هنا الى ان المؤلف لم يوضح بأي شكل من الاشكال ما عناه بكلمة « اللقاء » فجساء بحثه بمثابة نقد (ذاتي الطابع في بعض الاحيان) لما اعتبره اليسار الاسرائيلي ، اكثر مما كان معالجة لامكانية اللقاء معه او مع عناصر مجموعة او فردية منه او ، واهم من ذلك ، مع التحركات المجتمعية التي قد يمثل انعكاسها . ولكن عرضه للييسار الصهيوني يشير الى اضطلاع بالموضوع وذلك على ما يبدو من ابراده للمصادر والكتابات المعنية .

قسم المؤلف اليسار الاسرائيلي الى قسمين : (١) اليسار الصهيوني بما في ذلك احزاب مايباي ورافي واحدوت هعودا ومايام والتي اعتبرها كتلة واحدة نظرا لانتدام الفروق الاساسية فيما بينها وازداد اليها فئات اليسار الصهيوني الجديد مثل فئة ماكي المنشقة عن الحزب الشيوعي وجماعة اوري افيري . (٢) واليسار غير الصهيوني الذي الذي يتشكل برأيه من فئة ترفض الصهيونية واسرائيل ايدولوجيا وتتمسك بها جغرافيا وتتبذل بالحزب الشيوعي ، زاكح ، وفئة اخرى تناهض الصهيونية واسرائيل ايدولوجيا وجغرافيا وتتمثل في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ماتسين . وراح المؤلف يعالج منطلقات هذه الفئات الواحدة تلو الاخرى ومواقفها العملية ليستخلص ما اذا كانت هناك امكانية للقاء معها .

من الملاحظ والمستغرب ان معالجة المؤلف في القسم الاول من الكتيب لاحزاب اليسار الصهيوني - وهي الاحزاب الحاكمة والتي لا تعترف اي من الفئات العربية التقدمية بيساريتها ولا يفكر احد من قريب او بعيد باللقاء معها كما يدرك المؤلف ويقول لنا - قد شغلت القسم الاكبر من البحث . ويطلب المؤلف معالجة هذه للييسار الصهيوني في مجال بحثه في امكانية اللقاء بالقول : « ان بحث هذا اليسار ضروري جدا لعاملين اساسيين هما العلاقة الجدلية القائمة بين هذا « اليسار » واليسار غير الصهيوني وبالتالي نظرا لسيطرة خرافسة اسرائيل الاشتراكية التقدمية ... » . وقام المؤلف فعلا بتنفيذ الادعاءات القائلة باشتراكية اسرائيل

ما يفودنا الى مراجعة هذا الكتيب الصغير (١٠٠ صفحة من الحجم الصغير باحرف متوسطة) ليس بالضرورة اهمية الاراء التي اوردتها بل اهمية المسألة التي طرحها وحاول معالجتها . فمذ تعالي كفاح المقاومة الفلسطينية خلال العقد الماضي ، وخاصة بعد اطلاق شعار الدولة الديموقراطية في المستقبل ، أصبح موضوع امكانيات التلاقي بين مجموعتي السكان الذين سيشكلون مواطني الدولة الفلسطينية الديموقراطية في المستقبل (اي المستوطنين اليهود بما في ذلك المهاجرين من اليهود العرب والسكان الاصليين من عرب فلسطين) مسألة مطروحة في مجال البحث خاصة وان عليها يعتمد الى حد بعيد مستقبل الكفاح العربي ضد الصهيونية .

ومجرد رفع هذا الشعار (هذا ان لم يكن على سبيل الدعاية فقط وهو امر مرفوض) يفترض امكانية قيام اللقاء بين الجماهير الفلسطينية والجماهير اليهودية ان اجلا او عاجلا خلال تطور الكفاح الطويل . والواقع فبان لم تكن امكانية الالتقاء قائمة على اساس في المصلحة المشتركة طويلة الامد ، فان المسألة تعود بنا الى ما كانت عليه في السابق - اي صراع مرير بين جموع اليهود والعرب تنتهي بالتمصية الجسدية او الازاحة السكانية لاحد الطرفين او الاخر . وتصريحات معظم اطراف المقاومة الفلسطينية وتحليلاتهم ومنطلقات نواة اليسار الاسرائيلي تنم عن القبول بانفراض وجود هذه المصلحة المشتركة طويلة الامد مما يفسر اعادة طرح مسألة التحرير على هذه الاسس . الا ان دراسة لوائح المجتمع الاسرائيلي بنيانه الطبقي ومصالحها مثل الدراسة المائلة للشعب الفلسطيني بالنظر الى هذه المسألة ، غير متوفرة رغم كثرة الكتابات السطحية حولها والتي لم تتمكن ، بطبيعة اهتماماتها بتفاصيل التركيبات السياسية الانية ، من حسنها . والواقع ان هذه حالة الكتيب الذي نحن بصدده ، اذ لم يعالج فيه المؤلف اطلاقا الامور الطبقيية والاجتماعية التي يمكن ان تقوم عليها اساس الالتقاء بل اكتفى بطرح امكانيات الالتقاء مع المنظمات اليسارية كما هي قائمة في اسرائيل الآن . وبرغم مما اوصله ذلك الى استنتاجات سطحية ، فلم يخل الكتيب من بعض الامور التي يجدر النظر فيها ان نشيء

والاحزاب التي تعودها بتحلل شعبه ، ربما عموماً ،
بذلك الذي تقدمت به المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية
في المقالة التي اصدرتها عام ١٩٦٧ تحت عنوان
ملاحظات حول اليسار الصهيوني ، هذا بالإضافة
الى ابراده الأدلة عن مصادر اخرى مختلفة بما
فيها بعض الدراسات التي اصدرها مركز الأبحاث .
الا ان المؤلف لم يتم بأي شكل من الأشكال باظهار
او حتى معالجة « العلاقة الجدلية » بين اليسار
الصهيوني واليسار غير الصهيوني مما جعل معالجته
الطويلة لليسار الصهيوني والتي انتهت بالاستنتاج
يعدم امكانية اللقاء معه سانحة وغير ضرورية من
الاساس .

ثم يتناول المؤلف الاحزاب غير الصهيونية التي
بقوله تعترف باسرائيل جغرافيا وليس ايدولوجيا
فعالج موافق الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ركاح
واعترف بايجابياتها ورفض سلبياتها . اما عن حزب
ركاح فقد طرح المؤلف ايجابيات معاداته للصهيونية
على انها اداة للاستعمار وتأييده لحق اللاجئين
الفلسطينيين في تقرير الضرر من حيث العودة او
التعويض وشجبه لعدوان ١٩٦٧ وتأييده حق
المقاومة في المناطق المحتلة في الاردن ومصر
وسورية . واخذ المؤلف على حزب ركاح اعترافه
بالكيان الاسرائيلي وعدم تأييده للكفاح المسلح
لحركة التحرير الفلسطينية . فحلل الاول على ضوء
نظرة ماركس للمسالمة اليهودية وتكرس لئين
للصهيونية ليثبت ان موقف الحزب من الاعتراف
بالكيان الصهيوني يتعارض مع المبادئ الماركسية -
اللينينية التي يرفعها . ويعيد المؤلف تناقضات موقف
الحزب الى الظروف الخاصة التي يعيش فيها داخل
المجتمع الاسرائيلي - بما في ذلك ما يتطلبه انضواء
العرب في عضويته من مناهضة للصهيونية وما
تتطلبه العضوية اليهودية من تجنب اثاره مسألة
وجود الكيان الاسرائيلي - والا هم من ذلك الى
ارتباطه بموقف الدول الاشتراكية المعترفة بالكيان
الاسرائيلي . ويستنتج المؤلف من هذا ، ورغم
المواقف الشجاعة التي يتعرض في سبيلها الحزب
لمضايقات السلطة وارهابها ، « ان امكانية اللقاء
والفهام بين اليسار العربي الذي تمثل قوى الثورة
العربية الفلسطينية احدى طلائمه وبين هذا الحزب
اليوم تبقى بعيدة وغير واردة ، وان اي فرصة
لللقاء غير ممكنة الان وذلك الى ان يقوم حزب ركاح
بإعادة تصوره للمشكلة الفلسطينية ... » . وبهذا
فان امكانية اللقاء لم تستبعد كلياً بالنسبة للمستقبل

رغم انها لم تعالج بأي شكل من الأشكال
وفي الجزء الاخر يتناول المؤلف ما سماه اليسار
غير الصهيوني الرافض للصهيونية واسرائيل
ايدولوجيا وجغرافيا والذي تمطه برأيه المنظمة
الاشتراكية الاسرائيلية - ماتزين . وطرح المؤلف
منظمة ماتزين على انها الوحيدة في اسرائيل التي
تبنت موقفاً ثورياً صحيحاً من القضية الفلسطينية
كما قال انها اول من طرح تحليلاً علمياً موضوعياً
للصهيونية والوجود الاسرائيلي ، مما ادى بها الى
طرح الصهيونية على انها حركة استعمارية
استيطانية وان اسرائيل نتاج استعمار الحركة
الصهيونية للفلسطين تحت رعاية الامبريالية على
حساب الشعب الفلسطيني العربي . ثم عرض
برنامج ماتزين لحل المسألة الفلسطينية بحيث لا
يؤتى على معاقبة العمال والجماعير الاسرائيلية
تكتفياً لذنوب الصهيونية وبحيث يعمل على الغاء
صهيونية اسرائيل من خلال تغيير ثوري عميق يؤدي
الى قيام دولة اشتراكية تشمل مصالح جماهير
سكانها بما في ذلك الغاء « قانون العودة » الصهيوني
وتكثيف عودة كل من يريد من الفلسطينيين العرب
الى البلاد . كما اورد المؤلف قول ماتزين ان تشكيل
الشعب اليهودي في فلسطين ، وان كان مصطنعاً
تاريخياً وعلى حساب السكان العرب المحليين فان
ذلك لا يغير من حقيقة وجود الشعب اليهودي الان .
ولم يتطرق المؤلف الى معنى هذا القول الاخر
فاكتفى بإيزاده دون تعليق عليه ، هذا مع العلم
انه قد نسر بطرق مختلفة ودارت حوله مناقشات
بين مؤيدي المقاومة الفلسطينية ومؤيدي ماتزين في
العرب لا يسعنا الاسترسال حولها في هذه
المرحلة . وراح المؤلف يستنتج ان واقع كون
ماتزين المنظمة الوحيدة التي استطاعت طرح تحليل
ماركسي صحيح لواقع اسرائيل والصهيونية وتقديم
حل ثوري للمشكلة ، قد « يفسح المجال للقول
بإمكانية اللقاء مع هذه المنظمة » على الصعيد
النظري . الا ان المؤلف يستطرد فيقول ان المسألة
المطروحة اليوم « ليست مسألة نظرية ابداً » بل
مسألة صراع مسلح مما يغير الصورة برأيه
ويستوجب النظر فيما اذا سينفذ هذا اللقاء بالنسبة
لقضية الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الوجود
الصهيوني ، والاجابة على هذا السؤال بزعمه
يستلزم النظر في حجم المنظمة وتأثيرها . وهنا يذهب
المؤلف في القول ان ماتزين حركة صغيرة (فئة
عضو بزعم المصادر التي اعتمدها) ولا تشكل

مؤثرا مهما في المجتمع الإسرائيلي رغم اتساع أثرها الاعلامي في الخارج . كما يزعم المؤلف ، دون الاستناد الى أي ادلة او تحليل ، ان ماتزين لا تشكل سوى انعكاس لتيار اليسار الجديد في اوروبا ومن ثمة فلا تمثل تيارا نابعا من داخل المجتمع الإسرائيلي قادرا على التأثير عليه . وهنا يخلص المؤلف الى القول ان هذه المنظمة لا تملك قيمة حقيقية مؤثرة في الصراع العربي الإسرائيلي مما يحتم اسقاط أي حساب للتعاون معها . وهنا ينهي هذا الباحث كتابه بالقول : « ان الدموية الان للقاء مع اليساريين والتقدميين في اسرائيل هي دعوة مرفوضة موضوعيا وعلميا بسبب انعدام وجود المؤثر لليسار الحقيقي في اسرائيل وان على قوى المقاومة الثورية العربية في الوقت الحاضر مواجهة المجتمع الصهيوني بكامله المعيا عسكريا لا قيادته المتمثلة في السلطة الحاكمة فحسب » .

لو حاولنا استخلاص اطروحة البحث بكامله في عبارة واحدة ، ولن يكون في ذلك مبالغة كبيرة ، فنستظهر بوضوح سذاجة المنطلق الذي اتبعه المؤلف . والاطروحة هي انه لا يمكن للقاء مع اليسار الصهيوني لانه صهيوني المنطلق ، ولا يمكن اللقاء مع حزب ركاح لان مواقفه — وهي التي تملي عليه نتيجة ظروف وجوده في المجتمع الإسرائيلي والكيان الصهيوني ونظرا لارتباطه بموقف الدول الاشتراكية المعترفة بهذا الكيان — لا تتفق مع التحليل الماركسي اللينيني الصحيح للمسألة ، ولا يمكن للقاء مع ماتسنين اذ انها حركة صغيرة لا تؤثر على المجتمع الإسرائيلي كثيرا اذ ليست نابعة عن ظروفه الداخلية . اما عدا ما تحتويه هذه العبارة ، فليس في البحث أي طرح اضافي يعالج مسألة اللقاء في حد ذاتها ، هذا رغم ان في البحث عرضا لليسار في اسرائيل قد يفيد قارئه ، ولا مجال للنظر في هذا العرض طالما نحن في صدد الاطروحة الاساسية للبحث . كما انه لا حاجة للنظر في مسألة اللقاء مع اليسار الصهيوني الحاكم في اسرائيل . . . لاسباب من التفاهة نذكرها .

أما عن الحزب الشيوعي ركاح ، وإعتيادا على ما قد يعني بكلمة لقاء ، فرغم سلبيات موقفه من الكفاح المسلح الفلسطيني والكيان الصهيوني ، ثمة أمور تتعلق بمواقفه وتركيبه التنظيمي يجب التطرق اليها خاصة وان المؤلف اهلها . لقد قام هذا الحزب بدور لا يمكن حصره في الدفاع عن المواطن

العربي تحت الاحتلال الصهيوني طوال اربعين عاما وعشرين عاما . وتاريخيا قبل عام ١٩٤٨ ، كان هذا الحزب الجهاز التنظيمي السياسي الوحيد الذي ضم في عضويته العرب واليهود بسواء مجسد في صفونه عمليا ما تم عن المطالبين التي طالما رفعتها الجماهير العربية الفلسطينية — أي الاستقلال للبلاد على ان تضم جميع مواطنيها الحاليين من يهود وعرب . اما بعد اقامة دولة اسرائيل فقد مارس الحزب باستمرار وبشجاعة فائقة الدفاع اليومي عن حقوق العرب ممن تبثوا تحت الحكم العسكري . وفيما تخلت كافة الانظمة العربية آنذاك عن الاهتمام بامر الاقلية العربية الباقية ، وفي حين غابوا عن ادراك معظم الاحزاب والحركات الوطنية التي نشأت في البلدان العربية بعد ذلك ، كان الحزب الشيوعي المخرج الوحيد الذي اتجهت اعداد الاقلية العربية اليه فخرج معظم رواد المقاومة ومفكرها وشعرائها من عداد اعضائه . ويستمد هذا الحزب الذي أصبحت تشكل أغلبية عضويته من العرب بعد انشقاق المساومين من بعض اليهود في عضويته السابقة ، بالدفاع اليومي عن حقوق الاقلية العربية في اسرائيل وتأييد حقوق سكان الاراضي التي وقعت تحت الاحتلال منذ ١٩٦٧ . في هذه المجالات يمكن « اللقاء » مع الحزب الشيوعي ركاح .

أما المنظمة الاشتراكية ماتسنين ، فقد قامت هذه الحركة عام ١٩٦٢ قبل ظهور اليسار الجديد في الغرب بانشقاق مناضليها عن الحزب الشيوعي بعد ممارسة لهم فيه وتضم في قيادتها (وفق مصدر شخصي) عددا من الفلسطينيين اليهود الاصليين ممن أقام آباؤهم واجدادهم في البلاد قبل قدوم موجة الهجرة الصهيونية الاولى في القرن الماضي ، ولا يمكن القول انها لا تشكل سوى انعكاس سطحي لحركة اليسار الجديد في الغرب غير نابع عن ظروف فلسطين التاريخية والحالية . والتحليل الذي قدمته ماتسنين للصهيونية وللليسار الصهيوني بشكل خاص ، والذي يقدر المؤلف صحته كما يقول ويستقي منه شأنه شأن آخرين من الباحثين العرب ، لا يمكن ان يكون قد استخلص الأ من وهي دقيق لظروف المجتمع الإسرائيلي وللحركة التي طبعت معاملة . واستنطاق اليسار الجديد في الغرب لاخبار وتحليلات ماتسنين مما وسع الاعلام عنها بشكل يتوق حجمها الحقيقي كما يقول المؤلف ، لم يأت الا بعد حرب حزيران وتسامد

حركة المقاومة العربية مما وجه انظار المتسامح التقدمي الى داخل المجتمع الاسرائيلي لتنتمي ما اذا كانت هناك تناقضات « مؤثرة » قد تكمن فيه .

وبغياب اي تحد تحليلي جدي لمزاعم اليسار الصهيوني الحاكم من ادعاءات حول المساواة والاشتراكية في اسرائيل ، برزت هذه المجموعة الصغيرة نسبيا من اعضاء حركة ماتسبن وطرحت تحليلاتها واطهرت واقعا كانت قد فشلت الحركة الوطنية العربية من شرحه واطهاره : وهو انه لا يمكن التوجه الى مسألة الحل التقدمي للمشكلة الصهيونية والمشكلة الفلسطينية الناجمة عنه دون تناقل التناقضات التي يحويها المجتمع الاسرائيلي شأنه شأن اي مجتمع رأسمالي آخر بما في ذلك تناقضات الحركة الاسرائيلية مع الهستدروت الذي يدعي النقاوية في مظهره الخارجي هذا بالإضافة الى تناقضات اخرى لم تتصد لها تحليلات ماتسبن من حيث البنيان الاثني للمجتمع الاسرائيلي بما في ذلك من تمييز ضد الاكثرية من اليهود الشرقيين الذين جاؤوا بغالبيتهم الساحقة من البلدان العربية ولا شك ان اتساع الاعلام عن تحليلات ماتسبن هو ما دفع المؤسسة اليهودية داخليا وخارجيا للتضييق على هذه الحركة وعزلها بما في ذلك من الاتهامات التي ارسلت ضد عناصرها مثل القول بالمعالة لفتح . ولم يكن ذلك للحوول دون تسرب تحليلاتهم للمجتمع الاسرائيلي الى الغرب مما يسوء الى سمعة ليبرالية اسرائيل واشتراكيها فحسب بل ، واهم من ذلك ، للحوول دون تسرب تحليلاتهم واتصالهم بالجماهر المسحوقة من الطبقة العاملة الاسرائيلية لئلا يثر ذلك شكوكها وتساؤلاتها حول حقيقة المزاعم والمؤسسات الاشتراكية التي يعيشون في ظلها الفارغة . واتخذت الحملة ضد ماتسبن شكل ادعاءات تقول انهم ليسوا سوى جماعة صغيرة معزولة من المثقفين يرددون العبارات المستوردة من اليسار الجديد في الغرب . وسرعان ما باشرت عناصر مجبري الصهيونية ترديد هذه المزاعم في اسرائيل اصلاً في اوساط الشباب اليهود في الغرب الى ان باتت تلوكها السنة بعض الاطراف العربية محليا — مما ساهمت هذه العوامل جميعها بالواقع في عزل ماتسبن والحد من انطلاق نشاطها وتحليلها .

ان حجم حركة ماتسبن ، او أي حركة سورية اشتراكية اخرى ، ونظراً للقمع والتضييق والعزل الذي لا بد وان تواجهه ، لا يمكن أن يشكل أساساً

لتحديد إمكانية اللقاء في صراع طويل الأمد لا تحدد معاملة سوى الوقائع المجتمعية ، التي ينطلق عنها النضال في صراع مثل الذي تواجهه منطقة شرقي المتوسط . ولا يعني هذا ان ماتسبن ستكون بالضرورة الحركة التي تمثل تحرك الجماهير العاملة للتححر من برائن الصهيونية مع ما يمثله ذلك من زجها في صراع مرير لا يخدم مصالحها الحقيقية في البقاء والتعاضب والتقدم الى الاشتراكية . وقد تنمو هذه الحركة من حيث تأثيرها في الجماهير المسحوقة المقيمة حالياً في فلسطين كما قد تنشأ تنظيمات تعبئة وتسييس جديدة قد تعكس بصدق افضل الظروف المجتمعية القائمة في البلاد ولكن في كل حال فلا بد ان يكون لتحليلات ماتسبن وتحركها أثر في هذه المسألة في طول امد الصراع القائم .

تظاهرة الفهود السود مثلا وربما شبق وضع الكتيب موعداً انطلاقها ، والتي تشكل انعكاساً لواقع مجتمعي هام ، نشأت على أساس مطالب أساسية للمساواة الاثنية بين غربيين وشرقيين في اسرائيل ، ونظراً لعدم إمكانية التركيب المؤسسي الاسرائيلي الذي يهيمن عليه الغربيون من احتوائها لا بد وان تنمو عنها ابعاد سياسية طبقية ، خاصة وان الشرقيين يشكلون اكثرية عمال الانتاج في البلاد . وهكذا فان النظر في مسألة اللقاء ضمن ظروف حداثة حركة نضالية طويلة امد ، لم تتبلور فيها بعد المواقع الايديولوجية ، لا ينطبق على اليسار في اسرائيل وحسب بل وعلى حركة التحرر العربي التي لم تتمكن حتى الان من بلورة تحليلها للظروف المجتمعية العربية الحالية التي فشلت في التصدي للامبريالية ووليدتها الحركة الصهيونية في الماضي والتي ما زالت ضعيفة حتى الان في التصدي لاسرائيل حالياً .

قد يبدو ان المسألة تعتمد على تحديد ما يعني بكلمة اللقاء . وظروف اللقاء في منطلق الدفاع عن الحريات الأساسية متوفرة ليس بالنسبة لركاب وماتسبن فقط بل وحتى بالنسبة للمنظمات غير اليسارية مثل لجنة حقوق الانسان الاسرائيلية التي تدافع باستمرار ضد التمسف الاسرائيلي في المناطق المحتلة . كما ان الالتقاء الايديولوجي ، وهو المتوفر نسبياً في ركاك وماتسبن رغم وجود نقاط تتطلب الحوار وانتظار التبلور ، لا يمكن القول بإمكانية تحوله الى اللقاء في الكفاح المسلح واللقاء التنظيمي بالشكل العفوي الذي طرحه المؤلف بدون الاستناد الى الوقائع المجتمعية التي يقوم

على اسمها . ولكن المسألة قد تتعدى مسألة اللغاء الى المطلق الاساسي الذي بدأ منه المؤلف بحثه .

ان النظر التبسيطي في تنظيمات اليسار القائمة في اسرائيل للاستنتاج النهائي بعدم امكانية اللغاء، دون تحديد معنى اللغاء ، ودون تحديد الاطراف العربية التي يمكن ان يتم اللغاء معها ، قد يتم عن منطلق سلبي كذلك الذي اتبعته الاوساط العربية عامة من تغييض عيونها خلال العقدين الماضيين عن وقائع الظروف الداخلية الاسرائيلية والقول بوحدة الصفوف الطبقيّة فيها مما خدم في خلق امكانية المبادرة للتفاعل مع تناقضات المجتمع الصهيوني والمساهمة في تطويرها ومن ثم اعطى

مجزرا للتعامس عن ابي عمل تجاه مسألة التحرير . ولا يمكن بالواقع الضائق هذه القصة بالمؤلف الحالي دون تردد ، ذلك ان مجرد اشارته لمسألة اللغاء في كتيبه الصفر ابدى منه اهتماما بالمسألة . الا ان الاهتمام لا يكفي ان لم يستند الى منطلق في تقص كامل للامور الاساسية المتعلقة بالمسألة بشكل جدي دون البت فيها بهذا الشكل العفوي الذاتي الذي ينطوي عليه عنوان البحث . ولو كان منطلق المؤلف اكثر ايجابية وقام بالبحث لماذا يتوجب التوجه الى الطبقات المسحوقة في اسرائيل ؟ ، وعالج المسألة بنفس الاستناد الى تحليلات ماركس ولينين لكانت نتيجة عمله اكثر وضوحا وفائدة .

أ. ن. سعد

الطوفان واعادة التكوين ، شعر مريد البرغوثي (دار العودة ، بيروت ١٩٧٢)

ابداعي ، وانما كرويا ذات حدود واضحة . يتقاسم الجبوعة - زمنيا - صوتان ، او طرفان لصوت الشاعر ان صح التعبير . اذ جمع الشاعر في « الطوفان واعادة التكوين » قصائده التي كتبها بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى اواخر العام ١٩٧١ . تشكل الطرف الاول قصائده الاولى في ٦٧ - ١٩٦٨ مع بعض المتفرقات من سنوات سابقة ، في حين تشكل الطرف الاخر قصائده المتأخرة . وموازاة لهذا التقسيم الزمني، نقيبين مرحلتين شعريتين واضحتين بعض الوضوح ، في الاولى يختلط صوت الشاعر وصوت خطواته الخاصة ، بصوت شعراء آخرين، يقف على رأسهم صلاح عبد الصبور فتأثيره على مريد البرغوثي واضح ، في حين ينفرد ، في الثانية، صوتا فيه من الخصوصية غير المفتعلة والحادة الشيء الكثير .

أما ما يتصل بالرؤيا العامة لقصيدة البرغوثي وفق هذين الطرفين ، فنتشكل ، عبر تجربة الشاعر ، من « المنفى » في الاولى - الى « الثورة » او « فلسطين » في الثانية . وعلى هذا الصوء سنحاول ان نطمس مجموعة « الطوفان واعادة التكوين » دون ان نفعل ان الطرفين لا يعينان انفصالا في تجربتين لا علاقة بين بعضهما بعضا ، على العكس من ذلك ، فان نمو « مريد » يبدو

بعد هزيمة ٥ حزيران ، وبعد تنجر القصيدة العربية داخل الارض المحتلة على يد الشعراء الذين اطلق النقاد على نتائجهم اسم « شعر المقاومة » ، بدأ الشباب من الشعراء الفلسطينيين في « المنفى » يبحثون عن سماتهم ، والبحث عن السنة والهوية يعني - شعريا - البحث عن الاصلية ، ولقد عرف من هؤلاء ، بنسب متفاوتة من القدرة الشعرية واصالتها ، عدد غير قليل - موزع هنا وهناك ، على امتداد الارض العربية واتساع المنفى . ولقد سبق « الشؤون فلسطينية » ان استعرضت اصواتهم في « مراجعاتها » المجلدة ، على ضوء صدور مجموعاتهم الشعرية مثل احمد دحبور ووليد سيف ومحمد عز الدين المناصرة ومحمد القيسي وخالد أبو خالد ، وبقي منهم عدد اخر ، ما انفك موزعا في الصحف والمجلات الادبية ، ولم يتح له بعد فرصة اصدار مجموعة شعرية كاملة . ومريد البرغوثي ، اخذ اولئك الشباب ، ولقد أتبح له ان يقدم مجموعته الاولى دون اعتماد شكلي على اصداء سابقة ، فمعظم قراء الشعر سيتعرفون عليه اول مرة ، ربما ، وسيفاجأون ، دون شك ، بموهبة شابة ، كما فوجئت ، وكتابه يعد نموذجا طبيعيا لما تقوم به « المجموعة الشعرية » التي تصدر بين دفتي كتاب ، من لم شتات الشاعر الموزعة هنا وهناك ، واعادة تكوينه ، لا كظلي

— اتداعيا — نموًا طبيعيًا ، «شكائه فكان زلزاله من الشعراء الشباب .. كما ان وضوح تجربته — فلسطينيا — لا تقل مستوى ، ولا تفرد بنزعة اعترالية ، عن الشعراء الشباب الفلسطينيين .

من « المنى » الى « فلسطين » ، هذان هما طرفا الامتداد التي تشتمل عليه مجموعة « الطوفان واعداد التكوين » — كما اشرت . ونستطيع ان نتطلع الى القصائد « المنامي » و « الحفيظ » و « ميحانا » كمناذج تنلمس فيها حدود الطرف الاول من رؤيا الشاعر . فما هو يتطلع في « الخليج » وكأنه يستعيد دون ان يلتفت ، اغتراب الشاعر بدر شاكر السياب ، ليرى الموج يقذف بالحرار من البحار الى الرمال . ويرى الارض وقد هزمت « لا ظل يداعبها ولا تم يسامرها ولا حاد يغنيها » ص ٢٤ . ويرى نفسه غريبا متقطع القدمين يستنزفه المني ، فلا قدرة له عليه ، أمام دروب الشوك والسامر الدبية ، « والوصول ، جرح من الاحباط ينزف : مستحيل » .. هكذا الى ان « تغيب قافلة النهار » .

ان هذا الاحساس بالمني ، يتحول في الرؤيا البسطة والعبارة لهذه القصيدة الى « اغتراب » مجرد ، فالشاعر يحدثك مباشرة ، ولكنه لا يكتب في قصيدة « الحفيظ » . انه هنا يضعك داخل مدينة « اليباب » او « سدوم » ، وفيها يبرز بشكل واضح صوت الشاعر صلاح عبد الصبور لا في تركيب الصورة ، او المسائل الموضوعي المستخدم كجديد لتجربة الشاعر الخاصة ، بل في الرؤيا العابرة بكل تفاصيلها ، ان القصيدة حديث مرير مع « الخريف » القابع في « المدينة الميتة » الخريف بكل ما يحمل من دلالة « الجذب » ، والخواء والجفاف ، ولكن الشاعر يعتد في القصيدة بين معنى « الجذب » ومعنى « المنى » والبعد عن « الامل » او الوطن .

مددت راحتي للسماء اطلب المطر
وعدت بالفيبار في الكمين والعمشى !
فلا تسلني ان ابش في وجوه الزائرين
ما دمت عاجزا عن سقيهم في بيتنا
وبيتنا بعيد

تقرضت جدرانها بالنسب الفئران
وامي العمشى تريدني ، تتوق لي كالماء
لكنني كبيتنا بعيد (ص ٢٩) .

فالجذب والمنى هما وجهان لرؤيا واحدة ، ولكن

الشاعر يحاول في الجزء الثاني من قصيدته « الحفيظ » ان يواجه المدينة — مغفاه للتكوين معادلا كتقوا لغربته ، هي وحدها بشعارها الامرين لا تفتح الشباب !
لا تغفل الشباب !

قادرة على احباطه في ذروة نشوته الانسانية حين تدفع بأفعاها السامة لتشد على « نخلة » جسده وشهوته لتبتيها ، كما تدفع بفئرانها كي تلحق .. منه نطفة الاخصاب

وتلك المدينة ، ايضا ، وحدها بشعارها الامرين ، انما تظل الوجه البشع للخداع والكذب والتشويه ، حيث تعقد من وراء « حجاب الاحتشام » أبشع الصفقات الرذيلة . ولكن الشاعر في اخر القصيدة يعتقد الامل — من اجل سدوم — على الاتين من الاملال ...

في قصيدة « ميحانا » تتضح بعض ملامح المرحلة الثانية لتجربة مريد البرغوثي . فما هو « بطل » يطل في عالم الشاعر ، بين انقاض المدينة الميتة ، وركام الكذب والرصاص والامق الممير بالزور ، ولكنه يظل « بطلا » ، بمعنى الشهادة — الانبعاث ، وهذه الصورة لجدل الثورة سوف تتضح في قصائد المرحلة الثانية ، وهي سمة بارزة في شعر الثورة الفلسطينية بخاصة والعربي بعمامة .

فالبطل — بالرغم من جهد الصحاب الذين يزرعون ولا يحصدون غير « سنابل من الافاعي السود » — يضع رسمة الغريب في الجبال ، يحمل الزيتون والتلال ، وعند موسم الزيتون والجنى سيهطل الغنا .. « وبهذا تعود الحياة ثانية ، ولتخمس تظل في الطرف من القصائد املا يداعب المخيلة ، وتوقا حارا للخلاص .

ان ثمة عشرة أساسية في قصائد البرغوثي ، وأن شئنا الدقة ففي معاملته للغة الشعرية ، فالصورة الشعرية التي تعرفنا عليها في القصيدة الجديدة انما هي صورة حسية في الاساس ، وهذا ما لم يتناسه الشاعر ، ولكن الذي يغفل عنه بعض الاحيان انما هو التجاؤف او انتقاله المفاجئة الى الصورة التجريدية السائبة ، وهي عشرة مترافق معظم قصائد المجموعة ولكن دون ان تشكل هوية جوهرية . ومن السهولة ان تستقط نماذج من هذه الصور المتقطعة السائبة كقولة : « ليل مقتول العيفين ، والريح بيادر محصودة » ؛ او « الوج

الذي يخرج « مرتديا أزار الموت » كما ورد في قصيدة « الفلسطينيين » (ص ٢٠) ، إلى الأرض لينجر منها الماء بكفيه ، « ولا يقف انتظارا لانهمار الغيث ذات نهار » ، وهو الشهيد الذي يعرف ان في موته انبعاثه ، والنذر الذي يخصب منه المستقبل . في قصيدة « موت وراء النهر » (ص ٦٠) تتضح هذه المعادلة اذ تبدأ القصيدة بصوت منفرد:

مت فيها مرتين

مزقوا صدري ووجهي واليدين

وراء النهر آتكم بصدري وبوجهي واليدين ..

ان الموت في الأرض ، ومن اجلها هو الطريق والجسر الى الضفة الثانية . لذلك فان الفدائي - المخلص ، هو الاكتشاف الاعمق لمعنى جدل الثورة ،

كنت يا محبوبتي اغمر خديك بقبلاتي ، فجاءوا هجبوا مثل الضباب ،

قتلوني مرتين ،

فمنيت في حياتي

عندما هم قتلوني !

واليهم اذهب اليوم وزنادي عقاب .

وفي الحركة الرابعة من القصيدة ، يسجل الشاعر هذه المعادلة التي اشار اليها سابقا في صورة الفدائي الذي يخرج الى الأرض « مرتديا ازار الموت » ، يسجلها ثانية بحكمة شعرية اعمق ،

انني والموت جاران وكم يسعني

دورة المفتاح في الباب المجاور

نتلاقى كل يوم ونسافر

في دروب كلنا امتدت بعيدا

ارجعتنا في النهاية

تحت سقطين نعيش الانتظار المتجاور .

ان تجربة يزيد البرغوثي الشعرية ، تجربة أصيلة دون شك ، وأخص منها تجربته المتأخرة الناضجة . فهو فيها غير مستلب ، شعريا ، وغير متشقت او خاضع لاصوات سابقة . وما علي اخرا الا ان الفت نظر الشعاعر ، ثانية ، لما اخذته عليه في التجاءاته المتعددة للصورة المجردة غير الملائمة ، وفي الأمثلة التي أوردتها كتابية ، فيما أظن ..

هوزي كريم

.. يند فوق خرائب الصحراء اغطية الزمن « أو « وفي مناقير الطيور العابرات البحر اغمصان الترقب » و « استبند بك التداخل في الحياة » و « وما زال الغد الآتي حمنانا في حقول الظن » و « ورؤى التخطي والرغاب اللاهثات وراء كتيبان الازل » !! و « عيونهم كحجارة الشط الجديد » ... الخ . ان هذه الصور لا تحتن قدرة القارئ على التخيل او الاستيعاب او المتابعة ، ولكنها بحسب ، تنفر من القصيدة ، عابرة ، سهلة ، لا تعني شيئا .

في المجموعة الثانية من القصائد التي تلي قصائد « الملقى » ، تتضح امامنا صورة البطل الجديد ، فهو لم يعد يحذق في اليباب المحيط ، ولا يجادل المدينة الميتة ، بل هو يبدأ خطوته الاولى مسافرا ، انها نقطة البداية ، في قصيدة « اسفار معاصرة » ، نواجه « بطلا » لا يعرف التعلات ، ولا الامال الباطلة ، او العابرة ، ان خيليه تستدير السى الورا ، نافرة مما ترى ، يبيل العرق اعرافها الغبراء ، والغمد المدلى دون سيف ، وان متركبيه مضوا . وهيمن في المكان « ظل الغيوم كمضرب لخيام قوم هاجروا غربا وما حملوا الخيام » انها صورة أسرة لمعنى العطش الى الخلاص ، الخلاص الذي تجسده ارادة بطل يصرخ رغم كل شيء بانه سيواصل الدنيا .. ويمشي لكي يصل - عبر حياته الجبراء الصلبة - الى المدينة المنتظرة ، حيث يسمع من خلف بيوتها البيضاء التي لا توافذ فيها ولا ابواب اغنية بشرية :

تفتحي ، تفتحي !

يا زهرة البيوت يا مداخل الاسوار

وقدمي لهذا الفارس المسكون بالاسفار

وردة حمراء

أو اغنية عن الوصول .. (ص ٢٨) .

ولكنه البطل - المخلص ، يخطو رغم كل شيء ، فينزع ما اصابه من سهام ويبر ، عابرا ، يحمل في يديه حياته الحمراء ، ليسكبها على سور المدينة ، وصورة البطل المخلص ترتبط بصورة البطل القايي . ولعل هذه الميزة هي من أبرز ميزات الشعر الفلسطيني الجديد ، انه الفدائي

اسحق شيلاف ، تحت شجرة التوت (تل ابيب ، لفين أفشنتين) .

الطريق الأولى نحو تجاوزه فتوة الارتباط السي البلوغ والحرية . وهاتان الشخصيتان هما مرثه وهامبور . والأولى امرأة شابة ، أم لطفلين ، تحمل في قلبها جرحين لم يندملا هما مقتل أبيها على يد العرب ، وعلمية اغتصاب حدثت معها وهي في السادسة عشرة من عمرها ، على يد شابين من العرب من الرعاة . وقد ولد فيها هذان الجرحان كراهية لا جد لها تجاه العرب وزرعا في شخصيتها كذلك بذور المرارة والعنف . وعند انتقالها بالشباب الشاعر، وهي ما زالت بعد تنعم بالحياة في أحضان اسرتها كانت ما زالت علائم العنف واضحة فيها وكانت توجه طريقها في البداية نحو احضان الفتى الشاعر واخيرا الى اغتيال حياتها بالفرق في بحيرة طبرية . والثاني - هامبور - هو شخصية مختلفة تماما . انه انسان في احسن سنواته ، متعلق بحياة البلاد ، ويعرف كنهها وطبيعة سكانها، ويستمتع بحياته ، ويقوم بفلاحة ارضه . وهو - صديق الاب ، الذي كان أيضا صديقا ومعلما لابن - يوجه الفتى الى طريق ميول قلبه . وتحت خشونته ومظالمته تخفى نفس حساسة ، ومحبة للجمال ، وحكمة الحياة العميقة . ولدى كشفه لنفسه للفتى ، يكتسب الفتى بذلك بعدا جديدا ، هو بعد التأمل ، وإمكانية حساب النفس ، والتخلص من العسى . وموت هامبور في سريره ، ذلك الموت المفاجيء ، هو نهاية جازمة للحياة المليئة لإنسان كان يعرف كيف يستمتع بحياته .

وعلى هذه التواعد الثلاث الصلبة ، التي هي أساس قوي لقصة كبيرة، بنى شيلاف حبكة قصصية هزيلة ، تركز على الطبقة العليا ، وليس على العمق . ان دوافع البطل الشاب ، الذي ينفر من المهن الدقيقة ويشتاق الى العلوم الانسانية ، هي دوافع واضحة ومفسرة . كذلك فان علاقته مع صديقه في الحجرة ، والذي يشكل تناقضا شبه كامل بالنسبة له ، قد جاءت من اجل الاستنفاد الفنى . ولكن قضية علاقته مع مرثه والعاصفة التي جاءت في أعقابها وجرفته الى اثبات رجولته على عذرية كل من نورة وسارة - كل هذه القضايا محاكاة بخيوط بيضاء ولم يتم استنفادها للت نهاية .

ويمكن الافتراض بأن مرثه ، تلك الانسانة المنسحقة

كاتب هذه الرواية هو أصلا شاعر ، يجرب من حين لآخر حظه في الكتابة النثرية . ومن الجدير بالذكر انه من أعضاء « حركة اسرائيل الكاملة » العنصرية الصهيونية ، ويعمل مدرسا . والنثر عند اسحق شيلاف ، كما تجلى من العنصر الثالث التي نشرها حتى الان ، يتميز بالطبيعة ، والبطولة وقسوة القدر . والطبيعة عنده هي طبيعة فلسطين في فترة الانتداب البريطاني ، جو تبادل ظلال الرصاص ، والاحداث الدموية بين اليهود والعرب وجو الحركات الارهابية السرية الصهيونية في فلسطين بشتى انتهاءاتها . والبطل عنده شاب ، في فترات مختلفة من حياته ، في محطات مختلفة في طريقه نحو نفسه ، متى حساس ، يمكن ان يكون في شاعريته انعكاسا لمبدعه . وقسوة القدر تتجلى دائما عنده في الموت ، موت المحبين والاعزاء ، الاعزاء والمقربين . وكما حدث في قضية جبرئيل تيروش (روايته الأولى) حيث ماتت اية - فان شيلاف يستجلب الموت كذلك لمرثه ، الشخصية النسائية الرئيسية في روايته الجديدة « تحت شجرة التوت » ، وكذلك لهامبور، الصديق المخلص للفتى الشاعر ، والضلع الثالث للثلاث الابطل الذي يرتكز عليه بناء الرواية كلها .

ان الموت هو حل القاص لمعد الحياة التي يخلقها . وفي حالة عدم وجود حل احسن يقوم بارسال ابطله الى الموت ، كل شخص وفق طريقته الخاصة ، وكل شخص في حينه (أو في غير أوانه احيانا) . وهو بهذه الطريقة يترك القارئ غزعا في مواجهة قسوة القدر وازاء عجز القاص عن ان يدفع ابطله في طرق اخرى ، ربما كانت تحتاج الى جهد أكبر ، ولكن منقطعها يكون اوضح ويكون اقترابها من الواقع ملموسا ومقبولا أكثر . ولكن اسحق شيلاف يصر دائما على اتباع طريقة المبالغة في ردود فعل شخصياته على امتداد الرواية كلها .

و « تحت شجرة التوت » هي قصة بلوغ وخروج فتى مريض ، يعتبر المرض من الملل الوراثية في عائلته التي تصر على ان يكون لها من حين لآخر ضحية من بين اعضاء الأسرة ، اذ توفيت اخته في البداية ، وبعد ذلك والده . والى جانب بطل القصة تظهر شخصيتان تمثلان بالنسبة له علامات

تخطيطات الحب مع ثورة وسارة . ان الاولى كانت بمثابة حدث عرضي ، والثانية - تزوجها اخيرا واحتفظ بها لعدة سنوات ، حسبما يدرك القارئ ذلك من الفلاش باك الذي يحدث حينما يتحدث الفتى بعد ان يبلغ الخمسين من عمره عن تلك الفترة من حياته . واذا كان القاص قد تصد بهذا ان يشير الى ان بطله الضعيف النحيل قد استبد به حبه المحرم ومغامراته مع مرفه ، لدرجة انه أصبح اسدا ممترسا ، ينقض على كل فتاة ، اذن فلماذا اورد على لسان الفتى نفسه كلمات مليئة بالدهشة عن طريقة حياته وعن اعماله هذه ؟ واذا كان قد اراد ان يرمز بذلك الى محاولته التخلص من سيطرة مرفه عليه وذلك باقامته علاقات مع اخريات ، فان الإشارة كانت واهية ، وغير مقنعة .

والجدير بالذكر بين مسطور تلك الرواية ، هو شحنة العنصرية والكراهية التي يكتبها الكاتب باعتباره من غلاة الصهاينة المتطرفين ، من خلال شخصية مرفه ، التي جعلها ضحية للروح العدوانية العربية : تتلوا اباهما ، واغتصبوها ، ولذا فهي تريد الانتقام ، وهي لا تنتقم ولكنها تستخدم عشيقها وسيلة للانتقام من العرب ويكون هذا الانتقام هو بمثابة المدخل الذي يتمكن من طريقته من الولوج الى حياتها وقلبيها .

رشاد الشامي

والتي تسعى للانتقام من العرب ، قد انفقلت من بطولية الفتى ، وذلك حينما هاجم بمسدسه اوتوبييسا عربيا بناء على مهبة مكلف بها من الخلية السرية التي يعمل معها ، ونتيجة لهذا الاحساس ترضخ له وتتورط معه في مغامرة عاطفية . ولكن من هنا وحتى الحب اليائس ، وللانحياز عن طريق اقراق نفسها - المسافة كبيرة . ان مرفه تظهر على الرغم من سمات الرغبة الانتقامية والعدوانية المتأصلة في نفسها تجاه العرب كاتسانة لا تقدر على عمل شيء . انها لا تبذل اي محاولة من اجل تغيير حالتها الاسرية ، او لاستقطاب الفتى اليها حينما قرر قطع العلاقات بينهما . ان تصرفاتها غير متسقة ، وغير منطقية ، كما ان اخطاها ايضا غير منطقية . ان شيلاف قد صور شخصيتها بشكل بدت معه وهي محاطة بالكثير من علامات الاستفهام .

وضمير الفتى - ضمير ذلك الشاعر عضو الحركة الارهابية الصهيونية - الى اين يتجه ؟ ان القاص يشير في اماكن كثيرة من الرواية ، الى ان الفتى كان حائرا في البداية وكان يخشى من زوج مرفه ، عامل الرافعة ، وكان يحلم بأنه يلقي به من فوق الرافعة الى اسفل - ولكنه سرعان ما يتخلص من هذه المخاوف ويقيم معها في بيتها ، ويأكل على مائدته ويتجاهل النقطة الضميرية على الاطلاق . وفيما عدا ذلك : ما الدامي الى ذفع الفتى الى

ثلاثة تقارير عن الولايات المتحدة واسرائيل

وصلت « شؤون فلسطينية » في الاشهر الاخيرة ثلاثة تقارير تتحدث عن جوانب معينة من موضوع اسرائيل والولايات المتحدة . وننشرها في هذا العدد ، والمركبة الانتقائية للرئاسة في اميركا على اشدها . وقد نشر التقريران الاوان بالانكليزية (الاول في ناشيونال جيرانال ٧٢/١/٨ ، والثاني في واشنطن بوست ١٩٧١/٢/٢٠) ، قبل تأييد زعماء الهيئات اليهودية الاميركية مؤخرا لنكسون ، الذي عبر عن مرحلة جديدة في التحالف الاميركي - الاسرائيلي .

التقرير الاول

نيكسون يفتقد العون لاسرائيل دون أن يجني حصادا سياسيا

من اليهود الامريكيين

اندرو غلاس

التي ادت في الخريف الماضي الى توقيع ٧٨ من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي و ٢٥١ من أعضاء مجلس النواب قرارات تحث الحكومة الاميركية على بيع المزيد من طائرات الفانتوم الى اسرائيل . ورغم أن كينين ينسق خطواته مع المسؤولين الاسرائيليين فانه مستقل من السفارة الاسرائيلية ويطبق في تصريف شؤون مهمته اليومية وفي جمع التبرعات . ويفضل كل من كينين والسفير الاسرائيلي ان يحافظ كل منهما على شيء من الاستقلالية عن الآخر في تصريف شؤون مهمته . ويسرى كينين ان على الاسرائيليين ان يحجموا عن القيام بأي عمل سياسي داخل الصراع الحزبي الاميركي ويوافقه الاسرائيليون في ذلك ، اذ يسعون ، عندما تقوم منافسة بين اطراف سياسية محلية ، الى الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع جميع الاطراف ودون تحيز مع طرف ضد اخر . فعندما زارت رئيسة الوزراء فولدا مائير الولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي تمعدت اجراء محادثات مع جميع المتنافسين الرئيسيين على اللوز بترشيح الحزب الديمقراطي لمركبة الرئاسة الاميركية . ويقول كينين انه عندما تظهر هناك مشكلة حيوية ، يبادر الى الاتصال

بمعتقد ماير فيلدمان ، وهو محام يهودي في واشنطن، ان السفارة الاسرائيلية في واشنطن تختلف عن أية سفارة أخرى في العاصمة الاميركية من حيث أن لها رعيتهما الخاصة بها من الامريكيين . وقد سبق لماير فيلدمان هذا ان قام في عهد الرئيس كينيدي بدور حلقة الوصل بين الرئيس كينيدي واليهود الامريكيين ، وهو يقول في هذا العدد : « تجسد الحكومة الاميركية نفسها ملزمة بان تأخذ في الحسبان وجهة نظر اليهود الامريكيين الذين تربطهم بالدولة اليهودية [اسرائيل] روابط عاطفية . فعندما تتحدث الحكومة الاميركية الى السفارة الاسرائيلية تدرك انها تتحدث كذلك الى قوة سياسية في داخل الولايات المتحدة » . ويتفق مع هذا الرأي آي. ال. كينين الذي يتولى منذ الحرب العالمية الثانية تنسيق الاتصالات بالمسؤولين والسياسيين الامريكيين واجراء « التطبيقات » السياسية وممارسة التأثير والتفوذ عليهم لمصالح اسرائيل . ويعبر كينين عن واقع هذه العلاقة قائلا : « ان السفير الاسرائيلي في واشنطن ليس مبعوثا الى الحكومة الاميركية محسب ، بل هو مبعوث كذلك ، بصورة ما ، الى اليهود الامريكيين » . وتعمزى الى كينين الحملة السياسية

بعض المسؤولين في البيت الأبيض قد استقلوا ، بينهم وبين أنفسهم ، أصوات اليهود من الحساب ، كما يخشى بعض الزعماء اليهود أن تكون قوة اليهود الأمريكيين السياسية هي في هبوط . ويبدو أن الرئيس نيكسون يتخذ موقفا متوازنا إزاء هذا الوضع ، إذ يروى عنه أنه أبلغ حاكم إحدى الولايات الكبرى قائلا : « انني لست مدينا بشيء لليهود الأمريكيين ، ولكنني لن أدع ذلك يؤثر في دعمي لإسرائيل » .

إن موقف اليهود الأمريكيين إزاء الرئيس نيكسون يظل يشوبه الفتور رغم أنه زود إسرائيل بمساعدات عسكرية هائلة فاقت في السنة الماضية وحدها سبعة أضعاف ما زودها به الرئيس جونسون في أكثر سنة من سنوات حكمه . ففي عام ١٩٧١ ، بلغت قيمة مبيعات الأسلحة الأمريكية لإسرائيل ٦٠٠ مليون دولار بما فيها الأعداد الأخيرة من ٨٦ طائرة فانتوم كان قد اتفق على بيعها في سنة سابقة ، هذا في حين أن قيمة أكبر قدر من السلاح الأمريكي تملكته إسرائيل في سنة واحدة خلال عهد جونسون لم تتجاوز ٨٠ مليون دولار .

وقد تحدث الرئيس نيكسون في ٢ كانون الثاني ١٩٧٢ في مقابلة مع شبكة إذاعة وتلفزيون كولومبيا [الأمريكية] حول « التزام مبدئي » بإرسال المزيد من طائرات الفانتوم لإسرائيل للمحافظة على « ميزان القوى في الشرق الأوسط » ، بيد أن نيكسون لم يبذل جهدا شخصيا ليجعل من هذه السياسات دعما سياسيا له من جانب المصوتين اليهود الذين صوتوا ضده في عام ١٩٦٨ بنسبة ٥ إلى ١ . والواقع أن الغربة السياسية بين الرئيس نيكسون والهيئات اليهودية الأمريكية المنظمة لا علاقة لها بإسرائيل . ويعزى هذا الصدع ، جزئيا ، إلى واقع أن معظم الأصوات اليهودية تذهب عادة للحزب الديمقراطي لا للجمهوري . ولكن هذا الصدع قد تعاطف نظرا لعدم تعيين الرئيس نيكسون قاضيا يهوديا بين تضادة المحكمة العليا ، وبصورة عامة نتيجة إخفاق البيت الأبيض في مضار العلاقات العامة .

لقد كسر الرئيس نيكسون التقليد الطويل المتبع في البيت الأبيض ، وهو أن يعطي الرئيس الأمريكي لأحد مساعديه ما يدعى في الدوائر اليهودية الأمريكية « الحقبة » ، فالرجل الذي يتولى « الحقبة اليهودية » يكون بمثابة صلة وصل مباشرة

بحوالي ٧٠٠ من اليهود الأمريكيين البارزين ، كما أنه قد يتصل بحوالي نصف دزينة من الأشخاص المتواجدين في واشنطن كممثلين لبعض المنظمات اليهودية لمناقشة نشاطات مجلسي الشيوخ والنواب ، فيدعوهم إلى مكتبه « لأجطيهم علما بجزريات الأمور ، ولاحتهم على القيام بما في وسعهم القيام به بهذا الصدد » .

وتوجد داخل مجلس الشيوخ الأمريكي ذاته مجموعة مؤلفة من ١٢ عضوا من الحزبين ، الديمقراطي والجمهوري ، تشكل نواة ائتلاف مهتمته السعي لجعل السياسة الأمريكية أكثر توافقا مع مصالح إسرائيل . ولكن روابط الرئيس نيكسون بالهيئات والمنظمات اليهودية الأمريكية تبقى وأهية غير متينة رغم أن حكومته (وهذا ما يقر به سرا السفير الإسرائيلي راين) كانت أكثر كرمًا من أية حكومة أمريكية أخرى في تزويد إسرائيل بالأسلحة والمعدات الحربية . وخلال حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام ١٩٦٨ أبلغ نيكسون مجموعة من اليهود الأمريكيين البارزين أنه يعترم ، في حاله بموزه بالانتخابات ، أن يعين في إدارته كثيرا من اليهود « ليس لجسد كونهم يهودا بل لانهم يتنصتون بالحصانة » . ولكن بعد انتفاء قرابة أربع سنوات على هذا الكلام يقول واين أدلر [يهودي] المستشار السابق للشؤون اليهودية في لجنة الحزب الجمهوري القومية أنه يشعر بخيبة أمل من جراء سلوك الرئيس نيكسون تجاه اليهود الأمريكيين ، إذ يقول : « لقد تجاهلت الدوائر القومية التي نيكسون القوة السياسية لليهود الأمريكيين وأصبحنا نجد أنفسنا في موقف إزاء الطبقة العليا من المسؤولين وأولي النفوذ رواد النوادي الريفية الخاصة ، وجميعهم لهم إندفاع من اليهود الأمريكيين ولكنهم لا يتبنون قضية الشعب اليهودي » . ورغم ذلك ، يسمى نيكسون لتمتيع صلاته وزوابطه باليهود الأمريكيين أملا في الحصول على تأييدهم له في انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة . ويشرف على تنسيق هذه الجهود ماكس فيشر أحد كبار الممولين في ديترويت [يهودي] .

ويبقى هناك سؤال : متى أي مدى سيذهب نيكسون في عموه التي يطلقها في حملته الانتخابية لجذب الأصوات اليهودية إلى صفه ، وهي أصوات ذهب جلبها في انتخابات عام ١٩٦٨ إلى خصمه الديمقراطي هوبرت هافري بنسبة ٥ إلى ١ . إن

بين الرئيس الأمريكي ورجال اليهود الأمريكيين . وقد سارت الحكومات الأمريكية السابقة على هذا النهج على افتراض أن وزارة الخارجية الأمريكية تزخر « بالعروبين بحكم المهنة » !! فهي بالتالي متحيزة ، بصورة وراثية ، ضد الموقف الإسرائيلي في سياستها في الشرق الأوسط !! كما أنها لا تقدر حق التقدير الدور الهام الذي يلعبه اليهود الأمريكيون في السياسة الأمريكية ومساهماتهم الهامة في تمويل الحملات الانتخابية . [لا يوجد في وزارة الخارجية الأمريكية ، ما يدعى « صهيونيون بحكم المهنة »] . وتبل موز نيكسون بالرائسة الأمريكية أسر الى نفر قليل من اصدقائه اليهود انه اذا ما فاز في الانتخابات فسيتأخذ في الاعتبار عند رسمه سياسة الحكومة الأمريكية تحيز وزارة الخارجية !! وقد سار على هذا النهج بالفعل ، اذ عندما نشأ أزمة في الشرق الأوسط يتولى بنفسه متابعة تطوراتها والبت فيها . بيد أنه اثار القلق لدى اليهود الأمريكيين بالفائسه منصب « الحقيقية اليهودية » ، وبالتالي حرهم من وسيلة الاتصال المباشر بالبيت الأبيض .

ولاقبت سياسة نيكسون الجديدة الترحيب ، ضمنا ، من جانب السفارة الإسرائيلية التي تفضل التعامل مع البيت الأبيض مباشرة على التعامل مع ضابط ارتباط للشؤون اليهودية في البيت الأبيض . وتعد السفارة الإسرائيلية الآن ، حسب الوضعية الراهنة ، هي المرجع اليهودي الاول في واشنطن - إسرائيليا كان أو امريكيا - الذي له حظوة لدى الهيئات الحكومية العليا . فقد وجد الإسرائيليون ، خلال عهد الرئيس نيكسون اصدقاء جددًا يعتد بهم في البيت الأبيض لا سيما بين المسؤولين المحافظين من غير اليهود . فإسرائيل تدرك ان الليبراليين من اليهود الأمريكيين كان لهم دور كبير في الحملة الشعبية المناوئة للتدخل الأمريكي في الحرب الفيتنامية ، فهي بالتالي لا تريد أن تستند دبلوماسيتها على دعم اليهود الأمريكيين . يقول رولاند ايفانز الابن الملق بالصحفسي في واشنطن والذي كثيرا ما يتناول في تعليقاته قضايا الشرق الأوسط : « لم أجد هناك مؤامرة صهيونية ، بل علاقات عامة صهيونية جيدة . فان للإسرائيليين أهدافا محددة وثابتة جدا هي ان يجعلوا السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط متوافقة مع السياسة الإسرائيلية في الشرق الأوسط » . ومن جهة أخرى قال أحد المسؤولين السابقين في البيت الأبيض :

« ان السياسة الأمريكية لم ولن تتوافق اطلاقا مع السياسة الإسرائيلية . فالمسألة فقط هي الى أي مدى تكون السياستان متقاربتين وهناك قدر هاميل من الاخذ والعطاء من الجانبين في هذا الصدد » .

في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني الماضي ذهب وفد قوامه ثمانية من أعضاء مجلس الشيوخ لمقابلة وزير الخارجية وليم روجرز ليحثه على استئناف بيع المزيد من طائرات الفانتوم لاسرائيل . فقال وليم روجرز للوند ان يبيع المزيد من هذه الطائرات سيترك آثارا سلبية على المساعي القائمة لاتقرار تسوية سلمية والتي تجتاز بدورها مرحلة حرجة ودقيقة ، وانهم إسرائيل باتخاذ موقف متصلب من مساعي التسوية . وقد جعلت ملاحظات وليم روجرز احد أعضاء الوند المؤلف بالتساوي من شيوخ من الحزبين الديموقراطي والجمهوري يتبجح غيظا حتى انه هدد روجرز بان يتجاوزوه وان يرفع قضية بيع طائرات الفانتوم الى الرئيس نيكسون مباشرة . فاجابه روجرز : « لا ريب أن بوسمك ان تفعل ذلك ، غير انني واثق بأن الرئيس سيؤيدني في موقعي » . وفي الثلاثين من شهر كانون الاول تسربت اخبار من المصادر الحكومية الأمريكية مادها ان قرارا من حيث المبدأ قد اتخذ باستئناف بيع طائرات الفانتوم لاسرائيل ، وان التفاوض على اعداد الطائرات التي سيتم بيعها ومواعيد تسليمها سيتم قبل محادثات الرئيس نيكسون مع الزعماء السوفيت في موسكو في شهر أيار ١٩٧٢ ، وقد اكدت التطورات التي انتهت اليها قضية بيع طائرات الفانتوم وأتم المسار المتشابك والمتوتري الذي تجتازه عملية اتخاذ القرارات حول قضايا الشرق الأوسط لدى المراجع العليا المسؤولة في حكومة نيكسون .

يكشف ماير فيلدمان [اليهودي] ، وهو محام في واشنطن وخبير في الشؤون اليهودية ، وعمل مدة من الزمن كمساعد مستشار خاص لكل من الرئيسين كينيدي وجونسون ، يكشف النقاب عن ثلاثة مراكز قوى رئيسية داخل الحكومة الأمريكية لها نفوذ على الرئيس اميركي في رسم السياسة الأمريكية حول الشرق الأوسط . ويقول ان « وزارة الخارجية تحدد المواقف . ويوقع ما لا يقل عن سبعة عشر من المسؤولين في الخارجية الأمريكية على التقرير المبين للسياسة المقترحة قبل ان يرفع الى البيت الأبيض . وكما ندعو هذا التقرير : « العاصفة الثلجية من وزارة الخارجية » .

لا يتسق مع - وبعض المسؤولين يقولون انسه - بسبب - مبادراته النشطة في معظم قضايا السياسة الخارجية الحاسمة الاخرى (مع العلم ان كلا من كينسجر وروستو هما يهوديان) . لم يستخ نيكسون فكرة تكليف احد مستشاريه الشخصيين القيام بمهمة تنسيق العلاقات السياسية ازاء الشرق الاوسط مع الهيئات اليهودية الامريكية ، وهي المهمة التي تولاهما فيلدمان في عهد الرئيس كينيدي ، ومن ثم اضطلع بها هاري ماكبيريون الابن في عهد الرئيس جونسون . [وفيلدمان يهودي ، اما ماكبيريون ، وهو ايضا محام في واشنطن ، فليس يهوديا] . وكان ماكبيريون يتابع الاطلاع على مجريات التفكير في وزارة الخارجية ازاء الشرق الاوسط ليس من خلال الطرق الرسمية المعتادة محسب ، بل كذلك بواسطة نسيبه مايكل شترنر الموظف المحترف في وزارة الخارجية ، والذي يعمل حاليا رئيسا لقسم الشؤون المصرية في الوزارة .

يعمد نيكسون ، بخلاف ما درجت عليه التقاليد الماضية المتبعة ، الى متابعة شؤون الشرق الاوسط ويتولى الاشراف على ملاحظتها بنفسه ، اي انه يقوم بدور الموظف والرئيس معا بهذا الشأن . ولذلك لم يكن مع الرئيس نيكسون اي شخص آخر من الجانب الاميركي في ٢ كانون الاول الماضي عندما تباحت لمدة ساعتين في مكتبه البيضوي مع غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل . وفي بعض المناسبات ، يعهد نيكسون الى مستشاره الخاص ليونارد غارننت [يهودي] بمعالجة احدى القضايا اليهودية . فعلى سبيل المثال ، حاول غارننت (دون جدوى) خلال زيارة الرئيس الفرنسي بومبيدو الرسمية في عام ١٩٧٠ ان يمنع أعضاء جمعية المحاربين القدامى اليهودية من تنظيم مظاهرة احتجاج امام فندق « والدورف استوريا » في نيويورك حيث كان من المقرر ان يلقي بومبيدو خطابا وذلك تعبيرا عن استنكارهم لموافقة بومبيدو على بيع ١١٠ طائرات ميراج الى ليبيا . وازاء اصرار هؤلاء على التظاهر طار نيكسون الى نيويورك ، دون سابق ترتيب ، ليكون الى جانب بومبيدو تعبيرا عن المشاعر الودية تجاه الرئيس الفرنسي . وقد غضب نيكسون غضبا شديدا لعدم استجابة الهيئات اليهودية لمساعي غارننت بصدد زيارة بومبيدو هذه حتى انه اوقف لبعض الوقت ارسال جميع الرسائل الرئاسية الى المنظمات اليهودية ، وهي رسائل

وفائي مراكز القوى الرئيسية هذه هو « مجلس الامن القومي » الذي يلقى تقارير السياسات المقترحة من وزارة الخارجية . ولها يعمد « مجلس الامن القومي » الى اجراء دراسات خاصة به حول المواقف السياسية ، بل يكتبني ، عادة ، بتعديل التحليل السياسي الذي تنتهي اليه وزارة الخارجية وفق مريثات المجلس للصورة الدولية الشاملة .

اما « البيت الابيض » فهو اهم مراكز القوى الثلاثة هذه . وكان يعين بالقرب من كل رئيس اميركي ابتداء من فرانكلين روزفلت الى ليندون جونسون شخص ذو وزن سياسي لموس [يهودي عادة] مهمته ان يتصدى للخط السياسي الذي يتبناه « العربويون » (١٩٤٤) في وزارة الخارجية الامريكية وان يعارض حججهم لاتخاذ موقف سياسي متوازن .

وفي عهد ادارة الرئيس نيكسون ظل هذا البنيان السياسي الثلاثي القوي والذي بيده مقاليد الامور وتنتهي اليه سلطة اتخاذ القرارات على حاله كما كان عليه في عهود الرؤساء الاميركيين الاخرين ، ولكن مع بعض الاستثناءات الهامة ، مثل : (١) ان وزير الخارجية وليم روجرز يلعب دورا اكثر نشاطا ويمارس نفوذا اقوى في رسم السياسة الامريكية في الشرق الاوسط من اي وزير خارجية اميركي آخر جاء بعد جون بوستر داليس (١٩٥٣ - ١٩٥٩) . فقد قدم في شهر كانون الاول عام ١٩٦٩ خطته الخاصة بالسلام لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، وغالبنا ما ظل ، بعد ذلك ، يولي الشرق الاوسط الاولوية في عمله . كذلك ، ان جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط وجنوب آسيا يقوم ، هو الآخر ، بدور نشيط سواء من حيث مفهومه لما ينبغي ان تكون عليه سياسة الولايات المتحدة في المنطقة او من حيث دوره الخاص في صياغة هذه السياسة . ولكنه ، بعكس روجرز ، اطلع في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع زعماء اليهود الاميركيين الاتقياء النفاذ . (٣) اما هنري كينسجر مساعد الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي ومدير ادارة مجلس الامن القومي فيلدمان دورا هامشيا في مداوات مجلس الامن القومي حول الشرق الاوسط وذلك على النقيض من سلفه والت روستو . وتحفظ كينسجر في القيام بدور نشيط حول قضايا الشرق الاوسط

تعد من المحادثات المتأخرة التي درج عليها البيت الأبيض . وقد قال فيلدمان عن دور غارمنت في البيت الأبيض : « ليس من مهماته أن يؤثر في اتخاذ القرارات أو أن يمارس نفوسا ، فهو يتلقى التعليمات من الرئيس نيكسون ويسمى لاتخاذ الهيئات اليهودية بقبول ذلك الموقف . »

إن الموظف المعاون لكيسنجر حول شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي هو هارولد ساندرز ، وعمره ٤٢ عاماً ، وهو من الموظفين الذين ظلوا في المجلس من أيام روستو . ويعمل ساندرز بمثابة ضابط ارتباط بين مجلس الأمن القومي وسيسكو ، بيد أن دوره في وضع السياسة وضياقتها مقيد ومحصور . وقد شاب علاقة ساندرز مع الاسرائيليين ، وفي بعض الأوقات مع كيسنجر ، شيء من التوتر . وقد التحق ساندرز بمجلس الأمن القومي في عام ١٩٦١ ، إذ حول اليه من وكالة الاستخبارات المركزية . ويقول أحد المعاونة السابقين في البيت الأبيض « لقد كنت يدا ساندرز عن كل مسؤولية الآن ، إذ كان دوره أعظم بكثير في عهد الادارة السابقة [ادارة جونسون] » . ويضيف هذا المسؤول السابق في البيت الأبيض أن السياسة الأمريكية تجاه اسرائيل توضع في مجملها في البيت الأبيض لا في وزارة الخارجية ، ويستطرد هذا المسؤول السابق قائلاً : « يتمتع سيسكو بتفوذ عظيم في صياغة الموقف السياسي الأمريكي اليومي . بيد أنني لست على يقين اطلاقاً أن صوت سيسكو حاسم في التفكير الاستراتيجي الشامل . وعلى أية حال ، ان السياسات الصادرة عن الرئيس الأمريكي ومساعديه المقربين هي السياسات الحاسمة حول اسرائيل في جميع الامور المهمة » . من بين حلقات الوصل المهمة بين الرئيس الأمريكي والسفارة الاسرائيلية الجنرال الكسندر هينغ الابن نائب كيسنجر الاول ، وضابط الارتباط بينه وبين وزارة الدفاع الأمريكية . ويتباحث السفير الاسرائيلي اسحق راين رئيس اركان الاسرائيلي السابق مع هينغ هذا حول مدى قوة القوات الاسرائيلية ، وحول نوايا التوحيب العسكرية والديبلوماسية في المنطقة . وهناك شخصية عسكرية أخرى تتوم مقام صلة وصل عسكرية مباشرة بالاسرائيليين ، وأن كان موقع مسؤولية هذه الشخصية خارج البيت الأبيض ، ذلك هو الجنرال جون موفت وهو من ضباط سلاح الطيران ويعمل كمدير للأركان المشتركة في رئاسة الأركان

المشركة

وقد قال أحد المسؤولين في ادارة نيكسون ، ويد أتر كتمان اسمه ، بصدد تحليل عملية رسم صياغة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط : « لقد شعرنا دائماً بأن كيسنجر كان يحتاج إلى الخوض في شؤون الشرق الأوسط ، على الأمل بصورة علنية ومكشوفة . وقد يعزى ذلك إلى أن تدخله في هذه الشؤون ، منذ البداية ، سيكون مثار نقد ، بيد أنه مما لا يقل عن هذا العامل أهمية واقع أن جوزيف سيسكو رجل يملأ مركزه تمامًا وتقدر على تحمل المسؤوليات . ولو أن جميع المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية يتمتعون بما يتمتع به جوزيف سيسكو من شجاعة وقدرة لمسا كانت وزارة الخارجية تتبع راكدة في مؤخرة المسرح السياسي . ان سيسكو مسؤول تتوغل لديه الإرادة لاتخاذ القرارات ، ولا ادري كيف أفلح في تسليق سلم النظام والصمود الى هذه المرتبة فيه . » وتشتمل وزارة الخارجية الأمريكية على شبكة معقدة من الإقسام ومقاع من المكاتب المختصة بشؤون الشرق الأوسط ، بيد أن صلاحية رسم السياسة الخارجية وصياغتها تتركز في قمة الهرم ، فزمام الامور هو بيدي روجرز وسيسكو . (وهناك واحد من مساعدي سيسكو واسمه الفريد اثرتون الابن اكتسب شهرة في أوساط البيت الأبيض والكونغرس (مجلساً الشيوخ والنواب) بشأن تحليلاته لقضايا الشرق الأوسط تتصف بالمعنى ورجاحة العقل) .

لقد شهدت السنوات التي انقضت من ولاية نيكسون عدة تغييرات وتبدلات في التكتيك لما تبين ، مع الزمن ، أنه سعي سرايبي لافرار تنوية سلمية في الشرق الأوسط . فسارت تكتيكات هذه المساعي ، خطوة بعد أخرى ، من أسلوب المباحثات الرنانة بين الدول الأربع الكبرى والتي بادر الى اقتراحها الفرنسيون ، فأسلوب المباحثات الثنائية الأمريكية - الروسية ، ثم محاولة روجرز وسيسكو القيام بدور الوسيط وراء الكواليس ، وجهود وسيط الأمم المتحدة الدكتور غونار يارينغ سفير السويد في الاتحاد السوفيتي للوصول الى اتفاق نهائي أو محدود ، ثم أخسر هذه المساعي وهي محاولة الوصول الى اتفاق مؤقت لمنع فتاة السويس ينطوي على تحقيق انسحاب محدود للقوات الاسرائيلية من القناة . وخلال هذه المساعي

جميعها وفي خضم هذه التطورات وافسق البيت الأبيض ، يرضى روجرز وبباركته القلبية ، على ما دعاه أحد المسؤولين الأمريكيين أنه « مد خط أنابيب متدفق بالأسلحة لإسرائيل » ، فباستثناء التردد الذي أظهرته الحكومة الأمريكية حيال شحن طائرات الفانتوم وهو ما أصبح رمز نقاش بين الحكومتين الإسرائيلية والأمريكية ، زودت الولايات المتحدة إسرائيل بشحنات متنوعة وكبيرة من أجهزة الكشف والمراقبة الإلكترونية المتطورة كما أنها زودتها حتى بمصانع لصنع أسلحة أمريكية ، من بينها طائرات الفانتوم ، وذلك كله بقروض أمريكية بشروط متنوعة .

ورغم هذه المساعدات العسكرية السخية ، فإن روجرز لم يبالغ في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع أي من غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أو أبا إيبان وزير خارجيتها . ويقول أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي ، وكان صديقا لوليم روجرز يوم أن كان هذا بحاميا في واشنطن : « يعرف وليم روجرز في الوسط الاجتماعي في واشنطن بأنه وليم الوديع ، بيد أنه نمر مع اليهود [١٢] » ان عقد تسوية في الشرق الأوسط هي المسألة الوحيدة التي أرخى له الحبل في معالجتها . واعتقد أنه يتوخى أن يزاود على السوفييت في العلاقات مع العرب . وعلى كل حال ، أيا كانت نوازهة ، فأظن أنه سيستقيل من منصبه إذا واجهت سياسته في الشرق الأوسط تحديا سائرا من البيت الأبيض . وقد جعلت تكتيكات روجرز السياسية بعض الزعماء اليهود يؤكدون مناعتهم الدائمة بأن وزارة الخارجية الأمريكية تنطوي في صميم كيانها على تحيز للموقف العربي [١٣] . وبهذا الصدد يقول آي . ال . كينين نائب الرئيس التنفيذي للجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية ، وهي الهيئة التي تعد بمثابة مظلة تتستر في ظلها المنظمات اليهودية الأمريكية في ممارسة دعاياتها وضغوطها على الهيئات والشخصيات السياسية الأمريكية لصالح إسرائيل ، يقول كينين هذا : « لقد شعرنا منذ البداية بأن وزارة الخارجية الأمريكية ستنتج بعيدا عن الهدف الذي ننشده ، إذ كان يشغل بال المسؤولين فيها الاهتمام دائما بردود فعل السياسة الأمريكية داخل العالم العربي ، فكانوا يشعرون ، منذ البداية ، أنه إذا ما ظهرت الدولة اليهودية إلى حيز الوجود سيؤدي ذلك إلى حدوث استقطاب وتحالف عربي - سوفيياتي ... ولم يطرأ ، في واقع الأمر ،

أي تبديل ، منذ ذلك الحين ، في نظرية وزارة الخارجية تلك » . ويقول أحد أعضاء مجلس الشيوخ ، وهو من الحزب الجمهوري ، وقد أثار عدم الانصاف عن اسمه « ان وليم روجرز يريد تطبيق مبادرة روجرز ، أنه يريد أن تحصل اسمه . فقد نذر روجرز كل نفوذه ومكانته في التاريخ على نجاح مساعيه لاترار السلام في الشرق الأوسط [١٤] ولذلك يظن روجرز بأنه يجب ان يتوفر له قدر كبير من حرية الحركة والقدرة على التصرف - ولكنهم (اي الاسرائيليين) لا يقولون له بذلك اطلاقا » .

وبالمقارنة مع روجرز ، نجح سيسكو في المحافظة على روابط وثيقة نوعا ما بالاسرائيليين ، رغم أنه شاب العلاقات بينهما شيء من الفتور في بعض الاحيان . مثال ذلك ، عندما ذهب الى موسكو في تموز ١٩٦٩ ، وسط دهشة الاسرائيليين وغضبهم ، ليتباحث مع اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفييتي حول الوضع في الشرق الأوسط .

ويوجد في وزارة الخارجية من يحطون من تسدر سيسكو ، رغم انه ما من أحد منهم يرغب في أن تنقل عن لسانه أية انتقادات لميسكو . ويقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية ، وقد عمل مع سيسكو في الماضي : « انه ذو وجهين . فهو يروي لكل جانب ما يجب ان يسمعه . ولذلك يدعوته في وزارة الخارجية « جو النطاط » ، وانني افضل ان اقول أن أفضل وصف لميسكو هو « تسيير السياسة بالادريينالين » [أي التفتيش الاصطناعي المتنمل والمختبر] . وقد ابلغ سيسكو أحد مراسلي مجلة « النيويوركر » مؤخرا قائلا : « بصراحة ، لقد كان دوري خلال هذه المدة أشبه ما يكون بدور « مدير الازمة » ، دائم التنقل بين العرب والاسرائيليين . ويعود الي معظم الفضل في انني أجريت ، بمفردي ، المفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين لتحقيق وقف اطلاق النار الذي بدأ ابتداء من ٧ اب ١٩٧٠ . ومن النادر في مجال السياسة الخارجية ان يكون بوسع المرء ان يعزو لنفسه انجازا معينا ، بيد انني اشعر ان بوسعي ان ادعي ذلك لنفسني في هذا الشأن » .

وقد قال أحد أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين مدافعا عن سيسكو : « ان سيسكو يود ان يكون خط سيره منسجما مع رغبات الرئيس نيكسون ، فبهيته هي ان يبقي المساعي والاتصالات مستمرة .

ويعد الضغط على نيكسون في وزارة الخارجية الفدرالية الثالثة ، رغم أن نيكسون يعلم بأنه صوت ليهوبرت همفري « [إن سيسكو وهفري صديقان منذ سنوات كثيرة] .

يقول نيلدمان ، من واقع تجربته السابقة في البيت الأبيض : « كثيرا ما تعمل وزارة الدفاع [وبضمنها هيئة رئاسة الأركان المشتركة] بصورة مشتركة مع وزارة الخارجية التي تقيم لجان عمل مشتركة عديدة حول الشرق الأوسط . ونادرا ما تسمع شيئا من المسؤولين المرتبطين مباشرة بالبيت الأبيض . ويوجد هنالك تحيز لاسرائيل في البنثاغون [وزارة الدفاع الأمريكية] بيد أن البنثاغون يعارض معظم الأحيان تزويد اسرائيل بأشكال أرقى من المعونات العسكرية لان جنرالات البنثاغون يشعرون دائما بأن لدى الاسرائيليين قوة كافية » .

وهنالك هيئة أخرى تتمتع بخبرة فائقة في اوضاع الشرق الأوسط وتلك هي وكالة الاستخبارات المركزية . وهي تعمل بارتباط وثيق مع الاستخبارات الاسرائيلية-حول معظم شؤون الشرق الأوسط لا سيما ما يتعلق منها بانتقال الرجال السوفييت والاسلح السوفييتي الى المنطقة . (قبيل اندلاع حرب حزيران ١٩٦٧ ابلغ أحد كبار المسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية السناتور الجمهوري شارلز بيرسي انه اذا ما اشتعل القتال فستنتصر اسرائيل فيه خلال اسبوع . هذا بينما كانت وزارة الخارجية الامريكية شديدة التكتف والخشية في تقديراتها لنتائج اندلاع الحرب) .

يقول احد المحامين الذين تربطهم علاقة بكل من الحزب الديموقراطي والهيئات اليهودية الامريكية بصدد تليخيص مجموعة العوامل والقوى التي تؤثر في رسم السياسة الامريكية تجاه اسرائيل في حكومة نيكسون : « لعبت وزارة الخارجية في عهد نيكسون دورا اكبر في وضع السياسة الامريكية تجاه الشرق الأوسط مما لعبته في عهود الرؤساء السابقين . بيد ان قراراتها في القضايا الحاسمة مثل قضية تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم تتعرض للنقض من البيت الأبيض . ولذلك بوسعي ان اقول ان الرئيس نيكسون قد قدم لاسرائيل وخدم مصالحها اكثر من اي من اسلافه » .

وفي حين تتركز في البيت الأبيض الامركي سلطة اتخاذ القرارات حول شؤون الشرق الأوسط وقضاياها ، نجد ان المحاورين الصهيونيين يوجهون

سؤال كثيرا من جمهورهم الرض « الظالمات الاخرى المثلثة » وشرحيها لامتعاض الكونغرس الامركي بسلطات الشيوخ والنواب . ويهيل المحاورون الصهيونيين الى تركيز جهودهم الدعائية ومناورات «تطبيقاتهم» السياسية على اعضاء الكونغرس الامركي ومن يعمل في خدمتهم من موظفين واجهزة لان سبيل الاتصال بهؤلاء هي ايسر للمحاورين من الاتصال مباشرة بكبار المسؤولين في البيت الأبيض وفي وزارة الخارجية ، وكذلك لان المحاورين الصهيونيين يأملون ان يقوم من « يطبقونهم » من اعضاء الكونغرس ، بدورهم ، بمحاورة المسؤولين المختصين والدفاع عن القضايا الاسرائيلية والصهيونية لديهم نيابة عن المحاورين الصهيونيين هؤلاء .

يقول احد الشيوخ الجمهوريين : « عندما كنا ننتقد في الكونغرس احدى القضايا (لصالح اسرائيل) لم الحظ أبدا استجابة فورية من البيت الأبيض » . ويضيف قائلا : « بيد أن من الإنصاف القول انه في كل مرة اثبتت في الكونغرس قضية تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم كانت اسرائيل تحصل عليها بعد ستة شهور ، اذ يكون هناك ابطاء في الاستجابة الى ان يتعاطم الضغط السياسي » . وفي اكتوبر الماضي تبنى ٧٨ شيخا من اعضاء مجلس الشيوخ (من أصل مائة) قرارا بخصت الحكومة الامريكية على استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل . ويعدد كينين ، الذي سبق الحيلة في اوساط الكونغرس بصدد طائرات الفانتوم ، ثلاثة اسباب رئيسية تجعل طلبات اسرائيل وقضاياها تحظى بتأييد واسع في اوساط الكونغرس : . اولاً ، توجد في الدوائر الانتخابية لكثير من اعضاء الكونغرس جاليات يهودية ذات صوت مسموع ، حتى وان كانت قليلة العدد في بعض الاحيان . ثانيا ، يؤيد كثير من اعضاء الكونغرس الليبراليين اسرائيل بصفقتها « منسارة للديموقراطية في محيط من الحكومات العربية الرجعية » . ثالثا ، يؤيد كثير من اعضاء الكونغرس المحافظين اسرائيل بصفقتها حصنا ضد الشيوعية السوفييتية وسط الحكومات العربية الراديكالية . وعندما اثبتت قضية استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل في مجلس النواب الامركي حضي قرار مماثل لذلك الذي اتخذه مجلس الشيوخ بتوثيق ٢٥١ نائبا . ومن اعظم اعضاء مجلس النواب الامركي نفوذا في تبنى القضايا الاسرائيلية ودعمها عمانويل سيلر وهو ديموقراطي من

نيويورك ، وهو رئيس مجلس النواب ورئيس اللجنة التشريعية فيه ، ثم النائب توماس مورغان وهو ديمقراطي من ولاية بنسلفانيا ، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ، والنائب عمانويل سيلر يهودي أما توماس مورغان فليس يهوديا . (غير السفر الاسرائيلي راين ، مرة ، في أن يبيع مقر سكن اعضاء السفارة الاسرائيلية ؛ وهو يقع في منطقة تلال الى الغرب من « منتزه روك كريك » لان عمانويل سيلر هذا ، وعمره ٨٣ عاما ، لا يستطيع تسلق الدرج المؤدي الى ذلك المسكن ولا يستطيع بالتالي ان يحضر حفلات العشاء التي يقيمها راين فيه) .

أما في المجلس الاخر من مجلسي الكونغرس الاميركي ، وهو مجلس الشيوخ الذي يلعب دورا أهم من مجلس النواب في تقيير امور السياسة الخارجية الامريكية ، فتوجد فيه ، ضمن حلقة واسعة من الشيوخ المؤيدين لاسرائيل ، مجموعة مؤلفة من ١٢ شيخا تؤلف نواة صلبة لدعم اسرائيل وتأييد قضاياها ، اذ يقود هؤلاء عادة التحركات والمبادرات المؤيدة لاسرائيل ويتبنون مطالبها في مجلس الشيوخ ، فهم الذين تبنا قرار استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل وجدوا له تأييد الاغلبية الساحقة من الشيوخ (٧٨ من اصل ١٠٠) .

وأعضاء هذه النواة الصلبة هم : ادوارد بروك وهو جمهوري من ولاية ماساتشوستس ، وروبرت دول وهو جمهوري من كنساس ، وادوارد غيرني وهو جمهوري من فلوريدا ، وهنري جاكسون وهو ديمقراطي من ولاية واشنطن ، وجاكوب جانيست وهو جمهوري من ولاية نيويورك ، وادوارد كينيدي وهو ديمقراطي من ماساتشوستس ، وغال ماكني وهو ديمقراطي من ولاية وايومينغ ، وابراهام ريبكوف وهو ديمقراطي من ولاية كونيتيكت ، وهو سكوت وهو جمهوري من ولاية بنسلفانيا ، وسنيوات سايمنغتون وهو ديمقراطي من مونتانا ، وهيرمان تالدج وهو ديمقراطي من ولاية جورجيا ، وشارلز بيرسي وهو جمهوري من ولاية النيوي .

وتتكون مجموعة الشيوخ الاثني عشر هؤلاء من ستة ديمقراطيين وستة جمهوريين ، واثنان منهما هما جاكوب جانيست وابراهام ريبكوف يهوديان واثنان هما روبرت كينيدي وهنري جاكسون كاتا في عام ١٩٧٢ من الساعين للوز بترشيح الحزب الديمقراطي لانتخابات رئاسة الجمهورية التي ستجري في اواخر هذا العام . كما ان اثنين من

مجموعة الشيوخ الاثني عشر هؤلاء يحتلان مراكز قيادية في الحزب الجمهوري وهما روبرت دول وهو سكوت ، اذ ان روبرت دول هو رئيس اللجنة القومية في الحزب الجمهوري ، واما هو سكوت فزعيم كتلة الاقلية في مجلس الشيوخ (اي رئيس الشيوخ الجمهوريين) . ويعد كل من هو سكوت وهو عضو في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ، وستوارت سايمنغتون وهو رئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الاذن وجنوب شرق اسيا التابعة للجنة الشؤون الخارجية يعدان كبيرى أعضاء مجموعة الشيوخ الاثني عشر والناطقين بلسانها في معظم الاحيان . وقد اشترك ثمانية من مجموعة الشيوخ الاثني عشر في المظالبة الحادة التي جرت مع وليم روجرز وزير الخارجية في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧١ والتي رتبها جاكوب جانيست وابراهام ريبكوف . وقد قال أحد المشاركين في هذه المظالبة ، بعد انتهائها ، ان حضور كل من روبرت دول وهو سكوت هذه المظالبة في مكتب روجرز كان في غاية الاهمية اذ كان يوسع الرئيس نيكسون ان يطلب منهما عدم الضغط على روجرز في هذا الوقت فيستجيبان لطلبه .

ومن جهة اخرى ، يتباحث بعض مساعدي هؤلاء الشيوخ الاثني عشر مع بعضهم البعض من حين لآخر حول قضايا الشرق الاوسط . ويقود هذا الائتلاف غير الرسمي على مستوى مساعدي مجموعة الشيوخ هؤلاء وموظفيهم موريس أميتي وهو مساعد ابراهام ريبكوف التشريعي واحد الموظفين السابقين في وزارة الخارجية الامريكية . ان ستوارت سايمنغتون بصفته ابرز الديمقراطيين في مجموعة الشيوخ الاثني عشر يقاوم على دعم مبدأ تزويد اسرائيل بالمزيد من السلاح رغم معارضته ما يدعوه الميزانيات الكبيرة للفضاضة لوزارة الدفاع . [يذكر كينين انه عندما كان سايمنغتون هذا وزيرا لسلاح الطيران (١٩٤٧ - ١٩٥٠) كان يشير الى اسرائيل بانها « حاملة الطائرات التي لا تغرق » . وما هو جدير بالذكر ان طائرات الفانتوم (اف - ٤) التي تطلبها اسرائيل من الولايات المتحدة تجسج وتركب في مصنع شركة ماكرونيل دوغلاس كوربوريشن الذي يوجد في ضواحي مدينة سانت لويس في الولاية التي يمثلها سايمنغتون في مجلس الشيوخ . وكان هذا المصنع سيغلق ابوابه لولا الطلبات الاضافية التي تلقاها من اسرائيل (وربما من المانيا الغربية كذلك) لان

سلاج الطبران الايركي مؤلف من شراء هذه الطائرات وتحول الى شراء طراز جديد من مقاتلات الفانتوم هو (اف - ١٥) .

اما جاكوب جافيتس فهو أحد أعضاء مجلس الشيوخ الامريكين الذين تشعر الحكومة الامريكية بضرورة استشارتهم حول اية مبادرة تعترزم القيام بها في الشرق الاوسط وذلك لانه يمثل ولاية نيويورك (حيث يعيش معظم اليهود الامريكين) ، ونظرا لنشاطه الشخصي ودرايته العميقة بشؤون السياسة الخارجية . وكذلك مضى حين من الدهر، كانت السفارة الاسرائيلية لا تأتي على اية حركة ، صغيرة كانت او كبيرة ، دون ان تستشير أولا جاكوب جافيتس هذا ، أما الان فلا تستشير السفارة الاسرائيلية جاكوب جافيتس إلا حول القضايا السياسية الكبرى . ومن المعروف عن جافيتس انه عندما يتأزم الوضع في الشرق الاوسط يلغي جميع مواعيده وارتباطاته ويتباحث مدة ساعات متواصلة مع اسحق رابين السفير الاسرائيلي ومع المسؤولين الامريكين . وقد دام أحد هذه الاجتماعات ثلاث ساعات ، وقد عقد يوم ان كشف لأول مرة ان الطيارين السوفييت يقومون بطلعات قتالية على امتداد قناة السويس .

ويقول جافيتس عن نفسه « اعتقد انني اتمتع بمكانة طيبة لدى كل من الطرفين ، فانا مقبول لديهما كصاحب رأي مستقل » . [تعبير « كلا الطرفين » عند جافيتس يعني الامريكين والاسرائيليين ، بينما في موسكو تدعو صحيفة « الازفستيا » ، الناطقة رسميا بلسان الحكومة السوفيتية ، جافيتس بأنه السناتور الذي من تل ابيب] .

وفي شهر كانون الاول الماضي قام جافيتس وبصحبته السناتور جون شيرمان كوبر ، وهو جمهوري من ولاية كنتكي ، بجولة في اسرائيل وتباحثا مع غولدا مائير ، وبعد ذلك طار كوبر الى القاهرة للاجتماع بالرئيس انور السادات ، أما جافيتس فلم يصحبه في زيارته هذه . (وجدير بالذكر انه في ٢٣ تشرين الثاني ، كان السناتور جون شيرمان كوبر هذا من بين ١٤ شيخا-امريكيا صوتوا ضد منح اسرائيل تروشا عسكرية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ، منها ٢٥٠ مليون دولار مخصصة لشراء طائرات الفانتوم) .

اما السناتور هنري جاكسون فان محاميا تربطه وشائج بالسفارة الاسرائيلية قال عنه : « ان

جاكسون هو أكثر الأشخاص الداعمين من اسرائيل نفوذاً . فخافتمس مستفيد من هذا السياق لاستجاب متوقعة ، أما ابراهام ريبينكوف فيضغ بنفوذ ولكن ضمن حدود ، اذ لا يحتل مكانة قوية لدى الاوساط النافذة ، بينما جاكسون يتمتع بكل هذه المكانة » . وقد أيد جاكسون مسألة انشاء دولة يهودية في فلسطين منذ عام ١٩٤٤ يوم ان كان نائباً لا يتجاوز عدد اليهود في دائرته الانتخابية ٤٠٠٠ شخص .

ويقول ريتشارد بيرل وهو من مؤلفي اللجنة الفرعية للامن القومي والعمليات الدولية المتفرعة من لجنة العمليات التابعة للحكومة الامريكية ، ان جاكسون يرى تشابها بين التنشئة اليهودية وبين التنشئة النرويجية التي ينحدر منها ، كما انه يستهويه ما يرى انه احساس قوي بالتقاليد العائلية بين اليهود . (والسناتور جاكسون هو رئيس اللجنة الفرعية المذكورة آنفا ، أما بيرل فهو مستشاره الرئيسي حول قضايا الشرق الاوسط) . وبفضل جهود جاكسون سواء في لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ أم من على منبر مجلس الشيوخ نفسه ، وافق مجلس الشيوخ في عام ١٩٧٠ على رصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار كمساعدة لتسليح اسرائيل . وقد افلح جاكسون في حمل مجلس الشيوخ على رصد هذا المبلغ لاسرائيل رغم معارضة كل من رئيس لجنة القوات المسلحة السناتور جون ستينس وهو ديموقراطي من ولاية ميسوري ، والسناتور فولبرايث رئيس لجنة العلاقات الخارجية وهو ديموقراطي من ولاية أركنساس . (اعترض السناتور جون ستينس حول بعض الامور الاجرائية المتعلقة باصول الاجراءات والقواعد الشكلية اما السناتور فولبرايث فيعتبره الدبلوماسيون الاسرائيليون منذ عام ١٩٥٠ الخاويء الرئيسي لهم ، وخصصهم الذي لا تلين له قناة في مجلس الشيوخ) .

وقد افلح جاكسون في ربط المساعدات المطلوبة لاسرائيل بقانون المستلزمات العسكرية لعام ١٩٧٠ لان المنفذ الاعتيادي لرصد مثل هذه المساعدات وهو برنامج المساعدات الخارجية قد سد بحملة خطابية أشعلها تعديل قانوني متاوى للحرب تقدم به كل من السناتور جون شيرمان كوبر والسناتور فرانك تشرش وهو ديموقراطي من ايداهو . وما أن وقع الرئيس نيكسون توصية مجلس الشيوخ برصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار مساعدة لاسرائيل لتصبح نافذة قانونيا ، حتى بادر جاكسون الي

الاستخدام نفوذه بمفئته عضواً ذا مكانة بارزة في لجنة القوات المسلحة لكي يحمل وزارة الدفاع على أن تسحح لاسرائيل بتسديد قيمة المساعدة بشروط أكثر تساهلاً بكثير مما هو متبع عادة . (ان الشروط المعتادة لتسديد ثمن المبيعات من المعدات العسكرية تقضى بالتسديد في غضون عشر سنوات بفائدة معادلة لسعر الفائدة التجارية السائد في الولايات المتحدة) .

وفي اواخر تشرين الثاني ١٩٧١ تحرك جاكسون من جديد لرصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية جديدة لاسرائيل ، فأمن موافقة مجلس الشيوخ على هذا القرض بأغلبية ٨٢ ضد ١٤ . وقد تحرك جاكسون في هذا الاتجاه عندما بدا له ان برنامج المعونات الخارجية الذي كان في طور المناقشة لن يحظى بموافقة مجلس الشيوخ . ولكن التطورات سارت فيما بعد بصورة مغايرة لما توقع جاكسون اذ أقر مجلس الشيوخ التقرير حول برنامج المعونات الخارجية عشية انقضاء دورة انعقاده في ١٧ كانون الاول . وقد اشتمل برنامج المعونات هذا على تخصيص ٤٠٠ مليون دولار كقروض لتسديد المبيعات من المعدات الحربية خصص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار منها لاسرائيل وحدها . وتحرك الاسرائيليون على جبهة اخرى من برنامج المعونات الخارجية ، فطلبوا ٢٠٠ مليون دولار اخرى من « مساعدات الدعم » متعللين بان التفاتت الباهظة على اغراض الدفاع قد سببت ضائقة شديدة في موجوداتهم من العملات الأجنبية . وكانت الحكومة الاميركية قد استحدثت ، خلال السنوات القليلة الماضية ، ما يسمى « بمساعدات الدعم » كوسيلة لدعم ميزانية كل من فيتنام الجنوبية ، وفي نطاق أضيق ، ميزانية كمبوديا . ولذلك واجه الطلب معارضة من مختلف الجهات الحكومية المختصة . ورغم ذلك ، أفلح السناتور جاكوب جافيتس في تضمين برنامج المعونات الخارجية اثناء مناقشته في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ مبلغ ٨٥ مليون دولار كمساعدة لاسرائيل .

وفي وقت سابق لهذا عندما كان برنامج المعونات الخارجية ما زال تحت المناقشة في مجلس النواب أبلغ جون حنا مدير وكالة الاتماء الدولية ، بصورة سرية ، النائب أوتو بايسمان وهو ديموقراطي من لوزيانا ، ورئيس اللجنة الفرعية للمعاليات

الخارجية المترعة من لجنة الاعتمادات في مجلس النواب بأن وكالة الاتماء الدولية ستحجز اعتماد مساعدات الدعم لاسرائيل ولن تصرفه اذا ما أقر الكونغرس مثل هذا الاعتماد . وفي ١١ تشرين الثاني ، عندما كان برنامج المعونة الخارجية ما زال في طور المناقشة في مجلس الشيوخ تحرك جاكسون لمواجهة هذا التهديد بعدم صرف الاعتماد لاسرائيل مكتب الى وزير الخارجية وليم روجرز : « انني أطلب ضماناً منك بأن الاعتمادات التي سيتم اقرارها ستبقى كاملة وفق الاغراض التي أقرت لها » . وقد طلب جاكسون من روجرز تعهداً كتابياً بذلك ، غير ان روجرز استنكف عن ذلك في مكالمة هاتفية ، ولكن عندما اصبح برنامج المعونة يواجه خطر عدم الاقرار في مجلس الشيوخ ، شعر روجرز ان عليه ان يعطى الضوء الأخضر بالاستجابة لطلبات جاكسون ، وبناء عليه اتفق كل من روجرز وجاكسون وهيو سكوت على ان يعلن سكوت في قاعة مجلس الشيوخ ان الحكومة ملتزمة بالافراج عن الاعتمادات المرصودة في برنامج المعونة وصرفها وفق ما يقره الكونغرس . (وفي نهاية المطاف تقرر في جلسة مشتركة لمجلس النواب والشيوخ ، بناء على توصية من السناتور فولبرايت ، تخفيض حصة اسرائيل الى خمسين مليون دولار بدلاً من ٨٥ مليون) .

يقول جون ريتشاردسون المدير التنفيذي والسكرتير للهيئة الاميركية لاعانة اللاجئين في الشرق الأدنى وأجد انصار القضية العربية في الشرق الأوسط : « ان معظم أعضاء مجلس الشيوخ يصيهم نوع من ارتجاف الركب تجاه اسرائيل » . ويضيف ريتشاردسون قائلاً : « خذ هμφري مثلاً ، انه يرفض مناقشة قضايا الشرق الأوسط حتى مع موظفيه ومساعديه ، فهو منطلق تماماً ازاء أية وجهة نظر اخرى عدا وجهة النظر الاسرائيلية » . ورغم ذلك ، هنالك اقلية من أعضاء مجلس الشيوخ يتحفظون في التأييد التام لوجهة النظر الاسرائيلية . ومن هؤلاء السناتور فولبرايت ، والسناتور ألين ألبندر وهو ديموقراطي من ولاية لوزيانا ورئيس لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ ، والسناتور مارك هاتفيلد وهو جمهوري من ولاية اوريفسون ، والسناتور هنري بلمون وهو ديموقراطي من ولاية أوكلاهوما ، ويطلق عليه رجال الدعاية الاسرائيلية لقب « سناتور النفط » . ويقول ريتشاردسون : « ان السناتور هاتفيلد هو الشواذ الذي يثبت

القاعدة . أما ديبيد بروني وهو أحد المحاورين السياسيين لمنظمة « بنساي بريت » الصهيونية الأمريكية لدى الكونغرس فيقول : « ان هاتيلد يحرص على أن تتضمن سجلات الكونغرس كل اسبوع موقفا له مؤيدا لوجهة النظر العربية ، ولكن حماسه خبت جذوتها ، بصورة ملموسة ، خلال عام ١٩٧١ » . تنتهي فترة ولاية السناتور هاتيلد في عام ١٩٧٣ ، وهو يتوقع ان يواجه منافسة شديدة من مرشح الحزب الديمقراطي) . وقد اجتمع عدد من الطامحين الى الفوز بترشيح الحزب الديمقراطي لمعركة انتخابات رئاسة الجمهورية الأمريكية ، ومعظمهم من أعضاء مجلس الشيوخ الحالي ، بصورة منفردة ، بقولاً ماثير خلال زيارتها للولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي والتي دامت عشرة ايام . وقد اعترف كل من جاكسون ، وهنري ، وجون ليندسي رئيس بلدية نيويورك الديمقراطي باجتماعهم الى غولدا مائير ، وان لم يكشفوا النقاب عما بحثه كل منهم معها ، أما السناتور ادموند موسكي وهو ديموقراطي من ولاية « ماين » فلم يعترف باجتماعه الى غولدا مائير . وتجدير بالذكر أن غولدا مائير وافقت على أن تتباحث مع السناتور جورج ماكغفرن وهو ديموقراطي من ولاية داكوتا الجنوبية، بيد ان حدوث تعارض في مواعيد كل منهما وارتباطاته جال دون حدوث هذا اللقاء .

ان مستشار همفري الرئيسي حول الشؤون الاسرائيلية وكذلك حول العديد من الشؤون السياسية غير اليهودية هو ماكس كامبلمان أحد الشركاء في مكتب للاستشارات القانونية في واشنطن وهو مكتب فرايد ، وفرانك ، وهاريس ، وشرايفر ، وكامبلمان . ومن جهة أخرى ، يقول بيتر روزينبلات الذي اجري الترتيبات للرحلة الوحيدة التي قام بها السناتور ادموند موسكي لاسرائيل وذلك في كانون الثاني ١٩٧١ « ان هناك عددا هائلا من الناس يتحدثون لموسكي عن اسرائيل ، ولكن لن من هؤلاء تراه يصغي ويستجيب فذلك امر اخر !! » . ان مستشاري السناتور ادموند موسكي الرئيسيين حول شؤون الشرق الأوسط ، علاوة على معاونيه وموظفيه ، هم كل من : أمريل هاريمان الذي كان في اخر مهمة حكومية قام بها ممثلا للولايات المتحدة في محادثات السلام للحرب الفيتنامية في باريس (١٩٦٨ - ١٩٦٩) ، وبول ورتكي أحد الوكلاء السابقين لوزارة الدفاع لشؤون الامن الدولي

(١٩٦٧ - ١٩٦٨) ، ولويسوس باتل الوكيل السابق لوزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الاذن وجنوب اسيا (١٩٦٧ - ١٩٦٨) . وبول وارنكي شريك في مكتب الاستشارات القانونية في واشنطن المسى مكتب كليفورد ، ووارنكي ، وغلان ، وماكلوين ، وميني ، وكان شريكه الرئيسي في مكتب الاستشارات القانونية هذا كلارك كليفورد وزيرا للدفاع (١٩٦٨ - ١٩٦٩) في عهد الرئيس جونسون . وكلارك كليفورد هو الذي اجري في عام ١٩٤٨ . مفاوضات الاعتراف باسرائيل ، رغم الاعتراضات التي اثارها وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك ، اذ كان يومها مستشارا للرئيس ترومان . كذلك فان كليفورد احد اصديقاء العسر للسناتور ستوارت ساينفيلتون ، وهو حاليا احد المستشارين الرئيسيين للسناتور ادموند موسكي . أما لويسوس باتل فهو نائب رئيس شركة الاتصالات بواسطة الامتار الاصطناعية « كوزمات » ، وهو بحكم منصبه هذا يتولى اجراء الاتصالات والمحورة مع أعضاء الكونغرس لصالح شركته . وقد قال لويسوس باتل في مقابلة صحفية انه رغم قبلمه باطلاع السناتور ادموند موسكي على طبيعة الاوضاع في الشرق الاوسط ومجريات الامور فيه فانه لم يقرر حتى الان من سيدعم من المرشحين لرحلة انتخابات رئاسة الجمهورية للعام ١٩٧٣ . ومن جهة أخرى يقول فيلدمان عن أمريل هاريمان الذي يبلغ من العمر الان ٨٠ عاما : « من حيث موقفه من اسرائيل كان دائما بين بين . وهو سياسي بطبعه ، وكان حاكما لولاية نيويورك ، ولكنه متأثر كذلك بأراء رجال وزارة الخارجية ، وهو يتطلع الى تحقيق انفراج في العلاقات مع السوفييت » .

منذ ان تولى الجنرال المتقاعد اسحق رابين مقاليد السفارة الاسرائيلية في واشنطن سعى الاسرائيليون ، لأول مرة ، الى توسيع القاعدة التي تدعمهم لدى الولايات المتحدة مع المحافظة على الروابط بين السفارة الاسرائيلية والهيئات اليهودية الأمريكية متينة وراسخة كما كانت دائما . وأحد الاسباب التي تجعل السفارة الاسرائيلية حريصة على مقابلة الروابط مع اليهود الأمريكيين هي اسباب مالية ؛ فالترجمات التي تنقلها اسرائيل من اليهود خارج اسرائيل هي عنصر حاسم في الاقتصاد الاسرائيلي . ويسهم كل من غولدا مائير ووزير الخارجية ابا اييان والسفير اسحق رابين في جمع التبرعات ويلبسون الدعوات للقاء الخطب في حفلات جميع

تأخذ في الحسبان وجهة نظر اليهود الأمريكيين الذين تربطهم بالدولة اليهودية [إسرائيل] روابط عاطفية ، فعندما تتحدث الحكومة الأمريكية إلى السفارة الإسرائيلية تدرك انها تتحدث كذلك إلى قوة سياسية داخل الولايات المتحدة . ويقول كينين معبرا عن الفكرة ذاتها : « ان السفير الإسرائيلي في واشنطن ليس مبعوثا إلى الحكومة الأمريكية بحسب ، بل هو مبعوث ، بصورة ما كذلك ، إلى اليهود الأمريكيين » .

ويستخدم البيت الأبيض واقع الروابط المتينة بين السفارة الإسرائيلية واليهود الأمريكيين لغراضه الخاصة ، فخلال زيارة الرئيس بومبيدو للولايات المتحدة ، اتصلت غارمنت ، الموكل إليه اجراء الاتصالات بين البيت الأبيض والهيئات اليهودية الأمريكية ، بالسفارة الإسرائيلية وطلب منها ان تمارس نفوذها لدى زعماء اليهود الأمريكيين للاحجام عن تنظيم مظاهرات الاحتجاج في وجه الرئيس الفرنسي . فاتصلت غارمنت هاتفيا لهذا الغرض بشلومو أرغوف ، الذي كان يومئذ قائما بالأعمال والرجل الثاني في السفارة الإسرائيلية في واشنطن وأصبح الآن سفير إسرائيل في مكسيكو ، فاتصل أرغوف هذا ، بدوره ، بالفتصلة الإسرائيلية في نيويورك التي اتصلت من جهتها بأولي الامر من اليهود الأمريكيين . (ورغم ذلك نظمت التظاهرات امام والدورف استوريا ، حيث كان من المقرر ان يلقي المسيو بومبيدو خطابا) وقد يتساءل المرء : هل محظور على السفارة الإسرائيلية التدخل في امور السياسة الداخلية الأمريكية ؟ والجواب هو : هناك معاهدة أمريكية إسرائيلية وقعت في عام ١٩٥٢ تحظر على الحكومة الإسرائيلية ، بتسوع خاص ، الانغماس في أية نشاطات سياسية داخل الولايات المتحدة . وبهذا الصدد يقول كينين الذي يحرص على أن يظل هو نفسه والهيئة التي يديرها بعيدين ، نوعا ما ، عن السفارة الإسرائيلية رغم انه اكبر الدعاة والمحاورين الإسرائيليين فسي واشنطن : « ان من الخير للحكومة الإسرائيلية ان تمتنع عن القيام بأي نشاط سياسي ، وأظن انه في اللحظة التي تنغمس فيها في نشاطات سياسية ستجد انها أوقعت نفسها في ورطة » . ومن جهة أخرى يقول شاؤول بن حاييم المستشار الصحي في السفارة الإسرائيلية في واشنطن : « اننا لا نرفض أبدا أية دعوة نلقاها من اي جمهور يهودي للقاء الخطابات . ولكن ، هل نحن نهملهم ؟ بالتأكيد

التبرعات التي ينظمها كل من « النداء اليهودي الموحد » ومنظمة سندات إسرائيل . وجدير بالذكر أن التبرعات التي يجمعها « النداء اليهودي الموحد » معانة من الضرائب لانها لا تذهب للحكومة الإسرائيلية مباشرة ، وانما ترسل لإسرائيل بواسطة الوكالة اليهودية وهي هيئة شبه رسمية وهي تلبي معظم نفقات خدمات الإسكان والصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية في إسرائيل .

ويقول الجنرال أسحق رابين انه لا يحبذ الاسلوب الحالي المتبع في العلاقات بين إسرائيل واليهود الأمريكيين وهو « اسلوب الوكالة اليهودية » ، ولهذا يعتبره قادة اليهود الأمريكيين يمثل جيلا جديدا من الاسرائيليين الذين اخذوا في الابتعاد عن المفاهيم الصهيونية التقليدية . وبدلا من الانقياد على توثيق العلاقات بين السفارة الإسرائيلية واليهود الأمريكيين سمي رابين من خلال جولاته في الولايات المتحدة إلى العشور على خلفاء جدد لبلاداه ، لا سيما بين الأمريكيين غير اليهود في جنوب الولايات المتحدة ووسطها . ويقول احد المحامين في واشنطن وهو يعرف اسحق رابين معرفة جيدة : « انني أجد اسحق رابين شديد الحيلة في الا ينغمس بالرأي العام اليهودي الأمريكي » .

وعلى كل حال ، تحافظ السفارة الإسرائيلية على علاقات وطيدة مع المنظمات اليهودية الأمريكية لحببتها التكاثر وسداها التضامن . ويقول محام آخر ذو روابط بالسفارة الإسرائيلية : « لا توجد أية سفارة أخرى في واشنطن تجد لها حلفاء جاهزين داخل الولايات المتحدة . وربما كان لوضع السفارة الإسرائيلية هذا نظير في وضع السفارة البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكن المواطنين الأمريكيين الذين يتحدرون من أصل انكليزي غير منظمين مثل اليهود لانهم يشكلون اغلبيية السكان ، بينما اليهود بما نشهده من انتظام صفوفهم في منظمات متماسكة تآذرون على الاستفادة من كامل عددهم ، ولهذا شاهدت خلال السنوات المتتالية أن الرأى التي كان يعبر عنها يدهاء اعضاء السفارة الإسرائيلية تنتقل بسرعة البرق إلى كافة اعضاء الجسم اليهودي الأمريكي » . وقد لاحظ فيلدمان قائلا : « ان السفارة الإسرائيلية تختلف عن أية سفارة أخرى في العاصمة الأمريكية لان لها رمايا في الولايات المتحدة كما في إسرائيل سواء بسواء . ولذلك تجد الحكومة الأمريكية نفسها ملزمة بأن

التي فترة خدمته كخبر في واشنطن عقب انتخابات الرئاسة الأمريكية في حريف ١٩٧٢ ، وسوف تخلفه في هذا المنصب الجنرال أهارون يازيف المدير الحالي للمخابرات العسكرية الإسرائيلية .

وكان ديفيد غنزيرغ ، وهو شريك فيلدمان في مكتب الاستشارات القانونية في واشنطن المدعو مكتب « غنزيرغ وفيلدمان وبيس » يقوم بمثيل السفارة الإسرائيلية في واشنطن كمستشار قانوني لها منذ تأسيس إسرائيل في عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٩ . ويقول غنزيرغ : « أننا ما زلنا نؤدي لهم بعض الخدمات القانونية ، ولكنهم أصبحوا يقومون بأنفسهم بعمل جيد ، ومن جهة أخرى خف معدل الأعمال بصورة ملحوظة » . لقد أصبح الإسرائيليون اليوم يتولون أمورهم بأنفسهم ، ولم يعودوا يعتمدون على المستشارين من الولايات المتحدة مثل غنزيرغ وروبرت ناشان الخبير في اقتصاديات البلدان النامية ، والذي خدم السفارة الإسرائيلية طيلة سنوات كثيرة بمنصب كبير مستشاريها الاقتصاديين . وقد نمت هيئة موظفي السفارة الإسرائيلية بحيث أصبحت تشتمل على ٢٦ ممثلاً دبلوماسياً (يبلغ اجمالي الموظفين ٧٥) يعملون في مقر السفارة المبنى من الطوب الأصفر والكائن في حي السفارات في واشنطن . وكذلك توجد لاسرائيل الآن قنصليات في كل من : نيويورك ، وشيكاغو ، ولوس انجيلوس ، وفيلادلفيا ، وهيوستن ، وسان فرانسيسكو ، وبوسطن ، وأتلانتا .

ولا تصدر السفارة الإسرائيلية في واشنطن تحقيقات وبيانات صحفية رسمية ، ولكنها مع ذلك شديدة الاهتمام بأمور الاعلام ووسائله . (من حين لآخر تصدر السفارة الإسرائيلية « نشرة زهرية اللون » تعبر عن وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية حول قضايا الشرق الأوسط . وتوزع هذه النشرة على ١٢٠٠٠ شخص وهيئة . وكانت آخر « نشرة زهرية اللون » أصدرتها السفارة قد عالجت شروط وينود معاهدة الصداقة والتعاون المصرية - السوفيتية التي وقعت في شهر ايار ١٩٧١ .

يقول بن جاييم الذي كان لشهور خلت الناطق بلسان السفارة الإسرائيلية قبل أن يصبح مراسلاً دبلوماسياً لجريدة « معاريف » الإسرائيلية : « إن افتتاحيات الصحف (الأمريكية) مؤالية لموقفنا بما يعادل نسبة ٦ الى ١ ، ومعظم الافتتاحيات والتعليقات المؤالية التي تظهر في الصحف كتبت

بيوج اسحق رايبين في احاديثه الخاصة لاجتماعات محدودة مقفلة من معارفه من اليهود وغير اليهود بأنه ما من رئيس أمريكي خدم اسرائيل وساعدها بالقدر الذي بدر عن نيكسون . ورغم ان الدبلوماسيين الاسرائيليين لا يتدخلون علنا في امور انتخابات الرئاسة الأمريكية فانهم لا يمانعون في التحدث عنها ولو بصورة شديدة التحفظ . وقد قال احدهم : « ان المعلومات التي وردتنا من القدس تفيد انهم يحذون فوز جاكسون بالرئاسة الأمريكية ، ولكن ان لم تيسر لجاكسون فرصة الفوز فلا ضرر في نيكسون » .

ويقول احد اصداق اسحق رايبين القدامى « ان السفير رايبين يتصرف بمصالحات واسعة ويأخذ الكثير من الامور على عاتقه الشخصي ، ففي اسرائيل يعد من البرزين للمواقف والسياسات الأمريكية ، بينما في واشنطن يعتبره المسؤولون الأمريكيون ناطقا صلبا ، ولا يلين ، باسم اسرائيل . ان هذا الدور الذي يضطلع به يشكل معضلة سياسية صعبة بالنسبة له شخصيا » . ويقول صديق آخر من اصداق رايبين : « ان رايبين شخص لامع ، ولكنه ما زال يفكر كجنرال ، فقد سمعته مرة يقول في احدي حفلات العشاء بأنه كان ينبغي على الولايات المتحدة ان تكون اكثر تشددا مع الروس يوم ان كانت تحتكر وحدها السلاح النووي » .

واقامة مادب العشاء هي من الاساليب الاساسية التي يعتمد عليها رايبين في تحركاته واتصالاته ، ويقصر عدد المدعوين على مائتته عادة على ١٥ الى ٢٠ شخصا يعكس السفارات العربية في واشنطن التي تقيم حفلات كبيرة تدعو اليها عددا كبيرا من الضيوف ، وتتميز غالباً بالبذخ والترف . وهوية المدعوين الى مائدة رايبين غير محددة بصف معين من الناس او محصورة في نطاق ضيق من الاتجاهات ، ففي بعض الاحيان يكون بين المدعوين الى مائدته احد غير المرغبي عندهم صهيونيا من رجال وزارة الخارجية الأمريكية ، والذي يعرف عنه انه يعارض عادة خلال عمله اليومي في الوزارة المواقف والسياسات التي في مصلحة اسرائيل . وقد اقامت السفارة الإسرائيلية خلال عام ١٩٧١ ثلاث حفلات كوكتيل ، واحدة منها فقط كانت في بيت السفير رايبين . ووفق الخطط الحالية ، سيكفل

طواعية وغير مدفوعة الثمن ، وعندما يكون لدينا شيء نود أن نقوله للصحيين ، نجري الترتيبات للسفر (الإسرائيلي) ليتحدث الى اعضاء « نادي الكتاب لما وراء البحار » . وجدير بالذكر ان هذا النادي يسير على قاعدة ان الخطباء الذين يدعون للتحدث في حفلات الغداء التي يقيمها يتم التكم على اسمائهم عند عرض شيء من الازاء والاقتوال التي ترد على سنتهم خلال حديثهم ، بمعنى ان المعلومات التي يوردها المتحدث في حديثه هي بمثابة معلومات خاصة للاطلاع الشخصي لاعضاء النادي لاحاطتهم بملابسات القضية موضوع الحديث ، ويوسمهم ان يعرضوا شيئا من اقوال المتحدث وآرائه ولكن دون الاشارة الى شخص قائلها او ذكر اسمه .

وخلال زيارة غولدا مائير للولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي عقدت مؤتمرا صحفيا في واشنطن وظهرت في برنامج « مع الصحافة » في شبكة تلفزيون واذاعة شركة الاذاعة الوطنية « ن . ب . س » وغلاوة على ذلك - دعيت نخبة مختارة من المعلقين الصحفيين ورؤساء مكاتب الصحف في واشنطن الى حفل غداء خاص ليس للنشر (اتفق على عدم نشر ما دار خلاله من حديث بينهم وبين غولدا مائير) ، وكذلك جرى ترتيب لقاء خاص بين غولدا مائير ورؤساء تحرير جريدتي « نيويورك تايمز » و« الواشنطن بوست » ومجلتي « نيوزويك » و« التايم » . كما حضرت غولدا مائير حفل غداء خاص ليس للنشر اقامته احتفاء بها شركة الاذاعة الامريكية دعيت اليه الشركة المحفنية كذلك كبار المسؤولين في شبكات التلفزيون الامريكية الاخرى وعددا آخر من كبار المسؤولين في عدد من الجرائد والمجلات والشركات الكبرى . ويقول بن حاييم انه يدير « عملية اعلامية مستمرة ومتواصلة ، نحاول خلالها ان نوضح موقفنا يوما بيوم » .

وقد يتبع المسؤولون في السفارة الاسرائيلية اساليب ووسائل اخرى غير مكشوفة واكثر دهاء مما ورد سابقا في « تطبيق » المحررين النافذين والتأثير عليهم . فمرة سئل دبلوماسي اسرائيلي ذو مستوى رفيع ما اذا كان يرغب في الاجتماع بجوزيف كرافت. المعلق الصحفي الكبير في واشنطن والذي تنشر تعليقاته في شبكة واسعة من الصحف ، فاعتذر الدبلوماسي الاسرائيلي عن عدم رغبته في ذلك قائلا

عن كرافت : « هنالك شخص آخر يتدبر امره » . ويقول رولاند ايفانز الابن الذي يكتب مع شريكه روبرت نوفك تعليقات تنشر في شبكة من الصحف الامريكية (وايغانز هو الذي أجرى مقابلة تلفزيونية مع غولدا مائير في كانون الاول الماضي خلال زيارتها للولايات المتحدة وذلك في برنامج « مع الصحافة » ، وبعد انتهاء البرنامج استمرت المناقشة بينهما في الاستديو لمدة نصف ساعة اخرى) ، يقول ايفانز هذا : « ان لدى الصهيونيين شبكة من الاشخاص للتأثير على رجال الصحافة والاعلام عامة افرادها منتشرون في جميع انحاء الولايات المتحدة ، وعندما نكتب تعليقا يعتبرونه مناوئا لاسرائيل تطلق رسائل من جميع انحاء البلاد تحتوي على النقاط ذاتها ، وصياغتها تماثلة . انها من طراز واحد » .

ورغم ان السفارة (الاسرائيلية) تبت ، في مناسبات معينة ، روايات خاصة للاخبار والاحداث لتمارس ضغطا على الحكومة (الامريكية) ، فان هذا النوع من العمليات متبادل ، اذ تقوم الحكومة بدورها ببت روايات للاخبار للتأثير على موقف السفارة . فقد ابلغ أحد المسؤولين في وزارة الدفاع ، مرة ، مراسل الشؤون العسكرية في جريدة « نيويورك تايمز » وليم بيتشر ، بأن الولايات المتحدة ستعطي اسرائيل ضمانات امن جديدة قوية جدا مقابل تعاون اسرائيل في محادثات السلام . وقال أحد المسؤولين الاسرائيليين بهذا الصدد : « ان اول مرة سمعنا بها بهذه الضمانات الجديدة هي عندما قرانا عنها في النيويورك تايمز » . واضاف قائلا : « لقد اختارت الحكومة وليم بيتشر أداة لتبت روايتها بواسطته » .

وتحتفظ السفارة الاسرائيلية بصلات مباشرة مع الشخصيات النافذة في الكونغرس الامريكي ، وعموس عيران هو عضو السفارة الاسرائيلية المنوط به تنسيق المواعف وتنظيم الصلات مع اعضاء الكونغرس ، وهو دبلوماسي شاب كان يعمل سابقا في الهستدروت (اتحاد نقابات العمال الاسرائيليين) . ويقوم عاموس عيران هذا بتتبع مداوات وتطورات التشريعات التي يهرها السفارة الاسرائيلية ، ولكنه يحرص حرصا شديدا ان يؤدي مهمته من وراء ستار ، ومعظم نشاطاته مستقلة عن المهمات التي يتولاها كينين وغيره من المحاورين الذين يقومون « بالتطبيقات » السياسية لصالح اسرائيل .

شيء من ذلك» . وبعد ذلك ، يقول كينين الذي يتولى منصب جميع عمليات النخز والنخس « كثيرا ما أمضيت وقتا غير قصير ، وأنا أحاول أن أكبح جماح بعض أعضاء مجلس الشيوخ لائتيم عن الإقدام على أمور قد تؤدي الى تفاقم العلاقات بين الولايات المتحدة والبلدان العربية ، إذ كثيرا ما يجنح بعض أعضاء مجلس الشيوخ الى التطرف الشديد » .

وعلى أي حال ، تظل العلاقات بين معظم إدارات الكونغرس والهيئات اليهودية الأمريكية حبيمة جدا ، فقلما تمر بضعة أيام دون أن ترسل إحدى إدارات مجلس النواب أو الشيوخ رسالة مجاملة ودية لتهنئة هذه أو تلك من المنظمات اليهودية المحلية بمناسبة مرور ذكرى حدث من الأحداث أو التورج بإحدى الجوائز ، وكذلك قلما تمضي بضعة أيام دون أن يتلقى أحد أعضاء الكونغرس دعوة من هذه أو تلك من الهيئات اليهودية للتحدث في اجتماع تنظمه ، وكثيرا ما تطوي مثل هذه الدعوة على فتح عضو الكونغرس الدهو مملعا غير زهيد من المال (وجدير بالذكر ان السناتور جاكوب جافيتس يتبرع بمثل هذه المبالغ التي يطلقها الى « النداء اليهودي الموحد ») . وقد لاحظ احد مساعدي السناتور موسكي في حبلته الانتخابية قائلا : « انها (الهيئات اليهودية) تتيح للمرشحين فرصا ومناسبات كثيرة للتحدث » .

أهم الهيئات اليهودية الأمريكية وتأثيرها على السياسة الأمريكية : تحتفظ كل من الهيئات اليهودية الأمريكية التالية : المؤتمر اليهودي الأمريكي ، وجمعية المحاربين القدامى اليهود ، والمجلس الوطني للنساء اليهوديات ، والمجلس الوطني لرعاية اليهود ، بمكاتب لها في واشنطن ، بيد أن تأثيرها على رسم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وصياقتها لا يؤيه به . هذا في حين أن كلا من ديفيد برودي ممثل منظمة « بناي بريث » وواشنطن ، وهيرمان إيرلزيبرغ المدير الدولي لجمعية مناواة التشهير المتفرعة من منظمة « بناي بريث » ينخرطان في المداخلات المطلقة بالقضايا الإسرائيلية بصورة منتظمة ، وأن كائنا يفضلان أن ينسقا مجهوداتها مع كينين وأن يعملتا تحت إشرافه .

اللجنة اليهودية الأمريكية : ان هايمان بوكياندر ممثل اللجنة اليهودية الأمريكية في واشنطن هو أيضا ينسق مجهوداته مع كينين ، غير أنه ينتهج

وحيدة الاسرائيليون كذلك من وراءه ويتبع كما يدعوونه أعمال « الدعاية العربية » في الولايات المتحدة والتصدي لها ، ونتائج مجهوداتهم في هذا الصدد ايجابية . ويقول بن حايميم الناطق السابق بلسان السفارة الاسرائيلية : « لقد خسرتنا التعاطف التلقائي من جانب الأمريكيين ، بيد أننا نسمى لان نعكس الآية » . ويقول بن حايميم ان « عددا ضئيلا جدا » من المسؤولين الأمريكيين قد زاروا اسرائيل ضيوفا على حكومتها . وبين هؤلاء المسؤولين الذين قاموا بزيارة مدفوعة النفقات لمدة اسبوع وزير النقل الأمريكي الحالي جسون فولبي الذي زار اسرائيل ضيفا على الحكومة عندما كان حاكما لولاية ماساتشوستس .

يقول ديفيد برودي ممثل منظمة « بناي بريث » اليهودية الأمريكية في واشنطن : « ان ردود فعل اليهود الأمريكيين تجاه اسرائيل واستجابتهم لها هو أمر طبيعي للغاية ، وهم لا يحتاجون ، بهذا الصدد ، توجيهها أو إرشادها من المنظمات اليهودية » . وعلى أي حال ، اذا دعا الداعي ، يسمى العدد الكبير من المنظمات اليهودية الأمريكية الى استنفار أعضائها وتنسيق جهودها في واشنطن ، سواء على نطاق ضيق أو نطاق كبير ، عندما تبذل بادرة يشعرون معها ان مصالح اسرائيل معرضة للخطر .

ولم يحدث اطلاقا ان بدأ من الهيئات اليهودية الأمريكية أي تلك في استخدام مساعيها واستقلال حظوتها لدى اصدقائها في الكونغرس وفي الحكومة الأمريكية لمصالح اسرائيل ومصالحها . بيد ان المسألة هي ما اذا كانت هذه المساعي مجدية ، وفي هذا الصدد ، تتفاوت الآراء وتبين تباينا كبيرا . وفي هذا الخصوص ، يقول سناتور جمهوري آخر عدم الانصاح عن اسمه : « اعتقد ان جهود الهيئات اليهودية فعالة . مع بعض أعضاء مجلس الشيوخ الذين قد لا يتخذون موقفا شديدا للتأييد لاسرائيل لولا هذه الجهود والمساعي . فعلى سبيل المثال ، هنالك عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ يمثلون ولايات ليس بين سكانها عدد كبير من اليهود ، ولكن رغم ذلك ترى أنهم يتخذون مواقف شديدة التأييد لاسرائيل ، ولا يخفي عليك ان بين هذه المجموعة من الشيوخ موضوع الحديث عددا محدود الثمالة والمعرفة والتفكير ، وأن لم يجدوا من ينخرمهم للاقدام على أمر ما ، فلا يدور بخلدهم

الخارجية الامريكية انهم لم يجدوا تباينا ذا بال في الزاي حول قضايا الامن الرئيسية بين الزعماء الاسرائيليين سواء من كان منهم في الحكومة أم خارجها - والمقصود بهذه التأكيدات هو دحض الانطباعات الراسخة لدى دوائر الخارجية الامريكية بأن الاسرائيليين منقسمون فيما بينهم ، سرا ، حول نحوى شروط انسحابهم من الاراضي العربية المحتلة . (ومما تجدر الاشارة اليه انه خلال المناقشات التي جرت في أعلى الهيئات والمراجع في حكومة نيكسون حول مسألة بيع طائرات فانطوم اضافية لاسرائيل ، اكدت وزارة الخارجية في التقرير السياسي الذي قدمته لمجلس الامن القومي ان الاسرائيليين منقسمون على انفسهم حول شروط التسوية ، وبرزت بذلك معارضتها لبيع المزيد من طائرات فانطوم ، وهناك طرفة متداولة في اوساط وزارة الخارجية الامريكية تقول انه اذا كان هنالك يهوديان فستجد بينهما ثلاثة احزاب سياسية وخمسة آراء متباينة) .

الهيئات الامريكية غير اليهودية المؤيدة لاسرائيل :
يحظى الموقف الاسرائيلي بتأييد المنظمات الشديدة العداء للشيوعية ودعمها مثل منظمة الفيلسوق الاميركي ومنظمة قدامى المحاربين في الحروب الاجنبية . وبصدد هذا التطور الجديد ، نسبيا ، في موقف مثل هذه الجماعات قال محام في واشنطن على علاقة وثيقة بالسفارة الاسرائيلية : « لا ريب ان من أشد مؤيدي اسرائيل تطرفا في البلاد اليوم العناصر المحافظة مثل جمهور قراء مجلة « الاحداث الانسانية » ، وهذا احد الاسباب التي جعلت حكومة نيكسون على هذا القدر من الود والوفاق مع الاسرائيليين » .

ويلعب بعض الافراد الذين يشغلون مواقع استراتيجية مهمة ، شأنهم شأن المنظمات ، دورا نافذا في التأثير على واضعي السياسة في واشنطن بصدد السياسات التي تخدم اسرائيل . ومن هؤلاء الاشخاص الذين لا يشغلون مناصبا في اي من المنظمات اليهودية ماير فيلديمان ، ورغم ان فيلديمان ترك الخدمة الحكومية منذ سبع سنوات ، فانه ما زال يلعب دورا كبيرا في التأثير على السياسة الامريكية . وقد قال انه يرى الدور الذي يلعبه على الوجه التالي : (١) التباحث ، بمسورة منتظمة ، مع اعضاء الحكومة الاسرائيلية حول القضايا التي تمهم في الولايات المتحدة . (٢) القيام

سلوكا اكثر استقلالية عن كئيين من الآخرين ، كما يسعى ، في بعض الاحيان ، الى ان يتخذ موقفا وسطا بين وزارة الخارجية والحكومة الاسرائيلية . (لقد تفردت اللجنة اليهودية الامريكية ، منذ امد بعيد ، باتخاذ موقف مستقل بين المنظمات اليهودية . وقد تأسست هذه اللجنة في عام ١٩٠٦ « لحماية حياة اليهود وحقوقهم » في روسيا القيصرية ، وقد رفضت اللجنة اليهودية الامريكية الانضمام الى مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى الذي تنتمي اليه جميع الهيئات اليهودية الاخرى . ومنذ تأسيس اللجنة اليهودية الامريكية كان اركانها ودعائمها الاساسيون من اليهود الاغنياء مثل ماير سلزبرغر وسائيرس ادلر وكلاهما من اسرة نيويورك تايمز للصحافة والنشر ، وكلاهما تولى رئاسة هذه اللجنة لفترات بلغ مجموعها ١٧ عاما . وحاليا ، يشغل ماكس فيشر منصب رئيس ادارة المجلس التنفيذي القومي للجنة اليهودية الامريكية ، (وهذا ثاني أعلى المناصب فيها) . وكان هايمان بوكياندر مساعد مدير سابق لمكتب الفرص الاقتصادية (١٩٦٤ - ١٩٦٧) ، كما تولى ايضا منصب مساعد خاص لهيوبرت هيفري من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٧ عندما كان هيفري نائبا للرئيس جونسون . وفي شهر تشرين الثاني الماضي ذهب بوكياندر هذا الى اسرائيل مع فيليب هوفمان رئيس اللجنة اليهودية الامريكية ، وبرت رام فولد نائب الرئيس التنفيذي للجنة ، وهناك تباحثوا مع كل من فولدا ، ماير ووزير الخارجية ابا ايبان حيث جثوا الزعماء الاسرائيليين على تخفيف ضغوطهم على الحكومة الامريكية من اجل تأمين شحن طائرات الفانطوم الى اسرائيل . وعندما عاد هؤلاء الى واشنطن تباحثوا مع رودجر ديفيز نائب مساعد وزير الخارجية الامريكية ويعمل بامرة سيمكو ، وهو يعد أبرز « العربيين » [١١] في الخارجية الامريكية .

ويقول هايمان بوكياندر : « ليس بيننا وبين الاسرائيليين تباين رئيسي في المواقف السياسية ، بل يقتصر الامر على مجرد اختلافات حول مدى الاهمية التي يلقها كل طرف على بعض القضايا . وعندما تحدث في اسرائيل امور تعدها خطأ ، تبدي لهم رأينا في ذلك ، ونبلغهم ما نعتقد انه خطأ وضعيف في مواقفهم » . ومن جهة اخرى أكد زعماء اللجنة اليهودية الامريكية خلال اجتماعاتهم مع رودجر ديفيز وغيره من المسؤولين في وزارة

يبدل محتاج لدى أعضاء الكونغرس « عندما تملك
 مني ذلك ، أحيانا ، الجهات الإسرائيلية ، وفي
 معظم الأحيان زعماء اليهود الأمريكيين » (٣٠)
 اتصال الآراء ووجهات النظر المؤيدة لإسرائيل إلى
 كبار المعلقين الصحفيين (لقد اشتهر فيلدمان ،
 ضمن أمور أخرى ، بأنه يشارك محرري الصحف
 والمعلقين الصحفيين في الأمور القانونية التي يتولاها
 مكتب الاستشارات القانونية الذي يملكه) .
 (٤) تقديم الاستشارات حول قضايا الشرق الأوسط
 للمرشحين الديمقراطيين للرئاسة الأمريكية لا سيما
 ماكففرن الذي يحبه فيلدمان ، وأدوار كينيدي الذي
 قال فيلدمان أنه يود أن يراه الفائز بترشيح الحزب
 الديمقراطي لانتخابات رئاسة الجمهورية في عام
 ١٩٧٢ . ويضيف ماير فيلدمان قائلا : « انني احتل
 موقعا ممتازا لانني اعرف الكثير الكثير من الناس » .
 يرى محللون متعددون ، بمن فيهم بوكبايندر نفسه ،
 انه ما من جهات ضاغطة او أفراد نافذين
 يستطيعون ان يعزوا لانفسهم ولجهودهم الفضل
 في التأييد الجارف الذي تحظى به إسرائيل في
 الكونغرس الأمريكي . ويقول بوكبايندر في هذا
 الصدد : « ان السبب الذي يعلل سر الحصول ،
 دون عناء ، على تأييد ٧٨ من أعضاء مجلس
 الشيوخ لمطالب إسرائيل (كما حدث في قرار بيع
 طائرات الفانتوم) هو انه حدث ان كلاما من مصالح
 إسرائيل ومصالح اميركا قد توافقا حول هذه النقطة
 في الزمن ، ويبدو انهما مستغلان متوافقتين لزمن
 طويل قادم » .

والخلاصة : يشعر الإسرائيليون الآن ، وهم الذين
 ظلوا منذ نشأة إسرائيل يعتمدون على الصهيونيين
 كدعامة وطيقة للدمع السياسي لهم في الولايات
 المتحدة ، ان عليهم ان يوسعوا نطاق قواعدهم
 بتجنيد اصديقاء جدد يدعمون اهدافهم في الشرق
 الاوسط . وتزايد النفوذ السوفييتي في العالم
 العربي وفر لهم مثل هذه الفرصة .

وقال السفير الإسرائيلي اسحق رابين مرة ، خلال
 مناقشة ولادة هذه التحالفات الجديدة « ان جميع
 هؤلاء الناس انما يؤيدون إسرائيل بفعل حاجس
 مناهضة الشيوعية » . وقال رابين في مناسبة
 أخرى ، بشيء من الدعابة : « عندما التقي حديثا
 في إحدى الجامعات الأمريكية لا أواجه متاعب من
 أحد سوى العرب واليهود » ، وكان رابين يشير
 بقوله هذا إلى اليهود المتيمين لليسار الجديد الذين

يعارضون السياسات الإسرائيلية الزامية .
 وقد أوردت منظمة تشكلت مؤخرا في بيان اعرابها
 تأسيسها ، وهي « لجنة العمل في سنيل بدائل
 جديدة في الشرق الأوسط » انها « ملتزمة بالسمي
 لتسوية النزاع واطرار السلام والعدالة » بين
 العرب واليهود ، ثم اضافت : « اننا لا نتوخى
 اصدار احكام دوغماطيقية (جامدة وبعيدة عن
 الواقع الحي) ، ولا تقديم حلول من جانب واحد
 للقضايا المعقدة ، والمتناقضة غالبا ، القائمة في
 الشرق الأوسط » . وقد جذبت هذه الجماعة إلى
 صفوفها عددا من اساتذة الجامعات اليهود
 البارزين بما فيهم نعوم تشومسكي استاذ علوم
 اللغة في « معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا »
 والكاتب المناهض للحرب .

وقد قال أحد الحامين في واشنطن ، وقد ازعجته
 هذه التطورات والاتجاهات المستحدثة : « لا اظن
 ان اي مراقب بعيد النظر لا يدرك بان مصالح
 إسرائيل في المدى البعيد انما تكمن في الارتباط
 بالقوى الليبرالية في هذه البلاد [اميركا] ، اذ
 ان هذه القوى تحمي مصالحها بصورة افضل ،
 بيد ان التحالف القائم ، للهدى القصير ، بين
 إسرائيل والقوى المحافظة كان له تأثيره طئي
 الحكومة الحالية » . واطاف هذا المحامي الذي
 يتردد كثيرا على إسرائيل : « لقد وجدت ان القوى
 الحاكمة في إسرائيل راغبة في التعامل مع اية جماعة
 سياسية في الولايات المتحدة على اساس واحد
 بسيط هو : الدعم لإسرائيل » . (خلال زيارة
 غولدا جاتير الرسمية للولايات المتحدة في شهر
 ايلول عام ١٩٦٩ ، استأثر رونالد ريفان حاكم
 ولاية كاليفورنيا (المثل السينمائي السابق والمعروف
 بعدائه للشيوعية) بالمشاركة شخصيا بالتوسط
 الاوفر من برنامج زيارتها لولاية كاليفورنيا) .

هل اخذ نفوذ اليهود الأمريكيين يذوي ؟ يدرك
 السفير الإسرائيلي اسحق رابين ، من جانبه ، ان
 احساس اليهود وشعورهم بكونوتهم الذاتية كعنصر
 عرقي ثقافي اخذ في التصاعد في الولايات المتحدة
 الأمريكية كما هو الحال لدى الاطليات العرقية
 الثقافية الأخرى في البلاد ، بيد انه وغيره ممن
 الإسرائيلييين ليسوا واثقين بان هذا التصاعد في
 الاحساس بالكيونة الذاتية قد رافقته زيادة في نفوذ
 اليهود السياسي . ويبدو الامر في نظرهم كما عبر
 عنه بشكل فح مسؤول اسرائيلي ذو منصب رفيع :

لأنفسهم دوراً سياسياً ذاتية حيث إن الوضع ، كما يقول هيرش نفسه « بالنسبة لليهود الأمريكيين إسرائيل ليست من قضايا السياسة الخارجية ، بل هي من أمور السياسة المحلية » .

تأثير اليهود الأمريكيين على حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية : إن اعتبار اليهود الأمريكيين قضية الشرق الأوسط من أمور السياسة الداخلية أكثر منها قضية من قضايا السياسة الخارجية هو اتجاه لا وزن له لدى الرئيس نيكسون وغيره من أعضاء مجلس الأمن القومي . ولكن ، طالما أن شحن الطائرات وغيرها من المعدات الحربية سيواصل التدفق على إسرائيل بغزارة ، وكل الدلائل تشير إلى أن ذلك سيستمر ، فمن غير المحتمل أن يواجه الرئيس نيكسون معارضة شديدة من الهيئات اليهودية الأمريكية ، وإن كان معظم قادة هذه الهيئات ينتمون للحزب الديمقراطي . ولا بد وأن ينعكس هذا الموقف بجلاء على تمويل الحملة الانتخابية ، وقد عبر عن ذلك ، سرا ، أحد الممولين اليهود في نيويورك قائلاً : « انني اعترم التبرع لحملة الديمقراطيين الانتخابية في انتخابات رئاسة الجمهورية القادمة ، ولكنني لن اتبرع بمقدار ما كنت سأتبرع به لو أن نيكسون كان سيئاً في موقفه من إسرائيل » . ومن جهة أخرى ، تفقد معظم تبرعات الشركات الكبرى للحملة الانتخابية ، بما فيها تبرعات شركات البترول العاملة في الشرق الأوسط ، على الحزب الجمهوري . وفي هذا الصدد يقول ماير فيلدمان : « إن أموال شركات النفط كانت دائماً كما تعلم ، أهم في حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية من أموال اليهود ، بيد انني أقول إن وضع الفريقين (العرب والإسرائيليين) [١٤] متعادل إلى حد بعيد ، فكل فريق يحاول أن يجعل كفته ترجح على كفة الفريق الآخر ، وكل فريق له حججه ومبرراته القوية وعلى كل رئيس أمريكي أن يزن الأمر ويتخذ قراره على ضوء ذلك » .

« إن الجمهوريين قد رفضوا أيديهم منهم تماماً بينما الديمقراطيون يعتبرون الفوز بدعمهم لهم وتأييدهم أمراً مضموناً ومفروغاً منه » . ويعتقد الحاخام ريتشارد هيرش مدير مركز العمل الديني في اتحاد المجامع اليهودية الأمريكية ، وهو فرع شرق واشنطن تابع لحركة اليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة ، أن اليهود الأمريكيين يخشون من قوتهم السياسية يداعي أغراض مصالحهم السياسية الثابتة . وفي ندوة عقدت لدى القام المؤتمر المركزي للحاخاميين الأمريكيين في شهر حزيران عام ١٩٧١ ، قال هيرش : « لقد اكتسبت الاصوات اليهودية القسط الاوفر من قوتها من حسن الصنف التي شاعت أن يتركز السكان اليهود في كبرى المدن في كبرى الولايات ، غير انه يتحول الناس عن السكن في المدن إلى الإقامة في الضواحي ، وما رافق هذا التحول من ظواهر اقتصادية واجتماعية ، أخذ النفوذ اليهودي يذوب في هذه الضواحي ويضعف تأثيره ، كما أن التحالفات التقليدية بين اليهود والاقليات الأخرى ومع القوى العمالية أخذت بدورها تتفتت » . ويعتقد هيرش كذلك بأن المصالح اليهودية الأمريكية والضعف اليهودية الأمريكية قد بلغت أدنى مستوى في التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية وفي تقرير أمورها ، ويشاركة في هذا الاعتقاد سرا ، وإن لم يظنوا ذلك جهاراً ، بعض الزعماء السياسيين الإسرائيليين . وقد عبر هيرش عن هذا الاعتقاد في خطابه في ندوة حزيران المشار إليها سابقاً قائلاً : « إن اتخاذ قرار في الكونغرس حول أوضاع اليهود السوفيت من السهل الحصول عليه بقدر ما هو قليل الأهمية من حيث التأثير السياسي ، فمعظم أعضاء مجلس الشيوخ يبادرون إلى المشاركة في إصدار بيان يعبر عن الاهتمام ببصر اليهود ليظهروا بشكل هذا الاهتمام لليهود القاطنين في دائرتهم الانتخابية طالما أن مثل هذا البيان لا ينطوي على إجراءات عملية فعالة » . بيد أن مشكلة هيرش وغيره من زعماء اليهود الأمريكيين هي أن يجدوا

نيكسون وقوة اليهود الأمريكيين السياسية

مدارة علاقات هشة

الشارع الخامس بنيويورك انه يدرك بأن وزارة الخارجية الأمريكية تحيزاً للعرب (١٤) ووعد بأن يأخذ ذلك في الحسبان عند اتخاذ قراره في حالة

قال نيكسون خلال حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام ١٩٦٨ أثناء اجتماع ، لم يعلن عنه ، مع ١٤ من اليهود الأمريكيين البارزين في شقته السابقة في

توراه بالرئاسة . كتابه قال يتكسبون تلك الحوزة من الزعماء اليهود في ذلك الاجتماع . انني اعترم أن أعين في حكومتي الكثير من اليهود ، ليس لمجرد كونهم يهودا ، بل لانهم يتمتعون بالحصانة . وبعد انقضاء قرابة اربع سنوات على هذا الكلام ما زالت علاقة الرئيس نيكسون باليهود الامريكيين هشة وحساسة ، فأبواب البيت الابيض مشرعة أمام الجماعات اليهودية ، ولكن زعماءهم يشعرون انه لا يوجد هناك من يوسمهم التحدث اليه .

ليس لدى نيكسون سوى عدد قليل من الوسطاء الشخصيين بينه وبين الجالية اليهودية الامريكية منهم جاك توركرايزر (٥٧ سنة) ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في امريكا (١٩٦٥ - ١٩٧٠) ، وهو من القلائل الذين تولوا زعامة هيئة يهودية رسمية وفي نفس الوقت من الاعضاء الاقوياء في الحزب الجمهوري . ورغم العلاقة القائمة بين نيكسون وتوركرايزر فان معظم الزعماء اليهود الامريكيين يعتبرون ان موقف البيت الابيض من مصالحهم السياسية يتصف باللامبالاة .

قال أحد المحللين السياسيين في حديث سري : « ان النفوذ اليهودي في هذه البلاد مصدره الأصوات والنقود . ان حجم تبرعات اليهود للاغراض السياسية يتجاوز كثيرا نسبة عددهم وثروتهم الاجمالية ، ولهذا تأثيره على جميع المرشحين ، بيد ان نيكسون غير واقع تحت تأثير هذا العامل بالقدر الذي يجري مع اي مرشح او رئيس من الحزب الديمقراطي » .

ويقول وارين أدلر أحد رجال العلاقات العامة والاعلان في واشنطن وممثل عدة هيئات يهودية من بينها جمعية المضاربين القدامى اليهود : « ان نيكسون وحكومته يتجاهلان تماما القوة اليهودية السياسية » . وقد عمل وارين أدلر هذا- في حملة نيكسون الانتخابية في عام ١٩٦٨ ، ومن ثم عمل حتى عام ١٩٧٠ براتب قدره ٢٥٠٠٠ دولار سنويا كمستشار حول الشؤون اليهودية للجنة الحزب الجمهوري القومية ، وهو يقول انه « قد صدم شخصا » لما حدث ، وأضاف : « هناك تجارة كسدت . ان اليهود الامريكيين لم يعد لهم حصة في شيء ، فالرئيس نيكسون يولي اسرائيل اهتمامه ودعمه وتأييده لانها ركن مهم من اركان مضطط استراتيجته الشامل لنطاق الكرة الارضية بأسرها » .

ويقول حاكم إحدى الولايات الكبرى ان الرأسماليين يتكسبون مذابغة مرة « انني لست حذينا بشيء لليهود الامريكيين ، ولكنني لن ادع ذلك يؤثر في دعوى اسرائيل » .

يبلغ عدد الناخبين اليهود في الولايات المتحدة الامريكية حوالي ثلاثة ملايين ناخب ، ويعيش القسط الاوفر من الناخبين اليهود في ولايات نيويورك ، وبنسلفانيا ، وكاليفورنيا ، واللينوي ، ووفقا لتحليل اجراه الحزب الجمهوري بعد انتخابات الرئاسة في عام ١٩٦٨ ، نال الرئيس نيكسون اصوات حوالي ثلث الناخبين اليهود في ولاية كاليفورنيا التي ربح المعركة الانتخابية فيها وبالبلغ عددهم ٣٥٠٠٠٠ ناخب يهودي ، كما نال ما معدله حوالي ٢٠٪ من مجموع اصوات اليهود في جميع اتحاء الولايات المتحدة .

مآخذ اليهود الامريكيين على نيكسون : ان المآخذ الرئيسية على نيكسون التي يجهر بها اليهود الامريكيون هي : (١) انه لم يعد ، منذ ان تسلم الرئاسة ، الى القاء اي خطاب امام اية هيئة يهودية امريكية مع انه ، على سبيل المثال ، التي خطبا امام جمعية فرسان كولومبوس الكاثوليك (٢) لقد خرق التقليد المتبع منذ مطلع القرن العشرين وهو تقليد « الكرسي اليهودي » في المحكمة العليا وليس بين القضاة الستة الذين عينهم في المحكمة العليا اي يهودي (٣) عين عددا قليلا نسبيا من اليهود في مناصب عالية في ادارته ، ولم يعين في حكومته ايا منهم .

ويرد أحد أصدقاء نيكسون ، وهو يهودي آشكوز كتمان اسمه ، على هذه المآخذ على النحو التالي بخصوص قرار الرئيس نيكسون الاعتذار عن تلبية دعوات الهيئات اليهودية لالقاء الخطاب في مناسباتها ، يقول هذا الصديق : « لا يخفى نا هو عليه الوضع في الشرق الاوسط من حساسية ، ولا يستطيع الرئيس اذا ما تحدث الى جمهور يهودي ان يتحاشى الحديث عن هذا الموضوع ، وهذا ليس من الامور التي يوسمك الخوض فيها بصراحة من على منبر عام » . أما بخصوص قرار الرئيس نيكسون عدم التقيد بقرار « المقعد اليهودي » ضمن هيئة قضاة المحكمة العليا ، فيقول صديق الرئيس نيكسون اليهودي : « ان هيئة قضاة المحكمة العليا تتكون من تسعة اشخاص فقط ، فترى هل يتأتى على الرئيس ان يتوخى ان تشمل

هيئة قضاء المحكمة العليا على قاضي معمداتي كذلك ؟ انني لا اعرف ما اذا كان هنالك قاضي معمداتي في المحكمة العليا ام لا ، المهم في الامر ان هؤلاء لا يجلسون من هذه المسألة قضية للبحث والنقاش وموضوع مطالبة . فلماذا يجعل اليهود الامريكيون من هذا الامر قضية ؟ ان مثل هذه القضايا لا يثرها سوى اليهود « المحترمين » [زعماء الهيئات اليهودية] .

أما بخصوص تعيين اليهود في الحكومة والمناصب العليا في الادارة : « فلا اظن ان الناخب اليهودي المعادي يحفل بأية صورة من الصور فيما اذا كان الرئيس قد عين شخصاً يهودياً في منصب معين ام انه لم يفعل » . ويضيف هذا الصديق اليهودي للرئيس نيكسون قائلاً ان اختباراً افضل من ذلك لتحقيق نوايا الرئيس هو من خلال طباعه وما يكن في دخيلة نفسه . وقد عبر عن ذلك بقوله : « في لحظة سهو ولا مبالاة ، عندما يرخي المرء لنفسه العنان ويحترق من التحفظ في كلامه قد يزل لسانه ، ويغوه ببيكونات نفسه . لقد مررت به [الرئيس نيكسون] منذ عام ١٩٤٦ ، وما من مرة زل لسانه او تنوه عن شخص يهودي بما يتجاوز الحدود بأية صورة من الصور » .

يهود نيكسون : ان المسؤولين اليهود في ادارة نيكسون في البيت الابيض يشملون هنري كيسنجر مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي ، وليونارد غارمنت المستشار الخاص للرئيس (لشؤون الحقوق المدنية والفنون والاداب) . ومن المسؤولين اليهود الاخرين الذين يحتلون مناصب رفيعة في الحكومة هيربرت شتاين الرئيس الجديد لمجلس المستشارين الاقتصاديين ، وآرثر بيرنز رئيس مجلس ادارة حكام صندوق الاحتياط الاتحادي ، ووالتر ائنبيرغ سفير الولايات المتحدة في بريطانيا ، كذلك فان موري تشوتنر المستشار السياسي لنيكسون منذ امد بعيد ، وقد استقال من منصبه كمستشار خاص للرئيس في شهر اذار الماضي لينضم الى مكتب ريفز وهاميلتون للاستشارات القانونية في واشنطن هو يهودي ايضا .

ليونارد غارمنت : لاحظ ادلر المستشار السابق للحزب الجمهوري للشؤون اليهودية قائلاً : « اذا ما كتبت يهودياً واصبحت في موقع قريب من السلطة فقد تأخذ وجهة نظرك تتبدل وتتبلور لديك وجهة نظر جديدة » . « لم يعين نيكسون في ادارته

اي شخص ليكون صلة وصل بينه وبين الجالية اليهودية الامريكية ، ويبدو ان الرئيس يسي ان غارمنت يقوم بهذا الدور ، ولكن غارمنت لا يسي نفسه القائم بهذا الدور » . ويضيف ادلر متحدثاً عن غارمنت قائلاً : « ان غارمنت خريج مدرسة دينية يهودية « يشيفاه » ، درس بعدها في كلية في بروكلين ، ومن ثم التحق بكتب استشارات قانونية في « الوبل ستريت » . وهو لا يود ان يدمج بأنه اليهودي في البيت الابيض ، وعندما تنشأ بعض المشاكل يقول للزعماء اليهود الاخرين : « عليكم ان تتركوا هذا الامر لي لاندبره بطريقتي الخاصة ، فانا اعرف كيف يفكر هؤلاء الناس » . ويقول غارمنت انه لا يصرف الكثير من الوقت لحل المشاكل « اليهودية » . ويقول الناطق باسم احدي الهيئات اليهودية في واشنطن عن ليونارد غارمنت : « لقد زرته مرة او مرتين . انني لا اظن انه يود ان يتغمس في القضايا اليهودية » .

ماكس فيشر : هو ضابط الارتباط الرئيسي وصلة الوصل بين الرئيس نيكسون والجالية اليهودية الامريكية ، وماكس فيشر هذا هو مليونير يهودي من ديترويت عمره ٦٣ عاماً ، وقد وصفته جريدة « ديترويت نيوز » في شهر تموز ١٩٧١ بأنه واحد من عشرة رجال هم « اقوى رجال ديترويت واغنى اثريائها » . وفي عام ١٩٦٨ تبرع ماكس فيشر بمبلغ ١٠٧٠٠٠ دولار للجمهوريين في حملة انتخابات الرئاسة الامريكية مؤيداً نيكسون بعد ان انسحب السناتور الجمهوري جورج رومني من انتخابات الحزب الجمهوري التمهيدية في نيو هامبشير لانتقاء مرشح الحزب للرئاسة الامريكية . وفيشر هذا هو الذي رتب لقاء عام ١٩٦٨ بين نيكسون و ١٤ زعيماً يهودياً امريكياً في شقة الرئيس الامريكى السابقة في الشارع الخامس في نيويورك ، وهو الذي رتب كذلك اللقاء الوحيد الذي اعلن عنه بين الرئيس نيكسون وزعماء اليهود الامريكيين منذ ان تولى نيكسون الرئاسة الامريكية . ففي ٣٠ كانون الاول عام ١٩٧٠ اجتمع نيكسون بالحاخام هيرشل شاكتر رئيس المؤتمر اليهودي الامريكى حول اليهود السوفييت ، وويليام ويكسلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى والذي يضم ٢٦ هيئة ومنظمة . وقد تناول المجتمعون بالبحث اوضاع اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وقد قال ماكس فيشر في احدي المقابلات الصحفية :

« لقد شاركت في حملته الانتخابية [حملة نيكسون] »

في عام ١٩٦٨ ، والتزمت الناضحة في حملته الانتخابية القادمة في عام ١٩٧٢ على كلا الصعيدين المالي والسياسي . انني احاول ان انقل للرئيس مشاعر الجالية اليهودية الامريكية ورفقاتها ، كما أحب أن أكون في موقع يمكنني من الاطلاع على سياسة الحكومة ومعرفة مجرياتها ، فالمعلاقة تنطوي على أخذ وعطاء والمصلحة متبادلة .

في نيسان ١٩٦٩ عين ماكس فيشر مستشارا خاصا للرئيس للشؤون البلدية والتربية ، وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه أسس الرئيس نيكسون « المركز القومي لعمال التطوع » وعين ماكس فيشر رئيسا لهذا المركز الذي مهمته تنظيم أمور التطوع ويمول من التبرعات الخاصة . وفي شباط ١٩٧٠ استقال فيشر ليتفرغ لصالحه النفطية والعتارية والمالية .

ويقول وايرن أدلر انه عندما كان ماكس فيشر في واشنطن « عومل معاملة رديئة » . ويقول محام في واشنطن عرف ماكس فيشر طوال سنوات عديدة: « لقد تجاهل الرئيس نيكسون ماكس فيشر وأهانته خلال الفترة التي تلت حملة انتخابات الرئاسة ، اما الآن وقد بدأ الاعداد لحملة انتخابات الرئاسة القادمة عاد فيشر يرتب اللقاءات وحفلات الغذاء بين الشخصيات اليهودية المهنة والرئيس ، انه المنسق للعلاقات بين الرئيس والجالية اليهودية الامريكية ، وهو الذي يشغل « الحقيبة اليهودية » . بمباراة أخرى ، دارت الاحداث بالنسبة لماكس فيشر دورة كاملة ، اذ عاد يقول ان نيكسون هو افضل رئيس امريكي مررته اسرائيل ، واذا لم تساهموا في حملته الانتخابية وتبرعوا لها فقد تنفرونها من قضايا الجالية اليهودية وتبعودونه عن اسرائيل » .

اما ماكس فيشر نفسه فيحدث عن علاقته بنيكسون قائلا : « لقد كان الرئيس منصفا غاية الاتصاف في تعامله معي . فقد عرض علي منصبيا في ادارته في البيت الابيض ، ولكنني عازف عن تولي اية مناصب ، انني اولا واخيرا رجل اعمال وادارة الاعمال تجري في عروقتي وهي بمثابة هوية لي » .

ويتقسم ماكس فيشر اوقاته التي تفيض عن حاجة أعماله بين العمل السياسي لصالح الحزب الجمهوري واعمال البر والاجسان لصالح اليهود [جمع التبرعات لاسرائيل] ، فقد كان رئيسا عاما لمجلس الإدارة (١٩٦٥ - ١٩٦٧) ثم رئيسا

(١٩٦٨ = ١٩٦٩) للعملاء اليهودي الرئاسي ٨

ويؤيد حاليا رئيس مجلس الاعمال ومؤسسات الرعاية اليهودية المؤلفة وهذا هو النية المركزية التي تنسق عمليات جمع التبرعات الخيرية من اليهود الامريكيين [جمع التبرعات لاسرائيل] .

وماكس فيشر كذلك احد الاعضاء الثمانية المؤسسين للجنة اعادة انتخاب الرئيس التي تتولى الاشراف على تخطيط واعداد ترتيبات حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة الامريكية في عام ١٩٧٢ .

لاري غولدبرغ : وقع الاختيار على لاري غولدبرغ ليتولى في جهاز حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة مهمة العمل على حشد التأييد والدعم اليهودي لنيكسون . ولاري غولدبرغ (٤٠ سنة) من أعضاء الحزب الجمهوري في ولاية رود آيلاند ، وقد رشحه ماكس فيشر للقيام بهذه المهمة . وقد التحق غولدبرغ هذا [وهو غير آرثر غولدبرغ مندوب الولايات المتحدة في مجلس الامن في عهد الرئيس جونسون] بجهاز حملة التجديد لنيكسون في شهر تشرين الاول الماضي ، فترك مدينة بروفيديانس في ولاية رود آيلاند حيث عمل مع شركاء آخرين من عائلته على انشاء شركة منتجات معدات التربية الامريكية التي تم بيعها . ولاري غولدبرغ حائز على شهادة في القانون من كلية الحقوق في جامعة هارفرد ، وعمل خلال فترة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ مستشارا تشريعيًا لادارة المشاريع الصغيرة ، وقد شارك بنشاط في حملات انتخابات الحزب الجمهوري منذ عام ١٩٥٦ ، وقبل ان يتولى مهمته الجديدة في جهاز حملة التجديد لنيكسون كان رئيس ادارته « عصبة مناهضة التشهير » المتفرعة من منظمة بناي بريث الصهيونية في ولاية نيو انجلند .

وقال لاري غولدبرغ في مقابلة قصيرة : « اننسى لست مضاربا في سوق القوة السياسية ، واخبر ان اظل بعيدا عن الاضواء قدر الامكان لان مركزي حساس جدا من هذه الناحية ، فكل شيء ما زال قيد التخطيط والاعداد ، ولكنني لا اود ان اظهر بظهر الشخص المسؤول عن اليهود ، فالامر اسقط من ذلك بكثير » . غير ان احد المتظلمين لجهاز لخطه حملة تجديد انتخاب نيكسون وهو روبرت اولد الابن يقول ان غولدبرغ سيصرف اكثر من نصف وقته في العمل بين صفوف اليهود الامريكيين لحشدهم وراء نيكسون في حملة انتخابات الرئاسة القادمة .

تحليل علاقات نيكسون باليهود الامريكيين :

ماكس فيشر هو الوجه البارز في مخططات نيكسون السياسية لكسب اليهود الامريكيين الى جانبه ، وفي ظل ادارة فيشر للامور تكونت وراء الستار بوادر تشنجات وتوترات من بينها : (١) بغض مستشاري نيكسون الرئيسيين في الشؤون الانتخابية نفخوا ايديهم تماما من الامل في كسب الدعم السياسي من اليهود الامريكيين ، ولا يعتقدون ان على الرئيس نيكسون ان يضيع جهدا كبيرا غيبا يعدونه قضية خاسرة . ومن بين من يميلون الى الاخذ بهذا الموقف هالدان المساعد للرئيس ، ورئيس هيئة الاركان في البيت الابيض .

(٢) بعد ترك ادلر لهيئة اللجنة القومية للحزب الجمهوري [« اذ جاءت الوجوه الجديدة واخذت البيت من ساكنيه واحتلت جميع المواقع » حسبما يقول ادلر] ، لم يبق هنالك احد ، سواء داخل البنيان الرسمي للحزب الجمهوري او بين المسؤولين في البيت الابيض ، من هو متخصص في الشؤون اليهودية . [ولكن من جهة اخرى ، السناتور روبرت دول وهو جمهوري من ولاية كنساس ، ورئيس المجلس القومي للحزب الجمهوري ، معروف عنه انه من أشد مؤيدي اسرائيل في مجلس الشيوخ] (٢٠) لا يخفي بعض زعماء اليهود ، ممن تربطهم بالرئيس نيكسون علاقة ودية ، امتعاضهم من الدور الكبير الذي أسند الى ماكس فيشر . وقد عبر واحد من هؤلاء ، سرا ، عن دواعي امتعاضهم من ماكس فيشر قائلا : « اذا كان ماكس فيشر لا يعتقد بانك شخصية كبيرة فقد يعابك بفظاظة متناهية ، وعلاوة على ذلك ، فان ماكس فيشر محاب ومحبز لجماعة النداء اليهودي الموحد ، فاذا لم تكن واحدا من جماعة ماكس في النداء اليهودي الموحد فلا جدوى من محاولتك الوصول الى الرئيس » . (٤) يبقى ليونارد غارمنت مستشار نيكسون اليهودي لشؤون الجقوق المدنية والفنون والاداب دون دور ليلعبه في حملة نيكسون الانتخابية ، وكان غارمنت هذا قد شرح الموقف لنيكسون وهياه في حملة انتخابات الرئاسة الماضية عام ١٩٦٨ لاجتماع هام مع زعماء هيئة يهودية رئيسية تضم تحت جناحها العدد الاوفر من المنظمات والهيئات اليهودية الامريكية وهي مؤتمر رؤساء الهيئات اليهودية الامريكية .

وليونارد غارمنت احد المتخرجين من مكتب

الاستشارات القانونية الذي كان نيكسون شريكا في ملكيته ، واصبح يدعى الآن مكتب مدج ، وروز ، وغثري ، والكسندر . وهناك خريج اخر من هذا المكتب يشغل منصبا مهما في ادارة نيكسون ، وهو جون ميتشل المدعي العام والذي يحتمل ان يلعب دورا سياسيا مهما هذه السنة .

وفي حملة عام ١٩٦٨ الانتخابية ساهم شخص اخر ايضا في شرح الشؤون اليهودية لنيكسون واطلاعه على ملاساتها وذلك هو مارتن بولنر المدير الحالي لمكتب تطبيق القانون في وزارة الخزانة ، وكان بولنر شريكا في ما كان يدعى يومئذ مكتب نيكسون للاستشارات القانونية قبل ان يجنده غارمنت للعمل في حملة نيكسون الانتخابية . وقال احد المحامين اليهود في واشنطن بصورة سرية : « ان مارتن بولنر هو من افضل الاشخاص [اليهود] الذين في خدمة نيكسون ، ولكن طالما ان ماكس فيشر يدير عمليات نيكسون [بين اليهود] فلا اظن انه ستتاح له الفرصة للظهور والبروز » .

ويقول وارين ادلر المستشار السابق للشؤون اليهودية في لجنة الحزب الجمهوري القومية : « اننا نجد أنفسنا ازاء طبقة رواد النوادي الريفية الخاصة (اهل المال والسلطان) ، فجميعهم لهم اصدقاء من اليهود الامريكيين ولكنهم لا ينظرون الى الامور من وجهة نظر الشعب اليهودي ولا يتبنون قضاياه ، هذا في حين ان اليهود القريبين من نيكسون لا يعتبرون انفسهم يهودا » .

كينين العميل الصهيوني القدير في الكونغرس الامريكي :

طلب السناتور هيو سكوت وهو من الشيوخ الجمهوريين البارزين من احد مساعديه مرة ان يعد له بيانا حول الشرق الاوسط ، وبعد ان قرأ السناتور سكوت مسودة البيان قال لمساعدته الذي أعده « اعتقد ان البيان ممتاز وهو ما اردت تماما ، ولكن ، من قبيل الاحتياط ، حبذا لو حملته الى « سي » واطلعت عليه » . من هو « سي » هذا الذي أشار اليه السناتور هيو سكوت ؟ انه تزحيا كينين مساعد الرئيس التنفيذي للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية ، ويناودته « سي » تصغيرا لاسمه الاول « تزحيا » ، وبمرور الزمن ازداد عدد اعضاء الكونغرس الذين يستمعون رأي « سي » حول سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

دورا « سي » كينين ، قال أحد الناطقين في البيت الأبيض ، وقد أمر كينان انصح : « ان سي كينين يتمتع بنموذ كبير بين صفوف اعضاء الكونغرس ، ويشتهر عندهم بأنه متحدث شديد الاطلاع على الشؤون الاسرائيلية ، ومن المعروف ان ارتباطاته بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن وثيقة جدا ، وهو المرجع النهائي للمحاورين الاسرائيليين والصهيونيين ، فرغم ان جميع المنظمات الصهيونية الكبرى تصر على أن يكون لها ناطق خاص بها لدى الكونغرس ، فان الجميع ينظرون الى سي كينين بأنه المرجع الآخر وجميع هؤلاء الناطقين والمحاورين الصهيونيين يطلبون مشورته » .

ويقول كينين انه يشعر ان دوره كوسيط حساس ودقيق ويتطلب قدرا من الدراية والدهاء في التصرف ، ولذلك فهو يحاول ان يتجنب الظهور تحت الاضواء ، بيد ان كينين يقر بان : « كثيرا من المسؤولين والهيئات يستوضحون رأينا ، فكثيرا ما يتصل بي هذا العضو او ذلك في مجلس الشيوخ ليطلعني على مسودة خطاب كتبه وما الى ذلك . وأظن أنك لو استفسرت من اعضاء الكونغرس عن أسلوبنا في العمل لوجدت انه لا يقوم على الضغط ، فالمسألة هي مسألة تزويدهم بشروح وتفسيرات وتوضيحات ومعلومات عن الوضع وتطورات الموقف » . ويضيف قائلا : « عندما تلوح في الأفق بوادر اتجاهات ومواقف لا توافق هوانا أبعث برسالة توضح الموقف لنحو ٧٠٠ شخص من قادة الجالية اليهودية الامريكية وزعمائها ، كما اتصل بالمثليين والتمدوبين المحليين للبيئات اليهودية الامريكية هنا في واشنطن ، وقد ادعو هؤلاء الى مكثي لحيطهم علما بما يجري ولاحثهم على القيام بما يستطيعون من اعمال ، فأبلغهم بأسماء اعضاء مجلس الشيوخ الذين يرفضون توقيع القرار المطلوب وأطلب منهم ان يفعلوا ما بوسعهم ان يفعلوه بهذا الصدد » .

نشأة كينين وخبرته : كان كينين صحفيا في كليفلاند بولاية اوهايو ، وفي عام ١٩٤٣ قدم الى مدينة واشنطن جديرا تنفيذيا للمؤتمر اليهودي الامريكي ، وهو هيئة صهيونية تضم عدة منظمات وجمعيات يهودية امريكية ، جرى تشكيلها للعمل على اقناع المراجع الحكومية الامريكية المختصة بدعم وتبني فكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وفي عام ١٩٤٧ سجن كينين عن جرائمه في المؤتمر اليهودي الامريكي ليصبح ممثلا شخصيا للوكالة اليهودية في نيويورك التي كانت تمثل المصالح اليهودية لدى منظمة الامم المتحدة التي كانت قد تكونت حديثا آنذاك ، وبعد ذلك اصبح كينين اول ناطق رسمي بلسان الوفد الاسرائيلي لدى منظمة الامم المتحدة . ويسترجع كينين ذكرياته حول تلك الايام قائلا : « في عام ١٩٥٠ كانت اسرائيل بحاجة الى معونة اقتصادية ، وقد بذلت مساع لادخال اسرائيل ضمن مشروع مارشال ، بيد ان الخارجية الامريكية عارضت ذلك ، فظهرت الحاجة الى العمل في صفوف اعضاء الكونغرس » . وقد تبلورت لذلك فكرة تشكيل جهاز للاتصال باعضاء الكونغرس ، ودعي في بادئ الامر « الحلبي الصهيوني الامريكي » الذي اصبح يدعى في عام ١٩٥٩ « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية » . وفي عام ١٩٥١ سجل كينين نفسه لفترة وجيزة ، كعميل لدولة اجنبية ، ولكنه يعمل منذ ذلك الوقت كمحاور محلي رغم حملة السناتور وليم فولبرايت عليه ، وقد قام السناتور فولبرايت في عام ١٩٦٣ بقشري نشاطات « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية » توطئة لفتح تحقيق في مجلس الشيوخ حول سوء تطبيق قانون تسجيل عملاء الدول الاجنبية ، بيد ان الموضوع اقبل ولم يستدع كينين للدلاء بانادته كما لم يتم توجيه تهمة معينة له .

نشاطات كينين ومجهوداته من خلال لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية : تدير لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية عملياتها بميزانية سنوية مقدارها ١٧٥٠٠٠ دولار تجمع كلها من تبرعات من داخل امريكا . وتدير عملياتها كينين (٦٧ سنة) دائم السفر والتجوال ، ويدير عملياتها في بعض الاحيان من مكتبها الفرعي في نيويورك ، وكثيرا ما يلقي احاديث في الجماعات اليهودية في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، وغالبا ما يرافقه في جولاته هذه ارفنغ كين رئيس ادارة لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية والذي يشرف على جمع التبرعات لها . وكثيرا ما يزور كينين اسرائيل ، وخلال زيارته الاخيرة في تشرين الاول الماضي اجري مباحثات مع غولدا مائير رئيسة الوزراء . وتتميز نشاطات كينين باستقلاليتها عن المسؤولين الاسرائيليين بما فيهم هيئة السفطارة

في واشنطن . ويقول كينين : « لم اضطحب السفير الإسرائيلي معي الى الكونغرس لاجراء الاتصالات مع الشيوخ والنواب منذ سنوات » . ويفضل كل من كينين والاسرائيليين انفسهم ان يعمل كل منهما بشيء من الاستقلال عن الآخر . وفي بعض الاحيان نشأت بينهما اختلافات حول اساليب العمل بصدد بعض التشريعات . ويصف كينين نفسه بأنه « من طراز اليهود الليبراليين الكلاسيكي » ، وهو يلاحظ وجود نوع من « الهوة بين الاجيال » بينه وبين السفير الاسرائيلي اسحق رابين الجنرال المتقاعد ، وعمره ٤٩ سنة ، من رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي .

ويقول بعض اعضاء مجلس الشيوخ سرا انهم يرتاحون أكثر الى مناقشة الامور بصراحة مع كينين بصفته امريكيا مما مع الدبلوماسيين الاسرائيليين ، بينما يقول شيوخ آخرون انهم يفضلون ان يتعاملوا مع الاسرائيليين مباشرة ، ومعظم الشيوخ يشعرون ان من المفيد لهم ان يتعاملوا مع الطرفين .

ويقدر اسحق رابين قيمة عمل كينين ومجهوداته ، وان كان لا يعتمد عليه اعتمادا كليا . ولذلك وافق في ربيع عام ١٩٧١ ان يكون ضيف الشرف في ماديتي غداء حافظتين لاعضاء مجلسي الشيوخ والنواب بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الثاني عشر للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية . ففي ٢٩ نيسان ١٩٧١ اقام رئيس مجلس النواب كارل ألبرت [ديموقراطي من اوكلاهوما] حفل غداء على شرف ٣٠٠ من مندوبي لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية الى المؤتمر ، وحضره كذلك ١٥٠ عضوا من اعضاء مجلس النواب من بينهم زعيم الاغلبية النيابية هال بوغز (ديموقراطي من لويزيانا) وزعيم الاقلية النيابية جيرالد فورد (جمهوري من ميتشيغان) . واقام حفل الغداء الاخر في مبنى مكاتب مجلس الشيوخ الجديدة ، وكان خطباء الحفل السناتور هيو سكوت والسناتور هنري جاكسون .

نشرات كينين ومطبوعاته : علاوة على المهام التي يقوم بها كينين في لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية فهو يشرف ايضا على تحرير نشرة اسبوعية من اربعم صفحات (ولكنها زاخرة بالمعلومات) يدعوها « تقرير حول الشرق الادنى » ، وهي توزع على ٢٧٠٠٠ مشترك ، وقيمة الاشتراك

بها ٧ دولارات سنويا ، ويوزعها كينين مجانا على جميع اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب . ويعمل كينين ، بمساعدة ٦ موظفين متفرغين و٤ غير متفرغين ، على تنسيق سجلات وافية وتنصليية حول جميع القضايا والامور المتعلقة باسرائيل بما فيها موافق كل واحد من اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب من قضايا الشرق الاوسط ، كما يحتفظ بملفات وافية وشاملة لما يدعوه كينين « جهاز الدعاية العربية » ، وفي كل عدد من اعداد « تقرير حول الشرق الادنى » يتصدى كينين لتنفيذ وجهة

النظر العربية ويقدم حججا مضادة لتفحصها ، وقد لخص عددا كبيرا من هذه الحجج والحجج المضادة في عدد خاص من ٤٨ صفحة دعاه « اوهام ووقائع » ، وباع منه منذ عام ١٩٦٧ ، حين صدوره ، ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ نسخة .

« التوازن » كما يفهمه الصهيونيون : يقول كينين « قبل ان نبدأ عملنا في واشنطن كان هناك « عدم توازن » في الضغوط ، فهناك التكتل « البترولي - الدبلوماسي » ، وهؤلاء لا يحتاجون الى المحاورة واجراء الاتصالات و« التطبيقات » كما نعمل نحن ، فهم يشكلون مركز قوة حقيقي ، اذ افلحوا في شق طريقهم الى مراكز ومواقع حساسة وقوية ، وعلى اية حال ، ان رئيس شركة نفط يستطيع الاتصال بالرئيس بسهولة اكثر منا » .

نهج اسرائيلي جديد في التوجه الى مراكز القوى في الولايات المتحدة وفي العلاقات معها :

جاء تأسيس اسرايل في ١٤ ايار عام ١٩٤٨ تتويجا لقراءة ستين سنة من المجهودات والمساعي الصهيونية . وقد اعتبرت في مطلع عهدها هي تعاملها مع الولايات المتحدة الامريكية على مشورة ونصائح اعوانها من الاميركيين (جلهم من اليهود) ، بيد ان الاسرائيليين اصبحوا ، في السنوات الاخيرة ، اقل اعتمادا على مشورة اليهود الاميركيين في تعاملهم مع واشنطن . واخذت السفارة الاسرائيلية في واشنطن ، تنهج نهجا استقلاليا وتنزع الى الاعتماد على نفسها في تصريف الامور واجراء الاتصالات .

ويعبر هذا النهج الجديد ، الى حد كبير ، عن نظرة السفير الاسرائيلي في عهد نيكسون الجنرال اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي السابق (١٩٦٤ - ١٩٦٨) ، وقد قال اسحق

وأبقت تبيع الفروسي في السجن المانع ١٩٧١
و١٩٧٢ مبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، ويعتبر
الإسرائيليون هذه المبالغ كافية . وعلاوة على ذلك
يرجع الإسرائيليون في أواخر السنة الماضية معزمتهم
للحصول على « مساعدات الدعم » ، وهذه من
برامج المساعدات الخارجية المخصصة لمسؤولي
البلدان التي يستنزف موارد ميزانياتها الانفاق
العسكري لمكانة الشيوعية . وقد أثر الكونغرس
منح إسرائيل دفعة أولى من مساعدات الدعم
قيمتها ٥٠ مليون دولار .

الردع الأمريكي : درع لحماية إسرائيل : ومن
الأهداف الأساسية التي تتوخاها إسرائيل في
علاقاتها مع الولايات المتحدة إيجاد رادع أمريكي
موثوق به ومضبوط للحيلولة دون استخدام القوة
العسكرية السوفيتية في الشرق الأوسط ، وبطلت
الإسرائيليون من الولايات المتحدة أن تكون لهم
بثابة درع عسكري يقيهم من الروس دون أن
يلتزموا بشروط أية معاهدة رسمية بين واشنطن
وقل أيبب . ويرى الإسرائيليون أن احتمالات أقدام
السوفييت على الجأزة بأية أعمال عسكرية على
حدود إسرائيل تتوقف بالدرجة الأولى وبصورة
مباشرة على تقييم موسكو وتقديراتها لقدرة
الولايات المتحدة واستعداداتها العسكرية ،
وبدرجة أهم على مدى تصميها وبشدة هزيمها على
القتال . وبناء على ذلك يرى الإسرائيليون أن
تقييم السوفييت للأمور وتقديراتهم للموقف لا يبد
وإن نتائجها يلمسونه من ظواهر تصميم الولايات
المتحدة وهزيمها على دعم إسرائيل ومساندتها مثل
مستوى تدفق شحنات الأسلحة الأمريكية على
إسرائيل ، ومدى قوة الاستطول الأمريكي السادس
في شرق البحر المتوسط والمواقع التي يتخذها فيه .
ويعتقد الإسرائيليون أن موسكو تنظر الآن نظرة
جادة إلى تصميم الولايات المتحدة وهزيمها على
ردع أي تدخل سوفييتي في الشرق الأوسط .
ووفقا لهذا التحليل أصبح السوفييت ينظرون بجدية
أكثر إلى شدة عزيمة الولايات المتحدة على الردع
لأن الرئيس نيكسون أقدم ، من حين إلى آخر ،
على مطالبات غير متوقعة في تعامله مع مختلف
كل العالم الشيوعي مما جعل من غير اليسر
حذس سياساته وتخمين الموقف الذي سيتخذه
إذا ما طرا طارئ .

ويعتقد الإسرائيليون أن الروس أصبحوا ينظرون

وأبقت تبيع الفروسي في السجن المانع ١٩٧١ ، التي
مطائر التي أخذ بعيد يأسلوبه على التسابق الذي
يملق تدرا كبيرا من الأهمية على التحديد الواضح
والمحدد للأهداف ، إذ ينبغي أن يبنى الحكم على
السياسة الخارجية قياسا على النتائج العملية
الموسومة ، ولذلك سميت إلى أن احدد على وجه
الدقة المهام التي يترتب على أن أؤديها وأنجزها .
ونعرض أدناه تلخيصا لنظرة الإسرائيليين لسلم
الأولويات في تعاملهم مع واشنطن :

السلاح والتسلح : إن أولى الوماعات التي يدركها
الدبلوماسيون الإسرائيليون في واشنطن هي أن
بلدهم يعتقد على الأسلحة الأمريكية المتطورة في أي
نزاع ينشأ مع العرب في المستقبل . ولذلك ، فإن
من أهدافهم الرئيسية العمل على استقرار تدفق
الأسلحة الأمريكية بفرارة على إسرائيل ، ويشعر
الإسرائيليون أنهم بحاجة إلى كميات من السلاح
تمكنهم من الانتصار في أي قتال لا يشترك فيه
الروس . أما فرنسا التي كانت المصدر الأول
للسلاح الإسرائيلي فقد استنكتت عن بيع طائرات
الميراج إلى إسرائيل . ومنذ عام ١٩٦٨ أصبحت
طائرات الفانتوم المقاتلة القاذفة والتي تصنعها
شركة ماكندول دوغلاس هي عماد سلاح الطيران
الإسرائيلي . وقد بيع الإسرائيليون (في الصفقة
الأولى) ٨٦ من طائرات الفانتوم ، سلمت ٥٠
منها في عهد الرئيس جونسون ، و ٣٦ في عهد
نيكسون ، كما تلقى الإسرائيليون ١٢٠ من طائرات
سكاي هوك القاذفة المهاجمة وهي طائرة أقل
تطورا من الفانتوم وتقل سرعتها عن سرعة
الصوت ، وتصنعها أيضا شركة ماكندول دوغلاس .
وستتلقى إسرائيل المزيد من طائرات سكاي هوك
خلال عام ١٩٧٢ ، وكذلك وافق الرئيس نيكسون
على بيع إسرائيل المزيد من طائرات الفانتوم بعد
أسابيع قليلة من طلب غولدا مائير الشخصمي لها
في ٢ كانون الأول ١٩٧١ أثناء زيارتها للولايات
المتحدة .

التحويل الأمريكي لإسرائيل : يضع الإسرائيليون
هدف تأمين أقصى حد ممكن من الدعم المالي من
الحكومة الأمريكية لبلدهم في مرتبة واحدة مع
السلاح والتسلح في سلم الأولويات لتعاملهم مع
الولايات المتحدة ، سواء كان هذا الدعم المالي
في صورة قروض لتحويل مشترياتهم من السلاح أو
على هيئة إعانات اقتصادية مباشرة .

المحافظة التفكير في الولايات المتحدة والتي مغلقت دائما انتهاج سياسة عسكرية متشددة ، مما هي مع الليبراليين . ويعتقد الاسرائيليون ان اعتمادهم اعتمادا كليا على دعم اليهود الاميركيين لاسرائيل في المناخ السياسي الراهن سيكون خطأ سياسيا نادحا .

هل دور الهيئات اليهودية الاميركية في توجيه السياسة الاميركية مبالغ فيه ؟

اجرت مجلة « ناشيونال جورنال » في عرضها الشامل للعلاقات المتداخلة بين الهيئات اليهودية الاميركية ومراكز القوى الفعالة في رسم خط السياسة الاميركية ، وطبيعة العلاقات بين الحكومة الاميركية واسرائيل مقابلة مع احد اليهود الاميركيين الذين مارسوا مدة طويلة التأثير على الرأي العام والمسؤولين الاميركيين ، وشارك في عملية اجراء الاتصالات والضغط والمحاورة المعهودة من اجل القضايا الاسرائيلية ، وذلك هو « ميلتون فريدمان » الذي عمل منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٠ محررا لاجل « وكالة البسوق اليهودية » . وقد استقال من عمله هذا ليلتحق بلجنة الحزب الجمهوري القومية لحملة انتخابات الكونغرس ، ومن ثم عمل مساعدا للنائب الجمهوري عن ولاية نيويورك سيمور هالبرين ، وهو في هذه المقابلة مع مجلة « ناشيونال جورنال » يعرض طبيعة التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الاميركية على المسؤولين الاميركيين ويقدم اهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات ، من الداخل ، بصفته واحدا ممن شاركوا في هذه العملية مدة طويلة ، [ولذلك لا غرابة في انه يجنح الى تقليل اهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات اليهودية ، وان يميل الى تبسيط طبيعة العلاقات المتداخلة بين الطبقة الاحتكارية الحاكمة في الولايات المتحدة وبين المواقع القوية التي يحتلها اليهود الاميركيون في عالم المال والاحتكار وسيطرتهم على وسائل الاعلام الاساسية من صحافة واذاعة وتلفزيون وشركات الانتاج السينمائي في هوليوود .

ولكن ، من ناحية اخرى ، يلاحظ ان اوساطا عربية واسعة ، لا سيما ما يدور منها في فلسك الهيئات الحاكمة في العالم العربي ما تزال تتصوره كما كانت تتصور دائما ، ان التواطؤ القائم بين قوى الاستعمار ، قديمة وجديدة ، ممثلة في الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية

الى المناورات والتهديدات الاميركية نظرة جصادة نتيجة اقدام الولايات المتحدة على غزو كمبوديا في عام ١٩٧٠ ، واستئثارها الغارات الجوية على نطاق واسع ضد فيتنام الشمالية في اواخر كانون الاول ١٩٧١ ، وقد اصدر الرئيس نيكسون اوامره بالاقدام على كلتا هاتين العمليتين رغم تصاعد الضمور المعادي للحرب في الولايات المتحدة . وفي جبهة الشرق الاوسط امر الرئيس نيكسون في شهر ايلول ١٩٧٠ الاسطول السادس بالتوجه نحو شاطئ لبنان [عندما اشتدت قوة المقاومة الفلسطينية في وجه الارهاب الاردني] . وكذلك هدد الاسرائيليون ، الذين كانوا ينسجون خطواتهم تنسيقا تاما مع واشنطن ، بالتدخل هم ايضا في القتال .

تحقيق انسجام المواقف الاميركية مع الاهداف الاسرائيلية :

وآخر الاهداف الرئيسية التي تتوخاها اسرائيل في تعاملها مع واشنطن هو التلصص بمهارة من مبادرات الولايات المتحدة التي تستهدف السعي لاتراز تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . والهدف الرئيسي للدبلوماسية الاسرائيلية في هذا الصدد هو الحيولة دون انزلاق الولايات المتحدة لان تصبح طرفا في تسوية سلمية تفرضها الدول الكبرى ومنعها من ممارسة ضغط على الاسرائيليين (بواسطة التهديد بالغاء شحنات الاسلحة مثلا) لتأمين تعاونهم في تطبيق مثل هذه التسوية .

ان الهدف الانبي للدبلوماسية الاسرائيلية هو استبصار التقيد بوقف اطلاق النار على قساة السويس ، المعمول به منذ اكثر من عشرين شهرا ، والتعبل على تحقيق انسحاب تدريجي خطوة بعد اخرى من خط قناة السويس .

ويعتبر الاسرائيليون ان الدعم الشعبي الواسع لاهدافهم هو عنصر اساسي في نجاح دبلوماسيتهم ، وهذا ما يجعلهم يولون امور توجيه الصحافنة ووسائل الاعلام اهمية فائقة .

ومن جهة اخرى ، يعتقد الاسرائيليون ان الرأي العام في الولايات المتحدة اصبح اشد ميلا الى تحبيد انتهاج الولايات المتحدة سياسة العزلة في الشؤون الدولية ، ويتجلى هذا الاتجاه باوضح صورته بين الليبراليين . ولذلك ، يتر الاسرائيليون بان اهدافهم الدبلوماسية ، في الوقت الراهن ، هي اكثر توافقا مع مواقف الجهات والقوى

وغيرها من البلدان العربية وبين إسرائيل و «عزرا»
 الوحيد هو سيطرة اليهود والصهيويين في هذه
 البلدان على وسائل الاعلام وازاكر المال مما
 يؤدي الى تأثيرهم على سياستها . وتفعل هذه
 الاوساط العربية ، او تتفائل ، عن طبيعة الارتباط
 العضوي المصلحي القائم بين قوى الاحتكار
 المسيطرة على مقاليد الامور في البلدان الاستعمارية
 وبين اسرائيل باعتبارها مطلب قط لهذه الاحتكارات
 وخط دفاع امامي عن مصالحها الاستقلالية في
 الشرق العربي ، وكذلك الدور الذي تلعبه
 اسرائيل في خدمة هذه الاحتكارات كتاعدة قوية
 وموثوق بها ضد ما يدعونه التغفلل السوفييتي في
 المنطقة العربية . ويكشف جانباً من طبيعة هذا
 الارتباط العضوي بين اسرائيل وقوى الاحتكار
 الاستعمارية ما ورد اعلاه من معلومات يتبين فيها
 ان اسرائيل اخذت تتحسس مخاطر الاعتماد الكلي
 على دعم اليهود الامريكيين لان بين صفوفهم تيارات
 ليبرالية قوية ، في حين انها اخذت تتحالف الان
 بشكل مكشوف مع قوى اليمين المحافظ ، ومعظمها
 غير يهودية ، بل ان بعضها يجنح الى شيء من
 اللاسامية [.

وفيما يلي ملخص لآراء ميلتون فريدمان هذا حول
 التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الامريكية
 على سياسة الولايات المتحدة من حيث كونه احد
 المحاورين ورجال الاعلام الصهيونيين الرئيسيين
 في الولايات المتحدة الامريكية ، يقول فريدمان :
 اشعر ان هنالك مبالغة شديدة حول مدى قوة
 وتأثير من يدعون بالمحاورين الموالين لاسرائيل
 الذين يقومون « بالتطبيقات » السياسية
 لصالح اسرائيل . لا انكر ان هنالك شيئاً من هذا
 القبيل ، ولكن ما هو مدى تأثير هؤلاء المحاورين وما
 هو مدى فعاليتهم ؟ ليس هذا بالامر الملموس الذي
 يمكن ان يعطى عنه المرء اجابة محددة ، اذ هو
 اشبه بمحاولة معرفة مدى الدعم الذي تستطيع
 عصاية « كوكوكس كلان » [المنصرية البيضاء]
 ان توفره لمرشحي الرئيس نيكسون لهيئة قضاة
 المحكمة العليا . ان من يدعون محاورين لصالح
 اسرائيل هم ، بالدرجة الاولى ، عبارة عن رجال
 علاقات عامة يتقاضى الواحد منهم مبلغ اربعين
 الف دولار في السنة بتنصيب انفسهم « خبراء في
 الشؤون اليهودية » !!
 لقد سادت اوهام بهذا الصدد مصدرها وزارة

الخارجية الامريكية التي عندما تفتعل في انتفاع
 البيت الابيض ببنيتي الخط السياسي الذي تقره
 تخترع هذا « القول الخرافي » وهو المحاورون
 لصالح اسرائيل ، وتسري الشائعات بأن « الماكينة
 اليهودية الهائلة » قد تحركت . وتتر على اوقات
 أتمنى فيها لو ان هذه « الماكينة اليهودية الضخمة »
 كانت موجودة بالفعل . هنالك حوالي خمسة
 ملايين يهودي في الولايات المتحدة ، اي ما يعادل
 ٢ ٪ من الاصوات ، ومعظم من هم دون الخامسة
 والثلاثين من هؤلاء اليهود لا يكترون البتة بأمر
 اسرائيل واحوالها ، بل ان بعضاً منهم يقف منها
 موقفاً معادياً . فمن يبقى من هؤلاء اليهود مع
 اسرائيل اذن ؟ هنالك الرجال الكبار المتسبون
 للحركة الصهيونية واعاداهم محدودة ، وهنالك
 « حركة الاصلاح اليهودية » المنشقة الى شطرين
 والدائبة النزاع مع الاسرائيليين حول احدى قضايا
 حرية العبادة ، ثم هنالك اخيراً « اليهود التقليديون »
 و« المحافظون » ، هؤلاء لا يزجون انفسهم في
 الامور السياسية .

اما من حيث علاقة اليهود الامريكيين بالبيت الابيض ،
 فليس هنالك في البيت الابيض من يحفل برغبات
 اليهود واهوائهم ، فمن الخطأ الافتراض بأن هنالك
 شخصاً مهمته التعرف على آراء اليهود ومشاعرهم
 والعمل على الاستجابة لها وارضائها . ففي واقع
 الامر ، هل يبالي نيكسون حقيقة فيما اذا كانت
 الجالية اليهودية سعيدة او غير سعيدة ؟
 انه ، بطبيعة الحال ، لا يود ان يستثير عداة
 احد ، فهو يريد ان يكون ، كما تعلم ، رئيس
 الجميع .

اما من حيث ما يدعى سطوة « المحاورين لصالح
 اسرائيل » فهو امر لا يوجد ، اساساً ، الا في
 عقول المسؤولين في وزارة الخارجية . ووزارة
 الخارجية تشعر بذلك لانها هي نفسها كبش قداء
 [اي ان البيت الابيض يلقي اللوم دائماً على
 وزارة الخارجية بأنها السبب في اتخاذ موقف معين
 غير مرغوب فيه مثل الامتناع عن شحن طائرات
 الفانتوم لفترة من الزمن] . هنالك كثير من اليهود
 المتحمسين لاسرائيل ، ويودون ان يظهروا لانفسهم
 وللآخرين بأن ما يفعلونه مجد . وهنالك يهود
 يشعرون بانهم عاجزون عن القيام بما ينبغي القيام
 به لصالح اسرائيل ، ولذلك يمنون انفسهم بأن

العلاقات العامة اليهود ليقدر لها عدد المرات التي تخلق فيها طائرات ميج - ٢٣ من القواعد المصرية .

ان العامل الحاسم في اتخاذ نيكسون قراره حول استئناف شحنات الفانتوم لاسرائيل هو ما يتلقاه من معلومات وتحليل للموقف من المراجع المختصة في وزارة الدفاع ودوائر الاستخبارات . والشعور العام في وزارة الدفاع الاميركية وبين الناس الذين يؤثرون عليها هو : « بحق الشيطان اعطوا اسرائيل الاسلحة التي تحتاج !! » فالروس يربضون عند قناة السويس ، وهم يخلقون بطائرات ميج - ٢٣ فوق سيناء !! . ووجهة النظر هذه تصدر عن جهات يحترمها المنكرون العسكريون ، ولا علاقة لها من قريب او بعيد بالصهيونية او حتى بطبيعة الميول والمشار نحو اليهود . ومن جهة اخرى ، حتى رجال شركات النفط العاملة في البلدان العربية يلعبون دورا مزدوجا ، فهم من جهة يودون بقاء الاسرائيليين اقوياء خوفا من استيلاء الروس على منابع النفط في الكويت والبحرين وغيرهما من امارات النفط في الخليج ، ومن ناحية اخرى يستفكرون ، لفظيا ، سياسة اسرائيل فرا للرماد في عيون العرب ، ويحافظوا على مصالح شركاتهم وهظوتهم لدى العرب .

اما بالنسبة للسفير الاسرائيلي اسحق رابين فهو فعلا من النوع العسكري القدير ، وهو لا يضيع شيئا من وقته في الانزعاج حول ما غناه عضو الكونغرس اللاتاني في خطابه العلاني .

فهو يهتم بالذهاب مباشرة الى مصدر القوة ، وهو يود ان يعرف اي نوع من الحجج والشواهد والاستدلالات يجب ان يقدمها خلال مقابلته لوزير الخارجية او للرئيس ليفيرا موقفها حول هذه المسألة او تلك ؟ وما هو بالضبط ما يظنان ان الروس يقومون به على وجه الدقة ؟ وهذا هو كل ما في الامر .

سجل اقوال نيكسون حول اسرائيل (١٩٦٨ - ١٩٧٢)

فيما يلي عرض لبعض تصريحات ريتشارد نيكسون الرسمية حول سياسته في الشرق الاوسط التي اعلنتها اثناء حملة انتخابات رئاسة الجمهورية في عام ١٩٦٨ .

حول تسوية مفاوضات عليها : « على الولايات المتحدة ان تقوم فوراً باخذ زمام المبادرة في وضع

هناك محاورين كثيرين لصالح اسرائيل في واشنطن ، وان هؤلاء يتمتعون بنفوذ وتأثير كبيرين وهم دالكو الحركة والنشاط وينوبون عنهم في عمل ما يلزم . ومن جهة اخرى ، فان المحاورين العرب وممثلي شركات النفط ليسوا اسعد حالاً ، ولا اظن ان ايا من الفريقين ، اليهودي او العربي ، له اية سطوة يعتد بها ...

ان المحاورين الحقيقيين لصالح اسرائيل ليسوا في واشنطن ، ولا تجدهم في مكتب منظمة « بني بريث » ولا عند الباب الخفي للسفارة الاسرائيلية ، بل هم اليهود العاملون في شتى الميادين والمنتشرون في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، فمعظم اليهود يتمتعون بنصيب وافر من المعرفة والاطلاع ، وبمعظم مشترك في جريدة « جيروسالم بوست » او بعدد نهار الاحد من جريدة « نيويورك تايمز » ، وهم يتابعون الاحداث ويعرفون ، على وجه الدقة ، حقيقة ما يجري في الشرق الاوسط ، فاذا كان التوجيه السياسي والاعلامي الاسرائيلي يقول : « اضغظوا من اجل استئناف شحن طائرات الفانتوم » ، فعندئذ سيتلقى السناتور اللاتاني من الولاية اللاتانية ، « فجأة ، دزينة من الرسائل من بعض الشخصيات الهامة في ولايته ، دون ان يكون هناك توزيع ادوار او توجيه من احد .

وتحدث المحاور اليهودي الاميركي يلتون فريدمان عن منطلقات السياسة الاميركية وتوجهاتها والاعتبارات التي تحكم قراراتها قائلا : « ان ما يحدث في واشنطن حول الشرق الاوسط هو نتيجة اعتبارات براغماتيقية عملية لتوزيع القوى وموازينها ، وتطوي هذه على تقديرات وحسابات كل من « مجلس الامن القومي » ، و« رؤساء هيئة الأركان المشتركة للقوات الاميركية » ، و« وكالة الاستخبارات المركزية » حول اية تغييرات تطرا على ميزان القوى ، ولا علاقة لها البته بذلك التنر الغليل من الرجال الذين يقومون بالحوار والاتصالات والتطبيقات لصالح أي من الطرفين ، فواتع الامر ان هذه القرارات انما تؤخذ على اساس تفكير أعلى الجهات المسؤولة وتقديراتها حول الاستراتيجية السياسية العالمية ، فالمرجع المسؤولة في الدولة لا تذهب الى محاور لصالح اسرائيل لتستوضح منه عن الغرض من وجود قوات سلاح الجو السوفيتي في مصر وتطورات هذا الامر ، كما لا تحتاج الى الاتصال بأحد رجال

الأمريكية مصححة على أن إسرائيل هنا في إشارة إلى
لتنفي .

« انني أدمع سياسة تعطي إسرائيل تفوقا
تكنولوجيا عسكريا يتجاوز التفوق العددي لجيرانها
المعادين لها ... وإذا كان هذا التفوق يتطلب
تزويدها بطائرات الفانتوم ، فنسزودها بهذه
الطائرات للمحافظة على هذا التفوق » .

مؤتمر بناي بريث في ٨ أيلول ١٩٦٨ .

حول « التزامه من حيث المبدأ » : فيما يلي جواب
الرئيس نيكسون حول سؤال « دان راذر » مراسل
شبكة إذاعة كولومبيا في البيت الأبيض ، أثناء
مقابلة تلفزيونية بتاريخ ٢ كانون الثاني حول خطط
الحكومة الأمريكية بشأن بيع إسرائيل المزيد من
طائرات الفانتوم : « لقد اتخذنا قرارا ، ياسيد
راذر ، مستمدا من سياسة اعلنتها منذ أمد طويل
بأننا لن ندع التوازن العسكري في الشرق الأوسط
يكتل . وقد تبين لنا بأن الاتحاد السوفياتي قد
زود مصر بشحنات هامة جدا من الأسلحة . ونتيجة
لهذه الشحنات التي ما زالت تتصاعد قررنا
الاستجابة الى طلبات إسرائيل من الطائرات
لنضمن عدم اختلال التوازن . لقد ارتبطنا بالتزام
من حيث المبدأ ، وأما من حيث وضع هذا
الالتزام ، موضع التنفيذ ، فهذا ، بطبيعة الحال ،
ليس الوقت المناسب للخوض فيه » .

« انصتوا الى الشروط : ينبغي ان تتضمن هذه
الشروط ضمانات أكيدة وثابتة بأن المناطق المحتلة
حاليا لن تستخدم مطلقا ، مرة أخرى ، قواعد
للمعدوان وملجأ للإرهاب .

وينبغي ان تنطوي التسوية على الاعتراف بسيادة
إسرائيل ، وبحثها في الوجود بسلام ، وانهاء حالة
العداء » .

مؤتمر منظمة بناي بريث في ٨ أيلول ١٩٦٨ .

حول سياسة حكومة جونسون : « لقد كان الرد
الأمريكي على سياسة السوفييت التوسعية
والمغامرة ، دبلوماسيا وعسكريا ، يتسم بالتردد ،
والمرج ، وعدم الفعالية . وفي واقع الأمر ، يبدو
انه ليست هناك أية سياسة أمريكية على الإطلاق
في منطقة من العالم حيث قدح اية شرارة عرضية
قد يؤجج نار نزاع محلي يمكن ان يسوق القوى
العظمى الى أوار صدام مباشر كبير » .

من مقال في نشرة « تقرير من الشرق

الادنى » في ١٥ أيار ١٩٦٨ .

حول وضع إسرائيل : « من الوقائع الماثلة أمامنا
ما يلي : ان بوسع اعداء إسرائيل أن يخوضوا
حرينا وان يخسروها ، اذ بوسعهم ان يعاودوا
الكرة ، بيد انه ليس بوسع إسرائيل ان تخسر
حتى مرة واحدة . ان أمريكا تعلم ذلك ، وان

التقرير الثاني

دور اليهود الأمريكيين في تمويل اسرائيل وتوجيه دفة السياسة الأمريكية

ستيفن كليدمان

لدولة اسرائيل ذاتها . ويظهر مدى ضخامة السلطان المالي لليهود الأمريكيين في حملات جمع التبرعات لاسرائيل الجارية حاليا ، والتي تتولاها كل من مؤسستي «النداء اليهودي الموحد» و«منظمة السنديات الاسرائيلية» ، وهما تهدفان هذه السنة الى جمع ٥٠٠ مليون دولار من التبرعات الخاصة لصالح اسرائيل واليهود السوفييت المهاجرين اليها. ففي حفل عشاء واحد اقامته مؤسسة « النداء اليهودي الموحد » في نيويورك ، في الاسبوع الماضي ، تم جمع ٢١ مليون دولار ، وفي حفل مماثل في « بالم بيتش » بفلوريدا تم بيع ما قيمته ٦ ملايين دولار من السنديات الاسرائيلية .

ان دعم اليهود الأمريكيين لاسرائيل وفضلهم عليها هائل جدا سواء كان ذلك من حيث نفوذهم وتأثيرهم على السياسة الأمريكية او من حيث تبرعاتهم ومساعداتهم النقدية . فقد بلغت هذه التبرعات والمساعدات في عام ١٩٧١ فقط ما قيمته ٥٢٠ مليون دولار من مبيعات السنديات الاسرائيلية والتبرعات لصندوق النداء اليهودي الموحد ، في حين أن مجموع ارقام الميزانية الاسرائيلية في تلك السنة كان أقل بقليل من ثلاثة بلايين دولار .

أما مدى تأثير النفوذ السياسي لليهود الأمريكيين فمحصره وقياسه اصعب من حصر قيمة المساعدات والتبرعات المالية ، بيد أن من الحقائق الظاهرة ان لجان التمويل السياسي في هذه البلاد (امريكا) مرصعة بوفرة بأسماء اليهود الأمريكيين الاثرياء مثل : آرتولد بيكر ، وارثر كريم ، وليستر أفنيت ، وآرثر جي. كوهين ، وجون لوب ، وآبي غينبرغ ، وهوارد شستين ، وميشولام ريكليس ، وماكس بالينسكي ، وروبين فاركاس ، وهوارد صموئيل ، وغيرهم . وهناك طرفة تروى عن ايام ولاية الرئيس جونسون في البيت الابيض تعطي فكرة عن مقدار النفوذ الذي يتمتع به هؤلاء الرجال من هذا الوزن . وتبضى هذه الطرفة على الوجه التالي : اثناء ولاية القاضي اليهودي آبي فورتاس على المحكمة العليا ارسل أحد المسؤولين في البيت الابيض صورة آبي فورتاس هذا وهو يعتصر

في الاسباع الاولى من هذه السنة (التي هي سنة انتخابات لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة) عبر كل من الرئيس نيكسون والزعيم الديموقراطيين المتنافسين على الفوز بترشيح الحزب الديموقراطي لمنافسة نيكسون في معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، عبر هؤلاء عن اهتمام شديد ولموس بما فيه خير اسرائيل وسلامتها وبمصر اليهود في الاتحاد السوفييتي . فقد وافق الرئيس نيكسون على بيع طائرات « الفانتوم » و « والسكاي هوك » لاسرائيل كما لمح الى أنه قد يبحث مع قادة الكرملين مسألة هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل عندما يزور موسكو في شهر ايار ١٩٧٢ ، كذلك صادق نيكسون على ضمان الحكومة الأمريكية لقرض قيمته ٥٠ مليون دولار للمساعدة في اسكان اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل . ومن جهة اخرى تقدم كل من السناتور ادنوند مسكي ، عن ولاية « مين » ، والسناتور هنري جاكسون ، عن ولاية واشنطن ، المتنافسين على ترشيح الحزب الديموقراطي لانتخابات الرئاسة الأمريكية ، تقدما الى الكونغرس ببرامج معونات مالية لمساعدة اسرائيل في توطين المهاجرين من اليهود السوفييت اليها . أما المرشح الديموقراطي الثالث السناتور هيوبرت هينري عن ولاية مينيسوتا ، فكان على وشك التقدم بلائحة معونة مماثلة ، ولكنه قرّر سحبها حتى لا تتعارض مع لائحة المعونة للمرشحين الآخرين ، وعوضا عن ذلك اقترح هينري أن تعترف الولايات المتحدة رسميا بالقدس عاصمة لدولة اسرائيل .

ان هذا الاهتمام البالغ والحرص الشديد اللذين يبديهما كبار الزعماء السياسيين الأمريكيين تجاه اسرائيل ومصالحها ليسا بمحض الصدفة ، إذ ان تأثير اليهود الأمريكيين على السياسة الأمريكية لا يتناسب اطلاقا مع عددهم بين مجموع الناخبين . واليهود الأمريكيون هم من الممولين الرئيسيين للحزب السياسية (الأمريكية) لا سيما الحزب الديموقراطي ، مثلما هم الممولون الرئيسيون

اليرمك أثناء حضوره الصلاة في الكنيس اليهودي
الى هاري ماكبرسون المسؤول عن الشؤون
الدينية في حكومة جونسون ، وقد ارفق مع الصورة
ملاحظة كتبها هذا المسؤول في البيت الابيض تقول :
ان الحكومة لا تستفيد سياسيا بالقدر الكافي من
مثل هذه الاشياء ، فاطلع هاري ماكبرسون
الرئيس جونسون على الصورة المذكورة والملاحظة
المرفقة بها ، فقال له الرئيس جونسون : « اسبح
يا هاري ، لقد اعتبرت بهذه القلنسوة عددا من
المرات اكثر مما اعتبر بها ابي فورتاس نفسه » .

ان الاسباب التي تجعل أقل من 3 بالمئة من السكان
الامريكيين يستأثرون بهذه الاهمية الكبيرة سواء
من حيث التبرعات السخية التي يجمعونها او
التنفوذ السياسي الفعال الذي يمارسونه هي
اسباب متنوعة ومعقدة ، وهي اسباب تاريخية ،
وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وهي
اسباب تعود في جانب منها الى التقاليد اليهودية
والامريكية ، وتتعلق بالقيم الاخلاقية والدينية ،
وبالافتقار السنين من الاضطهاد الذي توج بجناز
الابادة الجماعية التي نظمها النازيون ، كما تتعلق
بالشعور الجنائي بالذنب وتحمل المسؤولية ازاء
الجازر النازية مثلا تتعلق بالمهارة في استخدام
أساليب جمع التبرعات ، وفي نهاية الامر ، يتعلق
كل هذا بما عبر عنه ليو برنشتاين كبير المسؤولين
عن السندات الاسرائيلية بكلمة واحدة بالغة الدقة
هي « المثابرة » .

لقد بلغ مجموع ما يوصف بالتبرعات الخيرية التي
جمعت في عام 1971 في جميع انحاء امريكا 11
بليون دولار ، في حين ان الملايين الستة من اليهود
الامريكيين تبرعوا لاسرائيل وحدها في تلك السنة
بحوالي 600 مليون دولار . وهذا يشمل التبرعات
والمئج لبعض المعاهد الاسرائيلية مثل معهد
التكنيون في حيفا ومعهد وايزمن للعلوم في
رؤحوبوت ، أي ما معدله 100 دولار من التبرعات
لإسرائيل من كل يهودي امريكي رجلا كان او
أمرأة أو طفلا ، بالمقارنة مع ما معدله للفرد
الامريكي نصف هذا المبلغ من التبرعات لجميع
الأغراض . وهناك اجماع بين المساهمين في عملية
بيع السندات الاسرائيلية بأن الحافز الرئيسي لدى
التبرعين بقية هذه السندات او المشتريين لها هو

* اليرمك Yarmulke هي عبارة عن قلنسوة يعتبر
بها متدينو اليهود في الكنيس وفي المنازل .

الزينة الضادقة في مشاعده اسرائيل

وهناك أجماع أيضا بين الاسرائيليين العارفين
بالامور أنه ما كان يتأتى لدولة اسرائيل ان تقف
على رجلها لولا هذه المساعدات . ان كميات
المبالغ المجموعة مذهلة ، فقد بلغت المبيعات من
السندات الاسرائيلية في عام 1971 بالضبط
251476000 دولار (82٪ منها بيعت في الولايات
المتحدة الامريكية) ، وقد تجاوز هذا أعلى رقم
سابق سجلته مبيعات السندات الاسرائيلية وهو
217547100 دولار وذلك في عام 1967 بفعل
حرب حزيران . أما مجموع التبرعات التي جمعها
صندوق النداء اليهودي الموحد في عام 1971 والتي
لم تعلن ارتفاعها النهائية بعد فتبلغ نحو 275 مليون
دولار ، أما المنظمة التي تدار عمليات النداء
اليهودي الموحد في ظلها والتي هي بمثابة ستار
لتفطية نشاطاته ، فقد جمعت مبلغ 100 مليون
دولار اخرى لتتفق ، بصورة رئيسية ، على
القضايا اليهودية في الولايات المتحدة . ويقال أن
نسبة المبالغ التي يتخلف المتبرعون عن الوفاء
بديونها تقل عن 1٪ . وقد قال هيربرت فريدمان
نائب رئيس مجلس الإدارة التنفيذي لصندوق النداء
اليهودي الموحد (اسرائيل) معلقا هذه الظاهرة :
« ان يهود العالم ليسوا شركاء واحد منهم الاخر ،
بل ان واحد منهم هو الاخر بالمعنى الوجودي . فما
يعانيه احدهم ويشعر به يعاونه جميعهم ويشعرون
به ، فنحن وحدة واحدة ، وذات واحدة غير قابلة
للاتقسام او الانقسام . وفي هذا يكن سر قوتنا » .
ان هذا الحس بالانتماء اليهودي لدى اليهود ،
والتقاليد التي شددت لحمة اليهود ، وروحيا ،
بعضهم إلى بعض طوال الف سنة من التجوال
هي ، دون شك ، العامل الاول الفاعل في سيل
الاموال التي تتدفق سنويا على اسرائيل . وقد
يعزى جانب من هذا السخاء في التبرع الى
الشعور بالذنب لدى اليهود الامريكيين لانهم لم
يقاسوا ما قاساه اخوانهم في اوروبا في ظل هتلر
وكذلك لامتناعهم عن الهجرة الى اسرائيل
والاستقرار فيها . بيد أن مخترمي جمع التبرعات
يدركون ان هذين العاملين وحدهما لا يكفيان لاعطاء
الجواب على سر هذا التدفق السخي للتبرعات ،
فلا بد ان تؤخذ في الحسبان كذلك أساليب جمع
التبرعات ، ومنها حفلات عشاء العطايا الكبرى
على سبيل المثال .

وقد أقيم حفل عشاء العطايا الكبرى الرئيسي لهذه السنة في مطلع شهر شباط من هذا العام في « فندق بيزر » بدعوة من فرع صندوق النداء اليهودي الموحد لمدينة نيويورك الكبرى . وقد ضم الحفل نحو ٤٠٠ ضيف جلهم من الأزواج والزوجات . وقد بلغ مجموع ما تبرعوا به في ذلك الحفل ٢١ مليون دولار وكان ضمنها سبع عطايا بلغت قيمة كل منها مليون دولار أو يزيد . وكان أصغر تبرع في ذلك الحفل ١٠٠٠٠ دولار . وقد سبق العشاء الرسمي « بوفيه » زاخر بأشهى المقبلات ، وتلاها البهو بالجواهرات والطحى التي ازدانت بها السيدات من حضور الحفل اللواتي كن يتبحرن بأبهى الطلل . وكان المدعوون من عموم الاعمار ، وان كان جلهم من فئة اواسط العمر أو ما زاد عن ذلك . ويعد البوفيه ، قسراً الحاخام « يهوذا كاهن » بعض الادعية والتعاويذ ثم تناول المدعوون عشاء مقبولاً من اللحم المحمر والمعد حسب الشريعة اليهودية (كوشير) ، اما خطيب الحفل الرئيسي موسى دايان فقد وصل بعد انتهاء وجبة العشاء ، وبعد انتهاء المدعوين من تناول طعام العشاء نهض رئيس الحفل « تشارلز ريفسون » وهو رئيس مجلس ادارة شركة ريفلون لمواد التجميل وتقدم للحضور ضيف الشرف في الحفل « صمويل هاوزمن » رئيس مجلس ادارة شركة بيلدنج هينغواي للنسوجات . وقبل أن يبدأ هاوزمن القاء خطابه قدمت له زهرية زجاجية صنعها أحد الاسرائيليين الناجين من معسكرات الابادة النازية ويدعى « أرييل برطل » ، وقد هبصر « هاوزمن » بزهو لهذا التكريم لمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد تحدث هاوزمن بإيجاز عن الحضور المتألفين اناقة وجمالاً والذين يطفحون بكبيات كبيرة من المال ، ثم قدم دايان واصفا اياه بأنه قائد فذ ، وعالم آثار فذ ، وكذلك وزير زراعة فذ ، وهو منصب لم يعتبر دايان مثقوفاً فيه بصفة عامة . وبعدئذ ، بدأ دايان الذي كان يجلس الى جانيه كل من ابنته « يائيل » والسفير الاسرائيلي لدى الامم المتحدة يوسف تكواع ، يجيب على أسئلة الحضور من مختلف الموائد ، وقد قام « ميشولام ريكليس » رئيس مجلس ادارة شركة غلين ألدن بدور الوسيط بين دايان والحضور اذ كان يعيد القاء السؤال الذي يصدر عن احدى الموائد .

وقد أقيم حفل عشاء العطايا الكبرى الرئيسي لهذه السنة في مطلع شهر شباط من هذا العام في « فندق بيزر » بدعوة من فرع صندوق النداء اليهودي الموحد لمدينة نيويورك الكبرى . وقد ضم الحفل نحو ٤٠٠ ضيف جلهم من الأزواج والزوجات . وقد بلغ مجموع ما تبرعوا به في ذلك الحفل ٢١ مليون دولار وكان ضمنها سبع عطايا بلغت قيمة كل منها مليون دولار أو يزيد . وكان أصغر تبرع في ذلك الحفل ١٠٠٠٠ دولار . وقد سبق العشاء الرسمي « بوفيه » زاخر بأشهى المقبلات ، وتلاها البهو بالجواهرات والطحى التي ازدانت بها السيدات من حضور الحفل اللواتي كن يتبحرن بأبهى الطلل . وكان المدعوون من عموم الاعمار ، وان كان جلهم من فئة اواسط العمر أو ما زاد عن ذلك . ويعد البوفيه ، قسراً الحاخام « يهوذا كاهن » بعض الادعية والتعاويذ ثم تناول المدعوون عشاء مقبولاً من اللحم المحمر والمعد حسب الشريعة اليهودية (كوشير) ، اما خطيب الحفل الرئيسي موسى دايان فقد وصل بعد انتهاء وجبة العشاء ، وبعد انتهاء المدعوين من تناول طعام العشاء نهض رئيس الحفل « تشارلز ريفسون » وهو رئيس مجلس ادارة شركة ريفلون لمواد التجميل وتقدم للحضور ضيف الشرف في الحفل « صمويل هاوزمن » رئيس مجلس ادارة شركة بيلدنج هينغواي للنسوجات . وقبل أن يبدأ هاوزمن القاء خطابه قدمت له زهرية زجاجية صنعها أحد الاسرائيليين الناجين من معسكرات الابادة النازية ويدعى « أرييل برطل » ، وقد هبصر « هاوزمن » بزهو لهذا التكريم لمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد تحدث هاوزمن بإيجاز عن الحضور المتألفين اناقة وجمالاً والذين يطفحون بكبيات كبيرة من المال ، ثم قدم دايان واصفا اياه بأنه قائد فذ ، وعالم آثار فذ ، وكذلك وزير زراعة فذ ، وهو منصب لم يعتبر دايان مثقوفاً فيه بصفة عامة . وبعدئذ ، بدأ دايان الذي كان يجلس الى جانيه كل من ابنته « يائيل » والسفير الاسرائيلي لدى الامم المتحدة يوسف تكواع ، يجيب على أسئلة الحضور من مختلف الموائد ، وقد قام « ميشولام ريكليس » رئيس مجلس ادارة شركة غلين ألدن بدور الوسيط بين دايان والحضور اذ كان يعيد القاء السؤال الذي يصدر عن احدى الموائد . وكانت معظم أسئلة الحضور لدايان تدور حول

وفي الوقت الذي كان فيه دايان يحضر حفلات العطايا الكبرى هذه كان بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي يذرع الولايات المتحدة عرضاً وطولاً لعدد اللقائات مع الاثرياء اليهود ليحزهم على السخاء في التبرع لصندوق النداء اليهودي الموحد وفي شراء سندات اسرائيل . ويشترك جميع الزعماء والقادة الاسرائيليين في نشاطات جمع التبرعات من هذا النوع بين فيهم رئيسة الوزراء غولدا مائير نفسها . ويندفع المسؤولون الاسرائيليون بصورة متواصلة على الولايات المتحدة لهذه الغاية ، وفي كثير من الاحيان يوفق المسؤول الاسرائيلي الزائر بين مهمة جمع التبرعات والقيام بالهام الحكومية الرسمية كما فعل كل من دايان وسابير في زيارتهما المذكورة .

وقد شرح « زكرمان » في حديثه الى المجموعة التي تنسقر وراءها عمليات جمع التبرعات لاسرائيل ، مبين كيف ينبغي ان يقوم المسؤولون الاسرائيليون وزعماء الجاليات اليهودية في امريكا بجولاتهم على الافراد اليهود ، لا سيما الاثرياء منهم ، لحفزهم على التبرع بسخاء اعداداً لحفلات عشاء العطايا

نحنا ان لا يذبح شخص بمفرده الى احد الاوثان « لتطيقته » لتقديم تبرع سخى ، اذ ليس من العسير ان يقال « لا » لشخص بمفرده ، لا سيما اذا كان صديقا او جارا . ولكن عندما يذهب لزيارته شخصان او اكثر ، فعندئذ لا يغدو الاجر مسألة يهودي فرد يطلب من يهودي اخر منصة او تبرعا ، بل ان المجتمع اليهودي بأسره يطلب منه التبرع ، . و اضاف زكرمان قائلا : « لا تفعل عن استخدام بعض الزعماء من مدن اخرى ، فان هذا الاسلوب مجد كثيرا » ، وكذلك من المجدي جدا في هذا الصدد استخدام جباة للتبرعات من الخارج ... مواطنين اسرائيليين مثلا او يهود روس او يهود عراقيين . فعندما يطرق الباب زعيم قومي اسرائيلي مثلا ويصحبته زعيم محلي ، فمعنى ذلك ان اليهودية العالمية بأسرها تتوجه الى ذلك الشخص وتدعوه للتبرع ، وبالتالي فلا بد ان تتناسب قيمة التبرع مع هذا المعنى الكبير للزيارة . ان هذا ليس مجرد نظريات ، بل هو حقائق ثابتة . ومن جهة اخرى ، من السخف ان تطلب من انبسان ان يتبرع بمليون دولار وهو لا يقدر على التبرع بأكثر من نصف هذا المبلغ ، وكذلك ، لا يقل عن هذا سخفا ان تطلب من شخص ان يتبرع بما هو أقل من طاقته وقدرته . « يوجد في كل مدينة رجال كانوا دائما السباقين في تبرعاتهم وفي عملهم ، ولكنهم ، وهذه نقطة جوهرية ، لا يتبرعون بقدر طاقاتهم . فعلمنا ان نرى مدى امكانياتهم ، ثم نطلب منهم ، دون خجل ، الا يتبرعوا بما هو دون ذلك . فعندما نكرم رجلا ونضعه في موضع الزعامة ، فان عليه ان يضطلع بالامباء والالتزامات التي تتطلبها هذه المكانة » .

ويصف زكرمان ما يدعى « بعملية الاختراق » التي يتولى ادارتها الدكتور اريه نيشر ، فيقول : « هنالك افراد [يهود] في كل مجتمع يجمعون ثروات طائلة من المتاجرة بالسيارات المستعملة مثلا ، ولكنهم لا يؤدون أية خدمة للمجتمع اليهودي ، واحد أسباب ذلك ان ثرواتهم غير منظورة . فمهمة فريق [المخبرين] الذين يقودهم الدكتور نيشر هي ان يتحصروا عن امثال هؤلاء الامراء ويبحثوا عنهم بمرجعة السجلات العامة وتبحيصها . وعندما يعثرون على واحد من أصحاب الثروات الخفية يطلوبونه بدفع الاتاة المقررة ، ولكنهم يحتاجون لاداء هذه المهمة الى

ويقوم النداء اليهودي الموحد بنشاطه بين مسووم الجماعات من مختلف المستويات . ففي بعض حفلات العشاء التي ينظمها تتدنى قيمة « البطاقة - التبرع » الى حد ٣٥ دولارا عن شخصين . وبطبيعة الحال تتوافق أهمية خطيب الحفل مع قيمة ما يتوقع جمعه خلاله من تبرعات . ويضع النداء اليهودي الموحد تحت تصرف المتبرعين دليلا لحسم الضرائب بين للمتبرع الكلفة الحقيقية للمبلغ الذي يتبرع به لان التبرعات الى النداء اليهودي الموحد معفاة من الضرائب لان [القانون الامريكى] يعتبرها تبرعات لانفراض انسانية ، فهي لا تذهب الى حكومة اسرائيل مباشرة ، اذ يحولها الصندوق الاسرائيلي الموحد الى الوكالة اليهودية التي تعتبر مؤسسة غير حكومية ، ومن ثم تقوم الوكالة اليهودية بانفاتها في اسرائيل .

ومن الوسائل التي يستخدمها النداء اليهودي الموحد في جمع الاموال هي تنظيم جولات سياحية الى اسرائيل غالبا ما تشتمل على لقاءات مع المسؤولين الاسرائيليين اذ كسان المشتركون في الجولة من اصحاب التبرعات المحترمة . وكثيرا ما يزورون في هذه الجولات مرتفعات الجولان ، والحائط الغربي [المبكى] وموقع « قلعة مسنادا » ، ويلتقون بالوزراء والمسؤولين الاسرائيليين الذين يطلعونهم على الاوضاع ، وكثيرا ما يتبادلون ايضا رئيسة الوزراء غولدا مائير . وتقبل رجوع هؤلاء الى بلادهم غالبا ما يدعون الى تقديم تبرعاتهم السخية .

ورغم ان النداء اليهودي الموحد يجمع التبرعات من جميع الاوساط والمستويات وأيا كانت قيمة المبالغ المتبرع بها ، فان شطرا كبيرا من الاموال المجموعة هي من التبرعات الكبيرة التي تبلغ عشرة الاف دولار او يزيد . وهذا من الاسباب الرئيسية في أن تنفذ عمليات النداء اليهودي الموحد هي دون ٤٪ من قيمة الاموال التي يجمعها . ومن جهة اخرى ، ان سندات دولة اسرائيل توفر لاسرائيل رأسمال بكلفة اجمالية تبلغ حوالي ٦٪ ، وهي أرخص من الاقتراض من اي سوق مالي اخر . وتعتبر سندات اسرائيل بمثابة استثمار يخضع ربحه للضريبة وهذا هو وجه الاختلاف الوحيد بينها وبين التبرعات للنداء اليهودي الموحد التي تعتبر منحنا غير خاضعة للضريبة .

او بمشاركتهم القوية في الانتخابات الاولى منها
والعامة ... وبعثت اليهود وفقا لقتضيات
المصلحة اليهودية ، ويدعمون المرشحين الذين
يعتقدون بانهم سيتبنون القضايا اليهودية ويدافعون
عنها . كما يبذلون جهدا كبيرا للتأثير على أعضاء
مجلس الشيوخ الامريكى ويتعمدون بنفوذ قوي بين
حرفوفهم ، وغالبا ما يكونون على اتصال مباشر
مع البيت الابيض ولهم كلمة مسبوقة فيه ، وهذا
هو ، بالتأكيد ، ما كان عليه الوضع في عهد
الرئيس جونسون . ، وان كانت سطوتهم على البيت
الابيض في عهد الرئيس نيكسون قد قلت عن ذلك
بدرجة ملموسة .

وقد يكون هذا التأثير والنفوذ المباشر الذي
يمارسه اليهود الامريكويون على اعضاء الهيئات
والمؤسسات التشريعية والتنفيذية هو الوسيلة
الوحيدة الفعالة المتوفرة لديهم للاسادة منها
واستغلالها لا سيما في الامور التي تهم اسرائيل
وذلك لكونهم اقلية ضئيلة عدديا . فقد دلت
دراسة اجراها « ألبرت هـ . كاتزل » ، و « شارلز
رول الابن » عنوانها « آمال الشعب الامريكى
ومخاوفه » على أنه في حالة حدوث هجوم على
اسرائيل تقوم به قوى يدعمها المعسكر الشيوعي
غان ١١٪ فقط من الشعب الامريكى تؤيد زج القوات
الامريكى في الدفاع عن اسرائيل . في حين ان نسبة
هؤلاء في البرازيل هي ١٦٪ ، وفي اليابان ١٧٪
وفي ألمانيا الغربية ٢٨٪ .

وفي عهد الرئيس جونسون كان باب المكتب
البيضاوي في البيت الابيض مفتوحا دائما للزعماء
اليهود الامريكويين من امثال « آرثر كريم » ،
و « آبي فينبرغ » ، وكلاهما استفلا هذه الخطوة ،
في مناسبات عديدة ، لايضاح وجهة نظر اليهود
الامريكويين للرئيس . ويبادر آبي فينبرغ ، وهو من
اصحاب المصارف في نيويورك وكان على علاقة
وطيدة كذلك مع كل من الرئيسين ترومان وكينيدي ،
يقول : « ان هذه الصلات تخدم الطرفين ، فنحن
بدورنا نساعد الرئيس في ايصال وجهة نظره الى
الحكومة الاسرائيلية والى اليهود الامريكويين ،
وان كان عرضنا المنسق لآراء الرئيس لا يحظى
دائما بالترحاب » .

ان من العسير على المرء ، ان يقيم الدور الذي
لعبه هؤلاء الوسطاء ومدى التأثير الذي كان لهم في
طبيعة القرارات المتخذة . فمثلا ، ترى ما هو

وقد جعلت منظمة سندات اسرائيل هدفها للعام
١٩٧٢ شأنها شأن النداء اليهودي الموحد جمع
بلغ ٤٥٠ مليون دولار أي بزيادة من مئتي مليون
دولار عما بيع من هذه السندات في العام ١٩٧١ .
ويقول « ابراهام فينبرغ » رئيس مجلس ادارة
سندات اسرائيل ان هنالك موقفا واسعة لبيع
السندات لم تستغل بعد ، وهي لدى اصحاب
الداخل المتوسطة . فمن الشائع ان تشتري
عائلة من ذوي الدخل المنخفض سندات قيمتها ١٠٠
دولار ، بينما اقبال ذوي الدخل التي تتراوح بين
٢٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ دولار على شراء سندات
تتراوح قيمتها بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ دولار هو اقل
من ذلك .

وتبذل كل من منظمة سندات اسرائيل والنداء
اليهودي الموحد تضاريا جهدهما لجمع أكبر قدر
من الاموال تستطيعان جمعها من اليهود الامريكويين ،
ولكن كليهما ملزمان ان تضعا أهداف خططهما
السنوية ، وفق احتياجات اسرائيل . وترصد
الاموال التي يتم جمعها من بيع سندات اسرائيل
لميزانية الانماء في دولة اسرائيل . ففي العام
الماضي شكلت قيمة المبيعات من سندات اسرائيل
حوالي ثلث ميزانية الانماء في اسرائيل والتي
أجلت معها مخصصات قيمتها حوالي ٢٥٠ مليون
دولار لتسديد قروض الديون ودمج فوائدها . أما
باقي ميزانية الانماء فاستثمرت في مشاريع الاسكان
والطرق والخدمات الهاتفة واغراض الصناعة .
ويرى « ليو برنشتاين » نائب الرئيس التنفيذي
لسندات اسرائيل ان منظمة سندات اسرائيل هي
بمثابة « جسر يصل بين احتياجات اسرائيل وبين
موارد اليهود الامريكويين » . وتباع سندات
اسرائيل ، كذلك ، للمصارف ، والبنوك العمالية
ومؤسسات التقاعد الخ ...

ومنذ تأسيس منظمة سندات اسرائيل في عام ١٩٥١
جمعت لاسرائيل من الاموال ما مجموعه ١٨٩٠
مليون دولار ، اما النداء اليهودي الموحد فقد جمع
منذ تأسيسه في عام ١٩٢٩ ما يزيد على النفي
مليون دولار .

ان جمع الاموال والتبرعات ليست هي الوسيلة
الوحيدة التي يساعد بها اليهود الامريكويون دولة
اسرائيل ، وان كانت اكثرها وضوحا . وقد عرف
عن اليهود الامريكويين منذ امد بعيد شدة نشاطهم
السياسي سواء من حيث دعمهم المالي للمرشحين

الكور الذي لخصه أي من هؤلاء الوسطاء سواء كان « آرثر كريم » أو « أبي فينبرغ » في القاتر على الرئيس جونسون في عام ١٩٦٨ ، ليتخذ قرار بيع مائرات الفانتوم الى اسرائيل ؟

ما من أحد يوسعه أن يجزم بدقة في هذا الشأن ، بيد أن الأشخاص الذين استوضحت منهم آراءهم لتحقيق مادة هذا المقال وينوف عددهم على العشرين يجمعون على أمرين : اولهما : أن ما من رئيس امريكي خضع « للاعتبارات اليهودية » في اتخاذ قرار لم يعتبره مستجيبا غاية الاستجابة مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية . وثانيتهما : أن المعلومات التي يضعها الأفراد اليهود والمنظمات اليهودية الضاغطة على الرأي العام تحت انظار الرئيس الأمريكي وأعضاء مجلس الشيوخ تشكل عنصرا - وأحيانا عنصرا مهما - من العناصر التي تؤثر في بلورة قرارات الرئيس الأمريكي لا سيما ما يتعلق منها بشؤون المساعدات الاقتصادية والسياسية لاسرائيل .

وقد دعا « بن وايتبيرغ » وهو الذي كان يتولى مهمة كتابة خطابات الرئيس جونسون ويعمل حاليا في مكتب حملة ترشيح السناتور الديموقراطي جاكسون لرئاسة الجمهورية ، دعا نوع التأثير الذي يمارسه اليهود الأمريكيون على وجهة السياسة الأمريكية بأنه « تكيف » لهذه السياسة [وليس املاء لها] ... وينطبق هذا القول على سياسة الحزب الديموقراطي أكثر من انطباقه على سياسة الحزب الجمهوري لأن معظم اليهود يدعمون المرشحين الديموقراطيين ، ويستخلص من هذا أن السنوات التي يعتمد الحكم الأمريكي خلالها على سند ودعم نشيطين من اليهود تطوي ، بطبيعة الحال ، على « تكيف » لتفكير أي سياسي .

يقول معظم الذين يمارسون التأثير على السياسات الأمريكية لصالح اسرائيل سواء كان ذلك بصفة شخصية او بصفة رسمية بأنه في حين أن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة قد تكون على وفاق مع مصالح اسرائيل فإن اليهود مضطرون مع ذلك أن يعملوا بنشاط لاجراء الاتصالات اللازمة بالمسؤولين وأن يشرحو الموقف على مختلف المستويات الضرورية للتغلب على ما يزعجون أنه « انحراف » الاختصاصيين « العروبيين » !؟ في وزارة الخارجية وشركات النفط الأمريكية ذات النفوذ الاقتصادي القوي . ويقول « ديفيد

غنسبرغ » وهو محام في واشنطن وكان مستشارا سابقا للجنة القومية في الحزب الديموقراطي كما كان القنصل العام لاسرائيل في واشنطن ، بأن « الانحراف القائم في وزارة الخارجية جعل من الطبيعي أن يحول اليهود الأمريكيون انظارهم صوب البيت الابيض ليلتمسوا العون منه » . ومضى غنسبرغ قائلا « ان اليهود قد اذركوا فائدة الاتصال بالنواب وبأعضاء مجلس الشيوخ وبكبار المسؤولين الحكوميين » . وخلال ولاية كل من كينيدي وجونسون في البيت الابيض أوكل الى شريك غنسبرغ في مكتب الاستشارات القانونية « ماير فيلدمان » ومن ثم الى « هاري ماكبيرسون » معالجة الشؤون اليهودية وذلك ضمن المسؤوليات التي انيطت بكل منهما . أما في عهد نيكسون فلا يوجد شخص من هذا القبيل في البيت الابيض . ويعتبر غنسبرغ أن الرئيس نيكسون هو « أشد مناعة وأقل عرضة للتأثير من أي رئيس آخر عرفته خلال عملي لمدة ٢٥ عاما في واشنطن » .

ويبين غنسبرغ ، جزئيا ، دور أولئك الأشخاص الذين يتولون مهمة اجراء الاتصالات المباشرة مع الرئيس الأمريكي بأنه الحث على « الاستعجال في النظر بالقضايا الملحة » ، والاستفهام عن دواعي عدم البت بمسائل معينة » ، وقال : « ان أوضح مثال على المسامحة التي يقوم بها هؤلاء ، نيابة عن اسرائيل هو الجهود التي بذلت لتحقيق الاستجابة السريعة لطلب طائرات الفانتوم (عام ١٩٦٨) » . أما فينبرغ ، فزعم اعتقاده بأهمية الاتصالات المباشرة مع الرئيس الأمريكي ، الا انه يعتقد أن كسب مجلس الشيوخ هو اجسدى وانفع لأن « لمجلس الشيوخ نفوذا على الرئيس الأمريكي وتأثيرا عليه أكثر من الحظوة التي يتمتع بها لديه اثنان من اليهود الأمريكيين الذين يصدف أن يكونا على معرفة شخصية به » .

ويتولى مهمة اجراء القسط الاوفر من الاتصالات بأعضاء الكونغرس « آي. ال. كينين » والمؤسسة التي يتولى امرها وهي تدعى « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الأمريكية » وهي منظمة امريكية تتولى الاتصالات [وتقوم بالتطبيقات السياسية] لصالح اسرائيل . وينشر كينين [في واشنطن] كذلك نشرة تدعى « تقرير الشرق الادنى » وهي توزع ٢٧٠٠٠ نسخة . وكينين على اتصال مع جميع المنظمات اليهودية في امريكا كما أنه على

من أعضاء الكونغرس [المائة] تحت الرئيس
الأمريكي على تزويد إسرائيل بالمزيد من طائرات
إلغانتوم .

قال اي مدى ساهمت هذه المساعي والاتصالات
والضغوط في اقرار القرار النهائي [الإيجابي] ؟
ما من احد بوسمه ان يجزم القول في هذا الشأن ،
بيد ان هذه المساعي كانت لا ريب احد العناصر
التي بلورت القرار النهائي ، وربما كانت عنصرا
مهما في ذلك .

ما هو مدى أهمية تصويت اليهود بكثافة في الولايات
ذات الاصوات الانتخابية الكثيرة في الانتخابات
الاولية لاختيار مرشح الحزب الديموقراطي للرئاسة
الأمريكية ؟ وما هو مقدار أهمية الاموال اليهودية
التي تنفق على العديد من الزعماء السياسيين
الأمريكيين المؤهلين للترشيح للرئاسة الأمريكية
لتفضية محاريف تركيز مواقع زعامتهم السياسية
طسوال السنوات التي لا تجري فيها انتخابات
الرئاسة ؟ لا احد يعلم مدى هذه الأهمية ، بيد أن
لذلك ، بكل تأكيد ، تأثيرا سياسيا ليس بقليل .

ان اليهود يشكلون ٣٪ فقط من سكان الولايات
المتحدة ، ولكن من الجلي انهم يدركون ادراكا جيدا
أساليب ممارسة النفوذ السياسي ومبادئه .

اتصال مع السفارة الإسرائيلية في واشنطن . وهو
بين المهمة التي يقوم بها على النحو التالي :
« اننا ندعو الكونغرس لأن يطلب من الرئيس
[الأمريكي] ان يعارض السياسات التي نعتبرها
ضارة ، وأن يدعم السياسات التي نراها مفيدة .
كما اننا نسعى لاتخاذ برامج ويتود معينة في
المؤتمرات السياسية » . وبين « ماكبرسون »
دور « كينين » بأنه تأليف الإزاء وتوليدها حول
المواقف المطروحة ، وقد ينتهي المطاف بوجهات
النظر والمواقف التي يؤلفها « كينين » الى أن
تصبح هي آراء الجالية اليهودية ومواقفها بأكملها .
ويعد أعضاء مجلس الشيوخ والنواب الى
استشارة كينين حول الأمور المتعلقة بإسرائيل ،
كما أنه يعد او يساهم في اعداد التقارير عن آخر
تطورات الموقف . ومن العسير هنا كذلك ، تقدير
مدى التأثير الذي يمارسه « كينين » وغيره ممن
يقومون بمهمة الاتصالات بالمسؤولين من رسم
السياسة الأمريكية ، غير أن ، من الثابت مثلا ،
أن « كينين » لعب دورا ، وراء الكواليس ، في
اعداد الزيارة التي قام بها ١٢ من أعضاء
الكونغرس الى وزير الخارجية المستر وليسم
روجرز ، والتي نجم عنها تقديم عريضة وقعها ٧٨

التقرير الثالث

ملاحظات على العلاقات الامريكية الاسرائيلية

خالد القسطيني

استعداد بلاده للتأثير على اسرائيل فاجاب السناتور بأنه يشك في قابليتها ويرى ان اسرائيل هي التي تستطيع التأثير على سياسة امريكا (١). سيطرة اليهود على وسائل الاعلام ونفوذهم المالي واصواتهم التي تقدر مصر انتخابات ولايسة نيويورك ، كلها أمور حيوية سبقنا في تفصيلها باحثون آخرون ، وقد اكتشف سياسة الغرب ان هذا النفوذ قادر على تحطيم اي سياسي يقف امامه ، كما حدث لبينن وغورستر وجورج براون وديغول . وتعماني السياسة الامريكية الان اعنف أزمة بسبب فيتنام وانهيار الدولار ، وما من رئيس يرغب في اضافة تعقيد اخر بتحدي التسوية الصهيونية .

ويتعاطف خطر هذا العاجل عندما ندرك ان الموقف كان اسهل بكثير لايتهاور مما هو الان لنكنس . فقد كان احتياطي اسرائيل من الدولار عقب حرب ١٩٥٦ نحو ٥٠ مليون دولار مقابل عجز تجاري بمقدار ٣٠٠ م/د مما مكن ايزنهاور من ان يد بن غوريون بمجرد وقف المساعدات الامريكية . اما حالة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ فمتلخص بنحو ٧٣٠ م/د من الاحتياطي مقابل عجز تجاري بمقدار ٤٥٠ م/د (٢). وارتفع الاحتياطي الى ٧٢٦ م/د في مايس ١٩٦٨ . وعليه نبوسع اسرائيل الان ان تتحمل الضغوط المالية الى اشهر تقنيات خلالها من سمنتها وتنتظر الانتخابات الجديدة في امريكا فتقوم هي بلي ايدي المرشحين .

ويضيف المراقبون العرب الى تسلط النفوذ الصهيوني بالاشارة الى التوجيه الرسمي للسياسة الامريكية . لقد وقعت أزمة ١٩٦٧ وامريكا يمثلها في الامم المتحدة غولدبرغ ، اليهودي المؤيد للصهيونية . وعين نكسن كمستشار له كيسنجر ، اليهودي اللاجئ من المانيا النازية . والمعروف ان سياسة كيسنجر نحو الشرق الاوسط تقوم على تقاليد فرق تسد وتقوية اسرائيل . وكيسنجر نفسه غير خبير في شؤون المنطقة فعين كمستشار له الاستاذ سفران ، وهو يهودي من مصر هاجر الى اسرائيل فيسبل ان يستقر في امريكا . اما آراء

ما كادت حرب ١٩٦٧ تنتهي حتى اتجهت الانتظار الى واشنطن ، واتجهت من العواصم العربية والغربية بل ومن موسكو نفسها . واستعدادات الازدهان نكريات ١٩٥٦ وضغط ايزنهاور على اسرائيل . ولكن التاريخ لم يعد نفسه ، فذهب البعض الى ان امريكا « زعلانة » على العرب ، ولا بد من ترصيتها بخطوات تقريبهم ثانية الى العالم الرأسمالي . وبالفعل تطلعت بعض الحكومات مثل هذه الخطوات بالتشديد على اليسار وتقليص التأييم والبرمجة الاشتراكية وتذويب النضال ضد الاستعمار . ولكن التاريخ ابي ان يعيد نفسه .

واشار الرئيس السادات في خطابه في اوائل ١٩٧٢ الى التزام امريكا في هذا الشأن فنذكر انها لم تمتنع فقط عن بذل جهودها لحل المشكلة سلميا ، بل قامت بالفعل ببذل هذه الجهود لمنع حلها واحبطت حتى مساعي الدول الانترقية في هذا الميدان . وكشف السادات في مقابلته مع مراسل نيوزويك عن مدى التنازلات التي قدمتها مصر ارضاء لامريكا ونشره بالقرىء الى ترائتها (١). ولعمل في رد روجرز على الرئيس المصري ايجازا بليما عندما علق قائلا : « لقد بذلتم قصاراكم » . ومع ذلك فان وعود روجرز لم تتحقق وادركت القاهرة استحالة احلامها . فما سر هذا التزم ؟ اعطانا عزيز صدقي جوابا على هذا السؤال في خطابه في ١٩٧٢/١/٢٢ عندما قال ان امريكا تساهم مع اسرائيل في مخطط يرمي مبدئيا الى ضرب النظام الاشتراكي والاماني الواسعة التي جاءت بها الثورة الى الجماهير والاتجازات العظيمة التي حققتها الاشتراكية . هذا تحليل صحيح ، ولكن العرب ابدوا بالفعل ميلا الى التفكير للاشتراكية بل وضرب منجزاتها بعد فشل موسكو في لعب دور حاسم في حل المشكلة . وكان بإمكان واشنطن ان تستعيد اكثر معاقبتها في العالم العربي لو ضغطت بالفعل على اسرائيل واخرجتها من المناطق المحتلة .

وينسب الآخرون الموقف الامريكي الى التانسير الصهيوني على السياسة الامريكية . وقد لمح فلبرايت الى هذا عندما سأله مايكل آدمز عن مدى

تفرضان غنقوم على عقد صلح كامل بين العرب
وإسرائيل فتفتح فيه البلدان العربية أبوابها للخبرة
والتجارة الإسرائيلية ثم تتسحب إسرائيل من
المناطق المحتلة بعد 15 عاما . وإلى جانب هؤلاء
يقرب بعض الخبراء الصهيونية على كراسي معظم
المؤسسات الجامعية والبحثة المسؤولة عن بلورة
السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط .

ولكن هذا العامل أيضا ، عامل النفوذ الصهيوني ،
هو الآخر عامل عرضي وغير جوهري . فإلى جانب
الراء الصهيونية توجد أيضا آراء معاكسة تقدم
إلى الرئيس الأمريكي . ان مسن المغالاة بل
والبرائوتيا الاعتقاد بأن اليهود هم الذين يسرون
البيت الأبيض باستمرار . البيت الأبيض هو نقطة
بوليس للرأسمالية الأمريكية ، وبالرغم من كل
ثراء اليهود فإن الرأسمال اليهودي لا يكون غير
جزء صغير من مصالح الولايات المتحدة . وقد
أظهرت الأنظمة الرأسمالية استعدادها للانقضاض
على الجناح اليهودي منها ، حيثما اقتضت
ضرورتها ، كما حدث في ألمانيا بعد العشرينات ،
أو التكر لضغوطه كما حدث في أمريكا زمن
ايزنهاور وبريطانيا زمن اتلي وفرنسا زمن ديغول .

وواقع ان الرئيس نيكسون عالج شخصيا موضوع
التأثير اليهودي فاشار بحق الى انه غير مدين
للإهود بأي شيء ، وذلك لان اليهود الأمريكي لا
يعطون أصواتهم تقليديا للحزب الجمهوري . وأشير
على نيكسون بحدف الطائفة اليهودية من حساباته
الانتخابية على اعتبارها قضية خاسرة . ومع ذلك
فقد ظهر ان نيكسون أعطى إسرائيل من المساعدات
أكثر من أي رئيس سابق . وعلق هو على الموقف
قائلا « انني لست مدينا للطائفة اليهودية الأمريكية
بأي شيء ، ولكنني لن ادع ذلك يؤثر على تأييدي
لإسرائيل » (٤) .

اذن فلا بد لنا ان نفتش عن سر هذا
التأييد في ميدان غير ميدان التأثير الصهيوني
على العرب ، مما لح إليه فلبرايث ، او الرغبة
في تصفية الاشتراكية العربية مما ذكره صدقي .
ان مواكبة السياسة الأمريكية للاممي الصهيونية
هي مظهر للموقف الامبريالي العالمي وليست سببا
له . ان هناك تطابقا بين المصالح الأمريكية
والمصالح الإسرائيلية تطابقا أدى الى هذا التزم
الدبلوماسي ورضوخ البيت الأبيض للضغوط
الصهيونية واعتماده على مستشارين يهود وتطابقا

ينفي أي احتمال للعب واشنطن دورا حاسما في
جانب العرب . ولا بد لنا من دراسة الأركان التي
يقوم عليها هذا التطابق .

١ - **الحصان الخاسر** : في مارس ١٩٤٧ دعت
بريطانيا رسميا الولايات المتحدة لتسلم جزء من
مسؤولياتها في الشرق الأوسط . وبدأت أمريكا
على ضوء هذا الانفتاح بالتخطيط للسيطرة على
المنطقة . وكان مايلز كوبلند ، الدبلوماسي
الأمريكي وممثل الاستخبارات الأمريكية في المنطقة ،
من صحبوا قصة هذا التخطيط منذ بدايتها وسرد
هذه القصة في كتابه المعروف « لعبة الامم » .

ويقول كوبلند ان التخطيط قام على اساس تقوية
الانظمة وفتح المجال للاستثمارات الأمريكية وتحاشي
الاحتكاك مع السوفييت (٥) . وانطوى عنصر تقوية
الانظمة على الاطاحة بالانظمة المهترئة واستبدالها
بانظمة جمهورية اكثر جنوبيا الى الديمقراطية
واعظم كفاءة وتقدمية ، ومن ثم اكثر مناسبة
للاستعمار الجديد القائم على تصدير الرساميل
والخبرة . وبعد سلسلة من الانقلابات يروي
كوبلند تفاصيلها ، استطاعت أمريكا ان تقيم رؤوس
جسور في معظم العواصم العربية . ويؤكد المؤلف
ان واشنطن كانت تعتبر مصر المفتاح للتوغل في
الشرق الأوسط وأفريقيا ، وهو طبعا تكبير
استراتيجي سليم . وابتمت واشنطن ابتسامة
الرضى عندما توهبت ان المفتاح قد اصبح في
جيبها . بيد ان احلامها تحولت سراما الى ركام .

فرفضت مصر منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط
وحلف بغداد . وفي ١٩٥٥ عقد ناصر صفقة
الاسلحة الشكسولفاكية وبدأ بالتقرب من العالم
الاشتراكي في ذلك الطريق الطويل الذي قطع مصر
عن العالم الرأسمالي ونشر بذور الثورة والتأميم
والتنظيم الاشتراكي في كل المنطقة . ورأى البعض
مثل بول جونسن ان تسلخ مصر وضع اعباء جديدة
على تجارة القطن وضغطا لزيادة سعره . وبدأ
الاتحاد السوفياتي بشراء قسم منه ، فثار كل
ذلك حفيظة مستوردي القطن الأمريكيين فطالبوا
دلس بمعاقبة ناصر باعادة النظر في القرض لسد
اسوان (٦) . وهكذا بدأت لعبة الامم بين القاهرة
وواشنطن ، فجات الخطوة التالية من مصر
بتأميم القناة . ونشط ناصر ضمن العالم العربي
بالتحريض ضد أمريكا فبادرت السعودية للمطالبة
بجزء من الاجار عن القواعد الأمريكية . ثم مد
ذراعه الى العالم الخارجي فثار مع تيتو ونهرو

في خلق كلمة الحياض الأيحابي التي وقعت في وجه المخططات الأمريكية لاحتضان العالم الثالث .

واستطاعت أمريكا ان تصلح الموقف بعد حرب ١٩٥٦ واعتقدت انها بتأييدها لمصر تستطيع ان تصلح ما اظفته الاحداث . ولكن العرب رفضوا الاعتراف بفضلها واعتبروا خروشوف بطل القصة . وعليه غم يدم الوثام الجديد غير اسابيع قليلة . وما ان اعلن أيزنهاور في ١٩٥٧/١/٥ خطته الجديدة المعروفة ببدء أيزنهاور لحماية الشرق الاوسط من العدوان والخطر الشيوعي ختسى سارعت مصر لمهاجمته . واضطرت أمريكا اخيرا الى تحويل نظرها من القاهرة الى بغداد . ولكنها ما كادت تقيم حلف بغداد على اقدامه حتى جاء قاسم فنفسه . ودخلت العلاقات دورة مفرغة كلما حاولت فيها أمريكا التقرب من العرب كلما ازداد العرب هيجانا ضدها . وادت صدمة انهيار الوحدة السورية المصرية الى اعتقاد ناصريان الانظمة الثورية لا يمكن ان نسلم من كيد الرأسمالية والرجعية حتى تجهز عليهما فانهنك في برامج لا رأسمالية اربعبت المولدين الامريكان .

واوفد جون كندي اخيرا الاستاذ ميسن الى مصر لدراسة الوضع ، وعاد ميسن بتقرير برر فيه تصرفات ناصر بكونها مفيدة ومهمة لمصر ولكنها مضررة بمصالح أمريكا ، ورأى ان الحلول الوحيدة هي اما تغيير هذه المصالح الأمريكية او الاطاحة بناصر(٧) : تغير المصالح الأمريكية يقتضي نقض أسس النظام الرأسمالي الغربي ، وهو خارج الصدد . الاطاحة بالانظمة الناصرية في العالم العربي تقتضي سلسلة من الانقلابات لم تعد بتلك السهولة . ويؤكد كوبلند ان أمريكا كانت في ذلك الحين قد صرمت نظرها عن سياسة الانقلابات لفشلها . فكلما خطمت لانقلاب وانفتحت عليه الملايين ونجحت فيه جاءها انقلاب معاكس ارجعها الى البداية . ولعل تاريخها في سوريا يعطينا ما يؤيد ادعاء كوبلند . وبعد كلمات ناصر لأمريكا بأن تذهب وتشرب ماء البحر ، لم يعد امام واشنطن غير ان تفلس يديها من العرب وتفتش عن زبائن تجدد .

كان من اسباب اهتمام أمريكا بالعالم العربي خوفها من الخطر الشيوعي في عهد مكارثي ودليس . وقد خنت حدة هذا الخوف مؤخرا نتيجة للتطورات المعروفة في العلاقات بين موسكو وبكين وواشنطن .

وتلاشى هذا الخوف بالنسبة للشرق الاوسط على الخصوص بعد انقلاب عبد الكريم قاسم . فالمعروف ان أمريكا شعرت بقلق شديد ازاء نظام قاسم ويسارته ، ولكن قاسم سرعان ما قلب ظهر الجن للشيوعيين وراح يوالي سياسة مستقلة تماما عن موسكو من ناحية وامتنع عن تأميم الشركات او التعرض للمصالح الأجنبية من ناحية أخرى . ويجزم التقرير الخاص الذي نشره معهد المشاريع الأمريكية ان هذه الحقائق التي تبخضت عن انقلاب ١٤ تموز كشفت لأمريكا لأول مرة ان الشيوعية والناصرية والقومية العربية اشياء مختلفة وأن البلاد العربية ليست تربة صالحة للشيوعية او ان العرب مطايا طيعة لموسكو(٨) . وكان لهذا الاكتشاف اثر بليغ بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية ازاء الشرق الاوسط . لقد اصبح من السهل للينتاغون والبيت الابيض ان يديروا ظهرهما للعرب ويناوما تيريري العين . لا خوف على الشرق الاوسط . ويعين الوقت زال ايضا كل خوف من الوول ستريت عندما اتضح بعد حرب ١٩٦٧ ان العرب غير قادرين على تأميم المصالح البترولية الأمريكية او تعطيلها او مقاطعة أمريكا جديا . واتضح لأمريكا اكثر من ذلك . اتضح ان خراب بيت العرب وتمرغهم في الوحل اتفق للعرب . فهزيمتهم امام اسرائيل وحاجتهم الى السلاح ومقدانهم عوائد قناة السويس يجعلهم في أمن الحاجة الى العملة الصعبة ويزيد من اعتمادهم على شركات النفط والبيع للعرب . ولم تحرم الحكومات على سلامة الاتاييب وتدق الزيت حرصها في الآونة الأخيرة . ولاول مرة بعد سنوات ، راحت مصر تطرق ابواب الاسواق الغربية تعرضن تطلنها بسخاء فنيبها بلغ صادها من القطن الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٤/١٩٦٥ نحو ٦٦٩٤٠٠٠ بالة ، اضطرت الى تخفيض ذلك في ١٩٦٧/١٩٦٨ الى ٣٦٠٤٠٠٠ بالة لتبيع الباقي البالغ ٤٤٠٤٠٠٠ بالة الى العالم الرأسمالي بحثا عن العملة الصعبة . وانخفضت نسبة ما صدرته الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٧ الى اقل معدل (٤٥٪) سجل منذ عام ١٩٥٦(٩) .

لقد رفض العرب كل حل امريكي لشكلة فلسطين او اسكان اللاجئين ، وكل ترتيب للمنطقة ، منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، مبدأ أيزنهاور ، حلف بغداد ، مشروع جونستن لنهر الاردن الخ . وبدلا من الترحيب بالشركات الأجنبية ، راح العرب

يؤمنون شركاتهم نفسها ويصفون المؤسسات الأجنبية . الخبراء والسياح الأمريكيين أصبحوا جواسيس في عين الجميع . وبدلا من أن تصبح مصر المفتاح الأمريكي لافريقيا وآسيا أصبحت لعنة تحقيق به أينما حل أو ارتحل . « أمريكا عدوة الشعوب » هي الكلمة التي راحت إذاعة القاهرة ترددها في عشرات اللغات . العالم العربي خصان أمريكا الخاسر وأن لها أن تبحث عن حصان آخر .

٢ - إسرائيل والاستعمار بالعمولة : العوامل التي تجعب بين إسرائيل وأمريكا لا تحتاج إلى شرح . ككتاهما دولتان عرقيتان استعماريتان . إسرائيل لا تحمل حقدًا ضد أمريكا كما يحمل العرب نتيجة تقسيم فلسطين . وكان من المفروض لواشنطن أن تجد فيها طريقها إلى العالم الثالث ولكنها نظرت إليها فوجدتها بلدا صغيرا محدود السكان والموارد ومحاصرا من كل جانب . غير أنها استطاعت عبر السنين التي كان البيت الأبيض خلالها يذوق المر في العالم العربي أن توسع رقعتها وتزيد قابليتها نفوسا وتجارة وصناعة وتقيم لنفسها قواعد في افريقيا وآسيا وتضع في الأخير المعالم العربي نفسه تحت رحمتها . وتلونت استنتاجات الأمريكيين هنا بالأفكار التقليدية عن اليهود ككجار حاذقين . وكان من اعظم الزايبا المغرية في إسرائيل الاستقرار ، ذلك العنصر الحيوي للاستثمارات الرأسمالية . وتجسنت هذه الميزة بصورة خاصة بتباينها مع ضدها في العالم العربي . وإسرائيل هي الدولة الوحيدة التي ما زال نفس الحزب يحكمها منذ تأسيسها .

وجاءت حرب ١٩٦٧ لتزيل أي شك في قابلية إسرائيل على الاضطلاع ببهمة العمالة على نطاق عالمي . وما استقر غبار الحرب حتى انتهت الرساميل الأمريكية عليها . فبينما كان مجموع رأس المال الخاص المنقول للتوظيف فيها طوال عام ١٩٦٦ نحو ٤٠ م/د وصل هذا المجموع ٩٢ م/د خلال السنة اشهر الاولى فقط من ١٩٦٨ (١) . وارتفع مجموع المبالغ المخولة اليها من ٢٩٢ م/د في ١٩٦٦ إلى ٥٢٢ م/د في ١٩٦٧ والى ٨٠٠ م/د في ١٩٧٠ والى ١٦٠٠ م/د في ١٩٧١ (١) . ويفضل هذه الرساميل الأجنبية استطاعت إسرائيل أن تزيد صادراتها بنسبة ٢٦ ضعفا من ٢٨ م/د في ١٩٤٩ إلى ٧٢٨ م/د في ١٩٦٩ .

لقد أنهت أمريكا المدرسة الأوربية للاستعمار القديم وأحلت محلها ما يعرف بالاستعمار الجديد القائم على الحكم عن طريق حكومات عميلة دعمايتها حراب الاستعمار ومهمتها حراسة رساميله الموظفة ورسالتها القومية هي الارتقاء بجماهير الشعب إلى المستوى الذي يجعلهم احسن المستهلكين للبضائع الامبريالية وأرخص العاملين في المؤسسات الصناعية للغرب . وتطور الاستعمار الجديد على يد أمريكا من الاستغلال عبر حكومة عميلة إلى الاستغلال إلى عبر دولة عميلة .

وبفضل هذا الاسلوب الجديد أصبح من السهل لأمريكا أن تتسرب إلى كيان الدول المعادية للاستعمار كزامبيا بتياب الدولة الصديقة الآسيوية الناشئة - إسرائيل . وحيث لم يكن من المنطق أو الاصول السماح للخبراء العسكريين الأمريكيين العمل بجانب الخبراء السوفييت ، جرى بالمدرين الاسرائيليين ليأخذوا مكانهم « حرمة للحياد » كما فعلت بالضبط حكومة أوبوتيه في يونغنده (١٢) . وقامت إثيوبيا بتوازن من نوع آخر فاستخدمت الاسرائيليين للعمل بجانب الأمريكيين غسى تدريب جيشها دعما لتهمة التحول إلى قاعدة أمريكية . وحاول موبوتو درء التهمة نفسها فانتدب الاسرائيليين لتدريب كتائب المظليين (١٣) . وعملت البعثات العسكرية الاسرائيلية في كثير من الدول الأفريقية بما فيها إثيوبيا والكونغو وسرياليون وغانا ويونغنده بالإضافة إلى إيران وماليزيا في آسيا . ومع الخبراء تذهب طبعا البضائع العسكرية الاسرائيلية إلى هذه الدول .

ويتضح مدى تصاعد التوغل التجاري الاسرائيلي في افروآسيا من النسب المئوية في الجدول الآتي (١٤) :

سنة	البريطانيا	الأمريكا	الآسيا	وكندا	افريقيا
١٩٤٩	٥٢٦٧	١٧٤٠	١٤٤		
١٩٦٧	١٣٤٠	١٧٤٨	١٧٤٢		

وقامت إسرائيل بعشرات المشاريع الضخمة كالشركة الملاحية مع لايبيريا ومصنع السيارات في تركيا وشبكة مياه طهران ومطار اكرا الدولي وبرلمان سرياليون ومشروع الفضلات لاصفهان وعدة مطارات في إثيوبيا والمشروع السياحي الضخم للريفيرا الافريقية في ساحل العاج - وهو

من تصميم المهندس الأمريكي هانز، منفصل -
بالإضافة الى عشرات المشاريع الزراعية
والصناعية والانشائية والتعميرية . ويعمل النشاط
الإسرائيلي في ايران صورة عن التوسع الضخم بعد
حرب ١٩٦٧ والذي تتوج بخط الانابيب المشترك
بين ابالات والبحر المتوسط بقيمة ١١٢ م/د .

ان من الصعب جدا التحقق بالتفصيل من مدى حظ
الرساميل الامريكية في هذا النشاط الاخطبوطي
بالنظر للابواب المتعددة التي ترد فيها الاموال
الامريكية والاسماء التي تجري تحتها النشاطات
الاسرائيلية . نمثلا ان معظم فعاليات اسرائيل في
غانا جرت عن طريق شركة غانا الاعلى للبناء
وترتبط هذه بشركة سوليل بونيه ، وهذه الشركة هي
ملك الهستدروت ، والهستدروت غارق بالقروض
والمنح الامريكية . وتحيط تل ابيب عملياتها بكمبان
شديد . ومن السخف ان تصور اسرائيل الفارقة
بالديون والقائمة على التبرعات والمعونات تتقدم
هي بالتبرعات الى الدول الاخرى ، واحيانا الى
دول اغنى منها . انها تقوم بهذه العمليات نيابة
عن الامبريالية الامريكية التي غففتها بما تجاوز
البيليون دولار من المعونات الرسمية و٢٥٥ بليون
دولار من الاموال الخاصة حتى ١٩٦٨ . وتقدر
المصادر ان نصف البرامج الاقتصادية الاسرائيلية
ممول من الخارج . ويؤكد الاستاذ سلفربيرغ الخبير
الامريكي بالشؤون الازرقية الاسرائيلية ان محاولة
الحصول على صورة دقيقة لحظ الارساميل الامريكي
من هذه البرامج مضيق للوقت بسبب السرية التي
تحيطها (١٥) .

ومع ذلك فان تدفقا امريكيًا نحو الاستثمار من
طريق اسرائيل اصبح واضحا بعد ١٩٦٧ . وتجلس
هذا بالجولات المختلفة التي قام بها رجال المال
الاسرائيليون طلبا للقروض والرساميل الامريكية ،
والتسهيلات الجديدة التي قدمتها الحكومة للممولين
الاجانب . وقالت التايمس اللندنية ان حرب ١٩٦٧
قد رفعت مجموع الرساميل الامريكية الواردة
للتوظيف في اسرائيل الى حد ٧٨٠ م/د في ١٩٦٨ ،
اي بزيادة ٣٠٠ م/د عن مجموع السنة
السالفة (١٦) . ووصل النشاط ذروته في عقد مؤتمر
المليونيرية في القدس وكان من نتائج المؤتمر
تأسيس شركة للاستثمار براسمال قدره مائة مليون
دولار بالإضافة الى شركات تأمينية ومالية اخرى .
وانبثقت عن المؤتمر اللجنة الامريكية التي انتجت

١٢ مشروعا في اسرائيل بقيمة ٧١ م/د حتى ١٩٦٩ .
هذا بالإضافة الى ١٩ مشروعا آخر بقيمة ٥٠ م/د
في طريق الانجاز . وتتعلق معظم هذه المشاريع
بانتاج الكيماويات والمعادن والصناعات الطينية
وتساهم فيها ١٦ شركة امريكية كبيرة منها شركة
اميتبول لوحداث الطائرات وشركة مغانفوكس
للإلكترونيات وشركة ايروجت جنرال كوربوريشن .
ومن المؤتمر ايضا انبثقت لجنة كاليفورنيا للتجارة
والتكنولوجيا لتجنيد الطلبة والخبراء الامريكان
لهذه الصناعات الاسرائيلية الجديدة (١٧) .

والفتت الممولون الى الامكانيات التي فتحتها
اسرائيل باحتلالها المناطق العربية واستغلال
الايدي العاملة للفلسطينية الرخيصة . وبلغ عدد
العمال الذين سخرتهم اسرائيل من المناطق المحتلة
٤٠٠٠٠ عامل يتقاضون ٤٤٢٠ ليرة يوميا مقابل
اجرة العامل اليهودي البالغة ٢٠ ليرة (١٨) .
وترددت في اسرائيل النكته القائلة بان جميع اليهود
سيتركون اسرائيل عن قريب لان الامريكان هم الذين
يعطون راس المال والغرب هم الذين يقومون
بالعمل . وتحت عنوان « غزة : خزان للطاعة
العاملة الرخيصة لاسرائيل » كتبت صحيفة معاريف
ان اجرة عمال غزة على درجة من الانخفاض
تضطرهم الى استخدام ابنائهم من دون العاشرة
سنا . واضافت قائلة ان خبراء وول مستريت
الامريكان قد استحسنوا الموقف الاقتصادي في
غزة (١٩) .

والى هذا المسرح تدفقت الرساميل الامريكية
فانقادت عدة مشاريع في اسرائيل والمناطق المحتلة
بما فيها القدس والجولان . ومن ذلك هلتن القدس
الذي كلف ٥٠ م/ليرة اسرائيلية وفندق المستعمرة
الامريكية في القدس العربية . وعندما تأسست
شركة هياوس الامريكية للاستثمار في
افروآسيا ، قررت ان تجعل باكورة نشاطها تدفقا
بقيمة ٢١ م/ليرة في القدس العربية ايضا . وقررت
شركة اخرى توظيف ٢٤٨ م/ليرة في تجارة الفنادق
والمطاعم الاسرائيلية . وخصمت شركة بسمان
وغليك اوف شيكاغو عشرة ملايين دولار لانشاء
فنادق في اسرائيل . وقررت شركة اخرى امريكية
اقامة مزرعة حيوانية لانتاج اللحوم في الجولان .
وهكذا استطاع الارساميل الامريكي ان يزحف وراء
الديابات الاسرائيلية فيدخل مناطق لم يكن يعلم

بها . وما زالت تل ابيب في اول الطريق . غاية الطريق هي اقتحام الاسواق العربية كليا وتحويل المنطقة الى كيان اقتصادي واحد اشبه بمنطقة الاراضي المنخفضة ، كما قالت التايمس ، « ولن ييم عندئذ اين تهر الحدود » حسب نظر موثي ديان (٢٠) .

وتأخذ الشراكة الامريكية الاسرائيلية خمسة صور رئيسية :

١ - القروض المالية المباشرة لقاء فوائد سنوية . والمثال الاول هنا السندات الاسرائيلية المباعة في امريكا . وبلغ مجموع الفوائد التي دفعتها تل ابيب عن ديونها ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ .

٢ - الحصول لامريكا على المواد الخام . والمثال هنا هو الماس الذي تحصل عليه اسرائيل من افريقيا وتعيد تصديره الى امريكا بعد صقله . وهو يشكل اهم مقرة في صادراتها الى امريكا . وبهذه الطريقة تتحاشى واشنطن المداخلات السياسية التي تغشي الموضوع : افريقيا ، ولكن لايبيريا التي فطنت الى الموضوع بادرت الى منسح اتفاقيتها مع اسرائيل وآثرت البيع مباشرة الى نيويورك . ويتم التعاون هنا بتزويد اسرائيل بالاموال والخبرة اللازمة لهذه التجارة ويقوم معهد الجواهرات الامريكي بتدريب العمال الاسرائيليين ومد معهد الماس الاسرائيلي بما يحتاجه من مساعدات ومعرفة . ويفضل هذا الترتيب ارتفعت تجارة الماس الاسرائيلية بالنحو البالغ التالي (٢١) :

سنة	المستورد بالدولار	الصادرات بالدولار
١٩٥٤	١٣٠٧٩٣٠٠٠	١٥٠٦٩٨٠٧٨٠
١٩٦٩	١٩٢٠٧٥٠٤٤٧٧	٢١٥٠٩٠٧٠٢١٦

٣ - اشترك مؤسسات امريكية واسرائيلية في الحصول على مشاريع في العالم الثالث وتسييرها . ومن ذلك معمل المعذات الالكترونية الذي اقامه الطرفان في السنغال .

٤ - اقامة الشركات الامريكية مشاريع او فروع لها في اسرائيل كما الحال بالنسبة للفنادق الامريكية التي اشترنا اليها . وفتحت شركة ابروجيت كوربوريشن مفاوضات لاقامة معمل لصهر المعادن بقيمة ٢٠ م/د لسد حاجات اسرائيل من الفلزات وتصدير الفائض من منطقة كيشون الحرة التي فتحتها اسرائيل مؤخرا لزيادة عمليات اعادة التصدير (٢٢) .

٥ - الاشتراك مع مؤسسات اسرائيلية في اقامة صناعات داخل اسرائيل ، ومن ذلك نسي حقل الكيماويات شركة عراد المؤسسة لانتاج ٢٣٠٠٠٠ طن من حامض النسفوزيك سنويا للاستهلاك الداخلي والتصدير . وتم التوقيع على عقود اخرى منها واحد لانتاج محركات وينكل من قبل شركة سافكل التي تملكها شركة بيبير ملمز الامريكية الاسرائيلية وبنك اسرائيل البريطاني . ونشرت الوبل ستريت جرنال نبأ تاسيس شركة مازيتايم دينامكس لبناء الناقلات البحرية العملاقة بحمولة تتجاوز ٢٠٠٠٠٠ طن . وتمتلك الشركة الجديدة مؤسسة الشحن الاسرائيلية وشركة جنرال دينامكس المتصلة بصناعات الحرب الامريكية . واعطت رأس المال الجماعة المصرفية المسماة تمست نشنال بوسطن كوربوريشن . وبكورة الشركة هي بنساء ست شاحنات بقيمة ٢٥٠ م/د .

وانته تجار الموت الى سبعة اسرائيل العسكرية فتهاكوا على توظيف اموالهم فيها . وتقول المصادر ان امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية قد وظفت اكثر من ١٢٠ م/د في الصناعات الحربية الاسرائيلية تنفيذا لمقررات الليونيرية الثاني (٢٣) . وبلغ مجموع الصادرات من المعذات الحربية ٣١ م/د في ١٩٦٩ وارتفعت صادرات مؤسسة تعاز المنتج للاسلحة بخمسة اضعاف ما كانت عليه قبل ١٩٦٧ . ووصل التعاون الامريكي الاسرائيلي في الانتاج الحربي اوجه في الاتفاقية السرية لتزويد تل ابيب بالامكانيات لانتاج الاسلحة الثقيلة والمعقدة بما فيها الطائرات الفعالة والديابات . ومن الوهم ان تصور ان الاتفاقية موجهة بصورة خاصة ضد العرب . انها حلقة اخرى من التاريخ الاسود لتجارة الموت الراسمالية . وحيث ستترفض دولة ناشئة ابتياع الاسلحة من امريكا ، ستشير عليها امريكا بشراء الاسلحة من اسرائيل .

وتدفقت البضائع الامريكية جنبا الى جنب مع الرساميل في عين الفترة ، او بعبارة ادق ضمن السنوات الثلاث التالية لحرب حزيران فارتفعت مستوردات اسرائيل من امريكا بنحو ٥٠ ٪ في حين لم تتغير صادراتها اليها الا بقليل . ويعود جزء كبير من العجز المستمر في ميزان المدفوعات الاسرائيلي الى هذه البضائع المستوردة والسى العوائد والفوائد المترتبة على الرساميل الاجنبية . وقد ارتفعت هذه العوائد والفوائد من ٩٤ م/د

في ١٩٦٥ إلى ١٥٢ م/د في ١٩٦٦ ونحو ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ . ومما يذكر ان مجموع العوائد والفوائد المستحقة من اسرائيل ساوت خلال عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ مجموع الازياع التي جنتها اسرائيل من الزيادة في القيمة المضافة للصادرات (٢٤) .

ومن الطريف ان نلاحظ سير النشاط الاسرائيلي بامتداد خطوط النفوذ الامريكى في العالم الثالث . فخط الملاحة الليبيرى الوطنى (من مشاريع شركة هارون روزفيلد الاسرائيلية) يسير من ايلات الى الحبشة وافريقيا الجنوبية ونايجيريا وليبيريا . ويسر خط تسييم من ايلات الى فموزة وهونغ كونغ واليابان وامريكا الشمالية . والدول العميلة الرئيسية لاسرائيل هي ايران والحبشة وافريقيا الجنوبية وليبيريا . واخذت تل ابيب مؤخرا ، وربما بتوجيه من واشنطن ، بالاتجاه الى المنطقة التقليدية للنفوذ الامريكى - امريكا اللاتينية ، التي بدأت جاهرها بالتحرك ضد سيطرة الدولار . وامام انطلاقتها الثورية ، اسرع مدير بنك الاعمار الدولى لزيارة تل ابيب في اوائل ١٩٧٠ ملتصبا بزيادة نشاطها في تلك المنطقة . ومن المعروف ان اسرائيل كانت تتفق سنويا حتى ذلك الحين نحو خمسة ملايين ليرة على مساعدة امريكا اللاتينية وتزودها بحوالي ٤٠ خبيرا . ولها بضعة مشاريع صغيرة منها حقل للبدور في البرازيل . ووقعت مؤخرا اتفاقية مع المكسيك لاستغلال المصادر المائية والغذائية واتامة معمل للكيمياويات البترولية واخر للسيارات .

ومن ذلك يتضح ان اسرائيل اصبحت الباب الذي تدخل منه الامبريالية الامريكى الى العالم الثالث وان اموالا في حدود البلايين قد اصبحت الان مرهونة لدى الاقتصاد الاسرائيلي . وان اي تفكير من جانبنا يتصور ان امريكا ستعرض هذه المصالح للخطر اجرا ما ليعوننا هو سذاجة مفرقة .

٣ - دور اسرائيل في خلق الحركات الثورية : لما كان التحالف الامريكى الاسرائيلي تحالفا رأسماليا فقد اصبح من البديهي له ان ينشط ايضا في مقاومة الحركات المادية للراسمالية . وقد قامت في امريكا جماعة الابحاث الافريقية بدراسة دور اسرائيل كدولة ثالثة في خدمة الرساميل الامريكى ومحاربة الحركات المادية للامبريالية في افريقيا ونشرت تقريرها الضامى في مجلة تراكوتنتنتال الكوبية (٢٥) . ويتضح من التقرير ان واشنطن تنظر الى اسرائيل كبديل للشعوب الافريقية الثائرة ضد

افريكا تحول دون التفاتها الى الشيوعية او السوفييت . وكان ارنولد ريفكين الخبير الامريكى قد دعا في سنة ١٩٥٩ في مجلة فوزين اميرز الى ارشاد الدول المتردة على الغرب الى الاحتذاء باسرائيل في البرمجة الاشتراكية المعتدلة واقامة نظام اقتصادى ثالث يخلف عن النظامين الشرقى والغربى « ولكنه يبقى بالتأكيد اكثر ميلا الى مصالح العالم الحر منه الى النموذج الشيوعى » على حد قوله . ومضى ريفكين فعالج طرق تحقيق ذلك بواسطة تحويل جزء من المساعدات الغربية المخصصة لافريقيا الى اسرائيل بحيث تعود هذه بدورها فنتقدما الى افريقيا « بالنظر لمؤهلات اسرائيل الخاصة وقبول الدول الافريقية لها كما اتضح » . ومن المهم ان نعرف ان المستر ريفكين كان رئيسا لمشروع الابحاث الافريقية لمركز الدراسات الدولية في ماساشوسيتس . اما المركز نفسه فقد نظمته وكالة الاستخبارات الامريكى ، ومنه انتقل ريفكين الى البنك الدولى الذي اعطى قروضا واسعة لاسرائيل . ومن خبراء امريكا المختصين في المساعدات الاسرائيلية لافريقيا المستر سلفربرغ الاستاذ في الجامعة الامريكى في واشنطن . وسرعان ما تكشف ان سلفربرغ يعمل ايضا في مركز الابحاث للانظمة الاجتماعية الذي يعمل لحساب الجيش الامريكى والمشهور بفضيحة كاميلوت للتجسس على امريكا اللاتينية . وينهك هذا المركز في اعداد دراسات تحليلية لمقاومة حرب العصابات . وكانت اطروحة سلفربرغ (وهو يهودى) بعنوان « المساعدات الاسرائيلية العسكرية وشبه العسكرية لافريقيا » .

واستخلصت جماعة الابحاث الافريقية النتائج التالية من دراستها : ١ - ان الحكومة الامريكى ساعدت في وضع اسلوب المساعدات ومادتها . ٢ - انها وحلفائها ساعدوا في تسويل المساعدات الاسرائيلية حسب اسلوب «الدولة الثالثة » . ٣ - ان هذه المساعدات قد تحركت في الميادين المهمة ستراتيجيا وخاصة التدريب العسكري ومقاومة حرب العصابات . ٤ - ان برامجها تخدم الاستعمار الاسرائيلي الصغير نسبيا ومن ورائه الاستعمار الامريكى الواسع .

ومن اهم المؤسسات الاسرائيلية التي عملت امريكا على تاسيسها في هذا الصدد لاحتواء كوادر العالم الثالث هو المعهد الامرواسيوى الذي يتلقى كل

المضطهدين ، ووراها يقف ما يزيد على ٥٠٠ منظمة صهيونية في كل مكان لتفذية هذه الأجهزة . وما يعطي الاستخبارات الاسرائيلية قدرتها العظيمة ، هو المستوى الفظيع الذي تنزل اليه من التفجير ، بما في ذلك استعمال النساء بأبشع الصور ، الى الارهاب بما فيه القتل القاسية . ويروي فان هورن ، كبير المراقبين الدوليين ، صنوا من ذلك مما تعرض له ضباطه في القدس (٢٨) .

ولا شك ان اي استخبارات في العالم تطمح للتعاون مع مثل هذه الأجهزة . وكان من الطبيعي ان يتجه هذا التعاون نحو واشنطن . وحقت اسرائيل للبنتاغون احلاما لم يكن من سبيل لتحقيقها . ومن ذلك ان حصلت استخباراتها على طائرة ميغ ٢١ من العراق في وقت كان الفيتناميون فيه يتدربون في موسكو على استعمال هذه الطائرة ضد الامريكان (٢٩) . وجاءت حرب ١٩٦٧ بفنائم جديدة من المطلوبات عن الاسلحة السوفييتية الى البنتاغون . وما كادت موسكو تضع دبابات ت ٦٢ امام قوات حلف الاطلسي حتى حصلت اسرائيل على مجموعة سالمة منها نقلت لاختبارها عمليا بالرمي من قبل الحلف في انكلترا (٣٠) .

وانتقل هذا التعاون عام ١٩٦٨ الى مرحلة جديدة بعد ان تحققت اسرائيل ان بإمكانها ان تنبثق المناطق المحتلة دون خوف . ولتحقيق هذا الضم ، اقتضى عليها الحصول على الوف جديدة من المهاجرين تنفيذاً لمياسة التوسع بصلاح الضغط السكاني . على ضوء ذلك خططت المنظمة الصهيونية لرحلة ضد المعسكر الاشتراكي تجبره على السماح لهجرة الملايين الثلاثة . فكانت الرحلة الاعلامية الشهيرة ومرحلة الاضطهاد السوفييتي لليهود . وتشير كافة خطوط هذه الرحلة الى نقطة انطلاق في اوائل ١٩٦٨ . في ذلك الوقت ايضاً انتهى معهد هدمن الامريكي من وضع مخططة المعروف « بالثورة الماركسية الهادئة » . ووضعت الاستخبارات الامريكية نظرية « بناء الجسر » للتوغل في العالم الاشتراكي والحصول على المعلومات والدعوة للثورة الماركسية (٣١) .

في ١٩٦٨/٤/٢٠ ، صدر في الاتحاد السوفييتي العدد الاول من النشرة السرية « سجل الاحداث الجارية » لتكون لسان ما يسمى بالحركة الديمقراطية . ويعد صدورها بقليل تأسست جماعة النشاط للدفاع عن حقوق الانسان التي اتخذت

عام عشرات من شببية افروآسيا لتدريبهم . وتأسس هذا المعهد بمنحة من اتحاد العمل الامريكي AFL-CIO . والمعروف ان هذا الاتحاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً اندماجياً بالاستخبارات المركزية (٣٢) .

واصبحت تل ابيب مركزاً جديداً لتدريب كلاب الامبريالية وقد كشفت مناقشات الكنيست في ١٢/٤/١٩٦٧ ان جموعاً من الفيتناميين الجنوبيين كانوا يتلقون تدريبهم في اسرائيل (٣٣) . وحج الى تل ابيب ايضاً رئيس اركان بيرو ووزير داخلية البرازيل بالاضافة الى عدد كبير من قواد الجيوش الافريقية وبوليسها . وتسرع بين الفينة والفينة من فضيحة جديدة تتعلق بالنشاطات المريبة للخبراء العسكريين الاسرائيليين ، وكان من آخرها ما دفع الجنرال امين الى طرد السبعمئة خبير اسرائيلي من اوغندا . وتحت ضوء ذلك نستطيع ان نفهم التصح المستبر الذي يعطيه خبراء امريكا وسابقتها الى الدول الناشئة بالاستعانة باسرائيل . ومن ذلك نذكر كتاب ليوبولد لوفر « اسرائيل والامم الناشئة: طرق جديدة للتعاون » وكتاب رفين « افريقيا والغرب » وكتاب سلفربرغ المشار اليه آنفاً .

٤ - الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية : تفخر اسرائيل بأقدر جهاز تجسسي في العالم . ولهذا الفخر تاريخ طويل يمتد الى القرون التي فرضت فيها ظروف معاداة السامية وتشريد اليهود ، مهمة الوساطة والوكالة والجاسوسية عليهم . هكذا عملوا للفرس ضد الرومان وللمسلمين ضد اوربا وللانكليز ضد العرب واخيراً للامريكان ضد السوفييت . وساعدتهم على ذلك عوامل منها اتقانهم لعدة لغات وتجولهم في الامصار ومعرفتهم بأحوال الامم ووجود اخوان لهم في كل مكان . وفي الحرب الاخيرة اضافوا خبرة جديدة من عملهم لاستخبارات الحلفاء ضد المحور . ومن ابناء هذه الخبرة البولونيون الذين بنوا الاستخبارات الاسرائيلية .

واقامت الوكالة اليهودية اول جهاز رسمي للاستخبارات عام ١٩٢٧ باسم الموساد وعمل في هذا الجهاز معظم رجالات اسرائيل كاشكول وغاليلين وسابير . وعلقت على هذا سوفتسكايا بلروسيا في ١/٦/١٩٧١ بقولها ان الاستخبارات الاسرائيلية فريدة في العالم . فهي الاستخبارات الوحيدة التي تأسست قبل تاسيس الدولة نفسها . والى جانب الموساد توجد أجهزة شن بت وأمان وخدمات اليهود

الجيش والامن (٤)

وبعين الوقت ، تسند وسائل الاعلام الغربية الخاضعة للتأثير الصهيوني ، هذه الحملة بالتشهير بالمعسكر الاشتراكي واضهاد الاديان والاقليات فيه . ويغذي الصهاينة اعمدة الصحف بسلسلة من التظاهرات والاستقازات امام المؤسسات الصهيونية في الخارج ، والظاهرة الواضحة الان هي ان الاسواق الغربية قد امتلأت منذ ١٩٦٨ بالمؤلفات المهرية من المعسكر الايسر او الفاضحة له .

هذه خسلامة وجيزة جدا للخدمة الاعلامية والايديولوجية والتجسسية التي تقدمها اسرائيل للامبريالية الامريكية . وما من دولة استطاعت ان تقدم احسن منها . فيجوز لواشنطن ان تحذف هذه الخدمة ايضا من حسابها وتعيد للعرب المناطق المحتلة التي تشكل الدافع الحيوي للحملة الصهيونية المذكورة ؟

٥ - **الاعتبارات الاستراتيجية :** وعلى رأسها أهمية لأمريكا غلق قناة السويس . هذا الغلق يؤدي الى اضعاف المنافسة التجارية الأوروبية لأمريكا جنوبي وشرقي السويس ويسد من ناحية اخرى الباب في وجه الاساطيل السوفيتية التي يتوجس الغرب خطرا من زيادة وجودها في المحيط الهندي . ومن المفهوم ايضا ان الامدادات السوفيتية الى فيتنام قد تعقدت وصعبت بعد هذا الغلق ايضا . واذا كان البنتاغون حريصا على جنوده في فيتنام فلا شك ان سد القناة سيبقى مطلباً استراتيجياً لهم . وهكذا صرح رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بقوله : « لقد ادركت أمريكا اثناء حرب الاستنزاف ومنذ ايامها مدى القيمة الاستراتيجية لاسرائيل » (٣٥) . في الحين نفسه ، توالى التقارير عن انضمام اسرائيل الى حلف الأطلسي . وسواء انضمت ام لم تنضم ، فان وجودها كتلعة للعالم الغربي في الشرق الاوسط هو خير ضمان للحلف .

النتيجة : ان هناك كثيرا من العوامل تشير الى اتحاد بعيد الامد بين المصالح الاسرائيلية والامريكية تجاريا وسياسيا وتجسسيا واعلاميا واستراتيجيا . وتجعل مصالح هذا الاتحاد من الصعب ، ان لم نقل المستحيل ، لاي رئيس امريكي ان يغير موقف بلاده من ازمة الشرق الاوسط ، ولا سيما عندما نأخذ بنظر الاعتبار الموقف المالي القوي لاسرائيل

النشرة تاذة لها . وبعين الوقت صدرت مجلة كويبريانا التي تتهم من السوفيتية من زاوية الجنس والسخرية . ويتضح من دراسة هذه المطبوعات ارتباطها المباشر او غير المباشر بالمخطط الصهيوني الامريكي لهذه الاسباب :

١ - توقيت صدورها في ١٩٦٨ . ٢ - انتضاح صهيونية عدد من تادتها مثل تلسن وتسوكرمان بعد هجرتهم الى اسرائيل . ٣ - ارتباط نشرة السجل بالنشريات والفعاليات الصهيونية الصرفة ، اذ تفرقت بعد قليل من السجل مجلة اكرودز لتتلق باسم الصهيونية صراحة . واعترف الباحثون الغربيون بتداخل نشاط النشريات (٣٦) . ٤ - المحتوى ، كما يؤكد ردوي ، الذي لا يحمل اي برنامج او يتعرض لاي مشكلة اجتماعية عامة ، وانما يركز على حقوق الاقليات وحتم بالعودة الى اوطانهم ومحامكات « الاحرار » وخرق السلطات للقوانين ، والموضوع الاخير هو ما يؤكد عليه الصهاينة في ان حصر الهجرة وتبع الاديبيات الصهيونية يخالف القوانين السوفيتية .

واكتشفت السلطات عدة منظمات صهيونية منها جماعة لئينغراد وريفا وكشفيف ، وكلها على اتصال باسرائيل . وكان حلقة الاتصال مع جماعة لئينغراد دونالد ميلانت ، صهيوني امريكي من جامعة بيل . واعترف ميلانت بانّه جاء من امريكا لحض العلماء على الهجرة الى اسرائيل (٣٧) . وحرصت المنظمات الصهيونية على اعطاء نشاطها صفات عامة تجر غير اليهود اليه . ومما لا شك فيه ان مجرد صدور النشرات يفتح الباب ، كما تأمل الاستخبارات الامريكية ، الى ترعرع حركة معارضة وتحدي داخل المعسكر الاشتراكي .

ويعطي الدور الذي لعبته الصهيونية في احداث ١٩٦٨ في تشكولونفيا درساً عن الامكانيات الكامنة في الاستخبارات الصهيونية . والمعروف ان لوستيغ وزملاءه التشيكيين « الاحرار » الذين استقروا الان في اسرائيل قد لعبوا دورا خطيرا في النشاط المعادي للسوفيتية على التلفزيون والراديو والصحافة . وكشفت التحقيقات عن اتصال لوستيغ ببرامبرغ ، وكيل الاستعلامات الامريكية الذي وصل براغ اثناء الحوادث مقدمه لوستيغ الى رئيس اتحاد الكتاب فولد ستر (صهيوني اخر) وبالمؤسسات التشيكية الحساسة . ومن الوثائق التي عثروا عليها مع برامبرغ تقرير عن اوضاع

في الوقت الحاضر والذي يجعلها اقدر على تحدي الضغوط الخارجية الى مدى طويل كما اسلفنا في اول البحث . وان توجيه مثل هذا الضغط الطويل الامد والشديد الياس يمرض دون شك اسس

الشراكة الامريكية الاسرائيلية الى الاتيهار ، وهو ما لن تقبل به اوساط البنثاغون والبول ستريت والاستخبارات المركزية والاستعلامات الامريكية .

- ٢٠ - التاميس ، ١٩٦٩/٦/٣ .
- ٢١ - اسرائيل ، جمع م . امانويل ، لندن ، ص ١٤٩ .
- ٢٢ - جروسلم بوست ، جيش كرونكل ، ١٧/١٩٧١/٨ .
- ٢٣ - يحي عرودكي ، العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل ، مركز الاباحث ، ص ٣٠ .
- ٢٤ - جروسلم بوست ، ١٩٧٠/١٢/٧ .
- ٢٥ - ترايكونتننال ، ص . ب . رقم ٤٢٢٤ ، هانا ، عدد ١٩٦٩ .
- ٢٦ - انظر موريس ، جورج ، وكالة الاستخبارات المركزية والعمال الامريكان ، ١٩٦٨ . انظر ايضا كتيب د . فايز صايغ ، المعهد الاقرو آسيوي في تل ابيب ، مركز الاباحث في م . ت . ف . بيروت ، ١٩٦٧ .
- ٢٨ - انظر هورن ، جنرال كارل فون ، تجند من اجل السلم ، لندن ، ١٩٦٦ .
- ٢٩ - تايمس ، ١٩٦٦/٨/٣٠ .
- ٣٠ - دبلي اكسيرس ، ١٩٦٩/١٠١٧ .
- ٣١ - بولشاكوف ، معسادة السوفييتية مهنة الصهانية ، موسكو ، ١٩٧١ .
- ٣٢ - ردوي ، بي ، روسيا بدون رقابة ، لندن ، ١٩٧٢ ، ص ٣٩ .
- ٣٣ - اليهود في اوربا الشرقية ، تشرين الثاني ١٩٧١ .
- ٣٤ - تفاصيل بولشاكوف .
- ٣٥ - الغارديان ، ١٩٧١/١٢/٣١ .

- ١ - نيوزويك ، ١٩٧١/١/١٣ .
- ٢ - راديو ٤ ، الاذاعة البريطانية ، ٢/٢٢/١٩٧٢ .
- ٣ - جروسلم بوست ، ١٩٦٧/٦/١٦ .
- ٤ - التاميس ، ١٩٧٢/٢/٢٣ .
- ٥ - كوبلند ، مايلز ، لعبة الامم ، الترجمة العربية لدار الفتح ، بيروت ، ص ٥٧ - ٦٢ .
- ٦ - جونسن ، بول ، حرب السويس ، لندن ، ١٩٥٧ ، ص ٣ .
- ٧ - كوبلند ، نفس المصدر ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ٨ - مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط : تحليل خاص ، امريكان انتربرايس انستيتوت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .
- ٩ - مصالح الولايات المتحدة ، ص ٦١ .
- ١٠ - نفس المصدر ، ص ٧٣ .
- ١١ - مدل ايبست انترنشنال ، ايلول ١٩٧١ .
- ١٢ - سجل افريقيا المعاصر ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ، ص ٦٨ .
- ١٣ - الجيوش الافريقية والنظام المدني ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٨٥ .
- ١٤ - يوسف شبل ، تجارة اسرائيل الخارجية ، مركز الاباحث الفلسطينية ، ص ٢٦ .
- ١٥ - ترايكونتننال ، عدد ١٥/١٩٦٩ ، ص ٥٥ .
- ١٦ - التاميس ، ١٩٦٩/٣/٢٧ .
- ١٧ - فاينانشال تايمس ، ١٩٧٠/١/٢٧ .
- ١٨ - هارتس ، ١٩٧٠/١٢/١٨ .
- ١٩ - معاريف ، ١٩٧٠/١/١٤ .

تقرير خاص

خطة التنمية الثلاثية في الاردن ٧٣ - ١٩٧٥

في تحديث الاردن . فالخطة تشير مثلا الى انه ستكون هناك مراقبة على الاسعار والاستيراد والتصدير ... الخ .

وتؤكد هذه الملاحظة احجام الاستثمارات المحلية بعد ايلول عام ١٩٧٠ عن المغامرة بمشاريع مكلفة في ظل غموض المستقبل السياسي للاردن . فلقد شهدت الاسواق المالية الخارجية (خاصة بيروت) تدفقا كبيرا لرؤوس الاموال الهاربة من الاردن بعد احداث ايلول ١٩٧٠ . والارتفاع المفاجيء والكبير في ارصدة ودائع البنك العربي - فرع بيروت - بعد ايلول خير شاهد على هذه الظاهرة .

اضافة الى ذلك فان رؤوس الاموال المحلية في الاردن ظلت طوال السنوات الماضية تتجه الى الاستثمار في قطاعات التجارة والخدمات وملحقاتها ، اي الاستثمارات ذات المردود السريع . (الاستثمارات الزراعية والصناعية ذات مردود بعيد المدى) . ويعزز هذه الملاحظة كذلك كون الاردن قاعدة مصالح سياسية وليست اقتصادية للامبريالية الامريكية ، بدليل عدم وجود شركات اجنبية برؤوس اموال كبيرة تشكل النقل الاقتصادي للمصالح الامريكية في المنطقة مثلا . ان هذا التوجه الجديد للنظام الاردني يشير الى بداية خلاف في معسكر الحكم المؤلف من الطبقة التجارية والطبقة البيروقراطية الجديدة ، ومؤسسة الجيش القمعية ، في ظل العرش الملكي . ان مصلحة الطبقة البرجوازية التجارية سوف تتأثر حتما بالتوجه الجديد الذي تتعده الطبقة البيروقراطية الجديدة . فلقد ورد في الخطة نص يقول : « في حالة احجام القطاع الخاص عن القيام بدوره المرسوم ، فستأخذ الدولة على عاتقها مهمة القيام بمشاريع انتاجية بديلة !!! » . (٢) يلاحظ ايضا ان خطة التنمية للصفحة الشرقية فقط مع العلم بان مدتها ثلاثة اعوام تنتهي في آخر عام ١٩٧٥ ، ان الخطة

احاطت السلطات الاردنية بموضوع خطة التنمية الثلاثية بكتبان شديد ولم يسمح لاجهزة الاعلام الاردنية بالتحدث عنها او نشر تفاصيلها حتى عقد الامر حسن ، وهو الذي يرأس لجنة الخطة ، مؤتمرا صحفيا في عمان يوم ١٢/٩/١٩٧٢ . دعا اليه السفراء العرب والاجانب وشرح لهم تفاصيل الخطة طالبا مساعدة دولهم في ذلك . وكانت اللجنة التي اعدت الخطة ووضعت تفاصيلها ، تضم كبار مخططي السياسة الامريكية في الاردن ، منهم ميشل مارتوما ، حنا عوده . د . سعيد النابلسي والدكتور خليل السالم وآخرين .

ومن اهم الاهداف التي سعى واضعو خطة التنمية الثلاثية لتحقيقها هي :

(أ) زيادة الدخل القومي الى ٨ ٪ خلال مرحلة الخطة (٣ سنوات) . (ب) تخفيض العجز في الميزان التجاري . (ج) تخفيض الاعتماد على المساعدات . (د) زيادة فرص التوظيف (زيادة موظفي الادارة وعدد افراد مؤسسة الجيش) . (هـ) خلق اماكن عمل جديدة لخمسة وسبعين الفا خلال الثلاث سنوات . (و) توزيع مشاريع التنمية على كل مناطق المملكة بالتساوي (دون التركيز على عمان) . والمقصود هنا مناطق الاغوار وخطيه - العقبة وغيرها المعدة لاستقبال وامكان اللاجئين والنازحين .

ويلاحظ من اجمالي الخطة ثلاث مسائل مهمة :

(١) اعتراف واضعي الخطة (كتابة) بعدم جدوى التركيز السابق في مشاريع التنمية (خطة السنوات السبع) على المشاريع غير الانتاجية كالمسرق والخدمات . ففي الخطة توجه لمرحلة جديدة هي البدء بقيام مشاريع انتاجية في قطاع الزراعة والصناعة . الخ . (٢) يلاحظ كذلك في الخطة توجه يمكن تسميته « بالتطور شبه اللارأسالي »

لتطوير الأقليم الأردني فقط في مملكة الحسين
الجزبية ، وتكريس قواعد النظام « للابد » في
الضفة الشرقية فقط .

المشاريع التي تتضمنها الخطة :

ان التحليل الاولي لموازنة الدولة العامة لسنة
١٩٧٢ ، ومقارنتها بإرقام موازنتي عام ٧١ ، ٧٠ ،
فيما يتعلق ببند النفقات الائتمانية (الراسمالية)
في مؤسسات الدولة المعنية بمثل هذه المشاريع ،
كوزارة الزراعة ، وسلطة المصادر الطبيعية ،
ووزارة الاشغال العامة ، والمؤسسة الاقليمية
لمياه نهر الاردن ، وسلطة قناة الغور الشرقية . الخ
يتضح ان السلطة تعتمت تنفيذ عدد من المشاريع
الكبيرة ، والتي تتطلب أيدي عاملة لاصهار مناطق
جديدة تستوعب فيها المخيمات ... الخ . ومن
هذه المشاريع على سبيل المثال لا الحصر :

(١) مشروع تطوير وري منطقة الغوريه - رم -
العقبة ، تموله شركة امبرزيت الايطالية . وكانت
الحكومة الاردنية قد احرزت مفاوضات مع الحكومة
الايطالية لتقوم الاخيرة بتمويل هذا المشروع بنفسها .
ويهدف هذا المشروع الى : (ا) استصلاح اراضي
المنطقة المذكورة . (ب) استخراج مياه جوفية
حيث انها متوفرة في هذه المنطقة كما تقول بذلك
التقارير الجيولوجية في مجلس التخطيط القومي
التي تقدر وجود كمية من المياه تكفي لري المنطقة
بأكملها في اغراض الزراعة . (ج) توليد طاقة
كهربائية عن طريق سدود المياه والمياه المستخرجة
لانارة منطقة العقبة والعقبة نفسها . (د) - مد
طريق لتصرف الانتاج الزراعي الذي ستدره المنطقة
ينصل بطريق العقبة السعودية . ولقد رسا هذا
المشروع على شركة امبرزيت الايطالية وبعض
المقاولين الفرعيين المحليين ، ويوشر بتنفيذه . وقد
ظهر في موازنات السنوات الماضية ويكلف ٦٣ الف
دينار اردني حتى بداية هذا العام ، مع العلم انه
خصص لهذا المشروع ٩ ملايين دينار لتنفيذه على
ثلاث مراحل تكلفة كل منها ٣ ملايين دينار .

(٢) مطار العقبة . وقد اشارت اليه صحيفة
الراي الاردنية . الهدف من هذا المطار هو كونه
جزءاً من خطة تطوير مدينة العقبة (شر الاردن)
ومنطقتها ليجعلها بيروت بديلة في المنطقة . وقد
جرت اتفافية مع السلطات الاسرائيلية بخصوص
اذونات الهبوط والاتلاع والطيران واللاسلكي
والخروج من ميناء ومطار العقبة ، توجب على

السلطات الاردنية ابلاغ مطار وميناء ايلات بهذه
العمليات .

(٣) مشروع الدرة - العقبة . وقد رسا عطاؤه
على شركة اتحاد المقاولين (C.C.C.) وهي شركة
مقاولات لبنانية .

(٤) تكملة سكة حديد الحجاز - حطية - العقبة ،
حيث تقوم شركة الماتية غربية بتنفيذه .

(٥) مشروع سد الزرقاء . يموله الصندوق
القومي الكويتي .

(٦) المشاريع الزراعية في الاغوار . وقد لوحظ
خلال السنة الماضية تركيز الامير حسن على هذه
المشاريع بشكل خاص ، وتركيز كل مسن وزارة
الزراعة ودائرة البحث العلمي ومجلس التخطيط
وفريق من الخبراء لدراسة المنطقة .

(٧) عدة مشاريع زراعية في مناطق الارزق ووادي
الضليل .

ان الخطورة في مثل هذه المشاريع ، هي ان
الاستثمارات الراسمالية الزراعية هذه تستطيع
اسكان عدد كبير من اللاجئين والنازحين وتشغيلهم ،
في ظل اوضاع البطالة التي تثير نفخة المواطنين
على السلطة . كذلك فان عددا كبيرا من هؤلاء
المستثمرين هم من اصل فلسطيني ، مما سيهدد
الطريق امام مؤامرات السلطة لتذويب الفلسطينيين
واستيعابهم في الضفة الشرقية ، وابعادهم عن
العاصمة والمدن الرئيسية الاخرى في الاردن .

غير ان اخطر ما تتضمنه الخطة مشروعان :

اولا : مشروع نقل المخيمات : لقد شكلت مسألة
وجود مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في عمان وقرب
المدن الاردنية الاخرى قضية خطيرة على أمن
السلطة ووجودها في الاردن منذ عام ١٩٥٠ ،
وهذه المسألة كانت واضحة في ذهن النظام الاردني
خلال العشرين سنة الماضية ، والدليل على ذلك
تعدد مشاريع الاسكان والاستيعاب والتوطين التي
كانت تطرحها السلطة او وكالة الغوث او غيرها
من البعثات الاستعمارية التي كانت تند الى الاردن
تحت اسماء مختلفة . ولقد برزت خطورة هذه
المسألة بوضوح لدى النظام خلال الفترة التي تلت
حرب حزيران عام ١٩٦٧ وانتهت في ايلول عام
١٩٧٠ ، فمن هذه المخيمات القريبة من العاصمة
ومن المدن الاردنية الاخرى كانت حركة المقاومة
التي راي فيها النظام خطر البديل له .

وطبقه ، فان لدى النظام الاراضي الآن مخططاً يهدف الى نقل مخيمات اللاجئين والنازحين من امكانها الحالية الى اماكن اخرى في الضفة الشرقية لاستيماهم في عملية التذويب والتصفية . فبعد موادة الامر حسن من جولته الاخيرة في اوربوسا (دول السوق المشتركة) بايام قليلة ، استدعى للقصر وزير الانشاء والتعمير (وزارة اللاجئين في الاردن) وطلب منه دراسة توفير عمال زراعيين للعمل في الاغوار بعد ان هدأت الاحوال واستتب « الامن والاستقرار » في البلاد ، وشدد الامر على ضرورة الاهتمام بالانتاج الزراعي المحلي بدل الاعتماد على الجسور المفتوحة مع الضفة والقطاع !! ومن المعروف ان جولة ولي العهد الاوروبية قد اسفرت عن اتفاقية لم يعلن عنها بعد ، بين الحكومة الاردنية وحكومة المانيا الاتحادية تحصل بموجبها الحكومة الاردنية على مبلغ ٤٢ مليون دولار على ان تستثمر في مشاريع اسكان وتعمير ، وايجاد ايد عاملة زراعية لاستثمار مناطق الاغوار . والترجمة الحقيقية لهذه الاتفاقية ، هي انها لتغطية نفقات نقل مخيمات اللاجئين والنازحين الفلسطينيين من امكانها الحالية الى مناطق الاغوار الشمالية والوسطى والجنوبية ، كذلك اعمار بعض مناطق المشاريع الائتمانية في جنوب الاردن . اما برنامج نقل المخيمات ، حسب الاولوية ، فهو على النحو التالي : مخيم الحصن ثم شنلر ، غزة ، ماركا ، سوف ، البقعة ، اريد ، الطابية ، الزرقاء ، وينتهي البرنامج بنقل مخيمات العاصمة (الوحدات وجبل الحصن) . واعتب استدماء الامر حسن لوزير الانشاء والتعمير الخطوات الاجرائية التالية :

(٢) استدعى الوزير عددا من مختار مخيمي الحصن وسوف - التابعين تحت مظلة ارباب وقمع وتجويع خطيرة - مبديا لهم ضرورة تقديم عرائض للملك حسين تطالب بنقل المخيمات . وشرح لهم الوزير « حسنات » هذا المشروع . وقد عارض قسم منهم هذا المشروع ووافق قسم آخر عليه .

(٢) اجتمع الوزير - الذي اخذ على عاتقه هذا المشروع - مع اركان الوزارة وعدد من مسؤولي وكالة القوت في الاردن لدراسة هذا المشروع ، واقترح عليهم البدء بنقل بعض المخيمات للاغوار (الحصن ، جرش ، سوف) لتحسين ظروفهم المعاشية ، باستقر البحث على مخيمي سوف

والحصن . ومن المعروف ان هذه المخيمات تسمى لدى وزارة الانشاء والتعمير بـ « مخيمات طوارىء للنازحين » ، قسم من نزلائها مسجلون لدى وكالة القوت كلاجئين وقسم منهم تقع على الدولة مسؤولية صرف مكافآت اعاشتهم من وكالة القوت . واتفق في ذلك الاجتماع على البدء بدراسة نفقات نقل المخيمات ، وشكلت لجنة لهذا الخصوص . (٣) كان تقرير اللجنة ان تكاليف نقل مخيم سوف للاغوار الجنوبية (غور الصافي) والحصن للاغوار الوسطى تكلف مبلغ ٢٥٢ الف دينار .

(٤) جرت مفاوضات لاحقة مع وكالة القوت للاسهام في هذه العملية واسفرت المباحثات عما يلي :

— الوكالة غير مستعدة للمساهمة بعملية نقل المخيمات .

— أبدت الوكالة استعدادها في حالة نقل المخيم بكامله ان تنشئ له ادارة جديدة في مكانه الجديد واتامة الانشاءات والخدمات التي تقدمها الوكالة عادة لكل مخيم لاجئين . اما اذا نقل نصف المخيم او قسم منه فهي غير مستعدة لاتامة منشأتين لمخيم واحد في مكانين متباعدين .

(٥) وعليه ، فقد طلب الامر حسن القيام بعملية احصاء لسكان هذه المخيمات الثلاثة (الحصن ، سوف ، جرش) برفاقها بـ سؤال استفتائي عن عملية نقل المخيمات يعرض على عائلات المخيمات . بدأت عملية احصاء هذه المخيمات في الفترة الواقعة بين ٢٠ - ٢٢/٥/٧٢ ، وقد اشترك في هذه العملية ١١ موظفا من وزارة الانشاء والتعمير و١٦ موظفا من طلبة المعهد الاحصائي بدائرة الاحصاءات العامة وجهاز موظفي الوكالة في المخيمين المذكورين . وتجمعت نتائج عملية المسح الاحصائي في الاستثمارات بواسطة الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) بدائرة الاحصاءات العامة . وعذلت النتائج بناء على احصاءات مكتوبة من وزارة الانشاء والتعمير وجداول الوكالة ، وكانت النتائج كما يلي :

عدد نسبة الموافقين	عدد السكان	عدد الاسر	على النقل
مخيم الحصن ١٥٨٧١	٢٤٦٨٠	٥٢٤٢ %	
مخيم سوف ٩٧٧٢٢	١٤٧٤٢	١٥٤٣ %	
مخيم جرش ١٢٥١٢	٢٤٢٠٦	%	

عرضت هذه النتائج على الامر حسن شخصيا ثم

سكان مخيمات اصلا في الضفة الغربية ، ان غير زراعيين ولهذا تلت نسبة العاطلين في هذا القطاع من سكان المخيم عن مخيم الحصن . وازيافة لذلك فلتقد عطلت المؤامرات والتمتع والازهات طالتهم ، ولم تتح لهم طبيعة وتركيب النظام الاقتصادية ان يساهموا في تحسين اوضاعهم المعيشية .

(٣) بلغت نسبة العاملين في مخيم سوفه ٦٨ ٪ بينما بلغت نسبة العاملين في مخيم الحصن ٦٨ ٪ اما العاطلون في الزراعة في مخيم سوف ، فقد بلغت نسبتهم ٣٦ ٪ بينما بلغت في الحصن ٥٥٤٧ ٪ .

(٤) ويمكن الخروج بعدد من النتائج الاخرى لدى تحليل اوضاع هذين المخيمين في دراسة مفصلة ، ولكن سجلت هذه المؤشرات لائقاء الضوء على ما يمكن ان تسفر عنه عملية التهجير والتذويب التي تنتظرهم) .

الاجراءات المتوقعة :

(١) عرض وزير الانتشاء والتعمير تقريراً مفصلاً عن مسألة نقل المخيمات على الامر حسن ، وبحث الاجراءات في لجنة الخطة الثلاثية وذلك في اوائل شهر حزيران من العام الحالي ١٩٧٢ . كما عرض تقرير وزير الانتشاء والتعمير على مجلس الوزراء . وحتى الان لم تظهر اية نتائج عملية ولم تتخذ اية اجراءات .

(٢) ستتممخ الصورة الكاملة من خلال الخطة الثلاثية (خطة التنمية) والمشاريع التي مستقرها في هذا المجال ، وما ستسفر عنه الندوة العالمية التي سيدعو لها الملك حسين ممثلتي الدول والاحتكارات والمبولين الغربيين لدراسة المشاريع على الطبيعة ، وذلك لتقديم « المساعدات » اللازمة لاردنة الضفة الشرقية وتحديثها كما تحدثنا في البداية .

(٣) لوحظ في خطاب اخير لرئيس الوزراء الاردني احمد اللوزي ، تركيزه « على ضرورة اعمار وزراعة الاراضي اردنية حتى تصبح جنة وتعملي الخير للبلاد ، وضرورة زراعة الاغوار والجبال وكافة مناطق البلاد . وحثية ان يعمل الكل بالزراعة حتى نحن الاعيان والنواب والوزراء وانا شخصيا ، تحمل الفأس ونزرع » . وركز اللوزي على ضرورة توفير الايدي العاملة في الزراعة .

ثانياً : مشروع اعمار وادي الاردن وتطويره :

ان الخطر ما يتصوّر حله التنمية الثلاثية ، مشروع تطوير الاغوار . حيث يرتبط هذا المشروع بكثافة بخطط نقل المخيمات واستيعاب الفلسطينيين وتوزيعهم في الضفة الشرقية . وقد اقامت الحكومة الاردنية هذا المشروع بسرية كاملة باستثناء السفارة الاميركية في عمان وبعض خبراء التخطيط . وفي شهر ايار من العام الحالي حضر خبير اميركي في شؤون التنمية والتمويل الى الاردن مؤمداً من حكومة الولايات المتحدة لدراسة المشروع على الطبيعة ، واسم هذا الخبير (البوت) . ولوحظ يوم ٧/٦/٧٢ وفي نشرة الساعة الثامنة في تلفزيون عمان صورة للامير حسن مع السفيرين الاميركي والالمني وعدد من خبراء لجنة الخطة الذين تدارسوا مشروع تطوير الاغوار ضمن الخطة الثلاثية للتنمية ، وذكر المنيح ان الامير دعنا السفيرين والخبير الاميركي (البوت) لدراسة المشروع على الطبيعة . وقيل في النشرة : لاتتبع هذه الدول بتمويل المشروع .

ان الخطوط العريضة لهذا المشروع تتضمن ما يلي :
(١) تمديد قناة الغور الشرقية ١٨ كيلومتراً الى الجنوب . (٢) انشاء شبكات توزيع مياه سد الزرقاء واستصلاح ١٠٠ الف دونم . (٣) انشاء مشاريع خدمات واسكان وطرق في مناطق الغور ، بحيث يصل عدد سكان الاغوار خلال الثلاث سنوات القادمة (مدة الخطة) الى ما بين ١٢٠ - ١٧٠ الف نسمة . (٤) قدرت نفقات تمويل المشروع بـ ٢٥ مليون دينار . رصد منها لمشاريع المياه ١٤ مليون دينار ، وللزراعة ٥٥٥ مليون ، وللتنمية الاجتماعية ٥٥٥ مليون دينار كذلك . والمقصد بالتنمية الاجتماعية هنا بناء وحدات سكنية ومدارس ومراكز صحية وشوارع وكهرباء ... الخ (٥) .

في مجال مشاريع الاسكان تتضمن الخطة ما يلي :
(١) اعادة بناء القرى المهجورة واعادة سكانها اليها حيث قدرت الوحدات السكنية في هذه القرى

(١) قال احمد اللوزي رئيس الوزراء الاردني في خطاب القاہ اجام وقد من اهالي الكرامة : « انه بتوجيهات من جلالة الملك حسين فقد تقرر اعداد خطة لتنظيم منطقة الاغوار ، ومن ضمنها بلدة الكرامة ، بهدف انعاش المنطقة ، وتزويدها بكافة الخدمات الضرورية من ماء وخدمات صحية وثقافية واجتماعية وغيرها » . صحيفة الراي اردنية ٣٠/٦/١٩٧٢ .

بـ ٥٤٠٠ وحدة سكنية . (ب) بناء ٧٢٠٠ وحدة سكنية جديدة تكاليف كل وحدة منها ٢٢٠ ديناراً . (ج) كل وحدة سكنية لها وحدة زراعية مناسبة تعمل فيها الاسرة الجديدة (المشروع للاغوار الوسطى والجنوبية فقط في هذه المرحلة) .

وهكذا تتضح اول معالم الخط السياسي الجديد في الأردن وخطوطه من خلال هذا المشروع التأمري الذي قدر له ان يستوعب ما بين ١٢٠ - ١٧٠ الف لاجيء فلسطيني ينتظر ان يتسلمهم النظام من مناطق سكنهم الحالية حول عمان والمدن الاخرى ، في محاولة لابعاد خطرهم الذي يشكله تواجدهم القريب من مناطق عصب السياسة (العاصمة والمدن) .

وفي الوقت الحالي فان وزارة الداخلية للشؤون البلدية والقروية بالتعاون مع اجهزة الدولة الاخرى ذات العلاقة ، تحاول التوصل الى معرفة الاماكن الجديدة التي نرح اليها سكان هذه المناطق بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخاصة من الشرق اردنيين ، في محاولة لاعادة هؤلاء الى بيوتهم بالقوة (٢) . وما بلغت النظر ان افرادا في الاسرة الملكية اعترضوا

(٢) كان اهالي قرية الشيخ حسين الموجودة في منطقة الاغوار قد تركوا قريتهم بعد حرب حزيران على اثر ما تعرضت له القرية من اعتداءات اسرائيلية . والان تحاول السلطة الاردنية اعادة سكانها المقيمين في قرى مجاورة اليها من طريق القوة . ولا شك ان الثبات في الارض والسمود بوجه العدوان ضرورة وطنية ولكنها لا تتم بغير الاقتناع المستند الى توفير الحماية لهؤلاء المواطنين ، لكن الذي يجري هو العكس ، حيث شاهد الاهالي تردد الجنود الاسرائيليين على بيت المختار (نهار الصالح العواد) والسهر عنده وتطمينه بضرورة احضار اقاربه لانه لن يكون هناك خطر عليهم . وحينما اشتكى هؤلاء الى السلطة رفضت شكاوهم واعتبرت من المشاكسين .

على اعادة بناء الكرامة في موقعها القديم ، بحجة ان اراضي المنطقة هي ملك للملك عبدالله حيث تملكها منذ عام ١٩٢٢ وبني هناك قصره الشهير (المشتى) الذي كان يقضي فيه اشهر الشتاء مع وزارته وحاشيته على غرار القصور الاموية في الازرق والصحراء الاردنية في القرنين الثامن ومنتجة لاحتجاج العائلة المالكة فقد أمر ولي العهد بتعديل موقع الكرامة الى موقع جديد . ذكرت جريدة الراي الاردنية يوم ١٩٧٢/٨/٨ : « ان الاقتراح كان بينائهما غربي موقعها القديم ، غير انه استقر الراي اخيراً على بنائها في سفوح الجبال شرقي موقعها السابق » . وتعطي هذه المسألة في جملة ما تعطيه مؤشراً جديداً لدخول افراد العائلة المالكة مجال سلب ملاحى الاغوار والمسال الزراعيين فيه حقوقهم في الارض التي زرعوها منذ ٥٠ سنة . ومن جملة ما يذكر في هذا الصدد ان وصفي التل كان قد اقطع الشريف حسين بن ناصر عندما تولى وصفي التل الوزارة مساحة ٤٠٠ دونم في الغور الاوسط قرب جسر اللبني غربي الكرامة ، وهذه المنطقة من اجسود المناطق الزراعية في الاغوار . وكان حسين بن ناصر قد اقطع وصفي التل مساحة ٣٠٠ دونم في الغور الشمالي قرب اربد حينما تولى الاول الوزارة عام ١٩٦٤ . كما ان هناك الكثير من الامطاعيات لرجال الحكم وافراد من الاسرة المالكة في هذه المنطقة . وهذا كله يشير الى نتيجة واحدة ، هي ان هذه الاراضي بحاجة لمن يفلحها . فهل تتوفر الايدي الزراعية « الماهرة » من غير فلاحى المخيمات الذين سينقلون الى هذه المناطق ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل تشير بوضوح الى معالم هذه المؤامرة الجديدة . ويذكر بعض المطلعين على حيثيات هذا المشروع المؤامرة ان حكومة الولايات المتحدة الاميركية قد كلت سفيراً في عمان ابلاغ الحكومة الاردنية موافقتها على تحويل هذا المشروع كاملاً وبدون تحفظ وذلك قبل ان تجري بعض الامور الشكلية على هذا المشروع ، مثل اقراره بإرادة ملكية وعرضه على المولين لاجراء مناقصة عليه .

ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحافيين الفلسطينيين

ثلاث وجهات نظر حول المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، نشرها « شؤون فلسطينية » وهي معنية أساسا بأميرين :
الامر الاول : حرصها الدائم على أن تسجل وقائع كل مؤتمر فلسطيني ، او على علاقة بالقضية الفلسطينية ، كوثيقة يمكن الرجوع اليها فيما بعد من قبل الباهئين والدارسين .
الامر الثاني : حرصها على الموضوعية في المعالجة ، هذه الموضوعية التي تستدعي ، تجاه مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فسح المجال أمام أكثر من وجهة نظر ، بسبب ما أثار حوله من انتقادات وملاحظات .
ونحن نحرص دائما على تسجيل هذه الوقائع ، حتى في زحمة الاهدات السياسية ، كي لا يضيع ، وكى لا يطفى عليها النسيان . هذا وقد كتب كل من الاخوان رايه دون ان يطلع على ما كتبه الاخران .

(١) بلال الحسن

التحرير . الا ان العلاقة بين اتحاد الكتاب في القاهرة وبين دائرة التنظيم الشعبي لم تكن منذ البداية ، علاقة ايجابية ، ويعود ذلك الى اسباب عدة منها :

١ - ان اتحاد الكتاب في القاهرة لم يكن يمنح منظمة التحرير التأييد التي تمنحه لها الاتحادات الفلسطينية الاخرى . بل كان على العكس من ذلك مركز تجمع لعناصر معارضة ذات دوافع لا يمكن الركون اليها .

٢ - ان عضوية الاتحاد ، كانت محدودة جدا ، بحيث يصح التساؤل اذا كان هذا الاتحاد يمثل الكتاب الفلسطينيين ام لا ؟

٣ - ان نشاطات الاتحاد كانت شبه مجرمة ، حتى يمكن القول انه لم يكن له وجود فعلي .

وفي عام ١٩٧٠ حاولت دائرة التنظيم الشعبي تشكيل اتحاد جديد للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وجرى تشكيل لجان تحضيرية في أكثر من بلد عربي ، بل ان انتخابات جرت في عمان لهذا الغرض ، ثم ما لبثت دائرة التنظيم الشعبي أن اتخذت قرارا بالغائها . ومع بدايات عام ١٩٧٢ برزت الفكرة من جديد ، واتخذت دائرة التنظيم الشعبي ، ودائرة الاعلام في المنظمة قرارا بتشكيل لجنة

شهدت بيروت في السادس من ايلول ١٩٧٢ انعقاد المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الذي اثرت حوله قبل ان يعقد ، وانشاء اتعاقده ، وبعد ان انتهى اعماله ، سلسلة من المناقشات والانتقادات ، كانت لها دوافع متناقضة .

قبل الانعقاد كانت هناك مشكلة اتحاد الكتاب الفلسطينيين القديم في القاهرة .

وانشاء الاتحاد برزت مشكلة عضوية المؤتمر وطريقة تكوينه .

وبعد الانعقاد تركز النقد حول الامة العامة الجديدة ، ومدى تمثيلها للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وسنحاول هنا استطلاع الاطار العام للمناقشات التي دارت حول هذه القضايا .

اتحاد القاهرة :

من المعروف ان دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تشرف على كسافة الاتحادات الفلسطينية ، انطلاقا من ان هذه الاتحادات تعتبر نفسها قاعدة من قواعد منظمة

تحضيرية مهمتها الاعداد لعقد مؤتمر عام .

هل كان هذا القرار يعني حلا للاتحاد القديم في القاهرة ؟ لقد نشرت رسميا معلومات تقول ان قرارا بالحل قد اتخذ ، ثم تمت اجراءات تدخل على العكس . خبر الحل نشرته جريدة فتح بعد وفاة السيد خري حصاد الأمين العام للاتحاد . والاجراءات التي تدل على عكس ذلك ، تمت حين اعتبر اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة اعضاء في اللجنة التحضيرية لعقد المؤتمر الجديد ، وذلك بعد مناقشة جرت في اللجنة التحضيرية ، رأى فيها اعضاء اللجنة ان مهمتهم ليست هدم اتحاد موجود ، بل بناء اتحاد يعبر فعلا عن القاعدة المريضة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وقد استجاب لهذه الدعوة عدد من اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة ، بينما رفضها عدد اخر منهم . الذين استجابوا للدعوة شاركوا في الجلسات الاخيرة للجنة التحضيرية ومناقشتها . والذين رفضوا الدعوة ، عقدوا المؤتمر الثالث لاتحاد الكتاب في القاهرة ، وانتخبوا السيد « عوده بطرس عوده » امينا عاما جديدا ، وذلك في شهر آب الماضي .

وقبل ان يعقد المؤتمر العام الجديد في 6 ايلول ، جرت محاولة اخيرة لحل الخلاف القائم ولكن السيد عوده رد على هذه المحاولة برسالة الى اللجنة التحضيرية يعلن فيها انه لا يعارض عقد مؤتمر بيروت اذا اقتصر على ان يكون مؤتمرا للصحفيين الفلسطينيين ، على ان يبقى اتحاد القاهرة اتحادا للكتاب . ولكن هذا الاقتراح رفض ، وتقرر عقد المؤتمر بتاريخه المحدد ، على ان يكون مؤتمرا للكتاب والصحافيين ، يستند شرعيته من قاعدته المريضة ، ومن اعتراف منظمة التحرير به .

اللجنة التحضيرية :

وهنا لا بد ان نقف قليلا عند اعمال اللجنة التحضيرية لنقيم ما انجزته بصدد التحضير للمؤتمر . لقد بذلت اللجنة جهدا ملحوظا لاعداد الوثائق الاساسية اللازمة للمؤتمر تاسيسي ، واجرت الاتصالات اللازمة مع الاتحادات المماثلة ، عربيا ودوليا ، لتشارك في المؤتمر . واتخذت تجاه بعض القضايا الانسانية ، قرارات واعية ، كان أبرزها موضوع العضوية . ففي هذا الموضوع خرجت اللجنة عن الاعتبارات التقليدية ، واترت شروطا نضالية للعضوية تمثلت في بندين :

البند الاول : فتح مجال العضوية امام العاملين في مؤسسات حركة المقاومة الاعلامية ، البعدين عن الضجيج ، وغير المعروفين على صعيد الصحف والاعلام العلني والتجاري .

والبند الثاني : فتح مجال العضوية امام العرب العاملين في أجهزة الاعلام الفلسطينية انطلاقا من ان الانتماء للعمل الوطني الفلسطيني هو انتماء نضالي ، وليس انتماء بالجنسية فقط .

وعند مناقشة الاعتبارات التي ستحكم تشكيل الامانة العامة للاتحاد اقترت اللجنة التحضيرية ، انه لا بد من مراعاة التوزع الجغرافي للكتاب والصحفيين الفلسطينيين كما لا بد من مراعاة التيارات السياسية بين صفوفهم ، ولكنها اقترت تبيل ذلك كله ، ان عنصر الكفاءة لا بد ان يكون المقياس الاول سواء في مراعاة موضوع التوزع الجغرافي ، او التيارات السياسية .

ولكن اللجنة التحضيرية ارتكبت في المقابل خطاين أساسيين :

الخطأ الاول : تمثل في مستوى الابحاث التي اعدت للمؤتمر ، والتي لم يجر التفكير فيها الا في آخر لحظة ، بحيث جاءت هذه الابحاث ، السياسية منها والادبية ، ادنى بكثير مما هو مطلوب من مؤتمر تاسيسي للكتاب والصحفيين ، يفترض فيه ان يكون قاعدة للتوجيه والتطوير ، وليس مجرد اداة لتكرير الافكار الشائعة . ولم يكن ليليق بالمؤتمر ان يكون التقرير السياسي الوحيد الذي طرح فيه للمناقشة مطلقا مثلا عن التقرير الذي قدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني .

الخطأ الثاني : تمثل في رضوخ اللجنة التحضيرية لضغوط المنظمات ، وقبولها تشكيل لجنة خماسية تمثل منظمات اللجنة التنفيذية ، لبيت في عضوية المؤتمر ، وفي الواقع فان تشكيل هذه اللجنة وتحديد مهمتها ، تم باتصالات فردية ، ومن وراء ظهر اللجنة التحضيرية . وما عرف عن مهمتها من تبيل اعضاء اللجنة التحضيرية ، انها جاءت للمساعدة فقط وحتى أسماء اعضاء هذه اللجنة الخماسية ، لم تكن معروفة لعدد كبير من اعضاء اللجنة التحضيرية ، بل ان بعض اعضاء اللجنة التحضيرية لم يكن يعرف بوجودها أصلا .

على يد اللجنة الخماسية ، التي شكلت للمساعدة كما قيل ، تم اعداد لائحة العضوية ، وهنا بدأ

الاشكال الحقيقي حول المؤتمر . فقد انطلقت هذه اللجنة من البداى النصفالى الذي امرته اللجنة التحضيرية والقائل بحق العاملين في أجهزة الثورة الاعلامية بالانضمام الى عضوية الاتحاد والمؤتمر ، لتجعل منه بابا للتناقص البعيد عن الروح النقابية السليمة ، وغير الحريص على بنية الاقتصاد الداخلية ، فقد كان هم ممثلى المنظمات ان يحصلوا على أكبر عدد من الاصوات التي تنظمهم في المؤتمر ، سواء اكانت هذه الاصوات تنطبق عليها شروط العضوية ام لا ، ولذلك شهدت قاعة المؤتمر حشداً كبيراً من أعضاء المنظمات لا يمتون بصلة الى عالم الكتابة ، بكافة أشكالها . وكان لا بد لهذه القضية الهامة والاساسية ان تعكس نفسها على كافة افعال المؤتمر ، على مستوى مناقشاته ، ثم على طبيعة تشكيل الامانة العامة ، واخيراً على أسلوب انتخابها . ومنذ اللحظات الاولى لانعقاد المؤتمر ، كانت طبيعة تشكيله ونمط العضوية فيه ، حديث الجميع ، ومركز الاستقطاب في انتقاداتهم . ونتيجة لهذا الجو السائد ، فقد تركز اهتمام عدد كبير من أعضاء المؤتمر على مناقشات لجنة النظام الداخلي ، وحاولوا جهدهم اعادة صياغة البنود التي تتعلق بعضوية الاتحاد بصورة دقيقة تضع حدا لاي تلاعب بها في المستقبل يخرجها عن حدودها النقابية السليمة ، على أن تكون من اولى مهام الامانة العامة بعد انتخابها ، اعادة النظر بعضوية الاتحاد بناء على شروط العضوية المقررة .

الامانة العامة :

وإذا تفزنا عامدين عن مستوى المناقشات التي تمت في المؤتمر ، وعن مستوى التوصيات التي اتخذت ، لنصل مباشرة الى قضية الامانة العامة ، فنسجد أنفسنا مباشرة ، امام القضية التي كادت ان تفجر المؤتمر ، بسبب الاتفاق الضيق الذي غولجت به سياسيا وتقائيا . فكما تحكمت لجنة الخمسة التي تمثل المنظمات بعضوية المؤتمر ، تحكمت مسرة اخرى بتشكيل الامانة العامة . فقد التفت هذه المنظمات ، وانفتحت فيما بينها على امانة عبامة مشكلة من خمسة عشر عضوا ، كان واضحا تماها أنها اختيرت بناء على قاعدة واحدة ، هي توازن القوى (قوى الاصوات) بين المنظمات ، دون أن تأخذ بعين الاعتبار نوعية المؤتمر ، كمؤتمر للكتاب والصحفيين ، ودون أن تلتزم بالقرار الذي اتخذ

في اللجنة التحضيرية ، والذي يمن على أن تكون الكفاءة هي المقياس الذي يعتمد في الحوار حول طبيعة تشكيل الامانة العامة للاتحاد . والقاعدة التي اتبعت في تشكيل الامانة العامة كانت كما يلي : حدد لكل تنظيم ان يعين عددا من اعضائه حسب نسبة اتفق عليها ، وان يعين بالاضافة الى ذلك مستقلا يختاره هو . ولما كانت التنظيمات لا تملك بين اعضائها او بين المستقلين المترين اليها اسماء تتمتع بالكفاءة اللازمة ، فقد جاء تركيب اللائحة مبعرا عن توازن القوى التنظيمي ، وبعبارة كل البعد عن التعبير عن الكتاب والصحفيين . ولتوضيح الجو العام الذي ساد في مناقشات الكواليس ، يمكن أن نذكر ان لجنة الخمسة ناقشت لمدة طويلة ترشيح الشاعر محمود درويش للامانة العامة ، ثم كان قرار الاغلبية بالرفض ، وخلت القائمة من كتاب وصحافيين مرموقين لانه لم يوجد تنظيم يقترح ترشيحهم . وبناء لذلك تشكلت القائمة المترحة على الشكل التالي :

— ٢ أعضاء لفتح ومستقل تختاره .

— ٢ أعضاء للسامعة ومستقل تختاره .

— عضو واحد لكل من الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية ، اضافة الى مستقل تختاره .

— عضوان من المستقلين .

وقد اثار تشكيل هذه القائمة ، ضجة واسعة في اوساط المؤتمر ، وتمثل الرد عليها بتقديم قائمة اخرى ، تجمع بين اسماء الكتاب الفلسطينيين المعروفين ، واسماء ممثلي المنظمات ، لتحقيق تزاوجا بين العامل السياسي والعامل النقابي في تشكيل أي مؤسسة نقابية ، كما تمثل الرد عليها بترشيحات فردية اخرى . ولكن كان واضحا بشكل مسبق أن القائمة المقررة من قبل المنظمات هي التي ستوزع بحكم طبيعة تشكيل المؤتمر التي تحدثنا عنها ، وبالفعل فقد فاز بالانتخابات ١٣ عضوا من أصل ١٥ من أعضاء القائمة ، ولم يفز من الاسماء المرشحة خارجها ألا غانم زريقات واليككور أنيس صايغ (وحل محمود درويش محل بلال الحسن الذي انسحب من القائمة) .

وقبل أن تعلن نتائج الانتخابات بصورة نهائية تبين أن المنظمات بالرغم من اتفاتها على قائمة موحدة ، إلا أنها قامت بعملية تلاعب على بعضها

البعض ، أدى الى سقوط ممثلي الصاعقة الثلاثة ، وكان من الواضح ان اعلان القائمة بهذا الشكل سوف يثير ازمة سياسية بين المنظمات ، قد لا تقتصر على الاتحاد ، لتسحب نفسها على مجالات اخرى للوحدة الوطنية . ولحل هذه الاشكال تصرف بعض جهات المؤتمر على الشكل التالي :

١ - طلبت من السيد رشاد ابو شاور ان يسحب ترشيحه ليغوز مكانه السيد فايز قنديل من الصاعقة ، الموازي له بالاصوات .

٢ - طلبت من الدكتور انيس صايغ ان يعلن استقالته !! ليصبح في القائمة فراغ يسمح بادخال ممثل آخر للصاعقة . وقد اعلنت استقالة الدكتور انيس صايغ ، رغم انه رفض الاستقالة . ثم طلبت من السادة عبدالله حوراني، وزهدي النشاشيبي، سحب ترشيحهما (وكان ترتيبهم بالاصوات يلسي آخر الناجحين) حتى يفسحوا المجال لنجاح السيد عبد الرحمن فنيح ، كممثل للصاعقة .

وقد رفضت الصاعقة هذه التسمية ، واعتبرتها مهينة لها ، واصدرت بناء على ذلك بيانا يعلن انسحابها من الامانة العامة ، ثم قيل ان اللجنة التنفيذية شكلت لجنة للمصالحة ، طرقت الصاعقة على اثرها أن تعود وتسهم في عضوية الامانة العامة للاتحاد . ونتيجة لكل هذه الاشكالات لم تعلن رسميا حتى الان اسماء اعضاء الامانة العامة ، ولا تشكيلاتها الداخلية التي تمت بعد الاجتماع الاول الذي عقده ، والتي انتخب فيها السيد ناجي علوش امينا عاما للاتحاد .

ملاحظات لا يد منها :

لقد تعمدنا حتى الان ان نقف عند الوقائع ذات الدلالة ، وان نسردها كما حدثت بكل ما يترتب عليها من تقييمات . الى جانب الوقائع لا يد من وقفة قصيرة لمناقشة بعض الحجج التي اثارها الاشكالات التي احاطت بهذا المؤتمر .

ومن اهم هذه الاشكالات قضية البنية التقابلية للاتحاد . فهناك تيار داخل المؤتمر هل للوضع الذي ساد انطلاقا من القول بان المهمة التقابلية هي مهمة سياسية بالدرجة الاولى ، وان الاتحاح على الجانب التقابي يقود الى الفرق في النضال المطليبي « الانتصادي » الذي يبعد التقابلية عن الجري الثوري للنضال . وفي ظروف العمل التقابي

الفلسطيني ، فان التركيز على الجانب السياسي فيه ، ضرورة يفرضها الواقع النضالي اليومي . وينطلق اصحاب هذا التيار من هذا الرأي ليبرروا تصرف المنظمات الذي تم سواء في تشكيل المؤتمر أو في انتخابات الامانة العامة . ولكن هذا المطلق السليم نظريا (والمساخوذ من الكتب باتقان) يتجاهل اوليات العمل السياسي للتقابة او الاتحاد ، سواء كان اتحادا للكاتب او العمال او الطلاب ، هذه الاوليات التي تفرض ، يكون هناك جسم نقابي اولاً ، حتى يستطيع هذا الجسم التقابي ان يناضل من أجل مهمات سياسية محددة، وان يكون نضاله حين يتم تعبيرا عن قطاع اجتماعي معين ومحدد وصاحب مصلحة في تشكيل الاتحاد ومواقفه السياسية . أما حين يتم بناء الاتحادات بطريقة فوقية من جهة ، وحسب شروط لا تبلور جسما نقابيا يعبر عن قطاع اجتماعي محدد من جهة اخرى ، فان الوصول الى النضال السياسي المطلوب من التقابة او الاتحاد يصبح مطلبا عزيزا لا يمكن نواله . ونجد انفسنا في النهاية امام قيادة عليا (امانة عامة او أي اسم آخر) لا تمثل الا نفسها ، ولا تعبر في مواقفها السياسية الا عن اجتهادات اعضائها . وحين اباحت المنظمات لنفسها ان تشكل عضوية الاتحاد والمؤتمر بطريقة لا تمت الى التقابلية بصلة ، حكمت على النضال السياسي المطلوب من الاتحاد ان يكون نضال بيانات تعبر عن اشخاص الامانة العامة ، لا نضال مواقف تعبر عن قطاع اجتماعي يلتف حولها .

وهذه الظاهرة في العمل التقابي التنظيمي ، تكاد ان تكون ظاهرة عامة وهي تعبر عن نفسها بمظهر بسيط يتكرر باستمرار ، حين يكون عدد المنتخبين في كل اتحاد من الاتحادات الفلسطينية يفوق المئات بينما لا يتجاوز عدد العاملين فعلا في هذه الاتحادات اشخاصا معدودين . واذا كان هذا المنهج قد فرض نفسه حتى الان على الاتحادات الفلسطينية الاخرى فقد كان المطلوب بداهة ان يكون اتحاد الكتاب والصحفيين ، اي الاتحاد الذي يفترض فيه ان يكون مركز التوجيه والتنسيق الجماهيري ، ميدانا لبلورة تجربة نقابية سلبية تكون قدوة للاتحادات الفلسطينية الاخرى ، تسمى للنسج على منوالها ، حتى يمكن الارتفاع بمستوى العمل التقابي الفلسطيني . ولكن الذي حدث ، كان تكريسا للتقاليد السائدة ، وارتياحا لاساليب العمل التي تنتجها . وتحت ستار الضرورات

السياسية جرى اعتبار الأوليات النقابية ، التي لا يمكن لعمل سياسي ان يعيش بدونها .

ومن الإشكالات الأخرى التي اثارها المؤتمر قضية « الكفاءة » . فقد برز تيار يقول أن هناك من يتحسس للكفاءات مأخوذاً بعنصر الشهرة فقط متجاهلاً التيار الواسع من الكتاب الثوريين غير المعروفين على نطاق جماهيري وأن امانة عامة تتشكل من الكفاءات هي امانة عامة لا تعمل . لقد اراد هذا التيار في مناقشته ان يضع الكفاءة مقابل الثورية وان يوجد بينهما تناقضا مبدئيا ، وهو منطق اضعف من أن يناقش او ان يرد عليه ، خاصة في ميدان الكتابة ، وكان هناك من يريد ان يحكم سلفا على أن كل كاتب فلسطيني استطاع ان ينتزع اعترافا بكفاءته ، وان يحقق عن طريق هذه الكفاءة شيئا من الشهرة ، هو كاتب فقد ثورته ، بل أنه يقف عقبة أمام نمو اجيال جديدة من الكتاب والصحفيين . ولعل أفضل ما يتقضى هذه الحججة المناقشات التي جرت في الكواليس مع ممثلي المنظمات وركزت على أهمية الجانب السياسي في تكوين الامانة العامة ، بل على أهمية ان تكون الاغلبية فيها للمنظمات ، شرط أن يتوفر في عضوية الامانة العامة عدد من الكتاب والصحفيين الذين تؤهلهم كفاءتهم وان يؤهلهم التزامهم الوطني لاحتلال هذا المنصب ، ولكن هذا الاقتراح رفض امام صراع التوازن بين المنظمات الفدائية ، التي كانت منشغلة بالجانب

(التنظيمي) ، وليس السياسي ، في تشكيل الامانة العامة .

اقترح آخر :

على ضوء هذه الصورة لواقع المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، لا نستطيع ان نجد مخرجا لازمه الا بالعمل على تحقيق الامور التالية :

اولا : ان تتحول الامانة العامة المنتخبة الى لجنة تحضيرية لمؤتمر عام جديد .

ثانيا : ان تعيد الامانة العامة ، بعد أن تحضر الى لجنة تحضيرية ، النظر في عضوية الاتحاد ، مطبقة في ذلك شروط العضوية المحددة كما اقترنها لجنة النظام الداخلي .

ثالثا : ان تجري الدعوة لعقد مؤتمر ديمقراطي ، في وقت قريب ومناسب ، تتحقق فيه الشروط النقابية للعضوية ، حتى يصبح للبحث في الاعتبارات السياسية ، التي لا يجوز انكارها ، معنى ثوري حقيقي .

وبدون ذلك ، فان المؤتمر الذي عقد ، والامانة العامة التي انتخبت ، لا تعبر عن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وهي امانة عامة مطعون بشرعيتها ، قبل أن يكون هناك طعن بكفاءتها فهي تمثيل هذا القطاع الفلسطيني الهام .

(٢) شفيق الحوت ثلاث ملاحظات وأربع نتائج !!

والثورة ، أية ثورة ، هي في الأساس رفض للواقع لا يتم التعبير عنه بأسلوب ثوري قادر على تجاوز الواقع المرفوض ، وتحقيق « واقع » جديد أكثر ملاءمة وتطابقا مع أهداف الثوار .

والثورة عملية مستمرة ومتصاعدة ، بمعنى أنها ترفض - كذلك - الواقع في أسر منطق مرحلة من مراحلها وتكريسه منطقا خالدا وواقعا دائما .

فمثلا ، إذا كان التعدد في فصائل الثورة قد اعتبر ظاهرة صحية في مرحلة من مراحل النضال ، فهذا لايعني التمسك بهذه المقولة عن هذه « الظاهرة الصحية » الى أبد الأبد ، وتكريس التعدد بناء عليها . بل أن ما يمكن اعتباره في مرحلة ما ظاهرة ايجابية ، قد يصبح بعد تطور ظروف النضال السياسية ظاهرة سلبية ، وربما قاتلة .

وهذا ليس « اختراعا » ثوريا جديدا نحاول ادعاءه او فرضه ، بل ان هذا في حقيقة الفكر الثوري ليس سوى بديهية اولية في ابدية « النظرية والتطبيق » في الكناخ الثوري .

وعندما نسلم بهذه البديهية ، ولا خيار لاحد الا التسليم بها ، فاننا عندئذ نستطيع ان ننقد اي جانب من جوانب نشاطنا بايجابية الثوار ، وبابتعاد كامل عن العواطف الشخصية ، فردية كانت ، ام تنظيمية ، وبالتالي تكون بنقدنا هذا ادينا واجبا ثوريا مطلوبيا من كل عامل في الثورة ، مهما كان موقعه فيها .

بهذا المنظار وهذه الروحية ، فاننا نعرض للمؤتمر العام لاتحاد كتاب وصحفي فلسطين وما ترتب عليه من نتائج ، بهدف تطوير أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية والارتقاء بها شيئا فشيئا الى المستوى الثوري المنشود .

ان جميع المعنيين بشؤون المنظمات السياسية ، والثورية منها بشكل خاص ، يعرفون تمام المعرفة ان الهدف الاساسي من انشاء الاتحادات المهنية والنقابية والتنظيمات الشعبية ، هو استقطاب اوسع القواعد الشعبية - وبشكل خاص غير المترزمة بتنظيمات سياسية محددة - الى الاطار السياسي العام الذي تقوده تلك التنظيمات تحت راية الثورة . لانه من طبيعة التنظيمات السياسية ،

عندما نسلم بهذه البديهية ، ولا خيار لاحد الا التسليم بها ، فاننا عندئذ نستطيع ان ننقد اي جانب من جوانب نشاطنا بايجابية الثوار ، وبابتعاد كامل عن العواطف الشخصية ، فردية كانت ، ام تنظيمية ، وبالتالي تكون بنقدنا هذا ادينا واجبا ثوريا مطلوبيا من كل عامل في الثورة ، مهما كان موقعه فيها .

بهذا المنظار وهذه الروحية ، فاننا نعرض للمؤتمر العام لاتحاد كتاب وصحفي فلسطين وما ترتب عليه من نتائج ، بهدف تطوير أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية والارتقاء بها شيئا فشيئا الى المستوى الثوري المنشود .

ان جميع المعنيين بشؤون المنظمات السياسية ، والثورية منها بشكل خاص ، يعرفون تمام المعرفة ان الهدف الاساسي من انشاء الاتحادات المهنية والنقابية والتنظيمات الشعبية ، هو استقطاب اوسع القواعد الشعبية - وبشكل خاص غير المترزمة بتنظيمات سياسية محددة - الى الاطار السياسي العام الذي تقوده تلك التنظيمات تحت راية الثورة . لانه من طبيعة التنظيمات السياسية ،

عندما نسلم بهذه البديهية ، ولا خيار لاحد الا التسليم بها ، فاننا عندئذ نستطيع ان ننقد اي جانب من جوانب نشاطنا بايجابية الثوار ، وبابتعاد كامل عن العواطف الشخصية ، فردية كانت ، ام تنظيمية ، وبالتالي تكون بنقدنا هذا ادينا واجبا ثوريا مطلوبيا من كل عامل في الثورة ، مهما كان موقعه فيها .

للإتحاد بالخطلة ودون أي اعتبار لشروط المصوية ،
مما أفقد الإتحاد قيمته النوعية . والنوعية في إتحاد
كاتحاد الكتاب قضية أساسية لا يمكن التهاون
فيها .

وقد شهد المؤتمر ، لهذا السبب ، مآسي مخزية
بالمعل آثارها جهل العديدين من الحاضرين ،
بشكل لا يليق أبداً بسمة شعبنا وثورتنا .

من هذه الملاحظات الموجزة جداً ، يستطيع الواحد
أن يتنبأ مسبقاً بما سيترتب ، وترتب بالفعل ،
من نتائج . وهي بإيجاز أيضاً :

أولاً : أن الإتحاد الجديد ، بدل أن يستقطب
المزيد من القاعدة المثقفة ، خسر تلك الغلة التي كانت
فيه بعد أن أحس الجميع بأن المؤتمر ، لم يعد
مؤثراً مفتوحاً للكتاب ، بقدر ما هو مؤتمر لكوادر
المنظمات ، رفع عليه يانطة تقول انه مؤتمر للكتاب
والصحفيين .

ثانياً : أن الامانة العامة التي انبثقت عنه أصبحت
مغزولة منذ تشكيلها [ولا أقول انتخابها والكل
يعرف لماذا] فوقعت في المطب الذي كانت تأخذه
على الامانة السابقة ، رغم حرمان تلك الأخيرة من
الكثير من حقوقها على المنظمة .

ثالثاً : جاء المؤتمر الأخير كدليل جديد ، يعكس
أزمة الثورة الزمنية ، في موضوع علاقات المنظمات
مع الجماهير وعناصر الثورة من غير المنتمين
والملتزمين في أطوارها العريضة .

رابعاً : كشف المؤتمر - ولعل هذه هذه إحدى
إيجابياته - اخلاقية بعض العاملين في الثورة من
المتقنين البورجوازيين الذين يمارسون عكس ما
يُزعمون لانفسهم من مواقف ثورية . إذ انضح

عند اليوم الأول للمؤتمر ان (كل هذا) الجمع
ليس إلا « ديكورا » لاسباع الشرعية على عهد من
الأفراد كخاذة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .
وقد كان ذلك بارزاً بشكل خلا حتى من « اللياقة »
مما أساء الى العديد من كتابنا وادبائنا من أبناء
الرعيل الذي سبقنا في حمل المشعل ، مما أعطى
المؤتمر والمؤتمريين صفة لا تجوز من عدم الوفاء
والتقدير لمن يعمل في قضية بلاده .

خامساً : كذلك كان من الطبيعي بعد عزل غير
المتنمين والاتفاق على لائحة « الكونا » أن يقع
التناقض بين ممثلي المنظمات انفسهم . وهذا
ما حدث ، وعلمه لدى الجميع ، الأمر الذي فجر ما
تبقي من نتائج المؤتمر .

سادساً : من هذا كله ، وعودة الى البيهتتين
اللتين اشرنا اليهما نجد أن ما مارسته « اللجنة
التحضيرية » قد جاء مناقضاً لكل النتائج المرجوة
من المؤتمر ، واضافت الى سلسلة الإتحادات التي
تعماني من مثل هذا التركيب اتحاداً جديداً هو ما
يسمى بـ « اتحاد الكتاب والصحفيين
الفلسطينيين » .

ما العمل ؟

لا حل إلا بالعودة الى الجوهر وطرح السؤال
الثوري :

— لماذا نريد الإتحاد ؟ ومن هم الذين نريد
استقطابهم لتوسيع وتعميق دائرة الاتصال بين
الثورة والجماهير .

هذا بالطبع إن أردنا اتحاداً للشعب ، لا للمنظمات
أو الأفراد .

(٣) ناجي علوش

حول المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيروت ٦ - ١٩٧٢/٩/٩

اولئك الذين عرفوا واشتهروا ، اي وجاهة الادباء والصحفيين .

الثاني : نظرة ضيقة مسبقة ترفض ان تعترف بأن المؤتمر مؤتمر للادباء والصحفيين ، وتصر على ان المؤتمر مؤتمر ادباء ، مع ان اسمه المؤتمر العام للكتاب والصحفيين .

وما أود ان أؤكد ، وما ستؤكد الأيام المقبلة هو ان عدد الادباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا .

ولقد كان من اهم اهداف المؤتمر :

- ١ - خلق مؤسسة توحد الكتاب والصحفيين وترعى مصالحهم ، وتزود من مساهمتهم في خدمة قضيتهم .
- ٢ - تحديد موقف الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في هذه المرحلة ، من القضايا الاساسية المطروحة عليهم ، وخاصة القضايا السياسية والمهنية .
- ٣ - توفير الفرصة لتعارف العدد الاكبر من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ولتفاعلمهم .
- ٤ - انتخاب امانة عامة تنظم وتبصر عن تطلعاتهم ومطالبهم .

ولقد تشكلت لجنة تحضيرية ، مهتمتها الاعداد للمؤتمر ، مكونة من واحد وعشرين عضواً ، هم : غسان كنفاني ، محمود درويش ، شفيق الحوت ، عبد الكريم الكرمي ، ماجد ابو شرار ، فريد الخطيب ، د. نبيل شعث ، ابراهيم العابد ، بلال الحسن ، ناجي علوش ، مسازن البندك ، انيس الخطيب ، حنا مقبل ، خالد علي مصطفى ، هارون هاشم رشيد ، خالد ابو خالد ، غطاس صويص ، غانم زريقات ، عودة بطرس عودة ، د. نادرة السراج ، محمد زهدي النشاشيبي . وروعي في تشكيل اللجنة التحضيرية ان تشمل اجيالاً مختلفة ، واتجاهات مختلفة ، وان تضم عدداً من كتابنا ومفكرينا الكبار . وحين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا ان نصائبنا لا يزيد دائماً عن النصف زائد واحد ، الكل موافق على اللجنة التحضيرية ، ولكن الذين يحضرون ليسوا جميع الأعضاء . وكان هنالك من حضروا

معد مؤتمر عام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في بيروت ما بين السادس والتاسع من ايلول سنة ١٩٧٢ . وقد حضره نحو ٣٠٠ اديب وصحفي من لبنان وسورية ومصر والعراق والكويت . ومع ان الدعوات وجهت الى كتاب وصحفيين في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، الا انه لم يات احد من هناك .

وكان معظم الحاضرين من سورية ولبنان ، لانهما يضمان اكبر تجمعين للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وكان الداعي الى عقد المؤتمر خلق مؤسسة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ترعى شؤونهم وتنظم علاقاتهم ، وتزيد من فعالية مساهماتهم في خدمة القضية الفلسطينية .

ومع انه كان هنالك اتحاد للكتاب الفلسطينيين ، عقد مؤتمرين ، فان عدد الذين شاركوا في المؤتمرين كان ضئيلاً إذ حضر الاول المنعقد في غزة سنة ١٩٦٦ اثنان وثلاثون شخصاً فقط ، وحضر الثاني المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦٩ سبعة عشر شخصاً فقط ، ولذلك ظل اتحاد الكتاب السابق ضعيفاً ، وظل متطوع الصلة بالعادة . أما هذا المؤتمر فقد جاء اضخم مؤتمر للكتاب والصحفيين فضلاً وشارك فيه عدد لا بأس به من الكفاءات الفلسطينية التي عودتنا دائماً عدم حضور المؤتمرات المماثلة ، وخاصة مؤتمري غزة والقاهرة .

ولا بد لنا في البدء من ان نشير الى ان هذا المؤتمر يختلف عن المؤتمرين السابقين في ان الذين حضروه ليسوا ادباء فقط ، بل ادباء وصحفيون . وان كان الصحفيون الذين حضروه لا يشبهون كل العاملين في الحقل الصحفي ، كما تعمل نقابات الصحفيين ، بل شمل العاملين في التحرير منهم فقط .

وقد حاول بعض الذين رأوا هذا العدد الكبير ان يسخرؤوا من الحاضرين ، فمساهم البعض «قراء» . وكان هذا التهمج ينطلق من منطلقين :

الاول : نظرة متعالية لا تعتبر ادبنا او صحفنا الا

والقرارات والتوصيات التي سيتخذها .

ولقد كاد التركيز على قضية الامانة العامة ان يفجر المؤتمر قبل بدايته . كما كاد ان يفجره منذ اول ايام انعقاده . ولذلك حاولنا جهدا ان ننبع اثاره القضية قبل يوم الانتخابات حتى لا يفجر المؤتمر قبل اتمام مهماته .

خامسا : وحين بحثت قضية الامانة العامة كنت ارى انه من الضروري ان تكون امانة عامة تتسم بالكفاءة والقدرة على العمل والالتزام بالقضية الوطنية ، على ان تمثل الاتجاهات الوطنية المختلفة ، وتعتبر عن مصالح القواعد ومطامحهم . وكنت ارى ان الامانة العامة لا يجوز ان تكون « كوتا » للمنظمات ، كما لا يجوز ان يستثنى من عضويتها المناضلون من الكتاب والعاملين في الصحافة والاعلام ، على ان يتم ذلك باعتبار الصفة الشخصية لا التنظيمية . ولكن المنظمات ضغطت باتجاه اخر . وكانت القائمة التي سميت قائمة الوحدة الوطنية ، والتي كتبت عضوا فيها ، والتي دافعت عنها ، وتناضت من اجل انجاحها رغم عدم تناعتي الكاملة بها . ولكن ترشيح القائمة اثار موجة من الظهور بين فئتين : الاولى : تمثل بعض المستقلين الذين لم يجدوا لهم مكانا في القائمة ، ولم يرخصهم تكوينها . الثانية : من قواعد المؤتمر التي كانت مطامحها اكبر من القائمة ، وكانت تريد ان تخرج امانة عامة لا وجوه تقليدية فيها .

ولذلك رشحت قائمتان منافستان لقائمة الوحدة الوطنية ، الاولى ، قائمة شفيق الحوت التي ضمنها بعض اسماء من القائمة الاولى ، والثانية قائمة الشباب الذين رشحوا افرادا ، مثل رشاد أبو شاور ، وغانم زريقات ، عبد الكريم عبد الرحيم وآخرين ممن اعلنوا انسحابهم ، والذين كانوا يدعمون بعض اعضاء القائمة الاولى ايضا . وبينما كانت الفئة الاولى تريد امانة تضم اسماء اكثر بريقا ولعانا ، كانت الفئة الثانية تريد امانة اقرب الى القواعد بنجموعها ، واكثر تعبيرا عن خط سياسي جذري . وجاءت الانتخابات واذا بالفئة الاولى تتحتم لائحة الوحدة الوطنية بالدكتور انيس صايغ الذي لم يحضر ولم يشارك بسبب اصابته . كما ان الفئة الثانية اقتضت القائمة بغانم زريقات ورشاد أبو شاور . ومرت قائمة الوحدة الوطنية بالثاني عشر عضوا . هل كان من الخطا ان ترشح قائمة ؟ هذا اسلوب الانتخابات في كل مكان . وهو

جلسة او اثنتين ثم غابوا ، مثل بلال الحسن ومحمود درويش والدكتور نبيل شعث ، كما كان هنالك من لم يحضروا قط مثل شفيق الحوت وعودة بطرس عودة وعبدالكريم الكرعي (ابو سلمى) . وسارعت اللجنة التحضيرية في اعمالها يحدها أمل في ان تعقد مؤتمرا نموذجيا ، ولكن اقتراب موعد المؤتمر كان يكشف كل يوم امورا جديدة منها :

اولا : لم يكن هنالك استعداد للمساهمة في كتابة الابحاث . لقد اغتفر الدكتور نبيل شعث عن كتابة بحث عن الاعلام ودوره في معركة التحرير واغتفر محمود درويش عن بحث وعد بكتابه حول دور الكلية في الارض المحتلة يوم كان يجب ان يسلمه ، ولم يجب عبدالكريم الكرعي (ابو سلمى) على رسائلكم بضرورة كتابة دراسة عن دور الكاتب الفلسطيني في الحركة . وهذه مجرد امثال .

ثانيا : واخذت اللجنة التحضيرية ولجنة العمل المنبثقة عنها تحس انها وحدها تعمل ، وان الجميع متفرجون ، المؤتمر ليس له علاقة بهم . واخذت اللجنة التحضيرية تعمل وتعد فلا تجد مساعدا او معينا . وحتى الذين طلبت منهم مساعدتها في اعمال الاعداد والاستقبال لم تجد منهم حماسة او اندفاعا ، ولم يشاركوا كما يجب ان يشاركوا .

ثالثا : وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . قال بعضهم ان نفتح عمل للسيطرة على المؤتمر . وطالب آخرون بضمائنا تتقدمهم بان اللجنة التحضيرية غير مجيزة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس ان المؤتمر سيجهض قبل ان يبدأ . وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة اعمالها ، كي لا تتصرف او تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دورا في بليلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها ، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها .

رابعا : وكان هنالك اتجاه يرى ان اهم ما في موضوع المؤتمر هو قضية الامانة العامة . ولذلك حاول التركيز عليها ، واهمل ما دونها . بينما كنت انا شخصا ارى ان قضية الامانة العامة قضية مهمة ، ولكن هناك قضايا لا تقل اهمية ومن هذه القضايا : قضية الحوار والتفاعل داخل المؤتمر ، قضية النظام الداخلي الذي يسبقه

والاعلامية والمهنية تحدد خطا سليما وصحيحا
يهتدي به الكتاب والصحفيون الفلسطينيون في
المرحلة المقبلة .

ولقد جسد الكتاب والصحفيون الفلسطينيون
بأشراكهم الكتاب والصحفيين العرب ، العاملين مع
المقاومة ، في المؤتمر ، التلاحم الحقيقي بين الثورة
الفلسطينية والمثقفين العرب . ولقد توجهوا هذا كله
بانتخاب الاخ موسى شعيب الشاعر والمناضل
اللبناني عضوا في الامانة العامة . ان هذا نصر
كبير . وهو بادرة خيرة في المؤسسات الفلسطينية .
ولكن انجازات المؤتمر كلها كادت تغيب في الضباب
الذي احدهته نتائج الانتخابات ، وفي البيانات التي
انطلقت تهاجم من هنا وهناك . ان المؤتمر لم يكن
نموذجيا كما أردنا ، بسبب تقصير المتفرجين منا ،
وبسبب الوضع الفلسطيني العام والعلاقات بين
المنظمات وبين المنظمات وبعض المستقلين . ولكن
المؤتمر ما كان يمكن ان يكون اكثر نجاحا في وضع
مثل هذا الوضع . ومقدار نجاحه او فشله ستبرزه
أمامته العامة الجديدة ، خلال الاشهر المقبلة .

اسلوب لا يتعارض مع الديمقراطية ، ويساعد في
الوقت ذاته على نجاح مجموعة متعاونة متفاهمة
او على تدر من التعاون والتفاهم . بيد هذا كله هل
نجح المؤتمر ؟

لقد نجح فعلا ، لانه استطاع ان يخلق مؤسسة
جديدة هي اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
ولكن هذا النجاح كان يمكن ان يكون اكبر لولا
مجموعة من العوامل : اولها : عدم مشاركة عدد
من اعضاء اللجنة التحضيرية في اعمالها . وكادت
مشاركة هؤلاء مستزيد من نجاحات المؤتمر في كل
المجالات . ثانيا : عدم اهتمام الكتاب والصحفيين
باعداد الدراسات اللازمة ، والوثائق اللازمة ،
الضرورية لارتفاع بمستوى المؤتمر . ثالثها :
اضطرار المشرفين على المؤتمر ان يلغوا الندوات
العنيفة ، وان يختصروا المناقشات بسبب الامن ،
ذلك ان عملية ميونيخ اوجدت جوا كان يستدعي
شيئا من احتياطات الامن اثرت على عدم الالتزام
بالبرنامج المعلن .
وبعد هذا كله فان قرارات المؤتمر السياسية

رسالة من خالد محي الدين : رد على مقال « مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط »

الصحيح . والوثيقة رقم « ه » (٤) هي التقرير السياسي الذي قدمته للمؤتمر السنوي للمجلس المصري للسلام - بصفتي سكرتيراً عاماً للمجلس المصري للسلام - والذي ناقشه المجلس في اجتماعه السنوي ١٧ - ١٨ مايو ١٩٧٢ وحضر الاجتماع ممثلو عديد من حركات السلام من البلاد الاشتراكية والاوروبية والعربية وخاصة لجنة السلام الفلسطينية . وأهمية هذا التقرير انه يعكس وجهة نظرنا في كل القضايا السياسية الخاصة بحل أزمة الشرق الاوسط وهو البرأي الوحيد الذي نلتزم به امام حركة السلام المصرية وكل جماهير شعبنا . وكذلك الوثيقة رقم « ٦ » (٥) وهي البيان السياسي الذي نلتزم به وليس هناك من خط سواه . والوثيقة رقم « ٧ » (٦) وهي اجتماع حركات السلام العربية في القاهرة في يوم ١٩ مايو سنة ١٩٧٢ . والوثيقة رقم « ٨ » (٧) تزار حركات السلام العربية بخصوص « المؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط » .

كنت أود قبل ان ينشر السيد احمد خليفة رأيه عن مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط ان يرسل الينا طالباً الوثائق ورأينا في توضيح عدد من النقاط وذلك كي يكون تعليقه شاملاً لكل الجوانب - او كان ينشر فقط رأي الدوائر الاسرائيلية في المؤتمر - اما وقد ادخل رأيه في الامر فكان من الواجب مسامح وجهات النظر الأخرى حتى يكون التعليق شاملاً لكل جوانب الصورة .

لسنا ملزمين بأي رأي ينشر في الصحافة الاسرائيلية - ان ما يلزمنا هي وثائق الاجتماعات الخاصة بالمؤتمر والآراء التي نشرناها نحن او صدرت منا . اما تفسير الصحافة الاسرائيلية فطيناً ان نطلع عليه ونضمه في الاعتبار ولكن لا نعتبر انه هو الشيء الوحيد الصحيح - (في

يهمني في ردي على تعليق السيد احمد خليفة كي يتوضح الامر للقارئ العربي ان تنشر أغلب الوثائق المرفقة او الجزء الاغلب منها اذ انني سوف احيل في كثير من ردي الى هذه الوثائق . الوثيقة الاولى (١) : وهي الاعلان الصادر عن الاجتماع التحضيري الاول « للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط روما ١٩ - ٢٠ ابريل ١٩٧١ » لانه الاساس السياسي للمؤتمر . والوثيقة الثانية (٢) : هي بيان اللجنة الإيطالية عن الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم ١ - ٢ مارس ١٩٧٢ - والصادر في ٧٢/٣/٣ . والوثيقة الثالثة « هي ردي على مجلة الحوادث على ما نشر فيها في عدد ١٩٧١/١٢/١٧ وقد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٧٢/١/٢١ - وأهميتها انها توضح الخطوات التي تمت ووجهة نظري الخاصة ووجهة نظر حركة السلام المصرية في الامر وهذا الرد كان سابقاً على الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم . الوثيقة رقم « ٤ » (٣) هي رسالة موجهة مني للسيد جيدوماتي رئيس اللجنة الإيطالية للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط رداً على صورة رسالة وصلت الي فيها رأي اوري اغنيري عن المؤتمر نشر اغلبها في مجلة « هامولام هازيه » الاسرائيلية وقد طلبت من السيد جيدوماتي ان يحولها الى كل من يهمهم الامر في كل البلاد رداً على رأي اوري اغنيري ، بجانب انني ارسلت منها نسخاً عدة الى كل حركات السلام الاوروبية والعربية - وكانت باللغة الانجليزية والفرنسية ويتاريخ ١٦ يونيو ١٩٧٢ - وفيها اوضحت رأيي في كل ما جاء على لسان اوري اغنيري في مجلة « هامولام هازيه » او غيرها عن المؤتمر ، وفيها رد على كثير من النقاط التي اوردها السيد احمد خليفة في تعليقه على المؤتمر والذي اعتبر ان ما نشر في الصحافة الاسرائيلية هو فقط

صفحة ٦٩ من عدد شؤون فلسطينية حزيران ٧٢ -
راي افنيري في وثيقة اللجنة الإيطالية وهي الوثيقة
رقم « ٢ » يقول « انجاز كبير وخطوة هامة
للإمام على طريق تحقيق السلام في المنطقة لانه
لاول مرة تنشر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل
واضح انه سيتم لقاء وجهها لوجه بين عرب
واسرائيليين » .

ونرجو الاطلاع على الوثيقة رقم « ٢ » وهي وثيقة
اللجنة الإيطالية فليس فيها ما يشير الى اجتماع
وجهها لوجه بين عرب واسرائيليين - بل هي تعبير
عن اجتناع عالمي لكل القوى المؤيدة لليبان
السياسي ١٩ - ٢٠ ابريل ١٩٧١ (وهي الوثيقة
رقم « ١ » التي تعمل لتخصير المؤتمر والتي تبذل
قصارى جهدها لتحشد الراي العام العالمي من
اجل اقامة السلام الدائم والصادل في الشرق
الايوسط . وهذا وارد في نهاية الفقرة الثالثة من
هذه الوثيقة رقم « ٢ » . هو اذا اجتماع عالمي
لكل القوى المؤيدة لليبان السياسي (الوثيقة رقم
« ١ ») بما في ذلك تلك القوى في اسرائيل . وذلك
من اجل الضغط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق
الايوسط . وحتى يكون ثمة ضغط لا بد من مواجهة
جميع وجهات النظر بعضها ببعض . وهذا وارد في
الفترة الاخيرة في الوثيقة رقم (١) ونحن نوردنا
كما هي « وتختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يخص
بولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهة
جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدعم
الضغوط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق
الايوسط » . هو اذا اجتماع عالمي لكل القوى في
كل البلاد التي تؤيد بيان روما ١٦ - ٢٠ مارس
سنة ١٩٧١ « الوثيقة رقم « ١ » ولا بد من مواجهة
كل وجهات النظر حتى يتم الضغط والتعبئة العالمية
من اجل تسوية عادلة ولا يستثنى من ذلك تلك
القوى المؤيدة لهذا الاتجاه في اسرائيل » .

لقد اوضحت في ردي على « مجلة الحوادث »
الوثيقة رقم « ٣ » هذا الراي - وكذلك الوثيقة
رقم « ٤ » وهي رسالتي للسيد جيدوفانتي رئيس
اللجنة الإيطالية ردا على ما نشره اوري افنيري
النائب بالكنيست الاسرائيلي - لقد اوضحت في هذه
الرسالة رأينا فيما يسمى اللقاء وجهها لوجه بين
العرب والإسرائيليين او مناقشة مباشرة او حوارا
مباشرا او اجتماعا مباشرا - وخاصة في الصفحة
الاولى فيها - وهذا رد قاطع على استفسارات

السيد احمد خليفة - فلم يدر بخلدنا على الاطلاق
ان هذا الاجتماع يهدف الى لقاء عربي اسرائيلي
انما هو اجتماع عالمي يهدف الى تعبئة الراي العام
العالمي من اجل التوصل الى تسوية عادلة في
الشرق الاوسط على اساس بيان روما الوثيقة رقم
« ١ » .

أما عن راي الاستاذ احمد حمروش في المؤتمر
والذي نشر في مجلة روز اليوسف ١٩٧٢/٢/٢١ -
وصحيح ان الاستاذ احمد حمروش عضو في حركة
السلام المصرية ، ولكن السيد احمد حمروش ليس
له اي علاقة بالاتصالات الخاصة بعقد المؤتمر -
فهو يعبر عن رايه . وان كانت الامانة تستدعي
قراءة رايه متكامل (وراي الاستاذ حمروش فيما
يسمى بقوى السلام الاسرائيلية على ما اظن هو
ما ورد في مقالته المذكورة : تلك القوى التي تعارض
مبدأ ضم الأراضي الى اسرائيل وتؤيد حقوق شعب
فلسطين) . وعلى العموم ، فقد قام السيد عبد
الرحمن الشراواوي بالرد على راي الاستاذ حمروش
مخالفا رايه في عدد ١٩٧٢/٢/٢٨ ، العدد التالي
من روز اليوسف ، والسيد عبد الرحمن الشراواوي
عضو في حركة السلام المصرية ايضا . ان رأينا
قد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٧٢/١/٢١
وكذلك في ردا على السيد اوري افنيري في رسالتنا
للسيد جيدوفانتي الوثيقة رقم « ٤ » .

كل هذه الوثائق ارسلت لجميع حركات السلام
العربية ولكل وكالات الانباء والصحف المصرية ،
ولسنا مسؤولين عن عدم النشر . والمؤكد ان حركة
السلام الفلسطينية لديها نسخ منها جميعا ، وحركة
السلام الفلسطينية تابعة لمنظمة التحرير
الفلسطينية ، فليس هناك ما يخفى على الجماهير
العربية . ولذا يهمننا ان تنشر شؤون فلسطينية كل
هذه الوثائق او اهم اجزاها كي تطلع عليها
الجماهير العربية . وودي في مجلة الحوادث
اللبنانية كان واسع الانتشار في مصر ولبنان والعالم
العربي وكان من الواجب على مجلة شؤون
فلسطينية نشره كاملا لاهميته بالنسبة للمؤتمر .
ولو كان هناك سرية او شبه سرية لما نشرت ردي
في مجلة الحوادث اللبنانية ، ولو كان هناك اتجاه
للسرية لما نشر احمد حمروش رايه في روز
اليوسف . ولا قام عبد الرحمن الشراواوي بالرد
عليه علنا . اما عدم النشر فنسأل عن ذلك
الصحافة العربية عامة ، فليس هنالك تأمر ولا

مصرية على الاطلاق . وجميع هذه الوثائق معلومة وموزعة .

بقيت كلمة خاصة باللقاء مع الاسرائيليين . والحقيقة ان هذا الاجتماع ليس اول اجتماع عالمي يوجد فيه العرب والاسرائيليون ويناقش قضية الشرق الاوسط . ففي اجتماعات مجلس السلام العالمي « بودابست » ١٩٧١ « والتجمع العالمي للسلام في برلين ١٩٦٦ - في لجنة الشرق الاوسط ، يوجد مندوبون عرب واسرائيليون ، وتناقش في اللجان ، وكل يعبر عن وجهة نظره . ثم يكون بيان للجنة التي تضم وفود كل البلدان ، وفي هذه الاجتماعات يتناقش المندوبون العرب بمن فيهم المندوبون الفلسطينيون مع بعض المندوبين الاسرائيليين - ولكن لم يعتبر بتاتا ان هذا لقاء عربي اسرائيلي او مواجهة عربية اسرائيلية او حوار مباشر . ان وجود مندوبين من اسرائيل في اجتماع عالمي يؤيدون عدم ضم الاراضي ويعترفون بحقوق الشعب الفلسطيني لهو مكسب ضخم ومؤثر في الرأي العام العالمي - وهذا هو عملنا وجهدنا - وهذا العمل وهذا الجهد لا يمنعان القيام بجهود اخرى عسكرية او مدائية في مجالات اخرى ونحن لا نقف امامها او نعتزلها ، لكن نضع في الاعتبار فقط ان الرأي العام العالمي قوة كبيرة لا يجوز اهمالها ، فمن يكسبها يكسب المعركة السياسية .

اما عن اشتراك اللجنة الاسرائيلية في جميع الترتيبات التحضيرية للمؤتمر ، وان تبقى اللجنة الإيطالية على اتصال دائم باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، فالوثيقة رقم « ٢ » في الفقرة الثالثة توضح اولا ان اللجنة الإيطالية ستوجه الدعوات لجميع البلدان . وثانيا انها ستعمل ذلك بالتعاون والتشاور مع كل اللجان التي ستشأ لهذا المؤتمر في كل البلدان وهذا امر طبيعي - ولكن الدعوات ستوجهها اللجنة الإيطالية . وفي الوثيقة رقم (٢) الفقرة الرابعة والاخرة ما يوضح قبول اللجنة الإيطالية لاقتراح ضم ممثلي بلاد اخرى للجنة من بينها فرنسا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وممثلي بعض المنظمات الدولية وهي « مجلس السلام العالمي ومنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا واتحاد الشباب الديمقراطي العالمي والاتحاد العالمي لجمعية الامم المتحدة » - وهذه اللجنة ستتقوم بالبت في كل القرارات الفنية والتنظيمية للمؤتمر -

واهم قرار هو استثناء المدعوين من كل التلاميذ وقد تقرر استبعاد مندوبي اسرائيل والبلاد الغربية من هذه اللجنة . اي ان اللجنة الإيطالية بعد ان ينضم اليها ممثلو عدد من البلاد والمنظمات العالمية دون اسرائيل والبلاد العربية هي التي ستقرر كل الاجراءات .

ولقد رفضنا اجتماع روما التحضيري الثاني كما كان متوقعا لاننا نرفض ان يكون لاسرائيل رأي في المدعوين . ولقد اوضحنا للجنة الإيطالية بوضوح ان هذا سيكون موقفنا في المؤتمر اذا شعرنا ان هناك محاولة لدفع عناصر مشبوهة اسرائيلية لحضور المؤتمر . وممثلو فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ومجلس السلام العالمي ومنظمة التضامن الاسيوي الافريقي واتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ، وهم اعضاء اللجنة التنظيمية التحضيرية الدولية التي ستعقد اجتماعها في سبتمبر ١٩٧٢ ، كلهم يعرفون رأي المندوبين العرب في الوفد الاسرائيلي ويعرفون جيدا رأينا في طبيعة المؤتمر وهو ما اوضحته في الوثيقة رقم « ٤ » . ويحسن في هذا الامر ايضا الرجوع الى تقرير الاستاذ محمد صبيح ممثل فلسطين في منظمة التضامن الاسيوي الافريقي وهو الذي حضر اجتماع روما الثاني مارس ٧٢ لمعرفة موقفنا بوضوح . وكذلك كان يحسن سؤال الجامعة العربية عن تقرير مدير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع روما الثاني مارس ١٩٧٢ وهاتان الوثيقتان مهمتان جدا ويمكن لكل لجان التضامن الاسيوي الافريقي العربية بها في ذلك لجنة التضامن الاسيوي الافريقي الفلسطينية ان تطلب نسخة من تقرير الاستاذ محمد صبيح للاطلاع عليه ونشره . وكذلك لا بد ان تكون قد وصلت صورة من تقرير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع مارس التحضيري الثاني والبيان الذي صدر عنه ، التي جميع ممثلي الدول العربية في الجامعة العربية .

اما عما يسمى برنامج قوى السلام المصرية في مؤتمر بولونيا وهو الكراس الذي نشرت جريدة الاونيتي بلخصا له ، فان السيد احمد خليفة امتد بدوره للاسفل في تلخيص أفكاره عن هذا الموضوع على صحيفة حل هشمار (١٩ / ٣ / ١٩٧٢) . وكان الواجب ان يحاول السيد احمد خليفة ان يطلع على نسخ جريدة الاونيتي وما نشر فيها وهل ذكرت جريدة الاونيتي نفسها ان هذا التقرير هو تعبير

من آراء بعض الأوساط الماركسية القريبة من خالد محي الدين في مصر - إذا كانت جريدة الأونيتي قد فكرت ذلك فهذا مهم لان ذلك يضمننا في موقف اذينة سياسية لكاتب المقال في الأونيتي، فكيف تقوم جريدة مثل الأونيتي الإيطالية بنشر افكار تدعي انها افكار اوساط قريبة من خالد محي الدين ، دون ان تسألني انا شخصيا في هذا الامر - والمسؤولون السياسيون في جريدة الأونيتي يعرفون جيدا رأيي انا ورأي حركة السلام المصرية بوضوح فليس لنا رأي مصري نخشى نشره ، والأوساط الماركسية في مصر كلها لها رأي واضح في ذلك الامر ، ولم نسمع بيتانا عن مثل هذا الكراس .

ان حركة السلام المصرية حركة علنية تنشر كل آرائها بملنية حتى تلك التي تخالف فيها رأي الحكومة المصرية ، ولقد اصدرت حركة السلام المصرية عديدا من البيانات التي تختلف عن موقف الحكومة المصرية ونشرتها . والخط السياسي لحركة السلام المصرية يعرض في مؤتمراتها السنوية والتقارير والبيانات الخاصة بها توزع على كل الصحف المصرية وترسل لجميع حركات السلام العربية .

وانصح في هذا الامر ان يستمع الى رأينا في الموقف في الشرق الاوسط في الوثيقتين رقم « ٥ » و « ٦ » واللذان يبينان ان اعداد شعبنا للمعركة الشاملة وتعبئة كل الطاقات العربية هو الوسيلة الفعالة لتحرير الارض . ونصن نرفض ككل الحلول الاستسلامية . ولم ندخل في نقاش المعركة التقليدية أو غير التقليدية ولا مسألة السلام الشعبي . صحيح اننا نعتقد ان مؤتمرا مثل مؤتمر بولونيا ، كجميع عالمي ، يمكن ان يساعد على تعبئة عالية مفيدة ولكن لم نتخيل لحظة انه يمكن ان يكون بديلا عن كل طرق الكفاح الاخرى المسكرية والسياسية ولا يمكن ان تصور ان العمل المسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون الشكل الوحيد للكفاح على الجبهات الاخرى ، ولا يمكن ان تصور انه حتى العمل المسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون له شكل واحد محدد . ان حركة السلام المصرية لها هدف محدد محلي وعالمي هو ان تعبئ شعبنا مع كل شعوب العالم ضد العدوان الإسرائيلي سياسيا . وهذه خطوة كبرى تساهم على استمرار الكفاح على ككل الجبهات الاخرى المسكرية والسياسية والاقتصادية المحلية والعالمية . وهذا واضح في الوثيقتين رقم « ٥ »

و « ٦ » ونطالب بسرعة الاستعداد وتعبئة شعبنا سياسيا وعسكريا وكل طاقات الامة العربية ، فلن تعبئة الرأي العام العالمي الى جانبنا يجب ان يسير في خط واحد مع اعداد شعبنا للمعركة .

هذا ما يلزمنا - وليس لنا رأي علني واخر سري - وموقفنا من قرار مجلس الامن وحقوق شعبنا فلسطيني وارادة في الوثيقتين « ٥ » و « ٦ » بوضوح . وهذا الرأي قلناه علنا امام ندوة فلسطين في فبراير ١٩٧١ في الكويت واثار على ثائرة الكثيرين . هذا هو رأينا قلناه في كل مكان : ان قرار مجلس الامن وكل قرارات الامم المتحدة هي وسيلة تمكننا في المجال العالمي من اكتساب الرأي العام العالمي الى صفنا ، واننا نعتبر ان هناك معركة عاجلة وهي ضرورة هزيمة العدوان القائم . وان على كل الجهود ان توجه الان لهزيمة العدوان القائم . ماذا لم تستطع هزيمة العدوان السابق - اذا لم تهزم عدوان ١٩٦٧ لن تستطيع هزيمة عدوان ١٩٤٨ - هذا الرأي لم نخفه في اي اجتماع علني عالمي او عربي او محلي . ان التزامات الدول العربية الدولية غير التزام الثورة الفلسطينية . ولا تعتبر ان تطبيق قرار مجلس الامن ، لو قدر له ان ينفذ ، سيكون نهاية المطاف في صراعنا مع اسرائيل . ولن ينفذ قرار مجلس الامن او اي قرار اخر بدون قوة البلاد العربية وقوة الثورة الفلسطينية - اي قوة حركة التحرير العربية وخطها السياسي التكتيكي والاستراتيجي . ان استمرار النضال ضد الاجبرالية والصهيونية هو منهاج استراتيجي لحركة التحرير العربية .

والقريب ان يتخذ من كراس ذكر انه موزع بطريقة سرية نقطة اتهام لبعض الأوساط الماركسية والسلامية المصرية صاحبة السجل النظيف في كفاحها ضد الاجبرالية والصهيونية . ان حركة السلام المصرية كانت القوة الحقيقية وراء المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة والذي تولى رئاسته السيد انور السادات وكنت سكرتيره العام ، وفي هذا الاجتماع تمكنت الثورة الفلسطينية من عرض رأينا امام اكبر تجمع عالمي لنصرة العرب . وحركة السلام المصرية وحركة ذات احترام عالمي كبير لان آراءها معروفة ومحددة لا نخفيها . فليس لنا رأي علني عالمي واخر محلي - او ما يسمى للاستهلاك

البلطية والارهاب والاضيق جدا في كل المؤتمرات الدولية والعربية . وقد يختلف معنا البعض ولا ندعي اننا دائما على ضواب . ولكن مكانة حركة السلام المصرية عالميا جاء من خطها الواضح المستقيم واحترام الجماهير المصرية لها ايضا جاء من وضوح موقفها مما يسمى بالسلام والنضال ضد العدوان الاسرائيلي على بلادنا .

١ - استعرضت الوثيقة تدهور الموقف في الشرق الاوسط واقترحت « الدعوة الى مؤتمر عالمي للسلام والعدل في الشرق الاوسط يدعى للمشاركة فيه جميع الذين يهمهم مناقشة امكانات التوصل الى تسوية بالوسائل السلمية وبرزها: انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها منذ حرب ١٩٦٧ ، والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٤ نوفمبر ١٩٧٠ بجميع بنودها كخطوة اولى في اتجاه تحقيق الامن والاستقلال لجميع دول المنطقة وشعوبها ، وايضا التنفيذ الكامل للحقوق العادلة للشعب الفلسطيني والضمات المكنة من اجل تسوية دائمة تكفل مصلحة ووجود الجميع » . وقالت الدعوة في ختامها « تختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يخص بأولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدغم الضغوط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الاوسط » .

٢ - ذكر بيان اللجنة الإيطالية للمؤتمر الدولي للسلام والعدل في الشرق الاوسط انه « على ضوء تفاسم الازمة مؤخرا في الشرق الاوسط كانت هناك رغبة مشتركة في عقد مؤتمر للسلام والعدل في الشرق الاوسط في بولونيا في ايطاليا خلال هذا العام وذلك على اساس القاعدة السياسية التي وضعت في الاجتماع التحضيري الذي عقد في روما في ابريل ١٩٧١ . وقد اتفق ... على تكليف اللجنة الإيطالية بإرسال الدعوات للاشتراك في مؤتمر بولونيا لجميع قوى السلام في البلاد والمشار اليها سابقا [الجزائر ، مصر ، العراق ، لبنان ، سوريا ، بلجيكا ، فنلندا ، فرنسا ، بريطانيا ، يوغسلافيا ، ألمانيا الديمقراطية ، المجر ، الاتحاد السوفياتي] وفي البلاد الاخرى ، وذلك بالتعاون والتشاور المباشر مع اللجان والمنظمات القومية التي تعمل

ان المناهضة من اوروبا والعامرة ليست متحدة وكان بالإمكان الحصول على آرائنا والتعرف علينا من وتلقنا وموافقنا ، دون اللجوء الى معززة موقفنا من جرائم العدو . ولعلني بذلك اكون قد تمت بالرد على اغلب النقاط والاسئلة التي طرحها السيد احمد خليفة من اجل الحقيقة .

لتحضير المؤتمر والتي تبذل قصارى جهدهما لحشد الرأي العام العالمي من اجل اقامة السلام الدائم والعدل في الشرق الاوسط .

٢ - الرسالة تحمل تاريخ ١٦/٦/١٩٧٢ وهي توضح ان مؤتمر بولونيا « في جوهره مؤتمر عالمي لتعبئة القوى التي تريد حلا سلميا لكن عادلا في الشرق الاوسط وجمعها معا ... ومن هذا المنطلق فان المؤتمر ليس ذريعة - ولا يمكننا ان نتصور ان يكون - لتمكين طرفي النزاع من « الجلوس سويا » فان هذا ليس هدف المؤتمر وليس هو النتيجة المتوقعة من المؤتمر . وان حقيقة كون اوري أفنيري يؤكد على تصوير المؤتمر وكأنه مؤتمر سوف يجلس فيه الطرفان سويا ... [هذه الحقيقة] مرفوضة بقوة ، لانها انجراف عن خط مؤتمر كهذا وعن اهدافه » وتنص الرسالة فتقول « ان اجتماع مثل هذا المؤتمر لا يمكن ان يكون بين طرفين متعادلين لا يسعهم ان يكونوا حياديين تجاه المعتدين ولا يسعهم الا ان يدينوا العدوان حتى اولئك [المعتدين] من جبهة المناهضين من اجل السلام في البلد المجتدي ... ومن سوء الحظ ان اوري أفنيري أبعد من ان يتتبع هذا المبدأ » وترد الرسالة على بعض الموضوعات التي يطرحها أفنيري وتؤكد مرة اخرى ان المؤتمر هو « لتعبئة الرأي العالمي من اجل حل سلمي وعادل وان هذه التعبئة تشمل جميع البلدان دون استثناء » كما تؤكد الرسالة موافقتها على « وجود ممثلين عن القوى الاسرائيلية التي هي ضد العدوان ، والتي تبين السياسة العدوانية المستمرة للحكومة الاسرائيلية ، والتي ترفض قبول الضم ، والتي تكافح من اجل انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة منذ حزيران ١٩٦٧ ، والتي تقبل بصراحة إعلان روما السياسي في ١٩ ، ٢٠ نيسان ١٩٧١ وتتنازل من اجل قبوله كاملا » . وتضيف

لقد حددت أمريكا موقفها نهائياً كطرف أصيل في النزاع . ثم يتحدث التقرير عن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ويقول « ان مصر بقبولها قرار مجلس الأمن تنطلق من مطلبين اساسيين ا - ضرورة الانسحاب الكامل ... ب - ضمان الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني ... وان رفض قرار مجلس الأمن ينبع من عدم تصور حقيقة توازنات القوى القائمة ولا ينظر لاية اتفاقات دولية نظرة مستقبلية ، بمعنى انه ينظر للنصوص في صورة جامدة حبيسة للتصورات الغائبة الان [و] دون ان يدرك ان كل شيء مرهون اولاً واخيراً بقدر ما نستطيع ان نحشد من قوة وطاقة وعزم لنضعه ثقلاً لصالحنا في كفة ميزان القوى المتصارعة » ويطلب التقرير « ان نعمل جميعاً من اجل تحقيق الهدف وهو ازالة العدوان الاسرائيلي وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحثه في تقرير مصيره مستخدماً كل الوسائل التي يراها ملائمة لتحقيق هذا الهدف » . ويضيف التقرير « اننا نعتبر كفاح الشعب الفلسطيني جزءاً من حركة التحرر العربية وهو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية ضد الاستعمار ... لذلك سيظل شعبنا وكل الشعوب العربية تساند كفاح الشعب الفلسطيني بكل الوسائل وتحت كل الظروف حتى يستطيع هذا الشعب ان يقرر مصيره على ارضه ، لانه بدون ذلك سيظل سلامنا وسلام المنطقة مهدداً باستمرار » وقال « نحن انصار السلام المصريين نرى ان ازالة اثار عدوان ١٩٦٧ هي المعركة العاجلة ، ذلك ان هزيمة العدوان وعدم تمكين المعتدي من تحقيق اي كسب من عدوانه هي تقضية البدء الاولى والضرورية للتوصل الى حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٥ - جاء في البيان السياسي للمجلس المصري للسلام في مؤتمره الرابع في ١٧ و ١٨ مايو ١٩٧٢ في القاهرة تأكيد للنقاط الواردة في التقرير السياسي الوارد تلخيصه في الحاشية رقم ٤ اعلاه فقد انتهى رأي المؤتمر الى « ان الخط السياسي المتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية ... قد اثبت في مواجهة الصلف الاسرائيلي فعاليته ونجاحه . فاسرائيل تزداد عزلة على النطاق العالمي » والى « ان التمسك بالشرعية الدولية ، والمطالبة المستمرة بتففيذ

الرسالة » اننا نرفض وجود ممثلين عن الاجزاب المشتركة في الحكومة الاسرائيلية . ونحن لا نعارض وجود وفد اسرائيلي بصفته الخاصة بشرط الا يأتي ممثلاً عن حزب مايم مثلاً او اي من اجنحته وبشرط الا يكون شخصية قيادية في ذلك الحزب ، لان صيفته القيادية هي جزء من شخصيته حتى لو ادعى انه تظاهر بصفة شخصية » . وقالت الرسالة « ان عدد اعضاء الوفد الاسرائيلي ينبغي ان يكون مساوياً ولا يزيد عن عدد اعضاء الوفد الفلسطيني » .

٤ - الجزء من التقرير المتعلق بالوضع العربي «يلاحظ عدداً من التطورات المهمة الايجابية والسلبية على السواء ، فاسرائيل ... تزداد عزلة ... وان الخط السياسي العاقل والمتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية كان واحداً من العوامل الايجابية التي اسهمت في التوصل الى هذه النتيجة ... [كذلك يلاحظ] بارتياح التنامي المتزايد للقوة القتالية المصرية ... ولقد كان قيام الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا ... تعبيراً عن تصميم الامة العربية على مواجهة حاضرها ومستقبلها موحدة ... ونلاحظ ان العلاقة المصرية السوفياتية تتعزز وتتقدم ... وعلينا ان نعي ضرورة تعزيز الصداقة المصرية السوفياتية ... وفي الجانب الاخر من الصورة نلاحظ ان اعداء الامة العربية ينشطون نشاطاً جريماً ... كانت نقطة البدء فيه هي المذابح الوحشية التي دبرت ضد المقاومة الفلسطينية والتي لعب فيها النظام الاردني دور الجلاد الشرس ... ثم بعد ذلك الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على لبنان والتي تبدو كجزء متمم للمؤامرة يستهدف عزل لبنان عن الصف العربي وتصفية المقاومة الفلسطينية في اراضي لبنان واخيراً هناك مشروع الملك حسين الذي لا يمكن وصفه باكثر من انه الترجمة العربية لمشروع الون » ويتحدث التقرير عن « دماوى تتخذ من طول امد المعركة سبيلاً للتشكيك في قدرتنا على حوزها ، وهي تعلن بشرح خجل ان حل الازمة في يد امريكا وان علينا ... ان نتقدم خطوة وخطوات نحو من في يده الحل » ويستعرض التقرير التجارب مع امريكا ويقول « ان امريكا تريد منا موقفاً معتدلاً ولا تقارباً . انها تريد اعادة مصر الى دائرة تفوذها ، تريد سلب استقلالنا وهريقتنا ومواردنا وامواتنا ...

مزار مجلس الأمن ٢٤٢، وجميع قرارات الأمم المتحدة وعلى الخصوص تلك المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني في العودة الى أرضه وازالة آثار عدوان ١٩٦٧، هما الأساس في مخاطبة الرأي العام العالمي، والى « ان حتمية المعركة تتطلب من الحكومات والشعوب العربية حشداً جاداً وحقيقياً لجميع الإمكانيات والجهود المادية والمعنوية، لتكون هذه الأمة مستعدة للمعركة » والى « ان نضال الشعب الفلسطيني واستمراره حتى يحقق اهدافه الشريفة هو جزء من ضمير شعبنا وكل الشعوب العربية ... وان المؤتمر يؤكد ضرورة مساندة كنياس الشعب الفلسطيني ». ٦
تشمل اسماء وفود مجلس السلام العالمي وسوريا والمراق ولبنان وفلسطين واليهن

٧ - جاء في هذا القرار « ان اجتماع لجان السلم العربية الذي عقد في القاهرة في تاريخ ١٩٧٢/٥/١٩ بعد ان اطلع على الجهود المبذولة لمعد مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط في ايطاليا في اواخر عام ١٩٧٢ تحت شمسار تطبيق قرار مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة والانسحاب التام من الاراضي العربية المحتلة والتطبيق الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني يؤيد النشاط الذي تبذله في هذا السبيل اللجنة الايطالية للمؤتمر واللجنة التحضيرية الدولية، ويعتبر ان عقد هذا المؤتمر يخدم اهداف النضال العربي ... »

صدر عن مركز الابحاث في م. ت. ف.
باللغتين العربية والفرنسية كتاب

أوري أفيري او الصهيونية المستحدثة

بتعلم
كميل منصور

يقول الكاتب ان الهدف من دراسته كان « تبديد الاوهام من اذهان بعض المسؤولين والفقهاء العرب، المعجبين بأوري أفيري، « عدو الصهيونية » و« صديق العرب »، اثر فضحه لأفيري في سبعة فصول تتناول: من نبذة عن حياته الى نضاله في المجتمع الاسرائيلي الى موقفه من القضية الفلسطينية، الى رايه في الحرب والسلام والى الدور الذي يلعبه في اسرائيل، بالإضافة الى ملحقين حول مبادئ أفيري وخطة السلام التي عرضها .

١٩٠ صفحة

٢ ل.ل.

تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي
١٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و ١٧ ايلول

هـ.أ.

تمهدها بتصفية الوجود السياسي - العسكري لحركة المقاومة في لبنان كله (٢).

وبنكنا ان نؤكد بشكل قاطع على ان الراي الاول كان بعيدا عن الصواب لان طبيعة القوة المهاجمة وتشكيلها وحجمها لا تنطبق بأي شكل من الاشكال على طبيعة وتشكيل وحجم القوات المخصصة للعمل ضد العصابات ، خاصة وان تسوة المقاومة الرئيسية متركزة في المنطقة الشرقية التي تعارضت الصحالة العالية على تسميتها باسم «فتح لاند» ، على حين ان تواجد قوات المقاومة في المناطق التي تعرضت للهجوم «محدود جدا» ولا يشمل «الا بعض القواعد الصغيرة ونقاط المراقبة التابعة لها» (٣). ومن المعروف ان العمل ضد هذا النوع من القواعد الصغيرة لا يتطلب هجوما بريا بلواء مدرع معزز بالمشاة المحولة والمدفعية والمهندسين ، وتحت تغطية جوية كاملة ، ولا يستخدم هذا النوع من المدرعات المتوسطة والثقيلة والمدفعية الثقيلة ، بل يلجأ الى استخدام وحدات آلية خفيفة الحركة تضم عددا كبيرا من المشاة والقوات الخاصة ، وتعتمد قوتها النارية اساسا على الدبابات الخفيفة والمدفعية المحولة الخفيفة ، وتطبق تيل «التشيط والتطهير» عمليات تصف جوي تليها عمليات تطويق تنفذها قوات محولة جوا تسيطر على المحاور الاساسية ، وتعتمد في المطاردة اساسا على وحدات محمولة بالهليكوبتر .

ومن المعروف ان عملية «التشيط والتطهير» لا تكفي بالسر على محاور الطرق وتدمير المقاومة وسدادات الطرق القائمة عليها ، بل تعمل على الاندفاع بمبق على الطرق لتحقيق التطويق ، ثم تبدأ تطهير الجيوب والجزر ، فكيف تصرفت القوات المهاجمة ؟ لقد تكن الرتل المتقدم على محور المدبسة - الطيبة - القنطرة من اغلاق الطرق

في فجر السبت ١٦ ايلول تحركت وحدة آلية اسرائيلية تضم مختلف صنوف الأسلحة نواتها المدرعات والمشاة المحولة ، واجتازت الحدود اللبنانية من ثلاث نقاط مستخدمة محاور عديسة - الطيبة - القنطرة ، وعيترون - عيناتا - بنت جبيل ، ورميش - عين ابل - بيت ياحون . « واتصلت السلطات الاسرائيلية بلجنة الهدنة وابلغتها ان هدف دخول قواتها منطقة الجنوب هو تشيطها من الفدائين » (النهار ١٧/٩/٧٢) ، و أعلن الناطق العسكري الاسرائيلي منذ بدء القتال بأن هدف هذه الوحدة المهاجمة القيام بأعمال «التشيط والتطهير» ضد قواعد المقاومة المستخدمة « كما يمكن تجميع وقيادة » ، ثم ربط هذا الناطق بين العمليات العسكرية وحوادث الحدود ، وأشار الى مقتل جنديين اسرائيليين في منطقة هاردوف بتاريخ ١٤ ايلول ، ومقتل جندي آخر في منطقة ككرا برهم قبل عشرة ايام (٤). ولم تأخذ الاوساط السياسية والعسكرية وأوساط المقاومة هذه التصريحات مأخذ الجد ، واعتبرها الكثيرون خدمة اسرائيلية تستهدف تخفيف حدة رد الفعل العالمي على هذا العدوان ، والحد من ردود فعل القيادات السياسية - العسكرية اللبنانية التي أعلنت عن تصويبها على القتال دفاعا عن الوطن مهما كان الثمن غاليا . وظهر وسط التحليلات الأولية للموقف رايان اساسيان : يقول احدهما بأن العملية لا تخرج من كونها ضربة موجة الى قواعد المقاومة ، ولا تختلف عن الضربات السابقة الا بحجمها وضخامة القوة المشتركة فيها وعمق تغلغلها داخل الأراضي اللبنانية ، على حين يقول الراي الاخر بأنها عملية تستهدف اجتلال جنوب لبنان حتى اللبثاني ، والمساومة بعد ذلك على الانسحاب مقابل تمهد الحكومة اللبنانية بإبعاد قواعد ومراكز المقاومة عن الحدود ومنعها من العمل عبرها ، ان لم يكن

بعد ان تقدم الزئبل من بيت باهون باتجاه مخضال سلم - أريحا - ووصل الزئبل المتقدم نحو الشمال الغربي الى صديقين وقانا وجوبا وكان يؤمنه اغلاق الطوق لو انحرف نحو الشمال الشرقي متجها الى الغندورية - القطرة . ولكن هذين الرتلين بقيا طوال الليل في المواتع التي وصلا اليها ، ولم تترك المشاة المحبولة آلياتها المدرعة ولم تتسلق المرتفعات لتحقيق « التمشيط » بعد تحقيق « التطويق » . ولم تقم بأية عملية مطاردة راجلة او محمولة جوا ضد عناصر المقاومة التي لجأت حسب تكتيك العصابات الى ترك المحاور واللجوء الى المرتفعات .

اما بالنسبة لتدمير جسري الخردلي والتمتعمية فقد استخدمه العدو ايماننا في التضليل ، وفسره على اعتباره عملا يستهدف قطع طريق انسحاب قوات المقاومة باتجاه الداخل او باتجاه سوريا وحصر هذه القوات داخل الطوق . ولكن نظرية تطويق العصابات الصغيرة تبسف هذا الادعاء من اساسه ، فهي تؤكد على ضرورة قطع الجسور او اختلالها واغلاقها داخل اطار الطوق او على اقرب مسافة ممكنة من منطقة اغلاق الكباشة - اذا كانت الغاية من هذا القطع منع الانسحاب - والقيام بالقطع خارج الطوق على مسافة معينة اذا كانت الغاية منه منع تدفق الامدادات اللازمة لك التطويق . فاذا ألقينا نظرة واحدة على خارطة العمليات نجدنا ان الجسور المدمرة تقع على مسافة عشرة كيلومترات خارج حدود الطوق . وهذا يعني ان الافادة من هذا التدمير لمنع الانسحاب جزئية ومحدودة . بالإضافة الى ان عمق نهر اللبثاني وطبيعة ضفافه وسريره وضعف تياره تجعل العربات العسكرية بما في ذلك سيارات الجيب قادرة على اجتيازه من المخاضات دونما حاجة لآلية جسور . وهذا يعني باللغة العسكرية ان تخریب هذين الجسرين قد يخلق أمام الوحدات العسكرية النظامية المنسحبة عاجزا متوسطا ولكنه لا يشكل أية مشكلة للعصابات التي تعتمد في تحركاتها اساسا على التنقل سيرا على الاقدام والقيام بالمسيرات الليلية الطويلة ... فهل يعقل ان نرجع كل هذه الأخطاء الى خلل في تفكير قيادة القوات المهاجمة ؟ وهل يمكن ان نتصور قائدا عسكريا يخطط لعملية يمثل هذا الحجم ثم يستخدم اداة وطريقة لا تصلحان لتحقيق الغرض الذي أعلن عنه؟ وجوابنا على ذلك هو النفي القاطع ، والتأكيد على

ان ما اعرفه القائل العسكري الإسرائيلي حينذاك هدف العملية كان جزءا من حملة تضليل متعمدة ومحلية .

ويستند الرأي القائل بان العملية كانت تستهدف الاحتلال الى عدة حجج منها : ١) عمق الغزوة وحجمها (غطى العدوان ٨٥٠ كيلو مترا مريقتنا وتغلغل بعمق اكثر من ٢٠ كيلومترا داخل اراضي الجنوب) ٢) حجم وطبيعة القوات المعادية المشتركة في الخط الاول والقوات الاحتياطية المحتشدة خلفها داخل الارض المحتلة لدعم الهجوم عند اللزوم وتظهر جيوب المقاومة ٣) ضرب الجسور على نهر اللبثاني لمنع الجيش اللبناني من الانسحاب ، ولنع الاحتياط الاستراتيجي اللبناني من التقدم لفك الحصار او القيام بهجوم مفاكس (هنا تصيح الجسور هامة نظرا لكثرة الاليات التي ينبغي استخدامها للتصوين والاختلاء) ٤) حجم الحملة الاعلامية الدماغوجية التي شنها العدو داخل الاراضي المحتلة وفي العالم كله بعد عملية ميونيخ ، واحتمال استغلال شرايح من الرأي العام الغربي الذي بدأ يؤيد اسرائيل ويشجب أعمال الارهاب وينتدد بكل من يدعّم حركة المقاومة او يسمح لها بالعمل على ارضه . واحتمال اعتبار العسكريين الاسرائيليين على النجاح الذي حققته الدبلوماسية الاسرائيلية لتحقيق غطاء دولي - امريكي بالاساس - لعملية احتلال دائم او مؤقت .

ولقد كان على القوات الاسرائيلية المعتدية في حاله رغبته بالاحتلال ان تنطلق في ليلة ١٦ - ١٧ او في صباح ١٧ ايلول باتجاه اللبثاني وان تتحرك من قانا الى صور ، ومن جوبا الى صور ، ومن جوبا الى الغندورية ، ومن كبرا باتجاه البحر ، بشكل يقسم المناطق الجنوبية الى ست جزر يتم تطهيرها فيها بعد . ولكن هذه القوات وقتت في قانا بعد معركة لم تكن بالضبط معركة مدرعات - كما وصفت - بل كانت اقرب الى قتال مقاومة مختصر (مشاة وعدد من الدبابات ومدافع ضد الدبابات) ضد عدو يتقدم على محور ، كما وقتت في جوبنا لاصطدامها بمقاومة عنيفة ابدتها مجموعات من قوات المقاومة مزدودة بأسلحة مضادة للدبابات ومختبئة داخل القرية . واضطرت القوات الاسرائيلية الى الاشباك بمعركة تطهير طويلة بدأت منذ الساعة الخامسة من مساء ١٦ ايلول ولم تنته

كموقف باريس ولكنه كان موقفا ضاغطا الى حد ما . وبالإضافة الى الدول الغربية فقد نددت الدول الشرقية والدول المحبة للسلام بالعدوان الاسرائيلي على لبنان ، حتى ان كورينيليو مانيسكو وزير خارجية رومانيا - وهي اكثر الدول الاشتراكية تعاطفا مع اسرائيل - قد ابغ السفير الاسرائيلي في بوخارست « بأنه لم يكن هناك اي مبرر لعملية الجيش الاسرائيلي ، وانها تمس سيادة لبنان وسلامة أرضه»^(٨) . وبالرغم من الاتصالات التي اجراها لبنان مع واشنطن فاننا لا نملك حتى الان ما يشير الى قيام الولايات المتحدة الامريكية باي دور في مجال الضغط على اسرائيل ، ولا نتوقع ان تكون واشنطن قد لجأت الى مثل هذا الضغط حتى ولو كان هذا الضغط يخرجها جزئيا من العزلة التي وقعت فيها بعد تورطها في استخدام الفيتو في الاسبوع الماضي ، وذلك لاعتمادنا بأن نيكسون عاجز عن الضغط على اسرائيل قبل ستة اسابيع من موعد الانتخابات الامريكية .

٢ - ضراوة المقاومة : لم يكن مخطو العملية ينتظرون الاصطدام بمقاومة عنيفة . وكانوا يعتقدون ان اندفاع الارتال المدرعة على الطرقات تحت تغطية مظلة جوية متفوقة بشكل حاسم سيشل كل مقاومة ويفتح الطريق بلا قتال حتى الليطاني . ولقد بنوا اعتقادهم هذا على مبدأ عسكري يقول بأن التفوق الساحق يصل بالردع الى فزوة تأثيره . يشكل يشل الخصم ويخفف احتمالات عمل القوات المتفوقة الى الحد الأدنى . ولكن المقاومة العنيفة التي ابدتها المخافر القتالية اللبنانية المتمركزة على الطرقات (كانت هذه المخافر مؤلفة من عدد من الدبابات المتمركزة دفاعياً ، والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المضادة للدبابات ، ومجموعات من المشاة والمهندسين) ، واستناد هذه المخافر في عدد من النقاط الحساسة الضعيفة الى تخريبات (تسفيات) ، وصدود مجموعات المقاومة الفلسطينية - رغم صغر امكاناتها في هذا القطاع - في بنت جبيل وعيناتا ومجدل سلم والعديسة وقانا وجويا ، وغنف تصف المدفعية اللبنانية رغم تمعرض مراتبها لقصف الطيران المعادي^(٩) ، وامسداد الاوامر لقوات الجيش اللبناني المتمركزة في قطاع الهجوم والقطاع الغربي بالدفاع دون فكرة تراجع داخل جزر مقاومة حتى ولو تم تطويقها وعزلها نهائياً ، ان كل هذا قد ابطأ تقدم الاليات الاسرائيلية على المحاور ، وكبدها عدداً من الخسائر ، ومنع العدو من اغلاق

الا في صبيحة يوم ١٧ . وبدلاً من التمركز باتجاه صور والليطاني اهلن الناطق العسكري في تل ابيب في الساعة السابعة من مساء ١٦ « ان الوحدات الاسرائيلية انتهت مهمتها وعادت الى اسرائيل باستثناء وحدة تقوم بعملية تطهير قرية جوبا»^(٤) . ومع تنفيذ الانسحاب الذي تأخر حتى مساء يوم ١٧ بسبب صعوبات اخلاء المعدات والاليات الاسرائيلية المدمرة على أرض المعركة اخفقت التساؤلات حول هدف الهجمة الاسرائيلية . وبدا عمل اللواء المدرع وكأنه مرض عضلات ، او اذا شئنا استخدام التعبير العسكري الدقيق : « ردع عن طريق فرض القوة واستخدامها جزئياً » . فهل كان هذا « العرض » مخطأ من قبل ام جاء نتيجة لتبديل الخطة الاسرائيلية تحت تأثير عوامل متعددة؟ ان من المتعذر الرد على هذا السؤال في الوقت الحاضر . ولكن كثيراً من الظواهر تدفعنا الى الاعتقاد - دون جزم - بأن الاسرائيليين بدلوا خطتهم خلال سير العملية نظراً للاسباب التالية :

١ - الضغوط الدولية : اذ لم يحظ الهجوم الاسرائيلي على الأراضي اللبنانية بتأييد عدد من الدول الغربية . وخاصة فرنسا التي قام وزير خارجيتها موريس شومان باخطار السفير الاسرائيلي خلال القتال « بأن فرنسا لن تبقي في موقف اللامبالاة تجاه اي مساس بسيادة الأرض اللبنانية وان العالم بالاعمال الفرنسي تلقى منذ هذا الصباح تعليقات بان يطلب من الحكومة الاسرائيلية الشروع في سحب قواتها التي توغلت في الأراضي اللبنانية»^(٥) . ولقد لمعت الحكومة اللبنانية ورقة الضغط السياسي منذ البداية . وصرح رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام امام النواب في جلسة يوم السبت ١٦ ايلول بان حكومي فرنسا وبريطانيا « تضامنتا بالعمل الحثيث القوي للضغط على اسرائيل بالانسحاب » . وهما تحاولان تأليب اكبر عدد من الدول للوقوف موقفهما»^(٦) . وفي ندوة ١٧ ايلول الاذاعية التلفزيونية تحدث رئيس الوزراء اللبناني عن عدم وجود اتجاه لتقديم شكوى الى مجلس الامن الذي اطلق عليه لقب «حائط البكي» وخاصة بعد الفيتو الامريكي الاخير . ثم اكد اهتمام لبنان بالاتصالات السياسية مع فرنسا وبريطانيا ، والامل الذي يعقده على هذه الاتصالات للضغط على اسرائيل بقوله « اننا لا نزلنا نتحفظ بالذهاب الى مجلس الامن . وبقينا نترقب تحركات بعض الدول مثل فرنسا وانكلترا»^(٧) . ولم يكن موقف لندن حازماً

الخلق بشكله كالتشال مثل خلخال الخلال ، وإعطي القيادة السياسية - وهذا هو أهم ما في الأمر - الوقت الكافي لاستخدام سلاحها الدبلوماسي الى أبعد مدى ، ولقد ذكر وزير الخارجية اللبناني خليل ابو حمد أمام السفراء العرب في يوم ١٨ ايلول بأنه لولا بسالة الجيش في التصدي للعدوان لما نجحت الضغوط السياسية التي حملت اسرائيل على التوقف والانسحاب ، وقال في معرض حديثه : « الحقيقة يجب ان نقال بأن الضغط على السدول الصديقة لم يكن ليأتي بهذه النتيجة الإيجابية لولا الموقف الشجاع والجريء الذي اتخذته الجيش عندما تصدى بكل قوة لهذا العدوان » (١٠).

٣ - طبيعة الأرض : يرتبط عامل طبيعة الأرض ارتباطا وثيقا بحجم القوات المدافعة وخطتها ومدى استعدادها للقتال . ولقد كان على القوات الاسرائيلية التي وصلت الى مائنا وجويا أن تقطع حوالي ٢٠ كيلو مترا قبل ان تصل الى البحر ، وتطلق الطوق ، وتحصر قوات الجيش اللبناني المتحركة في القطاع الغربي وقوات جيش التحرير والمليشيا المتحركة في الرشيدية . ولكن طبيعة الأرض في منطقة رأس العين - دير قانون - عين بعل - البزورية - طير دبه - صور ، ومرور الطرقات في هذه المنطقة عبر اراض مشجرة صالحة لأخفاء الرجال والمعدات ، وشن الغارات ونصب الكمائن ، وتجمع قوات المقاومة في هذه المنطقة بعد انسحابها من القطاع الاوسط اثر معارك قاتلت فيها وفق تكتيكات حرب العصابات ، وبشكل جعل الضربة الاسرائيلية « تقع في فراغ » (١١) جعلت القوات الاسرائيلية تقدر طبيعة المقاومة الشرسة اليائسة التي يحتمل ان تلاقها ، وتحجم بالتالي عن متابعة التقدم ليلا نحو الغرب بدون دعم الطيران الذي تبقى امكانيات دعمه الليلي محدودة رغم قدرته على اضاءة ساحة المعركة الى حد ما . ولا يمكن تقييم نجاح العملية ونشلها بالنظر لما حققته من دمار وخسائر وما تعرضت اليه من ضربات . والتقييم الحقيقي لا يتم الا ضمن اطار تحديد هدف العملية . فان كانت عملية تستهدف الاحتلال والضغط فهي عملية ناجحة تكتيكا وسط فشل على صعيد السياسة والاستراتيجية العليا دون ان يمنحها هذا الفشل من محاولة تحقيق كسب استراتيجي مهما صغر . وان كانت عملية « زرع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » فهي عملية ناجحة تكتيكا ، وتنتظر قطف ثمارها

الاستراتيجية والسياسية ، وبمهما يكن من الأمر وسواء توقفت العملية لان توقفها جزء من الخطأ أم توقفت بسبب العوامل السياسية - العسكرية - الطبوغرافية فان « الردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » والذي جاول التظاهر بأنه عملية « تشييط وتطهير » كان يخفي وراء هدفه المعلن أهدافا اخرى . وتذكر صحيفة النهار بسان الاوساط الاسرائيلية المطلعة حددت « ان الهدف الاساسي من الهجوم هو ارغام السلطات اللبنانية على الغاء اتفاقية القاهرة رسميا او عمليا » (١٢) . ويمكننا ان نتصور ابعاد الردع الذي تتوخاه هذه الاوساط عندما نرى انها لا تكتفي بالحديث عن قواعد المقاومة الموجودة قرب الحدود اللبنانية - الاسرائيلية او في مناطق الجنوب ، بل تتحدث عن وجود « خمسة الاف فدائي في لبنان » (١٣) وتعتبر ان بيروت هي « المركز السياسي والاداري لكل المنظمات الفلسطينية المتطرفة » (١٤) وان خيמת اللاجئين في لبنان هي « مراكز تجتمع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه الخييمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه الخييمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج » (١٥) . ان الفهم الكامل لعملية ١٦ - ١٧ ايلول وتحديد خلفياتها وابعادها وبراميتها واحتمالات تكرارها أمر يرتبط ككل الارتباط بوعسى منطلقات الاسلوب الاسرائيلي الذي يعتمد في مجابهة حركة المقاومة العاملة خارج الارض المحتلة على « تناوب الردع والعمل » ، و « تناوب الضغط السياسي والضغط العسكري » ، ويطبق مجموعة القواعد التالية (التي سنبحثها بشكل مفصل واسع في دراسة خاصة عن الردع والعمل في الاستراتيجية الاسرائيلية) وهي :

- ١ - « الرد المرن » : الذي يستخدم كل الاساليب الممكنة لتسديد الضربات ، دون البقاء ضمن اطار رد جامد تقليدي او غير تقليدي .
- ٢ - « الرد الامنف » : وذلك بتصعيد المنصف ، والرد على ضربات المقاومة بضربات اعنف تستهدف قواعد المقاومة - لردع المقاومة ماديا ، كما تستهدف المدنيين من سكان الخييمات - لردع المقاومة معنويا .
- ٣ - « الرد المتواصل » : ويتم بتسديد الضربات بصورة متلاحقة للرد على ضربة ما ، او لتأبئة

اجتياز وحدائنا الحدود [اللبنانية] اذا اقتضى الامر للدفاع عن مواطني اسرائيل « (١٦) . وليست هذه هي المرة الاولى التي يصرح بها دايان او غيره من زعماء العدو مثل هذه التصريحات . وليست عملية ١٦ - ١٧ ايلول هي العملية الاولى ضد الاراضي اللبنانية ولن تكون الاخيرة . انها درجة اعلى على سلم تصعيد محاولات الردع . ولقد سددت القوات الاسرائيلية في الارض اللبنانية من قبل ضربات بخلفة جوية وبيرة ، ثم وقفت تنتظر النتائج . ولكننا يذكر تهديدات رئيس الاركاب الاسرائيلي دايفيد اليعازار في حزيران ١٩٧٢ عندما حذر لبنان « من عمليات اخرى لجيش الدفاع الاسرائيلي داخل حدودها اذا لم تغير سياستها » (١٧) . وكيف طلعت صحيفة هاتسوفيه (١٩٧٢/٦/٢٤) لتقول : « ان على لبنان ان يختار بين امرين : اما ان يكبح جراح الفدائيين وتهدأ الحدود او يتجنب ذلك ويعرض نفسه لردود الجيش الاسرائيلي القوية » (١٨) . ولكن الضربة العسكرية اليوم اكبر ، والوضع العربي لا يبشر باحتمالات رد موحد فعال (رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها امين الجامعة العربية محمود رياض في هذا المجال) ، والوضع الدولي بمسند خروج السوفيات من مصر وفي فترة ما قبل الانتخابات الامريكية قاتم نسبيا ، لذا فان من الطبيعي ان يكون حجم التبهجات الاسرائيلية متناسبا مع كل هذه الاوضاع ، ومن الطبيعي ان يكون الثمن السياسي الذي تطالب به اسرائيل ضخما . وها هي صحيفة دافار تحدد خطوط الخطوة السياسية المطلوبة من الحكومة اللبنانية بقولها : « امسام الحكومة الخيار بين طرد « المخربين » [رجال المقاومة] من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها » (١٩) . ويتعرض لبنان لخطر عملية ابتزاز سياسي عرهما حتى الان . فلقد صرح احد قادة عملية ١٦ - ١٧ ايلول لتدوبي الصحافة خلال الاستحاب بين عيترون وبنيدا « ان القوات الاسرائيلية ستترك الاراضي اللبنانية اليوم ، وستنتظر اسبوعا لتري اذا كان هناك قوة حقيقية للجيش اللبناني في المنطقة ام لا ، فان لم يكن مانا سنعود ثانية الى الاراضي اللبنانية لنستريس عملياتنا » (٢٠) . ويرسم العدو للبنان الطريق الذي عليه ان يتبعه . انه يتطلب منه بعد ان يوجه المسدس الى صدغه ان يلعب الدور الذي لعبه الحكم الاردني في عام ١٩٧٠ ، وان يكرس كل قواه

٤ - « المبادرة الهجومية » : وتحقيق المطاردة والضرب خارج حدود الارض المحتلة وتجاهل « الحدود السياسية » والاستعاضة عنها « بالحدود الايدولوجية » و « حدود مدى عمل القوة » .

٥ - « ردع الدول العربية المضيغة » : وهذا يعني استغلال اختلاف اهمية « هدف الرهان » بالنسبة لحركة المقاومة ولحكومات الدول العربية المضيغة لخلق شرح سياسي تتم الامادة منه بشكل « متدرج » عن طريق « الردع المتدرج » الذي يبدأ بالضغط والتلويح بالقوة وينتقل الى الاستخدام المحدود للقوة (بمختلف الاشكال) وعلى درجات متصاعدة ، حتى يصل الى الاحتلال الجزئي . والغاية من هذا الردع التوصل في النهاية الى « محاربة العرب بالعرب » .

٦ - « استغلال الوضع العربي » : عن طريق الافادة من التناقضات التي تتع بين الدول العربية ، وتسييد الضربات في الفترات التي تكون فيها القوى العربية عاجزة عن الرد لانشغالها باوضاع داخلية حرجة ، او لانشغالها بخلافات عربية قطرية ، او لسيطرة فكرة البحث عن حل سياسي على قاذتها ... الخ .

٧ - « العمل تحت غطاء سياسي خارجي » : وذلك باستغلال ظرف دولي معين ، او حادث عالمي لتعبئة الرأي العام العالمي ، واكتساب الدعم . او منع الضغط الدولي على الاقل - عند تسييد الضربات التي تعطيها عادة اسم ضربة وقائية دفاعية .

ولقد التى وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان الاضواء على هذه الاساليب الاسرائيلية في حديث اذيع من التلفزيون الاسرائيلي في يوم ٤ اذار ١٩٧٢ وتلقته صحيفة دافار في اليوم التالي عندما قال : « ... ان منع نشاط الفدائيين من الاراضي اللبنانية ليس مسألة الوجود المادي للجيش اللبناني في منطقة الحدود مع اسرائيل فقط ، بل هو مسألة سياسية . وهذه المسألة هي اية سياسة ستتتبع حكومة لبنان ازاء الفدائيين ، والى اي مدى ينفذ الجيش اللبناني هذه السياسة ؟ ليست المشكلة بسيطة ابدا ، ولا يمكن تنفيذ الامر بضربة واحدة ومرة واحدة ، فالمسألة تتم على مراحل وليست حادثا عارضا سريعا » ... « اننا لا نستبعد امكان

وهل يصير هذا الطريق غير الهجوم التي انشأها الهجوم التي خلف ؟ ان ميزان القوى داخل لبنان ، وحجم الضغوط العربية وضغوط القوى التقدمية اللبنانية ، ووطنية الجيش اللبناني ، وموقف منظمات المقاومة الموحد من القذالات ، واحتمالات نجاح محاولات اغتداد رد عربي موحد فعال ، واستمرار الضغوط المالية ، واستمرار الموقف الأمريكي المعاكس ، هي العوامل القادرة على اعطاء اجابة واضحة على كل هذه التساؤلات التي يرتبط بها مصير امة باكليا . لقد انتهت المعركة العسكرية في الجنوب ، ولم تكن الضربة موجبة لقوات المقاومة او لقوات الجيش اللبناني ، بل كانت موجحة الى الارادة السياسية في بيروت مباشرة . ومع انتهاء المعركة العسكرية بدأت المعركة السياسية - الدبلوماسية ، ولا ينتصر في هذه المعركة الا من يعرف كيف يقلب موازين القوى لصالحه ، ويصمد في معركة حوار الارادات .

تكون حرس حدود اسرائيل ، والا ، وتحت الحكومة اللبنانية حثرة بين المذامع العربية الضامنة على طول الحدود ، والتصريح الذي اطلعه مناصيب بيغن في ١٢/٩/١٩٧٢ امام المجلس القطري لحرب حبروت وقال فيه : « ان الدول العربية مسؤولة عن اعمال القطة ، وعلينا ان نفهمها ان وقف العمليات الاجرامية ضد ابناء الشعب اليهودي هو احدي مهماتها » (٢١) ، وتأييد واشنطن لعملية الابتزاز على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي صرح في ١٨/٩ بان « الحدود الاسرائيلية - اللبنانية يمكن ان تكون هائلة ، اذا توقفت عمليات الفدائيين » (٢٢) . فكيف سترد الحكومة اللبنانية على هذه الدعوة « احساربه العرب بالعرب » ؟ وكيف ستفسر دموع بيار الجميل في جلسة مجلس النواب مساء ١٧/٩ الى امتناع الفلسطينيين والاتفاق معهم وفي حالة الفشل استعمال الطريق الذي يخلصنا ويخلصهم ويخلص القضية » (٢٣) ؟

- ١١ - صرح الاخ ياسر عرفات امام بعض المسؤولين الفلسطينيين قبل بدء العمليات ان المقاومة ستبني تكتيكات واساليب تجعل الضربة الاسرائيلية المنتظرة « تقع في فراغ » .
- ١٢ - النهار ، ١٧/٩/١٩٧٢ .
- ١٣ - المرجع نفسه .
- ١٤ - المرجع نفسه .
- ١٥ - المرجع نفسه .
- ١٦ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٦/٣/١٩٧٢ .
- ١٧ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعمرية بتاريخ ١٩٧٢/٩/٢٤ .
- ١٨ - المرجع السابق .
- ١٩ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعمرية ، رقم ٤٢ ، بتاريخ ١٧/٩/١٩٧٢ .
- ٢٠ - مقال نزيه نقوزي ، الانوار ، ١٨/٩/٧٢ .
- ٢١ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعمرية ، رقم ٤٠ ، بتاريخ ١٤/٩/١٩٧٢ .
- ٢٢ - النهار ، ١٩/٩/٧٢ ، عن رويتر ، ومن .
- ٢٣ - في ١٨/٩/١٩٧٢ .
- ٢٤ - الانوار ، ١٨/٩/١٩٧٢ .

- ١ - تصريح الناطق العسكري الاسرائيلي .
- ٢ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعمرية الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف. ، رقم ٤١ بتاريخ ١٦/٩/١٩٧٢ .
- ٣ - راجع تفاصيل جلسة مجلس الوزراء وجلسة مجلس النواب في يوم ١٦/٩/١٩٧٢ (النهار ١٧/٩/١٩٧٢) .
- ٤ - على لسان المحرر العسكري لوكالة الانباء الفلسطينية (ونا) ، ١٦/٩/١٩٧٢ ، رقم ١٠ .
- ٥ - النهار ، ١٧/٩/١٩٧٢ ، عن رويتر ، ومن .
- ٦ - بيان وزارة الخارجية الفرنسية - ومن .
- ٧ - في ١٦/٩/١٩٧٢ ، نقلته النهار ١٧/٩/١٩٧٢ .
- ٨ - النهار ، ١٧/٩/١٩٧٢ .
- ٩ - الانوار ، ١٨/٩/١٩٧٢ .
- ١٠ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعمرية ، رقم ٤٣ بتاريخ ١٩/٩/١٩٧٢ ، للمراجعة .
- ١١ - لا بد من الاشارة هنا الى بسالة خيماط وجنود بطارية المدفعية ١٥٥ المتمركزة في ارنون والتي تابعت عملها بكفاءة رغم تعرضها للقصف الجوي .
- ١٢ - الانوار ، ١٩/٩/١٩٧٢ .

(١) المقاومة الفلسطينية

وفتح ، والجبهة الديمقراطية ، ومنظمة ايلول الأسود ، ثم كادت منظمة ايلول الأسود ان تحتكر هذا النوع من العمل . وان تتوسع فيه بحيث اصبح ظاهرة بارزة اعطت لحركة المقاومة طابعا جديدا لم يكن لها في السابق .

قبل ايلول كانت ترفض هذا النوع من العمليات على اساس ان خسائره على صعيد الرأي العام العالمي اكثر من فوائده . كما كانت الجبهة الديمقراطية ترفضه ايضا من خلال موقف نظري يعترض على هذه العمليات من حيث الابدأ ويرى فيها تنمية للزعمة الفردية الخامرة ، كبديل عن زعامة العمل الجماهيري المنظم الواسع النطاق . وحين ساهمت هذه المنظمات بهذا النوع من العمل بعد ايلول لم تقدم له تفسيراً نظرياً ، وان كان هذا التفسير واضحاً من خلال وقائع التضيق المتواصل على نشاط حركة المقاومة ، فحين تمنع حركة شعبية مسلحة من التعبير عن نفسها في ميدان عملها الطبيعي ، وبأساليب القتل المتعارف عليها ، فان توسيع نطاق العمل ، واللجوء الى الاساليب الخاصة ، يصبح نتيجة موضوعية متوقعة . هيل تدعم هذه النتيجة الموضوعية المتوقعة ، بهوقف نظري ؟ وما هي حدود وشروط هذا الموقف ؟ عذا ما لم يطرح للحوار حتى الان في صفوف حركة المقاومة ، وان كانت الجبهة الشعبية قد رأت فيه انتصارا وتعبيرا لوجهة نظرها السابقة .

عملية ميونيخ :

من ضمن هذا السياق جرت مؤخرا عملية ميونيخ ، وجرت الى جانبها عمليات اخرى مماثلة . قبلها انفجرت قنبلة داخل طائرة بوينغ اسرائيلية كانت متوجهة من روما الى فل ايبب يوم ١٦ اب ، ولكنها استطاعت العودة سالمة الى المطار . واعتقل شابان عربيان وجهت لهما تهمة تدبير مذبححة (١٩ اب) . وبعدها استدرج موظف استخبارات في

منذ مجزرة ايلول عام ١٩٧٠ ، ومجزرة جرش في تموز ١٩٧١ ، عاش العمل الفدائي مرحلة من التراجعات ، انتهت بتصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن . وقد انعكست اثار هذا الوضع بشكل مباشر على العمل الفدائي في الاراضي المحتلة ، فتسارعت خطوط اسرائيل في تنفيذ مخططاتها الاقتصادية والسياسية والارهابية في الضفة الغربية ، كما استطاعت ان تتفرغ لوضع مخطط مماثل لقطاع غزة ، بحيث ادى هذا الوضع يجعله الى نجاح اسرائيل في توجيه ضربات فعالة لخلايا المقاومة السرية في الداخل ، اثرت بشكل واضح على مستوى التواجد الفدائي وكفائه . ثم تابعت اسرائيل ضغوطها على لبنان بمسلسل متواصل من الاعتداءات والغارات على قرى الجنوب المدنية ، نتج عنها اتفاق بين السلطات اللبنانية والمقاومة على تجميد النشاط الفدائي المنطلق من لبنان لفترة مؤقتة لم يحدد موعد انتهائها . وقد أبرزت هذه التطورات ازمة عامة احاطت بالمقاومة وكان لا بد لهذه الازمة من ان تعبر عن نفسها بردود فعل مختلفة ، فبرزت اولا « منظمة ايلول الاسود » واعلنت انها ستعمل على تصفية المسؤولين عن المجزرة الأردنية ، وبرزت ثانيا اساليب جديدة في العمل لم تكن مقبولة على نطاق واسع من قبل ، ونعني بها اساليب الاغتيال السياسي (وصفي القتل) وخطف الطائرات (الاسرائيلية والاردنية) ، وضرب المصالح الاقتصادية الاسرائيلية والامبريالية في الخارج (تريستا - ميونيخ) وفي المرحلة التي سبقت مجزرة ايلول ، كانت هذه العمليات (خطف الطائرات والعمليات الخارجية) وقفا على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (باستثناء عملية واحدة للجبهة الديمقراطية في المعرض الصناعي الاسرائيلي بتركيا) . اما بعد مجزرة ايلول ، فقد ساهمت بها بمستويات مختلفة ، كل من الجبهة الشعبية ،

السفارة الإسرائيلية في بروكسل وأطلقت عليه النار يوم ١٠ ايلول ماصيب بجراح .

ثم في صباح يوم الخامس من ايلول اقتحم ثمانية من فدائيي منظمة ايلول الاسود ، مقر البعثة الإسرائيلية في مدينة الألعاب الأولمبية في ميونيخ واحتجزوا ٩ من اعضاءها ، وقتلوا اثنين اثناء عملية الاقتحام . اعطى الفدائيون لعلميتهم طابعها السياسي من خلال التركيز على ما يلي :

١ - أطلقوا على العملية اسم « عملية اقترت وكفر برعم » تضامنا مع تضامنا مع شمال سكان القريتين في فلسطين المحتلة للعودة الى اراضيهم وبيوتهم المقتضية . ٢ - قالت منظمة ايلول الاسود في بيانها الرسمي أن العملية تتفق مع الذكرى الثانية لجزرة ايلول . فهي نوع من اثبات الوجود يمد عمليات التضحية المتواصلة . ٣ - جعلوا مطلبهم الرئيسي ، مطلبنا نضاليا وانسانيا ، حين اشترطوا لاطلاق سراح الرهائن ، الامراج عن ٢٢٠ فدائيا اسيرا في المعتقلات الإسرائيلية ، في مقدمتهم الفدائي الياباني اوكاموتو ، الذي قاد عملية الجبهة الشعبية في مطار اللد . ٤ - طرحوا شعارا رئيسيا للعملية « يا ثوار العالم اتحدوا » .

وخلال سير العملية برز بشكل واضح ، ان الفدائيين يعون تماما درس عملية اللد الاولى ، ويتصرفون بحذر بالغ حتى لا يقعوا في اخطاء مماثلة لخطاء تلك العملية . ففي البيان الذي رموه من غرفة الاجتياز وحددوا به مطالبهم حذروا من الخديعة قائلين ، ان أي خديعة ستعني القضاء على الرهائن ، وان سلطات ألمانيا الغربية ستكون المسؤولة عن ذلك ، وستكون مصالحها فيما بعد هدفا لاعمال المنظمة . وطمعا للوتوع في احابيل أي مناورة اعلنوا ايضا انهم لن يتفاوضوا حول مطالبهم . وحددوا مهلة واحدة للانذار مهددين بانهم سيقتلون رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم . وبيتوا بالاضافة الى ذلك ، ان لديهم تصورا تفصيليا لجرى العملية يقوم على احتمالين :

الاحتمال الاول : ان تستجيب اسرائيل لمطالبهم ، وفي هذه الحالة ينقل الاسرى الفدائيون الى أي عاصمة عربية باستثناء عمان (بلد النظام العميل) وبيروت (لاسباب أمنية) . وبعد وصول الاسرى يتم التفاوض لتسليم الرهائن ، وخروج الفدائيين من ألمانيا بطريقة تضمن سلامتهم .

الاحتمال الثاني : ان ترفض اسرائيل الاستجابة لمطالبهم ، وفي هذه الحالة يطالبون نقلهم مع رهائنهم الى عاصمة عربية ، محددين اسلوب النقل بشكل تفصيلي ، وهو ما نفذ بالفعل ، حين تم نقلهم حسب طلبهم الى ثلاث طائرات هليكوبتر حطت في مدينة الألعاب الرياضية ، واقلتهم الى مطار عسكري كانت تنتظرهم فيه طائرة ركاب عادية .

وتنفيذا لرفض التفاوض حول مطالبهم ، لم يستجب الفدائيون الى عرض الماني باطلاق الرهائن مقابل مبلغ غير محدود من المال ، كما انهم لم يستجيبوا لعرض اخر باستبدال الرهائن الاسرائيليين برهائن من المسؤولين الالمان . والتغييرات التي ادخلها الفدائيون على خطتهم تمثلت في امرين :

الاول : قبولهم تمديد فترة الانذار بناء على وساطة من السفير التونسي .

والثاني : عدم تنفيذ ما هددوا به بقتل رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم .

الا ان هذه التغييرات لم تؤثر على تكتيكهم من تنفيذ خطتهم بنجاح ، حتى اللحظة التي تدخل فيها عامل حاسم لا حيلة لهم فيه ، وليس من الممكن الاحتياط له . فالاتصالات التي تمت بين المانيا واسرائيل اسفرت عن اتفاق بينهما ، اعلنت فيه اسرائيل رفضها بأي شكل من الاشكال الموافقة على اطلاق سراح اي اسير فدائي ، واصرارها على اعداد كمين لاطلاق سراح الرهائن حتى لو أدى الامر الى مقتلهم ، واقترحت تطبيق الخطة نفسها التي نفذها دايان قبل اشهر في عملية اللد الاولى ، والتي تقوم على ملاحظة الفدائيين حتى الليل ، ونقلهم الى مكان فسيح ، وتسليط الاضواء الكاشفة عليهم ، واقتناصهم فور نزولهم من طائرات الهليكوبتر . وقد نفذت هذه الخطة على ارض المطار العسكري القريب من ميونيخ ، ولكن الاشتباك أدى الى مقتل الرهائن التسعة ، ومقتل خمسة فدائيين ، واعتقال ثلاثة منهم كان احدهم مصابا بجراح خطيرة ادت الى بتر ساقه . وبذلك يكون العناد الاسرائيلي ، والانتصاع الالمني لهذا العناد هو المسؤول الحقيقي عن جزرة المطار ، بينما كانت نجاة الرهائن مؤكدة فيما لو تم نقلهم الى أي عاصمة عربية ، اما من خلال بقائهم احياء كاسرى ، او من خلال موافقة اسرائيل على مبادلتهم ، ولكن موقف اسرائيل كان يتلخص من رفض تقديم اي تنازل ، حتى لو أدى ذلك الى

مقتل الجميع . وتهربا من تحمل مسؤولية المجزرة ،
اشاع المسؤولون الالمان في اليوم التالي (٦
ايول) ان الفدائيين هم الذين بدأوا اطلاق النار ،
ثم عادوا واعترفوا بتدبير الكمين وبمسؤوليتهم عن
بدء الاطلاق .

ردود الفعل :

* كان رد الفعل الاعلامي الاسرائيلي التركيز المكثف
على تصوير العملية على انها عملية وحشية
وهجية ، وسعت من خلال هذه الحملة الاعلامية
الى استصدار ادانة عالية ، ليس للعملية فقط ،
بل ولحركة المقاومة الفلسطينية ايضا ، ثم عززت
اسرائيل حملتها الاعلامية بحملة دبلوماسية
مماثلة ، حين اصدرت جولدا مئير بيانا بعد اجتماع
للوزارة الاسرائيلية ، دعت فيه حكومات العالم
الى اتخاذ اجراءات اكثر فعالية ضد الفدائيين .
ولكن مقارنة بسيطة بين موقف فدايئى ميونيخ
وموقف حكومة اسرائيل ، يكشف بوضوح كامل ان
التصرف الوحشي والهجى انما تجسد في قرار
الحكومة الاسرائيلية ، وفي الموافقة الالمانية الغربية
على ذلك القرار ، بمطلب الفدائيين باطلاق سراح
رفاقهم المعتقلين مطلب نضالي وانساني ويضمن
أرواح الرهائن . بينما اصرار اسرائيل على رفض
الاستجابة لهذا المطلب ، ادى الى مجزرة حقيقية
في مطار ميونيخ العسكري ، مقابله التمسك بعدم
تقديم اي اعتراف بالفلسطينيين ، من خلال الرضوخ
لاي مطلب من مطالبهم ولعل اوضح دليل على أن
موقف اسرائيل كان هو النهجى بعينها وليس موقف
الفدائيين ، ما تضمنه البيان الوزاري الاسرائيلي
نفسه ، من امتداح وتقدير لموقف الحكومة الالمانية ،
لانها وافقت على الخطة الاسرائيلية ، وقفذت كمين
المطار : متجاهلة ان كمين المطار لسم ينقض
الرهائن .

اما رد الفعل الاسرائيلي على صعيد الاجهزة
الرسمية ، فقد تمثل بالاجتماع الطارىء الذي عقده
الوزارة الاسرائيلية فور الحادث ، والذي اعقبته
ثلاثة اجتماعات هامة . الاجتماع الاول هو اجتماع
الكنيست حيث الفت جولدا مئير خطايا حول الحادث
اعلنت فيه مطالب الفدائيين ، ومطلبت السدول
بالتدخل .

الاجتماع الثاني عقده جولدا مئير مع كبار
مستشاريها السياسيين والعسكريين .

الاجتماع الثالث عقده وزير الدفاع موشي دايان
مع مستشاريه العسكريين . وعلى الفور شاع
في الاوساط الصحافية والسياسية الدولية جو
يتوقع ان تقوم اسرائيل بهجوم عسكري واسع على
سوريا ، وباحتمال قيامها بهجوم مماثل على لبنان .
وساعد على انتشار هذا الجو ، تركيز الاعلام
الاسرائيلي قبل اسبوعين من حادث ميونيخ على
ان سوريا رفعت من درجة دعمها للفدائيين ،
وعلى ان العمليات الفدائية المنطلقة من الاراضي
السورية قد ازدادت بشكل ملحوظ . وفي الاجتماع
الثاني للوزارة الاسرائيلية يوم (٦ ايول) ، قال
البيان الصادر عن الاجتماع ان اسرائيل ستواصل
حربها ضد المنظمات الفدائية ، ولن تعفى الذين
يساعدون اعمال الارهابيين او يحرضون عليها من
المسؤولية .

* أما ردود الفعل على الصعيد الدولي ، فقد كان
أبرزها موقف المانيا الغربية نفسها التي تصرف
كطرف اسرائيلي ، وليس كدولة مسؤولة تسمى
لايجاد حل مرض للمشكلة العالقة فوق اراضيها .
فعلى الفور ، استنكر كل من رئيس الجمهورية ،
والمستشار برانت العملية بشدة ، وعقدت الحكومة
الالمانية اجتماعا طارئا ، طاربعده برانت للاشرف
بنفسه على الخطة المضادة ، واقيم اثناء ذلك
خط اتصال مباشر بين ميونيخ والقدس . أما خارج
المانيا فقد بعث برانت برسالة الى جولدا مئير يؤكد
فيها ان حكومته ستبذل كل جهوده لاطلاق
الاسرائيليين المحتجزين ، كما بعث برسائل الى
الحكام العرب يطلب منهم فيها التدخل لايقاف
العملية ، واستغل هذه الرسائل فيما بعد ليحمل
مصر مسؤولية المجزرة ، قائلا انها رفضت استقبال
الفدائيين ، وانها لو قبلت ذلك لأمكن انقاذ الرهائن .
وقد ردت مصر على ذلك قائلا انها لم تكن قادرة
على استقبال الفدائيين قبل أن يتم الاتفاق معهم
على الحل . ولكن الغريب في الامر ، انه في
الوقت الذي كان فيه برانت يجري هذه الاتصالات ،
كان الاستعداد لكمين المطار يسير في طريقه
المرسوم . ويؤكد هذا ان هدف برانت من وراء
افتعال أزمة مع مصر ، مواجهة الضغوط السياسية
الداخلية التي اثارها حادث ميونيخ ، وسعت
المعارضة مباشرة للاستفادة منها لصالحها .

وشكل موقف الولايات المتحدة موقفا اخر بارزا في
ردود الفعل الدولية ، لم يقتصر على بياني استنكار

بمؤامراتهم الصارخة، يتكلمون، ولا يملكون، فقال
أخذته مجلس الشيوخ بالإجماع يدعو إلى عرض
عتوبات اقتصادية على الدول التي تمنح المأوى
لنظمات مثل « منظمة ايلول الأسود » ، بل تجاوز
الموقف الأمريكي كل ذلك ، ليدعو نيكسون يوم ٦
ايلول إلى تنظيم عملية قمع دولية لنشاطات
العدائين ، وليقوم وزير خارجيته في اليوم التالي
بمباشرة ، بتنظيم برنامج اتصالات مع اربعين دولة
لبحث الموضوع .

أما موقف الاقتصاد السوفياتي فقد تمثل في
البداية بإذاعة نبأ العملية دون أي تعليق .
ثم صدر التعليق الأول عن الأوساط الرياضية
السوفياتية التي اعربت عن أسفها للحادث . وفي
١٠ ايلول قالت التحليلات الصحفية السوفياتية
« بأن الرجعيين العرب وعلاء اسرائيل يتمدون
دفع الفلسطينيين إلى ارتكاب اعمال متطرفة كعملية
ميونيخ » .

* زدود الفعل على الصعيد العربي الرسمي
تبرزت بالحذر بشكل عام ، فلم تؤيد العملية ولم
تستنكرها . وتدمت معظمها تنسرات لظروف الظلم
التي تدفع الفلسطينيين لاتباع كافة الوسائل لاسماع
صوتهم للعالم . ولكن برزت بالرغم من ذلك عدة
أصوات معارضة . فقد استنكر الملك حسين العملية
في برقية بعث بها إلى برانت ، ووصفها بأنها جريمة
ومخزية . وأعلن مكتب الجامعة العربية في يون
عن الاسف العميق للحادث ، وقال في بيان له أنه
لا يقر كل أعمال الارهاب . وصرح حسين هيكل
في روما قائلاً ان فدائيي ميونيخ يعيشون في
الماضي .

* على صعيد حركة المقاومة لم يصدر اي بيان
رسمي حول الحادث . واكتفت دائرة الاعلام
بالقول رداً على اسئلة الصحفيين بأن منظمة ايلول
الاسود لا علاقة لها بمنظمة التحرير الفلسطينية ،
وصدرت نشرة « وما » دون أي نيا عن العملية .
وحين تحدث السيد ياسر عرفات يوم ٦ ايلول في
افتتاح مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين لسم
يشير إلى الحادث . أما صوت النشاز الوحيد فقد
صدر عن السيد سعيد حماني ، مسؤول الاعلام
في مكتب الجامعة العربية بلندن ، الذي استنكر
العملية ، ونفى ، في جو الاستنكار ، وجود اي
علامة لايلول الاسود بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وككلاصة المثال الاستمرار في الاتباع عملية ميونيخ
يمكن ان تسجل الملاحظات التالية :

١ - على الصعيد الرسمي الدولي كان الاستنكار
شبه شامل للعملية . ولكن لوحظ انه كان هناك
بالإضافة إلى ذلك تركيز واضح ، في التصريحات
وحتى في الصحف اليمينية الكبرى ، على الارهاب
والظلم الذي احاق بالشعب الفلسطيني ، وأنه
سبب هذا النوع من العمل . وكان هذه المواقف
تريد أن تنبه إلى ضرورة إيجاد حل لمشكلة الشعب
الفلسطيني . ٢ - على الصعيد الإسرائيلي برز
الاصرار على رفض تقديم اي تنازل حتى لو كان
ثمنه مقتل رعايا إسرائيليين . ولكن الأهم من
ذلك كان بروز فكرة مواجهة « الشعب »
الفلسطيني ، وليس منظمات المقاومة فقط ، حيث
وردت إشارة واضحة لذلك في بيان جولدا مئير
يوم الثلاثاء ١٢ ايلول ١٩٧٢ . ٣ - أما على
صعيد النتائج السياسية للعملية ، فقد أدت إلى
وضع علامة استفهام كبيرة حول اي احتمال
لنشاطات التسوية السياسية . فقد قال ايهان وزير
الخارجية الإسرائيلية « لقد خلقوا وضعا جعل
« السلام » بعيدا عن تفكري اليوم » . وقالت
مصادر مطلعة في لندن ان أحداث ميونيخ كانت
ضربة قاسية لإمكانات التسوية السياسية . وعلقت
الصحف الجزائرية فقالت ان دراما ميونيخ وضعت
حلمة مصر الدبلوماسية في أوروبا الغربية موضع
الشك .

والإن ... هل توقفت ذبول حادث ميونيخ عن
التفاعل ؟ على صعيد العملية نفسها ، فمسئ
العدائين الثلاثة المعتقلون أمام المحكمة يوم السابع
من ايلول ، حيث رفضوا الإدلاء بمعلومات عن
رفاقهم الذين استشهدوا ، وتمسكوا بصمت شبه
كامل . وفي اليوم نفسه تلقت الحكومة الألمانية
تحذيرا من منظمة ايلول الأسود ، بأنها ستنتقم
إذا لم تسلمها جيش العدائين الخمسة ، والمعتقلين
الثلاثة ، وبينما طالبات تونس يوم ٨ ايلول تسليمها
جيش العدائين ، إلا انها عادت وسحبت طلبها ،
لتفسح المجال امام وفد ليبي وصل إلى المنيا
للتفاوض حول الموضوع . وقد سلمت الجثث إلى
الوفد الليبي ، حيث تم تشييمهم في ليبيا بخزان
شعبي ضخم .

العدوان الإسرائيلي :

أما على صعيد النتائج العسكرية للعملية فقد

الدوليين في لبنان ثلاثة تقارير الى الأمم المتحدة تؤكد وجود قوات اسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية (١٦ آب) . أما سوريا فقد تعرضت قبل اسبوعين من عملية ميونيخ ، لحملة اعلامية واسعة ، ركزت على ازدياد نشاط الفدائيين من الأراضي السورية بدعم وتشجيع من السلطات المعنية فيها . وقد كانت هذه الحملة مكثفة الى الحد الذي دفع المرسلين الصحفيين الاجانب كافة ، الى الحديث عن احتمال قيام اسرائيل بهجمات ضد سوريا ، قبل وقوع عملية ميونيخ .

وعلى اساس هذه الوثائق يمكن القول ان اسرائيل كانت ترتب سلفا سلسلة من الاعتداءات على سوريا ولبنان وتواعد المقاومة ، ثم تفرغت بعملية ميونيخ لتنفيذ اعتداءاتها . لتظهر وكأنها رد عليها ، هذا اذا تجاهلنا الربط الاسرائيلي غير المنطقي بين عملية الفدائيين الفلسطينيين في ميونيخ ، وبين ضرورة ضرب مواقع مدنية في سوريا ولبنان .

النشاط الفدائي :

لاحظ المراقبون باهتمام تمكن المقاومة من تجديد عملياتها في الأراضي المحتلة وفي اسرائيل نفسها ولو بشكل محدود . وراوا في تجديد العمليات هذا احتمال الخروج عن النطاق المحدود الى نطاق اوسع ، كما راوا فيه مسا اوليا باجراءات القمع الارهابية العديدة التي نفذتها اسرائيل بشكل مكثف منذ ايلول ١٩٧٠ . ففي ٢١ آب عشر البوليس الاسرائيلي على قنبلة موقوتة وضعها شاب من منطقة ناتانيا شمال تل ابيب . واعطى بعض الشهود اوصاف الشاب ، حيث جرت حملة امتحانات وتفتيش في المناطق المجاورة ، وفي ٢٥ آب وقع في غزة اول هجوم فدائي ، بعد اشهر من الصمت (حسب تعبير وكالات الانباء) ، اعلنت اسرائيل على اثرها تخفيف حجم قواتها في القطاع . والقيت في الهجوم قنبلة يدوية على سيارة اسرائيلية عسكرية . وفي ٢٦ آب اغلن ناطق باسم المقاومة مقتل طيار اسرائيلي اثناء وجوده في منطقة الجليل الاملى . وفي ٢٨ آب قام الفدائيون في غزة بهجوم ثان ، حيث القيت قنبلة يدوية ، قالت السلطات الاسرائيلية انها لم تحدث اي اصابات . وعلى اثر هذا الحادث قالت مصادر مطلعة في اسرائيل ان السلطات تخشى تزايد نشاط الفدائيين بعدما تلقت معلومات تفيد بان المنظمات اعادت تنظيم نشاطها للقيام بهجمات جديدة ضد اسرائيل . وبالفعل قام

قائم اسرائيل يوم ٨ ايلول بشن سلسلة من الغارات الجوية الوحشية على عدد كبير من المخيمات والقرى ، استهدفت السكان المدنيين بالدرجة الاولى . وشمل العدوان الاسرائيلي كلا من لبنان وسوريا . ففي لبنان اغارت الطائرات الاسرائيلية على مخيم نهر البارد وعلى قرية الرفيد وعلى قرية راشيا الوادي . وقتل في هذه الغارات نحو ٢٠ شخصا وجرح نحو اربعين ، كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي سوريا اغارت الطائرات الاسرائيلية على موقعي المطار وبرج السلام في المنطقة الساحلية الشمالية ، وعلى قرية الهامة قرب دمشق ، والكفر ، ومخيم لاجسي القنيطرة السوريين في منحم الجولان ، ومخيم قرية المزييب ، ومستط الجولان ، والسويداء . وقتل في هذه الغارات اكثر من ٢٠٠ شخص وجرح عدد مماثل ، وايضا كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي الاردن ، اصاب بعض الطائرات الاسرائيلية اثناء تصنها لسوريا ، قرية اردنية في قضاء مدينة اربد أدت الى مقتل ١٨ مدنيا وجرح ١٧ . وفي المياه القريبة من مدينة صور اغرقت اسرائيل زورقا للمقاومة قتل فيه خمسة من الفدائيين (٩ ايلول) . وقد قامت الطائرات السورية بهجوم مضاد يوم ٩ ايلول على المواقع العسكرية الاسرائيلية ، تلقتها اشتباكات جوية ، خسرت فيها سوريا ثلاث طائرات ، كما خسرت اسرائيل ثلاث طائرات ايضا . وفي اليوم التالي (١٠ ايلول) علم ان اسرائيل وضعت قواتها في حالة تأهب قصوى على طول الحدود مع لبنان وسوريا ، وسط جو يوحي بانها تستعد لعمل عسكري كبير . وعند انتهاء الغارات وصف ناطق اسرائيلي ما حدث قائلا ان هذه العمليات كانت « اهم عمليات قام بها الطيران الاسرائيلي » ، وادى انها كانت موجة ضد قواعد الفدائيين . وقد سعت اسرائيل بجميع الوسائل لظهور هذه الهجمات البربرية على انها رد على عملية ميونيخ ، ولكن الوثائق تظهر عكس ذلك تماما . اذ ان لبنان كان طوال الشهر الماضي عرضة لعمليات استفزاز اسرائيلية متواصلة ، تمثلت باختراق اسرائيل المتواصل لمجاله الجوي ، وليناهه الاقليمية ، والاستمرار في احتلال بعض المواقع داخل اراضيه . فقد حلقت الطائرات الاسرائيلية فوق الاجسواء اللبنانية للاستكشاف والتصوير بشكل يومي منذ ١٤ آب وحتى ٢ ايلول . وتقدم مراقبو الهدنة

الغدائيون بعد ذلك بعملية عسكرية أخرى في غزة (٢٠ أيلول) ، ظلتها أبرز عمليات القطاع في الشهر الماضي وأكثرها دلالة سياسية ، وتعني بها محاولة اغتيال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة . قام بالحاولة ثلاثة أشخاص ، ولكنهم لم يتمكنوا من اصابعه . وقد أعلنت المقاومة مسؤوليتها رسمياً عن الحادث ، بينما نددت حكومة عمان به . والجدير بالذكر أن هذه المحاولة جرت بعد فترة قصيرة من عودة الشوا من عمان ، وإعلانه هناك موافقته على مشروع الملك حسين ، واستعداده للسير تحت « قيادته الحكيمة » ، وإعلانه عن استفتاء سيجري في غزة لتقرير مصر القطاع بعد الوصول إلى اتفاق صلح بين الأردن وإسرائيل . وقد أثار هذا الموقف في حينه رفضاً شعبياً عاماً في القطاع ، مير عن نفسه بأكثر من صورة ، كانت آخرها محاولة الاغتيال . وبذلك برهنت الجماهير في قطاع غزة أنها قادرة على تقديم المزيد من الصمود والعباء ، رغم كل إساليب القمع والإرهاب التي مورست هناك ، وأطمأنت السلطات الإسرائيلية بعدها أن الهدوء قد أصبح سيد الموقف .

وقد لوحظ أن تجدد النشاط الغدائي ترافق مع عودة إسرائيل إلى الإعلان من جديد عن محاكمات للغدائيين المعتقلين منذ فترة طويلة ، وذلك لتكثير الجميع بسنبل المحاكمات السابقة كله . ففي نابلس أصدرت محكمة عسكرية حكماً بالسجن مدى الحياة على الغدائي سليمان العلان ، الذي يبلغ من العمر ٢٧ عاماً ، ووصفته بأنه المسؤول المحلي للجهة الشعبية في مدينة نابلس ، وكان قد اعتقل في عام ١٩٧١ وفي غزة حكم غدائي آخر من الجهة الشعبية بالسجن ٢٠ عاماً ، وكان أيضاً قد اعتقل في وقت سابق من العام الماضي .

العلاقات الداخلية بين المنظمات :

برزت أثناء الشهر الماضي أزمة في العلاقات الداخلية بين المنظمات الغدائية ، دارت حول موضوع الوساطة بين المقاومة والأردن . ظهر أول ثبا حول موضوع الوساطة يوم ١٢ آب في الصحافة الكويتية حيث سألت صحيفة « الرأي العام » أن لزيارة السيد عمر المسكاف وزير الخارجية السنودي إلى القاهرة وبيروت علاقة بالجهود المبذولة لتحسين العلاقات بين الأردن والبلاد العربية ، وأن هناك مشروعاً سعودياً أردنياً يشتمل

على إحياء الجبهة الشرقية وإعادة الغدائيين إلى الأردن ، على أساس أن يتمتعوا بحقوق كالتي لهم في لبنان . وفي ١٩ آب وردت أخبار من تونس تقول أن السعودية تفضل بالتعاون مع مصر جهوداً لتحسين العلاقات بين الأردن وحركة المقاومة . وفي اليوم نفسه الذي أعلن فيه هذا الثبا أعلن أن السيد ياسر عرفات الذي كان قد وصل تونس قادماً من ليبيا يوم ١٧ آب ، قد عقد اجتماعين الأول مع الأمير محمد بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ، والثاني مع الأمير محمد والرئيس التونسي بورقيبة . وفي اليوم الثاني أصدرت أربع منظمات غداثية (الصاعقة - الشعبية - الديمقراطية - جبهة التحرير) بياناً موقفاً باسماء ممثلها في اللجنة التنفيذية ، يعتبر اتصالات الوساطة مخالفة تنظيمية ، وقضية لا يجوز لأحد أن يتفرد بها . ولكن السيد كمال ناصر نفي في ٢١ آب أن تكون المقاومة مهتمة بمساهمي الوساطة بينها وبين الأردن وقال « أن هذا الكلام خارج عن اهتمامات الثورة الفلسطينية لأن موقفنا من النظام الأردني واضح في مقررات المؤتمر الشعبي » .

ثم أصدر كمال ناصر في ٢٢ آب بياناً انتقد فيه بيان المنظمات الأربع ، قائلاً أن هذا التصرف يشكل تجاوزاً لصلاحياته كناطق رسمي ، مما يجعل منه مخالفة تنظيمية ، ستؤدي إلى ضرب الوحدة الوطنية . وولد هذا الجو كله أزمة واضحة في العلاقات الداخلية ، زاد من حدتها حديث صحفي أدلى به السيد نايف حواتبه الأمين العام للجبهة الديمقراطية يوم ٢٦ آب . قال فيه أن هناك وساطة سعودية تحظى برضاء مصر ، وأن الوساطة ليست أمراً جديداً ، بل بدأت قبل ستة أشهر . وأتهم جناحاً محدداً في إحدى فصائل المقاومة (دون أن يسميه) بأنه ضالع في هذه العملية . وقال حواتبه في حديثه أن السفير أنور الخطيب الذي يلعب دوراً رئيسياً في الحوار بين عمان وزعماء الضفة الغربية ، يصر على مشاركة عناصر معتدلة من المقاومة في أية تسوية سياسية مع إسرائيل ، بينما يرفض الملك حسين مبدأ إشراكهم . وأضاف يقول أن حركة المقاومة رفضت التسويات السياسية من حيث المبدأ ، ولكن الرفض المبدئي لا يكفي ، بل لا بد من طرح برنامج للعمل المرحلي يقدم للجماهير إجابات واضحة على مختلف القضايا لتتنازل على أساسها . وطالب بالالتزام العملي بالبرنامج الذي أقره المؤتمر

تبه « برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة طابعها الرئيسي التركيز على محاولات أحداث شق في حركة المقاومة عموماً وفي حركة فتح خصوصاً ... واعتبرت هذه المحاولات على اختلافها ما يخلفه البعض من تحليلات يقيمونها على أخبار ملفقة ترددها القوى المضادة للثورة . أن كل هذه المحاولات محكوم عليها بالفشل ... وستظل حركة فتح صفا واحدا كما كانت دائماً ... وأن جميع المناضلين في فتح وقيادتها ... هم في موقع تضال واحد » .

ثم عاد السيد كمال ناصر واثار مشكلة أخرى مع السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، وذلك اثر تصريح للسيد خالد الحسن في القاهرة ، نفي فيه وجود خلاصات داخل حركة فتح ، رد عليه كمال ناصر ببيان اتهمه فيه بخرق الوحدة الوطنية وارتكاب مخالفة تنظيمية قائلاً ان خالد الحسن (عضو قيادة فتح) ليس الجهة المكلفة نفي وجود خلاصات داخل فتح . و اضاف ان كافة المخالفات ستقدم الى اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني ليتحمل اصحابها مسؤولياتهم كاملة امام القيادة العليا والشعب . وهكذا اثارت هذه الخلاصات ازمة ملحوظة ، اثيرت في اجتماع اللجنة التنفيذية بدمشق يوم ٣ ايلول ، ولكنها عولجت بشكل ودي ملحوظ ادى الى تخفيف كبير في نتائجها . ثم جاءت تطورات الاحداث السياسية والمسكرية فخلقت بين المنظمات جوا داخلياً مغايراً .

ب . ح .

التسهي ، وبمجاز وحدة وطنية ديمقراطية لا تقوم على أساس التهم والالحاق ، والاستفقد المقاومة دورها الوطني والثوري . وتجد نفسها على هامش الحزب الفلسطيني . وقد رد السيد كمال ناصر ببيان حاد للهجة على تصريح حواته ، وقال في زده ان الحديث بشكل خرقاً لماضها الميثاق واجراءات الوحدة الوطنية ، وانه ظاهرة انشقاقية تستفيد منها القوى المضادة ، وانه يشكك بأبسط مفاهيم الثورة التي لم تكف بالرفض الكلامي للتسويات السياسية ، بل تعرضت للذبح في الاردن بسبب ضوؤها . واضل السيد كمال ناصر يقول أن المقاومة ليست بحاجة لمن ينظر لها ، وانها ستحاول تطوير نتائج الحديث ، وان دائسة الاعلام ستطلب تجسيد عضوية الجبهة في جهلزم الاعلام الموحد . وفي اليوم نفسه ردت الديمقراطية ببيان آخر قالت فيه ان كمال ناصر يفهم الاعلام الموحد ، كما للانواء ، واخراساً للاموات التقدمية، وان مجلس الاعلام الموحد لا علم له ببيان كمال ناصر ، ولم يناقش اقتراحا بتجديد عضوية الجبهة الديمقراطية فيه .

وقد اجرت اذاعة فلسطين في القاهرة حديثاً مع السيد ياسر عرفات يوم ٢٨ آب ، نفي فيه وجود وساطة بين المقاومة والملك حسين ، وقال ان هناك بعض الناس الذين يتصلون معارك وهمية على طريقة دون كيشوت ، وكشف النقيب عن ان الملك حسين ارسل وفداً الى مصر وسوريا للوساطة ، وانه رفض الاتصال بالوفد . ثم ادلى السيد ياسر عرفات بتصريح آخر في القاهرة يوم ٢٥ آب قال

الشرط الوحيد» (الاسبوع العربي، العدد ١٩٢، ٧٢/٩/١١). وظلت الولايات المتحدة، خلال الستين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار.

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو امريكا واوروبا تحرك تونسي - سعودي في اتجاه امريكا والقرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى. ومن هنا تتضح ابعادا التحرك السياسي المصري. انه تحرك ضمن دائرة معينة، هي دائرة البحث عن حل «سلمي». وهو تحرك نحو الخارج، جزء من الخارج. لا نحو الخارج كله. لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب، ولم تعط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعا خوف ان يحل التنين محل الدب).

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة «الشد والارخاء» التي تمارسها منذ حرب حزيران: فاعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة، او مفاوضات عن كذب في جزيرة رودوس، على ان تكون مفاوضات سرية، وعلى ان يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحيات اتخاذ القرار (الاسبوع العربي، المرجع السابق). وسارت الدبلوماسية «الاسرائيلية» على الطريق ذاتها، فقدمت خطوة الى الامام، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة، واصلت دايم ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء، اذ قال يوم ٨/١٧ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركاب: «ان مفتاح الحدود الامنة كامن في صحراء سيناء... ففي صحراء سيناء يمكننا ان نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل، يعطي للمناطق الاهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا».

لقد باتت الدبلوماسية الاميركية و«الاسرائيلية» تلعب الان، ومنذ قرار انتهاء خدمة الخبراء والمدرسين السوفيات ورقة المفاوضات المباشرة. المفاوضات المباشرة الان هي المطلب الاساسي. ولهذا فان ايبان قد اعلن (٧/٨/٧٢): «ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة». وضرت تصريحات مماثلة عن ساسة كبار من سياسة الولايات المتحدة، مثل ملفين ليرد وزير

لقد اكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق، دار النقاش حولها وما زال يدور. ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي كانت تسد وجه الاتق. واهم هذه الحقائق الثلاثة، نطرحها فيما يلي:

اولا: ان السياسة المصرية التي تادت الى اتخاذ قرار انتهاء مهمات الخبراء والمدرسين السوفيات، باسم الخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب، بات واضحا ما ترمي اليه. لقد انتهت حالة الاحرب، وابقت حالة اللاسلم وحدها. انها هنا، ومن الطرف العربي فقط، ابقت الباب نحو «السلام» مفتوحا، وسدت الطريق على الحرب، ذلك ان القرار المصري اعطى ميزات استراتيجية لدولة الاحتلال الصهيونسي بسحب الخبراء والمدرسين والطيارين وبعض الاسلحة المتقدمة، وبتعقيد امر التعاون العسكري والسياسي مع الاتحاد السوفياتي. كما انه قدم خدمات استراتيجية جلى للولايات المتحدة من طريق انتهاء التسهيلات المصرية للبحرية السوفياتية في المتوسط. وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجسه نحو اوربيا، ومناشدتها المساعدة على اقرار «السلام» في المنطقة. وبدأت تبرز توجهها الفعلي نحو «السلام» من خلال التحرك السياسي الذي اعلنت عنه. وهذا التحرك السياسي اثار اليه الرئيس السادات مرارا، وفكرت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس الشعب يوم ٨/١٧ قائلا: «ان ما نحتاج اليه الان هو التصحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول غير المتحازة والدول العربية». ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه الولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول العربية. وكان هذا طبيعيا، لان قرار انتهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا. لقد قال كينسجر قبل ستين: «لتحدث بصراحة... تريدون مباداة اميركية فعالة لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث... هذا هو الشرط... واكرر هذا هو

المباشرة . والهدف من المفاوضات المباشرة هو التسليم الكامل .
ان الحقيقة الاولى التي تؤكدتها الاحداث في الشهرين الاخيرين هي ان كل تراجع سياسي أمام « اسرائيل » والولايات المتحدة يقود الى تراجع وان استمرار هذه السياسة لن يقود الا الى الاستسلام . وعلينا ان نوقف مهزلة التراجعات هذه .

ثانيا : ان عملية ميونيخ التي قامت بها منظمة ايلول الاسود قد اثبتت بما لا يدع مجالا للشك بطلان حملة التضليل التي استمرت خلال الشهرين الماضيين ، والتي انطلقت من ان الوجود العرقي للعامل الفدائي يعطي كل الجبررات لعمليات الانتقام من العدو . قالوا لنا : ان العودة الى السرية هي التي تحرم العدو من جبراته . ومع اننا كنا نعلم ان هذا وهم . وهو ما أشرنا اليه في حينه (شؤون فلسطينية ، العدد ١٢) الا اننا اضطررنا للدخول في مناقشة حول الموضوع . لقد كنا نعلم ان الدعوة الى العودة الى السرية ليست الا مبررا لانهاء وجود الثورة . وان العودة الى السرية لا تمنع العدو من الانتقام . ولقد جاءت عملية ميونيخ ، فأكدت ما ذكرناه سابقا . أكدت ان دولة الاحتلال الصهيوني تريد امرا واحدا ، هو ان يصيب الشعب الفلسطيني الى الابد . وفي سبيل ذلك هي مستعدة لعمل كل شيء دون رادع أو وازع . ودولة الاحتلال عندما تعجز عن مواجهة العمل الفلسطيني المسلح ، تلجأ الى دفع السدول العربية على طريق تصفية المقاومة الفلسطينية . هذا ما فعلته في الأردن ، وهذا ما تحاول فعله الان في سورية ولبنان . لقد أعلن قادة دولة الاحتلال الحرب على العمل الفدائي اينما كان . . وقالت جولدا مئير : « مستعمر اسرائيل في حريها ضد منظمات « الارهاب » ولن تعفي من يتساعد هذه المنظمات من تبعية عمليات الفدائيين » (البلاغ ، العدد ٣٦ ، ٧٢/٩/١١) ، وشنت دولة الاحتلال هجماتها ، بعد التهديد ، على سورية ولبنان . وما زالت تهدد بشن هجمات أخرى . وتميش المنطقة في هذه الايام جوا من القلق والفزع . ان دولة الاحتلال تطالب بسحق وجود المقاومة ، فاذ لم تتم الدول العربية المعنية ، بهذه المهمة قامت بها دولة الاحتلال . وهكذا لا تكون المقاومة وحدها مهددة ، ان استقلال الدول العربية بات مهددا . وعلى الدول العربية ان تختار

الدماغ وويليام روجرز وزير الخارجية ، وفي التواريخ عينها ٨/٧ ، ٨/١١ مثلا . واستخلصت سياسة تل ابيب وسياسة واشنطن درسا جديدا ، مما حدث . لقد استطاعت ان تتأكد بان مزيدا من التشدد ازاء العرب يقود الى مزيد من التراجع . وهذا ما عبر عنه بيجال آلون نائب رئيسة الوزراء بقوله يوم ٨/٧ : « ان واشنطن تعلمت في السنتين الماضيتين ان التشدد يؤدي الى نتائج حسنة في هذه المنطقة ، فقد كانت الولايات المتحدة تسمى منذ سنتين لحمل اسرائيل على دفع اي ثمن مقابل وعد من الرئيس السادات باخراج السوفيات ، ولكن اسرائيل لم تتجاوب ، وتبين بعد ذلك انها على حق ، حيث خرج السوفيات بدون ثمن » . وهذا الدرس يعزز سياسة العصا الغليظة التي تنتهجها تل ابيب وواشنطن . ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة واصلت تقديم الاسلحة لدولة الاحتلال الصهيوني ، حتى بعد قرار اثناء خبرات السوفيات . وهذا يكشف التضليل الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة في السابق ، لتبرير امداد دولة الاحتلال الصهيوني بالاسلحة ، كما يكشف الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة ، هذه الخطة القائمة على اساس استمرار التفوق العسكري « الاسرائيلي » في كل الظروف .

ولا بد من الاشارة هنا الى ظاهرتين من ظواهر سياسة التوجه نحو « السلم » . الظاهرة الاولى ، وتتعلق بالقرار الذي اتخذته دولة الاحتلال الصهيوني بتخفيض مدة التدريب ثلاثة اشهر . « وقد اوضحت السلطات العسكرية والسياسية الاسرائيلية ان الاسباب الواقعية لهذا الاجراء - وهو الاول من نوعه منذ العام ١٩٦٧ - هي « التحولات الايجابية » التي طرأت على الجبهات العربية مع اسرائيل (الدستور ، العدد ١٠٠ ، ٧٢/٩/١١) . الظاهرة الثانية هي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة وبعض العواصم الاوروبية . وزيارة من هذا النوع لا يمكن ان يشك بان لها اهداما قويا (السلم) .

ولذلك يجري الحديث في هذه الايام عن « حل » يشمل الجبهة المصرية والاردنية ، ويستثنى الجبهة السورية . وهذا الحل يمسى خلا جزئيا ، بينما هو في الواقع خطوة نحو الاستسلام الكامل . ويات واضحا ان قادة دولة الاحتلال قد خيروا من لهجتهم ، بعد القرار المصري ، فانهم بدأوا لعبه « الشد والارخاء » من جديد . الهدف الان هو المفاوضات

بين أن تكون أداة في يد دولة الاحتلال أو تكون
دولة مستقلة لها كرامتها . وهذا يعني أن تضل
بين الاستسلام وبين الحرب . وهنا تبدو الأمور
واضحة : أن دولة الاحتلال تحبل الدول العربية
مسؤولية كل عمل مضاد لها ، حتى لو كان ماعلوه
مجهولين . وعليه فإن العودة إلى السرية لن تنقذ
أحدا ، إلا إذا عنت انتهاء وجود المقاومة العنفي
والفعلية . كما أن دولة الاحتلال لن ترضى بديلا
عن أن تكون القوة المحكمة بالمنطقة ، المسيطرة
عليها . وعلى الدول العربية أن تخضع أو تتناوم .
ويبا أن طريق الخضوع معروف ، وقد أصبحت لنا
فيه « تقاليد » وممارسات ، فإن طريق المقاومة
هو طريق الخلاص . وطريق المقاومة ليس سرا
مجهولا ، ولا هو بالخافي على أحد ولكن ممارسته
هي القضية .

ولقد بدأت طلائع الشعب الفلسطيني انتهاز هذا
الطريق منذ ابتداء سنة ١٩٦٥ ، وما تزال سائرة
على الرغم من الأخطاء والانحرافات والمقبات .
وما يعمل له المسكر المعادي الإمبريالي الصهيوني
لا يتعدى إطفاء جذوة هذه المقاومة . هذه هي
المهمة الأساسية الآن للتحالف الإمبريالي
الصهيوني . ويعرف هذا التحالف أن إنجاز هذه
المهمة لن يتم بدون المونة الفعالة من المبعلاء
العرب ، والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي .
والرد بالطبع على هذا كله ليس السرية لمحبس ،
أنه القتال ، التصميم على القتال ، تعبئة الجماهير
للقتال ، المحافظة على إنجازات المقاومة وإمكاناتها ،
إشراك الجماهير العربية بمشاركة فعالة الخ . . .
وإذا كانت هناك حاجة للسرية ، فمضن هذا الخط
وليس دونه .

ثالثا : أن مشكلتنا الأساسية تنبع في اعتمادنا
على القوى الخارجية ، وأهمها طائفتنا
وإمكاناتنا . نحن نفكر بالاتحاد السوفياتي والولايات
المتحدة ، بالشرق والغرب ، وطلوم هذه الجهة أو
تلك . نطلب من الاتحاد السوفياتي أن يؤمننا
للحرب ، أو نناشد الولايات المتحدة أن تأتي لنا
« بالسلم » . وطبيعي ألا يستطيع الاتحاد
السوفياتي أن يقدم لنا الأملية للحرب ، كما أنه
طبيعي ألا تقدم لنا الولايات المتحدة « السلم »
على طبق من ذهب .

وهذا لا يعني أننا لسنا بحاجة إلى اصدقائنا
وهلفاء ، نحن بحاجة إلى اصدقائنا وهلفاء ، وعلينا

أن نحدد اصدقائنا وأعدائنا ، علينا أن نبرق بينهم
وبين نوع صداقاتهم وعداوتهم ومستوى هذه
الصداقات والعداوات في كل مرحلة . ولكن هذا
ليس الأساس . أنه جزء من الخط السياسي
الصحيح الذي علينا أن نضعه وأن ننتهجه . ولكن
أساس هذا الخط هو جماهيرنا وتواتنا وإرادة
القتال لدينا .

اعتقد أن التجارب علمتنا أن النصر لن يأتي من
الخارج ، ولا من الأسلحة الخارجية ، ولا من
المساندة السياسية الخارجية ، وأن كان ذلك كله
من العوامل المساندة . أن النصر يأتي من العامل
الذاتي ، من إرادتنا ومن جماهيرنا . أن اصدقائنا
الصينيين ، وهم حلفاء لا يماري أحد في صداقتهم ،
وأن بدأت الأوساط المشككة بالصداقة مع الاتحاد
السوفياتي تبث الذهر في نفوسنا من التين الذي
سيحل محل الدب ، يقولون لنا دائما : الاعتماد على
الذات هو الطريق إلى النصر . أما نحن فنهرب
دائما من الذات إلى الخارج ، نبدد قوتنا الحقيقية
لنمنى النفس بمساندة قوى لا نتفعا أن لم ننتفع
أنفسنا . أن سر قوتنا في جماهيرنا . ومع ذلك
يبحث عن هذا السر في التكنولوجيا التي لا تملكها
ولا تبذل الجهود لا تملكها . وسر قوتنا في معنويات
جماهيرنا ، ومع هذا فنحن نعمل على تدمير هذه
المعنويات . وسر قوتنا في وحدة جماهيرنا ونحن
نفرقتها ونقسمها . وسر قوتنا في تعبئة جماهيرنا ،
ونحن « ننفخها » اعلاميا ونحن « نرفعها » دائما
حتى لا تصبح قوة .

وفي الوقت الذي تصد فيه الجماهير الفيتنامية في
الشمال والجنوب لغارات الطيران الاميركي الأيام
والاشهر والسنين ، نخشى نحن غارات الطيران
« الاسرائيلي » . وفي الوقت الذي نخشى منه
تفوق الطيران « الاسرائيلي » ، ونؤجل الحرب
فرعا ورعبا من هذا « الشيطان الرجيم » ترحف
قوات التوار الفيتناميين ، المشاة في الاغلب ،
بلا حماية من طيران ، وبلا سلاح مدرع يستحق
الذكر ، على مواضع الاميركيين والفيتناميين
الجنوبيين ، ويحتقون النصر تلو النصر . هذا هو
درسنا الاول والآخر . أن النصر مرهون بإرادة
الانسان ووميه وحكمته وقدرته على استخدام
قواه وطاقاته . وعلينا أن نمنى هذا الدرس جيدا ،
لأنه الدرس الذي يقودنا إلى النصر .

(٣) القضية الفلسطينية دولياً

الإنباء ان الرئيس السادات قال في اجتماع لاحق لمجلس الشعب (١٧ آب ١٩٧٢) بأنه رفض رسالة بريجنيف لأن « لهجتها ومحتوياتها وانمطها غير مقبولة كلياً » وكما اتهم الاتحاد السوفياتي بأنه يريد اجبار مصر على الخضوع لاسرائيل بامتيازها عن تقديم الاسلحة الهجومية ، خاصة الطائرات ، وشدد على انه في ظل سريان مفعول الحظر الذي تفرضه الدول الأوروبية الغربية الصديقة على شحن السلاح الى المنطقة يكون الهدف في الخطوات السوفياتية هو « دفعنا الى شفير اليأس » والوصول « الى مرحلة تدفع فيها الى الاستسلام » . وفي مقابلة صحفية مع مراسل راديو لوكسمبورغ (٢٠ آب ١٩٧٢) ذكر الرئيس السادات ان اخراج المستشارين والخبراء السوفيات من مصر ليس الا « تحذير دولي » وانه بانتظار رد من موسكو قبل القيام بخطوة ثانية .

٢ - تدني العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفياتي ، في كل هذه الفترة ، الى مستوى القائمين بالاعمال . اذ سافر السفير السوفياتي في مصر الى بلاده بعد اعلان السادات قراراته بفترة وجيزة ، كما استدعى الرئيس السادات السفير المصري في موسكو على أثر ورود رسالة بريجنيف . وترددت انباء صحافية مصدرها مراجع مطلعة في القاهرة بأن الرئيس السادات سيطلب سحب فينوغرادوف - السفير السوفياتي في مصر - لانه لم ينقل معلومات صحيحة من القاهرة الى موسكو وبالعكس ، ولانه غادر القاهرة بطريقة اعتبرت نظرة . وجدير بالاشارة الى ان هذا ادنى مستوى وصلت اليه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ انشائها .

٣ - الانسحاب السوفياتي الكامل من كافة القواعد البحرية والجوية في مصر بعد خروج خبراءهم العسكريين . وذكرت الانباء الصحفية ان الرئيس السادات اعلن ، في اجتماع مجلس الشعب الاول الذي اشرنا اليه ، ان كل الوحدات البحرية السوفياتية قد انسحبت من موانئ مصر باستثناء سفينتين حرييتين قيد الاصلاح . ولا يستبعد المراقبون ان تعيد مصر النظر في سياسة تقديم التسهيلات البحرية للاسطول السوفياتي .

استمرت التطورات الناجمة عن قرارات الرئيس السادات بابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات من مصر في السيطرة على الاجواء الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وكان الاتجاه الاهم الذي سارت فيه هذه التطورات هو المزيد من التدهور في العلاقات المصرية السوفياتية . هذا بالرغم من بعض التصريحات القليلة التي ارادت ان توحي بالعكس مثل قول محمد حسنين هيكل اثناء زيارته لالمانيا الغربية بان « سحب نحو ٢٠ الف عسكري سوفيائي ، يطلب عاجل من القاهرة ، لم يؤثر على الصداقة المصرية - السوفياتية » . وتجلت اهم مظاهر هذا التدهور في الوقائع التالية:

١ - التطورات التي رافقت تلقي الرئيس السادات ، في الاسبوع الاول من شهر آب ، رسالة مهمة (على حد وصف اجهزة الاعلام المصرية) من الزعيم السوفياتي بريجنيف موضوعها العلاقات العربية السوفياتية - وجدير بالانتباه ان الرسالة جاءت بعد المشاورات التي اجرتها القيادة السوفياتية مع زعماء دول حلف فرسوفيا حول الوضع المستجد في الشرق الاوسط بعد قرارات الرئيس السادات ، وبعث الرسالة مع رئيس مجلس الشعب المصري الذي كان في زيارة للاتحاد السوفياتي بدلا من الطرق الدبلوماسية المعهودة . وتشير تطورات الاحداث الى ان الرسالة تضمنت رد العادة السوفيات على قرارات الرئيس السادات الاخيرة ورايهم فيها . وعليه اعلنت الجهات المسؤولة بان الرسالة لامت اهتماما كبيرا ودراسة عميقة في مصر . لكن يبدو ان القيادة في القاهرة لم تكن مسرورة من محتويات الرسالة . اذ اعلن محمد حسن الزيات (طبعاً ، قبل ان يصبح وزيراً للخارجية) في مؤتمر صحفي ان الدراسة المعمقة للرسالة لم تبين ، للاسف ، أية طرق جديدة مفتوحة كما انها لا تدعو مصر للقيام بأي عمل في الوقت الحاضر . وذكرت انباء صحفية موثوقة مصدرها القاهرة بشأن الرئيس السادات قال في جلسة مغلقة عقدها مجلس الشعب المصري بأنه يهيه « رداً حاداً » على الرسالة لانها لا تتضمن أية عناصر ايجابية ، ولانه يبدو ان الزعيم السوفياتي لم يفهم تماماً السياسة التي تنوي مصر اتباعها حيال الاتحاد السوفياتي . كذلك ذكرت هذه

« إن مثل فكرة عقد قمة مصرية - سوفياتية ، على أساس الاقتراح السدي تقدم به الرئيس السادات حين أعلن قراراته بشأن إبعاد الخبراء والمستشارين السوفيات ، للنظر في مستقبل العلاقات العربية - السوفياتية . فقد أعلن محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب عن وجود عقبات في طريق عقد مؤتمر قمة مصري - سوفياتي ، مع أن مصر تواصل جهودها من أجل عقد مثل هذا المؤتمر . أي أنه حمل الاتحاد السوفياتي مسؤولية عدم انعقاده . ومن جهة أخرى ذكرت انباء صحفية مصدرها مراجع مطلعة في موسكو ان القيادة السوفياتية نفسها غير متحمسة لعقد مؤتمر قمة في الوقت الحاضر وتفضل اجتماع مصري - سوفياتي في مستوى ادنى لما نشأت التطورات الاخيرة ، وفي حال نجاح هذا الاجتماع قد يعقد مؤتمر القمة عندئذ .

هـ - الحملات الصحافية والاعلامية المتصاعدة في شدتها ولهجتها بين مصر والاتحاد السوفياتي . ففي القاهرة ظهرت مقالات عديدة في الصحافة اتهمت الاتحاد السوفياتي بالاتفاق مع نيكسون على الامتناع عن مد مصر بالسلاح ، وبالعجز عن فرض السلام في المنطقة ، وبعدم ايضاح موقفه علينا من التطورات الاخيرة بالنسبة لعلاقاته مع مصر . ونزعت هذه الحملة باتجاه التشكيك بجوانب عديدة وجوهية من سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط . على سبيل المثال اثارته الكتابات الصحفية المصرية تساؤلات من نوع : هل يستقل الاتحاد السوفياتي حاجة مصر الى قطع غيار لاسلحتها كوسيلة لممارسة ضغط سياسي عليها ؟ هل سينفذ الاتحاد السوفياتي اتفاقاته مع مصر في ما يتعلق بإنشاء مصانع من بينها مجمع الصلب والحديد ؟ لو افترضنا ان امريكا استطاعت فعلا ان تفرض على اسرائيل الانسحاب من كل الاراضي المصرية ، فهل ترفض مصر ذلك لمجرد انها امريكا؟ يضاف الى ذلك الكلام عن الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى لا تختلف في موقفها عن الولايات المتحدة بالنسبة لعلاقتها مع مصر . وتشبيه العلاقات المصرية السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية الامريكية . كذلك تضمنت الحملة المصرية اشارات الى ان الاتحاد السوفياتي اعتبر ضرب جناح علي صبري في النظام المصري موجها ضده مع التلميح بوضوح الى احتمال إشتراك الاتحاد السوفياتي في حركة علي صبري ضد الرئيس السادات . حتى معاهدة

الحدائق والتعاون المصرية السوفياتية لم تنج من حيلة التشكيك هذه ، اذا اتهمت بعض الكتابات الصحفية المصرية الاتحاد السوفياتي بعدم احترام المعاهدة وبخرق بنودها الاساسية وبعدم تنفيذها . ولا يستبعد المراقبون ان تؤدي التطورات السلبية هذه الى إلغاء المعاهدة فيما بعد . بطبيعة الحال ردت الصحافة السوفياتية والشيوعية على الحملة المصرية . ففي منتصف آب شنت صحيفة الحزب الشيوعي المجري حملة شديدة على سياسة الرئيس السادات واتهمتها باتعاش اليمين المصري والرجعية العربية عامة ، كما ذكرت ان السادات ساهم في اضعاف الناصرية وفي تسديد ضربة الى اليسار في مصر . ونفت صحيفة « البرافدا » مسا قبل حول توصل الاتحاد السوفياتي الى اي اتفاق سري حول الشرق الاوسط مع نيكسون في مؤتمر القمة الأخير . ووجهت النقد لتقارب « بعض الزعماء العرب » مع الولايات المتحدة وشددت على ان هذا التقارب لن يكون له أية نتيجة ايجابية على صعيد تسوية النزاع مع اسرائيل بسبب تزايد التأييد الامريكاني لها ، مؤكدة ان الشعوب العربية لن تتمكن من تحقيق السلام العادل وتحقيق التقدم بدون الاعتماد على مساعدة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية . اما صحيفة « الزيمستيا » فقد انتقدت الحملة الاعلامية المصرية واعتبرتها موجبة ضد الصداقة والتعاون بين العرب والاتحاد السوفياتي ، كما احتجت على وضع العلاقات المصرية مع كل من الاتحاد السوفياتي وامريكا على قدم المساواة ، وعلى تشبيه العلاقات المصرية - السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية - الامريكية . كذلك رفضت الاتهام بان الاتحاد السوفياتي قد جرق التزاماته بالنسبة لنصوص معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين مفكرة ان مثل هذه الآراء من شأنها ان تفرح الامبرياليين والحكام الاسرائيليين وان تجلب الضرر الى الشعب المصري ونضاله من اجل ازالة آثار العدوان . وأكدت من جديد وقوف الاتحاد السوفياتي الى جانب قضية التحرير التام للاراضي العربية من الاحتلال الاسرائيلي .

وكتيجة حتمية لتدهور العلاقات المصرية السوفياتية المستمر كان لا بد للرئيس السادات من التوجه الحذر نحو الغرب في سياسة مصر الخارجية . وظهرت بوادر هذا التوجه في عدة تصريحات لكبار المسؤولين المصريين اهمها اعلان محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب « بان مصر مستعدة

للتعاون مع اي دولة تفهنا - او تحاول ان تفهنا - وتساعدنا ، سواء اكانت هذه الدولة روسيا ام الصين او امريكا . - وتصريح السادات في مقابلته المشار اليها مع مراسل راديو لوكسمبورغ بأن مصر مستعدة لمصافحة « اليد التي تمدها امريكا » اذا وافقت واشنطن على تعديل سياستها تجاه مصر . وبهذا الصدد ترددت ابناء صحفية غير مؤكدة في لبنان ، في النصف الثاني من شهر آب ، تقول ان محمد حسنين هيكل قد يجتمع بهنري كيسنجر - مستشار الرئيس نيكسون للعلاقات الخارجية - في اوربا ، وان اتصالات امريكية - مصرية قد جرت على مستويات متعددة من اجل الاعداد لهذا الاجتماع . كما ذكرت هذه الالبناء ان وزير خارجية مصر ايضا قد يقابل كيسنجر اثناء وجوده في نيويورك بمناسبة اجتماعات هيئة الامم المتحدة . الا ان ناطقا باسم البيت الابيض نفى ان يكون عند كيسنجر اية خطط لمقابلة هيكل او اي مبعوث اخر من قبل السادات . وفي اوائل ايلول ترددت ابناء صحفية اخرى في لبنان ، منسوبة الى مصادر دبلوماسية في القاهرة ، تقول ان الرئيس السادات قد يقوم بزيارة نيويورك في نهاية السنة الحالية لحضور جانب من اجتماعات هيئة الامم مما سيتيح له فرصة مقابلة كبار المسؤولين الامريكيين بعد انتهاء الانتخابات في البلاد .

ا - الاعداد لمجموعة زيارات سيقوم بها وزير الخارجية المصري ومسؤولون اخرون لعدة دول اوروبية غربية قبل افتتاح الدورة المقبلة للجمعية العمومية للامم المتحدة في اواخر شهر ايلول . ومن العواصم التي ستشملها هذه الزيارات والمساعي لندن وباريس وبروكسيل وبون . وقد اوضحت القاهرة بهذا الصدد انها ترحب بأي مجهود اوروبي لاجراء ازمة الشرق الاوسط من جهودها مع العلم انها ما زالت تعتقد بأن مفتاح التسوية السلمية موجود في يد امريكا . بمباراة اخرى المطلوب هو تعبئة الدول الاوروبية لتشكيل عامل ضغط على الولايات المتحدة لتحقيق التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن .

ب - تردد ابناء مصدرها القاهرة عن عزم مصر على تقديم اقتراحات محددة لتسوية النزاع مع اسرائيل خلال الحملة الدبلوماسية المذكورة الا انه لم تتوفر اية معلومات تفصيلية عن هذه المقترحات باستثناء تركيزها على دول اوربا الغربية بالدرجة الاولى وبهدف الوصول الى تطبيق قرار مجلس الامن . وتميزنا لهذا الاجراء اعلن الرئيس السادات في مقابلة مع صحيفة « الفيجارو » الفرنسية في ٢١ آب ان ابعاد المستشارين السوفيات من مصر يجب ان يؤدي الى تفهم ومساعدة اكبر لمصر من قبل دول اوربا الغربية التي ينبغي عليها ان تساعد مصر الان بكل طريقة ممكنة . كما اشار الى ان الحظر الفرنسي على شحن الاسلحة الى المنطقة لم يعد واقعا بعد الذي حدث .

ج - الاجتماع الذي تم بين رئيس حكومة المانيا الغربية - هيلمير برانت - ومبعوث الرئيس السادات محمد حسنين هيكل كجزء من الحملة الدبلوماسية المصرية الجديدة المركزة على اوربا الغربية . وقد احييت المقابلة بستانر شديد من الكتابان ولكن لا شك في ان المحادثات بين برانت وهيكل تناولت موضوع تحسين العلاقات بين البلدين واعادتها الى حالتها « الطبيعية » . وبهذه

للتعاون مع اي دولة تفهنا - او تحاول ان تفهنا - وتساعدنا ، سواء اكانت هذه الدولة روسيا ام الصين او امريكا . - وتصريح السادات في مقابلته المشار اليها مع مراسل راديو لوكسمبورغ بأن مصر مستعدة لمصافحة « اليد التي تمدها امريكا » اذا وافقت واشنطن على تعديل سياستها تجاه مصر . وبهذا الصدد ترددت ابناء صحفية غير مؤكدة في لبنان ، في النصف الثاني من شهر آب ، تقول ان محمد حسنين هيكل قد يجتمع بهنري كيسنجر - مستشار الرئيس نيكسون للعلاقات الخارجية - في اوربا ، وان اتصالات امريكية - مصرية قد جرت على مستويات متعددة من اجل الاعداد لهذا الاجتماع . كما ذكرت هذه الالبناء ان وزير خارجية مصر ايضا قد يقابل كيسنجر اثناء وجوده في نيويورك بمناسبة اجتماعات هيئة الامم المتحدة . الا ان ناطقا باسم البيت الابيض نفى ان يكون عند كيسنجر اية خطط لمقابلة هيكل او اي مبعوث اخر من قبل السادات . وفي اوائل ايلول ترددت ابناء صحفية اخرى في لبنان ، منسوبة الى مصادر دبلوماسية في القاهرة ، تقول ان الرئيس السادات قد يقوم بزيارة نيويورك في نهاية السنة الحالية لحضور جانب من اجتماعات هيئة الامم مما سيتيح له فرصة مقابلة كبار المسؤولين الامريكيين بعد انتهاء الانتخابات في البلاد .

واضافت هذه الالبناء ان السادات سينزل فرنسا في طريقه الى نيويورك لكسب المزيد من تأييدها لتفضية التسوية السلمية . وقد امتنع المسؤولون الفرنسيون عن تأييد او نفى خبرتها زيارة السادات لفرنسا ، كما اعلنت السفارة المصرية في باريس انه ليس باستطاعتها تأكيد او نفيه . وفي اواخر شهر آب اعلن في القاهرة ان وعدا مصرية رفيع المستوى برئاسة وزير الاقتصاد والتجارة سينزل الولايات المتحدة في شهر ايلول ويجتمع بممثلي المؤسسات المالية الامريكية ويبحث معهم في تقوية الروابط الاقتصادية بين البلدين . وتجمل هذه الزيارة دلالات خاصة باعتبار ان هذا الوفد هو اعلى وفد مصري يزور الولايات المتحدة منذ فترة طويلة بهدف تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة الاقتصادية منها . واعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية عن ترحيب حكومة بلاده بالوفد الزائر واستعدادها لاجراء المحادثات اللازمة معه .

لقد ركز التوجه الجديد للسياسة الخارجية

المناسبة ترددت أثناء صحفنة تقبول بان المانيا الغربية اخذت تقوم ببدور الوساطة بين مصر والولايات المتحدة من اجل تحسين العلاقات السياسية بين البلدين بعد ان اصبح الجور ملائما لذلك في اعقاب خروج السوفيات من مصر . واوضحت هذه الاتباء ان المانيا الغربية ستكون احدى الدول الرئيسية التي ستعتمد عليها مصر في حملتها الدبلوماسية الاوروبية . كما يبدو ان هدف مصر في هذه الاتصالات ليس الحصول على اية اسلحة ومعدات حزبية بل الحصول على تأييد سياسي من جهة وعلى مساعدات اقتصادية وفنية المانية من جهة اخرى . وقد ذكرت « الاهرام » ان المانيا الغربية اقترحت على مصر ايفاد وفد اقتصادي على مستوى عال لاجراء محادثات لاعداد برنامج شامل للتعاون الاقتصادي بين البلدين .

د - الاتباء التي ترددت عن امكانية قيام الرئيس السادات بالدعوة الى عقد مؤتمر سلام حول ازمة الشرق الاوسط برعاية الامم المتحدة تحضره الدول العربية واسرائيل والدول الكبرى . ويمكننا ربط هذه الاتباء بسهولة بما قاله الرئيس السادات في خطاب له امام مجلس الشعب بان « ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واوروپا الغربية والسدول غير المنحازة والدول العربية » ، ويبدو ان الفكرة المطروحة هي الدعوة لمؤتمر موسع بحيث تشترك عدة دول عربية وصديقة وكبرى وغير منحازة مع مصر في تحمل مسؤولية مواجهة اسرائيل بصورة مباشرة وتحت سقف واحد .

هـ - في الاسبوع الثاني من شهر ايلول اقال الرئيس انور السادات وزير خارجيته الدكتور مراد غالب الذي عمل كسفير لبلاده في موسكو لفترة طويلة . ومن المعروف ان غالب كان ضد دفع اتجاه العلاقات المصرية - السوفياتية نحو التدهور ولم يكن مرتاحا للتوجه الجديد الذي اخذت تسير به السياسة الخارجية المصرية بعد ابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات . وقد حصل محله محمد حسن الزيات الذي مثل بلاده في هيئة الامم ويعتبر من المظلمين على اوساط الدبلوماسية الغربية واجرائها . ومن الواضح ان هدف هذا التبديل هو وضع الشخص الاكثر ملائمة على راس وزارة الخارجية لاجتاج الحملة الدبلوماسية المصرية في الغرب . وعلى الصعيد الاوروبي نفسه يبدو ان

دول السوق الاوروبية المشتركة تحري اتصالات مع الاطراف المعنية بازمة الشرق الاوسط بهدف تنسيق المواقف على امل ان تتمكن هذه الدول من القيام بدور اكثر فعالية في احلال التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتتم هذه الاتصالات قبل اجتماع وزراء خارجية دول السوق الذي سينعقد في ايطاليا في ١١ و ١٢ ايلول الجاري تمهيدا لمؤتمر القمة الاوروبي الذي سينعقد في تشرين الاول المقبل . ومن المؤكد ان اجتماع وزراء الخارجية سيبحث ازمة الشرق الاوسط وتطوراتها وكيفية الخروج من حالة الركود التي تسيطر عليها باتجاه التسوية السلمية . كما سيعقب هذا الاجتماع اجتماع اخر لديرى ادارات الشرق الاوسط في دول السوق للبحث في امكانية تحديد موقف موحد لهذه الدول من قضية الشرق الاوسط عند عرضها على الامم المتحدة في دورتها المقبلة . وعلى صعيد اخر ذكرت انباء صحفية مصدرها لندن انه من المتوقع ان تقوم بريطانيا بتزويد مصر بصواريخ من نوع « رايبر » لتحل محل بطاريات صواريخ سام - ٢ التي خرجت مع انسحاب السوفياتي من مصر . وامتعت وزارة الخارجية البريطانية عن التعليق على هذه الاتباء الا انه من المتوقع ان يكون موضوع الصواريخ ، وربما غيرها من الاسلحة ، بين الموضوعات التي سيناقشها وزير خارجية مصر عند زيارته القادمة الى لندن في النصف الثاني من شهر ايلول .

الا ان اقتحام فدائى منظمة ايلول الاسود المقر الالومبي للبعثة الرياضية الاسرائيلي والنتائج التي اسفر عنها الهجوم وضع عراقيل غير متوقعة في وجه الحملة المصرية الدبلوماسية باتجاه اوروپا الغربية ، كما ازم العلاقات بين مصر والمانيا بصورة خاصة . ففي محاولة للتفصل من مسؤولية الكمين الذي اعدته للفدائيين وما نتج عنه من قتل الرهائن الاسرائيليين وخمسة من الفدائيين الثمانية قامت المانيا بتوجيه اللوم الى الدول العربية ، وخاصة مصر ، لانها تاوي منظمات المقاومة وتساعدنا . وبطبيعة الحال رفضت مصر هذا المتلق والقت الزيارة التي كان سيقوم بها وزير خارجيتها الى المانيا هذا الشهر . وفي محاولة لتلافي تدهور العلاقات الالمانية - العربية عاد وزير الخارجية الالمانى - فالتر شيل - الى سحب الاتهامات الاولى عن طريق الادلاء بتصريح يقول « ان الدول العربية ليست مسؤولة في اي حال من

الأحوال عن أحداث ميونيخ التي تحمل مسؤوليتها مجموعة صغيرة من الفلسطينيين » . كما أعرب عن أمله في « الإلتوقف عملية إعادة العلاقات الألمانية - العربية إلى طبيعتها » . ولا يبدو لنا ان حادث ميونيخ بذولها ستستمر في عرقلة مساعي مصر الأوروبية لفترة طويلة . فقد أعلن وزير خارجية بريطانيا - السير اليك دوغلاس هيوم - انه غير مستعد لاقاء مسؤولية « المجزرة » في ميونيخ على الحكومة المصرية ، ورفض طلب المعارضة بالفاء زيارة وزير خارجية مصر المتوقعة إلى بريطانيا قائلاً بأنه من الأفضل بحث القضايا المشتركة بين البلدين مواجهة .

بالنسبة للولايات المتحدة فقد استمرت في التعبير عن ارتياحها ، ولكن بدون شماتة ، للاتجاه الجديد الذي أخذت تسير فيه السياسة المصرية الخارجية مؤخرًا . لكن بالرغم من ذلك تشير كافة الدلائل إلى ان امريكا ما زالت متمسكة بشدة بموقفها المعروف حول التسوية السلمية والذي يتلخص : (أ) بالاصرار على ضرورة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، (ب) الاصرار على تحقيق التسوية الجزئية بدلًا من التسوية الشاملة التي تطلبها مصر ، (ج) عدم فرض أية تسوية على النزاع ثاني من خارج المنطقة (هيئة الاعم ، الدول الازمة الكبرى ، الضمانات الدولية) لا توافق عليها اسرائيل . ويتضح هذا الموقف المتكامل للولايات المتحدة من عدة مصادر اهمها : (١) الاجتماع الذي عقده المسؤول عن رعاية الشؤون المصرية في الولايات المتحدة مع وليم روجرز حيث ابلغه وزير الخارجية الأمريكي ان ابعاد العسكريين السوفيات عن مصر سيسهل على واشنطن مساعدتها من أجل ايجاد تسوية سلمية في المنطقة ، كما ابلغه ان بلاده لن تقوم بأية خطوات في هذا الاتجاه قبل انتهاء انتخابات الرئاسة في الخريف . كذلك أكد له روجرز ان امريكا مستعدة للمساعدة في البحث عن تسوية سلمية في المنطقة على أساس تجديد المساعي للوصول إلى تسوية جزئية لاعادة فتح قناة السويس ، و اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين باعتبارها أفضل طريق للوصول إلى الهدف المطلوب ، مع التأكيد بأن هذا لا يمنع ان تبدأ المفاوضات على اسلوب « المحادثات عن كثب » تحت اشراف طرف ثالث . وقد ادلى بهذه المعلومات الناطق الرسمي بلسان وزارة الخارجية الأمريكية . (ب) المؤتمر الصحفي الذي عقده وليم روجرز في

الاسبوع الثاني من شهر آب حيث رفض الادلاء بأي تعليق رسمي على الانتحاب السوفياتي من مصر معتبرا الموضوع ، في العن ، قرارا مصريًا داخليًا محض ، لكنه أعرب عن ارتياحه الشديد لاستمرار وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية الاسرائيلية وعن أمله في ان يؤدي هذا الاستقرار إلى « مفاوضات ناشطة » بين الطرفين . وعاد إلى فكرة « المحادثات عن كثب » بين مصر واسرائيل باشراف الولايات المتحدة ، لكنه اعترف بأن « مشاكل مصر الداخلية تمنع الرئيس السادات من ان يستجيب فورًا للعرض الأمريكي » (ج)

المقابلة التي اجرتها مجلة « نيوزويك » الأمريكية مع الرئيس نيكسون حيث وصف قضية الشرق الاوسط بأنها « مشكلة صعبة للغاية لانه بالرغم من انتهاء القتال لا تلوح في الافق أية بادرة للتسوية » ، وقال بأنه ابلغ الاسرائيليين مرارًا بان وضعهم الحالي قوي جدًا في أية مساومة مع العرب ولذلك باستطاعتهم ان يكونوا اكثر كرمًا من ذي قبل . وأكد من جديد بأنه لن يقوم بفرض أية تسوية على اسرائيل . وعلى أساس هذا الموقف الأمريكي المحدد من المؤكد أن حكومة نيكسون لن تستجيب لأية دعوة قد يطلقها الرئيس السادات لعقد مؤتمر موسع تشارك فيه دول عديدة بالإضافة لمصر واسرائيل للوصول إلى تسوية سلمية في المنطقة .

على صعيد آخر لا بد من الإشارة إلى التصريحات التي أدلى بها سيسكو حول زيارته الاخيرة إلى اليمن والخليج العربي . ذكر ان بلاده لا تريد الحلول محل بريطانيا للدفاع عن مصالح الغرب في الخليج ولكنها تريد مساعدة دول المنطقة للدفاع عن نفسها ، أي ان امريكا ستستلک طريق الاستثمار الجديد المعروفة بالاعتماد على الطبقات الرجعية الحاكمة المحلية للدفاع عن مصالح الامبريالية هناك . وقد أكد هذا بقوله ان حكومته مهتمة بالاستقرار في الخليج لان الولايات المتحدة مصالح اقتصادية واستراتيجية وبتروولية فيه ، لذلك فإن سياسة بلاده ستكون مبنية على تشجيع ايران والسعودية والكويت على التعاون فيما بينها لضمان أمن المنطقة . كما انها مستعدة لمنح هذه الدول المعدات والتدريب لضمان أمنها الخارجي والداخلي . أي ضمان استقرار الوضع على ما هو عليه والدفع عن أمن الخليج ضد الحركة الوطنية فيه . وفي اول شهر آب وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على السماح للحكومة بعقد

اتفاقات « لبيع » الأسلحة الى اسرائيل بكميات غير محدودة .

وبالنسبة لهيئة الامم فقد حضر يارينغ من مقره في موسكو الى نيويورك لاجراء مشاورات مع كل من فالدهايم ومظلي مصر والاردن واسرائيل في هيئة الامم . واعتبرت هذه الخطوة استثنائا لمهمة الوسيط الدولي الذي صرح بأنه لا ينوي زيارة منطقة الشرق الاوسط في الوقت الحاضر . ويفترض بيارينغ ان يقدم تقريرا عن مهمته الى الدورة المقبلة لهيئة الامم . وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر آب اجتمع وزير الخارجية المصري بكل من فالدهايم ويارينغ بمناسبة وجوده (اي الوزير المصري) في امريكا لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز . الا انه يبدو ان استئناف مهمة الوسيط الدولي لم تأت بجديد على الاطلاق باستثناء الهجوم غير المادي الذي شنه محمد حسن الزيات على يارينغ في مؤتمر صحفي حيث ابدى تحفظاته حول فعالية مهمة الوسيط واتهمه بالتحيز لاسرائيل وقال « لو كنت اسرائيليا لحاولت ان اصنع تمثالا ذهبيا للسيد يارينغ » . ولم تتوفر حتى الان اية تفسيرات توضح الدوافع الكامنة وراء هذا النقد القاسي والاول من نوعه الموجه الى الوسيط الدولي من قِبل مصر ، خاصة انه لا يوجد ما يشير الى ان اي تعديل قد

طرأ على طبيعة مهمته او موافقه منذ ان توقفت مساعيه بعد المذكرة الشهيرة التي قدمها الى كل من مصر واسرائيل في ٨ شباط ١٩٧١ . وقبل منتصف آب غاد يارينغ الى مقره في موسكو على ان يعود الى الامم المتحدة مع افتتاح دورتها المقبلة . وعلى مسعد آخر أخذ فالدهايم زمام المبادرة ، بعد عملية ميونيخ لعدائين منظمة ايلسول الاسود ، بادراج موضوع « اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة من وقوع هجمات ارهابية » اعمال الدورة القادمة للجمعية العامة لهيئة الامم مما سيهني مناقشة العملية العدائية في الاجتماعات المقبلة للمنظمة الدولية . وبطبيعة الحال كانت وفود دول اوربا الغربية والولايات المتحدة في طلبعة المؤيدين لخطوة فالدهايم . وبالنسبة لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في امريكا وحضرته ونمود تمثل ٦٧ دولة ، فقد دعا الى انسحاب القوات الاسرائيلية فوراً ومن دون قيد او شرط من الاراضي المحتلة ، كما عبر عن قلقه العميق بصدد خلف اسرائيل لعدد من العسكريين السوريين واللبنانيين من الاراضي اللبنانية في شهر حزيران الماضي . كذلك استكر المؤتمر الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان .

صديق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

مرتفعة معفاة من الضرائب كما وتقدم وحدات سكنية مريحة . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاستيطان تسيطر المدينة النواة بالتاريخ الغابر لليهود في هضبة الجولان مدعية ان مدينة يهودية كانت بمثابة ثغر محصن ابان الملك غريفس وقد خربت في اعقاب ثورة اليهود ضد الرومان ، كما وتربطها بالمحاصيل الصهيونية في القرن التاسع عشر لاستيطان الهضبة عندما قام عدد من يهود صدد باقامة مستوطنة زراعية اطلقوا عليها اسم « بني يهودا » ومن هنا جاء اسم المدينة النواة التي تم الاحتفال بتدشينها في اواخر شهر اب .

مشروع اساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء : وفي نفس الوقت الذي تبرز فيه معالم نواة لمدينة في هضبة الجولان أخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن مشروع اساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء تتسع لربع مليون شخص تحصل اسم « يمت » . وقد تم اعداد المشروع بواسطة طاقم كبير مؤلف من مهندسين معماريين ومهندسين وجيولوجيين واقتصاديين وعلما اجتماع .

تقع المدينة المقترحة على بعد ٤٠ كم شمالي العريش في منطقة تقع بين رفح والشيخ زايد ، وتحتل مساحة يصل عرضها ٦ كم وطولها ١٥ كم .

وتعتبر المدينة المقترحة التي ستكون احدى المدن الرئيسية الخمس في اسرائيل على ما يلي :

- ١ - اقامة مباني سكنية ابتداء من العام القادم وتتنوع بعد عامين الى اربعة الالف نسمة ، والاستمرار في اقامة المباني مع توجيه سيل الهجرة اليها حتى يصبح عدد سكانها ربع مليون نسمة في عام ١٩٩٢ حسب ما جاء في المشروع الاساسي .
- ٢ - اقامة شبكة مواصلات تربط المدينة بالساحل والبحر الميت والعقبة .
- ٣ - اقامة مشاريع صناعية كبيرة بالقرب من المدينة ، وتشجيع اصحاب رؤوس الاموال لاقامة مشاريعهم هناك ، خاصة وان بعد المدينة عن التجمع السكاني في السهل الساحلي له اثر كبير في المحافظة على عدم تلوث البيئة من جراء المنشآت الصناعية .
- ٤ - اقامة ميناء كبير في المدينة يعادل بحجمه ميناء اسدود .
- ٥ - اقامة مطار دولي بالقرب من المدينة في مرحلة متاخرة .
- ٦ - استغلال المنطقة الساحلية الغربية من منطقة

من اهم القضايا التي برزت في الائمة الاخيرة في المناطق المحتلة موضوعات الاستيطان المدني ، وتوطين لاجئي قطاع غزة في امكنتهم ، واستغلال العمال العرب لدرجة اصبح معه قسم منهم وخاصة اولئك الذين يعملون في الكيبوتسات والموشافات اشبه « بالخدم والجواري » منهم بالعمال ، وتمتد الوساطة بين السلطين الاسرائيلية والاردنية التي بدأت تحت ستار التعزية بموت الملك طلال في شهر تموز ، وتصعدت بمحاولة تصفية رئيس بلدية غزة في شهر اب ، وترتحت على اثر عملية ميونيخ في شهر ايلول .

الاستيطان المدني : ان اخطر استيطان يواجهه المناطق المحتلة هو ذاك النمط من الاستيطان المدني الذي قامت به اسرائيل حتى الان في مدينة القدس حيث شادت عددا من الضواحي المدنية حول المدينة وعلى رأسها ضاحية اشكول . وتعتزم اسرائيل في الوقت الحاضر ادخال هذا النوع من المستوطنات في المناطق التي لا تعتزم الخروج منها ولو مقابل اتفاق سلام مع العرب ، فبالاضافة الى الاتساع الاستيطانية التي قامت بها خلال الاعوام الخمس الماضية (٣٩ مستوطنة) تقوم اسرائيل باقامة نواة لمدينة في هضبة الجولان ، وتجري الدراسات لاقامة مدينة في غور الاردن وتعد « مشروعا اساسيا » لاقامة مدينة في المنطقة الشمالية من سيناء شمالي العريش تتسع لربع مليون نسمة . وفي هضبة الجولان التي تحتل الضدارة في سياسة الاستيطان يجري العمل الآن لاقامة نواة لمدينة في جنوب الهضبة « بني يهودا » حيث تم بناء ٤٠ وحدة سكنية ، ويجري العمل لاقامة ٢٠ وحدة سكنية اخرى في المرحلة الاولى ، كما وشيدت مباني خدمات كالمدارس والحوانيت وعبادة وغيرها . وبدأت نواة المدينة تستقطب المستوطنين الجدد في المدن الاسرائيلية وكذلك من المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفياتي ، حيث رشحت ٢٠ عائلة من يهود الاتحاد السوفياتي للاستيطان في المدينة النواة . وستعتمد طلائع المستوطنين في معيشتها على العمل في معمل قطع الغيار الذي اقامته الصناعة الجوية في المنطقة والذي بلغت تكاليفه ٤٤٥ مليون ليرة . ومن اجل تشجيع الاستيطان هناك تقوم السلطات المسؤولة بدمج معاشات

هزوية في الجنوب العربي من رفع لتطوير محطات القوى الذرية ، خاصة وان لجنة الطاقة الذرية اوصت بالاحتفاظ بهذا المكان « كاحتياطي يبنفسى الحفاظ عليه من اجل هذا الهدف » . ٧٠ - اقامة مصانع ومنشآت عسكرية . ٨٠ - اقامة مراكز سياحية لكي تغدو المدينة من اجمل مدن البحر الابيض المتوسط .

هنالك ثلاث عقبات تقف امام تنفيذ المشروع : ١ - التكاليف الباهظة ، حيث ستصل عند الانتهاء من البناء في عام ١٩٩٢ الى ٨ مليار ليرة ، بيد ان ذلك لا يعتبر مائتا كبيرا اذا ما اخذنا بعين الحسبان قدرة اسرائيل في الحصول على الاموال من الحركة الصهيونية العالمية والحصول على بروض وهبات امريكية غربية . ٢ - توفر اعداد من المستوطنين وتوجيههم الى المدينة المقترحة ، الا ان هذه العقبة تبقى صغيرة ويمكن تجاوزها اذا ما اخذنا بعين الاعتبار هجرة يهود الانتصاد السوفياتي الى اسرائيل ، التي غدت المبعين الرئيسي الذي يصعب في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، واذا ما استمرت الهجرة بمعدلها الحالي (٢٥ الف نسبة سنويا) طيلة سبعة اعوام ، فان عدد سكان المدينة يكون قد توفر من بلد واحد فقط . ٣ - رفض صاحب الارض ، معز ، للمشروع ، وهو العائق الاهم الذي يقف امام المشروع الاساسي ، الا ان ذلك يبقى محاطا بعلامة سؤال كبيرة ، هل ستشمل التنازلات المصرية من اجل التسوية مع العدو الاسرائيلي منطقة المدينة المقترحة ، علما بان العدو يصر على عدم التخلي عنها ولو مقابل اتفاقية سلام ؟

واذا ما ازيلت هذه العقبات فان مشروع الدولة اليهودية في منطقة العريش الذي اتفق عليه هرتمل ويوسف تشبرلين وزير المستعمرات البريطانية في عام ١٩٠٢ ، والذي دفن في رمال سيناء بسبب رفض الحكومة المصرية له ، يكون قد بعث من تحت التراب من جديد على شكل مستوطنات ومسدن اسرائيلية .

مخطط لتصفية قضية اللاجئين : الى جانب مخططات الاستيطان اتهكت سلطات الاحتلال بالتخطيط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون حوالي ثلثي السكان هناك ، بواسطة توطئتهم في امكانهم على انتعاش مخيماتهم في محاولة « لوضع حد لوضع اللاجئين » . وقد اختلفت الآراء بين

صوب كلمة التجمع الصمالي (المراج) حول معالجة موضوع لاجئي قطاع غزة ، حيث برزت وجهتا نظر ، الاولى تمثل الاكثية وتدعو الى اعداد خطة تحسين اوضاع اللاجئين في امكانهم ، ويقف مع وجهة النظر هذه كل من رئيسة الحكومة فولدا مير وموشيه ديان ، والثانية تمثل الاقلية وتدعو الى نقل مهاجري القطاع وتوطئتهم في الضفة الغربية اي تفريغ القطاع من ثلثي سكانه ، ويقف الى جانب هذه الدعوة عضو الكنيست د. زاكين من حزب « ميام » ويدعوه في ذلك رعتان هايتمس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، المشهور بمشروعه الداعي الى توطئتهم اللاجئين في منطقة العريش . وقد انتصر رأي الفريق الاول حيث تمت الموافقة على « مشروع اساسي » اعدم طاقم كبير من المهندسين المماريين ومهندسي المواصلات واخصائين في شؤون المياه والكهرباء وعلم الاجتماع ، ويتطرق المشروع الى تصفية وضع اكبر مخيم في القطاع ، مخيم رفح ، الذي يبلغ تعداد سكانه ٤٠ الف نسمة ، ويعتمد على اخلاء ٢٤٠٠ عائلة من مجموع الـ ٦٠٠٠ عائلة التي تسكن المخيم ، واسكانها في وحدات سكنية جديدة ، كما ويعتمد المشروع كما اوردته صحيفة معاريف ٧٢/٨/٢٠ على ست نقاط : (١) اقامة وحدات سكنية متشابهة ، تصل مساحة كل وحدة مسع المساحة المخصصة لها ٢٥٠ مترا مربعا . (٢) اقامة شبكة طرق رئيسية واخرى ثانوية تمكن من الوصول الى كل بيت (٣) اقامة شبكة مياه وكهرباء (٤) تصفية الازقة . (٥) تخصيص عدد من الغرف لكل عائلة حسب حجم افرادها (٦) اقامة بستاتين اطفال ، ومراكز للحوانيت وملعب . وسيتم حسب المخطط ترميم اكثر من التي منزل ، وستقام ١٣٠٠ وحدة سكنية جديدة .

يعتبر هذا المخطط الذي من المقرر ان تكون سلطات الاحتلال قد بدأت بتنفيذه ، اول مخطط منذ ان ظهرت قضية اللاجئين منذ ٢٤ عاما يهدف للسي تكريس تشردهم والغاء صفة اللاجئين عنهم ، ذلك ان المنطلق الذي يقوم عليه المخطط الاساسي هو « اعتبار مخيم اللاجئين في رفح ، كمكان دائم يشكل مع مدينة رفح بلدية واحدة » .

وتتمتزم سلطات الاحتلال ان تعمم المشروع الاساسي على ضوء النجاح في مخيم رفح ، على بقية مخيمات القطاع الاخرى مثل مخيمي الشاطئ وجباليا .

العمال العرب : التي جانب التوجه نحو الاستيطان الديني في المناطق المحتلة ، وتوطين اللاجئين في امكثهم ، تكريسا للاحتلال ، وتكريسا لحالة التشرذم ، استمر الاقتصاد الإسرائيلي في امتصاص الأيدي العاملة العربية « الرخيصة » وتسخيرها لخدمته . يبلغ عدد العمال الذين يعملون بشكل رسمي عن طريق مكاتب العمل ٢٧ الف عامل ، ١٢ الف من قطاع غزة والباقين من الضفة الغربية ، وهناك حوالي ١٠ الف عامل نصفهم من قطاع غزة يعملون بشكل غير رسمي . وقد ازداد تدفق العمال العرب الذين لا يعملون بشكل رسمي عند مطلع شهر مايو من هذا العام ، حين سمحت سلطات الاحتلال لإعالي القطاع بالتنقل الى اسرائيل بدون تصاريح ، ونتج عن ذلك ان أصبحت حدود الهدنة او ما يعرف بالخط الأخضر يستقبل يوميا ٥٢ الف شخص من سكان المناطق المحتلة ، من بينهم ثلاثة الاف سائح او زائر .

لا نريد ان نعود الى الحديث عن اوضاع العمال العرب (انظر شؤون فلسطينية عدد ٧ ص ٢٦٤) بل نتطرق حول موضوع العمال الذين لا يعملون عن طريق مكاتب العمل ، والذين حدثت بسببهم ضجة بين المستوطنات الاسرائيلية والسلطات الاسرائيلية . وسبب الضجة لا يعود الى كونهم يعملون بدون تصاريح عمل ، بل لان قسما كبيرا منهم ينام داخل المستوطنات والكيبوتسات التي يعملون بها ، وخاصة مستوطنات النقب ، وقد رأى وزير الدفاع موشيه ديان ان ذلك يشكل خطرا أمنيا ، ولذا طلب من حركة المستوطنات عدم السماح للعمال بالبقاء ليلا داخل المستوطنات ، بيد ان ذلك يعني الاستغناء عن العمال العرب وهذا أمر لا تريده المستوطنات ذلك « لانها تعارضن تصفية المعمل العربي غير المنظم ، لانه بدون العمل العربي لن تكون هنالك ارباح في الزراعة » !

وهذا الامر يظهر مدى الاستغلال الواقع على العامل العربي ، فاسرائيل لا تنقصها ايد عاملة يهودية ، « ولكن صاحب العمل الإسرائيلي يفضل العامل العربي لكونه رخيصا ، ولا توجد لديه مطالب كثيرة ، وليست هنالك لجنة عمالية ، وفي اي وقت يمكن لصاحب العمل ان يكتفي بالقول : اذهب الى البيت ، لا تعد غدا الى العمل » . ولكي نقف على مدى الاستغلال الذي يواجهه العمال العرب في الكيبوتسات والموشافات ، لا بد من الوقوف على

عدد الساعات التي يشغلها هؤلاء خلال اليوم ، « فالعامل الذي ينام في الموشاف يعمل اكثر من العامل الذي يأتي صباحا ويعود بعد الظهر الى بيته ، ان ساعة عمل العمال الذين يسكنون في الموشافات تبدأ في الرابعة صباحا ، وتنتهي في التاسعة او العاشرة مساء ، وصاحب العمل هو السيد المطاع » (هارتس ١١/٨/٧٢) . لا تقتصر العبودية على الرجل ، بل تشمل ايضا النساء ، فهناك « جوارى » يخدمن في المستوطنات ولا يعدن الى القطاع ، وغدت مستوطنات النقب شبيهة بمستوطنات جنوب افريقيا كما يقول أحد المستوطنين : « ان ذلك بدأ يشبه جنوب افريقيا... ففي كل بيت تستطيع ان تعثر على خادمة او طبخة وعمال مزارع ، بينما يتجول صاحب البيت بينهم كالسيد » (معاريف ٨/٨/٧٢) .

بالاضافة الى « الخطر الامني » الذي يشكله هؤلاء حسب رأي ديان ، فهناك من يرى فيهم « خطرا اجتماعيا وقوميا » مثل وزير العمل يوسف الموفي ، ومن خلال شبح « الخطر الامني » و« الخطر الاجتماعي والقومي » اصدرت سلطات الاحتلال تعليمات واضحة بطرد العمال العرب من المستوطنات ، وارسلت وحدات عسكرية اليها لتنفيذ هذه التعليمات . ولكن وبالرغم من ذلك فقد غدت اوضاع وظروف هؤلاء العمال اقسى من السابق ، ذلك ان قسما كبيرا منهم أخذ يلجئ الى البيئات القريبة من المستوطنات بمساعدة المستوطنين ، وبذلك اصبحوا بالاضافة الى الاستغلال الذي يواجهونه في النهار على ايدي المستوطنين ، تحت وطأة الخوف من وحدات المراقبة الحكومية خلال الليل ، صورة تتكرر كل يوم في المستوطنات ، وصورة اخرى تعيد نفسها كل يوم على امتداد الخط الاخضر ، حيث يمر فوقها يوميا الى اسرائيل ٥٢ الف عربي ، ثلاثة الاف منهم سائح وزائر ، وخمسون الف عامل يبتعون جهودهم للاقتصاد الإسرائيلي !

تعثر التسوية السياسية : في شهريات المسدد السابق تطرقنا الى تقارب الثالوث المسيطر في الضفة الغربية ، سلطات الاحتلال والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، وتحركها في خط واحد لتصفية القضية الفلسطينية ضمن اطار عام يصون الاطماع التوسعية الاسرائيلية ويحمي شهوات المرشز الملكي في السيطرة ولو اسميا ويكفي تطلعات الزعامة التقليدية . لقد لعبت الزعامة التقليدية

التي وقف على رأسها رشاد الشوا من القطاع ،
وأور الخطيب من الضفة الغربية دور الوساطة
بين السلطتين ، ولم ينكسر انور الخطيب الذي
استقبل « استيصال الملوك » في عمان الدور الذي
يقوم به بمباركة من الجعيري وسلطات الاحتلال ،
أذ اعترف قائلاً : « لي الشرف الكبير بأن يكون لي
نصيب في إيجاد الحل العادل لهذا النزاع بالتوسط
بين الأطراف المعنية » ، إلا ان رئيس بلدية غزة
فضل العمل بالتستر لاختلاف طبيعة وظروف القطاع
عن الضفة الغربية .

من المعروف ان سلطات الاحتلال اقامت وعرعت
زعامة تقليدية في الضفة الغربية واتممت الى جانبها
« زعامة شابة » بزعامة ابو شلبية لاستخدامها
كورقة ضغط ضد النظام الاردني والزعامة التقليدية
للحصول على مزيد من التنازلات لصالح الاحتلال ،
وقد ارادت ان تقوم بنفس اللعبة في القطاع ، فني
اعتاب حملات التشريد والتهمج والهدم في شهر
تموز من العام الماضي ، جاءت برشاد الشوا وعينته
رئيساً للبلدية في جو تصورت فيه ان المقاومة قد
انتهت في القطاع ، وفي الوقت نفسه خلقت في
القطاع ما يشبه « الزعامة الشابة » في الضفة ،
كورقة ضغط على الشوا من اجل ان لا يحيد عن
طريقها ، ويمثل ورقة الضغط هذه الحاج هاشم
الخرندار امام غزة الذي ينطلق من نفس الافكار
التي ينطلق منها ابو شلبية ومجموعته . ووسط
جو التوسط تحركت الزعامة الشابة في الضفة
الغربية ضد وساطة الشوا وأنور الخطيب وغيرها
من زعماء الضفة متهمة اياهم بالتآمر والخيانة ،
وتحرك الشيخ هاشم نعمان الخرندار من جانبه
بمتها الشوا بأنه يعمل لبيع القطاع الى النظام
الاردني الذي « قام بمجازر أبولول الأسود ضد
الشعب الفلسطيني » ومعتبراً ان افراد البيعة
التي ترأسها الشوا الى القصور الملكية « لا يمثلون
الا انفسهم ، وحسب اعتقادي ان البيعة تقتصر
على عناصر تربطها بالاردن مصالح تجارية ،
وخاصة عناصر اصحاب البيارات المستعدة لتصفية
القضية الفلسطينية » . ويسأل : « كيف نسلم
انفسنا لشخص لم يقبل يديه بعد من دماء
أبنائنا » . الى هنا ويبدو الحديث معقولاً ، الا
انه يضيف ويكشف عن هويته كورقة ضغط تخدم
سلطات الاحتلال : « انه يدرس مع مؤيديه في
الوقت الحاضر امكانية تنظيم مريضة لتدبيرها الى
سلطات الحكم العسكري ، من اجل اجراء

انتخابات البلدية » . وراء ذلك اضطر الشوا الى
انكار دوره في الوساطة التي تطيح في القصور
الملكية « وانه من الصحافة القول بأنني ذهبت الى
حسين لكي ابيعه القطاع » مدعياً بأن نشاطه اقتصر
على العمل للحصول على تسهيلات لإبناء القطاع
في الاردن وانه جلب معه ثلاثة الاف جواز سفر
أردني لتوزيعها على الطلبة الراغبين في استكمال
دراساتهم في المعاهد العربية .

الا ان اللعبة التي تجري في الضفة الغربية بين
الزعامة التقليدية وورقة الضغط لا يمكن لها
ان تجري في القطاع ، فهناك طرف اصيل
استطاع في عام 1871 ان يسيطر سيطرة
شبه تامة على مخيمات وقري القطاع وحول
السيطرة الاسرائيلية الى سيطرة رمزية كما وجعل
رئيس البلدية في ذلك الوقت يسير وفق مشيئته ،
لا وفق مشيئة سلطات الاحتلال ، اخذ يبرز بعد
عام من حلة التصفية ويقوم بعمليات ضد سلطات
الاحتلال ، فقد قامت المقاومة الفلسطينية في القطاع
بتوزيع منشور عند مطلع شهر آب تبشر السكان
بعودة المقاومة ، وتضمنت المنشور تنديداً بالشوا
لتأييده مشروع الملك حسين ، متهمة اياه بالخيانة ،
وبعد اسبوع على ظهور المنشور ، قامت وحدة
خاصة من رجال المقاومة مكونة من ثلاثة افراد
بنصب كمين للشوا في حديقة منزله وألقت على
سيارته قنبلة يدوية وعيارات نارية ، إلا ان الشوا
نجأ من الحادث ، واخذ يلتزم الصمت . وبذلك
تصدع احد اركان الوساطة ، وبقي انور الخطيب
وشخصيات اخرى من الضفة الغربية مثل حكمت
المصري رئيس البرلمان الاردني السابق ، وعبد
الرؤوف الفارس عضو البرلمان الاردني سابقاً
يجرون مفاوضات مع القصور الملكية . وفي غضون
ذلك اخذت سلطات الاحتلال تقوم بتسهيلات لمواطني
الضفة الغربية عبر خطي خطوط وقف اطلاق النار
والخط الاخضر ، حيث سمحت لأصحاب السيارات
بالمرور عبر الخط الاخضر الى اسرائيل بدون اذونات
مسبقة كما واخذت تعكف على دراسة الغاء
تصاريح الخروج الى الاردن ، واصدار تصاريح
سنوية شبيهة بجوازات السفر تسمح لحاملها
بالذهاب الى الضفة الشرقية في اي وقت يشاء .
ومن المحتمل ان تصدر هذه التصاريح في اعقاب
انتهاء زيارات الصيف . الى جانب ذلك اخذت
تصدر من قبل التيارات الاسرائيلية المخطئة
تصريحات بعدم الانسحاب من معظم المناطق المحتلة ،

ان وزير الدفاع رفض هذه التسوية . وقد اغترفت الدوائر الاسرائيلية المسؤولة ان احوال ديان جاءت في اعقاب اتصالات غير مباشرة جرت في الاونة الاخيرة مع الملك بواسطة شخصيات من الضفة الغربية وقطاع غزة ومن امكان اخرى .

لم تنته الوساطة بل بقي انور الخطيب مع مجموعة اخرى من الزعامة التقليدية يتداول الامر مع الملك ، على أمل التوصل الى تسوية شاملة تكون فيها السلطة الرمزية بيد الملك والسلطة الفعلية بيد سلطات الاحتلال ، الا ان هذا الامل اخذ يترنح على اثر عملية ميونيخ التي قامت بها وحدة تابعة للمقاومة الفلسطينية ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى ان تضع في المرتبة الاولى من سلم الاولويات تصفية الثورة الفلسطينية في اي مكان تتواجد فيه ، وتضع التسوية السياسية مع النظام الاردني في المرتبة الثانية ، ومن هنا يمكن لنا معرفة سر الحزن الملكي من جراء عملية ميونيخ ، والاسباب الكامنة وراء هذا الحزن : « لقد صدمنا وشعرنا بالاسى العميق عندما علمنا بالجريمة النكراء التي ارتكبت في القرية الاولية في ميونيخ . انها جريمة خطط لها وارتكبت من قبل عقول مريضة ... ان هذه الجريمة تأتي اثر جرائم عديدة ... وكانت آخر هذه الجرائم المحاولة الجبانة لاغتيال الوطني الفلسطيني رئيس بلدية غزة » .

عبدالحفيظ محارب

واهم هذه التصريحات هي التي ادلى بها باني دولة اسرائيل دافيد بن غوريون الذي اخذ يغير موقفه تجاه قضية الانسحاب ، فقد كان بن غوريون في السابق يدعو الى الانسحاب من كافة المناطق باستثناء القدس مقابل اتفاقية سلام ، وبعد ذلك ادخل منطقة الجولان ضمن خريطته ، الا انه في الاونة الاخيرة وسع الخريطة الى ان اصبحت تشمل معظم المناطق المحتلة « ذلك لان الوضع اليوم قد اختلف وان الاستيطان قد غير الاوضاع ، فلو كانت الصلاحيات بين يدي ، فاني لن آمر بتصفية المستوطنات واعادة مناطق ... اننا نتوطن في سيناء ونقيم امورا عظيمة هناك .. لقد حدث تغير في سيناء منذ حرب الايام الستة ولا زالت حركة التغير مستمرة ، هنالك فرق بين اعادة صحراء ، واعادة منطقة مأهولة » (هارتس ٧٢/٨/١٧) . وقد استبدت فئة الصقور الحاكمة في اسرائيل قوة من للتغيير الذي حدث في موقف بن غوريون ، واخذت تنقل من قيمة الوساطة التي تجري في القصور الملكية ، والتي تخضت من استعداد الملك حسين - كما يقول ديان في اللجنة السياسية لحزب التكتل العمالي - للتوقيع على اتفاقية سلام منفرد مع اسرائيل ، يعتمد على ترتيبات امن اسرائيلية على امتداد نهر الاردن واجراء تعديلات طفيفة على الحدود وتجريد الضفة الغربية من السلاح واعادة السلطة الاردنية اليها مع ابقاء موضوع القدس مفتوحا للمفاوضات « (معارف ٧٢/٨/٢٤) الا

جدول بالملفات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني (٥٠٠٨١٢-٨١٣/١٢-١٩٧٧/١٢)

تاريخه	المصدر	خسائر المقاومة	خسائر العدو	خسائر العدو المادية	قتل جريح	البشرية	السيارات	السيارات	المستعمل	نوع العملية	موقعها	الساعة	تاريخ العملية	التفصيل	الرقم
٨/٢٦	نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٢٣ من ٤	-	اصابت سيارة مدنية - باضار	١١٦٦	-	-	-	-	القاذف	تجبر	غزة	١٢١٥	٨/٢٥	ق.ش.ف. (٦)	١
٨/٢٨	ن. (٦) عدد ٢٤ من ٦	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	جبال/غزة	٨٢٠	٨/٢٧	ق.ش.ف.	٢
٨/٢٩	ن. عدد ٢٥ من ٧	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	ناحال جولان	١٠٠	٨/٢٩	ق.ش.ف.	٣
٨/٣٠	ن. عدد ٢٦ من ٦	-	اصابت باص لشركة ايجد -	٢	-	-	-	-	القاذف	تجبر	خان يونس	٨٢٠	٨/٣٠	ق.ش.ف.	٤
٨/٣١	ن. عدد ٢٧ من ٨	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	دير البلح	١٠٢٠	٨/٣٠	ق.ش.ف.	٥
٨/٣١	ن. عدد ٢٧ من ٨	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	ناحال جولان	٢١٢٠	٨/٣١	ق.ش.ف.	٦
٩/١	ن. عدد ٢٨ من ٥	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	ريما مختينيم/الجولان	٢١٢٠	٨/٣١	ق.ش.ف.	٧
٩/٢	ن. عدد ٢٩ من ٤	-	اصيب باص بطقات نارية	١	-	-	-	-	القاذف	تجبر	بين القدس ونابلس	٨/٣١	٨/٣١	ق.ش.ف.	٨
٩/٢	ن. عدد ٢٩ من ٦	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	دير البلح	٩/١	٩/١	ق.ش.ف.	٩
٩/٥	ن. عدد ٣١ من ٥	-	موجبت دورية اسرائيلية	-	-	-	-	-	القاذف	مجوم	مجدل شمس/الجولان	٩/٣	٩/٣	ق.ش.ف.	١٠
٩/٥	ن. عدد ٣١ من ٥	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	غزة	٩/٤	٩/٤	ق.ش.ف.	١١
٩/٥	ن. عدد ٣١ من ٥	-	اصابة دبابة	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	بمقان/الجولان	٩/٤	٩/٤	ق.ش.ف.	١٢
٩/٥	ن. عدد ٣١ من ١	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	القطيفة/الجولان	٢٣٠٠	٩/٤	ق.ش.ف.	١٣
٩/٥	ن. عدد ٣١ من ٨	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	مجوم	مبونخ/المانيا الغربية	٦٠٠	٩/٥	ق.ش.ف. (٦)	١٤
٩/٥	ن. عدد ٣٢	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	بئر عام/الجليل الاطلى	٢١٠٠	٩/٦	ق.ش.ف.	١٥
٩/٦	ن. عدد ٣٤ من ٢	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	حصنين/الجولان	٨٠٠	٩/٨	ق.ش.ف.	١٦
٩/٦	ن. عدد ٣٥ من ١٠	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	الشاهراء الشمالي	٢٠٠	٩/٨	ق.ش.ف.	١٧
٩/٦	ن. عدد ٣٥ من ١٢	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	لاسرائيل	٩/٨	٩/٨	ق.ش.ف.	١٨
٩/١٢	ن. عدد ٣٧ من ٧	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	بين حلحول والخليل	٩/١١	٩/١١	ق.ش.ف.	١٩
٩/٧	ن. عدد ٣٧ من ٧	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	بين حلحول والقدس	٤٠٠	٩/١٢	ق.ش.ف.	٢٠
٩/٧	ن. عدد ٣٧ من ٨	-	-	-	-	-	-	-	القاذف	تجبر	حصبية/الجولان	٧٠٠	٩/١٢	ق.ش.ف.	٢١

تحسين الظروف حول مركز الشرطة في جباليا

٨/٢٠	وفا	غير محدد	غير محدد	مواقع ثقيلة	مجموع	شمار حاجران/الجولان	٤٢٠	٨/٢٦	ق.ع.ق.ث.
٨/٢٠	وفا	غير محدد	تدمير آلية	غير محدد	تلخبر	بين الدبوسية والفرضاوي/الجولان	٥٢٠	٨/٢٦	ق.ع.ق.ث.
٩/١	وفا	غير محدد	غير محدد	مارون، مدفعية، ورشاشات ثقيلة	تصف	المال وجبين وحيتل/الجولان	٢٢٠٠	٨/٢٠	ق.ع.ق.ث.
٩/٦	وفا	غير محدد	اعطاب سيارة تابعة للبلدية	القاذورات ثقيلة	تفجير	دير البلح	١٠٢٠	٨/٣١	ق.ع.ق.ث.
٩/١	وفا	غير محدد	اصابة عدد من النشقات	مدفعية مارون ثقيلة	مجموع	ممسك ابو خيط وممسك ابو الخيطان/الجولان	٢٢٠٠	٨/٣١	ق.ع.ق.ث.
٩/١	وفا	غير محدد	تدمير دبابة ونافذة جنود	اسلحة ثقيلة ١٥ اصابة	اشتبك	روينة الصراء/الجولان	٦٠٠	٩/٢٠	ق.ع.ق.ث.
٩/٤	وفا	غير محدد	غير محدد	ورجاج	كئين	غزة	٦٠٠	٩/٤	ق.ع.ق.ث.
٩/٦	وفا	غير محدد	غير محدد	قنابل ومدفعات (٥١)	مجموع	ميونخ/المانيا الغربية	٦٢٠	٩/٥	ق.ع.ق.ث.
٩/٨	وفا	غير محدد	غير محدد	قنابل يدوية	تفجير	تل ابيب	١١٠٠	٩/٧	ق.ع.ق.ث.
٩/٩	وفا	غير محدد	اغراق زورق	مدافع ثقيلة	اشتبك بحري	بين حيفا ونهاريا	٦٠٠	٩/٨	ق.ع.ق.ث.
٩/١٢	وفا	غير محدد	تدمير قسم كبير من المحطة الكهربائية روينج	عبوات ناسفة	تلخبر	تل ابيب	٦٠٠	٩/٩	ق.ع.ق.ث.
٩/١٢	وفا	غير محدد	تدمير سيارة عسكرية	غير محدد	كئين	بين حاحول والخليل	٢٢٠٠	٩/١٠	ق.ع.ق.ث.
٩/١٢	وفا	غير محدد	اصابة عدد من النشقات	أسلحة رشاشة	مجموع	القتيلوة/الجولان	٢١٥	٩/١٢	ق.ع.ق.ث.

حوادث الجولان الاول :

٤ - ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل :

٥ - هدفت العملية لافتعال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة .

٦ - منظمة أيلول الاسود .

٧ - اغرق زورق للتدائين .

مواثي جدول التثني :

- ١ - أعلنت اللجنة الشعبية بمسؤوليتها عن المهيات ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ من جدول مهيات التمسر الذي كما أعلنت أيضا مسؤوليتها عن عملية رقم ٢١ من جدول مهيات عدد ١٢ من شؤون فلسطينية .
 - ٢ - ورقت هذه المهيات بعد صدور العدد الثاني من شؤون فلسطينية .
 - ٣ - خباط اسرائيلي يخشى روقي .
- ٤ - اعترف العدو بأصباية مجيدة واحدة .
 - ٥ - صدقت هذه العملية التثني « حكم الاعدام بالخان رشاد القسما » رئيس بلدية غزة .
 - ٦ - كما قتل جنديان في المانيا الغربية وجرح آخر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

- الفلسطينية
- ٦ - هـ : الهدف ، مجلة اسبوعية تصدر عن اللجنة الشعبية التحرير فلسطين
- ٧ - ف.ت.ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .
- القيادة العامة للثورة الفلسطينية :
- اللجنة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة .
- ١ - ج.ش.ت.ف.ت. : منظمة أيلول الأسود .
- ٢ - ف.ش.ت.ف.ع. : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير
- ٣ - و.ف.أ. : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير

غازي خورشيد

ملحق شهريات : ألمانيا وإسرائيل والعرب

ظل رئيس الوزراء بن غوريون يردد في كل مناسبة بان إسرائيل في حاجة ماسة الى الاموال من اية جهة كانت . وفي الفترة الواقعة ما بين ١٨ و٢٢ آذار ١٩٥٢ وافق كل من البرلمان الألماني والكنيست الإسرائيلي على الاتفاقية التي اصيحت سارية المفعول ابتداء من ٢٧ آذار ١٩٥٢ حين تبودلت وثائق التصديق على الاتفاق بين اسرائيل والمانيا الغربية في مركز الامم المتحدة في نيويورك .

تم التوصل الى هذا الاتفاق وسط معارضة قوية صادرة عن الدول العربية ، وخاصة عن مصر التي واملت تذكير المانيا بعلاقات الود التاريخية التي تربط بين الشعبين ، وتهديد اتفاقية التعميضاات بنفسف هذه العلاقات الطيبة . الا ان هذه الاحتجاجات لم تثن المانيا الغربية عن عزمها على تقديم التعميضاات الى اسرائيل ، بل حتى الطرد الذي يحتوي على المتفجرات ، والذي ارسله الازهابيون اليهود في طريقة مسرحية الى اديناور ، لم يغير من موقف المستشار الألماني العجوز ، مع ان هذا الطرد انفجر وقتل خبير المتفجرات الألماني الذي كان يبقي تعطيل مفعوله . وقد اشتركت وسائل الاعلام مع السلطات في لقلعة محاولة الاغتيال هذه ، واتهام الجهات الألمانية المتطرفة بالمسؤولية عنها ، مع ان اليهود وجهوا الرسائل الصريحة الى الصحف ملتهن فيها مسؤوليتهم عن الحادث ، كما ذكرت الصحفية الإسرائيلية انه دويتشكرون في كتابها عن العلاقات بين المانيا الغربية واسرائيل .

حسب تقرير امدره مكتب الخارجية الألمانية ، استلمت اسرائيل في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ و١٩٦٥ مبلغ ٣٤٤٥.٠٠٠.٠٠٠ مارك ألماني ، أي ما يعادل ٨٦٢٥٠.٠٠٠ دولار . وتضمنت هذه المبالغ المعدات الثقيلة والبواخر والبتترول وغير ذلك من مواد تشكل عسبا حيويا لاتقامة صناعة منتجة تدعم الكيان الإسرائيلي . الا ان هذه القائمة لم تشمل جميع التعميضاات التي حصلت عليها اسرائيل منذ ١٩٥٢ ، فهذه الأرقام لم تكن الا اول الغيث الذي انهمر على الدولة الصهيونية من المانيا . وفي عدد صدر في نيسان ١٩٦٥ ذكرت

يمكن القول عن المانيا الغربية انها بسبب ماضيها النازي ، والحرب العالمية المدمرة التي تسببت في اندلاعها ، ما زالت منذ الخمسينات علاقة على الصعيد الاقتصادي ولكن قزما على الصعيد السياسي . فهي تابعة لواشنطن ومتأثرة بسياسات الحكومة الأمريكية تأثيرا مباشرا . ثم انها دولة بلا شخصية مميزة ، تسيطر عليها عقدة نفسية متأصلة تجعلها ذات حساسية هشة تجاه كل ما له علاقة باليهود ، فبعد ان اعلنت اسرائيل في ١٢ آذار ١٩٥١ انها الدولة الوحيدة التي تمثل الشعب اليهودي في العالم ، وانها الجهة الجديرة بقبض التعميضاات عن الاضطهاد النازي لليهود ، سارع الدكتور كونراد اديناور ، مستشار المانيا الغربية ، الى الاجتاع بناحوم غولدمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ، ليجت مع الموضوع . ومن البداية حرصت اسرائيل على تحميل المانيا الظن بان قبول الدولة الصهيونية للتعميضاات هو بمثابة تفضل وتنزل من جهتها ، باعتبار ان هناك فئات واسعة في اسرائيل ما زالت ترفض ان تكون لها اية علاقة بالمانيا . الا ان الكنيست وافق بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٥٢ على الشروع بالمباحثات من حيث المبدأ . وفي ٢١ آذار ١٩٥٢ بدأت المباحثات بين حكومة المانيا الغربية من جانب ، وبين تل ابيب من الجانب الآخر . وبين حكومة المانيا الغربية من جهة ومؤتمر المطالب اليهودية من المانيا الممثل لسبعة وعشرين منظمة يهودية في ٦٧ بلدا ، من الجهة الأخرى .

وأخيرا تم الاتفاق على دفع مبلغ ٧١٤ مليون دولار لاسرائيل في مدة تتراوح بين ١٢ و١٤ عاما ، وان تدفع المانيا مبلغ ١٥٧٤١ مليون دولار أيضا لمؤتمر المطالب اليهودي ، بالإضافة الى ٦٢ مليون دولار تقريبا تدفعها الى المجلس اليهودي المركزي في المانيا . وبتاريخ ١٥ ايلول ١٩٥٢ وافقت لجنة الشؤون الخارجية في الكنيست على الاتفاق بنسبة ٨ الى ٧ . أي ان اسرائيل استمرت في التظاهر بوجود معارضة قوية في البلاد ضد التعامل مع المانيا وقبول التعميضاات من ورثة هتلر ، وان

حكومة بون نفت في بادئ الامر عزمها على تصدير الاسلحة الى منطقة كالشرق الاوسط يسودها النزاع ، الا ان اجتماع اديناور بين غوريون تبخض عن اتفاق سرى بالغ الاهمية ينص على تقديم المانيا كمية ضخمة من الاسلحة الأمريكية الصنع الى اسرائيل . وفيما انفضح امر هذه الصفقة السرية ، سارعت الدول العربية الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بون ، فيما عدا تونس والمغرب وليبيا . ولكن اسرائيل كانت حتى ذلك الحين قد استلمت ٨٠ بالمئة من الكميات التي ابتاعتها المانيا الغربية من الولايات المتحدة خصيصا كي تهبها للدولة الصهيونية . من الذي فضح الصفقة ؟ تتضارب الآراء حول ذلك . فمن قائل ان بعض النواب المؤيدين للعرب في مجلس البوندستاغ (البرلمان) الالماني أبلغوا ممثل الجامعة العربية في بون (وهو مصري) بموضوع الصفقة ، فنقل النبا الى القاهرة . ومن قائل ان مكشف أمرها هو الملحق العسكري المصري في بون آنذاك ، محمد أحمد صادق ، الذي هو اليوم وزير الحربية . لكن الأرجح ان اسرائيل هي التي فضحت الصفقة لتسيء الى العلاقات الالمانية العربية .

وكان رد فعل الدول العربية متشنجا ، اذ بسدلا من اغتنام هذه الفرصة للاعتراف بالمانيا الشرقية وتبادل الإعتمات الدبلوماسية وانهاء العلاقات الاقتصادية والتعاون الثقافي معها ، فان الدول العربية اكتفت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بون دون ان تتبع ذلك بالخطوة المنطقية التالية ، فتعترف بحكومة برلين الشرقية اعترافا كاملا ناجزا . ولم يأت ذلك الاعتراف الا بعد مرور زمن طويل على هذه الازمة بين العرب والمانيا الغربية ، وحتى عند ذلك ، لم تعترف جميع الاقطار العربية بجمهورية المانيا الديمقراطية .

ولا بد من التحدث في هذا السياق عن الدور الذي لعبته محاكمة مجرم الحرب الالماني ادولف ايخمن في العلاقات الإسرائيلية الالمانية وانعكاس هذه المحاكمة على موقف الالمان من العرب . كان الهدف الإسرائيلي الرئيسي دائما هو ابقاء عقدة الذنب الجماعية حية في اذهان الالمان ، وذلك بالعزف المستمر على نغمة افران الغاز في داخار واوشفتز وبيلسن بيلسن ومسكرات الاعتقال النازية الأخرى التي أريد فيها الإلاف من البشر ، باعتبار ان هذا

مجلة ديرشبيغل ان مبالغ التعويضات التي تقدمها المانيا الغربية الى اسرائيل سيصل مجموعها في النهاية الى ٣٢ الف مليون مارك ، أي ما يعادل ٨٠٠٠ مليون دولار ، حصلت اسرائيل على ٥٠٠٠ مليون دولار منها حتى عام ١٩٦٥ .

هذه التعويضات الهائلة فتحت شهية اسرائيل للبطالية بالمزيد . فالى جانب اتفاقية التعويضات العامة ، كانت هناك التعويضات الجزئية الخاصة . فدفعت المانيا التعويض عن فقد الممتلكات ، ثم قدمت تعويضات شخصية ، و أخيرا وهبت الاسلحة البقيلة بكميات واسعة . أي انها كانت واتمة ضخمة مطروعة لاضخم عبلية ابتزاز تعرضت لها دولة في التاريخ . وهذا الابتزاز كان طبعا يحظى برضى واشنطن ومباركتها . وعندما قاربت اتفاقية التعويضات الموقعة عام ١٩٥٢ على الانتهاء ، بدأت اسرائيل محاولتها لعقد اتفاقيات جديدة . ففي ١٤ آذار ١٩٦٠ اجتمع دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل يومئذ ، بالمستشار الالماني اديناور في غرفة الأخير بفندق والدورف استتوريا بنيويورك . وكان الاثنان يزوران الولايات المتحدة . وقد اثرت قبل الزيارة قضية البروتوكول بسين حاشية الرئيسين ، والتي دارت حول أي من الرئيسين يجب ان يقوم بزيارة الآخر في غرفته . الا ان بن غوريون المستعجل على مقابلة الزعيم الالماني لنيل الأموال منه ، عسم المناقشة بقوله انه ما دام هو الاصغر سنا ، فسيقوم هو بزيارة اديناور في غرفته . ومع ان تفاصيل ما دار في تلك الجلسة التي وصفت بانها تاريخية وتبشر بالمصالحة بين الشعبين اليهودي والالماني لم ينشر في حينه ، الا ان تكهنات الصحف الالمانية والأمريكية والاسرائيلية أكدت احتمال تقديم بون بمبالغ جديدة الى تل ابيب . وبالرغم من ان الناطق الالماني الرسمي نفى هذه الأنباء المتعلقة بتقديم المساعدات المالية الضخمة ، الا ان الضجة الكبرى التي اثارها الصهيونيون في العالم أدت في النهاية الى رضوخ المانيا لشرط اسرائيل الرئيسي ، والذي منحوا ان الدولة اليهودية تحتل مرتبة خاصة في علاقات المانيا بسائر الدول وذلك نظرا للاضطهاد الفظيع الذي اوتعته المانيا النازية باليهود .

وعلى الصعيد العسكري كانت اسرائيل منذ عام ١٩٥٧ قد أعلنت بلسان بن غوريون انها دخلت مرحلة التعاون العسكري مع المانيا . ومع ان

التنكر المستمر سيجر السلطات الألمانية الجريئة على الظهور أمام العالم في مظهر الرجل الذي تاب عن ذنوبه ويبغى التكفير عنها ، سيجبرها على ان تواصل مد أسرائيل بالاموال والسلاح ، وعلى أساس ان النفوذ الصهيوني المتفلفل في وسائط الاعلام الغربية ، وصاحب القاعدة القوية في الولايات المتحدة بإمكانه ان يشوه سمعة المانيا في العالم اذا هي ترددت في الاستجابة لمطالب تل ابيب .

وكان العملاء الاسرائيليون قد اختطفوا ادولف ايخن من الارجتين في طائرة تابعة لشركة العال ، واحضروه مكبلا لاسرائيل حيث أعدوا له محاكمة مسرحية حشدوا لها جميع طاقاتهم الدعائية . فسلطوا الاضواء على الرجل الكهل التابع في القمص الزجاجي المتاوم للرصاص ، وبعد محاكمة استعرضت جرائم العهد الهتري بالتفصيل ، حكموا عليه بالاعدام ونفذوا فيه الحكم .

هذه المحاكمة سببت حرجا شديدا لحكومة بون نظرا لانها نبشت فظائع الماضي في فترة كانت بها المانيا الغربية قد أصبحت عضوا مقبولا محترما في الاسرة الدولية بسبب معجزتها الاقتصادية الباهرة . ولم يتنح اديناور احدا عندما صرح بان ايخن هو ليس مواطنا المانيا (كان ايخن من النمسا) ولذا فالمانيا ليست مسؤولة عن تصرفاته ، فالواقع ان ايخن خدم الدولة الالمانية في عهد الرايخ الثالث وكان ضابطا في قواتها ، ولذا لم تتجح محاولة اديناور للتصل منه ، بل اثارته الرثاء فقط .

استمرت العلاقات الالمانية العربية بالتردي ، لا سيما اثر زيارة سكرتير الحزب الشيوعي في جمهورية المانيا الديمقراطية ، فالتر اولبريخت ، للقاهرة اثر فضح صفقة السلاح النورية . وقد توجه غيرهارت غيرستماير ، رئيس البرلمان الالمانى الغربى ، الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر . وفي سياق الحديث تساءل هذا السياسي الالمانى المحافظ عن سبب غضب العرب على المانيا بسبب مدحا اسرائيل بالاسلحة ، بينما هم ، أي العرب ، يستلمون الاسلحة بكميات وفيرة بن الاتحصاد السوفيميتي . فاجابه عبد الناصر : اننا ندفع ثمن هذه الاسلحة ولا نستلمها هبة . وعندما سأله غيرستماير سلخرا عن الثمن الذي تدفعه مصر مقابل هذه الاسلحة ، ملححا بان مصر الفقيرة لا تمثلك الموارد الكافية لذلك ، اجابه عبد الناصر

مورا : اننا ندفع الثمن بأفضل ما لدينا من القطن . وحاولت المانيا الغربية ان تنهي الرئيس عبد الناصر عن عزمه دعوة اولبريخت الى مصر ، ولكنه رفض ان يسمح الدعوة . وعند ذلك طلبت منه ان يظل من الخفاوة برجل الدولة الشيوعي عندها اللود ، ولكن عبد الناصر رد قائلا بان العرب عندما يدعون شخصا لزيارتهم ، فانهم يبذلون في استقباله والترحيب به كل كرم واحتفاء ، اما اذا كانوا يزعمون استقبال شخصهم بيروء ، فالأفضل الا يدعوهم الى زيارتهم على الاطلاق .

ويجب القول هنا ان وسائط الاعلام الالمانية ساهمت في تسميم الجو حتى قيل ان تكون هناك أزمة فعلية في العلاقات بين المانيا ومصر . ففي بداية الستينات ألقت سلطات الامن المصرية القبض على الماني مقيم في القاهرة بتهمة التجسس لحساب اسرائيل . ومع ان هذا الالمانى اعترف بذنبه في محاكمة نزيهة هادئة الجو ، وكان الحكم عليه خفيفا (وقد افرج عنه فيما بعد) الا ان الصحف الالمانية ظلت تردد ما يشتم منه ان مصر معادية لالمانيا ، وان الحديث عن علاقات الود التقليدية التي تربط ما بين الشعبين هو حديث مجوج باعتبار ان العرب كانوا — على حد رأيها — يتعاطفون مع هتلر ، ولذا فان حكومة بون الديمقراطية لا يمكن ان تترك هذا العطف المشبوه الذي من شأنه ان يسيء الى سمعتها ، بل عليها ان تقوي علاقاتها مع اسرائيل « الاشتراكية الديمقراطية » على حساب علاقاتها مع العرب « الذين يلعبون على الحبلين بين الكتلتين المتنازعتين » .

ومع ان بون واصلت تقديم المساعدات الثانوية الى مصر وعدد من الانتظار العربية الاخرى ، الا ان ضغط واشنطن ، وموالة وسائط الاعلام الالمانية للجانب الاسرائيلي ، اضطرها الى ان تتخلى عن جياها بين العرب واسرائيل تدريجيا ، وتسلي بدلوها في الجانب الاسرائيلي . ويمكن في هذه المناسبة الاشارة الى ان الضجة الكبرى التي اثارها اسرائيل بسبب العلماء والخبراء الالمان الذين كانوا يعملون في مصر على تطوير الصواريخ والطائرات الحربية ، فان سياسة الدولة الصهيونية ورجال علاقاتها العامة جعلوا الامر كله يبدو وكأن الالمان يساعدون الغرب على اباداة اليهود بعد ان فشل هتلر في محاولته تلك . وتحركت الاستخبارات الاسرائيلية لتزهب العلماء الالمان وتقصيهم عن

مجال التعاون العلمي مع مصر ، تخلفت أحد العلماء من ميونخ ونقلته . ثم حاولت اغتيال عالم آخر . ولما فشلت ، استدرجت ابن وابنة هذا العالم الى فندق في سويسرا يقع بالقرب من الحدود الألمانية ، وهناك قابلها عميلان اسرائيليان وهدداها بقتل ابنيها ان هو لم يتخل عن تعاونه مع المصريين . وولت سلطات الامن السويسرية القبض على هذين العميلين الا انها افترجت عنها بعد ذلك بفترة قصيرة . ولكن الارهاب الاسرائيلي استمر ضد كل من يتعاون مع مصر في المجال العلمي . فوضعت قنبلة في طائرة كانت تستقلها الزوجة الألمانية لرجل اعمال مصري يقيم في سويسرا ويتعامل مع الحكومة المصرية . وادى انفجار القنبلة الى سقوط الطائرة ومقتل من فيها . ولم تحرك السلطات الألمانية او السويسرية ساكنا للبحث عن الفاعل ، مع ان زوجة المصري كانت دوقة تنحدر من اسرة المانية نبيلة .

وبالإضافة الى عمليات الارهاب ضد الالمان في اوروبا ، لم تهمل الاستخبارات الاسرائيلية العلماء الالمان في مصر نفسها ، فارسلت طرودا ملفومة انفجر احدها في وجه السكرتيرة الألمانية لخبر الصواريخ فلغنائغ بلتز ، فمشوه وجهها وأفقدتها السمع والبصر . كما انفجر طرد آخر في مصنع حلوان للطائرات مما أدى الى مقتل عدد من المصريين . واكتشفت طرود اخرى قبل ان تنفجر وكانت مرسله من هامبورغ . وطوال هذه الفترة صاحبت العمليات الارهابية حملة في صحف المانيا الغربية ضد عمل « النازيين السابقين المعادين للسامية » في مصر ، دون ان يشير احد الى ان السلطات الأمريكية هي التي اقمعت الحكومة المصرية في بداية الخمسينات بقبول هؤلاء العلماء والخبراء . بعد ان اتفقت حاجة امريكا اليهم . ويذكر مايلز كوبلند في كتابه « لعبة الامم » ان واشنطن بعد أن استعانت بعدد كبير من العلماء الالمان عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لتطوير صواريخها ، لم تشأ ان تتركهم بدون عمل بعد الاستغناء عنهم ، ففرضتهم على بعض الدول الصديقة التي كانت مصر بينها في اوائل الخمسينات . وعلى كل حال ، فقد فشل هؤلاء العلماء في تطوير صواريخ صالحة او بناء طائرة مقاتلة سوپر سونيك يمكن الاستفادة منها . فانتهت القاهرة عقودهم اثر حرب حزيران ، وهكذا انتهى التعاون الالمانى المصري على الصعيد العسكري دون ان يأتي

بشرات . اما التعاون العلمي والعسكري بين اسرائيل و المانيا الغربية ، فكان طوال هذه الفترة قائما على قدم وساق وان لم توجه اليه الاسماء ، واستمرت السرية تحيط بعمل العلماء الالمان في معهد وايزمن ، وبتدريب الضباط الاسرائيليين في المانيا على استخدام احدث الاسلحة والمعدات الالكترونية . وحاولت وسائط الاعلام الألمانية ان تغطي على هذا التعاون الوثيق بالزعم ان مصر وبعض الدول العربية تأوي مجرمي الحرب النازيين ، وان فشلت في تقديم قائمة تحتوي على الاسماء ، واخفقت في تفسير الاسباب التي تجعل قدامى النازيين يفضلون اللجوء الى امريكا اللاتينية ، وحتى الى بعض الدول الافريقية ، بدلا من الاطوار العربية . الا ان ركازة هذه الاتهامات لم تثبط عزيمه الصحف الألمانية التي استمرت تؤدي دورا أساسيا في تسييم الراي العام الالمانى ضد الحرب ككثير من داخاو واوشفيتز . ففي نهاية الخمسينات مثلا ، انتج التلفزيون الالمانى الواقع تحت اشراف الحكومة فيلما عن اسرائيل يمجد الدولة الصهيونية بقدر ما يبئ الى العرب . فاشترته أجهزة الدعاية الاسرائيلية واخذت تعرضه في كل مكان . كما ان سيل الكتب الاطرائية التي ألفها الكتاب والصحفيون الالمان عن اسرائيل لم ينقطع . ولذا كانت الاوساط المثقفة في المانيا في ذلك الاطار الذهني المناسب الذي تمكنت اسرائيل ان يكون فيه عندما شنت عدوانها في حزيران ١٩٦٧ . فسارت التظاهرات تندد بالعرب وتهتف لاسرائيل ، وسارعت بون بتقديم عشرين الف قناع واق من الغاز لاسرائيل ، علاوة على بعض المسامحات العسكرية الاخرى التي لم يكشف النقاب عنها . وفي مساء الخامس من حزيران ، عندما ظهر فيلما برانت في التلفزيون الالمانى ليرد على الاسئلة المتعلقة بالحرب العربية الاسرائيلية ، وكان آنذاك وزيرا للخارجية في الحكومة الائتلافية التي ترأسها كيمسفر ، اجاب على سؤال تضمن الاستفزاز عن الجانب الذي يبادر بالهجوم ، بقوله انه لا يعلم ، مع ان الاستخبارات الألمانية التي يديرها الجنرال غلن الشهير كانت ملمة بخطة الهجوم الاسرائيلي حتى قبل وقوعه بأيام .

اجمعت الصحف الألمانية على اعتبار العرب اصحاب المسؤولية في اندلاع الحرب ، فشنت عليهم حملة مسعورة لا تقل في درجة عنفها وحقدتها عن الصحف الاسرائيلية ان لم تكن قد فاقتها . ولم يحاول

رئيس الجمهورية بعد أن انتهت ولايته، وكذلك كوزر أد
 اديشاور ولودفيك ايرهارد وفرانز يوزف شتراوس ،
 وزير الدفاع السابق الا ان التقارب الحثيث بين
 البلدين لا ريب سيؤدي في المستقبل غير البعيد الى
 تبادل في الزيارات بين الرؤساء والوزراء الذين
 ما زالوا في مقاعد الحكم ، لا سيما وان المستشار
 الحالي غيلي برانت انضم اثناء الحرب العالمية
 الثانية الى المقاومة النرويجية ليحارب ابناء وطنه
 النازيين ، اي أنه من المساسة الالمان القلائل الذين
 لم يتلوث ماضيهم بأثام النازية . وفعلا وجهت
 اليه الدعوة قبل أشهر لزيارة اسرائيل . واسرائيل
 بتقاربها من ألمانيا تعوض بذلك على ابتعاد فرنسا
 عنها . ومع أن ألمانيا عادت فاستأنفت علاقاتها
 الدبلوماسية مع مصر ولبنان بعد انقطاع دام ست
 سنوات سببه تبادل بون السفراء مع تل ابيب ،
 الا ان ألمانيا اهتمت الدول العربية التي استأنفت
 العلاقات الدبلوماسية معها بأن هذه الخطوة لن
 تؤثر على العلاقات الألمانية الاسرائيلية ، وان بون
 ستواصل تقديم المساعدات المالية الى تل ابيب .
فء المنصور

اصناف العرب الا اليسار الجديد الذي تفهم دور
 اسرائيل الاجريالي في المنطقة . وقد تصافت عدة
 عوامل على جعل العرب هدفا للكراهية من اكثر
 الجوانب ، فان مؤيدي سياسة الحرب الباردة
 واعداء الكتلة الاشتراكية لم يكونوا قد غفروا
 للعرب كسرهم لحلقة التحالف الغربي في الشرق
 الاوسط المثل بحلف بغداد ، ولا اعتناق بعض
 الانظمة العربية مبدأ عدم الانحياز بين الشرق
 والغرب . كما ساءهم تقرب مصر وسوريا والعراق
 والجزائر واليمن والسودان من الكتلة الشرقية
 واستيراد هذه الاطنار السلاح منها . علاوة على
 أن دعوة عبدالناصر لاولبرخت اثار عداة المؤسسة
 الألمانية القائمة ضد مصر ، لان هذه الدعوة ساهمت
 في تحطيم مبدأ هالشتاين . ثم كانت هناك أيضا
 تلك الفئات ذات الماضي النازي المخجل التي ارادت
 مداراة ماضيها الاسود بالتكالب على تأييد اسرائيل
 والتصفيق لها ، فمارنت بين رومل وديان ، مشيرة
 الى أن القائد حاربا في الصحراء وانتصرا .
 قبل حرب حزيران كان المساسة الالمان لا يزورون
 اسرائيل الا بعد تقاعدهم . فزارها تيودور هويس ،

اصدر مركز الابحاث في العام ١٩٦٦ كتاب

المساعدات الامريكية والالمانية الغربية لاسرائيل

بقلم

اسعد عبد الرحمن

بالعربية (تأفد) وبالانجليزية سعر النسخة ١ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد :

٥ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥ ق.ل. في سائر الدول .

اسرائيليات

اعلان « حرب الإبادة » على الفلسطينيين

رهائن ، واطلاق سراحهم مقابل اطلاق سراح أسرى فلسطينيين في سجون اسرائيل . فلماذا لم تستجب اسرائيل الى هذا المطلب ، فتنقذ حياة خيرة لاعبيها ؟ ان اسرائيل لا تريد ان تسجل سابقة تنازل واحدة امام المقاومة الفلسطينية . واصرارها على التثبيت بهذه الفطرسه من جهة ، والاستهتار المهين بمراداة المقاومة الفلسطينية ، هو الذي أدى الى مقتل رياضيين في ميونيخ . من هنا ، يكون الاسرائيليون الاحد عشر ضحايا العناد الاسرائيلي والقطرسة والغرور .

وفي أجهزة الاعلام الاسرائيلي الرسمية وشبه الرسمية اجماع على ان موت احد عشر اسراييليا هو مبرر كاف لابادة شعب اخر ، وذلك من اجل احلال السلام والهدوء في منطقة الشرق الاوسط والعالم . اي - ان ابادة الشعب الفلسطيني هي المعادل الوحيد لضمان سلامة المنطقة والعالم . فلماذا يقول الشعب الذي فقد عشرات الآلاف من أبنائه ، ماذا يقول الشعب الذي اجتث من وطنه؟ ماذا يقول ؟ هل سألت أجهزة الاعلام الغربية نفسها هذا السؤال ؟

ولماذا نقول ان اسرائيل لا تحتاج الى ذريعة ولكنها تحتاج الى توقيت ، لتفريغ حقدنا العنصري على الفلسطينيين الذين يشكلون خلايا في معادلة اسرائيل الامنية ؟.

لقد قررت الكنيست ، بالاجماع ، بأنه « على دولة اسرائيل القيام بواجبها وممارسة حقها في الدفاع عن مبعوثيها ومواطنيها ، أينما كانوا ، وان اسرائيل ستعمل بصورة متواصلة ضد منظمات الارهاب وقواعدها والسذين يقدمون لها المساعدة حتى يتم وضع حد لعملياتهم الاجرامية . وقررت الكنيست بأن مسؤولية جريمة ميونيخ وكافة العمليات التدميرية الاخرى التي تقوم بها منظمات

لم تكن اسرائيل بحاجة الى ذريعة لشن حرب الابادة ضد الشعب العربي الفلسطيني . ولكنها تستثمر عملية ميونيخ لخلق مناخ ملائم لارتكاب مزيد من الجرائم الوحشية ضد هذا الشعب السذي مارسبت ضده اسلوب الابادة التدريجية منذ نشوئها على ارضه منذ ربع قرن حتى الان . ولعل مزاح الايام ثقيل الظل . فان اسرائيل التي شنت حروبها الثلاث ضد العرب « ردعا لخطر الابادة » - كما كانت تقول - لم تتمكن من الاستثمار في خداع العالم ، فوقفت اخيرا واعلنت ، في الحكومة والبرلمان والصحف ، انها قد شنت حرب الابادة على الشعب الفلسطيني . لقد جاء هذا الاعلان متأخرا جدا . ولعل مزاح الايام ثقيل الظل مرة اخرى . فان اسرائيل التي استجدت عطف العالم نتيجة تعرض ملايين اليهود للابادة في اوروبا ، ترى الان ان عطف « الرأي العام العالمي » الغامر عليها بعد عملية ميونيخ ، هو الذي سيسهل عليها مهمة ابادة الشعب العربي الفلسطيني . وهذا الاعلان جاء متأخرا بعض الشيء . فلم تكن اسرائيل بحاجة الى ذرائع بقدر حاجتها الى توقيت مناسب .

لقد امتلأت اسرائيل بالاحساس بانها سيدها المنطقة ، وصار من « حقها » ان تطالب الدول المجاورة لها بالتطوع للدفاع عن أمنها . وما عادت تجد غضاضة في الاعلان الصريح بانها تشن حرب ابادة . ان من « حقها » ان تمضي في الدلال حتى اخر الشوط - والعالم العربي مفتون بها . ما زالت بقرقيات التعزية الحارة تتدفق اليها من الغرب ، ولم يجد هذا الغرب ان من باب اللياقة الحضارية ان يعزي العرب بمقتل عشرات الآلاف منهم - ضحايا الارهاب الصهيوني . لقد نسي هذا الغرب الرسمي ان يتساءل : لماذا مات الاحد عشر لاعبا اسراييليا في ميونيخ ؟ لقد كان للفدائيين العرب مطلب سياسي انساني واحد هو : الاحتفاظ بالاسرائيليين

القطر تقع على طاق الدول العربية التي تقدم لها قواعد العمل والتأييد السياسي والأسلحة والاموال ، وطالبت الكتيبت كافة الدول بالعمل ضد منظمات الارهاب والقضاء على قواعدها .
(١٢/٩) - نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث .
هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديبان في مونتريال بكندا « ان الارهاب العربي لا يشكل خطرا عسكريا على اسرائيل » كما ان يؤدي الى اية نتائج « (١٣/٩) .
اذا كان ديبان مقتنعا بصحة تقديره ، فاي مبرر يبقى لشن حرب الابداء اذن ؟

ولا تكفي اسرائيل باعلان الحرب على الفلسطينيين ، ولكنها اعلنت في الوقت ذاته حرب التهديد على الدول العربية . فقد اجمع كل المسؤوليين الاسرائيليين على تحميل الدول العربية مسؤولية عملية ميونخ وغيرها من العمليات الفدائية . قالت غولده مئر : « ان التعبيرات المؤيدة لعملية ميونخ التي صدرت عن الدول العربية تؤكد بان مسؤولية هذه الجرائم لا تقع على « المخربين » فقط ، بل تشمل أيضا الدول العربية التي تقدم لهم القواعد والدمم الاديبي والاخلاقي » (١٢/٩) .
نهل يعني هذا الكلام شن حرب على الدول العربية التي يتواجد فيها الفلسطينيون ؟

ان الذي يتابع تصريحات الاسرائيليين الرسمية يلاحظ ان اسرائيل ترى الوقت مناسباً للابتزاز السياسي من الدول الأوروبية ، ومن الدول العربية أيضا . لقد عبر وزير خارجية اسرائيل ابا ايبي ، بصراحة ، عن هذا المعنى بقوله ، ردا على سؤال حول « مشاريع السلام » الاسرائيلية « انني لا أفكر في هذه اللحظة بالسلام ، وانها ينصب تفكيري على كيفية ازالة « وباء الارهاب » من العالم » (٨/٩) .

معنى كلام ابا ايبي ، انه يشترط الاستمرار في الحديث عن وهم التسوية السياسية مع العرب بشرط جديد هو : القضاء على المقاومة الفلسطينية وتطلعات شعب فلسطين . ومعنى ذلك ، ان اسرائيل تلوح بتصعيد التوتر في المنطقة اذا ما استمر الموقف الفلسطيني في التحرك . اي ان اسرائيل تريد ان تترك الكرة الان بين الفلسطينيين والدول العربية ، على اعتبار ان الفلسطينيين هم

الذين يشكلون العقبة الرئيسية الان في التسوية السياسية ، بعد زوال العقبة الرئيسية الاولى وهي : الوجود السوفياتي .
هذا من جهة ..

ومن جهة اخرى .. تسعى اسرائيل الى دفع بعض الحكومات العربية - تحت الضغط العسكري - لاتخاذ موقف شبيه بالموقف الاردني من المقاومة الفلسطينية . فقد اوضح مراسل اذاعة اسرائيل احد الاهداف الرئيسية من عمليات الجيش الاسرائيلي الاخيرة ضد سوريا ولبنان . قال ردا على سؤال : « الى اي مدى قربت عمليات الجيش الاسرائيلي ضد سوريا ولبنان حكومتي البلدين ، وخاصة حكومة لبنان ، من اتخاذ قرار صريح بابعاد الفدائيين ؟ اجاب : « ان حكومة لبنان غير مهية للقيام بعملية تستهدف انتهاء وجود المخربين في لبنان بشكل قاطع . انها تحاول اللف والدوران . ومن الواضح انه ليس هناك في العالم العربي ، باستثناء الاردن ، اية جهة على استعداد لضرب المخربين ، او مديد العون لعملية كهذه » (١١/٩) .
ولكن اسرائيل ليست يائسة من استخدام الضرب العسكري لدفع التطورات وفقا لارادتها في هذا الميدان . قال المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل ان عمليات الجيش الاسرائيلي في سوريا ولبنان « لا تعدو كونها تذكيرا اضافيا لمنظمات التخريب وللدول العربية ، بان الدول العربية تتحمل مسؤولية العمليات التي ينفذها المخربون في اراضيهم » . وترى اسرائيل ان مسؤولية سوريا تتمثل فيما يلي : ١ - القيادة السورية شملت الفدائيين بحمايتهم وشجعتهم على عملياتهم ضد اسرائيل ، وازافة الى ذلك فهي تشرف عليهم .
٢ - سوريا تساعد الفدائيين في جميع المجالات ، بما في ذلك التدريب وتقديم المعلومات والتسليح والتموين . ٣ - القيادات الرئيسية للفدائيين تتمركز في دمشق .

اما مسؤولية لبنان فتمثل بما يلي : ١ - يوجد في لبنان خمسة الاف فدائي منتشرين في جنوبه وشرقه .
٢ - تعتبر معسكرات اللاجئ في لبنان وكرا لنشاط الفدائيين . ٣ - يتركز النشاط السياسي للفدائيين في بيروت ، حيث يتمتعون بحرية العمل والاعلام والحصول على المساعدات والخدمات الطبية .
٤ - اشراف الجيش اللبناني على الفدائيين شكلي وغير فعال .

ومرح رئيس الاركان العامة الجنرال دافيد
اليمارز بأنه يمكن للفدائيين « ان يعتبروا عمليات
سلاح الجو كرد على عملية القتل في ميونيخ ، لكن
هذا الرد ليس هو الوحيد بالضرورة . وان العمليات
الجوية ليست الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفدائيين »
(١/٩) .

واعتر نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية يغالغون
الغارات التي شنتها الطائرات الاسرائيلية على كل
من سوريا ولبنان « مرحلة جديدة في عملياتنا ضد
المخربين » .

وتجمع وسائل الاعلام الاسرائيلية على « ضرورة »
استمرار وتواصل الغارات والعمليات العسكرية
الآخري كجزء من « حرب الابداء ضد الفلسطينيين »
وكتبت « هارنس » : « ان الرضا الذي تولد
عندنا نتيجة الضربات التي وجهها سلاحنا الجوي
يجب الا يدفعنا للاعتقاد باننا قدما جوابا وحسلا
للمشكلة ، لان الرد مهما كان قاسيا لن يكون كافيا
لمنع تكرار الاعمال الخطيرة الا اذا كان مستمرا
ومتواصلا . ويبدو ان الحكومة لم تع بشكل عام
حتى الان ان « الارهاب » يتطلب جريا مضادة
منظمة ومخططا لها . ولهذا علينا ان نركز جهودنا
للقضاء على « الوباء » من خلال المبادرة الى ضرب
« المخربين » في كسل مكان (١/١٠) . وكتبت
« دافار » في اليوم ذاته : « ان هناك صلة بين
العمليات العسكرية التي وقعت وبين ما حدث
مؤخرا في ميونيخ ، ولكن يخطئ من يعتقد ان
العمليات كانت مجرد عمليات انتقامية ، وانما هناك
جبهة جديدة رئيسية في مواجهة الجيش الاسرائيلي
قد اشتملت » .

هذا ، على مستوى العمليات العسكرية ضد
الفلسطينيين والدول العربية . ولكن اسرائيل
اعلنت انها ستبد جبهة القتال ضد الفلسطينيين
الى مناطق اخرى من العالم ، ومن الواضح ، ان
الموقف الامريكي المتحمس في تأييده لاسرائيل ،
والذي بلغ الأوج في تصريحات كبار المسؤولين
الامريكيين واستخدام المندوب الامريكي حق النقض
في مجلس الامن ضد مشروع قرار ادانة اسرائيل ،
يدفع الحكومة الاسرائيلية للسرع في العمليات
العسكرية والارهاب ضد المدنيين حتى آخر الشوط .
ولعل اسرائيل لم تحصل ، في تاريخها ، على مثل
هذا التأييد والتشجيع الامريكيين الملتين كما
تحصل عليه الان . وتقول اذاعة اسرائيل (١/١٢)

ان البيت الابيض قرر ان يتخذ موقف الهجوم ضد
« الارهاب » في العالم . وتقول اذاعة الاسرائيلية
ايضا « ان الحكومة الامريكية غير مقتنعة بادعاءات
الحكومات العربية بانها غير مسؤولة عن اعمال
مظلمات « التخريب » » .

وكانت رئيسة حكومة اسرائيل فولده مثير قد
اشارت في الكنيست الى « امكانية عمل اسرائيل
ضد « المخربين » أينما كانوا حتى في اوربوا » .
فهل تسمح الدول الأوروبية لاسرائيل بممارسة هذا
النشاط على اراضيها ؟ . عن هذا الموضوع تحدث
المقيد مثير والصحفي يشعياهو بن فورث في
اذاعة اسرائيل (١/١٣) . وقد أيد المقيد مبدأ
شن حرب العصابات على الفلسطينيين في اوربوا
« ولكن هناك قيودا على مثل هذا العمل الان لان
الدولة التي تحترم نفسها لا تقبل بان تقوم جهة
سرية اجنبية بعمل داخل اراضيها » .

وتعلن الاوساط الاسرائيلية انها لن تكتفي بمحاولة
العمل ضد الفلسطينيين داخل حدود الدول
الأوروبية ، بل ستصعد عملياتها داخل حدود الدول
العربية . فقد قال المقيد ملير بعيل في البرنامج
الاذاعي ذاته « ولكن ، بالنسبة للعمل داخل حدود
الدول العربية ، فان هذا الامر جائز » . وقال
المعلق الصحفي بن فورث : « ان هذا العمل
جائز حتى لو تم كشف منفيده . ولقد نسبت الدول
العربية بعض الاعمال لنا ، ولم نعترف بها او
نتكرها . ولكن اذا ما اكتشفت عملياتنا فيجب ان
نتحمل مسؤولية النتائج المترتبة من ذلك » .
واضاف المقيد الى اموال زميله : « ان الدول
العربية هي دول معادية . واتامسة حركات سرية
تعمل ضدها يعتبر امرا مشروعا . ولكن الامر
صعب بالنسبة للدول الصديقة لاسرائيل ، او على
الاقل الدول التي تتخذ موقفا محايدا » . وحدد
المقيد طريقة العمل داخل الدول الأوروبية بأنها
يجب ان تتصف بالحذر « بحيث لا تنزلق الى
استخدام العنف ضد كل شخص عربي فيها لاننا
نشقه بان له علاقة بالارهابيين ، ولكن يجب فعل
كل شيء من اجل القاء القبض على تلك الزمسة
التي تنظم وتخطط لعمليات الارهاب ، اي العقول
الديرة » .

هكذا ، تتضح ملامح « حرب الابداء » التي اعلنتها
اسرائيل بتشجيع علني من الولايات المتحدة
الامريكية ، فهي تعتمد على العمليات العسكرية

منذ النزال العربية ، ومنذ تحركات الفلسطينيين فيها ، مع انذار الحكومات العربية بتأجيل الحديث عن أية تسوية معها لتفهمها الى التعاون معها للفضاء على العقبة الاساسية امام التسوية وهي الوجود الفلسطيني . وتعتمد على اقامة حركات

عربية داخل البلدان العربية لالتميز او اعتقال قادة المقاومة ، وعلى اقامة شبكات في الدول الاوروبية للعرض ذاته . واذا لم تحقق هذه الوسائل الاهداف المنوطة بها ، فليس من المستبعد ان تندفع اسرائيل الى توسيع رقعة الحرب في المنطقة .

مكانة الفلسطيني في الفكر الاسرائيلي

بحق كلنا القوميتين على ارض فلسطين التاريخية . ويرى الياف ان الحل يكمن في تقسيم البلاد الى دولتين ، وعلان اسرائيل من استعدادها للرجوع الى حدود الخامس من حزيران مع اجراء بعض التعديلات الطفيفة « من اجل اثاحة الفرصة لقيام الدولة الفلسطينية » .

أي أنه يمكن تلخيص الكتاب بأنه يدور حول محور علاقات اسرائيل مع الفلسطينيين .

وتقول صحيفة « هارتس » (٧/٢٨) انه على الرغم من قلة النقد المباشر ضد قيادة الدولة وسياسة حزبه ، الا ان كتاب اريه الياف يشكل ، في مجمله « نقدا قاسيا لخط حزب العمل الرسمي ، خط غولده مئر - يسرائيل غاليلى » .

ونشرت « هارتس » موجزا للراء الواردة في الكتاب ، ولاحظت ان المؤلف يتمتع من استخدام التسميات الاسرائيلية المساندة للمنظمات الفلسطينية ، فهو لا يسميها « منظمات التفريب » او « عصابات القتل » ، بل يسميها « منظمات المقاومة الفلسطينية » او « المنظمات الفلسطينية او المقاتلين الفلسطينيين » . ويقول المؤلف : « من المخطور على اسرائيل الاستمرار بظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة والتقليل من اهميتها . وعلى الرغم من وجود هذه الحركات في العيش ، فيسكون من اندح الاخطار الاعتقاد بان فترة الارهاب والتفريب ستنتهي . ولا ينبغي ايضا التخفيف من مخويات هذه المنظمات وشجاعتها . ان قوات الامن الاسرائيلية تخوض هربا عنيفا ضد رجال عنيين ، يحملون المرارة ويؤمنون بانهم يقاطون من اجل قضية عادلة ، لا تقصم الشجاعة والتضحية . فان من يخرجون من قواعدهم ويتسللون الى اسرائيل مخترقين الحواجز والتحصينات وحول الانغام والالات الالكترونية ويتعرضون الى ملاحقة متواصلة من قوات الجيش الاسرائيلي وأذمة الامن الاخرى ، ليمتصون بشجاعة غير قليلة ، ان هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين يضحون بحياتهم ،

اتفرت قبلة الفلسطيني داخل الوعي الاسرائيلي . ويبدو ان المناقشة ستطول حول هذا الكتاب الجديد الذي من الحركات الاسرائيلية ، لا لانه يعطي الفلسطيني حق ، ولكن لانه ينظر اليه بمنظار آخر يعود الى الاعتراف بحق له مواز « للحق » الاسرائيلي على ارض فلسطين التي سماها المؤلف « بلاد الغزال » . ويبدو ان المناقشة ، في اسرائيل ، ستزداد اختداما حول هذا الكتاب لانه يضع الفلسطيني في مكانه المحوري من الصراع في الشرق الاوسط ، او لانه يدرس الصراع من خلال الدور الفلسطيني فيه ، ويتبع أهمية هذه النظرة - القضية من واقع التجاهل الاسرائيلي الرسمي للهوية الفلسطينية ولعاملتها في اتجاه الصراع العربي - الاسرائيلي . فاذا انتهت الى الطريقة المساندة التي تتعامل بها اسرائيل في نظرتها الى الدور الفلسطيني ، لادركنا مغزى المناقشة الحادة حول هذا الكتاب الذي ألفه اريه الياف السكرتير السابق لحزب العمل ، ومصدر قبل اسابيع قليلة ، وأجمعت الصحف الاسرائيلية على تسميته « بالقبلة الفلسطينية » التي نجدها للنائب اريه الياف .

وكان الياف قد قرر الاستقالة من منصبه قبل عام للتعرق لكتابة هذا الكتاب ، وعندما ماوضوه للتخلي عن الاستقالة قال : « اذا ماتت غولده مئر على ان اكون سكرتيرا لحزب العمل ، بعد صدور كتابي ، فسأقبل هذا المنصب » . وكان الياف ، بذلك ، يشير او يلمح الى ما يعترزم اطلاقه من آراء تمس محرقات السياسة الاسرائيلية . والجدير بالملاحظة هنا ان سكرتارية حزب العمل قد بحثت ، في الايام الاخيرة ، الجولات التي يقوم بها اريه الياف في فروغ الحزب المختلفة حيث يقوم بعرض آرائه التي تضمنها كتابه المثير ، وطالب عضو الكنيست مردخاي سوركيس باغلاق فروغ الحزب امامه . وتتخلص آراؤه بالشكل التالي : الاعتراف بوجود هوية فلسطينية تحظى بتأييد كل من القومية اليهودية والحركة العربية ، والاعتراف

« الصهيونية القنوعة » التي تكفي بإقامة دولة يهودية ، وبين « الصهيونية الجسمة » الطامعة في مزيد من التوسع .

هل يعترف الفكر الصهيوني بالصبغة التي طرحها أريه الياف ، القائمة على مبدأ الاعتراف بنشوء قوميتين على أرض فلسطين — تومية يهودية وتومية عربية فلسطينية ؟ هذا أولا .

وهل يعترف الفكر الصهيوني ، ثانيا ، باعلانه الاعتراف بحق القومية العربية الفلسطينية بالمساواة مع القومية اليهودية ؟

يعترض يوسف نبو (وهو عقيد في الجيش الاسرائيلي ومحلل للشؤون العسكرية ورئيس بلدية هرتسليا) على مقولة أريه الياف في مقال نشره في « دافار » (٨/١٨) ويقول : ان اخطر ما في كتاب الياف هو حديثه عن المساواة في حقوق الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني على أرض اسرائيل كلها ، لانها تمس جذور كياننا القومي . ففي بحثه عن

العديل للفلسطينيين يرتكب اللاعديل بحسب شعب اسرائيل . « لماذا ؟ » ان جوهر الصهيونية — هو الحق غير المشروط للشعب اليهودي في العسودة واقامة السيادة على بلاده . والاعتراف بالمساواة في الحقوق معناه — اشتراط حق اليهود بموافقة العرب . ان المساواة في الحقوق القومية معناها — الاعتراف بحق النقص للفلسطينيين على تطلعات اليهود ، فما هم يقيمون في بلادهم وهم يحتفظون بحقهم . بينما نحن نحجى من الخارج وتدعى الحق . ويضيف الكاتب مخطلا جوهز عنصرية الصهيونية : « ان الصهيونية ، في الممارسة ، تعتمد على اولوية حق شعب اسرائيل في بلاده على اي حق اخر . وعندما تصطدم الممارسة الصهيونية مع حقوق اخرين ولا تكون هنالك امكانية للتسوية بينهما ، فان حق الصهيونية له الاولوية . وكسل اعتراض على ذلك هو بمثابة اعتراض على حقنا في الكيان القوي ذي السيادة وغير المشروط » .

عندما يصطدم اي حق مع ما تدعيه الصهيونية من حق ، فان لادعاء الحق الصهيوني الافضلية الاولى غير القابلة للمناقشة . من هنا ، فان « الحق » اليهودي على فلسطين وعلى سواها هو حق مطلق ، وأي اعتراض عليه يعتبر اعتراضا على جوهر كيان اسرائيل — هكذا يمكن تلخيص النظرة الكونية للفكر

ومن يدعي أنهم « جناء » لا يعرف شيئا » .

ويبحث المؤلف عن جذور المقاومة التاريخية لدى الشعب الفلسطيني ، فيقول ان احداث ١٩٢٩ و١٩٣٦ لم تكن الا مقاومة فلسطينية مسلحة ضد الغزاة اليهود الاجانب « والذي ينظر الى هذه الاحداث وكأنها صدام بين يهود مساكين يحاولون الدفاع عن انفسهم ، وبين عصابات من قطاع الطرق العرب ، فانه يمارس الكذب على اليهود وعلى العرب . لقد قاتل العرب اليهود لا من اجل القتل وسفك الدماء ، ولكنهم قاتلوا كما يقاوم المناضلون ضد من جاءوا يحتلون ما يعتقدون انها بلادهم » . هذا عن تاريخ احداث ١٩٢٩ التي يصورها المؤرخون الصهيونيون بانها « اعتداءات للصوص العرب على اليهود الاثرياء » . وعن احداث ١٩٣٦ يقول المؤلف : « ان المناضلين العرب كانوا منظمين في عصابات ، ولكن اذا استخدمنا مصطلحا آخر نقول انهم كانوا يخوضون ترددا شعبيا بكل معانيه : الاضراب الشامل ، والاستعداد للتضحية ، وحراب عصابات » .

ويخلص المؤلف الى القول ان تاريخ هذا الصراع هو « صراع بين حركتين قوميتين ولدنا تقريبا في الوقت ذاته : اليهودية والعربية الفلسطينية . ولقد تجاهل مؤسسو الحركة الصهيونية هذه القضية ، ورأى هرتسل ان « اليهود العائدين الى بلادهم يحملون رسالة الرجل الابيض » . أما الذين جاءوا بعده : بيرل كستلسون ودايفيد بن غوريون ورفاقهما ، فقد كانت نظرتهم الى قضية العرب الفلسطينيين غامضة . كان من بينهم من أراد ان يتجاهلها ، وأن يلقي مسؤولية حلها على المستقبل . ان المساواة بين حقوق « القومية اليهودية » و« القومية الفلسطينية » على أرض فلسطين ، هي نقطة الانطلاق التاريخية والسياسية لدى أريه الياف . وهنا ، تطرح مسألة نظرية في غاية الخطورة ، أمام مفكري الصهيونية ، لانها تمس الجهاز العصبي لكيان اسرائيل ، وتستتبعها إعادة نظر شاملة في كل التطبيق الصهيوني اللاحق والتطورات السياسية اللاحقة ، في حالة الموافقة الصهيونية النظرية على هذا الاعتراف . وهنا ، نثر على الخيط الدقيق الضائع الذي يفصل بين ما اصطلح على تسميتهم « الحمايم » وبين ما اصطلح على تسميتهم « الصقور » في الفكر الصهيوني — الاسرائيلي الممارسة ، او بين

الصهيوني « الصقر » فكيف ينظر الفكر الصهيوني
« الحمام » الى المسألة ؟

يعتبر أريه الياف أحد ممثلي هذا الميل داخل
السلطة الإسرائيلية . ويتناول في كتابه ان
الفلسطينيين - على الرغم من الكوارث التي لحقت
بهم - او بسبب هذه الكوارث قد تحولوا الى عنصر
حاسم في المنطقة ، ويعتقد انهم العامل المركزي
الذي ادى الى نشوب الحروب بين العرب
واسرائيل . وبعد حرب ١٩٦٧ يرى الياف ان
الشعب الفلسطيني هو العامل الجوهري . وهو لا
يعترف بأن من حق اسرائيل ان تبحث المسألة على
النحو التالي : هل هنالك شعب فلسطيني ام لا ؟
ويتساءل : « من نحن لكي نقرر ذلك » . « فانهم ،
او تاريخ عشرات السنين الأخيرة ، قد حددهم كشعب
خاص بين الشعوب العربية » . ويقول انه بدون
الفلسطينيين ليست ثمة امكانية لاية تسوية « حتى
لو حدثت معجزة ، وتم التوصل الى اتفاق مؤقت
او دائم مع الدول العربية من الجنوب والشمال
والشرق ، فلن تحل قضية العرب الفلسطينيين .
لن نحصل على سلام حقيقي ولن ينتهي الصراع
العربي - الاسرائيلي ما لم نجد ، معهم ، حلاً
للقضية التي هي قضيتنا » . ويرى أريه الياف ان
الحل هو « تنازل كل من الشعبين عن تحقيق جزء
من حقه واقامة دولتين - يهودية وفلسطينية
عربية - على ارض فلسطين . ولا يحدد المؤلف
حدود كل من هاتين الدولتين . ولكنه يشير ان
حدود اسرائيل ستكون شبيهة بالحدود التي سبقت
حرب الأيام الستة . أما الدولة الفلسطينية فانها
ستشمل قطاع غزة وضفتي الأردن .

ولا يهينا هنا مناقشة الحل الذي يطرحه أريه
الياف . ان ما يلفت النظر ، في هذا المجال ، هو
ان تراقب نظرة الفكر الصهيوني الى الشعب
الفلسطيني وحقوقه التاريخية ، وكيفية اصطدام
هذه الحقوق مع الممارسة الصهيونية .

ويبدو ان يقال عيلم - مؤلف كتاب « مدخل الى
تاريخ صهيوني آخر » ينتمي الى فكر الحمام الذي
يحاول تبرئة الصهيونية - كايديولوجيا وتطبيق
سابق ، من « أخطاء » التطبيق اللاحق التي ترتبها
« الصقور » . وعلى هذا الاساس ، فانه يجتهد
كثيرا لخلق فواصل نظرية بين الاستيلاء على
فلسطين عام ١٩٤٨ - كعملية « شرعية » لتطبيق
« الحق » اليهودي « الشرعي » ، وبين الاستيلاء

على مزيد من المناطق عام ١٩٦٧ . انه يعترض على
الاعتراف بأن الممارسة الصهيونية كانت تتطوي
دائما على حتمية طرد العرب ونهب اراضيهم . انه
يرفض ذلك لكي لا يعود منطق الامور الى الموافقة
على عمليات الطرد والنهب في الحاضر ، ولكي لا
« تشوه » سمعة الصهيونية التي كانت جرائمها في
الماضي « عدالة » . انه يبرئ الصهيونية من هذه
الطبيعة ، لان التأكيد على هذه الطبيعة « سيلغي
الصهيونية بين صفوف الجيل الجديد ، فاذا كانت
الصهيونية دائما حركة نهب ، فما هو تفوقها على
حركات النهب الاخرى في التاريخ ، عدا انها لنا » .
وفي مقاله عن كتاب أريه الياف (دافار ٨/١٨)
يدافع عن ممارسات الصهيونية في الماضي ، ضد
ممارساتها في الحاضر ، ويضع آراء الياف في
مواجهة آراء اصحاب الدعوة الى « ارض اسرائيل
الكاملة » المسائرين في المنطق الصهيوني حتى آخر
بدي . ويقول عن كتاب الياف « انه ، قبل كل
شيء ، تجدد للينوع الصهيوني ومحاولة لان يعيد
الينا ارض اسرائيل الصهيونية - في مواجهة
« ارض اسرائيل الكاملة » - تلك الارض التي
وعدنا أنفسنا بها عندما خرجت الصهيونية الى
الطريق ، واشترطنا بلوغها بشروطين كبيرين :
١ - ان يقوم على هذه البلاد مجتمع نموذجي
يهودي ٢ - الا ينطوي علنا على نهب العرب » .
كيف يمكن ان يقوم مجتمع يهودي نموذجي على
ارض يسكنها شعب اخر دون ان تتطوي العملية
على نهب ؟ . ان الكاتب يحل هذه المعادلة الصعبة
باجابة مضلة : « ليس هنالك فارق نوعي اخلاقي
حاسم بين الاستيلاء على الاراضي بواسطة المال
في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني وبين
مصادرة الاراضي بقوة الغزو في أيامنا ؟ !!!
ويوافق الكاتب على رأي أريه الياف بأن « ارض
اسرائيل الكاملة » ليست هي التي ستشكل قسوة
الجذب والتحدى للهجرة الكبيرة ، وانما تحقيق
حلم المجتمع اليهودي النموذجي ، وعلينا قبل كل
شيء ان نثبت لآمننا وللعالم ان دولة اسرائيل
تستطيع ان تستوعب ثمانية ملايين مواطنين
يستطيعون العيش بكرامة دونما حاجة الى التوسع
الى أية جبهة . فاذا آمنا بذلك ، واثبتنا ذلك
بالقول والعمل ، وبالتخطيط فعندها نستطيع اقتناع
المغرب والعالم باننا لا نتطلع الى التوسع » .

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من 1/8/1972 نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحفيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقلعة ، الباهئون الخ ...) بأخبار العدو ومواقف قائده واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقتوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالإضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوغست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومرح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فيرسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، النسخ ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد نقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسمائة ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، ولثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملة الأخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية 11 ل. ل. ، في اوروبا 15 ل. ل. ، في الاميركتين 20 ل. ل. ، وفي آسيا وافريقيه 25 ل. ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكثر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تليمه اسرائيل بالعربية لوطنها وما تليمه بالعربية للعرب وما تليمه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب 1691 ، بيروت .

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وادق سجل علمي شامل

لل قضية الفلسطينية

في تطوراتها وأحداثها وأخبارها

مدة ست سنوات ونصف السنة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠)

ثلاثة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٧١٠٠ صفحة من القطع الكبير

سعر المجموعة ١٤٥ ل.ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

بيروت — لبنان

ص.ب ١٦٩١



الى بغداد

كل ثلاثاء : الساعة ١٨٤٥.

خميس : الساعة ١٨٤٥.

جمعة : الساعة ١٨٤٣.

سبت : الساعة ١٢٤٣.

الى اوروبا

— رحلتان اسبوعيا الى لندن
— دون توقف الى جنيف وفيينا

اربعاء : بيروت — جنيف — باريس — لندن

الساعة ١٢٤٥.

خميس : بيروت — فيينا — فرانكفورت — لندن

الساعة ١٢٤٥.

للاستعلامات والحجز راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى « اياتا » او :

الخطوط الجوية العراقية

شارع شاتو بريان — بناية سلامة — تلفون ٢٥٨٠٢٢ — ٢٥٨٠٢٣

طائرات ترايدنت النفاثة



Learn Computer Programming

International Management Services Inc.
New York — U. S. A.

**Announces the start of the
COMPUTER Training Courses**

The courses offered are :

**Computer Concepts, Programming
(In Cobol & Fortran)
and Systems Design.**

**Three computers are at the
disposal of the students.**

**The INSTITUTE is ACCREDITED BY
UNIVAC SERVICES, A. G.**

For registration and information contact :

Business Automation Training Center

GEFINOR Bldg. Bloc D — Floor one

Tel. 342860 — P. O. Box 5736 — Beirut



35 مجموعة 3 س رمز الخدمات المضمونة

3 س للسفر والسياحة

● دائرة السفر والسياحة :

- قطع تذاكر وحجز ، سياحة ، تأجير سيارات وحجز فنادق وشقق مفروشة .

● دائرة الشحن والتوضيب :

- شحن جوي وبحري ، توضيب ، تخزين ، تخليص .

العنوان :

فرع اول : بناية سارولا - شارع الحمراء بيروت

تلفون المكتب : ٢٤٢٨٨١/٢ - ٢٤٩٨٨٢

البنية : ٣٤٠٧٢٠/١ - مقسم ٢١

فرع ثان : بناية الفيحاء - شارع البستاني

مقابل جامعة بيروت العربية - بيروت

هاتف : ٢٠٦٤٨٧

ص.ب ٦٨٦٢ - بيروت ، لبنان

بزقيا : شمسكورد

شركة شماس للخدمات المضمونة

ش.م.م.٠

● دائرة التأمين :

- مستشارون ووسطاء تأمين :
- ضد جنيح الاخطار : الحريق ، السرقة ، التأمين البحري ، السيارات ، جيب - ع الاخطار للمقاولين ، الخ...

● دائرة الصيرفة :

- صيرافة لجميع العملات والاوراق النقدية والشيكات والحوالات ، وكلاء معتمدون للشيكات السياحية لبنك اوف اميركا وشركة كوك .

● دائرة العقارات :

- ادارة عقارات ، بيع شراء ، رهن ، تأجير ،

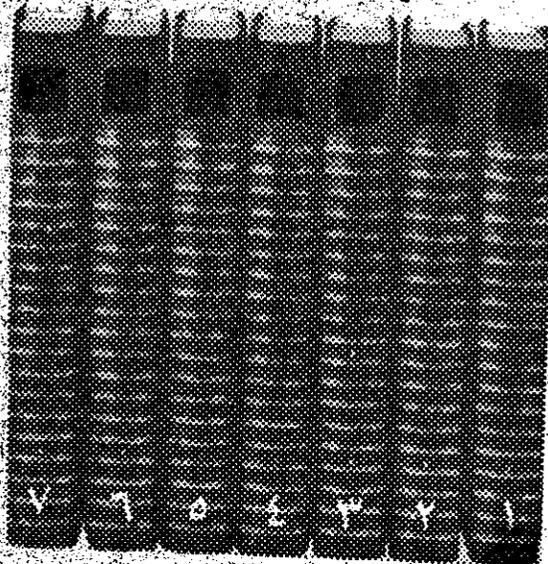
شركة بوارشي للتجارة

قرطاسية ومنتجات

٧٢٤ شارع الحمراء - ص.ب ٢٩٠٠ - تلفون ٢٤٤٨٦٠ - بيروت - لبنان

صدر المجلد السنوي السابع

السياسة الدولية



- مرجع عامي للعاملين في العقل السياسي والدبلوماسية والإعلامي
- المجلد مزود بفرس تحليلي وفرس للمعارف والاتفاقات الدولية
- ١٠٠٠ صفحة ... التضمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكية بمؤسسة الأهرام وكتبة الأهرام بتأليف محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ الصادرة هذا العام ١٩٧١

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالي

AL - JAMHOUR

الجمهور

اطلاعة اسبوعية

على

قضايا المقاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العالم وشعوبه

معالجة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صباح كل يوم اربعاء

تطل

الجمهور

على قرائنها الموزعين

في

١٦ دولة عربية واثريقية واوروبية

جائزة تخليد ذكرى

الشهيد غسان كنفاني

ان رابطة الخامس من حزيران ، تخليدا لذكرى الكاتب الفلسطيني
وأحد اركان المقاومة الشهيد غسان كنفاني الذي اغتيل في ٨ تموز ١٩٧٢ ،
تعلن بأنها سوف تقدم جائزة باسم الشهيد قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية
(٣٠٠٠ ل.ل.) لافضل قصة او مسرحية باللغة العربية شرط ان لا تكون
منشورة من قبل .

لكافة المعلومات الاضافية

الرجاء الكتابة الى العنوان التالي :

رابطة الخامس من حزيران

ص . ب : ٧٠٣٧

بيروت - لبنان

اطلب منشورات مركز الأبحاث — منظمة التحرير الفلسطينية

ومحلته

شؤون فلسطينية

من

المكتبة الفلسطينية

شارع السعدون — عمارة الفطية — مقابل الخطوط الجوية العراقية

ص.ب. ٣٢٣٩ — تلفون ٨٧٨٢٧

بغداد — العراق

جميع أعداد السنة الأولى (١ — ٦)

من محله

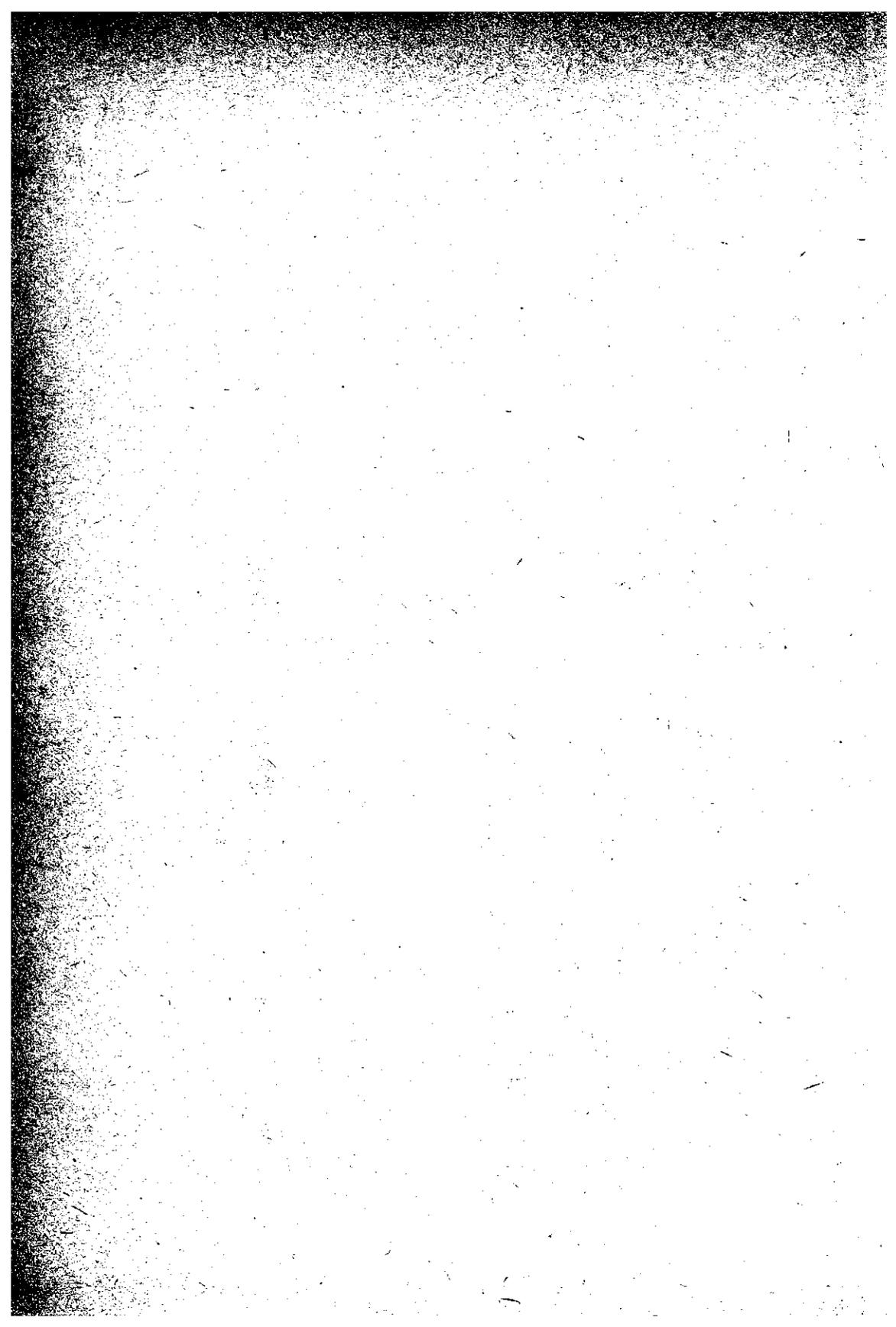
شؤون فلسطينية

متوفرة الآن لدى محمد التوزيع جبريل ديب

ص.ب. ١٦٩١

بيروت — لبنان

سعر العدد ٤ ل.ل. بما فيه اجرة البريد العادي

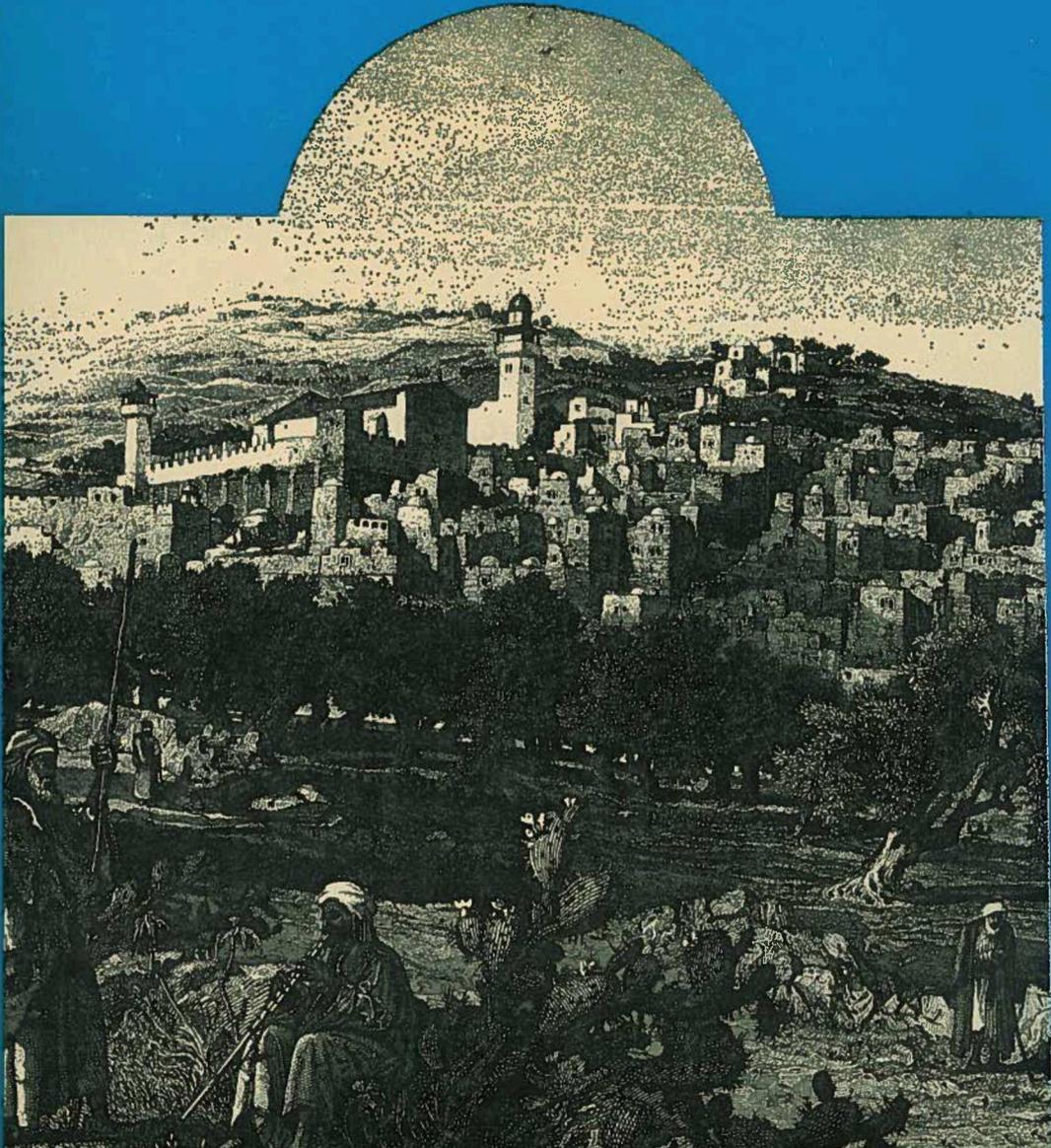


أوفست زیت - تلفون ۲۷۱۱۱۲

لشؤون فلسطينية

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

١٥



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايح

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

رقم ١٥

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية
سكرتير التحرير : ابراهيم العابد مدير التوزيع : غازي خورشيد

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د.
سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

(جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين)

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص.ب ١٦٦١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٣٢٦٥٨٥
بروتيا مرأبحاث ، بيروت

نمن المسدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسيا وافريقيا
واوروبا ، ٦ ل.ل. في الامريكتين واوسترالية

الاشتراف السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا امريكيا)
في آسيا وافريقية واوروبا، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا امريكيا) في الامريكتين
واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٢ دولارا امريكيا) في سائر
الدول الاجنبية

يمطى بحسم ٥٠% (عدا البريد) على الاشتراكات للمغتربين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال المنظمات
او النقابات او الاتحادات

صورة الغلاف : الخليل ، القرن التاسع عشر

المحتويات

- صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، الدكتور أنيس صايغ [مدير عام مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .
- ٥ ملاحظات على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، الدكتور فايز صايغ [المفكر الفلسطيني ومؤسس مركز الأبحاث] .
- ١٩ تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ، عصام سخيني [رئيس تحرير اليوميات الفلسطينية] .
- ٣٧ الهوية الاجتماعية في إسرائيل ، عبد الحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الإسرائيلية في م. أ.] .
- ٥٨ حوار مع مدينة ، محمود درويش [الشاعر الفلسطيني ، مستشار م. أ.] .
- ٦٧ عقدة ثيودور هرتزل بين العم توم ودون كيشوت ، أ. ن. سعد [باحث في قسم الدراسات الإسرائيلية في م. أ.] .
- ٧٩ سلاح الطيران الإسرائيلي ، هشام عبدالله [باحث في الشؤون العسكرية] .
- ٩٧ سياسة استثمار رؤوس الأموال في القطاع الصناعي في إسرائيل ، انطوان منصور [باحث اقتصادي فلسطيني في الجزائر] .
- ١١٣ سياسة النظام والازمة الاقتصادية الراهنة في الأردن ، حسن الجعبة [باحث في الشؤون الاقتصادية] .
- ١٢٧ لانسكي وليبسكي واستغلال قانون العودة ، د. أسعد زروق [باحث في الشؤون الإسرائيلية - مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] .
- ١٥٨ القرارات الأميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين ، مايكل جانسن [الكاتبة الأميركية المختصة في الشؤون العربية] .
- ١٢٧ عصابة مكافحة الصهيونية في العراق ، عبدالقادر ياسين [كاتب فلسطيني ومحرر في مجلة الطليعة القاهرية] .

١٦٧ الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، عثمان الطالبي [كاتب مغربي] .

١٧٨ الادب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٩١ مراجعات : تيارات في السياسة والاجتماع ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] . اسرائيل : تاريخ شخص ، جودفري ه. جانسن [الكاتب الهندي المختص بشؤون الشرق الاوسط] . شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن - ايلول ١٩٧٠ ، هاني حوراني [كاتب اردني] . حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ، مصطفى كركوتي [كاتب سوري] . السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية ، قاسم حول [كاتب سينمائي] .

٢٠٦ رسالتان : (١) راي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، عبد الرحمن غنيم [الكاتب الفلسطيني] . (٢) وداعا يا فلسطين ، ايرين بيسون [الصحفية البريطانية] .

٢١٦ شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. ا.] . ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي [رئيس مشروع الدراسات الثورية في م. ا.] . (٤) المناطق المحتلة ، ع. م. (٥) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الاول من العام ١٩٧٢ ، الدكتور يوسف شبل [استاذ الاقتصاد في الجامعة الامريكية في بيروت] . جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني واخير بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٣/٩ - ٢/١٠/١٩٧٢ ، غازي خورشيد [مدير التوزيع في م. ا.] . تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الاردني ، م. ا. م.

٢٤٤ اسرائيليات : محمود درويش .

٢٥١ وائل زعيتر : قديس آخر يموت في روما ، داود تلحمي .

٢٥٢ وائل زعيتر : مناظلا وانسانا ، منير شفيق .

شؤون فلسطينية

الدكتور ايس صايغ

كان عمله من أجل فلسطين متعدد الجوانب ومتشعب المجالات ، وسأترك لزميلين لي ، من رفاته ، الكلام عنه ، فلسطينيا مناضلا بشجاعة وإيمان وهدوء ومكر . ويكفي أن أذكر ، في أسطر ، تجارب مركز الأبحاث وشؤون فلسطينية مع هذا المناضل في فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى السنتين الآخريتين . فقد أمّن بالمركز ومرسالته في خدمة قضية فلسطين ، وبشؤون فلسطينية كمنبر للفكر الحر من أجل فلسطين . وعمل للمركز وللمجلة مراسلا ومندوبا في إيطاليا وبخلاص وبدون أي أجر : أمّن بأهمية الدراسات العلمية التي تصدر عن المركز فترجم عددا منها إلى الإيطالية ونشرها في كتاب قيم جيد المادة وأنيق المظهر مما ضمن له سعة الانتشار . وأمّن بأهمية الوثائق فأعد مشروعاً لتزويد مكتبة المركز بجموعة من الأوراق الأساسية في القضية ، على أن تصور هذه المجموعة الوثائقية ويحفظ بنسخة عنها في مكتبته بروما لتكون في خدمة الباحثين هناك أيضا . وأمّن بلقاء الثورة الفلسطينية مع حركات التحرر ومع أصحاب الفكر التقدمي في العالم . فبدأ بأعداد مقابلة واسعة لشؤون فلسطينية مع الكاتب الإيطالي البرتو مورافيا ، صديقه . وزود المركز بعدة تقارير عن النشاطات السياسية في إيطاليا ، المتعلقة بقضية فلسطين ، الصديقة والمعادية (آخرها معلومات واسعة عن مؤتمر بولونيا العتيد) . وكان على صلة مباشرة مع قسم الاعلام الإسرائيلي في المركز . ولا شك أن بين أوراقه رسالة من المركز أرسلت منذ أيام فقط تطلب رأيه ببعض المنظمات اليسارية في أوروبا الغربية . لكنه لم يقرأ الرسالة لأنه سقط قبل أن تصله . فقد استفتنا إليه رصاصات الغدر الصهيوني .

وائل زعيتر : مناضلا عاش ومناضلا مات . طاقة أخرى من الإيمان والجهاد تحولها الإرهاب الإسرائيلي إلى شعلة تنير للثورة الفلسطينية دروبها . ومثل أجهزة الثورة الفلسطينية الأخرى التي تلهم جراحها وهي تفقد شهداءها ، تستنير شؤون فلسطينية بهذه الشعلة وتهتدي بسيرة صاحبها وأمولته الحية أبداً وافرّة العيز . فمن قبل أن يصدر العدد الأول من مجلتنا بأسابيع سقط في عمان أول شهيد من أسرة تحريرها ، عيسى أبو الطبول مراسلها في الماتيه الغربية . وفي هذا الصيف سقط أحد كبار كتابها ، غسان كفتاني . وبعد أيام أصيب زميل آخر ، بسام أبو شريف ، رفيقنا الجريح الشجاع الثابت في نضاله وتحديه الآلام . ودخل البريد المنفجر مركز الأبحاث وخرب فيه الكثير وأصاب مديره رئيس تحرير شؤون فلسطينية بعماهات وجروح . وما هو وائل زعيتر ينضم إلى القافلة ويضحي بحياة حافلة بالعطاء السياسي والفكري والثقافي والإنساني .

من بعد ؟ أمحرر ، أم كاتب ، أم مستشار ، أم مراسل ، أم اداري ، أم طابع ، أم من من هذه المجموعة من العاملين لفلسطين من خلال الكتابة لها ؟ يد الغدر طويلة . قد تصيب واحداً من هؤلاء وقد تصيب بعضاً منهم وقد تصيبهم كلهم ، اليوم أو غداً أو بعد غد . ولكن هذه اليد ، مهما بلغت سطوتها ، أقصر من أن تتال من إيمان واحد من هؤلاء أو من غيرهم من أبناء الثورة . بل هي أعجز من أن تتال من الثورة بمجرد سقوط شهيد أو شهداء . وذلك لأن الثورة مصممة على أن تستنير بشعل شهدائها. طلبا كانت تستفيد منهم وهم أحياء . وعلى هذا الأساس فان وائل زعيتر ، الغائب عنا جسدياً ، معنا في المعركة ، وسيبقى معنا ، حتى يوم النصر .

ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ *

الدكتور فايز صايغ

١ - نوفمبر - شهر التجني :

تقترن ، في خاطر العربي ، ذكرى شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بعمليات التجني الدولي على حقوق الشعب الفلسطيني والعدوان على وجوده وكرامته . ففي ذلك الشهر وعلى مدى خمسين عاما ، صدر اخطر ما اتصل بالقضية الفلسطينية من تعهدات وقرارات دولية .

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ولدت القضية الفلسطينية رسميا بصدور وعد بلفور عن الحكومة البريطانية - وعدا قطعه بريطانيا على نفسها وتعهدت فيه بان تفعل ما بوسعها من اجل انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، اقرت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين واصدرت توصية بتنفيذه .

وبعد انقضاء نصف قرن على ميلاد القضية ، اي في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، اصدر مجلس الامن التابع للامم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ ، والذي رعى الى تصفية القضية تصفية كاملة ونهائية ، في مجال ازالة اثار احدث عدوان اسرائيلي .

في اعتقادي ، ان ثالثة هذه الاعتداءات الدولية على فلسطين وشعبها كانت اخطر منها واوقطها . اي ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فاق - في تطاوله على الحقوق القومية والانسانية للشعب الفلسطيني - كلا من توصية الجمعية العامة بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية على الجزء الاكبر من ترابها ، وكذلك الوعد البريطاني بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، ذلك الوعد الذي ما لبث ان تسرب الى ضلك الانتداب الصادر عن عصبة الامم واصبح جزءا منه . اقول ذلك استنادا الى واقع ان قرار مجلس الامن - وحده ، وخلافا للوثيقتين الاوليين - قضى بما يلي :

اولا : ان قرار مجلس الامن التي على الدول العربية « واجب » القبول باسرائيل كدولة قائمة ذات سيادة كاملة وذات حقوق في الوجود والسلامة الارضية والاستقلال السياسي والامن تساوي حقوق الدول العربية نفسها ، كما انه ربط اداء الدول العربية لهذا الواجب المزعوم بوفائها بالتزاماتها الدولية المنبثقة عن عضويتها في الاسرة الدولية وابرامها ميثاق الامم المتحدة ، وبحقها في المطالبة بانسحاب اسرائيل من اراضيها . ففي حين كان وعد بلفور تعهدا من جانب واحد ، قطعه على نفسها دولة اجنبية ، بانشاء جنم غريب في فلسطين ، وفي حين كان قرار الجمعية العامة توصية ، موجهة الى

* ان جميع الآراء والاجكام التي يحتوي عليها هذا المقال لا تعبر سوى عن رأي كاتبه ، وليست معبرة عن رأي او موقف أية هيئة او منظمة او مرجع آخر على الاطلاق .

الفرقاء المعنيين بالامر ، باقتسام فلسطين فيما بينهم واقامة دولة يهودية الى جانب دولة عربية توأم لها ومدينة دولية بينهما - فان قرار مجلس الامن طالب الدول العربية نفسها بان تقر « بشرعية » الدولة الدخيلة وبأن تتعامل واياها على اساس ذلك الاقرار . فكأنني به والحالة هذه يطالب الدول العربية بأن تجعل نفسها شريكا للحركة الصهيونية وللأسرة الدولية في جريمة السطو والاستيلاء والاعتصاب والتشريد - تلك الجريمة التي جسدها اسرائيل بالنسبة الى الارض الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

ثانيا : ان قرار مجلس الامن قضى بقبول العرب قبولاً نهائياً باسرائيل كما هي (اي كما كانت عليه عشية شنها الحرب العدوانية الثالثة عام ١٩٦٧) ، وبالتالي التنازل عن اي مطلب عربي سابق ، بما في ذلك جميع المطالب التي ايدتها الامم المتحدة نفسها، ومجلس الامن نفسه ، في عشرات القرارات ، من مطالب تتعلق بحقوق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وديارهم ، وحقوقهم في التعويض عن ممتلكاتهم المسلوقة او المدمرة ، وبما في ذلك ايضا جميع المطالب المتعلقة باحترام اسرائيل لحقوق العرب المقيمين في الاراضي التي اغتصبتها . اي ان قرار مجلس الامن لم يتجاهل فقط الحقوق القومية والانسانية الثابتة التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني بالطبيعة ، بل انه تجاهل ايضا الشروط التي نص عليها كل من وعد بلفور ومشروع التقسيم والتي كانت تقيد اسرائيل وتلزمها امام الاسرة الدولية بالتزامات قانونية معينة ، وتجاهل كذلك قرارات الامم المتحدة المتعاقبة التي اكدت وجوب تقيد اسرائيل بتلك الشروط وطالبتها بالعودة عن انتهاكها لها في الماضي والتوقف عن انتهاكها في المستقبل . فاسرائيل التي طولبت الدول العربية - في قرار مجلس الامن - بالاعتراف بها ككيان كامل الشرعية انما هي دولة طليقة من كل قيد ، مغفورة لها جميع ذنوبها السابقة ، حتى تلك الذنوب التي ما تزال آثارها قائمة ونتائجها مستمرة . ان قرار مجلس الامن شبيه بعفو عام تصدره السلطات في بلد ما لصالح مغتصب ، دون ان تطالبه بارجاع ما اغتصبه الى اصحابه - ثم تطالب ذوي الضحية بالمشاركة في التوقيع عليه !

ثالثا : ولعل اخطر ما في قرار مجلس الامن ليس ما نص عليه بل ما اهمله وصمت عنه . لقد صمت القرار عن الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ، بل انه تجاهل وجوده (كما سنرى بعد قليل) ، في حين ان كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم اعترف للشعب الفلسطيني ببعض حقوقه حتى عندما تجنى على البعض الآخر .

لهذه الاسباب كلها ، ولسواها مما يتصل بها او يبتثق عنها ، قلنا ان قرار مجلس الامن كان اوقح من وعد بلفور واشد اizard من مشروع التقسيم . الا انه من المذهل حقا ان الأمة العربية ، التي استقبلت كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم بالسخط والمقاومة الفورية والاجماعيين ، وقفت امام قرار مجلس الامن ، وهو الاشد خطرا وخطورة ، موقف التردد الحائر ، ثم اعلنت غالبية الحكومات العربية قبولها به ، ان لم نقل تلهفها على تنفيذه وسعيها وراء ذلك كانه البلمس لجراحها . فاصبح قبول الحكومات العربية بالقرار اخطر ما في القرار ! ؟

٢ - مقارنة الجرائم الثلاث :

اولا : ان الخلفية التاريخية لكل من جرائم نوفمبر الثلاث تفسر الى حد بعيد اسباب تفوق قرار مجلس الامن على سلفيه في مدى تطاوله على حقوق الشعب الفلسطيني . وعد بلفور صدر قبل ان يجري اي امتحان فعلي لقوة اي من الفريقتين وقدترته على فرض ارادته في فلسطين . لذلك فانه انطوى على غموض مقصود في ما وهبه للحركة الصهيونية ، كما انطوى ايضا على محاولة فائرة لاحداث شيء من التوازن بين تلك الهبة (غير المحددة في طبيعتها وفي مداها الاقليمي) وبين ما احتفظ به للشعب الفلسطيني

واشترطه احترامه .

ومشروع التقسيم حظي بموافقة الجمعية العامة كمبرج - او حل وسط - انعكست فيه حقيقة واضحة ، وهي ان كلا من الفريقين كان قد عجز ، خلال مجابهة دامت ثلاثين عاما ، عن التغلب على الفريق الاخر بصورة حاسمة والنور بتحقيق كامل اهدافه . فلا الشعب الفلسطيني ، ومن ورائه العالم العربي ، نجح في الحؤول دون دخول طلائع المستوطنين الصهيونيين الى فلسطين او في منع بريطانيا من حمايتهم ونقل ملكية بعض الاراضي الفلسطينية اليهم - ولا الصهيونيين ، ومن ورائهم اليهودية العالمية وبريطانيا ، افلحوا في القضاء على المقاومة الفلسطينية او في الاستيلاء على مساحات وافية من الاراضي التي كان يملكها الفلسطينيون ويستطيعون التحكم بمصرها . وكما انعكس عجز كل من الفريقين في « الحل الوسط » الذي جسده مشروع التقسيم ، فقد انعكس فيه ايضا واقع حيازة كل من الفريقين على قوة خاصة به . فكان الشعب الفلسطيني قد اثبت صموده وعناده وقدرته على البذل واستعداده للفساد دفاعا عن وجوده وارضه وكرامته ، فيما كان الجانب الصهيوني قد اثبت بدوره قدرته على التنظيم ونفوذه الواسع خارج ميدان المعركة في الاوساط الدولية الفاعلة آنئذ .

اما قرار مجلس الامن فقد صدر في ظرف يختلف اختلافا جذريا عن الطرف السابق لصدور وعد بلفور او الظروف السابقة لصدور مشروع التقسيم . كان الامتحان قد تم . وانتهى الامتحان بانهياب عربي بدا آنذاك وكأنه انهيار كاسح ليس بعده صمود ، او قدرة على الصمود ، او ارادة للصدور . فجاء قرار مجلس الامن يسجل واقع ميزان القوى بين الفريقين . ولا ننسى انه صدر قبل ان تستوعب الاسرة الدولية - بل قبل ان يستوعب العالم العربي نفسه - المعنى الكامل لظهور المقاومة الفلسطينية وامكاناتها البعيدة ، وبزوغ ارادة الفلسطينيين بعد كسوف طويل ، وانبعاث الامل الجماهيري العربي .

اذا ذكرنا ان قرار مجلس الامن كان يسجل واقع الميزان الانبي الراهن لقوى الفريقين في المنطقة - وليس امكانات المستقبل القريب او البعيد ، ولا ميزان الحقوق في ما يمثله كل منهما او درجة الشرعية في ما يدعيه لنفسه - سهل علينا ان نفهم انحياز القرار ومسا انطوى عليه من تجن . ولكن ذلك كله لا يكفي لتقديم تفسير كامل للتجني والانحياز . بل يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الابعاد الدولية لميزان القوى . ومهما كان شأن القوة العسكرية التي كان يتمتع بها كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٦٧ ، مما كان لا بد للاسرة الدولية من ان تحسب حسابه في اعقاب حرب حزيران وفي مجال فعاليتها لآثار تلك الحرب ، فلا مشاحة في ان درجة التزام كل من العملاقين الدوليين بقضية هذا الفريق او ذاك كانت في حد ذاتها عنصرا اساسيا من عناصر المعادلة العامة للقوى الدولية ذات الصلة بما اصطلح على تسميته منذ ذلك الحين « ازمة الشرق الاوسط » .

ان للقوة بمعناها الدولي الفعلي حدين . الحد الاول موضوعي ، مقياسه قدرتها عند المجابهة مع قوة اخرى معادية على التغلب عليها ، او ايقاتها عند حدود ، او التأثير فيها . واما الحد الثاني فارادي ذاتي ، مقياسه مدى الرغبة في استعمالها والمطلب الذي في سبيله يصر الى استعمالها ، كليا او جزئيا . ولا تكون نظرتنا الى معادلة القوى صائبة صادقة اذا هي اخذت واحدا من هذين العاملين دون الاخر بعين الاعتبار .

امريكا كانت ، وما تزال ، ملتزمة التزاما كاملا بوجود اسرائيل وبقائها ، في حين ان الاتحاد السوفياتي لم يكن ملتزما آنذاك ، وليس هو بملتزم اليوم ، بالمطلب العربي بتحرير فلسطين وبما يستتبعه ذلك من ازالة الكيان الاسرائيلي ، وانما كان التزامه ،

ولا يزال ، محصوراً في تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، اي في ابطال التوسع الاسرائيلي الذي تم نتيجة لتلك الحرب . واما الدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، ولا سيما الدول ذات المقاعد الثابتة آنذاك (اي بريطانيا وفرنسا وحكومة فورموزا) فقد كان موقف كل منها في موقع ما بين الموقف السوفياتي والموقف الامريكي . لذلك فان قرار مجلس الامن ، اذ انعكس فيه من الجهة الواحدة الميزان الانبي الراهن لقوى الفريقين ، والذي رجحت فيه كفة اسرائيل بشكل حاسم ، انعكس فيه ايضا ، وفي الوقت نفسه ، ميزان آخر ، هو « ميزان الارادة والقوة » بين الدولتين الكبيرين ، فجاء « حلا توفيقيا » لازمة المجابهة بينهما ، وحدد الارض المشتركة بين موقفيهما من النزاع . اي ان قرار مجلس الامن كان في وقت واحد بمثابة حل « لا غالب ولا مغلوب » بالنسبة للاتحاد السوفياتي وامريكا ، وحل « غالب ومغلوب » بالنسبة لاسرائيل والعرب !

ماذا نظرنا الى قرار مجلس الامن من منظار النزاع العربي الاسرائيلي رأينا فوزا كبيرا لاسرائيل — التي تحصل بموجبها على تصفية كاملة للقضية الفلسطينية ، واعتراف كامل من الدول العربية ، وانتهاء لحالة الحرب والتطويق والمقاطعة ، وانتهاء للرفض العربي ، وانعقاد من اي واجب مترتب عليها بنتيجة ما اغتصبته قبل ١٩٦٧ ، كل ذلك لقاء انسحابها من الاراضي التي احتلتها نتيجة لحرب حزيران ، وهي الاراضي التي لم تكن دولة واحدة في العالم آنذاك تعترف لاسرائيل بحق الاحتفاظ بها .

اما اذا نظرنا الى القرار من منظار المجابهة الامريكية السوفياتية ، فاننا نرى فيه توفيقا بين مطالب الفريقين . فالمطلب الامريكي الاساسي كان وما زال تأمين سلامة اسرائيل واستمرار بقائها ، الامر الذي لا يمكن تأمينه بصورة نهائية وقاطعة الا بالحصول على رضى العرب عن وجود اسرائيل وقبولهم بها كدولة شرعية الوجود ، وقيام حالة من السلام والعلاقات الطبيعية بينها وبين الدول العربية تتيح لاسرائيل — بفضل الدعم الامريكي والديناميكية الصهيونية — بسط سطوتها الاقتصادية والسياسية وخدمة المآرب والمصالح الامريكية في المنطقة العربية . واما المطلب السوفياتي الاساسي عام ١٩٦٧ فقد كان درجة قوات اسرائيل الى الوراء حتى تصل الى الخطوط التي كانت ترابط عليها عشية الحرب . وهذان المطلبان يلتقيان معا على ارض مشتركة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ثانيا : لننتقل الآن الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية اخرى . فمن حيث درجة الزام كل منها للدول العربية في نظر القانون والعرف الدوليين ، تتباين الوثائق الثلاث تباينا شاسعا .

فوعد بلفور كان في الاصل وعدا من طرف واحد ، صادرا عن دولة اجنبية وموجها الى الحركة الصهيونية . ولم يكن للعرب عموما ، او للشعب الفلسطيني بصورة خاصة ، اي دور في مرحلة المشاورات والمفاوضات السرية التي سبقت الاعلان عنه . وقد اعلن العرب والفلسطينيون رفضهم له فور ان بلغهم نبأ صدوره . لذلك فانه لم يكن له ، في نظر القانون الدولي ، اية صفة الزامية بالنسبة للجانب العربي . ثم ان تبني هذا الوعد من قبل بضع دول اخرى ، من الدول الكبرى في عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى ، لم يصف عليه اية شرعية دولية ، اذ ظل تعهدا فرديا ولئن كان صادرا عن دول متفرقة . ورغم انه تسرب فيما بعد الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، فانه لم يظفر من جراء ذلك بشرعية تجعله ملزما للعرب والفلسطينيين ، اولا لانهم لم يكونوا ممثلين في عصبة الامم ، وثانيا لان صك الانتداب نفسه كان يكتسب شرعيته من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، وهي المادة التي اعترفت مبدئيا باستقلال الشعوب المتحررة حديثا من

الحكم العثماني (وبينها الشعب الفلسطيني) ، وإن أي تعارض بين منك الابتدات وهو الفرع ، والمادة ٢٢ من الميثاق ، وهي الاصل ، ينسخ الأول ويطلبه في نظر القانون . وكما ان وعد بلفور كان عاريا عن الإلزام التابع من الشرعية ، فكذلك كانت توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم : فالتوصية بطبيعة الحال لا تحمل معنى الإلزام . ثم ان مناشدة الجمعية العامة لمجلس الامن بأن يتولى تنفيذ مشروع التقسيم بموجب السلطة التي يخولها اياها ميثاق الامم المتحدة لاصدار قرارات نافذة ملزمة لجميع الاعضاء لم تلق اذنا صاغية من مجلس الامن نفسه . واخيرا لا آخرا ، فان الجمعية العامة نفسها عادت فتراجعت ، في قرارها الصادر في ١٤ مايو (ايار) ١٩٤٨ ، عن قرارها بالتوصية بمشروع التقسيم ، الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

اما القرار الذي نحن في صددده - قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ - فان له صفة أخرى . وقد يذهب البعض الى القول بأن جميع قرارات مجلس الامن ملزمة لجميع الدول الاعضاء ، خلافا لقرارات الجمعية العامة التي هي محض توصيات . وقد يكون في هذا القول بعض الصحة ، نظرا للاختلاف بين السلطات التي يخولها الميثاق للجمعية العامة في المواد ١٠ - ١٧ والصلاحيات التي يمنحها لمجلس الامن في المادتين ٢٤ و ٢٥ . الا ان المراجعة الدقيقة لهاتين المادتين ، في ضوء احكام الفصلين السادس والسابع من الميثاق ، لتدل على ان الإلزام محصور بالقرارات الصادرة عن مجلس الامن بموجب الفصل السابع ، في حين ان القرار رقم ٢٤٢ لا يشير الى الفصل السابع في ديباجته او في نصه ، فضلا عن أنه اقرب في مضمونه الى اطار الفصل السادس منه الى اطار الفصل السابع . ولكن ، اذا كان باب الاجتهاد في تعيين درجة الإلزام ، التي يتمتع بها القرار رقم ٢٤٢ - ما زال مفتوحا ، واذا كان الجزم بأنه حقا قرار ملزم ليس قاطعا ، فانه لا بد من ذكر حقيقتين أخريين متصلتين بهذه المسألة :

الحقيقة الاولى : ان الدول العربية التي وقعت اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ ، والتي أعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ثم اشتركتا بمبادرات سياسية غرضها تنفيذ ذلك القرار ، لا تستطيع - عمليا او نظريا - ان تتحلل من التزامها الارادي بتنفيذ ما تص عليه ذلك القرار من « انتهاء لحالة الحرب » وقرار بما دعاه « حق » اسرائيل في « السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الارضية ، وفي العيش في مأمن من اللجوء الى القوة او التهديد بذلك » ، لا سيما حين تسعى هي جادة الى الحصول على تأييد الاسرة الدولية لحمل اسرائيل على تنفيذ ما يختص بها في القرار ، اي الانسحاب من الاراضي المحتلة .

والحقيقة الثانية : هي ان الدول العربية الاخرى التي أعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، حتى وان لم تكن اراضيها محتلة ، قد ألزمت نفسها مبدئيا بالموافقة على ما نص عليه القرار بشأن الاعتراف باسرائيل ، مما أوردها في الفقرة السابقة ، وليس فقط بالموافقة على الدعوة الواردة في القرار الى الانسحاب الاسرائيلي . ذلك ان القرار يربط بين المبدئين - مبدأ الانسحاب ومبدأ الاعتراف - ربطا عضويا محكما ، بحيث لا يمكن التنصل من الالتزام بالموافقة على أحد المبدئين بحجة ان الموافقة كانت محصورة في المبدأ الآخر .

ولعله من اللازم ان نقول في هذا الصدد ان الدول العربية التي لم تقع اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي قد استدرجت الى الموافقة على قرار مجلس الامن رغم انها لم تكن من اعضاء ذلك المجلس عندما اقترح على القرار وكان في وسعها ان تتجنب اعلان الموافقة عليه لو شاعت . ولعل استدرج غالبية الدول العربية الى الاقتراع في الجمعية العامة على قرارين يؤكدان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كان من أكبر الأخطاء

الاستراتيجية التي ارتكبتها الدبلوماسية العربية منذ قيام الأمم المتحدة ! ولقد جرى ذلك في دورتين متعاقبتين من دورات الجمعية العامة هما الدورة الخامسة والعشرون (١٩٧٠) والسادسة والعشرون (١٩٧١) ، حين سمعت الدبلوماسية المصرية لتحريك ضغط دولي على إسرائيل للانسحاب ، وذلك عن طريق استصدار قرار من الجمعية العامة يؤكد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولقد أدت أولى هاتين المحاولتين ، في الدورة الخامسة والعشرين ، الى تصدع في جبهة الوفود العربية لدى الأمم المتحدة ، فاقترعت سبعة وفود لصالح قرار الجمعية العامة الذي يؤكد قرار مجلس الأمن ، واصبحت حكوماتها بالتالي ملزمة ، أدبيا وقانونيا ، باحكامه ، فيما رفضت سبعة وفود أخرى الاشتراك في الاقتراع اطلاقا ، معلنة بلسان مندوب واحد تحدث نيابة عنها جميعا بأن رفضها الاقتراع يرجع الى ان حكوماتها ترفض قرار مجلس الأمن . اما في الدورة السادسة والعشرين (وكان عدد الدول العربية الاعضاء قد ارتفع الى ثماني عشرة دولة) فقد تكررت المحاولة ولكن بنتائج مختلفة . فقد أعلن وفد عربي واحد فقط رفضه الاشتراك في الاقتراع ، وامتنعت وفود خمس دول ، بينما اقترعت وفود اثنتي عشرة دولة عربية لصالح القرار . واذا حسينا الدول العربية التي اقترعت ، اما في الدورة الخامسة والعشرين او في الدورة السادسة والعشرين او في كليهما معا ، لصالح قرار من الجمعية العامة يزكي ويؤكد قرار مجلس الأمن ، وجدنا مجموعها اربع عشرة دولة : أي ان أكثر من ثلاثة ارباع الدول العربية قد سجلت رسميا موافقتها على قرار مجلس الأمن ، رغم انه كان بالإمكان تجنب الوقوع في هذا الاشكال لو ان تأكيد قرار مجلس الأمن لم يطرح على اعضاء الجمعية العامة في قرار رسمي للتصويت عليه .

وتقضي الامانة بأن نسجل بأن مندوبي ثلاث دول عربية قررت حكوماتها الاقتراع لصالح احد قراري الجمعية العامة المشار اليهما ، او لصالحهما معا ، قد اعلنوا في بياناتهم التفسيرية ، اما قبل الاقتراع او بعده ، انهم يوافقون على قرار الجمعية العامة ككل دون ان يوافقوا على قرار مجلس الأمن او يؤيدوا تلك الفقرات في قرار الجمعية العامة التي تؤكد قرار مجلس الأمن . ولكن الاثر القانوني لهذه التحفظات والتفسيرات ليس معروفا : اذ انه ليس في مقته الأمم المتحدة ما يحدد بصورة قاطعة ما اذا كان التحفظ او التنصل الذي يرد في البيان التفسيري ، بالنسبة لفقرة معينة من قرار ما ، كافيا لابطال الالتزام الذي ينطوي عليه الاقتراع لصالح ذلك القرار ككل .

ثالثا : بمقارنة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بوعده بلغور ومشروع التقسيم ، من زاوية ثالثة ، يتضح مجددا ما اتضح لنا من المقارنة من الزاويتين الاوليين : ان قرار مجلس الأمن قطع في تحنيه على الشعب الفلسطيني أشواطا أبعد مما قطعتة اية من الوثيقتين السابقتين .

صحيح ان التجني كان حاصلا في كل من الوثائق الدولية الثلاث ، الا انه في الاوليين كان مشروطا وملطفا بضمانات معينة عرضها تقييد الكيان الصهيوني العتيد في سلوكه تجاه الشعب الفلسطيني ، من جهة ، وصيانة بعض حقوق ذلك الشعب ، من الجهة الأخرى . لكن التجني في قرار مجلس الأمن كان مطلقا وغير مشروط .

فوعده بلغور ، الذي تطلع الى اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، اشترط ان لا يكون في ذلك مساس او اجحاف ببعض الحقوق — ولا سيما الدينية والمدنية — التي يملكها أبناء فلسطين من غير اليهود . ولو طبق هذا الشرط تطبيقا صادقا ، لانتفى الغرض الأصلي من الوعد ! ثم ان صك الانتداب لم يكف بتكرير التحفظ الوارد في صلب وعد بلغور ، بل انه اضاف شرطا آخر ، هو الاشتراط بأن لا يسيء انشاء الوطن القومي اليهودي الى « وضع » ابناء فلسطين من غير اليهود ، وهو ايضا شرط ينفي اقامة

وذهب مشروع التقسيم الى ابعاد من ذلك ، فقد نص على وجوب اعلان « الدولة اليهودية » فور قيامها احترامها للحقوق المدنية والثقافية والدينية والسياسية للعرب المقيمين فيها ، على ان يكون اصدار هذا الاعلان شرطاً لقبول الامم المتحدة بها ، وعلى ان يكون الاعلان جزءاً من قانون الدولة الاساسي ، او دستورها ، وعلى ان لا يصر الى تعديله الا بموافقة الجمعية العامة . واستناداً الى هذه الضمانات ، كان قرار الجمعية العامة بقبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة مقبولاً مشروطاً ، وكانت القرارات المتعاقبة التي دعت الى عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم والتعويض عن ممتلكاتهم مريحة واضحة .

اما قرار مجلس الامن فلم يكن فيه اي قيد او شرط ، فيها عدا الدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . فكان في هذا القرار تحرير لاسرائيل من كافة القيود والالتزامات في المستقبل ، وصفح عن كافة افعال الاغتصاب التي ارتكبتها اسرائيل في الماضي والتي كانت نتائجها ما تزال قائمة . وطالب القرار الدول العربية بالاعتراف باسرائيل كدولة شرعية الوجود كاملة السيادة دون ان يشترط قيام اسرائيل بواجباتها والتزاماتها الماضية وتصحيح ما ارتكبه في الماضي من جرائم والامتناع عن الاستمرار في التمتع بشمارها .

وعد بلفور خلق القضية الفلسطينية بخلق كيان صهيوني محفوف بالقيود . ومشروع التقسيم سعى لان يكون تسوية ، او حلاً وسطاً ، للقضية التي خلقها وعد بلفور . اما قرار مجلس الامن فقد كان تحريراً لاسرائيل من القيود السابقة ، ونسخاً للضمانات والشروط التي اعطيت للشعب الفلسطيني ، فكان بالتالي تصفية نهائية للقضية الفلسطينية .

رابعاً : يتوعدنا هذا الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية رابعة .

كان الشعب الفلسطيني ماثلاً في ذهن الذين صاغوا نص وعد بلفور ، ولئن كان ذلك بصورة جانبية . فعلى الرغم من اشارة الوعد الى « الطوائف غير اليهودية » بدلا من تعيين الهوية الفلسطينية للشعب المعني بصراحة ، وعلى الرغم من حصر الضمانات في اطار الحقوق الدينية والمدنية ، فان الشعب الفلسطيني لم يكن غائباً عن البال كليا .

وكان الشعب الفلسطيني ماثلاً في الاذهان ايضا عند صدور توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم - فخصص المشروع له جزءاً من ارض فلسطين ليقوم عليها دولة خاصة به ، وقيد الدولة اليهودية بقيود واضحة فيما يتعلق بمعاملتها للعرب الفلسطينيين المقيمين في الارض التي ستصبح دولة يهودية .

اما قرار مجلس الامن فلقد تجاهل الشعب الفلسطيني تجاهلاً تاماً . فالقضية التي عالجه دعيت « الحالة في الشرق الاوسط » ، والنزاع الذي تعرض له كان نزاعاً بين اسرائيل - كدولة قائمة ، بل ظافرة - والدول العربية . حتى الاراضي الفلسطينية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، بالإضافة الى سيناء والجولان ، (اي الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والحلحة) اعتبرها القرار ضمناً من اراضي الدول العربية المتاخمة لاسرائيل ، اي الاردن ومصر وسوريا ، وليس من الوطن الفلسطيني ، كما انه اعتبر اهالي تلك الاراضي الفلسطينية المحتلة جزءاً من شعوب تلك الدول العربية . ان كلمة فلسطين لم ترد في قرار مجلس الامن اطلاقاً ، لا كصفة لارض ولا كصفة لشعب ولا كصفة لافراد . وان ما حل بالشعب الفلسطيني وبوطنه قبل عام ١٩٦٧ اعتبر امراً واقعاً ، وطولبت الدول العربية بالاعتراف باسرائيل على الرغم منه كله .

رب قائلاً يقول : ان قرار مجلس الامن طالب باجراء « تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين »

وبالتالي فهو لم يغفل قضية فلسطين وأبنائها اغفالا كاملا . الا ان هذا القول مردود لاسباب عديدة ، أهمها ما يلي :

(١) ان التركيز في القرار ، سواء في ديباجته او في الفقرة التنفيذية الاولى منه ، قد انصب على موضوعي الانسحاب الاسرائيلي والاعتراف العربي الكامل باسرائيل ، اللذين وبطهما القرار معا ودعاها مبدأي السلام في الشرق الاوسط . اما الاشارة الى اللاجئين فقد وردت في اطار « الاجراءات الاضافية » التي رأى مجلس الامن ان من الضروري اتخاذها كخطوات لاحقة من اجل تركيز السلام . والواقع ، ان قضية اللاجئين لم تتمتع بالاولوية في جدول « الاجراءات الاضافية » تلك ، بل سبقتها الى المقام الاول قضية حرية الملاحة في الممرات المائية في المنطقة !

(٢) لم يتحدث قرار مجلس الامن — في الجملة الوحيدة التي اشار فيها الى « مشكلة اللاجئين » — عن « اللاجئين الفلسطينيين » ، بل عن « اللاجئين » بصورة عامة . ولقد اشار أكثر من مسؤول اسرائيلي ، في أكثر من مناسبة ، الى ان اسرائيل تنظر الى عبارة « مشكلة اللاجئين » كعبارة تضم اللاجئين الفلسطينيين و « اللاجئين اليهود » الذين جاؤوا الى اسرائيل من البلدان العربية ، وان « التسوية العادلة » المنشودة هي تسوية لمشكلة الفريقتين معا وليست تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقط .

(٣) وعبارة « التسوية العادلة » لمشكلة اللاجئين وردت هكذا — مطاطة ودون تحديد . ففي حين ان كافة القرارات السابقة التي صدرت عن الجمعية العامة وعن مجلس الامن نفسه كانت تشير بوضوح تام الى عودة اللاجئين الذين يختارون العودة ، والى التعويض عن ممتلكات اللاجئين الذين لا يختارون العودة وعن الخسائر في ممتلكات اللاجئين العائدين — فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تجنب الاشارة الى العودة واكتفى بعبارة « التسوية العادلة » . ولا يحتاج المرء الى كثير من سوء الظن ليتكهن بأن التفسير الذي سيقدم في المستقبل لتلك العبارة — اذا ما قدر للقرار ان يسير في طريق التنفيذ — سوف ينتج نحو اجراء « التسوية العادلة » عن طريق التعويض المالي على الممتلكات وليس عن طريق العودة .

(٤) وأخيرا ، فان تقليص قضية الشعب الفلسطيني الى مستوى قضية لاجئين هو في حد ذاته تنكرو لحقوق الشعب الفلسطيني ولوجوده كشعب . فاللاجئون — اي لاجئين — ليسوا شعبا بل مجموعة افراد ، وتسوية « مشكلتهم » — حتى اذا كانت « تسوية عادلة » ، بل حتى اذا كانت بالعودة — ليست حلا لقضية الشعب في حد ذاتها ولا هي علاج لقضية اغتصاب وطنه وزرع المستوطنين فيه واقامة دولة دخيلة لاولئك المستوطنين على ترابه .

٣ — المواقف العربية من قرار مجلس الامن :

في هذه المقارنة السريعة بين وثائق — او جرائم — نوفمبر الثلاث ، من عدة زوايا ، تبين لنا أن أحدثها كان أوقحها ، وأكثرها تجنبا ، وأشدّها خطرا . الا ان المقارنة لا تكون كاملة ان لم تتم من زاوية اخرى — هي زاوية رد الفعل العربي .

فلقد اثار وعد بلفور موجة من السخط العربي الاجماعي في كافة ارجاء العالم العربي . واستثار مشروع التقسيم اجماعا عربيا على رفضه ومقاومته . اما القرار الاخطر والاكثر وقاحة وتجنبا فلقد استقبله العالم العربي — بشعوبه وحكوماته — بانقسام في الصفوف واختلاف على التقييم ، حتى بلغ الامر ببعضهم حد التطلع الى تنفيذ ذلك القرار وكأنه المطلب العربي الاقصى !

فعلى الصعيد الشعبي ، توهم البعض — او اوهوا — بأنه قرار يقضي بانسحاب

اسرائيلي فقط ، وبجاهل الكثيرون — او لعلمهم جهلوا — انه يقضي ايضا بتخليم خداز
الرفض العربي لاسرائيل ، وباقامة عهد جديد من القبول العربي بها والافترار بشرعيتها
المزعومة ، كما يقضي بتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية . وبناء على هذا الوهم
(او الابهام) والجهل (او التجهيل) انبرت اصوات تدعو الى تنفيذ قرار مجلس الامن
وكأنه بركة على القضية العربية .

عبثا نقول : ان المسؤول عن هذه الفوضى الفكرية في صفوف الامة العربية على الصعيد
الشعبي — والمسؤول عن معالجتها وتصحيحها — هي اجهزة الاعلام العربية الرسمية
او الموجهة او الخاضعة . لان تعمد اجهزة الاعلام الرسمية في اكثر من بلد عربي حجب
صورة قرار مجلس الامن الحقيقية عن الاعين والاذهان ، هو جزء من سياسة
الاستسلام المتمثلة في القبول بقرار مجلس الامن بل وفي التلطف على تنفيذه .

خلافا لوعد بلفور ولشروع التقسيم ، ان قرار مجلس الامن ، الذي لم يثر في الجماهير
العربية ما يستحقه من رفض ومقاومة ، قد وجد على صعيد الحكومات العربية تمزقا
وتفتتا ، ولقي لدى عدد منها استجابة ايجابية . **وخلفا للعرف ، فان المسؤولين العرب
الذين تمسكوا بالحق الفلسطيني وبالكرامة العربية ورفضوا القرار واستنكروه ، ما
لبثوا ان وجدوا انفسهم في حرج تحاه الذين قبلوه (بدلا من العكس) ، فاتجه بعض
الرافضين نحو القبول مسايرة للقابليين بالقرار ، ولاد البعض الآخر بالصمت كي لا
يخرج الذين قبلوا به . وفي الوقت عينه ، كان في تمسك البعض الآخر بالرفض قسط من
الزيادة كما كان في تمسك آخرين بالرفض رغبة في الاحراج . الى ان انتهى الامر بان
اصبح الرفض الصادق الثابت موقف الاقلية الصغيرة في صفوف الحكام العرب .**

٤ — اوهام وذرائع :

ينضح مما مر بنا ذكره ان قرار مجلس الامن يقضي باجراء عملية مقايضة . هكذا ، بكل
بساطة ، يتلخص جوهر القرار . انها عملية مقايضة تتخلل اسرائيل بموجبها عن المناطق
التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لقاء تخلي الدول العربية عن موقف الرفض الذي
لازم الامة العربية منذ نشأة القضية طوال نصف قرن ، واستبداله بانشاء حالة سلام
طبيعية في المنطقة تقوم على الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي دون تحفظ ، وتصفي
في اطارها القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

ان هذه المقايضة تتناقض ، من الجهة الواحدة ، مع فلسفة الامم المتحدة ونصوص
ميثاقها ، كما تتناقض من الجهة الاخرى مع الحق والكرامة العربيين .

فبالنسبة لميثاق الامم المتحدة ، ان مثل هذه المقايضة معناها ، بايسط عبارة ، مكافاة
المعتدي على عدوانه ، او رشوة المعتدي لحمله على التخلي عما حصل عليه بالعدوان .
واقرار مبدأ المقايضة على هذا النحو في قرار رسمي صادر عن مجلس الامن انما هو
سابقة خطيرة تهدد اركان صرح المنظمة الدولية ومبدأ سلطان القانون في العلاقات
الدولية . وما كانت الامم المتحدة لتتخذ مثل هذا القرار — السابقة ، لولا ان الاسرة
الدولية كانت قد وصلت الى طريق مسدود في محاولتها لمعالجة آثار العدوان الاسرائيلي
اثناء الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة بعيد انتهاء الحرب (والتي
سقطت فيها جميع مشاريع القرارات المطروحة ، وبينها المشروع السوفياتي ومشروع
دول عدم الانحياز والمشروع اللاتيني ، بينما سحبت امريكا مشروعها قبل الاقتراع
عليه) ، ولولا ان الاتحاد السوفياتي وامريكا وجدا في المشروع البريطاني (المقدم بعد
ذلك الى مجلس الامن) ارضا مشتركة تلتقي عليها مصالحهما ومطالبهما في المنطقة —
كما ذكرنا من قبل .

وكذلك ، فان التناقض واضح بين احكام القرار وبين الموقف العربي التقليدي الذي تبلور منذ نشوء القضية . واذا رجعا لتلمس اسباب الموافقة الفورية التي اعلنتها مصر والاردن فور صدور القرار ، والتي جازتها فيها عدة دول عربية بعد ذلك ، وجدنا ان هذه الموافقة سببها اخر الامر عاملان اثنان - هما : « الانانية القطرية » ، و « الواقعية النائية » . وكل سبب اخر مقدمته اية حكومة او هيئة عربية لتفسير موافقتها على القرار انما كان ذريعة وتحويلها .

(1) قرار مجلس الامن كان دغدغة مكشوفة للانانية القطرية . لقاء استرجاع مصر لسيناء ، او استرجاع سوريا للجولان (وهو الوعد الذي يندله القرار كالتعميم في البشارة) يطلب القرار من مصر ومن سوريا الاعتراف لاسرائيل بحق الوجود كدولة سيده في ما كانت قد احتلته من فلسطين قبل عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بذلك « الحق » المزعوم دون شروط او قيود . وحين يعرض القرار على سوريا استرجاع ارض سورية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، او حين يعرض على مصر استرجاع ارض مصرية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، فهو يعرض على الاردن استرجاعها ارضا فلسطينية (هي الضفة الغربية) لقاء تنازلها نهائيا عن اراض فلسطينية اخرى .

والاستجابة لهذا العرض ، من قبل مصر والاردن ، فور صدور القرار ، انما كانت فوزا لمنطق الانانية القطرية على منطق الولاء القومي والاخاء القومي . ولا يمكن التهرب ، امام التاريخ ، من مسؤولية هذه الحقيقة .

ولا بد لنا من ان نقول ان سلطة التنازل عن اي ارض عربية لا يملكها اي شعب عربي ، او اي جيل من اجيال الامة العربية . بل ان الشعب الفلسطيني لا يملك سلطة التنازل عن ارض فلسطين - ناهيك عن اي شعب عربي اخر ، او اية حكومة عربية اخرى - لان ارض كل قطر في الوطن العربي هي ملك الامة العربية جمعاء على امتداد اجيالها مدى التاريخ . وبالتالي ، فان ادعاء اي قطر من الاقطار العربية بحق مقايضة مصر جزء من الارض العربية بمصر جزء اخر انما هو اعتداء على تراث الامة العربية جمعاء وعلى حقوق اجيالها المتعاقبة في كامل التراب العربي ، فضلا عن كونه اعتداء على حقوق ابناء الجزء المتنازل عنه .

ولو شئنا جدلا ان نجد عذرا للذين قبلوا مبداء المقايضة ، في القول بان اغراء استرجاع الارض العربية كان اقوى من واجب التمسك العنيد بحق الاشقاء ، وحق الامة باسرها ، في الارض المجاورة (لا سيما وانه كان قد مضى على احتلال هذه عشرون عاما) ، لوجب علينا في الوقت عينه ان ننوه الى ان مثل هذه المقايضة تتم عن قصر نظر بالنسبة للمصلحة القطرية نفسها فضلا عن كونها غير مشروعة من حيث المبدأ . لان العدو الطامع بالتوسع القلبي في الاراضي المجاورة وبالسيطرة الاقتصادية والسياسية على المنطقة باكملها لن يردعه الرضوخ لمطالبه (في الاعتراف العربي وفي اقامة حالة سلام دائم وعلاقات طبيعية مع الدول العربية) عن المضي في سعيه لفرض سيطرته على ارادة ابناء المنطقة ، وانما من الحتم ان يزيده الرضوخ العربي طمعا وشهوة في السيطرة وايمانا بقدرته على بلوغها .

ان قبول مبداء مقايضة شرم الشيخ بحيفا ، مثلا ، او العريش ببئر السبع ، من قبل من لا يملك حق التصرف بحيفا او ببئر السبع - وقبول مبداء مقايضة نابلس بالناصره ، من قبل من لا يملك حق التصرف لا بهذه ولا بتلك - فضلا عما ينطوي عليه من تطاول على حقوق الشعب الفلسطيني صاحب الحق الاصيل في حيفا وبئر السبع والناصره ونابلس ، ينطوي ايضا على نظرة خاطئة الى ديناميكية شهوة التوسع والسيطرة وطرق مجاباتها .

ألا أن المغالطة القويحة أن كانت أن كتمت أن العنصر الذي تم التنازل له عن حتماً لقاء
بحرم الشيخ سوف تزداد شهوته لاعادة سيطرته على شرم الشيخ حتى لو استجبت
تواته منها!

هذا بالنسبة لمنطق « الانانية القطرية » التصير النظر . واما منطق « الواقعية اليائسة »
فأمره واضح . إذ لولا اليأس من القدرة على تطبيق المبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة لا
يستعاد الا بالقوة » لما مال احد الى القبول بالمبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة قد يستعاد
بالمقايسة » .

ولكن ، لو ان جزءا من الجهد ، الذي صرف طسوال السنوات الخمس الماضية على
الركض اللاهت وراء اتمام صفقة المقايضة — لو ان جزءا من ذلك الجهد صرف على
تعزيز القوة النضالية الذاتية في الامة العربية ، وفي كل قطر من اقطارها ، وعلى بناء
المؤسسات الفاعلة (لا التظاهرية) الكفيلة بتعبئة الجماهير وتعزيز استعدادها المعنوي
للممود والتضحية والفداء ، ولتحمل الاحتلال الى ان تكتمل القدرة على التحرير ، مهما
طال الزمن — لو ان ذلك حدث ، او لو انه جرى الشروع فيه ، لما كانت الواقعية
المسيطرة على الاذهان الرسمية هي واقعية اليأس ، بل لاصبحت واقعية الثقة المستندة
الى الوعي الكامل بطاقات هذه الامة وامكاناتها .

* * *

ان الذين حدا بهم هذان العاملان — الانانية القطرية ذات النظر القصير ، والواقعية
اليائسة — الى الموافقة على قرار مجلس الامن ، كان لا بد لهم من تبرير موافقتهم هذه
امام جماهيرهم والجماهير العربية عامة ، ولو بالتضليل !

وقد اتخذ التضليل الرسمي للجماهير العربية عدة اشكال ، اهمها ترويج الادعاءات
والحجج الآتي بيانها :

(١) الايحاء بان قرار مجلس الامن يقتصر فقط على دعوة اسرائيل للانسحاب . وقد
اشرنا الى هذا الباطل في جزء سابق من هذا المقال .

(٢) القول بان القرار لا ينص على وجوب « اعتراف » الدول العربية باسرائيل ، وان
كلمة « اعتراف » ذات المدلول الواضح والدقيق في القانون الدولي وفي العرف
الدبلوماسي لم ترد في القرار اطلاقا ، لا في نصه الانكليزي ولا في نصه الافرنسي (وهما
النصان الرسميان للقرار) . وهذا القول صحيح من حيث الشكل ، لان عبارة
« الاعتراف » لم ترد في نص القرار ، ولكن ما ورد فيه بالنسبة لهذا الامر ، وما جعله
القرار شرطا ملازما لشرط الانسحاب وعنصرا مرافقا له ، هو اوسع واكثر شمولا من
مجرد الاعتراف الدبلوماسي بالمعنى المتعارف عليه . ففي الفقرة الثانية من الديباجة ،
اقتزن اعلان مبدأ « عدم جواز حيازة الاراضي عن طريق الحرب » ببدا اقامة « سلام
عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش بامان » . ونصت الفقرة التنفيذية
الاولى على مبدئين قالت ان تحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط « يجب ان
ينطوي على تطبيقهما كليهما » . وكان اول هذين المبدئين هو المتعلق بالانسحاب
الاسرائيلي . اما المبدأ الثاني فهذا نصه الكامل :

« انتهاء كل ادعاء بقيام حالة حرب ، وكل حالة حرب . واحترام السيادة ، والسلامة
الارضية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، والاطرار بها . وكذلك احترام
حق كل دولة في ان تعيش بسلام ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وحقها بان تعيش في
ماين من استعمال القوة او التهديد بذلك — والاطرار بهذه الحقوق » . فاذا كان القرار
لم ينص على وجوب اعتراف الدول العربية بالحكومة الاسرائيلية ، فانه قد نص على

« فما هو أذن وجه التشويه في « السياسة المرحلية » التي ذاع امرها أخيراً ؟
وجه التشويه أن ثمة نوعين من المرحلية ، وقد اختاروا هم النوع الخاطيء ، وتوهبوا
أنه النوع الصحيح بل والوحيد .

« إن المرحلية التي يتاح لها أن تبلغ غرضها هي المرحلية التصاعدية . هي التي تبني في
كل مرحلة على ما شيدته في المرحلة السابقة ، وتمهد في كل مرحلة لما ستبنيه في المرحلة
اللاحقة .

« وأما المرحلية التي نودي بها أخيراً ، فمرحلية مغلقة : المرحلة الأولى فيها تنفي المراحل
اللاحقة وتبطلها — بدلا من أن تمهد لها الطريق ، وتفسح لها مجال التنفيذ ، وتوفر لها
شروط التطبيق . هذه المرحلية المغلقة « تطوق » نفسها تطويقا تاما في سياج المرحلة
الأولى ، لأنها تكتفي بالخطوة الأولى وتعلن مسبقا أنها لن تمضي بعدها في المسير نحو
الهدف الأخير .

« إنها تقنع بتصغير مساحة الأرض التي اغتصبتها إسرائيل ، تصغيرا جزئيا ، لقاء
التخلي نهائيا عما تبقى من حقنا كله بفلسطين ، ولقاء الاعتراف بإسرائيل ، ولقاء عقد
الصلح معها .

« ليس شعار هذه المرحلية الزائفة : « خذ الآن ما تستطيع أخذه ، وتبئيا في الوقت عينه
لتأخذ غدا ما تبقى » . وإنما شعارها : « اكتف بما تستطيع أخذه بل وبأقل منه ، وتنازل
لخصمك منذ الآن وإلى الأبد عما تبقى لك ! »

« ليس شعارها : « صارع للحصول دفعة دفعة على حثك ، إلى أن تبلغه آخر الأمر
كاملا غير منقوص ، وفق خطة محكمة » . وإنما شعارها : « ساوم للحصول على قسط
ضئيل من حثك ، وتخل ، لقاء هذا القسط الضئيل ، عن حثك بأكمله ! »

« ليست هذه مرحلية التخطيط ، وإنما هي مرحلية التفريط .

« ليست هذه مرحلية النمو والتقدم ، وإنما هي مرحلية الجمود ، بل الانكفاء .

« ليست هذه مرحلية الأمل ، وإنما هي مرحلية اليأس .

« ليست هذه مرحلية الصراع ، وإنما هي مرحلية الاستسلام .

« ليست هذه سياسة المراحل المتراكمة التصاعدية ، وإنما هي سياسة المرحلة الواحدة
الوحيدة ، التي تنتهي عندها آفاق الأمل كله ، وتتوقف الرؤيا عند حدودها القريبة ،
وتتحبس الأحلام في سياجها الضيق الخائق ! » .

تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عصام سخيني

في الثامن والعشرين من شهر أيار (مايو) ١٩٦٤ عقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) بحيث « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين علي الصعيدين العربي والدولي ». وبحيث يكون « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين في م.ت.ف... والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » كما نصت المادة ٢٦ من الميثاق القومي الفلسطيني والمادة ٤ من النظام الأساسي لم.ت.ف. على التوالي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني مرحلة نزاع جدي ، بعد أن كان هذا الموضوع في حال نسيان تامة على مستوى عربي أو تجاهل متعمد ، وإذا اتير مرة فهو لا يخرج عن نطاق المعالجة الروتينية في مجالس الجامعة العربية ، كما كان خافت الصوت أو غير مبلور في تصورات محددة على صعيد شعبي فلسطيني . وهذا النزاع كان قطبه الاول المنظمة التي تؤكد انها الممثل الوحيد والشرعي لشعب فلسطين والناطقة باسمه والمجسدة لكيانه الوطني ، وقطبه الآخر اطراف متعددة ، مختلفة الدوافع ، متناقضتها احيانا ، ترفض دعوى المنظمة وتسعى الى انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني من يدها وتجييره الى جهات أخرى . وإذا كان هذا النزاع ظل مدة لا يمثل خطرا جديا على قضية الشعب الفلسطيني فانه بعد مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، اثر التراجع العسكري الذي منيت به المقاومة في الأردن ، اصبح محوره هذه القضية من الاساس : المحافظة عليها او تصفيتيها نهائيا . وقد وصل هذا النزاع الى قمته المرحلة في حادثين هما في التحليل النهائي متكاملان : الأول قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلي باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية المحتلة بقصد خلق ممثلين منتخبين للشعب الفلسطيني يكتسب الحوار معهم صفة شرعية . والحدث الثاني اعلان الملك حسين عن مشروعه الرامي الى ما سماه الملكة العربية المتحدة باقتليمها الاردني والفلسطيني بهدف تكريس تمثيل النظام الهاشمي للفلسطينيين وايجاد المفاوض الفلسطيني (من بين الفلسطينيين المتعاونين مع الملك) الذي يكون قادرا بحكم تمثله الرسمي للفلسطينيين على الدخول في ميدان المساومات الدولية ومن ثم تقديم التنازلات المطلوبة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . من هنا يكتسب موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني خطورة خاصة يجري في ظلها اعادة التأكيد على شرعية تمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني وعلى حقها في النطق باسمه والتعبير عن طموحاته الوطنية ، وفي الوقت نفسه مقاومة كل ادعاء يحاول ان ينتزع من م.ت.ف. هذا الحق . وفي هذه المقالة ، ولناسبة العودة الى موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني الذي يتخذ الدعوة الى صيغ مختلفة جديدة لتأكيد هذا التمثيل ، سنستعرض كيف توصلت المنظمة الى هذه

الشرعية مطورين البحث بدءا من تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية قبل قيام المنظمة، مروراً بالمحاولات الرامية الى اعادة بناء الكيان الفلسطيني وهو موضوع متلاحم مع قضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، ثم قيام المنظمة واكتسابها شرعية التمثيل الفلسطيني .

فلسطين في جامعة الدول العربية

جاء تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية استنادا الى ما نص عليه ميثاق الجامعة في الملحق الخاص بفلسطين على انه « نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » . ولهذا فقد أصدر مجلس الجامعة في ١٢/٤/١٩٤٥ قرارا في هذا الشأن نص على ان تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد أعضاء الوفد عن ثلاثة ويكون مفهوما ان اشترك الوفد الفلسطيني معناه ان يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الامور التي يستطيع ان يلزم فلسطين بتنفيذها ويكون المندوبون من ترشحهم الهيئة العربية العليا(١). وقد وافق مجلس الجامعة على اختيار موسى العلمي ثم الحاج امين الحسيني ليكونا مندوبين لفلسطين . وقد تغير هذا الوضع قليلا بعد العام ١٩٤٨ . ففي ٣٠/٩/١٩٤٨ عقد في مدينة غزة مؤتمر فلسطيني دعا اليه بعض الشخصيات الفلسطينية وأعلن في ختام جلساته نظاما مؤقتا بتأليف حكومة عموم فلسطين من مجلس وطني ومجلس وزراء ومجلس أعلى . وقد اعترفت الدول العربية المؤسسة للجامعة - باستثناء الأردن - بهذه الحكومة . وفي ٢٧/٣/١٩٥٠ أصدر مجلس الجامعة قرارا بدعوة حكومة عموم فلسطين لارسال ممثلها لحضور اجتماعات مجلس الجامعة . غير ان الحكومة التي لم تمارس اعمالها قط انصرف وزراؤها الى شؤونهم الخاصة ثم استقالوا فأصدر مجلس الجامعة قرارا في ٢٣/٩/١٩٥٢ ينص على انه « نظرا لتوقف أعمال حكومة عموم فلسطين بسبب الظروف الراهنة يكون رئيس الحكومة ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية »(٢). وقد استمر أحمد حلمي باشا رئيس الحكومة في تمثيل فلسطين الى ان وافته المنية في العام ١٩٦٣ ، وفي ١٥/٩/١٩٦٣ اتخذ مجلس الجامعة في دور انعقاده الاربعين قرارا بتعيين احمد الشقيري ممثلا لفلسطين خلفا لاحمد حلمي باشا .

كانت تلك مرحلة في موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني ، وقد اتسمت بالملامح التالية :

- ١ - ان قضية التمثيل لم تكن فاعلة مؤثرة ولم تؤخذ على محمل الجد وانما كانت وفاء رمزيا للقطر الذي سلب . وان حصر التصويت للوفد الفلسطيني « في الامور التي يستطيع ان يلزم فلسطين بتنفيذها » تعتبر أكثر من طرفة ما دام القطر الفلسطيني واقعا تحت الانتداب البريطاني في البداية ثم تحت الاحتلال الاسرائيلي فيما بعد .
- ٢ - كانت حكومة عموم فلسطين بحكم عوامل ذاتية تتعلق بأشخاص القائمين عليها ، وبحكم عوامل عربية متعددة تريد لهذه الحكومة ان تبقى ضئيلة الحجم هامشية التأثير ، كانت الحكومة غير قادرة على ان تتجاوز المهمة التي أوكلت اليها في هذا المجال وهي التمثيل الرمزي لفلسطين* .

* نستطيع ان نخلص حجم هذه الحكومة من قراءة مشروع ميزانيتها للسنة المالية من ١٩٦٤/٧/١ الى ١٩٦٥/٧/١ . فقد كانت كما يلي (بالجنيحات المصرية في السنة) : ٧٨٠ راتب السكرتير العام القائم بأعمال الحكومة ، ٦٠٠ راتب المستشار ، ٦٠٠ راتب مدير الجوازات ، ٦٠٠ راتب مدير الشؤون الاجتماعية ، ٣١٢ راتب مساعد مدير الحاسبة ، ٣١٢ راتب مساعد مدير الجوازات ، ٣١٢ راتب كاتب الارشيف والالة الكاتبة ، ٢٧٦ راتب سائق سيارة الحكومة ، ١٤٤ راتب الفراش ، ١٤٤ راتب الخارص ، ١٠٨ راتب المراسل ، ٩٦ تلفونات وبرقيات ، ١٢٠ مطبوعات ونفقات نثرية بها فيه علاوة غلاء المعيشة ، ٣٥٢ اجرة دور الحكومة . والمجموع ٤٨٦٤ جنيها(٢) .

٢ - أن شعب فلسطين لم يكن مخاطباً بهذا التمثيل : ١ - حكومة عموم فلسطين لم يكن لها أساس بحركة الشعب الفلسطيني حتى أنها كانت حكومة لا علاقة لها بالسياسة .
ب - لم يكن لدى الفلسطينيين مؤسسات تنظيمية خاصة بهم قادرة على فرز مندوبين يمثلونهم أو على الأقل يطالبون بهذا التمثيل . ج - أن الشعب الفلسطيني لم يكن يعامل كشعب ذي كيان مستقل وإنما كانت قضاياها تطرح بصفتها مشاكل لاجئين تحل من خلال حكومات الدول العربية المضيفة أو وكالة الغوث الدولية .

٤ - مع هذا التمثيل الرمزي كانت الحكومة الأردنية تحارب حكومة عموم فلسطين بهدف الإجهاد على كل دليل مهما كان هذا الدليل هزيباً يشر إلى الوجود الفلسطيني المستقل فالنظام الأردني كان يتمسك بادعاء حق تمثيل الفلسطينيين بعد أن ضم إليه البقية الباقية من فلسطين - باستثناء غزة والحمة - اثر مؤتمر عقده بعض الوجهاء الفلسطينيين في أريحا في العام ١٩٤٨ برعاية من الهاشميين وبدفع منهم وبعد أن منح النظام المواطنين الفلسطينيين في الأردن الجنسية الأردنية .

الكيان الفلسطيني قبل المنظمة

في الشتات فقد الفلسطينيون كيانهم السياسي الموحد نتيجة فقدان الأرض وتمزق الشعب وغياب المؤسسات الفلسطينية القادرة على التنظيم والقيادة . غير أنه منذ أواخر الخمسينات بدأ الحديث يرتفع على أكثر من صعيد عن «بعث الكيان الفلسطيني» بتعبير، و«إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني» بتعبير آخر . وتقدم فيما يلي ثلاثة نماذج قدمت على ثلاثة أصعدة مختلفة تتعلق بهذا الموضوع :

١ - مجلة « فلسطيننا » والكيان الفلسطيني :

في العام ١٩٥٩ بدأت مجلة « فلسطيننا » في الظهور في بيروت وقد عرف فيما بعد أن حركة فتح هي التي كانت تشرف على سياستها وأصدارها . وكانت بعض مقالات هذه النشرة تذييل بتوقيع «فتح» أو «ف ت ح» . وقد اهتمت المجلة بالدعوة إلى بعث الكيان الفلسطيني « فالكيان مطلب أساسي من مطالبنا نحن عرب فلسطين المشردين . . . والكيان حق شرعي لنا » (٤) . وقد أعطت المجلة صفات لهذا الكيان فهو ضمان حرية العمل من أجل استرداد الوطن (٥) وهو « نابع من ضمير شعبنا ونكبتة وخيمته البالية ، وشعبنا رفض ولا يزال يرفض كافة أنواع الوصايات أكانت من الدول العربية أو غيرها . إن الشعب الفلسطيني يؤمن ببعث هذا الكيان الحر غير التابع وغير الخاضع وغير الوجه » (٦) .

غير أن الأعداد القليلة من المجلة التي تسنى لنا الاطلاع عليها ، تجعلنا نعتقد أن هناك حواراً كان يدور بين المشرفين على سياسة المجلة بحثاً عن ماهية هذا الكيان ، وعن الطريق المؤدي إلى بعثه . وهو حوار مبرر في تقديرتنا ، فالعمل الفلسطيني الذي كان يبحث له عن شخصية مستقلة كان يتلمس طريقه ، ولم يرسل له بعد في تلك الفترة من الزمن تقاليد ثابتة ، أو يضع تصورات محددة . ففي أحد أعداد المجلة نلمح الدعوة إلى إقامة الكيان على الجزء الذي لم يفتصب من فلسطين « إن هناك أقساماً عربية من فلسطين ، وعلى هذه الأقسام ينبغي أن نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي » (٧) . وتكرر المجلة هذا المعنى أكثر من مرة وتطالب « بحكم وطني في أرض فلسطين الباقية » (٨) . ويرافق هذه الدعوة مطالبة « بحكومة وطنية ترعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حالياً على الأقل . . . ولا نطلب من الحكومات العربية إلا . . . أن تمنحنا الفرصة لكي نشكل حكومة وطنية حرة » (٩) . وأحياناً ، ومن ضمن الحوار الداخلي أيضاً ، تضع المجلة هذه الحكومة موضع تساؤل فتكتب « قد يتساءل انسان لماذا لا نطلب قيام حكومة ثورية باسم فلسطين وتكون باسمها وتشرف هي على انشاء الجبهات

الفدائي ؟ انني لا اؤمن بقيام حكومة قبل وجود واقع لها ، لهذا يجب ان لا يعلن قيام حكومة حرة لفلسطين الا بعد نجاح الحركة الفدائية في اثبات وجودها « (١٠) . اما طريقة اخراج هذا الكيان الفلسطيني الى حيز الوجود فـ « فلسطيننا » طرحت الثورة طريقا لذلك « الثورة لتحقيق كيان ثوري على غرار الكيان الجزائري » (١١) ، بيد اننا نقرأ في موضع آخر ان « الكيان [المتمثل في حكم وطني في الاقسام العربية في فلسطين] سيحقق انطلاقة الثورة » (١٢) . وباجمال ، فان المجلة كانت تعمق خط بعث الكيان الفلسطيني ، وتبحث عن ماهيته وطريقة اخراجه .

٢ - مشروع حكومي عراقي :

مقابل هذا الحوار الداخلي على سعيد فلسطيني شعبي نشرت الحكومة العراقية في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ مشروعا « لابرز الكيان الفلسطيني » ويقوم هذا المشروع على التصورات التالية (١٣) : ١ - يقسم الفلسطينيون المقيمون في كل من قطاع غزة والضفة الغربية وسوريه ولبنان والعراق وحيثما توفر عدد كاف من الفلسطينيين الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلا عنها . ٢ - يجتمع الممثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . ٣ - تقيم حكومة فلسطين علاقات سياسية مع كافة الاقطار العربية التي ستعترف بها وتكون مهمة ممثلات هذه الحكومة تنسيق العمل مع الحكومات العربية من اجل تحرير فلسطين . ٤ - توضع خطة عربية لاستعادة فلسطين تشارك فيها الحكومة الفلسطينية وكافة الدول العربية المهتمة بتحرير فلسطين . ٥ - تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبها في كافة المؤتمرات والمحاافل والمناسبات الدولية . ٦ - تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني الذي تتعهد الحكومات العربية بمسؤولية تدريبه وتسليحه ضمن خطة تعبوية موحدة تستهدف استعادة فلسطين وتحريرها . ٧ - يكون مقر حكومة فلسطين في اي قطر عربي تراه مناسبة وبموافقة حكومة ذلك القطر .

٣ - الجامعة العربية وتنظيم الشعب الفلسطيني :

بدا اهتمام الجامعة العربية بموضوع اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني يبرز منذ العام ١٩٥٩ وسنذكر فيما يلي اهم القرارات المتعلقة بهذا الشأن :

بناء على توصية من وفد ج . ع . م . اصدر مجلس الجامعة في دورة آذار (مارس) ١٩٥٩ التوصية التالية « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابرز كيانه شعبا موحدا يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي وبواسطة ممثلين يختارهم الشعب الفلسطيني » غير ان مجلس الجامعة في دورة ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ والذي انعقد في الدار البيضاء على مستوى وزراء الخارجية لم يبحث امر تنظيم الشعب الفلسطيني بصورة جدية لمعارضة الوفد الاردني الذي كان برئاسة هزاع المجالي ، وقد استمرت معارضة الاردن لتنظيم الشعب الفلسطيني اثناء اجتماع اللجنة السياسية للجامعة التي انعقدت في شباط (فبراير) ١٩٦٠ . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٠ اجتمع مجلس الجامعة في شتوزه في لبنان وعاد الى بحث القضية الفلسطينية فقرر اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابرز كيانه شعبيا موحدا وانشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦١ اجتمعت لجنة خبراء كان قد شكلها الامين العام للجامعة من ممثلين عن ج . ع . م . ولبنان والاردن والسعودية ، اجتمعت في مقر الجامعة ورأت بدلا من ان تنشئ كيانا فلسطينيا جديدا ان توصي بدعم حكومة عموم فلسطين ماديا وسياسيا (١٤) . وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة واختير أحمد الشقيري ممثلا لفلسطين وعهد اليه بمهمة القيام باستشارات مع

مجلسي شعب فلسطين لتشكيل حكومة عموم فلسطين جديدة. وطلب منه كذلك زيارة العواصم العربية المختلفة لدراسة الوسائل التي ستضعها الدول العربية تحت تصرفه من أجل إنجاز هذا الواجب (١٥).

مؤتمرا القمة الاول والثاني وقيام م. ت. ف.

في الفترة من ١٣ - ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربية الاول وحضر الشقيري المؤتمر بصفته ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية. وفي ختام المؤتمر صدر بيان تضمن ما يلي « ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية... قياما بواجب الدفاع المشترك وايماننا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه... قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لانتفاء الخطر الصهيوني المائل سواء في الميدان الدفاعي او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (١٦). وقد كان القرار المتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني يقضي في « ان يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (١٧). وفي ١١/٢/١٩٦٤ بدأ الشقيري اتصالاته فاجتمع في القاهرة بالدكتور محمود فوزي ، وزير خارجيته ج. ع. م. ، وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق بجوانبه السياسية والعسكرية والمالية (١٨). وفي ١٩/٢/١٩٦٤ بدأ جولته في الدول العربية ليناقتش مع شعب فلسطين والحكومات العربية مسودة ميثاق قومي فلسطيني وتأسيس منظمة تحرير يقوم عليها الكيان الفلسطيني (١٩). وقد اذاع الشقيري في القدس في ٢٤/٢/١٩٦٤ مشروعاً من ٢٩ مادة لميثاق قومي فلسطيني تقوم عليه المنادى الأساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني يوم ١٤ أيار (مايو) المقبل في القدس لطرحة عليه (٢٠). وقد زار الشقيري في جولته الاردن وسوريه والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان وانتهت الجولة في ٥/٤/١٩٦٤. ولدى وصوله الى القاهرة اعلن انه عقد نحو ٣٠ مؤتمراً مع الشعب الفلسطيني التقى خلالها مع آلاف منهم وشرح لهم الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي لمنظمة التحرير (٢١). وفي ١٥/٤/١٩٦٤ قدم الشقيري تقريراً مفصلاً عن مباحثاته مع الحكومات العربية وشعب فلسطين الى لجنة المتابعة (التي انبثقت عن مؤتمر القمة وتضم ممثلين عن الملوك والرؤساء العرب) في جلستها الثانية التي عقدت في القاهرة . وقد اثبت التقرير ان شعب فلسطين هو الاساس الذي يقوم عليه الميثاق القومي ومنظمة التحرير ، ودور الحكومات العربية سيكون محدوداً في مساعدة شعب فلسطين في خلق هذا الكيان . وبعد ذلك فان الكيان الفلسطيني سيملك استقلاله بنفسه وسوف يتعاون مع الدول العربية الاخرى داخل الجامعة وخارجها (٢٢). و اعلن الشقيري في ختام تقريره ان المؤتمر الفلسطيني سوف ينعقد في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤ « كائناً ما تكون الظروف والمصاعب » (٢٣). وفي المؤتمر المذكور افتتح في القدس المؤتمر الفلسطيني الاول الذي حضره ٣٨٨ ممثلاً منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سوريه ولبنان وغزة والخليج العربي والعراق اختارتهم لجان تحضيرية من الفلسطينيين في هذه الاقطار (٢٤) وفي جلسة العمل الاولى انتخب الشقيري رئيساً للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة م. ت. ف. مجسده للشخصية الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم اعماله في ٢/٦/١٩٦٤ بعد ان اقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظام الاساسي للصندوق القومي .

وفي ٥/٩/١٩٦٤ عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمتهم الثاني في الاسكندرية ، وفي

سادس أيام المؤتمر تركزت المناقشات حول الكيان الفلسطيني وم. ت. ف. وجيش التحرير الفلسطيني (٢٥). وفي ١١/٩/١٩٦٤ صدر بيان ختامي عن المؤتمر ورد فيه ان المجلس «رحب بقيام م. ت. ف. دعما للكيان الفلسطيني وطلبة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين واعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش التحرير الفلسطيني» (٢٦). وبذلك تم الاعتراف العربي الرسمي بالمنظمة ممثلة للكيان الفلسطيني والشعب الفلسطيني .

هل كان قيام م. ت. ف. بقرار من جامعة الدول العربية ومؤتمر قمتهما ؟ ان هناك رايًا شاع طويلا يقول ان المنظمة كانت نتاجا لسياسة القمة وواحدة من مؤسسات الجامعة. بل يذهب هذا الرأي الى ابعد من ذلك فيدعي ان قيام المنظمة كان حركة التفاف على الجماهير الفلسطينية قامت بها الانظمة العربية قاصدة تطويق الجماهير واجهاض حركتها الثورية بتقديم بديل رسمي تتجمد به او من خلاله هذه الحركة وتنتهي عن تنمية ذاتها . وينتظر بعض هذا الرأي وينجاهل احيانا وقائع التاريخ فيقول « ان هذه المنظمة انشئت في مرحلة بداية العمل الفدائي في اواخر العام ١٩٦٤ ، وذلك لمنع التفاف الجماهير حول ذلك العمل التاريخي وتحويله الى ثورة تحريرية عارمة ... وكان المطلوب من المنظمة التي تفتقت عنها عبقرية الانظمة العربية ان تتقف بوجه العمل الفدائي» (٢٧). ان ما نريد ان نثبته هنا ، من خلال ما توفر لدينا من معطيات ، موضوعة ذات شقين الاول ان المنظمة لم تنشأ بقرار من جامعة الدول العربية والشق الثاني ان فكرة المنظمة كمجسدة للكيان الفلسطيني وجدت لدى طرحها استجابة واسعة في صفوف الفلسطينيين وتقبلا منهم . لكن ذلك لا يعني ان ضعف التنظيمات السياسية الشعبية الفلسطينية في ذلك الوقت قد أفقد المنظمة قدرا كبيرا من الفعالية وحرية الحركة .

لقد لاحظت ليلي القاضي بحق ان ما جاء في بيان القمة الاولى حول تنظيم الشعب الفلسطيني انما كان موافقة على قرار سابق كان قد اتخذه مجلس الجامعة في دور انعقاده الرابعين ١٥/٩/١٩٦٣ الذي أوكل الى الشقيري مهمة الاتصال مع الشعب الفلسطيني والحكومات العربية لاعادة تنظيم الشعب الفلسطيني (٢٨) ويتأكد هذا الامر في صيغة القرار الذي اتخذته القمة الاولى في هذا الشأن فهو يطلب من الشقيري «الاستمرار» في مهمته . وكما اشرنا في موضع سابق ابتدأت الجامعة العربية في بحث تنظيم الشعب الفلسطيني في العام ١٩٥٩ ، غير ان ايا من قرارات الجامعة لم ينفذ منذ ذلك . فيحق لنا ان نستنتج اذن ان قرار القمة العربية بتنظيم الشعب الفلسطيني كان لا بد ان يلاقي المصير نفسه الذي لاقته القرارات السابقة المماثلة التي اتخذتها الجامعة العربية لولا عوامل سنتمعرض لها بعد قليل . ويقوى هذا الاستنتاج ان موضوع الكيان الفلسطيني وتنظيم شعب فلسطين لم يكن مطروحا بشكل جدي امام مؤتمر القمة ويستطيع ان ندعي ان هذا الامر ظل هامشيا في ذلك المؤتمر :

١ - ان الدعوة التي وجهها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى عقد مؤتمر للقمة العربية في خطاب القاها في بورسعيد في ٢٣/١٢/٦٣ تصدت الى بحث تحويل اسرائيل لجزى نهر الاردن ومواجهة التحويل . فقد أكد عبدالناصر انه « حتى نجابه اسرائيل اللي تحدثنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان حزبها وقف وقال ان احنا حفول المية غصب عن العرب ، باقول لا بد ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في أسرع وقت» (٢٩). وقد تأكد هذا القصد في المذكرة التي قدمتها وزارة خارجية ج.ع.م. الى الدول الاعضاء في الجامعة العربية ، فقد جاء في هذه المذكرة « ان الجزء الاخير من هذا الخطاب [خطاب عبدالناصر المشار اليه] قد حوى الدعوة الى اجتماع رؤساء الدول العربية لبحث الموقف الذي ينبغي ان تواجهه به المؤامرة الاسرائيلية لتحويل مجرى الاردن» (٣٠). وقد اعطيت الافضلية في جدول اعمال مؤتمر القمة للوسائل التي ينبغي

التحور إليها المتع إسرائيل من تحويل مياه الأردن لمصلحتها (٢١).

٢ - إذن فان قضية فلسطين او شعب فلسطين لم تكن هم المؤتمر الأول ، ووقتاً للشقيري نستطيع ان نستخلص ان بحث موضوع الكيان الفلسطيني لم يكن مقتصوداً لذاته في اجتماعات القمة فالجلسة التي بحث فيها هذا الموضوع كانت جلسة العمل الاولى في وقت لم تكن قد نضجت فيه الحاديات او تم فيه اي اتفاق . يقول الشقيري « في هذه الجلسة لم يكن عند الملوك والرؤساء ما يبحثونه . . . وازاء ذلك لم يجد الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف (الذي كان رئيساً للمؤتمر) بدا من ان يقول اذن تبحث قضية فلسطين ولنستمع الي ممثل فلسطين » (٢٢) .

٣ - ومع هذا البحث ، فان الملوك والرؤساء العرب لم يكونوا متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته واهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر ان بعض المجتمعين كان يرفض الكيان فقد أضر الملك حسين على الا تظهر في القرار كلمة الكيان الفلسطيني ، والبعض الاخر لا يرى فائدة للكيان بدون ارض وانه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني (الرئيس السوري امين الحافظ) وآخر يريد انشاء حكومة لفلسطين (الملك سعود) (٢٣) كما ان الرئيس الحبيب بورقيبة واحمد بن بيللا تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية (٢٤) اما ج .ع .م . فقد كانت تريد ان يكون الكيان منفراً اعلامياً فقط (٢٥) .

وقد تكرست هذه المواقف فيما بعد عندما بدأ الشقيري اتصالاته لانشاء المنظمة ثم بعد قيامها مباشرة . فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنذاك ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على ان لا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه ولينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئة تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني » (٢٦) . وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت صحيفة « البعث » السورية تقول - « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين ابناء فلسطين نود ان ننبه الى خطورة النتائج التي تنجم عن كل محاولة تستهدف تحويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بمهمة استطلاع الاراء المختلفة لابناء فلسطين والحكومات العربية حول افضل الوسائل لابرار الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فاننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للسيد الشقيري ان يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب ان تعرض على مؤتمر القمة المقبل » (٢٧) . وفي اجتماع لجنة متابعة مقررات القمة في ١٥/٦/١٩٦٤ ، اي بعد قيام المنظمة ، عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة ، مقررات المؤتمر الفلسطيني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الاطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خوله اياها مؤتمر القمة العربي (٢٨) . وفي اثناء مؤتمر القمة الثاني استمرت المعارضة السورية ففي مذكرة الوفد السوري الى المؤتمر والمؤرخة في ١٠/٩/١٩٦٤ نقرأ « لا بد لحركة التحرير النضالية ان تقوم على حيز مكاني معين لا تشغله الا الاستعدادات الفعلية لمعركة التحرير وان يكون لهذه الحركة سلطة مدنية قائمة وقوة عسكرية منظمة للعمل في اللحظة الحاسمة . ان الارض والحيش والسلطة أسس ثلاثة لظهور حركة التحرير كمنظمة جديدة من لحم ودم و ارادة نضال » (٢٩) ولقد تفهمنا اختيار موقف العربية السعودية وموقف سورية من جعله مواقف الدول العربية لانهما كانا يمثلان سياسياً طرفي نقيض ، فأولاهما موعلة في مواقفها السلبية العربية والثانية متصلة في تصديها للقضايا العربية .

٤ - نتيجة لهذه المواقف المتناقضة فان مؤتمر القمة لم يكف الشقيري بانشاء كيان

فلسطيني او اقامة منظمة فلسطينية ويلاحظ ان قرار المؤتمر وبيانه لم يتضمننا تعبير الكيان الفلسطيني . والشقيري نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي اوكلت اليه فيقول « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقا ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكنني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراء الدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيان الفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير اقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا اعلم ان مصر هذا التقرير هو احواله الموضوع الى الحكومات العربية مرة اخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنتين عديدة مضت ... ولهذا فقد عزمت ان اضع الحكومات العربية والشعب الفلسطيني امام الامر الواقع فادعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام م. ت. ف. وتشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم م. ت. ف. لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية » (٤٠).

وهناك حدث اعقب قيام المنظمة ببضعة عشر يوما يعضد ما ذهبنا اليه من ان المنظمة لم تنشأ بقرار من مؤتمر القمة واما كان اعتراف القمة الثانية بها تكريسا لواقع اصبح موجودا . فقد وجهت الجامعة العربية دعوة رسمية الى م. ت. ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد يوم ١٧/٦/١٩٦٤ في دمشق داخل نطاق الجامعة لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية وقد رئيس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى المنظمة ممثلون عن مصر وسوريه ولبنان والأردن (٤١) وقد كان حضور المنظمة ذلك الاجتماع اول اعتراف رسمي بها من قبل الجامعة العربية .

وإذا كانت جامعة الدول العربية لم تنشئ هي المنظمة فمن الذي انشأها اذن ؟ ان الشيء الثابت لدينا ان فكرة بعث الكيان الفلسطيني في اوائل الستينات لم تكن غريبة عن الاوساط الفلسطينية بل كانت تتفاعل بينهم وان كانت ليست عالية الثبرة . وقد سبق وعرضنا ما طرحته مجلة « فلسطيننا » من دعوة حثيثة لابراز الكيان الفلسطيني . وفي الفترة التي نتحدث عنها كانت ترتصف على الساحة الفلسطينية سبع وثلاثون منظمة فلسطينية ، سرية وعلنية ، صغيرة وكبيرة ، عاطفية وعلمية ، منظمة وفوضوية تتوزع في البلاد العربية كلها (٤٢) . وان كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني فاعل مؤثر في الاحداث . ويتأكد هذا الامر في ان مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني التي ابتدا الشقيري البحث فيها اثر مؤتمر القمة الاول وجدت استجابة عريضة في صفوف الفلسطينيين واعتبرت بادرة ايجابية . فقد اعتبر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيان سياسي اصدره في غزة في ٢٧/٢/١٩٦٤ « ان التزام الدول العربية في مؤتمر الذروة بتحقيق فكرة الكيان نقطة بداية يجدر بالثوريين الفلسطينيين ان ينطلقوا منها » . كما اصدر المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية للعمل الموحد [يضم جبهة التحرير الفلسطينية « ج. ت. ف. » ، الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ، جبهة التحرير الوطني الفلسطينية ، كتل الفدائيين الفلسطينيين ، جبهة التحرير العربية لفلسطين ، المنظمة القومية للتحرير] اصدر بياننا في ٢٤/٥/١٩٦٤ اكد فيه انه « لا بد من وجود كيان فلسطيني ثوري يكون طريق التحرير ويتولى قيادة العمل الفلسطيني نحو التحرير » (٤٤) . وفي ١٥/٣/٦٤ صدر بيان مشترك في بيروت عن حركة القوميين العرب واتحاد طلاب فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية — طريق العودة شرح تصور هذه المنظمات للكيان الفلسطيني واكد ان تنظيم الشعب الفلسطيني لتأدية دوره امر تحتمه طبيعة المعركة

القادمة (٤٥). واعتبرت حركة القوميين العرب أن « مقررات مؤتمر الذروة المختصة بالكيان الفلسطيني تفتح الباب أمام فرصة جديدة للنضال في سبيل العودة ولترفع مستوى هذا النضال الى مرحلة جديدة وكان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية موقفا ايجابيا رمى بثقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية » (٤٦). واعتبر الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني قرارات القمة العربية « فرصة تاريخية متاحة لشعب فلسطين لتنظيم كيانه » (٤٧). وكانت جبهة التحرير الفلسطينية قد اصدرت في ١٠/١/١٩٦٤ بياناً في مناسبة انعقاد القمة الاولى طالبت فيه بالاعتراف بالشخصية الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب (٤٨).

تعهدنا ذكر هذه الامثلة الطويلة بقصد اظهار هذا التيار الذي اخذ يتصاعد منذ اوائل الستينات ويدعو الى ابراز الشخصية الفلسطينية . وقد كان خلف ذلك التيار عدة رواغد ابرزها في تقديرنا خيبة الامل العظيمة التي حملها معه الانفصال بين اقليمي ج.ع.م. في العام ١٩٦١ للفلسطينيين . فقد كانت وحدة الاقليتين ، كحد ادنى ، والوحدة العربية الشاملة كهدف منشود ، وما ينتج عن ذلك من اقامة جيش قوي موحد، اساساً بنى عليه الفلسطينيون آمالهم واحلامهم في تحرير وطنهم . وبالانفصال انتاب الشك الجساهر الفلسطينية في جدوى انتظار الوحدة . وهكذا بدأ البحث عن عمل فلسطيني ذي شخصيه مستقلة يتعامل من خلاله الشعب الفلسطيني مع قضيته مباشرة ودون توسط . وقد عزز هذا الاتجاه نحو « الفلسطينية » الخلافات التي كانت تستحكم في العالم العربي . ففي نهاية العام ١٩٦٣ كانت جميع الدول الاعضاء في الجامعة العربية — باستثناء لبنان والكويت والسودان وليبيه — يمسك بعضها بخناق البعض الاخر (٤٩) وقد زاد هذا الخلاف الفلسطينييين اقتناعاً بأن اعتمادهم على هذه الدول المتصارعة لن يخدم قضيتهم . وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسه قولا فصلا في هذا الموضوع برهن عمليا على أن شعباً ممسكاً بزمام قضيته بيديه قادر على تحقيق مطالبه الوطنية .

ورغم ان هذا التيار الرامي الى بعث الكيان الفلسطيني وتأكيد الشخصية الفلسطينية في العمل الوطني كان اخذاً في التصاعد ، إلا انه لم يكن مبلوراً في مفاهيم واضحة وتصورات محددة ، وان أي استعراض للنقاش* الذي دار حول الكيان الفلسطيني الذي ابتدأ مع

* كان ذلك النقاش يجري من خلال البيانات التي اصدرتها القوى السياسية والاتحادات الفلسطينية، وقد اشرنا قبل قليل الى نماذج منها ونذكر ايضاً بيان جبهة التحرير الفلسطينية (نشرته الحوادث في ٨/٥/١٩٦٤) وبيان حركة الشباب العربي الفلسطيني في لبنان في ٢٤/٣/١٩٦٤ (الكتات السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤) وبيان الهيئة العربية العليا حول الكيان الفلسطيني في ٢٤/٢/١٩٦٤ (المصدر نفسه) ومشروع القيادة القومية لحزب البعث في سورية حول الكيان الفلسطيني في ٢٠/٥/١٩٦٤ (الوقائع العربية ، نيسان — حزيران ١٩٦٤ — الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١) . كتبنا اتخذ هذا النقاش صياغة الاجتماعات والاتصالات التي كان يقيها الشقري ، وقد كتب غسان كنفاني في المحرر (٦/٤/٦٤) ان « الشقري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو الصعيد الخلية الاحتجاجية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف المخيمات والطبقات، يستمع إليهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان الذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . أما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية ، التي اتصل بها الشقري . . . انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين المستقلين المخلصين بالقضية الفلسطينية » . وقد أكد الشقري (في مقابلة خاصة في ١١/٥/٧٢) ان هذه القوى التي اشار اليها كنفاني هي في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية .

جولة الشقري في العالم العربي يظهر لنا انه بمقدار ما كان هناك تأكيد على ضرورة بعث الكيان الفلسطيني كان هناك في المقابل غموض في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله المعين . لقد كان جوهر النقاش هو التساؤل والبحث عن كيفية انشاء المؤسسات المعبرة عن الكيان وعن كيفية اداء هذه المؤسسات لمهامها - بخلاف ابعادها - .

وما نلاحظه هنا ان الشقري كان قد طرح تصورات معينة لكيفية انشاء هذه المؤسسات المعبرة عن الكيان قبل ان يصبح ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية . فهو قد عرض على لجنة الخبراء في الجامعة في تموز ١٩٦٢ مشروعاً للكيان الفلسطيني يقوم على اساس الدعوة لمجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية ، تثبثق عنه جبهة وطنية لقيادة الشعب الفلسطيني تكون لها اختصاصات عسكرية وسياسية وتنظيمية واعلامية ومالية وتحدد صلتها بالجامعة العربية (٥٠) . ولدى تعيينه ممثلاً لفلسطين في الجامعة اوضح تصوره للكيان فخاطب الدورة الاربعة لمجلس الجامعة بقوله « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين اولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية ، وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه . . . الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح اهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم في تحرير فلسطين » (٥١) . وبعد ان كلفه مؤتمر القمة الاول مهمة الاتصال بالشعب الفلسطيني اوضح الشقري « بصورة قاطعة ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحاً امام المواطنين جميعاً » (٥٢) . وكان الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقري هو « مجلس وطني يمثل الجمعيات الفلسطينية ، تثبثق عنه لجنة تنفيذية تقود النضال الفلسطيني وكتائب فلسطينية تجسد النشاط العسكري الفلسطيني وصندوق قومي لتمويل الحركة الفلسطينية ومكاتب في العواصم العربية وجهاز اعلامي للدعوة للقضية الفلسطينية » (٥٣) . وهو هيكل تحقق تفصيلاً في م . ت . ف .

بهذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان ، قام الشقري بدور مباشر في اخراجه الى حيز الوجود . ولسنا هنا في صدد تقييم شخصية الشقري فان الحكم له او عليه يخرج عن نطاق بحثنا ، ولكن بحكم ما توفر لدينا من معطيات وبحكم التجارب السابقة التي مرت بها الجامعة العربية متخذة قرارات كادت ان تكون دورية تدعو الى تنظيم الشعب الفلسطيني ، يحق للباحث ان يستنتج ان قرار الملوك والرؤساء العرب بهذا الشأن كان لا بد ان يواجه ما واجهته القرارات المماثلة السابقة من حفظ في الملفات لو لم يستطع الشقري ان « يستغل » الرخصة التي اعطياها من القمة الاولى ويجسد فكرته عن الكيان ، متجاوزاً الصلاحيات التي عهد بها اليه الملوك والرؤساء واضعاً هؤلاء في مرتبة الثانية امام امر واقع جديد سلموا به . وقد سهل مهمة الشقري في خلق المؤسسة المعبرة عن الكيان ودفع بها الى الامام ذلك التيار الذي اشرنا اليه والذي كان يتقبل فكرة انبعاث الكيان الفلسطيني ويدعو اليه بحيث خلق ارادة فلسطينية عامة تجسدت تنظيمياً في قيام م . ت . ف . كما ان القاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها زمام العمل القومي العربي هيأت السبل امام انبثاق الكيان « فقد كانت ج . ع . م . راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » كما يقول الشقري نفسه في كتابه من القمة الى الهزيمة (ص ٦٢) . وربما بسبب هذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان الفلسطيني عانت المنظمة في فترة تاسيسها من افتقار العلاقة التنظيمية بالجمهور الفلسطيني .

شرعية تمثيل م . ت . ف . للشعب الفلسطيني

محوران يقودان الى اقرار شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني الاول الاعتراف

الرسمي بها والثاني اعتراف الشعب الفلسطيني بانها ممثلة وحيدة لارادته وناطقة باسمه .

اما الاعتراف الرسمي بها فقد جاء عربيا بعد قيام المنظمة مباشرة عندما تمثلت م.ت.ف. (كما اشرنا في موضع سابق) في الاجتماع الذي عقد في دمشق لبحث شؤون اقامة اللاجئين الفلسطينيين في اطار الجامعة العربية بتاريخ ١٧/٦/١٩٦٤ . وقد تكرر هذا الاعتراف بترحيب مؤتمر القمة الثاني بقيام المنظمة . ومنذ ذلك التاريخ (ايلول ١٩٦٤) بدأت المنظمة تشارك في اعمال الجامعة العربية على مختلف مستوياتها بما فيها مؤتمرات القمة بصفتها ممثلة للشعب الفلسطيني .

ان هذا الاعتراف من قبل الجامعة العربية يضع المنظمة على قدم المساواة مع اي كيان عربي اخر ويعطيها على صعيد عربي حق النطق باسم الشعب الفلسطيني ويحولها من مسؤولية الاشراف على حركته ما دام الاعتراف بالمنظمة يتضمن الاعتراف بميثاقها . الذي هو بمثابة الدستور في الدولة ، والذي ينص على ان المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني . وقد كان الاعتراف العربي بمسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني يتوطد اثر كسل أزمة كانت تمر بالمنظمة نفسها او بالمقاومة الفلسطينية والازمات التي نعني هي التي كانت نتيجة نزاع بين المنظمة والمقاومة من جهة وبعض الانظمة العربية من جهة اخرى . وبرز مثلين على هذا الموضوع الازمات التي مرت بها المنظمة او المقاومة في كل من الاردن ولبنان وسنشير فيما يلي الى بعضها مهتمين بشكل خاص بجانب واحد هو قضية الاعتراف هذه .

لقد وقف الاردن منذ البداية موقفا معارضا لابرار الكيان الفلسطيني واحياء الشخصية الفلسطينية المستقلة . لذلك فقد كان امرا منسجما مع سياسة النظام الاردني العامة ان يضع العراقي امام عجلة المنظمة ويعيق نشاطها في الساحة الاردنية . وقد وصل الامر في اوائل العام ١٩٦٦ الى شل كسل نشاط فعلي للمنظمة بين الجهاهير الفلسطينية في الاردن مما استتبع تفجر صراع سياسي واعلامي بين المنظمة والحكم الاردني . وقد كان نتيجة ذلك الصراع ان توصلت المنظمة الى عقد اتفاق مع الحكومة الاردنية اقر للمنظمة بحقها في الاشراف على حركة الشعب الفلسطيني في الاردن . وقد وقع هذا الاتفاق في القاهرة في الاول من اذار ١٩٦٦ في نهاية مباحثات بدأت في ٢١/٢/١٩٦٦ بين وفد من المنظمة برئاسة احمد الشقيري ووفد حكومي اردني برئاسة عبد الوهّاب المجالي . وقد اقر هذا الاتفاق بأن « الموضوعات المتعلقة بمهمات المنظمة هي التجنيد الاجباري وكتائب جيش التحرير ومعسكرات التدريب الشعبي ومعسكرات الشباب والخطوط الامامية والتنظيم الشعبي والانتخابات وحرية الانتقال والسفر والتوجيه والاعلام والجبابة الشعبية وضريبة التحرير » (٥٤) .

ونموذج اخر من تكريس مسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني ذلك الذي تضمنه اتفاق عمان في ١٣/١٠/١٩٧٠ في اعقاب مجازر ايلول . فقد نص هذا الاتفاق على ان « الشعب الفلسطيني وحده ممثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره (وان) اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والمقررة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل اليادين الاخرى » (٥٥) واذ كان النظام الاردني قد مرق فيما بعد اتفاقية عمان بالاضافة الى اتفاقية القاهرة عمان الذي يعيننا في هذه الاتفاقية انها اول وثيقة عربية تعتمد رسميا تربط بين الموضوعات التالية : الشعب الفلسطيني - الثورة الفلسطينية - منظمة التحرير الفلسطينية - حق تقرير المصير . ونرى ان هذا الربط ليس مخاطبا به الاردن فحسب وان كانت اتفاقية عمان قد عقدت في الاساس لتنظيم العلاقة بين المقاومة والنظام الاردني ، وانما يمتد اثره

عربيا ليشكل اساسا جديدا يحق للمنظمة ان تنطلق منه في التمسك بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه وبيانها الجهة الوحيدة التي لها حق تقرير مصيره .

وهذا الاتفاق العربي لاتفاقية عمان نستخلصه من الحثيات التالية : ان هذه الاتفاقية عقدت استنادا الى اتفاقية القاهرة في ٢٧/٩/١٩٧٠ والاتفاقيتان تقرران معا بحيث تعتبر اتفاقية عمان وثيقة تفصيلية لاتفاقية القاهرة التي هي في حقيقتها وبحسب المؤثر الذي كانت الاتفاقية نتاجا له والتوقيعات التي حملتها ، اتفاقية بين عدد من رؤساء الدول العربية بالإضافة الى رئيس م. ت. ف. والملك حسين . ومن هنا فان اي نص في هذه الاتفاقية يلزم موقعها بقدر متساو من المسؤولية تجاه جميع الموضوعات التي وردت فيها وكذلك الأمر بالنسبة لاتفاقية عمان التي هي تكملة تفصيلية ، كما اشرنا لاتفاقية القاهرة . ويؤكد هذا الأمر الأخير ان اتفاقية عمان جرى التوقيع عليها من قبل الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة التي تشكلت بقرار من رؤساء الدول العربية حسب اتفاقية القاهرة (المواد من ٦ - ١١ من الاتفاقية تبين كيفية تشكيل اللجنة ومهامها وتسمية اعضائها) (٥٦) وقد طلبت اتفاقية القاهرة (المادة ٨) ان تقوم لجنة المتابعة باعداد و ابرام اتفاق اسفر عن اتفاقية عمان . وقد جرى في أكثر من مناسبة تأكيد الدول العربية للالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان (ما يهنا هنا الربط بين الموضوعات الاربع التي اشرنا اليها) . فائناء مفاوضات جدة بين م. ت. ف. والحكومة الاردنية كانت لجنة الوساطة السعودية - المصرية تنطلق في مساعيها من ورقة عمل مصرية - سعودية اقرت في ٨/٨/١٩٧١ في اجتماع عقد في القاهرة بين الرئيس انور السادات والسيد عمر السقاف ، وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية . وكان اساس ورقة العمل هذه الالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان (٥٧) كما ان مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي انهى اجتماعاته في نيبيية في ٣١/٧/١٩٧١ أكد في بيانه الختامي تمسكه بالاتفاقيتين ودعمه لكل عمل من شأنه تنفيذهما (٥٨) .

واذا تأكد مثل هذا الاعتراف العربي بالمنظمة من خلال علاقاتها مع الاردن فسوف نمر بنموذج اخر من خلال علاقات العمل الفلسطيني بلبنان . لقد كان اعتراف الحكومة اللبنانية رسميا بالمنظمة استنادا الى جلسة عقدها مجلس الوزراء في تشرين الثاني ١٩٦٤ عندما وافق على فتح مكتب للمنظمة في لبنان « ومعاملة مديره المسؤول معاملة الممثلين الدبلوماسيين ومنحه الاعفاءات والحصانات التي يتمتع بها اعضاء السلك الدبلوماسي الاجنبي في لبنان » وجاء في حثيات هذه الموافقة « ان مجلس رؤساء الدول العربية قد قرر في اجتماعه الاول المنعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٤ الاعتراف بالسيد احمد الشقري ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية وقرر في اجتماعه الثاني المنعقد في الاسكندرية في شهر ايلول ١٩٦٤ الاعتراف بـ م. ت. ف. واعتمادها ممثلة لشعب فلسطين » (٥٩) غير ان هذا التمثيل الدبلوماسي قد توطد فعلا واتخذ له مدولا اكثر شمولا في اتفاقية القاهرة التي عقدت بين م. ت. ف. والحكومة اللبنانية في ٣/١١/١٩٦٩ (٦٠) فقرة نصوص هذه الاتفاقية تؤكد ان المنظمة ليست مسؤولة فقط عن ثورة الشعب الفلسطيني وانما هي ايضا تمثل مصالحه الحياتية وتكتسب حق رعاية هذه المصالح . فبالإضافة الى الامور العسكرية « تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني على اساس : ١ - حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين حاليا في لبنان ٢ - انشاء اجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها ... » .

هذا الاعتراف الرسمي العربي (الذي اكتسبته المنظمة) بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني ورعاية مصالحه كان يماشيه اعتراف عالمي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ٥/١٠/١٩٦٤ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم

الانتخاب قد قررت في ٢٠/٩/١٩٦٤ أن تكون م. ت. ف. ممثلة كمراتب في اجتماعات المؤتمر على أن تتولى ج. ع. م. بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة . وكان حضور المنظمة لذلك المؤتمر أول اعتراف عالمي بها (٦١) .

وقد تكرر هذا الاعتراف بصيغ أخرى أبرزها على صعيد عالمي تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية - الآسيوية الذي عقد في ويليا في غانا في الفترة من ٩ - ١٦ أيار (مايو) ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . وقد شغلت المنظمة عضوية سكرتارية منظمة التضامن اعتبارا من ٩/١١/١٩٧٠ بقرار من المجلس التاسع لمنظمة التضامن الذي عقد في طرابلس في التاريخ المذكور . وعلى صعيد آخر قرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٥/٢/١٩٦٦ اعتبار فلسطين عضوا فيه ومنذ ذلك التاريخ تمثل المنظمة الشعب الفلسطيني في جميع مؤتمرات هذا المجلس واجتماعاته (٦٢) .

غير ان هذا الاعتراف الرسمي بشرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، على صعيد عربي وآخر عالمي ، يظل غير ذي أهمية ان لم يكن الأساس فيه ان الشعب الفلسطيني هو الذي يمنح المنظمة حق تمثيله والنطق باسمه . وبدون هذا الشرط - الأساس تظل أية جهة قادرة على منازعة المنظمة هذا الحق واقتناصه منها . فالى اي مدى اقر الشعب الفلسطيني للمنظمة بحق تمثيله ؟

نشير في البداية الى ان الاسس التي قامت عليها المنظمة كما حددها ميثاقها هي « ان فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني ... وان هذا الشعب هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ... وان تحرير فلسطين يعيد الى الانسان الفلسطيني كرامته وعزته وحرية ... وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ... وان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الأول والاصيل في تحرير واسترداد وطنه » كما جاء في المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٧ ، ٩ ، ٢٩ من الميثاق الوطني الفلسطيني . وان اي نظرة شمولية الى تاريخ نضال الشعب الفلسطيني تثبت ان هذه المبادئ الأساسية هي تجسيد للاماني الوطنية لهذا الشعب وتعبير عن ارادته وبلورة لمسار حركته الوطنية .

وكون هذه المبادئ التي طرحتها المنظمة تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني استتبع ان تقر جماهير الشعب للمنظمة بحق تمثيلها والنطق باسمها . غير ان علينا هنا ان نستدرك ونوضح مفهومنا لكلمة جماهير . فانا نعني بهذا التعبير القوى المنظمة الفاعلة المنبثقة عن الجماهير نفسها والقادرة على التعبير عن مصالحها وطموحاتها وتجسيد حركتها نحو اهدافها . وان كل حديث يتناول الجماهير بتجريد ويسقط من حسابه هذه القوى المنظمة يظل حديثا غير مبني على اساس . فالجماهير العريضة غير المنظمة تبقى من ناحية عملية ، خاصة في ظل التشتت الفلسطيني ، غير قادرة على التعبير عن ارادتها عن غير طريق قواها المنظمة . وبسبب خضوع الفلسطينيين في شتاتهم وفي مواقعهم تحت الاحتلال ، لارادات غريبة عنهم مختلفة متناقضة وقاهرة في الاغلب ، فان تزوير ارادة هذه الجماهير العريضة ، اذا عزلت عن قواها المنظمة ، وتصويرها على غير حقيقتها ، ليس بالامر العسير حتى ولو كان التعرف على هذه الارادة عن طريق استفتاء « شعبي » . ومن هنا نؤكد ان اعتراف الجماهير الفلسطينية بتمثيل المنظمة لها يتأتى من خلال اعتراف قوى الجماهير المنظمة الفاعلة بهذا التمثيل . وبطبيعة الحال ، فان هذا لا ينفي مطلقا ان تكون الجماهير العريضة قد اقرت بشكل او بآخر بمثل هذا الاعتراف غير ان مقاييسنا لدى الحديث عن القوى المنظمة تكون واضحة اكثر كما ان التعرف على آرائها

واتجاهاتها يكون اقرب الى الدقة* . وقوى الشعب الفلسطيني المنظمة التي نعنيها هنا هي : (١) الاتحادات الشعبية التي تمثل القطاعات الفئوية والمهنية من الشعب والتي هي مراكز تجمع استقطابي للعناصر النشطة الفاعلة من قطاعات العمال والطلاب والمرأة والمعلمين والكتاب والصحفيين وذوي المهن الطبية والحقوقيين والفنانين والرياضيين ، و (٢) منظمات المقاومة التي تجسد حركة الشعب السياسية والقتالية .

لقد اعتبرت الاتحادات الشعبية م . ت . ف . مثلة للكيان الفلسطيني ، والانظمة الداخلية للاتحادات تنص على انها قاعدة من قواعد المنظمة بتعبير ومن قواعد الثورة بتعبير آخر (الصيغتان تؤديان الى المعنى الواحد طالما فصائل الثورة تعتبر م . ت . ف . الأطار الذي يضم القوى الثورية) . وسنذكر فيما يلي امثلة على مواقف الاتحادات من المنظمة اخترناها في ازمئة متفاوتة بقصد اظهار ان هذه الاتحادات وتحت مختلف الظروف ظلت متمسكة باعتبار م . ت . ف . مثلة للشعب الفلسطيني .

في ١٩٦٤/١١/٦ اصدر مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين المنعقد في غزة قرارات اعلن فيها تأييده لقيام م . ت . ف . ودعا ابناء فلسطين الى الانضمام اليها كما قرر الاتحاد اعتبار نفسه جزءا من المنظمة . وجاء في قرارات المؤتمر الوطني الخامس للاتحاد نفسه الذي عقد في عمان بين ١٩٦٩/٧/٣١ - ١٩٦٩/٨/٦ ان المؤتمر يقرر التأييد الكامل لم . ت . ف . في وضعها الجديد على اعتبار انها تمثل جبهة وطنية لكافة المقاتلين والوطنيين من ابناء الشعب الفلسطيني، والالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني لم . ت . ف . وفي المؤتمر الاول للاتحاد العام لعمال فلسطين الذي عقد في غزة في ١٤/٤/٦٥ اكد الاتحاد في قراراته ان م . ت . ف . هي المثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقاعدة لنضاله . كما ايد المؤتمر قرار الهيئة التنفيذية السابقة للاتحاد الذي نص على ان الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وفي ٢١/٤/٦٧ صدرت قرارات المؤتمر الثاني للاتحاد الذي عقد في القاهرة واكدت القرارات ان م . ت . ف . هي رمز للكيان الفلسطيني وقائدة النضال نحو التحرير . وفي ١٩٦٦/١٢/٢ صدر النظام الاساسي لاتحاد الكتاب الفلسطينيين وقد نصت المادة الاولى منه على ان الاتحاد جزء لا يتجزأ من م . ت . ف . وفي ١٩٦٧/٩/٩ صدر بيان عن الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد النسائي الفلسطيني اعتبر وجود المنظمة انتصارا على التشريد والضياع والمزايدة وانتصارا لحق الشعب الفلسطيني في الوحدة والعمل من اجل الحياة على ترابنا الغالي .

اما بالنسبة لفصائل المقاومة والقوى السياسية والقتالية المنظمة للشعب الفلسطيني فقد بدأت مشاركتها رسميا في اعمال المنظمة في المجلس الوطني الفلسطيني الرابع الذي عقد في القاهرة في الفترة من ١٠ - ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، غير انه اذا كان هذا التاريخ يمثل اسهام هذه الفصائل في المنظمة رسميا فاننا نستطيع ان نقول انها شاركت في اعمال

* نشر الى واحد من القائمين التي تدل على موقف الجماهير العريضة من م . ت . ف . وهو مقياس رقمي محدد : لقد ذكر التقرير المالي السابع للصندوق القومي الفلسطيني المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني في تموز (يوليو) ١٩٧١ ان ايرادات م . ت . ف . قد بلغت خلال الفترة من ١٩٧٠/٧/١ الى ١٩٧١/٢/٢٨ مبلغ ١٤٢٢٦٥٧٧ ديناراً اردنياً بالإضافة الى فوائد متبوضة على اموال المنظمة من البنوك . وقد كان ١٤٠٦٧٢ ديناراً من اصل هذا المبلغ خصيلة ضريبة التحرير (وهي ضريبة يدفعها المواطن الفلسطيني الى المنظمة بنسبة تتراوح بين ٣ و ٦ بالمائة من دخله) ويضاف الى هذا المبلغ ٤٩٠٢ ديناراً من حسابات موظفي المنظمة . ونستنتج من هذا ان نسبة ٧٣ بالمائة من ايرادات المنظمة قد تحققت من المواطنين الفلسطينيين ويضاف الى هذه النسبة جزء كبير من باين آخرين للايرادات اوردتها التقرير وهما الجباية الموحدة في الاردن وفي الكويت التي كانت حصيلتها ٨٨٤٨٧ ديناراً مجزء كبير من هذه الجباية يتأني من المواطنين الفلسطينيين في هذين القطرين . وبذلك نستطيع ان نستخلص ان نحو ٨٠ بالمائة من ايرادات م . ت . ف . يتأني من الفلسطينيين انفسهم .

المنظمة منذ نشأتها . فقد فكرت فكرة الحركة فتح موجهة إلى المؤتمر الثالث للرؤساء العرب في الدار البيضاء في الطول (سبتمبر) ١٩٦٥ (١١) إلى (١٢) اتفاقا وانما عند البدء ان تكون اجتماعيين مع المنظمة واستركيا في اجهزتها كما استتوك بنابر المواظفين الفلسطينيين (١٢) . وفي محاضره القاها صالح نيل ، احد اعضاء حركة القوميين العرب ، في بيروت بتاريخ ١٥/٥/٦٥ قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوى تحت لوائها » (١٤) . ويذكر الشقري ان فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (ج . ت . ف) تمثلت في المجالس الوطنية التي عقدت قبل خريف ابريل ١٩٦٧ (١٥) . غير ان هذا التمثيل للقوى الفلسطينية الذي كان الشقري يصر على ان يكون شخصا اكثر منه شيئا لقوى منظمة ، اتخذ له شكلا ارقى واكثر فعالية في المجلس الرابع ، الذي اشرفنا اليه ، وهو اول مجلس وطني يعقد بعد حرب ١٩٦٧ . ولقد كانت اهمية ذلك المجلس في تقديرنا ، بالاضافة الى اشياء اخرى ، ان قوى الشعب الفلسطيني المنظمة اصبحت هي التي تمثل الشعب داخل الاطر التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . و اذا كان بعض فصائل المقاومة قد تحفظ في الاشتراك ببعض المجالس الوطنية التي اعقبت المجلس الرابع (الشعبية في المجلس الخامس والسادس ، الديمقراطية في الخامس ، التحرير العربية في السابع - هي نشأت بعد المجلس السادس) فان المجلس السابع الذي عقد في القاهرة في ايار (مايو) ١٩٧٠ ضم جميع الفصائل (الشعبية شاركت رمزيا) باستثناء جبهة التحرير العربية ، وقد تمثلت في المجلس التاسع (تموز ١٩٧١) جميع الفصائل ، الامر الذي استتبع انبثاق لجنة تنفيذية ل . م . ت . ف . تمثلت فيها جميع الفصائل الرئيسية (فتح ، الشعبية ، الديمقراطية ، الطلائع ، التحرير العربية) .

ان اشترك فصائل المقاومة في الاجهزة التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . وموافقته على ميثاقها (هي عدلتها في المجلس الرابع لينسجم مع متطلبات المرحلة) يكسب التنظيم قوة تمثيلية لجماهير الشعب الفلسطيني تستمدتها من اقرار مبدأ التمثيل وممارسته فعلا من جانب القوى المنظمة لهذه الجماهير . وقد اكدت هذه الفصائل هذا التصور في شكل واضح وصريح في البرنامج السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية الذي وضعه المجلس الوطني الثامن في ٢/٢٨ - ١٩٧١/٣/٥ وتبناه المجلس التاسع (في تموز ١٩٧١) والذي جاء فيه « ان م . ت . ف . هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب الفلسطيني بمختلف منطلقاته المقاتلة والسياسية وجميع هيئاته وجمعياته مهما تكن اتجاهاتها وافكارها شريطة التزامها التام بمبادئ الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة » (١٦) . وقد جاءت قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٦ - ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ لتعزز تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني . وقد شارك في اعمال هذا المؤتمر ٥٣٤ عضوا - بالاضافة الى ١٥٤ عضوا هم اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني - يتوزعون على ١٦ قطرا عربيا و ٨ اقطار اجنبية ويضمون بين اعدادهم ممثلين عن ١٢ اتحادا ومؤسسة ومركزا بالاضافة الى ممثلي فصائل المقاومة . وقد كان من قرارات هذا المؤتمر « تظل م . ت . ف . هي القيادة السياسية العليا للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصرية وهي وحدها ومن خلال اجهزتها النضالية مسؤولة عن كل ما يتعلق بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني » و « ان م . ت . ف . هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، المصير عن امانيه وارادته ، وانه لا يحق لاي كان ان يقرر بشأن فلسطين ، ارضا وشعبا غير ما يقرره الشعب الفلسطيني نفسه ممثلا في م . ت . ف . ووفقا لميثاقها والتزاما بتحرير كامل التراب الفلسطيني . وان اي اجراء او ترتيب او اتفاق يصدر عن اي مصدر اخر

إنما هو خال من الشرعية كليا ويظل كذلك دوماً» (١٧).

هذه الشرعية التي اكتسبتها ت. ف. في تمثيل الشعب الفلسطيني تقودنا الى ابراز حقيقة وحدة الشعب الفلسطيني . فهو رغم تمزقه نتيجة احتلال اراضيه الى تجمعات متباعدة اضطرت الى الإقامة في أطر جغرافية سياسية منفصلة ، إلا انه موجود كشعب واحد ذي هوية وطنية ومطامح قومية واحدة . وهذه الحقيقة نستخلصها من تمسك الفلسطينيين - في مختلف تجمعاتهم وتحت تباين الظروف السياسية والاجتماعية التي تخضع لها هذه التجمعات - بشخصيتهم الفلسطينية ورفضهم الاذابة في غيرهم من المجتمعات واستجابتهم السريعة لعملية بعث الكيان الفلسطيني التي عبروا عنها بخلقهم المؤسسات التي تجسد هذا الكيان ذا الشخصية المتميزة ، كما نستخلصها من هذا الامتداد التنظيمي الواسع لفصائل حركة المقاومة الفلسطينية الذي يغطي جميع الساحات التي يوجد فوقها فلسطينيون . وقد أكدت الامم المتحدة في عدد من قراراتها هذا الوجود الوطني للشعب الفلسطيني ونشر في هذا الصدد الى القرار رقم ٢٥٣٥ بتاريخ ١٠/١٢/١٩٦٩ والقرار رقم ٢٦٧٢ بتاريخ ٨/١٢/١٩٧١ الصادرين عن الجمعية العامة للامم المتحدة اللذين اعترفا بحق تقرير المصير لشعب فلسطين كما نشر الى القرار رقم ٢٧٨٧ بتاريخ ٦/١٢/١٩٧١ الذي اقر بحق شعب فلسطين - بجانب شعوب اخرى ذكرها القرار - في النضال من أجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاجنبية والاستعمارية بجميع الوسائل المنسجمة مع ميثاق الامم المتحدة (١٨) . وان مثل هذه القرارات تؤكد على ان الشعب الفلسطيني له وجود واحد وان قضيته هي قضية واحدة وان اضطارره الى الإقامة في اماكن متباعدة لا ينفي وحدة وجوده وقضيته .

ومن هنا نعتبر وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قضيته مدخلا رئيسيا الى رفض ادعاء اية جهة (في ذهننا الملك حسين والانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة) حق تمثيل الشعب الفلسطيني طالما ان هذه الجهة لا تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني باجمعه وهي في الوقت نفسه تفتت قضيته الواحدة . وحتى لو استطاعت هذه الجهة ، بأي وسيلة من الوسائل ، انتزاع تفويض من اي تجمع فلسطيني - ضمن اطار جغرافي سياسي معين - بتمثيل هذا التجمع فان مثل هذا الامر لا يخول هذه الجهة حق النطق باسم الشعب الفلسطيني لان التجمعات الفلسطينية الاخرى وبالتالي الشعب الفلسطيني من حيث هو وجود وطني واحد لم يكن معنيا بهذا التفويض .

خلاصة : (١) اذا كانت م. ت. ف. قد ولدت في « احضان مؤتمر القمة » ، كما يحلو التعبير للبعض ، فان هذا لا ينفي على الاطلاق ان المنظمة ، فكرة قبل ان تولد وحقيقة بعد قيامها ، جسدت طموحا فلسطينيا مشروعا لبعث كيانه الوطني المستقل . (٢) ان المنظمة تكتسب شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني ليس من واقع اعتراف الحكومات العربية ، وبعض الدول الاجنبية ، بها فحسب ، وإنما تستمد هذه الشرعية ، في المرحلة الراهنة على الاخص ، من كونها ملتقى لارادات الشعب الفلسطيني المجسدة بقواه المنظمة الفاعلة . (٣) ليس لجهة منازعة المنظمة حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، لأن ما من جهة بقادرة (في ظل التوزع الجغرافي - السياسي الراهن) على ادعاء النطق باسم الشعب الفلسطيني ، الذي هو وحدة وطنية واحدة ، في مختلف تجمعاته .

- ١ - عدلي حشاد ، شعب فلسطين في طريق العودة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ .
 - ٢ - المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
 - ٣ - صحيفة اخبار الاسبوع الاردنية ، ٥/٢٢/١٩٦٤ ، مقال بتوقيع « فتح » .
- ١٩٦٤
١ - فلسطيننا ، العدد ١١ ، تشرين الثاني
١٩٦٠
٥ - المصدر نفسه ، العدد ١٣ ، كانون الثاني
١٩٦١ ، مقال بتوقيع « فتح » .

- ٢٥ - المصدر نفسه ، العدد ٥١ ، الثاني ١٩٦١ .
 مقال بتوقيع « فتح » .
- ٧ - المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ ، مقال بتوقيع « فات ح » .
- ٨ - المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، آذار ١٩٦١ .
- ٩ - المصدر نفسه ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ .
- ١٠ - المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، آذار ١٩٦١ .
- ١١ - المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .
- ١٢ - المصدر نفسه ، مقال بتوقيع « فات ح » .
- ١٣ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٣ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٦٨٨ نقلا عن صحيفة الجواهر ١٩٦٣/٩/١١ .
- ١٤ - انظر احمد الشقري ، من القمة الى الهزيمة ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ، الصفحات ٥٧ - ٦٠ .
- ١٥ - Lella S. Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement*, P. L. O. Research Center, Beirut, 1969, p. 19.
- ١٦ - وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م. ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثاني من ١٢٧٢ .
- ١٧ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- ١٨ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤ ، ص ٧٢ .
- ١٩ - Lella S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem*, P. L. O. Research Center, 1966, p. 102.
- ٢٠ - الكتاب السنوي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .
- ٢١ - ليلى القاضي ، مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
- ٢٣ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٩١ .
- ٢٤ - صحيفة « العرب » المراتية (٦٤/٥/١٧) نشرت اسماء اللجنة التحضيرية في العراق ، « المحرر » اللبنانية (٦٤/٥/٩) نشرت اسماء اللجنة في سورية ، « المحرر » (٦٤/٥/١٦) نشرت اسماء اللجنة في قطر والخليج العربي ، « الحوادث » اللبنانية (٦٤/٥/٨) نشرت اسماء اللجنة في لبنان .
- ٢٥ - المصدر السابق ، ص ٢١ .
- ٢٦ - ملف وثائق فلسطين ، المصدر السابق ، ص ١٢٨٢ .
- ٢٧ - نشرة « الناشر العربي » الناطقة بلسان جبهة التحرير العربية ١٩٦٩/٩/٣ .
- ٢٨ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
- ٢٩ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٣ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٨٢٩ .
- ٣٠ - ملف وثائق فلسطين ، المصدر السابق ، ص ١٢٦٧ .
- ٣١ - الملك حسين ، حربنا مع اسرائيل (تعداد فيك فانتس وبييار لوير) ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢ .
- ٣٢ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٤٤ ، ٤٥ .
- ٣٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٦ - ٥٠ .
- ٣٤ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .
- ٣٥ - مقابلة خاصة مع احمد الشقري ، كيفون ١٩٧٢/٥/١١ .
- ٣٦ - نقلته صحيفة « النهار » البيروتية ١٩٦٤/٥/٢٧ .
- ٣٧ - صحيفة « البعث » السورية ، ٥/٢٨/١٩٦٤ .
- ٣٨ - الوقائع العربية (تيسان - حزيران ١٩٦٤) الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ١٦٩ .
- ٣٩ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٤ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٤٥٧ .
- ٤٠ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .
- ٤١ - صحيفة « الجهاد » الاردنية ، ٨/٧/١٩٦٤ .
- ٤٢ - غسان كنفاني ، صحيفة « المحرور » اللبنانية ، ٦/٤/١٩٦٤ .
- ٤٣ - نشرته « المحرر » ١٩٦٤/٣/٢٥ .
- ٤٤ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٤ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٢٥٣ .
- ٤٥ - المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
- ٤٦ - بيان لحركة القوميين العرب في ١٤/١/١٩٦٤ منشور في المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
- ٤٧ - بيان للاتحاد صادر في ١٧/٣/١٩٦٤ .

- منشور في الوثائق العربية ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
- ٤٨ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٩٢ .
- ٤٩ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .
- ٥٠ - احمد الشقيري ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .
- ٥١ - المصدر نفسه ، ص ١٦ .
- ٥٢ - مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ١/٢٠/١٩٦٤ ، الكتاب السنوي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ، ٧١ .
- ٥٣ - احمد الشقيري ، المصدر السابق ، ص ٦١ .
- ٥٤ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الوثائق العربية الفلسطينية للعام ١٩٦٦ ، ص ٨٩ .
- ٥٥ - المادة الرابعة من قواعد عامة والمادة الخامسة من شؤون العمل الفدائي ، من اتفاقية عمان ، نشرت في كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني الصادر عن مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٤١ - ٤٤٧ .
- ٥٦ - نص اتفاقية القاهرة مذکور في المصدر نفسه ، ص ٤٢٥ - ٤٣٧ .
- ٥٧ - مركز التخطيط في م. ت. ف. ، لائحة الاتهام ضد وصفي التل ، ص ٩٦ .
- ٥٨ - اذاعت البيان اذاعة القاهرة ونشرته الصحف العربية في ١٩٧١/٨/٢٠ .
- ٥٩ - من محضر جلسة مجلس الوزراء اللبناني في ١٩٦٤/١١/٢٦ . محفوظات مكتب م. ت. ف. في بيروت .
- ٦٠ - نشرتها صحيفة « النهار » اللبنانية في ١٩٧٠/٤/٢٠ .
- ٦١ - الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .
- ٦٢ - المعلومات مستقاة من مقابلة خاصة في دمشق ، آذار ١٩٧٢ ، مع السيد عبد الكريم الكرمي الذي مثل المنظمة في مؤتمرات منظمة التضامن ومجلس السلم العالمي .
- ٦٣ - منشورة في كتاب ناجي علوش ، مناقشات حول الثورة الفلسطينية ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢ .
- ٦٤ - نشرتها صحيفة « الحرز » اللبنانية ، ١٩٧٠/٥/٢٤ .
- ٦٥ - مقابلة خاصة مع الشقيري ١٩٧٢/٥/١١ .
- ٦٦ - نص البرنامج نشرته صحيفة « فتح » في ملحق خاص .
- ٦٧ - كراس أصدرته م. ت. ف. عن اعمال المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطينيين .
- ٦٨ - قرارات الامم المتحدة المتعلقة بهذا الموضوع موجودة ضمن محفوظات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت .

الهوة الاجتماعية في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

على رأس المشاكل الاساسية التي يعاني منها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، مشكلة الهوة الاجتماعية الناجمة عن التناقضات الكامنة في المجتمع الاسرائيلي . وقبل التطرق الى كنه الهوة الاجتماعية وماهيتها وحجمها لا بد لنا من الوقوف قليلا عند توقيت تفجر التناقضات ، والاسباب الكامنة وراءها . ترتبط مشكلة توقيت تفجر التناقضات الاجتماعية في اسرائيل ، الى حد بعيد بحالة الاستقرار الامني ، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقناعة الذهنية للجماهير الاسرائيلية باستقرار الاوضاع الامنية وبقوة الجيش الاسرائيلي ، بمعنى آخر ان التناقضات الاجتماعية ، وهي موجودة منذ قيام الدولة وحتى قبل قيام الدولة في فترة ما يعرف باليشوف ، تبرز على سطح الاحداث في الساحة الاسرائيلية ، تتفجر في حالة الاستقرار الامني ، وتطمس او تحبس في حالة التوتر الامني . وعلى سبيل المثال فان التناقضات الاجتماعية لم تصل الى ذروة من التفجر مع انها كانت قوية خلال الاعوام التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ذلك لان هذه الفترة شهدت توترا أمنيا ناجما عن الاصطدامات على امتداد الحدود مع الجبهات العربية وخاصة المصرية ، كما شهدت موجة من النشاط الفدائي وخاصة من قطاع غزة . الا ان التناقضات الاجتماعية وصلت الى درجة التفجر في فترة الهدوء الامني التي نعمت بها اسرائيل نتيجة توقف الاشتباكات على الحدود ، ووقف النشاط الفدائي ، ووضع قوات طوارئ دولية في قطاع غزة وسيناء ، وخير مثال على ذلك حوادث « وادي الصليب » في حيفا في صيف عام ١٩٥٩ ، حيث قامت الفئات المسحوقة المبصرة في تلك الضاحية بانتفاضة اخذت شكل التظاهرات المشفوعة بالعنف ، وامتدت لتشمل معظم المناطق الاسرائيلية التي توجد فيها الفئات المسحوقة من اليهود الشرقيين ، ومع ذلك فان التناقضات اخذت تضبط بشكل او بآخر ، ولم تصل عند مطلع الستينات وحتى ١٩٦٧ الى درجة التفجر بسبب القناعة الذهنية للجمهور الاسرائيلي بأن حالة الامن ليست على ما يرام ، وبأن « النصر الذي احرزه الجيش الاسرائيلي » قد ساهمت فيه دولتان كبريان . اما بعد حرب جزيران ، وما نجم عن ذلك من قناعة ذهنية في اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بأن الجيش الاسرائيلي يتمتع بقوة كبيرة بإمكاناتها التصدي لأي خطر خارجي ، فقد بدأت التناقضات الداخلية تطفئ على السطح وبشكل قوي ، تجعل الكثيرين وخاصة المسؤولين منهم يتخوفون على مصير الدولة ويخشون من اقتراب خراب الهيكل الثالث ! وقد عبرت عن هذه التناقضات وبشكل لم يسبق له مثيل من حيث حدة التفجر حركة الفهود السود عند مطلع عام ١٩٧١ .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان التناقضات الاجتماعية لا تتفجر مباشرة على اثر انتصار عسكري بل العكس هو الصحيح ، فهذه التناقضات تحبس تماما في فترة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا ، كما تحبس تماما في حالة التوتر العسكري ، وتفسر ذلك ان مرحلة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا تكون بمثابة مرحلة « نشوة الانتصار » على عدو

درجت وسائل الاعلام الاسرائيلية على التهويل من خطره . الا انه بعد ان تتلاشى مرحلة « نشوة » الانتصار فان التناقضات الاجتماعية تبدأ بالظهور ، ومن هنا يمكن القول ان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحالة الذهنية التي تسود الجمهور الاسرائيلي حول مدى قوة الجيش الاسرائيلي ومدى واهن خصمه .

يدرك السلطات الاسرائيلية مدى الترابط الوثيق بين الاستقرار الامني وتفجر التناقضات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي ، ولذا تراها لا تكف عن التهويل « بالخطر الخارجي » المحقق باسرائيل من جميع الجوانب سواء اكان الخطر حقيقيا ام خياليا بغرض طمس التناقضات الاجتماعية المتفجرة وكتبها ، الا ان هذا الدأب على التلويح والتهويل بالخطر الخارجي الذي ترفعه اوساط عسكرية وسياسية حاكمة ، بسبب عجزها عن حل التناقضات الداخلية ، ينطوي على خطر بالنسبة لطرفين اساسيين : الجانب العربي الذي يمثل « الخطر الخارجي » والخطورة تتمثل هنا في احتمال تعرضه لضربات تعتبر بمثابة حبوب منومة للتناقضات الداخلية في اسرائيل ، والجانب الاخر هو مجموعة الفئات المتضررة من التناقضات الاجتماعية ، والخطورة تتمثل هنا في استدامة هذه التناقضات دون ايجاد حلول جذرية لها . ومما هو جدير بالملاحظة ان سلاح التلويح بالخطر الخارجي قد فقد لمعانه ومفعوله لدى الجمهور الاسرائيلي وخاصة لدى الفئات المسحوقة منه ، فعلى اثر النصر العسكري الخيالي الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ، امحت الصورة المضخمة والمبالغ بها للخطر الخارجي من اذهان الجمهور الاسرائيلي ، وارتسمت مكانها صورة اخرى تجعل من سياسة التلويح به ، موضع نقد وتهكم فئات واسعة في اسرائيل .

من المعروف ان هنالك اوساطا عسكرية ومدنية من بين مبلوري السياسة الاسرائيلية ومنفذيها كانت ولا تزال تعتقد بأنه لا يمكن رفع علم الامن وعلم المساواة الاجتماعية دفعة واحدة لان ذلك من شأنه ان يمس ميزانية الدفاع وان الواجب يتطلب رفع علم الامن فوق الاعلام الاخرى كافة . ويقف على رأس هؤلاء وزير الدفاع موشيه ديان . لقد فقد هذا الشعار بريقه بعد حرب حزيران لدى قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي ، وحتى لدى بعض المقربين الى ديان نفسه ، والى الاوساط المترتبة على جهاز الامن في اسرائيل ، فقد خالفت « ياغيل ديان » ابنة وزير الدفاع اباهما الراي وطالبت بضرورة رفع العلمين معا ، قائلة : « لقد فشلنا في عملية دمج يهود الشتات . . . يوجد في البلاد تمييز طائفي وانه لا مفر فطبيع التفكير بأن هنالك فقرا في البلاد وان ثمة عائلات لا تتمكن من شراء اللحم حتى ليوم السبت . . . يوجد في البلاد مواطنون من الدرجة الثانية » (١) .

اما رئيس هيئة الاركان السابق للجيش الاسرائيلي البروفيسور يجال يدين الذي يحظى باحترام الاوساط العسكرية والمدنية الحاكمة في اسرائيل ، فقد رفض ادعاء ديان والتلويح بخطر الحرب ، لانه يرى ان الخطر بحد ذاته يكمن في التغاضي عن حل القضايا الداخلية : « سيكون ذلك بالنسبة لنا امرا . ينطوي على جانب كبير من الخطورة اذا تخلينا عن ايجاد حلول للمشاكل الكبيرة التي تواجهنا بحجة تهديدات الحرب ، هذه التهديدات التي يمكن ان تبقى تحوم فوق رؤوسنا اعواما عدة . . . ان العامل السلبي المتخض عن المشاكل الاجتماعية قد يشكل في يوم من الايام خطرا جديا حتى من الناحية الامنية ، ولذا لا نستطيع بأي حال من الاحوال قبول الادعاء القائل باستحالة رفع العلمين دفعة واحدة ، وكاننا اذا رفعنا علم الامن لا بد لنا من ان نطوي علم الاصلاح الاجتماعي . ينبغي علينا رفع العلمين معا » (٢) .

الى جانب ارتباط التفجرات الاجتماعية بحالة الامن ، هنالك عامل آخر اخذ ، بعد ولادته ونضوجه ، يزيد من حدة تفجر التناقضات الاجتماعية الناجمة عن التمييز الاثني ، واعني به عامل الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية . فالجيل الاول من ابناء هذه الطوائف

والذي يعرف بحيل الأبناء كان في الخمسينات والستينات هو الذي ينضوي الوافدين
الناس في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي يسيره ويتحكم به أبناء الطبقة الفوقية من
الطوائف الغربية ، وقد كان هذا الجيل ولا يزال يشعر ويخس بالضعة تجاه أبناء
الطوائف الغربية ، ولذا فان تمللانه وتحركاته من اجل تحسين اوضاعه لم تتعد المطالب
اليومية الحياتية ، انه جيل يطلب ولا يأخذ ، اما جيل الأبناء فانه يختلف اختلافا كبيرا عن
الجيل السابق من حيث عدم الحكوت على الغبن الواقع عليه . وهذا الامر واضح في
مجتمعات المهاجرين ، فالمجموعات الاثنية المهاجرة حديثا الى مجتمع جديد تحاول بكل
هدوء العيش ضمن المجتمع الجديد ، وتكبت نفسها بقدر الامكان اذا ما واجهت واقعا
تمييزيا ، الا ان جيل الأبناء من تلك المجموعات يتمرد على الواقع التمييزي ، خاصة اذا
كانت قوانين ذلك المجتمع تدعو الى المساواة . وهذا الامر ينطبق تماما على الجيل الثاني
من ابناء الطوائف الشرقية الذي نُضح ، عند مطلع السبعينات ، وقام في عام ١٩٧١
بحركة تمردية على الواقع التمييزي ، يسعى الى استئصال مظاهر التمييز ولا يكتفي بتلبية حاجات آتية
وذاتية . هذا العامل الجبلي له اثر كبير في زيادة حدة التفجرات الاجتماعية في اسرائيل .
يمكن تلخيص ما سبق بالقول بان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتبطة بعاملين
اساسيين ، الاستقرار الامني ، وظهور الجيل الثاني كقوة مختلفة عن الجيل السابق
وان مشكلة كبت تلك التناقضات وحبسها مرتبطة بتحصيد التوتر الامني .

نعود الان الى القاء ضوء على التركيب البنيوي للمجتمع الاسرائيلي ، لكي تتسنى لنا
معرفة التناقضات القائمة فيه وبالتالي معرفة هوية ما يعسرف في اسرائيل بالهوية
الاجتماعية .

يتشكل المجتمع الاسرائيلي كسائر المجتمعات الاخرى من طبقات ، فهناك طبقة برجوازية
كبيرة وطبقة برجوازية متوسطة واخرى صغيرة ، وفي المقابل طبقة عمالية وفلاحية وفئات
« هامشية » او ما يسمى بالبروليتاريا الرثة ، وهي التي اخرجت من جوفها حركة القوم
السود عند مطلع ١٩٧١ ، الا ان هذا المجتمع يتميز عن المجتمعات الاخرى بكونه مجتمع
مهاجرين ومستوطنين ، كان ولا يزال يعتمد على الهجرة والاستيطان الى ان تكتمل عملية
جمع « يهود الشتات » في «دولة اليهود» . والامر الذي يسترعي الانتباه والاهتمام معا هو
ان حدة التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي لا تكمن في عامل الصراع الطبقي بقدر
ما هي كامنة في عامل الصراع الاثني الطائفي ، ذلك ان التقسيم الطبقي يقابله تقسيم اثني
طائفي رئيسي ، يهود البلدان الغربية (اكثريتهم الساحقة من يهود شرق أوروبا -
اشكناز) ويهود بلدان آسيا وافريقيا اكثريتهم الساحقة من البلدان العربية (اسفراديم) .
وتتوزع الاكثرية الساحقة من ابناء الطائفة الاولى على مجموعة من الطبقات العليا في
المجتمع ، بينما يتوزع سواد ابناء الطائفة الثانية على مجموعة الطبقات الدنيا . اي انه
اذا القينا نظرة على الهرم الاجتماعي القائم في اسرائيل نرى ان الطبقة الفوقية منه قد
استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الغربية ، وان الطبقة التحتية منه قد
استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الشرقية . من الجائر القول ان الهوية
الاجتماعية القائمة في اسرائيل ناجمة بالاساس عن عملية الصراع الطبقي ، ولكن
من الصحيح والمؤكد ان عملية استقطاب وتجنيد الطبقات قد جرت على اساس طائفي
اثني ، لعب فيها العامل الاثني دورا اساسيا ، ولذا فان الهوية الاجتماعية القائمة هي
بين ابناء الاشكناز كطبقة فوقية وبين ابناء الطوائف الشرقية كطبقة تحتية .

على انه ينبغي ان لا يغيب عن بالنا وجود هوات اجتماعية اخرى الى جانب الهوية
الرئيسية التي نحن في صدد الحديث عنها ، فالمجتمع الاسرائيلي الذين يحتضن مهاجرين
قدموا من ١٠٢ بلد ويتكلمون ٨٢ لغة (٣) يعاني من الهوية بين المهاجرين الجدد والمهاجرين

القديم . وكذلك دولة اسرائيل التي يفترض ان تكون وفق المبادئ الصهيونية « دولة اليهود » وليس دولة يهودية ، تعاني من الهوة القائمة بين الفئات المتدينة والفئات الالادينية ، ولعل هذه الهوة من ابرز القضايا التي عايشت مجتمع اليسوف قبل قيام الدولة ولا زالت تعايش المجتمع الاسرائيلي حتى الان . فالمتدينون وهم يشكلون نسبة تقارب الـ ٣٠ ٪ من مجموع السكان اليهود في اسرائيل (نحو ١٥ ٪ من المقترعين صوتوا الى احزاب دينية في الانتخابات الاخيرة) يدعون الى التمشي وفق الشريعة اليهودية في جميع المجالات ، كما يطالبون بالحفاظ على الطابع الديني للدولة . بينما يدعو اللادينيون الى فصل الدين عن الدولة وهذا امر بعيد المنال في اسرائيل على الرغم من ان موجهي سياستها لا دينيون . والامر اللافت للنظر هو ان هذه الهوة كان لها مفعول قوي في سر عملية التوزيع السكاني في اسرائيل ، فالمتدينون وخاصة المتطرفين منهم يعيشون ويتجمعون في كيبوتسات او موشافات او ضواحي خاصة بهم ولا يسمحون لغير المتدينين بالعيش بين ظهرائهم . ومن الجدير بالذكر ان عملية الاستقطاب هنا تسير ايضا في مسار اثني طائفي . فالمتدينون الاشكناز (وهم متدينون معتدلون) يستقطبون في أماكن معينة ، بينما المتدينون الاسفاراديم (وهم متدينون معتدلون) يستقطبون في أماكن اخرى . ان الهوة القائمة بين المتدينين واللادينين على قدمها واستدامتها في اسرائيل ، تعبر عن الصراع القائم بين الفكر المتزمت وبين الفكر المتقدم ، بين التمسك بأهداف الشريعة اليهودية ، وبين الافكار العلمانية ، ولا تعبر من قريب او بعيد عن استغلال طبقة لطبقة أو استعباد فئة لفئة كما هو الحال في الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الغربية وانباء الطوائف الشرقية .

نعود الآن الى العوامل التي جعلت من اليهود الغربيين (الاشكناز) يشكلون الطبقة الفوقية من البنية الهرمية للمجتمع الاسرائيلي ، واهم هذه العوامل هي :

١ - ظهور المسألة اليهودية في أوروبا وولادة الحركة الصهيونية بين صفوف ابناء الاشكناز وتاصلها في نفوسهم كردة فعل لسياسة الاضطهاد والتمييز التي كان يعاني منها هؤلاء في معظم الاقطار الأوروبية ، دون ان تكون هناك مسألة يهودية لدى الطوائف الشرقية ، وبالتالي لم تكن الحركة الصهيونية قوية جياشة بين صفوفهم ، بل اكتسبتها طائفة الاشكناز اكتسابا ، مما تأتي عن ذلك تزعم ابناء الطوائف الغربية وشغلهم لمؤسسات الحركة الصهيونية كافة ، دون ان يكون لانباء الطوائف الشرقية دور يذكر في هذه المؤسسات . ٢٠ - التفوق العددي لانباء الطوائف الغربية عشية قيام الدولة ، فقد كان هؤلاء يمثلون نسبة ٩٠ ٪ من مجموع السكان اليهود وبالتالي سيطروا على مرافق الدولة كافة . ٣٠ - الاحساس بالتفوق الحضاري لدى ابناء الطوائف الغربية ، مما ولد لديهم نظرة استعلاء تجاه الطوائف الشرقية ، تتحول في كثير من الاحيان الى نظرة احتقار . ٤ - التعويضات الالمانية التي تلقتها اسرائيل في بداية الخمسينات والتي كانت من نصيب خزينة الدولة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطائفتين . ٥ - سعي الاشكناز الحثيث الى جعل الدولة ذات طابع اوروبي محض ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لهم لكونهم مهاجرين متحدرين من اصول حضارية اوروبية ، وتخوفهم من ان يؤدي ولوج ابناء الطوائف الشرقية الى مراكز القوى ومرافق الدولة ومؤسساتها الفعالة الى تغيير شكل الدولة وطابعها من طابع اوروبي يسعون اليه ، الى طابع شرق اوسطي لا يريدونه . ٦ - واخيرا ، كان من نتيجة سياسة الاستعمار الخالص في فلسطين ، وما تأتي عنها من انتهاج سياسة العمل العبري في فترة اليسوف (اي اقتصار العمل في جميع مرافق اليسوف على ايدي العاملة اليهودية ، والاستغناء عن ايدي العاملة العربية) ان بدأ التفكير لدى قادة الحركة الصهيونية

ورعيانها باحلال اليهود الشرقيين محل الايدي العاملة العربية .

كان من نتيجة هذه العوامل مجتمعة ، وعلى الرغم من تزايد عدد اليهود الشرقيين في الخمسينات ، اذ اصبحوا يشكلون نصف السكان اليهود ، وتزايد عددهم في الستينات حتى غدوا يشكلون نحو ٦٥ ٪ من السكان اليهود ، ان خلق في المجتمع الاسرائيلي وضع خاص قائم على التمييز ، تشغل فيه الاقلية (فئة الاسكناز) الشرائح الاجتماعية العليا من الهرم ، وتحتل الاكثرية (الطوائف الشرقية) الشرائح الاجتماعية الدنيا منه .

فلو القينا نظرة على الواقع الاسرائيلي بعد مرور ٢٤ عاما على قيام الدولة لتبدت لنا صورة مذهلة عن التمييز القائم هناك ، فالحكومة الاسرائيلية كانت ولا تزال تتشكل من ابناء الاسكناز مع المحافظة على تخصيص حقيبة او حقيبتين وزاريتين (الشرطة وقى بعض الاحيان الشؤون الاجتماعية) لابناء الطوائف الشرقية ، اما الوكالة اليهودية وتعتبر في اسرائيل بمثابة الحكومة الثانية ولها دور كبير في تجسيد مجتمع البشوف وبلورته . ومن ثم المجتمع الاسرائيلي ، فانها تكاد تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية ، ومنها يتعلق بالحكومة الثالثة (الهستدروت) التي من المفروض ان تحافظ على مصالح الطبقة العاملة التي يتشكل سوادها الاعظم من ابناء الطوائف الشرقية ، نجد ان المتربعين على زمام الامور فيها من ابناء الاسكناز . وهنالا بد لنا من التوقف قليلا عند النسبة التي يمثلها ابناء الطوائف الشرقية في الوظائف الكبيرة في الدولة . يقول عضو الكنيست بن فوران ان بين مجموع ٣٠٠ موظف كبير يشغلون الوظائف العليا في الدولة هناك فقط ثمانية او تسعة من ابناء الطوائف الشرقية اي انهم يحتلون نسبة ٣ ٪ من الوظائف العليا (٤) . وفيما يتعلق بالاحزاب الممثلة في الكنيست نجد ان جميع رؤسائها دون استثناء ابتداء بالاحزاب اليمينية والدينية ومرورا بالاحزاب العمالية وانتهاء بالحزب الشيوعي جناحيه مبنية على « طهارة الاسكناز » . وفيما يتعلق بعدد ابناء الطوائف الشرقية في البرلمان الاسرائيلي فانه يناهز خمس عدد النواب ، وحتى هذا الخمس لا يجرؤ على المطالبة بازالة اسباب التمييز الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية الا بالقدر الذي تسمح به الاحزاب التي ينتهون اليها . وكما يقول الدكتور يوحنا بيرس : « ان الاسكناز هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست والهستدروت واللجنة التنفيذية الصهيونية ، انها عملية اثارك وليست عملية تمثيل فاذا ما تجرأ احدهم وشق عصا الطاعة ، فمن الممكن تغييره بسهولة » الامر الذي حدا باعضاء المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الذي عقد في اواخر شهر آذار الماضي في اسرائيل الى توجيه مذكرة الى رئيسة الحكومة فولدا مئير ، لرفع عدد النواب في الكنيست من ١٢٠ الى ١٥٠ بغرض تمكين اليهود الشرقيين من تمثيل انفسهم « بشكل ملموس » (٥) . وبالنسبة لمراقف الدول الاقتصادية وادارة الشركات والمصانع فانها تكاد تكون حكرا على ابناء الاقلية .

لا بد هنا من الاشارة الى ان هنالك شريحة اجتماعية واهية خرجت من بين صفوف ابناء الطوائف الشرقية واستطاعت التسلل والتسلق الى القاعدة الفوقية في الهرم ، وهذا امر طبيعي في مجتمع قائم على التمييز الاثني . وقد بدأ المتمردون من ابناء الطوائف الشرقية يشعرون بخطورة تعلق ابناء هذه الشريحة ، وينعتون البعض منهم بالخيانة ، ففي المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الاخير ، تصدى احد اعضاء المؤتمر ويدعى « لاسري » لسكرتير مجلس عمال اسدود « عمراومون » حين قال : « اردت ان اقول لكم انه بالامكان النجاح في اسرائيل اذا كانت هنالك رغبة في ذلك » تصدى له قائلا : « انتك لخائن ، انت كاولئك الزنوج في الولايات المتحدة الذين يستلمون وظيفة ويصبحون التي جانب المؤسسة ، انهم يسمون هناك « زفوجا بيضا » اما انت فانك بمثابة « امبود ابيض » يداهن المؤسسة » (٦) .

ذكرنا سابقا ان عملية الاستقطاب الاجتماعي قد سارت في مسار اثني ، وقد انعكس

هذا الواقع على عملية سير التوزيع السكاني ، مما يأتي عنه ، بشكل تدريجي بروز ضواحي في كل مدينة ذات طابع اثني مميز ، وظهور مستوطنات منتشرة هنا وهناك تخص هذه الفئة أو تلك . بمعنى آخر ظهور ضواحي « راقية » في المدن استقطبت أبناء الطوائف الأشكنازية وضواحي « فقيرة » استقطبت أبناء الطوائف الشرقية ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنات فهناك مستوطنات غنية استقطبت أبناء الطبقة الفوقية ، ومستوطنات متخلفة وفقيرة استقطبت أبناء الطبقة التحتية . إلى جانب ذلك هناك ضواحي وقرى مختلطة ، شادتها السلطات الإسرائيلية في محاولة تجريبية منها لدمج « يهود الشتات » تمشيا مع سياسة الدمج المعلنه ، بيد أن تجربة الدمج قد باءت بالفشل ولم تؤت بالثمار المرجوة منها ، بل أسبعت إلى حركة التطوير وخاصة في المستوطنات . يقول الكاتب الإسرائيلي موشيه شاريت في دراسة قيمة له حول مشاكل دمج يهود الشتات في إسرائيل : « ماذا اتضح لنا بالفعل ؟ لقد اتضح أن مسألة دمج يهود الشتات ليست تحت م تناول اليد ، وأن أسلوب خلط العناصر كان بمثابة حجر عثرة أمام الاستيطان ، أن الجهد الطائفي للاستيطان والتكيف والقرية والفلاحة يتطلب روحا جماعية ، وهذا الأمر لا يتطور بين أناس ينتمون إلى حضارات مختلفة ، ويتحدثون لغات مختلفة ، ولهم عادات مختلفة . أنهم لا يشكلون وحدة اجتماعية ، وليسوا أهلا للجهد المشترك والمساعدات المتبادلة . . . أن القرية المختلطة منقسمة على نفسها وتعاني من التوترات الطائفية ، وتمتص نزاعاتها جهودا غالية بدل أن تركز هذه الجهود في ميادين البناء . . . أن الحياة الاجتماعية . الحفلات والاعياد والمناسبات العائلية لا تشكل عاملا موحدا بل تبرز الفوارق والتناقضات ، وفي الانتخابات يحل الولاء الطائفي محل اعتبارات قدره المرشح أو استقالته مما يضر بمصالح البلدة . . . » (٧) .

هذا فيما يتعلق بالقرى الزراعية المختلطة ، أما الضواحي المختلطة في المدن فإن تجربة الدمج قد فشلت هي الأخرى ، فالعلاقات الاجتماعية في هذه الضواحي لا تزال سطحية وتقتصر على المجالات الفنية ، أنها نابعة عن الاتصال الناجم عن اللقاءات العرضية على المدرج وفي باحة المنزل والحدائق ، أو نتيجة المفاوضات المشتركة باسم الضاحية مع عناصر خارجية مختلفة ، وتندر في هذه الضواحي الزيارات المتبادلة والرحلات المشتركة لأبناء مختلف الطوائف ، أما مقاهي الضواحي ونواديبها المختلطة فإنها تستقطب السكان هناك حسب انتمائهم الإثني (٨) . ويؤثر هذا الوضع تأثيرا كبيرا من الناحية الاجتماعية على الأقلية الإثنية في الضاحية خاصة إذا كانت تشعر بأنها محاطة بكثرة ساحقة من أبناء الطوائف الأخرى ، ففي حي وادي الصليب مثلا هناك بضع عائلات أشكنازية بقيت هناك بعد أن عجزت عملية الاستقطاب الإثني عن جذبها ، وبالرغم من مرور ٢٢ عاما فإن هذه العائلات بقيت منطوية على نفسها ولا تتفاعل مطلقا مع حياة الحي . يصف « مئير شتايمس » علاقاته مع سكان الحي في ضوء تجربة ٢٢ عاما « لا شأن لي مع أي واحد هنا ، إن هؤلاء ليسوا أصدقائي ، وأنني لا أبحث عن صداقتهم » (٩) .

إن الشعور بالانتماء الإثني هو وليد التناقضات الكامنة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، ولم يرافقه هذا الشعور أبناء اليهود الإسرائيليين الذين لم يقدر لهم الجيء إلى إسرائيل ، بل يمكن القول أنه يكاد يكون معدوما لدى اليهود الموجودين في بقاع الأرض ، إذ أن شعورا آخر كان يستحوذ على تفكير معظمهم ، وهو الشعور بالانتماء اليهودي . أما في حالة قدوم الإنسان اليهودي إلى إسرائيل فإن الشعور بالانتماء الإثني يبدأ يعتمل بين جوانحه ، وهذا الأمر يعتبر بمثابة انقلاب في حياته . فاليهود الرومانيون كانوا يعتبرون أنفسهم « يهودا » أولا ، وكذلك الأمر يقال بالنسبة لسائر الجاليات اليهودية في البلدان المختلفة ، أما في حالة الجيء إلى إسرائيل (مجتمع المهاجرين) فإن اليهودي يتحول إلى « روماني » أو « عراقي » أو « مراكشي » . . . إلا أنه ينبغي التنبيه

الى ان هذا الانقلاب يختلف من حيث الشدة بين الفئات المختلفة ، والفئات السخونة هي اكثر الفئات بالاحساس الوليد .

وقد مس الدكتور اليكس فينچورد هذا الموضوع في دراسة له حول «التغيير والاستمرارية في مستوطنة مهاجري شمال افريقيا» بقوله : « مع ان الهوية اليهودية هي واقع اجتماعي ينطوي على مركزية في اسرائيل ، الا اننا نجد الى جانبها انواعا من الهويات الأخرى ، ونلاحظ ان الهوية اليهودية ، وهي بمثابة أمر بديهي ، تبدأ تأخذ وزنا ثانويا فقط . ففي دول الهجرة يغدو الاصل او الحضارة وحتى المظهر ذا معنى اجتماعي كبير . وحسب هذه الحقائق تتحدد الفوارق بين شخص وآخر . وهكذا يحدث ان اليهود في مراكش يعتبرون « يهودا » بينما في اسرائيل يتحولون الى «مراكشيين» . ان المستوطنين يرون انفسهم من خلال هذا المنظور ، وكذلك الآخرون ينظرون اليهم بالمنظور نفسه . ومن الناحية الفعلية استبدل هؤلاء هوية بهوية أخرى » .

ويشير الدكتور اليكس الى دور الطبقة العليا من الهرم الاجتماعي في اثاره الاحساس بالانتماء الطائفي لدى الفئات المستغلة قائلا : « ان واقع كون مراكز القوى كافة بأيدي الاشكناز يساعد على تأكيد هذا الوضع » (١٠) .

الى جانب ذلك كان للاحزاب الاسرائيلية دور في « تأكيد هذا الوضع » فقد درجت تلك الاحزاب في مواسم الانتخابات البلدية والمحلية في قري التطوير (اغلبيتها من ابناء الطوائف الشرقية) على استغلال العامل الاثني من اجل الفوز بأصوات سكان القرى وللحيلولة دون ولادة قيادة مستقلة من بين صفوف هؤلاء السكان . «العائلات الكثيرة الاولاد» وهو اصطلاح يحمل عادة بين ثنائيه روحا نقدية وسلبية في اسرائيل ، تغدو في برامج الاحزاب عشية الانتخابات «العائلات المباركة بالاولاد» ، كما ويصبح « اخواننا المهاجرون من شمال افريقيا » موضع منافسة بين تلك الاحزاب . ومن الجدير بالذكر ان بعض الاحزاب كانت تركز في منشوراتها — كما يقول شلومو دشان من جامعة تل ابيب في بحث له حول هذا الموضوع — على اصل مرشحها ومسقط رأسهم مع ذكر تفاصيل حياة كل منهم ، وتقوم بتوزيع تلك المنشورات بين صفوف الطائفة التي ينتمي اليها المرشح ، فاذا كان المرشح « عوباديا » فان المنشور يركز على نشاته في تونس ويسرد تاريخ حياته محترما اياه بقوله : « انه ملائم ومحبوب . . . انه شاب ويتحلى بنظرة شابة تجاه قضايا المدينة ، انه يريد ويقدر على مساعدتك ومساعدة اصدقائك ، صوت الى جانبه » (١١) . اما اذا كان المرشح من مواليد أوروبا فان المنشور يصاغ بشكل آخر بما يتناسب ومخاطبة عقلية ابناء الطوائف الغربية ويقتصر توزيعه على ابناء تلك الطوائف .

بعد انتهاء موسم الانتخابات ، يغدو مسقط رأس الانسان وخاصة ابناء الطوائف الشرقية ، موضع سخيرة من قبل الفئات الأخرى . فعندما يتوجه يهودي من اصل مراكشي لقضاء حاجة له في مكتب حكومي ، ويصرخ في وجه الموظفين الاشكناز في حالة عدم تلبية طلبه ، فان التقليد الدارج هناك الذي يتقوه به الموظفون الاشكناز : « لماذا يصرخ هذا المراكشي » (١٢) .

بيد ان « المراكشي » بشكل خاص والشرقي بشكل عام ، اخذ بعد ظهور حركة الفهود السود لا يرى في مسقط رأسه او مسقط رأس آيائه شيئا معيبا ، بل غدا في بعض الاحيان يؤكد عليه ويرفعه الى مرتبة الاعتزاز المشفوعة بالتحدي . ففي افتتاح مؤتمر مهاجري شمال افريقيا الأخير ، وفي اعقاب تطرق رئيسة الحكومة غولدا مئير في كلمته لها الى الهوية الاجتماعية والتي ذكر احصائيات حول ما تعترزم الحكومة عمله من أجل تقليص الهوية الاجتماعية ، قاطعها ادي ملكا احد قادة الفهود بصوت عال : « هيل

ستحقيق ذلك في مستوطنة مرجليوت او شلوميت ؟ الا تخجلين على نفسك من الظهور في مؤتمر مهاجري مراكش ؟ انا مراكشي ؟ »

رئيسة الحكومة : « انا يهودية .. »

ملكا : « انا يهودي ومراكشي »

رئيسة الحكومة : وماذا ايضا ؟

ملكا : انا « فهد أسود »

رئيسة الحكومة : « هذا هو بالضبط » (١٣).

ان الاحساس المتزايد بالانتماء الاثني ، نتيجة اتساع الهوية الاجتماعية ، جعل الكثيرين في اسرائيل وخاصة من ابناء الطوائف الشرقية يعتقدون بأن المجتمع الاسرائيلي يسير في اتجاه خلق شعبين في داخله لا شعب واحد : « ماذا ستكون النهاية ؟ سنصبح هنا شعبين ، شعب الاسياد وشعب الخدم » (١٤). اما رفائيل مرتسيانو احد قادة الفهود السود فيعتقد بوجود شعبين داخل المجتمع الاسرائيلي ، شعب اشكنازي وآخر سفارادي ، ويدعو مفكري اليهود ومثقفهم الاسفاراديم الموجودين خارج اسرائيل الى المجيء للدولة « لقيادة الشعب الاسفارادي الذي يشكل الاكثية في اسرائيل » (١٥). ولعل الشعور بالاعتراب هو الحافز الكامن وراء هذه الدعوة ، ذلك ان حركة الفهود السود وليدة الهوية الاجتماعية ، قد ساعدت على تنمية الشعور بالاعتراب تجاه الدولة وتطويره ، خاصة وان اليهود الشرقيين لا يشعرون بأنهم شركاء في قيادة الدولة او في البت في القرارات الهامة ، مما خلق نوعا من الشعور بالاعتراب .

تبل التطرق الى نظرة الاسرائيليين وخاصة المسؤولين او المهتمين منهم تجاه الهوية الاجتماعية وماهيتها لا بد من التطرق قليلا الى نظرة اليهود المهاجرين حديثا الى اسرائيل تجاه الهوية لكي يتسنى لنا الوقوف على الهوية بين التصور والواقع ، بين الصورة المرسمة في ذهنية اليهود خارج اسرائيل تجاه المجتمع الاسرائيلي ، وبين الصورة الحقيقية لهذا المجتمع . ونورد هنا مثلين على الهوية بين التصور والواقع : تطرق طلبة يهود هاجروا حديثا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي في اثناء ندوة عقدوها مع طلبة من اليهود المغاربة في الجامعة العبرية الى الموضوع : « في الاتحاد السوفييتي لم نكن نعرف مطلقا انه يوجد في اسرائيل قضية طائفية وانه يوجد « سود » و« بيض » لقد كانت الصحف السوفييتية تنشر وتؤكد على وجود هذه القضايا ، بيد اننا لم نصدقها . انه لامر سعيء ان تكون هذه الامور قائمة ، -اننا جميعا شعب واحد وليس طوائف طوائف » (١٦). وتتحدث المحامية « لاره فايسيلات » وهي مهاجرة جديدة من الاتحاد السوفييتي عن تصورها والواقع الذي واجهته بقولها : « لم اؤمن في حينه للصحافة السوفييتية التي كتبت حول الصراعات في اسرائيل بين الطوائف ، بين البيض والسود ، بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الجدد ، انه لامر مؤسف ان اقرر بان الصحافة الروسية لم تكذب » (١٧).

لا يختلف اثنان في اسرائيل على ان المجتمع الاسرائيلي يعاني من هوات اجتماعية متعددة وعلى رأسها الهوية الاجتماعية بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية التي نحن بصدد الحديث عنها ، الا ان الاختلاف يكمن في مسبباتها وعواملها كما وهناك شبه اجماع على ان التمييز قائم في المجتمع الاسرائيلي ، بيد ان وجهات النظر متضاربة ومختلفة حول التمييز ، هل هو تمييز مقصود او غير مقصود ؟ ويرى البروفيسور يوحنا بيرس استاذ علم الاجتماع في جامعة تل ابيب ، ومن اشهر الباحثين الاجتماعيين في العلاقات الاثنية بين الطوائف في اسرائيل ، ان الهوية بين الطوائف الشرقية والغربية في اسرائيل شبيهة

التي حدتها الثورة القومية بين الدول المتقدمة والدول النكسفة ، بين الولايات المتحدة مثلا ومصر ، بين فرنسا والهند ، بين ألمانيا والهند الصينية ، وأنه لا أمل تسد هذه الهوة القائمة بين تلك الدول بل العكس هو الصحيح ، فالهوة دائما تتوسع لأن البلدان الأكثر تطورا تعرف كيف تسخر الظروف التكنولوجية لمصلحتها ، « وكذلك هي الحال داخل الدولة ، ففي المنافسة الحرة تتقدم الطوائف المكبوتة تقدما نسبيا بسيطا ، بينما تتقدم الطوائف القوية تقدما كبيرا ، ان المنافسة الحرة تقضي على الضعفاء بالتخلف ، وتؤدي بالاقوياء الى التقدم » (١٨) .

لا ينكر المسؤولون الاسرائيليون وجود الهوة الاجتماعية الا انهم يفسرون اسبابها وعواملها تفسيرات مختلفة ، فيرى البعض فيها ، من بينهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، أنها « مستوردة من الخارج » . والحقيقة ان هذه الرؤية لا تستند الى الواقع ، وان دلت على شيء فانها تدل على عجز السلطات الاسرائيلية عن حل هذه القضية بسبب التركيبة الاجتماعية الفريدة من نوعها لاجتمع المهاجرين والمستوطنين . هذا مع العلم بان القائمين بوجهة النظر هذه يقفون مع وجهة نظر الفئة العسكرية التي ترى استحالة رفع الرأيتين الامنية والاجتماعية في آن واحد ، ومن المعروف ان الرأية الامنية تنال حصة الاسد من الخزينة الاسرائيلية . ومع ذلك فهناك مسؤولون يرون ان الهوة ناجمة عن « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » ولا يعترفونها مستوردة مثل سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون : « ان المجتمع الاسرائيلي يكشف اليوم عن نقاط ضعف خطيرة للغاية ، وانحرافات خطيرة عن الاهداف الاساسية للدولة ، التي من شأنها - لا سمح الله - ان تعرضها للخطر وتدمرها .. ان المسؤول عن المكاسب والانتصارات والاحتلال ينبغي عليه ان يكون مسؤولا عن الفشل الاجتماعي صحيح ان معظم المتضررين من الفقر والاستقطاب الاجتماعي هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بيد ان ذلك ليس ناجما عن تمييز بل عن عيوب اقتصادية واجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة .. منذ حرب الايام الستة تفجرت هوة اجتماعية مؤشراتنا الاساسية تتمثل في توزيع غير عادل للكعكة القومية » (١٩) .

لقد مس سكرتير الهستدروت جانب الحقيقة باقراره بان الهوة من صنع محلي ، بيد انه لم يجرؤ او على الاقل تهرب من التطرق الى اسباب وعوامل « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » وكيف يمكن ان तथा . لم يتطرق بن اهارون الى التمييز التمثيلي الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية في الهستدروت ، هذا التمييز الذي يعتبره البروفيسور يوحنا بيرس من العوامل الرئيسية في بروز الهوة الاجتماعية واتساعها « ان ممثلي الطوائف الشرقية في الهستدروت اقلية ضئيلة على الرغم من كون الطوائف الشرقية تشكل السواد الاعظم من الطبقة العاملة » (٢٠) وهذا يعني ان الهستدروت تمثل مصالح فئة معينة على حساب فئة أخرى ، ولم يبتعد رافي مرتسيانو احد قادة الفهود السود عن الحقيقة عندما ذكر « ان الهستدروت لا تمثل العمال بل ارباب العمل » وغني عن القول ان طبقة ارباب العمل تتشكل اكثريتها الساحقة من ابناء الاشكناز .

هناك فئة من الكتاب الاسرائيليين ، وخاصة من بين اوساط الاشكناز مثل « اوري دان » من يرى ان الهوة الاجتماعية امر طبيعي ، وهي ناجمة بالاصل عن التفاوت الحضاري بين المهاجرين . وبما ان طائفة الاشكناز تتفوق حضاريا على ابناء الطوائف الشرقية فمن الطبيعي ان يتربع « المتحضرون » على مقاليد الامور في البلاد ، ومن الطبيعي ايضا ان يحتل المتخلفون المراكز الدنيا . ويذهب الى ابعد من ذلك اذ يقول « لو ان دولة اسرائيل اقيمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لكان يهود أوروبا يشكلون الغيات الدنيا في المجتمع » (٢١) . ان اوري دان وكثيرين غيره من الكتاب الاسرائيليين يعتقدون بان

التمييز والهوة الاجتماعية ناجمان عن التفاوت الحضاري ويعتبرون ذلك بمثابة أمر طبيعي ، وهم يلتقون بذلك مع القائلين بأن الهوة الاجتماعية « مستوردة » متغاضين عن الواقع التمييزي القائم في إسرائيل .

إن الواقع التمييزي هو الذي يوسع شقة التفاوت الحضاري ويدل على أن الهوة ليست مستوردة بل من انتاج محلي . ويدرك أبناء الطوائف الشرقية هذا الواقع ويتساءلون : « لماذا ينبت الكتاب والعلماء والأطباء والمحامون والمهندسون بين صفوف الطوائف الشرقية في خارج إسرائيل ، بينما ينذر عددهم في البلاد ؟ الإ يعني ذلك شيئاً ؟ » (٢٢) .

ويحمل أمنون معلم (من أصل عراقي) المجتمع الإسرائيلي ما يسمى « التخلف الحضاري » لآبناء الطوائف الشرقية ، مدركاً أن الهوة الاجتماعية هي من انتاج محلي بقوله : لماذا يتغاضى هؤلاء الاختصاصيون عن واقع واحد : في أعوام الثلاثينات والأربعينات نجح العراق في تخريج ثانويين وأكاديميين يهود أكثر بكثير مما خرجت إسرائيل خلال فترة ١٩٥١ - ١٩٧١ . ويضيف أن الكثيرين من هؤلاء اليهود خرجي المعاهد العراقية قد واصلوا دراساتهم في الجامعات المشهورة في بريطانيا وانهوا دراساتهم بامتياز ويقوم الكثيرون منهم بشغل وظائف علمية واقتصادية محترمة على الرغم من « التخلف التاريخي » (٢٣) . ويعتقد أمنون معلم أن الواقع التمييزي الذي واجهه اليهود الشرقيون منذ مجيئهم إلى إسرائيل ، بالإضافة إلى الصورة السلبية التي خلقتها وسائل الاعلام الإسرائيلية والصقتها بأبناء الطوائف من « مهاجري البلدان المتخلفة » بالإضافة إلى « فيروس » العنصرية الذي لا يزال يعترى فئات كثيرة في مجتمعنا مستشهداً بأولاد أشكناز ظهروا في برنامج تلفزيوني وأوضحوا أن آباءهم يحذرونهم من اللعب مع أولاد الاسفاراديم ، يعتقد أمنون أن هذه العوامل هي السبب في الهوة واتساعها . أما سمحون بن شاؤول ، رئيس رابطة مهاجري شمال أفريقيا ، فينسف وجهة النظر القائلة بأن الهوة « مستوردة » من الخارج ، مشيراً بأصبع الاتهام إلى المجتمع الإسرائيلي ، في مقارنة له بين خريجي الجامعات في إسرائيل من اليهود المغاربة وبين خريجي جامعة فاس من بين صفوف الجالية التي بقيت هناك « يوجد في إسرائيل ٥٠ شخصاً من مهاجري شمال أفريقيا انهوا دراساتهم الجامعية خلال الثلاثة والعشرين عاماً لقيام الدولة . هذه مهزلة . سأطرح أمامك مثلاً : انني هاجرت من مدينة فاس في المغرب ، حيث بقي هناك نحو ثلاثة آلاف يهودي ، لقد تخرج من وسط هذه الجالية خلال الثلاثة والعشرين عاماً الأخيرة أكاديميون أكثر بكثير ممن تخرجوا خلال سني قيام الدولة من وسط جمهور يزيد تعدادها على ٤٠ الف نسمة من مهاجري المغرب في إسرائيل » (٢٤) .

هذا بالنسبة للاوضاع التعليمية والثقافية ، أما فيما يتعلق بالظواهر السلبية التي يشار إليها بأنها « مستوردة » فقد كشف وقد يمثل طلبة الطوائف الشرقية أثناء اجتماعه برئيسة الحكومة زيف هذا الادعاء بقوله : « إن ظاهرة الاجرام والزنى لم تكن معروفة بين صفوف الشيبية اليهودية في شمال أفريقيا مثلما هي عليه في البلاد » . ولم تنبس غولدا مئير بينت شقة عند سماعها ذلك على الرغم من انها من القائلين بـ « الاستراد » . أما رئيس المجلس المحلي في أور يهودا ، حزقييل قزار (من أصل عراقي) ، فقد أشار بأصبع الاتهام إلى المجتمع الإسرائيلي بقوله : « يتهمون مهاجري البلدان الإسلامية بأننا بؤرة اجرام وزنى ، ويتناسون أن اليهود في هذه البلدان لم يعرفوا البتة معنى الاجرام والزنى . أن المجرمين والزانيات من مهاجري البلدان الإسلامية هم أولئك الذين ولدوا في البلاد » (٢٥) .

إن سبب تخلف اليهود الشرقيين في إسرائيل وعدم مواكبتهم سير التطور الحضاري اسوة بأخوانهم الموجودين في الخارج ، نابع عن التمييز الواقعي الذي يعانون منه في المجتمع الإسرائيلي . والحقيقة أن أبناء الطوائف الشرقية يبدؤون يشعرون براهحة التمييز عندما

نظام اقدامهم الاسرائيل ، حيث يبدأ الصراع بين التصور والواقع ، بين ما يحسمه من وجود ورضيه من قبل دعاء الصهيونية في الخارج وبين صحرة الواقع التي ترتطم عليها هذه الوعود . يقول احد نشيطي الطائفة العراقية حول التمييز في المعاملة « . . . في ذلك الوقت قدمت هجرة من رومانيا ، ويمثل الظلم الصارخ في كيفية استيعاب الطائفتين بشكليين مختلفين ، لقد نقلوا اولئك بسيارات الاوتوبيس واستقبلوهم استقبالا حارا مع الشرح والتوضيح ، بينما نقلونا في سيارات شحن بدون كلمة طيبة — وهكذا بدأنا نشعر بالغبن» (٢٦) . ومن الجدير بالذكر ان التمييز الذي يواجهه أبناء الطوائف الشرقية هو تمييز واقعي غير مكتوب ولا يمكن للباحث ان يعثر على اي نص في القوانين الاسرائيلية يشير الى التمييز (بين الطائفتين) ، الا انه موجود في جميع المجالات فاليهودي الشرقي حتى ولو نجح في منافسة بينه وبين يهودي غربي ، فان الوظيفة لن تكون من نصيبه ، مع ان القانون لا يقول بذلك ، بيد ان الواقع يشير الى ذلك كما يقول « يثير عوزاري » في ندوة حول موضوع الهوية الاجتماعية نظمها مجلة شدموت الناطقة بلسان الحركة الكيبوتسية « فلنتحدث بصراحة . ان الذي يتحدث حول امكانية منافسة حرة ما هو الا بمثابة من يذر الرماد بالعيون . ليس هنالك منافسة حرة ، وحتى ولو ابدى مهاجرو البلدان الاسلامية تفوقا في مقدرتهم على شباب مهاجري اوروبا فانهم لن يحظوا بالوظيفة» (٢٧) .

ولكي ندرك التمييز الواقعي غير المكتوب الناجم عن البنية الهرمية الفريدة من نوعها للمجتمع الاسرائيلي لا بد من طرح صور للاستشهاد وللتدليل على التمييز ، صورة المهاجر الروسي الذي ينال بيتا ومنزلا وفي بعض الاحيان توفر له « حانوت » بواسطة سلطات الاستيعاب من اجل العيش ، وعلى الرغم من ذلك فانه يحتج . . . على ان الحكومة لا توفر له الزبائن . . . وفي المقابل صورة اولئك المسحوقين الذين يقولون « لقد اعطونا بصعوبة بالغة سيريرين ، ولكن اذا كنت روسيا فانهم سيعطونك كل شيء ، انهم يستلمون شقتين ، شقة لهم ، والاخرى للكلب » ، صورة مجموعة من الأزواج الشباب يعانون من الضائقة السكنية ويقومون بعملية « غزو » للبيوت المعدة للمهاجرين الجدد ويحتلوها لفترة بسيطة قبل طردهم على ايدي قوات الامن ، وصورة المهاجرة الروسية الجديدة التي صدف وان جاءت لرؤية الشقة التي خصصتها لها الحكومة دون ان تعلم هوية « المحتلين » ، وبعد تفقدها الشقة قالت بتأفف ان الشقة غير صالحة لها ، « وعندما قلنا لها من نحن لم ترد ان تصدق بانهم لا يعطوننا اي شيء» (٢٨) .

ذكرنا سابقا ان التمييز قائم في اسرائيل ولكنه غير مكتوب او محدد بقانون ، ومع ذلك فهنالك قوانين تسن وتشرع او تعدل ، تبدو وكأنها لمصلحة طبقة وليس لمصلحة طائفة مع ان الحافز لذلك هو حافظ اثني . فمن المعروف ان اسرائيل تشجع النسل ، ومن اجل ذلك سنت قوانين لمساعدة العائلات الكبيرة محدودة الدخل من اجل تشجيعها على زيادة النسل ، وفي ١٩٦٨/٤/١ عدل قانون مؤسسة التأمين القومي الخاص بمنح مخصصات للعائلات الكثيرة الاولاد ، بحيث اصبحت العائلة التي يقدر دخلها بـ ٣٠٠ ليرة تنال على الولد الخامس ٢٦٠٢٥ ليرة ، اما العائلة التي يقدر دخلها بـ ١٠٠٠ ليرة شهريا فانها تنال على الولد الخامس ١١٨٠١٣ ليرة بينما كانت تنال في السابق ٣٦٠٢٩ ليرة (٢٩) . ان التعديل الذي طرأ على القانون يبدو للوهلة الاولى انه يجيء لمصلحة الطبقة الموسرة التي تستطيع تربية اطفالها ، بيد ان الدافع الحقيقي له عدم تشجيع ابناء الطوائف الشرقية على التناسل ، وفي مقابل ذلك تشجيع فئة الالف ليرة ومعظمهم من ابناء الطوائف الغربية على زيادة النسل .

ان التمييز في اسرائيل ، كما يقول الدكتور افنر شاكي نائب وزير التربية والتعليم ، « قائم في جميع المجالات : في الثقافة والتعليم والسكن والعمل » .

قبل التطرق الى المجالات الاساسية التي تبرز فيها الهوية الاجتماعية لا بد من الوقوف قليلا عند التزاوج بين ابناء الطائفتين ليتسنى لنا معرفة الهوية القائمة بين وجهتي النظر في موضوع يعتبر من المسلمات من اجل « صهر يهود الشتات » في بوتقة واحدة . فعلى الرغم من ان الزواج المختلط يعتبر عاملا اساسيا في عملية الصهر الا اننا نجد ان الزواج المختلط يسير ببطء ، ويتعثر في كثير من الاحيان ، لا بسبب الدين لان الشرع اليهودي لا يحول دون ذلك ، بل بسبب الهوية الاجتماعية والنظرة العنصرية لابناء الاشكناز . فقد احتل الزواج المختلط في عام ١٩٦٩ نسبة ١٧.٥ ٪ من الزيجات فقط : شرقي وغربية ٩.٤ ٪ ، غربي وشرقية ٨.١ ٪ . وقد اورد الدكتور يوحنا بيرس في دراسة له عن « العلاقات الاثنية في اسرائيل » نتائج بحث جرى تحت اشرافه حول وجهة نظر طلبة ثانويين من ابناء الطوائف الغربية والشرقية تجاه الزيجات المختلطة ، واطهر البحث مدى الاستعلاء العنصري لدى الاشكناز ، فقد اتضح ان ٣٩ ٪ منهم يؤيدون الزواج المختلط والنسبة الباقية تبدي تحفظا ازاءه او تعارضه معارضة تامة ، بينما وقف ٨١ ٪ من الطلبة من مهاجري آسيا وافريقيا مع الزواج المختلط (٢٠) . واذا كانت الاكثرية من شباب الاشكناز تعارض الزواج المختلط فكيف الحال لدى الاباء والشيوخ الاشكناز (للاستزادة حول هذا الموضوع انظر : ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية العدد الرابع ، ص ١٥٢) .

ان السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو ما هو الانتماء الاثني لابناء الزيجات المختلطة ؟ ان الاجابة على ذلك تأتي من خلال مكتب الاحصاء المركزي الذي درج على تصنيف السكان اليهود في اسرائيل حسب الوطن الاصلي ، وابناء البلاد حسب الوطن الاصلي لانهم ، اما بالنسبة لاولاد الزيجات المختلطة فانهم يصنفون حسب الوطن الاصلي للأب .

نعود الان الى الحديث عن المجالات الرئيسية التي تعبر عن الهوية الاجتماعية ، لكي يتسنى لنا الوقوف على حجم هذه الهوية وكنهها .

الهوية الاقتصادية

تعتبر الهوية الاقتصادية من العوامل الرئيسية الكامنة وراء الهوات الاخرى الثقافية والعلمية والسكنية والوظيفية .

تفصح الهوية الاقتصادية عن نفسها من خلال النسبة المئوية لتوزيع مداخيل العائلات المدنية في اسرائيل حسب مجموعة الاعشار (٣١) . ففي العام ١٩٥٤ كانت النسبة المئوية لمداخيل هذه العائلات موزعة كالتالي : العشر الاول ٢.٥ ، الثاني ٤.٥ ، الثالث ٦.٣ ، الرابع ٧.٦ ، الخامس ٨.٧ ، السادس ٩.٥ ، السابع ١٠.٤ ، الثامن ١٢.٥ ، التاسع ١٥.٣ ، الاعلى ٢٢.٧ . وفي العام ١٩٦٣/١٩٦٤ كانت النسبة المئوية موزعة (حسب الاعشار) كالتالي : ١.٦ ، ٣.٥ ، ٥ ، ٦.٥ ، ٧.٨ ، ٩.٦ ، ١٠.٧ ، ١٢.٩ ، ١٦ ، ٢٦.٩ . وفي العام ١٩٦٩/٦٨ كان التوزيع كما يلي : ١.٥ ، ٣.٢ ، ٤.٩ ، ٦.٤ ، ٧.٨ ، ٩.٤ ، ١٠.٨ ، ١٣ ، ١٦.٤ ، ٢٦.٩ .

يلاحظ من هذا التوزيع ان نسبة نصيب العائلات من الدخل العام ، ابتداء من العشر الاول وحتى العشر السادس آخذة في الهبوط ، بينما نسبة نصيب العائلات ابتداء من العشر السابع وحتى العشر الاعلى آخذة بالارتفاع . بمعنى آخر ان نصيب مداخيل ٦٠ ٪ من مجموع العائلات المدنية في اسرائيل من الدخل الاجمالي للعائلات المدنية قد هبط خلال الفترة المذكورة بينما ارتفع نصيب ٤٠ ٪ من العائلات من الدخل الاجمالي . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان « العلامات المميزة لعملية الاستقطاب الطبقي في اسرائيل تشير الى ان الطوائف الشرقية تتركز في المراتب الدنيا في جميع المجالات » كما يقول

دارسا علم الاجتماع في إسرائيل . نبار وده نادين نابه سنان لنا مفرقة الفئات القصيرة
من الهوة الاقتصادية الثاميه والأخذة بالانساع .

وقد نتج عن انساع هذه الهوة مشكلة الفقر التي اصبحت تشمل ربع السكان . يقول
الدكتور موشيه سنيه : « هنالك ١١ ٪ من مجموع ٦١٤ الف عائلة مدينية تحت حافة
الفقر ، وهنالك ١٠٤٣ ٪ على حافة الفقر ، وتشكل النسبتان ٢١٤٣ ٪ ، اي ان كل
عائلة خامسة في اسرائيل يسودها الفقر ، ولكن بما ان العائلات الفقيرة هي ايضا عائلات
كبيرة نجد ان ٢٤ ٪ من مجمل النفوس تحت طائلة الفقر . وهذا يعني ان كل شخص
رابع يعيش في حالة فقر . ومن بين العائلات التي لديها ستة اولاد فما فوق هنالك ٣٩ ٪
تعيش في حالة فقر » (٣٢) .

ولايضاح الهوة بين متوسط مدخول العائلة الشرقية والعائلة الغربية نورد هنا احصائية
وردت في دراسة للدكتور يوحنا بيرس ، قارن فيها متوسط الدخل للعائلة الشرقية
بالنسبة الى متوسط الدخل للعائلات الغربية خلال سنوات مختلفة ، وتشير هذه
الاحصائية الى الانساع البطيء بين متوسط الدخل للفتين .

في عام ١٩٥٦ كان متوسط دخل العائلة الشرقية ٧٣ ٪ من متوسط دخل العائلة الغربية
وفي العام ١٩٥٩ كان ٧٣ ٪ ، وبلغ متوسط دخل العام ١٩٦٣ ٧١ ٪ ، وفي العام
١٩٦٥ ، ٦٨ ٪ في العام ١٩٦٦ ، و٦١ ٪ في العام ١٩٦٧ ، و٧٠ ٪ في العام ١٩٦٨ ،
و٦٩ ٪ في العام ١٩٦٩ (٣٣) .

ان النسب الآتية الذكر لا توضح الهوة في متوسط مستوى المعيشة بين الافراد بل بين
العائلات ، ومن المعروف ان عدد افراد العائلة الشرقية يفوق عدد افراد العائلة الغربية ،
ولذا اعتمدنا على الاحصائية لتوضيح الهوة بين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الغربية
وبين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الشرقية (٣٤) . ففي العام ١٩٥٩ بلغ متوسط
المصرف الشهري للفرد في العائلة الاشكنازية ١٣٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٣ / ٦٤ ٪
ليرة ، وفي العام ١٩٦٨ / ١٩٦٩ ٣٥٠ ليرة مقابل ٨٠ ليرة ، ١٠٠ ليرة ، و١٩٠ ليرة للفرد
في العائلة الاسفاردية . وبهذا يكون الفرق ٦٠ ٪ للعام ١٩٥٩ ، ٧٠ ٪ للعام ١٩٦٣ /
١٩٦٤ ، ٨٥ ٪ للعام ١٩٦٩ / ٦٨ .

ان الاستنتاج الذي يخرج منه المرء من هذا التوزع واضح : ازدياد الهوة في مستوى
المعيشة بين العائلات الشرقية والعائلات الغربية خلال اعوام الستينات على الرغم من
الارتفاع العام في مستوى المعيشة خلال هذه الفترة .

الى جانب ذلك يمكن لنا توضيح الهوة بين ابناء الطائفتين من خلال نسبة العائلات من
كلا الجانبين التي تملك سيارة خاصة .

ففي العام ١٩٦٢ كانت ٦٤١ ٪ من العائلات الاشكنازية تملك سيارة مقابل ١٠٠ ٪ من
العائلات الاسفاردية ، وفي العام ١٩٦٤ كانت النسبة ١٠٠ ٪ مقابل ١٤٧ ٪ ، وفي العام
١٩٦٩ كانت النسبة ١٧٤٦ ٪ مقابل ٥٤٦ ٪ ، وبذلك تكون الفجوة ٥٤١ ٪ للعام ١٩٦٢ ،
و٨٤٣ ٪ للعام ١٩٦٤ ، و١٢٠ ٪ للعام ١٩٦٩ (٣٥) .

من هنا يتضح لنا ان الهوة الاقتصادية بين الطوائف الغربية والشرقية آخذة بالانساع

الهوة السكنية

لكي ندرك الهوة السكنية لا بد من الرجوع الى مراحل استيعاب المهاجرين التي تمت
عقب قيام اسرائيل . لقد مرت عملية الاستيعاب بمراحل عدة ، مرحلة المخيمات ومرحلة
المعاير ، وهاتان المرحلتان كانتا من اقسى مراحل الاستيعاب ، ثم اعقبتهما مرحلة التثبيت
بالانتقال الى التخطيط ، اقيمت فيها ضواحي سكنية بسيطة بالقرب من المدن بواسطة

شركة « عميدار » الاسرائيلية . وثلت هذه المراحل الثلاث التي املتتها الظروف لمواجهة سبل الهجرة الجماعية في مطلع الخمسينات ، مرحلة جديدة للاستيعاب بدأت في النصف الثاني من الخمسينات ولا تزال حتى اليوم ، مرحلة الاستيعاب المخطط ، تعتمد على التخطيط المدروس في اقامة الضواحي والمستوطنات الدائمة .

خلال المراحل الاولى الثلاث سكن المهاجرون من اليهود الشرقيين والغربيين على حد سواء في الخيمات وفي المدن العربية المهجورة والمعابر والضواحي البسيطة التي اقامتها شركة عميدار . ولم يكن هنالك تمييز يذكر في عملية اقتسام هذه البيوت لان واقعها العيس لا يسمح بقيام تمييز . بيد ان التمييز بدأ يظهر جليا عند البدء في المرحلة الجديدة التي اتسمت بالتخطيط المدروس والتي كان القصد منها نقل المهاجرين من مراحل الانتقال الثلاث السابقة الى مرحلة استيعاب جديدة ، وقد سارت هذه المرحلة في اتجاهين : الاول بناء ضواحي سكنية جميلة قرب المدن الاسرائيلية وفي المناطق الجميلة ، والاخرى اقامة « قرى تطوير » في المناطق النائية بالاضافة الى اقامة مستوطنات على مختلف انماطها . ومن هنا بدأت عملية الفرز والاستقطاب الاثني المبنية على التمييز . اذ اخذ اليهود من ابناء الطوائف الغربية يوجهون الى الضواحي الجميلة بمنحهم قروضا حكومية ، واخذ اليهود من ابناء الطوائف الشرقية يوجهون بشكل عام الى ما يعرف بقرى التطوير والقرى الزراعية النائية . وبذلك ولدت الهوة السكنية عند منتصف الخمسينات واخذت تتسع الى ان بلغت حجمها الراهن في مطلع السبعينات ، وكان لها دور في عملية الاستقطاب الطبقي الاثني ، وفي زيادة حجم الهوة الثقافية والاقتصادية .

سارت عملية استقطاب ابناء الطوائف الغربية في الضواحي الجميلة وفي المدن سيرا حثيثا وتخطت عمليات الاستيعاب المرحلية ، بينما تعثرت عملية نقل ابناء الطوائف الشرقية الى مرحلة الاستيعاب الجديدة ، حيث بقي قسم منهم في المعابر وفي البيوت العربية المهجورة وفي المساكن البسيطة كشركة عميدار . ومن هنا بدأت تظهر ما يعرف بالاحياء الفقيرة في المدن ، ووجه قسم آخر الى القرى الزراعية ، وخاصة الى قرى التطوير .

كان في اسرائيل (حتى نهاية عام ١٩٦٨) نحو ٣٠٠ موقع سكني فقير (احياء فقيرة ومعابر ومساكن عميدار) ويبلغ تعداد سكانها نحو ٤٥٠ الف نسمة (قرابة مئة الف عائلة) . وفيها يتعلق بالدينتين الرئيسيتين في اسرائيل ، القدس وتل ابيب ، فقد اظهر بحث لكتبة الشؤون الاجتماعية التابعة للجامعة العبرية حول قضايا الفقر في القدس ان ١٨٠١٢٤ عائلة يبلغ تعداد افرادها ٦٨٠٨١٧ نسمة (اي ربع سكان القدس اليهودية) تسكن في مساكن غير صالحة للسكن ، كما ووضح البحث ان هنالك عشرة آلاف مسكن آخر على حافة الخلل والتحول الى الاحياء الفقيرة (٢٦) . اما في تل ابيب كبرى المدن الاسرائيلية ، فقد ذكر نائب رئيس البلدية استنادا الى دراسة اجرتها بلدية تل ابيب ان كل شخص ثالث في هذه المدينة يعيش بظروف فقر وان ٢٨ الف عائلة يبلغ تعدادها ١٣٠ الف نسمة تسكن في مباني غير صالحة تشبهه بالكواخ . اما البرونكسور يتسحق هلمرخت ، رئيس الجمعية الاسرائيلية لتخطيط العائلة ، فقد ذكر انه يوجد في تل ابيب ١٢٠ الف نسمة (٢٨ الف عائلة) يعيشون تحت حافة الفقر او بالقرب منها (٢٧) .

ومن المعروف ان عملية الفرز الطبقي او الاستقطاب الاجتماعي القائمة على التمييز في المجتمع الحديث قد جعلت هذه الاحياء من نصيب ابناء الطوائف الشرقية ، الامر الذي ادى الى خلق ظواهر سلبية . ذلك ان الظروف السكنية الصعبة في الاحياء الفقيرة تعتبر ساسا لجميع الظواهر السلبية : هروب آباء واطناء من البيت ، تفكك الاسرة ، انتعاش وُر السموم والزنى ، وقيام عضايات شوارع تنهك في اعمال السطو والنهب . ومن المعروف انه يوجد في تل ابيب قرابة ٢٠٠ عصابة ، تضم كل واحدة منها ما بين ٢٠ الى

١٠. (٤٨) من اثناء الاحياء الفقيرة، ويقوم هؤلاء في بعض الأحيان بمحاكاة الضواحي الغنية في شمال تل أبيب ويصطدمون مع الغنية الاثنيان.

ومما تجدر الإشارة اليه ان الاحياء الفقيرة في المدن هي بمثابة بؤر اشعاع لغضب ابناء الطوائف الشرقية وسخطهم وانتفاضاتهم على اوضاعهم أكثر مما هو الحال عليه في قرى التطوير او المستوطنات الزراعية ، ذلك ان هذه الاحياء تقع بالقرب من الضواحي الغنية والجميلة التي تستوعب المهاجرين الجدد ، احياء تكاد تكون معتمة يسكنها اليهود الشرقيون و احياء تعج بالاضواء من نصيب اليهود الغربيين .

الى جانب الاحياء الفقيرة في المدن ، هنالك امكنة تجمع لليهود الشرقيين في قرى التطوير التي بنتها سلطات الاستيعاب في الاماكن النائية في النصف الثاني من الخمسينات . وقد بلغ عدد هذه القرى نحو ٣٠ قرية وصل تعداد سكانها في نهاية عام ١٩٦٨ قرابة ٤٣٢ نسمة من مجموع ٢٥٥ مليون يهودي في ذلك الوقت . وتزيد نسبة ابناء الطوائف الشرقية في هذه القرى على ٨٠٪ (٢٩) من مجموع مستوطناتها .

تعاني قرى التطوير من اوضاع اقتصادية صعبة ، ولذا فان ظاهرة الهجرة المعاكسة منها الى المدن والمستوطنات غدت قوية ، الامر الذي يزيد من حدة تازم الاوضاع الاقتصادية . ويصف البرونفيسور نتان ليتسفيد هذه الظاهرة بقوله : « وبما ان اصحاب الكفاءات والمهن الحرة يهجرون قرى التطوير فان المستوى الاجتماعي الاقتصادي يهبط باستمرار ، ولو لم يكن هنالك نزوح في اعوام الستينات فان الزيادة في عدد سكان قرى التطوير ستصل الى ثلاثة اضعاف الزيادة الحقيقية . ان هذه القرى تتدهور الى وحدة طائفية ووظيفية ووحدة في الدخل بمستوى اجتماعي اقتصادي منخفض » (٤٠) . امنا الاوضاع الثقافية والتعليمية فانها لا تقل عن الاوضاع الاقتصادية المتدهورة ، ففي هذه القرى نجد ان ثلث السكان لم يحصل على ثقافة ابتدائية مطلقا او تعلم في اعوام فقط ، بينما تصل هذه النسبة بين صفوف السكان اليهود كافة في اسرائيل الى السدس (٤١) . وعلى الرغم من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتردية في قرى التطوير ، فلا نجد فيها مظاهر عنف واحتجاج على هذه الاوضاع بالمقدار نفسه الموجود في الاحياء الفقيرة في المدن بسبب بعدها عن الضواحي الجميلة المعدة للمهاجرين الجدد من ابناء الطوائف الغربية . ولذا فان مظاهر الغضب والتمرد على اوضاعها تكون عادة انعكاسا لمظاهر التمرد التي يقوم بها سكان المدن من ابناء الطوائف الشرقية .

ويمكن ايضا ان يوضح الهوة السكنية بين ابناء الطائفتين — اذا استثنينا عامل جمال المنطقة — بواسطة الاحصائية التالية حول النسبة المئوية للعائلات التي تسكن بحالة اكتظاظ (عدد الاشخاص في الغرفة يزيد على ثلاثة اشخاص) (٤٢) :

في العام ١٩٦٤ كان ٤٨٪ من العائلات الاسفاردية يسكنون في بيوت مكتظة مقابل ١٢٪ من العائلات الاثنيانزية . وفي العام ١٩٦٥ كانت النسبة ٣٠٪ للاسفارديين و ٦٪ للاثنيانزيين ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ٢٠٪ و ٢٪ بالتتالي . وبهذا تكون الهوة اربعة اضعاف في العام ١٩٦٤ ، وارتفعت الى خمسة اضعاف في العام ١٩٦٥ ، والى عشرة اضعاف في العام ١٩٦٩ .

يتضح من ذلك انه على الرغم من ارتفاع مستوى السكن خلال الستينات فان الهوة السكنية اتسعت بشكل مضطرب بين الطائفتين .

الهوة الثقافية

كان من نتيجة التمييز الواضح في المجتمع الاسرائيلي وظهور الهويتين الاقتصادية والسكنية ان ظهرت على السطح هوة اخرى وتعززت بهما، يندر وجودها في أي مجتمع من المنظومة العالمية تكون فيه الهوة سحيقة الى هذا الحد بين مجموعة اثنية تشكل اكثرية السكان

لا تتال من العلم الا النذر اليسير ، وبين مجموعة الاقلية التي تشكل الشريحة المتعلمة للمجتمع ككل ، الا وهي الهوة الثقافية .

هنالك اسباب عدة وراء هذه الهوة :

١ - التمييز الواقعي الذي يلف بين جناحيه جميع المجالات في اسرائيل وخاصة الاقتصادية والسكنية والوظيفية .

٢ - رغبة السلطات العليا في توجيه تلاميذ ابناء الطوائف الشرقية لدراسة الموضوعات المهنية في المدارس الصناعية والزراعية .

٣ - غياب عامل تكافؤ الفرص في الحصول على الوظيفة ، حيث يفضل الغربي في شغل الوظيفة حتى ولو كان الشرقي متفوقا عليه في حالة المنافسة الحرة على شغل وظيفة او منصب حكومي ، الامر الذي يدفع الطالب الشرقي الى البحث عن مجال عيش آخر غير مجال التعليم .

٤ - التباين بين المدارس ، فمدارس الاحياء « الراقية » التي يتلقى العلم فيها ابناء الاشكناز تمتاز بمبانيها الجميلة وباستكمالها مستلزمات المدرسة الحديثة كافة . اما مدارس الاحياء الفقيرة وقرى التطوير فانها تختلف عن الاولى من ناحية المباني ، وتفترق الى متطلبات المدرسة العصرية على الرغم من ان هذه المدارس تتبع مباشرة وزارة التعليم .

٥ - التباين في كفاءة المعلمين ، فقد درجت وزارة المعارف على ارسال المعلمين ذوي الكفاءات الى مدارس الضواحي الراقية ، اما المعلمون الاقل كفاءة او الذين يفتقرون الى كفاءات تدريسية فيستقربون في الضواحي الفقيرة وقرى التطوير .

٦ - واخيرا طبيعة البرامج الدراسية ، حيث تشتمل هذه البرامج على تاريخ الطوائف الغربية وحضارتها وآدابها وتمرر الكرام على تاريخ ابناء الطوائف الشرقية وحضارتهم وآدابهم ، هذا مع العلم ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا حتى القرن الثالث عشر مركزا مضيئا للحضارة اليهودية « انهم لا يعرفون ولا يتعلمون في البلاد تاريخ يهود البلدان الاسلامية » كما يقول مردخاي الجري رئيس حركة « عوديد » الامر الذي يجعل الطالب الشرقي يمر في مرحلة شبيهة بمرحلة عملية غسل الدماغ ، لا يعرف شيئا عن تاريخ آباءه واجداده حتى ليخيل اليه ان لا اصول حضارية له ، الا الاصول الحضارية لابناء الاشكناز . هذا فضلا عن ان تاريخ ابناء الطوائف الغربية مهمل ويتسم بطابع الاسي والحزن ، والقاسم المشترك لتراث ابناء هذه الفئة وادبهم وتاريخهم يتلخص في كلمة واحدة : الاضطهاد ، بينما تراث ابناء الطوائف الشرقية وادبها شبيه بالتراث الانساني ويخلو من عقدة الاضطهاد .

تفصح الهوة الثقافية في المجال التعليمي عن نفسها في التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل الدراسية الثلاث : الابتدائية من الصف الاول حتى الثامن (الزامية ومجانية) والثانوية من التاسع حتى الثاني عشر (مقابل اقساط) والمرحلة الجامعية (مقابل اقساط) . ففي الصف الاول الابتدائي نجد ان نسبة الطلبة الشرقيين قريبة من نسبتهم العامة في اسرائيل ، اذ يحتلون نسبة تزيد على ٦٢ ٪ بيد ان هذه النسبة تأخذ في التدني الى ان تصل في الصف الثامن الى ٤٥ ٪ (٤٦) . اما النسبة في المدارس الثانوية فانها تأخذ بالتدني الشديد لتصل الى ١٧٤٧ ٪ . وتمثل هذه النسبة المدارس الثانوية والمهنية والزراعية كافة . ويتوزع ابناء الطوائف الشرقية على الفروع الثلاثة بالنسبة التالية (٤٤) :

مجموع الصفوف	الثاني عشر	الحادي عشر	العاشر	الصف التاسع	
١٢٤٦	٧٤٨	٩٤٨	١٣٤٨	١٥٤٨	في المدارس الثانوية (النظرية)
٢٥٤١	١١٤٨	٢٠٤٤	٢٥٤٥	٢٩٤٧	في المدارس الصناعية
٢٦٤٧	١١٤٦	٢٢٤٣	٢٦٤٤	٣٣٤٩	في المدارس الزراعية
١٧٤٧	٨٤٨	١٤٤٤	١٨٤٥	٢٢٤١	في المدارس كافة

هناك عدة ملاحظات على الجدول المذكور :

١ - ليس هناك شك بأن التدني المضطرب في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المرحلة الثانوية ناجم عن أوضاعهم الاقتصادية المتردية ، فالمدخيل المنخفضة لا تؤدي بشكل عام الى ثقافة عالية خاصة في بلد يفرض أقساطا شهريّة مرتفعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، كما ان الثقافة المتدنية (وهذا الامر ناجم عن طبيعة المجتمع) تعرقل امكانيات الحصول على مدخيل عالية ، وهذه هي الدائرة المفرغة المفروضة على ابناء الطوائف الشرقية . ٢ - من الملاحظ ان نسبة الطلبة الشرقيين في المدارس الصناعية والزراعية اعلى منها في المدارس الثانوية النظرية ، ويعود ذلك الى تشجيع السلطات وقيامها بنقل مدارس من هذين الفرعين بين صفوف الطوائف الشرقية على حساب المدارس الثانوية النظرية . ٣ - وفيما يتعلق بالمدارس الثانوية فاننا نرى ان نسبة الطلبة الشرقيين فيها متدنية بشكل كبير ، حيث تصل الى نصف النسبة في كل المدارس الصناعية والزراعية ، وكان يمكن لهذه النسبة ان تكون ادنى بكثير من ١٢٤٥٪ لولا استيعاب هذه المدارس لاعداد من المهاجرين الشرقيين وخاصة من ابناء شمال افريقيا الذين انهموا جزءا من دراساتهم الثانوية في فرنسا ، ذلك ان هذا النوع من المدارس غير متوفر بشكل كاف في المناطق التي يسكنها الشرقيون ، بل في الضواحي التي تخص ابناء الطوائف الغربية . الامر الذي يضطر الطالب الشرقي على الانتقال من ضاحية الى ضاحية اخرى في الفترة التي يبلغ فيها سن البلوغ والمراهقة ، وهذان الامران يؤثران تأثيرا حاسما على مسلكه وتصرفه . فهو من ناحية يشعر بأنه أصبح في محيط جديد ، ويحاول التأقلم فيه ، فيبدأ بالتنشيط بأبناء الاشكناز من حيث المأكل والملبس والخروج مع الفتيات ، الا انه من ناحية ثانية لا يستطيع لاسباب مادية ، بالاضافة الى الخجل والحساسية ، الحصول على مبتغاه . وبين الرغبة في الحصول على ما يريد والعراقل التي تقف أمامه ، يعجز الطالب الشرقي في مدرسته الجديدة ويبدأ بالتفكير في الخروج منها . وهذا ما يفسر لنا التدني في نسبة تمثيلهم في هذا النوع من المدارس (٤٥) ، التي تعتبر البوابة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة لدخول الجامعات الاسرائيلية . هذا مع العلم ان نسبة من يتلقون دراساتهم في الصف الثاني عشر في المدارس الثانوية من ابناء الطوائف الشرقية تصل الى ٧٤٨٪ فقط .

وفيما يتعلق بتمثيل ابناء الطوائف الشرقية في المعاهد الاسرائيلية فانه يأخذ ايضا بالتدني . حيث ان نسبة الحاصلين على الدرجة الجامعية الاولى تصل الى ٧٪ اما نسبة الحاصلين على الدكتوراه فتصل الى ٣٪ فقط .

هذا فيما يتعلق بالتعليم خلال المراحل الدراسية الثلاث ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن ، ما هي نسبة تمثيلهم في الهيئة الاكاديمية ؟ لا تتوفر حتى الان احصائية رسمية حول هذا الموضوع ، الا أن نائب وزير التربية والتعليم الدكتور افنير شاكاي اجري دراسته بمساعدة الجامعات الاسرائيلية تشير الى وجود هوية كسيرة في التمثيل في الهيئة الاكاديمية (٤٦) . ففي معهد الهندسة التطبيقية في حيفا هنالك ٨٠ محاضرا (من اصل

اسنيوي افريقي) من مجموع ٨٠٠ محاضر وأستاذ أي ١٠ ٪ . وفي جامعة تل ابيب يوجد ٣٥ محاضرا من مجموع ١٠٠٠ محاضر وأستاذ أي ٣٥ ٪ ، أما في معهد وايزمان فهناك ثلاثة علماء فقط (واحد من مراكش ، وآخر من تونس والثالث من العراق) من مجموع ٣٧٠ عالما ، أي ان النسبة تقل عن ١ ٪ . ولم تتوفر احصائيات عن بقية الجامعات والمعاهد .

من الملاحظ ان الهوية الثقافية بين ابناء الطائفتين واسعة ، وتأخذ بالاتساع الشديد في المراحل العليا من الدراسة ، ويعتقد الدكتور يوحنا بيرس ان المساواة في التعليم بين ابناء الطائفتين ستستغرق مدة طويلة ، ويقدر هذه المدة بـ ٨٠ عاما !

الهوة في المؤسسة العسكرية

يخطيء من يتصور ان الهوة لم تمتد الى الجيش الاسرائيلي . فالهوة التي شملت المجالات الاقتصادية والسكنية والثقافية امتدت ايضا الى المؤسسة العسكرية في اسرائيل وشملت . وتعكس الهوة نفسها في سلم الرتب العسكرية وهي شبيهة الى حد بعيد بسلم المراحل التعليمية ، الا انها تتفوق عليها في كون المرتبة العليا - هيئة الاركان - تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية . وتسير عملية الاستقطاب في سلم الرتب العسكرية نتيجة للهوة الاجتماعية ، في مسار اثني ، « فعدد العسكريين (الشرقيين) يأخذ دائما بالهبوط كلما تسلقنا الرتب العسكرية » بينما يأخذ عددهم بالازدياد في حالة الهبوط في سلم الرتب ، وتبلغ النسبة اوجها في المرتبة الدنيا . يقول عوفير يسرائيل من كبار فينكين ، ٣٢ عاما ، احد اعضاء لجنة عينتها رئيسة الحكومة لمعالجة القضايا الاجتماعية « ينبغي ان لا تعتقد بان الوضع في الجيش هو على ما يرام . ليتك تعرف كيف تتوزع الرتب في الجيش من الناحية الطائفية . الا ان الجيش الاسرائيلي ينجح في الحفاظ على التكتل ، ويأويلنا اذا ما انتهك هذا التكتل بشكل خطير خارج الاطار العسكري . ومن الواضح لي ان ذلك سينعكس بشكل خطر على الجيش ايضا » (٤٧) .

ويعود نجاح الجيش الاسرائيلي « في الحفاظ على التكتل » لاسباب عدة منها : ١ - ان الجيش الاسرائيلي - كأي جيش آخر - يخضع لوامر وتعليمات عسكرية تحول دون زج افراده في نقاشات سياسية حول مواضيع حساسة مثل التمييز كما وتحول دون التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل من القيام بنشاطات سياسية بين صفوفه . ٢ - ان الهوة الاقتصادية في الجيش ليست كالهوة الاقتصادية خارج اطار الجيش . ٣ - ان العلاقة بين فئة الجنود وبين فئة الضباط تخلو بقدر الامكان من الشوائب البيروقراطية والعسكرية .

ومع ذلك فان الهوة قائمة ، ويشعر ابناء الطوائف الشرقية بالفن باللاحق بهم نتيجة احتكار فئة الاشكناز لمناصب هيئة الاركان ويشكون من عدم تمثيلهم في المناصب العليا . ويفسر البعض منهم ذلك بشك الاشكناز في ولائهم : « سمعت ذات مرة ان شخصية كبيرة اجابت عندما سئلت عن عدم وجود ضباط كبار في الطوائف الشرقية ، بان السبب يعود الى انهم لا يثقون فيهم حتى النهاية . . . الى ان جاء يسرائيل بار ويسرائيل كستر ، واثننا انه يوجد ايضا حونة اشكناز » (٤٨) .

وعلى الرغم من نجاح الجيش الاسرائيلي في الحفاظ على التكتل فان التناقضات الاجتماعية الاثنية تعكس نفسها على الفئتين الرئيسيتين وتؤدي في بعض الاحيان الى التصادم والاشتباك بالايدي بين صفوفه « فكثيرا ما يحدث » كما يقول عمران بن كوهين الذي خدم في الجيش في سلاح المظليين : « ان تقع اشتباكات بين الاشكناز والاسفاراديم » . . . في فبراير ١٩٦٧ تطوعت في سلاح المظليين ولم انجح في ازالة الفوارق التي

أغابها الآخرون حول أبناء طائفتي ، وقد حدثت أكثر من مرة اشتباكات بين الأشمكتاز والاشمكاراديم . . . كانوا يعتقدوننا بالحرمين أو « مراكشي مسكين » كل ذلك صبرين الظاهر الجيش ، ولم يكن دائما بروح طيبة ، وحينذاك نصل الى الاشتباك ، لم يكن الغاب الى شيء مشترك مع أبناء الكيبوتس والاشمكتاز الآخرين « (٤٩) . وهذه هي المرة الأولى التي تتكشف فيها الصراعات داخل الجيش على أساس اجتماعي اثني ، ولعل هذه الصراعات كانت من بين الاسباب التي دعت بعض المسؤولين للتحذير من « خراب الهيكل الثالث » .

الا أن ما هو أخطر من هذه الاشتباكات ، توصل البعض من أبناء الطوائف الشرقية الى التمرد على الخدمة العسكرية وذلك بواسطة أرجاع الهويات العسكرية الى الجيش ادراكا منهم بأن الجيش هو المكان الوحيد الذي تحتاجهم فيه السلطات العليا ، حيث يشكل أبناء الطوائف الشرقية لبنة أساسية في حجه ، مطلقين صرخة المسحوقين الذين يساقون الى الحروب لمصلحة الاسياد : « نقاتل من أجل من ؟ » أو كما يقول خانوخا مزارحي احد المتمردين على الخدمة العسكرية « انهم يرسلوننا الى الجيش للحفاظ على المتحف الخاص بموشيه ديان ، في الوقت الذي لا نملك فيه مكانا للنوم — لماذا ينبغي علينا أن نذهب للجيش ؟ » أو كما يقول زميله « جيورا » : « عندما روى زميلان لنا بأنهما تلقيا أمرا بالانخراط في سلك الاحتياط ، فكرنا : نقاتل من أجل من ؟ ولماذا نقاتل ؟ » عندما كنا أبناء ١٨ عاما ذهبنا الى الجيش بقلب مفعم بالحب . . . واعتقدنا ان ذلك بمثابة فخر لنا ، ولكن اتضح بمرور الزمن ان الجيش هو بمثابة المكان الوحيد الذي تستخدمنا فيه الدولة . . . ليس من المعقول ان يطلبوا منا ان نقدم أرواحنا لدولة لا توفر لنا اذنى الشروط للعيش كبشر . . . ولعل ما هو أخطر من أرجاع الهويات العسكرية ، ظاهرة التهديد باستخدام العنف من قبل المتمردين على الخدمة العسكرية ، الذين لا يرون في أرجاع الهويات آخر المطاف في نضالهم ، بل حلقة تؤدي الى حلقة العنف كما يقول خانوخا مزارحي « اننا نأمل في ان يستمعوا لنا الان ، وان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش . . . ولكن في المكان الذي يسيطر فيه قنانون الغاب — مثل هذه البلاد — في المكان الذي لا يمكن فيه الحصول على شيء الا عن طريق العنف ، فاننا لن نتردد ايضا نحن عن التصرف كالآخرين . لن نأكل الطين ونقول بأنه عسل » (٥٠) .

الى جانب هؤلاء المتمردين الذين يحذرون من « ان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش » هناك كاتب اسرائيلي يدعى يهودا نيني (من أصل يمني استطاع بعضا من ان يتقف نفسه بنفسه ويحصل على الدرجة الجامعية العليا) لم يتوجه الى السلاح مهددا ، بل توجه الى من ماتوا تحت السلاح عام ١٩٤٨ من بين اليهود الشرقيين وخاصة اليمنيين منهم ، توجه اليهم ليخبرهم بأنهم ماتوا ميتة رخيصة ، ماتوا نتيجة الكذب والخداع والتضليل من قبل تجار الحروب « وانني اعرف كيف سقطوا ، واعرف اعمالهم حتى ساعتهم الاخيرة ، الا انهم لا يعرفون اعمالنا ، انهم لا يعرفون الى أي حد خانهم المجتمع الاسرائيلي ، الى أي حد هانت المثل التي قاتلوا من أجلها ، انهم لا يعرفون بأن تجار الحروب أولئك الذين يعتقدون بأن دماءهم أكثر احمرارا من دمايتهم ، هم المسيطرون اليوم » (٥١) .

ويبلغ يهودا نيني الذروة في مرثيته بقوله : « لقد قلت — انني لست ذاهبا الى قبورهم ، ولكن يبدو لي انه يتوجب علي أن اذهب لاقول لهم انهم خدعوهم وضللوهم وغرروا بهم ، لاقول لهم بأن موتهم كان رخيصةا وتضحيتهم ذهبت سدى ، لاقول لهم ان آباءهم يسكنون الجحور والكهوف بينما تقاسم الآخرون فيما بينهم الاماكن الجميلة في البلاد ، ويبدو لي انه ينبغي علي ان أزورهم لاقول لهم « ان الذروة في حياتكم هي لحظة ثماتكم . . . » لاقول لهم ان الشعلة المضئنة من قبورهم قد أهدمتها أنهار الكذب وأن رماد الشعلة قد جرفتها أنهار الفساد . . . » (٥٢) .

كان من نتيجة الهوة الاجتماعية ، ان برزت اشكال متعددة للصراع ضد الواقع التمييزي لابناء الطوائف الشرقية ، وقد تحددت هذه الصراعات في قوالب معينة ومتفاوتة ، تتفاوت في العنف والمسيرة ، في الطلب باستعطاف او الاخذ بالقوة ، في الهبة المنظمة من خلال تنظيم ، او الهبة العفوية الشعبية . واشهر الحركات التي برزت نتيجة الواقع التمييزي :
١ - حركة الفهود السود (انظر ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية ، العدد الرابع ، ص ١٤٢) . ٢ - ظاهرة الازواج الشباب (انظر شؤون فلسطينية ، العدد العاشر ، ص ٦٥) . ٣ - حركة عوديد : تمتاز هذه الحركة التي انشئت في اوائل الستينات على ايدي مثقفين من ابناء مراكش بعدم ثورتها وبمسايرتها للسلطة ، وتقوم بنشاطات تثقيفية بين اوساط مهاجرين يهود شمالي افريقيا ، وتعمل من أجل زيادة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل التدريسية المختلفة . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة الحاكمة تغفر حركة « عوديد » بعطفها ، بينما تصب جام غضبها على حركة الفهود السود والازواج الشباب .

اما على الصعيد الشعبي فقد تباينت اشكال النضال واتخذت قوالب مختلفة مثل الاضرابات والتظاهرات والتهديد بالتصريح ومغادرة البلاد . على ان اخطر سلاح نضالي اتخذ حتى الان هو سلاح النزوح من المستوطنة او القرية واخلائها من سكانها حتى تتحقق مطالبهم . ففي ٢٦/٣/٧٢ قام سكان قرية « زرعيت » في الجليل الاعلى (يهود شرقيون) باخلاء قرينهم لمدة اسبوع احتجاجا على اوضاعهم الصعبة وعلى الواقع التمييزي الذي يعانون منه ، وتمت عملية النزوح على الرغم من المحاولات الكيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية لمنع الاهالي من الاقدام على استخدام مثل هذا السلاح . وقد بقيت القرية طوال اسبوع خالية من سكانها . وتعتبر عملية النزوح هذه ظاهرة جديدة في اسرائيل ، ولم يسبق لها ان حدثت في فترة اليسوف او فترة قيام الدولة .

لا بد لنا في نهاية حديثنا من التطرق الى ظاهرة الكراهية التي ولدت نتيجة التركيبة الفريدة للمجتمع الاسرائيلي ، وتلفتت في احضان الهوة الاجتماعية ، ونمت وترعرعت تحت ظلال التمييز . ان كراهية ابناء الطوائف الشرقية للغربيين ناجمة بالاصل عن الواقع الاستعمالي الذي يزرعون تحته ، اما كراهية الجانب الآخر فهي نابعة بالاصل عن النظرة الاستعمالية المشفوعة بالعنصرية . وقد عبرت يهودية روسية ذات ثقافة اكاديمية عن مشاعر كثير من الاشكناز عند تطرقها لموضوع الكراهية بقولها : « ... صحيح اننا نكرههم . صحيح انهم يكرهونا . اننا اسرايليون وهم اسرايليون بيد ان سورا كبيرا تفصل بيننا . اننا نعيش في مستويات مختلفة ومفاهيم مختلفة . اننا نتحدث بشكل آخر ونفكر بشكل آخر وينظر الواحد منا الى الثاني بشكل آخر ... ان هذا لاكثر من طائفتين مختلفتين ... هذا بمثابة شعبيين مختلفين ... صدقتني هذه ليست عنصرية ، ان ذلك ليس مسألة لون جلد وكذلك ليس مسألة البند الاصلي . ان هذا الذي يحدث ناجم عن الكراهية الثقافية ، هذا اذا كان لكراهية ان تشمل ضمن اطار مفهوم الثقافة . انني اكرههم لانني اتخوف من الانتقال ليلا في تلك الشوارع التي يتجولون فيها ، انني اكرههم بسبب نظراتهم ، بسبب كلماتهم البذيئة التي يطلقونها خلفنا ، بسبب جميع الاعمال الخسيسة الي يحاولون القيام بها ضدنا ... انني اكرههم لانهم يلوثون الحيطان والدرجات ويقومون بتدمير الممتلكات العامة ، ويمقتون الجمال ، ويستحسنون القباحة والوساخة . انني اكرههم لانهم يكرهونا لكوننا انظف واجمل ، فبدل ان يحاولوا ان يكونوا مثلنا ، يحاولون ان نكون نحن مثلهم » (٥٢) .

- ٢٧ - شدموت، عدد ٤٣، ١٩٧١، ص ٢٢-٢٣
- ٢٨ - ملحق عل همشمار (حوتام) ٧١/٧/٩
- ٢٩ - للاستزادة انظر كتاب ابراهيم بدرون وآخرون (محررون) **سياسة الرخاء في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٣
- ٣٠ - مجلة اوت ٧١/٩/٩ ، ص ٨
- ٣١ - مجلة بشاعر مايو/يونيو ١٩٧١ ، ص ١٧٤
- ٣٢ - يديعوت احرونوت ٧١/٤/٩
- ٣٣ - شدموت ، عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٠
- ٣٤ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢
- ٣٥ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢
- ٣٦ - دافار ٧٢/٤/١٦
- ٣٧ - معاريف ٧٢/٤/٢٧
- ٣٨ - ملحق هارتس ٧٢/٤/٢١
- ٣٩ - عفوداه ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة العمل ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤
- ٤٠ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٩
- ٤١ - مجلة عفوداه ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤
- ٤٢ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢
- ٤٣ - مجلة اوت ٧١/٦/١٧ ، ص ١٨
- ٤٤ - ايزنشقات وآخرون (محررون) **الثقافة والمجتمع في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٨ ، ص ١٤٠
- ٤٥ - مجلة اوت ٧١/٦/١٣ ، ص ٨
- ٤٦ - مجلة اوت ٧١/٥/٢٧ ، ص ١٦
- ٤٧ - ملحق عل همشمار ٧٢/٤/٢٨
- ٤٨ - معاريف ٧١/٩/١٠
- ٤٩ - ملحق عل همشمار ٧١/١٠/٨
- ٥٠ - هعولام هزيه ٧٢/٣/١٥
- ٥١ - شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٥
- ٥٢ - شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٧
- ٥٣ - معاريف ٧١/١/٨
- ١ - يديعوت احرونوت ٧١/١٢/١٥
- ٢ - معاريف ٧١/١٢/١٠
- ٣ - مجلة بيمرخاه - للاسفار اديم والطوائف الشرقية - حزيان ١٩٧١ ، ص ٢٢
- ٤ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤
- ٥ - دافار ٧١/٤/١١
- ٦ - يديعوت احرونوت (٧٢/٣/٣)
- ٧ - موشيه ليسك وآخرون (محررون) **مهاجرون في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية القدس ١٩٦٩ ، ص ٢٨
- ٨ - ايزنشقات وآخرون (محررون) **البنية الاجتماعية لاسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٦
- ٩ - ملحق معاريف ٧١/٨/١٣
- ١٠ - موشيه ليسك وآخرون (محررون) **المصدر السابق** ، ص ١٥٢
- ١١ - مجلة مولاد عدد ٩ - ٢٠ (٢١٩ - ٢٢٠) ص ٦٩
- ١٢ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤
- ١٣ - معاريف ٧١/٣/٢٩
- ١٤ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤
- ١٥ - معاريف ٧٢/٣/٣١
- ١٦ - معاريف ٧٢/١١/١١
- ١٧ - معاريف ٧٢/٣/٢٩
- ١٨ - مجلة شدموت (لحركة الكمبيوترات) عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٢
- ١٩ - معاريف ٧١/٣/٣١
- ٢٠ - يديعوت احرونوت ٧١/٩/١٢
- ٢١ - يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧
- ٢٢ - بيمرخاه عدد ١٣٢ ، ص ٦ ، آذار ١٩٧٢
- ٢٣ - يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧
- ٢٤ - معاريف ٧١/٥/٢٨
- ٢٥ - ملحق دافار ٧١/٥/١٤
- ٢٦ - ايزنشقات ، المصدر السابق ، ص ٣١٤

حوار مع مدينة

محمود درويش

يحمل الحلمُ سيفاً
ويقطعُ أعناق من يملونُ
بما سيكون -

هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن حاضراً
لم أكن غائباً
كنتُ بين الحضور وبين الغيابِ
حجراً.. أو سحابة

- تشبهين الكآبة
قلتُ لها باختصار شديد
تشبهين الكآبة
ولكنَّ صدركِ صار مظاهرة العائدين من الموت .
ما كنتُ جنديَّ هذا المكان
وثوريَّ هذا الزمان
لأحمل لافطة ، أو عصا ، في الشوارع .
كان لِقائِي قصيراً
وكان وداعي سريعاً

وكانت تصير الى امرأة عاطفيه

فالتحمت بها

وحلمت بها

وأصارت تفاصيلها ورقاً في الخريف ،

فلامها عسكرياً المورور ،

ورتبها في ملف الحكومه

- تشبهين المدينة حين أكون غريباً -

قلت لها باختصار شديد :

تشبهين المدينة

هل رآك الجنود على حافة الأرض

هل هربوا منك

أم رجوك بقنبلة يدويه ؟

قالت المرأة العاطفيه :

كل شيء يلامس جسمي

يتحوّل

أو يتشكل

حقى الحجارة تغدو عصافير ..

قلت لها باكيًا :

ولماذا أنا

أتسرّد

أو أتبدّد

بين الرياح وبين الشعوب ؟

فأجابت :

في الخريف تعود العصافير من حالة البحر

- هذا هو الوقت ؟

- لا وقت

وابتدأت أغنيه :

في الخريف ، تعود العصافير من حالة البحر ،

هذا هو الوقت ، لا وقت

- ماذا تكون البقيّة ؟
- أنتِ تصنعها
- أذهبُ الآن ؟
- لا تذهبُ الآن . إنّ الرّيح على خطأ دائماً
والمدينةُ أقربُ .
- أنتِ المدينةُ
- لستُ مدينة
أنا امرأةٌ عاطفية
هكذا قلتَ قبل قليل
واكتشفتَ الدليلَ ،
وأنتِ البقيّة
- آه ، كنتُ الضّحية
فهل سأكون الدليلَ .

وكنْتُ أعانقها ، كنتُ أسألها نازفاً :
- أأنتِ بعيدة ؟
- على بُعد حلم من الآن
والحلمُ يحمل سيفاً
ويقطع أعناق من يجهلون
بما سيكون .
- كيف أكمل أغنيتي
والتفاصيل ضاعت ، وضاع الدليل ؟
- إنتهتُ صورتي ..
والمياهُ عبودية السمك ، البرُّ حرية ،
فابتدئُ من ضياحك .

أموت بحب أحبك

إن ثلاثة أشياء لا تقتلني :

أنت - والحب - والموت ،

قبلتُ خنجرك الحلو

ثم احتमितُ بكفيك ..

أن تقتليني ،

وأن توقفيني عن الموت -

هذا هو الحب

إني أحبك حين أموت

وحين أحبك

أشعرُ أني أموت

فكوفي امرأة

وكوفي مدينة

ولكن ، لماذا سقطت .. لماذا احترقت

بلا سبب ؟

ولماذا ترهلت في خيمة عريه ؟

- لأنك كنت تمارس موتاً بدون شهية

وأضافت ، كأن القدر

يتكسر في صوتها :

هل رأيت المدينة تسقط

أم كنت أنت الذي يتدحرج من شرفة الله

قافلة من سبايا ؟

هل رأيت المدينة تهرب

أم كنت أنت الذي يجتمى بالزوايا ؟ .

المدينة لا تسقط . الناس تسقط ! .

ورويداً .. رويداً تفتت وجه المدينة
لم نحول حصاها الى لغة
لم نسجل شوارعها
لم ندافع عن الباب
لم ينضج الموت فينا .
كانت الذكريات مقراً لحكام ثورتها السابقة ..
ومرّ ثلاثون عاماً
وألف خريف
وخمس حروب
وجئت المدينة منهزماً من جديد
كان سور المدينة يُشبهني
وقلت لها :
سأحاول حبك ...

أنا لا أذكر ، الآن ، شكل المدينة ،
لا أذكر اسمي
ينادونني حسب الطقس .. والأمزجة ،
لقد سقط اسمي بين تفاصيل تلك المدينة
للمله عسكريّ المرور
ورتبته في ملفّ الحكومه
- تشبهن الهوية حين أكون غريباً
تشبهن الهويته
وتساءلتُ :
- هل تكون الهزيمة أصلاً
أم تكون الهزيمة ظللاً
فأجابت :

- ليس قلبي قرونفلد
 - ليس جسمي حقلًا .
 - ما تكونين ؟
 هل أنت أحلى النساء وأحلى المدن ؟
 - للذي يتناسل فوق سطوح السفن
 وأضافت :
 بين شوك الجبال
 وبين أماسي الهزائم
 كان مخاضي عسيراً
 - ذاك من قَدَر العاشقات اللواتي
 ينازلن ظلمَ الزمن ،
 فلماذا تكونين سيّدة الليلة القادمة
 - لأنني سيّدة الذكريات
 - وهل عدّوك لأجلي ؟
 - عدّوك لأجلي ! .
 - هل عرفتِ الندم
 - النساء - المدن
 قاداتٍ على الحب ، هل أنتِ قادر ؟
 - أحاول حبك
 لكنّ كل السلاسل
 تلتفّ حول ذراعيّ حين أحاول .
 هل تحوينيني ؟
 - حين تأتي اليّ ! .
 - هل تموتين قبلي
 سألتك : موتي ! .
 - أيجديك موتي ؟
 - أصيرُ طليقاً
 لأنّ نوافذِ حبتي عبوديّة

والمقابر ليست تثير اهتمام أحد .
وحين تموتين
أكمل موتي ..
- توقّف عن الحب .. يقترب الموت منك ، فحاول !.

- أموت - أحبك
، إن ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنت - والحب - والموت .
أن تقتليني ،
وأن توقفيني عن الموت -
هذا هو الحب .

- في الخريف ، أناديك .
أحمل خاصرة الله ،
حجرة الأنبياء ،
وأحذية الشهداء ،
وأكتاف كل العبيد ..

أناديك : هذا هو البحر
هذا هو البر
لا مركبي ينتهي
ولا شاطئي يبتدىء

وانتهت رحلتي - فابتدأت
وهذا هو الوقت - ألا يكون لشكلك وقت
لم تكوني مدينه
الشوارع كانت قبيل
وكان الحوار نزيهاً
وكان الجبل
عسكرياً . وكان الصنوبر خنجر
ولا امرأة كنت
كانت ذراعاك نهرين من جثث وسنايل
وكان جبينك بيدر
وعيناك نار القبائل .
وكنت أنا من مواليده عام الرحيل
ونسلا السلاسل !

يحمل الحلم سيفاً
ويقطع أعناق من يحمون
بما سيكون -
هكذا أخبرني المدينة حين غفوت على ركبتيها
لم أكن غائباً
لم أكن حاضراً
كنت محتفياً بالقصيده
[إذا انفجرت من دمائي قصيده
تصير المدينة ورداً]
كنت أمتشق الحلم من ضلعها
وأحارب نفسي
كنت أعلن بأسى
على صدرها ، فتصير امراه
كنت أعلن حبي

على صدرها ، فتصير مدينه .
كنت أعلن أن زحيلي قريب
وأن الرياح ، وأن الشعوب
تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

وانتهت رحلتي -

فابتدأت

كما يبدأ الذاهبون الى المقبره

كما يبدأ العائدون من الجزره

- تشكّل

تحول

فإن المدينه أجل .

تغرب

تسعب

فإن المدينه أقرب

وحاول

وقاتل

فإن المدينه حامل .

وصرت تفاصيل تلك المدينه ،

صرت العلاقة بين الولادة والمثاقه .

عرفت مواعيد موتي وحيي

وأكملت دائرة الجرح والزنبقة

وانتهت رحلتي -

فابتدأت ...

عقدة ثيودور هرتزل : بين العم توم ودون كيشوت

أ. ن. سعد

إن كاتبتي سيرة ثيودور هرتزل يتغافلون عن معالجة أو حتى ذكر بعض العناصر التي تشكلت منها نفسية مؤسس الصهيونية وساهمت ، وربما أدت بشكل حاسم ، إلى توصله إلى الصهيونية التي صاغ مخططا لها على طريقته الخاصة . فحرصهم على استنباط الصفات التي ارتأوا انها ايجابية في شخصية هرتزل ، مثل تمسكه بالقضية التي تبناها واندفاعه وراءها ، جعلتهم يتجاهلون الصفات الأخرى التي قد لا تكون ايجابية ولكنها ذات مغزى هام في تفهم العوامل النفسية التي حددت هوية شخصيته ومسارها إلى الصهيونية . وكما هي حال كل ما يتعلق بالمشكلة الصهيونية في فلسطين ، قد يبدو ضروريا الخوض في مناقشة هؤلاء الكتاب وجميعهم من الصهيونيين أو المؤيدين للصهيونية . ولكن اهتمامنا هنا لا يقع في مثل هذا المنهج المتبع تقليديا الذي جد ما ، بل يستقتصر معالجتنا على طرح وتحليل بعض الوقائع التي يمكن ايجادها بكثرة في كتابات هرتزل نفسه وخاصة في مذكراته الشخصية التي نشرت مؤخرا بكاملها في اربعة مجلدات كبيرة (١) ، والتي تحتوي على اشمل الدلالات والاشارات وادقها إلى نوعية تفكير هرتزل وبيان شخصيته . وسيجد القارئ في مجال هذه المقالة القصيرة ، أن استعملنا لكلمة « عقدة » في العنوان اعلاه ليس من باب الاحكام المسبقة والشائيم التي قد يرسلها كاتب متحيز ضد الحركة التي يقال أن ثيودور هرتزل تزعمها . وان بدأنا البعض يمتنع عن النظر في حكم التعقيد على مؤسس حركة اثبتت تاريخيا قدرتها على تحقيق أهدافها بوجه جميع الصعوبات ، فعلينا التأكيد والتذكير بأن الانطباعات الجالنه لا تحدد ، ولا ينبغي أن تحدد ، منظورنا لوقائع موضوعية تعود إلى فترة ما قبل ثلاثه ارباع قرن من الزمن ، خاصة وان لدينا المصادر الوثائقية المباشرة والمتمثلة في اقوال هرتزل نفسه في مذكراته والتي هي بحد ذاتها ووحدتها ، أدت بنا إلى الاستنتاج بأن توصل هرتزل إلى الصهيونية مثل آخرين من الصهيونيين ، كان تجسيدا وانعكاسا للتخطي النفسي .

العم توم اليهودي

إن شخصية العم توم معروفة جدا في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ، إلا انها قد لا تكون معروفة بهذا القدر لدى القارئ العربي . وعبارة العم توم رائجة جدا اليوم إذ تستعمل للإشارة إلى السود الذين يجهدون في تأييد النظام القائم والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وتبرير ممارساتها . وتعود هذه الشخصية التي أصبحت شبه ميثولوجية وأسطورية الآن ، إلى رواية « كوخ العم توم » التي كتبها الروائية الأميركية البيضاء هاربيت بيتشستو ، في شكل اقصيص متسلسلة في إحدى المجلات الأميركية في عامي ١٨٥١ - ١٨٥٢ قبيل الحرب الأهلية التي أدى انتصار الشمال فيها إلى إلغاء العبودية وتحكي هذه الرواية قصة توم ، العبد الزنجي العميق الإيمان بالمسيحية الذي يتقانى في خدمة سيده الأبيض وفي الصلاة من أجله باستمرار إلى أن باعه سيده عندما

وأجهته صعوبات مالية فانتقل الى خدمة سيد آخر يقال انه كان ذا شخصية متعمقة وطيبة . ففتاننى توم في حبه وخدمته وخدمة ابنته الطفلة التي كانت تحبه لانه عليها الألقاب والأغاني وأخبرها القصص الى أن توفيت وتوفي والدها فانتقلت ملكية توم الى سيد آخر كان سييء الخلق فأخذ توم يصلي من أجله الى أن توفي نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من سيده الجديد .

نية جانب آخر من رواية **كوخ العم توم** لا يسعنا تجاهلها نظرا لارتباطها وتشابها نوعا ما بموضوعنا الحالي . فالى جانب العم توم تحكي الرواية قصة آخرين من العبيد الزوج الذين كانوا مستعبدين في المزرعة الاولى التي خدم فيها العم توم : جورج وزوجته وابناؤهما الذين فضلوا الهرب على ان تتفتت عائلتهم عند بيعهم ، فذهبوا الى الشمال الى ان انتهى بهم المطاف في كندا حيث لم يعرفوا ماذا سيحل بهم . وكانت في الولايات المتحدة آنذاك قد قامت حركة ، او بالأحرى ، اقيمت حركة سوداء بتأييد من الحكومة الاميركية ، سعت لتحرير السود المعتقين الى ليبيريا التي قامت البحرية الاميركية باحتلالها واقامة دولة « مستقلة » فيها يحكمها السود الامركيون المستوطنون في خدمة الدولة الام التي تبنت حركتهم ومكنتها من تحقيق اهدافها . وقد ارتأت مؤنفة الرواية ان تنتهيها بقرار جورج وعائلته الاستيطان بليبيريا . وبعدها ختمت روايتها بالشعارات التي اطلقتها عن الحضارة التي سينقلها المستوطنون السود الى افريقيه بمساعدة وتشجيع من الكنائس البروتستانتية الاميركية .

لا بد ان القارئ قد يتحسس من عرضنا للخطوط العريضة لهذه الرواية اوجه تشابها مع قصة هرتزل والصهيونية . فثيودور هرتزل كان بمثابة التجسيد اليهودي لشخصية العم توم اذ انه كان يبتكر لليهودية واليهود . وغالبا ما ردد في مذكراته الاقوال عن اعجابه بغير اليهود وخاصة ابناء الطبقات الرفيعة منهم من الالمان (خاصة البروسيين) والبريطانيين والفرنسيين الذين تطلع اليهم على انهم المثال الاعلى الذي ينبغي ان يحتذى من أجل التنمية والرفيع والحضارة . وقد قال اكثر من مرة انه لا يلوم اللاساميين من غير اليهود على اضطهادهم لليهود وسجل في مذكراته مرة واحدة على الاقل ان اللاساميين على حق كما ردد مرارا قوله ان اللاساميين سيكونون افضل خلفاء الصهيونية . وعلى نهج حركة ليبيريا كان هرتزل يتكلم عن اعتقاده بان اليهود في « البلاد الجديدة » سينقلون معهم عناصر الحضارة الاوروبية الى الشرق المتخلف (٢) . ومن يعرف اوضاع دولة ليبيريا اليوم ، بما فيها من تمييز يلقاه الافريقيون السود من السكان الاصليين على ايدي المستوطنين الامركيين السود الذين يشكلون العنصر الحاكم في البلاد ويديرون دفتها باتفاق دائم مع سياسة الولايات المتحدة الاميركية ، مع ما يقابله ذلك في اسرائيل من تمييز ضد السكان العرب الاصليين واليهود الشرقيين من اصل عربي على ايدي المستوطنين من اليهود الغربيين الذين يحكمون البلاد وفق سياسة تبعية لحكومة الولايات المتحدة ، يمكنه ان يرى وجه الشبه بين « الحل » الذي دعت مؤلفة شخصية العم توم اليه و« الحل » الذي اعتنقه هرتزل للمشكلة اليهودية .

ان المقارنة التي نحن بصدها بين ثيودور هرتزل وشخصية العم توم ، لم تأت تلقائيا او عفويا بل اقتبسناها من اشارة بهذا المعنى وردت في مذكرات هرتزل نفسه . فعند توصله الى الصهيونية في صيف ١٨٩٥ كان هرتزل يقيم في باريس حيث كان يعمل مراسلا صحفيا يكتب الاقاصيص والنوادر عن الاوساط السياسية الفرنسية التي كانت تنشر في صحيفة **نيو هراي برس** في فيننه بالنمسه حيث كانت تقيم عائلته . وقد كان هرتزل يكتب المسرحيات من آن الى آخر ، وهذا ، بالاضافة الى عمله الصحافي وكتابة الاقصوصة ، جعله على اتصال ببعض الكتاب الفرنسيين . ويبدو انه ، من بين هؤلاء ، كان على معرفة واتصال ، وربما صداقة وثيقة ، بالكااتب الصحفي الفرنسي ، الفونس دوداي ،

الذي كان يخرر في صحيفه البارول ليس الفرنسية والذي عرف هو وصحيفته باللاساميين والتحامل على الأقل . ولا حاجة لان يستغرب القارىء من صداقة هرتزل اليهودي مع هذا اللاسامي المتحيز ضد اليهود اذ ان الكثيرين ممن صادقوا هرتزل ورخبوا بأفكاره وربتوا له على كنفه كانوا من اللاساميين كما نعلم من المذكرات . ويخبرنا هرتزل في بداية مذكراته اليومية التي باشر كتابتها فور توصله الى الصهيونية انه التقى يومئذ بدوداي فجرى الحديث بينهما عن اليهود فأخبره دوداي انه لاسامي بالحرف الواحد ودون تردد . عندها يبدو ان هرتزل قال له انه ينوي تأليف كتاب يدور موضوعه حول اليهود . فسأله دوداي : « رواية ؟ » . فأجابه هرتزل : « كلا . . . كتاب رجال » . فلم يتخمن دوداي لذلك وقال له : « ان الرواية تصل الى آفاق اوسع ، فكر **بكوخ العم نوم** » . وعندها اخذ هرتزل يشرح تفاصيل ما ينوي كتابته مما اثار اهتمام دوداي لدرجة انه قال : « كم هذا جميل ، كم هذا جميل ! »

كان هرتزل قد كتب مسرحية بعنوان **الغيتو الجديد** كانت ، من جملة اشياء اخرى ، تعبيراً عن شخصية العم نوم اليهودي اذ ان بطلها ، المحامي اليهودي سامويل ، كان مثالياً يجهد في خدمة موكله الاريسوقراطي الصناعي المسيحي ويدافع عن مصالحه ضد ابتزازات شريكية اليهوديين اللذين كان احدهما زوج اخت سامويل . الا ان الرواية التي بطلها دون شك انعكاس لشخصية هرتزل تدحوت كذلك طابع الدون كيشويتيه المساوية خاصة وانها تنتهي باختلاف سامويل مع موكله الاريسوقراطي حين يشك الاخير في اخلاص المحامي ويتهمه بالتواطؤ مع زوج اخته وبشتمه بكلمات مهينة لليهود فتقوم مبارزة بينهما ويصاب سامويل بجرح قاتل ويلفظ مع انفاسه الاخيرة الكلمات التالية : « يا ايها اليهود ، اخواني ، لن يسمح لكم بالعيش بعد اليوم ، حتى تخرجوا من الغيتو » .

وهذه الرواية التي فسرت على انها استنكار المحامي اليهودي المنصهر في المجتمع الاوروبي لطريقة العيش اليهودية المنغلقة والتقليدية في الاحياء اليهودية ، كان هرتزل قد كتبها وسط تصاعد قضية الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس الذي حوكم بتهمة الخيانة والعمل لالمانيه — اي قبل لقاء هرتزل ودوداي والذي ذكرناه اعلاه ، ببضعة اشهر . اما بعد هذا اللقاء ، فيبدو ان ذاكرة هرتزل عادت الى مسرحية كان قد بدأ بكتابتها منذ عام ١٨٩١ ، وأراد فيها اظهار التفاوت بين جماهير اليهود الفقراء واثرياء اليهود من خلال إقتباس عن قصة شاب يهودي كان يعرفه هرتزل انتحر آنذاك في برلين . وعند عودته من لقاء دوداي راجع هرتزل ، كما يخبرنا باختصار في مذكراته ، الفصل الاخير من مسودة هذه المسرحية حيث يعالج المناخ السابق للانتحار اذ يذهب بطل الرواية ، واسمه سامويل ايضا ، في جولة مسائية في احد الشوارع ويحس باحساس التعالي على الجميع علما منه بموته القريب ويسخر في ذهنه من ضباط الحرس الذين كان بوسعهم ان يأخذ أي واحد منهم معه الى الموت . ورأى نفسه وكأنه قائد ، وراح يمشي بابهة وعجرفة حتى أصبح الجميع يخلون الطريق أمامه مما اكسبه الثقة والهدوء النفسي فذهب الى بيته وانتحر بهدوء .

قرر هرتزل بعد قراءته لهذه المسودة ، وربما بتأثير من دوداي ، ان يغير هذه المسرحية بحيث لم يعد سامويل المنتحر بطل الرواية ، بل مجرد شخصية ثانوية فيها ، ويصبح البطل احد اصدقاء سامويل الذي توصله حياته الى « اكتشاف او تأسيس أرض الميعاد » . ويسمع البطل بانتحار صديقه وهو على البياخرة برفقة مجموعة من الضباط المستكشفين البحرين معه ، فيمتعض كثيرا الا انه يتطلع بثبات الى الأفق باتجاه أرض الميعاد .

سرعان ما تخطى هرتزل عن فكرة كتابة الرواية التي نصحه دوداي بها وباشر كتابته برنامج عملي نشر فيما بعد (في العام المقبل) في كراس الدولة اليهودية . الا ان قراءة

دقيقة لهذا الكراس تكثف ، من خلال كلامه عن تفاصيل رحلة الاسطول الذي سينقل المهاجرين الى البلاد الجديدة لبناء الدولة ، مزيجا غريبا من الجدية الساذجة والروائية الخيالية . اما الرواية عن اكتشاف ارض المعاد فلم يعد اليها هرتزل حتى عام ١٩٠٢ حين كتب روايته المشهورة **الارض القديمة الجديدة** والتي ضمن فيها رؤيته الخيالية لدولة المستقبل . وتحكي هذه الرواية قصة الشاب اليهودي الفييني الفقير الذي يتعرف الى مليونير امريكي سئم الحياة يقترح عليه مرافقته في رحلة الى المحيط الهادىء للابتعاد عن العالم الخارجي نهائيا . ولكن بعد ان يبصر اليخت المنق المترف بقليل يذهبان لسبب ما لقضاء بضعة ايام في فلسطين فيجدانها بلادا يعمها الخراب والقطل والقدارة . فيستأنفان السفر الى المحيط الهادىء حيث يمكثان مدة عشرين سنة ثم يعودان عن طريق قناة السويس باتجاه اوروبه فيجدان ، باختصار ، ان فلسطين على ايدي اليهود قد اصبحت بلادا عامرة ، مركز المواصلات فيها المرافىء وخطوط السكك الحديدية . وحتى يهود اوروبه الشرقية الذين سبق واشماز هرتزل من حياتهم في **الغيتو الجديد** ومسرحيات وكتابات اخرى ، ارتأى هرتزل ان يراهم في البلاد الجديدة في فلسطين متمدنين يجالسون الاريسوقراطيين البريطانيين ويشربون معهم الشاي !

وهكذا عبر هذه المسرحيات ومسودات المسرحيات انتقل بطل هرتزل من الانتحار ، الى خدمة الاريسوقراطي المسيحي في اوروبه ، الى المبارزة معه ، الى الابتعاد عن اوروبه ، برفقة الضباط المستكشفين ثم برفقة المليونير الامريكي ، الى مجالسة الاريسوقراطيين . واذا بدا ان عنصر « العمومية » لدى هرتزل ليس بارزا بروتا تاما من خلال مسحنا لهذه المسرحيات ، فان عودة منا الى ما قبل توصل هرتزل الى الصهيونية من شأنها ان توضح الامور توضيحا اضافيا .

يبدو من قراءة الفقرة الطويلة الاولى التي بدأ هرتزل بها تسجيل مذكراته ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي — اي يهودية هرتزل — كانت تشكل بالنسبة له موضوع قلق نفسي منذ امد بعيد . ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالها بالابتعاد عن المشكلة النفسية التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية . ولكن على أي حال فهو بخبرنا انه اثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . فقد استنبط مخططا للتوصل الى لقاء البابا من خلال رؤساء الكنيسة في النمسه كي يقول له : « ساعدونا ضد اللاسامية وأنا اتعهد بأن انشئء حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة حرة ومحترمة » . واعتبر هرتزل ان حركته ستكون « حرة ومحترمة » نظرا لان زعماء الحركة — بمن فيهم هو نفسه — سيقومون على يهوديتهم بحيث يشجعون الاخرين على اعتناق المسيحية — ديانة الاغلبية . وارتأى هرتزل على طريقته الخيالية بأن تتم احتفالات اعتناق المسيحية بفخر في وضح النهار في كاتيدرائية كبيرة ايام الاحد ووسط رنين الاجراس . وبهذا فقد اقتنع هرتزل بان هذا الحل سيؤدي الى اغتياق جميع الاطفال اليهود للديانة المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة الى تنصر جيله الحالي . وما ان اكتشف هرتزل هذا الحل حتى باشر بتدوين تفاصيل تنفيذه وراح يتأمل نفسه ماثلا امام رئيس اساقفة فيينه والبابا يعرض عليهما مشروعه ويرسل الشعارات عن تخالط الاجناس !

يبدو ان هرتزل كان قد اخذ مشروعه هذا بكامل الجد والحماسة وقرر ان يثنع محرري صحيفة **نيو هراي برس** التي كان يعمل لمصلحتها في فيينه على تبني المشروع والترويج له . الا انهم رفضوا مشروعه وقال له احدهم ، موريتز بندكت ، « ان مئات الاجيال بقيت على دياتتها اليهودية وانت تريد ان تجعل من نفسك نقطة النهاية لذلك » . وربما فسر هرتزل هذا الرفض على انه نتيجة نظرة المحررين اليه على انه مجرد ثرثار وكتابت

اقتصادي تأفهمه . إلا ان ينددك (قال له كذلك : « وعلى كل حال فان اليابان ليست مثلك ») ولا يمكننا البت نهائيا هل تخلى هرتزل عن هذا الحل — آتى عن طريق تنصير اليهود — بعد توصله الى الصهيونية ، اذ انه اختتم كراسه **الدولة اليهودية** فيما بعد بالقول بان اليهود في دولة المستقبل سيخففون كليا . كما ردد في مذكراته مرارا اصراره على رفض اللغة العبرية وتفضيله اللغة الالمانية في دولة المستقبل . وعلى أي حال فان العقدة اليهودية ، عقدة احتقار الذات اليهودية هذه ، رافقت هرتزل طوال فترة نشاطه الصهيوني ولازمته حتى وفاته .

كانت طبقة النبلاء الالمان وخاصة البروسيين هي المثال الاعلى لثيودور هرتزل . فهو قد سجل في مذكراته في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ مثلا : « ان كان هناك شيء أصبو اليه فهو ان أكون أحد أعضاء طبقة النبلاء البروسية العريقة » . وعندما فكر بإمكان اقامه دولة المستقبل تحت حماية المانية ، سجل هرتزل في مذكراته يوم ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ : « ان نعيش تحت حماية دولة المانية القوية والعظيمة والأخلاقية والرائعة الحكم والوثيقة التنظيم — فهذا ليس من شأنه الا ان تكون له افضل الآثار في الشخصية القومية اليهودية » .

الا ان تطلع هرتزل الى المسيحيين الاوروبيين لم يقتصر على الالمان . فهو اراد — كما سجل في مذكراته ليوم ٩ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ — ان تنشأ المبارزات في دولته كي تسبغ « نوعا من التنسيق الفرنسي على المجتمع الامض » . كما سجل في اليوم نفسه ما يلي : « لكي اصبح في مركز احترام وتقدير في البلاطات الاوروبية ينبغي علي ان أومن لنفسي الحصول على جميع الاوسمة واسماها مبتدئا بالوسمة الانكليزية » .

ومما يشير الى تطلع هرتزل الى طريقة العيش المسيحية الاوروبية المترفعة وتكرهه لكل ما هو يهودي ، تسجيله لزيارته للضابط البريطاني من اصل يهودي ، الكولونيل غولدسميد في منزله في كارديف بانكلتره . ويسجل هرتزل عن هذه الزيارة شعوره بأنه قد وجد نفسه في عالم آخر في الجو البريطاني المنسق الذي انحطت حياة الكولونيل ومظهره ، وخاصة في الانسية التي دعى فيها عازف البيانو روزنثال الى منزل غولدسميد ، فلاحظ هرتزل ان زوجة الكولونيل وابنته كانتا تصغيان الى العزف بمظهر رشيق ، فراحت تتراعى في ذهنه النسوة اليهوديات الاريسوقراطيات في دولة المستقبل مخلوقات فائتات ، بلمسة شرقية ، لطيفات وحالمات . « حقا في عالم آخر » . . . الى ان وقعت انظاره على قطعة تزيين فيها لفافة مخطوطة من التوراة اعادته الى عالمه الحالي .

في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ حين كان هرتزل في زيارة الى اسطنبول ذهب الى المسرح في الهواء الطلق Les Petits Champs هناك فوجد ان فرقة تمثيل يهودية كانت تقدم احدى المسرحيات باللغة اليديشية فاغتاظ جدا ، وتذكر زيارته السابقة لهذا المسرح منذ ثلاثة اعوام حين كانت فرقة الاوبرا اليطالية La Morisana تؤدي غناءها فاعجبه المناخ الرقيق . اما الفرقة اليهودية اليديشية فقد انقبضت نفسها لدى رؤيتها وسجل في مذكراته لذلك اليوم : « انني احس بانطباع كئيب . فهذا الفن الحقير يشكل اعلى منجزات جماهيرنا التي تتكلم لغتها الهجينة ، ومستواها الحالي يجب تمييزه على انه في حالة هزيلة يرثى لها . فقد اشمازيت ! »

لا مجال لنا هنا لايراد المزيد من الامثلة الكثيرة في المذكرات التي تشير الى كراهية النفس اليهودية التي عانى منها هرتزل . وهذه الامثلة تظهر بوضوح ان هرتزل كان قد تقبل جميع ما قاله اللاساميون غير اليهود عن اليهود من اقوال مهينة لهم حتى انه كان يردد عددا منها في مذكراته . ونذكر فيما يتعلق بكراس الدولة اليهودية الذي اصدره ، انه لم

يمكن من ايجاد ناشر يهودي يتعهد باصداره مما حدا به الى طبعه لدى اثنين من
اللاساميين غير يهوديين في قيينه ممن رحبوا به . وفي لقاء له معهما قال له احدهما :
« لقد آن الاوان لان يقف رجل ما بشجاعة ويقول الامور الواجب قولها » .

اما محرر صحيفة نيو فراي برس اليهودي، بندكت، فقد حذر هرتزل (في شباط/فبراير)
١٨٩٦) من نتيجة طرحه « لطله » الصهيوني في كراسه وقال له ان السيل الذي قد يبدأ
تحريكه بناء على الاقتراحات التي اوردها هرتزل في كراسه سيؤدي الى الاضرار
بالمصالح اليهودية كافة . و اضاف : « اننا نتيجة لذلك سنخسر اوطاننا الحالية قبل ان
تنال الدولة اليهودية » . الا ان ذلك ، وتحذيرات آخرين من معارف هرتزل الاخرين ،
لم تثنه عن عزمه فمضى في اصدار الكراس .

وكان النائب النمساوي سيموناي اول من رحب بالكراس ، وكان هذا مشهورا
باللاسامية في الصحيفة التي كان يصدرها ، فراح يكتب المقالات الواحدة تلو الاخرى
يمدح فيها هرتزل ويصفه بعبارات الشهامة والحماسة لارائه . ولما التقى هرتزل بهذا
الرجل في ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٦ كتب عنه في المذكرات ما يلي : « انه رجل في
الستينات منقلب مآكر وثرثار يكن لليهود قدرا من العطف المذهل وحديثه خليط من المعقول
والهراء يصدق قصة القتل الطقوسي الكاذبة عن اليهود ، ومع ذلك له ابهى الافكار
واحدها . انه يحبني ! »

اما الرجل الاخر الذي تحمس لهرتزل ومكنه فيما بعد من التوصل الى لقاء دوق يادن
والقيصر الالمانى ، فقد كان القس وليم هشرل الذي سبق ان كان عضوا في « اللجنة
اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود » ، وجاء بعد سماعه بمشروع هرتزل لرحب به
ويقول له انه تجسيد لنبوة كان قد توقع اقتراب تحقيقها . وفي اللقاءات اللاحقة بين
هرتزل وهذا الرجل لم يمتنع الاخر على الاقل في احدى المناسبات المحددة (مذكرات ٢٦
ابريل ١٨٩٦) عن اطلاق العبارات اللاسامية المهينة لليهود على مسمعه . كما يبدو انه
كان يسعى لاقتناع هرتزل باعتراف المسيحية .

ان اصدار الكراس الذي كان مزيجا من الاقصوصة النثرية والبرنامج العملي قد قابلته
الاساط اليهودية في قيينه بالسخرية . ففي ١٨ شباط (فبراير) سجل هرتزل ان استاذ
الجامعة القيينية اليهودي ، فابليوغن ، جاء لزيارة هرتزل ليسالنه ان كان الكراس
مقصودا به الجدم ام كان مجرد تقديم ساخر لاذع للصهيونية . وسجل هرتزل كذلك انه
سمع ان ثمة « اشاعات » تسري بين الناس تقول ان هرتزل قد اصبح مجنونا . اما
الصحافي اليهودي لوداسي فقد كتب مقالة سمع بها هرتزل في اول تموز (يوليو) ١٨٩٦
قال فيها مؤلفها « ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

الواقع ، رغم وضوح عنصر « العم تومية » في شخصية هرتزل ومشروعه الصهيوني ،
فهناك العنصر الاخر الذي لازم عقده وساهم في تحديد التعبير عنها في توصله الى
الصهيونية . وثيودور هرتزل لم يهد توجيه انظار الراي العام الى مقترحات وآراء له
فحسب ، بل شعر بانه هو الذي سيقوم بتنفيذ هذه المقترحات والآراء ، وغالبا ما تكلم
وكانه هو الذي سيقوم بالعمل لتحقيق المشروع العظيم . ومن هنا نفهم قول جوليوس
باور (الذي سجله هرتزل في ٢٣ شباط - فبراير) : « لا بأس بالنسبة لي ان ذهبنا الى
فلسطين ولكن اريد جمهورية يرئسها هرتزل الاكبر » !

دون كيشوت اليهودي

كان هرتزل ، لكونه كاتب اقاصيص تافهة ، يأمل دوما بأن يرتقي الى مكانة لها تأثيرها في
السياسة الدولية . ولذلك فقد كان يستنبط المشاريع الواحد تلو الاخر والتي كان يأمل
بأن تتبناها الدول الاوروبية والفايكان . وتوصله الى الصهيونية عام ١٨٩٥ بدا له

وكانه اكتشاف عظيم على الرغم من ان كثيرين كانوا قد سبقوه السني الصهيونية والمستوطنات اليهودية في كل من الأرجنتين وفلسطين بتحويل من البارونين هرتزل وروتشيلد كانت قد بدأت منذ عام ١٨٨١ . ويبدو ان هرتزل لم يكن يعلم بوجود المنظمات الصهيونية العديدة في جميع البلدان آنذاك كما لم يدرك ان ثمة من سبقوه السني « اكتشاف » الصهيونية وعلى رأسهم اليهودي الروسي ليو بنسكرا الذي كتب كراسه عن الموضوع منذ عام ١٨٨١ . وعلى هذا فانه بدأ تسجيل مذكراته بقوله : « منذ فترة خلت وانا منشغل بعمل لا حدود لعظمته والان لست أدري ان كنت مما نفذه ام لا . وهو يبدو لي حلما عظيما امتلكني اياما واسابيع وشغلني الى ابعد حدود افكاري . وهو يرافقتني اينما ذهبت ويرقرق فوق احاديثي العادية وينظر من وراء كتفي الى عيني الصحافي التافه والمضحك فيضايقتني وتسكرتني نشوته في الوقت نفسه » .

وراح هرتزل يخطي في مذكراته برؤوس الاقلام رؤيته للدولة اليهودية دون ان يكون قد قرر ما اذا كانت ستخرج في شكل كتاب عام او رواية . وجاءت كتاباته على مجموعة مذهلة من التفاصيل تراوحت بين سبل تنظيم العمال في دولة المستقبل وسبل اقامة الفرق الموسيقية والمقاهي فيها . وتطرق الى وصف الرحلات البحرية التي تقل المهاجرين الى الارض الجديدة (وربما ارتأى ان العبور سيتم في مرحلة واحدة) . ووصف رؤيته رايته الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ومعاملة الصحافة ومزارع التبغ وجباية الضرائب وفرض الاحتكارات الحكومية على بعض السلع وتنظيم الجيش . . . الخ . وليس هناك يتسع في هذه المقالة القصيرة لمعالجة المغزى النفسي لهذه الاراء . الا ان رؤية هرتزل لدوره الخاص في عملية تنفيذ المشروع ذات اهمية خاصة في اظهار الدوافع النفسية لدعوة هرتزل الى مشروعه .

مضى هرتزل باكتشافه هذا المشروع في احلامه وامانيه الخيالية عن مستقبل العظمة الذي ينتظره في دولة المستقبل ولما ذهب في جولة الى حدائق التويلاري في باريس في احد ايام صيف ١٨٩٥ وصل الى تمثال غامبيتا ، فقال لنفسه : « آمل ان يقيم اليهود لي تمثالا اكثر رونقا من هذا » . ولم يكتف هرتزل بترقب المجد لنفسه بل راح يوزع المراكز على معارفه . وما أن فكر بموريتز غودامان ، كبير حاخامي فيينا ، حتى قرر ان يضعه في منصب « الاسقف الاول » في عاصمة دولة المستقبل . كما سجل هرتزل ما يلي : « مبدأ : ان كل من يأتيني من معارفي السابقين ، قريبا كان ام بعيدا ، سيحصل على مركز مرموق » . وهنا يبدو ان هرتزل أحس بالحاجة لتبرير مظهر السلطان الذي ارتأه لنفسه فكتب : « ان روسو قال بالواقع التعاقدى للمجتمع وهو خاطيء بذلك . . . ففي الدولة قائم بالادارة فقط . . . وهكذا سأقوم بادارة شؤون اليهود دون اقتدابهم لي » . وعاد هرتزل الى التفكير بتوزيع المراكز في دولة المستقبل فقرر ان اباه سيكون المستشار الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وجاء القيصر الألماني على ذهن هرتزل فأتانا آمال المستقبل لديه وقال لنفسه : « انني سأتعامل مع عطاء هذه الارض كسوا لهم » . كان هذا في ٨ حزيران ١٨٩٥ ، وفي اليوم التالي انشغل هرتزل في تسجيل ما سيكون لقبه الخاص فكتب : « لكي اتجنب تعريفي بلقب « مدير » في انكلترة ، وهو ذو منسج تجاري ، فربما سأتبنى لقب مستشار (على النمط الألماني) أو شيء من هذا القبيل . . . وسلامتي الشخصية ستكون موضع اهتمام جهاز فعال من البوليس السري . . . وسأمتنع شخصا عن قراءة اي صحف (. . .) وسأعطي الاوامر بالا يظلموني على أي شيء مما يكتب عني في الصحافة سواء اكان ذلك مدحا ام ذمما ، اذ من الان فصاعدا سيكون لي حق وواجب اللامبالاة تجاه اي تهجمات شخصية من اي نوع كانت . اما اذا بدا ان تيارا في الراي العام قد نشأ ضد المشروع فينبغي اعلامي بالمسألة في الحال لكي اتمكن من ضرب المعارضة » !

كل هذه السلطات الديكتاتورية ، قررها هرتزل لنفسه في دولة المستقبل قبل ان يكون قد قرر موقع هذه الدولة . ومن المرجح انه كان يفكر بالأرجنتين . وقد ذهب في تسجيله لتنظيم دولة المستقبل الى التفاصيل الصغرى كافة (هذا مع العلم انه لم يفكر بالأمور الجدية التي يتطلبها تحقيق المشروع) ويعود منها الى أمانيه الشخصية . ووصل انفعاله الى أقصاه حين تذكر ابنه فكتب : « عندما فكرت بانني سأقوم يوما ما بتتويج ابني هاس أميرا (دوج : القاضي الاول في جمهوريتي البنديقية وجنوى الأريستوقراطيتين) واتوجه اليه بالكلام في المعبد امام رجالات الدولة وأخاطبه « سموكم الملكي ابني الحبيب » أغرورقت عيناى بالدموع ! »

ان دون كيشوتية هرتزل لم تتوقف عند هذا الحد ، فبعد ان سجل تفاصيل الاجراءات التي ستتخذ للحؤول دون نشوب ثورة داخلية في دولة المستقبل استدرك نفسه وكتب : « ولكنني اريد أمة سعيدة ، وستشرب الانخاب الكثيرة فيها على شرفي » ! وراح هرتزل يفصل أسلوب الرحلة البحرية التي ستأخذ اليهود الى البلاد الجديدة فوصف تصنيف البواخر الى درجات تذهب فيها الطبقات المختلفة فابتهج كثيرا لهذه الافكار وقال : « ان الكثير من افكاري ، مثل تلك التي أوردتها عن المبارزة والانتحار واعالة المخترعين واحتكار البورصة ، ولجنة التحقيق في شكاوى المسافرين خلال الرحلة ، جيدة بالنسبة لجميع الأمم » . وخلص هرتزل في ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ الى التفكير بالعلم (الرأية) لدولة المستقبل فقرر ان يكون باللون الأبيض وعليه سبع نجوم بحيث يمثل اللون الأبيض نقاوة الحياة الجديدة والنجوم عدد ساعات العمل السبع اليومية في دولة المستقبل . وقال : « تحت شعار العمل ورايته سندخل ارض الميعاد . . . وسيكون ذلك حسن حظ كبير لي ينعش آمال أبوي في شيخوختهم ويكون بمثابة شرف عظيم لذريتي انني ابتكرت هذا المشروع العظيم ! »

لكن هرتزل يعتقد ان الجميع ، من وجهاء اليهود ورجالات الدول الأوروبية ، سيرحبون به « اكتشافه » بحماسة . فهو شعر ان مشروعه سيكون أقل كلفة وأكثر فعالية من مشاريع البارونيين وان الحكومات سترحب به اذ سيخلصها من الفقراء اليهود الذين كانوا ينضمون الى الاحزاب الثورية . واتصل هرتزل اول ما اتصل بالبارون هيرش فذهب اليه بباريس في ٢ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ حاملا معه افكاره التي سجلها في تقرير طويل ليقنعه بتمويل المشروع . وقرأ هرتزل تقريره الى ان وصل الى الكلام عن « المستوى الخلفي لجيش دولة المستقبل » فقاطعه البارون ، ربما بعد ان ادرك مذاقته ، وسأله : « متى باعتمادك سيتم تحقيق المشروع ؟ » ولا حاجة بنا لادراج تفاصيل الحديث بينهما ، الا ان هرتزل لم ينل ما كان قد توقعه لمشروعه . وربما وصف هيرش مشروع هرتزل بأنه دون كيشوتية اذ ان هرتزل حنق كثيرا وعاد وكتب رسالة في ١٨ حزيران (يونيو) الى البارون قال له فيها فيما قال : « لا يهمني ان بديت مثل دون كيشوت . . . ولكن حلوك التافهة . . . مستوطن لك في الأرجنتين او اعتناق اليهود للاشتراكية — لن أقبل بها اذ لست سأنشئ بانزا ايضا ! »

يبدو ان هرتزل كان يتخيل انه كان هناك صراع بين عائلة هيرش وعائلة روتشيلد كبري أثرياء اليهود . وقد سجل هرتزل ، بعد لقائه الفاشل مع هيرش في مذكراته ما يلي : « منذ اسبوع كان هيرش حجر الأساس لمشروعي ، اما اليوم فقد انحذرت قيعته الى حمية مهملة تماما . لقد ذهبت الى هيرش والان سأذهب الى روتشيلد مثلما ذهب مولنكي من الدانمارك الى بروسية » . الا ان هرتزل سرعان ما عاد ولان على « المسكين » هيرش فكتب : « اذا نجحت مع روتشيلد فلن أهمل المسكين هيرش كليا . . سأعطيه نيابة رئاسة ما اعترافا بخدماته السابقة ونظرا لانه سبق وتعرف الى خطتي . . . » !

قرر هرتزل — بأمله باستمالة روتشيلد — اعادة كتابة مشروعه بشكل مفصل بحيث يكون

كراسنا بعنوان : تقرير الى عائلة روتشيلد . الا ان هرتزل لم ينجح في سعيه للقاء البارون روتشيلد لفترة عام ونصف ، مما حدا على اصدار الكراس تحت عنوان **الدولة اليهودية قبل اللقاء المنتظر** . وقد ذكرنا ان هذا الكراس كان خليطا من الكتابة الساخرة والاقصصية الخيالية خاصة وانه يبدأ بالكلام عن الاكتشافات العلمية الحديثة واختراع الآلات التي تحل مكان العمل اليدوي . ولم يتوصل هرتزل الى مقابلة البارون روتشيلد الا بعد رحلة مغامرة قام بها الى اسطنبول حيث اعتقد انه سيقابل السلطان كي يشترى فلسطين منه مقابل مليوني جنيه . وعلى الرغم من فشله المزري والتكاليف التي ابتزها منه مرافقه نيولنسكي خلال هذه الرحلة ، عاد هرتزل وسط الاشاعات التي اعتبرها مؤاتية والتي قالت ان هرتزل قابل السلطان . وانتهى هرتزل اخيرا الى لقاء البارون في ١٨ تموز (يوليو) ١٨٩٦ في مكتب الاخير في باريس . وخلال هذا اللقاء قام جدال عنيف حسب تعبيرات المذكرات بدأ باثارة البارون على هرتزل على انه نوع جديد من برنارد الناسك . ويبدو ان هرتزل كان يصز طموال المقابلة على قراءة « التقرير الى عائلة روتشيلد » (أي كراس الدولة اليهودية) الا ان البارون كان يقطع باستمرار وقال له فيما قال : « لست بحاجة اليك لان تأتيني وتقول لي اننا لان لدينا الآلات في متناولنا » . كما ان كلام هرتزل عن مشروعه الكبير في تنظيم الدولة بحيشها النظامي المنق لم يلقى حماسة لدى البارون الذي كان يمول مستوطنات فلسطين ، فقال له : « ان العيون لا يجب ان تكون اكبر من المعدة » .

خرج هرتزل من هذا الاجتماع ولديه بعض الشعور بأنه ربما سيضطر الى تنفيذ المشروع بمفرده — اي دون مساعدة كبار المتولين وربما بوجه عدائهم له . والواقع ان هرتزل كان قبل هذا اللقاء يردد في مذكراته القول انه يواجه معارضة كبار اثرياء اليهود . الا ان هذا الشعور كان من باب الدون كيشوتية ، يعطيه شعورا بالاهمية النفسية اكثر منه من باب الواقع . ولا شك في ان البارون لم يكن يريد ان يرتبط اسمه بالنداء العلني من اجل انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تحت رحمة الحكومة العثمانية . الا ان هرتزل لم يفهم ذلك ، بل غالبا ما شعر وردد في مذكراته ان « معارضة » مشروعه كانت تأتي من اولئك الذين كانوا يحسدونه وينافسونه على السلطة في قيادة الحركة ودولة المستقبل . ونذكر مثلا في هذا الصدد اللقاء الذي تم في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) بين هرتزل وفانبرغ واحد العاملين في جمعية التوطين اليهودية التي مولها البارون هيرش ، في منزل الحاخام زادوك كاهن في باريس . وخلال هذا اللقاء توجه هرتزل الى فانبرغ بالكلام المتعالي وقال له : « ان جمعيات التوطين الحالية يجب ان ترسخ لقصيتنا ، واذا وجدنا معارضة فنسقضي عليها كلها » . عندئذ اجابه المضيف ، الحاخام اليهودي ذو الشأن في الاوساط اليهودية الثرية بالقول : « ولكن لم يجابهك احد بالمعارضة حتى الآن » !

الواقع انه بعد خروج هرتزل مباشرة من اجتماعه بالبارون روتشيلد الذي ذكرناه اعلاه ، جاءه احد المقربين من البارون واسمه مايرسون كان قد حضر الاجتماع ليقول له ان عليه ان يبدأ عملياته على مستوى صغير وفيما بعد سيظهر البارون تدريجيا عطفه نحو المخطط . وفعلا ، لما عاد هرتزل الى عمله في فيينه وجد نفسه في وسط الاحداث اذ ان الصهيونيين المارين في العاصمة النمساوية ، عادة في طريقهم من فلسطين او روسيه الى باريس حيث مكتب البارون ، كانوا دائما يتصلون بهرتزل ويجتمعون به ، ممنا جعله يحس بانه فعلا زعيم الحركة الصهيونية . وعلى ذلك ، ونظرا لتوصل هرتزل الى رئاسة المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في غضون عام من هذه الاحداث ، فان بعض دارسي الصهيونية اعتبروا ان هذه الحركة كانت قبل المؤتمر مكتملة تنظيميا وماليا ولم ينقصها الا من يتزعمها فجاء هرتزل يشغل مركز الزعامة . ولا شك ان في هذا القول

بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انبثق بهرتزل . وفي هذا المضمار ، نجد ان هرتزل وضع بمثابة واجهة مؤاتية للحركة الصهيونية يبعد الانظار عن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركة الصهيونية كان قد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في غيبته وخاصة في شرقي اوروبا . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي أوردها هرتزل (مثلا نقل مقاهي غيبته الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفر » فيها وتحنيط جثث الذين يموتون خلال الرحلة . . الخ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احياء صهيون في روسيه مناحيم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة غيبته في طريقه من روسيه الى بارييس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان ممول احياء صهيون ، فحثه الصهيوني الفييني القديم ، ناثان بيرنباوم ، (الذي كان أول من استنبط عبارة « الصهيونية ») على زيارة هرتزل والتعرف اليه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأله بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجازبية شخصيته ستجذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبا الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية . فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تفتتح عيناه وبذلك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يتم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مع انه لدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة يتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ اوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في اوروبا وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا ان هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل (وهو الذي تشكلت اكثرية عضويته الساحقة من ممثلي جمعيتي التوطنين الرئيسيتين : « احياء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و « جمعية التوطنين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالاضافة الى ممثلي الاتحاد اليهودي العالمي الفرنسي) ، لكن كان قد تم بان قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش (خاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجها عند تخلي الأخيرة عن عمليات الارجتين) ، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاقه نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد وعلن مرارا وبكامل الجهد عن هدفه بشراء فلسطين قاتونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجهد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث

وتزعم الحركة ظناً منه بأنه ينكلم باسمها ويقيم «المفاوضات الدبلوماسية» بصفتها ممثلها في حين امتنع القادة الفعليون للصهيونية عن فتح عيونهم على وقائع الأمور فاستمر يعيش باحساس عظمته الدون كيشوتية حتى وفاته .



ان النظر في عواقب العم تومية لدى هرتزل واشكاله ممن اعتنقوا الصهيونية يتطلب معالجة مطولة لما اادت الصهيونية اليه من تحويل القسط الاوفر من يهود العالم الى خدمة الدول الامبريالية ومصالحها ، وهذا الموضوع يحتاج الى معالجة اطول مما تتسع لها هذه المقالة . وعلى ذلك فنكتفي بالقول بأن الصهيونية نجحت فعلا في اضعاف الحركة الاشتراكية الثورية وصرفت اعداد اليهود عنها وخاصة بعد تبني الدول الاوروبية للصهيونية بعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى في تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩١٧ في روسية مباشرة . وبعد ذلك تحولت جموع اليهود في الغرب عن موقفها الراديكالي الى موقع واضح ممثل بمنطلق العم توم اليهودي والذي يجد افضل تعبير عنه في دولة اسرائيل اليوم التي تتفانى في خدمة المصالح الامبريالية في حين انها تمنى نفسها بالقول بانها انما تقوم بذلك دفاعا عن بقائها .

اما عواقب الدون كيشوتية فيمكن معالجتها في شخصية الصهيونية والدولة التي انشأتها في فلسطين بالاشارة الى مزاعم « المنجزات والمعجزات الجبارة » التي حققتها هذه الحركة في اقوالها عن «صراعها ضد الطبيعة» لاستصلاح الصحاري وتجفيف المستنقعات في بلاد ليست اصلا شبيهة بالمناطق الصحراوية فيها وليس فيها الاراضي الشاسعة التي تغرقها المستنقعات . ولكن ما دمنا في صدد هرتزل على المستوى الشخصي . فلا حاجة لنا لمعالجة عواقب هذه العقدة على هذا المستوى الجماعي الاصطوري ، كما لا حاجة لتقييمها على المستوى السياسي البعيد الامد ، بل قد يكون من المناسب ايرادها باختصار على المستوى الفردي العائلي المصغر الذي طرحت به في مذكرات هرتزل نفسه وعلى الرغم من ان ذلك قد يبدو انه من باب الشماتة ، فان مثل هذا التقييم الفردي لا بد ان يتناول ما حل باحلام العظمة التي ارتقبها هرتزل لنفسه ولاتريائه . فقد نجح هرتزل في ان يصبح ، ولو اسميا فقط ، زعيم الصهيونية . الا انه بالطبع لم يصبح رئيس الدولة اريستوقراطية التي فصل رؤيته لها ، كما انه لم يعيش ليشهد تنظيم كتائب العمال والجيش اريستوقراطي والبارزات الشجاعة فيه . وقد توفي ابوه عام ١٩٠٤ ولم يصبح السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وتوفي هرتزل بعد ذلك بقليل وهو يهذي في فراش المستشفى عن شراء المناطق هنا وهناك ظناً منه انه يعطي اوامره الى مرؤوسيه . وزوجة هرتزل توفيت بعد ذلك بثلاثة اعوام . اما ابناؤه ، فلم يهاجر احد منهم الى فلسطين . فابنته بولين ، توفيت في بوردو عام ١٩٣٠ . وابنه هانز الذي كان هرتزل يامل بان يتوجه امرا في دولة المستقبل ، لم يربط حماسة ابيه للصهيونية ، بل يبدو انه ورث عقدة الانتماء لليهودية لديه ، فثار ضجة عندما اعتنق المسيحية وانتحر بعد وفاة اخته بفترة وجيزة . وابنة هرتزل الثانية ، ترود ، فقدت حفتها في مخيم اعتقال نازي خلال الحرب العالمية الثانية فكانت بذلك واحدة من جموع اليهود الذين « خسروا اوطانهم التي اقاموا فيها قبل الحصول على الدولة اليهودية » . وابنتها الوحيد ، ستيفن ، مات بطريقة غامضة حين « سقط » من بناية عالية في العاصمة الاميركية واشنطن في عام — انتهاء الحزب العالمية الثانية — ١٩٤٥ . وبهذا لم يبق من ذرية هرتزل احد « ليفخر بالمشروع العظيم الذي ابتكره » . . . هذه هي المساة الشخصية لثيودور هرتزل والعقدة النفسية التي ولدتها فشكلت افضل انعكاس فردي للعقدة الجماعية التي ادت الى نشوء الصهيونية والمآسي الاليمة التي نتجت في فلسطين على

أيدي الحركة التي اعتبر هرتزل مؤسسها . من هنا صدق ما قال أحدهم آنذاك فأوردناه
أعلاه : « ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

1 - *The Complete Diaries of Theodor Herzl*, Edited by Raphael Patai, The Herzl Press, New York, 1960.

وهو المصدر الأساسي للمقالة التي أشر إليها وفق التواريخ التي سجلت بها المذكرات .
2 - Israel Cohen, *Theodor Herzl: Founder of Political Zionism*, Thomas Yoseloff - New York, 1959.

صدر حديثا عن مركز الأبحاث في م . ت . ف .

كتاب

الصهيونية واسرائيل وآسيا

تأليف ج . هـ . جانسن

ترجمة راشد هويد

يرتكز الكتاب على قراءات مكثفة في الأيديولوجيا الصهيونية وعلى مسح للعلاقات الاسرائيلية بالدول غير العربية في آسيا ، وبذلك جاء مثيرا للتساؤلات العميقة ومقدمًا مادة أساسية للمهتمين بالصهيونية وبملاقات اسرائيل مع العالم الثالث .

٢٤٩ صفحة

من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية

تضاف إليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،

٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

سلاح الطيران الاسرائيلي

هشام عبدالله

قبل أكثر من شهرين صرح أحد المسؤولين الاسرائيليين « ان سلاح الطيران هو أكثر الاسلحة حيوية ، وقد حظي في السنة الماضية بأكثر نصيب من ميزانية الدفاع الضخمة » (١) ويوم ٧٢/٥/٢٤ صرح موشيه ديان وزير الدفاع « بأن ٨٢ ٪ من الميزانية العسكرية ستخصص لدعم سلاح الطيران والسلاح المدرع » . من هنا نرى الدور الاساسي الذي يلعبه سلاح الطيران وأهميته في الجيش الاسرائيلي ، وربما لم يدخل في تصور قادة اسرائيل بأنه سيكون لهذا السلاح كل هذه الأهمية عندما انشئ عام ١٩٤٨ كسلاح تابع للجيش وليس كقوة أساسية منفصلة . لقد اندفعت اسرائيل نحو تعزيز سلاح الطيران ليصل الى ما هو عليه الآن بسبب خبرات عسكرية موروثه وأخرى اكتسبتها من حروبها الطويلة مع العرب ، ومن دراستها لأوضاعها الداخلية وأوضاع المنطقة عامة . فمن جهة ورثت اسرائيل النظام الاستعماري في المنطقة حيث كانت القواعد الجوية البريطانية في المفرق والحياتية وقبرص والبحرين وعدن ، والأمريكية في الظهران وويلس وتركيا هي عناوين السيطرة العسكرية الاستعمارية والعمود الفقري لقوتها العسكرية والسياسية . ومن نظام القواعد هذا استوحيت اسرائيل عدة دروس . اولاً ، ان الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين بقوة بشرية ضئيلة نسبياً وبالتالي بخسائر بشرية ضئيلة للغاية في حالة وجود عمليات عسكرية ، وأهمية هذا بالنسبة لاسرائيل بغير حاجة الى تعليق . ثانياً ، المدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه ، وهذا مهم من عدة وجوه ، فهو يثبت يد اسرائيل الطويلة وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، وما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، وإمكانية ايضا في التأثير على الاقتصاد العربي اذا ما أرادت قصف المنشآت الحيوية او المواقع الاستراتيجية . ومن جهة أخرى ضيق مساحة اسرائيل الذي يدفعها الى جر المعركة خارج حدودها وهذا أمر يسهله الطيران كثيراً . ثالثاً ، أهمية الطيران ليس كقوة ضاربة فحسب بل وواسطة نقل في الحروب الخاطفة ، وتطوره ليصبح ذا أهمية أيضاً في العمليات الخاصة ، فالطيران عامل اساسي لتحقيق عناصر الحرب الخاطفة الرئيسية ، ونقص سرعة الحشد وكثافة النيران . كما وان وضع اسرائيل الجغرافي وإحاطة الدول العربية بها من ثلاث جهات يفرض عليها استخدام ما يعرف بالقتال على خطوط داخلية ، وضد عدة جهات ، كما يفرض على العرب استخدام القتال على خطوط خارجية ، والقتال على الخطوط الداخلية يحتاج بشكل عام الى جيش جيد التدريب قادر على القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالإضافة الى أرض تسهل الحركة بين مختلف الجبهات وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعد على الدفاع ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصوم الآخرين . وتبرز أهمية الطيران هنا في قدرته على زيادة قوة الصدمة ، بل ان الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران في تحقيق صدمة تامة وحاسمة ، كما وان نمو سلاح النقل الجوي والهليكوبتر خاصة قد كفل سرعة الحشد ،

وارزادت أهمية هذا السلاح بعد حزيران حيث احتلت اراض عربية جديدة وطالت بذلك الخطوط الاسرائيلية ، ولسنا بحاجة للقول ان الطيران لا يتأثر كثيرا بطبيعة الارض وبالتالي فان سهولة حركته مضمونة ، واخيرا فالمقاتلات والقاذفات عامل هام جدا في دعم المواقع الدفاعية ، وتحطيم القوات المهاجمة . ويقدم سلاح الطيران ميزات مستقاة من الوضع العربي والاسرائيلي عامة ، فالى ما قبل كسر اختكار السلاح كانت الدول العربية تعتمد اعتمادا كليا في تزويدها بالطائرات وفي تدريب الطيارين على الدول التي خلقت اسرائيل ، وبالطبع كانت تلك الدول تعمل ، وما زالت ، بشكل يضمن تفوق اسرائيل في هذا المجال . ومن جهة اخرى ، فقد وجدت الدول العربية المتخلفة اقتصاديا وثقافيا صعوبة في تطوير قواتها الجوية ، التي انشئ بعضها حتى قبل خلق اسرائيل ، وقد جنبته اسرائيل الى ذلك منذ انشائها ، فعملت على جر العرب الى سباق كانوا الخاسرين فيه — على الاقل حتى حرب حزيران — فالاوضاع الاقتصادية العربية ، خصوصا للدول المحيطة باسرائيل ، لا تسمح بشراء اعداد مناسبة من الطائرات الباهظة الثمن ، وبتدريب اعداد كافية من الطيارين تدريبا جيدا ، كما وان التخلف الثقافي يخلق نقصا كبيرا في الكفاءات الفنية والتقنية اللازمة لصيانة هذه الطائرات . وهذه النواقص لا تشكو منها اسرائيل التي يتكون اكثر سكانها من الاوروبيين ، والتي تهتمر عليها التعويضات والتبرعات والمساعدات بلا حساب . ولا يتوقف هذا السباق عند تدريب الطيارين والفنيين ، والذي ، بحد ذاته ، يكلف مبالغ خيالية ، بل يتعداه الى بناء القواعد الجوية وضرورة متابعة التطور العلمي في جميع المجالات : الطائرات الاحداث ، المعدات الالكترونية الامثل ، التطور في انواع الذخيرة ، والاسلحة المضادة للطائرات ، وضرورة امتلاك القدرة على استخدامها بفعالية . كل هذا ستجد الحكومات العربية صعوبة في ملاحقته ، صعوبة ان لم تكن تقنية فهي حتما اقتصادية . وهكذا سيكون بإمكان اسرائيل ان تركز تفوقها في هذا المجال بحكم تفوقها الاقتصادي والثقافي وضمان الدول العربية لها ، ومما لا شك فيه تأثير هذا على باقي الاسلحة العربية وعلى الروح المعنوية واردة القتال العربية .

لجميع هذه الاسباب ، وللنتائج التي حققها الطيران في حرب حزيران ، من الحسب الخاطفة ، والخصائر البشرية القليلة نسبيا ، بالاضافة الى تحطيم معظم القوة العسكرية العربية ، اصبحت اهميته غير قابلة للنقاش ، واعطى الاولوية في جميع المجالات .

لقد تمكن الطيران الاسرائيلي من حسم المعركة فعلا في حرب حزيران ، لكن نجاحه لا يعود الى تفوقه الساحق والمطلق ، بل ساعد فيه بطء رد الفعل العربي ، ولبطء رد الفعل هذا اسباب قنية تتعلق بالقيادة ووحدات الخدمات الارضية والاسراب المقاتلة ، كما وان لها في بعض الاحيان خلفيات سياسية ، ولا بد لنا ان نشير الى توتر العلاقات بين الاردن وسوريا قبل ايام من حرب حزيران حين انفجرت عبوة ناسفة على الحدود الاردنية — السورية وفي بلدة الرمثا الاردنية بالذات ، اتهم الاردن على اثرها سوريا بتدبير الحادث وحشد قواته على حدودها ، بالاضافة الى توتر العلاقات بين مصر والاردن أيضا . واهمية سوء العلاقات تكمن في عدم امكانية قيام تعاون جدي بين الاطراف ، وفي تكاسل ردة الفعل . بالاضافة الى التقاعس وعدم القدرة والارتجال التي اكدها الملك حسين بقوله عن دور الطيران الاردني في حرب حزيران « . . . ان طيارينا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . . . وذلك لان افئقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة » (٢) .

والامثلة على عدم قدرة الطيران على حسم المعركة كثيرة ، ابتداء بالجزائر كنموذج لحرب العصابات ، ومرورا بكوريا كنموذج للحرب بمختلف اشكالها فمن حرب العصابات الى الحرب النظامية بين قوى متكافئة تقريبا ، حيث استعمل الطيران في جميع المجالات وعلى

أوسع نطاق ، وانتهاء بفتحام كمثل حي لحرب العصابات والحرب النظامية بين قوات غير متكافئة واستعمال الطيران في قصف المدن والقرى والاهداف الاستراتيجية . ان بإمكان القوات العربية ان تحقق نجاحا في حربها مع القوات الصهيونية مهما بلغت قوتها الجوية ، اذا اتبعت وسائل مناسبة ومدروسة آخذة بعين الاعتبار قدراتها ونقاط القوة لديها ، ونقاط الضعف لدى العدو .

عوامل الانتصار : الا ان تعزيز الطيران لم يتوقف عند تدريب الطيارين والحصول على طائرات ومعدات أفضل ، بل ان هناك عوامل تؤكد السلطات العسكرية الاسرائيلية على توافرها وتسميها عوامل الانتصار وهي : أ - مخابرات متفوقة ، ب - التخطيط المدروس ، ج - القدرة على الاستعمال والسيطرة والمراقبة ، د - القدرة على التنفيذ العالي والاستفادة من الطائرة والفني والطيار الى أقصى حد ممكن ، هـ - الروح القتالية العالية (٣) .

ولسنا بحاجة الى القول ان اسرائيل قد تمكنت من توفير جميع هذه العوامل قبل حرب حزيران ، فقد تمكنت من الحصول على طائرة ميغ ٢١ من العراق هرب بها طيارها منبر روفه الى اسرائيل ، ومكنا هذا من معرفة جميع نقاط الضعف في الطائرة رقم واحد لدى ثلاث قوى جوية عربية محيطة باسرائيل هي سوريا ومصر والعراق ، وهكذا احزر طياروها امتيازا على الطيارين العرب الذين كانوا يجهلون نقاط ضعف المراج . وقد أثبتت حرب الايام الستة ان اسرائيل كانت تعرف الكثير مما يدور داخل اسلحة الطيران العربية ، كما وانها نجحت في الاستفادة من معارفها هذه وادخالها ببراعة في خططها ولا يخفى مستوى التدريب العالي للطيار الاسرائيلي ، بالاضافة للروح القتالية العالية والقيادة الجيدة التي وجهته ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية خلال حرب حزيران بأكثر من الف طلعة ، أي بمعدل ٥ طلعات للطيار الواحد ، وهناك طيارون قاموا بست وحتى ثمانين طلعات (٤) وهذا يتطلب من الطيار روحا قتالية عالية بالاضافة الى خدمات ارضية ذات تدريب ونشاط عاليين ايضا ، وكانت وحدات الخدمات الارضية هذه تعيد تجهيز الطائرات وتسليحها خلال ثمانين دقائق . واكثر من هذا كانت تقوم وخلال ساعتين في بعض الاحيان بترميم الثقوب التي تكون قد احدثتها وحدات الدفاع الارضي العربية

ومرد تفوق الطيار الاسرائيلي ليست طينته الاسطورية (٥) ، كما قد يظن البعض فهناك عوامل خلقتها قيادته ، وعوامل اخرى ساعدت على تحقيق هذا التفوق دون ان يكون لهذه القيادة اي يد فيها ، مثل تدني مستوى الطيار العربي لاسباب اقتصادية ، بسبب تخفيض ساعات الطيران للتوفير في الوقود والذخيرة واستهلاك الطائرة ايضا ، عدم كفاءة القيادة العربية ، ضعف الانظمة العربية السياسي ، بسبب انعدام التلاحم بين الحكم والجمهير في بعض الاحيان ، او عدم وجود بناء سياسي سليم ، وطبيعا ضعفها لا تمكنا من خلق نظام عسكري قوي . وباختصار كان ينقص الطيران العربي كل « عوامل الانتصار » الاسرائيلية مضافا اليها الضعف السياسي والاقتصادي .

وعدا ما تقدم فقد استفادت اسرائيل من طائراتها الى أقصى حد فبالاضافة الى الطلعات العديدة التي قامت بها كل طائرة ، جهزت طائرات التدريب من طراز فوغا ماجستير برشاشين ثقيلين وبعشرة صواريخ عيار ٦٨ و ٨٠ ملم لضرب اهداف ارضية . الا ان عامل الانتصار الاول الذي لم تذكره اسرائيل هو « روحها العدوانية » واستعدادها الدائم لانتهاز كل فرصة لضرب القوات العربية واضعافها ، دون ان تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاخرى ، مثل الالتزامات الدولية ، والرأي العام العالمي ، وهي امور بما زالت الدول العربية تضعها في المرتبة الاولى ، بالرغم من معرفتها الطويلة باسرائيل ان كون اسرائيل هي البائدة ذوما يعطيها الضربة الاولى والمفاجئة ، وهذه الضربة تكون في بعض الاحيان حاسمة ونجلاء كما في حرب حزيران .

شمشون المسكين : حتى ما قبل حزيران ، اعتمد الطيران الاسرائيلي على فرنسا لتزويده بالطائرات التي تفي باحتياجاته « الدفاعية » . ولم يلجأ الى الولايات المتحدة لان هذه كانت تتمتع عن تزويده بالطائرات كي لا يؤثر هذا على علاقاتها « الحسنة » - في ذلك الوقت - بالعرب . الا ان هذا لم يمنع قيام تعاون خاص وغير مباشر لتزويد اسرائيل بالسلاح ، فقبل حرب السويس عام ١٩٥٦ طلبت اسرائيل من فرنسا تزويدها بنحو ٦٠ طائرة من طراز ميسير ٤ سي ، ولما كانت هذه الطائرة قد صممت بأموال امريكية فقد كان اذن الولايات المتحدة ضروريا لكي تتمكن فرنسا من بيعها لاسرائيل ، وبالطبع لم تمنع الولايات المتحدة (٦). وحادثة اخرى روتها مجلة « افياشن ويك » الامريكية (٧) عن كيفية حصول اسرائيل على ٢٤ طائرة هيلوكبتر من طراز سيكورسكي اس - ٥٨ ، تم شراؤها من الولايات المتحدة بواسطة المانيا الغربية وكجزء من التعويضات الالمانية لاسرائيل ، وذلك خلال عشرة شهور بين عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، وبموافقة من قسم الاشراف على تجارة الاسلحة التابع لوزارة الخارجية الامريكية ، اضيف الى هذا العدد سبع طائرات اشترتها مباشرة من الولايات المتحدة (٨) .

وقد بدأت اسرائيل تتجه نحو الولايات المتحدة في اوائل عام ١٩٦٥ ، عندما زار افريل هاريمان ، السفير المتجول والمبعوث الخاص للرئيس جونسون ، اسرائيل وشاهد أعمال السوريين في تحويل روافد نهر الاردن ، وهو الامر الذي اعتبرته اسرائيل « عدوانيا ، ومهددا لامنها » . وقد اقتنعه رابين يومها بأن اسرائيل يجب ان تكون قوية حتى يمتنع العرب عن « تهديد امنها » ، وعلى اثرها رفع هاريمان توصية جارة بضرورة بيع السلاح علنا الى اسرائيل دون واسطة المانيا الغربية وفرنسا كما جرت العادة (٩). وبناء على توصية هاريمان هذا طلب من اسرائيل ان ترسل خبراءها الى واشنطن لكي يجروا محادثات حول قائمة الاسلحة المطلوبة ، خاصة الطائرات وقد أعد عيزر وايزمان قائد سلاح الطيران آنذاك قائمة بـ ٤٥ طائرة فانتوم و٦٥ طائرة سكاى هوك ، وبعد ان تشاور وايزمان واشكول حول كيفية الظهور بظهر الاقوياء والضعفاء في آن واحد ، اقوياء كما هم وضعفاء بحيث تكون هناك ضرورة لتزويدهم بالسلاح ، عندها قال اشكول جملته المشهورة والتي هي صورة عن سياسة اسرائيل في جميع المجالات « عليك ان تعرض اسرائيل كما لو كانت شمشون المسكين » (١٠). وفي ايار ١٩٦٦ نشر نبا رسمي عن ان الولايات المتحدة سوف تزود اسرائيل بطائرات تكتيكية « للاغراض الدفاعية » دون تحديد لنوع السلاح او كميته . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ اعلنت واشنطن رسميا بيع خمسين طائرة فانتوم لاسرائيل .

وقد رفعت صفقة الطائرات هذه الروح المعنوية في اسرائيل ، فلأول مرة تتزود بسلاح مجهزة ممتازا ، ولأول مرة توافق الولايات المتحدة على ان تبيع لاسرائيل طائرة هي طائرة الصف الاول نفسها لديها ، ومعاني هذه الصفقة السياسية أكبر بكثير من معانيها العسكرية خاصة وانها تأتي في اعقاب حرب الأيام الستة ، واحتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية . وبعد ذلك ببضعة اشهر قدمت اسرائيل طلبا ثانيا للحصول على ٢٥ طائرة فانتوم ومئة سكاى هوك ، وقد اجيب طلبها . ولم يتوقف تعهد الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بعدد معين من الطائرات بل تعدها الى قيام تعاون في ميدان صناعة محركات الطائرات ، وتعهدها بالحفاظ على « ميزان القوى » ، ولهذا عوضت اسرائيل عن خسائرها من الطائرات خلال حرب الاستنزاف . وزودتها بمعدات الكترونية خاصة للتشويش على اجهزة اطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، وبطائرات النقل الضخمة من طراز « هيركوليز سي ١٣٠ » ، وطائرات الهيلوكبتر الضخمة ، وطائرات الاستطلاع المتطورة والذخائر الحديثة . وجميع هذه المعدات والطائرات هي افضل ما تملك

الولايات المتحدة من سلاح ، وهي اسلحة جلفاء أمريكا الكبار نفسها . ألمانيا الفرنسية وبريطانيا واستراليا .

المقاتلات الاسرائيلية : ولتحقيق التوازن في الشرق الاوسط « وكي لا تتعجل اسرائيل بضرب العرب اذا ما شعرت بنفسها ضعيفة » (١١) كما قال عيزر وايزمان للمسؤولين الأمريكيين في معرض محاولته اقناعهم ببيع طائرات لاسرائيل ، فقد فتحت الولايات المتحدة مخازن اسلحتها على مصراعيها للدولة الصهيونية ، واصبحت المصدر الوحيد للطائرات من مختلف الانواع لاسرائيل ، وقد اضيفت هذه الطائرات لما تبقى من الطائرات الفرنسية الصنع لتكون القوة الجوية الاسرائيلية الحالية .

وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع استراتيجيته العسكرية الهجومية اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ، فجميع الطائرات الامريكية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم ، وان كانت تستعمل لجميع الأغراض ، مطاردة معترضة قاذفة ، الا انها وبسبب حملتها الكبيرة من المواد الحربية والتي تصل الى ٧٢٥٠ كيلوغراما ، ومداهها الواسع « ١٦٠٠ كيلومتر » (١٢) هي قاذفة اكثر منها مطاردة معترضة ، وكذلك السكاى هوك القاذفة الهجومية الخفيفة ، والتي تستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، وقد فضلتها اسرائيل على طائرات نورثروب ف ٥ ، رغم ان سرعة هذه الاخيرة تزيد عن ١٤٥٠ ماك (الماك يعادل سرعة الصوت) بينما لا تزيد سرعة السكاى هوك عن سرعة الصوت ، وذلك بسبب حملتها من القنابل ، وقدرتها الافضل على مهاجمة الاهداف الارضية ، وطائرة الفانتوم قاذفة مطاردة معترضة بمتمدين صالحة للاحوال الجوية كافة ، ومجهزة بمدفع دوراني عيار ٢٠ ملم من طراز « فولكان » ، وتستطيع حمل اربعة صواريخ جو - جو من طراز « سايدوندر » واربعة صواريخ جو - جو من طراز « سبارو » وذلك لعمليات المطاردة والاعتراض ، وعمليات الهجوم والقصف ١٤ قنبلة زنة ٤٥٣ كيلوغراما الواحدة ، او قنبلة واحدة زنة ٣ اطنان او ١٠ سبطانات اطلاق تحتوي كل واحدة على ١٨ صاروخا من عيار ٦٨ ملم ، او حمولات مختلفة لا يزيد وزنها عن ٧٢٥٠ كيلوغراما . والفانتوم طائرة جيدة من ناحية قدراتها عامة واجهزتها الالكترونية ، ويعطيها وجود ملاحين اثنين على متنها امكانية الاستفادة من هذه الاجهزة ، ودقة في التصويب والقصف .

اما السكاى هوك التي حملت العبء الاكبر في حرب الاستنزاف فهي طائرة هجومية خفيفة بمقعد واحد ، وقد اجرت اسرائيل عليها تعديلات كثيرة ، فاستبدلت مدفعها الاصلي عيار ٢٠ ملم بمدفع عيار ٣٠ ملم طراز « ديفا » (يصنع في اسرائيل بموجب ترخيص) واعدلت اجهزة الملاحة فيها ، وزودت بمعدات الكترونية افضل (١٣) . وتستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، بينها صواريخ مضادة للرادار طراز « شرايك » وقنابل انزلاقية طراز Walleye وهي غير القنابل ذات الدفع الصاروخي الفرنسية التصميم ، والمخصصة لتدمير مدارج طائرات العدو . والسكاى هوك سهلة الحركة وقادرة على الانقضاض العمودي .

اما المقاتلات الاخرى فهي من صنع فرنسي وهي من طائرات الصف الثاني ، باستثناء الميراج ٣ سي ، وهي مطاردة معترضة جيدة ، اكتسبت سمعة اكبر من قدرتها بعد حرب حزيران ، فالميراج في مستوى الميغ ٢١ ، بل ان الانواع الحديثة مثل الميغ ٢١ م ف تتفوق على الميراج ٣ سي . والميراج هي العصب الرئيسي لقوات الدفاع الجوي الاسرائيلي ، والوحيدة التي لم تموه من بين طائرات سلاح الطيران ، وتبلغ سرعة هذه الطائرة ٢٤١٥ ماك ، وهي جيدة من ناحية قدرتها على الاعتراض والمطاردة ، والقنابل سواء على ارتفاعات عالية ام منخفضة ، وتسليحها يتالف من مدفعين عيار ٣٠ ملم ، وبعضها مزود بصواريخ جو - جو طراز ماترا آر ٥٣ ، كما يمكن تزويدها بصاروخين جو - جو طراز

سايدوندر . ويمكن استخدامها لعمليات الهجوم الأرضي ، ولكن حمولتها متواضعة ولا تتجاوز ثنبلتين من عيار ٤٥٣ كيلوغراما او ما يعادل وزنها من المواد الحربية . وقدرات طائرات الصف الثاني متواضعة جدا بالنسبة للطائرات الحديثة سواء من ناحية السرعة او التسليح او الاجهزة التي تحملها ، فأسرع هذه الطائرات السوبر ميستير ، تتجاوز قليلا سرعة الصوت . اما الميستير فتبلغ سرعتها ٩٤٠ ، ماك والفوتور ٩٠٠ ، ماك ولا تزيد سرعة الاوريفان عن ٩٦٠ كم في الساعة .

وتزايد حجم القوة الضاربة في سلاح الطيران سيجعل منه مطرقة لضرب الاهداف العربية على مدى اكثر من ١٦٠٠ كيلومتر ، ولسنا بحاجة للقول ان اسرائيل ليست بحاجة الى مثل هذا النوع من الطائرات لاحتياجاتها « الدفاعية » ، فقوة الفانتوم الضاربة تعادل قوة اكثر من ٥ طائرات ميغ ٢١ . ومن هنا تتضح صعوبة المقارنة بالعدد بين الطائرات العربية والاسرائيلية وما تحمله هذه المقارنة من مغالطات (١٤) ، فربما كانت الطائرات الاسرائيلية اقل من ناحية العدد ، الا انها اقوى من ناحية كثافة النيران والمدى الذي تستطيع العمل فيه ، كما وانها افضل من ناحية قدراتها عامة ، واجهزتها الملاحة والالكترونية . والجدير بالذكر ان الفانتوم هي صنف من الطائرات غير موجود في سلاح الطيران السوفييتي ، وبالتالي فهو لا يستطيع تزويد العرب به ، فالسوفييت يفصلون بين القاذفات والمطاردات المعترضة ، ولا يجمعون هذه القدرات في طائرة واحدة كما في الفانتوم . كما ان القاذفات هي في أغلب الاحيان متوسطة او ثقيلة ، بالاضافة الى ان المصانع السوفييتية تركز على إنتاج الطائرات المعترضة الدفاعية ، كما في قائمة طائرات الميغ كلها وطائرات السوخوي ٩ و١١ باستثناء السوخوي ٧ . والطائرات السوفييتية مصممة لتوافق الاستراتيجية العسكرية السوفييتية والتي تطورت نتيجة للخبرات الضخمة التي حصلوا عليها في الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا .

ويزيد عدد المقاتلات وطائرات التدريب العاملة حالياً في الطيران الاسرائيلي عن ٤٥٦ طائرة مقسمة حسب الجدول رقم (١) (١٥) .

جدول رقم (١)

المقاتلات	الاستطلاع
فانتوم ٢	فانتوم
ميراج	المجموع
سكاى هوك	التدريب
ميستير	سينرنا « سكاى واجن »
سوبرميستير	بوتراير فوغا ماجستير
فوتور	باير « سوبر كوب »
اوريفان	المجموع اكثر من
المجموع	* ستنتج اسرائيل ١٠٠ طائرة من هذا الصنف.

ولا تشمل هذه القائمة الصفقات الجديدة والتي تتكون من ٤٢ طائرة فانتوم تسلمت اسرائيل منها ٩ طائرات بينها عدد من طائرات الاستطلاع و ٩٠ طائرة سكاى هوك آ - ٤ ام ، وهذا أحدث طراز من طائرات السكاى هوك ، والتي تسلمت اسرائيل منها ٢٥ طائرة ، وقد يصل عدد الطائرات الى ١٤٠ سكاى هوك و ٩٢ فانتوم في اواخر هذا العام . وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة مصدرة للطائرات الى اسرائيل ، تمكنت هذه من الحصول ولاول مرة على طائرات خاصة للاستطلاع مجهزة تجهيزا متطورا .

مبالأضافة إلى معدات الاستطلاع المعادية (١٦)، زودت بجهاز زادار متقدم للكشف الخاصي من طراز «جودير» Goodyear ونظام ارسال مباشر للمعلومات الى محطات ارضيه. ويلاحظ تناقص الطائرات الفرنسية باستمرار ، وذلك بسبب خسائر اسرائيل من هذه الطائرات وعدم قدرتها على تعويضها ، فمن ٧٥ طائرة اوريغان اشترتها قبل حرب السويس بقليل لم يبق سوى ٣٠ طائرة ، ومن اكثر من ٦٠ طائرة ميسير لم يبق سوى ٢٧ . ويختلف الامر بالنسبة للميراج التي تناقصت من ٧٢ الى ٦٠ طائرة ، وكانت قد راجت اشاعات في السابق عن تزويد حكومة جنوب افريقيا - والتي تنتج هذه الطائرة بموجب ترخيص خاص من فرنسا - لاسرائيل بعدد من هذه الطائرات (١٧) . ان خسائر اسرائيل الكبرى من الطائرات لم تكن ابان حرب السويس ، او حرب حزيران ، بل في حرب الاستنزاف ، حيث خسرت ٩ طائرات فانقوم و١٠ سكاى هوك عوضتها عنها الولايات المتحدة (١٨) . وتجدر الملاحظة هنا ان هذه الطائرات قد دخلت حرب الاستنزاف بعد الطائرات الاخرى . هذا عدا عن خسائرها في الميراج والطائرات الاخرى ، فقد ادعت اسرائيل بعد حرب حزيران مباشرة انها لم تخسر سوى اربع طائرات ميراج خلال الحرب ، فان صح هذا فانها خسرت ثمانى طائرات خلال حرب الاستنزاف يضاف اليها الطائرات التي قد تكون حكومة جنوب افريقيا قد قدمتها لها . وعلى الجبهة الاردنيه الضعيفة بالنسبة للجبهة السورية والمصرية خسرت اسرائيل ٦ طائرات جميعها من طائرات الصف الثاني (١٩) : اوريغان ، ميسير ، سوبر ميسير وفوتور ، وذلك بالمدافع المضادة السورية والعراقية التي كانت ترابط هناك .

وتقول اسرائيل بأنها ستسحب طائرات الميسير والسوبر ميسير والفوتور من الخدمة (٢٠) ، حين استلام الصفقة الجديدة من طائرات الفانتوم والسكاى هوك ، اما الاوريغان فقد سخبت فعلا كطائرة قتال لتقوم بأعمال التدريب . الا ان هذا لا يمنع استخدامها في القتال عند الضرورة كما حدث خلال حرب حزيران عندما استعملت طائرات التدريب الماجستير في العمليات الحربية ، واستخدام هذه الطائرات الصغيرة في العمليات الحربية مشروط بتحقيق السيطرة الجوية ، او بوجود حماية لها ، والا فانها تصبح فرائس سهلة للمقاتلات المتفوقة .

ويستخدم الطيران الاسرائيلي طائرة البايير «سوبر كوب» لتدريب المبتدئين ينتقل بعدها التلاميذ للطيران بطائرات الفوغا ماجستير للمقاتلين ، وطائرة سينزا «سكاى واجن» للفروع الاخرى في الطيران . وتستعمل طائرة السينزا هذه ايضا كطائرة مراقبة وارتباط للجيش - الذي لا يملك خدمات جوية خاصة به - ، اما بالنسبة لطيارى الهيلوكبتر فيعد الحصول على اجازة الطيران على الطائرة الاولى - البايير - يبدأون مباشرة في التدريب على الطائرات العمودية . وقد بدأ الطيران الاسرائيلي في استخدام طائرات الفوغا ماجستير المصنوعة بموجب ترخيص من فرنسا في اسرائيل ، في آب من عام ١٩٧٠ . وتتم طائرة الاوريغان مهمة طائرة الماجستير في التدريب وينتقل بعدها التلاميذ للتدريب على الطائرات المقاتلة العاملة .

خلاصة القول ان القوة الضاربة في سلاح الطيران الاسرائيلي قد تضاعفت بنسبة تزيد عن اثني عشر ضعفا منذ حزيران وحتى الان . ولاعطاء صورة عن حجم هذه القوة نقدم الارقام التالية : ان باستطاعة ١٠٠ فانقوم ومئتي سكاى هوك القاء اكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل في الطلعة الواحدة ، فاذا قامت هذه الطائرات بخمس طلعات كما في حرب حزيران ، فان هذا يعني ٧٥٠٠ طن في اليوم تلقيها الطائرات فقط . ولكن مهما بلغت قوة القصف هذه ، فان هناك فرقا بين القصف وتحقيق الاهداف ، وتقول احدى الاحصائيات في هذا الصدد ، انه في «حرب التبذير» هذه فان انقضاء على الجندي المعادي يحتاج الى اربعة اطنان من القنابل ، ولكن حتى هذه الارقام تبدو متفائلة جدا ، لانه لو صح ذلك

لكان قد قتل ٢٠٠٠٠٠ جندي فيتنامي في عام ١٩٧١ ، من قصف الطائرات فقط ، إذ ان الطيران الأمريكي قد أسقط في ذلك العام ٨٠٠٠٠٠ طن من القنابل فوق المراكز الشيوعية (٢١) وهو أمر لو صدق لكان الجيش الفيتنامي الشمالي قد أيد عدة مرات ومنذ زمن . وفي الحقيقة تلعب الوسائل الذكية التي يتبعها الفيتناميون في انتقاء الغارات الجوية ومقاومتها دورا كبيرا في تقليل الخسائر ، فبالإضافة الى عنف الدفاع الجوي الذي يمنع الطائرات الأمريكية من الاقتراب ، وبالتالي من تحقيق اصابات جيدة ، يستخدم الفيتناميون كما استخدم الكوريون في حرب ١٩٥٠ - ١٩٥٣ الانفاق بكثرة . وفي المدن توسع استخدام الملاجئ لتصبح مدارس ومستشفيات بل ومنازل تحت الأرض ، كما وان عمليات التضليل البارعة للطائرات الأمريكية جعلها توجه قنابلها في احيان كثيرة الى اهداف وهمية أو خاطئة . وبالرغم من وسائل الكشف الحديثة جداً التي يستعملها الأمريكيون ، فان طبيعة الأرض الفيتنامية تلعب دورا كبيرا في اخفاء الاهداف وتوحيها وبالتالي تقليل الخسائر .

النقل والهليكوبتر : لم يقتصر اهتمام القيادة العسكرية الاسرائيلية على المقاتلات بل شمل أيضا سلاح النقل ، وإهمية هذا السلاح راجعة في الاصل الى كون القادة العسكريين يشددون على المرونة في التكتيك والاستراتيجية ليضمنوا بذلك تفوقا ساحقا على القطعات العربية ، الامر الذي يدفعهم الى الحشد السريع لقواتهم في النقاط الملائمة ، بالإضافة الى عمليات الاختراق السريع أيضا للخطوط العربية . ويجب ان لا ننسى الأهمية التي بدأت تتبلور في استخدام طائرات النقل العمودية في عمليات عسكرية لمساندة قوات أخرى ، او في عمليات عسكرية منفصلة ، بالإضافة الى استعمال الناقلات في مهمات كثيرة ، في الحرب الإلكترونية ، وتزويد المقاتلات بالوقود في الجو . الخ . وتتكون طائرات النقل الاسرائيلية من طائرات فرنسية وأمريكية سواء منها القديم أو الحديث ، وقد كانت ألمانيا هي واسطة ايصال الكثير من هذه الطائرات الى اسرائيل ، ويضم سلاح الطيران الاسرائيلي حاليا أكثر من ١٢٨ طائرة نقل وطائرة هيلوكبتر مقسمة حسب الجدول رقم (٢٢) .

وأضخم هذه الطائرات هي الهيركوليز سي ١٣٠ ، وقد اشترتها اسرائيل مؤخرا من الولايات المتحدة ، وهي من أضخم الناقلات الأمريكية ، وقد استلمت اسرائيل بعضها منها

جدول رقم (٢)

الهليكوبتر*	طائرات النقل
١٠ سيكورسكي S-65C-3 (CH-53D)	٦ هيركوليز سي ١٣٠
٢٥ اغوستايل AB-205	١١ بويغ ٣٧٧ سترااتوكروزر
١٢ سوبر فريلون SA-321 K	١٠ دوغلاس سي ٤٧
١٠ الوبيت	٤ كورتييس سي ٤٦
٥ بيل 47G-3B	٣٥ نور اطلس
غير محدد 206 A	٤٦ جيت رانجر
٦٢ المجموع اكثر من	غير محدد
* كانت اسرائيل قد باعت طائرات السيكورسكي اس ٥٨ التي تحدثنا عنها في اول المقال بعد حرب حزيران .	٦٦ المجموع أكثر من

وتتسلم الباقي بمعدل واحدة في الشهر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٩٢ جنديا أو أكثر من ٢٠ طنا من المواد المختلفة ، وقد اشترت عددا لم تصنع عنه ، ولكن قد يتراوح ما بين ٦ و٧ طائرات (٢٣) . وأكثر هذه الطائرات عددا هي النورد اطلس ، وكانت اسرائيل تمتلك ١٥ طائرة من هذا النوع ، ثم اشترت ٢٠ طائرة كانت لسلاح الطيران الالماني الغربي (٢٤) ، وهي من صنع فرنسي ، وتقوم هذه الطائرة بالإضافة الى أعمال النقل الجوي وانزال المظليين بأعمال الدورية على طول الساحل الفلسطيني لاستطلاع القطع البحرية والغواصات . والبوينغ ٣٧٧ ستراتو كروزر هي أضخم هذه الطائرات بعد الهيركوليز ، وتزيد حمولتها عن ١٦ طنا . وتقوم هذه الطائرة بأعمال النقل المدني ، بالإضافة الى مهامها العسكرية ، وقد جهزت لتقوم بجهات مختلفة ، مثل تزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، بواسطة خزائين مثبتين تحت جناحي الطائرة ، وبعضها جهاز بمعدات الكترونية معقدة للقيام بأعمال التجسس والتشويش الإلكتروني . وقد أسقطت محر إحدى هذه الطائرات في أواخر عام ١٩٧١ بواسطة صاروخ سام ٢ ، عندما كانت تقوم بأعمال التجسس الالكترونية بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . ومثل الستراتو كروزر هناك الدوغلاس سي ٤٧ التي تستعمل أيضا لأغراض النقل المدني بالإضافة الى مهامها العسكرية وسوف تستبدل بعض الطائرات من هذا الصنف وطائرات كورتيس سي ٤٦ بطائرات جديدة من طراز عرفه الإسرائيلية الصنع ، والتي ستجهز للقيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات ، والتصوير الجوي والمراقبة ، ومركز قيادة طائر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا ، أو لنقل الجرحى حيث تستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة ، مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الاقلاع والهبوط من مدارج قصيرة وشبه معبدة . وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتستطيع نقل ٣٢ راكبا (٢٥) . وتطور صناعة هذه الطائرة سيجعل اسرائيل في غنى عن التزود بطائرات النقل الخفيفة من الخارج ، بل انها ستصبح مصدرة لهذا النوع من الطائرات . وتتكون قوة الهيلوكبتر من طائرات أمريكية وفرنسية ، وتعتمد اسرائيل على الطائرات العمودية في عملياتها العسكرية القتالية أكثر من اعتمادها على طائرات النقل الأخرى .

وكما في باقي الاصناف فقد زودت اسرائيل بأفضل الطائرات وأضخمها ، مثل السيكورسكي اس - ٦٥ (CH-53D) ، وهي الطائرة نفسها التي يستعملها مشاة البحرية الامريكويون ، وقد أجرت عليها القيادة الاسرائيلية بعض التعديلات (٢٦) ، كتركيب خزانات وقود إضافية لها ، ومصافي للرمل التي هي ضرورية جدا في الصحراء . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٦٤ جنديا ، وذلك خلافا للنوع الأصلي (CH-53) التي تنقل ٣٤ جنديا فقط ، ولا تعادلها من ناحية الحمولة الا طائرة ميل مي ٦ الروسية والتي تمتلك مصر عددا منها وتستطيع حمل ٦٥ جنديا . وفي الدرجة الثانية من ناحية الضخامة تأتي السوبر فريلون الفرنسية الصنع والتي تستطيع حمل ٢٧ - ٣٠ جنديا او ٤ - ٤،٥ طن من المواد المختلفة . وتلعب طائرات الهيلوكبتر دورا حيويا في العمليات الخاصة ، فخلال حرب الايام الستة قامت بانزال وحدات من جنود الكوماندوس خلف الخطوط المصرية في منطقة أبو عجيلة في شبه جزيرة سيناء ، وكذلك أنزلت قوات مشاة من لواء جولاني خلف الخطوط السورية في هضبة الجولان ، وخلال حرب الاستنزاف قامت قوات مجوقلة بعدد من العمليات الخاصة ، هي جزء من الحرب النفسية التي تشنها ضد العرب مثل عملية مطار بيروت ، وسرقت محطة متحركة للرادار المصري في ٢٦ كانون الأول ١٩٦٩ بواسطة طائرات سيكورسكي اس ٦٥ الضخمة ، وكذلك عملية ضد معسكرات القטיפه السورية ، كما قامت بعمليات عسكرية تساندها قوات من فروع أخرى في الجيش مثل عملية جزيرة شدوان ، والصرفند ، وبعض العمليات ضد قواعد الغدائين . ويرجع تفضيل الجيش الاسرائيلي استعمال طائرات الهيلوكبتر في هذه العمليات الى عدة اسباب تتعلق بقدرة الطائرة نفسها ، فهي تستطيع أنزال الجنود في مناطق لا تستطيعها

الطائرات المزودة ، والتخليق وانزال الجنود على ارتفاعات لا يستطيع الرادار كشفها وهذا يحقق للعمليات ، والى درجة معينة ، عامل المفاجأة ، هذا عدا عن قدرتها على إخلاء الإصابات فور انتهاء العملية ، وكون الجندي الموجه لا يحتاج السى اللياقة البدنية والتدريب العائين اللذين يحتاجهما جندي المظلات . ولكن العمل الأكبر معنى بالنسبة للمعنويات الاسرائيلية هو اعمال الانقاذ والاسعاف التي تقوم بها هذه الطائرة ، بشكل يمكنها من تخفيض خسائرها البشرية بسبب سرعة الاسعاف ، « وقد قامت طائرات الهيلوكبتر خلال حرب حزيران بانقاذ ١٤ طيارا من بينهم ٤ تحت نيران العدو و٨ في الأراضي العربية مستخدمة الطائرات العمودية » (٢٧) . ان تطور هذا السلاح وتضاعف قوته اسرائيل الضاربة سيمكثها من القيام بعمليات واسعة ، وربما السيطرة على مناطق عربية واحتلالها ، خاصة اذا عرفنا ان بإمكان سلاح النقل هذا نقل أكثر من ٣٥٠٠ رجل في الدفعة الواحدة ، اذا استخدمت الطائرات المزودة للمظليين وطائرات الهيلوكبتر للمشاة ، بجانب قدرة طائراته الضخمة على نقل السيارات المسلحة والمدركات الخفيفة . ويزيد من خطورة هذا السلاح ضعف التغطية الجوية وضعف شبكة المواصلات العربية ، بالإضافة الى ان أعدادا كبيرة من القوات العربية ما زالت راجلة (غير ميكانيكية) وهذا سيمكن العدو من الاستفراد بنقاط ضعف عسكرية ومدنية يختلف حجمها باختلاف حجم القوة الضاربة ، اي كلما زاد عدد الجنود الذين يستطيع العدو نقلهم الى الهدف ، زادت إمكانية عزل هدف أكبر وتدميره ، وذلك قبل ان تتمكن اي قوة من نجدة الموقع . « ولا تستخدم الهيلوكبتر في الجيش الاسرائيلي كأداة نقل او للمساعدة على المطارادات بل أداة قتال ايضا » (٢٨) وقد استخدمت طائرات الهيلوكبتر كأداة قتال في معركة الكرامة حيث كانت تقوم بكشف مواقع الفدائيين واطلاق النار عليهم ، وقامت بأعمال الدورية المسلحة في غور الأردن .

وكما رأينا فقد توسعت القوات الاسرائيلية في استخدامها لطائرات النقل والهيلوكبتر ، فلم تعد هذه مجرد أدوات لنقل الجنود والاعتدة والجرحي ، بل طائرات تجسس وتشويش الكتروني وطائرات دورية ومراقبة وتصوير ، ومقاتلات مضادة للقواصات تستطيع حمل قنابل طوربيد وقنابل اعماق ، وطائرات لتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، ولتدريب طياري المطارادات ، بالإضافة الى المهام الأساسية ، وجميع هذه المهام التي يستطيع سلاح النقل الجوي القيام بها ، بالإضافة الى قيمته في الحروب الخاطفة ، والحرب التقليدية ، والعمليات الخاصة ، تضعه في مكانة مرموقة ، بالرغم من انه ليس سلاح صدام مباشر .

الحرب الالكترونية : ظهر تعبير الحرب الالكترونية في فترة حرب الاستنزاف ، وكلمة حرب هنا لا تعني حربا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هي اشارة الى كون بحوار الارادات مع المنجزات العلمية ، هذا الحوار الذي تستخدم فيه معدات الكترونية بالغة التعقيد . فعندما انشأت مصر شبكة صواريخ سام على طول القناة ، لحماية اراضيها من هجمات الطائرات الاسرائيلية (وهذه الصواريخ توجه نحو اهدافها بواسطة الرادار) قامت الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بمعدات خاصة لرصد هذه المحطات والتشويش عليها ، وقد جهزت طائرات النقل الضخمة من طراز بوينغ سي ٩٧ (٢٩) ، لتقوم بهذه المهمة . والتشويش على الرادار من شأنه تضليل الصاروخ عن هدفه ، ولكن في هذه الحالة يمكن توجيه الصاروخ بوسائل أخرى . ايسر لا يمكن التشويش عليها ، وان كانت اقل فاعلية ، لذلك فقد زودت طائرات الفانتوم بأجهزة انذار تنبه الطيار الى الخطر المحقق ، ليتمكن من الافلات بحركة مناسبة ، ومن الجدير ان نذكر هنا ان مصر اتبعت خطة الاطلاق الجماعي للصواريخ ، حتى اذا ما تمكن الطيار من الافلات من أحدها فلن ينجو من

الأخر . ومهما يكن من أمر فإن مجرد وجود هذه الشبكة ، يعني أنه لن يكون في وسع الغائبات الوصول بسهولة الى أهدافها ، خاصة إذا كان الهدف يقع ضمن مجال هذه الصواريخ لذلك فلا بد من ضربها وتدميرها . ولهذا زودت اسرائيل بصواريخ «شرايك» المضادة للرادار ، وهو صاروخ جو - أرض يلاحق الذبذبات التي تطلقها أجهزة رادار الصواريخ المضادة للطائرات الى مصدرها ويدهرها ، وقد تمكن الفيتناميون الشماليون من ابطال مفعوله باقتال أجهزة الرادار في الوقت المناسب فتوقف اصدار الذبذبات يفقد الصاروخ الهدف ، الا ان الأمريكيين زدوه بذاكرة بحيث يواصل الاتجاه نحو الهدف بالرغم من اقفال الاجهزة . وتقول مجلة الطيران والبحرية الإيطالية ان الاسرائيليين قد استعملوا هذا الصاروخ ، انتقاما لاسقاط طائرة التشويش الالكتروني بوينغ سي ١٧ في اواخر عام ١٩٧١ ، في ضرب مواقع الصواريخ المصرية ، ولكن بنتائج طفيفة جدا (٣٠) . وتستطيع الطائرات اطلاق صاروخ شرايك من مسافة تتراوح بين ١٢ - ١٦ كيلومترا ، وتبلغ سرعته ضعفي سرعة الصوت ، ومن الممكن تضليله باطلاق ذبذبات وهمية من اجهزة خاصة بعيدة عن اجهزة الرادار الحقيقية . وهناك مفاوضات لشراء اهداف طائرة ، وطائرات استطلاع بدون طيار من طراز ريان فايبري ١٤٧ (٢١) وهذه الطائرة تحمل في داخلها اجهزة ملاحية دقيقة ، وتطير حسب خط مبرمج موضوع في اجهزتها الداخلية ، وهي مزودة بنظام تصوير خاص للبحث المباشر الى محطات ارضية . وتستطيع ان تطير لمدى ٤٠٠٠ كيلومتر دون التزود بالوقود وعلى ارتفاع ١٨٠٣٠٠ متر . امنا الاهداف الطائرة فهي مستعملة في الاصل لتدريب طياري المباردات ، ووحدات الدفاع الجوي ، الا ان هناك دراسات لجعل هذه الاهداف قادرة على حمل قنبلة زنة ٢٣٠ كيلوغراما تحت كل جناح وتوجيهها لضرب اهداف ارضية . ويعتقد الخبراء الأمريكيون انها قادرة على ضرب اهداف تحميها صواريخ سام ٢ ، وسام ٣ ، او استعمالها لامتصاص جزء من قوة شبكة الصواريخ المضادة ، وذلك باطلاقها فوق هذه الشبكة ، فتنطلق الصواريخ عليها لاسقاطها ، ظنا منها انها طائرات مقاتلة ، وذلك تمهيدا لهجوم حقيقي تشنه طائرات يقودها طيارون . ويمكن اطلاق هذه الطائرات والاهداف من الارض ، او من طائرة أم ، وتستطيع طائرة هيركوليز الضخمة حمل اربعة من هذه الاهداف تحت جناحها ، فوزن اقل هذه الطائرات يبلغ ١٥٨٨ كيلوغراما اما طولها فيتراوح بين ٧ - ٨٠٨٠ متر . وتتمكن اسرائيل بطائرات التحسس هذه من القيام بعمليات استطلاع في عبق الارض العربية دون ان تخشى حدوث خسائر بشرية ، بالاضافة الى هذا فسوف تقلل هذه الطائرات من خسائرها اذا ما حاولت خرق شبكة الصواريخ المصرية . ومن المؤكد ان لعبة الحرب الالكترونية هذه ليست بهذه البساطة ، فاذا ما اقلحت هذه الاهداف في خداع شبكات الرادار المصرية مزة فسوف يكون من الصعب ان تخدعها مرة ثانية ، واذا ما اكتشف المصريون وسيلة لاتقاء صاروخ شرايك ، فسوف يمضي وقت طويل قبل ان يتمكن الاسرائيليون من ايجاد حمل مضاد ، وبالطبع ، ففي حالة وجود عمليات عسكرية ، فلن تتوقف هذه العمليات في انتظار ان يجد الاسرائيليون الحل .

ونذكر هنا بعض الوسائل والاسلحة التي يستخدمها الأمريكيون في فينتام لمواجهة صواريخ سام ، حيث ان هذه الخبرات والاسلحة تصب فوراً في جعبة العدو الصهيوني لتجربتها في المنطقة ، فقد استعمل الأمريكيون في عملياتهم الاخيرة في فينتام قنبلة جديدة سموها القنبلة الذكية "Smart Bomb" وهي تقودها اشعة لاسر (ليزر) ، وتضبطها كاميرا تلفزيونية "Telecamera" ، وقد حاز الأمريكيون بواسطتها على دقة عالية في التصوير ، حتى على ارتفاعات عالية . ويعتقد بأن هذه القنبلة هي الصاروخ نفسه المسمى مافيريك "Maverick" من انتاج شركة هيوز - اريزونا ، وهو صاروخ جو - أرض ، والذي له نظام توجيه خاص ، مكون من كاميرا تلفزيونية موجودة في مقدمه الصاروخ ، تسمح المنطقة المراد قصفها بحثاً عن الاهداف ، وترسلها الى شاشة صغيرة

أمام الطيار ، ويبدأ عمل الصاروخ وهو ما زال معلقاً في الطائرة ، فعندما يشاهد الطيار الهدف المراد ضربه يوقف الصورة على ذلك الهدف ، ويطلقه فيتوجه الصاروخ مباشرة نحو الهدف الذي حمل صورته . وتستطيع طائرة الفانتوم حمل ستة صواريخ من هذا النوع على غلاقتين وهو يعمل بالوقود الصلب ، ووزنه ٢٢٧ كيلوغراماً وطوله ٢،٤٤ متر وقطره ٣٠ سم .

الدفاع الجوي : ليس ثمة سلاح منفصل تماماً اسمه الدفاع الجوي ، بل ان هذا السلاح يتكون من عدة اقسام ، تتجمع لتكون ما يعرف بالدفاع الجوي . ويتكون الدفاع الجوي الاسرائيلي من ١ - الطائرات المعترضة ، وتشكل المراج ٣ سي عصبها الرئيسي ، وكما سبق وقلنا فهذه الطائرات مسلحة بصواريخ ماترا آر ٥٣٠ وصواريخ سايدوندر ، وتعاونها في ذلك طائرات الفانتوم التي تحمل ثمانية صواريخ جو - جو من طراز سايدوندر وسبارو (٢٢) وطائرة الفانتوم جيدة للقتال الاعمى والليلي ، وفي قدرتها الممتازة على الصعود والارتفاع بسرعة ٩ كيلو مترات في الدقيقة ، ولكن المراج اكثر كفاءة في المطاردة النهارية وعلى الارتفاعات المنخفضة ، وتقوم بعض طائرات الصف الثاني ايضا باعمال الاعتراض مثل الميسير والسوبر ميسير ، وهذه مسلحة بمدافع من عيار ٢٠ ملم ، ولا تحمل صواريخ جو - جو . وباستثناء الطائرات المطاردة ، فان الدفاع الجوي الاسرائيلي لم يحظ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظي به سلاح الطيران والاسلحة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني انه اهمل كليا .

٢ - الانذار - ويتكون من شبكة جيدة من الرادار ، وتعمل اسرائيل حالياً على تجديد هذه الشبكة وتقويتها ، فقد ذكرت مجلة افياشن ويك الامريكية (عدد ١ آذار ١٩٧١) « ان شركة هيوز تضع دراسة تمولها اسرائيل لانشاء جهاز دفاع جوي يمكن السيطرة عليه بالالات الحاسبة الالكترونية ، وتجاول اسرائيل تحسين اجهزة دفاعها الجوي ، بشراء اجهزة رادار جديدة وزيادة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات من نوع هوك » . ولا تتوقف عملية الانذار على اجهزة رادار الدفاع الجوي ، بل تتعداها الى اجهزة رادار البحرية . ويمكن تجهيز سفن الصيد الصغيرة بمعدات بسيطة لتقوم باعمال المراقبة والانذار ، بالإضافة لوسائل الكشف العصرية . وفي بلد عسكري مثل اسرائيل يستطيع كل جندي او مستوطن في الكيبوتسات ، شبه العسكرية ، ان يقوم باعمال المراقبة بالعين المجردة او المناظير ، والانذار ، تساعدهم في ذلك شبكة ممتازة من المواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ - التصدي ، في العادة تكون المطاردات جاهزة دوماً للتدخل لرد اي هجوم خارجي ، ولكن في حال عدم تمكن المطاردات من الدفاع عن بعض المناطق تتولى البطاريات ووحدات الصواريخ المضادة للطائرات القيام بهذه المهمة ، وقد سلحت اسرائيل بمدافع رباعية عيار ٢٠ ملم ، وتطلق هذه المدافع النار من اربع فوهات في وقت واحد (٢٢) وتعطي كثافة نيران جيدة ، يضاف لهذه مدافع من عيار ٣٠ و ٤٠ ملم . وتستخدم المدافع عيار ٢٠ ملم لصعد الطائرات التي تحلق على ارتفاعات منخفضة اما المدافع الاخرى فللطائرات التي تحلق على ارتفاعات اعلى .

والجزء الثاني من الوحدات المضادة للطائرات هي صواريخ هوك ، وكانت اسرائيل قد حاولت اكثر من مرة الحصول عليها ، الى ان تمكنت من ذلك عام ١٩٦١ ، مقابل اصوات الناخبين اليهود للرئيس كنيدي . والهوك صاروخ جيد ، وهو صاروخ الدفاع الجوي الرئيسي لدى قوات حلف شمالي الاطلسي ، الا ان الدول التي تملكه تحاول الان ابداله بصواريخ احدث (٢٤) ولدى اسرائيل تسليح كتيبتين من صواريخ هوك (٢٥) . وهو صاروخ متوسط المدى ، (مداه ٣٥ كيلو متراً) ويتتبع الحرارة التي يشعها عادم الطائرة . ومن الجدير بالذكر ان اصابة هذا الصاروخ تخفض بنسبة كبيرة في ايام الصيف الحرارة ،

خاصة في منطقة صحراوية مثل سيناء حيث تزيد درجة الحرارة عن ٤٠ درجة مئوية في الأيام العادية . وتتمركز هذه الصواريخ حول مدينة تل ابيب وفي جبهة قناة السويس . ونشر هنا الى ان الدفاع الجوي الاسرائيلي يبقى ضعيفا بسبب الوضع الجغرافي الاسرائيلي ، حيث تستطيع الطائرات العربية ، خاصة المرابطة في الجبهة الاردنية (٣١) والسورية ، الوصول الى اكثر الاهداف حيوية في فلسطين المحتلة وضربها خلال دقائق معدودة ، فان ضيق مساحة الارض لا يعطي الدفاع الجوي الوقت الكافي للانذار والتصدي للغارة .

المطارات : عندما انسحبت القوات الانجليزية من فلسطين عام ١٩٤٨ تركت فيها ١٢ قاعدة جوية ومطارا عسكريا وثلاثة مطارات مدنية هي حيفا والدوتل ابيب ، وقد عملت السلطات الصهيونية على زيادة هذه المطارات ، وحسن بعضها واهمل البعض الاخر ، وذلك تبعا لمتطلبات الدفاع الاسرائيلية الجديدة . وبالرغم من صعوبة اعطاء معلومات دقيقة في هذا المجال ، الا انه يمكن التأكيد بان هناك عددا جيدا من المطارات ، وعدا عن ذلك يمكن استخدام بعض الطرق العريضة والمرصوفة بشكل يسمح لها باستقبال الطائرات مثل طريق حيفا - تل ابيب ، كسراصي هبوط عند الحاجة . وقد عنيت السلطات الاسرائيلية بتحسين بعض المطارات المهمة مثل قاعدة رامات دافيد في شمال فلسطين ، حيث قامت بتحسينها على الطريقة السويدية ، بإنشاء ملاجئ للطائرات والذخيرة والوقود ، تحت الارض (٣٧) . ولكن اذا كان التحسين قادرا على حماية الطائرات ، الا انه لا يكفي لتخافط الطائرات على قدرتها على التحليق والتصدي ، فلا بد من وجود عدد كاف من المطارات . ويعتقد البعض ان لدى اسرائيل اكثر من ٦٠ مطارا ، ولكن هذا العدد مبالغ فيه ، فلا يمكننا اطلاق اسم مطار على كل طريق تستطيع ان تنزل فيه طائرة ، وهناك اعداد من المطارات الصغيرة التي لا يزيد طول مدرجها عن الف متر ، معدة لاستقبال الطائرات السياحية الصغيرة ، او لاستعمال نوادي الطيران ، او للطائرات الزراعية ، ويمكن استخدام هذه المطارات لاستقبال طائرات النقل العسكرية من طراز عرفه ، الا انها غير قادرة على استقبال المقاتلات الحديثة او طائرات النقل الضخمة . وفي الواقع فان زيادة عدد المطارات يخفف تأثير الضربة الاولى ، او الضربة الانتقامية ويزيد من امكانية الاستفادة من الطائرات ، خاصة طائرات النقل . ولهذا فقد قامت القوات الاسرائيلية بإنشاء عدد من مطارات الميدان ، بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . وقد استفادت في الضفة الغربية من المطارات الانكليزية القديمة مثل مطار الجفتلك وقامت باصلاح مناطق ورفنها لاستقبال طائرات النقل ، كما فعلت في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس . وعادة لا تحتاج مطارات الميدان هذه الى رصفها بالاسمنت ، بل تكفي رصفا من الحجارة والرمل ، وحيثا يكفي تسوية الارض ، وبالطبع من الصعب اطلاق كلمة مطار على هذه المدرج التي تستعمل ايضا لهبوط طائرات الارتباط ، او طائرات المراقبة وضبط رمية المدفعية .

وقد استولت القوات الصهيونية على ثمانية مطارات مصرية في سيناء خلال حرب حزيران ، بالاضافة لمطار مدني اردني هو مطار قلنديا قرب القدس . ويتضمن الملحق المثبت في نهاية المقال قائمة بالمطارات الاسرائيلية حسب افضل المعلومات المتوفرة ، وبأهم القواعد العسكرية مثل رامات دافيد ، وعافر وحانتسور ، والمطارات المدنية مثل البلد وحيفا وايلات والقدس ، بالاضافة للمطارات المدنية والقواعد العسكرية الاصغر والمطارات التي قد تنفيذ الجهود الحربي الصهيوني ، حيث يمكن استخدامها في اعمال الامداد والتجوين او لنقل الجرحى . وكذلك المطارات المستعملة كقواعد طيران او لاستقبال الطائرات السياحية . كما يتضمن الملحق قائمة بمراكز وحدات الرادار الثابتة والمتحركة التابعة للدفاع الجوي الاسرائيلي . ومما لا شك فيه ان مراكز وحدات الرادار

قد تغيرت بعد نشوء وضع دفاعي جديد في المنطقة . فقد انشئت مراكز جديدة للرادار على جبل الشيخ ، وفي سيناء وبالقرب من مضيق تيران .

صناعة الطائرات الحربية

عندما حصلت مصر على طائرات الميغ ١٥ و ١٧ زودت اسرائيل بطائرات الميستر . وعندما حصلت الاولى على طائرات ميغ ٢١ ، اشترت الثانية طائرات الميراج الفرنسية ، ولكن لم يخل شراء اسرائيل للطائرات في كثير من الاحيان من الضغوط ، ولو ان هذه الضغوط كانت للتخفيف من سياستها العدوانية والتوسعية ، او لعدم استعداد الدول الكبرى للدخول في صراع بسبب من سياسة اسرائيل . ولذلك فقد عمدت السلطات الاسرائيلية الى انشاء صناعتها الخاصة للطائرات والاسلحة . وبعد الحظر الذي فرضه الجنرال ديغول على تزويد اسرائيل بالاسلحة بعد حرب حزيران نشطت اسرائيل في تقوية صناعتها هذه ، ونشطت معها اجهزة المخابرات التي تمكنت من الحصول على تصاميم طائرة الميراج ٥ من سويسرا ، و عدا ذلك فقد سافر أحد كبار مهندسي مصانع الطائرات الاسرائيلية الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفي جيبه ٢٠ شيكا قيمة كل منها مئة الف دولار ، و ٢٠ عقدا لتقنيين في كل فرع من فروع الطيران واستغلت الحكومة الاسرائيلية فترة « الكرم » الأمريكي للحصول على مصانع واجازة لصنع المحرك جي ٧٩ ، وهو أحد المحركين العاملين على طائرة الفانتوم ، وبدأت هكذا في « تصميم » اول طائرة مقاتلة لها سمتها السوبر ميراج . وهكذا بدأت مصانع الطائرات الاسرائيلية العمل في مشروعها الاول والذي أطلقت عليه اسم « سالفو » Salvo ، وهو لطائرة نفائثة تطير بمحرك من طراز جنرال إلكتريك جي ٧٩ ، وتزيد قوته عن قوة محرك طائرة الميراج ٥ بنسبة ٢٠٪ . وتصاميم هذا المشروع مأخوذة عن تصاميم الميراج ٣ سي والميراج ٥ ، ولكن العمل بهذا المشروع مالمبت ان جمده (٢٨) ليبدأ العمل بمشروع ثان هو « الستارة السوداء » Black Curtain (وقد سمي كذلك نظرا للسرية التي طور بها) وتعمل هذه الطائرة بالمحرك المذكور نفسه الا ان تصاميمها مأخوذة عن طائرة الميراج ٥ فقط وتدعي اسرائيل بانها ستجمد هذا المشروع ايضا في حال استلامها الصفقة الاخيرة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك التي اوصت عليها (٢٩) . ومما لا شك فيه ان انتاج اسرائيل للطائرات ذات الكلفة العالية لا يناسبها ، خاصة وانها تحصل في الوقت الحاضر على احتياجاتها من السلاح من الولايات المتحدة مجانا ، او بموجب قروض تنقلب الى مساعدات في المستقبل . ان الخطر الوحيد الذي قد يشكله انتاج الطائرات الحربية في اسرائيل هو انعقادها تماما من « الضغط الاجنبي » المتعلق بسياستها في المنطقة ، وهو أمر عرفت اسرائيل كيف تتخلص منه في معظم الاحيان . ومن المهم ان نشير الى ان مستوى طائرة « السوبر ميراج » لن يرتفع عن مستوى طائرة الميغ ٢١ م ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار قوة دفع محرك الفانتوم المستعمل على السوبر ميراج الاسرائيلية (٣٨٥،٥ كيلو غراما) وقارناه بقوة دفع محرك الميغ ٢١ م (٥١٠٠ كيلو غرام) وعلاقة قوة الدفع بالوزن هي التي تقرر السرعة ، وعلى الرغم من اننا لا نعرف وزن طائرة السوبر ميراج ، الا انه من الصعب انتاجها لتكون اخف من طائرة الميغ ٢١ والتي هي من اخف الطائرات التي في مستواها وزنا .

وقد لاقى البدء في تصميم الطائرة الاسرائيلية معارضة شديدة في بعض الاوساط ، وحثهم في ذلك ان معامل داسو لا تنتج سوى ٤٢٪ من الطائرة والباقي تنتجه أكثر من ٥٠ شركة ومصنعا ، ومعظم هذه المصانع المساعدة غير متيسرة لاسرائيل (٤٠) . وفي الحقيقة فان هذا الامر قد يزيد من كلفة الطائرة ، حيث ستضطر الى شراء ما ينقصها من الخارج ، كما وان سرعة الانتاج قد تتأثر بسرعة تسليم المصانع الاجنبية للمعدات المطلوبة ، ولكنه لن يؤثر على انتاجها . ومن المهمات التي عهد بها الى مصانع الطائرات

الاسرائيلية ، اجراء التعديلات المناسبة على الطائرات التي يزود بها سلاح الطيران ، واعمال الترميم والصيانة للطائرات القديمة والمعطوبة . ومن المهم ان نذكر ان القيادة العسكرية في اسرائيل كانوا يطلبون اجراء تعديلات كثيرة على الطائرات التي يوصون عليها ، وهي تعديلات لا يمكن القيام بها في اسرائيل لاسباب فنية ، واشهر مثال على ذلك ان عيزر وايزمان قد طلب من شركة داسو اجراء اكثر من ٥٠٠ تعديل على طائرة الميراج ٥ ، والتي كانت اسرائيل قد اوصت على ٥٠ منها في اواخر عام ١٩٦٦ ، مما دفع هذا الاخير الى القول في حفل عشاء في السفارة الاسرائيلية في باريس وبحضور سيرج داسو ابن مصمم الطائرات المشهور « انها طائرة اسرائيلية الآن » وقد اثار هذه العبارة استياء شديدا في الاوساط الفرنسية (٤١) . وكما قلنا تنتج المصانع الاسرائيلية حاليا طائرات التدريب النفاثة من طراز فوغا ماجستير (٤٢) بموجب ترخيص خاص ، وقد بدأت بانتاج طائرة النقل الخفيفة (عرفه) وبواقع ٤ طائرات في الشهر ، كما تنتج قطع الغيار لطائرات سلاح الطيران الاخرى . وقد برزت اهمية انتاج قطع الغيار بعد الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل وامكانية تعطيل الطائرات الفرنسية الصنع في الطيران الاسرائيلي . وتنتج مصانع اخرى جميع انواع الذخيرة المستعملة على الطائرات ، باستثناء بعض الاسلحة والذخائر الخاصة ، كما وتنتج الصواريخ جو - جو من طراز « ماترا » الفرنسي والمدافع الرشاشة طراز ديفا وذلك بموجب ترخيص (٤٣) .

خاتمة - هذا هو سلاح الطيران ، وقد سبق وقيل بان اسرائيل هي جيش يمتلك دولة ، ويبدو ان هذا القول قد تطور اكثر بحيث اصبح سلاح طيران يمتلك دولة ، ومن الواجب ان نعترف بان النجاح الذي حققته الاسرائيليون بسبب هذا السلاح هو الذي دفعهم الى تنميته وتطويره ، ليصل الى ما هو عليه . ولكن ورغم كل شيء سيبقى سلاح الطيران قوة مساندة للقوات البرية وستكون هناك دوما وسائل للتغلب عليه او تخفيف مفعوله ، واكبر مثل حي على ذلك هو فينتام رغم ان الاختلاف في القوة بيننا وبين العدو الاسرائيلي ليس هو الفارق نفسه بين فينتام والولايات المتحدة ، وبالتالي فان امكانات النجاح لدينا اكبر بكثير . ويجب ان نعرف بان مصاعبنا مع اسرائيل ليس سببها سلاح الطيران او القوة العسكرية الاسرائيلية ، بل مصاعبنا في تخلفنا نحن في جميع المجالات ، **سلاح الطيران ليس الثقل الوحيد في الميزان** ، بل هو جزء من القوة العسكرية وهذه القوة هي محصلة لكل مصادر القوة في اي دولة ، ويقررها وضع البلد الاقتصادي ، ونظامها السياسي والاجتماعي ، ومكانتها الدولية ، ووضعها الجغرافي والسكاني . ولو تمكنا من الاستفادة من هذه المصادر وتنميتها او تنظيمها لاصبح سلاح الطيران ، والقوة العسكرية الاسرائيلية مسألة هينة لا يحتاج حلها الى الكثير من العبقرية . وكما قلنا في اول الموضوع ، فان اسرائيل تتجه لتصبح قاعدة جوية ضخمة ، وهي تطور استخدام هذا السلاح يوما بعد آخر ، ليصبح الاداة العدوانية الاولى . فلم تستعمل اسرائيل سلاح الطيران خلف الخطوط العربية قبل عام ١٩٦٤ (٤٤) ، وقد استخدمته اول مرة في اواخر عام ١٩٦٤ ، وذلك للرد على القوات السورية التي قصفت مستعمرتي « دان » و « دفنة » كما ادعت السلطات الاسرائيلية ، وعندما لم يثر هذا العمل ردود فعل دولية ، اعتمدته السلطات الاسرائيلية كوسيلة « لتأديب » العرب ، فبعد ضرب المواقع العسكرية بالطائرات بعد حرب حزيران ، وخلال حرب الاستنزاف ، قامت بقصف بعض القرى العربية بشكل خفيف كما فعلت بالقرى الاردنية من قبل واللبنانية الان ، وسوف تتجاوز الى تدمير هذه القرى تماما لتضرب بعدها المدن . وكما قلنا تنمو اسرائيل لتصبح قاعدة جوية استعمارية ، مثل القواعد الامريكية في الهند الصينية ، بفارق كون اسرائيل اشد رسوخا ، وكون مسؤوليتها اكثر استقلالا ، ومن المهم ملاحظة استخفاف اسرائيل بالروابط الدولية ، وهذا ما كانت لتستطيعه دولة صغرى لولا دعم المعسكر الامبريالي لها ، كمحافظة على مصالحه في المنطقة ، ولولا قوة مركز اسرائيل الاعلامي الذي يسح

لها بتغطية كل افعالها الشنيعة . يؤكد هذا تطاولهم حتى على « أصدقائهم » وليست بعيدة محاولتهم سرقة طائرات مراح ٥ من فرنسا ، وسرقتهم أيضا للزوارق الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ، وسرقتهم لتصاميم طائرات المراح ٥ من سويسرا وبأخرة كاملة تحمل قطع غيار لطائرات المراح من ميناء انفيرس البلجيكي او حتى اختطافهم للطائرات من بريطانيا وامريكا اثناء حرب فلسطين ، كل هذا يجعل من اسرائيل قوة لا تلتزم بالحد الأدنى من الارتباطات او الصداقة الدولية ، او القيم الخلقية الدولية .

ملحق

اراضي النزول في اسرائيل

- ١ - الرملة
- ٢ - كفار جمعاي
- ٣ - يفتليل
- ٤ - جوليس
- ٥ - ساديه بوكر
- ٦ - كتسيموت
- ٧ - عين حصب
- ٨ - ساديه ابراهام
- ٩ - متسايبه رامون
- ١٠ - عين جدي
- ١١ - كفار يروحام
- ١٢ - سدوم
- ١٣ - بير منوحا
- ١٤ - مراد
- ١٥ - صرند
- ١٦ - تمناع
- ١٧ - ويلهنا

محطات الرادار الاسرائيلية

- ١ - مواقع ثابتة
- ١ - صند - معسكر جبل كتمان
- ٢ - جبل ميرون
- ٣ - حيفا
- ٤ - بات جاليم - داخل المعسكر
- ٥ - رامات دافيد - داخل المطار
- ٦ - اللد - داخل المطار
- ٧ - عاقر - داخل المطار
- ٨ - حاتسور - داخل المطار
- ٩ - اريحا - على جبل اريحا
- ١٠ - مزار - يعقود بان الاولى للانداز
- ١١ - جديرا - والثانية لتوجيه المقاتلات

المطارات في اسرائيل

- ١ - رامات دافيد (نهال)
- ٢ - عاقر (تل توف)
- ٣ - حاتسور (قسطينا)
- ٤ - كفار سركين (بتاح ، تكفا)
- ٥ - حاتسريم - قاعدة كلية الطيران
- ٦ - البصة - البصة
- ٧ - اللد
- ٨ - تل ابيب (دوف هوز)
- ٩ - القدس الجديدة
- ١٠ - حيفا
- ١١ - ايلات
- ١٢ - مسادا (بار يهودا)
- ١٣ - عين شمير
- ١٤ - هرتسليا
- ١٥ - الغالوجا
- ١٦ - بيت دراس
- ١٧ - روشينا (الجامعة)
- ١٨ - سان جين
- ١٩ - البروة
- ٢٠ - ابو رفيع
- ٢١ - ماجدو
- ٢٢ - دهبونا

المطارات العربية في المناطق المحتلة

- ١ - قلنديا - مطار مدني اردني
- ٢ - العريش
- ٣ - النسر
- ٤ - المليز
- ٥ - تمادة
- ٦ - ابو رديس
- ٧ - ابو زينه
- ٨ - الطور
- ٩ - شرم الشيخ

ب - مواقع مؤقته

ج - محطات الرادار داخل سيناء

- | | |
|-----------------------------|-----------------|
| ١ - سان جين | ١ - التل الاحمر |
| ٢ - عسفيا | ٢ - ام خشبت |
| ٣ - جمعات اولجا | ٣ - رأس سله |
| ٤ - تل اييب - شمالي تل اييب | ٤ - متلا |
| ٥ - القدس - غربي القدس | ٥ - رفح |
| ٦ - حاتسريم - داخل المطار | ٦ - بير العبد |
| ٧ - ايلات | ٧ - ام رجام |
| ٨ - صرغند | ٨ - جبل بخلق |

- ١ - زئيف شيف ، هارتس ، ١٤/٤/١٩٧٢ .
 ٢ - فيك فانس ، وبيار لوير ، حريفنا ملح
 اسرائيل (دار النهار للنشر - بيروت ١٩٦٨)
 ص ٥٤ .
 ٣ - سيف ، دان ، بن فورت ، انشاء وتطوير
 سلاح الطيران الاسرائيلي (دار العودة - بيروت)
 ص ٢١٠ .
 ٤ - المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

٥ - قالت هارتس عدد ١/٦/١٩٧١ (ان ثلاثة انتصارات حاسمة على الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق ثقة مجالع فيها ...)
 ويبدو انه بسبب هذه الثقة يصاب الاسرائيليون « بشطحات » اسطورية عن تفوقهم ، فقد ادعى هؤلاء بان طائرة من طراز اوزيغان (سرعتها ٩٦٠ كم / ساعة) قد تمكنت من اسقاط طائرة ميغ ٢١ (سرعتها ٢٣٣٥ كم / ساعة) تبين فيما بعد انها ضربتها غيبا كانت تم بالاقتراع اي في أسوأ حالاتها ، ويبدو انها تمكنت من الارتفاع بضعة امتار حين اصيبت فعدوا ذلك مجازة تامة .

- ٦ - مجلة الإنا الدولية Alata International الإيطالية عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .
 ٧ - عدد ٣١ اب ١٩٦٧ .
 ٨ - باعت اسرائيل هذه الطائرات بعد حرب حزيران . الإنا الدولية ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .
 ٩ - « سيف ، دان ، بن فورت ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

- ١٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .
 ١١ - المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .
 ١٢ - بالنسبة لقدرة طائرات سلاح الطيران الاسرائيلي على التزود بالوقود وهي في الجو ، كتبت مجلة القوات المسلحة في الولايات المتحدة :
 « بعد تطور القدرة على تزويد الوقود في الجو

تستطيع اسرائيل الان ارسال طائرات ليس لمهاجمة اهداف بعيدة في البلاد العربية فقط بل لمهاجمة سفن وطائرات مختلفة في المتوسط ، وتستطيع مهاجمة اهداف مثل قاعدة ويلس في ليبيا من الجو ، وكذلك المناطق الداخلية من السودان والعراق وسوريا « ملحق هارتس ، ١٤/٤/١٩٧٢ .

- ١٣ - مجلة الإنا الدولية ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

١٤ - قال زئيف شيف ، ملحق هارتس ، ٤/٤/١٩٧٢ « .. غني السنة الماضية وفي اعقاب تزود الدول العربية بمئات طائرات الميغ والسوخوي والتوبوليف كان ميزان القوى العددي ما يلي ، طائرات مقاتلة لدى العرب ٣٤٥ ضعف ما لدى اسرائيل ... » هذه عينة عن المغالطات التي يقدمها العدو ، فعدا الاختلاف في قدرة الطائرات ، فهذه القائمة تضم حتى الطائرات التي يملكها السلطان تانوس ، والمغرب والذان يبعدان بضعة الاف من الكيلو مترات عن الجبهة .

- ١٥ - هناك تضارب واضح في الأرقام التي تقدمها مؤسسات الدراسات العسكرية ، وهذه الأرقام اختيرت بحرص بعد الاطلاع على نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية للعام ٧٢/٧٢ من المحرور اللبنانية ١٩٧٢/٩/٨ ، ونشرة مؤسسة ايفاشن سقايز انترناشنال عدد تموز ١٩٧٢ ، بالاضافة لمجلة الإنا الدولية عدد كانون الثاني ٧٢

١٦ - الفانتوم RF-4C تخطف قليلا من الفانتوم RF-4E - تقوم ببهات الاستطلاع الليلية وهي مزودة بالآت تصوير وكاميرات سينمائية دقيقة تغطي مساحات واسعة ، وتبلغ قوة الاضاءة التي تستخدمها عند التصوير ٥ ملايين شمعة مما

يسمح لها بان تضيء في الليل اهدافا متحركة كقوافل السيارات وان تصورها بعد ذلك ، وفي الطائرة جهاز رادار حساس طراز: (S.L.A.R.) يعطي الطيار صورة دقيقة لشريط عرضه ٢٠ كم من الارض التي يحلق فوقها . كما وان فيها جهازا من طراز (A.A.S.18) يستخدم الاشعة تحت الحمراء ويكشف منابع الحرارة كالسيارات الموهبة ونيران اماكن الاقابلة المخفية وسط الاذغال .

١٧ - من الصعب اثبات تزويد حكومة جنوب افريقيا لاسرائيل بطائرات هي الطائرات نفسها المستعملة لديها ، وبامكان حكومة جنوب افريقيا انتاج عدد محدد من هذه الطائرات دون الاعلان عن ذلك .

١٨ - **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .
١٩ - سيف ، دان ، بن نورت ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٥ .

٢٠ - نشرت مجلة **Air Enthusiast** البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ « انه تم تحويل طائرات الفوتور ذات القندين السى طائرات استطلاع وتشويش الكتروني ... »

٢١ - **الاتا الدولية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٢ - نفس الملاحظة عن الجدول رقم (١) راجع نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية ، مجلة **الطيران والبحرية الإيطالية** عدد شباط ١٩٧٢ ، **الاتا الدولية** عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

Air Enthusiast البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ .

٢٣ - **الطيران والبحرية الإيطالية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٤ - **المصدر السابق** ، عدد ايار ١٩٧٢ .

٢٥ - وليام غرين ، **The Observer's Book of Aircraft** ، نشرة ١٩٧٢ .

٢٦ - قالت مجلة **امياشن ويك** عدد ٧٢/٢/٧٢

« تعمل اسرائيل على تطوير جهاز اسمه روتور - اور (Rotor-OR) يستخدم في طائرات الهليكوبتر ، للانارة الليلية دون ملاحظتها من الارض ، وتعمل مصادر الانارة في هذا الجهاز بواسطة غاز التريتيوم (Tritium) ويمكن هذا الجهاز طاقم الطائرة من الرؤية لمسافة ٣٠٠ قدم .

٢٧ - سيف ، دان ، بن نورت ، **المصدر نفسه** ،

ص ١١٧ (دار العودة - بيروت) .
٢٨ - زئيف شيف ، ملحق **هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .
٢٩ - يجب الملاحظة هنا ان البوينغ سي ٩٧ هي الصنف العسكري للبوينغ ٣٧٧ مترادف كروزر المدنية ، ويطلق عليها في اسرائيل اسم **انك** .

٢٠ - عدد كانون الثاني ١٩٧١ .
٢١ - زئيف شيف ، ملحق **هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .
١٩٧٢ .

٢٢ - لاعطاء فكرة عن قدرات الصواريخ جو - جو ، نذكر مقذرة صاروخ سبارو ٣ ، طوله ٣٤٦٦ مترا ، وزنه ٢٠٤ كيلو غرامات ، وسرعته اكثر من ٣٥٥ ماك ، ويبلغ مداه ١٣ كيلو مترا ، اما عبوته الناسفة فوزنها ٢٧ كيلو غراما ، ويوجه بشكل شبه فعلي بموجات متصلة .

٢٣ - زئيف شيف ، ملحق **هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .
١٩٧٢ .

٢٤ - **الاتا الدولية** ، تشرين الاول ١٩٧١ .
٢٥ - **Military Balance 1970-71** .

٢٦ - الوضع هنا مرضي ، فالكل يعرف مأساة « الجبهة الشرقية » .

٢٧ - سيف ، دان ، بن نورت ، **المصدر السابق** .

٢٨ - مجلة **الطيران والبحرية الإيطالية** ، عدد تشرين الثاني ١٩٧١ .

٢٩ - **المصدر السابق** .

٣٠ - سيف ، دان ، بن نورت ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٩ .

٣١ - **المصدر نفسه** ، ص ٢١٤ ، تقرا « وازعجت الاسرائيليين بصفة خاصة حقيقة ان الفرنسيين يبنون بيح طائرات المزاج (المزاج ه) لليبيين - وهي الطائرة التي انتجت بالفعل بناء على طلب اسرائيلي وحسب تفاصيل قدمها خبراء سلاح الطيران الاسرائيلي لصانع دابو الفرنسية » .

٣٢ - قالت مجلة (Military Review) عدد اذار ١٩٧١ ، « ان الصانع الاسرائيلية تعمل على انتاج طائرة فوجا ماجستير بمقعد واحد لساندة القوات البرية » .

٣٣ - معارف ، ١٨/٨/١٩٧٢ .

٣٤ - نقصد ان اسرائيل لم تستعمل الطيران خلف الخطوط العزبية في اوقات الهدنة ووقف اطلاق النار .

سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل

انطوان منصور

ان معرفة وضع الاستثمارات وحجمها في اقتصاد بلد ما ضرورية ويدخل لكل محاولة جدية للتعرف عن كثر على واقع تطور هذا البلد وامكانياته والآفاق المفتوحة امامه . ولما كانت الاختيارات التي تحدد وجهة هذه الاستثمارات تتداخل فيهما ، بشكل اساسي ، عوامل سياسية ، فلا بد ان تتناول الدراسة العناصر السياسية التي تتحكم في واقع الاقتصاد المنوي دراسته . وان دراسة العوامل التي تتحكم بواقع الاقتصاد الاسرائيلي تزداد اهمية نظرا لاعتمادها وبشكل كبير على الموارد الخارجية (مساعدات وهبات ، دخول رساميل اجنبية) . ولكن لان حجم هذه الرساميل كبير بحيث يجعل اسرائيل مرتبطة بالامبريالية فلا بد من معرفة مدى وكيفية استفادتها منها . هنا يبرز لنا القطاع الصناعي كهدف تسعى اسرائيل من خلال تطويره ودعمه الى خلق قاعدة اقتصادية متينة تكون الركيزة لانطلاقة استعمارية تتعدى حدودها لتشمل بلدان المنطقة العربية . وتكتسب دراسة الاستثمارات في هذا القطاع اهمية كبرى لان امكانيات ووجهة تطوير القطاع بأكمله مرتبطة بها ، بحجمها وتوزيعها على مختلف النشاطات وبالتالي فأي نوع من النشاطات الصناعية يعطى الافضلية ، لذلك لا بد من معرفة الوسائل التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاستثمارات ولجعلها تتوظف في مجالات تنسجم ومخططاتها، كالتقنيات التي اصدرتها .

ان تطوير وسائل الانتاج بتطبيق التكنيك الحديث ضروري لتطوير القطاع الصناعي الذي توليه اسرائيل اهمية قصوى ، لذلك فمجالات البحث والدراسات اهميتها . وستعرف خلال الدراسة على الامكانيات المفتوحة امام البحث والتطوير والامكانيات الحالية في قطاعي الصناعة المدنية والحربية .

يلعب القطاع المصرفي دورا مهما بتوفير السيولة والتسليف لمختلف النشاطات الاقتصادية . ولا بد هنا من التطرق لدور المصرف المركزي كأداة بيد الدولة لتنفيذ مخططاتها ودفع القطاع الخاص باتجاهات محددة .

ان تدفق اليهود الهائل من انحاء العالم الى اسرائيل جعل نسبة اليد العاملة المتخصصة مرتفعة نسبيا نظرا الى ان البلاد التي هاجر منها هؤلاء متقدمة (المانيا ، الولايات المتحدة الاميركية . . .) وهذا يوفر للاستثمارات امكانيات لا يمكن ان تتوفر في بلد آخر . لذلك ناستخدامها واستثمارها بشكل عاملا مهما ، هذا ، وان هذه الدراسة لا تطمح الى تناول موضوع الاستثمارات من كامل وجوهه وبالتفصيل الدقيق . وعلى الرغم من ان المساعدات والهبات وتحرك الرساميل الاجنبية الى اسرائيل لها اهمية وتأثير كبير في الاقتصاد ووجهة تطوره ، فلن نتناولها بالتفصيل ، بل سوف ندرسها فقط من زاوية مدى تأثيرها بقانون تشجيع الاستثمارات الذي اصدرته الدولة .

الاستثمارات الصناعية في الاقتصاد الاسرائيلي

واجهت اسرائيل عند انشائها مشكلات اقتصادية صعبة : منها استيعاب عشرات الالوف من المهاجرين اليهود ، ومقاطعة الدول العربية لها مما ادى الى عزلتها . وفي السنين الاولى من وجودها كانت اولى المشكلات التي واجهتها الحكومة الاسرائيلية تأمين الحاجات الغذائية للسكان ، فأولت اهتماما كبيرا للقطاع الزراعي مؤمنة استثمارات ضخمة حتى سنة ١٩٥٦ خصوصا وان ازدياد المهاجرين كان يطرح مشكلة زيادة الانتاج بنسبة زيادة السكان المرتفعة .

بعد ما تم تطوير القطاع الزراعي اتجهت الاستثمارات اتجاها متزايدا نحو القطاع الصناعي ، ففي حين بلغت الاستثمارات في الصناعة ٨٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٥٥ ، وصلت الى ٢٠٨ م. ل. (مليون ليرة) عام ١٩٥٩ و ٤٣١٤٩ عام ١٩٦٣ ، اي ان قيمتها تضاعفت كل ٤ سنوات ولكنها تعرضت لانخفاض كبير في الفترة الممتدة بين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ : فبينما بلغت في العام ١٩٦٥ ٤٦٧٠٢ م. ل. انخفض هذا الرقم الى ٢٤٨٤٧ في العام ١٩٦٧ ، اي بنسبة ٤٦ بالمائة ، وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل : ارتفاع الاسعار ، بطالة ، ركود في النشاط الاقتصادي . ويعود سبب هذه الازمة جزئيا الى تدن في المساعدات والرساميل الاجنبية ، وخصوصا وقف « التعويضات » المتأتية من الحكومة الالمانية ، مما يدل على مدى اعتماد اسرائيل على الخارج . لقد قدمت حرب حزيران عام ١٩٦٧ مخرجا مؤقنا لهذه الازمة الاقتصادية اذ ازدادت المساعدات من اليهود في العالم ، وعقد مؤتمر في القدس عام ١٩٦٨ ضم عددا كبيرا من اغنى الراسماليين اليهود وقرر استثمار مبالغ ضخمة في اسرائيل . فنتج عن ذلك ازدياد الاستثمارات في القطاع الصناعي عام ١٩٦٨ بنسبة ٨٧ بالمائة عما كان عليه في السنة السابقة ، وبلغت قيمتها ٤٦٦٤٥ م. ل. ، وهي تعادل قيمة الاستثمارات لعام ١٩٦٤ . ثم عرفت هذه الاستثمارات تطورا سريعا في فترة ما بعد حرب حزيران : ٣٦ بالمائة في ١٩٦٩ و ١٠٠ بالمائة في ١٩٧٠ .

ولكن الارتفاع الكبير للاستثمارات في الصناعة لم يتم على حساب القطاعات الاخرى اذ ان مجموع الاستثمارات عرفت هي ايضا تطورا مماثلا : في عام ١٩٥٥ كانت نسبة الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٨٤٥ بالمائة من مجموع الاستثمارات ، وفي العام ١٩٥٩ بلغت هذه النسبة ١٨٤٩ بالمائة ولم تتغير في العام ١٩٦٣ . ولكن في اثناء الازمة انخفضت هذه النسبة الى ١٤٤٢ بالمائة عام ١٩٦٥ والى ١٢٤٧ بالمائة عام ١٩٦٦ . فكان القطاع الصناعي هو الاكثر تضررا .

ويبين الجدول الاول تطور الاستثمارات في الصناعة ونسبتها لمجموع الاستثمارات في الفترة ما بين ١٩٥٣ - ٧٠ .

الجدول الاول

الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٩٥٣ - ٧٠

السنة	الاستثمارات في الصناعة (بملايين الليرات الاسرائيلية)	الارتفاع (+) او الانخفاض (-) بالنسبة للسنة السابقة (بالمائة٪)	مجموع الاستثمارات (بملايين الليرات)	الارتفاع (+) او الانخفاض (-) بالنسبة للسنة السابقة (بالمائة٪)	نسبة (١)
١٩٥٣	٦٥		٣٠٤		٢١٤٤
٥٤	٧٥	+ ١٥٤٣	٤١٩	+ ٣٧٤٨	١٧٤٩

١٨٥٥	٤١ +	١١١	١٦ +	٨٧	٥٥
١٣٤٤	٧ +	٦٥٥	٥٧٤٤ +	١٣٧	٥٦
١٧٤٤	٣٢٤٥ +	٨٦٨	١٤٤٦ +	١٥٧	٥٧
١٥٤٧	١٥٤٢ +	١٠٠٠	٤٤٤ +	١٦٤	٥٨
١٨٤٩	١٠ +	١١٠٠	٢٦٤٩ +	٢٠٨	٥٩
١٦٤٥	٩٤٩ +	١٢٠٠	٤٤٩ -	١٩٨	١٩٦٠
١٧٤١	٣٣٤٢ +	١٦٠٠	٢٨٤٢ +	٢٧٤	٦١
١٧٤٤	٢٩٤١ +	٢٠٦٧	٣١٤٥ +	٣٦٠٤٩	٦٢
١٨٤٩	١٠ +	٢٢٨٤	١٩٤٦ +	٤٣١٤٧	٦٣
١٥٤٨	٢٩ +	٢٩٤٠	٨٤٢ +	٤٦٧٤٢	٦٤
١٤٤٢	٢ +	٣٠١٢	٨٤٢ -	٤٢٨٤٩	٦٥
١٢٤٧	١٧ -	٢٥٠٤	٢٥٤٢ -	٣٢٠٤٤	٦٦
١٣٤٣	٢٦ -	١٨٦٣	٢٢٤٤ -	٢٤٨٤٧	٦٧
١٥٤٨	٤٤ +	٢٩٤٥	٨٧٤٦ +	٤٦٦٤٥	٦٨
١٧٤٥	١٥ +	٢٨٣٢	٣٦ +	٦٧٣	٦٩
١٥٤٦	٩ +	٤٦٨٧	١٠ +	٧٣٥٤٧	١٩٧٠

المصدر : من ١٩٥٣ إلى ١٩٦١ : كتاب دافيد مورويتز ، اقتصاد اسرائيل ، ص ٢٩ .
من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٠ : التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

ان الاستثمار في القطاع الصناعي ومنحه اهمية كبيرة هو اختيار سياسي . والسؤال الذي لا بد ان نطرحه هو : لمصلحة من يتم الاستثمار في هذا القطاع ؟ لا بد للاجابة على هذا السؤال ان نتعرض للدور الذي تريد اسرائيل ومن هم وراءها ان تلعبه في الشرق الاوسط . فاسرائيل ، هذا الجسم الدخيل في العالم العربي ، قد خلقتها الامبريالية لتلعب دور الشرطي ولتحافظ على مصالحها في المنطقة . ليس هذا فقط ، فان ما تريده الامبريالية هو ان تجعل من اسرائيل « ولايات متحدة » جديدة ، اي ان تلعب الدور نفسه التي تلعبه الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لبلدان امريكا اللاتينية ، وهذا يعني سيطرة اسرائيل على الاقتصاد العربي وافتتاح الاسواق العربية الواسعة امامها . ولن يتم ذلك الا باستغلال الشعوب العربية وقهرها . ولكي تستطيع اسرائيل ان تلعب هذا الدور لا بد لها ان تبني اقتصادها وان تستعمل التكنولوجيا الحديثة . فبناء الاقتصاد عبر بناء القطاع الصناعي ، وهذا ما يفسر التركيز على الاستثمار في الصناعة . لقد عبرت الطبقة الحاكمة في اسرائيل عن رغبتها في ان تشكل القاعدة الصناعية للمنطقة العربية لكي تستطيع ان تدخل اسواقها دون صعوبة وتهيمن عليها ، ولكن هذا التصنيع لم يكن ممكنا دون المساعدات والرساميل الاجنبية الآتية من الامبريالية والصهيونية العالية .

تركيب الاستثمارات في الصناعة

لكي نستطيع ان نبحث تركيب الاستثمارات لا بد ان نوضح في البداية واقعا ، اي المصادر المتعددة التي تؤمن للصناعة حاجاتها من الرساميل ، ثم ننتقل بعدئذ للدراسة توزيع هذه الاستثمارات على مختلف الفروع الصناعية .

واقع الاستثمارات : تبين معرفة مصادر الاستثمارات حجم المساعدات والمنح المتوافرة للصناعات الاسرائيلية . والجدول الثاني يوضح لنا ذلك .

الجدول الثاني

توزيع الاستثمارات في العام ١٩٦٩

ببلايين الليرات (بالمائة %)		
٤٦ %	٢٩٢	إعادة استثمار الأرباح وغيرها من استثمارات أصحاب المؤسسات الصناعية
٢٣ %	٢٠٦	تمروض من البنك الصناعي للانباء
٥ %	٢١	مساعدات من البنك الصناعي للانباء
١٦ %	١٠٠	استثمارات من بنوك أو مصادر أخرى
١٠٠ %	٦٣٠	المجموع

المصدر: إسرائيل اكونوميست، نيسان ١٩٧٠، ص ٨٠.

ان إعادة استثمار الأرباح المحققة في القطاع الصناعي لم تبلغ الا ٤٦ بالمائة (وهي تعادل ٢٩٢ م.ل.) من مجموع الاستثمارات في هذا القطاع، وهذا المبلغ غير كاف للتعويض عن استهلاك وتدني القيمة الفعلية لرأس المال. فيجب ان تبلغ ٣٥٠ م.ل. على أساس تقدير استهلاك رأس المال بنسبة ٧ بالمائة من مجموع الاستثمارات ($٥٠٠٠ \times ٠.٠٧ = ٣٥٠$ م.ل.). هذا يبين ان الصناعة لم تستطع وحدها ان تؤمن هذا المبلغ. يبقى اذا $٢٩٢ - ٣٥٠ = ٥٧$ م.ل. لسد النقص الذي يسببه استهلاك رأس المال ولا يمكن تأمين هذا المبلغ الا من مصادر خارجية.

إذا أردنا معرفة قيمة الربح نلاحظ التالي: تبلغ أرباح الصناعة المقدرة من مصادر الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٩: ١٣٠٠ م.ل. وتبلغ الضرائب على هذه الأرباح ٧٠٠ م.ل. (ان تقدير الحكومة الاسرائيلية لقيمة الأرباح لا تتضمن قيمة استهلاك رأس المال). والربح المتبقى لأصحاب المصانع: $١٣٠٠ - ٧٠٠ = ٦٠٠$ م.ل. والربح الصافي الذي كان يجب تحقيقه: $٦٠٠ - ٣٥٠ = ٢٥٠$ م.ل. ولكن ما الذي يحصل في الواقع؟ لم يستثمر أصحاب المؤسسات الصناعية الا ٢٩٢ م.ل. وليس ٣٥٠ م.ل. فالربح الصافي الذي يحققونه هو اذا: $٦٠٠ - ٢٩٢ = ٣٠٧$ م.ل. نستنتج من هذا كله ان الـ ٥٧ م.ل. المتأتية من الرأسمال الخارجي (والمعطاة من الحكومة الى أصحاب المصانع) تدخل الى جيوب أصحاب المصانع وتوضح مدى أهمية المساعدات والمنح المعطاة الى المصانع الاسرائيلية.

الاستثمارات حسب الفروع الصناعية: تتوزع الاستثمارات في القطاع الصناعي في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ٦٧ على النحو المبين في الجدول الثالث:

الجدول الثالث

توزيع الاستثمارات في الصناعة: ١٩٦٤ - ٦٧ (بالمائة %)

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	الفروع
١٤	١٣	١٥	٢٢	المناجم
١٤	١٥	١٨	١٥	المواد الغذائية والتبغ
١٤	١٥	١٤	١٢	النسيج والملبوسات والجلد
٦	٩	٦	٣	الورق والطباعة
٣	٥	٤	٣	الخشب والنجارة
٦	٩	٧	١٠	المناجم غير المعدنية
٥	٦	٩	١٢	المواد الكيماوية ومشتقات البترول المكرر

المطاط والبلاستيك	٤	٤	٤
المعدان	١٢	١١	٨
الآلات والمعدات الكهربائية	٦	٥	٦
معدات النقل	٦	٧	٤
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٦ .

لن يمكننا هذا الجدول من ان نستوضح تماما سياسة اختيار الاستثمارات في مختلف الفروع الصناعية ، فهو غير كاف لانه لم يتناول الا الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٧ وهي فترة الازمة الاقتصادية (وهذا ناتج عن عدم وجود احصاءات كافية عن توزيع الاستثمارات في القطاع الصناعي ، وعن فقدانها لفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ أي فترة التطور المهم في الاستثمارات) . يمكننا البحث في اهمية الاستثمارات في بعض الفروع الصناعية بدراسة الاولويات التي تعطيها الحكومة الاسرائيلية لهذه الفروع واهتمامها بها (انظر في ما يبعد) .

في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ٧٠ اعطيت اهمية كبيرة الى الصناعات الاساسية وهي الفروع المعدنية ، الآلات ، آلات الكهرباء ومعدات النقل . لقد ارتفعت نسبة الاستثمار في هذه الصناعات من ١٨ بالمائة عام ١٩٦٤ الى ٢٤ بالمائة عام ١٩٦٦ والى ٣٣ بالمائة عام ١٩٦٧ . اما نسبة الاستثمارات في المناجم فقد انخفضت من ٢٢ بالمائة عام ١٩٦٤ الى ١٣ بالمائة عام ١٩٦٦ والى ١٤ بالمائة عام ١٩٦٧ .

من الذي يستثمر في القطاع الصناعي ؟ يحتل القطاع الخاص اكثر فاكثير اهمية في الاستثمارات الثابتة ، اي الآلات والمعدات ، فنسبة مشاركته عام ١٩٥٤ بلغت ٥٠ بالمائة من مجموع الاستثمارات ولكن هذه النسبة ارتفعت لتصبح ٥٩ بالمائة عام ١٩٦٦ كما يبين الجدول الرابع .

الجدول الرابع

الاستثمارات الثابتة : ١٩٥٤ - ٦٦ (بالمائة %)

١٩٦٦	١٩٦٤	١٩٦٢	١٩٦٠	١٩٥٨	١٩٥٤	
٤١	٤٣	٤٨	٤١	٤٥	٥٠	القطاع العام
٥٩	٥٧	٥٢	٥٩	٥٥	٥٠	القطاع الخاص
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	المجموع

المصدر : تطور الاقتصاد الاسرائيلي ، ص ١٠٣ .
Israel Economic Development, Past Progress and Plan for the Future, Jerusalem, March 1968.

ويبين تحقيق تم اخيرا في اسرائيل ان القطاع الخاص يملك ٩٣ بالمائة من المؤسسات الصناعية وهي تشغل ٧٦ بالمائة من اليد العاملة ، وبناء على تقرير من البنك الاسرائيلي (بنك الدولة) فان مجموعة مالية تتكون من « بنك ديسكنتو » الشركة المركزية للتجارة والصناعة ، مجموعة ولفسون وبنك ليومي » تتحكم بأكثر من ثلاثة ارباع الانتاج وأن ٦٦ بالمائة من المؤسسات الصناعية المنشأة خلال عشر السنوات الماضية يملكها القطاع الخاص (١) .

(١) اسرائيل اكونوميست ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٢ .

سياسة اختيار الاستثمارات والاولويات

قانون تشجيع الاستثمارات : أصدرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٥٠ قانونا لتنظيم استثمار الرساميل في الاقتصاد . الهدف من هذا القانون المسمى « قانون تشجيع استثمار الرساميل » هو تشجيع استثمار الرساميل « الوطنية » والاجنبية في قطاعات وفروع اقتصادية محددة ، وذلك باعطاء هذه الرساميل بعض الامتيازات . وقد عرف هذا القانون تطورا في الفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٧٠ اذ اعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات حتى اليوم ومنها التعديل الذي جرى عام ١٩٦٧ .

ما الهدف من هذا القانون وما هي المؤسسات الصناعية المستفيدة منه ؟ لكي تستطيع المؤسسات الصناعية الاستفادة من هذا القانون (الحصول على المساعدات والمنح والاعفاء من الضرائب) يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية : على المؤسسة ان تصدر نسبة مهمة من انتاجها ، ان تكون مقامة داخل « منطقة انماء » محددة من قبل القانون ، او الاثنان معا . وعلى المؤسسة الموجودة في اواسط اسرائيل ان تصدر على الاقل ٥٠ بالمئة من انتاجها اما المؤسسة الموجودة في منطقة النقب في الجنوب والمنطقة الشمالية الشرقية من البلاد وهي التي نرزم لها بالحرف (ا) ، والمنطقة التي تقع في جنوبي بئر السبع بقليل وحتى خط يمتد من شمال القدس الى شمال اسدود وهي ما نرزم اليها بحرف (ب) فعليها ان تصدر ولكن بنسبة اقل . وقد دعيت هذه المؤسسات الصناعية التي تتوافر فيها الشروط المحددة في القانون « المؤسسات المرخص لها » .

ان الهدف من تشجيع المؤسسات التي تصدر انتاجها هو تأمين حاجة اسرائيل للعملة الصعبة ولسد العجز الهام في ميزانها التجاري ، هذا العجز ناتج عن المصاريف والتنفقات الضخمة غير المنتجة التي يتطلبها الجيش الاسرائيلي .

وقد امنت التعديلات التي اجريت على القانون عام ١٩٦٩ لمجموعة جديدة من المؤسسات الصناعية الاستفادة من بعض الامتيازات والحوافز الممنوحة وقد دعيت هذه الفئة الجديدة بالمؤسسات « المعترف بها » . وقد وضعت هذه التعديلات لتنشيط المصانع المنتجة للادوات الحربية ، ولتوسيع هذا الانتاج بتشجيع انشاء مصانع جديدة وذلك لمواجهة حاجة اسرائيل المتزايدة للاعددة الحربية فضلا عن ان الانتاج المحلي يوفر عليها استيرادها . ومن جهة اخرى تضم المؤسسات « المعترف بها » ايضا مؤسسات صناعية تنتج مواد حيوية للبلاد كانت تستورد من قبل . اذا ليست المؤسسات « المعترف بها » ملزمة بتصدير انتاجها ، لان الهدف من تشجيعها هو من ناحية تأمين تجهيز اسرائيل الحربي لكي تستطيع ان تلعب دورها في المنطقة العربية كقاعدة لامبريالية ومن ناحية اخرى لان انتاج هذه المواد محليا سوف يحقق وفرا في حجم مستورداتها وبالتالي يساهم بتخفيف العجز في الميدان التجاري .

ما هي الامتيازات التي يمنحها القانون ؟ يعطي قانون تشجيع استثمارات رؤوس الاموال امتيازات مهمة للمؤسسات « المرخص لها » و« المعترف بها » . وهي مساعدات وقروض وتخفيضات على الضرائب وتأجيل تحصيل بعض الرسوم .

المساعدات : يوجد عاملان يؤثران في حجم المساعدات الممنوحة : المنطقة التي يوجد فيها المصنع وهي منطقة « ا » و« ب » او مناطق اخرى ، واذا كان الاستثمار يحصل في الآلات وادوات الانتاج او في مواد البناء . فتعطى الاولوية المطلقة للمؤسسات الصناعية التي بالاضافة الى وجودها في منطقة « ا » تستثمر رساميلها في الآلات وادوات الانتاج اذ تحصل على أعلى نسبة من المساعدات ، تليها المؤسسات الصناعية الموجودة في المنطقة « ب » ثم المؤسسات الموجودة في مناطق اخرى من البلاد كما يبين لنا الجدول الخامس :

الجدول الخامس

نسبة المساعدات لمجموع الاستثمارات الثابتة (بالمئة)

المؤسسة الصناعية	المؤسسة الصناعية	المؤسسة الصناعية	الاستثمارات الثابتة
«المرخص لها» والمتواجدة في مناطق أخرى	«المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الإنماء «ب»	«المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الإنماء «أ»	
٪ ٢٠	٪ ٢٥	٪ ٣٣٥٠	— الآلات والمعدات
٪ ١٠	٪ ١٥	٪ ٢٠	— مواد البناء والتحصين العقاري

المصدر : اسرائيل اكونوميست ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

القروض : القروض المهمة تعطى للمؤسسات الصناعية « المرخص لها » فحجم هذه القروض يزداد اذا كانت مقامة في المناطق التي تعطى الاولوية في الإنماء ، ونلاحظ ان نسبة الفائدة مثلا في منطقة « أ » هي ادنى مما هي عليه في المناطق الاخرى .

الجدول السادس

القروض والفائدة (النسبة المئوية)

مناطق اخرى	«ب»	«أ»	
٪ ٤٥	٪ ٥٠	٪ ٥٥	— القروض المعطاة بالنسبة للاستثمارات الثابتة
٪ ١٠	٪ ٨	٪ ٦٥٠	— نسبة الفائدة
٪ ٦٠	٪ ٧٠	٪ ٨٠	— مجموع المساعدات والقروض بالنسبة للاستثمارات الثابتة

المصدر : اسرائيل اكونوميست ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

التخفيضات على الضريبة : الضرائب التي تطالها التخفيضات هي التالية : ضريبة الدخل والضريبة على الملكية والضرائب غير المباشرة وغيرها من الرسوم : (١) ضريبة الدخل لا تدفع المؤسسة « المرخص لها » ضريبة الدخل ولكنها تدفع ضريبة على الأرباح المحققة بنسبة ٣٣ بالمئة وذلك مدة ٥ سنوات ابتداء من السنة التي حققت فيها دخلا خاضعا للضريبة . (٢) الضريبة على الملكية : تستفيد المؤسسة « المرخص لها » من تخفيض بنسبة ثلثي قيمة الضريبة على الملكية مدة ٥ سنوات ابتداء من اتمام بناء المؤسسة — تخفض ايضا لمدة ١٠ سنوات بنسبة سدس قيمة الضريبة على الملكية اذا كانت هذه تضم المعدات وقطع الغيار . (٣) الضرائب غير المباشرة والرسوم الاخرى : تعفى المؤسسة « المرخص لها » من الرسوم الجبركية والرسم على القيمة المضافة وغيرها من الضرائب غير المباشرة على مواد البناء وعلى ادوات الاستثمار المحتاجة لتجهيز المؤسسات . ولا تلغى هذه الاعفاءات اذا كانت المواد مستوردة من الخارج شرط ان لا تكون موجودة في السوق المحلية .

تأجيل بعض الرسوم : يعطى المشروع « المرخص » مهلة ٥ سنوات لدفع رسوم تسجيل المؤسسة او زيادة رأسمالها او تسجيله .

امتيازات اخرى : يحق للمؤسسة « المرخص لها » ان تعوض عن تدني قيمة رأسمالها بنسبة كبيرة ، وهي تبلغ ضعف النسبة العادية ، وهذا يتم خلال ٥ سنوات من استعمال الآلات والمعدات والبناء .

الامتيازات التي يعطيها القانون للمؤسسات « المعترف بها » : بخلاف المؤسسات

« المرخص لها » فالمؤسسات « المعترف بها » لا تستفيد من مساعدات بل تمنح لها تخفيضات على الضرائب المباشرة فقط . أما الامتيازات الأخرى التي تخص الرساميل الأجنبية : فلتشجيع استثمار رأس المال الأجنبي ، يسمح القانون للمستثمرين الأجانب بأخراج كل أرباحهم من إسرائيل . ليس هذا فقط بل باستطاعتهم أيضا وبعد فترة من الزمن أن يستردوا الرساميل المستثمر بكامله .

وقد نص القانون على انشاء جهاز « مركز الاستثمارات » وانيطت به مهمة منح رخص العمل والتخفيضات ، الخ . . . ويقرر « مركز الاستثمارات » المؤلف من ممثلين عن مختلف الوزارات ما اذا كانت الاستثمارات المنوي القيام بها تفيد اقتصاد البلد وبالتالي يمنح القانون هذا « المركز » القدرة على توجيه الاستثمارات الخاصة نحو مشروع اقتصادية محددة .

الرساميل الأجنبية ومؤتمر الملياردر : يعود حجم الاستثمارات الكبير في القطاع الصناعي ، خصوصا خلال السنوات الأخيرة ، للرساميل الخارجية الضخمة التي تلقته إسرائيل وللتسهيلات التي يمنحها لها « قانون تشجيع استثمار الرساميل » . وتجدر الإشارة هنا الى المؤتمر الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ بعد نكسة حزيران وضم كبار الراسماليين اليهود وكان من جملة ما قرر استثمار رساميل ضخمة في إسرائيل .

الرساميل الأجنبية : تلعب المؤسسات المصرفية في إسرائيل دورا مهما في توجيه الراسمال للاستثمار (بنك ليومى إسرائيل ، بنك الرهونات العام ، شركة استثمار ليومى) . وقد استطاعت هذه المجموعة المصرفية استقدام مبالغ طائلة من الخارج لاستثمارها في الصناعة والبناء والزراعة والسياحة وغيرها من الخدمات كقروض متوسطة وطويلة الاجل .

لا نهدف في هذه الدراسة ان نبحث في تحرك جميع الرساميل نحو إسرائيل وانما تبين أهمية اثر قانون تشجيع استثمار الرساميل في الاستثمارات الأجنبية . وقد ارتفع حجم الاستثمارات الأجنبية خلال السنتين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ . بالنسبة لعامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ بعدد الضعف تقريبا ، فبينما لم تبلغ الس ٢٤٤٨ م . دولار عام ١٩٦٦ و ٢٦٤٦ م . دولار عام ١٩٦٧ ، وصلت الاستثمارات الأجنبية الى ٤٦ م . دولار عام ١٩٦٩ و ٥٤ م . دولار عام ١٩٧٠ . ان الارتفاع في العامين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ناتج عن قانون تشجيع الاستثمار . وقد اجري تعديل مهم على القانون عام ١٩٦٧ قدمت به توجيه مساعدة تراوح بين ٢٠ و ٣٣ بالمائة من القيمة المستثمرة في الآلات والمعدات . وعلى الرغم من ارتفاع الاستثمار خلال فترة ١٩٦٩ - ٧٠ فقد ظل متخفضا بالنسبة لفترة ما قبل الحرب ، إذ تقدر الاستثمارات في ذلك الحين بمبلغ ٨٢٤٥ م . دولار عام ١٩٦٦ و ١٥٦٤٧ م . عام ١٩٦٤ ، وهذا ناتج عن الوضع العسكري في المنطقة وعن الوضع الاقتصادي في إسرائيل نفسها ، إذ ان المستثمر يرفض المغامرة برساميله في فترة الحرب ويخشى من تخفيض قيمة الليرة الإسرائيلية في المستقبل .

لذلك نلاحظ ان الاستثمارات الثابتة (اي بالآلات والمعدات) أخذت أهمية كبيرة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ لان قيمة هذا النوع من الاستثمارات لا تتأثر في حال قرار تخفيض الليرة الإسرائيلية في المستقبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمنح قانون تشجيع الاستثمارات هذا النوع من الاستثمارات الثابتة تسهيلات كبيرة ، فبينما انخفض الاستثمار بالاموال السائلة من ١٢٠ م . دولار عام ١٩٦٤ الى مليون دولار عام ١٩٦٨ وإلى ١٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، ارتفعت الاستثمارات الثابتة وازداد حجمها بالنسبة لجموع الاستثمارات فبينما كانت ٧ - ٨ بالمائة من هذا المجموع في العامين ١٩٦٤ - ٦٦ وصلت الى ٧٠ بالمائة عام ١٩٧٠ . (التقرير السنوي لبنك إسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ٧٣) .

الجدول السابع

كانت الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل في الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، و ١٩٧٠. بملايين الدولارات على الشكل التالي حسب تتابع السنوات المذكورة : **بالعملة الاجنبية** : ٢٢٦ ، ٥٦٤ ، ١٢٤٣ ، ١٢٢ ، ٦٤٤ ، ٥٨٦٠ ، ٧٧٧ ، — ، ١٠١٧ ، ٧٢٣ ، ١١٧٧ ، منها الاستثمارات : ٣٥٢ ، ٦٣٠ ، ١٤٣٤ ، ١٣٩٩ ، ٩٢٤ ، ٨٥٦٤ ، ٢٨٣٨ ، ٣١٢٢ ، ٤١٠٠ ، ٣٩٦٠ . ومنها ايضا الاستثمارات المستردة (أي التي خرجت من اسرائيل) : — ، ٢٦٦٠ ، ٧٢٦٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٧٠٠٠ ، ٢٧٠٠٠ ، ٢٧٠٠٠ ، ٣١٠٠٠ ، ٧٢٧٠٠ ، ٢٣٣٧٠ ، ٢٧٠٠٠ . **وبالعملة الاسرائيلية** : ١٠٠٠٠ ، ٣٢٢٠٠ ، ٤٣٠٠٠ ، ٩١٠٠٠ ، ٤٣٠٠٠ ، ٣٧٠٠٠ ، ٣٧٠٠٠ ، ٣٦٠٠٠ ، ٣٦٠٠٠ ، ٣٦٠٠٠ ، ٣٦٠٠٠ . **وبالسندات المالية (المباعة في الاسواق الخارجية)** : ١٣٠٠٠ ، ١٣٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ . **والاستثمارات الثابتة** : ١٢٠٠٠ ، ١٢٠٠٠ ، ١٢٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ . **وبذلك يكون المجموع** : ٥٧٠٠٠ ، ٨٥٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ . **اعادة استثمار الارباح** : ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ ، ٣٢٠٠٠ . **وبذلك كله يصبح المجموع الصافي للاستثمارات** : ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠ .

المصدر : التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٧٠ ص ٧٢ .

وكان المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي انعقد في القدس في نيسان عام ١٩٦٨ احد الاسباب التي أدت الى ازدياد حجم الاستثمارات — فقد قرر هذا المؤتمر الذي ضم اكثر من ٧٠ مليارديرا يهوديا ، معظمهم من امريكا الشمالية ، استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . وبرهانا على ذلك انشأ المؤتمر شركة استثمار دعيت بسـ « مصلحة اسرائيل » ومهمتها تنسيق وانجاز استثمارات يهود العالم في اسرائيل . وقامت اخيرا بشراء نصف رأسمال الشركة الوطنية للملاحة « تسييم » من الحكومة الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى ، اعلن يعقوب سلمان المدير في السلطة العليا لشركات الدولة في مؤتمر صحفي ان الحكومة تتفاوض الان لبيع « مصلحة اسرائيل » ٢٦ بالمئة من اسهم مصفاة بترول حيفا . واعلنت « الجروزلم بوست » ان سلمان لديه لائحة بثلاثين شركة (ما عدا « تسييم ») معروضة للجمهور ، برأسمال قدره ٢٥٠ مليون ليرة (١) .

الفروع التي استفادت من القانون : سوف نعالج الان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » ونعني هنا بالاستثمارات « المرخص لها » تلك التي تستفيد من مساعدات الدولة ثم نتطرق لتوزيعها على مختلف الفروع الصناعية في البلاد .

١ — **نسبة الاستثمارات الصناعية « المرخص لها » الى مجموع الاستثمارات « المرخص لها »** : لعب « مركز الاستثمار » دورا بارزا في توجيه قسم كبير من الرساميل للتوظيف في القطاع الصناعي اذ بلغت عام ١٩٦٥ مبلغ ٢٩٢،٢٥٢ مليون ليرة . اي ما يوازي ٥٠،٨٠ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » . حافظت هذه الاستثمارات على مستواها لكنها عرفت انخفاضا في القطاع الصناعي عام ١٩٦٧ اذ ان نسبتها وصلت الى ٤٧،٢ ٪ . وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل خلال هذه الفترة . وكما ذكرنا سابقا ، ساهمت حرب حزيران بتخفيف وطأة هذه الازمة مؤقتا . فازدادت المساعدات من الخارج « لتحمي » اسرائيل من « اعدائها » . ومن ناحية اخرى ، قرر مؤتمر الملياردير استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . لهذا تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٨ بالنسبة للفترة ١٩٦٥ — ١٩٦٧ كما تضاعف

(١) جروزلم بوست ، النشرة الاسبوعية ، ٢ آذار ١٩٧٠ .

أيضا مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الاقتصاد ، وبلغت ٥١٢٠٤١٧ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما لم تبلغ إلا ٢٠٢٠٦١٢ مليون ليرة عام ١٩٦٧ واصبح حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات ٦٤ بالمئة وهي اكبر نسبة عرفتتها ، كما يبين الجدول الثامن :

الجدول الثامن

١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
١٠٠٠	٨٠٠	٥٢٤٠١٠٢	٤٧٥٠٩٧٢	٤٣٧٠٦٤١	مجموع الاستثمارات « المرخص لها » (بملايين الليرات) (١)
٥٠٣٠٤٢	٥١٢٠٤١٧	٢٥٢٠٦١٢	٢٥٥٠٧١٠	٢٢٢٠٢٥٢	القطاع الصناعي (بملايين الليرات) (٢)
٥٠٠٣	٦٤	٤٧٠٢	٥٣٦٥	٥٠٠٨	نسبة (١)/(٢) (بالمئة %) (٣)

المصدر : (١) ١٩٦٥ - ٦٦ - ٦٧ : التجارة والصناعة الاسرائيلية (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، تموز ١٩٧٠ .
١٩٦٨ - ٦٩ : اسرائيل اكونوميست ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
(٢) ١٩٦٥ - ٦٦ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، نيسان ١٩٦٧ .
١٩٦٧ - ٦٨ - ٦٩ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تموز ١٩٧٠ .

ولكن ليس حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة هو الذي يقرر وجهة التصنيع وآفاقه في اسرائيل . ان المقياس الوحيد هو الفروع التي تعطى الاولوية في التوظيف ، اي الفروع الاستراتيجية في الاقتصاد . وهذا ما سوف نحاول توضيحه .

ب - توزيع الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي : لمعرفة سياسة التصنيع المتبعة في اسرائيل وتقديرها ، لا بد من الاجابة على السؤال التالي : ما الذي يجعل من اسرائيل دولة صناعية ؟ هل الاهتمام بالاستثمارات في فروع الصناعات الغذائية والنسيج ، ام في الفروع الاستراتيجية او الاساسية وهي الفروع المعدنية والكهرنائية والكيمياوية وفبركة الالات ؟ مما لا شك فيه ان اهمية الاستثمارات الاخيرة هي التي تقرر مدى قدرة الاقتصاد الاسرائيلي ومناخه ، لان هذه الفروع الاستراتيجية تؤثر في الصناعات الاخرى اذ تتيج لها ان تتطور كما انها تساعد على انشاء صناعات جديدة . لذلك فاهمية هذه الفروع تكمن في انها تفسح المجال امام تصنيع البلد ، فصناعات الطيران مثلا وهي اهم شركة لبناء الطائرات في اسرائيل فسحت مجالات عمل لاكثر من ١٥٠ صناعة اخرى (١) . لهذا اهتم قانون تشجيع الاستثمار بهذا النوع من الاستثمار بمنحه مساعدات وتخفيضات على الضرائب ، الخ . . . فاستقادت الفروع الاساسية « المعدنية والكيمياوية » اذ بلغ حجم الاستثمارات « المرخص لها » في هذين الفرعين ٤٣ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » لعام ١٩٦٩ ، بينما لم تبلغ الا ٢٩ بالمئة عام ١٩٦٥ . والجدول التاسع يبين لنا الاستثمارات « المرخص لها » في هذه الفروع .

نلاحظ ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع الاساسية تضاعف خلال سنة واحدة اذ بلغ ٦٤٠٥ مليون ليرة عام ١٩٦٥ مقابل ١١١ مليون ليرة عام ١٩٦٦ .

(١) اسرائيل اكونوميست ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٩٣ .

الجدول التاسع الاستثمارات « المرخص لها »

باللغة	١٩٦٦		١٩٦٥		بملايين الليرات
	بملايين الليرات	بالمئة	بالمئة	بملايين الليرات	
الفروع المعدنية	٦٠	} ٤٣ %	} ٢٩ %	١٧	
الصناعات الكيماوية	٥١			٤٧٥٥	
الصناعات الأخرى	١٤٤٤٧١٠	} ٥٧ %	} ٧١ %	١٥٧٤٧٥٢	
المجموع	٢٥٥٤٧١٠			٢٢٢٤٢٥٢	

المصدر : التجارة والصناعة الاسرائيلية (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٦ .

إذا وضعنا جانبا الصناعات الكيماوية يتبين لنا أن حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والآلات والتجهيزات الكهربائية والإلكترونية تزداد أهمية ، فقد ارتفع بنسبة ٥٨ بالمائة عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٦ اي من ٨٨٤٣٤٢ مليون ليرة في ١٩٦٦ إلى ١٤٠٠١١ مليون ليرة في ١٩٦٨ . وبلغ ٢١٠٠٩٨ مليون ليرة عام ١٩٦٩ اي بزيادة ٥٠ بالمائة في سنة واحدة . أما بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة ، فكان لهذه الفروع « حصة » كبيرة ، فقد بلغت ٣٤٤٦ بالمائة في ١٩٦٦ و ٤٨٤٤ % في ١٩٦٧ و ٤٦ % في ١٩٦٩ ولكنها انخفضت عام ٦٨ إلى ٢٧ بالمائة . وهذا يبين مدى الأهمية التي تعطيها اسرائيل لهذه الفروع والتسهيلات الكبيرة بالتالي التي تمنحها للرساميل التي توظف فيها . ويبين الجدول العاشر حجم هذه الاستثمارات .

الجدول العاشر

١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٦	(١)
٢١٠٠٩٨	١٤٠٠١١	١٢٢٤٣٥٧	٨٨٤٣٤٢	الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والآلات والتجهيزات الكهربائية والإلكترونية (بملايين الليرات)
٢٥٦٤٦١٧	٥١٢٤٤١٧	٢٥٢٤٦١٢	٢٥٥٤٧١٠	مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة (بملايين الليرات)
%٤٦	%٢٧	%٤٨٤٤	%٣٤٤٦	نسبة (١)/(٢) (بالمائة)

المصدر : ١٩٦٦ - ٦٧ - ٦٨ : اسرائيل كوثومبيست ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
١٩٦٩ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تموز ١٩٧٠ .

لقد تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية وحدها عام ١٩٦٩ بالنسبة لعام ١٩٦٨ إذ ارتفعت من ٣٢٤٥٦ مليون ليرة إلى ٦٢٦٧٥ مليون ليرة . تضاعفت أيضا في المعدات والتجهيزات الكهربائية : فارتفعت في الفروع المعدنية من ٣٢٤٦٥ (١٩٦٨) إلى ٦٢٦٧٥ (١٩٦٩) وفي التجهيزات الكهربائية من ٣١٤٧١ إلى ٦٢٦٩٥ (بملايين الليرات) حسب تقارير التجارة والصناعة الاسرائيلية (تموز ٧٠) . يرجع تطور الاستثمارات في الصناعات الأساسية في فترة ما بعد الحرب إلى ارتفاع إنتاج الأدوات الحربية . فمثلا ، ٦٥ بالمائة من إنتاج الصناعات الإلكترونية تذهب لتأمين

حاجات الجيش الاسرائيلي (١) ، و ٨٠ بالمئة من مجهود صناعة الطائرات تستنفدها عقود مع الجيش (٢) . وفي عام ١٩٧١ اعلن يشعياهو لامي ، مدير عام وزارة الدفاع ، في مؤتمر صحفي ، ان الصناعة المحلية سوف تؤمن ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المواد الحربية بينما سيبلغ الاستيراد ٧٠٠ مليون دولار من هذا المواد . فتتج اسرائيل اذن اقل بقليل من نصف حاجاتها للمواد الحربية ، وأضاف لامي ان الصادرات من المواد الحربية سوف تبلغ هذه السنة (١٩٧١) ١٦٣٠٣ مليون دولار ، وهذا يعادل ٣٢ بالمئة من مجموع الانتاج الحربي (٣) ، بينما لم تبلغ هذه الصادرات الا ٢٥ مليون دولار فقط عام ١٩٦٧ (٤) اي ان الزيادة بلغت ٦ أضعاف . ومما قاله لامي ايضا ان الصادرات الحربية سوف تصبح ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن قبل عام ١٩٧٥ وسوف تنخفض الواردات . ان ال ٧٥٠ مليون دولار من المواد وهو حجم الانتاج المحلي لعام ١٩٧٥ سوف يؤمن عملا اضافيا ل ١٠٠٠٠٠ عامل ، هذا بينما يبلغ عدد العاملين في الصناعات الحربية الآن ٩٠٠٠٠ (٥) .

ان الحروب التي شنتها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى قد سببت نموا في الاقتصاد الاسرائيلي . وهذا الوضع مشابه من بعض وجوهه للتطور الذي حدث في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية قبل فترة الحرب العالمية الثانية وخلالها . فطبيعة اسرائيل العدوانية ودورها في المنطقة ، كما اوضحنا سابقا ، يجعلانها باستمرار تهتم بتقوية جيشها وتطويره بادخال استراتيجيات التكنيك العسكري الحديث ، وهذا ما يفسح مجالات العمل والنمو امام الصناعات الاخرى ويؤمن بالتالي مجالات استخدام جديدة . لقد بلغت نفقات الجيش الاسرائيلي ٤ بالمئة من ميزانية الدولة عام ١٩٧١ و ٥ بالمئة عام ١٩٧٢ اي ما يعادل ٧ مليارات من الليرات الاسرائيلية من مجموع ١٤ مليارا ونصف المليار لذلك عرفت الاستثمارات في الصناعات الاساسية ازديادا مهما في الفترة التي تلت حرب حزيران .

ومما نلاحظه ايضا اهمية الاستثمارات في الصناعات الكيماوية والدواء ، اذ بلغت ١٠٧٤١ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما كانت ٧٦٧٢٧ مليون ليرة عام ١٩٦٧ . كذلك ازدادت الاستثمارات في البلاستيك من ٣٤١٦٠ مليون ليرة عام ١٩٦٧ الى ٢٠٢٤٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ .

التوزيع الجغرافي للاستثمارات « المرخص لها » عام ١٩٦٩ : كما رأينا من قبل ، يمنح قانون تشجيع الاستثمار امتيازات اكبر للاستثمارات في المنطقة « أ » تليها المنطقة « ب » ، لذلك فان ٢٥ بالمئة من الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٩ كانت في منطقة « أ » و ٢٥ بالمئة في منطقة « ب » و ٥ بالمئة في وسط اسرائيل . وتأخذ الفروع المعدنية والبلاستيك أهمية كبيرة في منطقة « أ » اذ تضم ٥ بالمئة من المؤسسات « المرخص لها » . وتأتي المساعدات الممنوحة للمؤسسات « المرخص لها » لتؤكد ايضا الأهمية الكبرى لمناطق التنمية . اذ اعطيت لها (« أ » و « ب ») ٤٠ مليون ليرة بينما حصلت المؤسسات الموجودة في وسط اسرائيل على ٦٧ مليون ليرة فقط .

- (١) ي . شامير : الصناعة الالكترونية في اسرائيل - المؤسسة الدفاعية « كمساعدة لتطور » الصناعة الالكترونية ، في مجلة مؤسسة التصدير الاسرائيلية .
- (٢) لوموند : ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز ١٩٧١ (مقال دومينيك فركيز) .
- (٣) لوموند : ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز (مقال دومينيك فركيز) ، ولوموند ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .
- (٤) اسرائيل اكونوميست ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٢ .
- (٥) لوموند : ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .

الجدول الحادي عشر

الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة حسب الفروع :
١٩٦٧ - ٦٩ (بالوف الليرات)

١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٦٧	العنود
—	٧٥٥	٤١٥	النسيج
٢٩١١٥	٤٢٨٢٩	١١٨٨٢	المواد الغذائية
٣٥٥٠	١٦٠١	—	صناعة التبريد والتلح
٤٥٩٩٩	٦٢٤١٧	٥٣٦٢٤	النسيج
٣٦٧٠٥	٤٠٧٣٧	٣٠٦٨٦	المنبوسات والجلد
١٦٠٤٦	١٤٣٠٤	١٥٤٥١	الخشب والمواد الخشبية
٢٢٢٩٣	٢٠٢٤٤	٢١٦٠	الورق والطباعة
١٩٢٥٠	١٢٦٠٥	٤٣٤٦	النيلاستيك
٣٦٤٥٣	٢٨١٦٦	٦٠٨٦	المطاط
٤٠٣٦٩	١٠٧١٠٤	٧٧٢٧	المواد الكيماوية وصناعة الدواء
٨٥	٦٧٣٦	—	التراب و مواد البناء
١٢٣٥٤	٧٥٩٨	٢٢٥٤	الزجاج والخزف
٦٢٦٧٥	٣٢٥٦٠	٢٦١٩٩	المعادن
٨٢٧١٢	٧٣٣٩٨	٦٠٧١٨	الآلات والآلات النقل
١١٢٦	٢٥٨٢	٢٢٨٠	آلات التدقيق
٦٢٦١٥	٢١٤٧١	٢٢١٦٠	المعدات الكهربائية
٢٩٦٦٦	٢٦٢٧٠	٦٦١٢	الصناعات الأخرى
٥٠٣٠٤٢	٥١٢٤١٧	٢٥٢٦١٢	المجموع

المصدر : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تموز ١٩٧٠ .

٤ — الاستثمارات في مجال الدراسات والأبحاث : تنفق إسرائيل أموالاً طائلة في مجال الأبحاث وتمنح مساعدات للمؤسسات التي تعمل في هذا الميدان . بدأ الاهتمام بهذا النشاط منذ عشرات السنين : في عام ١٩٢١ أنشأت الحركة الصهيونية مؤسسة فولكاني للأبحاث الزراعية ، ثم أنشأت معهد التخنيون والجامعة العبرية في عام ١٩٢٥ . ثم مؤسسة وايزمان عام ١٩٣٤ . وينصب الاهتمام الآن على استقدام مهندسين وفنيين خصوصاً من الولايات المتحدة الأمريكية ولكن شروط العمل والتمويل الضخمة المتوفرة فيها جعلت القليل يهتمون بالحيء إلى إسرائيل . لهذا اهتمت الحكومة عام ١٩٧١ باستقدام خمسة عشر عالماً من المع العلماء الأجانب إلى إسرائيل إذ قدمت لهم شروط عمل مغرية جداً ، كما وضعت بتصرف كل واحد منهم مساعداً ومعدات يمكن أن تصل قيمتها إلى ١٠٠ ألف دولار . ويأتي هؤلاء العلماء للعمل في الفروع الأساسية والمتقدمة كالإلكترونيك والفيزياء والعلوم الطبيعية . وقد بلغ عدد الباحثين عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ في القطاع المدني ٢٩٠٠ ، أما اليوم فيوجد في إسرائيل نحو خمسة آلاف باحث ومهندس يعملون في هذا القطاع . أما عدد الذين يعملون في القطاع الحربي فهو يساوي هذا العدد إن لم يكن أكثر منه . وتنفق إسرائيل واحداً بالمئة من دخلها القومي للبحث والتطوير في القطاع المدني ، وبلغ مجموع ما أنفقته ١٨٠ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ويأتي ٢٠ بالمئة من هذه المصاريف من الخارج كمساعدات وعقود منها ٢٥ إلى ٣٠ مليون ليرة من الولايات المتحدة الأمريكية . إذا قارنا هذه الأرقام مع مثيلاتها في فرنسا ، نلاحظ أن مصاريف

الدولة الفرنسية للبحث في القطاع المدني يبلغ مليارا من الدولارات خلال عام ١٩٧١ لـ ٢١٥٠٠ باحث (اي اربعة اضعاف الباحثين الموجودين في اسرائيل فقط) . بينما لم يبلغ القروض للابحاث في القطاع المدني الا ٣٠ مليون دولار خلال عام ١٩٦٢ - ٦٣ ، وارتفعت هذه القروض بنسبة ٧٦ بالمائة خلال ٥ سنوات ، وتتوزع على ثلاث مجموعات من الاستثمار : ١ - الجامعات والمؤسسات الخاصة كمؤسسة ويزمان : ٦٠ بالمائة من مجموع الاستثمارات المخصصة للابحاث . ٢ - مؤسسات البحث الحكومية (مؤسسة فولكاني للبحث الزراعي ، مؤسسة بحث المناجم) : ٢٥ بالمائة من هذه القروض . ٣ - وحصلت الصناعة مباشرة على ١٤ بالمائة (١) .

ومن جهة اخرى ، تعطي الدولة الاولوية للابحاث الهادفة الى تحسين جهازها الحربي ، فتملك وزارة الدفاع عدة مختبرات ضخمة في البلاد وبينها « سلطة تطوير الاسلحة » الواقعة في شمال الارض المحتلة . ان الميزانية الرسمية المخصصة للابحاث ذات الاهداف الحربية تعادل الميزانية المخصصة للابحاث في المجالات المدنية ولكن فعليا تتجاوز هذا المعدل لتصل الى ١٤٥ بالمائة من الدخل القومي (٢) . وفي عام ١٩٧٠ بحث لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن ادارة البحث الصناعي ووزارة التجارة والصناعة ١٠٧ برامج جديدة للبحث والتنمية الصناعية واجازت اللجنة هذه البرامج وهي الان في حيز التنفيذ ، وقد خصص لهذه الابحاث مبلغا قدره ١٦ مليون ليرة .

تشير دراسة خاصة من الوزارة ان اكثرية المشاريع في البحث الصناعي تتعلق بالالكترونيك وبالادوات العلمية ، وبالكيمياء وبالادوية . وتجدر الاشارة الى ان الابحاث تتناول ايضا تطوير نظام حفظ المعلومات الذي يستخدم في الاجهزة الالكترونية ، وكذلك الالات الطبية لقياس ضغط الدم ، والالات الكاتبة الخاصة بالذين فقدوا بصرهم وبلغات عديدة .

وخلال خمس السنين الاخيرة ارتفعت مساهمات وزارة التجارة والصناعة لتشجيع الابحاث في الصناعة ، وقد بلغ عدد البرامج التي قدمت لها مساعدات ٤٥٠ برنامجا في الفترة ما بين ١٩٦٦ - ١٩٧٠ ، ويقدر المبلغ الذي تطلبه هذه البرامج بـ ٦٠ مليون ليرة . وقد منح نصف هذا المبلغ كمساعدات وامنت النصف الاخر المؤسسات الصناعية .

وتمنح المساعدات لتبويل الابحاث الصناعية ، بعد الموافقة عليها ، لجنة البحث التي يرئسها المدير الفني لوزارة التجارة والصناعة ، وتجري اللجنة تقييمها للبحث بعد تفحصه من مختلف نواحيه التقنية والعلمية والاقتصادية .

عرفت المؤسسات التي تعمل في البحث والتطوير ازديادا كبيرا خلال اربع السنوات الاخيرة : ففي حين كانت عام ١٩٦٦ تحت مؤسسات فقد تجاوزت المئة عام ١٩٧٠ . ولكن على الرغم من الازدياد المهم للصناعات المعتمدة على البحث والتطوير ، فما زالت اسرائيل متخلفة عن البلدان المتقدمة (الولايات المتحدة الاميركية والمانيا . . .) . ومن الصعب ان تجري مقارنة بين اسرائيل والدول الاخرى في هذا المجال لان تكاليف الابحاث التي تجري للاغراض الحربية لا تنشر .

٥ - **القروض المصرفية في القطاع الصناعي** : ليس قانون تشجيع الاستثمارات هو الوسيلة الوحيدة لتطوير القطاع الصناعي وتوجيهه ، فثمة وسائل اخرى من بينها القروض المصرفية التي تلعب هي ايضا دورا في هذا المجال . وقد تميزت السنوات العشر الاولى التي اعقبت انشاء اسرائيل بتطور الزراعة ، لذا فقد نال هذا القطاع ما

(١) لوهورند ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز ١٩٧١ (دومينيك مركزز) .

(٢) التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تشرين الثاني ١٩٦٩ .

يوازى ربح القروض المصرفية للفترة ١٩٥٤-٥٨. إلا أن هذه النسبة ما لبثت أن انخفضت انخفاضاً كبيراً في الفترة التي تلت ، من ٢٥٤١ بالمائة عام ١٩٥٧ إلى ١٥٤٩ بالمائة عام ١٩٦٢ ، وإلى ١٢٤٨ ٪ عام ١٩٦٥ وإلى ٨٥١ ٪ عام ١٩٧٠ . وكان القطاع الصناعي هو المستفيد من القروض المصرفية ، إذ ارتفعت حصته من ٢٦٦٧ بالمائة عام ١٩٥٧ إلى ٣٥٤٤ بالمائة عام ١٩٦٢ وإلى ٣٨٤٨ بالمائة عام ١٩٦٥ وإلى ٣٦٤٣ بالمائة عام ١٩٧٠ ، أي بمعدل يتعدى ثلث القروض . وإذا حاولنا أن نتتبع التغيير الذي طرأ على الحجم الفعلي للقروض المصرفية الممنوحة للزراعة نلاحظ أنها انتقلت من ١٠١٤٤ مليون ليرة عام ١٩٥٧ إلى ٢٢٢٤٢ عام ١٩٦٥ وإلى ٥١٥٤٥ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ، أما القروض الممنوحة للصناعة وفي الفترة نفسها فقد ارتفعت من ١٠٧٤٩ مليون ليرة إلى ٦٧٤٤٣ وإلى ٢٢٩٤٤٨ مليون ليرة . نسبة هذا الارتفاع لخمس سنوات من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠ هي ٢٤٠ ٪ .

الجدول الثاني عشر

أهمية القروض المصرفية في القطاع الصناعي ١٩٥٤ - ١٩٧٠

السنة	القروض للصناعة (بملايين الليرات)	مجموع القروض للاقتصاد الصناعية الى مجموع القروض(بالمائة ٪)	نسبة القروض
١٩٥٤	٥٧٤٣	٢٤٣٤٤	٢٣٤٥ ٪
١٩٥٥	٧٧٤٢	٢٧٤٤٨	٢٨٤١
١٩٥٦	٩٢٤٨	٣٢٧٤٥	٢٨٤٣
١٩٥٧	١٠٧٤٩	٤٠٤٤٣	٢٦٤٧
١٩٥٨	١٢٠٤٥	٤٧١٤٨	٢٧٤٧
١٩٥٩	١٦٣٤٦	٥٧٥٤٢	٢٨٤٤
١٩٦٠	٢١٤٤٦	٧١٠٤٩	٣٠٤٢
١٩٦١	٢٦٤٤٤	٨٤١٤٤	٣١٤٤
١٩٦٢	٣٩٢٤٥	١١٠٧٤٩	٣٥٤٤
١٩٦٣	٥١٧٤٥	١٢٦٦٤٨	٤١
١٩٦٤	٦٣٦٤٢	١٤٨٢٤٢	٤٢٤٩
١٩٦٥	٦٧٤٤٣	١٧٤٣	٣٨٤٨
١٩٦٦	٨٤٥٤٧	٢١٢٧٤١	٣٩٤٦
١٩٦٧	٩٩٧٤٧	٢٧٦٨٤٦	٣٦
١٩٦٨	١٢١٩٤٦	٣٤٧٥٤٤	٣٥٤٢
١٩٦٩	١٨١٤٤٩	٥٠٩٢٤٥	٣٥٤٦
١٩٧٠	٢٢٩٤٤٨	٦٣٢٠٤١	٣٦٤٣

المصدر : التقرير السنوي لبنك إسرائيل ، ١٩٦٠ ، ص ٢١٧ ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢٧ ، ١٩٦٨ ، ص ٢٤٤ ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢١ .

ويساهم المصرف المركزي الإسرائيلي بتنفيذ مخططات الدولة ومشاريعها من خلال تأثيره في القطاع المصرفي ، وبالتالي في السيولة المتوفرة في هذا القطاع ، فهو يوجه قسماً كبيراً من هذه السيولة ليوطنها في القطاعات المختلفة في شكل قروض . وقد تطورت نسبة هذه القروض وتوزيعها انسجاماً مع الأهداف والأولويات الاقتصادية التي تحددها الدولة ، فنلاحظ أن ٢٤ ٪ من هذه القروض كانت للقطاع الصناعي عام ١٩٦٠ وقد

سياسة النظام والازمة الاقتصادية الراهنة في الاردن

حسن الجعنة

كان الاردن ولا يزال يفتقد الاسس الاولية لبناء اقتصاد مستقل قائم على قوى انتاجه محلية متكاملة ، واتسم الوضع الاقتصادي بالعجز الدائم في ميزان المدفوعات وميزان التجارة الخارجية ، وبالاعتماد الاساسي على الانتاج الزراعي والموارد غير المنظورة وخدمات السياحة ومصادر التمويل الاجنبية والعربية لتغطية العجز ، ومثلت الصناعة في الاردن الحلقة الاضعف في الاقتصاد الاردني وتمركزت الصناعة بالاساس في قطاعي البناء — الذي غطيت مصادر تمويله بنسبة كبيرة من تحويلات المهاجرين والمغتربين التي ذويهم — والمصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . ويعطل القطاع الاول الدورة الصناعية ويجعلها القطاع الثاني قصيرة الاجل . باختصار يعاني الواقع الاقتصادي تاريخيا مجموعة من المشكلات والعوائق الاقتصادية والسياسية أبرزها : (١) ضعف الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية السنوية : نتيجة لضعف تزايد نمو الانتاج « الصناعي والزراعي » ومصادر التمويل المحلية (الادخار المحلي) ولعدم الاستخدام الامثل للمواد الاولية والاراضي الزراعية المتاحة ، ولهيمنة رأس المال الفردي الخاص والاجنبي على الاقتصاد (القطاع الخاص) ، ولاعتماد الاردن على المساعدات الامبريالية في التمويل وإرتباطه بالسوق الامبريالية العالمية . (٢) تزايد هروب قوى العمل للخارج وهجرة الايدي العاملة المتخصصة نتيجة لانخفاض مستوى الاجور بالنسبة لتكاليف المعيشة ولتنفشي البطالة بين صفوف الشغيلة والعمال ، والبطالة المتفشية بين أفراد الاسرة . (٣) استيعاب الموازنة العسكرية ومخصصات الانفاق على القوات المسلحة والامن العام الجزء الأكبر من موازنة الانفاق العامة . (٤) العجز الدائم لميزان المدفوعات الاردني .

وعلى الرغم من تعدد الخطط الاقتصادية السباعية والخماسية التي وضعتها لجان التخطيط الاقتصادي الاردني ومجالسه الا انها لم تستطع تحقيق الاهداف الموضوعية لها وفشلت — باعتراف المسؤولين — في القفز عن أي من العوائق والمشكلات السابقة . وبعد الخامن من حزيران ١٩٦٧ زادت حدة هذه المشكلات تعقيدا بخسارة الاقتصاد الاردني لقطاعات واسعة من عوامل الانتاج المحلية (مساحات واسعة من الاراضي الزراعية والمواد الخام — قوى العمل — الاسواق المحلية) بلغت « ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و ٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي و ٣٥ ٪ من الانشاءات و ٣١ ٪ من الكهرباء والمياه و ٥٠ ٪ من خدمات النقل و ٤٥ ٪ من التجارة و ٤٠ ٪ من اعمال البنوك والتأمين والصيرفة و ٦٠ ٪ من الخدمات و ٩٠ ٪ من دخل السياحة و ٩٠ ٪ من تحويلات الاردنيين في الخارج » (١) . وخسارة هذا القطاع الواسع في ظل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الاردن ، كان من الممكن ان تؤدي الى الانهيار الكامل لبنان الاقتصاد الاردني ، لولا تدخل مجموعة من العوامل الطارئة التي لعبت دورا مؤقتا في اخفاء حدة

الأزمة الاقتصادية أو تخفيفها وأهمها : ● فتح الجسور مع الضفة الغربية واستمرار التجارة بين الضفتين . ● المساعدات المالية العربية المقدمة للاردن بعد مؤتمر الخرطوم . ● مصادر التمويل ومصاريف الاستهلاك التي أغرقت الاقتصاد الاردني بالموارد الأولية الناتجة عن انفاق القوات العسكرية النظامية العربية التي دخلت للاردن بعد حزيران ٦٧ (القوات العراقية والسعودية) والقوات الفدائية لمنظمات حركة المقاومة الفلسطينية . هذا بالإضافة للمساعدات المالية النقدية والعينية المرسله باسم النازحين والمنكوبين من جراء معركة حزيران .

وعملت هذه العوامل الثلاثة على دعم الموارد المالية للميزانية الاردنية وساعدت في المعالجة المؤقتة للمشكلات الاقتصادية الا أن هذه العوامل ما لبثت ان انتهت بفعل مجموعة جديدة من الأسباب : (١) استطاعت السياسة الاسرائيلية استغلال الجسور المفتوحة لصالح مصطلحتها الاقتصادية وعلى حساب اقتصاديات الضفة الشرقية . (٢) توقف المساعدات العربية الكويتية والليبية في أعقاب هجمة ايلول الرجعية . (٣) تحويل موارد البلاد نحو زيادة الانفاق على تسليح الجيش والبوليس ولتسرب الاموال لايدي الطبقة الحاكمة وكبار رجال الإدارة في الحكم . (٤) هروب رؤوس الاموال الوطنية للخارج نتيجة حالة عدم الاستقرار التي ولذتها سياسات القمع والارهاب ونتيجة اعتماد النظام على الصدقات الامبريالية بحكم تركيبتها الطبقية القطاعية بدلاً عن الطريق الوطني في توزيع ثروات البلاد وتشجيع الصناعات الوطنية والتنسيق الاقتصادي مع القوى الشعبية المواطنة والعربية . (٥) توجيه الانفاق نحو زيادة الخدمات للقطاع الموالي للحكم من البدو والعشائر .

عطلت مجموعة العوامل الجديدة في ابراز نتائج هزيمة حزيران الاقتصادية والاجتماعية في أعقاب حملة ايلول ١٩٧٠ وليجد النظام الملكي نفسه أمام واقع اقتصادي متداعي وازمة اقتصادية حادة لا يستطيع ايقامها على الرغم من المساعدات المالية التي قدمها له حلفاؤه الغربيون . وبانت الجماهير الشعبية الاردنية تعاني من ازدياد انتشار البطالة بين العاملين في كل القطاعات ، ومن ارتفاع مستوى المعيشة المتزايد . كما تناقص حجم التجارة الخارجية مع البلاد الغربية التي تمثل المستورد الأساسي للانتاج الاردني . وتبدلت حجم السيولة النقدية لتسرب العملة الى البنوك الاسرائيلية عبر الضفة الغربية . ومن التسريح الكيفي للعمال وتوقف وخسارة العديد من المصانع الرئيسية الانتاجية . لذلك كله نستطيع ان نحصر العوامل الرئيسية التي ادت للازمة الاقتصادية الراهنة بما يلي : العامل الاول : ارتباط الاقتصاد الاردني بصورة متزايدة بالامبريالية العالمية والسوق الرأسمالية العالمية ، وارتفاع النفقات والإعباء المالية الكبيرة والمتزايدة لتسليح القوات المسلحة . العامل الثاني : الغزو الاقتصادي الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لسياسة الجسور المفتوحة . العامل الثالث : المقاطعة الاقتصادية العربية وتجميد المساعدات المالية .

العامل الاول : على الرغم من ادعاءات وزير المالية الاردني عن زيادة معدل التنمية الاقتصادية في الاردن وعن زيادة الناتج القومي للفرد بمعدل ٤,٧٪ عام ١٩٧٢/٧١ (٢)، الا أن ذلك لا يدل على تقدم حقيقي لحل الازمة الاقتصادية في البلاد . لان اية خطة للتنمية الاقتصادية تهدف الى زيادة الناتج القومي وتنمية وسائل الانتاج يجب ان تعتمد على الوسائل التمويلية الحقيقية للمجتمع (رأس المال وتراكمه الواقع تحت تصرف المجتمع فعليا - الادخار القومي) ، وتتجنب الوسائل التضخمية بطبيعتها (التمويل الخارجي والقروض الاجنبية) . الا أن الوضع على العكس من ذلك تماما في الاردن . فضمن الاقتصاد الاردني بشكل الادخار المحلي « القومي » حجما صغيرا لا يعتد به حيث لا يؤثر الا بنسبة بسيطة في التنمية الاقتصادية ، ويستعاض عن الادخار المحلي ضمن

السياس الاقتصادي الأردني، مما دفعنا من التمويل من الخارج على شكل «مساعداً» و«اعانات» وقروض تمويلية خارجية من الدول الامبريالية وتحديداً من الولايات المتحدة الأمريكية. وتمثل هذه الأموال المصدر الرئيسي للموازنة الأردنية وبالتالي المصدر الرئيسي للانفاق. لذا فإن الاقتصاد الأردني يعتمد بصورة أساسية على التمويل الامبريالي.

بلغت تقديرات رؤوس الأموال الاجنبية الامبريالية حسب مشروع الموازنة لعام ١٩٧٣/٧٢ ما قيمته ٣٦٤٣٥٠٠٠٠٠ دينار أردني موزعة كالآتي: ٢١٤٤٢٥٠٠٠٠ دينار قيمة المساعدات المالية الأمريكية و ١٤٤٩٢٥٠٠٠٠ دينار أردني قيمة القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية. يمثل هذا المبلغ ما نسبته نحو ٣٠٪ من مجموع الواردات المالية المحتملة بمشروع الموازنة والبالغة قيمته ١٢٤٤٨٦٠٠٠٠ دينار. إلا ان هذا المجموع يتضمن في تقديره احتمالات تحصيل المساعدات الكويتية البالغة ٢٢٥٦٠٠٠٠٠ دينار المجدة منذ هجمة ايلول والمتوقع حسب التقديرات استمرار توقفها خلال العام القادم كما يتضمن مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ دينار واردات محلية. وبذا تمثل المساعدات الخارجية من الإيرادات شبيهة مؤكدة التحصيل ما يوازي ٤٠٪ من الإيرادات الاجمالية بالإضافة للمعونات السرية غير المنشورة. ولعبت هذه الأموال دوراً هاماً في توجيه الاقتصاد الأردني على امتداد الفترة الماضية، فقد فرضت الشروط الامبريالية توجيه الانفاق المالي نحو القطاعات غير المنتجة، والتي لا تزيد من قدرة المجتمع على الانتاج. فشكل الانفاق في معظمه مدفوعات (رواتب الجيش والامن العام وشراء المعدات العسكرية) - بهدف قمع الحركة الوطنية الفلسطينية الأردنية - حيث بلغت تقديرات مخصصات القوات المسلحة والامن العام والتزامات القروض العسكرية ٤٣٥٠٪ من اجمالي تقديرات الانفاق في مشروع الموازنة ١٩٧٣/٧٢ اي ما قيمته ٥٤٤٤٧٥٠٠٠٠ دينار أردني. كما تم توجيه كامل القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية والبالغة ١٤٤٩٢٥٠٠٠٠ دينار أردني نحو المشاريع الانمائية (المشاريع غير الانتاجية) محطات الأتار الصناعية، تجميل مدينة العقبة، مطار العقبة، طرق غير زراعية، المدينة الرياضية (الخ) ، وتخصيص مبلغ ٢٦٤٤٢٨٠٠٠٠ دينار للخدمات المدنية و ١٨٤٩٧٧٠٠٠٠ دينار للنقابات الرأسمالية، و ١٠٠٠٥٥٠٠٠٠ لللاغائة والصمود والتعويضات.

ان هذا التوجيه لبنود الانفاق الذي فرضته الامبريالية كان عاملاً مساعداً رئيسياً في تحقيق أهدافها التآمرية ضد الحركة الوطنية من خلال الحكومة الأردنية وأدواتها القمعية التي تولت عملية ضرب حركة الجماهير الوطنية وحماية المصالح الامبريالية في البلاد والتآمر على القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين، كما كانت عاملاً أساسياً في تحويل المؤسسة العسكرية الأردنية الى مؤسسة اقتصادية كبيرة وبديلة ومناصفة للمؤسسات الانتاجية المحلية. فاستوعبت المؤسسة العسكرية العدد الاكبر من قوى العمل في البلاد وباتت مصدر التمويل شبه الوحيد للعديد من العائلات الأردنية (٤) وارتبط بها قطاع هام من السكان وبنسبة كبيرة سكان الريف والبادية. وتحقق الامبريالية هدفاً مزدوجاً في تشجيعها بناء المؤسسة العسكرية الأردنية، وجهه الاول توفير أداة قمع الحركة الوطنية في الاردن وتمير سياساتها في المنطقة بالتالي، والوجه الاخر الحفاظ على مصالحها واستثماراتها في المناطق المجاورة للاردن (السعودية واسرائيل) أمام اخطار قيام أي وضع ثوري في الاردن. فالامبريالية الأمريكية لا تنظر للاردن كموقع للاستثمارات الامبريالية الكبيرة، بقدر ما ترى فيه موقعا عسكرياً استراتيجياً لحماية مصالحها في المنطقة. ومن هنا يمكن تفسير العناية الزائدة في بناء المؤسسة العسكرية وتزايد الامتيازات المادية والمعنوية وارتفاع رواتب الجيش والامن العام (٥).

أما المساعدات الخارجية على شكل قروض فقد وضعت البلاد تحت سيطرة الإمبريالية ورحبتها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . فإمام ضرورة تسديد هذه القروض « الديون » وفي ظل العجز المالي المستمر والمتزايد سنويا كانت الدولة ملزمة بتنفيذ شروط الولايات المتحدة الأمريكية ومتطلباتها السياسية في البلاد لعجزها وعدم قدرتها على السداد عند الاستحقاق . فسداد الديون يتطلب ان يحقق الميزان التجاري فائضا (أي زيادة قيمة الصادرات وتخفيض قيمة المستوردات) كي يمكن الوفاء بالالتزامات . وهذا ما لا تستطيع حكومة الأردن تحقيقه لعدة أمور : (١) سيطرة الدول الإمبريالية الدائنة « صاحبة القروض » على توجيه الإنتاج والتجارة الخارجية . فالدول الإمبريالية تمثل المصدر الرئيسي لمستوردات الأردن قيمة ونوعا . فقد بلغت واردات الأردن من بلدان السوق الرأسمالية العالمية نسبة تتراوح بين ٥٠ - ٦٠ ٪ خلال أربع السنوات السابقة . فقد كانت مستوردات الأردن عام ١٩٦٨ من الولايات المتحدة ٦٠٣٧٠٠٠٠ دينار ، ومن المملكة المتحدة ٧٠١٥٣٥٠٠ دينار ، ومن ألمانيا الغربية ٥٦٩٨٧٦٠٠ دينار ، ومن اليابان ٢٠٨٩٤٤٠٠ دينار ، ومن إيطاليا ١٦٩٠٢٦٧٠٠ دينار ، ومن فرنسا ١٦٦٢٦٦٠٠ دينار ومن هولندا ١٤٤١٤٦٠٠ دينار ، ومن الصين الوطنية ١٦٦٣٨٦٠٠ دينار أي ما يساوي ٥٠٤٤ ٪ من المجموع العام للمستوردات البالغ ٥٧٤٤٩١٤٧٠٠ دينار . وفي العام ١٩٧٠ كانت النسبة ٥٠ ٪ من المجموع العام إذ بلغت المستوردات من كل بلد من البلدان المذكورة أعلاه بالتوالي : ٧٠٣٨٠٥٠٠ دينار ، ٨٠٨١٥٦٩٠٠ دينار ، ٥٦٩١١٦٥٠٠ دينار ، ٢٠٢٣٥٤٤٠٠ دينار ، ١٦٦٤٨٠٠٠ دينار ، ١٦٢٧١٤٧٠٠ دينار ، و ١٤٤٩٦٦٧٠٠ دينار .

(٢) استمرار العجز في الميزان التجاري الأردني بمعدل متزايد سنويا ، نتيجة لسوء التخطيط الإنتاجي للحكومات الأردنية المتعاقبة ، وغياب أي توجيه صناعي لسلع التصدير ، ولعدم استغلال المواد الأولية وقوى العمل المتوفرة في البلاد لبناء صناعات بديلة عن الصناعات المستوردة أو صناعات إنتاجية جديدة ، فقد بلغ العجز في الميزان التجاري للفترة ما بين السنوات ١٩٦٤ - ١٩٧٠ نسبة متزايدة سنويا تفوق المساعدات الإمبريالية في قيمتها إذ تراوح العجز ما بين ٤٤ - ٥٣ مليون دينار أردني (الجدول ١) .

الجدول ١

ميزان التجارة الخارجية للفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٧٠ (٧)

بالدينار الأردني

السنة	المستوردات	الصادرات	العجز التجاري
١٩٦٤	٥٣٤٥٥٨٤٤٠٠	٨٤٧٢٨٠٠٠	٤٤٠٨٣٠٤٤٠٠
١٩٦٥	٥٦٤٠٥٢٤٢٠٠	٦٤٩١١٤٢٠٠	٤٦٤١٤١٤٠٠٠
١٩٦٦	٦٨٤٢١١٤٥٠٠	١٠٤٣٩٩٤١٠٠	٥٧٤٨١٢٤٤٠٠
١٩٦٧	٥٥٠٤٧٤٧٠٠٠	١١٤٣٢٦٤٨٠٠	٤٣٤٧٢٠٤٩٠٠
١٩٦٨	٥٧٤٤٩١٤٧٠٠	١٤٤٢٩٢٤٥٠٠	٤٣٤٢٩٩٢٠٠
١٩٦٩	٦٧٤٧٥١٤٨٠٠	١٤٤٧٤٨٤٦٠٠	٥٣٠٠٣٤٢٠٠
١٩٧٠	٦٥٤٨٨٢٤٠٠٠	١٢٤١٦٩٤٨٠٠	٥٣٠٧١٢٤٢٠٠

(٣) محاولة تسديد الديون عن طريق زيادة الضرائب : يغلب على النظام الضريبي في الأردن الضرائب غير المباشرة « أي زيادة أسعار السلع والخدمات » ، والنوع هذا من الضرائب تتحمله أوسع الطبقات الجماهيرية في الأردن عند الاستهلاك ، ويتحمله بشكل خاص أفراد الطبقات الفقيرة والمتوسطة الدخل والذين إما أن يخفصوا من مستوى

معيشتهم بتقليل شراء السلع أو ينفادون البلاد بحثاً عن العمل ، وكلا التصرفين لا يحدم الصالح العام ولا هدف الحكومة هذا . أما الضرائب المباشرة على الدخل (الامرات والشركات) في ظل الازمة الاقتصادية الراهنة وغياب التصنيع المحلي وفقدان تشجيع الانتاج الوطني فترفع من مستوى الاعباء والتكاليف الانتاجية مما يعيق التنمية الاقتصادية ويجعل الدولة بحكم نهج تفكيرها الرجعي بحاجة مستمرة للتعويض عن الديون بطلب المزيد من المساعدات الامبريالية والرجعية الغربية . للاسباب السابقة تتراكم الديون الخارجية مضافا اليها قيمة الفوائد وهذا يعني انتقال الثروة القومية الى بلد آخر مستقبلا وعند السداد حتى الجزئي .

باختصار يمكن القول ان الاقتصاد الاردني ارتكز بشكل شبه كلي على تدفق الرياميل والمعونات من الخارج ولم يعد بإمكان الحكومة — في ظل النظام الاقتصادي المتبع — التخلي عن ذلك الا بتايح سياسة وطنية اقتصادية وسياسية وطبقية . وهذه فرضية مستحيلة بحكم التركيبة الاقطاعية — البرجوازية للنظام الاردني ، مما يبقيها باستمرار في وضع تعمي للسوق الامبريالية العالمية، حتى يمكن الحفاظ على مستوى الانفاق المرتفع للاجهزة العسكرية .

ان عدم تشجيع الإدخار القومي وهروب راس المال الوطني — نتيجة للحالة السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد — ولا اعتماد الاقتصاد على القطاع الخاص واهمال القطاع العام وتوجيه استيراد المواد الاولية من الدول الرأسمالية — بغض النظر عن الاسعار — وعدم اعتماد الحكومات الاردنية سياسة تشجيع الصناعات المحلية وتنمية الزراعة وزيادة انتاجها أدت الى فقدان الثقة بين قوى الانتاج والدولة فربطت الدولة مستقبلها الاقتصادي بالتبعية للسوق الرأسمالية العالمية ومستقبلها السياسي بقوى الامبريالية مما فرض عليها اتخاذ مواقف سياسية مضادة لقضايا الجماهير اليومية فبرزت نتيجة لذلك كله حالة اجتماعية واقتصادية مظهرها الاساسية الاستغلال الكامل لجماهير الشغيلة والعمال وتقييد الحركة الاقتصادية العامة للبلاد . فارتفعت تكاليف المعيشة وانتشرت البطالة وازداد الوضع الاقتصادي تأزماً ولم تجد الدولة امامها للخلاص من هذه الازمة الا المزيد من اللجوء لصدقات الامبريالية واعانتها مقابل التنفيذ الكامل لسياسة الدول الامبريالية وبرامجها وشروطها السياسية .

العامل الثاني : يغزو الاقتصاد الاسرائيلي تدريجيا اسواق الضفة الشرقية من الاردن ، مستفيدا من التعامل التجاري وحركة مرور البضائع والاموال والافراد والخدمات عبر الجسور المفتوحة بين الضفتين ، مباشرة من خلال اعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاولية والخدمات الاسرائيلية والتي تمثل نسبة عالية من تكاليف الانتاج ، وبشكل غير مباشر عن طريق احلال مستوردات الضفة الغربية من اسرائيل مكان المصدرات للضفة الشرقية بغرض الاستهلاك المحلي .

فبالنسبة لاعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاسرائيلية المنبع والانتاج — واذا ما استثنينا حركة الافراد عبر الجسور المفتوحة وما ينفونهم معهم من النقد والاموال السائلة والتي تمثل مصدرا ايراديا للضفة الغربية يستخدم في عملية التبادل التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل — فان المواد الاساسية التي تمر عبر الجسور المفتوحة وتشكل الميزان التجاري بين الضفتين هي البضائع الصناعية والزراعية . ومع ان المنتوجات الزراعية المستوردة من الضفة الغربية لا تحتوي على مواد اولية اسرائيلية في تركيبها الظاهري ، الا أننا لا نستطيع ان نوافق على الحجة الاردنية التي تدعي بأن المنتوجات المستوردة من الضفة الغربية ذات تركيبة وتكاليف عربية مئة بالمئة . لان اسعار هذه المنتوجات تتحدد بالاساس في ضوء تكاليف انتاجها . واذا ما حللنا تكاليف انتاج بضائع الضفة الغربية لوجدنا ان نسبة عالية منها مشتتة من الاسواق الاسرائيلية

بأنواع مختلفة مثل اجرة او استهلاك آلات ، ثمن الاسمدة و المواد الكيماوية ، ثمن تشغيل الطاقة الكهربائية والمائية والبتروولية . . الخ . فاذا علمنا ان اسرائيل تنجح تجار الضفة الغربية من استيراد الآلات الزراعية والصناعية عبر الجسور المفتوحة (آلات الخراثة والحصاد والدراسة والعصر . . الخ) ، نستطيع القول ان قيمة استهلاك او اجرة الآلات المستخدمة في الانتاج والتي تحبل المنتوجات بها كجزء من التكاليف تدفع في الاصل الى مالك الآلة او بائعها الاساسي في اسرائيل . كما ان الاسمدة و المواد الكيماوية اللازمة لمعالجة الامتات الزراعية تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل ، وكذلك مصادر الطاقة المائية والكهربائية وبشكل أكثر وضوحا البتروولية . انطلاقا من ذلك كله نستطيع ان نؤكد ان جزءا اساسيا من تكلفة الإنتاج الزراعي للضفة الغربية تشتتري من رأس المال الاسرائيلي . وفي الانتاج الصناعي تبرز هذه الناحية بشكل أكثر وضوحا . فبالإضافة لتكاليف استهلاك الآلة وأجرتها و ثمن الطاقة والادوات الصغيرة « التعليب » فان المواد الأولية تنتسرب للسلع الصناعية الجاهزة المصدرة للاردن في ظل عدم توافر الخامات الأولية الكافية لمعظم الصناعات في الضفة الغربية ، وأضافة لكل ذلك تدخل في تكاليفها ادوات التغليف الضرورية لحفظها ، كصفائح الزيت و الكياس الزيتون وأوراق اللف وصناديق الخشب والحديد التي تحمل بها البضائع . . الخ .

اذا ما استعرضنا المصانع الحالية القائمة في الضفة الغربية والتي تنتج سلع التصدير الصناعي للضفة الشرقية نستطيع ان نتبين كيفية تداخل الاقتصاد الاسرائيلي بالمنتوجات الجاهزة ، سواء بالمواد الأولية أم الخدمات الأساسية أو المساعدة : (١) مصنع تغليب البندورة - الخليل : يعتمد على المشتريات التالية من اسرائيل : الصفائح - المواد الكيماوية اللازمة للتغليب - أسمدة انتاج البندورة - طاقة تشغيل الآلات بالإضافة للضرائب المدفوعة للحكومة الاسرائيلية . (٢) مصانع الزيوت النباتية في نابلس : الصفائح - المواد الكيماوية - الاسمدة - الطاقة - الضرائب . (٣) صناعة المشروبات الروحية في بيت جالا : الزجاج - المواد الكيماوية - الاسمدة - الطاقة - الضرائب . (٤) صناعة المفروشات في بيت لحم : الخشب - المواد الكيماوية « الغراء » - الدهان - العدد الصغيرة (مسامير ، براغي . . الخ) - الطاقة - الضرائب . (٥) مصانع النسيج في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب - والآلات الجديدة . (٦) مصانع الاحذية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب - العدد الصغيرة - المواد الكيماوية . (٧) مصانع البلاط في غزة والضفة الغربية : الطاقة - المواد الكيماوية - الآلات الجديدة - الضرائب . (٨) مصنع الشوكلاتة برام الله : سلفانا والمصانع الصغيرة في القدس ونابلس : مواد أولية مستوردة من الخارج عبر اسرائيل (ككاو - سكر) - مواد كيماوية - طاقة - ضرائب . (٩) مصانع الزجاج في الخليل : مواد كيماوية - طاقة - ضرائب . (١٠) الصناعات التذكارية والسياحية في بيت لحم : مواد كيماوية - ضرائب . (١١) مصانع البلاستيك في بيت ساحور والقدس : (وهي أكثر الصناعات تصديرا ليس للضفة الشرقية فقط بل للبلاد العربية كذلك - الكويت مثلا - وأكثر الصناعات اعتمادا على البضائع والخدمات الاسرائيلية) - الآلات حديثة ومستوردة عبر اسرائيل - المواد الاساسية الأولية الكيماوية وكلها مواد مستوردة من اسرائيل كذلك الطاقة والضرائب وادوات التغليف . (١٢) مصانع الادوية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب .

ويبقى خارج التعامل التجاري بين الضفتين مصنعان فقط : الاول مصنع التبغ والسجائر في القدس والثاني مصنع المرطبات في نابلس . اما الاول فلاهية انتاجه للأسواق الاسرائيلية والثاني لعدم قدرته على منافسة الصناعات المماثلة في الضفة الشرقية .

وأما بالنسبة لغزو الاقتصاد الإسرائيلي لأسواق الضفة الشرقية بشكل غير مباشر عن طريق استيراد الضفة الغربية للمنتجات الإسرائيلية ذات الصفة الاخلاقية والسبت الكاملة للمنتجات المصدرة للضفة الشرقية فمظهر بشكل واضح من خلال تحليل تطور ميزان التجارة بين الضفتين خلال السنوات الثلاث الاولى من الاحتلال .

على الرغم من أن الضفة الغربية مثلت ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و ٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي فقط قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ من مجموع الانتاج الاردني السنوي (٨) الا أن ميزان التجارة الحالي بين الضفتين يميل وياتساع كبير لصالح الضفة الغربية وتتشكل بنوده من منتجات استهلاكية محلية في الضفة الشرقية أكثر منها سلعا تصديرية . فبينما بلغت قيمة ما صدرته الضفة الشرقية للضفة الغربية ٢٤٤٩ مليون ليرة اسرائيلية نجد انها استوردت ما قيمته ٦٩ مليون ل . ا . من الضفة الغربية عام ١٩٦٩ . اي يفوق لصالح الضفة الغربية مقدارها ٤٤٤١ مليون ل . اسرائيلية تساوي نحو ٥٦٥ مليون دينار اردني (الجدول رقم ٤) الا أن الخطورة لا تكمن بالقيمة الاجمالية هذه بل بنوعية السلع المتبادلة بين الضفتين حيث يقلب على سلع الاستيراد من الضفة الغربية السلع الصناعية . فعلى الرغم من سياسة الحكومة في عمان والتي عملت على مركزة اهم الصناعات الاردنية في الضفة الشرقية وعلى الرغم من أن الضفة الغربية كانت المستهلك الدائم وليس المصدر للصناعات في الضفة الشرقية اجمالا الا اننا نلاحظ ان ميزان التبادل التجاري الصناعي هو في صالح الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ ، مما قلب موازين حركة بتقل السلع الصناعية لصالح الانتاج الصناعي في الضفة الغربية وبالتالى اسرائيل . ومن هنا باتت اسواق الضفة الشرقية مركزا لتسويق البضائع الصناعية شبه الاسرائيلية مما ساعد على توقف أو خسارة العديد من المشاريع المشابهة في الضفة الشرقية كمصانع التريكو والاحذية والزجاج والمنسوجات والصابون في عمان والزرقاء . ان التدقيق في ميزان التجارة بين الضفتين للسنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ والذي يمكن الحصول عليه من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٧٠ (لغات الاحصاءات الاردنية) يبين مجموعة من الظواهر والنتائج التالية :

١ - يميل ميزان التجارة لصالح الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ وبنسبة متزايدة سنويا مما يفسح المجال لتسرب المنتوجات الاسرائيلية لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لتداخل المواد الأولية وتكاليف الانتاج الاسرائيلية في سلع الاستيراد الزراعية والصناعية ولأن الاراضي العربية المحتلة تستهلك سلعا اسرائيلية بديلة للسلع التي تستوردها الضفة الشرقية خاصة وأن الضفة الغربية لا تعتبر بلدا صناعيا بل على العكس من ذلك لا تزال تستورد السلع الصناعية الأولية . فبالنظر لميزان التجارة بينها وبين اسرائيل نجد انها تستورد بالدرجة الاولى المنتوجات الصناعية الاسرائيلية . فمن اجمالي مستوردات الضفة الغربية البالغ ٢٩٥٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ هناك ٢٣٦ مليون ل . ا . قيمة المستوردات من اسرائيل منها ١٩٧٤١ مليون ل . ا . سلع وبضائع صناعية (٩) .

٢ - أن اسرائيل تركّز على غزو اسواق الضفة الشرقية بالسلع الصناعية عن طريق تشديد القيود على المنتجات الزراعية وتخفيف شروط تصدير المنتجات الصناعية مما أدى الى تزايد تصدير الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من البضائع الصناعية من ٢٣٦٢ مليون ل . ا سنة ١٩٦٨ الى ٣١٤٤ مليون ل . ا سنة ١٩٦٩ ، وتناقص في تصدير السلع الزراعية من ١٣ مليون ل . ا عام ٦٨ الى ١٢٤٧ مليون ل . ا عام ١٩٦٩ (جدول رقم ٢) .

٣ - في الوقت الذي تعتبر فيه اسواق الضفة الشرقية اهم الاسواق لبضائع التصدير في الضفة الغربية فان الاقتصاد الاردني لا يستفيد من اسواق الضفة الغربية تصديرا الا بنسبة ضئيلة لا تتناسب مع القدرة الاستهلاكية للضفة الغربية او حركة الاستيراد منها .

مقد مثلت مستوردات الاراضي المحتلة من الضفة الشرقية للاردن ٨٪ فقط من مجموع المستوردات السنوية في المتوسط . حيث بلغت نسبة المستوردات من الضفة الشرقية ١٤٦٪ ، ٧٦٦٪ ، ٨٤٤٪ فقط في السنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ وشكلت السلع الزراعية الحجم الاكبر من هذه المستوردات فبلغت ٧٣٤٣٪ ، ٦٨٤٢٪ في السنوات ٦٨ ، ٦٩ . وفي المقابل كانت نسبة صادرات الضفة الغربية لاسواق الضفة الشرقية ٥٠٪ من مجموع الصادرات في المتوسط ، فقد بلغت نسبة التصدير ٧٩٤٤٪ ، ٤٦٤١٪ ، ٥٠٤١٪ من كل صادرات الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ للسنوات نفسها ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ وكانت البضائع الصناعية تمثل الجزء الاكبر منها فبلغت ٥١٤٦٪ ، ٥٧٪ للسنتين ٦٨ ، ١٩٦٩ . (الجدول رقم ٢) . ان عدم التناسب الكبير في حركة التبادل التجاري بين الضفتين يكاد يجعل الاتجار من جانب واحد « استيراد كبير من الضفة الغربية وتصدير قليل القيمة لها » . واذا ما استخرجنا الفرق بين صادرات وواردات الضفة الشرقية مع الضفة الغربية لوجدنا ان العجز يساوي نحو ٢٠٪ من قيمة عجز ميزان التجارة الخارجية الاردني عام ١٩٦٩ حيث بلغ قيمة العجز نحو ٥٣ مليون دينار اردني (الجدول رقم ١) .

٤ - لم تساعد الجسور المفتوحة فقط الاقتصاد الامرائيلي على غزو اسواق الضفة الشرقية بل ونتيجة لتطبيق السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لحركة التبادل التجاري عبر الجسور فقد اغلقت في وجه البضائع الصناعية الاساسية الاردنية اسواق الضفة الغربية الواسعة : فقبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ كانت الضفة الغربية تستهلك ٦٠٪ من انتاج الاسمنت و ٤٠٪ من انتاج البترول والاقمشة وهذه السلع على رأس قائمة المنوعات من اجتياز الجسور . وبدا تأثرت صناعة الاسمنت والصناعات المكلمة (البناء والدهان . . . الخ) وصناعة الاقمشة بشكل كبير . وكان لعدم قدرة هذه الصناعات على التسويق في الضفة الغربية اثر رئيسي في تعطيل العديد من المصانع في الضفة الشرقية وتوقفها ، فقد ساعد ذلك على اغلاق شركات المقاوله والبناء المذكورة وتسريح عمالها مما ادى الى شلل الدورة الصناعية وانتشار البطالة في الاردن .

الجدول ٢

الميزان التجاري لتجارة الاراضي العربية المحتلة مع الضفة الشرقية للاردن

للسنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ (١)

((بملايين الليرات الاسرائيلية))

السنة	البيان	التصدير	الاستيراد	فائز التصدير عن الاستيراد
من ١٩٦٧	الشهور الاربعة الاخيرة	٢٢٤٦		
	سلع زراعية	١١٤٧		
١٩٦٨	المجموع	٢٤٤٦	٤٨	٢٣٤٨
	سلع صناعية	٢٨٤٠	٤٤٨	٢٣٤٢
١٩٦٩	سلع زراعية	٢٦٤٢	١٣٤٢	١٣٠٠
	المجموع	٥٤٤٣	١٨٤١	٣٦٤٢
١٩٦٩	سلع صناعية	٢٩٤٣	٧٤٩	٢١٤٤
	سلع زراعية	٢٩٤٧	١٧٤٠	١٢٤٧
	المجموع	٦٩٤٠	٢٤٤٩	٤٤٤١

العامل الثالث : قطع بعض الدول العربية (سوريا وليبيا والجزائر ومصر واليمن الديمقراطية) علاقاتها الاقتصادية مع الأردن ، وأعلن بعضها إغلاق الحدود في وجه التجارة الخارجية الأردنية . كما جهدت كل من الحكومة الليبية والحكومة الكويتية المساعدات المالية التي كانت تدفعها سنويا لدعم الاقتصاد الأردني ، بعد هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، احتجاجا على السياسة التي مارستها السلطات الأردنية ضد الشعب الأردني ، والحركة الوطنية الأردنية وقوى حركة المقاومة الفلسطينية ، وتحديدًا بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ ، وأحداث جرش ١٩٧١ . وأدى ذلك إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية وإلى خسارة الاقتصاد الأردني لجزء مهم من موارده أهمها :

أولا : خسارة ميزان التجارة بنسبة تعادل ٣٣٪ من قيمة الصادرات الوطنية العاملة و ٢٥٪ من المستوردات الإجمالية أي ما يعادل ٤٤٪ من مجموع قيمة الصادرات للدول العربية و ٧٥٪ من المستوردات من الدول العربية (١). فقد شكلت أسواق الدول العربية المجالات الأساسية الأكثر حيوية لتصريف المنتجات الأردنية من سلع وخدمات . فقد بلغت نسبة الصادرات الأردنية للدول العربية ٦٤٪ ، ٦٧٪ ، ٧٠٪ من مجموع الصادرات و ١٩٪ ، ١٩٪ ، ٢٠٪ من مجموع قيمة المستوردات للسنوات ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٨

الجدول ٣

التجارة مع أهم الدول العربية للسنوات ١٩٦٦ - ١٩٦٨ - ١٩٧٠ (١)

(بالدينار الأردني)

القطر	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠
مجموع الدول المقاطعة والمتأثرة بالمقاطعة			
سوريا	١٤٣٠٨٤١٧٦	٨٦٨٤٤٢٨	٣٤٣٤٨٤٣٦١
لبنان	١٤١٤٣٤٥٥٤	١٤٤٢٦٤٨٣٦	٣٤٧٧٢٤٩٨٠
مصر	٧٨٨	١٤٤٦٨٩	١٤٢٨٥٤٠٠٧
اليمن الديمقراطية	٦٨٨	١١٤١٧٥	٥٧٤٩٨٦
الجزائر	١١١	—	٥١٤٥٥٦
ليبيا	٩١١	٢٧٤٥٣٩	١٩٤
المجموع	٢٤٤٥٤٦٢٨	٨٤٣٤٤٥٨٧	٨٥٥١٦٤٠٦٦
الدول الأخرى			
السعودية	٧٩٤٤٩٢٢	١٤٥٣٩٤٥٩٠	٢٤٤٣٦٤٢٠٠
العراق	١٤٢٨٦٤٧٩١	١٤٧٩٦٤٢٨١	١٤٧٧٧٤١٠٦
السودان	٤٤	١٣٢٤٥٦٨	٣٧٣٦٠٦
الكويت	١٤٠٧٧٤٦٩٦	٢١٢٤٣٧٢	٢٨٤٢٣٢
المغرب	٣	١٠٤٥٠٠	١٠٤٤٧٩
مجموع الدول العربية	٥٤٦٤٦٤٢٥٧	١١٠٤١٤٤٧٧	١٣٤١٨٢٤٤٣٤
نسبة الدول العربية للمجموع العام	٦٤٪	٦٧٪	٢٠٪

١٩٧٠ على التوالي . وكان نصيب الدول التي أعلنت المقاطعة والتي تأثرت بالمقاطعة (مثل لبنان) (١٢) ٦٤ ٪ - في الفترة الأولى واثناء اشتراك الحكومة العراقية بقرار المقاطعة - و ٤٤ ٪ حتى حزيران ١٩٧٢ من مجموع الصادرات للدول العربية و ٧٤ ٪ من مجموع المستوردات العربية (١٢) وبنسب أكثر انخفاضاً في الفترة الحالية نتيجة تراجمات بعض الدول العربية وتخفيف شروط المقاطعة الاقتصادية (الجدول رقم ٣) . ساهبت خسارة هذا القطاع من التجارة الخارجية بدرجة كبيرة في الأزمة الاقتصادية الراهنة ، وترتب في ضوء ذلك مجموعة من النتائج :

النتيجة الأولى : زيادة قيمة العجز في ميزان التجارة الخارجية وميزان المدفوعات ، والفشل في تحويل الصادرات نحو أسواق جديدة : تركيبة ونوعية السلع الصالحة للتصدير ، تتشكل في معظمها من المزروعات الطازجة (خضار وفواكه) ، وتتطلب لتسويقها أسواقاً قريبة وفترة زمنية قصيرة ، مما لا يساعد على تحويل الانتاج الزراعي الى الأسواق الخارجية البعيدة ، إضافة لتوفر سلع بديلة لسلع التصدير في الأسواق الخارجية وضعف قدرة البضائع الأردنية على المنافسة في الأسواق العالمية لارتفاع أسعارها نتيجة لزيادة تكاليف نقلها . ونظرة أولية لأنواع سلع التصدير وقيمتها النقدية تبين لنا الى أي مدى يفقد نظام التصدير القدرة على الحركة والتحول الى خارج أسواقه العادية العربية . فاذا اعتدنا جداول التصنيف السلمي لتجارة الأردن - سوريا (الجدول ٤) والأردن - لبنان (الجدول ٥) فإنا نخرج بالملاحظات التالية :

١ - تمثل السلع الصناعية ١٨ ٪ فقط من سلع التصدير لسوريا و ٣١ ٪ من سلع التصدير للبنان . كما أن نوعية السلع الصناعية استهلاكية في غالبيتها أولاً ولا تتمتع بأي ميزة احتكارية ثانياً ومن السلع ذات التكاليف المرتفعة للنقل ثالثاً . ولا يمكن أن تتمتع بالأسواق الأجنبية بالاعفاءات الجمركية وشروط التسويق التي نظمتها اتفاقية الترانزيت والتجارة العربية ، مما يولد صعوبات عديدة في تصريفها في الأسواق الخارجية الأخرى .

الجدول ٤

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/سوريا ١٩٧٠ (١٥) و (١٦) (بالدينار الأردني)

الصادرات	المنفذ	القيمة	المنفذ	القيمة
السلع الصناعية :	اهم السلع :			
أدوية الطب البشري	أبقار	٥٣٤٤٦٨	١٠٥٤٣٣٧	
الاسمنت	ضأن	٣٦٤١٦٥	٦٧٤٤٥٦٣	
السنجائر	ماعز	٣٥٤٧٦٦	٦٥٤٤٦٦٩	
ورق كرفيت لاكياس التعبئة	شعير	٣٧٤٣١٦	١٢٤٤٨٣٥	
جماعات كهربائية ٦ فولت	منسوجات	٢١٤٩٥٨	٣٣٣٤٧٧٦	
جلود خام	مواد أخرى	١٩٤٣٩٠	١٤٢٩٨٤٧٦٣	
مركبات أعلاف وعلاف		١٩٤٥٢٩		
فوسفات واحجار زملية وصوانية		١١٤٥٨٨		
منسوجات وجوارب ومصابون		٢٠٤٤١٣		
مجموع السلع الصناعية		٢٥٥٤٥٩٣		

٤٦١٤٩٩٣	بندورة
١٥٥٤٩٠٧	باذنجان طازج
٢٥٤٧٨٢	فول أخضر
١٣٤٦٨٧	بصل للاكل
١٤٤٥٧٧	كوسا طازجة
١١٤٠٤٩	فلفل أخضر
٩٤٩٨٣	فاصوليا خضراء وزهرة
٦٩٢٤٩٧٨	وخضروات اخرى
٢٥٠٤٠٨٨	مجموع الخضروات
٧٣٤٤٠٤	برتقال
٤٧٤١١١	موز
٣٠٤٦٤٠	ليمون حامض
١١٤٧٥٤	بطيخ
	لوز
	مئدلينيا وكريبرفروت وكلمنتين ولوز
١٥٤٩٨١	مقشر وبندر، يانسون
٥٢٨٤٩٧٨	مجموع الفواكه
١٤٢٢١٤٩٥٦	مجموع المواد الزراعية
٢٠١٩١٤٩٤٣	المجموع العام

الجدول ه

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/لبنان ١٩٧٠ (١٧)

القيمة	الصف	القيمة	الصف
المستوردات	اهم السلع :	الصادرات	السلع الصناعية :
٥٢٢٤١٧٢	بيض	٢٧٣٤٤٩٣	نوسفات واحجار رملية وصوانية
٤١٧٤٣٠٣	بطاطا	١٤٦٤٧٩٨	جلود خام
١٠٩٤٤٩٢	عنب	٩٤٦٣٨	جماعات كهربائية ٦ فولت
٣٧٨٤٨٣٤	تفاح	٢٤٤٧٣٨	مواد صناعية اخرى
٢٧٠٤٧٠٩	زيوت تشحيم	٤٥٤٤٦٦٧	مجموع السلع الصناعية
٢٠١٩١٤٩٥٤	مواد اخرى		السلع الزراعية :
	« اسماك ، ومنتجات مخازن فاخرة	٢٠٦٤٧٠٣	بندورة
	وزجاج وصفائح ومواسير وزجاج	٧٣٤٤٥٨	باذنجان طازج
	طبي واجهزة صحية وكلمنتين	١٥٤٧٩٠	بصل للاكل
	واسمنت وكبريت ... الخ »	٦٨٣٤٢٢٨	خضروات وفواكه اخرى
		٩٧٩٤١٧٩	مجموع السلع الزراعية
٥٥٤٠٩٤٠٦٤	المجموع العام	١٤٤٣٣٤٨٤٦	المجموع العام

٢ - السلع الزراعية الطازجة تشكل ٨٢٪ من سلع التصدير لسوريا و ٦٩٪ من سلع التصدير للبنان ، كما ان هذه السلع لا يمكن حفظها بالبرادات لفترة طويلة (الخضروات)

أولاً ، والفواكه الأردنية عاجزة عن دخول أسواق المنافسة الخارجية لتوفر الفواكه الأكثر جودة وأقل سعرا في هذه الأسواق (منتجات إسبانيا وإيطاليا وإسرائيل . . .)
ثانياً ، ومصانع تعليب وحفظ المنتجات الزراعية محدودة ، ثالثاً . مما يؤدي بالنتيجة إلى تلف المزروعات المنتجة ويخلق العوائق أمام تسويقها .

٣ - تمييز السلع المستوردة من الدول العربية بانخفاض الأسعار بالنسبة للأسعار العالمية لتمتعها بالاعفاءات التي نظمتها الاتفاقيات الجماعية والثنائية العربية واتفاقية السوق العربية المشتركة ، ولانخفاض تكاليف النقل لقرب المسافة . فأسعار المواشي والحيوانات منخفضة بالنسبة للأسعار العالمية لقربها من المراعي التركية وتوفرها في الجمهورية العربية السورية وتمثل 47% من المستوردات من سوريا (الجدول ٥) ، كما تتمتع أسعار البيض والصفائح والزجاج والأسماك والكلس والزيتون والتفاح والعنب المستوردة من لبنان بانخفاض الأسعار وتشكل 75% من المستوردات في لبنان (الجدول ٣) . ان التحول نحو استيراد السلع نفسها من الأسواق الخارجية سيؤدي إلى ارتفاع أسعارها في الأسواق الأردنية بنفس نسبة ارتفاع تعرفه النقل من الأسواق الخارجية .
٤ - قيمة الرسوم والاعفاءات الجمركية .

النتيجة الثانية : انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي ، وخسارة الشركات الصناعية وسيادة البطالة بين العمال :

١ - انخفض العائد على الانتاج الزراعي لخسارة المزارعين اثمان المنتجات الزراعية المعدة للتصدير للدول العربية بعد تعديل نظام المحاصصة بين الملاكين والمزارعين الذي فرضه كبار ملاكي الأراضي بحيث يتحمل المزارع خسارة مالك الأرض فقد « كان ملاكو الأراضي الزراعية في الأغوار منذ ما قبل عدوان ٦٧ وحتى العام الماضي ١٩٧١ يؤجرون أراضيهم للمزارعين الصغار (العاملين بالمحاصصة) بالنسب التالية : الأرض السقي - للملاك 40% من الانتاج وللزارع 60% منه - ، الأرض البعل : للملاك 25% - 30% من الانتاج وللزارع 70% - 75% منه غير ان ملاكي الأرض هذا العام فرضوا نسبة اجري فأخذوا يتقاضون من الأرض السقي 50% من الانتاج ومن الأرض البعل 40% من الانتاج » (١٨) . أما ملاكو الأراضي الصغار فقد كثر اقبالهم على بيع أراضيهم والتوقف عن الانتاج والشحول نحو البناء في احسن الاحوال . فنشطت حركة بيع الأراضي وتجارة شركات العقارات . وامتلات الصحف باعلانات الشركات المقاربية التي عرضت بيع مساحات واسعة من **الأراضي الزراعية** وفي مناطق زراعية مختلفة من الاردن (انظر مثلاً صحيفة الرأي من $6/3$ - $1971/7/21$ حيث نعث على عشرين اعلاناً لبيع الأراضي في مناطق صويلح ، غور كبد ، وادي السير ، ناعور ، ابو غلندا ، ماركنا ، الحمر ، البقعة ، وادي الضليل ، الفحيص ، اربد) .

ساهم الانتاج وتغير نظام المحاصصة وبيع الأراضي الزراعية في زيادة حدة الأزمة الاقتصادية على الفئات الشعبية الفقيرة والمحدودة الدخل ، التي انخفض دخلها الحقيقي بارتفاع تكاليف المعيشة مع تناقص الدخل ، وانتشرت البطالة بين صفوف العمال الزراعيين الذين يشكلون نسبة كبيرة من قوى العمل في الاردن .

٢ - انخفاض العائد على رأس مال الشركات الصناعية وتحقيق خسائر كبيرة في موازنتها وتوقف بعضها عن الانتاج :

ان تراكم المخزون وعدم تصريف المنتجات التصديرية الصناعية في اسواق الدول العربية والأراضي العربية المحتلة وارتفاع أسعار المواد الأولية المستوردة من اسواق الاحتكارات الامبريالية أدى إلى تحقيق خسائر كبيرة نسبياً في موازنة معظم الشركات الصناعية الكبيرة . فقد اظهرت ميزانية شركة الفوسفات العمومية للسنة المنتهية في

٧١/١٢/٢١ حصاره محققة مقدارها ٤٦٢٠٩٧١ ديناراً اردنياً منها ٢٤٤٠٢٠ ديناراً حساباً مرحلة من العام السابق (١٩). والميزانية العمومية لشركة التبغ والسجائر الاردنية للنسبة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ ١٩٧٠ ٦٩٩ ٨٧٤ ديناراً اردنياً (٢٠). أما شركة اللبان الاردنية فقد اظهرت ميزانيتها العمومية المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ حساباً محققة مقدارها ٣٧٩١ ديناراً اردنياً (٢١). واحيلت شركة الورق والكرتون الى لجنة الامن الاقتصادي لدراسة اوضاعها المالية المتدهورة (٢٢). وصفت اكبر شركات المقاولات والبناء اعمالها وصرفت اكثر من ٩٠ ٪ من عمالها وتأثرت جميع الشركات المرتبطة بشركات البناء كشركات الدهان « شركة دهان الرصيفة » ومتاجر بيع أدوات البناء والتجارة والاثاث والحدادين بتوقف العمل في شركات المقاولات . وادى ذلك كله بالضرورة الى ازدياد عدد العمال العاطلين عن العمل والمسرحين من العمال الصناعيين والعمال الحرفيين وبالتالي الى انخفاض دخول افراد الطبقة العمالية الفقيرة . فقد بلغ عدد العمال المسرحين من شركة البناء والمقاولات العربية ٤٩٥ عاملاً من اصل ٥٠٠ عامل او في شركة شاهين للمقاولات ٦٦٠ عاملاً من اصل ٧٠٠ عامل ، وفي شركة ريم للمقاولات ٤٨٥ عاملاً من اصل ٥٠٠ عامل ، وفي شركة العماد « مظفر ابو السعود » ٩٨٠ عاملاً من اصل ١٠٠٠ عامل ، وفي شركة دلتا ٣٨٢ عاملاً من اصل ٤٠٠ عامل (٢٣) .

ثانياً : فقدت الموازنة الاردنية جزءاً مهماً من وارداتها المالية نتيجة لتجميد المساعدات العربية الليبية والكويتية والتي تبلغ نحو ٢٦ مليون دينار اردني سنوياً . وساعد ذلك على خلق الازمة المالية والاقتصادية الراهنة التي تعاني منها الأردن . خاصة ان هذه المساعدات كانت تغطي جزءاً كبيراً من بنود الانفاق في الموازنة لا تستطيع الحكومة الاردنية تغطيتها بالواردات المحلية نتيجة لسياستها الاقتصادية غير الوطنية ، مما يؤدي الى زيادة العجز السنوي في الموازنات الاردنية التالية لقرار التجميد .

بناءً على مشروع الموازنة ١٩٧٢/٧٢ تشكل المساعدات الكويتية المجمعة ما قيمته ٣٢٤٥٦٠٠٠٠ دينار اردني وتمثل بذلك ٢٦ ٪ من مجموع بنود الانفاق . ولضعف قدرات البلاد الانتاجية ومواردها المحلية عن تغطية قيمة هذا المبلغ - الذي يمكن ان يبقى مجمداً امام استمرار سياسة النظام الاردني الحالية - كما اعترف بذلك وزير المالية الاردني في خطابه امام مجلس النواب في معرض طرحه لمشروع الموازنة ولتوقف المساعدات الليبية بشكل كامل (الغيت قيمة المساعدات الليبية من مشروع الموازنة) ، فاننا نستطيع القول ان حالة الانهيار الاقتصادي ستتضاعف وستحاول الحكومة مواجهة الانهيار هذا - كما عودتنا دائماً - باللجوء الى المساعدات الامبريالية مقابل مزيد من الاستسلام لسياسات الامبريالية الامريكية ومخططاتها في المنطقة . . .

- ٦ - كتاب الاحصاء السنوي الاردني - التجارة الخارجية - ١٩٧٠ .
- ٧ - المرجع السابق - التجارة الخارجية - ١٩٧٠ .
- ٨ - غواد حمدي بيسيو « الآثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة « شؤون فلسطينية » ، العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .
- ٩ - كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - ١٩٧٠ .
- ١٠ - المرجع السابق .
- ١١ - استخرجت النسب باعتماد النسب المرجحة

- ١ - غواد حمدي بيسيو « الآثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة « شؤون فلسطينية » ، العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .
- ٢ - الراي ، ١٢/٥/١٩٧٢ « تصريح انيسن المِعثر وزير المالية الاردني » .
- ٣ - الراي ، ١٩/٥/١٩٧٢ .
- ٤ - حول هذا الموضوع انظر كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، ايلول ١٩٧١ تسم التعبئة في الريف وتشكيل الجيش الشعبي من ١٢٢ .
- ٥ - المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

- ١٥ - المرجع السابق بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .
 ١٦ - تم اختيار سلع المستوردات التي تزيد قيمتها عن ١٠٠ الف دينار وجمعت ارقام الصادرات التي تقل عن ١٠ الف في بنود موحدة .
 ٦٧ - كتاب الاحصاء الاردني السنوي - التجارة الخارجية - ١٩٧٠ بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .
 ١٨ - الجواهر « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ ، العدد ١ - كانون الثاني ١٩٧٢ .
 ١٩ - الراي ، ٢٩ ايار ١٩٧٢ .
 ٢٠ - الراي ، ٢ حزيران ١٩٧١ .
 ٢١ - الراي ، ١٧ حزيران ١٩٧١ .
 ٢٢ - الوطن « نشرة شهرية تصدرها الجبهة الشعبية الديمقراطية - فرع الاردن » - السنة الاولى - العدد الثاني ١٩٧٢ .
 ٢٣ - الجواهر « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ - العدد ١ - كانون الثاني ١٩٧٢ .

- لارقسام الصادرات والمستوردات الظاهرة في الميزان التجاري الاردني للسنوات ٦٦ ، ٦٨ ، ١٩٧٠ .
 ١٢ - لم يعلن لبنان مقاطعته الاقتصادية للاردن ، الا انه تأثر بالمقاطعة السورية التي منعت مرور البضائع التجارية عبر اراضيها ولعدم وجود حدود مشتركة بين لبنان والاردن ولضخامة تكاليف النقل الجوي وقد بلغ ثأر التجارة الخارجية مع لبنان ما نسبته نحو ٧٠٪ من الصادرات اي قيمة الصادرات الزراعية التي توقفت تماما بينما استمر التعامل بـ ٣٠٪ فقط وهي قيمة الصادرات الصناعية التي نصت عليها اتفاقية السوق العربية المشتركة والتي بحكمها لا تتأثر بعض السلع الصناعية « كالفوسفات » بالمقاطعة .
 ١٣ - اعتبرت النسبة على اساس سنة ١٩٧٠ اساس للنسب .
 ١٤ - كتاب الاحصاء الاردني السنوي - التجارة الخارجية - ١٩٧٠ بيان رقم ١ .

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة البلول

بقلم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شتعث

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ق.

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٥٠٠ صفحة

٨ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

لانسكي وليبسكي واستغلال قانون العودة

الدكتور اسعد رزوق

كانت « شؤون فلسطينية » قد طلبت من الدكتور اسعد رزوق استعراض قضيتي لانسكي وليبسكي في اسرائيل بهدف اظهار محاولات استغلال قانون العودة الاسرائيلي من قبل المجرمين والمحتالين . ورغم ان ايا منهما لم يزل ما حاول الحصول عليه بسبب افتضاح قضيتهما بشكل يلحق باسرائيل سمعة سيئة جدا في أوروبا وأمريكا، الا ان مجرد لجوءهما الى اسرائيل واقامتهما كل هذه المدة الطويلة ، دليل على عيوب قانون العودة وعنصريته .

التحرير

تهدف هذه المقالة الى عرض قضيتين متشابهتين الى أبعد حدود التشابه ، لكي تضع كل قضية منهما في اطارها الصهيوني والاسرائيلي الاوسع . ونعني بهاتين القضيتين ما يلي : قضية ماير لانسكي ، الذي تلاحقه السلطات القضائية الاميركية بشتى التهم قبل أن يظهر بصورة مفاجئة في اسرائيل منذ تموز (يوليو) ١٩٧٠ — حيث لا يزال مقيما حتى الآن . وقضية رجل الاعمال اليهودي الفرنسي ، كلود ليبسكي ، الذي اختفى من فرنسا عقب افتضاح أمر النشاطات المالية الاحتالية التي كان يمارسها عبر شركاته ومؤسساته ، لكي يتبين للسلطات القضائية الفرنسية انه وصل الى اسرائيل بتاريخ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ . فالقضية الاولى ما زالت « عالقة » رغم الادانات والاحكام الصادرة بحق بطلها ماير لانسكي ، والسلطات الاسرائيلية لم تتشأ حتى الآن العثور على المسوغات القانونية لتسليم المطلوب الى سلطات بلاده أو اخراجه من اسرائيل . كما ان لانسكي لم يتع خياره على اللجوء الى اسرائيل عبثا ، بل جاء يحتمي في ظل « قانون العودة » الذي يمنح لكل شخص يهودي الحق في التوطن داخل اسرائيل وفي الحصول على الجنسية الاسرائيلية تحت ستار التأشيرة الممنوحة له بصفة « مهاجر عائد » . والقضية الثانية بقيت عرضة للجدل ، والاخذ والرد ، طيلة الشهور الماضية ، فلم تعمد السلطات القضائية الاسرائيلية الى تسليم كلود ليبسكي الا بعد ان سارع مجلس الشيوخ الفرنسي الى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، حيث أعيد ليبسكي الى باريس في صبيحة الثالث والعشرين من آذار (مارس) ١٩٧٢ .

ولا بد لنا ، قبل الانتقال الى عرض الملاحظات التي احاطت بكل من القضيتين وما زالت تحيط بهما — وتنتظر القضايا المماثلة لهما — من التذكير بمضمون « قانون العودة » الذي اقره الكنيست الاسرائيلي في ٧ تموز (يوليو) ١٩٥٠ . فالمعروف ان البند الاول من بنود هذا القانون ينص على انه « يحق لكل يهودي الميء الى اسرائيل بصفة مهاجر » . ثم يحدد البند التالي طبيعة تلك الهجرة على اساس التأشيرة التي تمنح لكل يهودي يعرب

عن رغبته في التوطن بإسرائيل . على أن يعود لوزير الداخلية أمر البيت بالطلب المقدم .
شريطة مراعاة الاعتبارات والتحفظات التالية : القيام بنشاط ضد الشعب اليهودي .
احتمال تشكيل الخطر على الصحة العامة أو تهديد أمن البلاد وسلامتها ، الماضي
الإجرامي الذي يمكنه أن يتهدد الأمن العام في البلاد(١) .

والخلافاً التي نشبت في إسرائيل بالنسبة لتطبيق القانون المذكور ، وأدت بدورها إلى
قيام أزمات داخلية على صعيد التحالفات السياسية بين شتى الفئات والأحزاب ، كانت
تدور في معظمها حول كيفية تفسير الصفات اللازمة لاعتبار الشخص يهودياً من زاوية
الدين والقومية ، على حد سواء . فالجدل المستمر داخل إسرائيل حول تعريف «اليهودي»
والإجابة على سؤال « من هو اليهودي ؟ » يمت بصلة وثيقة إلى قانون العودة ، مع
العلم بأن النص الأصلي للقانون يتحاشى الدخول في مسألة من هذا القبيل . وقد جاءت
التعديلات التي أقرها الكنيست بتاريخ العاشر من آذار (مارس) ١٩٧٠ على الصيغة
الأصلية لقانون العودة - وأبان نشوب أزمة متكررة الحدوث حول تعريف اليهودي -
لتؤكد على الرابط العضوي بين القانون المذكور والتعريف الإسرائيلي - الصهيوني
لـ « من هو اليهودي ؟ » . لذا نكتفي هنا بإيراد المسائل التي استحدثتها التعديلات ،
وعلى سبيل علاقتها بموضوع مقالتنا ، لا سيما متى علمنا بأن لانسكي تقدم بطلب للحصول
على الجنسية الإسرائيلية بموجب « قانون العودة » والحق الذي يمنحه هذا القانون لكل
يهودي باعتبار نفسه مهاجراً عائداً إلى إسرائيل . بينما أكد وزير الداخلية الإسرائيلي
بتاريخ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أن كلود ليبسكي طلب الحصول على الجنسية
له ولعائلته بموجب قانون « المهاجرين الجدد » ، لئلا يتعذر عليه أن يستفيد من قانون
العودة وخوفاً من عدم انطباق المعايير الرسمية لتعريف اليهودي على قضية انتمائه هو
اليهودية(٢) .

فالمقصود بقانون « المهاجرين الجدد » ليس إلا الصيغة المعدلة لقانون العودة منذ أواسط
آذار (مارس) ١٩٧٠ . والمواد التي جرى تعديلها في معرض التصديق على تعريف
قديم - جديد لمن هو اليهودي تدل بوضوح على أمرين يتلزمان بنظر المنطق الصهيوني
لدولة إسرائيل : الأمر الأول ينم عن الحرص على استرضاء الفئات والأحزاب المتدينة ،
بحيث ينص التعريف « المعدل » على ما يلي : « طبقاً لأغراض هذا القانون ، ان اليهودي
هو المولود من أم يهودية أو المهنتي إلى الدين اليهودي ، والذي ليس على دين آخر » .
لكن الأمر الثاني يتجاوز حدود هذا التعريف وشروطه لكي يقدم التسهيلات للمهاجرين
الذين يعتبرهم الشرع التلمودي غير يهود أقحاح . فقد أقر الكنيست في الوقت ذاته منح
الجنسية الإسرائيلية بصورة آلية وعلى الفور لجميع أفراد الأسرة المهاجرة ، وبغض
النظر عن يهودية الزوج أو الزوجة(٣) . وهذا ما استند إليه ليبسكي عندما تقدم بطلب
للحصول على الجنسية والحيولة دون تسليمه إلى السلطات القضائية الفرنسية .

إزاء هذه الخلفية السريعة التي يجدر بنا تذكرها في إطار القضيتين ، نستطيع الانتقال
إلى سرد الحقائق وإبراز الوقائع بالنسبة لكل منهما . ولا غرو فإن قضية لانسكي أو
ليبسكي ليست فريدة من نوعها بالنسبة إلى اهتمام المظلومين من العدالة في ظل النص
الحرفي لقانون العودة الإسرائيلي ولجونهم إلى الاستفادة من « التسهيلات » والخدمات
التي يعرضها القانون المذكور على يهود العالم .

من هو ماير لانسكي ؟

مواطن يهودي أميركي ، أضر النور في غرودنو (ماير سوخوفلانسكي) من أعمال بولونيا
عام ١٩٠٢ ، وهاجر إلى الولايات المتحدة لكي تقدر ثروته بعد ٦٩ عاماً بما لا يقل عن
٢٠ مليون دولار . اعتبرته مجلة « وول ستريت » بمثابة « العبقري المالي في عالم

الاجرام» ، وسجلته بطاقتات ، « مكتب التحقيقات الفدرالي » (اف . بي . اي) في جان
الاعضاء السابقين لاحدى شركات القتل المعروفة بـ Murder Inc . يبدو من معلومات
الصحف عنه ، ومن اقواله بالذات ، ان لانسكي طويل الباع وذو ماض عريق في ميدان
الجريمة والابتزاز . فالاوساط المقربة منه تطلق عليه شتى الالقاب والتسميات : « ماير
انصير » ، و « ماير البرغوث » و « جوني اغز » و « موريس ليرمان » . والرجل الذي
اختار « ميامي » لاقامته كان من أبرز الزعماء اليهود في عصابة المافيا الذائعة الصيت ،
حتى ان مجلة « تايم » الاميركية نقلت عنه في معرض سردها لقصة الغلاف عن « عصابة
المافيا ضد اميركا » بأنه « الساحر المالي الاكبر » داخل العصابة . ثم علق على قوته
« نحن اكبر من شركة الفولاذ الاميركية » (١٩٦٦) بقولها ان لانسكي اطلق هذا الكلام على
سبيل التبرجح ، بينما هو في الواقع يتهدى في تواضعه الى درجة الافراط (٤) .

ومما تجدر ملاحظته ان عراقة لانسكي في عالم الاجرام والنشاطات المحسوبة عليه
والمنسوبة اليه لم تترك للسلطات القضائية الاميركية فرصة توجيه الاتهامات الى احد
كبار رجال العصابات او مجال ادانته . فلم يصدر بحق ماير لانسكي طيلة نصف قرن من
النشاط الاجرامي سوى حكم واحد يقضي بسجنه لمدة ثلاثة اشهر لحيازته على قنبلة
زمنية . وقبل اختفائه من اميركا جرى اعتقال لانسكي في آذار (مارس) ١٩٧٠ بتهمة
حيازة المخدرات من دون ترخيص ، ثم اطلق سراحه لقاء كفالة مالية بقيمة ٥٠ الف
دولار (٥) .

لكن مؤلف سيرة حياة لانسكي — هناك مسيک — يقدم التفسير التالي لاختراق العدالة
الاميركية في ملاحقة زعماء العصابات من امثال لانسكي عن طريق لجوئها الى « السلاح
السري » واتهام هؤلاء بالتهرب من دفع الضرائب والتحايل على دائرة الضريبة والدخل
يقول مسيک في كتابه عن لانسكي ما مفاده ان رجل العصابات هو الذي « اكتشفت
ريتشارد نيكسون ، ذلك المحامي الشاب والطموح » ، ثم يؤكد بان كافة الاجراءات ضد
لانسكي قد تم تجديدها ، بعد ان قام الرئيس نيكسون بتعيين ميتشل على رأس وزارة
العدل الاميركية (٦) . ونحن ننقل هذه المعلومات من مصادرها بدون تعليق ، لكي نلاحظ
أمرين :

اولا — في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧١ ، وبعد انقضاء عدة شهور على وجود لانسكي في
اسرائيل ، ادين السائح الاميركي باتهامات تتعلق بنشاطات القمار غير المشروع في اوپتل
فلامنغو بمدينة لاس فيغاس .

ثانيا — أعلن وزير العدل الاميركي بالوكالة ، ريتشارد كلايندينست ، في واشنطن خلال
الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ بان محكمة للتحقيق في ميامي وجهت الى كل
من لانسكي ودينو تشليني (البالغ ٥٧ عاما من العمر) تهمة تقديم بيانات كاذبة عن
ضريبة الدخل . وجاء في النبأ ان التهمة الموجهة الى الرجلين تتعلق بقبض حوالي ٢٠٠
الف دولار عن طريق احدى اندية القمار في لندن . كما وردت الاشارة الى اتهام لانسكي
مزتين سابقتين بالتهمة اياها : التهرب من دفع الضرائب ! (٧) .

ان هذه الادانات والاتهامات أخذت تتوالى بعد مغادرة لانسكي ومجيئه الى اسرائيل في
صيف ١٩٧٠ بصفة سائح اميركي يهودي . ولم تتقدم السلطات الاميركية من اسرائيل
بطلب تسليم لانسكي ، هذا مع العلم بوجود اتفاقية مبرمة بين البلدين لتبادل المجرمين .
كما ان الدوائر المسؤولة في اسرائيل بشخص وزير الداخلية لم تتردد في تجديد اقامته
لانسكي وتمديد الا عندما امتنع الوزير يوسف بورغ بتاريخ ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١
عن تمديد الاقامة للمرة السابعة . أي ان ماير لانسكي تمكن من تجديد اقامته مرات متتالية
طيلة ١٤ شهرا قضاها في اسرائيل منذ دخوله الى البلاد كسائح . والقضية لم تنته عند

هذا الحد ، لان لانسكي بدوره أعرب عن رغبته في التوطن داخل اسرائيل وتقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية . لتتابع هذه القضية من زاوية اخرى بغية تسليط الضوء على الجوانب الصهيونية والاسرائيلية منها .

السائح « المقيم »

مما لا ريب فيه ان لانسكي لم يتوجه عبثا الى اسرائيل . فقد سبقه الى هناك أحد زعماء المافيا اليهودية في نيويورك جو ستاتشر . ويعرف الجناح اليهودي في عصابة المافيا تحت اسم « كوشير نوسترا » تميزا له عن التسمية الايطالية « كوزا نوسترا » . كما تجدر الإشارة هنا الى الخدمات المالية التي أسداها ماير لانسكي دون تباطؤ أو تقاعس بالنسبة لحملات جمع التبرعات والاموال من يهود اميركا . فقد جاء في التحقيقات الصحفية التي كتبها المراسلون الغربيون من اسرائيل ان لانسكي « ابان وجوده في اميركا دليلا على كونه من الأشخاص الذين دعموا الصندوق القومي اليهودي بكل اخلاص ، ولم تترك تبرعاته مجالاً لطلب المزيد . كما انه استجاب على الدوام وفتح حافظة نقوده لطلبات ورغبات شتى المنظمات اليهودية في اسرائيل » (٨) .

ولدى وصول السائح الاميركي لانسكي ترافقه زوجته الثانية الى مطار اللد ، منحته السلطات تأشيرة اقامة مدتها ثلاثة شهور . فانتقل « صاحب الايدي البيضاء » الى شقة فخمة في أحد الفنادق بمستعمرة هرتزليا ، ثم قام السائح بزيارة لقبور أجداده فوق منحدرات جبل الزيتون بالقدس ، وكأنه يتعمد اعطاء الدليل لمن يهمة الامر على صدق ولأنه الصهيوني . وسرعان ما أخذ « السائح » يفتش عن منزل للاقامة الدائمة في إحدى ضواحي تل ابيب ، فوقع نظره على شقة في العمارة التي يسكنها وزير المواصلات شمعون بيريز في رامات أفيف . كما بادرت الزوجة الى اقتناء سيارة ثمينة ، واستطاع لانسكي ان يشحن ما حملته ست شاحنات من الفيلا الفخمة التي يملكها في ميامي الى اسرائيل .

لكن السلطات الاسرائيلية لم تحرك ساكناً طيلة ١٤ شهرا قضاها لانسكي في البلاد . فقد صدر أمر بالقضاء القبض على لانسكي في اميركا يتعلق بتهمة العايب القمار الممنوعة (ربيع ١٩٧١) . وانتظر وزير الداخلية الاسرائيلي حتى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ لكي يمتنع عن تمديد اقامة الثري الاميركي واليهودي لمرّة سابعة . بينما سارع لانسكي الى التقدم من جانبه بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، في ظل قانون العودة واستنادا الى ماضيه في حقل التبرع المالي لحملات الجباية اليهودية . ومن الملاحظ ان الاسرائيليين كما تقول مجلة « دير شبيغل » - تخوفوا لئلا يعتمد لانسكي الى ممارسة اشغاله واعماله المعروفة انطلاقا من الشرق الاوسط . فسارعوا الى ابعاد ثلاثة من زملاء لانسكي ينتمون مثله الى عالم الاجرام عقب ظهورهم في تل ابيب بقصد « اجراء مباحثات مع لانسكي تتعلق بالاعمال » . وهؤلاء الثلاثة هم : بنجامين شبيغلبلوم ، برنارد روزا وجاكوب ماركوس (٩) . بينما تفيد اثناء أخرى ان زملاء لانسكي لم يبارحوا مبنى المطار ، بل اعيدوا على متن أول طائرة من حيث اتوا . ومهما يكن الامر ، فان ماير لانسكي لم يبق مكتوف اليدين ازاء امتناع وزير الداخلية عن تمديد اقامته . لابل سبق له في وقت مبكر ان تقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية طمعا في حمل السلطات المسؤولة على الاعتراف بحقه كيهودي في الاستفادة من قانون العودة والاحتفاء خلف النص الحرفي للقانون المذكور . وعهد الى تحدي قرار وزير الداخلية متسلحا بالحق الذي يمنحه قانون العودة لكل شخص يهودي !

(تسييس) القضية

في مطلع العام ١٩٧٢ أشارت الانباء الصادرة عن اسرائيل الى انهماك السلطات

المسؤولة بالبحث عن بند في قانون العودة يتيح لها فرصة ابتعاد «السائح» الذي حقا يطلب حق التجنس بموجب انتبائه الى اليهودية واستنادا الى خدماته الجلى في حقول التبرع والجباية المالية . لكن بنود القانون لا يسري مفعولها على ماير لانسكي . فهو ليس مصابا بمرض يتهدد الصحة العامة ، ولا يشكل خطرا على أمن الدولة . وعندما اقدمت احدى الصحف الاسرائيلية (يديعوت احرانوت) على نشر سلسلة من المقالات عن لانسكي وماضيه الاجرامي ، وجد الهارب من قبضة العدالة فرصته الذهبية لرفع دعوى ضد الصحيفة مطالبا اياها بتعويض قدره مليون ليرة اسرائيلية لانها « مرغت سمعته الطيبة في الوحل ، واخذ الكثيرون منذ ذلك الحين يشهرون به » (١٠) . فجاء رد الصحيفة يؤكد للمحكمة ان الدعوى التي تقدم بها لانسكي تنطوي على السخف ، لان سمعته سيئة بمغزل عن المقالات ولا يعقل ان تؤدي المقالات الى الحاق السوء بها .

بيد ان الدافع وراء دعوى لانسكي على صحيفة « يديعوت » ليس تغريمها بقدر ما هو « تنظيف سجل » الرجل عن طريق محكمة اسرائيلية ، لكي يتسنى له الحصول على تمديد اقامته بواسطة وزارة الداخلية . فقد ظهر لانسكي في مقابلة تلفزيونية ليزعم انه « ضحية حملة تشن ضده » . واعلن ان هذه الحملة يرجع تاريخها الى عشر سنوات ، اذ شنها عليه الصحفيون الاميركيون ، وتحولت فيما بعد الى حملة تشهر واسعه النطاق . ثم قال « ... ولا ادري الى اي حد سوف يصل هذا الامر » (١١) . وادعى انه « ضحية المناورات السياسية » . كل ذلك في سبيل اقتناع المترددين بوجود منحه الجنسية الاسرائيلية ، واخذ تبرعاته السخية للصناديق والمنظمات اليهودية بعين الاعتبار . ولم يكتف لانسكي بهذا القدر ، بل رفع قضية ضد وزارة الداخلية للحيلولة دون ابعاده ، واوكل امر الدعوى الى واحد من كبار المحامين في اسرائيل ، يورام آلروي (١٢) .

وسرعان ما تمكن الثري الاميركي الذي جاء يحتمي بقانون العودة من استقطاب بعض الآراء المؤيدة لدعواه . فالانبياء الواردة في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ تقول ان وزير المالية - سابير - ووزير العدل - شابيرا - يضعان بثقلهما للحيلولة دون الاعتراف بكون لانسكي من فئة المهاجرين العائدين . وتؤكد ان وزير الداخلية الاسرائيلي - يوسف بورغ - انصاع لرغبة الزميلين وتمسك بموقفه المتصلب . لكن الاوساط المؤيدة لبقاء لانسكي سارعت بدورها الى تقديم التغطية اللازمة . فعمد الكاتب الساخر ، اغرايم كيشون ، الى التعليق حول الموضوع في زاويته الاسبوعية بصحيفة « معاريف » مؤكدا ان ما قاله وزير العدل عن « انعدام الرغبة في تجميع حفالة اليهود داخل اسرائيل » هو امر يدحضه الواقع تماما . وأشار الى ان التجميع غير المرغوب فيه قد حصل ، ثم راج يتحدث عن ازدهار الاجرام في اسرائيل ، مؤكدا للقراء ما يلي : « ان ماير لانسكي لا يستطيع البقاء داخل البلاد ، بسبب ما يشاع عن ماضيه السلبي . بينما يزدهر الاجرام المنظم في تل ابيب على الاقل » . وانتهى كيشون الى القول : « هل يعقل وجود عضو سابق للمافيا بين ظهرائنا ؟ ان خبراء الكسب السريع يرفعون انظارهم صوب السماء ، واسياد الرشوة في حوض البحر المتوسط يلوحون بنسبائهم محفرين ، والمدمنون على تعاطي الحشيش اصبوا بصدمة مذهلة ، والحكومة تطلق الصوت من عليائها قائلة : يجب علينا تفسير قانون العودة وفقا لنصه الحرفي الدقيق » (١٣) .

ويبدو ان كيشون لم يرفع لواء الدفاع عن لانسكي بمفرده . اذ سرعان ما تبين ان الدعوى التي تقدم بها محامي الرجل لها حظ وافز بالنجاح . ففي تشرين الاول (اكتوبر) كانت الحكومة الاسرائيلية على استعداد لحمل الكنيست على استصدار تشريع خاص ، بمثابة « قانون لانسكي » (Lex Lansky) ، يقصد الحيلولة دون « توافد المجرمين في يوم من الايام من كافة انحاء العالم على دولة اسرائيل » (١٤) (دير شبيغل ، ١١/١٠/٧١) .

معنى ذلك : السكوت عن بقاء لانسكي بحجة استصدار التشريع الكفيل بعدم اتخاذ هذه القضية كسابقة قانونية ، والسحاح لزعيم الاجرام المنظم بتقديره المزد من التبرعات والاموال ، وربما افساح المجال امام توظيف امواله والاستفادة من خدماته — دون ان يتنافى ذلك مع منطوق قانون العودة الاسرائيلي — الصهيوني .

فالادانة التي صدرت مؤخرا بحق ماير لانسكي في الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ لم تدفع السلطات الامريكية حتى الان الى المطالبة بتسليمه عملا بتفويض اتفاقية تبادل المجرمين بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان لانسكي قد استطاع خلال المدة التي انقضت على اقامته « السياحية » في اسرائيل ان يستقطب العديد من القوى واصحاب النفوذ الى جانبه ، فضلا عن التذكير بما له من « ايداء مالية بيضاء » على الصناديق القومية اليهودية .

لننتقل من لانسكي الى قضية ليبسكي ، التي شغلت السلطات القضائية الفرنسية طيلة الشهور الماضية ، وانتهت باحراج المسؤولين الاسرائيليين وحملهم على تسليم الرجل المطلوب الى سلطات بلاده .

ليبسكي يقف في الاثر

مما ان شعر كلود ليبسكي — وهو المدير المالي لشركة عقارية فرنسية تدعى — "Patrimoine Foncier" — بأن القضاء الفرنسي على وشك اصدار مذكرة توقيف بحقه ، حتى يبادر الى الاختفاء لكي يتبين للسلطات الباحثة عنه ان الهارب قد التجأ الى اسرائيل منذ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ . والمعروف ان التهمة الموجهة ضد كلود ليبسكي تتعلق بالاحتيال واساءة الامانة . كما يستفاد من التحقيقات التي تابعت صحيفة « لوموند » نشرها منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ وحتى اواخر شهر آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بأن الشركة العقارية التي يدير اعمالها المالية كلود ليبسكي ليست سوى واحدة بين مجموعة من الشركات التي تمارس مختلف الاعمال والنشاطات وتخضع كلها لادارة الرجل الهارب من وجه العدالة . والشركة ذاتها — كما كشفت التحقيقات — مسؤولة عن اختلاسات مالية تصل الى حدود الملايين وتلحق الضرر بما لا يقل عن ٨ آلاف شخص من المكتتبين في أسهمها . ثم أخذت القضية تتسع وتتسع حتى بلغ نطاق القضية حدودا تفوق التصور .

وتبين في معرض المراجعة لنشاطات ليبسكي وصفقاته المالية — على حد قول « لوموند » — انه ابتاع كميات كبيرة من مخلفات الجيش الفرنسي بعد حرب الجزائر لكي يقوم ببيعها الى كل من الجمهورية الغربية المتحدة والاردن وليبيا وسوريا ويوغوسلافيا والارجنتين او البرتغال (١٥) لكن الامر الذي يعنينا من زاوية هذه المقالة يتعلق بكيفية اقدام ليبسكي على الاستفادة بدوره من القوانين الاسرائيلية التي تفسح المجال امام يهود العالم للحصول على الجنسية والتخلص من الملاحقات القضائية في الخارج . فقد التجأ ليبسكي الى أحد اصدقائه الاسرائيليين في عسقلان ، حيث يملك مضيئه معملا لصنع الكراسي . وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ ادلى بتصريح الى صحيفة « هارتس » زاعما فيه بانه على اقتناع لوقوعه ضحية العداة للسامية (١٦) . أما السبب الذي حدا به الى اتهام السلطات القضائية التي تلاحقه بجرائم الاحتيال المالي وسوء الامانة فلا يعدو كونه محاولة للاستنجاد بقانون العودة تحت ستار الزعم بان الملاحقة تنم عن العداة لانتمائه اليهودي وبذلك يتسنى له طلب الجنسية الاسرائيلية والتمتع بالحماية والاقامة الدائمة . كما انه يستطيع الاحتماء بالقانون الاسرائيلي الذي ينص على ما يلي : « لا يمكن تسليم اي شخص (لسلطات بلاده) متى توافرت اسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد بانه سوف يحاكم على آرائه أو بسبب انتمائه العرقي أو الديني » (١٧) .

وعندها أحس المدافعون عن ليبسكي بسخف الذريعة التي لجأ إليها ، إذ إنهم السلطات الفرنسية بملاحقته على صعيد العداة للسامية ، عمدوا إلى التحفيف من هذه اللهجة واتهام الصحف بتحريف التصريحات وتفسيرها على محمل الخطأ . كما بادر ليبسكي إلى الإعلان بقوله : « أنا لا اعتقد بأن البوليس الفرنسي يحمل العداة للسامية » . وانجهدت الأنظار إلى الاستعانة بمواد قانون المهاجرين الجدد ، طمعا بالحيلولة دون تطبيق المقاييس الدينية الصارمة على كلود ليبسكي بغية التأكد من يهوديته وفقا للتعريف الرسمي .

لقد زعمت السلطات الإسرائيلية ، مثلا ، أن مذكرة التوقيف الصادرة بحق ليبسكي في فرنسا تحمل تاريخ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، وأن الرجل وصل إلى إسرائيل في ٢٩ منه ، قبل أن يتم تبليغها الأمر عن طريق الإنتربول . وحين تأكد للمحاميين الذين تولوا الدفاع عن ليبسكي مغبة الادعاء بأن موكلهم هو ضحية الاضطهاد القائم على معاداة السامية ، وأن السلطات الفرنسية جادة في إبرام اتفاقية تبادل المجرمين مع إسرائيل لكي تضمن الشروط الكفيلة بتسليمه إلى القضاء ، عمدوا بدورهم إلى الاستجداء بقانون المهاجرين الجدد لتأمين حصول الرجل الملاحق قضائيا ، بعد أن التحقت به عائلته ، على الجنسية الإسرائيلية . ثم كان مثول ليبسكي في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أمام قاضي التحقيق الإسرائيلي في مدينة عسقلان ، لكي يطلب الهارب من وجه العدالة رفع الحظر عن مغادرته الأراضي الإسرائيلية . بينما صدر التأكيد في اليوم نفسه عن وزير الداخلية الإسرائيلي بأن ليبسكي طلب اعتباره من فئة المهاجرين الجدد وتطبيق مفعول القانون عليه وعلى زوجته وأولادها الثلاثة . لكن اشتداد المطالبة الفرنسية أدى إلى حمل القاضي في عسقلان على إطلاق سراح ليبسكي لقاء كفالة مالية بقيمة ٢٥ ألف ليرة إسرائيلية ، والاحتفاظ بجواز سفره لدى المحكمة بانتظار دفع الكفالة (١٨) . فاستجواب ليبسكي تم بناء على طلب السلطات القضائية الفرنسية ، والرجل الملاحق خرج من قاعة المحكمة ، كما أدخلها : سألحا .

وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ وافق البرلمان الفرنسي على معاهدة تبادل المجرمين التي بقيت معلقة منذ عام ١٩٦٠ ، بعد أن ردتها لجنة تابعة لمجلس الشيوخ . بينما أعلن ليبسكي في مقابلة إذاعية بثها راديو إسرائيل بتاريخ ١١/٩/١٩٧١ بأنه كان دوما على استعداد للمثول أمام قاضي التحقيق شرط إطلاق سراحه ، ويعكس ما هي عليه الحال في فرنسا . ولدى سؤاله عما ينوي فعله إذا ما جرى إبرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا وإسرائيل ، أجاب كلود ليبسكي بقوله : « سوف نرى ، لكنني آمل على أية حال في إمكانية البقاء داخل إسرائيل » (١٩) . ثم راح المدافعون عن ليبسكي يبدون استغرابهم لهذا التصميم من جانب الحكومة الفرنسية على التعجيل في إبرام الاتفاقية والتقدم بطلب استرداد موكلهم . وحيال أحد المحامين الإسرائيليين الإيحاء بوجود دوافع سياسية وراء الإصرار على استرداد ليبسكي مهما كان الثمن . فادلى بتصريح إلى صحيفة « هآرتس » مؤكدا فيه أن ملاحقة الرجل تتم لعوامل سياسية أكثر منها لأسباب تتسم بطابع الاحتياط المالي (٢٠) . واتضح للوساط المعنية بملاحقة القضية أن المسألة لن تنتهي عند حد إبرام الاتفاقية ، والتقدم من الحكومة الإسرائيلية بطلب الاسترداد . بينما بادر أصحاب الأطلاع إلى القول بأن الاتفاقية تنطوي على مفعول رجعي ، حتى ولو استحصل ليبسكي على الجنسية الإسرائيلية . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أبرقت السلطات القضائية الفرنسية إلى قيادة الشرطة في إسرائيل عن طريق الإنتربول تطالبها بتوقيف « السائح » كلود ليبسكي على سنبل الاحتياط ، بانتظار وصول ملف استرداده من جديد .

ثم قررت محكمة الصلح في تل أبيب ، بتاريخ ١٦/١١/٧١ ، ترك ليبسكي يتمتع بحريته

مشروطة ، لقاء كنفالة مالية قدرها ٧٥ الف ليرة اسرائيلية . فصادرت منه جواز السفر ، وطلبت منه اثبات وجوده مرة كل يومين لدى اقرب مركز للشرطة . بينما كان ليبسكي يرفض دوما الاجابة عن الاسئلة المطروحة عليه ، متذعرا بأنه يفعل ذلك طالما انه يجهل محتوى الملف المتعلق بقضيته . وفي تلك الاثناء تبين ان والد ليبسكي ، موريس ، قد لحق به الى اسرائيل . واكتشف المشرفون على ملاحقة الفضيحة قضائيا بان الاب يشغل مسؤوليات في شركتين من الشركات التابعة في رأسمالها الى كلود ليبسكي . فهو يشرف على « مؤسسات ليبسكي » عبر شركة تابعة للأسرة وتقوم على تعاظمي تجارة المواد المعدنية المستعملة ، ولا سيما شراء مخلفات الجيش الفرنسي غداة انتهاء حرب الجزائر . وهذه الشركة يديرها ابنه كلود . كما هناك شركة اخرى مغفلة ، انشئت عام ١٩٦٥ برأسمال صاحبه كلود ليبسكي ، لبيع مواد البناء ومواقع الاشغال العامة (٢١) .

الماطلة وكسب الوقت

لجأ كلود ليبسكي بمساعدة محاميه في اسرائيل الى حيلة اخرى لاجباط طلب استرداده من جانب السلطات القضائية الفرنسية . فنتقدم من محكمة العدل العليا باسرائيل طالبا تقديمه للمحاكمة امام محكمة اسرائيلية قبل اتخاذ قرار بتسليمه الى القضاء الفرنسي . لكن المحكمة العليا رفضت هذا الطلب في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، واشارت الى كون قرارات التسليم هي من صلاحية وزير العدل الاسرائيلي . فهو الذي يستطيع ارسال ملف القضية الى محكمة محلية مرفقا بطلب الاسترداد . واتخاذ القرار يرجع الى مثل هذه المحكمة بالذات . بينما يستطيع ليبسكي ان يستأنف قضيته امام محكمة العدل العليا .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، بادرت الجمعية الاسرائيلية لمكافحة النازية الى اتهام المحامي الفرنسي الذي يدافع عن ليبسكي بالتعاون مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ومع حكومة فيشي . كما اتهمته بالعمل في حقل الدعاية المناوئة للسامية ، وتآلف كتاب عن اليهود بعنوان « الوضع العام والخاص لليهود في فرنسا » ، يؤيد فيه تطبيق القوانين النازية ضد اليهود في فرنسا . وطالبت الشرطة الاسرائيلية باعتقال المحامي الفرنسي لدى وصوله الى اسرائيل واحالته الى القضاء (٢٢) . مما ادى الى تخلي المحامي عن القيام بمهمة الدفاع عن موكله ، واعلانه ان القرار الذي اتخذته بالتخلي هو في مصلحة كلود ليبسكي . وهكذا تولى القضية عدد من المحامين الاسرائيليين .

اكن الضغوط الفرنسية وافتضاح امر القضية على صفحات الجرائد في كافة انحاء العالم حالت بدورها دون المضي في الارزاء والتسويق والماطلة . ففي صبيحة السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٢ امرت محكمة تل ابيب باعتقال كلود ليبسكي واعطته مهلة ٢٤ ساعة لاستئناف دعواه امام محكمة العدل العليا . وجاء هذا القرار نظرا لجلسة المحكمة التي سوف تخصص للنظر في طلب الاسترداد من جانب الحكومة الفرنسية ، ولئلا يستفيد ليبسكي من اطلاق سراحه للاختفاء والفرار . كما رفض القاضي استئناف محامي ليبسكي بالامتناع عن توقيفه بناء على وعد قطعه بعدم مغادرة البلاد . وابلغ ليبسكي ان باستطاعته اختصار الاجراءات لو اقدم على الرجوع الى فرنسا ببلء ارادته .

بيد ان المحامي الاسرائيلي اخبر المحكمة ان موكله لا ينوي التهرب من المثول امام القانون أو الهرب من البلاد . فهو على استعداد للوقوف امام قوس المحكمة ، لكنه يخشى الاينال محاكمة عادلة في فرنسا ، بسبب « اعتبارات سياسية ودينية وعرقية » (٢٣) . ورد النائب العام على مطالعة محامي الدفاع برفض الادعاء القائل ان ملاحقة ليبسكي في فرنسا تتم لاسباب سياسية ، مؤكدا ان الرجل لم يأت الى اسرائيل بحثا عن اللجوء السياسي . ثم اعلن أخيرا بأن كلود ليبسكي ليس مطلوباً في فرنسا لكونه يهودياً ، بل

هو ملاحق بنهمة الاحتيال على ٨٦٥٠٠ شخص بملايين الفرنكات (٢٤) .

ثم عمدت محكمة العدل العليا في اسرائيل الى رفض الاستئناف الذي تقدم به محاسبى لبيسكي ، واخبرته بان وزير العدل يملك الصلاحيات الكاملة لاصدار امر بمثولته امام محكمة محلية لتابعة استجوابات الاسترداد . ولم تأخذ بادعاء المحامي القائل ان موكله يعتبر اصله اليهودي بمثابة الدافع الرئيسي وراء ملاحقة العدالة الفرنسية له ، فقد درج كلود لبيسكي على « اشتراط » المعاملة بالمثل لكي يبادر على الفور الى مواجها القضاء الفرنسي .

وفي مطلع آذار (مارس) ١٩٧٢ بعث لبيسكي برسالة الى لجنة الدفاع عن قضيته يقول فيها « ان الوضع الاقتصادي للشركة العقارية — المالية لحظة قيام الحملة الصحفية المفرضة التي وجهتها وزارة المالية الفرنسية ، كان على خير ما يرام » . كما تمهد بتسديد الاموال الموضوعة تحت عهده بالامانة « فرنكا فرنكا » . بينما سارع محاسبى لبيسكي الى ابلاغ المحكمة الاسرائيلية ان موكله يرغب في اتمام معاملات استرداده لكي يعود الى فرنسا « من تلقاء نفسه » ويواجه التحقيقات ، بقصد انقاذ سمعته وتنظيف سجله ! وصرح المحامي اياه امام بعض المراسلين بان التخلي عن معارضة الاسترداد لا يعني مطلقا اقرار المتهم بذنبه . فالسيد لبيسكي ينوي تقديم الدليل على براءته في فرنسا . فما كان من وزير العدل الاسرائيلي الا التوقيع على طلب التسليم بتاريخ ١٢ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بانتظار وصول بعثة الشرطة القضائية الفرنسية التي رافقت لبيسكي الى باريس صبيحة يوم الخميس في ٢٣ آذار (مارس) من هذا العام . ومن عجب المفارقات ان كلود لبيسكي لم يشأ الا الاعلان عقب استرداده من جانب السلطات الفرنسية « بانني لم اهرب مطلقا من وجه العدالة في بلادي » .

ان القضيتين المعروضتين فيها تقدم هما على سبيل المثال فحسب . اذ سبقتهما عدة قضايا مماثلة طيلة السنوات التي انقضت في ظل قانون العودة الاسرائيلي . فالسلطات المسؤولة في اسرائيل قد تعترف احيانا بوجود ثغرات في « سياج » القانون المذكور ، لكن هذا الاعتراف لا يمنع من تشجيع كل شخص ينتمي الى الدين اليهودي في شتى انحاء العالم لحمله على الاستفادة من الامتيازات التي يمنحه اياها قانون العودة الصهيوني . خاصة متى كان الشخص الذي ينشد الاجتهاء في كنف هذا القانون قادما من الولايات المتحدة الامريكية ، ويحمل معه ما فيه الكفاية من الاموال ، بالاضافة الى ماضيه ليس في ميدان الجريمة — بل في حقل الاريحية اليهودية والتبرع دونها لكافة الصناديق الصهيونية .

فالاشخاص الهاربون من وجه العدالة في بلادهم ، متى كانوا ينتمون الى السديانات اليهودية ، باستطاعتهم اللجوء الى حى ذلك القانون والاستفادة من امتيازاته . ومن الصعب رد طلبهم بناء على الاعتبارات التي يشترطها القانون في بنوده وينيطها بوزير الداخلية . فرئيس عصابات الاجرام المنظم ، وصاحب الضيت الذائع ، ماير لانسكي — مثلا — يتحين الفرصة للتقدم بدعوى ضد صحيفة ما متتها اياها بتحقيقه والتشهير باسمه ، لا لشيء الا لكي يستحصل على « براءة » من المحكمة في اسرائيل تؤهله للتبحر بسجله النظيف وتفتح امامه ابواب الجنسية والاقامة الدائمة . وكلود لبيسكي يحاول الضرب على وتر العدا للسامية ، زاعما ان السلطات القضائية الفرنسية تلاحقه لاسباب تتعلق باصله اليهودي ، وليس لحاكمته على ما ارتكبه من الاحتيال وسوء الامانة بأموال الغير ، والبالغ عددهم ٨٦٥٠٠ مكتب .

فالقضيتان الوارد ذكرهما أعلاه — قضية لانسكي وقضية لبيسكي — تظهران احدى النواحي البارزة في قانون العودة الاسرائيلي ، كما في قانون المهاجرين الجدد (١٩٧٠) .

الذي جرى التصديق عليه كجزء من التعديلات التي أدخلها الكنيست على تعريف من هو اليهودي . وفي الحالتين - حالة التشدد والتمسك بالتعريف الشرعي لليهود ، وحالة التساهل مع المهاجرين الجدد لتشجيعهم على القدوم والاستفادة من « امتيازات » قانون العودة - نجد المجال رحبا أمام الفارين من وجه العدالة وأصحاب السوابق في عالم الاجرام ، متى كانوا ينتمون الى الدين اليهودي - سواء كان انتماءهم لجهة الأب أو الأم . ولا سيما متى بادر هؤلاء الى الاعراب عن ولائهم الصهيوني بواسطة السخاء في التبرع واستطاعوا استقطاب بعض القوى السياسية في إسرائيل الى جانبهم . فالمعروف ، مثلا ان « عصبة الدفاع اليهودية » التي يترعها الحاخام مئير كاهانا تقيم علاقات تعاون وثيق مع الهيئات الإيطالية - الأمريكية التابعة لعصابة المافيا . وتتلقى عصبة كاهانا في إسرائيل الدعم السياسي من جانب حركة « حيروت » وكتلة « غاغل » . مما يتيح المجال لتأمين عملية استقطاب على الصعيد الداخلي الإسرائيلي وضمان الحماية الكافية لكل شخص يستنجد بقانون العودة على غرار ما فعله ماير لانسكي . والسلطات الإسرائيلية لا تتفق في الاحراج الا عندما تصر الدولة التي تلاحق الشخص على المطالبة بتسليمه واسترداده - رغم كل العراقيل والاساليب التي يبرع فيها المحامون الإسرائيليون أيما براعة بغية الماطلة والتأجيل ، طمعا في العثور على ثغرة يمكن النفاذ منها الى حمى « العودة » وظل « الجنسية » المنوحة بصورة آلية لكل يهودي يعرب عن رغبته في اعتبار نفسه مهاجرا عائدا !

- ١٠ - راجع صحيفة سود دويتشه تزايتونغ ، العدد ١٦٧ ، في ١٤ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .
- ١١ - المصدر نفسه ، ٦ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ - العدد ٢١٢ .
- ١٢ - دير شيفيل ، المصدر السابق .
- ١٣ - سود دويتشه تزايتونغ ، ٢٥ - ٢٦ / ٩ / ١٩٧١ .
- ١٤ - دير شيفيل ، المصدر السابق .
- ١٥ - انظر لوموند ، ١١ / ٢٦ / ١٩٧١ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ١٩ / ١٠ / ١٩٧١ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ١٢ / ١١ / ١٩٧١ .
- ١٨ - لوموند ، ٦ / ١٢ / ٧١ .
- ١٩ - المصدر نفسه ، ١١ / ١١ / ٧١ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ، ١٢ / ١١ / ٧١ .
- ٢١ - المصدر نفسه ، ١٨ / ١٢ / ٧١ ، ص ١٥ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، ١٥ / ٢ / ١٩٧٢ ، ص ١٨ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ٢٠ - ٢١ / ٢ / ٧٢ ، ص ١٤ . وانظر ايضا الدايلي ستار ، ١٩ شباط (فبراير) ، ١٩٧٢ .
- ٢٤ - الدايلي ستار ، المصدر السابق .

- ١ - انظر المصدر التالي
H. E. Baker, *Legal System of Israel*,
(Israel University Press, 1968), p. 39.
- ٢ - راجع صحيفة لوموند ١١ / ٦ / ١٩٧١ .
- ٣ - المحقق الاسبوعي لصحيفة الجيوساليم بوست (رقم ٤٩٠) ، ١٦ / ٣ / ١٩٧٠ .
- ٤ - مجلة تايم الأمريكية ، ٢٢ اب (اغسطس) ، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .
- ٥ - انظر دير شيفيل ، عدد ٤٣ ، ١١ / ١٠ / ١٩٧١ ، ص ١٦١ .
- ٦ - نقلا عن المصدر نفسه .
- ٧ - راجع الانترنتيونال هيرالد تريبيون ، ١٩٧٢ / ٦ / ٨ . و سود دويتشه تزايتونغ (العدد ١٢٩) ، والتاريخ نفسه .
- ٨ - انظر المقالة التي بعث بها من إسرائيل مراسل صحيفة سود دويتشه تزايتونغ تحت عنوان « زعيم ألمانيا لا يهدأ له بال » ، بتاريخ ٢٥ / ٢٦ / ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ (العدد ٢٣٠) .
- ٩ - دير شيفيل ، المصدر نفسه .

القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

مايكل جانسن

هناك ثلاثة قرارات لاربعة رؤساء امريكيين مختلفين شكلت الاساس لاكثر من خمسين عاما من سياسة الولايات المتحدة تجاه المسألة الفلسطينية ، وقد وضعت هذه القرارات الرئيسية ، التي اتخذها ثلاثة رؤساء ديمقراطيين « متحررين » ورئيس جمهوري محافظ ، اسس الدولة الصهيونية في فلسطين ، وحددت علاقتها باليهود المقيمين في مختلف أنحاء العالم ، ومكنت الدولة الصهيونية من امتلاك السطوة العسكرية في الشرق الاوسط .

وقد اتخذ الرئيس ولسون عام ١٩١٧ اول وأهم هذه القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة . ولا يذكر ودررو ولسون بسبب عمله هذا تجاه القضية الفلسطينية بل يعتبر ، على العكس ، محررا عظيما للشعوب . فلقد كان ولسون هو الذي ارسى مبدأ حق تقرير المصير لشعوب الامبراطوريتين المنحلّتين : النمساوية - الهنجرية ، والعثمانية . ومع ذلك وافق ولسون فيما بعد على الاقتراح القائل بان قاعدة حق تقرير المصير يجب ان لا تطبق على فلسطين . لقد قرّر ولسون ان فلسطين يجب ان تعطى لليهود الذين كانوا يشكلون آنذاك اقل من عشرة بالمائة فقط من مجموع سكان البلاد .

واتخذ القرار الثاني فرانكلين دي . روزفلت عندما حث الحكومة البريطانية عام ١٩٤٣ - وهي السلطة في فلسطين آنذاك - على ان تسمح بدخول مائة الف لاجيء يهودي الى فلسطين . وكان هؤلاء هم مائة الف اللجوء انفسهم الذين سبق ان رفض دخولهم الى الولايات المتحدة . وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين اليهود الاوروبيين بمستقبل فلسطين مصادقا بذلك على الادعاء الصهيوني بان يحتفظ بفلسطين كملجأ نهائي لليهود العالم .

واتخذ الرئيس هاري اس . ترومان ودوايت دي . ايزنهاور القرار الرئيسي الثالث . وعلى عكس الاعتقاد الشائع ، لم يكن ترومان هو الرئيس الامركي الذي لعب الدور الالهم في تأسيس اسرائيل ، كما لم يكن قراره الرئيسي هو الاعتراف الفوري باسرائيل ، الدولة الصهيونية المعلنة ذاتيا في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . لقد كان قرار ترومان الحقيقي هو ان الولايات المتحدة لن ترسل قوات اميركية مسلحة لمساعدة الصهيونيين على انشاء دولتهم في فلسطين ، وهو قرار لا يعتبر مؤيدا للصهيونية على الاطلاق . ولكن هذا لم يكن الا القسم الاول من القرار الامركي الرئيسي الثالث . فقد اتخذ الرئيس ايزنهاور ، وهو المعتبر « صديق » العرب ، بسبب موقفه المعارض للعدوان الانجلو فرنسي - الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، القسم الثاني المؤيد للصهيونية من القرار . فان الرئيس ايزنهاور ، بسبب عدم قدرته على تزويد اسرائيل بضمانة لعون عسكري مباشر في حالة هجوم عربي على الدولة الصهيونية ، قرر عام ١٩٥٧ ان يزود اسرائيل بمعونة عسكرية لها وزنها بقصد اقامة عدم توازن استراتيجي في القوات لصالح اسرائيل في الشرق الاوسط . ان مثل هذا التفوق العسكري الاسرائيلي المسبق سوف يوفر الحاجة لعون امركي عسكري مباشر ، ويجنب الرئيس الامركي الصعوبات التي قد يخلقها

التدخل ، وخاصة منذ التجربة الفيتنامية .

لقد انبثق اول التزام الولايات المتحدة بالقضية الصهيونية في فلسطين اثر اتفاق بين شخصيات امريكية مهمة شعرت ان السياسة يجب ان تبني على تقدير موضوعي لمصالح بلادهم في الشرق الاوسط وبين صهيونيين (نافذين) قدموا رغبتهم في الدولة اليهودية على مصالح الولايات المتحدة . وهذه كانت القضية التي كان مسؤولا عنها ودررو ولسون . في حالة القرار الثاني الذي اتخذه فرانكلين روزفلت ، لم يكن هناك خلاف بين الصهيونيين والقوميين الاميركيين . ولكن الصهيونيين حصلوا في هذه المرة على ما يريدون ايضا . واما في حالة القرار الثالث الذي اتخذه على خطوتين كل من ترومان وايزنهاور ، فيمكن القول ان الحالة السياسية الامريكية الداخلية (الرغبة في عدم التورط بحروب اجنبية) ، والالتزامات الرئاسية السابقة نحو الصهيونيين هي التي قادت الى سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي .

وسوف نتفحص هذه الدراسة تلك القرارات ونتائجها . كما ستحاول ان توضح مفاهيم خاطئة شائعة للالتزام الامريكي باسرائيل — وخاصة فيما يتعلق بالانحياز الامريكي الاولي للبرنامج الصهيوني في فلسطين ، والدور الحاكم لودرو ولسون الذي دشّن خط الرؤساء روزفلت وترومان وايزنهاور ، بالاضافة الى السياسة الامريكية الكلية التي نجمت عن ذلك ازاء فلسطين .

ولسون وسياسة الوطن القومي اليهودي

لقد انبثق القرار الحاسم للرئيس ولسون عن الادعان للقوى المحيطة به لا عن ايمان راسخ بخط معين للعمل . وحدث ذلك لان ولسون لم يكن في الواقع قائدا ديناميكيا لانه لم يكن مهتما بالعالم العربي ، ولانه كان ملتزما التزاما شخصيا عميقا تجاه صهيوني فعال . لقد كان قرار ولسون الرئيسي يتألف في الحقيقة من ثلاثة قرارات اقل اهمية كانت جميعها نتيجة لادعان الرئيس المسالم .

كان قرار ولسون الاول ان يحدد كونه هو نفسه — والولايات المتحدة — في جانب تصريح الحكومة البريطانية الذي يحض اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ولم يتخذ الرئيس هذا القرار الا بعد تدخل احد مستشاريه الحميين ، عضو المحكمة العليا القاضي لويس برانديس الذي كان صهيونيا متألقا (١) . ولقد كانت مساهمة برانديس بدور فعال في الحركة الصهيونية مواكبة لالتزامه بالحملة الرئاسية لولسون في العام ١٩١٢ . وهكذا ارتبط برانديس ، الذي كان آنذ محاميا لامعا و « ليبراليا » ومصلحا اجتماعيا معروفا ، بولسون لزمّن طويل بعد ذلك . يقول كريستوفر سايكس في كتابه « دراستان في الفضيلة » (٢) ان « ولسون كان مرتبطا مع برانديس بزوابط وثيقة جدا لان مستقبل الرئيس في اولى ايامه كان ، كما يزوي ، قد انقذ على يدي برانديس وذلك بتلافي ظهوره بثوب محاماة ممزق . وقد قيل ان ولسون كان يعتبر برانديس الرجل المدين له بمستقبله » . وقوبل تعيين ولسون لبرانديس كعضو في حكومته الاولى بمعارضة شديدة الى الحد الذي اضطر الرئيس الى سحب اسمه ، ولكن ولسون نجح عام ١٩١٦ في تأمين مقعد لبرانديس في المحكمة العليا ، وكان برانديس آنذاك هو رئيس اتحاد الصهيونيين الاميركيين .

في هذه الفترة كان الصهيونيون البريطانيون بزعامة وايزمن يتطلعون الى الولايات المتحدة والتجمع اليهودي الامريكي طلبا للمساعدة . فقد كان وايزمن قد حصل على رد فعل ايجابي للاقتراح المطروح آنذاك امام الحكومة البريطانية بصدد تعاون صهيوني — انجليزي يستهدف اقامة وطن يهودي في فلسطين . وكان وايزمن يحتاج الى دعم سيادة بريطانيا على فلسطين ليصبح البرنامج الصهيوني ممكن التنفيذ . كان وايزمن على اتصال مستمر

مع برانديس الذي كان يمكن تاعنتاده ، ونست صحة ذلك منها بعد ، ان يكون ذلك عظيم في الولايات المتحدة . ولم تكن وزارة الخارجية ووزيرها يؤيدان البرنامج الصهيوني كما ان الرئيس رغم كونه « متعاطفا بشكل مبهم » لم يظهر « اي ميل لفرض نفسه » لجانب مصلحة الصهيونيين . في الثامن من نيسان (ابريل) ١٩١٧ كتب وايزمن الى برانديس طالبا منه ومن « سادة آخرين متصلين بالحكومة تصريحاً مؤيداً للفلسطين يهودية تحت حماية بريطانية » الامر الذي « سوف يقوي قبضتنا الى حد بعيد » (٢) . وفي الثاني والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩١٧ وصل وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور الى واشنطن . وخلال هذه الزيارة اجري بلفور عدة محادثات مع برانديس اثرت على تقوية قرار بلفور بمساعدة الصهيونيين من جهة ، وعلى اقتناع برانديس بتسمية التحالف الصهيوني - الانجليزي في امريكه من جهة اخرى . وفي اوائل ايسار (مايو) اتفق برانديس الى لندن بموافقته على البرنامج الصهيوني ، وتباحث مع الرئيس ولسون مرتين حول الموضوع خلال ذلك الشهر ، كما قدم نسخة من البرنامج الصهيوني التي وزارة الخارجية .

ولكن اهتمام ولسون بالصهيونية لم يكن قويا بما يكفي لدفعه لاتخاذ اية خطوات رغم ان ذلك لم يعن اطلاقا انه كان لا مباليا سواء ازاء مصرير التجمع اليهودي الفلسطيني او تجاه التأثير الصهيوني بين اليهود الاميركيين . فقد كانت الولايات المتحدة قد ورطت نفسها في الواقع بشكل مباشر ، ولو عن بعد ، في حياة الطائفة اليهودية الفلسطينية الصغيرة عام ١٩١٤ حين طلب اليهود الفلسطينيون الحماية من المسؤولين المتصلين الاميركيين لان الولايات المتحدة غير مشتركة في الحرب . ثم عممت المساعدات السياسية لولسون ، خلال معركة الرئاسة لعام ١٩١٦ ، اهتمام الرئيس بالطائفة اليهودية الفلسطينية فوجه ، لأول مرة ، نداء الى الناخبين اليهود على اساس اهتمامهم المفترض بالصهيونية . وفي هذه الانتخابات ادخل ما يسمى بـ « التصويت اليهودي » في السياسات الاميركية الداخلية (٤) .

في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ استطلعت الحكومة البريطانية وجهات نظر ولسون بخصوص نية بريطانية في ايجاد تعاون انجلو - صهيوني في فلسطين . وكان رد فعل ولسون باردا . ويعتقد ليونارد شتاين ، وهو المرجع الاساسي حول تصريح بلفور ، انه من المحتمل ان برانديس لم يعلم بالتوجه الاول لولسون . ولكن من المؤكد انه لم يكن مطلقا فقط بل وضالعا ايضا في التوجه الثاني من قبل الحكومة البريطانية لولسون بعد بضعة اسابيع . في هذه المرة لم يذهب برانديس الى ولسون بل الى اقرب مستشاريه الكولونيل هاوس ، وهو الذي كان ولسون قد تباحث معه قبل ان يرسل رده على الاستمزاز البريطاني الاول . وقد كان رد فعل ولسون ، الذي ارسل بواسطة هاوس ايجابيا هذه المرة . ومن الواضح ان برانديس قد اقتنع هاوس ان تغييرا حقيقيا بالنسبة للاقتراح البريطاني سيكون عملا لصالح الرئيس سياسيا . ومن المثير ان نلاحظ ان الرئيس لم يقم بالاتصال الثاني مباشرة بل تم من خلال مستشاره . ولعل ولسون لم يكن سعيدا تماما بوجهات نظره الثانية . ويعتقد ليونارد شتاين ان رد الفعل الثاني لولسون كان حاسما الى درجة انه كان من المحتمل ان لا يصدر تصريح بلفور اطلاقا فيما لو حافظ ولسون على عدائه الاصلي للاقتراح .

في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ كتب بلفور الى لورد روتشيلد الذي كان يمثل الانتصار الصهيوني البريطاني قائلا ان الحكومة البريطانية تنظر « بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » واعدا ان الحكومة البريطانية سوف « تبذل افضل جهودها لتسهيل هذه الغاية » . هذه الرسالة التي اصيحت تعرف بـ « تصريح بلفور » كانت حجر الاساس للدولة الصهيونية في فلسطين . وبناء على ذلك فان ودرو ولسون

يتحمل قسما من المسؤولية في تأسيس هذه الدولة . كذلك فان دور برانديس يجب ان لا ينسى . ان الطريقة التي خاطب بها الصهيونيون البريطانيين القاضي برانديس ، وهو الذي لم يكن مقتنعا تماما بصواب التحالف الانجلو - صهيوني ، اكتسبته الى جانب وجهة نظرهم ، واقنعته باستخدام نفوذه لدى ولسون . ولقد كانت تلك الطريقة مقياسا لحسن تصرفهم وصواب محاكمتهم للامور . ومنذ ذلك الوقت اصبح برانديس « رجل الظل » الذي كان يبقي ولسون امينا لخطه الموالي للصهيونية حيثما كان الرئيس يسدو مترددا .

لم يتخذ ولسون اثر موافقته على تصريح بلفور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ اية خطوة لجعل دعمه للبرنامج الصهيوني علنيا . وعلى المرء ان يتذكر ان التصريح كان في الواقع نفاها معا عقد سرا بين الحكومة البريطانية والاتحاد الصهيوني الانجليزي (نشر الصهيونيون نص التصريح في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧) . وقد وردت اول اشارة الى ان بريطانيا قد حصلت على موافقة الحلفاء على التصريح في البرلمان البريطاني في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ وذلك حين سئل وزير الخارجية « فيما اذا كان هناك اتفاق [على سياسة التصريح] » بحيث يكون الحلفاء « عاملين معا في القضية » . وقد اجاب بلفور « اجل ، اننا نعمل باتفاق كامل » (١) . ومع ذلك ، اعتبر الصهيونيون الاميريكيون احجام ولسون عن ان يعلن وتوقه علنا مع المشروع الانجلو - صهيوني مخيبا جدا للامال حقا ، وضغطوا عليه من اجل تصريح علني .

في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) وجه وزير الخارجية لانسنج رسالة الى الرئيس طالبا منه ان يتحاشى اي التزام علني نحو الصهيونيين . وقد كانت حجة وزير الخارجية ان الولايات المتحدة « لم تكن في حرب مع تركيه ، ولذا يجب ان تتحاشى اي مظهر للاستيلاء على قطعة من تلك الامبراطورية بالقوة . . . وليس اليهود ، بأية حال ، متحدين في رغبتهم لاعادة بناء جنسهم كشعب مستقل » ، كما ان « كثيرا من المذاهب المسيحية والافراد » سوف يعارضون اقامة وطن يهودي في فلسطين . واختتم لانسنج رسالته بقوله « لست اظن اننا يجب ان نعطي اي سبب اخر غير السبب الاول ذلك انه يشكل اساسا كافيا لرفض اعلان اية سياسة بخصوص التخلي النهائي عن فلسطين » . واستنادا الى لانسنج فان الرئيس اجاب على رسالته تنفيها في اجتماع لمجلس الوزراء في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) « قائلا انه مضطر ضد ارادته تماما لان يوافقني . ولكنه قال ان لديه انطباعا بأنه قد وافق على التصريح البريطاني بخصوص اعادة فلسطين الى اليهود » (٧) . ويستطيع المرء ان يستنتج من هذا الحوار ان التزام ولسون بالصهيونيين لم يكن راسخا او قليا ، اذ انه كان مستعدا للموافقة مع لانسنج على نصيحته بخصوص مسألة التصريح العلني حول القضية . وقد يكون ولسون قد عمل فعلا بنصيحة لانسنج بهذا الشأن اذ انه اخر التصريح العلني بتأييده للبرنامج الانجلو - صهيوني مدة تسعة اشهر اخرى . وفي هذه الفترة من الموافقة السرية والصمت العلني اعلن ولسون مبادئه الشهيرة التي قامت عليها التسوية السلمية .

لقد صنع الرئيس شهرته الدولية في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ حين قدم الى الكونجرس الاميريكي « نقاطة الاربعة عشرة » التي رفض فيها حق الحصول على المكاسب الاقليمية ، وادان عقد الاتفاقات السرية ، واعلن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . وقد نصت النقطة ١٢ بالتحديد على ان « القوميات غير التركية » للامبراطورية العثمانية يجب ان يضمن لها « فرصة كاملة غير منقوصة للتطور المستقل » . وفي خطاب موجه في ١١ كانون الثاني (يناير) قال الرئيس ان « الشعوب والاراضي لا يجوز ان تنتقل بالمقايضة من سيادة لاخرى كما لو كانت مجرد اثاث او احجار في لعبة حتى لو كانت اللعبة الكبيرة لتوازن القوى التي اصبحت شائنة الان . . بل على العكس ، فان كل

تسوية اقليمية تتعلق بالحرب يجب ان تكون لمصلحة السكان ذوي العلاقات
وفانديتهم « (٨) . وفي خطاب ثالث في « ماونت فرنون » في ٤ شباط (فبراير) ، سادى
ولسون بتسوية سلمية مبنية على « القبول الحر للشعوب ذات العلاقة » مطبقا هذه
القاعدة من مبدأ حق تقرير المصير على الشرق الاوسط كما على اوروبه (٩) . وقد وعد
الحلفاء بجعل مبادئ ولسون اساس التسوية .

ويصف ارنولد توينبي مكانة ولسون في اوروبه في ذلك الوقت بانها « مذهلة » ، واعتبرها
« مقياسا لامال عالمنا » (١٠) . اما شعوب العالم العربي التي كانت تنتظر مكافاتها
الموعودة بالاستقلال مقابل القتال بجانب البريطانيين ضد تركيه ، فقد كانت تطفح
جاسا واملأ بقدر شعوب اوروبه تماما . وهكذا سيطرت شخصية رئيس المدرسة
السابق على مؤتمر باريس للسلام الذي افتتح في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . لقد
كان لكلماته صدى عالمي وقوة ادبية وسياسية مهمة ، كما كان له تأثير كامن عظيم على
نتائج محادثات باريس . ويمكن ان يثار ان ولسون ربما شعر ان التجاوب الحماسي
العام مع نقاطه الاربع عشرة سيجرف جانبا المطالب القومية الضيقة للقوى الاوروبية
المتحالفة في المناطق السابقة من الامبراطورية العثمانية ، كما سيجرف كذلك المطالب
المتضاربة للرعايا العثمانيين السابقين بدول مستقلة . ولكن كلاما من الحلفاء والوطنيين
استغل تلك السنة ما بين اعلان النقاط الاربع عشرة وافتتاح مؤتمر السلام للبحث عن
سند لادعاءاتهم ومطالبهم . ومن الحقائق الثابتة ان ولسون قد اذعن لتحركات مجموعتين
من الاقليات هما : الارمن واليهود . وهكذا لعب ودرو ولسون ، وهو الاب الروحي
لتقرير المصير ، دورا اساسيا في انكار حق تقرير المصير بالنسبة لغالبية الشعوب في
المناطق التي ادعاها الارمن واليهود الصهيونيون .

لقد كان ولسون مهتما شخصيا بالقضية الارمنية ، وقليل من الاقتناع كان كافيا لكسب
دعمه لانشاء ارمينيا مستقلة في مساحة واسعة من الاناضول . اما الصهيونيون فقد
كانت امامهم مهمة اصعب . وكانت هذه المهمة بالنسبة لهم مهمة عاجلة ذلك انهم ارادوا
القبض على زمام الحالة قبل انعقاد مؤتمر السلام . ويبدو انهم قد ذعروا بشكل خاص
من التقارير القائلة بان هيئة اميركية يهودية غير صهيونية تد اقامها هنري مورجنتو سفير
الولايات المتحدة السابق الى تركيه ويهود امريكيون نافذون آخرون . وقد سعى ستيبان
وايز رئيس اللجنة الاميركية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة (سابقا اتحاد الصهيونيين
الامريكيين الذي خلف برانديس الذي استقال اثر تعيينه في المحكمة العليا واصبح رئيسا
فخريا) الى استباق امتلاك المعادين للصهيونية ، وقام بتوجهات مبكرة نحو الرئيس .
في ٢٧ اب (اغسطس) ١٩١٨ اجتمع وايز الى ولسون وتبع اللقاء تبادل رسائل . وقد
حاول وايز ان يطمئن ولسون مذكرا اياه بان برنامج بازل الصهيوني « لا يتضمن اية
اشارة الى طبيعة السيادة التي قد يوكل لها الامر » . وقال « ان تصريح بلفور كان
بدوره ضامتا حول هذه الناحية ، وهو لا يتضمن اي تحد للسيادة الراهنة بل يترك ذلك
ليتقرر حول مائدة السلام » (١١) . واذا اعتبرنا ان الصهيونيين اذ شعروا انهم كانوا
يملكون وعدا ثابتا بأرض في فلسطين ، فان وايز كان يحاول طمأنة ولسون بان شيئا لا
يقف في طريق المناقشة والعمل بحرية في مؤتمر السلام لبحث مسألة السيادة لا مسألة
تقرير المصير على الاقل ، ذلك ان تصريح بلفور واذعان ولسون كانا قد انهما هذه
القضية .

وقد رد ولسون على وايز برسالة بتاريخ ٣٠ اب (اغسطس) تحاشي فيها بدقة فائقة
اي التزام رسمي لحكومة الولايات المتحدة بالبرنامج الانجلو - صهيوني ، ولكنه اعطى
الصهيونيين تأكيدات عن « رضاه » الشخصي بشأن « تقدم الحركة الصهيونية في
الولايات المتحدة وبلدان الحلفاء منذ تصريح السيد بلفور بالنيابة عن الحكومة

البريطانية» (١٢). وفي ليلة مؤتمر السلام نفسها في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، سعى الصهيونيون للحصول على تأكيدات نهائية من ولسون . وقد استقبل الرئيس وايزمن الذي انصرف من المقابلة مدركا ان الصهيونيين قد حازوا مساندته الشخصية (١٣) .

لقد جاول ولسون دوما في تعامله مع القادة الصهيونيين ان يؤكد ان تأييده لقضيتهم كان تأييدا شخصيا بحتا ، وان مثل هذا الدعم لا يلزم حكومة الولايات المتحدة ، باي شكل من الاشكال ، بسياسة معينة . وكان موقف ولسون هذا ساذجا ومنافقا بان واحد . وربما كان ولسون قادرا على اجراء هذا التمييز بين ودرو ولسون كمدير مدرسة سابق وودرو ولسون كرئيس تنفيذي للولايات المتحدة فيما لو كان قد رفض ان يعطي في ايلول (سبتمبر) — تشرين الاول (أكتوبر) اي رأي سواء ضد او مع تصريح بلفور . عندئذ كان بإمكانه ان يبلغ الصهيونيين بضمير مرتاح ، « اني اهبكم تأييدي الشخصي بما يمثله هذا التأييد » . ولكن ولسون اختار ان يربط نفسه والولايات المتحدة بتصريح بلفور . وقد كان تصرفه هذا تصرفا شخصيا لا سياسيا . كان الصهيونيون واثقين ان عطف ولسون الشخصي يمكن ان يعني مكاسب سياسية افضل لقضيتهم ، ولهذا تتبوعوا هذا الرجل (الفلات بلا هوادة . ولم يثبت خطأهم .

وجاءت موافقة ولسون على تصريح بلفور ، ورسالته التي وايز ، وتأكيداته لوايزمن ، والتي كانت قد اصبحت علنية في الوقت الذي افتتح فيه مؤتمر السلام ، لترفع من مستوى التزام رئيس الولايات المتحدة بالمشروع الانجلو — صهيوني في فلسطين . لقد كان مجرد قبوله بالتصريح خرقا لمبادئه الخاصة يناقض ادانته للمعاهدات السرية وينفي مبداه بان التسوية في الشرق الاوسط سوف تبني «على القبول الحر للشعوب المعنية» . وبالزامة نفسه والولايات المتحدة بالصهيونيين حتى قبل انعقاد مؤتمر السلام ، فان ولسون قد ابعد فلسطين في الواقع عن دائرة البحث ، واكد ان الشعب الفلسطيني لن يعطى مطلقا حق تقرير المصير .

ولسون وسياسة فلسطين كدولة يهودية

حدث اذعان ولسون الثاني في مؤتمر السلام في باريس . فقد اثرت مسألة التسوية التركية حالما وصل الوفد الاميركي الى باريس ، ذلك ان اغنام الحرب كانت موجودة في آسيا الغربية لا في اوروية . وقد افتتح المؤتمر يوم ١٨ كانون الثاني (يناير) . وفي ٢١ منه قام مستشارو الرئيس في قسم الاستخبارات الملحق بالبعثة الاميركية الى مفاوضات السلام بتسليم الرئيس سلسلة من التوصيات . واقترححت التوصيات ، فيما يختص بفلسطين ، اقامة دولة منفصلة باشراف الانتداب البريطاني ، واوصت « بان يدعى اليهود للعودة الى فلسطين للاستقرار هناك على ان يضمن لهم المؤتمر بهذا الصدد كل مساعدة ممكنة تكون منسجمة مع حماية الحقوق الشخصية (وخاصة الدينية) وحقوق الملكية للسكان غير اليهود ، وان يؤكد لهم فضلا عن ذلك ان سياسة عصبة الامم ستكون الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » (١٤) . وقد اصبحت هذه التوصية هي برنامج عمل الوفد الاميركي والرئيس ولسون . وبصدد المسألة الفلسطينية اعطت المذكرة الصهيونيين كل ما ارادوا — واكثر بكثير . لقد كانت توصية صريحة باعطاء فلسطين هدية للصهيونيين بلا ادنى اعتبار لحق شعب فلسطين بموجب مبادئ ولسون نفسه حول تقرير المصير ، والتي كان الحلفاء قد قبلوا بها وشكلت التوصية بان يقدم « المؤتمر » للصهيونيين « كل مساعدة ممكنة » في الواقع اقتراحا بان يوسع التعاون الانجلو — صهيوني في فلسطين ليصبح تعاونا دوليا بين الحلفاء . ثم جاءت اكثر هذه التوصيات دلالة وهي القائلة بان فلسطين يجب ان يعترف بها « كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » . وقد تجاوزت هذه التوصية تصريح بلفور

بناحيين . الأولى « انها اعطت الصهيويين فلسطين بأكملها بينما ترك تصريح بلفور الالتزام الإقليمي لليهود غامضا - « بان يبني في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي » . وثانيا ، اعادت المذكرة تعريف الهدف المحدد للصهيونية في فلسطين فحولته من خلق « وطن قومي » الى بناء « دولة يهودية » . لقد جعلت هذه المذكرة امرا ملموسا ما كان تصريح بلفور قد تركه ، غامضا عن عهد .

وكانت الحكومة البريطانية قد اصرت على ان صياغة تصريح بلفور يجب ان تبقى غامضة لان البريطانيين لم يشاوا ان يلهبوا الراي العام العربي ضدهم ، ولم يشا البريطانيون ان يعدوا بشيء قد لا يكونون قادرين او مهيين لتنفيذه في المدى البعيد . لقد كان على البريطانيين ان يفكروا دوما بمركزهم ومصالحهم في الشرق الاوسط ، بينما لم تكن الولايات المتحدة مضطرة لذلك ، وكان بإمكانها بالنتيجة ان تقترح سياسات بعيدة الاثر ومكروهة ، سياسات موجهة ضد شعب الشرق الاوسط . ويبدو ان بلفور نفسه كان مستعدا لقبول الصيغة الصهيونية التي طالبت بـ « اعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود » (١٥) . بينما اثر بقية الوزراء الصياغة الاقل تجسيميا والتي جرى تبنيها في النهاية ، وقد اعادت الحكومة البريطانية ، حتى الى ما بعد منتصف عام ١٩٢٣ ، تأكيد نيتها بخصوص مسائل المنطقة و « السيادة » على الوطن القومي اليهودي . وقد قال وزير المستعمرات آنذاك ، دوق ديفونشاير ، مخاطبا مجلس اللوردات « لقد ذكر المرة تلو الاخرى ان النية كانت منذ البداية ان يقام لليهود وطن قومي ، ولكن اتخذ كل احتياط للحيلولة دون تحوله ، بأية حال ، الى دولة يهودية تحت سيطرة يهودية » (١٦) .

وهذه المذكرة وثيقة ذات دلالة فهي اشارة الى المواقف والتوقعات التي تم التوصل اليها في البعثة الاميركية لمفاوضات السلام . فلم تكن هذه التوصيات فجأة فحسب لان المؤتمر لم يكن قد قطع شوطا حين وضعت ، ولكنها كانت ايضا متحيزة بقوة ضد تقرير المؤتمر الموضوعي لقضية فلسطين . وقد اظهرت المذكرة ان الاميركيين لم يفكروا ضمن نطاق تشجيع خلق وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل ضمن اطار سياسة تفضل « اعادة بناء » (حسب التعبير الصهيوني) فلسطين كدولة يهودية . ولان ولسون قبل هذه المذكرة كبرنامج عمل وفده ، فان نمط التفكير الكامن وراء التوصيات قد استمر وما زال هو اساس سياسة الولايات المتحدة اليوم . ولكن هذه لم تكن الا الحادثة الاولى التي سمح فيها ولسون لمثل ذلك التفسير المهم بان يمر بهدوء .

فقد خضع ولسون مرة ثانية مبيحا للصهيونيين ان يعطوا تفسيرهم الجديد الخصاص ، الاكثر موافقة ، لتصريح بلفور . في ٣ اذار (مارس) ١٩١٩ استقبل ولسون ، بينما كان في زيارة قصيرة للولايات المتحدة ، ممثلي المؤتمر اليهودي الاميركي المؤيد للصهيونية ، الحاخام وايز ولويس مارشال . وعلى الرغم من ان الرئيس لم يصدر اي تصريح رسمي عن اللقاء ، فقد سمح بان ينقل عن لسانه قوله « انني مقتنع بان الأمم المتحالفة متفقة ، بالرضا الكامل من حكومتنا وشعبنا ، بانه سوف توضع في فلسطين اسس كمنولث يهودي » (١٧) . وفي ١٣ نيسان (ابريل) استوضح وزير الخارجية لانسنغ الرئيس ولسون فيها اذا كان كلامه قد اقتبس بدقة . ورد ولسون على لانسنغ في ١٦ نيسان (ابريل) انه لم يستخدم « ايا من الكلمات المنقولة رغم انه استخدم جوهرها » . وقال ولسون ايضا ان التصريح المنسوب اليه قد ذهب ، حسب كلماته ، « ابعد قليلا مما كان ينوي » . لقد عني (ان تعزز قبولنا المعلن بموقف الحكومة البريطانية بخصوص مستقبل فلسطين » (١٨) . اي ، بكلمات اخرى ، اعادة التصديق على تصريح بلفور . ويؤكد ستاين ان هذه الحادثة « توحى بان ولسون لم يكن يعطي المسألة الصهيونية تفكيراً جدياً . والتفسير الواضح هو انه بحكم مشاغله السابقة بقضايا اخرى كانت تهتمه اكثر ، كان مستعدا لان يسمح بان توضع الكلمات في فمه » (١٩) . ومن الجائز ان ولسون

لم يستعمل كلمات « كمونولث يهودي » التي كانت خاصة بالصهيونيين ، بل انه صاغ تصريحه مستخدما كلمات مثل « دولة يهودية » ، او « الوطن القومي اليهودي » التي كانت شائعة بين الاميركيين في باريس . و ايا كان قول ولسون ، فلا شك الزم نفسه نهائيا بالموقف الصهيوني ولم ينكر او يبذل اي جهد لتصحيح الرواية الصهيونية لرسالة تاييده . وقد شكل هذا استسلاما كليا للصهيونيين . لقد فقد ولسون سيطرته على السياسة الامريكية حول المسألة الفلسطينية كنتيجة لخضوعه الثاني . ومن هنا فصاعدا أصبحت المبادرة مع اولئك الاميركيين الذين كانوا يفسرون المحاولة الصهيونية في فلسطين على انها اقامة دولة يهودية او خلق كمونولث يهودي . وقد أصبحت هذه هي السياسة الامريكية الرسمية لتحويل فلسطين الى دولة يهودية .

ولسون ومسألة تقرير المصير للفلسطينيين

ابان مؤتمر السلام اثر الموضوع المرحج المتعلق بتقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وتعرض ولسون لضغوط مؤيدة ومعادية للصهيونية على حد سواء . وكان المعادون للصهيونية يؤلفون فريقا ذا نفوذ من الرسائلات ورجال الاعمال الاميركيين الذين يملكون خبرة طويلة في الشرق الاوسط . وقد شعر هؤلاء الرجال ان التحالف الانجلو - صهيوني لم يكن من المصلحة الامريكية القومية اذ ان هذا التحالف سوف يجد معارضة قوية في النهاية من قبل شعب الشرق الاوسط .

في ٣ كانون الثاني (يناير) أقر المؤتمر ، من حيث المبدأ ، ان قوى معينة من الحلفاء (تجديدا-بريطانية وفرنسية) يجب أن تعطى الانتداب في المناطق العثمانية السابقة للسير بشعوب هذه المناطق نحو الاستقلال الكامل . وقد سمعت بريطانيا بالطبع لان تعين الدولة المنتدبة على فلسطين . ولكن في ٢٠ آذار (مارس) اقترح ولسون ان تعين هيئة مشتركة من الحلفاء لاكتشاف رأي شعوب المناطق ذات العلاقة . واقترح ولسون ان تتألف هذه الهيئة من ممثلين عن بريطانيا وفرنسة واطاليه والولايات المتحدة ، ولكن حين وصل الامر الى تعيين المفوضين فعلا لم يتقيد بذلك سوى الولايات المتحدة . واحساسا بخطر احتمال فقدان كل ما وعدوا به لم يضع الصهيونيون اي وقت . في ٢٦ آذار (مارس) زار البروفسور فيليكس فرانكفورتر من كلية القانون في هارغارد الكولونيل هاوس في باريس ممثلا للمنظمة الصهيونية . وكان هدف هذه الزيارة الحصول على تأكيدات هاوس حول موقف ولسون . كتب هاوس : « يعتقد اليهود ان بعثة الحلفاء المشتركة التي ستسافر الى سورية تخدع يهود فلسطين » . وقد اعطى هاوس فرانكفورتر تأكيدات مفادها انه « ليس هناك مثل هذه النية » ، مشيرا الى ان تصريح بلفور لم يزل اساس السياسة الامريكية . وخرج فرانكفورتر من لقائه مع هاوس بالانطباع ان البعثة لم تكن سوى مجرد طريقة لتأجيل القرار (٢٠) . وبعد تأخير كبير ومناقشة طويلة قرر ولسون ارسال الممثلين الاميركيين هنري تشرشل كينج وتشارلز كرين الى الشرق الاوسط . وكانت دوافع ولسون من وراء ارسال البعثة كما يلي : أولا ، تأجيل القرار النهائي حول الانتداب على فلسطين بتعيين بعثة استطلاع ، وهو تكتيك نموذجي مستخدم من قبل السياسيين . ثانيا ، الانحاء لرغبات الاميركيين النافذين المعادين للصهيونية . وثالثا ، اعطاء نفسه الرضا بأنه على الاقل قد استشار رأي شعب فلسطين .

زارت بعثة كينج - كرين فلسطين بين ١٠ و ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، ثم تابعت زيارتها الى سورية وتركيه . وكتبت البعثة تقريرها ابان آخر اسبوع من آب (اغسطس) ، وفي ٣٠ آب ابرقت بخلاصة للنتائج التي توصلت لها . وبصدد فلسطين اوصت برقية كرين بأن فلسطين يجب ان لا تفصل عن سورية (كما كان يريد البريطانيون

والصهيونيون) ، وبأن « البرنامج الصهيوني المتطرف » يجب أن « تعديل جذبا » ، وبأن على أميركة أن تقبل الانتداب على سورية الموحدة ، وبأن يعطى الانتداب لبريطانية في حالة الرفض الأميركي (٢١) . وقد كان المثان في تقريرهما متشددتين حول مسألة « تعديل البرنامج الصهيوني المتطرف بشأن فلسطين » والذي يتضمن « الهجرة غير المحدودة لليهود » بقصد « جعل فلسطين دولة يهودية متميزة » ، وأكد المفوضان أن « وطننا قوميا للشعب اليهودي ليس معادلا لجعل فلسطين دولة يهودية ، كما لا يمكن تحقيق خلق مثل هذه الدولة اليهودية بغير افدح تعد على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة ... » . ومن خلال لقاءات البعثة مع المثمنين اليهود ، تكررت بجلاء حقيقة ان الصهيونيين كانوا يتطلعون عمليا الى اخلاء كامل للسكان الراهنين غير اليهود في فلسطين وذلك بأشكال الشراء المتنوعة . وقد كان المفوضان واضحين تمام الوضوح بصدد رأى تسعة اعشار سكان فلسطين ، « السكان غير اليهود » ، الذين قال التقرير انهم كانوا « معادين بكل حزم للبرنامج الصهيوني » (٢٢) .

لقد أشعرت برقية كرين الرئيس ولسون مقديما بمحتوى توصيات البعثة . ولكن الرئيس لم يقرأ التقرير مطلقا ، وظلت هذه الوثيقة ، لاكثر من ثلاث سنوات ، مرمية في ملفات وزارة الخارجية في واشنطن . وقد شعر كل من كينج وكرين ان المعارضة الصهيونية ربما كانت عاملا في رفض ولسون اعلان التقرير (٢٣) . ومرة أخرى ترجمت عواطف ولسون الشخصية (أو متطلباته السياسية) الى سياسة أميركية قومية . ولكن يبدو أنه لم تكن لدى ولسون النية لان ينظر جديا الى توصيات بعثته . ان مقابلة هاوس — فرانكفورتر التي حدثت قبل ثلاثة أشهر من ارسال البعثة الى فلسطين ، وقيل خمسة أشهر من اكمال تقرير كينج — كرين ، قد أكدت بدقة ان نوايا الرئيس كانت : أن يتابع سياسته المؤيدة للصهيونية دون أى اعتبار للنتائج التي توصلت لها بعثة كينج — كرين . ومن الجلي أن ولسون لم يعتبر قط ان قاعدة تقرير المصير يجب أن تطبق على فلسطين . وهكذا كانت المقابلات التي نظمتها بعثة كينج — كرين في فلسطين وسورية مجرد مسرحية أو مشهد للتأثير على « الوطنيين » في فلسطين ، ولتهدئة المعادين للصهيونية .

ودرو ولسون ، المحرر الاعظم ام المخادع الاكبر ؟

يمتلك الرئيس ولسون سمعة بأنه المثالي الاكبر بين الرؤساء الاميركيين . ولا شك أن ولسون لم يظهر بصدد المسألة الفلسطينية اية مثالية . فلم تكن لديه الرغبة في أن يطبق مبداه في تقرير المصير على الشعب الفلسطيني ، وكان راضيا بأن يبيع لبريطانية والصهيونيين ممارسة سياسة صممت بوضوح لحرمان الفلسطينيين من وطنهم بأكمله — فضلا عن حرمانهم حق تقرير المصير . وقد رأينا ، بالإضافة لذلك ، ان قرارات ولسون حول القضية الفلسطينية كانت مبنية على علاقته الشخصية مع برانديس (والصهيونيين) فضلا عن حقائق السياسات العملية في الولايات المتحدة . لقد كان طموح ولسون الاكبر أن يلعب دورا عالميا . وبحكم كونه « ليبراليا » فقد وجد فكرة أن يصبح حامى الاقليات والشعوب المضطهدة فكرة ذات جاذبية خاصة . وقد قادت هذه الاهتمامات الرئيس لان يورط نفسه في شؤون اقليتين شرق — اوسطيتين : الارمن في اناضول تركيا ، واليهود في فلسطين . وقد جر تورط ولسون في شؤون هاتين الطائفتين الى كارثة للشرق الاوسط : ففي حالة الارمن ، فان الاكثريّة التركية في اناضول ذبحت وطردت هؤلاء السكان من المنطقة ذات العلاقة ، وفي حالة فلسطين طرد الصهيونيون الفلسطينيين من موطنهم . وهكذا في الحالة الاولى انتهى الشعب الذي آثره ولسون الى كارثة ، بينما في الحالة الثانية سبق الشعب الذي نسيه ، الشعب الفلسطيني ، الى المنفى .

في اوروبه طبقت قاعدة تقرير المصير بنجاح على الرعايا السابقين للامبراطورية

التمساوية — الهنغارية والإمبراطورية العثمانية . وأعيد رسم حدود أوروبا بحيث ان ٣٪ فقط من شعوب أوروبا أصبحت تعيش تحت حكم اجنبي . ولكن العكس كان هو الصحيح في الشرق الاوسط . لقد أعيد رسم الحدود ولكن لم تعط شعوب العالم العربي حق تقرير المصير بحيث يمكن القول انه حين وضعت التسوية في باريس كان كل الشعب العربي ، باستثناء ٣٪ ، تحت السيطرة الاجنبية . وفي الواقع فإن مصير الرعايا العرب السابقين للإمبراطورية العثمانية القديمة كان قد قرر حتى قبل اجتماع مؤتمر السلام : لقد أنكر عليهم ابداء أي رأي بمصيرهم وقسمت أراضيهم واحتلتها فرنسه وبريطانيه العظمى . ولكن أكثر نواحي تلك المناقشات التي جرت في باريس اثاره للدهشة كان استمرار الرئيس ولسون الشخصي في ربط نفسه مع ذلك الاتفاق « السري » الاخر ، تصريح بلفور ، والمشروع الانجلو — صهيوني في فلسطين .

ومن الممكن ان يجادل دفاعا عن ولسون انه لم يكن مطلعاً على حقائق المسألة الفلسطينية : ولكن لم تكن الحال كذلك . فالحجج ضد البرنامج الصهيوني كان قد قدمها مباشرة وبشكل كامل الى الرئيس شخص في وزن روبرت لانسنغ وزير الخارجية ، وهنري مورجنتو وهوارد بليس رئيس الكلية السورية البروتستانتية (جامعة بيروت الاميركية فيما بعد) . واذا كان الرئيس يمكن ان يدعي الجهل في خريف ١٩١٧ حين اعطى موافقته على تصريح بلفور ، فلم يكن لديه مثل هذا العذر في يناير ١٩١٩ حين انتهك كل مبادئه لدعم الصهيونيين في فلسطين .

كذلك يمكن ان يقال دفاعا عن ولسون انه ، ببساطة ، اذعن للامر الواقع المتمثل بالاحتلال البريطاني والفرنسي للشرق وما بين النهرين . وقد قيل ان الحلفاء لم يكن امامهم الخيار الا ان يسمحوا باقامة الدولة البولونية والتشيكية ودول اوروبية قومية اخرى لان القوى المتحالفة لم تكن في وضع يمكنها من رفض طلب اي من قوميات الامبراطوريات المقطعة الاوصال . اما في الشرق الاوسط ، فان القوات الفرنسية والبريطانية كانت في المنطقة منذ مدة ، ولم تكن شعوب المنطقة بقادرة على مقاومة الاحتلال . وبناء عليه يمكن ان يجادل بان اعلان ولسون المثالي للنقاط الاربعة عشرة لم يكن ليحدث اي تأثير على الوضع السياسي الذي ساد اثر الحرب العالمية الاولى ، وان التسوية السلبية باكملها قد املتها « السياسة الواقعية » اكثر مما املتها المبادئ . فلكي نقبل مثل هذه الحجج ، علينا ان نضع جانبا واقع مكانة ولسون العظيمة بعد الحرب ، والدور الواضح الذي أحدثه اعلان الرئيس عن تأليف بعثة الحلفاء المشتركة في المعسكر الصهيوني (والبريطاني والفرنسي) . وان تعليق الكولونيل هاوس على زيارة فرانكفورت له بعد اسبوع واحد من اقتراح ولسون لتشكل البعثة « ان اليهود يعتقدون ان بعثة الحلفاء المشتركة ... مستخدع يهود فلسطين » يظهر ما الذي كان يخشى الصهيونيون ان يفعله هذا الرئيس الامركي المثالي ذو المبادئ السامية . ولم يكن الصهيونيون بحاجة لان يقلقوا في الواقع ، فقد كان ولسون مدينا بالفضل لبرانديس الصهيوني العميق الالتزام .

وهكذا ، بالنسبة للعرب ، لم تكن مبادئ ولسون الصداحة بسوى كلام كثير ، كما جلبت سياسته الواقعية بالنسبة للفلسطينيين الكوارث . ان ولسون لم يكن في الواقع « المحرر الاعظم » بل « المخادع الاكبر » .

روزفلت وفلسطين كملجا نهائي لليهود

كان اثر تورط ولسون مع الصهيونيين ان ترك الولايات المتحدة ملتزمة بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . كان على ولسون ان يتصرف ازاء المطلب الصهيوني من اجل الارض . وكانت الخطوة المنطقية الثانية ان يفي بحاجة الصهيونيين الى البشر للاستيطان في تلك الارض لكي يكون بإمكانها ان تصبح « دولة

يهودية في الواقع». وفي هذا الصدد كان الرئيس فرانكلين روزفلت مجبرا على ان يستسلم لمتطلبات الصهيونيين .

لقد نجم تورط روزفلت مع الصهيونيين عن عطفه الكبير على الضحايا اليهود نتيجة سياسات هتلر العنصرية . وبعد خمس سنوات من صعود هتلر الى السلطة في المانيا ، وقبل عدة سنوات من اكتشاف العالم للنتائج الرهيبة لسياسات هتلر ، اتخذ روزفلت المبادرة في الدعوة الى مؤتمر للبحث في كيفية التصرف ازاء مشكلة اضهاد اليهود في المانيا . وماترا الى حد معين بـ «دعاية جودا ماجنيس (عميد الجامعة العبرية)» (٢٤) دعا روزفلت الى مؤتمر في حزيران (يونيو) ١٩٣٨ يحضره ممثلون من الامريكيتين وأوروبا ، باستثناء المانيا . وكان روزفلت آنذاك قليل الاطلاع على الصراع حول فلسطين . وقد قدر ان المؤتمر « سوف يبين للعالم غير الاوروبي الحاجة الماسة للمهاجرة ويشكل رئيسي الى فلسطين » (٢٥) . اما الحكومة البريطانية التي كانت منهمكة آنذاك بقمع تمرد فلسطيني عربي ، فقد اقلقتها التفكير في كيف يمكن لمثل هذا المؤتمر ان يؤثر في أحداث فلسطين . وقد جادل البريطانيون بان المؤتمر يجب ان يهتم بجميع اللاجئين لا يهود المانيا فقط ، وان الدعوة يجب ان توجه فقط لممثلي البلدان المستعدة لقبول مهاجرين ، وان فلسطين يجب ان لا تناقش . وقد وافق روزفلت على الشروط البريطانية وعقد المؤتمر في ايفيان في فرنسه يوم ٦ تموز (يوليو) ١٩٣٨ . و باقتراح هذا المؤتمر انعش روزفلت آمال اقلية مضطهدة عديدة سمعت للخلاص من الاضطهاد في مواطنها وللوصول الى الابواب المفتوحة للبلدان التي يمكنهم اللجوء اليها . وقد بدا ، لوهلة ، ان الولايات المتحدة اخذت تخرج من عزلتها وتهتم بمشاكل العالم . ولكن انضج بعيد افتتاح المؤتمر ان معظم الممثلين الحاضرين بمن فيهم ممثلو الولايات المتحدة ، لم يكونوا مفوضين بتقديم أية مقترحات اساسية . وكان ممثل جمهورية الدومينيكان الشخص الوحيد الذي عرض ، بالنيابة عن حكومته ، دخول عدد كبير من اللاجئين . وقد وافقت بلاده على استقبال ١٠٠٠٠٠ لاجيء يهودي من المانيا والنمسه . اما الدول الثلاثون الاخرى التي كانت تحضر مؤتمر ايفيان فلم تقترح سوى ان تضيف بضعة آلاف اخرى الى كوتا الهجرة لديها .

ونظر الصهيونيين الى مؤتمر ايفيان بـ « لا مبالاة عدائية » . لقد كان من الممكن ان يتحمسوا فيما لو بني المؤتمر على اقتراح روزفلت الاصيلي . ولكن ، حسب تعبير كريستوفر سايكس ، « الحقيقة ان ما جرت محاولته في ايفيان لم يكن متجانسا مع روح الصهيونية وليس السبب بخاف . فلو قامت الدول الواحدة والثلاثون بواجبها واطهوت حسن ضيافتها « لليهود الالمان المضطهدين » ، لكان التأكيد على الوطن القومي والحماس المتصاعد للصهيونية قد خفا » (٢٦) . لقد كانت حرية المهاجرة لليهود آخر شيء يريده الصهيونيين . فقد كان من المهم لمشروعهم ان لا تسمح أمم العالم الديمقراطية بالهجرة اليهودية . فالصهيونية تستند الى حاجة اليهود المزعومة الى ملجأ . وكان البرنامج الصهيوني يتطلب ان تكون فلسطين البلد الوحيد الذي يستطيع اليهود ان يذهبوا اليه ويشعروا فيه بالترحاب : « فاذا كانت سياستهم تستلزم العذاب فذلك هو الثمن الذي يتوجب دفعه لاتقاذ الروح اليهودية » (٢٧) .

وعلى الرغم من ان روزفلت كان قد تأثر بالصهيونيين في دعوته للمؤتمر ، الا انه لا يبدو ان الصهيونيين بذلوا اية محاولة للتأثير على نتيجة اجتماع ايفيان . ولم تكن بهم حاجة لذلك . فقد تسببت المصالح الانانية ، وليس الضغط الخارجي ، للدول الحاضرة ، باستثناء جمهورية الدومينيكان بفشل مؤتمر ايفيان . ولم يذهب هذا الدرس هدا بالنسبة لروزفلت الذي وضع كل وزنه وراء اجتماع ثان عقد في برمودا في ابريل ١٩٤٣ . « لقد كان واحدا من اكبر آمال روزفلت ان ترفع حواجز الهجرة ضد اليهود من قبل جميع الامم

كذلك كان الرئيس قد أصبح أكثر تعقدا في تعامله مع المشكلة الشائكة للهجرة اليهودية إلى فلسطين : « فقد بدا من غير الأمانة بالنسبة لروزفلت ان يطلب من العرب امتيازات الهجرة بينها كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوانينها الانتقائية الصارمة للكويتا » (٢٩) . وكان هذا طبعاً مناقضاً على خط مستقيم للادعاء الصهيوني بأن الحل الوحيد للتشرد اليهودي يكمن في خلق دولة يهودية في فلسطين . كان روزفلت يعرف جيداً متطلبات الصهيوينيين ولكن كان على الرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ ، بخلاف ولسون عام ١٩١٧ و ١٩١٩ ، ان يأخذ بعين الاعتبار المصالح الأميركية في الشرق الأوسط . ولم يكن روزفلت ليستطيع ان يؤدي مركز الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى في العالم العربي لكون هذه المنطقة مسرحاً حربياً للحلفاء . بالإضافة الى ذلك كان قد أصبح للولايات المتحدة مصالح أخرى في الشرق الأوسط عام ١٩٤٣ : نفط ، تجارة ، سياسة ، وجغرافيا استراتيجية . ولم يشأ روزفلت ان يهدد اياً من هذه المصالح بكسب عداة العرب بشأن فلسطين .

لقد كانت مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين وثيقة الارتباط باستقرار الشرق الأوسط وبالجهود الحربية للحلفاء . وقد جعلت الثورة العربية الفلسطينية الحكومة البريطانية تعدل ، الى حد ما ، برنامجها القائم على البناء التدريجي لإكثارية يهودية في فلسطين بقصد الوصول الى حق تقرير مصر يهودي في ذلك البلد . لقد حدد الاقتراح الاساسي للكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ الصادر عن الحكومة البريطانية كوتا مقدارها ٧٥٠٠٠ لاجيء يهودي للسنوات الخمس التالية (كوتا اولية مقدارها ٢٥٠٠٠ لاجيء ثم ١٠٠٠٠ مهاجر يهودي سنويا) . ونص على ان أية هجرة يهودية اضافية بعد ذلك يجب ان تنال موافقة عرب فلسطين . وقد كان تنفيذ مثل هذه السياسة يعني بالنسبة للصهيوينيين انه لن يكون بالإمكان بناء أية اكثارية يهودية ، وان فلسطين لن تصبح مطلقاً «دولة يهودية في الواقع» . وقد وافق روزفلت على السياسة البريطانية (وتجدد ذلك في قبوله لاعادة تفسير بريطانيا للمذكرة قبل مؤتمر ايفيان) ، كما وافق ان سيلا من اللاجئين اليهود في فلسطين سيفرض تسوية نهائية في فلسطين (لقضية تقرير المصير اليهودي) قبل ان يتمكن الحلفاء من الجلوس في مؤتمر السلام وتقرير ما يتوجب عمله .

كان عدم التدخل في القضايا السياسية هو البدا الموجه لمؤتمر برمودا . فقد ادعى انه كان للمؤتمر دور انساني بحث يقوم به ، وبناء عليه لم يناقش الممثلون الذين اجتمعوا في برمودا قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فهي قضية سياسية جدا حقاً . ولكن نظراً لاهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين بالنسبة للصهيوينيين ، فان قرار القائدين روزفلت وتشرشل الذين دعيا للمؤتمر لبحث مسألة اللاجئين اليهود في أوروبا كجزء لا يتجزأ من مشكلة اللاجئين الكلية ، كان قراراً سياسياً ذا أهمية حاسمة . كذلك كان تهديداً رئيسياً للصهيوينيين . وهكذا تعرض المؤتمر لنقد مستمر مزير من الدوائر الصهيونية ، كما ان ادارة روزفلت نفسها انقسمت حول القضية .

* اتبعت الولايات المتحدة سياسة تقوم على حرية الهجرة من ١٩٢٣ - ١٩٢٤ حين اصدر الكونجرس قوانين هجرة جديدة قيدت الى حد كبير الهجرة ولاسيما بخصوص اليهود والشعوب الملونة . وقد فصلت قوانين الهجرة هذه للحفاظ على التوازن العنصري القائم في الولايات المتحدة عام ١٩٢٣ . اخذين هذه القوانين بعين الاعتبار من المثير ان نلاحظ ان عدد التجمع السكاني اليهودي الامريكى ارتفع بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ من ١ الى ٢ ملايين ، وبين ١٩١٤ و ١٩٢٨ (بعد اربع سنوات من التقييد) الى ٤٤٢ مليون ، وبين ١٩٢٨ و ١٩٤٣ الى ٥٤٢ مليون . انظر

لقد شعر الرئيس بعد مؤتمر برمودا ان مشكلة المهاجرة اليهودية يمكن ان تحل فيما اذا رحبت القوى الكبرى بأعداد مهمة من اللاجئين . وأحسن ان الامم الاخرى سوف تتخذي مثال هذه المبادرة الكريمة . ولكن روزفلت عرف ان الكونجرس الاميركي سيكون ضد ان تقدم الولايات المتحدة العرض الاول ، ولهذا أرسل موريس ارنست ، وهو نفسه يهودي ، مبعوثا الى لندن لتأمين موافقة تشرشل بشأن هجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودي التي بريطانياه . وقد شعر روزفلت انه قد يكون بإمكانه ، اذا وافق تشرشل ، ان يفتح الكونجرس بأن يصادق على دخول مئة ألف آخرين الى الولايات المتحدة . فقد ضمن الرئيس ان الكونجرس لا يستطيع التمسك بسياساته التضييقية بصدد الهجرة في وجه النية البريطانية الحسنة نحو اللاجئين اليهود . لقد كافح روزفلت من اجل رفع جميع حواجز الهجرة . وكان يعتقد ان جميع الناس يجب ان يقبلوا بغض النظر عن العنصر واللون والدين . « ولكن حين قرر روزفلت تنفيذ هذا البرنامج اكتشف ان الصهيونيين كانوا ضده » (٢٠) .

ونجحت مهمة موريس ارنست ، فقد وافق تشرشل على قبول المائة الف ، ولكن روزفلت لم يستطع مجارة العرض البريطاني واهمل الاقتراح . وقد أرجع ارنست فيما بعد فشل مبادرة روزفلت الى الصهيونيين مباشرة : « ... وبدأ بالنسبة لي ان فشل المجموعات اليهودية [الامريكية] القائدة في مساندة برنامج الهجرة هذا بحماس ، ربما قد دفعت الرئيس آنذاك لعدم الضغط للسير قدما بذلك البرنامج » (٢١) . ويجب الافتراض ، على كل حال ، بأن روزفلت نفسه تأثر الى حد كبير بالمعارضة الصهيونية لاقتراحه . ففي هذا الموقف ، توافقت مصالح المشرعين الامريكيين في الكونجرس مع متطلبات الصهيونيين فكلا الفريقين كان يريد استمرار القيود على الهجرة . ولو ان الصهيونيين اختاروا ، بدلا عن ذلك ، ان يمارسوا تأثيرهم في الكونجرس ، والذي لم يكن ليستهان به ، لمصلحة امتيازات اللاجئين اليهود ، لكان هناك فرصة كبيرة لان يدعم الكونجرس الرئيس . ولكن سياسة الصهيونيين كانت فلسطين أو لا شيء .

ومن الظلم القول ان اذعان روزفلت في مأزق الهجرة شكل « قرارا » بالمعنى الذي تشكل اذعان ولسون في تصريح بلفور . فروزفلت انحنى لقوة كبرى ، بينما كان لدى ولسون افكار اخرى اثارها وحركها تدخل صهيوني نافذ . ولكن قبول روزفلت للحالة شكل قرارا لان روزفلت لم يثر بعد ذلك مسألة اصلاح قضية الهجرة في الولايات المتحدة ، ومسألة اتباع سياسة عامة دولية تقوم على الابواب المفتوحة فيما يختص باليهود . وتجنبدت هزيمة روزفلت في سياسة فلسطين كملحاً نهائي للشعب اليهودي . وقد كانت هذه سياسة عالمية لا سياسة الولايات المتحدة فحسب ، وظهورها بسبب المصالح الانانية للدول المعنية ، كان ضربة كبرى لمصلحة الصهيونيين . ولا يمكن القول ، مع ذلك ، ان الصهيونيين هم الذين صمموا هذه الضربة بقدر ما انهم ساندوها فقط واستفادوا منها . ومنذ ذلك الوقت وما تلا اصبح بإمكان الصهيونيين ان يقولوا ، بصدق ، ان فلسطين كانت هي الملجأ الوحيد لليهود ، المكان الذي يمكن ان يرحب بهم فيه بين انباء جلدتهم . وقد كانت هذه هي « الرافعة الصهيونية » ضد القيود البريطانية للهجرة في فلسطين . وبالانجرار خطوة اخرى بدافع الصهيونيين (المدعومين من الدول التي كانت ما تزال لا تريد اعدادا كبيرة من المهاجرين اليهود) ، أصبحت تلك هي سياسة « فلسطين هي الملجأ النهائي لليهود » (الذين يمكن ان يتعرضوا للاضطهاد وهم يحتاجون مثل هذا الملجأ) . دام ليس هناك احد آخر يقبل بهم) . فبالنسبة للصهيونيين ومؤيديهم كانت الهجرة الى فلسطين تقدم ، آنذاك ، الحل النهائي « للمشكلة اليهودية » . ولهذا يشكل « قرارا » روزفلت او اذعانه واحداً من القرارات الامريكية الرئيسية حول المسألة الفلسطينية . وتدلل ارقام الهجرة اليهودية على مدى اهمية ذلك بالنسبة للصهيونيين من اجل بناء

دولتهم : فقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين ادنى بكثير من مستوى رقم ١٠٠٠٠٠ سنويا الذي حدد في الكتاب البريطاني الابيض لعام ١٩٣٩ . فقد بلغت ٨٤٣٩٨ عام ١٩٤٠ ، و٥٤٨٨٦ عام ١٩٤١ ، و٣٧٣٣٠ عام ١٩٤٢ ، و٨٤٥٠٧ عام ١٩٤٣ (وهو عام هزيمة روزفلت) . ولكن عدد المهاجرين ارتفع بشكل ملحوظ الى ١٤٤٤٦٤ عام ١٩٤٤ و ١٣٦١٢٠ عام ١٩٤٥ ، و ١٧٤٧٦١ عام ١٩٤٦ ، و ٢١٤٥٤٢ عام ١٩٤٧ . ثم ارتفعت الهجرة اليهودية بين ١ كانون الثاني (يناير) و ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وهي الاشهر الاخيرة للانتداب البريطاني ، الى ١٧٤١٦٥ ، ثم اصبح الرقم بين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، بعد اعلان اسرائيل ، ١٠١٤٨٢٨ . وان تدفق المهاجرين مباشرة بعد اقامة الدولة الصهيونية هو دليل على النجاح الذي حققته سياسات و ضغوط الهجرة الصهيونية . فما ان فتحت ابواب فلسطين (بينما ظلت الابواب الاخرى محكمة الاغلاق) حتى تدفق اليهود ، الذين لم يكن ليقبلهم احد آخر ، الى فلسطين . ولا شك ان ما حدث بعد ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ قد بدأ للصهيونيين كتزكية كاملة لسياستهم ، هذا بينما كان تدفق اليهود بالنسبة للفلسطينيين الذين طردوا من منازلهم يعني استبدالهم الدائم . (وجددير بالذكر ان الوسيط الدولي للامم المتحدة الكونت برنادوت كتب في تقريره في ١١/٩/١٩٤٨ محذرا من مثل هذه النهاية بعد طرد الفلسطينيين ١٩٤٨) .

روزفلت وسياسة فلسطين كدولة يهودية

تجاوزت مجابهة روزفلت مع الصهيونيين قضية الهجرة . فقد كان كذلك تحت ضغط متواصل لتصديق البرنامج السياسي للصهيونيين الامريكين الذي تمثل « ببرنامج بيلتمور » كما دعي نسبة للوئتمر الذي اصدر البرنامج وانعقد في ايار (مايو) ١٩٤٢ في فندق بيلتمور بمدينة نيويورك . تقول الفقرة الاساسية من هذه الوثيقة المهمة : « يحث المؤتمر على ان تفتح ابواب فلسطين ، وان تخول الوكالة اليهودية الاشراف على الهجرة الى فلسطين ، وان تزود بالسلطة اللازمة لبناء البلاد بما فيها اراضيها الشاغرة وغير الحروثة ، وان تبنى فلسطين ككنولث يهودي يشكل جزءا صميميا في بناء العالم الديمقراطي الجديد » (٣٢) . ومن المثير ان نلاحظ ان كلمات « الكنولث اليهودي » كان الصهيونيون قد استعملوها عام ١٩١٩ عندما اصدروا بيانهم حول اجتماع وايز ومارشال مع الرئيس ولسون . لقد كان استخدام كلمة « كمنولث » ذا اهمية كبرى للفكر الصهيوني لان هذه الكلمة حددت الهدف الصهيوني في فلسطين على انه اكثر من اقامة دولة يهودية . هذا الهدف كان في الواقع تأسيس وطن قومي او دولة ترعى مصالح جميع اليهود او يمكن ان يكون القيم على رفاه الطوائف اليهودية عبر جميع انحاء العالم . وحين نقل عن لسان ولسون انه كان عام ١٩١٩ قد منح تأييده لفكرة الكمنولث اليهودي ، فإن النتائج المترتبة على استخدام الصهيونيين لهذه الكلمات لم تكن واضحة . في العام ١٩٤٣ ، ولا سيما اثر هزيمة اقتراح روزفلت للهجرة ، كان معنى تعبير « الكمنولث اليهودي » واضحا جدا حقا . وقد أكد الصهيونيون انفسهم في برنامج بيلتمور ان تأسيس فلسطين ككنولث يهودي سوف يحل مشكلة التشرذم اليهودي . وقد بدأ بالنسبة للرئيس روزفلت الذي احس بشدة بالحاجة لرفع الالام عن اليهود اللاجئين في اوروبه ، انه ليس هناك خيار الا ان يخطو خطوة باتجاه الصهيونيين . ولان روزفلت لم يكن رجل انصاف حلول ، فقد ذهب الى آخر الطريق لتلبية مطالب الصهيونيين . ولكن قبل ان يصوغ اقتراحه لتسوية المشكلة الفلسطينية ، اعطى روزفلت تأكيدات للعرب .

في نيسان (ابريل) و ايار (مايو) ١٩٤٣ ، كتب ابن سعود ملك العربية السعودية الى الرئيس يحذره من المترتبات التي سيخلفها في العالم العربي تبني الولايات المتحدة سياسة دعم الجهود الصهيونية في فلسطين . وطالب الملك الرئيس بان لا يتخذ اية خطوات يصدد المسألة الفلسطينية قبل ابلاغه مقدما . وقد وعد الرئيس بانه « لا يجب التوصل

لاي قرار يغير الوضع الاساسي في فلسطين دون تشاور كامل مع كسل من اليهود والعرب» (٢٤). وقد رغبت وزارة الخارجية ان تتبع التزام روزفلت الخاص نحو الملك سعود بالتعاون مع الحكومة البريطانية في اصدار تصريح رسمي بانه « لا يجوز ان يتخذ اي قرار نهائي بصدد فلسطين الا بعد الحرب ، والا بالتشاور الكامل آنذاك مع كل من اليهود والعرب » (٢٥).

ويبدو ان آمال روزفلت باتفاق عربي - يهودي انبثقت عن اجتماع كان قد عقده مع وايزمن وسرد فيه الاخير اقتراحا لسانت جون فيليبى ، المستشار البريطاني للملك ابن سعود ، كان قد نال موافقة تشرشل . كان مشروع فيليبى كما يلي : « تترك كل فلسطين لليهود ، ويوطن جميع العرب الذين اجلوا في مكان اخر على نفقة اليهود الذين يضعون عشرين مليون جنيه لهذا الغرض بتصرف الملك . ويعترف بجميع البلدان العربية في آسيه كبلدان مستقلة باستثناء عدن . وتقترح بريطانيا والولايات المتحدة هذه الترتيبات على ابن سعود وتضمنانها معا في حالة الموافقة العربية » (٢٦). وقد اعتقد فيليبى ان العرب سيخدمون مصالحهم كأفضل ما يكون اذا « . . . استهدفوا تعويضاً يمكن احرازه على حساب حق لا يمكن انكاره » (٢٧)، وهو حق الفلسطينيين بالعيش في وطنهم . ويبدو ان وايزمن قد ماتح تشرشل حين كان وزيراً للبحرية في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ ، كما ناقش القضية مع روزفلت في شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، كذلك عرض فيليبى القضية على ابن سعود عام ١٩٤٠ . ولكن لم ينتج شيء عن ذلك الاقتراح لان زعماء العالم كانوا اكثر انهماكاً بادارة الحرب منهم بوضع تسوية لفلسطين ، ولسم بيعت مشروع فيليبى بعد ذلك حتى عام ١٩٤٢ . وقد رفض ابن سعود المشروع مباشرة ، كما رفض الترحيب باقتراح روزفلت بان يجتمع مع وايزمن او مسؤول اخر في الوكالة اليهودية لمناقشة القضية . وقال الملك انه « لا يستطيع التحدث باسم فلسطين فبالاجرى ان لا يستطيع تسليم ذلك البلد لليهود » (٢٨) .

ومرة ثانية وجد روزفلت نفسه عاجزاً عن التصرف . وقد اعيد طرح اقتراح تصريح انجلو - امركي يؤجل قضية فلسطين الى ما بعد انتهاء الحرب ويعد تشاور كامل مع كل من العرب واليهود . ولكن ايمانويل سيلر رجل الكونجرس الصهيوني النافذ من نيويورك اتهم المسؤولين في الادارة بانهم « ساهموا في خيانة فلسطين » ، وهدد بالدعوة لتحقيق يقوم به الكونجرس « الا اذا اوقفت وزارة الخارجية معارضتها السخيفة لفلسطين كملجأ آمن لليهود » . ثم طالب سيلر بان يسعى روزفلت مع تشرشل في مؤتمر كويك (آب ، اغسطس ، ١٩٤٣) « من اجل فلسطين كموطن لليهود » (٢٩) . وقد عاد تشرشل وروزفلت فتراجعا عما نويا التصريح به حول فلسطين وقررا ان يضعنا سياساتهما على اساس احداث فلسطين من شهر لآخر .

وخلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ تعرض الرئيس لضغط صهيوني متواصل لاصدار بيان لمصلحة برنامج بيلتور . ولكن روزفلت كان ما زال يسعى لان يتقيد بالتزامه مع الملك ابن سعود بان شيئاً لن يعمل قبل انتهاء الحرب وبدون تشاور مسبق مع الملك . وقد لعبت وزارة الخارجية دوراً مهماً في تأجيل اي قرار على الرغم من ان اثنين من مستشاري روزفلت المقربين وهما سمير ولز وزير الخارجية ، وكوردل هل كانا كلاهما مؤيدين للصهيونية . خلال هذه الفترة حاول الرئيس جداً « ان تكون كسل الاشياء لكل الشعب » . ومهما يكن فان سياسته لم تنجح احياناً كما في حادثة الصهيونيين وايز وسيلفر حين صاغوا تصريحاً ليصدر عن الرئيس في آذار (مارس) ١٩٤٤ . وقد كسان ذلك النص المقترح سيلزم الولايات المتحدة بالبرنامج الصهيوني كله بما فيه قبول فكرة الكميولت اليهودي لو لم يتجاهل روزفلت البيان الصهيوني . وبدلاً عن ذلك اصدر روزفلت تصريحاً عاماً عن اللاجئيين الاوروبيين . ولكن هذا زاد فقط الضغط الصهيوني ،

كما بدأ الصهيونيون يهددون روزفلت بخسارة « الأصوات اليهودية » في انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ . وقد تجاوب كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي مع التحدي الصهيوني وذلك بأن ضمنا برنامجها الحزبية وعودا عريضة للصهيونيين في فلسطين . واحتذى روزفلت مثال حزبه فبعث في تموز (يوليو) رسالة الى السناتور واجتر من نيويورك كان عليه ان ينقل محتوياتها الى المنظمة الصهيونية : « سوف تبذل الجهود ليجاد طرق ووسائل ملائمة لتنفيذ سياسة الكمنولك اليهودي [حالما تصبح ممكنة التحقيق . وانا اعلم منذ متى وباي حمية عمل اليهود وصلوا من اجل جعل فلسطين كمنولثا يهوديا حرا ديمقراطيا . واني لعلنى قناعة بان الشعب الاميركي يمنح تأييده لهذا الهدف ، واذما ما اعيد انتخابي فسوف اساعد على تحقيقه » (٤٠) . ووفقا لفرانك ايمانويل كان هذا البيان « ابتعادا مهما عن التحيزات الرئاسية السابقة للصهيونيين » (٤١) . فهو لم يكن مجرد تعبير عن التحيز او المساندة للبرنامج الصهيوني بل وعدا بان يعمل اعلى تحقيقه .

ومهما يكن ، فان روزفلت عاد بعد الانتخابات الى سياسته « المستقلة » (٤٢) السابقة . بل انه طلب من الصهيونيين ان يوقفوا قرارات الكونجرس المقترحة لصالح البرنامج الصهيوني لفلسطين ، وفكر قبل ولايته الثالثة في « تقارب محتمل مع ابن سعود بخصوص مسألة فلسطين » (٤٣) . وقد قابل الرئيس الملك بعد مؤتمر يالطا وقبل اسبوع واحد من وفاته حيث اعطى روزفلت تأكيدات اساسية جديدة لابن سعود . في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ كتب روزفلت يقول انه « شخصا كرئيس ، لن يفعل ابدا شيئا لم يكون معاديا للعرب » وان « حكومة الولايات المتحدة لن تجري اي تغيير في سياستها الاساسية في فلسطين دون تشاور مسبق وكامل مع كل من اليهود والعرب » (٤٤) .

على الرغم من ذلك فلا يمكن ان نعتبر اعمال روزفلت « قرارات » حقيقية بالشكل الذي يمكن ان نعتبر منه قبول ولسون لتصريح بلفور . لقد ساندت اعمال الرئيس روزفلت الخط الصهيوني القائل بانه يجب الاعتراف بفلسطين على انها اللجأ النهائي لليهود وبنائها ككمنولث يهودي . ولكن اثر انغماس روزفلت في المسألة الفلسطينية لم يكن محسوسا ابان رئاسته بل بعد وفاته فقط ابان رئاسة هاري . اس . ترومان . والسبب في ان روزفلت لم يكمل قط اي شيء ابتداءه لمصلحة الصهيونيين كان انه لم يكن مقتنعا بان المصالح الصهيونية والاميركية كانت متوافقة في الشرق الاوسط . ان كاتبنا صهيونيا واحدا على الاقل ، هو جي . سي . هورويتز (٤٥) ، يعتقد ان روزفلت لو عاش لاتبع في الشرق الاوسط سياسة لا تهدد مصالح امركه القومية في المنطقة . وهذا كان يعني القول « لا » للصهيونيين . وبالنسبة للصهيونيين فيمكن ان يكون موت روزفلت من حسن حظهم .

عند هذه النقطة ، يجب ان نناقش بايجاز الرئيتين المتشابهين جدا والمختلفين جدا : ولسون وروزفلت . لقد كان الاثنان « ليبرالين » ، و« ديمقراطيين » ، و« انسانيين » ، ومثاليين . وكان لكل منهما قوة ادبية عظيمة . وكلاهما اذعن للصهيونيين في لحظات حاسمة من سعي الصهيونيين لاغتصاب فلسطين . وان ملاحظة توينبي بأن ولسون شخص آمال عصر ما بعد الحرب العالمية الاولى تلخص بشكل فعال امكانية الرجل . ولكن اذعان ولسون كان شخصا اكثر منه سياسيا ، ويستطيع المرء ان يستنتج بانه كان رجلا يفتقد الجرأة الادبية .

لقد حقق روزفلت ، الى حد ما ، قدراته الكامنة خلال حياته ولم تظهر آثار تورطه مع الصهيونية الا فيما بعد . وكان الصهيوني المخلص ، ايمانويل نيومان ، حين كتب بعد بضعة سنوات من وفاة روزفلت هو افضل من استشف هذا السياسي « البراجماتي » ،

ورجّل الدولة البعيد النظر ، والإنسان المتفهم . ذكر نيومان ان صداقه الرئيس الشخصية واهتمامه العطوف على « الشعب اليهودي » لم يعنيا انه كان لديه أي وقت للصهيونيين . وقال نيومان ان روزفلت كان لديه « شك عميق الجذور » بشأن « فلسطين يهودية » ، ووصف موقف روزفلت من المحاولة الصهيونية بأنه « رافة غير متورطة » . كذلك اعترف نيومان ان الصهيونيين لم يتجرأوا ان يعملوا ضد هذا الرئيس الأمريكي القوي لسببين : الاول ، لان روزفلت كان بالنسبة « للشعب اليهودي » في جميع أنحاء العالم « صديقه الكبير وبطله » (٤٦) . والثاني ، لان روزفلت كان في السلطة وبدا انه سوف ينتخب وانه سيكون وجها بارزا في مؤتمر السلام . وهكذا كان على الصهيونيين في تعاملهم مع روزفلت ، ان يعملوا بحذر واع ، ولم يجزأوا على اثاره غضبه بمعارضته سياسته بصياح عال . فمن جهة أولى نجد ان خوف الصهيونيين من روزفلت واحترامهم له اعطاه القدرة على متابعة سياسات كان يشعر انها تخدم كافضل ما يكون المصلحة القومية الامريكية . بينما نجد من جهة ثانية ان الصورة التي كانت عليها المتطلبات السياسية لروزفلت (ولحزبه) لم تمكنه من تجاهل مطالب الصهيونيين . ففي الميدان الاول الذي جابه فيه روزفلت الصهيونيين ، وهو سياسة الهجرة ، هزمته سياسته معادية للصهيونية نتجت عن عدم رغبة الكونجرس في تعديل قوانين الهجرة التقيدية ، لا عن معارضة صهيونية . وفي هذه الحادثة اقتصر عمل المعارضة الصهيونية على مساندة موقف الكونجرس فقط . أما في الميدان الثاني ، وهو الحملة السياسية ، فقد ادعى روزفلت مؤقتا للمطالب الصهيونية لكنه استأنف بسرعة سياسته المستقلة حالما اعيد انتخابه . والحادثة الغريبة المتمثلة بقبول روزفلت لاقتراح فيلبي الى الملك ابن سعود ، تظهر الى اي مدى يمكن ان يكون روزفلت مثاليا وساذجا . ومن الواضح ان الرئيس شعر ان ذلك المشروع يمكن ان يجل ، بأن واحد ، المشكلة الفلسطينية ومسألة ابن يمكن ارسال المهاجرين اليهود . لقد كان برانديس هو المفتاح لسياسة ولسون ، ولكن روزفلت لم يكن ملتزما بالصهيونيين بروابط شخصية مماثلة . وهكذا كان روزفلت حرا في ان يبذل أقصى جهده على الرغم من ان حتى اقصى جهده لم يكن كافيا ، واصبحت الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » .

ان تنفيذ هاتين السياستين ، سياسة « فلسطين الدولة اليهودية » وسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » ، ترك لـ هاري اس. ترومان الذي كان ، بخلاف ولسون وروزفلت ، مؤيدا راسخا للقضية الصهيونية . في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ابلغ الرئيس ترومان باقامة دولة اسرائيل في فلسطين ، وبعد دقائق كان قد اعترف اعترافا واقعيًا بالدولة اليهودية . حقا لقد اعترف بفلسطين « دولة يهودية حالما اعلنت دولة يهودية » على الرغم من ان تلك سكانها فقط كان يهوديا آنذاك . وبين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ دخل اسرائيل اكثر من ١٠٠,٠٠٠ يهودي ، وابتداءً بزخم ، تنفيذ سياسة الدولة اليهودية كملجأ « الشعب اليهودي » . وقد قادت هذه السياسة الى الحلول محل الفلسطينيين في وطنهم — طردهم من قبل القوات اليهودية في ١٩٤٨ — والى اكثر من عشرين عاما من النفي الفلسطيني .

سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي في الشرق الاوسط

لم يتبأ قسم الاستخبارات في البعثة الامريكية لمفاوضات السلام في مذكرته بتاريخ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ بنتائج توصيته بان يعترف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . لقد تصورت المذكرة تنفيذ عملية استبدال السكان الفلسطينيين العرب تدريجيا باليهود المهاجرين وخلق دولة يهودية في النهاية على اساس ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين . ودعمت مقاومة الفلسطينيين لعملية اجلائهم التدريجية الصهيونيين الى اللجوء لاستخدام القوة للوصول الى هدفهم . ولان اسرائيل كانت قد ولدت بالقوة

على أرض فلسطين ، وجدت الدولة اليهودية أنه يتوجب عليها حماية نفسها بالوسائل العسكرية في بيئة معادية . ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي تستطيع إسرائيل أن تفعل فيها ذلك هي أما أن تحصل على التزام من قوة كبرى ، تحديدا الولايات المتحدة ، ضمن استمرار وجود الدولة اليهودية بوسائل التدخل العسكري لتلك القوة ، وأما أن تمتلك إسرائيل التفوق العسكري على الدول العربية . لقد جوبه الرئيسان ترومان وايزنهاور بهذه المشكلة واتخذا ، بخطوتين ، القرار ببناء إسرائيل وجعلها القوة العسكرية المسيطرة في الشرق الأوسط .

كان قرار الرئيس ترومان أنه لا يستطيع الزام القوات الأميركية بالقتال من أجل الصهيونيين في فلسطين . ولم يكن الرئيس على أي حال في وضع يمكنه من الزام قوات الكفاح الفلسطيني لأن مثل هذه الخطوة كانت ستكون خطوة مكروهة جدا في الولايات المتحدة التي ارهقتها الحرب . وقد اضطر ترومان الى اتخاذ هذا القرار عام ١٩٤٥ بينما كان النقاش محتدما في الولايات المتحدة بشأن الهجرة اليهودية الى فلسطين : هل ان الولايات المتحدة مهياة ام لا لان تتحمل مقرنات الدفاع عن دخول ١٠٠٠٠٠٠ لاجيء يهودي الى فلسطين ، وهي خطوة ستؤدي قطعا الى صدام . وقد عبر الرئيس عن انطباعه علنا اثر عودته من مؤتمر بوتسدام ، بأنه « يتطلب نصف مليون جندي امريكي لحفظ السلام في فلسطين » (٤٧) . وفي النهاية لم تكن القوات الاميركية مطلوبة لاقامة الدولة اليهودية ، ولم تحل مسألة كيفية المحافظة على هذه الدولة الا في رئاسة دوايت دي. ايزنهاور .

عندما ابتدا الجنرال ايزنهاور حملته من اجل الرئاسة ، كانت اهم مشكلة تواجهه الولايات المتحدة هي الحرب الكورية . وقد خاض حملته على اساس انه سينهي الحرب في آسبه بأقصى سرعة ممكنة ويعيد الجنود الاميركيين الى وطنهم . ولم يكن هناك مجال لأن يلزم ايزنهاور القوات الاميركية بأن تخوض حربا اخرى في آسبه ، ولو لمصلحة الصهيونيين ، على الرغم من ان الدولة الصهيونية الحديثة الولاة لم تكن تتطلب في الواقع تدخلا عسكريا مباشرا لصالحها ضد جيرانها . وعضا عن ذلك طالب الاسرائيليون والنواب الصهيونيون الاميركيون ، باستمرار ، بمعونة من الاسلحة الاميركية .

وعلى اية حال ، فلم تبدأ حكومة الولايات المتحدة الاميركية تدرس جدبا احتمال تزويد الاسرائيليين بكميات كبيرة من السلاح الا في عام ١٩٥٥ . حدث هذا في عام ١٩٥٥ عندما رود الاتحاد السوفيياتي مصر بتجهيزات عسكرية بعد ان رفضت امركة ان تفعل ذلك . وأزعت صفتة الاسلحة السوفيياتية - المصرية بشكل خاص وزير الخارجية الاميركية جون فوستر دالاس . ودفع هجوم القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية على مصر في اكتوبر نوفمبر ١٩٥٦ ، وزير الخارجية لان يعيد النظر في التوجه الاميركي بصدد عدم الاستقرار في الشرق الاوسط . في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ ، قدم الرئيس ايزنهاور في رسالته الى الكونجرس مقترحات لسياسة امركية شرق - اوسطية جديدة . وطالب بقرار مشترك لمجلسي الشيوخ والنواب يخول الرئيس اتخاذ خطوات لمحاربة « الرغبات المفترسة للشعبوية الدولية » في الشرق الاوسط . اما الاقتراح المتعلق بالعلاقات الاميركية - الاسرائيلية فقد اوصى بان تتكفل الولايات المتحدة بتقديم المعونة العسكرية لاي بلد يطلب مثل هذا العون . وقد وافق الكونجرس وظهر الى الوجود ما يسمى بـ « مبدأ ايزنهاور » . وبموجب مبدأ ايزنهاور بدأت الولايات المتحدة تزود اسرائيل بكميات هامة من التجهيزات العسكرية بقصد الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة ، وهو التوازن الذي كان يعني في الواقع اختلالا في التوازن العسكري لصالح المليونى اسرائيلي ضد المائة مليون عربي في الشرق الاوسط وشمال افريقيه .

وقد أصبحت هذه هي سياسة السيطرة الاسرائيلية العسكرية التي تابعها الرئيس جون اف. كينيدي الذي اعطى الاسرائيليين صواريخ « هوك » الامريكية فضلا عن تجهيزات اخرى ، ثم تابعها الرئيس ليندون بي. جونسون الذي وعد اسرائيل باحدث طائرات « فانطوم » الامريكية المقاتلة القاذفة ، ثم تابعها الرئيس ريتشارد ام. نيكسون الذي سلم حتى الان طائرات « الفانطوم » واعطى قرضا بـ ٥٠٠ مليون دولار للحفاظ على تفوق اسرائيل العسكري في الشرق الاوسط .

ولربما كان قرار ايزنهاور — دالاس عام ١٩٥٧ بتزويد اسرائيل بالاسلحة اكثر القرارات الامريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين اهمية ، واكثرها خطورة تقعا . والدول العربية لا تستطيع ان تسمح لاسرائيل ، وهي الدولة الغريبة ، بالسيطرة على الشرق الاوسط ، كما لا تستطيع الشعوب العربية ان تنسى ان اسرائيل قد اقيمت على حساب الشعب الفلسطيني . وهكذا ، وما دامت اسرائيل موجودة ، فان عليها ان تكافح لان تعيش في بيئة معادية ، وسوف ينذلع القتال من وقت لآخر — كما حدث في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ — ، وسيكون على الولايات المتحدة ان تحافظ على السيطرة الاسرائيلية العسكرية في الشرق الاوسط .

لنتفحص الان بايجاز كيف اتخذ هذا القرار كي نقارنه بالقرارات المتخذة من قبل ولسون وروزفلت . لقد اتخذ قرار تنمية تفوق اسرائيل العسكري على خطوتين تفصل بينهما عشر سنوات ، واتخذته رئيسان مختلفان كانا عضوين في حزبين سياسيين مختلفين . في حالة ترومان ، لم تكن مساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي نتيجة مساندته للقضية الصهيونية في فلسطين بل لانه لم يكن في وضع يمكنه من ارسال قوات امريكية للقتال في آسيه . ويمكن الجدال في الواقع بأن ترومان كان من الممكن ان يلزم القوات الامريكية بالقتال لصالح الصهيونيين فيما لو كان ذلك ممكنا آنذاك . اما في حالة ايزنهاور ، فقد جاء قراره ببيع الاسلحة لاسرائيل نتيجة خوف امركه من تزايد قوة السوفييات ونفوذهم في الشرق الاوسط ، لا بسبب كون ايزنهاور مؤيدا لاسرائيل بشكل خاص . ومن الوقت الذي قام فيه بمساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي العسكري ، كان الرئيس ايزنهاور منهكاً في تأمين الانسحاب العسكري الاسرائيلي من سيناء المصرية . وهكذا يبدو ان النفوذ الصهيوني كان ضئيلا جدا في حالة القرار الامريكي الرئيسي الثالث بشأن فلسطين .

نتائج

حاولت في هذا البحث ان اصف القرارات الامريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين التي اتخذها اربعة رؤساء امريكيين مختلفين ، وشكلت مقومات السياسة الامريكية الفلسطينية . وبالنسبة لمرآتي الوضع الراهن في الشرق الاوسط ، هناك نتيجتان رئيسيتان تستخلصان من هذا التحليل للتورط الامريكي في مسألة فلسطين .

النتيجة الاولى ، هي ان التزام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية يستند على فكرتين : اولهما ان فلسطين يجب ان « يعاد تشكيلها » كوطن قومي للشعب اليهودي ، وثانيتهما ان الحل الوحيد لمشكلة « التشرذم اليهودي » يوجد في فلسطين . وقد ضمنت هاتان الفكرتان في السياسة الامريكية من قبل الرئيسين ولسون وروزفلت لاسباب مختلفة جدا : ضمنها ولسون لانه شعر انه كان مدينا لقاضي المحكمة العليا لويس برانديس الصهيوني الغيور ، وروزفلت لانه ظن انه لا توجد وسيلة اخرى لتخفيف آلام اللاجئين الاوروبيين اليهود الا بمساعدة هجرتهم الى فلسطين . واتخذ ترومان الخطوة الاولى نحو بناء اسرائيل على انها القوة المتفوقة في الشرق الاوسط لانه ، مثل روزفلت في مسألة الهجرة اليهودية ، ظن انه لا يوجد امامه خيار آخر . وكان ايزنهاور اكثر اهتماما بمعادلة

ميزان القوى السوفياتي - الأميركي منه بمتطلبات إسرائيل العسكرية .

هكذا يجب ان نفهم الالتزام للاميركي بإسرائيل كما هو بالفعل : التزام خاص اتخذته رؤساء افراد تجاوبا مع مطالب اللحظة . بالنسبة لولسون كان برانديس هو القوة المقررة . بالنسبة لروزفلت كان المفتاح هو رجال الكونجرس الاميركيين من حماة العزلة . وبالنسبة لترومان وايزنهاور كان احجام امركه عن القتال نيابة عن الشعوب الاخرى هو العامل الاهم . وفي اي من هذه الحالات لم تكن الكليشوهات القديمة مثل « الاصوات اليهودية » و « النفوذ الصهيوني في اوساط الاعلام » و « الصداقات » في البيت الابيض هي القوى وراء القرارات المتخذة . وقد وضع التزام ولسون الاولي بالصهيونيين ، نتيجة للنفوذ الصهيوني المباشر ، الولايات المتحدة على خطها الموالي للصهيونية في الشرق الاوسط ، وهو خط كان مستحيلا على الرؤساء اللاحقين تبديله . لقد كان النفوذ الصهيوني السياسي والمالي والاعلامي عاملا رئيسيا في ابقاء الرؤساء الاميركيين في المجري الذي رسمه ولسون ، ولكن يجب ان لا ننسى ان الصهيونيين لم يكونوا هم القوة وراء جميع القرارات الاميركية المتعلقة بالسياسة الفلسطينية . والحقيقة البسيطة المتمثلة بان هؤلاء الرؤساء ، ثلاثة ديمقراطيين « ليبراليين » وواحد جمهوري محافظ ، قد انحازوا الى الجانب الصهيوني يجب ان تكون كافية لتجعلنا نتوقف ونلقي نظرة ثانية على السياسة الاميركية .

اما النتيجة الثانية ، فهي ان السياسة الاميركية ازاء فلسطين لم تكن سياسة حقيقية في الواقع ، وانها شكلت سلسلة من القرارات السياسية الآتية اتخذها رؤساء افراد ، وان هذه القرارات قد بنيت على مصالح قصيرة الاجل وحتى شخصية ، وان توجه الولايات المتحدة الكلي بصدد فلسطين كان ضد المصلحة القومية الاميركية . وقد عالج هذا البحث طبيعة القرارات التي اتخذها الرؤساء الاميركيون وحاول ان يظهر كيف ولماذا اتخذت هذه القرارات ، ولكننا لم نتفحص المصلحة القومية الاميركية . واهم نقطة في هذا الصدد هي انه لا يمكن خدمة مصلحة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط اذا ما كان الرؤساء الاميركيون يساندون الصهيونيين ضد رغبات شعوب الشرق الاوسط ومصالحها . هذه النقطة برهنت عليها نتائج تأييد الولايات المتحدة للصهيونيين في فلسطين : - انتفاضات واسعة في فلسطين ، ثلاث حروب محلية في الشرق الاوسط منذ اقامة دولة اسرائيل ، نهب شعب كامل ونفيه ، عدم استقرار في البلدان العربية ، سباق تسلح شرق - اوسطي ، ظهور النفوذ الشيوعي السوفياتي والصيني في الشرق الاوسط . وهكذا لم يكن سجل السياسة الاميركية الفلسطينية سجل نجاح . وقد يبدو انه يتوجب على الولايات المتحدة ان تنمي السلام والاستقرار والتطور الاقتصادي والمؤسسات السياسية الشعبية في الشرق الاوسط ، بدل الحرب وعدم الاستقرار والمأساة والمجابهة بين القوى الكبرى . وبعد ، على الرغم من المحاولة التي بذلها روزفلت ، فان المصلحة القومية الاميركية لم تؤخذ ابدا بعين الاعتبار في صنع السياسة الفلسطينية .

- ٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٨٨ .
٧ - المصدر نفسه ، يشك شتاين في الحديث المتبادل بين ولسون ولاتسغ ، كما ورد على لسان الاخير ، ولكنه يقر بالتأخير من قبل ولسون حول اصدار تصريحه العلني بتأييد البرنامج الانطو - صهيوني .
٨ - Henry Cattán, *Palestine, the Arabs and Israel*, London 1969, p. 15n.

- ١ - Leonard Stein, *The Balfour Declaration*, London 1961, pp. 194-97.
٢ - Christopher Sykes, *Two Studies in Virtue*, London 1953, p. 133.
٣ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .
٤ - Frank E. Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, Washington 1949, pp. 175-76.
٥ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

- ١٦ - المصدر نفسه .
 ٢٠ - المصدر نفسه ، ص ٧١ .
 ٢١ - المصدر نفسه ، ص ٧١ - ٧٢ .
 Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit 1963, Appendix VI, p. 331.
 ٢٢ - ستينس ، المصدر السابق ، ص ٤ .
 ٢٤ - المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
 ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٧٤ .
 ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٧٤ - ٧٥ .
 ٢٧ - المصدر نفسه .
 ٢٨ - المصدر نفسه ، ص ٧٦ .
 ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
 ٤٠ - المصدر نفسه ، ص ٨٢ - ٨٤ .
 ٤١ - مانويل ، المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .
 ٤٢ - ستينس ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
 ٤٣ - المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
 ٤٤ - المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
 J. C. Hurewitz, *The Struggle for Palestine*, New York 1950.
 ٤٦ - ستينس ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .
 ١٤ .
 ٤٧ - المصدر نفسه ، ص ١٣٣ . الحاخام سيلفر في رسالة الى السناتور واجنر .
 John C. Campbell, *Defense of the Middle East*, New York, 1960, p. 122.

- Quoted in Harry N. Howard, *The King-Crane Commission, An American Inquiry into the Middle East*, Beirut 1963, p. 13.
 Arnold J. Toynbee, *A Study of History*, Abridgement of Vols. 1-VI by D. C. Somervell, London 1946, p. 552.
 ١١ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .
 ١٢ - مانويل ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
 ١٣ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .
 ١٤ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .
 ١٥ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .
 ١٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٥٦ .
 ١٧ - المصدر نفسه ، ص ٥٦٦ .
 ١٨ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
 ١٩ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٦٦ .
 ٢٠ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
 ٢١ - المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
 ٢٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .
 ٢٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .
 ٢٤ - سايكس ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
 ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
 ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
 ٢٧ - المصدر نفسه .
 Richard B. Stevens, *American Zionism and U. S. Foreign Policy (1942-1947)*, New York 1962, p. 45.

صدر عن مركز الأبحاث

كتاب

في التوسع الصهيوني

بم

خالد قشطيني

باللغة الإنجليزية

٢٣٧ صفحة

٨ ليرات لبنانية

تضاف إليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي
 ٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

عصبة مكافحة الصهيونية في العراق

عبد القادر ياسين

مع التهاب القضية الفلسطينية واندفاعها السريع الى السطح في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بادر الحزب الشيوعي العراقي بتكليف مجموعة من أعضائه اليهود بتكوين منظمة لمكافحة الصهيونية . وكى تتمكن من الالمام بملايسات تكوين هذه المنظمة ، والدور الذي قامت به ، لا بد من معرفتنا بموجز مختصر لتاريخ الحزب الشيوعي العراقي من جهة ، ووضع الطائفة اليهودية في العراق من جهة أخرى .

الحزب الشيوعي العراقي * : كانت اول حلقة ماركسية في العراق ، تلك التي ظهرت في بغداد عام ١٩٢٢ ، وهي عبارة عن حلقة ضيقة من الشباب ، التفت حول حسين الرحال ، الذي كان قد تلقى تعليمه في استانبول ، وزار روسيا القيصرية ، حيث شهد قيام الثورة البلشفية فيها . ودرس الرحال النظرية الماركسية . ونجحت تلك الحلقة من الشباب الماركسي في اصدار جريدة « الصحيفة » ، عام ١٩٢٥ ، واصدرت منها خمسة أعداد . ثم سرعان ما اختفت الصحيفة ، وهجر الأعضاء حلقتهم . وفي عام ١٩٣٢ ، بدأ يوسف سلمان يوسف في تنظيم بعض خلايا شيوعية في الناصرية . وفي مارس (آذار) ١٩٣٤ ، تأسست في بغداد « لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار » ، كتنظيم يجمع الشيوعيين العراقيين . واصبح عاصم فليح اول سكرتير للحزب الشيوعي العراقي . وفي يوليو (تموز) عام ١٩٣٥ ، أصدر الحزب الشيوعي « كفاح الشعب » كجريدة سرية للحزب . وقد تعرض الحزب ، منذ قيامه ، لضربات متوالية من الحكومات العراقية المتعاقبة . واصبح « فهد » وهو الاسم السري ليوسف سلمان يوسف ، سكرتيرا عاما للحزب ، بعد أن هجر عاصم فليح العمل السياسي ، عام ١٩٣٦ . وتوالت الانقسامات في صفوف الحزب . ففي عام ١٩٤٢ تزعم ذو النون ايوب اول انشقاق في الحزب ، واصدر المنشقون جريدتهم السرية « الى الامام » ، في حين استمر الحزب في اصدار صحيفته السرية « الشرارة » والتي كان قد أصدرها بدلا من كفاح الشعب ، اعتبارا من عام ١٩٣٨ . وبعد ستة اشهر من هذا الانشقاق ، قاد عبد الله مسعود القريني ، الانشقاق الثاني عن الحزب . واصدر المنشقون جريدة « الشرارة الجديدة » السرية . وفي اوائل ١٩٤٤ عقد الحزب مؤتمره الاول ، حيث اقر فيه ميثاقه الوطني ونظامه الداخلي . وعشية انعقاد المؤتمر ، انشق داود الصايغ عن الحزب مكونا « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، واصدر صحيفة سرية باسم « العمل » . واستبدل الحزب اسم صحيفته السرية ، باسم « القاعدة » . وفي الاسبوع الاول من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٧ ، التي القبض على مجموعة كبيرة من « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، وبعدها بخمسة ايام اعتقل فهد وبعض اعضاء قيادة الحزب ، واصدرت المحاكم العراقية حكمها باعدام فهد وبعض اعضاء القيادة ، الا أن الحكم سرعان ما ألغى تحت ضغط جماهير الشعب العراقي ، وان كانت الحكومة العراقية قد استغلت الاحكام العرفية التي كانت قد أعلنتها عام ١٩٤٨ ، بحجة حماية ظهر الجيش العراقي الزاهب

الى فلسطين ، واعيدت مهدي ، واثنين آخرين من أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، هما حسين الشيببي ، وزكي بسيم . ونفذ حكم الاعدام في الثلاثه صبيحة الرابع من فبراير (شباط) عام ١٩٤٩ . وقد عادت للحزب وحذته عام ١٩٥٦ . بفضل مبادرات السكرتير العام للحزب آنذاك ، حسين الرضى ، المعروف باسمه الحركي ، سلام عادل .

وللحزب الشيوعي العراقي تراثه النضالي سياسي واجتماعي ، وطنيا وطبقيا ، وهو التراث الذي يعترف به حتى خصومه . ومنذ تكوينه ، كان للحزب الشيوعي العراقي موقفه الواضح العميق من القضية الفلسطينية ، وقد دأب الحزب على التفريق بين الصهيونية واليهودية ، وعلى المطالبة « بالغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وخلال الجيوش عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح » (١) .

وقد انشأ الحزب بعض المؤسسات العنيفة كحزب التحرر الوطني ، ودار الحكمة للطباعة ، وصحيفة الاساس ، و « عصابة مكافحة الصهيونية » وصحيفتها « العصابة » ، والمؤسستان الاخيرتان هما موضوع دراستنا هذه .

الطائفة اليهودية في العراق : كان اليهود يشكلون اقلية فعالة في العراق ، ساهمت في الانشطة السياسية والثقافية والاقتصادية للبلاد . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ، اولت بريطانيا وامريكا المزيد من اهتمامها ليهود الشرق الاوسط ، ومن بينهم يهود العراق ، بغية استخدامهم قاعدة استعمارية في المنطقة ، وكان هذا الاهتمام قد اثنى بعد تطور الرأسمالية العالمية وتلفنها على الشرق الاوسط لاحتلاله واستنزاف موارده وخيراتيه ، واستغلال موقعه الاستراتيجي الهام في حراسة الطريق المؤدي الى المستعمرات البريطانية في الشرق الاقصى . وتحت ضغط بريطانيا وامريكا ، اصدرت الامبراطورية العثمانية تشريعات عديدة ، منح اليهود بموجبها ما يشبه الاستقلال الذاتي ، وتضمنت حق اليهود في التمثيل بمجلس المبعوثان العثماني . وقد كان لليهود وضع اقتصادي متميز في العراق . وبخروج العثمانيين من العراق ، بعد اندحارهم في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، تبدل النظام السياسي في العراق ، ونصبت فيصل بن الحسين ملكا على العراق . وشارك ممثلو الطائفة اليهودية في المجلس التأسيسي العراقي . ونص الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ ، على ان لليهود ما لياقي طوائف وافراد الشعب العراقي من حقوق وواجبات . كما نص الدستور على ان يكون لليهود اربعة اعضاء في مجلس النواب ، وعضو اخر في مجلس الشيوخ ، وزيدت هذه النسبة في وقت لاحق الى ستة نواب ، وظل هذا النظام معمولا به حتى الغي في عام ١٩٥٢ بقرار وزاري . وشاركت الطائفة اليهودية غني بعض الوزارات العراقية . واستوزر ساسون حزقيل في عدة وزارات . كما ساهم ابناء الطائفة اليهودية في النشاط السياسي في العراق ، وانضوت اقسام منهم تحت لواء الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي العراقي ، بعد ان جذبتهم مبادئ هذين الحزبين الداعية للتسامح ووحدة الشعب العراقي بكامل طوائفه ، دونما تفريق بين طائفة واخرى .

وحسب احصاء أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد افراد الطائفة اليهودية نحو ١١٨ الف نسمة . وبعد تكوين اسرائيل ، عام ١٩٤٨ ، وبالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية ، بدأت حكومة نوري السعيد في ترحيل ابناء الطائفة اليهودية الى اسرائيل بعد ان اسقطت عنهم الجنسية العراقية ، بموجب القانون رقم ١ لسنة ١٩٥٠ ، الذي جاء فيه ، في مجال تبرير اصداره ، ان الحكومة العراقية قد اتخذته « للتخلص من طائفة بغيضة المشاكل » . اما اليوم فلا يتعدى حجم الطائفة اليهودية في العراق ٣٠٠ نسمة .

عصبة مكافحة الصهيونية

مارست الحكومات العراقية المتعاقبة - خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) أقصى ما يمكنها من أشكال القهر والارهاب ضد الشعب العراقي ، واستمرت حكومة مزاحم الباجه جي في ممارسة ارهابها وكتبها للحريات العامة ، من خلال القوانين الاستثنائية والاحكام العرفية ، حتى بعد انتهاء الحرب . وفجأة خرج الامير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق آنذاك ، على الاوساط السياسية العراقية ، بخطاب القناه في أعضاء البرلمان العراقي في السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ١٩٤٥ ، ضمنه سماحه بتأليف احزاب سياسية في العراق « التي لم يصح بقاء البلاد خاليّة منها » (٢) . واستتالت حكومة الباجه جي ، في اعتاب خطاب الوصي ، وخطت محلها حكومة توفيق السويدي ، التي تعهدت في منهاجها - « الغاء الادارة العرفية ... وسد المعتقل والافراج عن المعتقلين ، ورفع الرقابة على الصحافة ... وفسح المجال لتأسيس الاحزاب السياسية » (٣) . وقد استقبلت الاوساط الشعبية والسياسية العراقية حكومة السويدي ومنهاجها بارتياح ظاهر . وخلال عام ١٩٤٦ اجازت حكومة السويدي خسة احزاب هي الوطني الديمقراطي ، والاستقلال ، والاتحاد الوطني ، والشعب ، والاحرار . ورفضت في الوقت نفسه السماح لحزب التحرر الوطني بممارسة نشاطه ، متذرة باعتناقه المبادئ الشيوعية .

وفي هذا الجو وبمبادرة من الحزب الشيوعي العراقي ، جرى تأسيس « عصبة مكافحة الصهيونية » عام ١٩٤٥ . وقد أوكل الحزب مهمة تأسيس العصبة ليهودا صديق ، عضو اللجنة المركزية للحزب ، ويوسف هارون زلخه ومسعد قطان ، وابراهيم ناجي ، ويعقوب فرايم ، ونعيم شوع ، ويوسف زلوف ، وكلهم أعضاء في الحزب الشيوعي العراقي ، ومن أبناء الطائفة اليهودية في العراق . ويقول يهودا صديق بأن المذكورين عقدوا عدة اجتماعات ضاغوا خلالها بريامجا ونظاما داخليا للعصبة . وعندما اجيزت العصبة من قبل الحكومة العراقية - تألفت هيئة ادارية ، ترأسها يوسف زلخه ، وهيئة رقابية برئاسة يهودا صديق ، وتتحصر مهمة الهيئة الثانية في مراقبة مقررات الهيئة الادارية ومتابعة تنفيذها (٤) .

لقد كانت الطائفة اليهودية بحاجة الى تمثين صلتها وتحقيق اندماجها بالشعب العراقي . واقناع العراقيين بانعدام الرابطة والصلة بين الطائفة اليهودية في العراق والحركة الصهيونية . وبعد حظر العصبة ، واعتقال قادتها ، أكد يوسف زلوف ، في التحقيق الذي أجرته معه الباحث العامة العراقية ، على أهمية وضرورة التضامن بين جميع الطوائف الدينية ، التي تؤلف الشعب العراقي بما يعود بالفائدة على مجموع الشعب (٥) . أما احتضان الحزب الشيوعي ، دون غيره ، لفكرة اقامة عصبة مكافحة الصهيونية ، فغيرها زلوف الى كون الحزب الشيوعي « المنظمة الوحيدة العاملة في هذا الحقل » (٦) . ويعني به حقل التضامن بين مختلف الطوائف الدينية .

اهداف ونشاط العصبة : اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية العديد من الكراسات والكتب ، كما نشرت برنامجها بشكل واسع . كما عقدت الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات الجماهيرية في مقرها بالكرخ . واخذت تصدر جريدتها « العصبة » ، عن دار الحكمة للطباعة ، التي تمتلكها العصبة نفسها .

وقد نشرت جريدة « العصبة » مقالات متتابعة ، شرحت وعمقت فيها اهداف العصبة ، ثم جمعت هذه المقالات في كتاب ، واصدرته بعنوان « نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟ » وفي هذه المقالات فصلت العصبة الدين اليهودي عن الصهيونية ، وأكدت على ارتباط الثانية بالاستعمار العالمي ، وعلى رأسه الاستعمار الامريكي ، كما اشارت

العصبة في كسها التي ان «السن اليهودي» متصلة عن نطقنا بضمهم» واصبحت
عصبة مكافحة الصهيونية ، الحركة الصهيونية عميلا للإمبريالية وأداة لها . كما اشرت
« الفاشية والصهيونية نواحين بلعبي واحده هي العنصرية» . واوضحت العصبة ان
عداءها للصهيونية هو « في سبيل اخواننا اليهود » ، ولكون الصهيونية تخلق وتزرع
الفتن والعداء والعنصرية بين اليهود والشعب العربي ، بما يصرف هؤلاء وأولئك عن
النضال لانجاز القضايا الوطنية الكبرى « الاستقلال والسيادة الوطنية ، والجلاء ، وانهاء
التدخل الاجنبي » . اما « الوطن القومي لليهود » فالعصبة تعلن عداءها له ، لانه « يفوق
بين اليهود ومواطنيهم في الوطن الواحد ، ولانه يستهدف شطر فلسطين العربية عن
جسم البلاد العربية وأفناء شعبنا العربي » . وتحت عنوان « الصهيونية رأسمالية
استعمارية » قالت العصبة في كراسها ، ان الصهيونية تطلون امام اليهود بما يلائم
ويرضي كل فئة منهم « فهي دينية امام المحافظين ، وقومية امام الشباب المتحمسين ،
واشتراكية امام العامل » . وتنفى العصبة كل هذه الصفات عن الصهيونية « فدينيتها
نفاق ورياء ، وقوميتها عنصرية اعتدائية ، واشتراكيها انتهازية » . وأكدت ان
الصهيونية تطمع فقط في اغراق الاسواق بالبيضات ، لتضرب الصناعة الوطنية وتستطرد
على التجارة . وفسرت العصبة في كراسها ، تبني الاستعمار للصهيونية ، لكون الاخيرة
أداة في قلب الوطن العربي . وأشارت الى ان الاستعمار الأمريكي - الذي ينشط
اوراثه الاستعمار البريطاني في فلسطين - يحتضن ، هو ايضا ، الصهيونية للعرض
نفسه . واعتبرت العصبة غياب الديمقراطية عن بلدان الوطن العربي عاملا منشطا
للصهيونية في البلاد العربية . وطالبت العصبة ، في كراسها ، بضرورة اشراك المنظمات
الشعبية في الكفاح من اجل طرد الاستعمار البريطاني ، الذي أوجد الصهيونية في
فلسطين (٧) .

وفي مصر استشهد أحد الكتاب المصريين بما كان قد ورد في بيان للعصبة ، من ان
« الصهيونية لا تحل ، بالرة ، مشكلة ستة عشر مليوناً من اليهود ، بل ان المشكلة
اليهودية ليست سوى جزء ، لا يتجزأ ، من نضال الشعوب كافة ، على اختلاف اديانها ،
في سبيل حريتها وديمقراطيتها » (٨) .

وفي عدد اخر منها ، نشرت مجلة « الضمير » القاهرية خيرا عن اصدار « عصبة مكافحة
الصهيونية » بيانا « كشفت فيه عن الاساليب التي يأتيها اليهود لحمل فلسطين ووطننا
لهم ، ومزاجة العرب فيها والحلول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب ، حطمت
لحقوق العرب في وطنهم الشرعي ، وهذه النشرة موجهة الى أبناء الجيل العربي والتي
الجامعة العربية لما فيها من الحلول العملية والسلمية » (٩) .

وفي الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٥ ، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية
بيانا بمناسبة « يوم وعد بلفور » ، كما سمته ، واعلنت في بيانها « باسم يهود العراق
استنكارها لهذا الوعد واحتجاجها عليه » . وأكدت العصبة في بيانها ان الامبريالية تهدف
من وراء وعودها للشعوب الضعيفة الى « تثبيت نفوذها وزيادة امتيازاتها وانتقال نراها
على رقاب تلك الشعوب » . وضربت العصبة مثلا بوعود بريطانيا للعرب ابان الحرب
العالمية الاولى ، والتضمتة عهدا بمنح البلاد العربية استقلالها ، كما اشارت العصبة الى
معاهدة سايكس - بيكو ، المعقودة بين حكومتي فرنسا وبريطانيا ، والتي قسمت
الدولتان الاستعماريتان ، بموجبها ، البلاد العربية فيما بينهما . وتنتقل العصبة للحديث
عن وعد بلفور ، فتري ان الاستعمار يستطيع « أن يتكرم بفلسطين مئات المرات طالما
انها ليست بلاذة ، وطالما أنه يجد في ذلك ربحا له ومغنيا » . وطالبت بيان العصبة
الشعوب العربية بالنهوض « لرد عاديات الاستعمار عنها » . وتري العصبة ان عاتق
الاستعمار وعميلته الصهيونية من وعد بلفور هي تحويل « نضال العرب الموجه ضد

الاستعمار نحو جماهير اليهود ، وبذلك تخلق منهم حاجزا يخنس وراءه الاستعمار ، فيحافظ على امتيازاته ويستمر في استغلاله ، وفي التطفل على دماء الشعوب العربية » . وترى عصبة مكافحة الصهيونية في « الديموع التي يذرفها المستعمرون على مصلحة اليهود ... دموع التماسيح ، لانهم لو كانوا حقا يعطفون على اليهود لعالموهم معاملة طيبة في أوروبا » . وعادت العصبة لتؤكد في بيانها « أن حل المشكلة اليهودية يتم بحل مشكلة البلدان التي يعيش فيها اليهود . أما (حل) فلسطين ، فهو فضلا عن أنه لا يحل المشكلة اليهودية ، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي » . واستنكر اعضاء العصبة في بيانهم ، باعتبارهم «يهودا وعربا في الوقت نفسه» وعد بلفور واحتجوا عليه . ودعوا مواطنيهم « الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأييف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، واييقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة » (١٠) .

وفي فبراير (شباط) عام ١٩٤٦ ، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا « الى الراي العام العربي والديمقراطيين جميعا » ذكرت فيه بما كانت قد رددته قبلئذ من « ان مشكلة فلسطين يجب أن تفصل عن المشكلة اليهودية ، لان المشكلة الاولى ما هي الا مشكلة شعب يناضل في سبيل حريته واستقلاله ، فاذا كانت المشكلة اليهودية لا تربط بمشاكل الشعوب المناضلة الأخرى ، فلماذا اذن تربط بمشكلة الشعب الفلسطيني العربي المناضل ؟! » كما أعاد البيان الى الأذهان ما كانت العصبة قد طالبت به من « استقلال فلسطين ومنع الهجرة ... وان قضية فلسطين لا تحتاج الى تحقيق ، فهي واضحة ووضوح الحق ، خصوصا وقد مر ما يزيد على ربع قرن والحكومة البريطانية دائبة على (لجان تحقيق) و (هيئات تحقيق) ولما بينته (التحقيق) » . وتؤكد العصبة في بيانها أن « هذا (التحقيق) لن ينتهي ما لم تأخذ فلسطين العربية - تعاونها الشعوب العربية - حقها أخذا ، وتنتزع استقلالها انتزاعا . لان الاستعمار البريطاني وكل استعمار آخر قد علمنا بأن سماءه لا تمطر غير النار والدمار » . وكرر البيان ما كانت الهيئة المؤسسة للعصبة قد ذكرته في مذكرتها للحكومة العراقية ، تلك التي طلبت فيها اجازة نشاط العصبة ، والتي جاء فيها « ان المشكلة اليهودية لا يمكن أن تحل الا بقيام نظم ديمقراطية في الاقطار التي يستوطنها اليهود في العالم » . وأن « ليس يهود العراق وحدهم يناهضون الصهيونية ويقومونها ، بل هنالك منظمات يهودية كثيرة في مختلف أنحاء العالم يناهض الصهيونية وتقاونها أيضا » . ونددت العصبة في بيانها بقرار الحكومة البريطانية القاضي « بالسماح والهجرة لـ ١٥٠٠ مهاجر شهريا الى فلسطين » . ورأت العصبة في هذا القرار استهتارا من الاستعمار البريطاني بوعوده وتعهداته ، كما « يعد استهتارا بوجود لجنة التحقيق نفسها واعترافا بعدم أهميتها » . وتقصد العصبة هنا لجنة التحقيق الأنجلو - أمريكية ، التي شكلتها بريطانيا وأمريكا للتحقيق في امكانات فلسطين على استيعاب المهاجرين اليهود ، وفي أسباب الاضطرابات في فلسطين ، وتقديم ما تراه اللجنة مناسبا من الحلول ، وقد ندد بيان العصبة « بالاعمال الارهابية التي يقوم بها عملاء الاستعمار البريطاني والأمريكان » . وترى العصبة أن هذه الاعمال الارهابية هدفها « ذر الرماد في العيون ، كي يقدموا حجة للاستعمار البريطاني ليحشد قوات كبيرة في فلسطين ، ظاهرها مقاومة هذه الاعمال الارهابية ، وجوهرها ضرب الحركات التحريرية في البلدان العربية كافة ، خصوصا وان المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن جميع البلاد العربية أصبح شعار العرب في العراق ومصر وسوريا ولبنان » . ودلل بيان العصبة على صحة هذا الاستنتاج بمقال كانت قد نشرته جريدة « دافار » الصهيونية بفلسطين ، جاء فيه « أن هذه القوى البريطانية لم تحشد في فلسطين من أجل الشعب اليهودي ، وقد أثبتت التجارب ان فرقة واحدة تكفي لاقتحام مستعمرتين في يوم واحد ، ان هذه القوات البريطانية الكبيرة قد حشدت هنا لحاجات بريطانية ، ونحن نعتزف بحق هذه

الحاجات» ، ومسعدون الأهلين بنهار ومساعدتها في تاديتها ، كما نعلمنا أكثر من مرة .
لأننا نعترف بالعلاقة بين مصر الإمبراطورية وبين مصرنا ، ونعترف بهداه الشركة
ونريدها . ولكن هذه لم تحشد من أجلنا والحق يقال « . وأكد بيان عصبة مكافحة
الصهيونية « ان العرب لا يمكن أن يحصلوا على حرياتهم واستقلالهم الا بالاعتماد على
انفسهم وبالتعاون مع قوى الشعوب المعادية للظلم والاستعمار » . وانتهت العصبة ببيانها
ب دعوة رؤساء الحكومات العربية الى قضية فلسطين في مجلس الامن والمطالبة بالغاء
الانتداب على فلسطين ، وبمنحها استقلالاً تاماً (١١) .

كما أرسلت العصبة مذكرتين ، اولاهما لرؤساء الحكومات العربية والثانية لامين الحاحم
العربية العام ، ونددت العصبة في المذكرتين بلجنة التحقيق الانجلو امريكية ، مؤكدة انها
« ما هي الا ستار مهلهل يختفي وراءه الاستعمار البريطاني والامريكي ، بقصد التمام
بهجوم جديد لدعم الصهيونية وتثبيت اقدام الاستعمار في فلسطين وباقي البلاد
العربية » (١٢) . ثم أصدرت العصبة بياناً الى الجماهير العربية حول اللجنة المذكورة .
اشارت فيه الى أن الاستعمارين الانجليزي والامريكي قد عمداً - قبل أن تنتهي لجنة
التحقيق من (تحقيقاتها) - الى تنفيذ خططها الاستعمارية « مفد اقر البرلمان الامريكي
الهجرة الى فلسطين ونقضت بريطانيا كتابها الابيض ، وسحقت بالهجرة الى فلسطين » .
ونبهت عصبة مكافحة الصهيونية الى المؤامرة البريطانية الرامية الى تقسيم فلسطين ،
اذ يقول بيانها ان بريطانيا « تسعى الان لكسطن فلسطين ، لتقيم في شطر منها دولاً
صهيونية وقاعدة عسكرية لها في قلب البلاد العربية » . وأكدت العصبة عجز لجنة
التحقيق الانجلو - امريكية « عن القيام بتحقيق عادل محايد في قضية فلسطين وعجزها
عن اصدار حكم يمس جوهر القضية ، وهو وجوب الغاء الانتداب البريطاني ، وتالفت
حكومة وطنية ديمقراطية في فلسطين » . ويشير البيان الى « ان يهود العراق يعتقدون
اعتقاداً جازماً بأنهم جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي » وانهم « يرون في الدعوة
الصهيونية ، أداة تهديم لانها تدعو الى اثاره الحقد العنصري والمذابح » . واشارت
العصبة في بيانها الى « ان الزعماء الصهاينة كشفوا بشهادتهم امام لجنة التحقيق
الانكليزية - الامريكية عن صلاتهم الوثقى بالاستعمارين الانكليزي والامريكي ، وعن
حقيقة رؤوس الاموال الاجنبية الهائلة التي تستثمر العامل اليهودي في فلسطين ، وعن
استعدادهم - بل والباحهم - بطلب استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين
وبعودهم بتوظيف رؤوس اموال اجنبية طائلة في المشاريع الصهيونية » وانهم بذلك « لم
يستطيعوا اخفاء الصفة الطبقية الاعتدائية للصهيونية » . وأشار بيان العصبة الى ما
كان قد صرح به العالم الامريكي اليهودي اينشتاين من أن اللجنة الانجلو - امريكية
« ستار من الدخان يحجب وراءه الدساتيس الاستعمارية الانكليزية الامريكية » . وانهم
البيان الحركة الصهيونية بأنها تنظم الحملات الارهابية في فلسطين ، لخلق المبرر لبريطانيا
كي تحشد قواتها في فلسطين بحجة المحافظة على الامن . وانتهت العصبة ببيانها بدعوة
الشعب العراقي الى مقاطعة لجنة التحقيق هذه . ويرى بيان العصبة « أن حل قضية
فلسطين لن يتم الا عن طريق توحيد نضال الشعوب العربية ، واعتمادها بالدرجة الاولى
على كفاحها الوطني المشترك ، وعلى رفع قضية فلسطين الى مجلس الامن للتحقيق في
١ - الغاء الانتداب ، واستقلال فلسطين استقلالاً تاماً . ٢ - تمكين الشعب الفلسطيني
من تأليف حكومة وطنية ديمقراطية تضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين ،
دون تمييز في العنصر والدين » (١٣) .

وبعد صدور بيان اللجنة الانجلو - امريكية ، نظم الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب
التحرر الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية تظاهرة نددت بالبيان الاستعماري ،
واصطدمت التظاهرة بقوات الجيش ، التي جلبتها الحكومة العراقية لتفريق

المتظاهرين بالشوة (١٤). وكان ذلك في أواخر مايو (أيار) ١٩٤٦. مما دفع الحكومة العراقية إلى إصدار أمر بتعطيل صحيفة «العصبة» لمدة سنة. وفي مذكره وجهتها عصبة مكافحة الصهيونية إلى رئيس جمعية الصحفيين ببغداد، اعتبرت العصبة قرار التعطيل هذا «بادرة سيئة لها عواقبها الوخيمة على الصحافة العراقية». وأكدت مذكره العصبة «أن للاستعمار والصهيونية دخلاً قد حمل السلطات على إصدار قرار التعطيل، استناداً إلى الوثائيات الملفقة التي روجها وبروجها أذئاب الاستعمار والصهيونية ضد عصبتنا، وضد جميع الصحف الوطنية الحرة، لغرض إيقاف الحملة الوطنية المثارة اليوم في سبيل فلسطين العربية، في سبيل طرح قضيتها على مجلس الأمن، في سبيل اتخاذ إجراءات فعالة ضد المعتدين، وفي سبيل الجلاء، والقضايا الوطنية الأخرى، وفي سبيل كشف المؤامرات والدسائس التي تحيكها الجهات الاستعمارية ضد قضية التحرر العربية الوطنية». ونددت المذكرة بقرار التعطيل، مؤكدة «أن تعطيل الصحف الوطنية معناه كم أفواه الشعب. معناه تجريده من أداة فعالة توجه نضاله. معناه ترك البسطاء من أبناء شعبنا فريسة الدعايات الأجنبية الخبيثة التي تحاول صرف أنظار شعبنا عن قضايا الملحة - التحررية والعمرانية - وتمزيقه بالتفرقة والمشاحنات الطائفية والعنصرية وغيرها». وتشير مذكره العصبة إلى «النتائج السيئة التي تتعرض لها حركتنا الوطنية... والخسارة المادية التي تلحق بالصحفي من جراء التعطيل» وتستنكر المذكرة وقوع «هذه الإهانة على الصحافة الوطنية». وتنتهي العصبة مذكرتها، بطلب تأييد جمعية الصحفيين العراقيين ومساعدتها «من أجل إلغاء قرار التعطيل الجائر... وفي سبيل وضع حد لمثل هذه الأحكام الإدارية ضد الصحف الوطنية» (١٥).

وبشارعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني العراقي بإرسال مذكره احتجاج إلى رئيس وزراء العراق، ضد تعطيل صحيفة «العصبة» وضد مهاجمة الشرطة العراقية للوطنيين، وتنديداً بمنع الحكومة العراقية للاضراب السلمي الذي كان قد دعا إليه حزب التحرر الوطني العراقي، تأييداً لفلسطين. وأشارت مذكره حزب التحرر إلى أن الدستور العراقي قد صان الحريات الشخصية، كما أشارت إلى إطلاق الوزارة العراقية الحريات، وتستهن المذكرة لكونها لا تجد من «هذا العهد سوى الرجوع إلى الأساليب البالية في الحكم». واستنكرت مذكره الحزب العراقي مهاجمة الشرطة العراقية للهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني التي كانت قد دعت «الهيئات الوطنية للتداول بشأن إقامة مظاهرة سلمية في سبيل فلسطين». كما نددت المذكرة بهذه «الإجراءات غير القانونية» وطالبت «بإيقاف هذه الإجراءات التعسفية غير القانونية، وإطلاق الحريات الديمقراطية». وقد حملت المذكرة توقيعات كل من سالم عبيد النعمان المحامي - محمد علي الزرقا - يوسف هارون زلحة - محمد حسين أبو العيس المحامي - مهدي عبد الزراق المحامي - حسين محمد الشبيبي - علي شكري - وعبدالكريم الصفار (١٦).

ماذا بقي منها للتاريخ؟ تقاس أهمية الحدث أو العمل - أي حدث أو عمل - بمدى عمق تأثيره في الحياة الفكرية والمادية والسياسية للمجتمع. وتقول مجلة ماركسية مصرية، في تقييمها لعصبة مكافحة الصهيونية، أن العصبة قد فضحت «بفكاحها السياسي الواعي، وبالتأييد الذي نالته من الجماهير العراقية، مواقف الحكومة العراقية المترددة إزاء مشكلة فلسطين» (١٧).

وبعد اعتقال قادة العصبة، في يونيو (حزيران) ١٩٤٦، كتب اثنان منهم، هما يوسف هارون زلحة - رئيس العصبة، ومحمد حسن أبو العيس عضو هيئتها الإدارية، كتباً احتجاجاً، منعت الحكومة العراقية زملاء المعتقلين من إرساله - برقية - إلى أمين عام الجامعة العربية ومختلف الصحف والهيئات التقدمية في الاقطار العربية. وحصلت

« الفجر الجديد » القاهرية على نص المذكرة ، ونشرتها (١٨) . وتحتوي المذكرة احتجاجاً على تعطيل صحيفة « العصبة » وعلى اعتقال قادة عصبة مكافحة الصهيونية ، ومهاجمة مطبعة دار الحكمة واعتقال سكرتير العصبة ومحاسنها « لجرد اصدارنا كراسياً يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار » . كما تحتج « على اغتيال أربعة اعضاء من جمعيتنا لجرد تقديمهم عريضة احتجاج على اغتالنا » . ورات المذكرة ان « عمل الحكومة العراقية هذا لا يفيد غير الصهاينة والاستعمار ، ازادت أم لم تزد » . وأشارت المذكرة الى « ان الاستعمار والرجعية استاءا من بعث الحياة الحزبية واستاءا من عصبتنا بصورة خاصة » . ثم استعرضت مذكرة قادة العصبة انجازات عصبة مكافحة الصهيونية ، التي تسببت في استيلاء الاستعمار والرجعية ، وحصرتها فيما يلي : « ١٠ — قاطعت لجنسته التحقيق الإنكلو — امريكية ، وقضحت الاغراض التي تألفت من اجلها هذه اللجنة ، وقد صرح لنا معالي وزير الداخلية السابق باستيلاء الحكومة من موقفنا من لجنة التحقيق ٢ — طالبنا بعرض قضية فلسطين على مجلس الامن ، بينما يريد الاستعمار وتريد الحكومة العراقية حصر هذه القضية في ذمة الحكومة البريطانية ، صاحبة الانتداب وخالقة الصهيونية . ٣ — طالبنا بعدم الاعتراف بالانتداب على فلسطين ، وبالوعد الذي قطعتة بريطانيا للصهاينة بشكل عملي ، وذلك بعدم الاعتراف بحكومة الانتداب وبشطع العلاقات معها ، وغلق الحدود في وجه الجيش البريطاني المنتقل بين العراق وفلسطين . ٤ — طالبنا ان ينظم الدفاع عن فلسطين على اساس شعبي ، يعتمد على قوانا الداخلين وعلى حقنا الدولي وأن تتبذ السياسة القديمة التي سارت عليها الحكومات العراقية وهي سياسة (حسن الظن بالمستعمرين) وانتظار حل مشاكلنا الوطنية على ايدي (لجانهم التحقيقية) ومواندهم المستديرة ! ٥ — طالبنا دعوة المنظمات الشعبية الديمقراطية في البلاد العربية جميعها الى عقد مؤتمر لتنظيم الدفاع عن فلسطين ، بشكل يضمن اشراك جماهير الشعب في الفضال الفعلي المجدي من اجل تحرير فلسطين والبلاد العربية . ٦ — عقدنا خلال اقل من ثلاثة اشهر ، اجتماعات شعبية عامة من اجل تحرير فلسطين ، أكثر مما عقد في العراق خلال العشر سنوات الماضية . وحضر هذه الاجتماعات الالوف من المواطنين المتحمسين الذين اشتركوا ، فعلاً ، في أكثر القرارات التي اتخذتها العصبة . ٧ — زرعنا النفوذ الاستعماري والعمناء في أهم قاعدة اجتماعية يستند اليها ، وهي (الاقليات) الدينية والقومية التي طالما استغل وجودها للتفريق بين صفوف الشعب الواحد وللاستخدام طائفة ضد أخرى . فانبعثت العصبة من الوسط اليهودي ضربة للاستعمار الإنكلو — امريكي — الصهيوني ، الذي نصب نفسه حامياً ومدافعاً عن يهود العالم . ٨ — احتلت جريدتنا (العصبة) ، منذ أول صدورها ، منزلتها المحببة المرموقة عند جمهور القراء الذين ساعدوها وآزروها وعملوا على نشرها ، حتى أوشكت ان تحتل المكان الاول — ان لم تحتلها فعلاً — بين الصحف المحلية من حيث المادة وكمية المطبوع . ٩ — أوضحت (العصبة) في مقالاتها القضية الفلسطينية بشكل علمي واقعي ، وجردها من جميع ما علق بها من تشويهات وتلفيقات المستعمرين ، وعبرت الصهيونية وأظهرتها على حقيقتها ، كحركة استعمارية عنصرية وأداة للاستعمار الإنكلو — امريكي . وفضحت اغراض الاستعمارين الامريكي والانكليزي ، والروابط التي تربطهما بالصهيونية . كما فضحت العوامل المساعدة والمشجعة للصهيونية . ودعت الى توحيد جهود المواطنين في جبهة موحدة لمكافحة الاستعمار والصهيونية » .

وبعد ، لعل من الامور غير المستهجنة ان تصدر حكومة نوري السعيد حكماً بالسجن المؤبد على يوسف هارون زلخه ، بدعوى انه يترأس عصبة للكفاح من اجل الصهيونية ، لاضدها . نعم ، هكذا نصرت حكومة الطاغية اسم العصبة التي كافحت الصهيونية ، والى هذه الدرجة وصل الامر بالحكومة العراقية التي فعلت ذلك ، في الوقت الذي رحلت

عنه مائة وثلاثين ألف يهودي من العراق التي اسرائيل ، في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ .
وتفاضت — فيما قيل — عشرة دناتير عن كل مهاجر يصل الي اسرائيل !

- ٨ — مجلة الضمير القاهرية ، العدد ٢٧٤ ،
١٩٤٥/١٠/١٧ ، من مقال (لن تمرأا) ، بقلم
خيري محمود ، ص ١ .
- ٩ — المصدر السابق ، العدد ٢٧٥ ، ١٠/٢٤/
١٩٤٥ ، ص ١١ .
- ١٠ — مجلة الفجر الجديد القاهرية ، العدد ١٣ ،
السنة الاولى ، ص ٨ .
- ١١ — المصدر السابق ، العدد ٢٢ ، ٢/٢٠/
١٩٤٦ ، ص ١٤ .
- ١٢ — المصدر السابق ، العدد ٢٨ ، السنة
الاولى ، ١٩٤٦/٤/٣ ، ص ٢ .
- ١٣ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، والصفحة
نفسها .
- ١٤ — المصدر السابق ، العدد الثامن والثلاثون ،
السنة الثانية ، ١٩٤٦/٦/١٢ ، ص ٢٤ .
- ١٥ — مجلة أم درمان القاهرية ، العدد ٢٧ ،
١٩٤٦/٧/١ ، ص ١٨ .
- ١٦ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢
و ١٨ .
- ١٧ — مجلة الفجر الجديد القاهرية ، من مقال
(صوت العراق — في شرقنا العربي موجات
اضطهاد) ، العدد ٤١ ، السنة الثانية ،
١٩٤٦/٧/٣ ، ص ٧ .
- ١٨ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٨
و ١٩ .
- ١٩ — المزيد من التفاضيل راجع تاريخ الاحزاب
السياسية في العراق ١٩٤٦ — ١٩٥٨ ، رسالة
ماجستير ، لعبد الرزاق المطلق النهدي ، جامعة
القاهرة ، ١٩٧٠ . وراجع مقالنا « الاحزاب
الشيوعية العربية وقضية فلسطين » الصادر
ضمن كتاب المقاومة الفلسطينية — الواقع
والتوقعات ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة
الاولى ، تموز (يوليو) ١٩٧١ .
- ٢٠ — الشرطة العامة ، التحقيقات الجنائية ،
موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي
السوري ، ١٩٤٩ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ . ولزيد
من التفاصيل عن اوضاع اليهود في العراق ،
راجع يهود البلاد العربية ، تأليف الدكتور علي
ابراهيم عبيد وخيرية قاسمية ، مركز الابحاث
الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ٢١ — نشرت الصحف العراقية نص الخطاب يوم
١٩٤٥/١٢/٢٨ .
- ٢٢ — جريدة الزمان البغدادية ، ١٩٤٦/٣/٨ ،
اوردها النهدي في رسالته ، ص ١٤ .
- ٢٣ — النهدي ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- ٢٤ — النهدي ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
- ٢٥ — الشرطة العامة ، المصدر السابق ، ج ١ ،
ص ٨ .
- ٢٦ — رسائل العصبة نحن نكافح في سبيل من ؟
و ضد من نكافح ؟ مطبعة دار الحكمة ، بغداد ،
١٩٤٦ ، ص ٣ .

المجلس الاميركي لليهودية

دراسة في البديل اليهودي للصهيونية

بقلم

الدكتور أسعد زروق

من منشورات مركز الابحاث في م.ت.ف.
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٢٦٦ صفحة

٢ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ،

١٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها

(١٩١٨ - ١٩٣٩)

عمار الظالبي

على كثرة الدراسات والبحاث التي تناولت تاريخ القضية الفلسطينية وتطوراتها ، مع تعدد الكتابات التي انصرفت لدراسة هذا القطاع الجماهيري او ذلك من الشعب الفلسطيني ، وهذا الحزب او ذلك ، فان الطبقة العاملة العربية في فلسطين ، وتنظيماتها السياسية والنقابية ، لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي تاريخيا وتقييما . واكثر من ذلك فان تاريخ الطبقة العاملة وتطورها وتعايرها السياسية والاجتماعية والثقافية ، لم يكتب بعد . وما زال الفموض يكثف قطاعا جماهيريا اخذ تأثيره بالاتساع سياسيا واجتماعيا وعدديا وخاصة في العقد الرابع من هذا القرن وحتى كارثة ١٩٤٨ . وكانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العاملة العربية في فلسطين في عهد الانتداب » وتشر هنا مقالا اخر يتناول ذات الموضوع من جوانب اخرى . بيد ان « شؤون فلسطينية » ما زالت تعتقد ان هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من الدراسة والتأنيط التاريخية ، ولا يمكن لمقالة او اثنتين ان تقول الكلمة الاخيرة فيه . لذلك تدعو المقالة النقيبين الفلسطينيين الذين كانت لهم تجربة عملية في النقابات العربية في فلسطين مثل ١٩٤٨ ، والباحثين والكتاب العرب الى متابعة كتابة تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية ومؤسستها واطرافها ، وتقديم الوثائق والشهادات المتصلة بهذا الموضوع في هذه الفترة او تلك .

شكلت فلسطين والشرق الاوسط عموما جزءا من عالم المستعمرات ، نظرا الى ان التخلف كان يترجم نفسه في مستوى الانتاجية المنخفضة ، بالقياس الى انتاجية البلدان الصناعية ، ولم يبلغ متوسط دخل الفرد في الشرق الاوسط في عام ١٩٣٩ اكثر من ربع او سابع متوسط الدخل بالنسبة الى الغرب . هذا الفارق يتجلى ايضا في تراوح الاجور ، فالهاجرون اليهود الغربيون يفرضون ويحصلون على اجور تتناسب مع مستوى الحياة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، اي على اجور مرتفعة جدا قياسا الى الاجور المدفوعة في المنطقة . ان العمال اليهود الذين ينافسون اليد العاملة المحلية الاكثر رخصا ، كانوا مضطرين الى مقاومة استخدام العمال العرب في فروع النشاط الاقتصادي اليهودي ، الامر الذي ادى الى تشكل اقتصاد يهودي مغلق ، ومن ثم بدون منافسة فعالة من الاقتصاد العربي القائم الى جانبه .

بسبب مركزية رؤوس الاموال والنسبة المرتفعة من العمال المختصين في القطاع الاقتصادي اليهودي ، فان « اليسوف » كانت تساهم في عام ١٩٤٤ بـ ٥٩٤٧٪ من الدخل القومي في البلاد ، رغم انها تمثل اقل من ثلث السكان ، ان حصة التجمعات السكانية اليهودية كانت اكثر ارتفاعا في غالبية القطاعات الاقتصادية ، وخاصة القطاعات

الحدينة منها مثل الصناعة والتجارة والبناء والمواصلات . وبشكل عام كان متوسط الدخل للفرد قد وصل عام ١٩٤٤ الى ٣٠٠ جنيه فلسطيني عند اليهود مقابل ١٦٥ جنيها فقط عند العرب كما يبين ذلك الجدول رقم ١ (١) .

جدول رقم (١)

متوسط الدخل للسكان العرب واليهود بالجنيه الفلسطيني (١٩٤٤)

العرب	اليهود	الفروع
١٣٤	٣٧٩	الزراعة
٢٥٤	٣٦٤	الصناعة
١٤٥	٢٠٠	البناء
١٢١	١٢١	الجيش
١٠٤	١٧١	الاستخدام المدني والعسكري
٢٣٢	٤٠٠	النقل والمواصلات
٢٣٨	٣٧٠	التجارة والمال
١٥٠	٢٢٥	البوليس والادارة
١٨٢	١٢٤	متفرقات
١٦٥	٣٠٠	المتوسط

وما من شك ان سلطات الانتداب البريطاني كانت تمارس تحيزا واضحا بصدد المطالب الصهيونية المتعلقة بمضاعفة معايير اجور العاملين اليهود . كما ان العمال اليهود من ذوي الاصل الاوروبي كانوا متجمعين في الهستدروت ، على العكس من العمال العرب وجزء من العمال اليهود الشرقيين الذين كانوا عموما غير منظمين وخاصة في فترات الانتداب المتقدمة . ومن ثم لم يكن الاخرون قادرين على الحصول على اجور معادلة . ان التفاوت الهائل في اجور كلا المجموعتين (العربية واليهودية) يماثل بشكل واضح مع التفاوت في الاجور بين الاوروبيين والسكان الاصليين في المستعمرات (راجع جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢)

الاجور اليومية المدفوعة للعمال الراشدين (ذكور) بالليليات الفلسطينية لعام ١٩٣٥

اليهود الاوروبيون	العرب واليهود الشرقيون	نوع العمل
٢٥٠ - ٤٠٠	٨٠ - ١٢٠	١ - العمل الزراعي
٢٢٥ - ٢٢٠	٢٠٠ - ١٢٠	عمال حراثة الارض
		قاطفو البرتقال
٦٠٠ - ٤٠٠	٣٠٠ - ٢٠٠	٢ - العمل الصناعي
٤٥٠ - ٣٥٠	١٤٠ - ١٠٠	عمال المحاجر (المهرة)
٧٠٠ - ٦٠٠	٦٠٠ - ٥٠٠	عمال المحاجر (غير المهرة)
٤٠٠ - ٣٥٠	١٨٠ - ١٠٠	عمال البناء (المهرة)
		الفعلة
٥٠٠ - ٢٥٠	٤٠٠ - ١٢٠	٣ - المصالح الحكومية
٤٠٠ - ١٢٠	٢٠٠ - ٧٠	عمال رصف الشوارع
		الفعلة

ظل هذا السلم المزدوج للاجور قائما طوال فترة الانتداب ، ففي عام ١٩٤٦ مثلا كان النجار العربي او اليهودي الشرقي يكسب ٨٥٠ مليمًا في اليوم ، بينما زميله الاوروبي ١١٠٠ مليم (٢) . بيد انه من الضروري ان نساخ القول بان التقارب المغربي لعقد مقارنة بين الصهيونية والاستعمار الكلاسيكي هو خاطيء ، نظرا للانعطاف الغربية التي اتخذتها المغامرة الصهيونية بعيد الموجة الثانية من الهجرة — والتي كان شعارها العمل اليهودي — ، ذلك ان الانغماس الصهيوني في فلسطين اخذ شكل الاستعاضة عن السكان العرب بيد عاملة يهودية . لقد نتج عن ذلك ان الصهيونية بمفهومها ذاته تتطوى على عملية خلق طبقة عاملة صهيونية ومن ثم ترفض تشغيل البروليتاريا العربية . وبهذا المعنى تندرج الهجرة اليهودية ضمن النظام الاستعماري باعتمادها على عملية نزع املاك السكان العرب الفلسطينيين ، وهو الانتزاع الذي كان يتم على مرأى السلطات البريطانية المتواطئة ومسمعها . الا ان عملية النهب هذه لم تكن مصحوبة بفرز اجتماعي مشابه لما حصل في المستعمرات السكانية مثل الجزائر وافريقيا السوداء ، حيث يقوم اقتصاد انقطاع الاستعماري من الفه الى يائه على استغلال السكان الاصليين . ان اليهود في فلسطين قد شرعوا في التحول الى امة عبرانية جديدة على غرار النموذج الرأسمالي التقليدي : برجوازية سائدة وبروليتاريا .

ومن بين ٢١٢ الف مهاجر يهودي في البلاد عام ١٩٣٤ ، كان ٢٨٤٨ ٪ منهم منخرطين في الصناعة والحرف ، اما عدد اجراء قطاع الصناعة العربية فقد كان ٢١ ألفا (٣) . وان مقارنة توزيع السكان الناشطين اقتصاديا ، تعكس الطابع الصناعي والحديث للسكان اليهود والبنية الزراعية للمجتمع العربي (راجع جدول رقم ٣) .

جدول رقم (٣)

التقسيم المهني للسكان عام ١٩٣١

عرب	يهود	الفروع
٪ ٥٩٠	٪ ١٩٤١	الزراعة
٪ ١١٤٩	٪ ٣٠٤٦	الصناعة
٪ ٦٤٠	٪ ٥٤١	النقل
٪ ٨٤٤	٪ ١٣٤٨	التجارة
٪ ١٤٣	٪ ٢٤٠	الادارة
٪ ٢٤٣	٪ ١١٤٦	المهن الحرة
٪ ٣٤٣	٪ ٥٤٣	الخدمات الخاصة
٪ ٦٤٩	٪ ١٢٤٥	مفرقات

ان الشكلين الجوهريين للاستعمار الصهيوني ، اللذين افصحنا عن طبيعتهما المميز ، هما مبدأ تملك الاراضي عن طريق « الصندوق القومي اليهودي » ، وقاعدة « العمل اليهودي » . ومن ثم كان نمو الصناعة اليهودية مرهونا الى حد كبير بنشاط النقابات الصهيونية « الهستدروت » .

لقد أسست الهستدروت « الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين » في حيفا سنة ١٩٢٠ ، وكانت يومذاك تعد ٤٤٣٣ عضوا . وقد مثلت منذ لحظة انطلاقتها ملامح مزيدة وبهذا الصدد عبر احد قادة الحركة العمالية الصهيونية « ان الامر لا يتعلق — بالنسبة للهستدروت — بتنظيم الطبقة اليهودية فقط ، بل بخلقها وتشكيلها وغرسها في فلسطين » (٤) . وبكلمة اخرى ، فان هدف الهستدروت لم يكن الدفاع عن مصالح العمال اليهود فحسب ، بل ان هدفها الاكثر تحديدا والحاحا ، هو تحقيق الاستعمار الصهيوني

وفي فلسطين . فهي أذن نقابة قومية وإداة طيبة وواعية في يد الصهيونية . وهي حسب عبارات نظامها الأساسي « تتخذ واجبا عليها تكوين نموذج جديد للعامل اليهودي ، كحصيلته لاستعمار فلسطين » . وضمن هذا الفهم ، وهذا التوجيه ، نمت الهستدروت بسرعة ، فانتقلت من ١٥٢٧٥ منخرطا في عام ١٩٢٦ الى ٢٥٣٧٨ منخرطا عام ١٩٣٠ ، ثم الى ٨٥٠٨١٨ في عام ١٩٣٦ .

لقد مدت نشاطها الى كل المجالات الاقتصادية واصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني ، ونظرا الى اهدافها الصهيونية فقد شرعت في ممارسة نشاط واسع ومتعدد الاشكال يستهدف خلق القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية المقبلة . وهكذا احاطت الحركة العمالية اليهودية نفسها بشبكة من المؤسسات والخدمات العامة : صندوق المرض والعجز ، بورصة العمل ، شركة مقاولات ، شركة بيع المنتجات الزراعية ، تعاونية البيع بالجملة ، شبكة مدارس عمالية الخ . لقد اوكلت عملية تنسيق جميع النشاطات الاقتصادية الى هيئة خاصة اسمها جمعية العمال . ان الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الهستدروت لم تقتصر على ما مر ، فهناك عدد من الشركات والمؤسسات التابعة لها ، مثل شركة الاستيطان العمالي « نير » شركة تعاون عمالي متبادل ، تعاونية الاسكان ، شبكة من المصارف ، شركة تأمين كانت تعمل بفضل الاسهام المالي من الحركة الصهيونية في الخارج . دون ان ننسى ان الهستدروت كانت تشرف ايضا على منظمة الدفاع اليهودي « الهاجاناه » .

وقد استطاعت النقابة الصهيونية ، بفضل هذه النشاطات ان تحتل بسرعة مكان الصدارة ، ان لم نقل موقعا احتكارييا في الاقتصاد ، فالهستدروت هي المستخدم الاكثر اهمية بعد الحكومة ، ودفعت سياستها لتمكين الطبقة العاملة اليهودية التي بصدد التكون من قاعدة اقتصادية ضرورية فذاقت التعاونيات الانتاجية ، ووفرت فرض العمل للمهاجرين ، وضمنت شركاتها تسويق المنتجات اليهودية . ان سبب هذا التوسع الاخطبوطي للهستدروت في مجالات غريبة كليا عن النقابة والمفهوم النقابي يعود اساسا الى السياسة الصهيونية الاستعمارية .

وهكذا نجد الشعارات الملبية لهذه السياسة ، فشعار « العمل اليهودي » هو معادل لشعار « الانتاج اليهودي » . وهي الشعارات التي تهدف الى الترويج لبيع منتجات الاقتصاد الصهيوني في القطاع اليهودي على حساب الانتاج العربي وللاضرار به لانه كان ينافسها بأسعار كلفتها المريحة . ولكن كما ان « العمل اليهودي » يعني عمليا طرد اليد العاملة العربية من المشاريع اليهودية ، فان « الانتاج اليهودي » يترجم نفسه في الحياة اليومية بالمقاطعة المنظمة للضائع العربية . لذلك ونتيجة لهذه السياسة ، فان مجرد اشاعة في عام ١٩٤٤ مثلا بان أحد المقاهي اليهودية في تل ابيب قد استخدم بعض العمال العرب تثير جمعا يهوديا معاديا بعد الاف المتظاهرين ، ويجد الفلاح العربي ذات المقاومة ، اذا ما تحدى المقاطعة اليهودية وحاول بيع منتجاته الزراعية في السوق اليهودية ويطرد من هناك بعنف (٥) .

كثفت الهستدروت هي الاداة الاساسية للتمييز العنصري الاقتصادي الذي مارسنته الصهيونية ضد الفلاحين العرب . وهذا يتطلب من كل عضو في هذه النقابة الصهيونية ، ان يلتزم بدفع ضريبتين اجباريتين : اولا : ضريبة من اجل « العمل اليهودي » تصب في صندوق تنظيم الاضرابات ، وتسهم في جهود الهستدروت الرامية الى منع تشغيل العمال العرب ، ليس في المؤسسات اليهودية فقط وانما في البريطانية والخدمات العامة . وثانيا : ضريبة من اجل « الانتاج اليهودي » ، اي من اجل تنظيم مقاطعة الانتاج العربي . ومن الامور الجديرة بالانتباه ان اي حزب من احزاب « اليسار » الاسرائيلي ، بما في ذلك حزب المابام ، لم يعترض ، حتى ولو شكليا ، على حرمان العمال

العرب من العمل ، ومقاطعة منتوجات الفلاحين العرب . ولم يمنع أي من هذه الإجراءات عن دفع هاتين الضريبتين العنصريتين للهستدروت (١) .

وهكذا فإن منافسة اليد العاملة اليهودية لليد العاملة الفلسطينية ذات الاصول الريفيه غير المنظمة ، والتي كانت من الخصاصة والبؤس بحيث تقبل بأجور شبه رمزية ، لم تكن منافسة حرة ونزيهة . بل ان شروطها كانت تمنع وتكبح اليد العاملة العربية الفلسطينية من ان تتكون وفق القوانين التاريخية لتشكل الطبقة العاملة في البلاد تقليديا .

وعلى هذا النحو تكون سياسة التمييز العنصري ضد العمال الفلسطينيين ، التي مارستها الهستدروت شبيهة تماما بالتمييز العنصري الاستعماري الذي مارسته نقابات الاممية الثانية في المستعمرات . لقد سبق لمدوبي الاحزاب العمالية في اكثر بلدان المستعمرات الاوروبية ان تحدثوا في مؤتمر الاممية الثانية ١٩٠٧ ، المعروف بمؤتمر شتوتغارت عن « الخطر » الذي تمثله اليد العاملة المحلية في منافسة اليد العاملة الاوروبية والامريكية !

ان ممارسة الهستدروت العنصرية ضد العمال العرب لم تكن كما قد تبدو في الظاهر لصالح البروليتاريا اليهودية في الدرجة الاولى ، بل لصالح البرجوازية اليهودية الصناعية الناشئة في فلسطين بين ١٩١٨ - ١٩٣٩ بشكل اساسي . وبمعنى من المعاني تبذرو الهستدروت اقرب في ايدولوجيتها وسياستها العامة الى النسوية الطبقيية التي توظف في التحليل الاخير لصالح البرجوازية اليهودية . فلقد كانت تمنع العمال اليهود في القطاع الاقتصادي اليهودي من شن اي اضراب مطلبى بحجة ان ذلك من شأنه الاضرار بالهدفت النهائي للصهيونية . كما ان الرأسماليين وخاصة البريطانيين لم يدعوا الفرصة فثلت منهم ، لقد استغلوا ببراعة فائقة التمييز العنصري الاقتصادي ضد العمال الفلسطينيين ، ولعل ابرز مثل على هذا الاستغلال هو سلسوك شركة التبغ الانجلو - امريكية التي عمدت الى وضع مشروعين منفصلين ، احدهما لتزويد السوق اليهودية « مانسبرو » والاخر لتزويد السوق العربية « قرمان وديك وسلتي » ، وكان كلا المشروعين يربط بديماغوجية بين بيع السجائر وتملق المشاعر القومية الصهيونية مرة ، والعربية مرة اخرى ، حسب الطرف وشروط العرض والطلب (٧) .

ان العمال الفلسطينيين الذين استبعدوا قسرا من سوق العرض والطلب البشرية ، لم يكن امامهم الا ان يتزاحموا بالناكب على عروض الشغل الضئيلة التي كان يتيحها الاقتصاد الفلسطيني الضعيف ، خاصة في القطاع الزراعي . وبما ان العمال المستغلين بفظاظة لم يكونوا منظمين ، فان المنافسة الفوضوية على العمل جعلت اجورهم تتدنئ باضطراد . اما العدد الضئيل من النقابات المختلطة التي انشئت في العشرينات واقتصرت على قطاع الادارة والخدمات العامة في المدن المختلطة التي يتواجد فيها العرب واليهود بكثافة ، فانها ظلت هامشية وغير فعالة بتاتا لا في الدفاع عن مصالح العمال العرب ، ولا عن المصالح الحقيقية للعمال اليهود انفسهم (٨) .

ان الهستدروت في حالتين استثنائيتين قد قبلت في صفوفها عمالا عربا ، اذ حيث فشلت في مقاطعة العمال العرب عمدت الى انشاء فروع عربية لها لم تتجاوز على كل حال قرعين ، فقد اسس اولهما في حيفا عام ١٩٢٩ ، وثانيهما في القدس عام ١٩٣٤ (٩) .

وقد استهدفت الهستدروت عمال البلديات والادارة والمشاريع ، المسيرة براسمال غير يهودي ، وهي بالضبط اماكن العمل التي لم تنجح الهستدروت تماما في منع العمال العرب الفلسطينيين من الدخول اليها . لقد ارادت بذلك ان تضرب عصقورين بحجر واحد ، اولا : سعت لتهميه طابعها العنصري ، ثانيا : فرض المبادئ الصهيونية التي هي جوهر هذه النقابة على العمال العرب الذين ينخرطون فيها . لكنها لم تنجح الا نادرا .

وحزبنا ، لان غالبية العمال العرب كانت واعية الطابع العنصري الاستعماري لهذه النقابات الصهيونية التي ترفض حتى مجرد حقهم في منافسة اليد العاملة اليهودية في سوق العمل .

لقد غيرت الهستدروت خلال الحرب العالمية الثانية تكتيكها — دون ان تغير طبيعتها — بهدف مكافحة نفوذ النقابات الوطنية الفلسطينية . فاعلنت عن قبولها تشغيل نسبة معينة من العمال الفلسطينيين في الاشغال التي تنفذها فروعاها . واستطاعت بالنتيجة ان تنشط فرعها العربي الذي اوكلت اليه احتكار تشغيل اليد العاملة العربية . لكن هذه الخدعة التكتيكية لم تصمد امام الممارسة : فمشاريع الاشغال العامة التابعة للهستدروت المسماة (سوليل بونيه) مارست التمييز العنصري في الاجور بين العمال العرب واليهود (١٠) .

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وجدت ثلاثة احزاب يسارية صهيونية . « لكن لا يمكن اعتبارها تنظيمات عمالية مستقلة بالمعنى الحقيقي للكلمة . وذلك بسبب تبنيها للبرنامج الصهيوني ، بل للمنظمة الصهيونية نفسها ، واندماجها بالمجتمع الصهيوني والعلاقات الوثيقة التي تشدها الى الهستدروت . ما يمكن ان نتحدث عنه في افضل الاحوال هو عن اتجاهات عمالية في صلب جهاز صهيوني لا مركزي . ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية المصاب بالفارغرينا القومية يشارك بشكل دائم في الوحدة المقدسة مع البرجوازية » (١١) .

لم يتضمن برنامج أي حزب من هذه الاحزاب الصهيونية اي مطلب يتعلق بالمصالح المستقلة للطبقة العاملة . لقد كان قادتها جميعا مشدودين الى قطار المنظمة الصهيونية لبناء الوطن القومي اليهودي .

ثمة ميزة اخرى تشاهد فيها الاحزاب العمالية الصهيونية ، الاحزاب البرجوازية الصهيونية ، وهي الانتماء الى المنظمة الصهيونية العالمية ، حيث لم تكن هذه الاحزاب الا فرعا فلسطينيا لها . ان ما يفسر ارتباط الاحزاب اليسارية الصهيونية بهذه المنظمة هو واقع اعطائها الاولوية للاهداف القومية الصهيونية على الصراع الطبقي الفعلي ، كما ان واقع كونها مقصورة على اليهود فقط ، يعبر بوضوح عن جوهرها الصهيوني الصارخ ، علما بان جميع الاحزاب العمالية ، فضلا عن النقابات لا تعبر اية اهمية لحسية العمال الذين ينضون تحت لوائها . وهذا ليس الا مجرد برهان آخر على اعطاء هذه الاحزاب الاولوية للايديولوجية الصهيونية على المبادئ الاشتراكية .

لقد كان اعتماد الحركة العمالية الصهيونية على الهستدروت ، التي تكونت عناصرها اساسا في المستعمرات الجماعية . ان الاوهام الاشتراكية التي ارتبطت بالكيوتسات بندها الوقائع والتطورات ، ذلك ان حركة الكيوتس « لم تكن ابدا تمثل اي تهديد للبرجوازية الصهيونية ، وانما على العكس » (١٢) ، فقد استخدمتها البرجوازية الصهيونية كورقة دعائية في اوساط اليسار العالمي . وقد تكفلت الوكالة اليهودية ، المشكلة من كبار الرأسماليين اليهود في العالم ، بتمويل « هذه الواحات الاشتراكية في صحراء رأسمالية » . ونجد ان المستعمرات الزراعية اليهودية قد شكلت اثناء الثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ كتائب الدفاع الوقائي ، اي استهدفت العدوان على القرى العربية بحجة التصدي سلفا لاجتمالات هجوم ثوار فلسطين . وهكذا اضطلعت هذه المستعمرات الزراعية بدور اريهبي بارز تخلي ذلك في الوحدات المتحركة بقيادة اسحق صادي . « ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية هو الذي مارس ضغوطا على الهاجاناه لكي تتخلى عن سياسة الدفاع السلمي ازاء ثورة ١٩٣٩ (٠٠٠) ان نخبة المقاتلين في وحدات الهاجاناه كانت تشارك في الحملات اليهودية — البريطانية التي نظمها الكابتن وينجيت . ففي سنة ١٩٣٩ قامت وحدات خاصة من الهاجاناه بسلسلة من الغزوات ضد القرى العربية . لقد كانت فرق

ويجيب فور بشكل مستمر بتصفية العرب « المشوهين » ، رغم أن مهمتها الأساسية كانت حراسة انابيب شركة بترول العراق ، لحساب الامبريالية البريطانية (١٠٠) . وهكذا فإن تشويه النضال العربي الوطني التحرري المعادي للصهيونية ، من طرف الأخيرة ، والتصريحات الديماغوجية للاقطاعيين العرب قد أدت الى تعزيز تعاون العمال اليهود مع السلطات البريطانية « (١٣) .

اسس العمال العرب في عام ١٩٢٥ حيفا، جمعية العمال العرب الفلسطينيين ، ولم تلبث ان امتدت فروعها الى عدد من المدن الأخرى . وقد سبق ان العمال العرب قاموا منذ ١٩٢٠ بجملة من النشاطات ذات الطبيعة التضامنية عندما بدأ عمال سكة حديد حيفا بجمع التبرعات لمساعدة العمال المرضى وعائلات المتوفين منهم . وفي عام ١٩٢٥ تقدم عمال سكة الحديد بطلب لتسجيل ناد خيري لهم . وفي آب ١٩٢٥ ، وبعد مضي ثلاثة اشهر على تقديم العمال بطلب لتسجيل جمعية العمال المذكورة آنفا استجيب لطلبهم . وقد تضمن النظام الاساسي للجمعية جملة من الاهداف النقابية والاجتماعية والحياتية وفقا للنظام والقانون وبدون اي تعرض للامور السياسية والدينية (١٤) . وقد بقيت نقابة السكك الحديدية محور نقابات الجمعية ، اذ كان هذا المرفق (السكك الحديدية) موضع صراع مع السياسة النقابية الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة وفي الاعمال الفنية دون العمال العرب .

ولم تلبث الجمعية ان تمكنت من تحقيق بعض المكتسبات المادية للعمال مثل زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل ، كما اسهمت في بعض النشاطات الثقافية والوطنية . وعقدت مؤتمرها الاول في ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في مدينة حيفا ، فشارك ٦١ اعضاء كمندوبين لـ ٣٠٢٠ عضوا من مختلف انحاء البلاد (١٥) . وقامت فيها بعد بافتتاح مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال الاميين . وقد تميزت المرحلة عموما بكثرة الاضرابات التي استهدفت تحسين اوضاع العمال المعيشية . ولم تلبث ان اصبح لها فروع في عشر مدن فلسطينية توزعت اعضاء الجمعية الذين بلغ عددهم نحو احدى عشر الف عضو (١٦) . أما العمال الزراعيون وخاصة العمال الموسميون ، فلم يكونوا منظمين على الاطلاق ، وكانت المنافسة شديدة بينهم وبين الحوارة الوافدين من سوريا بحثا عن العمل بأدنى مستويات الاجور ، كما طرأت المنافسة ذاتها مع عمال التراحيل الاكثر بؤسا القادمين من الريف المصري .

مع انقضاء العام ١٩٣٥ ، كانت اوضاع العمال الفلسطينيين تزداد بؤسا ، اذ ان سياسة « العمل اليهودي » أدت الى المزيد من التسريح للعمال الفلسطينيين ، ليس فقط من المؤسسات اليهودية وإنما من المؤسسات العامة والخدمات . واصبح التسريح بالجملة مظهرا من الازمة الوطنية العامة لذلك كان لمساهمة العمال العرب في اضراب ستة الأشهر ١٩٣٦ ، طابع طبقي واضح بالاضافة الى طبيعة التحرك الجماهيري الوطني . لم تقف سلطات الانتداب ساكنة ازاء التسريح العمالي بالجملة فقط ، بل انها عملت الى اعتقال العديد من الكوادر النقابية العربية في جمعية العمال ، ولم تستجب الى أي من مطالبها . وهكذا اضطرت الجمعية الى اقفال ابوابها اثناء الاضراب العام . وهناك تقديرات ان الجمعية قد تأثرت جدا بسبب الاضراب ولم يتجاوز عدد اعضائها خمسة آلاف عامل عام ١٩٣٦ . ومن المؤكد أن الجمعية قد شلت تماما طوأل عامين ، اي حتى عام ١٩٣٨ حين أفرج عن قادتها النقابيين في ظروف انحسار الثورة وازدياد القمع ضراوة والاضلاع الاقتصادية في القطاع العربي سوءا . وقد بقيت الامور على هذه الحال حتى عشية الحرب العالمية الثانية اذ انخفض عدد اعضاء الجمعية في مطلع ١٩٤٠ الى ما يقرب من اثنى عشر (١٧) .

بيد أن ظروف الحرب الثانية عادت فأكسبت الحركة العمالية إمكانات موضوعية وذاتية
لنهوض مجددا ، ويعبر عن ذلك جليا مؤتمر عام ١٩٤٣ لعمال المعسكرات ، حيث كان
مندوبو المؤتمر يمثلون ٢٨٠٠٠ عامل وقد تمكنت الجمعية من فتح ما يقارب الثلاثين فرعاً
لها في أنحاء مختلفة من فلسطين وبلغ أعضاء هذه الفروع ٣٥٢١٧ عاملاً (١٨) .

أن الأمور الأكثر دلالة هي أن جمعية العمال العرب استطاعت أن تشتبك في مؤتمر
نقابات العمال الدولي الذي عقد في السادس من شباط ١٩٤٥ ، بدلاً من الهستدروت الذي
كان عضواً يمثل الحركة العمالية في فلسطين . أن هذا الكسب السياسي قد سبب
انزعاجاً حقيقياً للهستدروت الذي حاول عبثاً التقليل من شأن جمعية العمال العبرية
والتأثير ضدها بين أعضاء المؤتمر (١٩) .

أن الانقسام العمودي بين العمال الفلسطينيين والعمال اليهود كان شبه كامل ، فالعمال
العرب منخرطون في نقاباتهم الخاصة ما عدا قلة قليلة كانت منضوية في فروع
الهستدروت المخصصة للعرب والمار ذكرها . فيما كان للعمال اليهود نقابتهم الخاصة
الهستدروت واحزابهم الخاصة ، الاحزاب الصهيونية اليسارية .

انتظيم الوحيد الذي كان يجمع بين العمال العرب والعمال اليهود هو الحزب الشيوعي
في فلسطين . أن الكوادر العليا لهذا الحزب كانت في معظمها يهودية . وهذا ما جعل
أعضاء الحزب من العرب قليلي العدد جدا . كما أن الأيديولوجيا السائدة ، القومية
والدينية بين العمال الفلسطينيين كانت أيضاً سبباً إضافياً لابتعاد العمال الفلسطينيين
عن الحزب الشيوعي . هذان العاملان كانا يجعلان الشيوعيين الفلسطينيين القلائل
« معزولين » ومنبوذين (٢٠) . أما العمال اليهود الذين ينتمون للحزب الشيوعي فانهم غالباً
ما كانوا يهاجرون من فلسطين بمجرد ما يعون وضعهم الحرج كمستعمرين ، لكونهم قد
هاجروا غالباً تحت تأثير الدعاية الصهيونية . فقد كانت عودتهم الى الاوطان التي
هاجروا منها المخرج الوحيد لهم ، بصفتهم شيوعيين واعداً للاستعمار ، من التناقض
للذي كانوا يواجهونه .

من جهة أخرى كانت حكومة الانتداب تهجر جبراً كل من يثبت لديها انه يهودي شيوعي .
وكانت « تحرم دخول الأراضي الفلسطينية على المهاجرين المشبوهين بالبلشفية » (٢١) .
بيد أن قيادة الحزب الشيوعي لم تكن قيادية أممية ، لقد كانت خاضعة لتأثيرات
الأيديولوجية الصهيونية السائدة من جهة وللماضي الصهيوني لعديد كبير من مناضلي
الحزب الذين غالباً ما مروا ، عبر مسيرتهم نحو الحزب الشيوعي ، بالاحزاب الصهيونية
اليسارية . وهنا نجد علة عدم الاستقرار في حجم الشيوعيين ، هذا الاستقرار الذي كان
ينحصر باستمرار في قوة الحزب (٢٢) .

إن تقطع الضعف الأساسية في الحزب الشيوعي الفلسطيني هي تكونه كنتيجة للاندماج
في صلب الحزب العمالي الاشتراكي ، هذا الاندماج الذي حصل في سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ .
بين أقصى يسار البوعيلي تسيون في فلسطين ، وبين عدد كبير من الفرق الصغيرة التي
كانت قد انفصلت عن البوعيلي تسيون في أوروبا الشرقية . كان الحزب العمالي
الاشتراكي يعلن بأنه من انصار أيديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » وهو لذلك لم يكن
يختلف اختلافاً جذرياً عن برنامج الاحزاب الصهيونية اليسارية . وليس من باب الصدفة
أن الحزب لم ينضم فوراً للاممية الثالثة ، كما أن الحزب العمالي الاشتراكي ساهم في
المؤتمر التأسيسي للهستدروت حيث حصل على سبعة مقاعد من مجموع ٨٧ مقعداً ،
وكان يجب استخدام اليديش لكن مطالب دعائية فعالة قادته الى التخلي عن اليديش
واستعمال العبرية .

لقد توصل القادة الصهاينة من جهة وسلطات الانتداب من جهة ثانية ، الى أن الحزب

العمالي الاشتراكي هو المتطور من جوانب أول ايار ١٩٢١ ، ومن ثم انصار ثقافته
الاربعة عشر من فلسطين التي الاتحاد الشيوعي . ان ضعف تماسك الحزب النظري ،
والتناقضات الداخلية غير المحلولة في صفوفه والقمع البوليسي الذي بدأ يتعرض له بعد
ابعاد قيادته خارج البلاد ، ادت الى عدم قدرة الحزب على الصمود امام ازمتة العالم .
وهكذا انهيار الحزب كحيا ونوعيا في اقل من ثلاث سنوات ، وهكذا اصبح اعضاء الحزب
سنة ١٩٢٤ . ٨٠ عضوا بعد ان كان عدد الشيوعيين (عربا ويهودا) في سنة ١٩٢١ قد
ناهر ٣٠٠ عضو (٢٢) .

منذ ذلك التاريخ تحول الحزب الى السرية ، واصبح اعضاؤه متلاحقين . لكن بنية الحزب
القومية المتنافرة (عرب - يهود) وتاثر الاعضاء العرب بالمشاعر القومية وخضوع عدد
هام من الاعضاء اليهود لتاثيرات الصهيونية ، ثم خضوع الحزب ككل لسياسة ستالين
المتقلبة ، كل هذه العوامل جعلت الخلافات الداخلية تتفاجر بسبب هذا الحدث او ذلك
ضمن سلسلة الاحداث التي كانت تهز فلسطين بعنف . واهم انفجار انجر اليه الحزب
هو انشقاق ١٩٢٢ الذي انتهى في سنة ١٩٢٣ الى الوحدة مجددا وعلى اسس جديدة .
فقد صادق مؤتمر الحزب في ١٩٢٣ على خط جديد معاد كليا للصهيونية . لقد رفض بيان
المؤتمر « الصهيونية البروليتارية » التي كانت شعار الحزب في السنوات الماضية .
وقطع كل علاقاته بيسار البوعيلي تسيون . وفي هذا المؤتمر تغير اسم الحزب . من
الحزب العمالي الاشتراكي الى الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبعد اعلان الحزب بتغير
اسمه ، تم قبوله من طرف اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة في موسكو كعضو فيها .

ادت هذه التحولات الايديولوجية الى توجه الحزب في سياسته الجديدة الى الجماهير
العربية الفلسطينية ، بشكل اساسي ، تحت شعار « على الحزب ان يغادر العمود
اليهودي » (٢٤) . وكان من الهستدروت ان طردت « الجناح العمالي » او المعارضة
الشيوعية القائمة داخلها لخط الاخيرة المعادي للصهيونية ، والتي انتهت الى « تعريب »
الحزب الشيوعي وانتمائه للاممية الثالثة . واعلنت الهستدروت عن تصديها في
المستقبل لكل معارضة داخلية تتبنى خطا مشابها .

وهكذا اتجه الحزب الى العرب والى اليهود الشرقيين الذين ظلوا طوال السنوات
الماضية مهملين وظلت لهم احزابهم ونقاباتهم الخاصة المنفصلة عن نقابات اليهود
الوافدين من أوروبا الشرقية والغربية واحزابهم . كما اتجه الحزب في دعايته نحو الفلاحين
لتحريضهم على عدم بيع اراضيهم للصهاينة (٢٥) . بيد ان نقطة الضعف في الحزب بقيت
قائمة ، وهي قلة الاعضاء العرب فيه .

ومع عام ١٩٢٨ انقسم الحزب من جديد . لكن هذا الانقسام لم يؤثر في الحزب ككل ،
نظرا للزمة الاقتصادية الحائقة التي كانت تدفع الى صفوفه باعداد كبيرة . الا ان
الانقسام الخطير جاء في العام التالي الذي كان تنويجا مباشرا لموقف الحزب من احداث
١٩٢٩ التي وصفها الحزب بأنها « ثورة معادية للامبريالية حولها اعوان الامبريالية التي
فتنة ضد اليهود » (٢٦) . ومن الواضح ان هذا التقييم لاحداث ١٩٢٩ كان نتيجة لضغوط
مكتب الاممية الثالثة على الحزب . ان الحزب قد هالته الاحداث في البداية الى حد انه
اعطى الاوامر لمناضليه ليشاركوا في وحدات الدفاع الذاتي جنبا الى جنب مع الهاجاناه ،
هذا القرار الذي اتخذ بمواقفة القائد الشيوعي التشيكي سميرال ، مبعوث الاممية الذي
كان ابان الاحداث مقيما في فلسطين (٢٧) . وقد ادان مكتب الاممية الثالثة ضمنا هذا
الموقف ، عبر ادانته لموقف الحزب الشيوعي من الاحداث .

لقد اعتبرت الاممية الثالثة احداث ١٩٢٩ ثورة فلاحين حقيقية ، رغم ان بعض القوى
الرجعية كانت على رأسها في المرحلة الاولى لانطلاقها . وقد اشار مكتب الاممية الى

الشعارات التي كان على الحزب الشيوعي ان يرفعها مثل : « احتلال الارض ، تشكيل اللجان الثورية من الفلاحين والبدو ، الثورة الزراعية . الخ » كما انتقد بيان الاممية الثالثة الحزب الشيوعي في فلسطين لعدم تمكنه من الاعراس بين جماهير الفلاحين الفلسطينيين العرب . وقد اكدت الاممية الثالثة على ان هذا العجز الذي اصاب الحزب ناتج عن سوء نية قيادة الحزب ، ووجهت مجددا تعليماتها الى القيادة بـ « تعريب الحزب من اسفل الى اعلى » (٢٨) .

ومن المعروف ان لينين في مؤتمر باكو ١٩٢٠ للحزب الشيوعية في افريقيا واسيا قد وجه النقد المرير للحزب الشيوعي المصري لان قيادته لم تكن نابعة من الاغلبية ، بل من الاقلية الطائفية . وطالب لينين الاحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا بان تحمل على راسها قيادات من الاغلبية القومية لا من الاقلية القومية . لان ذلك هو اجد الشروط التي تجعل هذه الاحزاب جماهيرية ، لا احزابا طائفية او اقلية معزولة عن اوسع الجماهير الشعبية .

ومن جهة اخرى حذرت وثيقة الاممية الحزب الشيوعي في فلسطين من التعاون مع البوعيلي تسيون الذي « اندمج بالفاشية » و اشارت الاممية الى ضرورة تشكيل اتحاد يضم جميع الاحزاب الشيوعية في جميع الاقطار العربية (٢٩) . ومنذ هذه الحقبة اصبح الحزب الشيوعي الفلسطيني يدعم باستمرار الحركة الوطنية الفلسطينية الى حد انه اصبح ذبلا لحزب الاستقلال الذي كان يمثل الاتجاه الاكثر تقدما في الحركة الوطنية الفلسطينية رغم ان قيادته ، كان يغلب عليها الطابع الاقطاعي العائلي .

اثناء ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ رفع الحزب الشيوعي شعار « التحقوا بحركة التحرر العربي » . وكان اعضاء الحزب يعدون الالف . وقد دعم الحزب بدون ادنى تحفظ نقدي ، المفتي وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية . ودعا الحزب اليسيف (التجمع البشري اليهودي في فلسطين قبيل تكوين اسرائيل) الى المشاركة في الثورة ضد المهاجرين الصهاينة . واكثر من ذلك قام مناضلو الحزب انفسهم بمحاولات تخريب لمبنى الهيستدروت في حيفا وتل ابيب . وقد جاء في تعميم صادر عن اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٣٦ « ان القنابل التي قذفت على نقابة العمال في حيفا ، القاها اعضاء من الحزب الشيوعي الفلسطيني حسب اوامر صدرت اليهم من اللجنة المركزية للحزب » (٣٠) .

ان هذا الخط الجديد للحزب ، قد دفع بالشيوعيين اليهود الى الانسحاب من الحزب كتكافة ، خاصة عام ١٩٣٧ حيث اثار دعم الحزب للحاج امين الحسيني ، انشقاقا خطيرا داخل الحزب . وادى فيما ادى اليه الى تمرد مروع بكاملها عن الحزب كما هي الحال مع فرج تل ابيب وقد تم فصلها من الحزب بتهمة عدم الانضباط . كما ادت السياسة ، غير النقدية للحزب ازاء الاحزاب القومية ان عدد كوادره العربية ، تخلت عنه وانضمت الي حزب الاستقلال (٣١) اما السلطات البريطانية فقد واصلت بدورها نفي اعضاء الحزب من اليهود الى خارج البلاد ، في الوقت الذي لم تر اي مبرر لتقوم بذات الشيء ازاء اي قائد صهيوني اشتراكي .

عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كان عدد اعضاء الحزب من اليهود نحو ٣٠٠ عضو ، يضاف اليهم حفنة من الكوادر العربية (٣١) .

ان الصورة الاجمالية لمسيرة الحركة العمالية الفلسطينية واليهودية فيما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ - ١٩٣٩) تتميز بالضعف العددي والنوعي ، الكفاحي والتنظيمي . لكن برغم كل ضعفها تبقى النقطة الالامعة للطبقة العاملة الفلسطينية مشاركتها الفعالة في اضراب عام ١٩٣٦ المجيد الذي دام ستة شهور .

1 N. Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël*, (Maspero, 1969), p. 183.

2 - لآخذ صورة أكثر تفصيلاً راجع : النظام

الاقتصادي في فلسطين (بيروت ١٩٦٩) ، الفصل الخامس . جدول رقم ٢٧ صحنه ٢٧٣ .

3 - شؤون فلسطينية ، العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١-) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب » . لهاتني جوراني ص ١١٩ - ١٢٤ .

4 - Tony Cliff, *The Struggle in the Middle East, International Socialism Pamphlet*, (London, 1967); Richard Williams - Thompson, *The Palestine Problem* (London 1946), p. 81.

5 - نفس المصدر السابق ص ٨١ .

6 - نفس المصدر السابق ص ٨١ .

7 - *Le Rôle du Sionisme ou le Moyen Orient au Carrefour*. (Paris, 1968), p. 19.

8 - نفس المصدر السابق ص ٢٢ .

9 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١٩٠ .

10 - المصدر السابق ، ص ١٨١ .

11 - المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

12 - المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

13 - المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

14 - علي عناد خريس ، *الحركة النقابية العمالية في الاردن* ، (عمان ١٩٥٧) ، ص ٤٣ - ٤٤ .

15 - المصدر السابق ص ٤٦ ، كذلك راجع المقالة المنشورة في مجلة شؤون فلسطينية في العدد المذكور انفا .

16 - المصدر السابق ، ص ٤٦ .

17 - المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

18 - المصدر السابق ، ص ٤٦ .

19 - راجع المصدر السابق ص ٤٩ ، كذلك مجلة شؤون فلسطينية العدد الخامس .

20 - W. Z. Laqueur, *Communism and Nationalism in the Middle East*, (London, 1956) p. 73.

21 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٦ .

22 - لكوير ، نفس المصدر ، ص ٧٣ .

23 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٦ .

24 - لكوير ، نفس المصدر ، ص ٧٦ - ٧٧ .

25 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٧ .

راجع ايضا الدراسة الهامة : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين بقلم ا. شلستر ترجمة رياض يونس في *تراجمات عربية* ، السنة السادسة العدد العاشر (١٩٧٠) ، ص ٢ - ٣٩ .

26 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١٨٨ .

27 - Joseph Berger, *La rupture avec les Communistes*. (Ed. les Nouveaux Cahiers, Paris) Vol. 13-14, pp. 34-38.

28 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١٨٨ .

راجع ايضا الوثيقة الصادرة عن المؤتمر السابق للحزب الشيوعي الفلسطيني « مهمات الجورت الشيوعي الفلسطيني في الأرياف » والتي جاءت استجابة وصدى لتوصيات مكتب الاممية الثالث (الكومنترن) والمنشورة في : *الاممية الشيوعية والثورة العربية وثائق ١٩٢١* (دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٢١ - ١٧٢ .

29 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١٦٩ .

30 - كلف ، نفس المصدر ، ص ٢٢ .

31 - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

الأدب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني

رشاد الشامي

في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، والانتصار المفاجيء الذي أحرزته اسرائيل ، وحقتت بفضلها توسعا اقليميا جديدا في الاراضي العربية عبر كل من مصر وسوريا والاردن ، عمت الحياة الثقافية في اسرائيل ظاهرة جذيرة بالملاحظة والمتابعة والتحليل ، حفلت بها صفحات الملاحق الادبية الاسبوعية للصحف العبرية — وقد كانت هذه الظاهرة هي وضع الادب العبري ، ان جاز القول ، في قفص الاتهام ومحاكمته بقصد اخذ ما يجب ان يؤخذ عليه ، وازافة ما يجب ان يضاف لصالحه ، وكان موضوع المحاكمة هو : « كيف حدث في الواقع الاسرائيلي المعاصر انه بدلا من ان يسير الشاعر امام الجندي ان سار الجندي امام الشاعر ؟ كيف حدث ان الشحنة من الرغبة العميقة لدى الشعب نحو التوسع وراء الحدود الخضراء ، وهي الشحنة التي طغت اليوم على السطح — كيف حدث ان هذه الشحنة لم تظهر من قبل ولم تجد لها صدى وتعبيرا في انتاج الكثيرين من اديباء اسرائيل ؟ » .

وقد حاولت هذه الاسئلة التي طرحها المدعي العام الادبي ضد الادب الاسرائيلي ان تبحث عن اجابة للسبب الذي جعل « قانون الشاعر » الذي يتلقى وحيه من حقيقة هي فيما وراء مصالح الساعة لا يفرض نفسه على « قانون الديبلوماسية » الذي يتحدد وفقا لمتطلبات الساعة ، وانما حدث العكس ، وهو استجابة الشعراء والادباء لما حققته « قانون الديبلوماسية » ، و « قانون الحرب » ، وبدأوا يهللون للقديس والخليل ونهر الاردن والجولان وسيناء مهبط الوحي الموسوي من واقع ان ذلك قد فرض عليهم ، ولكنهم لم يسبقوا العسكريين اليه بخيالهم ، وذلك فيما عدا نفر قليل منهم .

لقد كانت الاحتجاجات صارخة لان بعض الاديباء الاسرائيليين وضعوا فواصل بين الروح والمادة ، وبين الموضوعات الابدية والموضوعات الوقتية . لقد كان المطلوب من الادييب أو الشاعر الاسرائيلي ان يستجيب تماما لمتطلبات التوسع الصهيوني ، وكما يسير القائد امام جنوده ودياباته ويصيح صيخته العسكرية « ورائي » ، كان على الشاعر ان ينطق بنفس المعنى في منظومات تخترق حدود الارض التي اغتصبتها اسرائيل قبل ٥ حزيران الى المناطق الجديدة التي احتلتها جيش الدفاع الاسرائيلي ، والتي يتضمنها « الزمور القديم » ، الذي تعني بتلك الحدود ، وربما بما هو ابعد منها ، وتخطى بذلك ، حسبا يعتقد من عقدوا هذه المحاكمة ، رؤوس الكثيرين ، ومن هم ممتازون من بين اديباء اسرائيل ، وجعل قضاوندهم في المؤخرة .

وقد كانت صحيفة « معريف » الاسرائيلية المسائية والواسعة الانتشار من أولى الصحف التي اولت هذا الموضوع اهتماما خاصا ، وأفردت له الصفحات . وقد عقدت المحررة جنولا كوهين مع نخبة من اديباء وشعراء اسرائيل ممن يشكلون تيارات الادب العبري المعاصر تمثيلا حقا لانهم هم الذين يحددون ملامحه واتجاهاته ، حلقة مناقشة نشرتها الصحيفة في اعدادها الاسبوعية : ١٩٦٨/١٠/٦ ، ١٩٦٨/١٠/١٣ ، ١٩٦٨/١٠/١٨ ،

١٩١٨/١٠/٢٥ ، ١٩١٨/١١/١٠ ، ١٩١٨/١١/١٨ ، ١٩١٨/١١/١٨ . وانضمك في هذه الحلقة من اديب
 وشعراء اسرائيل المعاصرين ، ابراهام شلونسكي ، وخييم جوري ، واليروسلور باروخ
 كورتسيفيل* ، وعموس عوز ، وموشي شامير ، واسحق شيلاف ، وبنيامين جلالي ،
 وموشي دور ، وموشي براجر ، ويعقوب اورلاند ، وعزرا زوسمان . ونشرت المناقشة
 تحت عنوان : « هل قال ادبنا هو الاخر « ورائي ! » » ، ووجهت خلالها لهذه المجموعة
 عدة اسئلة ضمنها كل ما اثارته الدعوى ضد الادب العبري في اسرائيل قبل ٥ حزيران ،
 وضد المناخ الادبي العام في اسرائيل .

وأول هذه الاسئلة وأهمها ، ذلك السؤال الذي اخترنا تناوله لما يحويه من دلالات كثيرة
 بالنسبة لدور الادب العبري في الحياة والمجتمع الاسرائيلي ، من ناحية ، وبالنسبة لموقف
 الادب العبري من قضايا التوسع الصهيوني ، من ناحية أخرى . يقول السؤال : كيف
 حدث في رأيك أن الادب في اسرائيل لم يقل — أن جاز لنا أن نستخدم بالمفهوم الرمزي
 جدا ذلك الاصطلاح الشعبي الشائع — « ورائي ! » ؟ كيف حدث — فيها عدا أ.ص.ج .
 (أوري تسفي جرينبرج) (١) وقليلين آخرين — أن وصلنا الى أجواء طبيعية قديمة حديثة
 في حياتنا دون أن يسبقنا أو يواكبنا اليها شعر شعراء اسرائيل ؟ وهذا السؤال على هذه
 الصيغة يكرس نية العدوان والتوسع المسبقة عند اسرائيل لتحقيق اطماعها التوسعية في
 العالم العربي مرحلة اثر مرحلة . فالسؤال يحوي في فحواه مأخذا على الادب العبري ،
 ليس في عمومه ، ولكن بالنسبة لبعض تياراته ، لأنه لم يكن متسقا مع حدود هذه الاطماع
 التوسعية ، ولم يسبق بخياله آلة العدوان المحققة للتوسع ، ولم يتغن بتلك المناطق التي
 تم احتلالها الا بعد أن أصبحت واقعا ملموسا محققا بقوة السلاح . وهذا الموقف هو
 استمرار طبيعي للسمة التي ميزت الادب العبري الحديث منذ بداية مواكبته لمرحلة
 الاحياء القومي اليهودي ، وهي سمة الادب المجند . فقد كان الادب العبري منذ عصر
 الاحياء القومي اليهودي في نهاية القرن التاسع عشر في أساسه ادبا قائما على الدعوة
 الايديولوجية الصهيونية ، وكانت الصفة الاساسية له هي أنه ادب مجند يخدم أهداف
 الفكر التوسعي والعدواني الصهيوني ويخضع لمتطلباته . وعلى هذا الأساس فان أي إنتاج
 ادبي ، شعري أو نثري ، لأي اديب يهودي أو اسرائيلي ، كان يحكم عليه بهذا المعيار ،
 وكان يعتبر ادبا قوميا بقدر ما يحققه في سبيل العودة الى صهيون (في مرحلة الهجرات) ،
 أو بقدر ما يكرس اغتصاب فلسطين العربية وقيام الدولة اليهودية (ابان قيام الدولة) ،
 أو بقدر ما يكرس التوسع الصهيوني في البلاد العربية (بعد قيام الدولة) . وعلى هذا
 الأساس مثلا اعتبر الشاعر اليهودي الروسي حبيم نحمان بياليك (١٨٧٣ — ١٩٣٤)
 شاعرا للقومية اليهودية ، لأنه ثار في شعره على الشتات اليهودي ، وعلى حياة المنفى ،
 وحفز في احدى قصائده ، وهي قصيدة « في مدينة الذبح » اليهود الى اقامة حركة
 « الدفاع الذاتي » بعد مذابح كيشنيف عام ١٩٠٣ ، واحيا كنوز التراث العبري
 الكلاسيكي ووضعها في خدمة الاحياء القومي الصهيوني . ومن بعده ظهر جيل كامل من
 الادياب والشعراء الذين ساروا في خط تكريس قيام الدولة ، واطماع التوسع الصهيوني
 أمثال : ابراهام شلونسكي (٢) ، وناتان التزمان ، وأوري تسفي جرينبرج وغيرهم ممن
 سبقوا بخيالهم طلقات المدافع ، وصنعوا العنصرية بأحرفهم ، والتوسعية بكلماتهم ،
 والعدوانية بقصائدهم .

وإذا عدنا الى هذه الحلقة من المناقشة حول السؤال المطروح لوجدنا أمامنا ان اديب
 اسرائيل يكادون يتلون تيارا واحدا ، مع بعض الاختلافات هنا أو هناك ، ولكنها ليست
 اختلافات جذرية تصل الى حد تقسيمهم الى معسكرين . ان الاديب عاموس عوز (٣) ،

* توفي في أواخر شهر أغسطس ١٩٧٢ .

على سبيل المثال . يرفض فكرة ان يكون « الادب المجند » كنوع من أنواع الادب الشرعي والحيوي ، هو النوع الوحيد ، ويحتج على ما يسميه « التفسير العدواني الذي يريد ان يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث هما غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح ، او في ادخالها الى داخل النص فانه يرفضه . واستنادا الى هذا فانه يأخذ موقفا جديدا من تفسير كل ما اصطلح على تسميته بأنه « ادب قومي » او « ادب دعوة صهيوني » . فهو مثلا يرى ان القضايا التي تناولها بياليك في شعره وفسرت على انها قضايا قومية ، هي في الحقيقة « احتجاج شخصي ضد نظم العالم . . » . ويرى كذلك ان برينر الذي مالوا الى اعتبار قصصه مرآة للجيل أو صرخة غضب وشق طريق ، « يحكى عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر » . وقصص س. يزار التي تقدم حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية العربية ، يراها عوز باعتبارها « مجرد قصة عن يهود ويهود » ، وأكثر من ذلك « عما بين يهودي تساب ونفسه الممزقة » .

وعوز بتفسيره هذا انما يرفض توظيف الادب لخدمة غرض أو أيديولوجية ، ويرى ان كل ما ينطق به الشاعر او يكتبه الاديب ، انما هو انعكاس لذاته ، ولذاته فقط ، وليس لاي شيء اخر . وعلى هذا الأساس فانه يرى « ان القصيدة او القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة ، اولا وقبل كل شيء ، من كلمات ومن جمل » . وفي مواجهة السؤال المطروح يحدد موقفا قاطعا يرفض به ان يخضع لمطالبات الادب المجند ، فيقول : « انني لم اظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني أقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنك مزيفا . . » . وهكذا يحدد عاموس عوز موقفه باعتباره ممن تجاوزوا في الادب العبري التعبير عن « النحن » ، وانتقلوا الى الاهتمام « بالانا » ، بالفرد وضراعاته وأسانيه مع نفسه ، رافضا بذلك ان يكون مزيفا ، وهو بذلك يعكس اتجاها كاملا بدا يظهر في الادب العبري المعاصر منذ الستينات تبرز فيه أسماء لادباء مثل ابراهام بن يهوشع ، وعماليا كهنا كرمون ، ويهودا عميحي وغيرهم .

أما موشي شامير (٤) فهو يرى ان الادب العبري « ساعد كثيرا ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » ، ويرى كذلك ان « المناقشة الدائرة بين رجال « أرض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان الحق في الخليل بل هو ما اذا كان لنا الحق في تل ابيب وحولده ومشمر هاعبيك . . » . وهنا يقف موشي شامير موقفا يحاول فيه التوفيق بين توظيف الادب لتخطي الحدود البراهنة بعد التوسع ، وبين اقتصره على تكريس ما هو واقع والتغني به وتأصيله في النفس الاسرائيلية . وعلى هذا الأساس فانه يرى ان وظيفة الادب هي ان يقول « هنا » و « ها هو » و « الان » . ولكن هذه المحاولة التوفيقية لا تتضمن أي نوع من الرفض لما يحققه العمل العسكري من توسع اقليمي ، لان شامير لا يرى ان هناك أي تعارض او تناقض بين ما يحققه الجيش الاسرائيلي انطلاقا من النداء « ورائي » ، وبين دور الادب العبري في « خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » .

وبعد ذلك فان مجموعة الادباء الذين تحدثوا بعد موشي شامير وهم : اسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي (٥) ، وموشي دور (٦) ، وموشي براجر ، يشكلون تقريبا خطأ فكريا ومنهجيا واحدا . انهم جميعا يتفقون على ان « التناخ » (العهد القديم) هو مصدر الوحي الذي يستقون منه ارتباطهم بأرض فلسطين وفق حدودها التاريخية التي حددها لهم الوعد الالهي الوارد فيه ، ولذا فهم ليسوا في حاجة بعد ، ولا يرون ان هناك حاجة الى أي مثير شعري آخر يخطى بهم الحدود الخضراء نحو حدود التوسع الجديدة المرسومة في الخريطة الصهيونية وفقا لما حدده لهم مغني المزامير وصاحب المرثيات . وهؤلاء الادباء

هم من ممثلي ادب الدعوة أو الادب المجند، وبصفة خاصة اسحق شيلاف، عضو حركة « أرض اسرائيل الكاملة » وأشد المتعصبين لتحقيق التوسع الصهيوني فيما يسمى بحدود اسرائيل التاريخية .

وأخيرا فإن النص الكامل لموقف هؤلاء الادباء والشعراء من هذه القضية يلقي ضوءا أشمل على اتجاهات الادب العبري المعاصر وعلى التيارات المختلفة التي توجد فيه وعلى موقف هذه التيارات من قضية الخضوع لمطالبات الايديولوجية الصهيونية وفكرها التوسعي ومواكبة منطق العدوان الاسرائيلي وتغلظه في الارض الغربية دون سند من الحق أو القانون .

النص الحرفي لردود الادباء على السؤال (« مغني التاريخ يهمني أقل مما يهمني الافراد »)

عاموس عوز :

طوال فترة طويلة جدا ، وطوال كل سنوات جيل الاحياء ، وفترة الاستيطان في البلاد ، سادت لدينا وجهة النظر المؤمنة بأن الادب هو قوة تنير أمام المعسكر ، ووجهة النظر المؤمنة بأن الاديب هو وريث النبي . ومعنى هذا أنه الشخص الذي يناجي القوى التي لم يعتد عليها البشر العاديون مثل « روح الامة » و « حتمية التاريخ » و « حلم الاجيال » . الخ . وقد استبدت وجهة النظر هذه أسسها من أن الاشخاص العلمانيين بينما قد نموا من خلال ثقافة دينية لم تعرف من الادب سوى الادب الديني ، ولم تعرف من الادباء سوى أولئك الادباء الذين يتوجهون الى روح القدس بالصلاة والتوسل والاجلال والديح . ومن الغريب انه حتى الثوريين الماركسيين واخرين من الذين كانوا بينما كانوا شركاء في وجهة النظر هذه التي تنبأها الثورة الماركسية هي الاخرى وهي : أن الاديب هو مبعوث ومرشد . وحتى يومنا هذا ما زال بينما أشخاص يتجادلون مع القصيد كما لو كان في المنظومات تجرئ ما ، ويتجادلون مع الرواية كما لو كانت خطابا سياسيا في حفلة وفي خلال جيل البعث القومي كان هناك ادباء تحدد موقفهم الادبي على هذا النحو وكان هناك شعراء تحدد موقفهم على نحو غير هذا ، ولكن مغسريهم فسروهم على اعتبار انهم كتبوا من أجل الجدل الفكري . وسوف أقدم ثلاثة نماذج منهم : قصيدة « في مدينة الذبح » التي كتبها بياليك ظللنا لمدة جيلين ننظر اليها باعتبار انها صرخة من الشاعر من أجل « الدفاع الذاتي » وكوعظ ضد « حرب الفئران واختفاء البق » . ولكنني حينما أقرأ هذه القصيدة اليوم وحينما ادرسها كمدرس للادب فإني أجد فيها احتجاجا شخصيا ضد نظم العالم ، ذلك العالم الذي فيه : « أشرق الشمس وازهرت الشجرة وذبح الجزار » ، وهذا من طبيعة الامور . والمثال الثاني قصص برينر^(٧) التي مالوا الى اعتبارها مرآة للجيل او صرخة غضب وشق طريق . والحقيقة ان برنار يمكن عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر .

و « خربة خزعة » التي كتبها « يزهار » تقدم البنا حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية - العربية . وفي الحقيقة فإن هذه القصة ليس فيها اي اشارة لذلك ، وهي مجرد قصة عن يهود ويهود ، وأكثر من ذلك : عما بين يهودي شاب ونفسه الممزقة . والحقيقة هي انه في جيل الاحياء كانت الحلقة التاريخية الاجمالية والحلقة البيوجرافية تشكلان حلقة واحدة لا انفصال فيها ، وذلك لان الثورة المثيرة التراجمية التي مرت على معظم الشعب اليهودي - مرت على الفرد ، وبالاخص على الفرد الحساس . لذلك فقد اعتدنا جميعا على أن نعتبر الادب « المجند » أو الادب الذي « يعكس وجه الجيل » هو النوع الوحيد من الادب ، وربما كنا بذلك شركاء في وجهة النظر الثقافية لكثير من الشعوب في أوقات الثورة .

والشيء الذي أتوله هو أن « الادب المجند » هو نوع ادبي شرعي وحيوي ، ولكنه ليس النوع الوحيد . وأنا أعارض التفسير العدواني الذي يريد أن يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث هما غير موجودين . وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح أو في ادخالها الي داخل النص فإننا نرفضه .

الى اي مدى يتخلل اي إنتاج روح عصره - ان هذا الامر من الممكن أن نحدده فقط من خلال تقب فكر الاجيال . ففي أوائل القرن التاسع عشر اهتزت الارض في روسيا وكتب عشرات الروايات . وقد وجد دستوفيسكي أنه

من الصواب ان يحكي ، على سبيل المثال ، عن طالب مهتر الفكر من الدرجة الثالثة في ضاحية منزلة من الدرجة الرابعة ، يرتكب جريمة قتل من الدرجة الخامسة — وبالرغم من هذا فقد استوعب وتشكل روح العصر اكثر الف مرة من اولئك الذين تناولوا الفياصرة والثوريين . ومن الممكن ان نقول هذا ايضا عن « فلوير » وعن قصته « الام بوغاري » . وقد أمسك تيار ادبي في النثر العبري في السنوات الآخرة بطرف الخيط الذي تركه له ادياء مثل جنسين وبرينر وعجنون ، ووفقا لتفسير ليس حقيقيا بالذات و « ايدولوجي جماعي » لكتابات هؤلاء الكتاب كان هناك اتجاه نحو « ضواحي الواقع » ، واهملت محاولة امسك « الثور الواقعي » من قرنيه . لقد خلغ الاديب رداء النبي وكف عن تناول الامة واختار تناول الاشخاص ، وكف عن تناول التاريخ والكيوننة العائنة ، واختار تناول قوى الفرد وحالات الوجود المتررة والثابتة والتي لا تتكرر . لقد كف الاديب عن أن يكون مجرد عارض واختار أن يكون قصاصا . الى اي مدى نجح هؤلاء الادياء في استيعاب كل سلسلة الجبال في العصر حسب انعكاسها في شطبية زجاجية لركن واحد من أركان الحياة — من الممكن أن تكون الاجابة على هذا السؤال من آخر الاجيال . لست اعتقد أن العصر يمكنه أن يكشف « روح عصره » . لقد كنت أريد أن أؤكد أنه ليست هناك على هذا النحو أية ثورة في الادب العبري ، ولكن ما يوجد فيه هو كشف وإعادة تفسير لما كنت أسميه « الخيط الرفيع » في شعر بياليك و ا. ص. ج. السابق وشتيانبرج^(٨) وفوجل ونثر برينر وبرديتشفيسكي^(٩) وجنسين وعجنون . وإذا كان هناك تجديد في النثر وفي الشعر في السنوات الآخرة بالمعارنة بالشعر والنثر في « جيل البالمخ » على سبيل المثال فان هذا قد حدث في المجال الذي كنت أطلق عليه : مسئولية جديدة للكلمات . لقد ساد بين مجموعة من الشعراء والادياء الشبان الاحساس بأن القصيدة أو القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة أولا وقبل كل شيء من كلمات ومن جمل . ولم يكن هناك « سير أمام المعسكر » لان هؤلاء الادياء والشعراء تخلوا مدركين وواعين عن الحث على السير أمام المعسكر . انهم ربما يكونون قد أحسوا بأنهم لا يعرفون الى أين يجب على المعسكر ان يسير وفضلوا ان يسيروا وسط المعسكر وربما في ذيله . وأنا نفسي لا أسير أمام أي معسكر لانني « لا اسبح أصواتا » أو « أوامر » . انني لم اظهر مع معنى التاريخ لانه يهمني أقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنت مزيفا .

موتشي شامير : الادب لا يقول ورائي بل يقول هنا وما هو والان ويجب الا نطلب منه أكثر من ذلك

ان هذا السؤال يثيرني من حيث المبدأ لانه قائم على الخطأ في فهم العلاقة بين الادب والحياة . ومما يؤسف له أنه يفسر تفسيراً غير صحيح كذلك مغزى النداء الذي يقول « ورائي » الذي يميز الفرد في جيش الدفاع الاسرائيلي . وسوف أبدأ بهذا . ان النداء الذي يقول « ورائي ! » مرتبط بالعلاقات بين القائد ومأموريته في التدريبات وفي واقع الجيش واساسا بالطبع في ميدان القتال . ومعناه : التمسك والإخلاص من جانب المتقاتلين في أعقاب قدوة شخصية مثالية من قائدهم . ومما يبعث على سعادتنا أن هذا النداء (حتى في نطاق جيش الدفاع الاسرائيلي) لا يتضمن آراء سياسية وعقيدة دينية ومغزى خاص في عمار الحياة أو وجهة نظر في الموضوعات الثقافية . الخ . ان توته وقيمه تكبران — مثل قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وقيمه — في انه داخل مجتمع ديموقراطي مفتوح ومتعدد الألوان يمكن من التركيز الامتسى لكل القوى في ساعة الضرورة وفي وقت الخطر — لدرجة التضحية بالنفس — من أجل حرب الدفاع عن الشعب . وليس أكثر من هذا ولا ينبغي ان يكون أكثر من هذا .

وبنفس القدر الذي نقول به ان لدينا « كل الشعب جيش » فانه صحيح كذلك وبنفس القدر ان نقول — وهو مما يثير الغبطة — ان كل الجيش عندنا شعب .

والادب العبري لا يمكنه بالطبع الا يكون عاملا اجتماعيا مظه مثل أي أدب في العالم . والادب العبري يوجد امامه طريق واحد فقط ونسبة تأثيره الروحي تنطوي هنا على كينيته الفنية — والطريق هو اعطاء حرية مطلقة وطبيعية للتعبير الحقيقي والاصيل لكل هذا القوس المتعدد الألوان من حياة الانسان من المجتمع الاسرائيلي . وإذا كان هناك في هذا الادب شاعر أو شاعران يدفعهم الحساس النفسي الداخلي الحقيقي عندهم الى التفني بنبوءة نداء « ورائي ! » — فان هذا الامر يكون ملموسا في نوعية نتاجهم . انه لا بد من قوة شاعرية هائلة

— مثل تلك التي عند أ. ص. ج. — حتى يمكن أن تخرج تصيدة كهذه بسلام من محنة الأتزان وإن كانت في نهاية الأمر ستكون على قدم المساواة — في قلب القارئ. — مع تصيدة غنائية منظوية على نفسها ومتدفرة بالتم الوجود وحيرة الكيونة .

وما هو أهم من هذا إننا لن نتمكن أبداً من تحديد أي الاثنين « سيرتفع » أكثر إلى الكيان الروحي للمجتمع الذي أنتج فيه ومن أجله .

هل « العمود السابع » الذي يكتبه « ناتان الترمان » (١٠) فعل من أجل تعليم الجيل وتشكيل الشكل الخامس الأصيل للشباب الإسرائيلي أكثر مما فعله باب « بهجة العيون » على سبيل المثال ؟

وبالنسبة للآداب الفتى — أعتقد انه فعل ما هو ربما أهم من تحديد هذه الأهداف أو غيرها لتقدم جيش الدفاع الإسرائيلي خلال حرب دفاعه : لقد ساعد كثيراً ، وفق أحسن قوته ، على خلق الإحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد . وهذا الأمر لم يتم وفق خطة منظمة — بل وفق مضمون طبيعي للحياة على ما هي عليه . وهنا من الممكن التحدث عن مجموع شامل ، بالتأكيد ، لتأثير جيل كامل في الأدب — وإن كان يشمل اتجاهات مختلفة تماماً للمؤلفين الذين يناقش كل منهم الآخر أحياناً في طابعه ووجهة نظره . هذه هي قوة الأدب — وهذه هي عقدة تأثيره — حيث أنه دون قصد وبهيزان عناصر مختلفة ومتباعدة ودون خط أيديولوجي موجه — يكشف رويدا رويدا عن الأسس الخفية للعامل المشترك للعامل الدائم — وهو يكشف بواسطة ذلك عن العامل صاحب التأثير .

إن الشيء المشترك العميق في الأدب العبري لإنشاء الجيل هو الإحساس بالوطن . إن هذا الإحساس لا يمكن لأحد أن يسلبه إياه . إن هذا الإحساس هو إحساس التبعية المتبادلة بين اليهودي وبلده — الإحساس الذي يمكن لكل التبريرات الأيديولوجية أن تتقدم وتفسره وتؤيده — ولكنها لا يمكن أن تدعى حق الإبوة عليه .

إن حقيقة أنه ليس لدي اليوم أي إحساس بالغرابة تجاه أرض حبرون (الخليل) — هذه الحقيقة تابعة من أنه لم يكن عندي إحساس بالغرابة تجاه تل أبيب . حتى في المجال السياسي فأنني أعتقد إن المناقشة الدائرة بين رجال « أرض إسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما إذا كان لنا الحق في الخليل بل حول ما إذا كان لنا الحق في تل أبيب وحولاده ومשמير هاميك . ولأناخذ على سبيل المثال انتزاع سن. يزهار . أنه من الناحية الأيديولوجية يعتبر من كبار المشككين عندنا . ولكننا جميعاً نعرف السر ، لأن البطل الرئيسي في انتزاعه ليس الفتى ذا الشكوك الشخصية وليس كذلك بالطبع النموذج المتشكك في جسده ذاته — بل طبيعة البلاد . إن التطهر والوضوح الذي يحدث في القصة العادية بواسطة الحادثة — يحدث عند يزهار بواسطة السر نحو الطبيعة ، نحو الوجود ، نحو السماء — وهي الأشياء التي يعود منها التطهر شخصاً آخر . وحينما ينتهي شخص من قراءة قصة ليزهار — ربما تبقى فيه همهمة من الشك ، ولكن تبقى فيه وبقوة أكبر بكثير ندوة حب طبيعة البلاد واناعتها والسعادة النابعة من الامتزاج بها . إن الأدب لا يقول حينئذ : « ورائي ! » ، بل يقول « هنا » و « ها هو » و « الآن » . ووفق رأيي يجب ألا نطلب منه أكثر من ذلك .

أسحق شيلاف : الأدب لم يحقق هدفه وهو :

المحافظة على جذوة الأشواق إلى إسرائيل الكاملة

يكفيني أن أذكر هنا ما قلته في « المائدة المربعة » التي عقدت منذ حوالي خمس سنوات حول موضوع « كيف نتحدث مع العرب » والذي تناولت فيه مع المشككين في المناقشة مشكلة الحدود .

لقد كتبت حينئذ وقلت « علينا أن نعلم الشباب على أساس أرض إسرائيل الكاملة . وهذا الأمر لا بد وأن يتم بواسطة الآباء ، ورياض الأطفال ، والمدرس ، والموجه في حركة الشباب ، والقائد في الجيش . وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور أحسن من كل هؤلاء الأدب العبري . ولكن هنا حدث شيء غريب ومطمح . لقد اجتمعت في ذلك الحين لجنة خططلت للحدود على الورق ، وهي الحدود التي أخذت في الاعتبار الفرد اليهودي والإمكانات ، وقد بدأ أدبنا العبري يتلاءم مع خريطتها . ومن المحتمل أن تكون هناك حتمية سياسية تفرض علينا حتى الآن ، ألا يسير أي يهودي إلى الجنوب من رامات راحيل وإلى الشرق من جبل صهيون ، ولكن كيف لا تسير أية

وإذا سألتنا : ما الذي يسبق الآخر - العمل البطولي أم القصيدة ؟ حينئذ سنرى : لقد كان هناك النضال اليوناني أخيلس ، ثم جاء هوميروس الشاعر وكتب قصة أخيلس . وبعد ذلك يقولون ان الكسندر المقدوني لم يتحرك بدون انتاج هوميروس لانه أراد أن يكون هو أخيلس الثاني . وبعد ذلك جاء بلوتراك وكتب حياة الكسندر المقدوني . وبعد ذلك جاء نابليون - الذي أحب بلوتراك للغاية ... ما الذي نراه حينئذ ؟ نوع من التتابع الشعر يأتي في أعقاب العمل ، والبطل والعمل البطولي يأتيان في أعقاب الشعر وهلم جرا . ولكننا إذا سألتنا مع كل هذا ، ما هو المحرك الاول ؟ - فإنتي أقول : ان البطولة تأتي أولا ، والتضحية والاصالة - وبعد ذلك يأتي الشعر والدليل على ذلك قصيدة « دبورة » (قصيدة تمجد البطولة في العهد القديم) وكل القدوات الكبيرة .

وأنا أعتقد أن شبابنا ليسوا - حسبما قال ذات مرة أورفي تسفي جرينبرج ، بحق ، ولكن عن موضوع آخر وبمناسبة موضوع آخر - مثل أولئك « الذين يقفزون الى وسط التاريخ » كما لو كان لا يوجد شيء قبل هذا ولا شيء بعده . ان شبابنا قد تعلم أولا وقبل كل شيء على « العهد القديم » وعلى تقاليد بطولة المكابيين ، وعلى أعياد اسرائيل وكل الشعر والبطولة التي تحويها ، وكذلك على الشعر الحديث ، وقد أعطى كل هذا لشبابنا المثل ، ولكن لا بد من أن نفترض انه مستاتي انتاجات أكبر بكثير في اعقاب اعمال هذا الشاب .

وإذا كان الحديث عن أجواء طبيعية فإن هناك أجواء طبيعية في الجغرافيا وفي التاريخ وكذلك في الادب وحتى في اللغة هي الأخرى عبارة عن منظر طبيعي ، كذلك فإن الإدراك اليهودي هو جو طبيعي ، كما أنه توجد أجواء طبيعية انسانية . لقد نقل الادب العبري العاري العبري عبر كل هذه الأجواء الطبيعية . لقد نقله عبر الأجواء الطبيعية لفلسطين والقدس - والشاعر « قرني » ، على سبيل المثال هو اللا - تروبادور لشعر القدس ، وفي شعر شعراء « البلماخ » كذلك يوجد الكثير من الأجواء الطبيعية للبلاد .

« هل عدنا اليوم الى أجواء جديدة - قديمة ؟ - ولكن من ذا الذي يعرف حقا متى يعود ، أو متى بالتحديد سيكلف عن العودة في أي مرة ... أنتي اذكر قصيدة تغيث بها لكتمان منذ ٢٥ سنة أثناء الحرب العالمية الثانية - والقصيدة تسير على النحو التالي :

كتمان أيا كتمان ،

في نابلس وفي بيت لحم ،

أشجار الزيتون القديمة تصدر خشخشة

وهناك في الجنوب

هبت العواصف ،

وتنبأ العرافون .

طرق كثيرة تؤدي الى روما

وطرق كثيرة توجد للقلب

وصيف البيت هو واحد أوحد

ومن يحل عليه - يهاجر

لذلك يعوي هناك ابن آوى في وحشية

وتنسلق في كل يوم قمة التل

وتنطلق الدخان في حلقات لا حصر لها

وتتطلع نحو طريق بئر سبع .

من أجل أي شيء ولماذا أعود فأشواق في هذه القصيدة لهذا الجو ؟ ربما كان هذا بسبب الجو « التناخي » (نسبة الى « العهد القديم ») الموجود في داخلي ، ولكن هذا يثبت أنني أيضا لست من أبناء أرض اسرائيل الكاملة ، لانه في اللحظة التي لا يوجد فيها جبل جريزيم وعيبال في الحدود الاملمية للدولة - فانها يكونان موجودين في داخل قلبي وسيظلان كذلك دائما ابدا في أرض اسرائيل الخاصة بي .

موثى دور : هل صاح مؤلف سفر أيوب قاتلا : « ورائي ! » ؟

ان الادب يهتم باتجاه الفرد

مستندرج في الإجابة حسب تسلسل الصعوبات : هل من وظائف الادب عامة — اذا كانت له وظيفة سوى مهمة « أن يكون طيبا بقدر الإمكان — أن يقول « ورائي ! » أهل بلقي على عائق الادب هدف اجتماعي — سياسي محدد ، عليه أن يحققه ؟ وهل من المحتمل أن نجعل المشكلة على النحو الذي تعرض به الان ، بعد كسل الدروس التي تعلمناها مما يجري في البلاد الديكتاتورية ؟

لست أعتقد ان الاديب يجب أن يرغرف على أجنحة السحاب معنى من أي اتصال بالمعالم الخارجي . ان انفصالا كهذا عن عالم الانسان يؤدي في نهايته الى ادب أنيمي مصاب بفقر الدم ، ويتغذى فقط على الحدود الذاتية للاديب . ولكن في الوقت نفسه محظور على الادب الا يقدم رقبته لاي نوع من الإهلاء . ان الفن الخلاق — من ناحية تناوله الجهات « الرسمية » او « الحزبية » بأشكالها المختلفة — هو منه ذو سيادة ومستقل تماما . انه يجب ألا يتلقى أوامر أو توجيهات من جانب أي شخص خارج نطاقه . ان قضية عدم عزل الاديب عن خصم الحياة ، هي قضية يجب أن يعرضها هو على نفسه ، والاديب نفسه هو الذي يحكم الى مدى يستجيب لها (اتجاهات الانتاج الحقيقية بالطبع المنفصلة والبعيدة عن « المؤثر » الخارجي) . ان اي سياسي من المحظور عليه أن يدخل بأحذيته الى مجالات حرية الفن سواء كان « يساريا » او « يمينيا » او متوجها باطارات أخرى . ان هذه الحرية لا تقل في قدسيته عن حرية الجامعات ، وان كان هناك شك في ان عدد الابداء الحقيقيين كبير الى الحد الذي يتيح تنظيم موكب احتجاجي معقول واحد .

وبالنسبة لصلب الموضوع : لست اعرف ما اذا كان للادب اليوم تأثير مبدئي (أساسي) قوي للدرجة التي يجعل بها الكتاب تقف على اقدامها ويساعدها في التشكيل القتالي الى ميدان الحرب . ان تأثير الادب معروف ، أولا وقبل كل شيء ، في المجال الفردي ، وعمله يتم بواسطة أدوات ملتزمة . انه يعتمد عن الدعاية (البروباغندا) : ليس من المحتمل عمل كيفية مثالية مع الاستعانة بأساليب « التلطيف الشعري » . ان الشعر سيضعف بمرور الوقت وسيختلج التلطيف . وهنا اصل الى ا. ص. ج (أوري تسمي جرينبرج) ، الذي يقوم على اعتبار انه الشاعر الذي قال « ورائي » بقوة والكل يمدحه على ذلك . انني اعتبر نفسي من بين مقدري وببطلي الشاعر « أوري تسمي جرينبرج » الذي يعتبر من نطاحل الشعر العبري ، ولكنني باي حال من الأحوال ، لست أعد من بين مقدري الايديولوجي والدعائي ا. ص. ج. ان هذا من حقي كموطن في دولة حرة . ويبدو لي أن أولئك الذين تربوا في أحضان شعر ا. ص. ج. من بين الجمهور اليهودي وينظرون اليه باعتباره موجها ورائيا ، قد قاتروا أساسا من تلك المجموعات الشعرية الخاصة به والتي تعتبر في نظري مجموعة فكرية أساسا . لقد تعلموا على أسس المنشورات السياسية المتقطعة التي كتبها ، ولم يتعلموا على أساس شعره الحقيقي . وبالطبع فان ا. ص. ج يتميز بمقدرة كبيرة كرجل دعائي — وهي تلك المقدرة نفسها التي تراعت له حينما أراد التعبير عن أفكار وخطجات « بو علي تسيون » (جمال صهيون) — وكل من يقرأ ثمرة مقدرة هذه الدعاية لا يمكنه أن ينكر العبقرية التي يقدمها للعالم ، ولكن هذا ليس شعرا ، بل دعاية — دعاية براقية ، مليئة بالقوة ، وفياضة ، وعنيفة ، ولكنها أولا وأخيرا ليست الادعية .

ومن يجب شعر ا. ص. ج — دون التكرار للأسس الفكرية الموجودة به ، حسبها هي موجودة في محصوله الدعائي ، وأن كانت النسب مختلفة هناك تماما — ليس هو بالذات ذلك الشخص الذي يتخلل حياته نداء « ورائي » الموجود في شعر ا. ص. ج لدرجة انه يقوم ويقول مجيبا : « ها أنذا » . ان الأمور معقدة ، وصور الوجود في الشعر والحياة هي الأخرى معقدة ، وليس من السهل عمل عمليات تصنيف ووضع مواصل . ان الادب لا يصل حتى « الخطوط الخضراء » ويقف عندها . ان الادب لا يأخذ في الاعتبار الحدود المادية وذلك لانه نتيجة روح الانسان ، ولذا فليس من مهامه أن يصرخ في الدبابات . ان الادب قائم على الانتحار الفرد ، وينبع منه ويتحرك من داخله ونحوه . ان محبة البلاد (فلسطين) هي أولا وقبل كل شيء ، موضوع الفرد كما ان الجوع من المستحيل ان يكون جوعا ما لم يتجمع أفراده معا ويشكلوه . واذا لم يشعر الفرد بهذا الحب الذي يعتبر فعلا متعديا لما أطلق عليه تشرغوفسكي (شاعر عبري ١٨٧٥ — ١٩٤٤) : « الانسان هو خلاصة جو وطنه » فان أي أصوات نظرية او عمليات قرع للاجراس من « الادب المجدد » (او باسلوب آخر :

الأدب المخول من السلطة) لن تحركه من مكانه .

ان اسرائيل بالنسبة لي ؟ هي أولا وقبل كل شيء وجود نفسي وجسماني (مادي) عميق لانني على ارضها رأيت نور العالم وفي أجوائها تربييت وكذلك نضجت وليس لي وطن غيرها ، ليس على شكل علة الحنين للوطن منبها وراء البحار ، وليس على صورة « الشرائع اليهودية » التي تعبر عن الأشواق الطبيعية لمن استأصلوا أو استؤصلوا من هناك وتخرب بيت ابيهم . ان ارض اسرائيل بالنسبة لي هي بلد واحد لانها لم تكن على شتاتة أخرى اطلاقا . ولم يكن ا. ص. ج هو الذي طبع لي هذا الاحساس المضموني . انها الارض هي التي فعلت هذا . ان اصحاحات « التناخ » (العهد القديم) التي خلقت الطلقات الروحية التي ربطتني بماضي شعبي هي التي زودت الرباط العقلاني المطلوب لابن قطر معين من البلاد من أجل تمييز آثار آبائه في الرمال . ولكن عملية الولادة والنمو والتشكيل قد سبقت البناء العقلاني .

وفي « العهد القديم » توجد اصحاحات شعرية رائعة ، ولكن قوتها تتبع أولا وقبل كل شيء من كونها انتاجا فنيا كبيرا وذا صفات انسانية عميقة . وتوجد في « العهد القديم » كذلك أجزاء أخرى سيفة من الناحية الفنية — وكذلك من الناحية الانسانية — وتأثيرها على نفس القارئ أقل بكثير جدا . هل صلاح مؤلف سفر ايوب قائلا « ورائي ! » . هل جاء شاعر « نشيد الانشاد » بالجموع الى مهد محبوبته ؟ ألم يرق مؤلف مراثي داود على يهوناتان دماء قلبه على صديقه الاوحد الذي لا يشبهه ولا مثيل له ؟ وهل تأملت « الجامعة » الحكيمية في تأسيسها والبناسة في ادراكها ، آلفت بناء على أوامر من السلطة ومن المبابيم (اتباع حزب المباي) في حقل الثقافة ، أم طفت وارتفعت من خلال التبصر الصافي والهاديء والتراجيدي لرجل عبري خلال تجربة حياته هو وتجربة حياة الآخرين من خلال زاوية تأمله الخاصة به ؟

وتوجد في « العهد القديم » بمراحة فصول أخرى من التاريخ السياسي ولكنها ليست هي التي استولت على ترائه في كل عصر على وجه البسيطة . لقد ظلت تلك الفصول على ما كانت عليه منذ بدايتها — مجرد تاريخ سياسي لا أقل ولا أكثر من هذا — ولست أستهن بأهيتها . انها تكمل بالنسبة لي ما وضعته وتناولته الفصول الأخرى بواحدة اللحاحات الانسانية الفنية التي تحويها ولكنها لا يمكن ان تخل محلها . ومن المفهوم بالنسبة للقارئ العبري ان « العهد القديم » هو دائما بنشابة « أيضا » : وثيقة فنية وانسانية سامية المكانة في بطاقته الهوية التاريخية الخاصة به ولو لم تكن به الصفات التي حافظت عليه عبر كل دورات الزمن ، وهي تلك الصفات الفنية الانسانية العجيبة ، لما لمكن الحفاظ على بطاقة الهوية الا في المخاف الأثرية . وعلى أي حال من الاحوال فانه لم يكن هناك ميثاق متقد في الحياة الأبدية له ابعاد واقعية ندية مثل ذلك النواح على الاجزاء القديمة وعلى اجزاء تجددنا .

وهذه الحياة الأبدية — لم تأت من « توجيهات » ولا من « منشورات » ولا من « ورائي ! » .

وبالإضافة الى هذا : فان وعيي في عصارة عظمي بوحدة ارض — اسرائيل — وراء حدود هذا الواقع الزمان أو غيره — لم يحجب عن عيني رؤية وجود الأمة الثانية بفضل أحناد الاخداد ، وليس بفضل السيادة على ارضها . لقد اعتقدت وتلقيت هذا الاعتقاد بالقبول ، بأن الحق ، ولو حتى حق آبائي الذي هو أقدم وأعمق من جميع الحقوق لا يلغي حقا . ومن أجل ذلك لم اكن في حاجة الى نظريات تدل على ان أولئك المتبين هم أحناد آبائي الذين امتزجوا بالمتحليين وطبست معالمهم ، ان قوتي تكمن في قدرتي على صد الذين يتقصون لابادتي ، ولكن قوتي تكمن في الوقت نفسه في قدرتي على الحفاظ على صورة الانسان بداخلي ، وعلى المحافظة على الارث الانساني المتمثل في الكتب القديمة . هذه هي ميزتي ، وهذه أيضا هي حكمة الحياة وحكمة الدولة وحكمة الشعب .

موثى براجر : هناك كتاب واحد فقط وهو «التناخ» (العهد القديم) الذي قال (ورائي!)

وقد رد عليه الواقع وسپرد عليه قائلا « آمين ! »

ان السؤال الخاص ببدء الامر : « ورائي » يرهون من أساسه بمعرفة صلاحية ومقدرة مرض سيادة صاحبت النداء — وهذا يعتبر في نظري بمثابة المحك لنفس موقف الأدب العبري المعاصر .

ان اليهودية الاصيلة تميز بين اصلاحين متمصلين هنا : « التوراة » و« الحكمة » . وقد قيل عن ذلك : « هناك

حكمة بين « الجويم » (الشعوب الكافر) : في هذا - أما أنه توجد «توراة» بينهم - فلا تعلق في هذا .
ان كلمة « توراة » مصدرها وكذلك أصلها اللغوي جاء من « تعليم » : و « لتعليم بني اسرائيل » . ان غاية التوراة وهدفها هما : « التعلم والتعليم ، والحفاظة والعمل والتنفيذ » . هذه هي الصفة المميزة للشعب اسرائيل عبر التاريخ : التوراة المرتبطة بالحياة والتي تشكل وتصوغ الحياة اليومية ، « الخطوات » مع « الشرائع النظرية » (المالاخوت) مندمجة معا .

ومن هنا فان الاستنتاج الذي يكون وفقا لمفاهيم اليهودية هو انه لا يوجد بالفعل رجل - توراة ، حتى ولو كان هذا الرجل عبريا في التوراة ما لم ينفذ بالكامل مبدأ التحقيق الذاتي ولا يوجه اعماله واخطاه وفق شرائع وأوامر التوراة .

و « الحكمة » في مقابل هذا تتميز بالتعامل الحر المحبب نحو المعقول ، فمن الممكن ان تؤخذ في الاعتبار على أنك « حكيم » واضح وان تعيش عكس كل مبادئ « الحكمة » . ومضمون الحكمة غير محدد هنا بالمرة : هل هي تشتمل على صفات المعرفة والمنطق والبصيرة النافذة أم انها عبارة عن مستوى من المعرفة والخبرة في المجالات الروحية ، أم ان الحكمة تبلور تجربة علمية - اختبارية لا دعوى لها .

في كل هذه النماذج لا يرى « صاحب الحكمة » نفسه على الإطلاق باعتبار انه مأمور بأن يتصرف وفق توجيهات كل « الحكم » التي ينادي بها . يعني الحكمة ان تعتبر (ثلاثية المغزي) كتسليية ذهنية وكمصدر للمتعة الروحية وكإداة لاثراء الحياة ولاستقلال ظروفها لا تمضى حد .

ولذلك فان هناك تحذيرا يقول : « الحكماء هم للشر » . ولا داعي لان نذكر حكماء الاخلاق من بين الشعوب لان من بينهم من هم في المرتبة الاولى في تاريخ الحضارة بينما كانت حياتهم الشخصية نموذجاً لعدم الاخلاق ، واكثر من هذا فانهم بالذات من خلال الانغماس في متاحات الانحلال والتدهور وتدمير الامس والمعايير قد استقوا « الحساس الاخلاقي » المنقح للغاية .

وبالنسبة للادب الاسرائيلي وأبعاد تأثيره : فان الاختيار الحاسم هو ، من أين يستلهم وحيه ومعرفة قيمته : هل من مصادر التوراة والايان أم من آبار الحكمة والمعرفة المحترفة ؟

إذا كان هناك كتاب يقول « ورائي » وسيظل يقولها ، وسار الواقع بالفعل وراءه وما زال يسير ، فان هذا الكتاب هو « كتاب الكتب » (التاناخ) وكل الادب اليهودي الذي ولد حوله ومشيما بروحه . ان جذور المشكلة تكمن حينئذ من صورة تعامل الادب الاسرائيلي مع « التاناخ » (العهد القديم) والعلاقة بينهما . والخيار واحد ولا يقبل التأويل : اما التاناخ - كالكتب المقدسة وكصدر وحي لقدسية الحياة (ومنه ايضا : سنو الحياة ، ومعنى الحياة ، ومرور الحياة) ، وكصك للنسب الخاص بالشعب المختار ، وكصك لثراء الارض الموعودة ، وكإداة توصية ، وكجسر للرسالة الروحية اليهودية من « بداية الخلق » حتى « نهاية الايام » ، او معاذ الله العكس من ذلك ، أي « التاناخ » - كجنين ليست فيه قدسية الاتناجات الادبية المختلفة والمتنوعة كذلك والنسبية الى حد ما في قيمتها المؤكدة ، وكجموعة شهادات وتاريخات تاريخية مؤثوق بها أقل أو أكثر ، وكحقيبة « لنصوص » قديمة موضوعة تحت تصرف « ناقدى العهد القديم » الذين يعينون انفسهم ويتوجون انفسهم من أجل تنفيذ الترتيبات الجدلية كافة بما فيها الكفائية ، وعمليات الحذف والتعديلات ، وكذلك التحليلات الجائرة الغربية للغاية لهذه « النصوص » .

ان هذا التناول العلماني « للتاناخ » وهذا التناول المدروس لكتاب الكتب هو كل خطأ الادب العبري منذ ايام « الهسكله » (حركة التنوير اليهودية) حتى أيامنا هذه . لقد اعترفت كل الشعوب بان الشعب اليهودي هو « شعب الكتاب » ، وليس معنى هذا انه الشعب « الذي يحب » الادب او « الذي ينتج » الادب ، لان هذه الاشياء وجدت كذلك بين سائر الامم الحضارية . ان معنى « شعب الكتاب » انه الشعب الذي يعيش وفقا للكتاب ، وان الكتاب والامة يشكلان مضمونا واحدا . وليس هناك شعب أكد اتصاله بالكتاب ، وبتمعة التفكير مثلما عبر عنها صاحب « المزامير » : « اصبحت قوانينك لي مزامير » - هذا هو « لحن الجمارا » الذي لا يثيل له في العالم .

ان علاقة اليهودي بالكتاب قد تجلت في القبة المرتعشة لصفحة ممزقة قطعت من الكتاب وسقطت على الارض ،

وربما يهودي، باصباح الحب وحافظ عليها التي ان احوها في احتمال الذين معه في مقره، كما يسمون الايمان الذي خلق على نفس المثال . ان كتابنا كهذا ، كل مضمونه وغايته كان : « وراثي ! » ، وهذا هو الاختلاف الخارق بين « التوراة » و« الحكمة » : ان التوراة تقدم « المعرفة » و« طريقة الحياة » لان لها الصلاحية العليا لذلك ، و« الحكمة » تعرض « رواية » للقراءة ، و« مقالة أدبية » للتمتع ، ودراسات الطبيعة للفائدة العملية ، واذا تجرأت على صياغة وجهات نظر فلسفية خلقية — فان القارئ المتطوع يمكنه ان يسأل — في اللحظة التي لا يحلو له ان يتصرف وفقا لمبادئ علم الاخلاق — : « من نصبك تيماء ؟ » .

واذا لم يكن هناك على الاطلاق مصدر لروحى الاخلاقي غير « العهد القديم » — فان لنا ولشعب اسرائيل ، يعتبر « العهد القديم » هو مصدر الوحي الروحي الذي يضم كافة الشرائع التي بين الانسان واليه وصديقه وشعبه وبلده والعالم كله . ان الادب اليهودي المنعزل عن جذور « العهد القديم » يكون منعزلا كذلك عن جذور الواقع اليهودي المتصل بالحاضر أيضا ، وبالتالي فانه لا يمكن ان يقول « وراثي ! » .

الصهيونية اليسارية) ، ورئيس تحرير « اورلوجين » المجلة الادبية . نشر الكثير من المجموعات الشعرية ، وترجم الكثير من انتاج جوركي وبلوك ودنكان وهوجو وانسكني وتروتسكي وبرخت وجوجل وشولوخوف وبوشكين وشكسبير وغيرهم . نال العديد من الجوائز الادبية .

٢ — عاموس غوز : من مواليد القدس عام ١٩٢٩ . درس في الجامعة العبرية الادب والفلسفة وتخرج عام ١٩٦٤ . حصل على الماجستير من جامعة اكسفورد عام ١٩٧٠ . عضو كيبوتس حراده منذ عام ١٩٥٧ . يعمل مدرسا في المدرسة الثانوية في الكيبوتس . خدم في « الناحل » (شباب الطلبة) ، ومن الاعضاء العاملين في كيبوتس « من فينوت » ٦٢ — ١٩٦٤ . عمل استاذا زائرا في كلية سانت كروز بجامعة اكسفورد عام ١٩٦٩ . نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « بلاد ابن آوى » (١٩٦٥) . صدرت له الروايات : « مكان آخر » (١٩٦٦) ، و« ميخائيل الخاص بي » (١٩٦٨) ، وعشرات من الكتابات والمقالات في الصحافة الاسرائيلية وخارج البلاد .

٤ — موشي شامير : اديب ، وكاتب مسرحي وصحفي . عضو اكااديمية اللغة العبرية . مذدوب قسم الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في إنجلترا . ولد في ١٩٢١/٩/١٥ في صند . عضو كيبوتس مشحر هاعيك . خدم في البالاخ . مؤسس المجلة الناطقة بلسان الجيش الاسرائيلي « بنحيه » . عضو تحرير صحيفة « أوبر » عام ١٩٥١ . كان له جهود خاص في صحيفة

١ — أوري تسفي جرينفوج : شاعر اسرائيلي . ولد عام ١٨٩٤ في جاليسيا ، وما زال على قيد الحياة . من أشهر تضائده تصيدة « مانيسو » التي تعبر عن خراب العالم بقيمه . هاجر الى فلسطين ١٩٢٣ ، وكان من المقيمين الى « كتيبة العمل » . وفي نهاية العشرينات حدث تحول في وجهة نظره الايديولوجية ، وأعرب عن خيبة امله في هدوء الزعامة الصهيونية والبشوفية ، وتقرب من الحركة الاصلاحية (حركة جابوتنسكي) . كان عضو الكتيبة الاولى عن حزب حيروت الراهبي . مشهور بانه فاشيستي ، وهو من زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وتطالب كذلك بالزيد من الاحتلال حتى استكمال « أرض اسرائيل » بحدودها التاريخية الزعومة .

٢ — ابراهام شلونسكي : شاعر ومترجم . ولد في ١٩٠٠/٢/٦ في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩١٢ . بدأ النشر في مجلة « هشيلاوح » عام ١٩١٩ . عاد الى فلسطين مرة اخرى بعد جولة في الخارج عام ١٩٢١ ، وعمل عامل طرق وعامل بناء . انضم وترأس تيارات شبابية في الادب العبري المعاصر تركزت حول المجالات الادبية « كنونيم » (كتابات) و« طوريم » (سطور) . رئيس تحرير الملحق الادبي لصحيفة هاترتس خلال السنوات ١٩٢٨ — ١٩٤٢ . من مؤسسي مجموعة الشعراء الشباب « يحداف » (سوية) عام ١٩٤٢ . مؤسس ورئيس تحرير دار نشر « هشومير هتسفير » ، و« مكتبة العمال » ، ورئيس تحرير مجلة « عقيم » (أزمنة) الملحق الادبي لصحيفة « عل هشمار » (الصحيفة

«نخل همشمار». وبعد ذلك في صحيفة «معاريف»
(رئيس تحرير الباب الأدبي في «معاريف» -
مؤلف الروايات : «ذاهب في الحقل»
(جائزة أوسسكين عام ١٩٤٨) ، و«بكتبا
يديه» (جائزة برينر) ، و«ملك اللحم والدم» ،
و«حروب بن أور» (جائزة بيناليك ١٩٥٥) ،
و«نهاية العالم» ، و«البعجة الخامسة» ،
و«منزل في حالة جيدة» ، و«الوريث» . وبعد
حرب ١٩٦٧ كتب كتابا بعنوان «حياة شعيب
اسماعيل» عن العلاقات بين العرب واليهود .
مثلت له مسرحيات عديدة .

٧ - جوزيف حليم برينر : كاتب وروائي عبري
(١٨٨١ - ١٩٢١) . تتخلل جميع رواياته
شخصية واحدة تلقى مصيرا واحدا على الدوام :
بدايات فاشلة في معترك الحياة تتبعها المساعي
الخائبة التي تترك مرارة في النفس ونقمة على
العالم أجمع . صور الحياة الفلسطينية بأملوب
واقعي . مزج في حياته بين الحركة العمالية
ومطامح الاستعمار الصهيوني .

٨ - يعقوب شتاينبرج : (١٨٨٧ - ١٩٤٢) .
شاعر وأديب اجتماعي وسياسي .

٩ - ميخا يوسف بوديتشفسكي : (١٨٦٥ -
١٩٢٢) . كان من المثاليين بفتنة نبهته ،
وطالب بتغيير القيم اليهودية والتخلص من نير
الماضي اليهودي بكل ما يمثله من تخلف وحقن
لقرائر الإنسان وروحته . اعتبر ان العودة
للطبيعة والفرد خلاصة للثورة القومية .

١٠ - تاتان القرمان : (١٩١٠ - ١٩٧٠) .
هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ . انضم الى
جماعة شلونسكي التي اشاعت روحا جديدة في
جيل الشعر التالي لعصر بياليك . نشر كتابه الاول
«كواكب في الخارج» عام ١٩٤١ ، وبالرغم من
انه استقبل بصمت الا انه غير مؤخرا ، ربما
أكثر من اي كتاب آخر ، وجه الشعر العبري
في فلسطين . اشتهر الى جوار القرمان الشاعر ،
القرمان الاجتماعي السياسي الذي كان يعبر عن
نفسه مرة كل اسبوع في منظومات «العمود
السابع» في دافار . بعد قيام الدولة اصبح
شاعرها القومي ورجل المؤسسة الحاكمة .

٥ - بنيامين جلاي : اديب . ولد في ١٠/٤/١٩٢١
في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٦ . تعلم
في تل أبيب . خدم في سلاح الطيران البريطاني
في الحرب العالمية الثانية ، وعمل ممثلا
للصحافة ، في بلدية حيفا عام ١٩٦٢ . وله عمود
دائم في صحيفة معريف بعنوان «عن نتجان تهوة
مقلوب» . من كتبه الشعرية : «الشعب
الروحي» (١٩٤٦) ، و«الماكرين» (١٩٤٩) ،
و«العودة الثالثة» (١٩٥٢) ، و«على
شاطئ الرحمة» (١٩٥٨) ، و«رحلة الى
الشمال» (١٩٦٨) ، و«جدل الخبز في فناء
ارميلوس السابع عشر ملك فيليبو» (١٩٦٨) .
حصل على جائزة برينر ، وجائزة فيخمان ،
وجائزة أنا فرانك ، وجائزة لدان لادب الاطفال .
كتب بعض القصص والروايات للاطفال .

٦ - موثي دور : صحفي . عضو تحرير صحيفة
«معريف» منذ عام ١٩٥٤ - ١٩٥٨ . ولد في
١٩٣٢/٢/٩ في تل أبيب . درس في جامعة القدس ،
وتل أبيب قسم العلوم السياسية . صاحب
عمود أدبي في صحيفة حزب المابام «عمل

مراجعات

الدكتور يهوشافاط هاركابي ، تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد
حزيران ١٩٦٧ ، (دار النشر العربي ، تل ابيب ١٩٧١) .

بها والعمل معها على « ازدهار المنطقة » في
المستقبل .

ان اول ما نلاحظه حول هذا الكتاب هو انه يريد
تقديم صورة معينة للقراء العرب تحت الاحتلال
لوجة النقد والتقد الذاتي التي حل لواها عدد
من الكتاب والمثقفين في العالم العربي (من
اتجاهات سياسية وايدولوجية متعددة) بعد هزيمة
حزيران وذلك من خلال مظهر اسرائيلي يشدد
على ان الموجة ليست الا مسألة تيارات متعددة
تتنازع فيما بينها وتحاول ضد المجتمع العربي
باتجاهات متضاربة ومتعكسة وكان كل تيار منها
يقف على قدم المساواة مع غيره من التيارات من
حيث الاهمية والتاثير والمقدرة على التعبير عن
الحركة الموضوعية للعوامل الفاعلة باتجاه تخطي
واقع الهزيمة وتجاوزه . ومن ناحية ثانية نجد
ان تحليل هاركابي لا يرتبط بصورة واضحة
بالنصوص التي يوردها من مؤلفات الكتاب العربي ،
اي ان المقدمة ليست محاولة لتحليل هذه النصوص
بل تركز على تصنيف التيارات الفكرية السائدة
(من وجهة نظره) في الفكر العربي السياسي يدهن
الإشارة بالضرورة الى علاقة هذا التصنيف بالنماذج
التي يقدمها في صلب الكتاب . على سبيل المثال لا
يذكر هاركابي فيما اذا كان يعتبر ما أورده من كتاب
ادونيس حول الهزيمة العربية داخلا في التيار الثوري
او الاصلاحي ، والشيء نفسه ينطبق على ما أورده
من كتابات ناجي غلوش . كذلك يستشهد هاركابي
في مقدمته بعدد من الكتاب والكتب (مثل سعد
جنتمة وفاضل الجمالي واحمد بهاء الدين وجبران
شامية ...) بدون ان يورد لهم أية مقتطفات في
كتابه . وهنا لا بد من تعريف القارئ بالمختارات
التي انتقاها هاركابي لعرضها في مؤلفه ، جزء
كبير من كتاب صلاح الدين المنجد « امددة النجدة » ،

من المعروف ان سلطات الاحتلال تحاول القيام
بنشاط اعلامي و « تثقيفي » في الضفة الغربية
وقطاع غزة (على جميع المستويات) بين صفوف
السكان العرب لخدمة اهدافها ، وكان اخر عمل
في هذا الميدان صدور كتاب من وضع الخبير
الاسرائيلي في الشؤون العربية ي. هاركابي تحت
عنوان « تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد
حزيران ١٩٦٧ » . وقد وجدنا انه من المفيد اطلاق
القارئ العربي على النموذج هام لهذا النوع من
النشاط الذي تقوم به الدوائر الاسرائيلية في
الاراضي المحتلة . كما هو معلوم كان هاركابي
مديرا عاما للتخابرات العسكرية الاسرائيلية وهو
يشغل الآن منصب استاذ في الجامعة العبرية .
والكتاب من اصدار دار النشر العربي في تل ابيب
وهي مؤسسة تابعة للمستدروت . يضم كتاب
هاركابي مجموعة مختارات من الكتابات العربية
التي صدرت بعد حزيران ١٩٦٧ حول موضوع
الهزيمة العربية واسبابها وطبيعة الصراع العربي
الاسرائيلي ، بالإضافة الى مقدمة طويلة بقلمه
مكرسة لدراسة ما يسميه بالتيارات الفكرية العربية
التي برزت في تفسير الهزيمة وتحليلها وفهمها
واقتراح السبل لتخطيها . وكان هاركابي قد نشر
الترجمة العبرية لمعظم هذه المختارات مع مقدمته
المذكورة في كتاب عنوانه « العبرة التي استخلصها
العرب من هزيمتهم » اما في الطبعة العربية فقد
ادخل هاركابي بعض التعديلات واضافت ملحفا
تصيرا موجها للقارئ العربي ، كما اضافت دار
النشر مقدمة خاصة بها تحت عنوان « التبار
السادس » تائدة بذلك الإشارة الى ما تسميه
بواجب ظهور تيار عربي جديد ازاء الصراع مع
اسرائيل غير التيارات الخمسة التي حددها هاركابي
في مقدمته . والمقصود بذلك هو التشديد على
الاصوات الداعية للتفاهم مع اسرائيل والاعتراف

ان التغيير المطلوب لا يمكن ان يأتي الا بصورة تدريجية وبطيئة وعلى اساس تراكم الانجازات عبر عدة اجيال متعاقبة . ولا يوضح هاركابي اي من المقتطفات في كتابه تمثل التيسار الاصلاحى الا انه بإمكاننا الاستدلال الى انه يعتبر قسطنطين زريق والاخوين سيسيل وجورج حوراني من المثمنين اليه . اما الاسماء المحددة التي يذكرها في مناقشته لهذا التيار فهي احمد بهاء الدين وجبران شامية . ويبدو ان اهتمام هاركابي بالتيار الاصلاحى نابع من كونه ينقد واقع المجتمع العربي بنطق من لا يرى مخرجا من المازق الراهن الا عبر مرحلة طويلة من البناء على طريقة النماذج الغربية والراسمالية في التقدم ، مما يعنى على الصعيد السياسى (ولو ضمنا) انه لا بد من ايجاد صيغة تفاهم وتعايش مع اسرائيل الى ان يتم اصلاح المجتمع العربى واعداده اعدادا كافيا لمواجهة اسرائيل في المستقبل البعيد وغير المحدد . بعبارة اخرى تجسيد كل نضال وكفاح ضد العدو الى أجل غير مسمى حتى تتحقق هذه المشاريع الطوباوية . كذلك يهتم هاركابي بهذا التيار بسبب معاداته للشيعوية ولل فكر الاشتراكي ولا انتشار الوعي الثورى في المنطقة ، وبسبب عدم تصديه للامبريالية واصراره على الفصل بين المعركة ضد اسرائيل من جهة وبين المصالح الامبريالية في الوطن ومصالح الطبقات الرجعية المحلية المرتبطة بها من جهة ثانية .

(٢) التيار الثورى الذي يقول عنه هاركابي بانه يدعو الى ضرورة قيام ثورة شاملة تؤدي الى اجزاء تغيير جذري في جميع مجالات الحياة العربية ، وبانه لا يقيم وزنا كبيرا للثورة الرسمية التي يمثلها بعض انظمة الحكم العربية ولا يقبل بفكرة التغيير الاصلاحى التدريجى للمجتمع . وفي معرض مناقشته لهذا التيار يذكر هاركابي اسم كل من نديم البيطار والجهة الشعبية لتحرير فلسطين واسمى انا . يقوم هاركابي بعملية تنسيه وتشويه لانكار وآراء من يسميهم باصحاب التيار الثورى بصورة فجأة وبدائية وبدون أية محاولة لتغطية محاولته بشيء من « الرصانة » او « الطلعية » او « العقلانية » ولو كانت كلها من النوع المزيف . مثلا لا يذكر هاركابي شيئا عن الانتباه السياسى والايديولوجى لبعض الاطراف (على اقل تعديل) لسي التيار الثورى بهدف اظهار « ثورتهم » على انها نوع من الغضبة المثالية الكبيرة التي تريد حل المشاكل والمعضلات دفعة واحدة ومن خلال حدث سحري

اجزاء من كتابي « النقد الذاتى بعد الهزيمة » وكتاب قسطنطين زريق « معنى النكبة مجددا » ، « بيان هـ حزيان » لادونيس (مجلة « الاداب » ، آب ١٩٦٧) ، مقال ناجى علوش « جدل الهزيمة والنصر » (دراسات عربية ، ٦ ، ٢ أيلول ١٩٦٧) ، قطعة لعبد الرحمن البزاز بعنوان « كيف يريح العرب العرب ؟ » (في مجموعة حول النكبة الحاضرة) ، مقال لايراهيم عابر « الدعمايت العربية في الميزان » (الاداب ، تشرين الاول ١٩٦٧) ، ومقالان لكل من سيسيل وجورج حوراني عنوان الاول « لحظة المصارحة » (« النهار » ، ١٢ آب ١٩٦٧) وعنوان الثانى « العرب واليهود في فلسطين : نظرة اخلاقية » (« التضاييا المعاصرة » ، صيف ١٩٦٩) . ولا اعتقد انه من قبيل الصدفة ان تكون اطول المقتطفات التي اختارها هاركابي مأخوذة من كتاب « اعمدة النكبة » للمنجذ الذي يضمه هاركابي ضمن الاتجاه الاسلامى المحافظ ويبدى اهتماما كبيرا بمؤلفه على الرغم من انه ، ضمن حدود معلوماتنا ، لا يوجد اية اشارة تبين ان كتاب المنجد قد استقطب اهتماما خاصا في الاوساط الثقافية والسياسية (رسمية كانت ام شعبية) الفاعلة في الحياة العربية او انه مارس تأثيرا مهما من اي نوع كان في صفوف الانتلجنسيا العربية تجلى في مناقشات حول الآراء الرجعية المخض التي طرحها المنجد في كتابه . وينطبق هذا الاعتبار على عدد لا بأس به من المقتطفات التي ضمناها هاركابي في كتابه مثل مقالة سيسيل حوراني « لحظة المصارحة » التي خرجت على سطح الفكر السياسى العربى مثل الفعاعة وتبددت بترعة ولم تترك اي اثر او تستقطب اي اهتمام وطواهاها النسيان بسرعة ليعود الان هاركابي الى احيائها وتقديمها الى القراء في الضفة الغربية وكان ما جاء فيها من آراء مطروح بصورة جديّة وملحة على الفكر العربى .

يستخلص هاركابي من متابعته لحركة الفكر السياسى العربى بعد هزيمة ١٩٦٧ وجود خمسة تيارات متنازلة هي :

(١) التيار الاصلاحى (اي الليبرالى) السذي يرجع الهزيمة الى ضعف المجتمع العربى وتخلبه ويدعو الى ادخال تعديلات جزرية وعميقة عليه (اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا) والى انظمة حكم ليبرالية . كما يرى اصحاب هذا التيار

التي (الثورة) ، وعلى أساسها تبنى التي التي
وجهة نظر أو برامج الخاصة بكتلة التطلعي لذلك
يتكلم هاركابي عن التيار الثوري بصورة جوفاء
تبقى معلقة في الهواء مع تعمد عدم الإشارة إلى
الالتزام العلني لقسم كبير من هذا التيار (كما
يحدده هو بالمركسية اللينينية لان مثل هذه الإشارة
سوف تعطي التيار هوية من نوع معين يريد هاركابي
تجريده منها ليتمكن من تسفيهه وتفنيه بصورة
بدائية وفعلة . على هذا الاساس يشدد هاركابي
في القول على ان اصحاب التيار الثوري يريدون
احداث التغييرات السياسية والاجتماعية
والاقتصادية والثقافية كافة في المجتمع العربي ،
بالاضافة الى تحرير فلسطين وهزيمة الاستعمار
فورا ودفعة واحدة بفضل حدث تاريخي رائع هو
الثورة (ص ٤٤) . حتى لو سلمنا بقدر من
السذاجة في تفكير بعض المنسويين الى التيار
الثوري فان احدا منهم لم يصل الى هذا الحد من
الاسفاف في تصوير الثورة على انها زلزلة سحرية
ضخمة تحل المشاكل والمعضلات كافة بفرية واحدة
فورية تتحقق بواسطتها كل « الاهداف معا » على
حد تعبير المؤلف . هذا تشويه متعمد من قبل
هاركابي لانه يعرف قبل غيره ان ما من طرف يشدد
على اهمية النضال الطويل المدى على طريق
الثورة ، واهمية الكفاح المستمر على اساس
استراتيجية من اجل بناء المجتمع الاشتراكي الجديد
وهزيمة الامبريالية مثل الطرف الثوري الذي يتهمه
مؤلفنا بالبحث عن الحلول الفورية للمشاكل . ومن
المأخذ التي يسجلها هاركابي على التيار الثوري
في العالم العربي (ا) قوله (أي التيار) بان بقاء
انظمة الحكم الرجعية يمنع اي تعاون عربي حقيقي
ضد اسرائيل بسبب ارتباط هذه الانظمة بالاستعمار
القيم على اسرائيل وخضوعها لضغوطه (ص ٤٤) .
(ب) قوله بان مسؤولية الهزيمة تقع الى حد بعيد
على عاتق القيادة الطبقة للبورجوازية الصغيرة
وليس على عاتق الجماهير الشعبية عامة (ص ٤٩) .
(ج) وضع جميع الاعباء والمشاكل على اكتاف
« الثورية » و« قوى الجماهير » و« الحتمية
التاريخية » دون اختبار هذه العناصر اختبارا
فعليا (ص ٥١) .

تكتفي هنا بالقول ان هاركابي بالتأكيد لا يخادع
نفسه وانما يخادع القراء العرب في الارض المحتلة
لان اكتاف « الثورية » و« قوى الجماهير »
و« الحتمية التاريخية » قد تم اختبارها عملا في

بصاغات عمدة الكفاح ودرست منه ثورتها وطلاتها
التفاني والنضال في وجه التي عمارة المستعمرين ،
كما ان « الحتمية التاريخية » بمعناها الثوري
لا تعني - كما يحاول ان يوحى هاركابي - الانسحاب
لنوع من القضاء والقدر الذي سيجلب معه النصر
المحتم ، بل تعني ، لمن جملة ما تعنيه ، ان التيار
التاريخي الذي سيسود المستقبل هو حتما لمصلحة
كفاح الشعوب وانتصارها ضد سيطرة الاكثية
الطبقة الحاكمة والاحتكارات الامبريالية المستغلة
من الطبيعي جدا ان يلاقي التيار الثوري معانته
تشويهية من هذا النوع على يد هاركابي .

(٢) التيار الاسلامي الذي يدعو الى اصلاح الامة
عن طريق الدعوة السلمية في العودة الى القيم
الاسلامية القديمة . والمطل الرئيسي لهذا الاتجاه
في النصوص الواردة في الكتاب هو ملاح الذين
المنجذ . اما الاسماء التي يوردها المؤلف في شرحه
لواقف التيار الاسلامي فهي فاضل الجمالي وسعد
جمعة وا . طيباوي . ويهتم هاركابي بهذا التيار من
حيث معاداته الشرسة للاشتراكية وحركة التضامن
العربي عامة ، ونظرته الاستعمارية للجماهير
(الفوغاء حسب تعبيرهم) ومواليته الصريحة للعالم
الرأسمالي ، والولايات المتحدة خاصة . على سبيل
المثال يقول هاركابي في وصف التيار الاسلامي
« يمتاز هذا التيار ببئسه الى وجهة النظر
الارستقراطية فهو لا يتعلق بالشعب تحت ستار من
الشعبية . ورواده يتقدمون من ان الفوغاء من
الناس قد سيطروا على المجتمع العربي ومن ان
الديماغوجية المتطرفة قد سادت وطغت . ويؤي
هؤلاء انه يجب منح الشعب قيادة جديدة ومثلا
اخلاقيا يحتذى به » . (ص ٥٤) .

(٤) التيار الحاكم . يشير هاركابي بهذا الصدد
الى النزعة الرسمية في التقليل من اهمية الانتصار
الاسرائيلي وفي تفسير الهزيمة العربية على اساس
عوامل طارئة وعرضية لا تمس جوهر انظمة الحكم
نفسها والاسس الاجتماعية القائمة عليها . وللمنى
في مناقشة هاركابي لهذا التيار اي جديد يضاف
الى ما قاله النقاد العرب انفسهم (خاصة من
اصحاب المدرسة الثورية) في تنقيد مزاعم هذا
الاتجاه .

(٥) تيار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي
ينسب اليه هاركابي القول بان وجود اسرائيل هو
سبب الضعف العربي كله وانه طالما بقيت اسرائيل

في الأرض المحتلة على أساس القول له ان التيارات الخمسة السائدة في العالم العربي ، كما عرضها هاركايب ، فاشلة ولا أمل يرجى منها ، فلا بد إذن من البحث عن تيار جديد يتخطاها باتجاه البحث عن امكانيات التفاهم مع اسرائيل والتعاون معها على اساس جديدة مع التشديد على دور الفلسطينيين في احقاق هذا التفاهم . ويذكر الكتاب اسماء شخصيات مثل محمد الجعبري وحدي كتمان وحدي التاجي الفاروقي وعزيز شحادة وانور نسيه ومحمد ابو شلبيية واحمد برهم باعتبارها اخذت توجه نحو تصور جديد للقضية الفلسطينية (أي التيار السادس) لانها لا ترى اي جدوى من مواصلة النزاع المسلح وتفضل الحل السلمي الذي يعترف بوجود اسرائيل وفي حقتها بالبقاء بشكل مستقل . عندما نذكر ان معظم هذه الاسماء في الضفة المحتلة برزت في مجال الدعوة للتفاهم مع اسرائيل على اساس قيام الدولة الفلسطينية يتبين لنا ان كتاب هاركايب ليس بعيدا في مراميه عن اعداد الجول لقيام هذه الدولة ان شعرت اسرائيل بان الحاجة تدعو الى ذلك للخروج بالنزاع في المنطقة من مازقه الحالي .

صادق جلال العظم

قائمة فإن كل علاج للاصلاح الداخلي يقوم به العرب هو عبث في عبث (ص ٢٧) . واضح ان هذا الاسلوب في عرض وجهة النظر الفلسطينية التي تمثلها فتح مغرق في التبسيطية والنفجاجة . اذ انه صحيح ان اسرائيل هي سبب رئيسي (وليس السبب الوحيد) من اسباب الضعف العربي الا ان فتح لا تستنتج من ذلك بان كل محاولة لمعالجة الوضع العربي واصلاحه ، كي يصبح بمستوى التحدي الذي تطرحه اسرائيل ، هي عبث في عبث . يريد هاركايب عرض وجهة نظر فتح بشكل يوتعمها في حلقة مغرقة لا مخرج منها : اسرائيل هي سبب الضعف العربي ، كل محاولة لاصلاح هذا الضعف بدون ازالة اسرائيل فاشلة لا محالة ، لكن من المستحيل ازالة اسرائيل والضعف العربي قائم على حاله ، فان اسرائيل باقية والضعف العربي باق معها ، فلا حول ولا ... ولا لزوم لان نكرر بأنه لا فتح ولا غيرها يلتزم بمثل هذا المنطق في فكره وعمله . وبطبيعة الحال لا يدخل هاركايب في مقتطفاته المختارة أية كتابات تمثل اتجاه فتح ومنظمة التحرير في الفكر السياسي العربي الزاهن .

اما التيار السادس الذي يتكلم عنه مقدمة الناشر فلا يتعدى كونه محاولة لمخاطبة القارئ العربي

David Ben-Gurion, Israel: A Personal History (Funk and Wagnalls, New York, 1971).

موضوع ضخيم ، وربما كان اعظم قصة جريمة كتبت اطلاقا . انها قصة صحيحة برمتها . وفوق هذا وعلى الرغم منه فليس الكتاب عملا ضخما ، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك . وليس من السهل قراءة الكتاب بأكمله ولا شك ان قلائل من الناس يقرأونه فعلا من اوله الى آخره ، وكاتب هذه المراجعة ليس من هؤلاء القلائل . وهناك عدة اسباب لصعوبة قراءة الكتاب . إلا ان قراءته ضرورية لاي شخص مهتم حقا وجديا بالقضية الفلسطينية ، وعلى الأقل تقرأ الصفحات الاربعمئة الاولى بانتباه ، وتصفح البقية . ان ترتيب الحقائق عند بن غوريون ، ومعظمها جديد ، مهم ، وكذلك وجهة نظره شكلا ومضمونا . ولكن الاهم من ذلك هو الصورة

ان هذا الكتاب مؤلف ضخيم ، وذلك لاسباب كثيرة . فهو كبير وطويل جدا اذ يضم ٨٢٨ صفحة . وهناك شخصية المؤلف الذي هو احد المؤسسين الرئيسيين لدولة اسرائيل ، ويكلم تأكيد الرجل الذي بنى اسرائيل منذ قيامها اكثر من اي شخص آخر . وهناك حقيقة ان بن غوريون لا يكتب عن موضوع غريب كدراساته الفلسفية مثلا وانما هو يكتب عن العاطفة التي هيمنت على حياته والاحداث التي شارك فيها عادة كشخصية قيادية بارزة . وهناك أخيرا الموضوع البارز وهو الحركة الصهيونية الغربية والسرية تقريبا التي برزت من غيتوات أوروبا الشرقية والتي مدت اطرافها وأمسكت بأرض فلسطين وفي الوقت ذاته امتصت ولاء الجماعات اليهودية وثروتها في العالم بأسره . انه

النشاط التي يرميها عن النتائج القام والنتائج
لغضبه ما جرى الحياة ليس من جانب فقط بل من
جانب العشرات والمئات من الصهيونيين الآخرين
ايضا . ان شرطه للنجاح في مهمة الاستيلاء على
بلد وبناء دولة فيه بسيط جدا : ليس العمل عمل
هواة جزئيا وانما هو تفرغ تام للعمل الدؤوب
الذي لا يعرف الكلل ، واخضاع تام للعديد من
الوسائل في سبيل هدف واحد بعيدا عن المسائل
الاخلاقية . وأفضل عنوان كان يجب ان يطلق على
هذا الكتاب هو : « أهمية ألا تكون انسانا لطيفا
ومهذبا » .

وهناك عدة اسباب تحول دون نجاح الكتاب في ان
يكون عملا ضخما : في المقام الاول ، فان اسلوبه
مربك ، فهو « كتايخ شخصي » عبارة عن رواية
شخصية ولكنها مكتوبة في صورة غير شخصية .
وكونه كذلك لا يحقق لنفسه النجاح
لا كرواية تاريخية ولا كسيرة ذاتية . ومما يثير
الضجر والملل ان بن غوريون يشير الى نفسه
باسم « رئيس الوزراء » . وحسب ما اذكر ليس
هناك اي زعيم كتب سيرته الذاتية مستخدما ضمير
الغائب لان ذلك يثير النسخية . وسبب آخر من
اسباب فشل الكتاب انه طويل جدا ، فقد ضمه
بن غوريون نصوص الخطابات المهمة وغير المهمة
التي القاها وكذلك كل مذكرة كتبها . ولان بن غوريون
يجمل ، في شكل مختلط ، من دولة اسرائيل او
بالاحرى من حكومتها موضوعا لكتابه بقدر ما
يجعلها موضوعا لسيرة حياته فاننا نجد عشرات
الصفحات المملة التي تبدو وكأنها صفحات من
الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية : فنحن لسنا
بحاجة الى شخص مثل بن غوريون ليعطينا ارقام
الهجرة للعام ١٩٥٨ او ليخبرنا عن عدد البيوت
الجديدة التي بنيت في العام ١٩٥٦ . كما انه لم
يكن منطقياً ان بن غوريون (الذي يصرح باحتقاره
لتعدد الاحزاب السياسية في اسرائيل) يضع
صفحات كثيرة في وصف مناورات تلك الاحزاب
التي لا تنتهي ويتفصيل دقيق .

إلا ان هناك موضوعا واحدا يعالجه الكتاب ويبدو
فيه شخصيا جدا ، ذلك ما يسمى « قضية لامون »
التي وقف فيها بن غوريون الى جانب المؤسسة
العسكرية الاسرائيلية ضد لامون وزير الدفاع آنذاك
وليئي اشكول . وكتب بن غوريون مطولا عن هذه
الحادثة ولكن بطريقة تكشف فقط ان بن غوريون

الضامن الضمير المستطاع ان يقاتل على دين
غوريون النبي الضمير ورجل الدولة الكبر

ولا يرجع فشل الكتاب الى انه يحتوي على حقائق
كثيرة جدا وانما الى كونه لا يضم الكفاية منها
والى كونه يغفل حقائق كثيرة أخرى . ان الموضوع
إذ الذي يعالجه بن غوريون بأعظم تفصيل هو أحداث
١٩٤٧ و١٩٤٨ . ولكن ما هي القبة التاريخية
لرواية تتقدم وصفا منصلا للهجوم العربي على
القافلة اليهودية المتجهة الى جبل سكوبس ولا تقول
كلمة واحدة عن المجزرة التي ارتكبتها الصهيونيين
ضد سكان قرية دير ياسين العربية ؟ وما هي القبة
التاريخية لرواية يسردها احد المحررين الرئيسيين
للعديان على السويس في العام ١٩٥٦ عن ذلك
العديان دون ان تقول كلمة واحدة عن الترتيبات
السرية التي قام بها بن غوريون في التواطؤ
البريطاني - الفرنسي آنذاك ؟ وليست رواية بن
غوريون حول هذا الموضوع غير تامة فحسب بل
انها ساذجة الى حد اثار الضحك . ففي حين
يخصص ٥٣ صفحة للحديث عن فضيحة لامون يترك
٣٥ صفحة فقط للحديث عن مسألة السويس . ولا
توجد ايضا كلمة واحدة عن محاولات بن غوريون
المتكررة والمفاصلة لدخول منظمة معاهدة شمالي
الاطلسي أو لتحقيق تحالفات ثنائية مع بريطانيا ثم
مع فرنسا وبعد ذلك مع الولايات المتحدة . ولا
يقول كلمة واحدة كذلك عن محاولته الناجحة في
احكام الصلات مع ايران والحيشة والتي أصبحت
عاملا من اعظم العوامل أهمية في سياسة اسرائيل
شرق الاوسطية .

وبما ان بن غوريون غير صادق الى حد كبير من
حيث طمسه للحقيقة فانه لا يثير استفرابنا ان يكون
غير صادق الى الحد ذاته من حيث طرحه امورا
بسيطة خاطئة . وهكذا فانه يكرر الكذبة الفاضحة
بان الفلسطينيين تركوا بيوتهم في ١٩٤٧ - ١٩٤٨
وقفا للاوامر التي صدرت اليهم من الهيئة العربية
العليا . وهو يكرر حتى الكذبة الصارخة بان
اسرائيل انما قامت بهجوم مضاد فقط للدفاع عن
نفسها في الخامس من حزيران ١٩٦٧ لان القاذبات
والدبابات المصرية شوهدت وهي تتقدم لهاجمة
اسرائيل . وبسبب هذه الاخطاء التاريخية في الافراء
والالغاء يكاد كتاب بن غوريون يصبح مجرد واجبة
دعائية مؤثرة جدا . ويجب ان يعلم بن غوريون
قبل أي انسان آخر ان هذه هي حقيقة كتابه

لماذا اذن يقوم شخص واقمي وعلمى مثل بن غوريون
بوضع مثل تلك التلميحات التي حفل بها كتابه ؟ ربما
كون سبب ذلك ان بن غوريون يعتقد ان الكثير من
الحقيقة قد قيل في سيرته « الرسمية » التي وضعها
مخائيل بار زوهار في كتاب « النبي المسلح » وانه
شعر ان الوقت قد حان لمزيد من الإطراء . وقد
يكون من الطبيعي ايضا لبن غوريون « كوطنى
اسرائيلى » ان يحاول اعطاء انطباع جيد عن بلده
قدر استطاعته ويكل ما لديه من سلطان . ان ذلك
يشكل رغبة طبيعية لدى بن غوريون واسرائيل لا
كوسيلة لغاية وانها كافية في حد ذاتها . انه جزء
من مبرر وجود اسرائيل التي لا ترى في الدعاية
المناسبة امرا ثانويا وانما ضرورة قومية .

ان ما ترتكز عليه الدولة اليهودية مسن ظلم ولا
انسانية يمكن التغاضي عنه او اغفاله او تناسيه
اذا امكن فقط تبيان ان اسرائيل هي دولة من نوع
خاص جدا . وان الاسرائيليين شعب خاص جدا لا
يخطئون ابدا ويجب ان يغفر لهم اذا اخطأوا .
وهناك طبعا الخرافة القديمة القائلة بأن اليهود
هم شعب الله المختار ، الا انها لا تجد كثيرا من
الاذان الصاغية في عصرنا الحاضر والبعيد عن
الإيمان الدينى . وعليه فان الاسرائيليين ليسوا
مجرد شعب مختار وانما يجب اظهارهم ، لضرورات
سياسية ، على أنهم نوع جديد من « الشعب
المختار » . ولقد قيل إن اسرائيل لا يمكن ان تكون
دولة مثل باقي الدول ، بل يجب ان تكون استثنائية
لان لها رسالة خاصة تحققها وهي بمثابة النور
للعالم وخاصة العالم الافرو - آسيوي . وكان
بن غوريون دوما من دعاة هذه الفكرة الرئيسيين ،
مقدّمال في كانون الثانى ١٩٤٩ وبعد اسبوع من
وقت القتال : « سنستطيع انجاز هذه الرسالة
فقط اذا عيانا الى ابعاد حد اليزرة الوحيدة التي
نتبع بها وهي فرادة الشعب اليهودى الادبية
والفكرية » . ولا حظ استخدامه كلمة « الادبية » ،
وفي الجزء النهائى من الكتاب حول المستقبل ووراثة
الامة الفريدة يشير بن غوريون مرارا وتكرارا الى
فكرة الفرادة والتفوق اليهوديين . فهو يتحدث عن
« اليزرة المتفوقة للامة العبرية » ويقول « ان
مستقبل اسرائيل سيمتد على الحفاظ على هذا
التفوق وتعزيره اكثر من اعتياده على اي شيء
آخر » .

ويحاول بن غوريون في هذا الكتاب اقتناع الاسرائيليين
وغيرهم بهذا التفوق العنصرى الفريد . ولذلك فانه
من المستحيل « لاسباب تتعلق بوجود الدولة
والوجود القومى » ان يعترف بن غوريون بأن
اليهود الاسرائيليين اذنبوا بارتكابهم اعمالا وحشية
مثل مجزرة دير ياسين وطرد الشعب الفلسطينى
من ارضه . ويستحيل ان يغتصر بن غوريون بأن اليهود
الاسرائيليين يمكن ان يكونوا مخادعين وخائنين بحيث
يلعبون دورا حقيرا في خدمة المعتدين البريطانيين
والفرنسيين وفقا لمعاهدة سرية . ويستحيل ان
يصف بن غوريون « اشتراكية » اسرائيل في الوقت
الذى تتحالف فيه مع قوتين محظيتين خاضعتين لحكم
امبراطورين يرتكزان على القمع ومعرضين للتداعي
والسقوط . ومن المستحيل ان يعترف بأن اسرائيل
ربحت حرب حزيران ١٩٦٧ بسبب « هجوم تسلي
جبان » . واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق
لما بقي هناك سبب للجهء باسرائيل الى الوجود
ما دامت دولة مثل سائر الدول بل هي اكثر
وحشية وقسوة من غيرها . اما اذا اقبل الظلم
الذى ترتكز عليه اسرائيل فانه يترتب على ذلك
اظهار الاسرائيليين على انهم شعب خاص ، بلا
خوف او شعور باللوم او الخزي ، واقتناع
الاسرائيليين انفسهم وغيرهم بذلك وتلك كانت هي
الامور التي حذفها بن غوريون . ان القول بأن
لاسرائيل عيوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي
نقط بل خيانة عظيمة بالنسبة لشخص مثل بن
غوريون .

ان اكاذيب بن غوريون وغيره من رجال الدعاية
الاسرائيليين والصهيونيين ليست مجرد اكاذيب
دعائية تريد ان تضفي بريقا على الاشياء وانما هي
اكاذيب اساسية تحمي صميم الوجود الصهيونى
ذاته . ان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائى
العادي ولكنه يقضى على الصهيونى . ولهذا السبب
يغالى الاسرائيليون والصهيونيون في التاكيد من ان
حقيقتهم لن تظهر ابدا . وهذا الخوف الصهيونى
الفعلى من الحقيقة هو احد اقوى مصادر الامل في
مستقبل هذا الجزء من العالم . لان الحقيقة سوف
تظهر .

جودفري هـ. جانسن

ساهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الارزن - ايلول ١٩٧٠
رسوم ضياء الغزاوي (بغداد ، ١٩٧٢) .

بجمالية خاصة . وكثيرون هم الفئاد الذين تحت وطأة ثقافتهم وتقاليدهم الفنية سائداً مارسوا جوارحهم انهار امام صنعة ضياء وتقنيته . واعتقد انهم - اي جمهور صالونات العرض والتعاود - ظلوا أسرى الفهم الدارج للوحة الفنية ، كصناعة وكحلية . مضاناً الى ذلك ان ابجدية ضياء الغزاوي الفنية تنتمي الى اصول الارث النثري العريض الكامن في المنطقة . لذلك يفهمون لوحات كصدي معاصر لهذا الارث .

ما من شك ان جزالة لوحات ضياء الغزاوي اللونية والشكلية تضمنين قدرة لا يستهان بها على اغراء المتفرج . وبالنسبة لي شخصياً استهوتني اللغة ضياء الغزاوي الى حد كبير ، وأجد من الصعوبات علي ان أفضل اعجابي التقني بانتاجه عن ذكريات الطفولة مع كل رموز الشرق التي مثلتها عندى طمعة سجاد قديمة .

ان الكتاب الذي نحن بصدده ، والذي يتضمن رواية ضياء الغزاوي لمذكرات تركها مقاتل أثناء أحداث ايلول ١٩٧٠ في عمان ، نموذج لحركته في الحياة والثقافة العربية المعاصرة ، وكشف لرواياته فيها . فقد تضمن الكتاب نحو ٧٠ تخطيطاً يرافق السرد النثري لأحداث القتال في احد جناب عمان « الحسين » من زاوية رؤية مقاتل وشاهد على ما حدث في ايلول . بيد ان هذه الرسوم ليست مجرد Illustrations لهذه المذكرات . وليست مجرد سرد تقليدي يواكب السرد النثري ويقف على هامشها . انها رواية جديدة بريشة ضياء الغزاوي تفني اليوميات التي تركها المقاتل وتقف الى جانبها والواقع ان المذكرات التي تركها المقاتل تتضمن عناصر الاشارة الحسية ، رغم عيوبها وزكاكتها الانشائية ، فهي قد خضعت الى شيء من التفريغ لاجراض صحفية افقدتها شيئا من عفويتها وطراحتها كالتطبيقات مباشرة على الأحداث .

وعلى النحو الذي يسلكه السرد النثري تتتابع تخطيطات ضياء ، مقدمة تكوينات متنوعة للمقاتلين في حالة انتباه ، واستعداد لحدث مرتقب . ان هذه التكوينات تتضمن اوضاعاً منتخبة لمقاتلين متاملين اسلحتهم الفردية ، أو هم يشرعونها ، ويمتدح التخطيط بالكتابة اللغوية ، المشتقة من سواد

من قلة قليلة من الفنانين التشكيليين العرب ، تشغل اعمال ضياء الغزاوي مساحة كبيرة من الهواجس والهموم العربية الراهنة ، التي وهي تنتقل الى اصيغة واللوان ، اي الى لغة التشكيل ، تكتسب حضورها من ابتعادها بضع خطوات عن المباشرة واللازمات والهوامش والتفاصيل التي تغلف وتحيط بهذا الشكل او ذاك لوحة الحياة العربية . اي انه باقترايه منا ، لا تستهويه سهولة تقبل الاشياء كما تعلن عن نفسها ، انه يختبرها ، يمحسها ، ينتحها ، واهيانا كثيرة يرفضها ، ليس لانه يستنكف معاشتها كأمر واقعية ، بل لانه يدرك عن تفرس ، طابع الوهم والادعاء ، احياناً التشكل الطارئ للاشياء في اللحظات الراهنة ، وهو هنا يعتمد عن الخفة والاستسهال والتلق ، ويتسلح بحس تجريبي يجعل مجالته تقترب من الجوهرى ومن العمق في الحياة العربية المعاصرة ، هوماً ووجوداً ، ناقياً ولافظاً الاجزاء الميعة منها ، غير حائل بما تسربل به اشياؤنا المعاصرة من ادعاءات او نيات او اشكال لم يثبت له صحة تحقيقها . لذلك تبدو اعمال ضياء الغزاوي بمثابة لنوع من الشعور والحدس المباشر بأنه يمتد في الماضي اكثر مما هو يرى في الحاضر ، ويعتبر آخر انه يدرس اكثر مما يحس ويعاني ويعايش . ان هذا الشعور ازاء اعمال ضياء لا يخلو من مبرر موضوعي . انه فعلاً ولاسباب جد محقة ، يفعل ما يوحي بهذا الشعور عن تصميم واع . ان الانسان العربي الراهن ، ليس هو كليا الذي يقدمه لنا المجتمع المشهدي القائم ، اي مجتمع السوق والبضاعة وتقسيم العمل ، ففي داخل الانسان العربي الراهن يمتد التاريخ اكثر مما يبدو لنا فعل الحاضر ، وهو اذن حصيلة ذلك الامتداد في الماضي وهذا الولوج في الحاضر ، ومن ثم تتشكل حقيقة الانسان العربي بمقدار التفاعل الجارية فعلاً بين ما هو تاريخي وراهن ، وهي الحقيقة التي لا تقدمها النظرة الساكنة في لوحة الحياة العربية ، والتي يبدو فيها الانسان العربي ناقداً لذاكرته . وواقع الامر ان ضياء الغزاوي يحقق مجالته التشكيلية ، عبر هذه النظرة الصارمة للواقع . وكثيرون هم الذين توقفوا في تعاملهم مع انتاج ضياء عند المعالجة التشكيلية نحسب ، التي تمتاز

اليوميات ، التي تعطي التكوين العام للوحة جمالية الحرف العربي بالإضافة الى الدلالة اللغوية للكلمات المتبسة .

ومع انتقال اليوميات الى الصندام بين الجيش والسلطة من جهة والمقاومة والجماهير من جهة اخرى ، تنقل رسوم ضياء لحظات الكون للبدعرات ، ضحايا القصف الرجعي ، الاشتباك مع الاليات وتصفنها بأسلحة الار. بي. جي .

وتتالى صور يتعاش داخلها الموت والجثث الممزقة مع ثلمات المقاتلين المديدة وصمودهم . ان الجثث المبددة ، اطراف الاليات ، والازهار ، وكتابات مثل « وكنت اسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى .. » « و« نجاة يفقد الموت معناه وينتاب المرء شعور بأن الناس انما يرتاحون على قارعة الطريق .. » تصبغ رسوم ضياء بسواد المأساة . وتكرر في كثير منها ثنائيات الموت والصمود : الجثث المتراكمة والمقاتل المنتصب بيغظة . مع تصاعد القتال ، وازدياد الاوضاع سواء ، فان صور الاطراف الميتورة ، الاجساد الممزقة ، القصف العشوائي ، والضحايا من المدنيين والاطفال تقطع تواصلها لحظات البطولة والصمود من المقاتلين حتى نهاية اليوميات .

والواقع انه من الصعوبة بمكان ان نعطي هذا الكشف التصويري لليوميات حقه ، اذ يحول دون ذلك محدودية التعبير النثري عن احتواء التعبير التشكيلي ، وهي الصعوبة التي يعاني منها النقاد عموما . واكتفي بأن اشير الى ان ضياء المزاولي قدم عبر الكتاب صورة عن تجاربه وتنقيحاته الاسلوبية ، التي نمدها فيه . فكلثافة انتاجه وتنوعه ، تمكنه من الدائب للتجربة وللتنقيح ، وهو هنا يختار موضوعا قريبا من اهتماماته ، فالانسان في انتاج المزاولي له مركز الاستقطاب ،

ومأساة كذلك التي عرمتها الشعب في الاردن في ايلول ١٩٧٠ تعطيه فرصة تجزير الدفق الدافئ والحزين الذي يكتسي تصويره . ان الموت ، كما الحب ، عند المزاولي موضوع حبيب يقربه من البؤس العام الذي يظل الانسان في المنطقة . وهو حتى في اكثر لوحاته اشراقا ينطوي عن هاجس خوف وعن حدس مطبوع بنذر غامضة تدفعه الى جعل اجسادهم مؤلفة ومتعاقبة او مشدودة الى بعضها البعض بنوع من التقية والعزاء اراء العالم الراهن . من هنا اجد في رسوم الكتاب اكثر التصبيحات التي تداولت المقاومة والفدائي جمالا ، وابعدها عن الاتعمال وعن الكليشيه . واكثرها حبا للانسان المقاتل . ان جمالياتها ، ليست تحصيليا لتقنية متمكنة ، فقط ، انها ترجيع وتجل شعري لشاعر حب الجماهير تشف عن بنية نضالية ، اكتسبت صياغتها وابدائها من موقف متقدم ومن احساس بمادة القضية التي يعالجها ، لذلك فان رسوم المزاولي تنطوي على اضافات شكلية وعلى جمالية خاصة مستمدة ، بدون مباشرة نجة ، من هيئة المقاتل ، كوفيته ، ملابسه ، سلاحه . فيما وجهه يختصر - كما هو متوقع - في عينين محسب .

ولا ارجب - اخيرا - في ان يفوتني التنويه بالنص الانجليزي لليوميات النثرية الذي كتبه جبرا ابراهيم جبرا ، الذي تبثع برقة وسلاسة اضفت على اليوميات ، مقانة مباشرة وتباسكا عفويا . وان الاخراج الطباعي ، وبعض التصبيحات النثرية ، كبتاطع من اغاني المقاومة ومقتطفات من التقارير الصحفية عن مجزرة عمان ، منحت الكتاب مزايا اخرى تستحق التسجيل .

هاني حوراني

تيسير النابلسي ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ،
(مركز الأبحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٢) .

البواعث الدينية والسياسية والعسكرية «
ويعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من أبرز دوافع
الهجرة الحالية من الولايات المتحدة ... حيث
يضمن هؤلاء المهاجرون لانفسهم ولاولادهم ان يظلوا
يهوداً مخلصين » . ما دامت نسبة المهاجرين الى
عدد اليهود في الولايات المتحدة الاميركية « تعتبر
اقل نسبة هجرة من اي قطر اخر ، اذ انها تقل عن
(٠.٤٣ %) من يهود الولايات المتحدة » فليس هناك
ما يدعو الى الطلق والخوف . ويلفت المؤلف الانتباه
الى ارتفاع نسبة الهجرة من الدول الاخرى ، مثل
امريكا الجنوبية والاتحاد السوفياتي ودول اوربا
الغربية والدول العربية ، وبعض الدول المتخلفة
الاخرى من شمال افريقيا . وتبدو اهتمامات المؤلف
محصورة في دراسة الهجرة كميًا ، وليس في
دراستها نوعياً . فعلى الرغم من ذكر الكائنات
لكفاءات المهاجرين الدائمين او المؤقتين من
الاميركيين ، فهو لا يحلل ابعاد الدور الذي تقوم
به هذه الكفاءات المهاجرة في بناء الهيكل الاقتصادي
والعسكري لدولة اسرائيل . فهو يذكر ان (١٢٥) .
اسرة اميركية هاجرت الى اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ .
« وان ٢٦ من افراد هذه الاسر متخصص في شؤون
الطيران الحربي ، و ٢٦ منهم من الطيارين
العسكريين السابقين ، و ١٨ من مهندسي الرادار »
بالاضافة الى عدد لا بأس به من خبراء عمليات
التشويش على الرادار . ويذكر المؤلف ايضاً ان
« من بين مئات المهاجرين من الولايات المتحدة
عدداً من الفنيين والمهندسين الذين هاجروا بسبب
تخفيض برنامج الفضاء الاميركي » ، و « ان
المشروع الذري والصناعات الهندسية والالكترونية
بجانب مطار اللد قد طمعت بكثير من الخبرات
الاميركية » . على الرغم من كل ذلك يعتبر المؤلف
ان الدافع الديني « من أبرز دوافع الهجرة الحالية
من الولايات المتحدة » الى اسرائيل .

تحت عنوان « الهجرة اليهودية من الاتحاد
السوفياتي » يذكر المؤلف ان هجرة يهود الاتحاد
السوفياتي قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ،
كانت « تتم بشكل محدود جدا وفي نطاق برنامج
جمع شمل العائلات بالنسبة للمتقدمين بالسن
... » . ويذكر المؤلف ايضاً ما تردده الصحف
الاسرائيلية احياناً من اخبار « مفادها ان الاتحاد

يتوقع المرء ، بعد القاء نظرة على عنوان كتاب
السيد تيسير النابلسي ، احد امرين : الاطلاع
على دراسة احصائية منظمة لاعداد اليهود المهاجرين
الى اسرائيل واعداد النازحين (الهجرة المعاكسة) ،
او دراسة تحليلية لاطراف الهجرة والهجرة المضادة
من وإلى اسرائيل ، واسبابهما السياسية
والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولكن جاء
بحث السيد النابلسي لا علاقة له بالدراسة
الاحصائية ، او بالدراسة التحليلية العلمية التي
كنا نتوخاها من الكتاب . فالنابلسي يقول في
مقدمة بحثه « ان اهمية المواجهة في ميدان الهجرة
كانت الحافز لهذا الكتاب ليسهم في بحث الجوانب
المختلفة للهجرة اليهودية وقضاياها في المرحلة
الراهنة » . فهل اسهم المؤلف ، حقاً ، في بحث
الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية ، وهل بحث في
قضايا مرحلتها الراهنة ؟

عند الحديث عن حركة الهجرة الى اسرائيل بعد
عدوان ١٩٦٧ يبدأ المؤلف بالقاء نظرة عامة على
حركة الهجرة ، ويعرض ارقام المهاجرين الى
اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعرض
لنا ايضاً الارقام التي تنشرها الجهات الاسرائيلية
الرسمية بالاضافة الى تصريحات الرسميين المتعلقة
بهذه الهجرة . وينقل المؤلف بعد هذا التمهيد
ليعرض الارقام نفسها بصورة تفصيلية ، موزعة
في جداول مختلفة ، وذلك حسب البلاد التي قدم
منها المهاجرون وحسب المهنة والجنس والعمر .

ومن قراءة الفقرات المخصصة في كتابه لمعالجة
دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية ومن
دول اوربا الغربية الاخرى ، ولمعالجة « عوامل
ضعف الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية وكثده
وعودة المهاجرين ثانية الى الولايات المتحدة » ،
يفهم من هذه القراءة انه لا خطر من هجرة يهود
الولايات المتحدة الى اسرائيل ، وان دور هذه
الهجرة في تقوية بناء الدولة الاسرائيلية ودعمه
ضعيف ومحدود . فالؤلف يقول - بعد اخفاق
الحركة الصهيونية في احاطة اليهود في الولايات
المتحدة الاميركية بجو نفسي للمدى الذي يدفعهم
للهجرة - يقول ان دوافع الهجرة من الولايات
المتحدة الى فلسطين المحتلة « تبقى محدودة ببعض

السوفياتي سيسمح بهجرة يهود روسيا التي
إسرائيل بعد انسحاب إسرائيل إلى حدود الخامس
من حزيران سنة ١٩٦٧ . يمكن القول ان كلمات
المؤلف هذه هي كل ما خصمه للحديث عن هجرة
اليهود من الاتحاد السوفياتي ، وان القسم الختبي
من معالجته لموضوع هجرة اليهود من الاتحاد
السوفياتي اتى على شكل (ريبورتاج) صحفي ،
جميع فيه المؤلف ما تنشره الصحف اليومية من
تصريحات وتعليقات للمسؤولين ، وجاءت معالجته
لهجرة يهود الاتحاد السوفياتي سردا لحمولات
الصحف الاسرائيلية على الاتحاد السوفياتي ولردود
الاتحاد السوفياتي على هذه الحملات . والمؤلف ،
بذلك ، لم يتحدث عن هجرة اليهود من الاتحاد
السوفياتي ، ولا كيف تتم ؟ وتحت اية ظروف ؟
وما هي الدوافع والاسباب ؟ وما هو مستقبل
الهجرة ؟ وما علاقة هذا المستقبل مع التسوية
السياسية لازمة الشرق الاوسط نظرا للدور الكبير
الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي فيها ؟

يفرد المؤلف من كتابه فصلا كاملا لمعالجة حركة
الهجرة المعاكسة (النزوح) ودواعيها . وجاء
هذا الفصل ، كخبره من الفصول ، ناقصا
ومشوها . فعلى الرغم من ذكر المؤلف لاعتداد
التاريخين من اليهود بعد عام ١٩٦٧ ، فهو يصر على
تخصيص عدة صفحات من هذا الفصل للحديث عن
حركة النزوح خلال الفترة من ١٩٤٨ حتى عام
١٩٦٧ ، بينما موضوع بحثه هو حركة الهجرة
اليهودية بعد عام ١٩٦٧ . ونعني هنا انه من
الافضل لو تحدث عن حركة النزوح قبل عام ١٩٦٧
نشيء من الاجاز والتلميح . ويوجز المؤلف في نهاية
الفصل اسباب الهجرة المعاكسة باسباب ثلاثة :
« اسباب أمنية : الخطر من نشوب قتال وعدم
استقرار الدولة الاسرائيلية ، اسباب اقتصادية :
ارزها . توفر فرص اقتصادية افضل في الخارج ،
اسباب اجتماعية : تتعلق بفصل استيعاب
المهاجرين واندماجهم في المجتمع الجديد اسكتنا
ولغة وثقافة » . مما لا شك فيه ان هذه الاسباب
جوهرية واسبابية ، الا ان المؤلف وقع في مخالطات
عديدة في اثناء بحثه لهذه الاسباب بالتفصيل .
اذ بعد ان وضع للشعوب العربية فشل الاعلام
العربي قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - وهذا
لا يعني انه ناجح في يومنا هذا - نجد من يقر
ويعترف « بايجابيات الاعلام العربي » . فيقول
المؤلف بهذا الخصوص ان من « ايجابيات الاعلام

العربي الموجه ضد العدو الصهيوني في فلسطين
المختلة قبل عام ١٩٦٧ ، رغم سلبياته العديدة ،
انه ركز الشعور بالخطر على مصر الدولة
الصهيونية والسكان واثار هجمتها أشد القلق ، وكان
هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة » . فإذا
ركزت « ايجابيات الاعلام العربي » الشعور بالخطر
على مصر الدولة الصهيونية فسلبات هذا الاعلام
ركزت الشعور بالخطر على مصير الدول العربية
منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وإذا كان
من نتائج « ايجابيات الاعلام العربي » انها اثارت
القلق في نفوس السكان اليهود مما دفعهم الى
المزيد من الهجرة المعاكسة ، فحرب حزيران
ونتايجها زادت من معدلات الهجرة الى اسرائيل
وخفضت معدلات الهجرة المعاكسة . ولتر مما
اقترح السيد المؤلف بالجهاز الاعلامي المطلوب ،
فهو يرى « ان قيمة اي عمل اعلامي » بخصوص
التاثير في حركة الهجرة اليهودية من فلسطين الى
الخارج « تعتمد اولا على استمرار الكفاح المسلح
ضد الوجود الصهيوني الفاضب على ارض
فلسطين » . . ولكن ، هل غاب من ذهن المؤلف ان
يذكر دور الاعلام المهم في خلق الكفاح المسلح
وزيجه في ارض فلسطين ؟ لعل في نظرة خاطفة
على النتائج التي حققتها الاعلام العربي بشأن
المقاومة المسلحة في غزة اجابة على هذا السؤال .
وعلى الرغم من حديث المؤلف عن « توفر فرص
اقتصادية افضل » خارج إسرائيل ، فهو لا يخرنا
بالفرص الاقتصادية الاسوا داخل إسرائيل .

القسم الثاني من بحث المؤلف التاليسي يتعلق
بتضايي الهجرة ، يتحدث فيه عن تضايي استيعاب
المهاجرين وتنظيم الوزارات والدوائر التي تشرف
على الاستيعاب ، وعرض المشاكل الرئيسية التي
تواجه عملية استيعاب المهاجرين الجدد وانجازات
دوائر الاستيعاب ونقائتها . الى ان يخلص المؤلف
الى الحديث عن « الاساليب المختلفة لاستيعاب
المهاجرين » . وجاء معظم حديثه في هذا الفصل
لا علاقة له بالبحث موضوع الكتاب . فالمؤلف
يتحدث في معظم كتابه عن الاساليب المختلفة
لترغيب وترهيب يهود العالم للهجرة الى اسرائيل
منذ نشأتها . وهذا ليس له علاقة « بحركة الهجرة
اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ » وهو عنوان الكتاب .
وعلى الرغم من تكرار المؤلف للمواد والمعلومات في
اكثر من موضع في كتابه ، فهو لا يشرح لنا اسباب
اسكان المهاجرين في مناطق مختلفة ودوافع هذا

الإسكان ، فهو يذكر مثلا استيطان « ٦٦ / من المهاجرين الجدد في المنطقة الساحلية وأستوطنين الباقون مناطق التنمية وفي مدينة القدس ، وتسم توزيع ال ٣٤ ٪ الباقية في مناطق أخرى » ، إلا انه لا يذكر لنا اسباب هذا التوزيع ودوافعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

يختتم المؤلف بحثه بتحليل العوامل التي تساعد على الهجرة لاسرائيل ، ويربط تصاعد ، او هبوط ، الخط البياني للهجرة « باستمرار حالة الحرب او قيام حالة هدوء في هذه المنطقة » . هذا صحيح الى حد بعيد ، إلا ان يستبعد المؤلف « الدافع الاقتصادي » للهجرة الى اسرائيل فهذا ما لا توافق عليه . فهو يعتقد ان اغلبية اليهود الساحقة تعيش مستوى معيشيا عاليا ، « ولهذا فمن المستبعد ان يكون للعامل الاقتصادي اي تأثير في تحريك هجرة واسعة » الى اسرائيل . بينما ، في رأينا ، ان الاضطهاد الذي تعاني منه الطبقة العمالية - ومنها العمال اليهود - في البلدان الرأسمالية ، تلقتله الايديولوجية الصهيونية في البلدان الرأسمالية لتحوله في اذهان العمال اليهود الى اضطهاد عنصري موجه ضدهم بالذات . وتطرح الصهيونية امام هؤلاء بان الحل الوحيد يكمن بالخلص من النهائى من الاضطهاد والتوجه الى اسرائيل حيث يستعيد اليهودي مكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على ارضه . هذا ويمكن ان نضيف ان البطالة المنتشرة في الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية ينسب متفاوتة بالاضافة الى ارتفاع مستوى الاسعار ومستوى المعيشة في هذه البلدان ، يمتد تأثير ذلك حتى يمس الحالة المعيشية ليهود البلاد الرأسمالية ، مما يقوي حافز الهجرة عندهم . ويمكن ان نضيف ايضا ان الحرب العسكرية الاقتصادية غير المجدية التي تتودها الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام ، تدفع يهود الولايات المتحدة الى الهرب من الجندية في الجيش الاميركي الى كندا ومن ثم اللجوء الى اسرائيل خلاصا من ويلات الحرب الفيتنامية . هذا من العوامل الاقتصادية في دفع هجرة اليهود التي اسرائيل من الدول الرأسمالية (الغنية) . ولم يتحدث المؤلف عن دور العامل الاقتصادي وراء الهجرة اليهودية من البلدان المتخلفة ، اذ لا يمكن تغافل ذلك على الاطلاق . فالاضطرابات السياسية والعسكرية في البلدان المتخلفة تؤدي الى احيد اميرين : اما الى قمع الجماهير واستغلال قسوى

العمل وموضى الإنتاج وعدم الاستقرار المعيشي والحياتي والتخلف الثقافي والفكري والفقر الصحي والايديولوجي والمالي للسكان ، مما يدعم التهور من سكان هذه البلاد الى البحث عن الاستقرار والتخلص من كل ذلك بالهرب خارج البلاد وبالهجرة الى اسرائيل بتشجيع من الانظمة الحاكمة في تلك البلاد ، او تؤدي الى انتصار القوى الوطنية في البلاد المتخلفة ، اذ تبدأ الصهيونية باستغلال حالة التخلف الثقافي والسياسي لنسبة كبيرة من السكان اليهود في تلك البلاد ، بتصوير لهم انتصار الحركات الوطنية والاشتراكية على انه مؤشر لمزيد من الفوضى ، فتعمل على دفعهم للهجرة بسرعة كبيرة .

ولا يرى المؤلف في الدافع الديني اي اثر على حركة الهجرة ، « وحتى الانتماء للفكرة والمعتقد الصهيونية .. لم يستطع ان يحرك هجرة اليهود على نطاق واسع » . بل ان الذي يحرك هجرة اليهود واسعة في رأي المؤلف ، « هو عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد والشعور بالعداء والاحتقان » . ليس المهم ان تعرف اذا كانت الهجرة تتم على نطاق واسع او ضيق ، فالاهم ان تخلو الهجرة الحاصلة نوعيا وليس كيا . وبمسنا ان المؤلف لا يرى الا « عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد .. » وراء حركة هجرة اليهود التي اسرائيل ، فهذا ليس كل الحقيقة . فهناك عوامل عديدة اخرى تساعد على الهجرة الى اسرائيل اولها ، الدمع الصهيوني العالمي الذي تغذيه الصهيونية الى اسرائيل عبر مؤسساتها الاقتصادية القائمة في العالم ، وعبر نفوذها السياسي العالمي ، وعبر ما تملكه من اسهم ضخمة في وسائل الاعلام التجارية العالمية (صحف ، وكالات ، اذاعات محلية) ، اذ تعمل الصهيونية على تصوير اسرائيل في ذهن اليهودي على انها الدولة النموذجية الوحيدة . ثانياها ، الانتصارات العسكرية الاسرائيلية ، حيث ان نشوة الانتصار في اعقاب كل حرب تدفع بالعديد من اليهود للهجرة التي اسرائيل لتكدهم اليقين من القوة والقدرة العسكرية الاسرائيلية . فاعداد المهاجرين في الاعوام التي تلت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ زادت بنسب ملحوظة وبلغت عام ١٩٧٠ ما يزيد عن نسبة عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ معا . وثالثها ، دعم الدول الرأسمالية لاسرائيل ، حيث تعتبر اسرائيل موطنا اقتصاديا خصبا للاختراكات والشركات الرأسمالية العالمية .

عدوان ١٩٦٧ . ان الدراسة ليست اكثر من جمع لتصريحات وبيانات اطلقها مسؤولون في اسرائيل ، ونشرتها الصحف والنشرات الاسرائيلية الرسمية حاول المؤلف ربطها ببعضها بعضا ، فجاءت دراسته متناقضة في اكثر من موضع ، واكثر من مكان .

مصطفى كركوتي

عبد المنعم سعد ، السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للسينمائيين ، ١٩٧٢) .

التسجيلية والقصيرة ، التي تستطيع جميع الدول العربية بلا استثناء — حتى التي لا تنتج الافلام الروائية ، او التي لا يوجد بها صناعة سينما بالمفهوم الفني — ان تشتترك بها في هذه المؤتمرات . . يبدو ان المؤلف واقع في اعتقاد سهولة الفيلم التسجيلي ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لما يدور في الواقع . الفيلم التسجيلي هو الفيلم الذي يتعامل مع الواقع لا الذي يصوره فحسب . وهو ايضا انتقاء وتأطير ضمن وجهة نظر علمية مدركة ضمن موضوع يخضع للتأني ويوجد حالات من الانتباه ويدعو لاتخاذ موقف ازاءها ، موقف منحاز كليا . ان اي مؤسسة من مؤسسات القطاع العام لا يمكنها ان تقيم صناعة سينما روائية متقدمة دون ان يكون لها اساس تسجيلي متين ومتطور . يعود المؤلف فيقول في صفحة ٤ : « ولا شك ان احسن وسيلة سريعة فعالة هو الاشتراك في هذه المهرجانات بالفيلم التسجيلي ، اذا ما تعذر وجود فيلم روائي يصلح او يساهم عرضه في خدمة اهداف القضية الفلسطينية » . في هذا يعتبر المؤلف ان الفيلم الروائي هو الاهم ، وفي حالة تعذره لا باس من المساهمة بالفيلم التسجيلي ، في حين يدرك كل المعنيين بشؤون السينما في العالم اهمية الفيلم التسجيلي ليس في عكس واتسع حركات التحرر فحسب بل في اضافة معنى جديد للواقع من خلال عملية الانتقاء والفرز والتعليق . ثم كيف تنتج سينما القطاع العام العربية افلاما تسجيلية عن القضية

وتمثل الاستثمارات الرأسمالية الاجنبية جزءا مهما من القطاع الخاص الصناعي الاسرائيلي . فالرهان على استمرار الدعم الرأسمالي والاطمئنان الى القوة التي تمثلها الدول الرأسمالية يشجع يهود العالم على الهجرة والسكن في اسرائيل .

دراسة المؤلف جاءت بعيدة كل البعد عن النظرة التحليلية لواقع الهجرة اليهودية ، كما انها ليست دراسة احصائية منظمة لحركة الهجرة اليهودية بعد

يحاول المؤلف في هذا البحث مناقشة اهمية الفيلم السينمائي واهمية الارشيف لسينما القضية الفلسطينية . كذلك ما يمكن ان يلعبه فيلم القضية في مجال مهرجانات السينما . انه لمن المفيد جدا تنبيه مؤسسات القطاع العام في عالمنا العربي الى تخصيص جانب من نتاجاتها السينمائية لقضية فلسطين . ولكن تقديم بحث وتعميمه يحتاج في ذات الوقت للتوغل في سبيل توضيح نوعية الافلام وانتاليها ، بمعنى اي الافلام اكثر ملاءمة للتعامل مع الواقع ومنحه بعدا يحتوي وجهات نظر حركة المقاومة الفلسطينية .

في مقدمة الكراس الذي يقع في ٣٥ صفحة من القطع المتوسط (رونيو) يوضح المؤلف وبشكل تقريبي ، الصراع المتصاعد بين الدول العربية واسرائيل ، وان هذا الصراع يستلزم تصدي الأمة العربية للاعلام الصهيوني عبر الفيلم السينمائي ، كذلك يعتقد المؤلف ان الشعب العربي هو في صراع ضد الامبريالية والصهيونية العالمية ، دون ان يشير الى خطورة الرجعية العربية ودورها الخطير في تفنيت القوى الوطنية واضعاف دورها في المعركة ، لان نضال الشعب العربي هو نضال ازاء ثالوث الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . يقول المؤلف « . . وبصرف النظر عن اشترك الدول العربية في بعض المهرجانات السينمائية الدولية بالافلام الروائية التي تجسد المستوى الحضاري والثقافي للأمة العربية ، فان ما يهمنا في هذه المرحلة ، التركيز على انتاج الافلام

الفلسطينية ، وبالمهولة التي اعتدتها المؤلف (١) .
ان تقديم اعمال تسجيلية عن القضية الفلسطينية
تتطلب بمقدارة اروقة الاستوديوهات ومعايشة
القضية في مواعمتها والاندماج كليا فيها والا فان
الاشربة ستاتي باهتة وعابرة .

بعد ان يستعرض لنا المؤلف مهرجانات السينما
التي تعنى بالافلام التسجيلية يوضح وجهة نظره في
اهمية الفيلم ضمن القضية الفلسطينية . لنقرأ
ما يقوله بالثس « قبل الحديث عن دور الفيلم
السينمائي في قضية فلسطين ، ينبغي الإشارة - في
لمحة سريعة - الى ماهية الفيلم التسجيلي بمفهومه
الفني . وتطوره . بين الفيلم التسجيلي والفيلم
الروائي اختلاف جوهرى متشعب النواحي ،
فالفيلم الروائي غايته اولا - وقبل كل شيء -
الربح المادي ، والعكس تماما مع الافلام التسجيلية
والقصيرة فلم يكن الربح يوما اساس تلك الافلام .
ومن ثم نجد ان الدول في جميع بقاع الارض هي
التي تقوم بانتاج مثل هذا النوع من الافلام . لا
ادري اي فهم لدور السينما عبر الفيلم الروائي
يدور في ذهن المؤلف واية تناعة دعت مؤسسة
السينمائيين في مصر لتعميم مثل هذا الرأي . اذا
كان الهدف من انتاج الفيلم الروائي هو الربح
المادي فان ذلك يتعلق بانتاج مؤسسات القطاع
الخاص كونها مؤسسات تجارية ، اما مؤسسات
القطاع العام فانها تنشأ بدوافع واهداف فكرية
يحتة ، وان كل قرارات التأسيس في الاسباب
الموجبة لتشريع قوانين مؤسسات القطاع العام
السينمائية تشير الى أهمية الفيلم السينمائي
واستخدامه كوسيلة فكرية واعلامية ، اما اذا ما در
هذا الفيلم أو ذلك ايرادات جيدة لشباك التذاكر
فانما بسبب قدرة الفيلم على التعبير عن تطلعات
اوسع الجماهير ومدى امكانية كاداره الفني في
تحقيق شريط متباك الوحدات ، فالتوجه الفكري
في السينما هو الأساس وليس شبك التذاكر ،
لذلك فان اكداس الاشرطة من تلك التي استهدفت
الشباك قد اخفقت في هدفها ، وما اندماج كثير من
كبريات شركات الانتاج العالمية في بعضها البعض
الا الدليل على هذا . لقد حاول الكثير انتاج افلام
روائية عن القضية الفلسطينية لحساب القطاع
الخاص وفي فترة اندلاع الثورة المسلحة وتلاحم
الجماهير العربية مع الاطلاعة ، لكن كل ما انتج
من افلام قد اخفق فيما استهدفه لانه لم يكن قد عبر
عن القضية الفلسطينية بصدق ولان كل هذه الافلام

قد شوهت شخصية الفنانين ضمن اجزاء لا تمت
الى واقع الشعب الفلسطيني وواقع حركة المقاومة
بشيء .

يشير المؤلف في صفحة (٨) الى قادة حركة الفيلم
التسجيلي ، ونسى ان يذكر الهولندي (يوريس
ايفانس) الذي جال العالم في تحقيق افلام تسجيلية
اذ اخرج اول افلامه عام ١٩١١ عندما كان عمره
ثلاثة عشر عاما فقط . والسوياتي (دزيجا فمروف)
مكون جماعة (سينما - عين) الذي اعلن في بيان
عن ضرورة هجرة الاستوديو والتوجه الى الحياة .
كما اشار الى ان (كافالكانتي) هو فرنسي بينما
هذا المخرج برازيلي ولد عام ١٨٩٧ ويعتبر من أهم
السينمائيين المعاصرين في العالم . لكنه عمل لفترة
في فرنسا كمهندس ديكور ثم تحول الى مخرج عام
١٩٢٦ بفيلم (لاشيء سوى الساعات) قصة
(جي دي موباسان) . كما اعتبر بودوفكين
وازنشتاين من التسجيليين بينما هما مخرجان
روائيان معروفان .

وفي محاولة من المؤلف لتحديد ابعاد النظرة للوقت
العربي الاسرائيلي لجأ الى نشر النقاط العشر التي
حددها عبد الناصر في مؤتمر البرلمانيين الدولي
المنعقد في القاهرة بين (٢ - ٥ شباط ١٩٧٠) ،
وبعد ان ينشر هذه النقاط يعود الى القول « ان
اسلوب الدعاية بالانلام هو الذي يحدد مصير
الحروب » . لا يمكن ان يعتقد اي انسان ضمن
عالم التكنولوجيا والصراع القائم بين الشعوب
المكافحة والامبريالية ان مصير الحروب يتحدد
باسلوب الدعاية بالانلام والا لوجدنا نسبة
الاعتمادات في ميزانيات كل الدول تزيد في مجال
السينما عن اعتمادات الوزارات العسكرية .
السينما ليست اكثر من اداة تسهم في بث الوعي
وفي عملية التنبيه وفي فضح العلاقات الزائفة وتأكيد
حالة الصراع الطبقي وتصعيده لتسهم بدورها عبر
هذا في عملية التغيير والتطور . ولكن اشارة المؤلف
بخصوص الهيئة الاعلامية للصهيونية قبل حرب
يونيو (١٩٦٧) كانت ذكيرة . يقول المؤلف في
صفحة (١٧) « قبل معركة يونيو ١٩٦٧ غزت
اوروبا افلام عن اضطهاد النازية لهم . . . مما ساعد
على تكوين رأي عالمي يسانداهم ويتعاطف معهم . . .
بل ان اسرائيل تنهج في سياستها الاعلامية عن
طريق السينما ، نهج المانيا النازية وتسير في
خطاها . فقبل ان يجتاح الالمان النرويج ، اسان

الحرب العالمية الثانية ، بفترة قصيرة دعوا عليه القوم في اوسلو الى عرض سينمائي خاص حيث شاهدوا الفيلم الالماني عن الحملة البولندية ، وعرضوا جزءا من هذا الفيلم في نهاية الفيلم الامريكى ، الاعداء الذين ننظرهم ، وأوحى الفيلم بفكرة عن اثر الحرب على الترويجيين الامنيين المحبين للسلام . هذه هي الطريقة النازية في استغلال السينما في الحروب ، وهي الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل اليوم .

يحاول المؤلف ان يحدد عشر قضايا كمادة للفيلم التسجيلي عن القضية الفلسطينية : القضية الاولى (تطور القضية الفلسطينية) ويقترح فيها عرض الموضوع بدءا من مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى ١٩٤٨ ، ويريد المؤلف تصوير الشعب الفلسطيني ونضاله المسلح من اجل تحرير الارض من الاستعمار الصهيوني المتحالف مع الامبريالية العالمية ولإقامة الدولة الديمقراطية . القضية الثانية - شرعية المقاومة الفلسطينية - فيلم يتناول شرعية الكفاح المسلح من خلال تعرية التآمر الذي خسد الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ لمعارضتها لحق الشعوب في تقرير المصير . القضية الثالثة - نظام الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ - يتناول هذا الفيلم ما انتهجته اسرائيل من اجراءات ادارية ضمن الاراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ومخالفة ذلك للاتفاقات والقوانين الدولية وذلك باصدارها مئلا تانون الاحكام الادارية والمحاكم المدنية وانشاء المستعمرات لاستيطان رعاياها على حساب تشريد عشرات الالوف من المواطنين ونسف المنازل ضمن اجراءات ارهابية . القضية الرابعة - قرارات الامم المتحدة عن اللاجئين الفلسطينيين - فيلم يتناول قرار الجمعية العامة بالنسح للاجئين الراغبين في العودة الى منازلهم ، ورفضهم للعودة دون الاعتراف بحقهم الكامل ، وتوضيح موقف اسرائيل من قرارات هيئة الامم المتحدة . القضية الخامسة - آثار اغلاق القناة على اقتصاديات عدد كبير من الدول - فيلم يوضح اهمية القناة كشریان مائي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب ، خاصة البترول بين مصادر انتاجه واسواق استهلاكه ، وشرح اهمية هذه القناة منذ افتتاحها في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ حتى اغلاقها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتأثير ذلك على الصناعة في اوربوا الغربية والدول

القائمة في آسيا وافريقيا . القضية السادسة - حرب يونيو ، ودلالاتها وتطوراتها - فيلم عن جوانب حرب يونيو ودوافعها وكونها ليست صراع حدود بين دولتين ، انما هناك اولويات مهيأة للعدوان وضحت في التوتر والاستنزاف في عام ١٩٦٦ على سوريا والاردن . القضية السابعة - اثر الاوضاع الناتجة عن حرب يونيو على السلام العالمي - فيلم يوضح الانتهاك الذي قامت به اسرائيل للقانون الدولي ولإيثاق الامم المتحدة والاتفاقيات الهدنة ، ومن خلال هذا الخرق يوضح الفيلم الموقف الحتمي والطبيعي للمقاومة ، الامر الذي سيدفع الى مواقف لاطراف خارج الصراع المباشر مما يشكل تهديدا للسلام العالمي . القضية الثامنة - سياسة اسرائيل من وجهة نظر القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان - فيلم يعرض استيلاء اسرائيل على مساحات واسعة من اراضي العرب بأساليب العنف وطرد السكان العرب وراء خطوط الهدنة كما حدث في مذبحة كفرقاسم التي راح ضحيتها ٥١ عربيا بينهم ١٢ امرأة وعشرة اطفال . واستعراض السياسة التي انتهجتها اسرائيل ما بين ٤٨ - ١٩٦٧ في خرقها القانون الدولي ومبادئ حقوق الانسان . القضية التاسعة - العدوان تهديد للسلام العالمي - فيلم عن طبيعة عدوان ١٩٦٧ باعتباره حصيلة مؤامرة الامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية باعتبارها احدى فصائل حركة التحرر الوطني . وعلى اثر هذا العدوان وعقب الرفض الاسرائيلي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان الوضع في الشرق الاوسط صار يهدد السلام العالمي من خلال الصراعات الدولية وموقفها من الاطراف المتصارعة . القضية العاشرة - سياسة اسرائيل في ضوء القانون الدولي - يتعرض هذا الفيلم الى انتهاكات الاسرائيليين للقوانين والعرف بجرائمهم واعتبارهم المقاومة لفكرة غير شرعية خلافا للقوانين والمقررات الواردة في معاهدة لاهاي عام ١٨٩٩ ومعاهدة جنيف عام ١٩٤٩ في حق الشعوب باللجوء الى الكفاح المسلح ضد أي غزو .

هذا المهاج السينمائي المطروح للمعمل والذي يحتاج انتاجه دون شك الى دراسات ووثائق وارشيف سينمائي ، متساوول من وجهة نظر رسمية يبغى المؤلف من ورائها مخاطبة الراي العام العالمي من وجهة قانونية لادانة اسرائيل وادانة الامبريالية

تصادف الولايات المتحدة والمهاجر المقترح على
العموم لا بأس به إذا ما نفذته مؤسسات
القطاع العام السينمائية العربية لأنه كما أرى
أعلى طموح يمكن أن تلتزم بها انطلاقاً من طبيعة
بنيتها الطبيعية . أما السينمائي الثوري الذي يعيش
أزمة الصراع داخل وطنه ويدرك أبعاد القضية
الفلسطينية ضمن الواقع الطبيعي في المنطقة فسان
رؤيته السينمائية تأخذ أبعاداً واضحة لا تحدها
مواثيق جنيف وقرارات الأمم المتحدة الرمية خلافاً
ضمن ما هو حاصل في المنطقة . ان ثمة الشرطة
بموضوعات كثيرة يجب تحقيقها عن علاقة حركة
المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها حركة مسلحة ،
بالواقع السياسي العربي وكذلك بالجماهير العربية
واساليب نضالها والتحامها بحركة المقاومة ، كذلك
الشخصية الفلسطينية التي تناثرت في أقطار عدة
وتكاد تفقد ملامحها وعاداتها وتقاليدها وتراثها
ولغتها . فالفلسطيني الذي يعيش في العراق صار
يكتسب بمرور الوقت ملامح الشخصية العراقية ،
وفي سوريا ملامح الشخصية السورية ، وهكذا ،
وفي هذا عملية اغتيال إنسانية بشعة . هنا تأتي
أهمية الفيلم السينمائي في تسجيل خصائص
الشخصية الفلسطينية ، وعرض مثل هذه الأفلام
يعني تأكيد هذه الخصائص عند المشاهد الفلسطيني .
ان سعة القضية الفلسطينية وجزئياتها تتطلب
تجنيد إمكانات السينمائيين الشباب واتاحة الفرصة
لهم لتحقيق الأشرطة وتعميقها . ولكن الواقع يمكن
في بعض الحالات ان يتجه (موضوعياً) بعكس
التيار المتقدم فيعثره ولو لفترة وحتى يتم التفاعل
بينهما . المطلوب مثلاً من مؤسسات القطاع العام
عمل دورات تدريبية في السينما للشباب الفلسطيني .
هذه مسألة قد تبدو بسيطة وسهلة التحقيق ،
ولكن ما هو حاصل ان مجال السينما ضمن الحركة

تكاد تخلو من الشباب الفلسطينيين الأرشيف
السينمائي المركزي ، المروض ان يكون قد تحقق
منذ زمن لا سيما وان قرارات عدة قد اتخذت
بهذا الشأن ، ولكن ما هو حاصل ان اي سينمائي
شاب يحتاج الى وثيقة سينمائية مائة بتعذر عليك
الحصول عليها الا عبر مكاتب الأرشيف الاجنبية
وفي هذا الخصوص يشير مؤلف الكراس (او كانت
التقرير) الى ما جاء في توصيات لقاء السينمائيين
والتلفزيونيين العرب المنعقد في مهرجان لايبزيغ في
شهر نوفمبر ١٩٦٦ - العمل على ايجاد أرشيف
سينمائي عربي مركزي يضم مواداً من الوطن العربي
ومن خارجه عن القضية الفلسطينية ويكون مفتوحاً
امام السينمائيين والتلفزيونيين العرب - ويواصل
المؤلف اقتراحاته في تجميع الاسلام المنتجة عن
القضية والاحتفاظ بنسخ منها (٣٥ و ١٦ ملصق)
والا اتصال بالهيات والمؤسسات السينمائية الاجنبية
التي صورت افلاماً او لقطات عن القضية وشرائها
بغية ايداعها في الأرشيف . وينهي تقريره بضرورة
تنسيق عرض الافلام الخاصة بالقضية الفلسطينية
في مهرجانات السينما . وكما اوضحنا فان عقد
المهرجانات يبلغ ٧٣ مهرجاناً في العام اي بمعدل
مهرجان واحد كل خمسة ايام . ومفيد ان نجد في
نهاية الكراس اسماء المهرجانات وعناوينها
ومواعيد انعقادها . في الختام نقول انه رغم
وقوع المؤلف باخطاء واريكات فكرية الا ان جهده
في كتابة التقرير يعتبر على الاقل عملية تبيئية
لؤسسات القطاع العام السينمائية في ادراك اهمية
التوجه نحو القضية الفلسطينية عبر الافلام التي
كانت مفرقة بفهم مثالي للواقع وعبر اشكال
سينمائية مستهلكة وتقليدية .

قاسم حول

كانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الماضي ثلاثة آراء حول المؤتمر الأخير لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين . وبينما كانت طباعة العدد الحالي على وشك الانتهاء ، وصلنا رأي آخر من الاخ عبد الرحمن غنيم . وعملا بحرية النشر ، وبضرورة عرض مختلف وجهات النظر الأساسية حول هذا الموضوع الهام ، فنشر هذا الرأي الجديد الذي يمثل ، كما بالنسبة للقراء السابقة ، وجهة نظر صاحبه . وتامل شؤون فلسطينية ان يتطور الحوار الدائر حول اتحاد الكتاب الفلسطينيين في نتائج ايجابية مثمرة وان يتجاوز الحساسيات والمواقف الشخصية والتنظيمية . هذا وقد ابحنا لانفسنا اجراء بعض التعديلات على ما كتبه الاخ عبد الرحمن غنيم بالنظر الى وصول المادة متأخرة جدا فنرجو العذر من الاخ غنيم .

شؤون فلسطينية

الرسالة الاولى

رأي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين

العضوية في المؤتمر لمن يستحق ومن لا يستحق ، ومن التسهيلات المالية التي أعطيت لوفود بعض المنظمات في المؤتمر ، بالإضافة الى المبالغ الكبيرة التي وضعت تحت تصرف اللجنة التحضيرية ، لا يمكن أن يكون مبررا لاضفاء صفة الشرعية على مؤتمر دعيت الى عقده ، وأشرفت على عقده لجنة غير شرعية ، يشكل تكوينها اعتداء على اتحاد قائم ، له نظامه الاساسي ومؤسساته . ويعرف السيد ناجي علوش انه يضم أكثر من مائة وعشرين كاتباً لا مجال للتشكيك بحقهم في عضويته ، وأن مسؤولية ضعفه لا تقع على أمانته العامة وهيئته الإدارية ، وإنما تقع على الجهة المسؤولة في المنظمة ، والتي حجبت كل عون عن الاتحاد ، ولم تمنحه إمكانية عقد مؤتمر جديد ، بينما كان المرحوم خيرى حماد ورفاقه في الأمانة يناضلون من أجل تطوير الاتحاد ، وعقد مؤتمر جديد موسع له . ولقد كان ناجي علوش واحداً ممن أسهبوا في اضعاف الاتحاد ، حين راح يبرز تلك المخصصات الهزيلة للغاية التي سمحت بها اللجنة التنفيذية لمعد مؤتمر ثالث للاتحاد ، فاحتجت الامانة العامة بانها لا تغطي نفقات المؤتمر ، وطلبت زيادتها ، فلم تستجب اللجنة التنفيذية

تضمن العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، ساهم فيها الاساتذة : بلال الحسن وشفيق الحوت وناجي علوش . ولقد تبينت الآراء حول المؤتمر ، وطرحت وقائع ، بعضها صحيح ، وكثير منها خاصة مما ذكره ناجي علوش — لا يمت الى الحقيقة بصلة . ملظاً طرح ناجي علوش آراء ، أقل ما يمكن ان توصف به هو انها محاولة لتبرير كل المخالفات التي يتحمل هو شخصياً الجزء الأكبر منها . وكانت اول مظاهر هذه المحاولات ، محاولة تفضيل « المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين » على المؤتمرين الاول والثاني للاتحاد العام لكتاب فلسطين ، كتبرير للدور الذي لعبته « اللجنة التحضيرية » دونها سند قانوني ، مستندا في هذا التفضيل الى أمرين : أولهما ، ضخامة مؤتمر الكتاب والصحافيين الذي عقد في بيروت مقارناً بمؤتمر اتحاد كتاب فلسطين في غزة والقاهرة . وثانيهما ، ان المؤتمر الذي عقد في بيروت ضم أدباء وصحافيين ، بينما ضمت المؤتمرات السابقة — حسب زعمه — أدباء فقط !

ان التفوق العددي ، والذي نجم عن اعطاء

لطلبها ، إذ كان ناجي علوش في مقعدته الذين يظنون من الأمانة العامة أن تتبل بالملح الرمزي لتغطية نفقات المؤتمر ، وأن تعقد المؤتمر في مخيم الوحدات ، والأعد مؤتمرًا بورجوازيا مترغما على الجماهير .. وكنا نود لو أنه ضرب المثل على صدق تلك الحملة الظالة على المرحوم خيري حناد وصنحبه ، يعقد مؤتمر الكتاب والصحفيين في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو سورية بدلا من عقده في بيروت ، ولكنه لم يفعل !

ثم ان ضعف الاتحاد السابق - إذا كان ضعفه ذاتيا حقا لا نتيجة مضايقته ومحاصرته - لا تتحمل مسؤوليته أمانته العامة ، وإنما تتحمل مسؤوليته هيأته الادارية ، والتي كان على رأسها ناجي علوش (في الاردن) ، وعبدالله الحوراني (في دمشق) ، وعابدين بنيسو (في الكويت) ، ومارون هاشم رشيد (في القاهرة) .

فليعترف هؤلاء بأسباب ضعف الاتحاد ، بدلا من ان يتحمل بعضهم على الأمانة العامة بغية الدفاع عن الجهة التي شلت الاتحاد ، وحالت دون تطويره عامدة متعددة ، حين فشلت في احتوائه بالمسرق الدستورية .

أما الحجة الثانية ، فمردود عليها ، إذ ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين كان يضم في صفوفه الكتاب الصحفيين ، وكان نظامه الاساسي ينص على ذلك صراحة .. ولكنه لم يكن يضم مدمي الكتابة ، او تتبل أمانته العامة لنفسها بأن تمنح العضوية لمن لا تنطبق عليه الشروط ، بينما كان البعض يتقدم بعشرات الطلبات التي تضم من يستحق ومن لا يستحق ، ماذا اعترضت الأمانة العامة على أحد هذه الطلبات ، عد اعتراضها جريمة ، لان عليها أن تتبل بها دون نقاش .. مطبا قبلت اللجنة التحضيرية بعضوية من وردت أسماؤهم في بريقات من مكاتب المنظمة او معتدي بعض هذه الجهات دون ان تتوقف عند أي اسم من الاسماء . وكان من الطبيعي أن يكتشف الذين حضروا المؤتمر ، أنه كان مؤتمر كتاب وصحفيين وقراء ايضا .. الا ناجي علوش الذي يصر على أنهم كانوا كتابا وصحفيين ، وان الأيام ستؤكد « أن عندد الأدباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا » ، بعد أن مهد بالقول ان أحدا من الكتاب والصحفيين في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم يأت الى المؤتمر ، وبعد أن استبعد

العضوية من عداد الأبطال التي جاء منها كتاب وصحفيون .. للدلالة على فكرة ، مع أن عداد التهديد لم يكن صحيحا ، بدليل أننا نعرف انه جاء من ليبيا مثلا : ياسر محمود وعبد المجيد عازم ، وجاء من السعودية تواز عيد .. فحتى في مثل هذه المسألة يخفي ناجي علوش الحقائق !

ان شهادات الأثبات التي يقدمها ناجي علوش يبدو انها جبيما غير صحيحة ، حتى تشكيلة اللجنة التحضيرية كما قدمها ، وعقب عليها لم تخل طريقتة في التحدث عنها من التزييف المقصود ، حين حرمنا على تعداد أسماء أعضائها ، وأضاف أنها « تمثل أجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة » وتضم « عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار » - فهذه الصفات تخفي حقيقة أن كتابنا وصحفيينا الكبار قد تاملعوها ، وان تمثيل الاتجاهات المختلفة لم يكن منسجما بحيث اعطيت إحدى التنظيمات من البداية أغلبية مطلقة ، لتصبح اللجنة تحت سيطرتها المطلقة ، وهي أمور عاد ناجي علوش ليفضحها ، من حيث هو يحاول الدفاع عن لجنته التحضيرية . فكم هو مثير اعترافه القائل « حين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا ان نصابنا لا يزيد ذاتها عن النصف زائد واحد » .. فالنصف زائد واحد ، نستطيع استخلاص أسماء ثمانية منهم كانوا يجتمعون باستمرار ، ويضاف اليهم واحد او اثنان من الاخرين ، الذين حضروا اجتماعا او اثنين ثم انفضوا عن اللجنة ، بينما تاطع ثلاثة آخرون اللجنة مقاطعة تامة . فما هي انتهاكات المجتمعين والتزاماتهم؟ ولماذا تاطع الآخرون اللجنة ، او حضروا اجتماعا او اثنين ، وذهبوا ؟ ألم يكن ذلك بعد ان اكتشفوا اتجاه النوايا من جهة ؟ ويبدو ان عرفوا ان تكليفهم تضمين كاذوبة سفارة حين ورد في مطلعهم أن اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية دون ان يكون هناك اي قرار لكن ناجي علوش يتهم هؤلاء جميعا بالاهمال .. وهذا الاتهام ضروري بالطبع ، لتبرير الفرمان اللاحق الذي صدر عن رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي والقاضي باعتبار قرارات اللجنة نافذة مهما كان عدد الأعضاء الذين يحضرون اجتماعاتها !

ورغم موقف الكتاب السلبي من اللجنة ، استمرت اللجنة في عملها ، زاعمة انها تمثل ارادة الكتاب ، وكان من المستحيل الا يقود هذا المنطق الى

الانشقاق . . فقد كان تشكيل اللجنة التحضيرية بحد ذاته عملا انشاقيا في اتحاد الكتاب . لكن ناجي علوش لا يريد الاعتراف بهذه الحقيقة ، وانها يسوق الاتهام للخريسن ، بأنهم يتفرون وأن اللجنة التحضيرية (المصفرة طبعاً) ولجنة العمل المنبثقة عنها (وهي جيبعا من « فتح ») تحس انها وحدها تعمل . . وكاننا موقفهم السليبي ناجم عن اهنالهم واجتهاد لجنة ، لا عن تحفظهم على الدور الذي تمارسه اللجنة . . .

فالأخرون لم يكونوا مترجمين ، بل كانوا قسامين : قسم يدافع عن الشرعية المعتدى عليها ، وقسم يرفض محاولة الاحتواء التي ركبت للجنة التحضيرية لتفندها . ولقد توج القسم الاول تصديه بمفاجأة اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث لاتحاد كتاب فلسطين في القاهرة في مطلع آب ١٩٧٢ ، هذا المؤتمر الذي بلغت حساسية الساعين الى السيطرة على اتحاد الكتاب من خلال لجنتهم التحضيرية تجاهه حد محاولة اقتحامه بالقوة ، واستخدام العنف في تشيته . لولا أن تدخلت سلطات الأمن الحربية لحمايته !

وبالنسبة للصاعقة ، فلقد حددت موقفها منذ الاعلان عن تشكيل اللجنة التحضيرية بأنها مع الشرعية وضد محاولة الاحتواء . ويوسع من يريد التاكيد من اعتراض الصاعقة على طريقة تشكيل اللجنة التحضيرية العودة الى العدد (١٢١) من مجلة « الظلال » الصادر يوم ١٩٧٢/٥/٢٩ ، بعد أقل من اسبوع من تشكيل اللجنة التحضيرية ، رغم اننا لم نكن قد عرفنا بعد ان الذين ابتدعوا هذه اللجنة اطلقوا اكدويتين تستوجبان المحاسبة ، أولاها ان اللجنة التنفيذية قررت حل الاتحاد القائم ، وثانيها ، ان اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية ، وذلك بغية تجريد المعارضين من أسلحتهم . لكن الامور ما لبثت ان توضحت . . وأصبح على المعارضين للاعتداء على الشرعية النقابية ، ومحاولة احتواء الاتحاد وتركيب مؤتمره ان يفعلوا شيئا . . ولقد تحركوا بالفعل . . حين سلك السيد عودة بطرس عودة الطريق القانوني ، الذي ينجاه في نهايته اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث للاتحاد من الاعضاء الذين سدّدوا اشتراكاتهم عملاً بعد اعطائهم المهلة القانونية المحددة في النظام الاساسي . . وحين تحركت الصاعقة لتضخّم باتجاهه الحيولة دون

تكريس الانشقاق الذي تاد اليه تشكيل اللجنة التحضيرية ، فحصلت على موافقة الامانة العامة الجديدة للاتحاد على عقد المؤتمر الموسع في بيروت الذي كانت تعد له اللجنة التحضيرية ، شريطة أن يمول من قبل منظمة التحرير الفلسطينية (والجدير بالذكر ان المؤتمر الذي عقد لم يمول من المنظمة) وان تمارس الامانة العامة صلاحياتها القانونية في تبسول طلبات انتساب الاعضاء الجدد ، وفي الدعوة للمؤتمر . . . واخذنا نبذل الجهود لدى دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، ولدى اللجنة التحضيرية ، ليجاد مخرج من الازمة . لكننا لم نقابل أي تجاوب ، بل راح « اعلام الوحدة الوطنية » - المشروع منه وغير المشروع - يشن حملة قاسية من الافتراءات على المؤتمر الثالث للاتحاد ، ويزعم عدم شرعيته ، وفي هذه المرة اطلق هذا الاعلام اكذوبة جديدة يحاول بها اضافة صفة الشرعية على اللجنة التحضيرية ، حين زعم ان اللجنة شكلت بناء على مقررات مجلس الاعلام المركزي . ولم تعد الى الرد على الخطة الكاذبة المفترية ببطلها ، بل تحملنا وتحملنا لعلنا ننتد وحدة الاتحاد من التمزق .

فماذا كانت نتيجة تعنت اللجنة التحضيرية ؟ يعترف ناجي علوش ان الاعتراض على لجنته التحضيرية أصبح عاما ، وانها أصبحت على وشك الفشل ، حين يقول : « وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي ببقلها . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر ، وطالب آخرون بضمانات تقمهم بأن اللجنة التحضيرية غير مخيضة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس ان المؤتمر سيجهض قبل أن يبدأ » . إن هذا الاعتراف يفسر سر المناورات اللاحقة . فبعد ثلاثة اسابيع من التجاهل المطلق لحاولات الصاعقة ليجاد مخرج من الازمة يحول دون انشقاق الاتحاد ، جرى لقاء بيننا وبين ناجي علوش ، اتفق فيه على مخرج من الازمة على النحو التالي :
١- تشكل لجنة خماسية من المنظمات الفدائية الممثلة في اللجنة التنفيذية تكون لها صلاحيات البيت النهائي في طلبات الانتساب الجديدة للاتحاد ، وبرنامج المؤتمر . ٢- موافق الامانة العامة للاتحاد تلقائيا على ما تقره اللجنة الخماسية ، وتتولى الدعوة الى المؤتمر وفق ما ينص عليه النظام الاساسي للاتحاد .

ورغم أنه تم التوصل الى الاتفاق على هذه الصيغة

مثل ثلاثة عشر يوماً تقريباً من انعقاد المؤتمر ، بعد أخذت اللجنة التحضيرية تتهرب من تنفيذها ، وتزعم ان الصيغة التي أبلغت بها ووافقت عليها مختلفة عن الصيغة التي ذكرناها آنفاً ، ولم يبلغنا ناجي علوش بالموافقة النهائية على هذه الصيغة إلا قبل ثلاثة أيام من انعقاد المؤتمر بغية وضع اللجنة الخماسية أمام الأمر الواقع ، وافقادها زمام المبادرة . ومن هنا يتضح لنا مدى الخطأ فيما ساقه ناجي علوش حول اللجنة الخماسية ، حين قال بأنه « كان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة اعمالها ، كي لا تتحرف أو تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دوراً في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها ، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها » .

هنا .. من المناسب ان نتوقف لنعطي القارئ صورة عن الحقيقة بتفاصيلها .. وبيننا وبين ناجي علوش شهادة ثلاثة من اعضاء اللجنة يمكن اللجوء اليهم ، وهم ممثلو الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية .

أولاً ، ان القول بأن مهمة اللجنة الخماسية مساعدة اللجنة التحضيرية ، ومراقبة اعمالها مخالف لصيغة الاتفاق الذي تم الاتيائه على أساسه ، لان معناه ان اللجنة الخماسية ليست المرجع النهائي في اتخاذ القرارات .. وانما استدوب ارادتها في ارادة اللجنة التحضيرية التي أمنت فيها اغلبيّة من « فتح » .. اذ ان قبول صيغة ناجي علوش يعني ان يكون لفتح عشرة مقابل اربعة من اعضاء اللجنة الخماسية ، بينما العكس يعني ان صلاحيات اللجنة الخماسية هي صلاحيات مطلقة بالنسبة للجنة التحضيرية .

ثانياً ، لقد اجتمعت اللجنة الخماسية ، وراجعت كشوف اسماء المنتسبين الى الاتحاد التي كانت اللجنة التحضيرية تد اقرتها ، وناقشت الاسماء المجهولة من بينها ، واقترت القوائم رافضة بعض الاسماء . وبدا ان كل شيء يسير على ما يرام ، الى ان جاء اجتماع المساء ، لنجد ان اللجنة التحضيرية تحفظت على اسماء حوالي الاربعمين من مقدمي طلبات الانتساب من سورية ، بحجج او هي من أن تقبل .. فالشاعر أو الأديب ان لم يكن عاملاً في الصحابة تحفظوا عليه، والكاتب أو الأديب

ان كان مستغرباً تحفظوا عليه . وفي حالة بعض الحالات تحفظوا على واحد بدعوى انه في السجن وهو ليس سجيناً !! وناقشت اللجنة الخماسية هذه الطلبات ، واقترت من بينها ثلاثين طلباً واحالها الى اللجنة التحضيرية للتنفيذ ، فجاء الصباح لتثور ثائرة اللجنة التحضيرية ، وتتبرد على قرار اللجنة الخماسية .

وفق القوائم التي تم اقرارها من اللجنة الخماسية ، ليقتل باب الانتساب في نهاية ذلك اليوم قدرت اللجنة التحضيرية انه يمكن لتحالف الصاعقة مع المستقلين او اي فصيل فئائي آخر ، ان ينفذ خطة اللجنة التحضيرية في احتواء الاتحاد . وهذا هو سر البلبلة التي تحدث عنها ناجي علوش ، وسر القرارات والمواقف التي اجبرت اللجنة التحضيرية على اتخاذها حتى لا تفلت اللعنة من يدها .. والا ، فليحدد لنا السيد ناجي علوش على وجه التحديد هذه القرارات والمواقف ..

اما نحن ، فمستطيع تحديدها بكل جلاء ، وقد فضحناها امام المؤتمر ، ولم يملك ناجي علوش امكانية الرد :

١ - عمدت اللجنة التحضيرية الى عدم توجي الدعوة الى اعضاء الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين الاصلاح رغم قرار اللجنة الخماسية بتوجيه الدعوة فوراً لهم وتأمين سفرهم ، ورغم تزويد اللجنة التحضيرية باسمائهم ، فحرمت بذلك عدداً كبيراً من الكتاب المستقلين من حضور المؤتمر . ٢ - عمدت اللجنة التحضيرية الى طلب كشوف احتياطية من بعض المكاتب باسماء اشخاص يمكن ادخالهم المؤتمر اذا اقتضى الامر للمشاركة في التصويت ، وحرصت على ادراج اسمائهم في القائمة التي قدمت الى رئاسة المؤتمر . وقد زاد عدد هؤلاء على المائة مما ادى الى رفع عدد المنتسبين في كشوف اللجنة التحضيرية الى حوالي ٤٧٥ عضواً ، بينما لم يتجاوز عدد من اقترمت اللجنة الخماسية الثلاثمائة عضو . ٣ - كان هناك تعمد واضح في عدم تمكن البعض من الحضور الى المؤتمر ، وذلك بتوجيه الدعوة اليهم متأخرة ، او عدم تأمين بطاقات السفر لهم .

ثالثاً ، لقد اعتبرنا تهم اللجنة التحضيرية على اللجنة الخماسية ، اخلافاً بالاتفاق .. لا نستطيع معه الحضور الى المؤتمر ، لكن ميل المنظمات الفدائية الاخرى الى التناهم بأي شكل ، والجلولة

التحضيرية. بقصد اختراق اللائحة بأسماء معينة . .
ولا نتقصنا الدلائل على اثبات صحة هذا الامر رغم
محاولات ناجي علوش لتفني ذلك . واختزنت
القائمة الائتلافية بثلاثة اسماء . . اسماء من ؟
ولماذا ؟ وكيف ؟ هنا يتهرب ناجي علوش من توضيح
الحقيقة .

ان المؤتمر يجب ان ينجح . . وناجي علوش يجب
ان يصبح امينا عليها ! هذا هو الجواب . . . ولكن
الذين يريدون للمؤتمر ان ينجح لان نجاحه معجزة ،
لم يستطيعوا ان يلتزموا بأي عهد قطعوه علنى
انفسهم ، فخرجوا على الالتزام بالقائمة الائتلافية ،
وزيفوا عملية التصويت ، مطلقا زيفوا عملية الفرز .
وكان على رئيس لجنة الرقابة ، بعد ان كشف
للرئاسة عن وجود التزيف ان يسكت ، باسم
الوحدة الوطنية وباسم سمعة ثورتنا المصانة .
وكان على الاستاذ رئيس المؤتمر ، الذي لم يستطع
الا ان يكشف في الليل عن التزيف ، الا ان يسكت
في اليوم التالي ، من اجل الوحدة الوطنية ،
ومن اجل سمعة ثورتنا المصانة . . وكان علينا
نحن ايضا ان نطعن الضارعين بنا الا نفجر
الجلسة الختامية ، وان نسبح بلطفة المؤتمر ،
وفي مقدمتهم ناجي علوش ، اننا ندرك ان الموقف
لا يحتل ، واننا سنبارك للفائزين بفوزهم . . .
ولكننا نرفض التسوية المقترحة والتي تقضي بطول
عبد الرحمن فنيح محل بناجد ابو شرار (لان هذا
هو الاسم الذي طرحوه لاجراء التسوية) ، ونطلب
فقط ان يكون الامين العام وامين السر مستقلين .
وكان رد ناجي علوش ان الامانة مستقبيل ،
لتسمى اللجنة التنفيذية امانة مؤقتة تدمو لمعد
مؤتمر جديد بعد ستة اشهر . . وقلنا له هذا هو
الحل الامثل ، وما زلنا نطالبه واعضاء الامانة
بالاستقالة لافساح المجال امام الحل الامثل الذي
اقترحه علينا هو قبل الجلسة الختامية ، حتى
لا نفجر المؤتمر .

وتديلا على حسن نوايانا غادرنا الجلسة قبل
الختام . . لنفاجأ بتتويج لسلسلة المناورات
باعلان امانة تسوية رغم رفضنا لها من حيث المبدأ ،
وباقالة الدكتور ائيس صايغ رغم انه ، ليوضع
مكانه هيد الرحمن فنيح رغم انه ايضا . .

وإذا كانت طاعة احتمالا قد استوعبت كل المناورات
السابقة ، فليس بمقدورنا ان نحتمل اكثر ، حتى
ولو انطبقت السماء على الارض .

دون انعكاس موضوع اتحاد الكتاب على قضية
الوحدة الوطنية ، ثم تأكيدات « فتح » بالالتزام
بقائمة الائتلافية يلتزم بانتخابها الجميع ، جعلتنا
نذهب الى المؤتمر . فمسألة الامانة العامة ، اذن ،
اصبحت محور المؤتمر ، لان اللجنة التحضيرية
ركبت المؤتمر ، بشكل تستطيع فيه « فتح » ان
تحقق سيطرة مطلقة على المؤتمر اذا شامت ، وذلك
بمرددها على اللجنة الخماسية على النحو الذي
ذكرنا . ومررنا على حقول الانغام في المؤتمر . .
مررنا عليها ضابطين اعصابنا ، محاولين الحيلولة
دون تجبره رغم ان كل شيء في خط سيره كان
يستدعي هذا التفكير . . لاننا نشعر بأنه من العار
ان يبدأ كتاب شعبنا وصحفيوه الانشقاق .

. . وكان موضوع « القائمة الائتلافية » التي يلتزم
بها الجميع ، هو وحده الذي جعلنا نحتمل
الاستمرار في المؤتمر . الى ان جاءت معركة تشكيل
القائمة الائتلافية . . ونقول معركة لان ناجي
علوش ، رغم دمواه بأنه لا يرى موضوع الامانة
العامة مهما ، وانه شخصيا ضد نظام الكوتما
التنظيمية ، استنكف عن الحوار عند البحث في
تشكيلها اكثر من مرة ، وانسحب اكثر من مرة ،
وامتدت احدى هذه المرات اكثر من ساعة . . لان
هناك اسماء معينة اراد مرضها في القائمة بأي
شكل من الاشكال ، رغم ان الضمف البادي في
القائمة جاء نتيجة مرض هذه الاسماء . .

اذن ، فقد كان ناجي علوش ولجنته ، يعبون بنا
طوال الوقت . . وكانوا يناورون طوال الوقت . .
بهذا هو مدلول كلماته . . فالمؤتمر الذي يمكن ان
ينفجر في اية لحظة بسبب عدم شرعيته ، ولقد اقر
ناجي علوش داخله بانعدام هذه الشرعية ، يجب
ان يتجسس بتحويل موضوع القائمة الائتلافية الى
طعم للاخرين ، يجمعهم يتنازلون امام التجاوزات
التي ان تتم الانتخابات .

وهكذا جرت اللعبة المرسومة ، فالقائمتان
الاضابيتان اللتان رشحتا الى جانب القائمة
الائتلافية ، انطلقت احدها من موقف الصدق ،
ومحاولة طرح قائمة نموذجية تتجاوز عيوب القائمة
الائتلافية ، وكانت تلك هي القائمة التي طرحها
الاستاذ شفيق الحوت . . ولو كانت ارادتنا حرة
فند التصويت ، ومعتلين من التزامنا كما فضل
غيرنا ، لما انتخبنا غير تلك القائمة . اما القائمة
الاخرى ، فقد جرى دفعها من قبل اللجنة

ناحي ملووش وعده بالاستقالة ، لتسبب اللجنة التنفيذية أمانة مؤقتة من المستقلين ، تضع كل شيء في نصابه ، خلاصة وانه يوجد اليوم اتحادان أحدهما هو الشرعي والمعترف به منا ، ومن اتحاد الكتاب العرب واتحاد الكتاب الاسويين الاثريتين ، وثانيتها غير شرعي ، وجاء نتيجة سلسلة من المخالفات .

ولا يمكن لنا الا ان نكون مع الشرعية ، ومع الصدق الثوري ، ومع الوحدة الوطنية .

عبد الرحمن غنيم

الرسالة الثانية : وداعا يا فلسطين !!

لاجراء تفتيش جسدي دقيق التفت نظرة عابرة من النافذة واذا بصري يقع تباهما على وجه جندي منتصب على سطوح الكراج مصوبا سلاحه الرشاش باتجاه غرفتي .

وقد اثار كل هذه المظاهر التي احاطوني بها نفسي مزيجا من مشاعر السخف والاشمئزاز . فلما الذي كان هؤلاء الرجال يبحثون عنه ؟ وماذا كانوا يخشون ان تصنع امرأة ، عزلاء ما زالت برداء النوم تعانين من النعاس ، من نافذة في الطابق الثاني تطل على حديقة مسورة علما بان اثنين من الرجال الذين في الغرفة كانوا مسلحين ، وحتى لو لم يكونوا مسلحين فماذا كان يوسعي ان اصنع ضد اربعة اشخاص اشداء كهؤلاء .

وقد خطر ببالي والمجندة التي تأتزر بثورة ميني تفتحص جسدي تفحصا دقيقا انهم ربما ظنوا انني اخبىء في غرفتي بعض القنابل او المتفجرات .

مهل كان يدور بخلدكم ان يوسع المرء ان يحتار محنة الخلاص من اجراءات الامن والجمارك المزدوجة - الاردنية والاسرائيلية - ويميز جسر اللنبي الى المناطق المحتلة وبحوزته اسلحة فتاكة ؟ لقد انتهى التفتيش ، وامرت بان ارتدي ملابس سياخزوني معهم الى عسقلان للتحقيق معي .

لقد كان لذي موعد في قطاع غزة الصاعقة القاصدة صباحا ، وهو موعد كنت اود ان لا اتخلف عنه .

لقد فتتاهما على انها تصرف ، برمني الى الانتعاج بين الصاعقة والمستقلين ، والى تحطيم سمعة ممثل الصاعقة الذي اجل محل الدكتور انيس صايغ الذي اصبح بنجاحه في عمله ، وبتفصيله ، رمزا يعتر به شعينا كله . لقد رفضنا ان ينسحب ماجد ابو شران لصالحنا ، فكيف اهلوا لانفسهم ان يسحبوا الدكتور انيس صايغ ليحل محله ممثلنا ؟! واعلنا عدم اعترافنا بامانة التسوية ، وما زلنا عند ما اعلنا . . وسنبقى عنده . .

اننا نقولها بكل وضوح : ان احتمال عودة الصاعقة غير وارد مطلقا . . والحل الوحيد هو ان يتخذ

كان آخر ما اكتمل به ناظري من غزة ، في زيارة تمت بها مؤخرا ، نظرات خاطفة الفيتها عليها من سيارة الجيب العسكرية الاسرائيلية التي كانت تمضي بي بسرعة في الطريق الى عسقلان ، حيث اخذت « للتحقيق » معي . وقد بقرت زيارتي بغتة في الساعة الخامسة من صباح ٦ تشرين الاول (أكتوبر) عندما انهرتني من وحدة سبات صديق طرقات شديدة متلاحقة ، على باب غرفتي في « بيت النار » . وكنت قد قدمت الى غزة من القدس في صباح الرابع من تشرين الاول لامضي في القطاع فترة أربعة ايام أو خمسة . وكانت منطقة القطاع قد عادت مؤخرا ، بعد فترة من الهدوء فجر المهود ، الى روتينها اليومي المعتاد من هجمات الفدائيين المسلحة ، وفرض منع التجول على بعض الاتحاء ، وتفتيش المساكن ، والاعتقالات ، وتشديد اجراءات الامن بصورة عامة . ولم اتمالك نفسي من الشعمور بالذهشة والاستغراب عندما فتحت الباب ووجدت انني قبالة ثلاثة من رجال الامن الاسرائيليين وبصحبتهم احدي المجنذات . وبادروني قائلين : « لدينا اوامر بالتفتيش !! » . وسرعان ما اندفعوا الى داخل الغرفة ، وشرعوا على الفور في التفتيش والتنقيب والتفتيش في الادراج والخزائن وتحت السرير وحتى بين طيات المخدات والفسرائش والبطانيات . وكانوا في غاية اليقظة وعلى قدر غير ضئيل من الملاحظة في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وعندما اقتادني المجندة الى الحمام

بتحري امكانية وجود اتصالات لي مع اسرائيليين
او اية « علاقات مشبوهة » مع عدو الاردن !!...
لقد بدا لي ان مخاوف الاردن وهواجسها لا تعدو
كونها امتداد لمخاوف اسرائيل وهواجسها ...
ولقد بدا لي ان التحقيق لدى كلا الطرفين متفاهم
عليه في عملية تنسيق مشتركة .

ولم أندعش كثيرا عندما قال لي ضابط الامن العام
الاسرائيلي انه حالما تفرغ من التحقيق معك
«سوف نتصل بالاردنيين لنرى ان كانوا يسمحون لك
بالرجوع عبر جسر اللنبي » !! وعندئذ تممت في
نفسي ، لا غرابة ان يعج العالم العربي بمهيمات
واشاعات عن وجود تواطؤ بين اسرائيل وأنظمة
غربية معينة ، وعن وجود خيانات وصفقات بيع
بالجملة الخ ... وقد بدا لي ان الاسرائيليين
منطقيون وصادقون مع انفسهم على الاقل من حيث
تحديدهم لهوية عدوهم ، وتسفير كل جهودهم في
ملاحقة هذا العدو ومطاردته والحق الهزيمة به .

وقد كانت زيارتي للقدس وال الضفة الغربية وقطاع
غزه ، وان برزت عنوة ، كافية لتكوين صورة عن
الاضاع فيها تختلف في جوانب اساسية عن
الصورة البهيجة المشرقة التي يعرضها الاسرائيليون
والتي تردد صداها في الغرب ، على نطاق واسع ،
الوفود الزائرة للمناطق المحتلة من بعثات تقصي
الحقائق وجماعات السواح والحجاج الذين
يتحركون وفق برنامج تعدده لهم السلطات وتحت
اشرافها ... ان الفلسطينيين في القدس وال الضفة
الغربية يصيبهم الملل والضجر الى حد التقزز
والغثيان عندما يقرأون ويسمعون بانهم قد ركنوا
الى الطمانينة والهدوء تابعين راضين بالعيش تحت
الحكم الاسرائيلي . فالشجون الاسرائيلية المكتظة
« بالارهابيين » الفلسطينيين ، ومئات المنازل التي
يجري نسفها وطرد سكانها ، وآلاف المبعدين الى
شرق الاردن ، وآلاف الابدنة من الاراضي العربية
المصادرة ، والمستوطنات اليهودية شبه العسكرية
التي اقيمت في الاماكن الاستراتيجية من المناطق
المحتلة لتطبيع اوصالها ، والاحياء التي تشبه
القلاع التي اقامها الاسرائيليون على الاراضي
العربية في ما يدعونها « القدس الكبرى » ،
والدوريات الاسرائيلية المسلحة المنتقلة الفظة
والمنتشرة في كل مكان - كل هذه ومئات غيرها من
الشواهد التي لا يلحظها عابر السبيل تروي حقيقة
« قبول » الفلسطينيين « بهدوء » و« رفق » حكم

وكنت في تلك الساعة المبكرة أعاني من التعبين ،
وأشعر بالبرد ، وتتوق نفسي الى فنجان من القهوة .
ولكن في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر
الثامن من تشرين الاول (أكتوبر) ، ناولني ضابط
الامن الاسرائيلي جواز سفري بينما سيارة الباص
تنحرك من موقع التفتيش على الجانب الاسرائيلي
من جسر اللنبي . لقد « ابعدت » الى الضفة
الشرقية . وفي الصباح التالي ، في عمان ، تلقيت
تاكيدا لامر كان قد نقل لي شفها وهو انني غير
مرغوب في وجودي في الاردن .

اما في مقر قوات الامن العام في عسقلان فقد
تعرضت لتحقيق مطول وقد نمت نبرة المحقق بأنه
ضابط صالي الرتبة في المخابرات الاسرائيلية . وقد
قال وهو يفادر غرفة التحقيق انه سيطلب سيارة
لتفتلني عبر الجسر الى شرق الاردن . ولكن بعد
انقضاء ساعتين ، أخذت الى مكتب آخر حيث كتب
ضابط الشرطة شيئا باللغة العبرية على بطاقة ،
وأبلغني انني سأظل موقوف في النظارة مدة يومين
او ثلاثة لاجراء المزيد من التحقيق .

« وما هي تهمتي ؟ » سألته . - « اتصالات
مشبوهة مع ارهابيين » . - « واين يسأوقف ؟ »
- « في زنزاة ، هنا » . لقد كان التحقيق طويلا ،
مضجرا ، عقيما ، وبلا طائل . وكان اجسالا
بمثابة تكرر للتحقيق الذي تعرضت له قبل عشرة
ايام من ذلك التاريخ في مقر الامن العام الأردني
في عمان .

وقد انتهت كسلا جولتي التحقيق بذات
التهمة الغامضة : « اتصالات مشبوهة مع
ارهابيين » . لقد اعتبر المحققون في كلا الطرفين
ان هناك ما يثير الشبهات في قيام صحفية مقبلة
في مصر بزيارة الأردن و« اسرائيل » من حين الى
آخر ... وأظهر كلا الطرفين المحققين تصنيفا على
اثنان ان لي اتصالات مع « الارهابيين » وأيلول
الاسود ونشاطات تتصل بالارهابيين . وكلا الطرفين
خطرا على حق الرجوع بسبب التهمة الملققة عن
اتصالاتي وارتباطاتي المزعومة مع العرب
والفلسطينيين . وفي كلتا الحالتين لم تورد اسماء
احد من هؤلاء « الارهابيين » الذين زعموا انني
اتصل بهم ، كما لم يجر التحقيق ممي حول نشاطات
او اتصالات معينة او مجددة اجريتها خلال
زيارتي . ولم تظهر المخابرات الأردنية أي اهتمام ،
ولو من ناحية شكلية ولذر الرماد في العيون ،

واحدة من اعنى الالات الحربية في عالمنا اليوم !!

لقد ورد في الصحافة الاسرائيلية ان اسرائيل قد اصيبت « بصدمة » عندما تبين لديها ان سكان المناطق المحتلة قد شعروا بالابتهاج لحصيلة عملية ميونيخ الفدائية . ولكن الفلسطينيين يوضحون موقفهم قائلين : « اننا لم نبتهج لقتل الرياضيين الاسرائيليين بحد ذاته ، بل ان مبعث ابتهاجنا هو موقف رجالنا الذين عندما اتقنوا انهم تعرضوا للخديعة رفضوا ان يذبحوا ذبح الخراف . لقد اطلق رجالنا النار دفاعا عن النفس بعد ان حصد الابلان ثلاثة من الفدائيين » .

وكان الابتهاج قد شاع بين سكان المناطق المحتلة في وقت سابق من هذه السنة عندما اقدم اربعة من الفدائيين على اختطاف طائرة الى مطار اللد في محاولة لتأمين الافراج عن عدد من آلاف الفلسطينيين المحتجزين في السجون الاسرائيلية . ولكن الفرح سرعان ما انقلب الى غيظ وأسى عندما خدع الاسرائيليون الفدائيين ، مستغلين راية الصليب الاحمر الدولي ، وقتلوا اثنين منهم . وكذلك عندما قام ثلاثة من المسلحين اليابانيين ، بعد اسابيع قليلة من حادث طائرة السابينا ، « بالانتقام لفدائينا » في الموقع ذاته عم الابتهاج مرة اخرى السكان ، وان كان قد شاب هذا الابتهاج « شعور بالاسف لان بعض الضحايا كانوا من غير الاسرائيليين » .

هذا ، ولم يخف سكان القدس الشرقية شعورهم بالارتياح والرفض عندما انفجرت قنبلة في مخزن « السوبر سول » في القدس الغربية في اليوم التالي لوصولي القدس في زيارتي الاخيرة هذه .

وعندما اقام الاسرائيليون في عيد رأس سنتهم الجديدة صلوات الاستسقاء داعين لهطول المطر كانت ردة فعل الفلسطينيين : « غلييم الجفاف ويشند ، حتى وان لحق بواوسم محاصيلنا القحط » . وقد قال لي محام من القدس : « اننا نتبع تحت حكم الاسرائيليين مثليا رضخت جميع الشعوب المقهورة والمستعمرة عبر التاريخ ، شأن الاوروبيين تحت الاحتلال النازي ، واليهود في ظل الحكم البريطاني ، وسكان افريقيا الجنوبية السود تحت وطأة سيطرة البيض » .

ومن ناحية اخرى ، تستمر في القدس الغربية وفي المدينة القديمة عملية التحويل والتهويد بخطوات

محمومة ودون وازع من حياء او حجل ، إذ تجري على قدم وساق عمليات مصادرة الملكات والاراضي واخلائها من سكانها عنوة ، وتبني الملكات العربية وتشديد عمارات مكائنها وفق طراز « الاستعمار الجديد » . وعندما يرفض العرب بمبادء تسليم بيوتهم التي تقرر مصادرتها ، وعندما يرفضون استلام التعويض المقرر عنها ، ويصرّون على حقهم في مواصلة العيش في القدس ، تتحرك فرق التفتيش عندما تعطي لها الاشارة ، لتعمل في البيوت المصادرة هذما وتدميرا . فهذا ما حدث مؤخرا قبل اشابيع معدودة من زيارتي هذه مع محمد عبدالله الصواف الخباز في ما يدعونه الحي اليهودي داخل المدينة القديمة . فقد تلقى الصواف امرا باخلاء بيته الذي يشاركه السكنى فيه ٢٦ من افراد عائلته ، فرفض الامر باخلاء واحتج عليه لدى السلطات الاسرائيلية . وقد ابرز لي رسالتين تلقاهما من المسؤولين الاسرائيليين ، احدهما من وزير الدفاع موشي دايان والثانية من رئيسة الوزراء غولندا مئير ، وكلا الرسالتين تؤكدان له انه ما من احد لديه الحق في طرده هو واسرته من منزلهم . ولكن بعد انتضاء زهاء اربع وعشرين ساعة جرى طرده هو وعائلته من بيتهم العربي العتيق الذي استحقاق في دقائق معدودة الى كومة من الركام .

وفي منازل اخرى في تلك المنطقة ابرزت لي العائلات العربية رزما من الاشعارات التي تلقوها من السلطات الاسرائيلية للحضور الى دار البلدية « ليتلافوا اتخاذ العقوبات القانونية بحقهم » . وقد جرى اشعارهم باخلاء بيوتهم في بادئ الامر في عام ١٩٦٨ عندما تم اتخاذ القرار بمصادرتها . ولكنهم تجاهلوا ذلك الامر كما تجاهلوا ما تلاه من اشعارات واستدعاءات للمثول امام السلطات المختصة . فهم متشبثون ببيوتهم وبحقوقهم املين ان يحل السلام او ان تحدث معجزة ما لتتقدم قبل ان تهوي القنبلة على رقابهم !! وهم يقولون انهم لن يخلوا بيوتهم الا اذا طردوا منها بالقوة .

الكآبة والتجهم ... الصمت الذي ينم عن الخوف او الشعور بالعجز ... والغيظ المكتوم ... والتعاون المحدود مع العدو فنيبا بقيت اولدهم ويحفظهم على قيد الحياة ... هذه جميعها قد يعتبرها الاسرائيليون واعوانهم او بعض الزوار الاغرار او المعارضين المتحابلين على انها كتابة من قبول سكان المناطق المحتلة بالواضع ورضاهم عنها

وانها اشارة على تواطؤهم وتعاونهم مع السلطات ومظهر للتعايش التسلمي بينهم وبين الاسرائيليين . بيد انه لا يمكن خلق الحقيقة خنقا تاما ، اذ كثيرا ما تنقلت التعابير عنها في ردود الفعل الطغائية للاحداث ، كما تبدو للمراقب شواهد عليها في كل لحظة في شوارع المناطق المحتلة ، اذ يلجسها المرء في الابتسامات الساخرة ، وفي النظرات ، وفي الشتائم المكتومة ، كما يتم الاعراب جهارا عن هذه الحقيقة اثناء المناقشات والاحاديث مع الاصدقاء الموثوق بهم ، كما انها تبدو من خلال مظاهر المقاومة السلبية من اولئك الذين يتجاهلون اوامر قوات الاحتلال ولا ينصاعون لها الا تحت طائلة التهديد بالحبس والتوقيف .

ما زال قطاع غزة مستعص على السلطات الاسرائيلية . فرغم الشبكة الدقيقة من اجراءات الامن الصارمة التي اقامها الاسرائيليون في القطاع ، والتي ما انفكوا يدخلون عليها التعديلات والتحسينات طوال السنوات الخمس والنصف التي انقضت على الاحتلال ليلبغوا بها حد الاتقان التام والكمال في ميدان ضبط الامن والسيطرة على الاوضاع ، ما زال الغدائيون قادرين على اثبات وجودهم في القطاع ، سواء بالقاء القنابل اليدوية ، او بهاجنة السيارات والدوريات المسلحة الاسرائيلية او بالقيام باعمال التخريب . وكل الاجراءات والخطط الجهنمية التي نفذها الاسرائيليون في القطاع لم تثبت في عضد المقاومة وتشتتت في تحقيق الغاية التي توختها السلطات الاسرائيلية الا وهي استئصال النشاط العدائي من قطاع غزة كليا . ولم يجد السلطات الاسرائيلية نفعا كل ما اقدمت عليه من اجراءات سواء كانت تعزز قوات الامن والشرطة او اللجوء الى اضطهاد السكان بقسوة ومظالمة او حملات الابعاد والنفي الجماعي او عمليات الاعتقال والحبس والعقاب الجماعي ، وتفريق السكان وتشجيبتهم داخل القطاع ، ومصادرة الاراضي لقتام عليها الكبوتزات والمستوطنات اليهودية العسكرية منها وشبه العسكرية ، والقيام بقطع الاشجار والاسيجة لتعرية سطح الارض ، واشغال الالاف من سكان قطاع غزة بالعمل خارج القطاع سواء في الضفة الغربية او في امرايل ذاتها... كل هذه الاجراءات فشلت في تحقيق الغاية المنشودة ... صحيح انه تم حصر نطاق اعمال المقاومة المسلحة في القطاع والتخفيف من حدتها بصورة ملموسة ،

بيد ان اعمال العنف ما زالت تحدث من حين الى آخر بصورة تكفي لإبقاء قوات الامن الاسرائيلية في القطاع في حالة استنفار دائم طوال ساعات النهار والليل كما انها جعلت من القطاع منطقة محرمة على الزوار الاسرائيليين والاجانب . فقد حدث في الليلة السابقة لوصولي الى قطاع غزة هجوم بالقنابل اليدوية في شارع عمر المختار . وتلا هذا الهجوم اعلان حظر التجول وعمليات تفتيش من بيت الى بيت ، واعتقال من وقعت عليهم القرعة للتحقيق معهم . وفي اليوم التالي فرض حظر التجول على مخيم الشاطئ ، فاستنادا للشائعات التي سرت في مدينة غزة ، قام احدهم بخط عبارة « ايلول الاسود » على زوارق الصيد الراسية على الشاطئ . وفي اليوم التالي دوى صوت انفجار في شارع عمر المختار فمزق السكنية المخيمة على المكان عند ساعة الافطار . وقد صادف ان كنت في بيت قريب من موقع الانفجار حيث كنت ازور بعض الاصدقاء . واعقب الانفجار اطلاق زخات من نيران الاسلحة الرشاشة ووقع خطوات مكتومة لمشاة كانوا يسرعون الخطى نحو بيوتهم خوفا من التعرض للقبض عليهم وبالتالي المعاناة من الاجراءات المألوفة وهي استدعائهم الى مقر الامن العام لاستنطاقهم . وخرجت سيده تعدو مسرعة من بيت مجاور ، اذ ان زوجها اصيب بجراح وحمل الى المستشفى . وقد اخبرني مضيبي ان الرجل المصاب هو بائع الخوف المسن في شارع المختار .

وقد سألنا شابا كان يقف عند عتبة بيته « هل اصابته شظية » ، فاجابنا قائلا : « كلا ، لقد ضربه احد الجنود الاسرائيليين على وجهه بعقب بندقيته » .

تتمتع الطلقات ، ثم تظهر رؤوس تطل خلسة خلال خيوط النور المتسرب من الابواب التي كانت تنفتح بحذر وتقوم سيارات الجيب والشرطة الاسرائيلية بسد منافذ الزقاق . ويهمس رجل وهو يمر مسرع الخطى : « لقد حاصروا شارع المختار » . سيكون ، ثم يجتاز رجل الزقاق بخطى وثيدة قادما من جهة شارع عمر المختار .

ويتحرك الرجل كمن يمشي في نومه ، وتشخص عيناه باتجاه نهاية الزقاق حيث ينمط في اتجاه القبرة . وكان يحمل بين يديه رزمة صغيرة مجللة بشال . انه طبل بيت . وكان يلحق بالرجل فنى

يحمل مضباح علاء الدين وآخر يحمل معولا ومجرفة .
 وعدت بخواطري الى مشهد دارت حوادثه في
 مقبرة اخرى بغزة حيث تسنى لي مراقبة ذاك
 الحدث صباح يوم وصولي . كنت في احد
 مخيمات اللاجئين وقد تحلقت حولي جبهة من
 الاطفال المتلئين حماسة وانفعالا . وزق الاطفال
 من حولي بأصواتهم الحادة : هل شاهدت « القبور
 المتحركة » ، « اعجوبة مقبرة الشجاعية » ،
 « انهم اللدائيون ... قبورهم تتحرك » . اذهبي
 الى المقبرة .

انا لست ممن يؤمنون بالمعجزات . غير اني ذهبت ،
 برغبة بعض الاصدقاء من القدس ، الى مقبرة
 الشجاعية من باب أولى لان المعجزة ، ايا كان
 أسلوب صنعها وتحقيقها هي بنفس مرغوب فيه
 لكسر حدة رتابة الحياة اليومية القاتمة في ظل
 الاحتلال . كانت هنالك حشود من الناس تحيط
 بالأضرحة الحجرية الاربعة المتباعدة والتي كانت
 تتسامق فوق مستوى صفوف القبور الكثيرة الأخرى
 المتواضعة التي لم تعد كونها اكواما ترابية مسواة
 باليد . وارشدنا غلامان الى اول تلك « القبور
 المتحركة » فسقنا طريقنا خلال جموع الزائرين ،
 الذين أصبحوا يججون الى هذه القبور . وقد
 أوضحوا لنا قائلين : « شواهد القبور تتحرك » ،
 « سوف ترون » . كنت اقرأ اسم الشهيد المنقوش
 على شاهد قبره — حسين محبته سلمان أبو
 حنتوش — عندما ادركت ان شاهد القبر كان
 يبيل قليلا من جهة الى اخرى . وانتقلنا بعدها
 من قبر الى آخر ، فتبين لنا ان القبور الاربعة
 جميعها « تتحرك » متباعدة كبنود الساعة تارة
 نحو اليمين واخرى نحو اليسار ، وفي احدى
 الحالات الى الامام والخلف ، وكان الزوار والحجاج
 يقطنون صلواتهم وتأملاتهم واحاديثهم الهامسة
 ليسألوننا اذا كنا « قد شاهدنا » ولينقاشوا في
 سر هذه الظاهرة .

وقد رووا ان صبي صغيرا كان اول من اكتشف
 ظاهرة تحرك شواهد القبور قبل نحو ثلاثة اسابيع ،
 وسرعان ما ذاع الخبر ، واخذ الناس يتوافدون
 الى المقبرة من مدينة غزة في باذئ الامر ، ثم من
 القطاع بأكمله وحتى من القدس والضفة الغربية .
 وفسر البعض تلك الظاهرة على انها معجزة .
 فاللدائيون الاربعة يتعلمون في قبورهم « ويتكلمون »

انهم يحاولون ان ينقلوا البنا رسالة طارئة من
 البعض الآخر ، فقد خالها اشارة او رسالة من
 الله . وتساقلت عما كان يقوله اللدائيون او اللدائيين
 فاجابوني قائلين : ان اللدائيين يحثون الناس على
 مواصلة النضال وتادية الرسالة او لعلهم كانوا
 يقولون « ان اوان العمل » . كما قالوا : ان
 الله بهذا يطعن الناس بأن اللدائيين لم يموتوا
 وان الخلود هو نصيب اولئك الذين يضحون
 بأرواحهم . وان الله يحث الناس على الصمود
 والمقاومة .

ولم يكن عنصر الاعجاز الخارق للطبيعة في هذه
 الظاهرة هو الذي استأثر بالقسط الأوفر من
 اهتمامي — وهي ظاهرة ناتجة عن خدعة بصرية
 تسببها الظلال المتحركة للاغمسان المتدلية فوق
 القبور — بل ان ما استأثر باهتمامي هو التأويلات
 التي يسبغها اهالي غزة على هذه الظاهرة .
 فلك التأويلات انما تعكس حقيقة مشاعر سكان
 المناطق المحتلة وحالتهم النفسية . فقد ان الفقة
 بعالمنا هذا بما فيه من قوى وهيئات دينوية ،
 وفقدان الفقة بالانظمة العربية وجيوشها ، وبالتحول
 الى « هيئة الامم المتحدة » ، مثلها ان هذه
 التأويلات هي الهام لمشاعر الايمان والابتن
 بالانتصار المحتوم « للانسان المستضعف » والقوية
 والنضال والتضحية . ومضت سيارة الحشود
 مسرعة في شارع المختار في طريقنا الى
 عسقلان : سبات ، وهدوء ، ولا اشارة تبين بأعنان
 العنف التي جرت في الليلة السابقة . وتساقلت
 لدى مرورنا بمقر الامن العام : ترى كم من الناس
 قد سيقوا الى هذا المقر لاستجوابهم ومن ثم
 احتجزوا واوتنواؤكم من الغزائين قد امضى ليلة
 مشهدة قلعا على مصير احد ابناءه او والديه او
 ذويه او بسبب ترقبه طريقة على الباب قد تعني
 تفقيشا روتينيا او زيارة لمقر الامن العام للتحقيق
 معه — وهي قد تنتهي بالانزاج عنه بعد احتجازه
 بضعة ساعات ولربما امتدت اياما او شهورا او
 سنينا . وعندما مررنا بنهاية الطريق المؤدية الى
 مقبرة الشجاعية ساءلت نفسي هل مسأ زال
 اللدائيون يتعلمون في قبورهم ؟ ترى هل مستعنى
 لهم يوما ان يخلدوا الى السكينة هائلين مطمئنين ؟

ايوين بيسون

(١) المقاومة الفلسطينية

بطريقة ما ، ولكنه تدم في تقريره صورة « كاريكاتورية » عن وضع الفدائيين في لبنان توحى بأن ضربهم والنخلص منهم امر ممكن .

وبعد هذه المعلومات الأمريكية ، بدأت صحف إسرائيل بنشر أخبار تضرب على الوتر نفسه ، فنشرت صحيفة « يديعوت احرونوت » معلومات تقول (١٤ ايلول) ان علي سلامة هو الذي ينسق نشاطات ايلول الاسود ، يعاونه في هذه المهمة كل من ابو اياد ، ابو يوسف ، ابو جهاد ، ابو مازن ، من كبار قادة فتح . وفي اليوم التالي (١٥ ايلول) قالت صحيفة معاريف ان زعيم منظمة ايلول الاسود هو غازي الحسيني ابن القائد الفلسطيني الشهير عبد القادر الحسيني .

وفي الوقت الذي كانت تنشر فيه هذه المعلومات ، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدمشق واصدرت بيانا سياسيا (١٤ ايلول) أكدت فيه عدم مسؤوليتها عن اعمال منظمة ايلول الاسود ، ولكنها قالت انها تلتفت نظر العالم الى ضرورة تفهم دوافع الشبان الذين قاموا بالعملية . كما اصدرت منظمة ايلول الاسود نفسها بيانا نفت فيه ما نشر عن اسماء قياداتها ، داعية الصحف واجهزة الاعلام ، الى عدم تضخيم دورها ، والالتزام بالموضوعية فيما ينشر عنها . ولكن هذين البيانتين لم يسكنا رغبة الدوائر الأمريكية والإسرائيلية في اقامة صلة مباشرة بين قيادات المقاومة ومنظمة ايلول الاسود ، واستمرت الحملة الاعلامية والاجراءات القبلية التي تلتها ، على أساس هذا الربط بين الجهتين . وعلى أساس ذلك قامت ألمانيا الغربية باتخاذ اجراءات شديدة ضد العرب المقربين في اراضيها ، أو الراغبين في زيارتها . فلاحقت عددا كبيرا من الطلبة ، وطردت دبلوماسيين عربا عاملين في أجهزة الجامعة

على امتداد الشهر الماضي (١١ ايلول - ١٠ ا ت) عاش العمل الفلسطيني اصداء عملية ميونيخ ، وخاصة الاصداء المقصودة الهادفة الى استفلال العملية ، لتنفيذ مهمات اخرى تحت غطاءها . واتخذت هذه الاصداء طابع حملة دولية ضد العمل الفدائي ، وضد « العرب » في بعض البلدان ، سنتناول منها ما يمس حركة المقاومة بشكل مباشر .

اصداء عملية ميونيخ : بعد مضي ايام على عملية ميونيخ ، نشرت في الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي وقت متقارب ، معلومات عن منظمة ايلول الاسود ، كان من الواضح تماما ان الهيئات الرسمية العليا تتعمد نشرها ، وذلك لربط منظمة ايلول الاسود بقيادات المقاومة الفلسطينية بشكل مباشر ، ولدرس ردود الفعل التي تظهر تعليقا على هذه المعلومات ، لاختبار مدى صحتها . ففي ١١ ايلول نشر الصحفي الأمريكي « جاك اندرسون » مقالا في صحيفة « الواشنطن بوست » عن منظمة ايلول الاسود اعترف ان المعلومات الواردة فيه مأخوذة من الاستخبارات الأمريكية ، وذكر في هذا المقال ان هدف المنظمة الاول هو اغتيال الملك حسين ، وان زعيمها يدعى فكري العمري ، وهو يقيم في محلة صبرا ببيروت تحت حراسة مشددة . وبعد يومين (١٣ ايلول) ، نشر الصحفي نفسه مقالا لخص فيه تقريرا مقدما من السفير الأمريكي في لبنان الى وزارة الخارجية الأمريكية حول اوضاع الفدائيين . ويبرز تقرير السفير بشكل واضح الرغبة في تحريض السلطة اللبنانية على الفدائيين اذ يقول ان هدف نشاط الفدائيين تحريض اسرائيل على ضرب القرى اللبنانية لاثارة الاهالي ضد الجيش . وان السلطات اللبنانية لا تستطيع دخول اي مخيم من مخيمات اللاجئين الخمسة عشر . ويضيف ان لبنان لا يستطيع التصرف كمالك حسين تجاه الفدائيين ، وان المسؤولين فيه ينتظرون حلا

العربية (عبد الله الانرجي) ، واغلقت فرعي اتحاد الطلاب واتحاد العمال الفلسطينيين هناك ، ومنعت المسافرين العرب من الدخول الى اراضيها. ورد الطلاب العرب على هذه الاجراءات بالاعتصام، وينتظم تظاهرة شاركت بها قوى الماتية يسارية . كذلك جرت في الوقت نفسه اعتصامات في فرنسا وبيروت تجاوبا مع اعتصام المانيا واحتجاجا على الاجراءات المتخذة .

اما في الولايات المتحدة ، فبالاضافة الى الاجراءات المماثلة لاجراءات المانيا الغربية ، قامت السلطات الامريكية بتخطي قواعد القانون الدولي ، حين منعت ديبلوماسيين عربيا من دخول الولايات المتحدة ، لحضور الدورة الحالية للامم المتحدة. وطبقت ذلك على نائب رئيس الوفد السوري، وعلى مدير مكتب الجامعة العربية في مدينة دالاس .

اما في الامم المتحدة نفسها فقد تقدم فالدهايم في الثامن من ايلول بمشروع قرار حول الارهاب ، داعيا الى ادراجه على جدول اعمال الجمعية العامة . وقد رفضت الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية مشروع القرار ، لانها رأت في صياغته ، تأييدا لاسرائيل من جهة ، ومساسا بحق حركات التحرر في النضال من جهة اخرى . وامام الجدل الواسع الذي اثاره الموضوع ، عقدت تسوية من بندين : البند الاول ان يعدل مشروع القرار بحيث لا يقتصر على بحث عمليات الارهاب ، بل يبحث ايضا الاسباب التي تنتجها . والبند الثاني ان يحول بحث الموضوع من الجمعية العامة الى اللجنة القانونية . وهذا يعني حسب تقاليد الامم المتحدة ، ان البحث لن يأخذ صفة الاستعجال ، وذلك حتى تستوعب الاجتهادات كافة حول تعريف الارهاب وتحديد انواعه ، والفروقات بين دوافعه .

العدوان الاسرائيلي على لبنان : في الوقت الذي كانت فيه الدوائر الامريكية والاسرائيلية تسرب معلوماتها وشائعاتها الى الصحف ، كانت الاجواء العربية الاسرائيلية مليئة بالتوتر ، وبرزت دلائل عديدة تشير الى اعتداءات اسرائيلية محتملة على سوريا ولبنان . ابرز هذه الدلائل التي اجتمعت عليها الدوائر الصحفية والرسمية ، ومن بينها الدوائر الفلسطينية :

١ - الحشود والتخربات العسكرية الاسرائيلية غير الاعتيادية على الحدود مع سوريا ولبنان ،

وتكرار تخليق الطائرات في القرى والمدن اللبنانية .
٢ - ابراز الصحف الاسرائيلية لاتباء حالة التوتر، ولاتباء منع المدنيين وسياراتهم من الاقتراب من مناطق الحدود .

٣ - الفيتو الامريكي في مجلس الامن الذي امثل مشروع القرار الداعي لادانة اسرائيل بعد غاراتها الوحشية على القرى ومخيمات اللاجئين يوم ٨ ايلول . وقد فسر الفيتو الامريكي ، على انه بغفائة ضوء اخضر لاسرائيل للتحرر في المنطقة .

وكعادة اسرائيل الدائمة اثناء التحضير لاي عدوان ، بدأت في ابراز نشاطات الفدائين وتسريب انبائها لوكالات الانباء العالمية ، بينما تقرض على هذه الانباء حظرا شبه كامل حين يكون من خطتها ان تبقى الحدود هادئة . ففي ١٤ ايلول قال ناطق عسكري اسرائيلي ان اشتباكا مع الفدائين وقع عند حدود لبنان اصيب فيه جنديان اسرائيليان بجراح . وفي اليوم التالي قال الناطق ان جنديين اسرائيليين قتلوا وجرح ثالث في اشتباك مع الفدائين في الجولان . ثم سربت المصادر العسكرية لوكالات الانباء في الوقت نفسه اخبارا عن خمسة حوادث في منطقة الجولان ، ارفقت بتعليق يتوقع حدوث « تطورات خطيرة جدا » على الحدود مع سوريا .

ولم يكد يمضي على تسريب هذه الانباء اربع وعشرون ساعة ، حتى بدأت اسرائيل مجر المئات عشر من ايلول هجوما واسعا على جنوب لبنان تغلغل الى مسافة ٢٠ كلم ، وهي ابعد مسافة تغلغلت اليها القوات الاسرائيلية حتى الان . وقد دام هذا الهجوم اربعين ساعة ، وشاركت في صدّه قوات حركة المقاومة والجيش اللبناني . خسرت فيه المقاومة ٢٠ شهيدا ، وخسر الجيش اللبناني ١٨ شهيدا ، و ٤٦ جريحا ، اضافة الى ٨٠ شهيدا مدنيا . وقد اعلنت اسرائيل في البداية ان هدفها تمشيط قرى جنوب لبنان من الفدائين ، ولكنها لما لبثت ان تالت بصراحة ان هدفها من الهجوم القضاء اتفاق القاهرة المعقود بين المقاومة والمنظمة اللبنانية .

حين بدأ الهجوم الاسرائيلي اصدر مجلس الوزراء اللبناني قرارا اعلن فيه فرض حالة الطوارئ . وعلى ضوء هذا القرار ، اصدرت قيادة الجيش اللبناني سلسلة من التعليمات يشمل تنفيذها العمل الفدائي . وخلق ذلك حالة متوترة بين المنظمات والمقاومة ، جعلت احتمال الاصطدام واردا بقوة .

لقد اعتبرت المقاومة تعليمات الجيش اللبناني بمثابة انذار ، وقامت اذاعة المقاومة التي تبث من سوريا بهجومية هذا الانذار الذي كان ينص على ما يلي كما نقلته وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » في ١٧/٩/١٩٧٢ :

« بلاغ خاص

الى جميع قوى الامن :

— المديرية العامة لقوى الامن الداخلي

— المديرية العامة للامن العام

والى اللجنة السياسية العليا الفلسطينية في لبنان

عملا باحكام المرسوم رقم ٣٩٩١ تاريخ ١٦/٩/١٩٧٢

وعملا باحكام المرسوم الاشتراعي رقم ٥٢ من

اعلان حالة الطوارئ او المنطقة العسكرية

الصادر في ٥ آب ١٩٦٧ تبلغ قيادة الجيش بموجب

السلطات المعطاة لها وفقا لاحكام المرسومين المتوه

عنهما اعلاه ما يأتي :

تتمركز فصائل المقاومة :

اولا : في القطاعات الحدودية : يتمركز فصائل

المقاومة .

١ — في القطاع الشرقي « العرقوب »

١١ — جنوبي طريق شبيعا — حاصبيا

١٢ — داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها

كحد ادنى .

٢ — في بعمقة راشيا الوادي :

— داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد

ادنى .

٣ — في القطاع الاوسط :

٣١ — يتمركز دخول القطاع الاوسط لاية عناصر

جديدة من فصائل المقاومة .

٣٢ — تخلى جميع قرى هذا القطاع من عناصر

فصائل المقاومة الموجودة فيها وحتى مسافة

٢ كلم منها كحد ادنى .

٤ — في قطاع النبطية :

يحافظ على الوضع القائم بوجود عناصر فصائل

المقاومة داخل المخيم .

٥ — في القطاع الغربي :

— يتمركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في

القطاع الغربي وخارج المخيمات فيه .

٧ — في منطقة البقاع :

— يتمركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في

منطقة البقاع وخارج المخيمات الموجودة فيها .

٨ — في منطقة جبل لبنان :

— يتمركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في

منطقة جبل لبنان وخارج المخيمات الموجودة فيها .

ثانيا — التجول :

١ — في القطاعات :

— يتمركز التجول بالسلاح واللباس المرقط او السمر

الا لعناصر الكفاح المسلح وبعد التنسيق مع مركز

ارتباط الاركان العامة لشؤون الفلسطينيين

العسكرية .

٢ — خارج المخيمات كافة : مماثل لاعلاه .

ثالثا : الاجراءات : — يتعرض للتوقيف والاحالة

امام القضاء العسكري كل من لا يتقيد باحكام هذا

البلاغ .

رابعا : — التنفيذ :

يعمل بهذا البلاغ اعتبارا من الساعة السادسة من

صباح نهار الاحد الموافق في ١٧/٩/١٩٧٢ . وتكلف

جميع قوى الجيش والامن الداخلي والامن العام

تنفيذ احكام هذا البلاغ .

التوقيع

العماد غانم قائد الجيش «

ولكن السيد صائب سلام ما ليث ان نفى بسرعة

ان يكون الجيش قد وجه اي انذار للفدائيين .

ثم تكرر هذا النفي في مناسبات عديدة لاحقة . ولكن

كل ذلك لم يبلغ حالة التوتر السائدة التي ارتفعت

حدثها الى درجة استعدت قيام اكثر من جهة عربية

بالتدخل لتهدئة الوضع ، ومع تكتم الطرفين ،

المقاومة والنظام اللبناني ، في الحديث عما دار

في الاجتماعات المغلقة ، الا انه من الممكن تسجيل

الملاحظات التالية :

١ — لقد خلت الصحف اللبنانية طوال الفترة التي

اعلنت فيها حالة الطوارئ (الغيت في ٤ ت ١

باستثناء منطقة الجنوب) من اي اشارة الى العمل

الفدائي ، وشمل ذلك جميع نشاطات ومظاهر وجود

العمل الفدائي في لبنان ، ومن ضمنها نشاطاته

وانباء تشييع شهدائه ، في معارك التصدي للهجوم

الاسرائيلي .

٢ — اقدام حواجز السلطة القائمة على الطرقات

بمراقبة تنقلات الفدائيين واحتجازهم .

٣ — انتشار جو من الطسق العام دفع رئيس

لوضع الاتفاق موضع التنفيذ .

وعلى اثر ذلك برز حادثان كان لهما دلالة سياسية واضحة ، الحدث الاول قيام السيد صائب سلام بجولة في مناطق جنوب لبنان ، جرى فيها اعداد استقبالات « رسمية » له ، ابلغ اثناءها بيان الاهالي يرغبون ببقاء الجيش وبخروج الفدائيين . والحدث الثاني قيام السيد ياسر عرفات على رأس وفد فلسطيني بزيارة عدد من الشخصيات السياسية اللبنانية المعروفة برفضها لاتفاق القاهرة (شمعون - اده - الجيليل) ، كما قام ايضا بزيارة كل من السيد كامل الاسعد ، وموسى الصدر ، والمفتي حسن خالد . وقد كان اهم هذه اللقاءات الاجتماع الذي تم بين الرئيس فرنسيس وياسر عرفات ، وسعد العبد الله وزير الدفاع الكويتي ، وذلك بناء على وساطة كويتية ، وكان انها كانت معنية بازالة فجوة كانت موجودة ، اضافة الى ازالة التوتر العام في العلاقات . وبذلك انتهت جولة جديدة من جولات التازم بين المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني ، في ظل ظروف سياسية وعسكرية صعبة ومعقدة .

حكومة المنفى : في الخطاب الذي القاه في النكزى

الثانية لوفاء الرئيس جمال عبد الناصر ، فاجتاز الرئيس السادات الجبيع بدعوته الى تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة ، وابعالنه استعداد مصر للاعتراف بهذه الحكومة اذا ما شكلت . وعلى الفور برزت اسئلة عديدة حول ما اذا كان الرئيس السادات قد اقترح هذا الموضوع بمبادرة منه ، ام بناء على بحث مسبق مع قيادات المقاومة . وبينها اعلنت معلومات صحفية ان السادات بحث اقتراحه مع بعض القيادات ، قالت مصادر المقاومة ، ان احدا من قادتها لم يكن على علم مسبق بالاتراح ، وانها كانت تفضل لو اجابها الرئيس السادات علما بالموضوع قبل اعلانه . وحسب الموقف الرسمي الذي سيتخذ قالت هذه المصادر انه من الضروري التشاور مع بعض الانظمة العربية قبل الاعلان عنه .

وقد لوحظ ان اللجنة التنفيذية ، وفصائل المقاومة كافة ، اتبعت تكتيكا سياسيا يتلخص بنقطتين .

١ - التمثل في رفض الاقتراح .

٢ - صياغة الرفض بطريقة لا تفتح جدلا او معركة سياسية مع القاهرة .

الوزراء الى تفني وجود انداز موجه للفدائيين (١٧ ايلول) ، وقيام وزير الخارجية ببلأغ السفير العرب ان حالة الطوارئ ليست موجهة ضد المقاومة (١٨ ايلول) . ومن جهة اخرى دفع هذا الجو القلق مشيحي جنازة شهداء المقاومة في بيروت (١٥ الفا) الى رفع شعارات تطالب بالفناء حالة الطوارئ ، كما دفع مشيحي جنازة شهداء المقاومة في صيدا الى رفع شعار يقول « لا ، لا ، لا للانداز » (١٩ ايلول) .

٤ - وصل محمود رياض ، الامين العام للجامعة العربية ، الى بيروت ، وعقد اجتماعات متواصلة مع المسؤولين اللبنانيين ، ومع قادة المقاومة ، انتهت باجتماع ثلاثي ، في ٢٠ ايلول ، قال محمود رياض على اثره للصحافيين ، انه يسافر وهو متفائل .

٥ - ظهر اثناء ذلك كله بوضوح ، ان الطرفين اللبناني والفلسطيني حريصان على عدم الاصطدام . فقد اعلن صائب سلام اكثر من مرة ، انه لن يكون هناك اي صدام . واعلنت المقاومة اكثر من مرة انها تتفهم خصوصية الساحة اللبنانية ، والظروف التي تحيط بلبنان .

٦ - كانت اوضح اشارة فلسطينية لجو التوتر القائم ما ورد على لسان السيد زهير محسن عضو اللجنة التنفيذية حين قال ان هناك توترا بين الدولة والمقاومة « اتخذ طابعا اكثر حدة وتازما اذ تفاق مع محاولات لفرض اجراءات وتقيود لا يمكن قبولها » واطاف ان « المقاومة ستظل تصرم الى ابعاد الحدود على معالجة كل الاشكالات الطارئة بالحوار الايجابي والاتصالات الودية . . . وانا نتفهم واقع لبنان ، وتغليب من لبنان ان يتفهم واقع الفلسطينيين » (٢٠ ايلول) . وعلى اثر هذه الوقائع اعلنت مصادر مطلعة للصحافة يوم ٢١ ايلول انه تم التوصل الى صيغة تعاون بين المقاومة والنظام تقوم على اساس الاستمرار في تجسيد النشاط الفدائي ، وتركز القوات الفدائية خارج المدن والقرى . ولكن يبدو ان استمرار مرض حالة الطوارئ ، واستمرار اعمال الحواجز على الطرقات ، ابطت جو التوتر قائما بالرغم من الاتفاق الذي تم التوصل اليه . ولذلك فقد استمر الحوار ، واستمرت اللقاءات حتى ٢٥ ايلول ، حيث اعلن ان جو التوتر قد انتهى ، وان لجنتين فنيتين قد انتقلتا الى الجنوب

شهدت هذه الفترة وصول عدد كبير من الرسائل الملقومة الى السفارات الاسرائيلية في الخارج ، والى داخل اسرائيل نفسها . وكشف النقاب عن هذه الرسائل حين انفجرت احداها في يد موظف كبير في سفارة اسرائيل بلندن ادت الى مقتلته ، واصابة موظف اخر بجراح يوم ١٩ ايلول . وأعلن في الوقت نفسه ان هذه الرسالة واحدة من تسع رسائل كانت موجهة الى موظفي السفارة ، وعلى اثر ذلك بدأ الاعلان عن وصول رسائل اخرى الى السفارات الاسرائيلية شملت مساحة واسعة من العالم قدر عددها بأكثر من ستين رسالة ، جرى كشف معظمها بعد الاحتياطات الواسعة التي اتخذت .

هذا وقد اعلنت المصادر الاسرائيلية ان الرسائل الملقومة التي اكتشفت كانت تحمل رسائل موقعة باسم منظمة ايلول الاسود ، ولكن المنظمة لم تصدر اي بيان يعلن مسؤوليتها عن الرسائل .

وبالمقابل وقع انفجار في مكتبة متخصصة ببيع الكتب المتعلقة بالقضية الفلسطينية في باريس (٤ ت ١) أحدث اضرارا طفيفة ، واعلنت حركة صهيونية تدعى « حركة مسادا للعمل والدمعاع » انها مسؤولة عن الحادث . وفي ٨ ت ١ القيت في بيروت متفجرتان على مكتب منظمة التحرير وعلى مكتب فدائي بخيم شاتيلا ، احداثا اضرارا طفيفة ، وعلق مصدر فلسطيني قائلا ان الاسلوب يكشف عن الفاعلين ، وفهم ذلك على انه اتهام للمخابرات الاردنية بتدبير الحادث .

أما داخل الأراضي المحتلة فقد وقع انفجار كبير يوم ٢٩ ايلول في اكبر مخزن للتبوين (سوبر ماركت) في مدينة القدس ، ادى الى اصابة ثلاثة اشخاص بجراح ، واعتقل على اثر الحادث ١٣٠ عريباً للتحقيق معهم .

بلال الحسن

ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط

جنوب لبنان ، لا بد من وقفة تتناول تلك المعارك من ثلاث زوايا : الزاوية السياسية ، والزاوية العسكرية ، والزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية

وكان وراء هذا الموقف كما يبدو رغبة المقاومة في تجنب الاجواء التي سادت بينها وبين النظام المصري عشية الموافقة على مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ ، وبقاعتها بأن المبادرة مصرية محضة ، لا تعكس اجواء دولية تسمى بالاتجاه نفسه ، ويمكن بالتالي حصر الموضوع وحله ضمن هذا الاطار .

وبالفعل فقد تأخر صدور اي موقف رسمي عن منظمة التحرير حتى ٢ ت ١ ، حيث صدر بيان بعد اجتماع اللجنة التنفيذية رفض الاقتراح بشكل غير مباشر حين قال ان اللجنة تترتب دعم الكيان الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية. وفي الوقت نفسه الذي اذيع فيه هذا البيان وصل الى القاهرة وفد رسمي برئاسة السيد خالد الفاوم وعضوية خالد الحسن وسامي العطاري وحامد ابو ستة ، وعقد اجتماعين ، الأول مع سيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي ، والثاني مع الرئيس السادات (٧ ت ١) ، وصدر عن هذا الاجتماع بيان جاء فيه ان الرئيس المصري اكد « ان الشعب الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير هو صاحب الحق في تقرير موافقه » . وقد فسرت هذه الاشارة الى منظمة التحرير ، على انها تتضمن موافقة الرئيس السادات على موقف اللجنة التنفيذية . وكان قد سبق للرئيس السادات ان اعلن في مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية انه اقترح حكومة المنفى مثل الاتصال بالفلسطينيين . وبذلك اعتبرت المسألة منتهية ، دون ان تولد اي حساسيات .

أما : ما يتعلق بالناقشات الداخلية ، فقد كان هناك اجماع بين الفصائل الفدائية على ضرورة الالتزام بالتكتيك الذي اعلن ونفذ . وحين انفردت الجبهة الشعبية ، بإذاعة بيان صحفي (٣٠ ايلول) يعلن رفضها لحكومة المنفى قالت انها لمست « من خلال اتصالاتها الاولى بفصائل المقاومة الاخرى ان هناك اجماعاً على رفض المشروع » .

الرسائل الملقومة : وعلى صعيد اعمال العنف ،

أولاً : الزاوية السياسية : لقد كان طابع الغزو العسكري الصهيوني على القطاع الأوسط ابعدهما ما يكون عن طابع العمليات العسكرية ضد القنويات العسكرية المتعاقبة . ويستند هذا الرأي على الحقائق التالية : (أ) عدم تفرغ قوات العدو من آلياتها لمطاردة الفدائيين أو التوجه الى مواقعهم ، الا في الحالات التي كانوا يدخلون فيها قرية احدى الفدائيين ضواحيها (المرجع : مقابلة « مع آمر الفصيل الذي تصدى للهجوم على مجدل سلم » - كراسة « حرب الاربعةين ساعة » - منظمة التحرير الفلسطينية -) ، (ب) تركيز النار على الاهالي ، وعمليات تمشيط لمساكن المدنيين مصحوبة باختلاف الاجراءات الارهابية (المرجع السابق) ، (ج) معارك الصدام مع الفدائيين تمت ببساطة القوات الفدائية (المرجع السابق) .

كان العدو يعرف سلفا انه لن يستطيع مفاجأة الفدائيين بهجوم يقوم به في ذلك التاريخ ، فقد كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد اصدرت بيانا ، عقب اجتماعها في ١٤/٩/٧٢ ، تعلن فيه عن توقع العدوان ، وتدعو الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة . ولهذا ، فمن غير المنطقي ان يكون العدو قد هدف من عدوانه الظفر بالفدائيين وضرهم ، ما دام الغزو اصبحت متوقعا ، وما دامت القوات الفدائية المحدودة العدد في القطاع الاوسط قد استنفرت وانتشرت . وفي هذه الحالة ، من غير الممكن القيام بعمليات عسكرية بالقوات البرية الا عن طريق تفرغها من آلياتها لصعود الجبال ونزول الاديبة بحثا عن الوحدات الفدائية الفوارية وهذا الذي لم يحدث ، اذ توجهت الاليات السى القرى حيث السكان العزل من السلاح ، لتوجه ضرباتها ، فالمقصود ، اذن ، الهدف السياسي الذي يرمي الى ارباب اهالي القطاع الاوسط وتحريضهم ضد العمل الفدائي ، اي وضع الجماهير بين خيارين اما التعاطف مع العمل الفدائي والنزول تحت سيف ارباب اسود بيد جيش العدو الصهيوني ، واما التحرك ضد العمل الفدائي والمطالبة باخراجه من الجنوب نهائيا بل من ارض لبنان كلها ، تحت التهديد بعودة ذلك الارهاب - بكل ما تحمل الكلمة من معنى . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فمبارسة حفظ على السلطات اللبنانية لتتخذ الموقف نفسه .

ثانيا : الزاوية العسكرية : يلاحظ من مختلف

التلغات العسكرية التي صدرت عن المقاومة وتلك التي صدرت عن الناطق العسكري اللبناني ان الملامح الاساسية للحركة التكتيكية لقوات العدو ، خلافا لعملياته السابقة ، تبدو في عدم استخدامه نيران الطيران بصورة رئيسية كمتقدمة للحركة التكتيكية للقوات البرية وكجزء منها ، وذلك راجع لسببين رئيسيين : (١) طابع القوات الفدائية المتواجدة في القطاع الاوسط (محدودة) ، عددها ، انتشارها ، حسن تمويهها ، وكثرة حركتها - وبالمناخية ، لم تتعرض قوات الفدائيين في القطاع الاوسط منذ عام ١٩٦٩ لاية غارة جوية . (٢) طابع الهدف الذي تحركت الحملة الصهيونية لتحقيقه . في الواقع ، لم يتصف الطيران خلال تلك الغزوة سوى اربعة مواقع وهي : (١) بيت ياحسون (٢) الججمة (٣) بير السلائيل (٤) سيارة تحمل مدفع ١٠٦ بين السلطانية وبير السلائل . وكانت هذه النقاط كلها للجيش اللبناني تصدت لليات العدو بمدافع ١٠٦ . ومن هنا يكون دور الطيران في هذا الغزو قد تحدد في تأمين حماية لتقدم الاليات ، ولكن لم تكن نيرانه الشرط المسبق لتقدمها ، فضلا عن دوره الاستطلاعي والتوجيهي . ولهذا يمكن الاستنتاج ان تخطيط العدو ارتكز على توقع دخول منطقة خالته من مواقع دفاعية محددة تحتاج لقصف جوي مركز يمهده لهجوم الاليات .

لقد اتاحت هذه الظروف لقيادة القطاع الاوسط امتلاك زمام المبادرة في نصب كमान لا يتوقعها العدو ، راحت تفاجئه بمدافع (ب ٧) المضادة للدبابات ، وذلك من مسافات لا تزيد على خمسين مترا مما عطل امكانية اشتراك الطيران في حماية الدبابات من الكوارث التي حلت بها . ولقد اتقنت الوحدات الفوارية المؤلفة من ٥ - ٧ فدائيين مسلحة بمدفع ب ٧ هذا التكتيك وقد اصابته نجاحات اكبر بكثير من احجامها ومستوى تسليحها . ان دراسة تجربة هذه المعركة من ناحية نصب الكمان ثم الانسحاب السريع بعد الصدام مع الدبابات المتقدمة ثم العودة لنصب كمان جديدة او مطاردة اطراف من قوات العدو ، دون ان يتاح للعدو الاستفادة من طيرانه . ان دراسة هذه التجربة سوف تسهم في اغناء فن التكتيك الفوارية في ظروف التصدي لقوات آلية مدعومة بطيران نشط ودقيق ، اي ظروف التطورات التقنية الجديدة وسرعة

الحركة التكتيكية للقوات الالية البرية وللطيران .
يقول الاخ القائد العسكري لقوات الثورة في القطاع
الايوسط في جوابه على سؤال مراسل « فلسطين
الثورة » - الاربعاء ، ٢٧ ايلول ١٩٧٢ ، صفحة
١ - : « لم يعد سرا ان وجودنا العسكري في
القطاع الاوسط كما تنص عليه اتفاقية القاهرة
والتفسيرات الملحقه به هو وجود محدد من حيث
العدد ومواقع التواجد ، وبان تسليح هذا القطاع
لا يتجاوز الاسلحة الفردية الصغيرة وهو لهذا ليس
قطاعا عسكريا يستطيع ان يقوم بمهمات دفاعية
عن القرى او المنطقة ... مثل هذه المهمة تحتاج
الى اعداد وتسليح وتكتيكات مختلفة . ولهذا فان
خططنا لا تقوم على اساس الدفاع (الكلي) بل
على اساس الدفاع (الموضعي) بهدف ايقاع اكبر
خسائر ممكنة بالعدو ثم الانسحاب وشن غارات
فدائية على مواقع وتحركات قوات العدو ، وهكذا
فعلنا .

الذين يطالبوننا بالدفاع عن القطاع الاوسط ومنع
العدو من دخوله لا يعرفون معنى حرب العصابات ،
ولا يعرفون وضع القطاع كما تحدده اتفاقية
القاهرة . ثمة ثلاث موضوعات في هذا التصريح :
(١) اعداد الفدائيين محدودة جدا ، كما ان
الاسلحة فردية خفيفة فهو لهذا ليس قطاعا عسكريا
دفاعيا بالمعنى المحدد للكلمة « دفاعي » ، (٢)
الدفاع هو من طراز الدفاع الغواري - الموضعي
المتحرك . (٣) التكتيك الهجومى هو شن غارات
غوارية الطابع على مواقع العدو وتحركاته .
ومعنى هذه السمات الثلاث ان القوات الفدائية في
القطاع الاوسط ، خلافا لمواقع اخرى ، ذات طابع
الوحدات الغوارية المتحركة التي تتجنب المواجهة
الواسعة وتقتصر دفاعها على الدفاع « الموضعي »
الحزبي المنقل الذي يأخذ شكل الكمان الدفاعية -
الهجومية ، كما تقتصر هجومها على الهجمات
بوحدات صغيرة متفرقة تقررها كل وحدة غوارية
زمانا ومكانا واسلوبا في اثناء سير المعركة .

ثالثا : الزاوية الخاصة بالحقبة التاريخية : كان
باستطاعة قوات الثورة الفلسطينية ، نظرا
لحدودية عددها وختها ، ولعزيمتها المسبقة

بالهجوم ، ولطبيعة الارض في القطاع الاوسط ، ان
تستخفي تماما من وجه العدو ، وتتجنب اي صدام
معه ، ولكنها قررت نصب الكمان وشن الهجمات
الغوارية طوال اربعين ساعة ، وحافظت على
وتيرة تكتيكاتها الهجومية حتى مغادرة اخر آلية
معادية ساحة المعركة ، وكانت نتيجة هذه الكمان
والهجمات « تدمير واعطاب عدد كبير من الدبابات
والدروع ، امكن احصاء ١٣ منها احصاء دقيقا »
(المصدر السابق ص ١١) فضلا عن اعداد من
القتلى والجرحى ، لا تقل عن السبعين ، عدا
الاليات التي دمرها الجيش اللبناني .

رغم كل ذلك ضرب ستار من الظلام على الممارك
التي خاضها الفدائيون في تلك الحملة المعادية ،
ولم يعترف الراي العام الا بمعركة جوياء ، بسبب
وجود مراسلين اجانب في القرية في اثناء الاشتباك ،
ولكن الحقيقة ان معركة جوياء التي وصلها المراسلون
الاجانب بانها « جهنم فتحت ثيرانها » على قوات
العدو الصهيوني ، لم تكن قمة ما خاضه الفدائيون
من معارك في تلك الحملة المعادية ، فقد كانت
معارك عيناتا ومجدل سلم ، وتبريخا ، والرمادية ،
وصدقتين لا تقل عنها ان لم تكن معركتا مجدل سلم
وتبريخا اشد وطأة على العدو . مثلا لقد كانت
معركة عيناتا اشتباكا مع قوات العدو دام ثلاث
ساعات ونصف الساعة (من الساعة الثانية
والنصف حتى السادسة من صباح اليوم التالي)
وقد شلت الكمان المقدمة خارج عيناتا قوات
الكوماندوز المعادية ودبرت آليتين . اما معركة
تبريخا فقد دمرت فيها آليتان في مشارف القرية .
ثم فوجئت قوات العدو بعد دخولها ساحة البلد
بحرب شوارع حقيقية دمرت فيها دبابة ثالثة .

السؤال الآن ، الا تستحق تلك البطولات تزيق
ستار التعميم الاعلامي ، لتسلط الاضواء على تلك
الممارك التي تؤكد امكانية القتال ، وتكرس ارادة
القتال ، وتدفع بجهايرنا الفلسطينية والعربية
الى التحقق ، اكثر فاكثرا ، من صحة استراتيجية
حرب الشعب في مواجهة العدو الصهيوني الذي
يزيد تركيح وطننا العربي بالهراوة ؟

مفني شفيق

١ - عدوان ١٦ ايلول على لبنان :

كانت الصحف قد أعلنت يوم ٩/١٥ بأن هناك عدواناً واسعاً مرتقياً على لبنان ، استناداً الى معلومات « وفا » ، وكالة الأنباء الفلسطينية . كما حبلت الصحف ، في اليوم ذاته تضحياً لكفاح جنبلاط، ادلى به ، بعد لقاء مع السفير السوفياتي ، جاء فيه : « ابلغنا السفير ان الحالة خطيرة جداً بالنسبة للبنان وسوريه والدول العربية . وخصوصاً لبنان وسوريا » (المحرر ٧٢/٩/١٥) . وكان ابا ايان في هذا الوقت بالذات يرسل مذكرات شخصية الى نحو اربعين وزير خارجية في العالم يلقي فيها مسؤولية « الازهاب » على سوريه ومصر ولبنان (النهار ٧٢/٩/١٦) . وهذا الاسلوب ، اسلوب تحميل الدول العربية مسؤولية ما يحدث ، ليس جديداً . انه اسلوب قديم ولكن القادة « الاسرائيليين » ما زالوا يعتبرونه الاسلوب الوحيد الناجع في ملاحقة المقاومة الفلسطينية ، وفي إخضاع الدول العربية . لقد أكد دايفيد اليعازر هذه الحقيقة ، معتبراً ان « ... تحميل الدول والحكومات العربية ... المسؤولية » جزء اساسي من استراتيجيته . وكان دايان اكثر وضوحاً ، فلقد قال : « اما ان تتولى الحكومة اللبنانية مراقبة البدائيين ومنعهم من العودة الى ارض فتح ... واما ان تتولى اسرائيل ذلك ، وفي هذه الحال فان ارض العرقوب ستتر فيها دوريات عسكرية اسرائيلية في شكل منتظم » . وأشارت جولدا مئير الى القضية ذاتها قائلة : « ... ان اسرائيل مصيبة على ضرب لبنان مرة بعد مرة » اذا لم يبلغ الوجود الفلسطيني من ارضه ... لن نتظر كي يضربونا ... اننا سنهاجمهم حيث نعثر عليهم » (الجديد ، ٢٠٢ ، ٧٢/٩/٢٩) . وكانت آخر « النظريات » التي أعلنت في هذا المجال نظرية حاييم مرتزوغ الملقب الرئيسي في اذاعة العدو . وترى هذه « النظرية » : « ان مجرد وجود الفلسطينيين في جنوب لبنان ، ولو لم يقوموا بأي نشاط كاف كي تدخل اسرائيل الاراضي اللبنانية وتهاجمهم » نشرة رعد اذاعة اسرائيل ١٢/١٠/٧٢ -) .

وهدف دولة الاحتلال من هذه التمريعات والحيلات الدعائية واضح ومحدد : انه دفع الدول العربية

الى تصفية المقاومة الفلسطينية تحت وطأة التهديد باجتياح اراضيها واحتلالها . الدول الغربية مطالبة بان تتحول الى أداة قمع وتصفية . والمطل الذي تتفنى به دولة الاحتلال هو مثل الأردن . لماذا لا يفعل لبنان مع المقاومة ما فعله الأردن ؟ ودولة الاحتلال لا تحتاج الى مبررات : فليس من الضروري ان يكون هناك « مبررات » لعدوانها ، انها تمتدني ساعة تشاء ، وهي تمتدني حسب استراتيجيتها . ووفق اهدافها . وما تريد سحقه الآن ليس قاعدة مقاومة هنا او مركز قيادة هناك . انها تريد سحق ارادة القتال في المنطقة ، ليجد الاستسلام طريقه الى النفوس ، ومن ثم الى الواقع . ولكن يتحقق هذا لا بد من ان تصبح دولة الاحتلال سيادة المنطقة بلا منازع ، تحكها من تل ابيب دون ان تحرك طائفة او جندياً ، تأمر فيمقتل الآخرون ، تسمى فيستجيبون .

ولقد اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى هذه الحقيقة قائلاً : « ... خفاه ان اسرائيل اصبح لها من السطوة في المنطقة ما يجعلها تستطيع بإشارة من اصبعها ان تؤثر في تطورات داخلية تامة ، خاصة باقطار عربية شتى » . وذكر في هذا المجال زراداراً لبنانياً طلبت دولة الاحتلال ايقافه عن العمل فتوقف ، كما ذكر مشروع ادمه في استقثار مياه الانهر اللبنانية ، وكيف ان المشروع مجدد بسبب الخشية من دولة الاحتلال ويضيف الاستاذ احمد بهاء الدين : « ان ارادة اسرائيل وارادة اميركا كليهما اصبحتا في وضع يتيح لهما ان يسبحا بهذا ولا يسبحا بذاك ، وان يؤثرتا في مجريات الامور ، حتى الداخلية في هذا القطر العربي او ذاك . ومع مرور الزمن سوف تنتسع الدائرة التي يمكن التأثير فيها على هذا النحو » (الأهرام ٢٤/٩/٧٢) .

وما فعلته دولة الاحتلال صبيحة يوم ٧٢/٩/١٦ لا يخرج عن اطار هذه الاستراتيجية التي تستهدف إخضاع الارادة العربية من خلال التهديد ، فنان لم يتجح فبالعدوان .

وما كاد العدوان « الاسرائيلي » يبدأ حتى بدأ رد الفعل اللبناني يأخذ ابعاده . وتمثل رد الفعل اللبناني فيما يلي :

أولا : إعلان حالة الطوارئ ، ثانيا : توجيه انذار الى المقاومة ، يلقي اتفاق القاهرة عمليا .
ثالثا : التركيز على دور الجيش اللبناني وأفعال أية إشارة الى دور المقاومة . رابعا : فرض الرقابة على الصحف ووسائل الإعلام ومنعها من الإشارة الى كلفة المقاومة ، أو كل ما يدل عليها .

وبدا واضحا ان هذه الإجراءات السريعة ، وخاصة إعلان حالة الطوارئ وتوجيه الانذار الى المقاومة ، جاءت ضمن خطة جبيته ، وبالتفاق مع اوساط دولية ، وانها أعدت سلفا ، وبهدف تصفية المقاومة في لبنان . وزاد من الفناعة بهذا تركيز السلطة على دور الجيش ومقاومته وصبوده واعتقال دور المقاومة نهائيا ، ومحاولتها إلغاء المقاومة من ذهن المواطن العادي بشطب كل ما يدل عليها من قاموس الاستخدام اليومي . كما لعب انتشار الحواجز العسكرية والحصار الذي فرض على قواعد المقاومة دورا كبيرا في تأزيم الموقف وايصال الأمور الى حافة الصدام .

هل كانت السلطة تريد صداما في هذا الوقت بالذات ؟ ان السلطة كانت تريد تقليص حجم المقاومة في هذه المرحلة . وارتدت ان تلجأ في ذلك الى : أ - استغلال ظروف العدوان والتهديد باحتلال اراضي الجنوب . ب - الضغط السياسي على المقاومة ، باستخدام وسائل الضغط المختلفة ، ومنها التهديد بالصدام . ج - الصدام المحدود ، أو الاشتباكات المحدودة ، اذا اقتضى الأمر ، ويعود ذلك الى ان الصدام الشامل يحتاج الى تعبئة سياسية وعسكرية اكبر ، والى جو عربي اكثر ملاءمة ، والى مناخ داخلي اكثر تهيؤا ، وحتى يتفاد كل ذلك يجري تقليص حجم المقاومة ودورها في لبنان عن طريق سلسلة من الضغوط ، ثم سلسلة من الاتفاقيات مع قيادة المقاومة .

وتركز اهتمام السلطة في هذه الجولة عسلي قضيتين : الأولى - عدم استخدام الاراضي اللبنانية مطلقا لعمليات الحدود . الثانية - خروج قواعد المقاومة من القرى والمدن .

وأهمية القضية الأولى تتبع من ان هذا الاتفاق يجهد قواعد المقاومة ، ويتركها فريسة الشعور بأنها مجعدة ، لا تفعل شيئا . واذا كان هذا الوضع سيمزق المقاتل الرابض في قاعدته ، فانه سيرتك المواطن يحس ان هذه القوات المجعدة لا

جدوى من وجودها . اما فيما يتعلق بالقضية الثانية ، فان الخروج من المدن والقرى يزيد من عزلة المقاتلين ، ويضاعف من فرس الاستفزاز بهم وضربهم . ان هدف الخروج من القرى والمدن في لبنان ، لا يختلف عن هدف نقل المقاتلين في الاردن الى احراج جرش وعجلون ، الخالية من السكان . وقد جرت تغطية القضية بستارين : الأول يبرز ضعف لبنان وعدم قدرته على المجابهة ، وعجز الدول العربية عن انتهاز سياسة دفاعية ناجحة . والثاني ، يبرز رغبة السكان في الجنوب في ان يعيشوا آمنين ، وان يكونوا في منجى من الانتقام الاسرائيلي .

وهكذا اصبح وجود « العمل الفدائي » في لبنان هو المشكلة . ولذلك فقد اخذ بعض الاصوات يطرح الحل . وما هو غسان تويني في افتتاحية للنهار يبادر بعد العدوان مباشرة الى طرح استراتيجية جديدة للمقاومة الفلسطينية تقوم على الاسس التالية : ١ - القوات العسكرية للمقاومة تتحول الى جزء من القوات النظامية العربية ، وتعمل ضمن استراتيجيتها ٢ - تنتقل المقاومة الى العمل السري على طريقة ايلول الاسود . ومع ان هذه الافكار ليست جديدة ، اذ انها تمثل خطأ معروفا داخل المقاومة وخارجها ، فقد بدأت تطرح من جديد طرحا وإقتراحا . وكان بيار الجميل من الذين خاضوا غمار الحديث عن القضية في مؤتمر حزب الكتائب (النهار ، ٢٢/٨/٧٢) . وقد ركز الشيخ بيار الجميل على ثلاث قضايا اساسية : الأولى : ان تفرق المقاومة بين العمل الفدائي والعمل العسكري « على اساس ان العمل العسكري ليس آوانه ، ولهذا السبب كان « العمل الفدائي » وليس من مبرر للعمل الفدائي ، سوى هذا السبب تقريبا . بمعنى انه اذا استحال العمل الفدائي عملا عسكريا ، فقد مبرره الاساسي الوحيد ، وكان وبالا على نفسه وعلى قضيته وعلى العرب جميعا » . الثانية - ان لبنان هو الذي يحدد نوع مساعدته للمقاومة وحجبا « وينبغي ان تقبل المقاومة بالمساعدة التي يقدمها لبنان الى كفافها العادل ، بنوع هذه المساعدة ومقدارها ، قبولا يكون اقرب الى الاقتناع منه الى التسليم بالامر الواقع ... دور لبنان في المعركة لا يحدد قياسا على حاجات المقاومة وهي كثيرة وحجمها يفوق حجم امكانيات لبنان بأشواط » والمقاومة عندما تطالب مثلا بالعمل من

حدودنا » . انما نعترض علينا نوعا من انواع الاحتلال ، وتقدمنا الى معركة بل الى معارك غير مكافئة مع اسرائيل نتيجتها خسارة الارض والكرامة واخر ملاذ للمقاومة نفسها » . الثالثة : ان لبنان لا يريد التورط في صراع مع المقاومة . « واذا كانت اسرائيل تتوخى من انتقاماتها استديراجنا الى هذا الصراع نميتحا تحاول » . هذا ما يقوله الشيخ بيير . ويضيف : « لاننا ، بين هذه الانتقامات وبين حرب اهلية في بلادنا يكون الفلسطينيون طرفا فيها ، نفضل الحالة الاولى ، وهي شر كبير لكنه أهون الشرين ! واتفاق القاهرة ما كان الا تحت ضغط هذه الضرورة او هذا الاختيار الصعب » . ولكن الشيخ بيير يضيف قائلا : « لكنا نأمل الا تحاول المقاومة استغلال نقطة الضعف هذه بهذا الشكل او ذلك . اي ان تتخذ من خوفنا من الحرب الاهلية اداة لكي تنتزع منا ما تريده . لان حرصنا على الوحدة الداخلية يكون حرصا لا معنى له ، ساعة يصعب مدرجة الى التسليم بانتهيار تام ! » .

وبعد ان يؤيد الشيخ الجليل اجراءات الدولة يحدد ما يسببه « التزاماتنا تجاه القضية وابنائها ، ايا كان تصرف المقاومة ، وبها تبادل في تورطها واخطائها » . وهذه الالتزامات في رايه « ... اما ان تكون حلقة في خطة عربية شاملة متكاملة ، نشترك نحن في وضعها ، واما ان نتولى نحن تحديدها بانفسنا ، بالتفاهم مع المقاومة اذا امكن وارادت هي نفسها هذا التفاهم طيبا ، اذ نكتفي باستجاء ضميرنا ووجداننا وطاقتنا البلاد وامكاناتها وسلامتها » . ويلتقي هذا الخط مع الخط الذي طرحه غسان تويني ، وهو خط يريد ان يحدد للمقاومة طبيعة وجودها على الاراضي العربية اولا . وهو ثانيا يريد ان يقرر لها شكل عملها ونوع عملياتها . ثم - ثالثا - ان هذا الخط يريد ان يفتح المقاومة بان لكل بلد عربي دورا هو يحدده على ضوء امكاناته . رابعا : وغوق هذا كله ، فان لبنان مستعد ان يضي الى الحرب الاهلية ، اذا لم تتكيف المقاومة مع متطلبات وضعه .

ويستهدف هذا الخط تكييف ارادة المقاومة مع وضع الانظمة واخضاع قواها العسكرية الى خطة عربية شاملة ، وجعل قواها السياسية اقرب الى التمثيل الدبلوماسي منها الى التنظيم الشعبي . ويستتر هذا الخط نفسه بالحديث عن ضرورة

« العمل العدائي » . وبالتفني بالسرية وباللوزان الاسود . ولكن هذا الشيطان يخفي وراءه حقيقت مهمة وهي ان هذا الخط يرفض العمل السري في الحقيقة ، وما تغنيه به الا من باب الخديعة . وهو اذا كان يسمى للاستفادة من عملية كعملية ميونيخ ، فما ذلك الا للضغط على القوى العالمية من اجل حل عاجل للقضية الفلسطينية . ولكن مثل هذا الحل يتطلب ان تنازل المقاومة الفلسطينية عن مواقعها ومكسباتها ، وان تدمر اعمدة قوتها وهو ما تعمل من اجله قوى مختلفة عربية وغير عربية . لان المقاومة اذا فعلت ذلك دخلت حلقة الحل الاستسلامي . وهو ما يراد لها . هذا ما طلبه لبنان الرسمي من المقاومة ، وما ايدته فيه قوى لبنانية معروفة . وبالمقابل كان هنالك مواقف القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية والجهاديين المساندة لها .

واليوم وبعد مرور شهر ، تبدو الازمة هائلة ومع ان الوضع استمر كما كان . فهل يعني هذا ان الازمة قد انتهت ؟ لا طبعاً .

ان ما حصل لا يعدو ان يكون عملية « تهدئة » . واذا كانت قد حصلت اجتماعات ولقاءات « ... فحصيلتها هذه اللقاءات لم تكن اكثر من « حوار » منع الصدام « مؤقتا » وجرى فيه استعراض « لوجهات النظر » دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، وهذا يعني ان التوتر قد يعود في اية لحظة ، بالرغم من « النوايا الحسنة » و« الثقة المتبادلة » . ويعني ايضا - وبصراحة - ان المساعي التي بذلت ، بما في ذلك مساعي الكويت كانت مساعي تهدئة اكثر منها مساعي تسوية او حل نهائي . اذا فالوضع كله قابل للإنهيار في اية لحظة ، وكل ما حدث حتى الان هو « تجنيد » مؤقتا ريثما يجري البحث عن حل نهائي « (الحوادث ١٠/٧٢) » .

ولكن ما هو هذا الحل ؟ انه اجد اثنين ، فاما ان تبقى المقاومة وتصبح طليعة وطن عربي مقاتل ، او ان تتكيف وتصبح جزءا من واقع الاستسلام الحالي . وبما ان تحول الوطن العربي الى وطن مقاتل قضية بحاجة الى الكثير من الفضال والعرق والدم ، فان المقاومة ستواجه ازمات مقبلة اكثر حدة .

ان العدو يعرف نقاط ضعف السياسة العربية ، وهو لذلك سيعمد الى مزيد من الهجمات ، وإلى مزيد من التهديدات والضغط . وسيزداد عدد

الذين يتظاهرون ، لأنهم لا يريدون الفدائيين
(الجريدة ١٥/١٠/٧٢) ، وستزداد صراحة المنظمة
في إعلان عجزها عن مقاومة العدو . وستزداد
الصراحة ، الى جانب ذلك ، في مطالبة المقاومة
بالرحيل ... ١

ان الأشهر الستة المتبلية اشهر خطرة ، ستعمل
دولة الاحتلال خلالها على فرض امر واقع جديد ،
جغرافي او سياسي او الاثنين معا ، لانها تريد ان
تقدم لرئيس الولايات المتحدة الجديد خارطة جديدة
بياركها . لقد انتهى عدوان السادس عشر من
أيلول ، وهو يبدو الآن ، وبعد شهر ، عدوانا
فاشلا . ولكنه في الحقيقة بداية مرحلة جديدة من
مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي تريد لها
دولة الاحتلال ان تنتهي بالاستسلام الكامل .
ولكنها تريد لها ان تبر قبل ذلك ، عبر مقبرة
المقاومة .

٢ - حكومة منفى فلسطينية :

يادئ الرئيس السادات الى طرح موضوع حكومة
المنفى . ونحن سنل عن الاسباب اجاب :

« ... سبب الاقتراح ان فولدا مثير تفكر وجود
الفلسطينيين . ومن الضروري ان نرد على هذا
التحدي . فعندما تريد اسرائيل الغاء الشخصية
الفلسطينية لا بد ان تؤكد هذه الشخصية وتعتز
بها رسميا » . ونحن سنل عما اذا كان اخذ رأي
المنظمات الفلسطينية في الموضوع اجاب : « ... لم
يحدث اي اتصال مع الفلسطينيين حول هذا
الموضوع » (الحوادث ٦/١٠/٧٢) . فالاقتراح
اذن لا يعدو ان يكون ردا على دولة الاحتلال التي
تلغي الشخصية الفلسطينية . وهو من هذا الباب ،
وفي رأي الرئيس السادات ، خدمة للقضية
الفلسطينية وللشخصية الفلسطينية المهدة بالغاء .

ولكن الطابع الجديد للشخصية الفلسطينية طابع
نضالي . ونستطيع ان نقول بان انطلاقا يناير سنة
١٩٦٥ هي التي بعفت الشخصية الفلسطينية
واعطتها محتواها ووجودها الحالي ، وعليه فان
استمرار هذا النضال هو الذي يبلور هذه
الشخصية ويحيها . وبنا ان هذا النضال يتعرض
للتآمر والملاحقة ، فان حمايته ، هي الوسيلة
الوحيدة لمنع دولة الاحتلال وغيرها من الغناء
الشخصية الفلسطينية . وماذا يمكن ان تفعل
حكومة منى لشعب الفلسطيني اذا ضربت قواه
المنظمة والمسلحة ؟

لذلك فان المحافظة على الشخصية الفلسطينية
تتطلب : ١ - حماية المقاومة الفلسطينية
ومكسباتها وانجازاتها ، وعلى رأسها قواها
المنظمة والمسلحة . ٢ - حماية حق المقاومة
الفلسطينية في الحركة ، وحقها في التنظيم والتسلح
والتعبئة . ٣ - مساندة ما ديا ومعنويا ، لتكون
قادرة على تصعيد نضالها ، وعلى احباط المؤامرات
التي تحاك ضدها .

وحكومة المنفى عندما تطرح بعيدا عن هذا كله تقود
الى « ... اقتناع الفلسطينيين بدخول عالم
الواقعية ، وهو العالم الذي تتحرك ضمنه الان
المنظمة العربية المعنية مباشرة بالنزاع مع اسرائيل »
(النهار ، العالم يكتشف الفلسطينيين ، عبدالكريم
ابو النصر ، ١٠/١٠/٧٢) . ان الحرص على
الشخصية الفلسطينية والقضية الفلسطينية يعني
الحرص على طابعها النضالي الثوري ، لانها لا
تتطوران ولا تبرزان الا بالنضال عموما وبالنضال
الشعبي المسلح خصوصا .

ناجي علوش

وسويسرا باتخاذ اجراءات للحد من دخول المواطنين العرب ومراقبة تحركات منظماتهم الثقافية خاصة بعد ان وردت السفارات الاسرائيلية في اوروبا والقارات الاخرى رسائل متنجرة نسبت الى ايلول الاسود وادت الى مقتل ملحق زراعي اسرائيلي في لندن وبعده جرح ملحق اسرائيلي في سفارة بروكسل اطلق عليه النار مواطن مغربي . وحاولت الاوساط الاسرائيلية ان تصبغ هذا الجو بصبغة عنصرية ، فانتشرت تهديدات مزورة ضد الممتلكات اليهودية في اوروبا وشيت الحرائق المشبوهة في بعض البنائات التي يمتلكها يهود فرنسيون في باريس . والهدف من ذلك هو محاولة جديدة للتخلط بين المقاومة الفلسطينية والاسلامية في اذهتان المواطن الاوروبي الذي ما زال متأثرا بفكرى المجازر النازية ضد اليهود ، بالاضافة الى عملية ضغط على سلطات اوروبا الغربية لاتخاذ اجراءات قمعية ضد المواطنين الفلسطينيين والعرب اسوة بحكومة برانت في ألمانيا ، للتوفير على نفسها مشقة الرد بالمثل الذي لن يسمح لها بالاستفادة كلية من الحملة . وربما من ذلك فقد قامت إحدى المنظمات الصهيونية السرية (التي قيل انها مرتبطة بحزب حيروت) والتي تحمل اسم « مساده » بوضع عبوة متنجرة امام « مكتبة فلسطين » في باريس مجددة بعض الاضرار المادية ، ومثيرة احتجاجات خبيثة (على حد تعبير المنظمة نفسها) من قبل المنظمات الصهيونية الفرنسية والحكومة الاسرائيلية .

ويبدو ان لهذه الحملة علاقة بالمحاولات العربية الفرنسية الرامية الى اقامة جسر مع دول السوق المشتركة ، على امل ان تلعب هذه دور الوسيط في ازمة الشرق الاوسط للضغط على أمريكا لتغير موقفها المؤيد بتشجيع لسياسة الاحتلال الاسرائيلية وربما كانت فرنسا التي هي الحلقة الرئيسية في مجموعة دول السوق هي المقصودة اساسا في العملية هذه ، الا ان الحكومة الفرنسية على ما يبدو مدركة لابعاد العملية الاسرائيلية وما زالت تطيح الى لعب دور اكبر في ايجاد مخرج لما تسميه « الازمة الحالية في مشكلة الشرق الاوسط » ، في اطار طموحها للعب دور اساسي في حوض البحر المتوسط . وقد ركزت بعض القطيقات العربية والفلسطينية على هذا الجانب، وتجلى هذا الطموح

جامت عملية ايلول الاسود في ميونيخ ، التي تابعها على شاشات التلفزيون مئات الملايين من المتفرجين في انحاء العالم ، لتزيد اهتمام الاوساط العالمية (والغربية منها بشكل خاص) بقضية فلسطين والشرق الاوسط . وبادرت ألمانيا الغربية باتخاذ اجراءات تيمسفية ضد المواطنين العرب ، فهدت من حرية تنقلهم ودخولهم ، وطردت مئات منهم من الشمال والطلبة ، وخلقت هذه الاجراءات والحملة الصحافية الرجعية جوا من العنصرية ضد العرب جعل احد المعلقين الفرنسيين يشبهه بين وضع العرب الان في ألمانيا ووضع اليهود بعدد امتطاء هتلر سدة الحكم عام ١٩٣٣ . وفي هذا الجو المشحون بالتمصرية والحدق ، والذي يرافق فترة الاعداد للانتخابات النيابية حيث يتبارى الحزبان الرئيسيان الاشتراكي الديموقراطي والديموقراطي المسيحي في اعلان « حرصهما على الامن الداخلي » ، اتخذت الحكومة الفيدرالية قرارا بمنع اتحادي طلبة وعمال فلسطين في ألمانيا بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٤ ، وقامت شرطتها بمداومة مقرات الإتحادين في جميع انحاء ألمانيا وباعتقال وطرد اكثر من مئة كادر من كوادرهما ، وازاء حملة القمع هذه ، أعلن عدد من الطلبة الفلسطينيين يوم ١/٢٩ الاضراب عن الطعام في مقر الجامعة العربية في بون احتجاجا ، وشاركهم فيما بعد في الاضراب عدد من الطلبة الايرانيين . واستمر الاضراب عشرة ايام ، قامت خلالها عدة تظاهرات تضامن نظمها الحركات اليسارية الالمانية والاجنبية كان أهمها تظاهرتي فرانكفورت يوم ١/٢٩ ودورتمونت يوم ١٠/٨ . وامتدت حركة الاحتجاج الى فرنسا حيث قام اكثر من ثلاثين طالبا عربيا وايرانيا ببيادة من فرع اتحاد طلبة فلسطين بالاعتصام مضربين عن الطعام في مقر الجامعة العربية في باريس وذلك ابتداء من يوم ١/٩ ، وشاركت الحركات اليسارية الفرنسية في حملة الاحتجاج هذه . وقد عم السخط العالم العربي ازاء هذا الجو الازهابي ، وطلبت الاوساط الشعبية وبعض الحكومات باتخاذ اجراءات مقاطعة ضد الواردات الالمانية ومعاملة مواطني ألمانيا الغربية بالمثل .

وقامت دول اوروبية اخرى كبلجيكا وهولندا

« الإرهاب » في نص مخفف صوتت إلى جانبه ٦٦ دولة مقابل ٢٧ دولة معارضة وامتناع ٢٣ دولة . والدول المصوتة إلى جانب التسجيل هي دول أوروبا الغربية كافة (بما فيها فرنسا وإسبانيا واليونان) ودول أمريكا الشمالية والجنوبية (باستثناء كوبا وتشيلي) وعدد قليل من دول آسيا وأفريقيا (بينها تركيا وإيران) التي جاتب إسرائيل بالطبع ودولة عربية واحدة هي الأردن . وصوتت ضد التسجيل معظم الدول العربية إلى جانب بعض الدول الإفريقية بالإضافة إلى البانيا والصين وكوبا . وامتنعت عن التصويت دول أوروبا الشرقية وتشيلي وعدد من دول أفريقيا وآسيا وأربع دول عربية هي : البحرين ولبنان والسعودية وقطر .

وظهر منذ البدء أن الولايات المتحدة التي تزعمت حركة التشديد على موضوع « الإرهاب » كانت تبغني تحويل الأنظار عن قضايا التحرر الرئيسية في العالم (وخاصة في فيتنام وفلسطين) حيث يمارس العنف الثوري ردا على العنف الامبريالي الرجعي ، والتركيز على مظهر هاشمي من مظاهر الرد متمثل في عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن . وفي الوقت الذي تحاول فيه تغطية التناقض الرئيسي في العالم بين الامبريالية وحركات الشعوب الثائرة ، تبدو وكأنها حريصة على أمن المدنيين والاطفال وكان مئات المدنيين والاطفال الذين يموتون يوميا تحت قنابلها في الهند الصينية ، ومئات المدنيين والاطفال الذين ماتوا ويموتون تحت قنابل عملياتها إسرائيل ليسوا من الفصيلة البشرية . ولا شك أن الحملة الأمريكية الاسرائيلية الاخيرة تستهدف في النهاية استغلال هذا الموضوع للجم اية حركة تحررية في العالم ومن هنا تكمن خطورتها وضرورة التصدي لها بحزم . وجانب آخر خطير يكمن في تشديد بعض الأوساط الامبريالية (بما فيها أمريكا نفسها) والرجعيات المختلفة على أهمية ايجاد حل سريع « لمشكلة اللاجئين » التي تشكل اساس ظاهرة الإرهاب على حد تعبير هذه الأوساط . أي ان هذه الحملة تحمل في طياتها نوايا تصفية ذات غلاف « انساني » خبيث .

وقد تجلت موافق الدول كاتبة في خطابات ممثلها في الجمعية العمومية التي تعرضت معظمها لمقتضية الشرق الاوسط « وموضوع « الإرهاب » . وافتتح روجرز التدخلات بخطاب دار في ثلثه (حسب تقدير صحيفة بريطانية) حول الموضوع الاخير ، وطالب

الفرنسي والاروبي في تصريحين رئيسيين احدهما لجورج بومبيدو في مؤتمره الصحفي في ١/٢١ الذي رد على سؤال حول عملية ميونيخ بالتأكيد على ان العملية وما سببها « الإرهاب » الفلسطيني التي أدانتها الحكومة الفرنسية بشدة « لا يمكن أن ينتهي ما لم يوجد حل للمشكلة الفلسطينية » . والتصريح الاخر لوزير خارجية بلجيكا هارمل في الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/٥ الذي أكد على ضرورة مساهمة « المجتمع الدولي في ازالة الاسباب التي تدفع إلى اعمال يائسة ، وطالب بتحطيم الجهود الخطير الذي يحيط بقضية الشرق الاوسط وأبدى « استعداد أوروبا للمساهمة ، في حالة التوصل إلى اتفاق سياسي ، في حل المسألة الالوية للاجئين فلسطين » . الا ان الشعور يسود المحافل الأوروبية بأن أي تغيير في الموقف الأمريكي لن يحدث قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وبالتالي أي ضغط على إسرائيل لا يمكن ان يتبلور الا في مطلع العام القادم ، رغم بعض الشائعات التي ترددت في القاهرة حول وجود مخطط امريكي جديد حائز على موافقة دول أوروبا يبلغ إلى محمد حسنين هيكل أثناء اقامته الاخيرة في ألمانيا الغربية (وقد نفت القاهرة وجود مثل هذا المخطط) .

ومع اقتراب افتتاح الدورة السنوية للجمعية العمومية للامم المتحدة ، انتقلت اصدااء عملية ميونيخ إلى محافل المنظمات الدولية ، فبعد الليتو الأمريكي على مشروع قرار صومالي - غيني - يوغوسلافي يدين اعتداءات إسرائيل على سوريا ولبنان بعد عملية ايلول الاسود مباشرة (وقد حاز المشروع على ١٢ صوتا وامتنعت باتانما وصوتت الولايات المتحدة ضده) ، طالب كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة بتسجيل ما سببها «موضوع الإرهاب » على جدول اعمال الدورة . ودار النقاش مباشرة بعد افتتاح الدورة يوم ١/١٩ حول هذا الاقتراح الذي عارضته الدول العربية وبعض الدول الإفريقية والاشتراكية . لكن لجنة التوجيه المكونة من ممثلي ٢٥ دولة ، اقترت اقتراح فالدهايم بعد ان تنازل الاخير عن طرح الموضوع على الجمعية العمومية واكتفى بأن يطرح على اللجنة القانونية . وقد صوتت ١٥ دولة إلى جانب التسجيل ضد ٧ دول وامتناع ٢ وعدم مشاركة رئيس الدورة (الذي هو نائب وزير خارجية بولندا تريشنسكي) في التصويت . وحين احالة جدول الاعمال على الجمعية العمومية ، اقترت الاخيرة ايضا تسجيل موضوع

الوزير الأمريكي بعد اتصالات دولية تفضي بمعانيه
مرتكبي عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن
والتشويق بين الدول في قمع « الإرهابيين » . وتكلم
اندرية غروينكو وزير خارجية اتحاد الجمهوريات
السوفياتية عن « تأييد بلاده للنضال المشروع
للشعب العربي الفلسطيني » لكنه اعرب عن عدم
موافقته على « الأعمال الارهابية التي يقوم بها
بعض العناصر في الحركة الفلسطينية والتي
يستعملها الإسرائيليون لتبرير سياسة القرضة التي
ينتهجونها ضد الدول العربية » . وطرح موريس
شومان وزير خارجية فرنسا فكرتين أساسيتين ،
على حد تعبيره ، في مشكلة الشرق الاوسط هما
« الجلاء عن الأراضي المحتلة مسا عدا بعض
التصحيات الطفيفة » الى جانب « تقيد الدول
المعنية كافة بالاصول المتعارف عليها في التعامل بين
الدول ذات السيادة » . وعلق على عملية ميونيخ
معلنا « رفض فرنسا للارهاب وتأييد كورت فالدهايم
في محاولته وضع حد للعنف الاعمى » . وتكلم
دوغلاس هيوم عن « اخراج السوفيات من مصر »
وطالب اسرائيل بأن « تستفيد من هذه الخطوة التي
تقرب المشكلة من الحل » . وجاءت التدخلات الاخرى
في اطار موقف كل دولة من مجمل القضية
الفلسطينية وتعرض الدولة ذاتها لحركات معارضة
مسلحة . وتكلم مندوب الصين بين آخر المتكلمين
يوم ١٠/٣ . وشدد على تبني الصين « لاستعمال
العنف الثوري من قبل الشعوب المضطهده في
نضالها ضد عنف الإمبرياليين والاستعمار القديم
والجديد والعنصرية والصهيونية الاسرائيلية »
واعلن وقوف الصين الى جانب المقاومة الفلسطينية
لكنه اشار الى عدم موافقته على الاغتيالات
والاختطافات كاسلوب نضال سياسي يسيء الى
قضايا التحرر الوطني . ومن المتوقع الا يؤدي
النقاش في اللجنة القانونية وفي الجمعية العمومية
الى أي قرار عملي نظرا لمعارضة عدد كبير من
الدول للتشويق على المستوى العالمي .

وعلى صعيد العلاقات العربية - الفلسطينية ،
تبلورت عناصر جديدة خلال شهر ايلول : اهنها
توثيق العلاقات السوفياتية مع العراق وسوريستا
والمقاومة الفلسطينية ثم الاتجاه نحو اعادة الحوار
السوفياتي المصري على امل تحسين العلاقات التي
سامت بشكل اكثر علانية منذ اخراج الخبراء
السوفيات من مصر في شهر تموز الماضي .

منى ١١/٤ ، وصل احمد حنين النكر الى
الجمهورية العراقية الى موسكو في زيارة رسمية
دامت خمسة ايام تميزت بحرارة خاصة والتفت
ببيان مشترك يشمل القضايا المحلية والعالمية
ولوحظ في البيان الفترة الخاضعة للمقاومة
الفلسطينية التي اشارت اليها الصحف الغربية على
انها تطور نحو تأييد اكبر من جانب السوفيات .
وقد جاء في هذه الفترة « ان الجانبين اعلنا
دعمها المطلق لكفاح الشعب الفلسطيني لاستعادة
حقوقه المشروعة ، ويعتبران حركة المقاومة
الفلسطينية جزءا يرتبط عضويا بحركة التحرر
الوطني العربية ، واعلنا استمرارها في تقديم
الدعم المادي والمعنوي والمساندة السياسية
والمعنوية لهذه الحركة » . و اشار مرانسل لوموند
في موسكو معلقا على هذا البيان ان دعم الاتحاد
السوفياتي قد ازداد بشكل ملحوظ للمقاومة
الفلسطينية وخاصة لفتح والجبهة الشعبية . وكان
تزايد الدعم السوفياتي الاكثر وضوحا لسوريا على
اثر الشائعات الاخيرة التي توقت عدوانا امريكيا
على الأراضي السورية بعد اجتياح الجنوب اللبناني .
ففي ٩/٢٤ نشرت جريدة النهار خبرا مفاده ان
جسرا جويا قام بين الجنوب السوفياتي ودمشق
النقل المعدات الحربية بما فيها الصواريخ -
واضافت المصادر نفسها ان وقدا عسكريا وضل
الى سوريا بهدف ابرام معاهدة عسكرية بين سوريا
والاتحاد السوفياتي الا ان الاوساط الرسمية
السورية نفت هذا التأييد . واعرب وزير الحربية
الامريكي لفتن ليرد على اثر هذه الشائعات عن
« قلق امريكا المتزايد ازاء تدفق الاسلحة
السوفياتية الى سوريا » . وقد اكدت جريدة
البرافدا السوفياتية بتاريخ ٩/٢٩ خبر ارسال
الاسلحة والخبراء وقالت « ان سوريا تتلقى
الاسلحة الاكثر تطورا ، كما تتلقى مساعدة لتكوين
كوادرها العسكرية » . كما ذكرت ان الاتحاد
السوفياتي يشارك في توسيع مرفأ اللاذقية وامتدحت
بالمناسبة قادة حزب البعث في العراق وسوريا
وفي هذا التاريخ نفسه كان الفريق حافظ الاسد
يقوم بزيارة سرية لموسكو عاد بعدها الى القاهرة ،
ما دعا المراقبين الى اعتبار هذه الزيارة استهاما
من الرئيس السوري في تحسين العلاقات المصرية
السوفياتية .

وقد تبلورت محاولات التحسين هذه في اكثر من
بادرة . فمرغم بعض التصريحات الانتقادية لبعض

يقوم رئيس الوزراء المصري عزيز صدقي بزيارة موسكو في ١٠/١٦ . وتناقلت بعض الصحف الأوروبية انباء تقول ان نجاح مهمة صدقي قد يؤدي الى لقاء بين السادات وبريجنيف في دمشق . كما قبل الرئيس السادات دعوة لزيارة براغ . وقد فسرت الدعوة بانها جزء من المحاولات الرامية الى اعادة تحسين العلاقات المصرية - السوفياتية . ويبدو ان السوفيات سيسترون في سياستهم الحذرة التي تعتمد على استمرار التعاون الاقتصادي وتوفير قطع الغيار ، في الوقت نفسه الذي يتفقون فيه تزايد نفوذ اليمين في العالم العربي (دون التعرض بشكل مباشر للحكومة المصرية) ويحذرون من اية اوهام قد تتولد حول امكانية طرح امريكا لحل عادل للمشكلة .

داود تلحمي

(٤) المناطق المحتلة

عقد اتفاق سلام مع الاردن او الدول العربية الاخرى ، وقد تضاربت المواقف حول «حجم الثمن» ففي حين تكفي التيارات الغامضة في حزب العمل بابقاء ثلث مساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الاسرائيلية نجد ان الحزب الوطني المتدين «مجدال» وهو شريك في الائتلاف الحكومي يدعو الى ابقاء الضفة الغربية بكل تحت السيطرة الاسرائيلية . أما الشريك الثالث في الائتلاف الحكومي (حزب مجام) فانه يكتفي بالقدس وبشريط امني على امتداد النهر ويتمديدات طفيفة على خطوط الهدنة (بالنسبة للضفة الغربية) . وقد انصحت رئيسة الوزراء غولدا مئير عند اشتداد الحوار حول السلام عن رأيها به قائلة : «هنالك مبادئ اعدت معترفا بها من قبل الجميع وهنالك مبادئ اقترنها الحكومة بشكل واضح : العودة الى حدود الرابع من يونيو ، لا ، لن يتم ذلك ، لن نعود ! حدود جديدة ، حدود سلام مع تعديلات طفيفة - لا ، لا للتعديلات الطفيفة ! هنالك اماكن وخطوط ينبغي ان تكون التعديلات عليها كبيرة ، وهنالك اماكن لا تكون التعديلات عليها كبيرة . ولكن ليست تعديلات طفيفة ... من الحماسة ان نقسم بلطرون هنا ولطرون هناك . ان الحكومة لم تعين الحدود ، ولكن الانسحاب من الجولان لن يتم ابدا اما التعديلات مع الاردن فينبغي ان تكون كبيرة ،

الواسط الرسمية والصحفية المصرية الى جانب حملة العقيد القذافي المستبصرة ضد الاتحادي السوفياتي واتهام النائب الناصري اللبناني نجاح واكيم بعد زيارة للقاهرة للسوفيات « بانهم انسدوا السلاج قبل مغادرتهم لمصر » و« بان بين الخبراء بعض اليهود » (النهار ٩/١٣ وكريستشن ساينس مونيتور) ، توالى الوساطات وبادر الانفراج . فقبل الفريق الاسد ، كان كمال جنبلاط قد مر بالقاهرة في طريقه الى موسكو لتسلم جائزة لينين للسلام وفسر هذا المرور بأنه محاولة من النائب اللبناني للتوسط . وعاد السفير المصري بعد غياب دام اكثر من شهرين الى موسكو في ٩/٢٧ (الا ان السفير السوفياتي لم يعد الى القاهرة حتى كتابة هذه الكلمات) ، وقام عبدالقادر حاتم بزيارة رسمية الى موسكو لحضور احتفال ثعاني ، بتقرر بعده ان

برزت في الاونة الاخيرة موضوعات في المناطق العربية المحتلة معظمها تابع من الطبيعة التوسعية لاسرائيل مثل حركة الاستيطان وقضية مشارف رفح وقضية الحرم الابراهيمي في الخليل ، وبعضها ناجم عن متطلبات ملحة مثل الدعوة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، واخر تابع من واقع ضيالي مثل بحث المقاومة من جديد في القطاع بعد حملة الاقتلاع والتشريد والتجهير التي بدأت بها قوات الاحتلال في شهر تموز من العام الماضي .

لم يطرأ تقدم على التسوية السياسية التي كشفت في شهر تموز الماضي بين سلطات الاحتلال والنظام الاردني ، والتي قام بدور الوسيط بها رجال من الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، مثل اسنور الخطيب حاكم القدس سابقا ورشاد الشوا رئيس بلدية غزة ، فقد عاد الوسيط الثاني الى غزة ليجد من يطلب منه الحساب على شكل اللقاء قبلة وعبارات نارية على سيارته في محاولة لتصفيته ، اما الاول الذي استقبل « استقبال الملوك » في عمان فقد عاد هو الاخر بعد ان انتهى المهمة الموكلة اليه دون ان يلاقي من يحاسبه الا الاسرائيليين الذين تلقوا منه تقريرا عن وساطته . وخلال ذلك كانت النقاشات تجتهد في اسرائيل حول « الثمن » الذي يمكن لاسرائيل ان تدفعه مقابل

تعديلات كثيرة . (مزاريف ٧٧/٨) . ويبدو ان من بين العوامل التي وثقت فترة (امام التسوية السياسية ، « التمديلات الكبيرة » التي تضر عليها رئيسة الحكومة الاسرائيلية .

حركة الاستيطان : سارت حركة الاستيطان في ثلاثة اتجاهات ، تعزيز المستوطنات القائمة ، واقامة مستوطنة جديدة ، واعداد مخططات لاقامة مستوطنات اخرى ، ففي مجال تعزيز المستوطنات القائمة ودعمها اقترنت « لجنة المدراء العاملين لشؤون المناطق » اقامة معالم جديدة في ضاحية كريات اربع في الخليل ، وفي العريش ، من بينها اقامة مطبعة اونست في كريات اربع تصل تكاليفها ١٤٤ مليون ليرة ، كما وسيقام معمل حدادة كبير في العريش . وهناك خطة لتطوير مستوطنة « دي زهاف » في سيناء ، حيث ستضاف الى المستوطنة ٢٥٠ غرفة جديدة لاستقبال السياح كما وستقام منشآت اخرى تصل تكاليفها ٥٥٥ مليون ليرة ، كما جاء على لسان وزير السياحة موشيه كول اثناء الاحتفال بمرور عام على تأسيس المستوطنة . ومن الجدير بالذكر ان احد شيوخ القبائل في سيناء ويدعى براك ابو عبد الله قد اعلن في هذه المناسبة « اننا باركنا المستوطنين اليهود ورحبنا بهم في واحة دهبنا وان دولة اسرائيل هي دولتنا ونحن مواطنوها » . وفي مجال خلق معالم جديدة ، اقيمت بتاريخ ٧٢/٨/٧٤ مستوطنة نحاسال جيتيت في اراضي قرية عسرة الواقعة في منطقة نابلس بالقرب من الأغوار ، بعد ان قامت سلطات الاحتلال بالسيطرة على اجزاء واسعة من اراضي القرية ، ورش حقلها بالمواد السامة بواسطة طائرات سلاح الجو الاسرائيلي . اما في مجال المشاريع ، فقد تكررت الاذاعة الاسرائيلية انه ستقام في هضبة الجولان وغور الاردن وشمال سيناء ست مستوطنات جديدة ، اثنتان معدتان للمهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتي .

قضية مشارف رفح : ما زالت قضية مشارف رفح تشغل بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ففي اعقاب رفض سكان المنطقة الذين اجلوا عن منازلهم بالقوة ومنعوا من العودة الى اماكنهم بعد ان تم تسيبها من اجل اقامة مستوطنات اسرائيلية هناك ورفضهم تلقي ترميمات عن اراضيهم وممتلكاتهم ، قامت سلطات الاحتلال بتعيين ضابط كبير برتبة عقيد « عوفيد بن داويد » الحاكم

المسكري السابق لمدينة الخليل من اجل دراسة مشاكل بدو مشارف رفح وابجساد الخليل لها ، وتتبل الخليل في ذمهم للموافقة على قبول التعويضات وتوطينهم من جديد في اماكن اخرى ، وقد بذل عوفيد جهودا من اجل « كسر مقاومة البدو » واخذت جهوده تسير في ثلاثة اتجاهات لحل القضية لصلحة سلطات الاحتلال (١) بذل محاولات لانتاج شيوخ القبائل بالتعويض ، وذلك بمقتضى اجتماعات متكررة معهم بالتلويح بمبالغ كبيرة (٢) اتياع سياسة يفرق تصد والعمل على تعميق الخلافات بين شيوخ القبائل مع ترويج اشاعات بان سلطات الحكم المسكري تعتمد تحية الشيخ سليمان النوار كبير شيوخ القبائل ورمز مقاومة مشاريع سلطات الاحتلال في مشارف رفح ، الذي اكتسب هيبته وسعته وطنية في تصديه الجريء لهذه المشاريع ، كل ذلك من اجل بذر الشكوك في نفوس الشيوخ وانباء القبائل بفرض تطويعهم والحصول على موافقتهم على الامر الواقع . (٣) التخطيط لبناء مساكن دائمة للبدو في اماكن جديدة في الجنوب الشرقي لرفح ، سيتم في المرحلة الاولى بناء ٦٠ وحدة سكنية ، واذا ما تجتحت سلطات الاحتلال في اقتناع بعض السكان لقبول هذه الوحدات السكنية كبديل عن منازلهم وارضيتهم ، ستقوم بانشاء وحدات سكنية اخرى ، هذا مع بذل نشاط لاستيعاب الايدي العاملة من بين صفوفهم في المزارع الاسرائيلية وفي مجال البناء ، والاتي من ذلك كله هو اعتماد سلطات الاحتلال شبه الكلي على العمال البدو في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في اراضيهم التي اجلوا عنها بالقوة بفرض خدمة المستوطنين الجدد ، ولعل هذا الامر هو احد التعابير الحادة عن الحركة الصهيونية ، مثلت الارض وسيلة الانتاج الكبرى وتسخير ما تبقى من اهلها الاصليين لخدمة السكان الجدد ، هذا منع العلم ان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات مشددة لمنع دخول ابناء المنطقة الاصليين الى مزارعهم ، وبلغت هذه الاجراءات ذروتها عندما قامت طائفة اسرائيلية بمطاردة الفلاحين من ابناء المنطقة الذين تسللوا الى مزارعهم لجني ثمار حقلهم ، حيث قامت بهدم عزشهم التي تقيم حرارة الشمس . ومن المعروف ان اهالي مشارف رفح كانوا قد يعقروا برسائل احتجاج الى « محكمة العدل العليا » في اسرائيل والى رئيس الدولة زلمان شتاوار والنسب رئيسة الحكومة ، طالبين فيها افعالهم واحادتهم

الى اراضيهم ، الا ان « محكمة العدل » تنازلت وتبرعت من الموضوع على اساس انه موضوع اممي ، اما رئيس الدولة فانه « لا يرى مكانتنا لتدخله في القضية » وفيما يتعلق برئاسة الوزراء فانها « توافق على ما يفعله الجيش الاسرائيلي » . وازاء هذا الضغط صمد ابناء القبائل في رفضهم للتعويضات المقترحة التي يزداد حجمها يوما بعد يوم بغرض امتصاص النقمة ، ولا يزال الشيخ سليمان الحلو متمسكا بالطلب العادل : العودة ورفض التعويض « وحتى لو مرت مئة سنة » كما يقول الشيخ الحلو « فاننا لن نتخلي عن الارض ولن نوافق على التعويضات » (دافار ٧٢/٩/٢٤) .

المستوطنون والحرم الابراهيمي : تنجرت خلال شهر سبتمبر قضية ابطالها مستوطنون وضحيتهما كالعادة عرب ، وحكمتها سلطات الاحتلال ، وقد وصلت هذه القضية من الشدة لدرجة ان وجدت الحكومة الاسرائيلية ضرورة ادراجها في جلسة مجلس الوزراء لتداولها وايجاد الحلول لها . والسبب الرئيسي الذي يكمن وراء هذه القضية هو السبب نفسه الذي يكمن وراء قضية مشارف رفح : التوسع والسلب ، اقامة وقائع جديدة وازالة معالم قديمة .

تمود اصول القضية الى قصة الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والى الترتيبات التي تمت الموافقة عليها بين سلطات الحكم العسكري من جهة وبين رئيس بلدية الخليل ورجال الدين الاسلامي من جهة اخرى بشأن القيام بالشعائر الدينية لمسلمي المدينة العرب والمستوطني المدينة والزوار اليهود في الحرم الابراهيمي ، او كما يسميه الاسرائيليون « مغارة الكيلا » . وبسبب هذا الاتفاق اصدر جهاز الحكم العسكري تعليمات تنطبق الى اوقات فتح الحرم امام المصلين المسلمين واوقات فتحه امام المصلين والزوار اليهود (تسع ساعات خلال اليوم) وكذلك الى سلوك الزوار في الحرم مع المحافظة على الهدوء بما يتلاءم وقدسية المكان ، وعدم حمل السلاح وعدم تناول الطعام داخله ، كما نصت التعليمات على منع ادخال الحيوانات داخل الحرم . ومن الواضح ان هذه التعليمات موجهة بشكل خاص الى الزوار اليهود وليس الى رواد المسجد من المسلمين .

وتضمن الاتفاق ايضا تخصيص مكان داخل الحرم لليهود وتخصيص مكان اخر للمسلمين . وقد وافق

المستوطنون اليهود في ذلك الوقت على هذه الترتيبات ، الا انهم في الونة الاخيرة اصيبوا بحس التوسع واخذوا يشكون من ضيق المكان المخصص لهم ويطالبون بتوسيعه ، وبما ان الاتفاق يحصل دون ذلك ، قام المستوطنون بتجاوز الاتفاق وانتهاكه حين اخذوا يتوسعون في المسجد لخلق وقائع جديدة ، الامر الذي ارغم سلطات الاحتلال على التدخل في القضية ، بيد ان المستوطنين لم يرتدعوا واخذوا يلجأون الى اساليب مخزية ومشيئة ، فقد بدأوا باعمال السلب فاقدموا على سرقة بسط المسجد المعدة للصلاة واحذية المصلين المسلمين والممتلكات الموجودة في الحرم الابراهيمي ، كما اعترف بذلك المتحدث الرسمي باسم الحكم العسكري في الضفة الغربية ، ولم يكتف هؤلاء بالاعمال المشينة التي جعلت الكثير من المصلين يعودون الى بيوتهم خوفا ، بل اتفكروا اعمال السرقة والسلب بسلسلة من الاعتداءات المشفوعة بالفطرية مثل السب باحذيتهم في الاماكن المعدة للمسلمين ، والاعتداء على شيخ المسجد الشيخ عاطف الجودي مع توجيه الشتائم اليه . ولم يقتصر طيش المستوطنين وغروريتهم على الاحياء بل وصل الى درجة انتهاك حرية الموتى ، فمن المعروف ان المسلمين يصلون على موتاهم داخل الحرم الابراهيمي ، غير ان ذلك لم يرق بعين المستوطنين « وقد هدد المستوطنون اكثر من مرة ، بقلب جنازات الموتى للمسلمين في اثناء طقوس الجنازة » (هارتس ٧٢/٩/٥) .

عند ذلك وجد الحاكم العسكري نفسه مضطرا للتدخل وبذل محاولة لإيقاف المستوطنين عن فتحهم ، خشية ان تنتشر اخبارهم المخزية وتسيء الى سمعة « الاحتلال اللبيري » ، معتقرا « بحدوث تجاوزات متكررة بواسطة مجموعة من بين المستوطنين » في الحرم الابراهيمي ، وعند ذلك برزت القضية ، ليست كقضية بين العرب والمستوطنين ، بل كقضية بين الحاكم العسكري والمستوطنين ! وقد اتخذ نشاط المستوطنين من اجل الاستيلاء على الحرم مسارين له : الاول يتمثل في ارسال مذكرات الى الجمهور الإسرائيلي وإلى اعضاء الحكومة والكيبوتس والثاني يتمثل في محاولة خلق وقائع جديدة لامتلاك الحرم الابراهيمي وجعله يهوديا صليبا لا نزاع حوله ، وتعترف صحيفة (هارتس ٧٢/٩/١٣) بذلك بقولها : « حاول المستوطنون برئاسة الحاخام ليفنجر تدريجيا خلق امر واقع

لاعتلاك اليهود الكابيل للكان بدون أية تجديدات
أو اعتبار للمسلمين ، وعندما أدرك القائلون
على الحكم العسكري أنه من المنتظر أن تقع
اصطدامات في الحرم شرعوا في الحفاظ بدقة على
جميع الاتفاقات التي اتخذت ، ورأى المستوطنون
بذلك مساسا كبيرا بحقوق اليهود في المكان وبدأوا
بأعمال مضادة مقصودة ، فعندما كان يطلب منهم
خفض اصواتهم في الصلاة فعلوا العكس تماما ،
كما حاولوا تجاوز المكان الضيق الذي خصص
للصلاة .

وكان من نتيجة صراع المستوطنين مع جهاز الحكم
العسكري ان تحرك الحزب الوطني المتدين
« مفدال » وأخذ يطالب ويدعو الى ايجاد تسويات
جديدة تأخذ بعين الاعتبار الحقوق المتساوية لليهود
والمسلمين ، وهذا يعني حسب مطالب المفدال
اعادة النظر في تخصيص الأماكن داخل الحرم ،
وتسليم الحرم لليهود خلال اعيادهم ، وتسليمه
للمسلمين خلال اعيادهم !! بيد ان « المساواة في
الحقوق » في مكان يعتبر من ممتلكات الوقف
الاسلامي ، ما هي الا سياسة مرحلية تمهيدا
للسيطرة على الحرم كله .

جامعة في الضفة واخرى في القطاع : اشتدت
الدعوة في الآونة الاخيرة لاتامة جامعة في الضفة
الغربية واخرى في قطاع غزة ، وكانت هذه الدعوة
قد برزت بشكل قوى للمرة الاولى في بداية عام
١٩٧١ . بسبب الاوضاع القاسية التي يمر بها
خريجو المدارس الثانوية لعدم وجود جامعة
تاويمهم ، الامر الذي يضع امامهم خيارات بعضها
ليس سهلا مثل دخول الجامعة العبرية في القدس
حيث انتسب عدد قليل اليها ، ودخول الجامعات
العربية ، ولم يكن الامر سهلا بسبب عدد المقاعد
المخصصة سلفا لبناء المناطق المحتلة . ودخول
الجامعات الاجنبية التي تتطلب عبئا ماليا . وكان
من نتيجة ذلك وبمرور الزمن على الاحتلال ان أصبح
عدد خريجي المدارس الثانوية كبيرا ، وغدا بمثابة
قضية تبحث عن حل . وازاء ذلك ظهرت ثلاثة
مواقف بارزة (١) موقف دعاة فكرة اقامة الجامعة
ويقف وراءه بعض الشخصيات من الزعامة التقليدية
مثل حمدي كتمان ومحمد علي الجعبري ،
وشخصيات اخرى من انصار الكيان الفلسطيني
(٢) موقف السلطة الأردنية الذي كان يتسم
بالرفض المطلق لاتامة الجامعة خشية ان يؤدي هذا

العمل الى طرد الكيان الفلسطيني (٣) موقف
سلطات الاحتلال الذي يتسم بالتأرجح والتذبذب
بين قبول الفكرة ومعارضتها (للتوسع في نطاق
الموضوع انظر شؤون فلسطينية العدد الثالث
من ١٧٢) ، وكحل لهذه المواقف المتضاربة عقدت
مؤتمرا في ١٥/٤/١٩٧١ في دار المعلمين في رام الله
بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلك التعليمي
« لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر
التحويل » وبعد مداولات استغرقت ٤ ساعات خرج
المؤتمرون بقرار ينص على تشكيل لجنة مكونة من
١١ شخصا للعناية بشؤون التعليم في الضفة
الغربية دون التطرق الى موضوع الجامعة اذ لم
ثم خفت الاصوات المطالبة باقامة الجامعة ، الا ان
وضع خريجي المدارس الثانوية ازداد سوءا نظرا
الدعوة من جديد في الفترة الاخيرة ، ولم تتمتع هذه
المرّة على اقامة جامعة في الضفة الغربية تخصص
بل أيضا في قطاع غزة . وقد طرأ تغير على الموقف
الأردني حيث أصبح يدعم الفكرة حسب ما جاء على
لسان انور نسيبه احد اركان النظام الأردني في
الضفة ، اما موقف سلطات الاحتلال فعادا أدرك
الى الايجاب منه الى السلب .

ففي الضفة الغربية قدمت مجموعة من الشخصيات
تتكون من رؤساء بلديات وعاملين في السلك التعليمي
مذكرة الى جهاز الحكم العسكري من اجل السماح
باقامة الجامعة ، وقد تشكلت لجنة تحضيرية من
بين هذه الشخصيات برئاسة جحد الجعبري لتناقش
الموضوع . وستقبل الجامعة حسب ما جاء على
لسان الداعين لاتامتها بأموال عربية حيث تسترشد
وتعود الى دول الخليج والعالم العربي لهذا
القرض ، الا ان الجعبري صرح بأنه « من المتوقع
ان تصاهم الحكومة الاسرائيلية بقسط كبير من
الاموال اللازمة » وفيما يتعلق بالمكان الذي ستبنى
فيه الجامعة فانه لا يزال قيد الدراسة ، ومع ذلك
يقدم أعلن رئيس بلدية رام الله كريم خلف بيان
« المجلس البلدي في المدينة قد اقر بالإجماع فكرة
اقامة الجامعة في رام الله لانها تقع في مركز الضفة
الغربية . . . وان البلدية خصصت قطعة ارض
مساحتها ٢٠٠ دونم سيقام عليها هذا المشروع »
وهناك اتجاه اخر تؤيده سلطات الاحتلال يرمي الى
اقامة جامعة تحتوي على اربعة اقسام ، قسم
الدين في الخليل وقسم الآداب في رام الله وقسم
الزراعة في طولكرم وقسم العلوم الطبيعية في
نابلس .

وفي قطاع غزة قدم كل من الدكتور حيدر عبدالشافي،
ومدير كلية غزة شفيق طرزي، والمحامي ابراهيم
ابو ستة مذكورة الى وزير الدفاع- موشيه ديسان
بشأن الخاتمة- جامعة في القطاع، موضحين بانها
ستقام بأموال عربية « وانها على استعداد لقبول
التبرعات من كل جانب على ان لا تكون مشروطة » .
وان الجامعة ستكون مستقلة، وستقام في المرحلة
الاولى فروع علمية - هندسة وطب وزراعة -
وستبلغ التكاليف في المرحلة الاولى 5 ملايين ليرة
اسرائيلية . ويمتد المبادرون انه اذا ما وافقت
اسرائيل على مذكرتهم فان الجامعة ستقام خلال
عامين .

عودة الروح والقبور الطائرة : اخذت المقاومة
اللسطينية في قطاع غزة تبرز هنا وهناك بعد
تحو عام من محاولات التصفية الرهيبة التي قامت
بها سلطات الاحتلال ضد جماهير القطاع في اواخر
شهر تموز من العام الماضي . وقد عبرت المقاومة
عن اتعابها من جديد في عمليات وجهت ضد قوات
الاحتلال سواء بوضع عبوات ناسفة في الطرقات ام
القاء قنابل يدوية ام اطلاق عيارات نارية على
السيارات العسكرية . وربما كان التعبير القوي
عن ظهورها من جديد هو محاولة تصفية رئيس بلدية
غزة رشاد الشوا الذي كانت سلطات الاحتلال
قد عينته في منصبه في شهر ايلول من العام الماضي
تتويجا لسياسة الهدم والقتلاع والتشريد بفرض
خدمة اهدائها . وقد التجأ الشوا بعد هذه المحاولة
الى الصمت ، ثم قرر تقديم استقالته في اليوم
نفسه الذي كان قد تربع فيه على كرسي رئاسة
البلدية في ٧١/٩/٢٣ تلاه لثلاثة ايام في
« كلبا يعرض حياته للخطر بسبب وظيفته » .
وبالفعل قدم استقالته الى اعضاء المجلس البلدي
الا ان هؤلاء بذلوا جهدا لثنيه عن تراجعه ولكنه اصر
عليه بما كان من اعضاء المجلس الا ان قرروا
بدورهم تقديم استقالته . وعند ذلك تخوفت
سلطات الاحتلال من تردي الوضع لغير مصلحتها
واجتمعت مع الشوا واقترحت بالبقاء في منصبه
والعدول عن خطوته التي « ستفسر كمساعدة
للعدائين » .

وفي هذا الجو التي اخذت تبرز فيه المقاومة في
القطاع ، اخذت في المقابل تبرز اساطير حول
شهادتها تصل بهم الى مرتبة القديسين فقد نقل
الصحفي الاسرائيلي عزرا يثوف خبرا في صحيفة
معاريف (٧٢/٩/٢٦) مفاده ان اشاعات اخذت
تتردد في قطاع غزة حول تحريك قبور اربعة شهداء
من رجال المقاومة كانوا قد استشهدوا في معركة
مع القوات الاسرائيلية قبل عام ، واضاف يثوف
« ان عشرات من حي الشجاعية اقبسوا بانهم
شاهدوا بأم اعينهم حجارة القبور وهي تتحرك وان
صخرة احد القبور صعدت الى ارتفاع عشرة
امتار » وان قسما اخر من السكان شاهدوا
« حجارة القبر وهي تطير نحو الشمس ، ثم عادت
عند الاصيل وسدت القبر » ويقول يثوف ان خبر
تحريك قبور الشهداء انتشر في القطاع بسرعة البرق
واصبحت مقبرة الشهداء تستقبل خلال ثلاثة ايام
فقط - الالاف من سكان القطاع من اقصى الجنوب
الى اقصى الشمال ، وان الاشاعات ارتقت الى
درجة اليقين ، ويضيف « انه يوجد هناك من يطالب
بتحويل القبور كمكان مقدس » وينتهي الصحفي
الاسرائيلي الخبز بقوله ان هنالك اعتقادا بان
« الاعجوبة » كان وراءها بعض الشبان النذير
يسعون من وراء ذلك الى تثوير القطاع واستئناف
العمل الفدائي في المنطقة . الى هنا تنتهي رواية
الصحفي الاسرائيلي . واذا كان هنالك من تعليق
حول اسطورة قبر الشهيد الطائر ، فيمكن القول
انها تدل قبل كل شيء اخر ، ورغم الخيال الخصب
الذي يحيط بها ، على مدى مكانة الفدائي الشهيد
في قلوب الجماهير ، ولا يعيب الاسطورة الخيال
الخصب الذي يحيط بها ، خاصة اذا كانت نابغة
من واقع تضالتي خصب ، هؤلاء الشهداء الاربعة
وكثير غيرهم من شهداء القطاع تحولت مسيرة
جنازتهم قبل عام الى تظاهرة ضد قوات الاحتلال
التي حاولت التدخل في الجنازة ، وتصدت للنسوة
العرييات لهذا التدخل ورتشن رجال الدورية
الاسرائيلية بالجارية ، ثم تحولت الجنازة الى
معركة بين الفدائين وقوات الاحتلال .

(٥) الاقتصاد الإسرائيلي في النصف الأول من العام ١٩٧٢

تميزت الشهور الستة الأولى من العام ١٩٧٢ بارتفاع كبير في مستوى الأسعار وفي نفقات المعيشة ونشاط غير عادي في قطاع البناء نتيجة لتدفق عدد جديد من المهاجرين اليهود. كما أن قطاع السياحة شهد نشاطا ملحوظا نتيجة للاستقرار السياسي والعسكرية على الجبهات العربية، في حين أن القطاع الزراعي لا يزال يعاني نقصا من اليد العاملة. وتقول مجلة إسرائيل إيكونوميست إنه نتيجة لتوظيف ٤٠ ألف عامل عربي من الأراضي المحتلة في القطاع المذكور، فإن الضخمة الغازية وقطاع غزة بدأتا تشعران بنقص في اليد العاملة لديها. وتركزت السياسة الاقتصادية في إسرائيل على محاولة السيطرة على ارتفاع مستوى الأسعار عن طريق تخفيف معدل زيادة كمية وسائل الدفع، غير أن هذه السياسة لم تظهر نتائجها قبل نهاية العام. فالارتفاع الكبير في مستوى الأسعار الذي حدث في النصف الأول من العام ١٩٧٢ هو نتيجة للزيادة الكبيرة في كمية وسائل الدفع التي حدثت في النصف الثاني من العام ١٩٧١ على أساس أن هناك عادة فترة زمنية مدتها حوالي ستة أشهر تفصل بين الوقت الذي يتم فيه تنفيذ السياسة النقدية وبين الوقت الذي تترك فيه هذه السياسة آثارها على الاقتصاد ومستوى الأسعار.

وفيما يلي عرض موجز لأهم النشاطات في بعض قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي:

الزراعة: تقدمت الحكومة الإسرائيلية بطلب الحصول على قرض من البنك الدولي للإنشاء والتعمير في حدود ٢٥ مليون دولار بقصد تمويل مشروع خمس السنوات للقطاع الزراعي. وتهدف السلطات الحكومية إلى رفع قيمة التحويلات في الزراعة ومصادر المياه إلى بليون ليرة إسرائيلية خلال خمس السنوات بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٦. أما الهدف الرئيسي من الخطة فهو رفع قيمة الإنتاج الزراعي من ١٤٩ بليون ليرة إسرائيلية إلى ٢٤٨ بليون، أي بزيادة قدرها ٤١٪. وقد رسمت الخطة على أساس زيادة الصادرات الزراعية بنسبة قدرها ١١٠٪ أو ما يوازي ٨٦ مليون دولار سنويا. وتأمل السلطات الإسرائيلية في تحقيق الأهداف المحددة التالية: — زيادة إنتاج الجميقات بنسبة ٢٢٪ أي ما يساوي ١١٢ مليون

ليرة إسرائيلية على أساس الاستمرار الحالي. ب — زيادة رقعة الأرض المخصصة لأشجار الفواكه ١٢٪ وزيادة المنتج بنسبة ٢٤٪. ج — زيادة إنتاج الخضراوات بنسبة ٢١٪. د — التركيز على زيادة إنتاج الإلبان والدواجن بنسبة كبيرة.

ويلاحظ فيما يتعلق بالسياسة الزراعية أن الأرقام ينصب حاليا على زيادة الإنتاج من الأراضي المستصلحة حاليا وعلى تنويع مصادر هذا الإنتاج، في حين أن السياسة الزراعية في فترة السنوات كانت تتجه أساسا إلى زيادة رقعة الأراضي الزراعية، ولا شك أن ذبول حרב جزيران قد فتح آفاقا جديدة أمام القطاع الزراعي، فبعد أن كانت القوى العاملة تمثل العامل الانتعاشي الأكثر ندرة بالنسبة للمعدات والآلات الزراعية انقلب الوضع وأصبحت القوى العاملة متوفرة أكثر من قبل وبأجور منخفضة إذا قورنت بمستويات الأجور في إسرائيل قبل الحروب. فقد أدى تفشيل عدد كبير من العمال العرب في القطاع الزراعي إلى زيادة الإنتاجية الحدية بنسبة كبيرة بعد أن شارب القطاع الزراعي خلال الفترة التي سبقت حרב جزيران إلى الوصول إلى حالة من التثخن مما يؤدي في النهاية إلى تناقص في الإنتاجية الحدية عملا « بقاتون الغلة المتناقصة ». على ضوء ما تقدم فإن القطاع الزراعي بدأ يحتل أهمية متزايدة في الخطة الإنمائية الإسرائيلية وهذا يشير توجيه مزيد من الموارد الاقتصادية صوب هذا القطاع.

القطاع الصناعي: لعل أهم التطورات التي حدثت خلال النصف الأول من العام ١٩٧٢ هو ما أعلنه « بنحاس سابير » وزير المالية عن الخطة الخمسية لتنمية الصناعة في إسرائيل خلال الفترة ١٩٧٢ — ١٩٧٦. وقد صيغت الخطة على أساس أن يكون مجموع الاستثمارات في حدود ٨٤٥ بليون ليرة إسرائيلية. أما الأهداف المعلنة فهي زيادة الإنتاج بمعدل ٧٠٪. وامتصاص حوالي ٧٥٤٠٠٠ عامل إضافي.

وقد شرح سابير الخطة مؤكدا أنها تهدف إلى ما يلي: — زيادة حجم الصادرات الصناعية وتقوية وضعها التنافسي في الأسواق العالمية. ب —

عدد القادمين بمقدارها ٤٩ ٪ بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ إذ ارتفع عدد السياح الوافدين من ٤٤١٤٠٠٠ الى ٦٥٧٤٠٠٠ موزعين على النحو التالي : الولايات المتحدة ٢٥٦٤٠٠٠ ، فرنسا ٦٨٤٠٠٠ ، بريطانيا ٦٤٤٠٠٠ ، ألمانيا ٣٤٤٠٠٠ ، اسكتلندية ٣٠٤٠٠٠ ، اسيا ٤٢٤٠٠٠ ، افريقيا ٢٢٤٠٠٠ ، بلدان أخرى ١٤٧٤٠٠٠ . وبهذا يبلغ المجموع ٦٥٧٤٠٠٠ .

ومن أجل استيعاب وتوفير وسائل السكن والراحة للسياح فقد ارتفع حجم الاستثمار في الفنادق الجديدة الى ١٠٠ مليون دولار موزعة بين مناطق تل أبيب والقدس والجليل الغربي خصوصا في « نهاريا » وهي مستعمرة قديمة تقع على شاطئ البحر الى الشمال من عكا . وتسعى السلطات الاسرائيلية الى اجتذاب المزيد من الرساميل الاجنبية عن طريق منحها اعفاءات ضريبية واعفاءات جمركية . كما تقوم بمد القطاع الخاص بقروض بغائدة منخفضة وشروط دفع سهلة لكي يزيد من حجم نشاطه في قطاع السياحة . والى جانب ذلك تقوم التعاونيات الزراعية « الكيبوتز » بتأجير منازل أعدت خصيصا للسياح الذين يرغبون في مشاهدة هذه التعاونيات .

ان المتبع للنشاط السياحي في اسرائيل في العامين الماضيين يلاحظ نشاطا متزايدا في هذا القطاع ومخططات لتوسع اكبر في المستقبل . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية مقتنعة بأن حالة اللاحرب واللاسلم ستستمر فترة طويلة وعلى هذا الاساس فان تشجيع السياحة يصبح هدفا ممكنا ومرغوبا من حيث انه يوفر مصدرا رئيسيا للعملة الصعبة .

التجارة الخارجية : تذل الاحصائيات التي نشرت مؤخرا عن حجم التجارة الخارجية ان حجم الصادرات الاسرائيلية خلال العام ١٩٧١ بلغ ٧٩٧ مليون دولار . وهذا الرقم اكبر من مثله في السنة السابقة بـ ٢٢٤٥ ٪ . اما اهم الصادرات فهي البوتاس والاصنوعات النسيجية وعصير البرتقال وآلات التسجيل واطارات السيارات والابسة المطرزة . اما الصادرات التي سجلت هبوطا فهي النحاس والفوسفات والانساييب والبلاستيك . ويلاحظ من استقراء توزيع التجارة الخارجية ان حجم التبادل التجاري مع اليابان في ازدياد مستمر . وتتألف الصادرات الرئيسية من الاحجار الكريمة والفوسفات والنحاس . وتحاول

زيادة اليد العاملة وتنوع مهاراتها . ج - تصنيع الاماكن النائية في اسرائيل الحاذية للحدود الغربية . د - زيادة حجم التفتريات الموجهة الى الابحاث والتطوير في الصناعة الاسرائيلية . هـ - تحسين الانتاجية الفريدة للعامل الاسرائيلي . و - زيادة الانتاج الصناعي .

واذا ما قدر للخطة المشار اليها ان تنجح فان ذلك يعني تحقيق زيادة سنوية في الانتاج الصناعي قدرها ١١.٤٢ ٪ سنويا . اما الصادرات فان الهدف لتحسينها اكثر طموحا حيث تهدف الخطة الى زيادتها من ٧٥٠ مليون ليرة اسرائيلية الى ١٥٠٠ مليون ليرة . وحيث ان السياسة الصناعية الراهنة تهدف الى انتاج السلع التي تتطلب مهارات عالية فان ٥٠ ٪ من الـ ٨٠٠٠ عامل جديد هم من المهندسين والعلماء واصحاب الاختصاص الرفيع . ولا يزال القطاع الصناعي وخصوصا الصناعات التصديرية تتأثر باهتمام السلطات الاسرائيلية وبالتالي فانها تحتل الاولوية بالنسبة لتوزيع الاستثمارات الجديدة . على ان اكثر التقديرات تفاؤلا تشير الى ان الزيادة المرتقبة خلال هذا العام لن تكون بنسبة الزيادة التي تحققت في العام الماضي ، وان كانت هناك زيادة مطلقة لا يستهان

بها . فصادرات اسرائيل في خمسة الشهور الاولى من العام ١٩٧٢ بلغت ٤٨٣ مليون دولار موزعة على النحو التالي : الصادرات الصناعية ٢١٣ مليون دولار ، صادرات الماس ١٢٤ مليون دولار ، والصادرات الزراعية ١١٠ ملايين دولار و ١٦ مليون سلع معاد تصديرها . وكما ذكرنا في مقال سابق عن صناعة الاسلحة في اسرائيل ينتظر ان تصل صادرات اسرائيل من الاسلحة والصواريخ والذخيرة والمعدات الاخرى الى ٨٥ مليون دولار .

السياحة : بعد الهدوء الذي خيم على الجبهات العربية وتقلص حجم العزل الفدائي نسبيا داخل الارض المحتلة تحت وطأة الظروف الحالية ، ركزت السلطات الاسرائيلية جهودها على تنشيط الحركة السياحية في اسرائيل . ولاعطاء فكرة موجزة عن اهمية السياحة المتزايدة بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي نذكر ان دخل اسرائيل بلغ خلال العام ١٩٧١ حوالي ١٨١ مليون دولار من العملات الصعبة وان القبة المضانة بلغت ٧٦ ٪ وهي اعلى نسبة على الاطلاق اذا تورتت باي صناعة تصديرية اخرى في اسرائيل . وسجلت الحركة السياحية زيادة في

ارتفعت بنسبة ٢٨٪ عما كانت عليه في العام
١٩٧٠ .

الدين العام : لا يزال حجم الدين العام المطلق والنسبي يشكل مصدر ازعاج مستمر للسلطات المالية في اسرائيل . فقد ارتفع مجمل الدين العام الداخلي والخارجي من ١١٤٣ بليون ليرة اسرائيلية في اوائل العام ١٩٦٨ الى ٢٦٤٦ بليون ليرة في ديسمبر من العام ١٩٧١ ، غير ان الملاحظ بالنسبة لتركيب الدين العام ان معظم الزيادة جاءت نتيجة للقرض الداخلي التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية عن طريق طرح سندات الخزينة .

اسرائيليات مقفرة : - اجلت الحكومة الاسرائيلية تنفيذ الخطة الائتمانية مدة ستة اشهر في محاولة لامتناع جزء من السيولة في الاقتصاد الاسرائيلي خوفا من ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور . - بدأت اسرائيل في تنشيط السياحة في منطقتها سيناء خصوصا في المنطقة المحاذية لخليج العقبة والبحر الاحمر عن طريق بناء فنادق جديدة ومنتزهات بحرية لاستقبال السياح .

الدكتور يوسف شبل

السلطات اليابانية التوفيق بين زيادة حجم تبادلها التجاري مع اسرائيل وبين محاولاتهما لزيادة صادراتها الى الاسواق العربية ، وقد نسبت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» الى رئيس شركة «سوتي» الاليكترونية قوله انه « لا يجد اي تعارض بين ازدياد صادراتنا الى الاسواق العربية والسوق الاسرائيلي ذلك ان السلعة الرفيعة الجودة تتمتع بحصانة ضد اي ضغط سياسي » .

وتدل آخر الاحصائيات ان اسرائيل تعتبر الان المنتج الاول للماس في العالم كما انها تحتل المرتبة الثانية بعد بلجيكا كمركز لبيع الماس . فقد ارتفع حجم المبيعات من ٧٧ مليون جنيه استرليني في العام ١٩٧٠ الى ١٠٠ مليون جنيه في نهاية العام ١٩٧١ . ولم يطرأ اي تغيير اساسي على نمط توزيع التجارة الخارجية . فلا زالت السوق الاوروبية المشتركة خصوصا بعد انضمام بريطانيا تشكل المجال الحيوي والاكثر اهمية للسلع الاسرائيلية حيث تنهض حوالي ٥١ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية . وتحاول السلطات الاسرائيلية تعويض الخسارة التي منيت بها بسبب اغلاق سوق اوغنده في وجهها ، ويلاحظ ان العلاقات التجارية مع المانيا الغربية ازدادت توثقا ، فقد

مقالات في الاقتصاد الاسرائيلي

تحرير

يوسف شبل

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. فا .

ص. ب ١٦٦١ ، بيروت

٢٧٦ صفحة باللغة الانجليزية

٨ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ل.ل. في العالم العربي ،
٢٥٠ ل.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ل.ل. في سائر الدول

جول بالممتلكات المسكونة لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١٣ - ١٩٧٢/١٠/٢

تاريخ التقييم	الرقم	تاريخ الملكية	المساحة	موقعها	المنطقة	نوع الملكية	الاستعمال	تقل جريش	خسائر الممر	خسائر المأوى	تاريخه
١٣	١	١/١٣	—	حي حايك/ط/ايب	تجزير	مبانيات ناسفة	غير محدد	الحاق اعرام ببناء البنى	—	ونا	١/١٣
٢	٢	١/١٣	—	بناح حكا	تجزير	مبانيات حارة	غير محدد	حرق مستودع الخشب	—	ونا	١/٢٠
٣	٣	١/١٤	—	قرب بانياس	كهرب	غير محدد	تقل وجرش	—	—	ونا	١/٢٠
٤	٤	١/١٥	٨٠٠	تل ابو السمق	تصف	مخفية الباون	غير محدد	تدبير مدد بين الشفات	—	ونا	١/١٦
٥	٥	١/١٥	١٧٠٠	ابو خيط	تجزير	شبكة الغمام	اعواد دورية	امطاب آلية	—	ونا	١/١٦
٦	٦	١/١٥	١٤٥	بين رويضة الجراء وسحيا	تجزير	الغمام	غير محدد	نافذة جود نوع	—	ونا	١/١٧
٧	٧	١/١٥	—	الخليل	مجموع	اسلحة مخفية	اعواد دورية	غير محدد	—	ونا	١/١٦
٨	٨	١/١٥	—	بناح حكا	تجزير	طيرات ناسفة	غير محدد	تدبير عبوة وناجر	—	ونا	١/١٦
٩	٩	١/١٧-١٦	—	جنوب لبنان	مجموع	اسلحة مخفية	٧٠-١٠٠	١٧ آلية وطلقة	—	ونا	١/١٧
١٠	١٠	١/١٦	٢٤٠٠	تل ابو الذهب	تصف	مخفية الباون	غير محدد	سكاي هوك	—	ونا	١/١٧
١١	١١	١/١٦	٢٠١٥	منطقة القبيزة	تصف	موازيح	غير محدد	غير محدد	—	ونا	١/١٦
١٢	١٢	١/١٧	—	بين بناح حكا وطل ايب	تجزير	مبانيات حارة	غير محدد	حرق مستودعات كريات	—	ونا	١/١٨
١٣	١٣	١/١٧	—	منطقة القبيزة	تصف	موازيح	غير محدد	غير محدد	—	ونا	١/٢٠
١٤	١٤	١/١٧	١٣٠	جيتن	تصف	موازيح	غير محدد	غير محدد	—	ونا	١/١٧
١٥	١٥	١/١٨	٧٣٠	جيتن	مجموع	اسلحة مخفية	اعواد دورية	غير محدد	—	ونا	١/١٨
١٦	١٦	١/١٨	٢٤٠٠	بين القبيزة والخطمية	تجزير	مبانيات ناسفة	—	تصف جسر	—	ونا	١/١٨

١٧/١٦	ونا	تتمتع المبلغ العربي	غير محدد	مبوبات ناسفة	تجبر	بين وجبوز وهينا	١٧/١٨	١٧	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/١٧	ونا	تتمتع المبلغ من المصفاة	غير محدد	مرايخ	تعمف	بمسند/القبيلة	١٧/١٨	١٨	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/١٨	ونا	تتمتع آلية	غير محدد	الفسام	تجبر	طل ابو الذهب	١٧/٢٠	١٩	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/١٩	ونا	غير محدد	غير محدد	مخالف صاروخية	تعمف	الجولان	١٧/٢٠	٢٠	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٠	ونا	تتمتع سيارة واصابة	١	مبوبات ناسفة	تجبر	طل ابيب	١٧/٢٢	٢١	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢١	ونا	معد من الملبني بالقرار	غير محدد	القتال اليدوية والرشاشات	كهن	بئر البطح/غزة	١٧/٢٥	٢٢	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٢	ونا	تتمتع سيارة قفصية	غير محدد	امسلة رشاشة وتابل يدوية	كهن	بمسك البريج/غزة	١٧/٢٦	٢٣	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٣	ونا	تتمتع واصابة القسام	غير محدد	مبوبات ناسفة	تجبر	العجس	١٧/٢٩	٢٤	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٤	ونا	تتمتع احد مصانع (أ)	غير محدد	مبوبات ناسفة	تجبر	طل ابيب	١٧/٢٩	٢٥	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٥	ونا	مكتب الجديد	غير محدد	قتلة يدوية	الغاه	غزة	١٧/٢٩	٢٦	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٦	ونا	تتمتع سيارة	غير محدد	امسلة رشاشة	مجوم	طولكرم	١٧/٢٩	٢٧	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٧	ونا	تتمتع سيارة مسكونة	غير محدد	قتلة يدوية	الغاه	غزة	١٧/٢٩	٢٨	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٨	ونا	تتمتع مصنع الكرتون	غير محدد	مبوبات ناسفة	تجبر	العجس	١٧/٢٩	٢٩	٠ ق.ع. ق.٠٢
١٧/٢٩	ونا	في حي مونتيم	غير محدد						

١٩٧٧/١/١٨٥

٢ - اعرف المون بالحالت بتقره الاجارية بتاريخ ٧٣/٩/٢٩

١٧٤٠٠ . راجع بشرة زهد الاذاعة اسرائيل ٤ عدد ٥٢٤ ص ٤

١ - كان هذا المروع نتيجه قد تعرض للعمف بتاريخ ٧٣/٩/٨ ادى الى

تعميل العمل بيه حتى ١٩٧٢/٨/١٣

٢ - حول تعميل المارك يمكن مراجعة نكرة وها بتاريخ ١٦ ٤ ١٧ ٤

تاريخ التنظيم	اليوم الساعة	موقعها	العملية	السلح	خسائر العدو البشرية	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة	تاريخها
١ - ق. ث. ث. ف. (أ)	١/١٣	مارون/ جبل الشيخ	تمت	قاذف واسلحة رشاشية	١ -	١ -	١ -	١/١٤ ن. (أ) عدد ٣٩ من ١
٢ - ق. ث. ث. ف.	١/١٥	مارون/ جبل الشيخ	الضبابك	اسلحة مخفية	٢ -	٢ -	٢ -	١/١٥ ن. عدد ٤٠ من ١
٣ - ق. ث. ث. ف. (ب)	١/١٥	ناحال جولان	تمت	قاذف	١ -	١ -	١ -	١/١٥ ن. عدد ٤٠ من ١
٤ - ق. ث. ث. ف.	١/١٥	حصن/ الجولان	تمت	قاذف	١ -	١ -	١ -	١/١٦ ن. عدد ٤١ من ١
٥ - ق. ث. ث. ف.	١/١٥	رامات مجيديم/ الجولان	تجزر	العام	١ -	١ -	١ -	١/١٦ ن. عدد ٤١ من ١
٦ - ق. ث. ث. ف.	١/١٥	الكايليل	اطلاق رصاص	رشاشيات خفيفة	١ -	١ -	١ -	١/١٦ ن. عدد ٤١ من ١
٧ - ق. ث. ث. ف.	١/١٦-١/١٧	جوب لبنان	الضبابك وكين	اسلحة مخفية	٣ (ب)	٣ (ب)	٣ (ب)	١/١٧ ن. عدد ٤٢ من ١ غير محدود
٨ - ق. ث. ث. ف.	١/١٧	البيطرة وناحال جولان	تمت	قاذف	١ -	١ -	١ -	١/١٧ ن. عدد ٤٢ من ١
٩ - ق. ث. ث. ف.	١/١٩	ناحال جولان	تمت	قاذف	١ -	١ -	١ -	١/١٧ ن. عدد ٤٤ من ١
١٠ - ق. ث. ث. ف.	١/٢١	ممسك البريد/ غزة	اطلاق رصاص	غير محدد	١ -	١ -	١ -	١/١٧ ن. عدد ٥٠ من ١
١١ - ق. ث. ث. ف.	١/٢١	القدس	تجزر	عبوات ناسفة	٢ -	٢ -	٢ -	١/٢٠ ن. عدد ٥٢ من ١
١٢ - ق. ث. ث. ف.	١/٢١	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	١ -	١ -	١ -	١/٢٠ ن. عدد ٥٢ من ١
١٣ - ق. ث. ث. ف.	١/٢١	بناية/ طولكرم	اطلاق رصاص	اسلحة رشاشية	١ -	١ -	١ -	١/٢٠ ن. عدد ٥٢ من ١
١٤ - ق. ث. ث. ف.	١٠/ ٢	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	١ -	١ -	١ -	١٠/ ٢ ن. عدد ٥٥ من ١

- ١ - ق. ث. ث. ف. : قوات الثورة الفلسطينية .
- ٢ - ن. : نشرة رسمه الزاوية اسرائيل اليومية ، التي تصدر عن مركز الابحاث الجدي داويد ريلر .
- ٣ - كما اعترف العدو في البيان نفسه بان ذبابة قد دمرت بلقلم قبل بضعة ايام في هذه المنطقة .
- ٤ - اسماء الغطى : اللام ابنى سمعون ، الجدي الاول مطبخ يفسخ ، الجدي داويد ريلر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الواردة ذكرها

- ١ - ق. ث. ث. ف. : القيادة العامة لثورات الثورة الفلسطينية .
- ٢ - وما : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنطقة التحرير الفلسطينية .
- ٣ - ف. ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنطقة التحرير الفلسطينية .
- ٤ - غازي خورشيد

تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الأردني

من الضفتين ينتخبون ممثلهم بالمشاركة ، أي وإن أبناء الضفة الشرقية من أعضاء الاتحاد ينتخبون ، بالإضافة الى مرشحهم شرق الاردنيين في المحافظة التي ينتمون اليها ، ١٠٠ مرشح يمثلون الضفة الغربية والقطاع وعرب الأراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، (حيث هناك ٢٠ مرشحا عن رام الله وبيت لحم غازوا بالتركية) ، كما ينتخب أعضاء الاتحاد الفلسطيني بالإضافة الى مرشحهم عن الضفة الغربية والقطاع وعرب الأراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، مرشحهم شرق الاردنيين على مستوى المحافظة . وعلى الرغم من ان قادة الاتحاد الوطني يفسرون هذه الطريقة الانتخابية على انها تؤكد وحدة الضفتين ، فانها في الواقع أدت الى ان يتوجه أعضاء الاتحاد لانتخاب مرشحين لا يعرفونهم . والامم من ذلك أدت هذه الطريقة الى حصول مقايضات بين المرشحين من الضفتين ليساعدوا الاصوات ، كانت تشبه الى حد كبير بيع وشراء الاصوات بصورة علنية كما سير معنا بعد قليل . ان مجرى الانتخابات الاخيرة ، ونتائجها ، قسم تعيينات الملك لثلاث اعضاء مجلس الاتحاد تعيد مجلة من الملاحظات حول طبيعة الاتحاد وآلية تعديلات جدت عليه ، ومن هذه الملاحظات :

١ - بات الاتحاد حقيقة سياسية في نهج النظام ولم يعد موضع جدل ما اذا كان الاتحاد يستطيع المؤسسة التي تتنح امام فئات النظام والطوائف ممارسة حياتها السياسية . الامر الذي يؤكد سمي رؤوس النظام لتوسيع اطار الاتحاد ليشمل فئات اجتماعية عليا يجري الان استقطابها ، وخصائص الرموز الجاهلية والاسرية التقليدية والبرجوازية الفلسطينية ، ممن لا زالت تحتفظ بنفوذها التقليدي في الضفة الغربية او عرفت بارتباطها الفارسي بالادارة الاردنية . ويرتبط هذا الاستقطاب الجاري الان بمشروع الملك حسين ، وبالاستعاضة الحثارية للوصول مع اسرائيل الى اتفاقية سلام .

ويبدو تناسي استمرار رهان النظام على الديمقراطية ، وبقاء الجسم الاساسي للاتحاد ممثلا للبرجوازية في الادارة والقطاعات المرتبطة بها ، فان عملية الاستقطاب الجارية تحدث تعديلا ملحوسا ، يدخل زموذ فئات لم تكن يوما مقننة بتوجهات الاتحاد الوطني وبرنامجه المعلن ، ان لم

في غضون الفترة الممتدة من آخر ايد وحتى منتصف ايلول الماضي جرت انتخابات الاتحاد الوطني الاردني ، حيث تم اختيار ثلثي اعضاء مجلس الاتحاد الجديد ، وفي ٢٧ ايلول عين الملك حسين الثلث الاخر من اعضاء المجلس ، وبذلك جرى تكوين مجلس الاتحاد الجديد وهو الهيئة التمثيلية لاعضاء الاتحاد الوطني ، ومن مهام هذا المجلس ، كما تحددها اللائحة الداخلية ، اقرار السياسة التفصيلية للاتحاد ، وقرار اللوائح والتنظيمات ، ومتابعة نشاطات الاتحاد ، والاعداد للمؤتمر العام . ومن حقوقه اجراء تعديلات على الميثاق وعلى النظام الاساسي للاتحاد . ومن مجلس الاتحاد يجري انتخاب ٢٤ عضوا للجنة التنفيذية ، فيما يعين الملك ١٢ عضوا آخر منها من اعضاء المجلس نفسه . ويختار اعضاء اللجنة التنفيذية الستة والثلاثون « مكتب قيادة الاتحاد » وهي القيادة اليومية التي تصرف الامور المتصلة بالمالية وسياسة الاتحاد والشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، والتوعية والعلاقات العامة ، والدراسات . . الخ ، وهي مهام تضطلع بها مكاتب خاصة فرعية يشرف عليها اعضاء « مكتب قيادة الاتحاد » . اما ادارة اعيال ورئاسة جلسات مكتب قيادة الاتحاد فتكون للامم العام الذي يعينه الملك بنفسه .

وفقا للنظام الاساسي فان مجلس الاتحاد يتكون من ٣٦٠ عضوا ، يجري انتخاب ٢٤٠ عضوا منهم على اساس التوزيع الجغرافي ، ويراعى التوزيع بين المحافظات نسبة عدد الاعضاء المنتخبين فيها . وكما مر ، فان الملك يعين ١٢٠ عضوا آخر في المجلس الذي يتقاسمه ابناء الضفتين بالتساوي ويقول النظام الاساسي للاتحاد ان مبدأ التعيين يظل قائما الى ان تزول اثار العدوان . ويعيد طرح الملك حسين مشروعه حول « المملكة العربية المتحدة » ، طرأت على النظام الاساسي بعض التعديلات التي تتبع تمثيل عرب الأراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، ويبدو فلسطين وابناء قطاع غزة المنتخبين في الاردن بخصص متفاوتة من مقاعد مجلس الاتحاد ، حسب نسبة توأجدهم في الضفة الشرقية .

ومن الامور الملفتة للنظر ، الطريقة التي تمت بها الانتخابات لمجلس الاتحاد . ذلك ان اعضاء الاتحاد

تكن معادية له . ولذلك يلتمس من وصول رموز اجتماعية مغايرة لتركيبة الاتحاد الوطني القديم ، واقع التعديل الذي جد على جسم الاتحاد ، والذي يفقده تجانسه النسبي السابق ، ويحمل عيسى التمكن بتنامي الصراعات بين البرجوازية في الدولة والبرجوازية التجارية والمتوسطة (المهنيين) ذات المنشأ الفلسطيني على السلطة وعلى برنامج النظام . ان ابتعاد رموز الاتحاد الاساسية مثل مصطفى دودين وابراهيم الجباشنة عن البروز في الفترة الاخيرة يعكس بداية الصراع حول بنية الاتحاد الوطني ، كما ان تعيينات الملك لـ ١٢٠ عضوا في مجلس الاتحاد ، بالاضافة الى الاعضاء المنتخبين تشير الى وصول رموز اجتماعية وسياسية كانت موضع عداوة وصفي الجبل ، بل كان قد قام بعزلها من اجهزة الدولة . وعلى سعيد الضفة الشرقية فقد جرى تمثيل اكبر للمهنيين والتجار والصناعيين ولرموز عشائرية . بيد ان التمثيل الاكبر بقي لرموز لها صلاتها التاريخية بالادارة : وزراء ووزراء سابقون ، موظفون كبار وتكوقراطيين ورؤساء بلديات وتربويون .. الخ .

٢ - ان رغبة النظام في توسيع اطار الاتحاد الوطني ، ورغبة الفئات والشرائح العليا المبعدة عن الحكم منذ زمن ، في المسودة الى موافعها السابقة ، عكست نفسها في المناسبة الشديدة التي شهدتها انتخابات مجلس الاتحاد الوطني .

وسيا عدا منطقتي رام الله وبيت لحم التي اوصلت مرشحيها العشرين بالتركية ، وفيما عدا ٩ مقاعد متفرقة في محافظات الضفة الشرقية احتلها المرشحون بالتركية ، فقد شهدت جميع المحافظات والمناطق في الضفتين منافسة شديدة وصراعات حادة حول مقاعد مجلس الاتحاد ، وهو ما تعكسه مقارنة اعداد المرشحين باعداد المقاعد المخصصة لكل منطقة : ففي محافظة عسنان تنافس ١٦٤ مرشحا على ٣٤ مقعدا ، و ١٩ مرشحا من بدو الوسط على اربعة مقاعد ، و ٢٨ مرشحا في محافظة البلقاء على ١١ مقعدا ، و ٦٧ مرشحا في محافظة الكرك على ٢٠ مقعدا ، و ٢٧ مرشحا من بدو الجنوب على اربعة مقاعد . اما المرشحون الفلسطينيون ، فقد بلغ عددهم ٢١٨ مرشحا تنافسوا لاحتلال ١٢٠ مقعدا .

٣ - سادت انتخابات الاتحاد الوطني الاجو ذاتها الحبيطة باية عملية تمثيلية في البلاد ، ولازمتها

الظواهر ذاتها ، كالانتخابات البلدية او انتخابات مجلس النواب ، اذ جرى تسجيل المواطنين كأعضاء في الاتحاد الوطني وفقا لامتحانات شكلية ، وغايتها الاساسية كسب المرشحين مزيدا من الاصوات ، وتعزيز مراكز النفوذ في الاتحاد . وبسبب هذه المنافسة ارتفع عدد الناخبين من اعضاء الاتحاد الوطني الى ارقام خيالية ، وذلك كما اوردها الصحف الاردنية : محافظة اربد وبدو الشمال : ٣٣ الف ناخب ، محافظة ع난 وبدو الوسط : ٥٧ الف ناخب ، محافظة البلقاء ١٧ الف ناخب ، محافظة الكرك : ٩٥٠٠ ناخب ، محافظة معان ٤٠٠٠ ناخب ، بدو الجنوب : ٥٤٠٠٠ ناخب . وبهذا يكون المجموع ١٢٥٤٥٠٠ ناخب . ان في الارقام المارة دلالة واضحة على الطابع التنظيمي الشكلي للاتحاد .

٤ - احييت الانتخابات في المحافظات والمناطق باجراءات امنية واسعة وساد جو من التخوف والحذر ، حيث وقعت صدامات بين انصار المرشحين ، كتلك التي شهدتها الانتخابات البلدية مؤخرا . لذلك باذر الحكام العسكريون باصدار اوامر دفاع تقضي بمنع نقل الاسلحة النارية اثناء الانتخابات وحتى اشعار اخر . كما جرى الاجتماع الى الاعيان والوجهاء ونواب المحافظات لتحتم على ضبط سير الانتخابات . ومن جهة اخرى احيطت مراكز الاقتراع ومراكز الفرز باجراءات امنية وحراسة مشددة .

٥ - تحدثت بعض الصحف الاردنية عن الاجواء التي احاطت بانتخابات الاتحاد الوطني والاساليب التي استخدمت للحصول على الاصوات . فتحدثت جريدة « الصباح » الاسبوعية (١٩٧٢/٩/٤) فقالت : « حدثت مناجات مذهلة في المعركة الانتخابية الدائرة حاليا في محافظة العاصمة لانتخاب اعضاء مجلس الاتحاد الوطني ، فقد خرج مرشحون عديدون من القوائم التي التزموا بها اصلا وخابضوا المعركة على اساس فردي او بكتل اخرى ... واسفرت هذه العملية - الخدعة - عن حدوث انشقاقات كثيرة في اكثر من قائمة ظهر يوم امس : وقد شجعت هذه الانشقاقات حدوث انقسامات اخرى في جميع القوائم وهيئات الجسود لحدوث انقسامات في انتخابات المحافظات الاخرى . ويسود اوساط الناخبين شعور بالترقب والاشمئزاز لتصرفات بعض المرشحين الذين تكفوا بمعهدهم

التي قطعوها على أنفسهم لزملائهم مما يوحي بجان وعودهم التي منوا بها المواطنين لن تكون بأفضل من عهدهم لزملائهم ... »

« ولوحظ ان كل مرشح كون لجنة تسمى لجنة المبادلات هدفها عقد صفقات تبادل بين اصوات ناخبي الضفة الغربية والضفة الشرقية (...) كان صوت الناخب فيها هو السلعة التي يجري التفاوض على اساسها ، وقد اشتدت المعركة الانتخابية في المخيمات عامة ، لا سيما في مخيم مراكا حيث استقطب المخيم عشرات السيارات القادمة من جميع انحاء المحافظة لاجراء المبادلات بين اصوات الناخبين بالجملة (...) ويتوقع حدوث مفاجآت مذهلة في نتائج الانتخابات ما دام صوت المواطن اصبحت سلعة تباع وتشتري علنا وبدون اي حرج قانوني » .

وعادت الصحيفة ذاتها للحديث عن الظواهر التي رافقت الانتخابات فقالت في عددها الصادر في ١١/٩/١٩٧٢ : « أكثر من ظاهرة برزت في انتخابات مجلس الاتحاد الوطني العربي في محافظة العاصمة استغرقت انتباه المواطنين وكونت لديهم تناقضات ترسخت في اذهانهم وتجذرت بصماتها واصبح من الصعب ازالة اثارها . من هذه الظواهر الاسلوب الذي تميز بها المعركة الانتخابية والمساورات التي

شهدتها وتبادل الاصوات التي اتسمت بها التصريح للمواطن ان المرشحين للاتحاد قد سلكوا مسلكك كثيرة في سبيل نجاحهم ، فمنهم من احتفل بمساورات الدولة للدعاية الشخصية ، ومنهم من استقبل العاملين بالؤسسة التي يديرها او يعمل ضمنها مما يوحي للمواطن بان من لا يحرص على امسك الدولة ليس اهلا لتمثيله » .

٦ - قبل صدور تعيين الملك لعدنان ابو عودة وزير الاعلام السابق امينا عاما للاتحاد الوطني ، صدرت تكهنات صحفية عديدة شملته بالاضافة الى مرشحين آخرين مثل مضر بدران احد رجالات المخاضرات الاردنية-البارزين سابقا ، وفضل الدليموني نائب اربد والوزير السابق لاحتلال منصب الامين العام للاتحاد . ولم تشر هذه التكهنات الى مصطفى دودين الامين العام السابق ، او الي ابراهيم الصباشنة ، وزير الداخلية السابق ، واحد اقطاب الاتحاد الوطني البارزين ، الذي اعلن عن صوت اثر نوبة قلبية وسط شائعات قوية عن صراعات بينه وبين رموز اخرى في السلطة يعززها التفتت الاعلامية الضعيفة لانباء تشييع جنازته في جنوة الاردن .

•••

اسرائيليات

هل تكون المرأة نصف جلي؟!؟

● لا تزال الاوساط الصحفية والفكرية الاسرائيلية تشغل نفوسها ، في مناقشة حادة وطويلة ، حول تقييم الجانب « الاخلاقي » من الصهيونية . فما هي الدوافع التي قادت الاسرائيليين الى الانقسام حول هذا السؤال الذي يعتبر مجرد طرحه ، بالنسبة اليهم ، تشككا بقدس اقداسهم ؟ وان اكثر ما هو ملفت للنظر في هذا الموضوع هو ان المناقشة يديرها اشخاص لا يدنو الشك من اخلاصهم العميق للصهيونية وحرصهم الشديد على توفير اكثر السبل ضمانا لتطبيقها الاسرائيلي . ولكن اختلافهم يتحصر في البحث عن هذه السبل .

ولقد رأى بعض الصهيونيين الاسرائيليين ان بعض الممارسات الحكومية في السنة الخامسة من الاحتلال الاسرائيلي الجديد تعتبر تجاوزا للقيم الصهيونية و « طهارة » هذه القيم . لانهم يزرون في هذه الاجراءات « انجراف » اسرائيل عن الحلم الذي راود الصهيونية بان تكون « دولة يهودية مثالية » التي ميل من التطور يحولها الى « دولة كولونيالية » . ومن هنا نشأ السؤال : هل يتعارض الاستيطان الاسرائيلي الاستعماري مع القيم الصهيونية ؟ أم ان هذا الاستيطان هو تسلسل طبيعي وطبيعي لطبيعة نشوء الصهيونية ؟ . عند هذا السؤال ، اختلفت الآراء ، وانفجرت المناقشة بعدما اتضح ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تمارس عمليات الضم التدريجي للأراضي الغربية المحتلة معتمدة على مرور الزمن وغياب عوامل الضغط السياسي الدولي والمقاومة العزيمية المسلحة .

هذا من ناحية . . . ومن الناحية الاخرى ، لعل بعض الاحداث التي جرت داخل الأراضي العربية المحتلة ، قديما وحديثا ، قد اعطت الاسرائيلي شرعية طرح السؤال حول طبيعة الصهيونية ، وهل التطبيق الاسرائيلي البالغ الظلم والعنف هو امتداد

وكانت العملية الثانية - مصادرة أراضي قرية عترة في منطقة نابلس ، حيث قام الجيش الاسرائيلي بترحيل البدو القاطنين هناك بعملية بالغة الوحشية ، وبدمر بيوتهم وتخريب آبارهم ، كمقدمة لإنشاء مدينة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الثالثة - مصادرة أراضي قرية عترة في منطقة نابلس ، حيث قام الجيش الاسرائيلي برش جقوت القرية بالمواد السامة ، وأقام مستوطنة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الأخيرة ، الضجة التي ثارت حول قضية تريت كبربرعم واقرت ، حيث منعت الحكومة الاسرائيلية عودة اهالي التريتين الى أراضيهم التي طردوا منها قبل ربع قرن ، بلا سبب !

ولقد اكنفى ، رد الفعل الاسرائيلي المعارض على العملية الأولى والثانية بالاعتراض الكلامي الخاضع لحسابات سياسية وحزبية . ولكن الاعتراض على العملية الاخرى تجاوز الحدود المتوقعة الى الاشتراك في تظاهرات احتجاج في قلب الشوارع اليهودية . وكان الكثيرون من المعارضين الاسرائيليين على الجريمة الصهيونية - الاسرائيلية المرتكبة ضد اهالي كبربرعم واقرت يرون ان عدم السماح لاهالي التريتين بالعودة يعتبر انتهاكا للقيم والتعاليم التي نادى بها الصهيونية ، ويعتبر وصمة عار في جبين اسرائيل وتشويها لسمعتها . ومضى بعضهم الى القول ان القوة الاسرائيلية ستكون خالية من المعنى اذا ما انتهكت العدل وتخلت عن المضمون الانساني . ومن هنا ، فلا بد « للضمير اليهودي » من أن يصحو ويتهم .

وكان المدافعون عن موقف الحكومة يضمنون دفاعهم

اسرائيلية . واصف افنري : « يقولون ان هدنة الصهيونية هو الاستيطان في كل انحاء البلاد ، باجلاء المواطنين العرب . ويقولون ان الشعب كان سيكون دائما جزء لا يتجزأ من العملية الصهيونية . ويقولون ان الكلام الاخلاقي الذي قاله الاجداد لم يكن الا تغطية ضرورية ايام الضعف ، ولا يمكن له ايام القوة . ولم تنحصر الامور في منطقة معينة ، ولا في مناطق ارض اسرائيل الغربية من ايام الانتداب . نكل الشعارات التي رفعت هذه الحجة لتبرير الاستيطان واجلاء المواطنين في الحوض والضفة الغربية وسيناء قد تنطبق غدا على جنوب لبنان ووسط سوريا والضفة الشرقية ، اذا اذنت المصدمة السياسية - العسكرية التي اختلال الجيش الاسرائيلي لهذه المناطق » . وعلق افنري على ذلك بقوله : « علينا ، كانت هذه هي النظرية التي وجهت للمستوطنين البيض في امريكا الشمالية حتى وصولهم الى شاطئ المحيط الهادئ النظرية التي وجدت تعبيرها الفظيع في المطالبة الالمانية بحبال حيوي » .

ويقول محرر هعولام هزه ان كثيرين في اسرائيل وقفوا ضد هذه الاعمال وهذه النظريات لانهم رأوا فيها « تجاوزا وتشويها للقيم المقدسة » . ويرون ان هذا التجاوز جاء بالمصدمة . فان احتلال المناطق هو الذي حرف الصهيونية عن الطريق المستقيم .

ويحدد افنري انه كان للصهيونية هدفان : الاول دولة يهودية يسيطر فيها اليهود . والثاني استيطان يهودي في كل انحاء البلاد . وعندما يتلور هذان الهدفان ، لم يتلور الى جانبهما حل للقضية الرئيسية التي ينطوي عليها تحقيق الهدفين : وجود مواطنين عرب طيلة ثباتية ترون . فكيف تحل هذه القضية مع المحافظة على التنفرد اليهودي لدولت اسرائيل ؟ يقول افنري : كان من الممكن حل القضية لو هرب سكان المناطق في حرب الايام الستة كما اُجلاوا عن المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ٤٨ . وكان من الممكن حلها بطرد السكان بعد الحرب . لقد بذلت مثل هذه المحاولات ، ولكنها فشلت . وعلى الرغم من ان اسرائيل لم تفسد مئات الالوف من لاجئي حرب الايام الستة بالعودة الى المناطق المحتلة ، فقد بقي تحت الحكم الاسرائيلي ١٤٤ مليون عربي يشكلون حوالي ٣٥٪ من السكان . الزيادة الطبيعية لهؤلاء السكان تزيد شعبين عن زيادة اليهود ، والهجرة اليهودية تسد هذا الفارق ولكن بصعوبة . هذا الوضع يمكن

دفاعا عن الصهيونية . ويرون ان الدفاع عن « الحق اليهودي على فلسطين » يقتضي الدفاع عن اجراءات طرد العرب ومصادرة اراضيهم . ومن هنا ، يكون موقف السلطة الاسرائيلية في عمليات رفع وعقبة وكفريهم واقرت وغيرها من عمليات اجلاء العرب واقامة الاستيطان اليهودي موقفا منسجما مع الدعوة الصهيونية الى تحقيق الحق اليهودي المطلق على فلسطين . هكذا قامت اسرائيل التي كان من المستحيل ان تقوم لولا مثل هذه العمليات . وكتب كاتب سياسي في صحيفة «يديعوت احرونوت» (يهوشع بن غورات ٧/١٤) : « ان تقدير الامن باللغة الاسرائيلية ليس فقط في وضع مدافع في مكان ما للدفاع عنه ، بل وفي فترات معينة - وقد يكون ذلك الجوهري فيها - خلق امتداد اقليمي يهودي ، او خلق واقع صهيونسي واضح . وهذا يعني بلغة اخرى - تخليص البلاد عن طريق الاستيلاء على اراضيها بأساليب عسكرية وامنية . وما جرى في مشارف رنج لا يختلف ، في ماهيته ، عما جرى في اماكن اخرى من ارض اسرائيل ودولة اسرائيل منذ بدأ تطبيق الصهيونية ، وذلك يشمل اجلاء مواطنين عرب من قراهم » . والخلاصة ، كما يراها الكاتب : « ليست هناك صهيونية ولا استيطان ، وليس هناك دولة يهودية بدون اخلاء العرب ومصادرة اراضيهم » .

وهكذا ، يعود المدافعون عن استمرار الظلم والسلب الاسرائيليين الى الطريقة التي قامت بها اسرائيل ، مما يجعل الاستمرار بها شرعية صهيونية ، والتوقف عن ممارستها تخليا عن اهم مقومات الوجود اليهودي في فلسطين .

وكتب اليعيزر لينيه في (هارتس) (٨ / ٦) عن معادلة الصهيونية والسلب « ان مواطنين عربا نفلوا من اماكنهم كي يتمكن المستوطنات اليهودية من الطول مكانهم ، فاذا وصفت هذه العملية بالسلب ، فان مجرد عودة اليهود الى بلدهم ممزوجة بالسلب » .

وقد لاحظ اوري افنري (هعولام هزه ٩ / ٦) ان السنة الاسرائيلية الاخيرة كانت سنة تحول في ميدان « الاستيطان الاستغلالي » ، اذ ادلى الجنرالات والسياسيون والمحتلون ، باتوال ما كانت تصدر قبل الان الا عن اعداء اسرائيل والحكام العرب ، هذه الاقوال التي كانت توصف بأنها دعابة تحريضية عربية قد اتضح الان انها حقيقة

فلسطين هي وطن الشعب اليهودي كله ، وإن الحق اليهودي عليها لا يتزعزع على الرغم من الفاصل الزمني الذي يبلغ الألفي عام ، وإذا اضطم « الحق » اليهودي ، بأي حق آخر ، فإن الأولوية تكون « للحق » اليهودي لضرورة إيجاد اكثرية يهودية في فلسطين ، تستولي على الارض العربية اما بالمال واما بالسلاح ، وكلا الاسلوبين سلب . ولم يتورع زئيف جابوتنسكي عن مساواة الصهيونيين بالمستوطنين البيض في الولايات المتحدة ومساواة العرب في فلسطين بالهنود المحصر والزنوج . ونص دستور « هشومير » على الفترة التالية : « بالدم والنار سقطت يهودا . وبالسدم والنار تقوم يهودا » .

ومن هنا ، سيكون من السخرية والسذاجة ان يجتهد المرء كثيرا في البرهنة على ان العنف والسلب الصهيونيين لم يكونا عملا طارئا بعد حرب ٦٧ . كما سيكون من السذاجة ايضا ان يقول اريه الياف وغيره ، في ندوة يديعوت احرونوت ، ان الممارسة الصهيونية في فلسطين لم تكن بالعنف والسلب حتى عام ١٩٤٨ بل .. بشراء الارض . وانه بعد هذا التاريخ طرا « التحول الكبير » : من شراء الارض بالمال الى شراء الارض بالدم . ويضع المسؤولية على العرب الذين حاولوا الحيلولة دون شياع ارضهم !.. وقد اقرب هاموس كينان من الحقيقة حين تسائل : لا فارق بين الشراء والانسفال . فان تشتري ارض وادي الحوارث مثلا هو عملية سلب من الدرجة الاولى تماما كما تظني السكان من مشارف رفح . ان شراء ارض قاطلة هو عملية سلب وان شراء ارض مهجورة هو عملية سلب أيضا .

ويخرج الكاتب من هذه المعادلة الصعبة بقولسه : عندما تقولون اننا سلطنا وادي الحوارث ، فانكم تريدون ان تشرحوا لماذا نسلب غزة اليوم . وعندما تريدون الان نسلب غزة اليوم ، فانكم تدعون اننا لم نسلب وادي الحوارث . وأنا اقول : نعم . سلطنا وادي الحوارث ، ومع ذلك يجب الان نسلب غزة . لانني اريد ان اضع حدا .

معنى هذا الكلام الصريح هو ان اسرائيل قامت على السلب والعنف . وان هذه البداية لا تيسر استمرار السلب والعنف في اتجاه المزيد من التوسع ، وذلك لكي يكون السلب السابق « شرعيا » . ان هذا الموقف هو الذي يميز ما

من ايجاد ظنين عمليين فقط : احصاء المناطق للمحافظة على الطابع اليهودي والديمقراطي لاسرائيل ، او الاحتفاظ بالمناطق مع سلب السكان العرب حقوقهم القومية والمدينة . ان الحل الثاني يتطلب استيطاننا يهوديا ينطوي على سلب العرب ، وانتهاج حكم لا ديمقراطي تجاههم ، وتحويلهم الى خطابين وسقاة ماء . وهذا هو الحل الكولونيالي . وفي هذا العام تم حسم المسألة - لصالح هذا الحل الكولونيالي .

فهل تستطيع الصهيونية ان تقدم حلا غير الحل الكولونيالي ؟

سنتكون المناقشة ، كما هي الان ، عقبة ما دامت محصورة في اطار الحل الصهيوني . ويبدو بؤس المنطق جليا في دفاع بعض افراد الجيل الاسرائيلي الحالي عن التطبيق الصهيوني السابق لحرب الايام الستة كذريعة جوهرية للاعتراض على بعض التطبيقات الاسرائيلية التي تلت حرب الايام الستة . فالسلب الراهن لا يدحض بالسلب السابق . من هنا ، لا تكون وسائل البحث عن حل ذات نفع عملي ولا فكري اذا حصرت نفسها في النطاق الصهيوني ، الا اذا كان السعي نحو الحل ضربا من ضروب تسجيل دقائق ضمير افاق في ساعة مزاج ليبرالي ، او اذا كان السعي نحو الحل محاولة لاحاطة السلب بأسماء جنبلة ، والحرص على ممارسة الظلم بأقصى درجات اخفاء معالم الظلم .

لتأخذ على سبيل المثال المناقشة التي دارت في ندوة صحيفة « يديعوت احرونوت » ١/٨ . قال هاموس كينان وهو كاتب من المعترضين على دعوة « ارض اسرائيل الكاملة » . ردا على سؤال : ما هي ارض اسرائيل ؟ . اجاب : « انتهي وافق على ان كل من يدعي ان دير البلح او الجولان ليست ارض اسرائيل - لا مكان له ايضا في تل ابيب !! » ومن هذا المبدأ الصهيوني الاول ، اقترح ان تتم مناقشة اخلاقية الصهيونية على اساس الانقطاع التاريخي ووضع الفواصل بين الممارسة الصهيونية قبل حرب ٦٧ وبعدها . أي - ان الصهيونية لم تتحول الى حركة كولونيالية الا بعد حرب ٦٧ . وكانت ملاحظة الكاتب ابيعزر غولان ذكية حين قال : ان صهيونية عام ١٩٧٢ لم تبدأ في هذا العام ، ولكنها تطور لما كان .

وإذا عدنا الى آباء الصهيونية في نظرتهم الى المسألة العربية نرى ان نقطة انطلاقتهم تبدأ من ان

بضمي بالأوساط الموزنة في الصدائفة الصهيونية
الإسرائيلية . الاكتفاء بما سلبته إسرائيل في
الماضي ، دون الخضوع لديالكتيك التطور الصهيوني
كما ينبغي . من أعمار التوسع الجشع الذي لا حدود
له . من هنا ، يكون الإسرائيلي المعامل صهيونيا
على الرغم منه ، لأن شرعية دعواه مهما اتسعت
بالبيرالية قائمة في أساسها على سلب من عليه
الزمن نصار « شرعيا » يستحق الدفاع عنه أمام
أصحاب الحق السابقين — وهم العرب . وأمام
من يهددون هذا الحق بالضياع — وهم الصهيونيون
المطردون . ومن هنا ، يكون هذا الإسرائيلي اسير
تناقضه الذي لا تسهل النجاة منه في إطار الحصل
الصهيوني . انه يدعو الى كبح جماح الصهيونية
والى وقف أندفاعها المتوسع عند نقطة من
الانتصار ، لا إلى الغائما . ومن هنا تسقط دعاوي
الدفاع عن التوسع الجديد بذرائع التوسع
القديم . وتسقط كذلك دعاوي الذين ينكرون وجود
توسع قديم لكي يبرروا زفضهم لتوسع جديد .
وقال يشعياهو بن مورات ، في الندوة الصحفية
ذاتها ، وهو يدحض النفاق الصهيوني الذي يفتى
على الصهيونية اخلاقيات غريبة عنها : ان الحريات
الصهيونية اللاعنيفة واللامسكية ، لم تتفنى على
الصهيونية الاخلاقية التي تتحدثون عنها . فننذ
السابعة من مهري تربية على العمل العسكري
لاحتلال البلاد . لقد نبوت في النمسا مع الاحساس
بانه سيجيء يوم نحتل فيه البلاد بقوة السلاح .
وعلموني على الاستهتار بالمواطنين العرب .
وعلموني على ان ارض اسرائيل لنا ، وان يوسع
العرب المقيمين هناك ان يستمروا في العيش بشرط
الا يزغونا . واذا ازغونا فسنطردهم . وعندما
هاجرت الى البلاد وعشت في الكيبوتس لم يربوني
على احترام العربي ، ولم يربوني على ان العرب
واليهود سيعيشون معا . كان التفكير الخفي ،
والواضح احيانا ، هو ان العرب سيذهبون ونحن
نبقى . ومُنذ عام ١٩٤٥ كان واضحا لنا جميعا ان
حربنا ليست لطرد البريطانيين فقط وانما لطرد
العرب . وكنا ، في الكيبوتسات ، ننظر الى القرى
العربية المجاورة ونقسم اراضيها في ما بيننا .
ومن الممارقات الغربية ، في هذه المناقشات حول
اخلاقية الصهيونية ، ان تجد الأكثر تطرفا في اتجاه
المزيد من التوسع يفتون من مرحلة التطبيق
الصهيوني بعد حرب/ حزيران ١٩٦٧ صفة السلب

والنكبة والخمراون مقده الغنشات في الاخالقة
التسايق . فقد كتب اليمز لفته في هارتس (٧/٧)
« لقد حدث تغير في الاستيطان الصهيوني اليوم
بالنسبة لاساليبها قبل حرب الايام الستة » . ففي
عهد الانتداب تركز الاستيطان اليهودي بالاحساس
في المناطق المأهولة نسبيا . وتطلبت آتامة مستوطنته
او مدينة يهودية او كيبوتس طرد قرية عربية سابقة
وليس التصود فقط المدن والقرى والكيبوتسات
التي قامت مكان القرى العربية المهجورة ، بل
مستوطنات قامت على انقاض قرى عربية مهجورة .
والآن بعد حرب الايام الستة يظن ان الامر من
اساسه . فالمناطق في سيناء وفي غور الاردن ، وفي
المناطق الشرقية من الضفة الغربية ، وفي هضبة
الجولان وجبل الشيخ خالية من السكان . والعرب
في الامر ظهور الطلق الان من سلب العرب . السلب
ليس في الارض ، بل في الشعور الذاتي . فكسار
كانت تميز العناصر المعادية كليا للصهيونية ، اخذت
تنغلغل في المعسكر الصهيوني » .

ولكن محاولة هذا الكاتب لتبرئة الصهيونية من
السلب ، بحجة ان مسرح السلب خال من السكان
تتعرث عندما يفسر اهداف الصهيونية ، في حديثه
بندوة ديموت ارونوت ، بقوله : « اننا نعود الى
هذه البلاد لتركز فيها الشعب اليهودي كله وحين
يواجه بسؤال صعب : لمن هذه البلاد ؟ يجيب
بسهولة شديدة : « ان ارض اسرائيل ، سواء
كانت خالية ام مأهولة ، هي للشعب اليهودي » .
وحين يجابه بسؤال اصعب اخر : وما هي حقوق
العرب ؟ يجيب بسهولة شديدة : « للعرب حقوق
شخصية ومطائفية ، ولكن البلاد لليهود . واذا كان
من الممكن الاتفاق مع العرب ، فيجب ان يتم
الاتفاق » . اي — يجب ان يتم الاتفاق مع العرب
على اساس اعترافهم بانهم طارئون على فلسطين ،
وان الحق اليهودي مطلق وغير قابل للمناقشة .

ويختتم النائب شموئيل تير المناقشة حول الصهيونية
عام ١٩٧٢ بقوله : « انها في احسن احوالها منذ
ولدت . في ايدينا الان اكبر منطقة ، واكوى جيش
يهودي . والهجرة تأتي من الغرب ومن الشرق .
والولايات المتحدة الامريكية تنظر اليها كحليف ،
والسياسيون الامريكيون يهتمون بما يقال في القدس
أكثر من اهتمامهم بما يقال في باريس عشية انتخابات
الرئاسة » .

في مثل هذا المناخ تجري المناقشة حول « اخلاق »

الجهوية . ومن الواضح ، ان الصهيونية الاسرائيلية لم تعد ترى حاجة الى التظاهر بالحساسية تجاه اتهامها بالعنف والتسلب والاخلاقية . وان ما كانت تسميه دعاية عربية ضدّها ، صارت تستخدمه ذرائع علمية لتواجه به

••• انهم يخافون

بعض ابتائها الذين يتساءلون عن النهاية ، ويسفون بشقة بالغة الى « تعقيم » الظلم وحصره في نطاق الاحتلال السابق ، لئلا يؤدي جيش الاحتلال اللاحق الى اضاءة كل شيء .

وعلى هيبته ، وعلاقتها مع دول العالم من ناحية ، وعلى الدول العربية من ناحية اخرى .

يشعيا هو غيبش : يجب ان نتذكر ان الازهاب كان دائما جزء لا يتجزأ من حرب العرب ضد اسرائيل . ولكنه وجد تعبيره ، في الاساس ، منذ هزيمة الجيوش العربية . فعندئذ بقي « المخربون » وحيدون في ساحة القتال . وقد تبلور التحول نحو اوربيا بعدما فشلوا في اشعال نار التمرد داخل اسرائيل ، وبعدها ابعدوا عن قواعدهم على الحدود . وكان هناك دافعان لنقل الجبهة الى اوربيا ، فهناك يجدون انفسهم متحررين من الجيش الاسرائيلي ، ويملكون فرص نشاط غير محدودة .

وأعتقد ان لهم هدفين من وراء ذلك : ان يذكروا العالم بشكل مستتر بأن الحرب مستمرة ، وأن يلحقوا الاذى بدولة اسرائيل . ويتبغى ان نتذكر انه من أجل تحقيق هذين الهدفين ، لا يجب ان يضربوا اهدافا اسرائيلية بالذات . فمن الممكن ان يصبوا شركات اقتصادية غير اسرائيلية ، وحركة الطيران الدولي ، والحركة البحرية والسفارات . ومن الممكن ان يخطفوا متفراغ اجناب ويقولوا لاسرائيل : « اطلقوا سراح « مخربين » والا ... » . انه مجال نشاط بالغ الاتساع . ومن شأن مثل هذه الحرب ان تؤثر على المعنويات في اسرائيل . لقد بدأ الازهاب في تشكيل خطر على الاسرائيليين خارج البلاد وعلى المصالح الاسرائيلية هناك . ومثل هذه الاصابة يؤثر على المعنويات في اسرائيل . ولكن كيان دولة اسرائيل نفسها لا يترتب به خطر من جراء الازهاب . بالعكس ، فان الازهاب يزيد من عطف العالم علينا .

سؤال : الا تخشى ان يهت عطف العالم ، بمرور الوقت ، فيرى في اسرائيل مصدر قلق لا يتيح له العيش بهدوء بال ؟

جواب : لا ريب في ذلك . وما نحن نرى مثل هذا التوجه من جانب حكومة فرنسا التي تقول :

● ما هو التأثير الحقيقي الذي يتركه النشاط الفلسطيني المسلح على معنوية الاسرائيلي ؟ وما هو الحجم الحقيقي للقلق الاسرائيلي ، العادي والرسبي ، الناتج عن هذا النشاط ؟ وكيف يقيم الخبراء العسكريون الاسرائيليون حجم وخطورة النشاط الفلسطيني المسلح على اسرائيل وعلى علاقاتها — باليهود في العالم ، وعلى الدول الاوروبية ؟ وكيف يقيم الاسرائيليون الانتصارات التي تحرزها القضية الفلسطينية نتيجة هذا النشاط المسلح ؟ واخرا .. ما هي الخطة التي تعدها اسرائيل للرد على هذا النشاط على الصعيدين العربي والعالمي ، وهل تفكر اسرائيل بممارسة دور الرد ام المبادرة ؟

لقد اجمع الاسرائيليون ، هذه المرة ، على عدم الاستهانة والاستهتار بتطور النشاط الفلسطيني المسلح وانتقاله خارج حدود المنطقة الى المجال الدولي . وما زالت اجهزة الاعلام الرسمية ، منذ حادث ميونيخ ، مشغولة بتحليل ابعاد هذا النشاط وخطره على الاسرائيلي ، جسديا ومعنويا ، ومراقبة دوره في عرقلة حلول الامر الواقع وفي افساد حس الايمان لدى الاسرائيلي رغم انتصاراته العسكرية المتلاحقة . وفيما يلي ننشر ملخصا لندوة بالغة الاهمية عقدتها صحيفة « يديعوت احرونوت » (٩/٢٩) حول هذا الموضوع ، باشتراك مجموعة من كبار الخبراء العسكريين الاسرائيليين هم : الجنرال يشعياهو غيبش الذي كان قائدا للجبهة الجنوبية في حرب الخامس من حزيران وبعدها ، والجنرال حايم هرتسوغ الذي كان رئيس دائرة لخابرات الجيش الاسرائيلي ، وايتان ليني الذي كان ضابط العمليات في ايتسل ، ويتسحاق شحير الذي كان قائدا ليحي .

سأل محررو « يديعوت احرونوت » عن الاتجاهات التي قد يتطور فيها « الازهاب » وماذا سيكون تأثيره على اسرائيل — على معنوياتها الداخلية

« القضية ليست فقط مخارطة المخرين ، بل يجب حل النزاع الاسرائيلي العربي » . وفي اعقاب مثل هذا التوجه تأتي ضغوط سياسية :

ان الارهاب لا يهدد بالخطر كيان اسرائيل ، ولكن يشكل خطرا على الاسرائيليين ، ويجلس علينا ضغوطا سياسية ، ويمس المعنويات داخل الدولة . حتى اليوم كنا نلقى الضربة لا نوجهها . وينبغي ان توجه الحرب بشكل تكون فيه موجهي الضربة . يتسحاق شير : الارهاب العربي هو ، علينا ، التعبير المتطرف لما يسمى حركة المقاومة الفلسطينية . وعلينا ان نأخذ بالحسبان خاصيتين جوهريتين لهذه الحركة . الاولى — من ناحية امكانية التسليم والتسوية ، فان المقاومة الفلسطينية هي اشد اعدائنا . يمكن ان نفترض ، نظريا ، قيام علاقات سلام وجوار مع دول عربية في الشرق الاوسط ذات يوم . ولكن لا يمكن الافتراض ، بأي شكل من الاشكال ، ان تسلم بحركة المقاومة . لان تحقيق اهدافها يتطلب اباده دولة اسرائيل . ان ميتركنا معهم ليست على مواقع ولا على مناطق وحدود — بل على الوجود او العدم . انها حرب حياة او موت . نحن او هم . اذا كنا نريد العيش — فنجيب ان نسحقهم .

والخاصة الثانية — ليست في نشاطهم اي منهج سياسي ، اعتدنا ان نجد في حركات تحرير في العالم . ماذا كان التفكير السياسي الذي استرشدنا به في عملياتنا ضد البريطانيين ؟ لقد اعتدنا اننا بعمليات التخريب سندفع البريطانيين الى الاعتراف بان ثمن سيطرتهم في فلسطين سيكون غالبا . ولكن كان للبريطانيين مكان ينسحبون اليه . ولكن ليست هنالك اية امكانية لان يترك الشعب اليهودي ارض اسرائيل تحت ضغط عملياته الارهاب ، سواء كانت داخل البلاد ام خارجها . من هنا ، فان حرب المخرين العرب ليس فيها تفكير سياسي ، ولانها كذلك فانها لا تتطوي على خطر ملموس على كياننا . ولانها كذلك ايضا فان هذه المنظمات خطيرة ، ويتوقع منها اشد الاعمال تطرفا وتسوية . ان هدفها هو ان تذهل العالم ، وتلك احدى الصعوبات في مكافحتها .

ان نشاطهم في الخارج ، على الرغم من انه لا يندوي على خطر عسكري على كيان اسرائيل ، يمس الدولة بيهبتها ومواطنيها . انني لا اوافق على الرأي القائل بان الارهاب يزيد العطف علينا .

تلك انطباع شديد التطحية . كنت في اورشليم وقت قضية ميونخ ، في اليوم الاول كانت صدمة ولكن احتل مكان الصدمة بعد ايام قليلة نوع من التقدير للمخرين على استعدادهم للتضحية بحياتهم وفي المقابل قل التقدير لاسرائيل وتحطمت خرافة جهاز المخابرات الاسرائيلية القادرة على كل شيء . لم يكن من الضروري ان نسمع تصريح بومبيدو لكي نعرف الى اين تهب الريح . ان مثل هذه التصريحات انتصار ضخم للارهاب العربي . ويوسعك ان تسمع مثلها في شتى البلدان . يقول الناصر « نحن لا نقر الارهاب — ولكن يتحتم ايجاد حل » والحيل معناه التسوية . ولكن اية تسوية يمكن ان تتم مع الفلسطينيين ؟

واريد ان اتوقف عند نقطة اخرى : لقد مكن الارهاب معنويات اليهود في الخارج بشكل بالغ الخطورة . لقد اهتز فهم الايمان بان اسرائيل لا تغلب . فالامن في اسرائيل كان اساس حسهم بالامن هناك ، وقد اهتز هذا الاساس . ان يهود كثيرين في الخارج يتحاشون الاتصال بالاسرائيليين خوفا ، وفي تلك الايام تحاشوا الذهاب الى الكنيس . والسبب واضح . انهم يخافون . فعندما اهتز الايمان بقوة اسرائيل صاروا يخافون على جلودهم .

سؤال : كيف نحارب الارهاب ؟

يشعيا هو غيبش : ان ذلك يكلفنا مالا ، ويتطلب تجهازا غير صغير وترتيبات — ولن يكون الامن مطلقا . ولكن ذلك لا يعنىنا من وسائل الدفاع . وذلك يتضمن ايضا ارشاد الاسرائيليين لان يشعروا ويتصرفوا في الخارج كأنهم في جبهة ، واقناع دول العالم بان هذه القضية قضيتها . ولكن لكي نحصل القضية في يوم من الايام ، يجب علينا ان نتقل الى الهجوم في اتجاهين — مهاجمة « المخرين » في تواعدهم ، لا ردا او انتقاما ، بل حربا مستترة . لقد كانت العملية في لبنان مفيدة ولكن في اللحظة التي تتوقف فيها ولا يتبعها استمرار — فانها تخلق انطباعا بانها عملية انتقامية . يجب الاستمرار في محاربة « المخرين » في لبنان وسوريا وكل مكان يتواجدون فيه . معنى ذلك — عمليات خاصة وعمليات نظامية وعمليات غير مباشرة .

الاتجاه الاخر للهجوم يجب ان يكون في البلدان التي يعملون فيها ضدنا . قد تكون هذه حربا اضعب ، ولكن من الممكن شنّها بوحداث صغيرة وعدد غير كبير من الرجال . هدفها يجب ان يكون مزدوجا —

اتيان ليبيني : يجب ان نضرب مراكز « المخربين » التي يتلقون منها الاوامر . لا اqvصد بذلك جنوب لبنان ، فليس هناك مركز « ايلسول الاسود » او قنص . يجب ان نضرب المراكز ، ولا يدهشني اذا اقتضى الامر عملية في القاهرة او طرابلس او بنغازي او دمشق .

حايم هرتسوغ : كلنا نوافق على ضرورة عدم الاكتفاء بالدفاع في هذه الحرب . ومن واجبنا ان نبين لكل اسرائيلي انه يشكل حدود اسرائيل . وعلينا ان نعود الى ضرب « المخربين » عندما يعودون الى جنوب لبنان ، حتى عندما لا يقومون باستفزاز . يجب ان يكون العمل ضدهم عملا مستمرا ، والا نسمح لهم بالتنظيم ، ومن واجبنا ان نعود الى أخذ زمام المبادرة ، وان نحولهم من مطاردين الى مطاردين فوراً على طول الحدود ، وفي مراكزهم بالبلدان العربية وفي مناطق نشاطهم في المغرب .

محمود درويش

ضرب « المخربين » وإيجاد وضع لا يمكنهم من حرية العمل والحركة هناك . ويتبعني التعاون مع بلدان العالم ، ولكني أؤمن بالاعتماد على النفس . يجب ان تشكل هذه القوة بدون تأجيل .

ويجب ان يدخل في وعي « المخربين » حس المخاطرة . فاذا ادركوا ان الخليل-ضمت الي دولة اسرائيل نتيجة عمل معين قاموا به ، سيكون للامر تبعات بعيدة المدى على ما قد يحدث للشعب الفلسطيني نتيجة استمرار الارهاب .

لا أقول ان ضم الضفة وقطاع غزة هو السيف الوحيد الذي نستطيع التهديد به فوق رؤوسهم ، فهناك تهديدات سياسية أخرى . ولكن يجب ان نكون في وضع يمكننا من ان نقول لهم : « انكم بأعمالكم تعرضون الشرق الأوسط للخطر ، ومن يعرف كيف ستكون خارطة الشرق الأوسط بعد ٥ - ١٠ سنوات » . انهم يتكلمون اليوم عن تحرير المناطق وتحرير فلسطين . ويجب ان نوصلهم الي الحديث عن تحرير شيء لم يفقدوه حتى الان .

اسرائيل الكبرى

دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني

بقلم

الدكتور أسعد رزوق

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ،

قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

بالعربية (ناقد)

بالانجليزية ٢٢٦ صفحة

من الحجم الكبير

سعر النسخة : ١٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

وائل زعيتر قديس آخر يموت في روما

داود تلحيمي

كان وائل - على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه - احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يفي وائل حقه ، لان وائل لم يكن يطمح لحمل أوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، تكاد تعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندرته المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكانه في تعففه هذا ، كان يريد ان يبقى قريبا - حتى في حياته الشخصية - من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كل اوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التوكسي في روما مروراً بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الإيطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه النائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي .

مات وائل كما عاش قديسا (ثوريا) برصاصات الوحيديين الذين يمكن أن يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكان به وهو يواجه أعزل باسمه في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قتلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون أن يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مخالفة أخرى لصراع الخير والشر .

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مثلما حملت ، ابتسامة التحدي والثقة بعدالة النضال ...

ولن يرهبونا ...

وستستمر يا وائل ،

حتى ترتسم ابتسامات السعادة على وجوه اطفالنا فوق أرض فلسطين الحرة .

وائل زعيتر مناضلا وانسانا

منير شفيق

وائل المناضل :

نجاهة انتقل اسم الشهيد وائل زعيتر ليتصدر الصحف ونشرات الاخبار ، وراح يتردد على الألسن . ولا شك في أن الكثيرين داخل الثورة الفلسطينية وخارجها ، جعلوا يتساءلون من هو وائل زعيتر ؟ ولماذا اختارته أجهزة العدو الصهيوني الارهابية ليكون أول أهدافها في أوروبا ؟ وبدأت الاجوبة تنهال متفرقة من الذين عرفوا وائل . لقد انهالت الاجوبة متفرقة لان ما من فرد يعرف كل شيء عنه . وهذا ما يحدث عادة بالنسبة للكوادر الثورية التي تعمل بصمت حتى تكاد يدها اليمنى لا تعرف ما تفعله يدها اليسرى ، فهي ان قامت بعمل ، ومهما يكن مثمرا وهاما ، تنساه فورا ، فلا تتخذ منه اعلانا عن النفس ، وتباهيا أمام الآخرين ، او وسيلة للارتقاء والانتفاع . انها تنساه فورا لتبدأ رحلة جديدة مع عمل ثوري جديد . وهكذا تتصل الحلقات فيكون الاعداء اول من يشعر بهذا الكادر وخطورته . لانهم يلمسون اثر جهوده عليهم وعلى مخططاتهم . فالصهاينة الذين قرروا اغتيال وائل كانوا يعلمون انه لم يمارس عملا مسلحا ضدهم لا مباشرة ، ولا بصورة غير مباشرة ، لا تنفيذا ولا تخطيطا . حقا انه لم يمارس النضال المسلح المباشر عن هروب منه نجاة بجلده ، بل على العكس فقد كان وائل دائم الاصرار على قيادة حركة فتح ان تعفيه من مهامه الاعلامية والسياسية داخل ايطاليا ، وتأذن له بالعودة الى ارض الصراع المباشر ، في الأردن او تحت الاحتلال . ولكن الجواب كان يأتيه دائما ان يبقى حيث هو ، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ان نتائج عمله الاعلامي ، وما حققه من نجاحات في اقامة اوثق العلاقات بين الثورة الفلسطينية وبين القوى الثورية والتقدمية والانسانية في ايطاليا كانت فوق ما يمكن ان ينجزه انسان بمفرده . لقد كان قبول انخراطه في الكفاح المسلح هنا يعني نشوء حاجة تتطلب ان يحل محله عشرة من الكوادر الجيدة والقديرة جدا ، حتى يكون بالامكان الاستمرار بالعمل الذي كان يقوم به وائل ، دون ان يطلب تطويره . ان هذه الاسباب نفسها هي التي دفعت الارهابيين الصهاينة لاغتيال هذا المناضل الثوري الراحل . فقد شعر الصهاينة في ايطاليا منذ اول يوم بدأ فيه بالعمل في حقل الاعلام والعلاقات الخارجية في الثورة الفلسطينية ، ان الارض في ايطاليا بدأت تهتز من تحتهم ، وكان باستطاعتهم ان يحصوا مخاسرهم بدقة متناهية ، وهم يرون مواقع لهم اخذوا يفقدونها الواحد بعد الآخر . ثم يرون جبهة عريضة تتألف في ايطاليا لمناصرة الثورة الفلسطينية وبأهدافها الخاصة بتحرير فلسطين كلها واقامة دولة ديمقراطية ، وبقبول استراتيجيتها الثورية في حل التناقض العدائي بين جماهيرنا وبين العدو الصهيوني عن طريق حرب الشعب طويلة الامد . لقد اتسعت تلك الجبهة لتشمل الحزب الشيوعي الايطالي ، وحركة المانيفستو (حركة ثورية ماوية) ، وحزب اليسوب (الحزب

البروليتاري الاشتراكي الموحد) ، واتحاد العمال وعشرات من الحركات الطلابية والثورية ، فضلاً عن أجنحة يسارية في الأحزاب الاشتراكية والحزب الديمقراطي المسيحي ، الى جانب شخصيات أدبية وفنية وسياسية وصحفية مرموقة على نطاق عالمي مثلا البيروتو مورافيا وجوليانا وغيرهما .

لقد استطاع وائل أن يبني في فترة قصيرة من الزمان علاقات حميمة بين الثورة الفلسطينية وبين القوى السياسية والعمالية والتقدمية في ايطاليا وكان السر في ذلك ، رغم أنه ابتداء في جو معاد ، يعود الى مثابرته وصبره وثقافته ، وقدرته على معرفة الناس والتأثير عليهم دون أن يشعروا ، فهو لم يكن من ذلك انطراز من الناس الذي يحاول فرض آرائه على الآخرين ، او تقديم أهداف الثورة بأسلوب تيشيزي خطابي ، كان أسلوبه بسيطاً متوازعا يعكس حقيقته البسيطة المتواضعة ، فهو يحاول أن يفهم الآخرين قبل أن يطلب منهم أن يفهموه ، ويعتمد الى تقديم ما يمكن أن يقدمه لهم قبل أن يسألهم تقديم شيء للثورة الفلسطينية . انه أسلوب اعتمد على المعرفة السياسية الواسعة ، والثقافة الرحبة ، والعطاء الثوري وبعد ذلك كان يقدم الوثائق والحقائق بعد ان يلح الآخرون على طلبها ، ثم يترك لهم طلب التعاون مع الثورة الفلسطينية ، وعرض طاقاتهم لمساندتها . وهنا كان يتجلى وائل بتلك المهبة التي امتلكها ، وهي ايجاد عمل لكل انسان حسب امكاناته وفي المكان الذي يناسبه ، يمكن اعطاء صورة صغيرة على ديناميكيته مقتبسة من رسالة مؤرخة في ١٠/٥/٧١ كان قد بعثها الى مكتب اعلام حركة فتح في بيروت جاء فيها:-

« ... سبق وارسلت لك العدد الاول من الطبعة الايطالية لمجلة فتح الانجليزية لقد طبعناها مرة أخرى اذ نفذت الطبعة الاولى وكانت حوالي ٦٠٠ نسخة والثانية كانت اربعة آلاف نسخة . المجلة نبيعها ١٠٠ ليرة (ايطالية) للنسخة الواحدة ، وتباع بواسطة الطلاب الايطاليين والفتيات والاولاد وطلاب المدارس المتوسطة وغيره ... الخ . لقد كلفنا عمل الكليشهات كثيرا ، كما ولقينا صعوبات أخرى . لذا فأمل ان تساعدنا بالنقاط التالية :

(١) ارسال ما تختارونه من مقالات بالانجليزية اولا بأول حتى عندما تطلع الانجليزية (يقصد مجلة فتح بالانجليزية) تكون الترجمة عندنا حاضرة ، ولا نضيع وقتا عليها فتصبح out of date بعض الشيء .

(٢) اذا أمكن أن ترسلوا لنا الكليشهات او الأفلام اولا بأول — كما وعدتم ابو ... — فهذا يجعل الطبع افضل ويوفر علينا فلوس . أما بالنسبة للعدد الثاني — اي عدد ١٢ ابريل — فلقد ترجمناه ، وسنرسله غدا للطبعة . واعدت اننا سنطبع منه عشرة آلاف نسخة ، فاذا ما أرسلت لنا الافلام بالاكسبيرس والبريد الجوي فسنوفر علينا كثيرا بالاضافة الى وضوح الصور . فهل لك ان تفعل ذلك فسنكون لك من الشاكرين ؟

— هذا ولقد حكم على عدد تيسان بأنه اغنى من عدد ١٢ ابريل بما فيه من documents على كل فساخبركم بالتعليقات التي تصدر عندما تنظم أنفسنا . ولقد اخذنا مكتبنا مؤقثا وسننظم أمور الطبعة الايطالية ونعلمكم بذلك . »

وفي فترة وردت في الرسالة الثانية المؤرخة في ٢٥/٥/٧١ يقول وائل :

« ما هي أخبار العدد القادم ؟ أرجو افادتنا بخصوصه .

« كنتم ترسلون لي بالسابق كمية وافية من الاعداد وهذا ما احتاجه لاجل توزيعه على المترجمين وعددهم حوالي ٢٠٠٠ . »

تدل هذه الفقرات على الديناميكية التي كان يعمل بها المناضل الثوري وائل . واذا اخذنا

بعين الاعتبار ان كل الذين تعاون معهم كانوا من الايطاليين (مثلا ٢٠ مناضلا عملوا بالترجمة فقط) ، الذين يعملون تبرعا وعن قناعة ، يمكن ان ندرك قيمة هذه الطاقة الاستثنائية التي كانت تستطيع اعطاء عمل ثوري للعشرات ، وتستطيع ان تعمل بكفاءة وسرعة ، وتحقق نجاحات في ظروف كانت قاسية وصعبة (الشهر الخامس من عام ١٩٧١) .

وائل الانسان :

ولد وائل عام ١٩٢٤ في مدينة نابلس وتوجه الى العراق بعد اتمام دراسته الثانوية لدراسة الهندسة في جامعة بغداد . ولكنه سرعان ما اكتشف ان طريقه الى الحياة ليست طريق مهندس ، يوقف عمره سعيا وراء المال ، وفي خدمة الشركات واصحاب الاستثمارات . فترك مقاعد الدراسة ليعمل عاملا في مد طريق جنوبي العراق في منطقة صحراوية ، وكان هدفه ان يتعرف على ريف وطنه العربي ، وان يعيش مع عماله ويكبح معهم وهناك قضى سنتين يعيش في خيمة وتحت اقسى الظروف ولكنه عوض ذلك بمشاركته خلية من عمال الحزب الشيوعي العراقي نضالاتهم الطبقية والوطنية ضد حكم نوري السعيد . وكان معه الى جانب ذلك اصراره الذي رافقه منذ مطلع شبابه ، على دراسة التراث العربي مع اهتمام خاص بدراسة اللغة الايطالية ليتفهم الاوبرا من احدى منابعها ، وهو بهذا وحد في نفسه وحياته صفة المناضل البروليتاري الثوري ، والمثقف العربي الاصيل والذواقة للموسيقى الكلاسيكية ، وبشكل خاص للاوبرا .

ثم راحت الاسفار تتقاذفه مشردا سياسيا ، بعد ان فر من العراق حوالي العام ١٩٥٦ لينتقل الى الكويت ثم الى المانيا ، واخيرا لينتهي به المطاف في ايطاليا حيث كان يطمح في تطوير ثقافته الموسيقية ، والكلاسيكية الادبية ، ما دام لا يستطيع ان يعود الى ارض الوطن بسبب افكاره السياسية . الكثيرون لا يستطيعون ان يتصوروا ان وائل كان يحفظ آلاف ابيات الشعر العالمي — مثلا كان يتلو غيبا مقاطع برمتها من « الكوميديا الالهية » لدانتي ، واكثر منها لابي العلاء وابن الفارض .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وجدت حركة فتح ان وائل اخذ يفرض نفسه ممثلا لها ، دون ان يدفع باسمه الى الشهرة ، او ان يطلب مساعدة ، فقد اعتبر ان الثورة ثورته ووله الحق في ان يعطيها كل شيء . وراح يعمل ليل نهار بصمت ودون ضجة ويصرف كل ما في جيبه من اجل القضية ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح وائل كادرا مسؤولا في حركة فتح بعد ان تأكدت الحركة بانها عثرت على كادر قيادي يشكل ثروة بحد ذاته .

وهنا يمكن ان نقف على جانب آخر من جوانب شخصيته الفذة ، وهو حياته البسيطة المتقشفة ، فقد كان يعمل مترجما في السفارة الليبية في روما ، ولا يصرف على نفسه من راتبه غير النزر اليسير اليسير ، في حين كان يدفع بالباقي كله للصرف على حاجات العمل النضالي . ولعل الكثيرين لا يصدقون انه كثيرا ما كان يقضي يومين او ثلاثة في الشهر جائعا دون ان يكون في جيبه ما يشتري به رغيف خبز ، وما كان لياكل في تلك الظروف الا اذا ساقته الصدفة الى بيت صديق بسط مائدة طعام . اما لباسه فكان مزريا وكذلك غرفته التي ينام فيها . انه لم يفكر قط في ان يفيد من مدخوله المادي في تحسين احواله ، ولو في الحدود الدنيا ، لقد كان هذا دينه حتى قبل الثورة . فمثلا كان يذهب بمثل هذا اللباس الى اوبرا روما حيث كان مشتركا مداوما لعدة سنوات — وهناك تعرف على الكاتب الايطالي الشهير البيرتو مورافيا اذ صدق ان كان جاره في المقعد المخصص له في قاعة اوبرا روما ، وقد لفت نظر الكاتب ثم حاز على اعجابه الشديد وصادقته الحميمة بعد ان تعرف على مزاياه النضالية الاخرى — عدا الموسيقى ، والثقافة .

كان وائل قبل الثورة متصوفا يذهب براتبه في شراء الكتب والاسطوانات

الموسيقية وارتداد المسارح الثقافية ودور الأوبرا ، فضلا عن مقاسمه رغبته مع كل مشرد سياسي ثوري يلتقيه ويتعرف عليه . أما عندما انضم للثورة الفلسطينية ، فقد تخلى عن كل شيء عدا بساطة حياته وتكشفه وتحويل معظم راتبه لخدمة القضية الثورية .

طلبت حركة فتح منه في أوائل ١٩٧٠ الاستقالة من عمله والتفرغ كليا لنشاطه الاعلامي - السياسي ، وظل كذلك حتى ما بعد ١٩٧١ ، عندما قرر ان يعود للعمل كمترجم بسيط في السفارة الليبية في روما ، اعتقادا منه أن من الضروري الاعتماد على نفسه ماديا واعفاء الثورة من اعبائه المادية رغم انها كانت ادنى من الحدود التي يعيشها طالب متكشف .

وائل المفكر والاديب :

لم يكن وائل كادرا عمليا ينفذ المهام النضالية فحسب ، ولم يكن انسانا حقيقيا فحسب ، ولم يكن مثقفا واسع الثقافة فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا واديبا شاعرا (لم ينشر قصائده وهذا ما يحتم على الثورة الفلسطينية ، وعلى فتح بشكل خاص ، انقاذ كل الاوراق التي استولى عليها البوليس الايطالي في غرفته) .

لقد اهتم في الاونة الاخيرة بتأسيس مكتبة للثقافة العربية في روما ، وراح يسعى لتشكيل جمعية صداقة عربية - ايطالية تجمع عددا من الفنانين والادباء والشعراء والمثقفين الايطاليين والعرب . وعندما توجهت رصاصات الاجرام الصهيوني لتوقف قلبه الكبير عن الخفتان كان المشروع لا يحتاج الا للمسبات اخيرة ليخرج الى النور بكل قوة ، وكان هذا هو السبب الذي حال دونه ودون حضوره مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاخير الذي هو عضو فيه . عندما جاء الى لبنان قبل سبعة اشهر تقريبا صرفت له مخصصاته المتأخرة ، فما كان منه الا ان اشترى بها كلها كتبا عربية بعضها ذو طابع معاصر واغلبها من الكتب العربية الكلاسيكية مثل « مسالك العرب » والطبري . وعاد الى ايطاليا بجيوب حاوية الامن الكتب والتصميم على النضال .

اما مشروعه الاخر الذي لم يتمه فكان اشترائه مع المستشرق الايطالي الكبير فرانسيسكو غابريلي في ترجمة « الف ليلة وليلة » الى الايطالية وكان هذا المشروع باكورة مشاريع مماثلة ، كان يخطط لها ، وكلها تهدف الى تمزيق ستار التعقيم الفكري الذي يفرضه الغرب على الثقافة العربية التي يعتبرها واحدة من اعظم الثقافات العالمية الحضارية . وقد يعجب البعض حين يعلمون انه كان يتساءل دائما ماذا سيتمخض عن الثورة الفلسطينية من مساهمة في الثقافة العالمية ؟ لم يكن وائل يطرح هذا السؤال واشباهه الكثير من الاسئلة التي تتكشف عن مفكر متأمل فيلسوف ، انطلاقا من مواقع المثقف الاستعراضي ، وانما كان يفعل ذلك تاركا فيهم يستمع اليه الشعور بصدقه ، بل ان المرء ليستطيع ان يلمس عذابه الداخلي وهو يفكر بمثل هذه الاسئلة . لقد كان متحرقا فعلا لكي يرى الثورة الفلسطينية والثورة العربية تتمخضان عن عطاء كبير للثقافة الانسانية والحضارة العالمية ، تواصلان به عطاء الماضي .

لقد كان فكر وائل بوتقة انصهرت فيها مجموعة من الثقافات توجت بما اخذ بيديه في السنين الاخيرة من اهتمام بالتجربة الصينية ، خاصة ، الثورة الثقافية . وربما كانت آخر احلامه رؤية ثورة ثقافية عميقة تحمل اصالة عربية بكل ما تحمل الكلمة من معنى تنتشر بين الجماهير الفلسطينية والعربية ضاربة الجذور بالتراث ، صاعدة من اعماق الشعب ، محررة نفسها من تقليد الغرب ، وضياح الشخصية .

وبكلمة ،

كان وائل كادرا ثوريا قياديا موهوبا ، ولكنه كان يتصرف كعنصر عادي .

- وكان منقشفا متفانيا منكرا لذاته ، ولكنه كان يملا نفسه بغنى داخلي لا حدود له .
- وكان فنانا وشاعرا ومفكرا ، ولكنه ظل تلميذا في بحثه عن المعرفة .
- وكان انسانا عاملا بسيطاً ، ولكنه كان يعاني عذابا داخليا وقلقا عميقا .
- وكان فتحاويا وماركسيا ، ولكنه كان في الوقت نفسه ناسكا صوفيا ،
- والا هم من هذا كله انه اعطى الثورة الفلسطينية كل هذا دفعة واحدة .

CRIMES AND NO PUNISHMENT

Zionist - Israeli Terrorism 1939 - 1972

By

Sami Hadawi

Will be Published Soon by the Palestine Research Center

(P. O. Box 1691, Beirut)

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتباراً من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحفيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) بأخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الأبحاث بانها تتضمن تسجيلاً كاملاً ودقيقاً للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات وأقوال الصحف التي تبث من الإذاعة العبرية يومياً ، بالإضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان أخراجها بشكل جيد ومرعب للقارئ .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يومياً على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فيتم إرسال لهم النشرات بالبريد الجوي ، او بآية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الأبحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبياً للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسمائة ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الأخرى ، يضاف إليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١ ل. ل. ، في أوروبا ١٥ ل. ل. ، في الأمريكتين ٢٠ ل. ل. ، وفي آسيا وغرقية ٢٥ ل. ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة وأننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الإذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيئه اسرائيل بالعبرية لواطنيها وما تذيئه بالعربية للعرب وما تذيئه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترتسل الاشتراكات الى

مركز الأبحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .



قسم الثقافة الفنية - دائرة الإعلام والتوجيه القومي
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - كورنيش المزرعة - ص. ب. ٥٢٨٢

صدر عن

موجز تاريخ فلسطين المصور

اعداد وتصميم : إسماعيل شموط

كتاب مصور بالألوان يعرض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا
متوفر بأربع لغات : العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الإسبانية
شمن النسخة مع اجرة البريد الجوي :

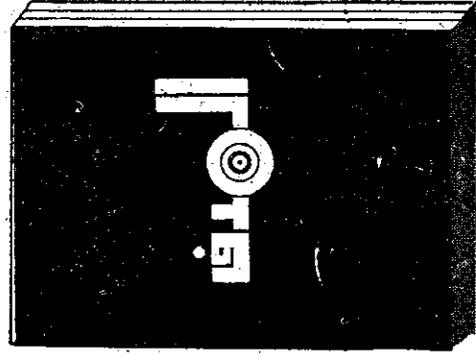
دولار	ليرة لبنانية	
١,٢٥	٤٠ -	للبلاد العربية
١,٥٠	٤,٥٠	للبلاد الأوروبية
٢, -	٦, -	لباقى بلدان العالم

يطلب من قسم الثقافة الفنية - منظمة التحرير الفلسطينية -

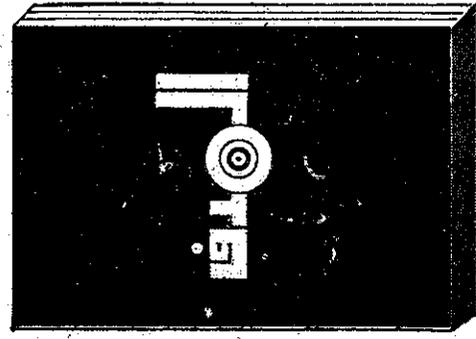
بيروت - ص. ب. ٥٢٨٢

يطلب من الإدارة
ص ٢١٢
بيروت - لبنان
يضاف إلى القيمة
٥ ل.د. كأمور جديد
بالبريد المضمون للملاحة

العدد الثالث
طالعت ١١٤ - ١٢٣
العدد
٢٠ ل.د. أو ما يعادلها



العدد الثالث
طالعت ١١٤ - ١٢٣
العدد
٢٠ ل.د. أو ما يعادلها



(ملاحظة : المجلد الأول من العدد ١ - ٢٥ نافذ)



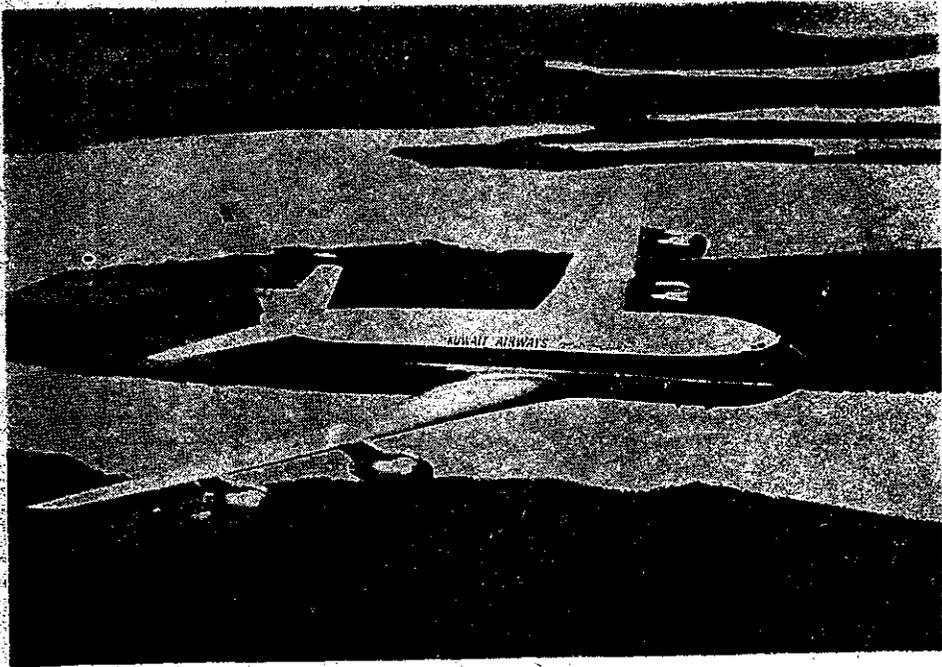
استيراد وتصدير
لجميع أنواع الورق والكرتون
للمجلات والكتب

مخبرته خليل الساعوق

شارع المعرض - بيروت - لبنان
مكتب تلفون : ٢٣٤٦٤٥ - ٢٢٨٠٤٢
مستودع تلفون : ٢٩٣٩٣٢

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

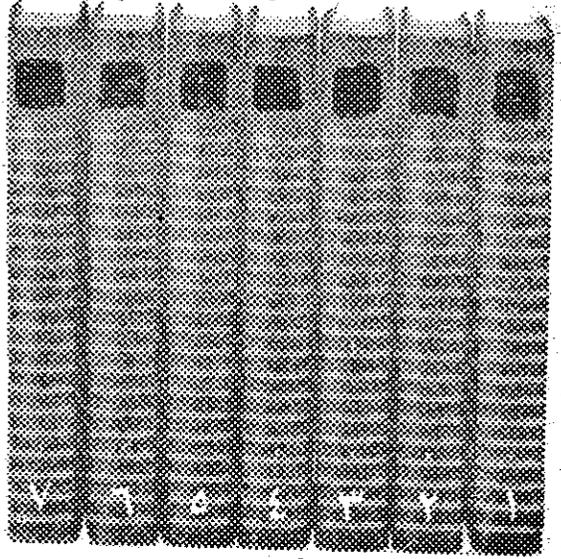


مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت - البحرين - الدوحة - دبي - الظهران - عدن - عمان - دمشق - بيروت - القاهرة
طهران - عبادان - أثينا - جنيف - فرانكفورت - باريس - روما - لندن - نيويورك - هيوستون
شيكاغو - ديترويت - تورونتو .

صدر المجلد السنوي السابع من

السياسة الدولية



- مرجع عالمي للعاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- المجلد مزود بفرس تحليلي و فرس للمعالمات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأرقام ومكتبه الأرقام بشاع محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

مدير التحرير

د. عبد الملك عودة

رئيس التحرير

د. بطرس بطرس غالي

AL - JAMHOUR

الجمهور

اطلاعة اسبوعية

على

قضايا المقاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العالم وشعبه

معالجة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صباح كل يوم اربعاء

تطل

الجمهور

على قرائها الموزعين

في

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

